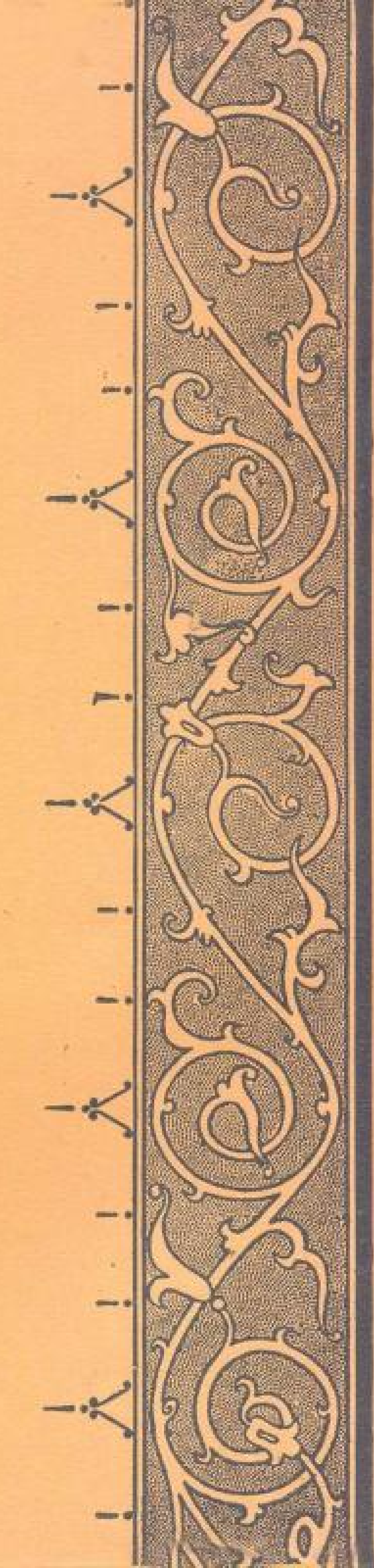
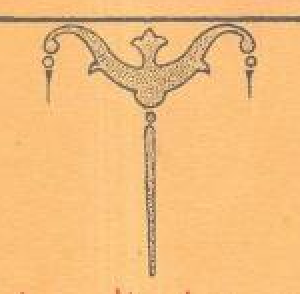






مستقبل العمران

الحب : لادلر

العلم : لهكسلي

التعليم : لولز

الاسرة : لرسل

الاقتصاد : لتشايس

رجال الشهر

غازورذي ، غاندي ، سايس ، صديق بك

الازمة الاقتصادية

واشتباك المصالح الدولية

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثالث والسبعين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٢٨ — الموافق ١٩ جماد الثاني سنة ١٣٤٧

كلمات للدكتور صروف

الترجمة ومقاصدها

قلما تجاوز العرب في علوم الدنيا حدَّ التقليد والاقتباس حتى في عهد الدولة العباسية التي هي من سائر دولهم بمكان الشباب من ادوار العمر — فلا اخترعوا ولا اكتشفوا ولا ابتكروا في تلك العلوم الاَّ قليلاً وانما كادوا يحصرون اجتهادهم في علوم الدين حتى جروا فيها أبعد شوط . على انهم اجادوا في باب النقل وصاروا بهِ اهل فضل لتحريهم الامانة حتى سمُّوا حلقة الاتصال بين القديم والحديث .واقلّ ما يقال فيهم انهم فهموا علوم اليونان من رياضة ومنطق وطبّ حق فهم وهذا ما مكنهم من الاجادة في ترجمتها الى العربية والاضافة اليها والتعليق عليها وادخال بعض التغيير في اعراضها

وليست الترجمة بالامر الهيّن بل هي صعبة واصعب من التأليف لان المؤلف طليق بين معانيهِ والمترجم اسير معاني غيرهِ مقيَّد بها مضطر الى ايرادها كما هي وعلى علاتها اذا لزم الامانة في الترجمة كما هو الواجب والاَّ فليس مترجماً بل مصنف . ثم انهُ يستحيل على مترجم مقالٍ ما ان يجيد ترجمتهُ الاَّ اذا فهم موضوعهُ تمام الفهم . فمن لم يدرس الفلك لا يطلق ترجمة مقالة فلكية ومن لم يدرس الرياضة لا يطق ترجمة مقالة رياضية . تقول ان فلاناً ترجم المقالات البديعة في فنّ لم يدرسهُ . نعم ولكن معانيها معانيهِ هو لا معاني المؤلف الذي ترجم عنهُ . فاذا صحَّ نعتها بالبديعة فربما كان ذلك لحسن مبناها لا لضبط معناها . والغربيون يجلُّون قدر المترجم من كتابهم اذ لا يقدم على الترجمة منهم الاَّ من آنس من نفسهِ القدرة عليها . وترى المترجم يمهر ترجمتهُ بامضائهِ وهو الكاتب القدير وقد لا يستنكف من توقيع اصغر المقالات المترجمة بهِ

الصور المتحركة: تتكلم

اتقان استنباط جديد غريب

يجمع بين مبدأي الصور المتحركة والفونغراف

قرأنا خلاصة موجزة للمبدإ الذي تقوم عليهِ الصور المتحركة الناطقة في اوائل سنة ١٩٢٤ فحسبنا تحقيقهُ من معجزات الاختراع لاننا لم نرَ حينئذٍ شيئاً ابعد عن ممكنات العلم من تحويل الصوت الى نور ورسمهِ على شريط فوتغرافي ثم تحويل هذا النور الى الصوت الاول نفسهِ واعادتهِ كلاماً مسموعاً مفهوماً

ثم اتيحت لنا زيارة الولايات المتحدة الاميركية في صيف ذلك العام فشاهدنا الفلم الناطق حقيقة ماثلة للعيان في احدى دور الصور المتحركة بمدينة نيويورك . ولكنهُ كان قد عُرض على سبيل التجربة فكانت الصور التي ظهرت فيهِ بسيطة لا تمثل اكثر من شخصٍ واحد واقفاً على الستارة الفضية يلقي خطاباً . فكنا نرى صورتهُ ونسمع صوتهُ في آنٍ واحد ، ولدى التدقيق كنا ندرك ان نبرات الصوت تتفق كل الاتفاق مع حركات الشفاهِ والرأس واليدين. وكان الاشخاص الذين رأيناهم حينئذٍ المرشحين الثلاثة لرآسة الولايات المتحدة الاميركية — المستر كولدج والمستر دايفس والشيخ لافولت

ومضت اربع سنوات لم ينفكَّ المستنبطون في اثنائها عن تعهد هذا الاستنباط الجديد بكل وسائل الاصلاح والاتقان حتى تمكنوا من ان يصنعوا شريطاً كاملاً متكلماً ويصوروا حوادث واقعية مختلفة ترى صورها وتسمع ما فيها من الاصوات كانك الساعة تشهدها . وقد عُرض هذا الشريط في احدى دور الصور المتحركة بلندن في الصيف الماضي فكان الاقبال عليهِ عظيماً وظل محور حديث الناس في مجتمعاتهم وانديتهم الى ان جاء الفلم الناطق الذي يليهِ

***

ما هو سرُّ هذا الاختراع البديع ؟ ليس في الامر سرٌّ ما . فكل ما هنالك هو تحويل صوت الممثل الى نور تدوَّن اهتزازاتهُ او امواجهُ على جانب من الشريط السينمائي مع صُوَر الممثل . ثم لدى عرض الشريط في دور السينما تحوَّل امواج هذا النور الى امواج صوتية تعاد بمقوّي الصوت كلاماً مسموعاً

من المعروف لدى قرّاء المقتطف انهُ متى تكلم أحد امام سماعة تلفون اثّر صوتهُ في التيّار الكهربائي الذي يمر في سلك التلفون فيختلف التيار قوة وضعفاً باختلاف نبرات الصوت الذي يحدثهُ. فاذا كان التلفون عاديًّا سرى التيّار في سلك التلفون الى جهاز مخاطبك فحرّك غشاءهُ المعدني الرقيق واذا كان التلفون لاسلكيًّا انتشرت الامواج اللاسلكية في انحاء الفضاء الى ان يلتقطها جهاز مستقبل ويعيدها صوتاً مسموعاً وكلاماً مفهوماً

اما في الآلات التي تُصنع بها الصور المتحركة الناطقة فيقوّى التيار الكهربائي الذي يولّدهُ الصوت ٢٥٠٠ مليون ضعفٍ ويتصل بمصباح كهربائي يتحول فيهِ الى نورٍ يختلف قوةً وضعفاً باختلاف التيّار وهذا يختلف قوة وضعفاً باختلاف نبرات الصوت واهتزازهِ كما تقدم. ويمرُّ هذا النور في شقٍ ضيّق يقع بعدهُ على منطقة من الفلم لا يزيد عرضها على نصف بوصة ويدار الفلم بسرعتهِ المتادة لتصوير الصور فيدوّن على جانب منهُ صور الممثلين وعلى الجانب الآخر اهتزازات اصواتهم

فالذي يحدث فعلاً هو ان الممثل يتكلم فيتحول صوتهُ من اهتزازات عادية في الهواء الى تيّار كهربائي تلفوني ثم يقوّى هذا التيّار حتى يؤثر في المصباح الكهربائي (ويدعى الفوتيون) فيتحول الى اهتزازات نورية ترسم على منطقة من الشريط السنماتوغرافي جنباً الى جنبٍ مع صور الممثل المتكلم

فاذا اتصل بهذا المصباح تيار قويٌّ سببهُ صوتٌ قوي او نبرة عالية انار المصباح نوراً باهراً يبقي اثراً قويًّا في الشريط السنمائي كأنهُ خطٌّ ابيض لامع ومتى ثُبّت الشريط ظهر هذا الاثر خطًّا شديد السواد مكان الخط الابيض اللامع. واذا كان الصوت خافتاً ولّد تيّاراً ضعيفاً ينير المصباح نوراً ضئيلاً يترك في الشريط اثراً اقلّ وضوحاً من الاثر الاول فيظهر بعد تثبيت الفلم خطًّا اقرب الى اللون الرمادي منهُ الى اللون الاسود. واذا وقف الممثل صامتاً لم يولّد تيار كهربائي ما ولا انار المصباح نوراً ما فيمرُّ الفلم من غير ان يدوّن فيهِ اثر ما

فعلى المنطقة الضيقة التي على جانب الفلم خطوط متتابعة تمثّل قوة نبرات الصوت وضعفها. ولكن ذلك لا يكفي لاعادة الصوت كما سُمع اولاً. لان هناك رنة الصوت يجب تدوينها والا تشابهت الاصوات تشابهاً يصعب معهُ تمييز احدها عن الآخر

فكيف يتمُّ ذلك؟

الصوت ينتقل في الهواء امواجاً فاذا كان الصوت خافتاً كانت الامواج طويلة . فاذا اتصلت هذه الامواج بالجهاز التلفوني احدثت تياراً بطيء التناوب . وعليه تكون الخطوط المدونة على الفلم بعيداً احدها عن الآخر . واذا كان الصوت عالياً كانت الامواج الصوتية قصيرة سريعة التتابع وبالتالي كانت الخطوط المدونة على الفلم قريباً احدها من الآخر

ولكن المسألة ليست بسيطة الى هذا الحدّ . لانهُ قلما تجد بين اصوات الناس صوتاً بسيط التركيب يمكن تحليلهُ الى نوع واحد من الامواج — طويلة بطيئة او قصيرة سريعة . على انهُ كلما تعقد الصوت واختلفت الامواج التي يتألف منها تعقدت الآثار المدونة على الفلم وان كان مبدأ تدوينها في الحالين واحداً

هذه هي طريقة تحويل الصوت الى اهتزازات نورية تدوَّن مع صور الممثلين على فلم واحد . فكيف تعاد هذه الآثار اصواتاً مسموعة ؟

يثبت الشريط بالوسائل الفوتغرافية العادية ثم يوضع في آلة عادية للصور المتحركة بعد ما يضاف اليها جهاز خاص لا يعرقل عملها . وهذا الجهاز مؤلف من مصباح كهربائي قوي وبطرية كهربائية نورية . يوضع المصباح وراء الآلة السناتوغرافية والبطرية امامها ثم يدار الشريط كالعادة فيصوَّب نور المصباح القوي الى منطقة الشريط الضيقة التي دُوّنت عليها اهتزازات الصورة . فينفذ منها الى الصندوق الذي يحتوي على البطرية الكهربائية وتختلف قوة نفوذهِ باختلاف اسوداد الخطوط التي على الشريط وقلة اسودادها اي اختلاف شفوف الشريط وعدم شفوفهِ

في هذه البطرية يتحول النور تياراً كهربائيًّا ثمَّ يقوّى ويعاد بآلة تلفونية صوتاً مسموعاً . والآلات التي تحوّل الامواج الكهربائية الحاملة لمميزات الصوت فتعيدها اصواتاً مسموعة صارت كثيرة وعليها الاعتماد في كل المخاطبات اللاسلكية

***

في مكان آخر من هذا الجزء يجد القارىء وصفاً لجهاز جديد بديع استنبطهُ احد الباحثين في معامل شركة كوداك الشهيرة اذا اضيف الى آلة التصوير الشمسي العادية تمكن صاحبها من تصوير الاجسام بالوانها الطبيعية . وعندنا انهُ متى اتقنت اجهزة التلفزة اي الرؤية عن بعد صار في الامكان ان يجلس الانسان في دارهِ فيرى صور الممثلين بالوانهم الطبيعية ويسمع اصواتهم في آنٍ واحد

ثروت

انقطعت اسباب الحياة بيننا وبين ثروت منذ شهرين ولم تتعوّد بعد الاطمئنان الى انهُ قد مات والرضا بما قضى الله من أن الايام ستتبعها الايام دون ان نلقاهُ او نسمع لهُ او نتحدث اليهِ

وليس مصدر ذلك انهُ كان عظيم مصر رجاحة حلم ونفاذ بصيرة وذكاء فؤاد وسعة حيلة وتفوقاً في السياسة . فقد اجتمعت لهُ كل هذه الخلال وخلال اخرى ولكنها تجتمع للناس من حين الى حين وفي مختلف البيئات والاوطان ، ثم يمضي هؤلاء الناس للقاء ربهم فيشعر مواطنوهم بما يحدثون من فراغ ، ثم لا يلبثون ان يتعودوا فراقهم ويطمئنوا اليهِ راضين اوكارهين

وقد فقدت مصر منذ اول هذا القرن طائفة من ابنائها الممتازين وجمت لفقدهم وناء بها رزؤها فيهم . ولكن الناس تعوّدوا الاطمئنان الى انهم قد مضوا الى حيث لا يعودون ولكن قليلاً من هؤلاء تركوا في نفوس اصدقائهم آثاراً لا تمحى ولوعة لا تخمد وناراً لا تزيدها الايام الا اضطراماً ذلك لانهم كانوا يملاؤن قلوب اصدقائهم ويطبعونها بطوابعهم ويصورونها بصورهم الخاصة فمهما تنقطع بينهم وبين اصدقائهم الاسباب فصورهم في القلوب ماثلة واشخاصهم ملء النفوس وملء العقول وملء الحياة كلها . من هؤلاء قاسم امين وعبد الخالق ثروت

قاسم امين وثروت باشا

وما نزال نسمع الذين عرفوا قاسماً واحبّوهُ واتصلوا بهِ يتحدثون عنهُ باصوات يملأها الحب الحيّ القوي النشيط ، هذا الود الذي يحتفظ بهِ الاحياء للاحياء لا ذلك الود الوفي الشاحب الذي يصبغهُ النسيان بشيء من الفتور فيجعلهُ اقرب الى الذكرى القوية منهُ الى صلات المودّة التي يعرفها الناس في حياتهم العاملة

نعم ما نزال نسمع اصدقاء قاسم يتحدثون عن صديقهم لا كما يتحدثون عن ميت قضى بل كما يتحدثون عن صديق غاب ويرجى ان يؤوب. ذلك لان قاسماً كان قد ملأ نفوس اصدقائهِ وما زال يملأها وسيملأها ابداً

اما ثروت فان اصدقاءهُ والذين تشرفوا بالاتصال بهِ يستطيعون ان يتحدثوا عنهُ

الآن كما يتحدثون عن صديق غائب ولكنهم سيتحدثون عنهُ دائماً هذا الحديث لانهُ قد ملأ نفوسهم فلن تفرغ منهُ ابداً

ولئن كنت لم اعرف قاسماً الاَّ من طريق آثارهِ واحاديث اصدقائهِ فقد عرفت ثروت واتصلت بهِ واستطيع ان اتحدث عنهُ لو ان الى هذا الحديث سبيلاً

***

يقولون ان ثروت ظلم في حياتهِ وسينصفهُ التاريخ فاما انهُ قد تعرض للعقوق والجحود وكفر النعمة فشيء لا شك فيهِ . اما ان التاريخ سينصفهُ فشيء لا شك فيهِ ايضاً ، ولكن اي تاريخ ؟

لن ينصفهُ التاريخ القريب او قل لن يوفيهِ التاريخ القريب حقهُ من الانصاف ، وكيف السبيل الى ذلك وليس بين المصريين الذين قضوا في هذا العصر الحديث رجل اثر في حياة امتهِ الداخلية والخارجية تأثيراً عميقاً بعيد المدى كثروت . نعم ليس بين المصريين في هذا العصر الحديث من اعطى امتهُ الدستور ، وليس بين المصريين في العصر الحديث من كسب لامتهِ الاستقلال ، وليس بين المصريين في العصر الحديث من نشر اعلام مصر المستقلة في اقطار الارض الاَّ ثروت . فهو الذي فعل هذا كله . وهو حين فعل هذا كلهُ قد تكلف فيهِ جهوداً وتجشم اليهِ اهوالاً واتصل في سبيلهِ باصحاب السلطان هنا وهناك ، وكان بينهُ وبين اصحاب السلطان اولئك وهؤلاء خطوب لم يُعرف منها شيء ولن يعرف منها شيء حتى تنحلَّ المسألة المصرية كلها وتصبح من حق التاريخ وحده

لقد كانت حياة ثروت السياسية تضحية متصلة ،فهو لم يطلب هذا المجد الذي يطلبهُ الزعماء والساسة ولم يكد يظفر منهُ بشيء . ولم تنتهِ تضحية ثروت بموتهِ ولكنها متصلة مستمرة . فسيظل هذا الرجل العظيم مجهولاً شطراً طويلاً من الدهر لان منفعة امتهِ تقتضي الاَّ تظهر اعماله على وجهها الآن

رحم الله ثروت ورحم الله قاسماً اذ كانا فرعين كريمين لهذه الشجرة الخالدة الكريمة شجرة العمل المنتج في غير تحدث ولا تمدح ولا منّ ولا رغبة في المجد ولا تهالك على الشرف. أليس قاسم هو الذي قال : ان الوطنية الصحيحة تعمل ولا تتكلم. أليس ثروت هو الذي انفق حياتهِ السياسية عاملاً غير متكلم الاَّ ان يضطر فلا يقول الاَّ الشيء القليل ! لم يتكلم حيًّا ولن يستطيع اصحابه ان يتكلموا عنهُ ميتاً ، فهو بهذا

اصدق مثال واقواه لهذه الوطنية التي تعمل ولا تتكلم

وهو كقاسم عمل حيًّا وأوذي في حياته

وهو كقاسم يعمل ميتاً دون ان ينصفهُ الاحياء

ولكن قاسماً عمل ويعمل للمرأة . اما ثروت فعمل ويعمل لمصر كلها . قاسم يحرر المرأة وثروت يحرر مصر . ولعلَّ صديقي هيكلاً لم يخطىء حين قدَّر انهُ يحرر الشرق كلهُ

ثروت باشا صديقاً

غير اني لم اكتب لا تحدث عن ثروت زعيماً انما كتبت لاتحدث عنهُ صديقاً . ولعل خير حديث عن ثروت صديقاً انما هو تصوير الفكرة التي كانت تملأ نفسهُ من الصداقة والاصدقاء ومن الصلة الاجتماعية عامة بينهُ وبين الناس . ولعل اصدق تصوير لهذه الفكرة جملة قالها ثروت نفسهُ ذات يوم حين استقالت وزارتهُ الاولى ومضت على استقالته اسابيع غير طوال ولكنها كافية ليظهر فيها اخلاص المخلص له وانصراف المتصرف عنهُ بين اولئك الذين كانوا يتهالكون عليهِ ويسرفون في تملقهِ حين كان اليهِ السلطان . كنت عنده في جماعة من اصحابنا وكنا نتحدث في نفر من الناس لم تصرفهم الظروف السياسية الشديدة يومئذٍ عن الاتصال بهِ والاختلاف اليهِ متعرضين في ذلك لسخط الساخطين وتنمّر المتنمرين ، وعن نفر آخرين من الناس كانوا يغشون داره صباحاً ومساءً ما دام اليهِ الامر حتى اذا اعتزل انكروه وجهلوا الطريق الى داره . وكان ممن حضر جماعة الحوا في الزراية على هؤلاء وتنقصهم واخذوا يثقلون على الرجل فيهم كأنما يريدون ان يضطروهُ الى ان يظهر رأيه ، فقال مبتسماً : من اخلص فلنفسهِ . ثم وجه الحديث وجهة اخرى

فلم تكن الصلة بين الناس عند ثروت رهينة بقدر الناس لها او حكمهم عليها وانما كانت رهينة بقدرك انت لها وحكمك انت عليها . فانت في مودتك لفلان لا تحفل برأي فلان في هذه المودة او بعبارة ادق انت لا تحرص على مودتك لفلان لان فلاناً يجد في ذلك لذة او منفعة او غبطة ، وانما تحرص على هذه المودة لانها تلائم نفسك ولانك تجد فيها انت رضا وطمأنينة وشيئاً من اللذة الراقية التي تسمو عن المنافع اليومية

كذلك كان ثروت يفهم الصداقة ويقدرها فهو لم يكن يحب ويبغض الاَّ صدر في ذلك عن نفسه وعن مزاجه وعن طبيعته وعن عواطفه الخالصة . ولقد كانت نفسه رحمهُ الله كريمة . ولقد كان مزاجه رحمهُ الله صفواً كله . ولقد كان طبعه — رحمهُ الله

نقاءٌ كله . ولقد كانت عواطفه — رحمهُ الله — عذبة كلها . فليس غريباً ان تكون صداقتهُ قوية باقية صافية عذبة لا تجد الايام واحداثها سبيلاً الى تكديرها او النيل منها . ذلك لان صداقتهُ لم تكن رهينة بالمنافع واعراض الحياة انما كانت رهينة بمزاجهِ واخلاقهِ. واشهد لقد كانت الخصومة السياسية تشتد بينهُ وبين بعض الناس حتى تنتهي الى اقصاها ولقد كان على ذلك كله يحتفظ لهؤلاء الناس في ناحية من انحاء قلبه بمودة كريمة خالصة . ويكفي ان ترجع الى احاديثه وخطبه ورسائله التي عرض فيها لهؤلاء الخصوم فسترى انهُ يذكرهم دائماً — ولاسيما الذين كان يختصهم بالمودة قبل الفتنة — بشيء من اللطف والرفق يؤثر في نفسك اشد التأثير

ولقد اذكر اني كنت عندهُ ذات يوم فانبأني انهُ كتب الى سعد — رحمهما الله — كتاباً يقترح فيهِ عليهِ الاحتكام الى جماعة من صفوة المصريين فيما شجر بينهما من خصومة . وقرأ عليَّ هذا الكتاب الذي يعرفهُ الناس جميعاً والذي هو آية من الدعة والوفاء ولين الجانب وصفاء القلب وطهارة النفس والاخلاص الصحيح في حب الوطن، حتى اذا فرغ من قراءة كتابهِ لم يدع لي من الوقت ما يمكنني من ان اثني عليهِ بل قال : وانا انتظر الرد على هذا الكتاب من لحظة الى لحظة . وتكلم في حديث آخر . وما هي الاَّ ان دقَّ التلفون فاسرع اليهِ ثم عاد مبتسماً وقال : تنتظرني عشر دقائق او ربع ساعة وانصرف . ولبثت انتظرهُ حتى عاد بعد قليل ومعهُ ردُّ سعد . فقرأهُ علينا وكنا جماعة قليلين فكلنا سخط وكلنا اخذتهُ حفيظة شديدة ومنا من لم يكد يسمع من الكتاب اسطراً حتى نهض واخذ يمشي في الحجرة ذاهباً جائياً لا يكاد يمسك عن الكلام الاَّ مضطراً . . . ولكني اشهد انهُ ما ظهر على ثروت — رحمهُ الله — غيظ ولا حفيظة ولا موجدة ، وانما ظهر عليهِ شيء من الاسف المؤلم لانهُ لم يوفق الى ما كان يسعى اليهِ من جمع كلمة الامة يومئذٍ وظهر عليهِ شيء آخر رفعهُ في نفسي يومئذٍ وهو الالم لانهُ تلقى هذا الكلام القاسي الظالم من صديق . . . وتبينت يومئذٍ انهُ كان لا يزال يحبه ويبرُّ بهِ

وقد اثبتت الايام بعد ذلك ان كتاب سعد هذا وما جاء بعده من خصومة عنيفة بين الرجلين لم يغيّر من ود ثروت لسعد ولا من حبه له . كما انهُ لم يغيّر من مضاء عزيمة ثروت على ما كان قد عزم عليهِ من جمع كلمة الامة ، وقد وفق الى ما اراد فكان الائتلاف واجتمع المختصمون ورأس سعد المؤتمر الوطني بين صديقيهِ عدلي وثروت

ولقد اذكر اني كنت عنده في اليوم الذي زاره فيه سعد لاول مرة بعد انتهاء الخصومة . ومهما انس فلن انسى صوته الرقيق الحزين وهو يذكر لنا ضعف سعد رحمه الله — وما لقي من الجهد في الصعود حيث استقبله

يستطيع المبصرون ان يتحدثوا عن وجه ثروت ومخايله ولحظاته وعن تصوير هذا كله لما يضطرب في نفسه من العواطف والميول . اما انا فاستطيع ان اتحدث عن صوت ثروت واشهد لقد كان صوته العذب مرآة لنفسه العذبة . ومهما انس فلن انسى صوت ثروت في يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ . في مساء ذلك اليوم اقترف الاثم الفظيع على باب السياسة وكنت انا الذي ابلغ هذا الاثم الى ثروت في الاسكندرية بالتلفون . فلما وقع في سمعه اسم حسن عبد الرازق واسماعيل زهدي استعادني فاعدت الاسمين . . . فسمعت منه آهة فيها كل شيء : فيها الحزن العميق . وفيها الجزع الذي لا حد له وفيها الثورة والاستنكار ثم رجع صوته كما كان وسألني : هل قبض على الآثمين ؟ قلت . لا . قال يكفي . وانصرف

اني لاذكر هذه القصة الآن وأن قلبي لينقطع اسى وان نفسي لتتفرق لوعة وان شطراً غير قليل من حياتي ليتمثل امامي بما كان فيه من خير وشر ، وان كثيراً من هذا الخير الذي اتمثله لمتصل بحسن عبد الرازق وعبد الخالق ثروت

***

سمعت صوت ثروت لاول مرة في يوم من ايام سنة ١٩٠٨ في الاسبوع الاول من افتتاح الجامعة المصرية وكان قد اقبل يتلو على الطلبة مجتمعين قراراً لمجلس ادارة الجامعة يحظر على الطلبة التحدث بشؤون الجامعة الى الصحف . وكان صوته حازماً وكان صوته عذباً ، فاحببته وملت اليه . ولكني لم اتصل به . ومضت الاعوام وانا لا اعرف من امره الا ما يعرفه الناس جميعاً حتى كانت سنة ١٩١٤ وكنا في آخر السنة ، وكنت قد عدت من اوربا ، وكنت اتأهب لاستئناف السفر ، وكنت قد كتبت مقالاً في بعض الصحف غضب له المرحوم الاستاذ الشيخ محمد المهدي وشكاني الى مجلس الادارة وشايعه نفر من اعضاء المجلس يومئذ وطلبوا ان أفصل من بعثة الجامعة . واجتمع المجلس وقرئ فيه هذا المقال ثم انصرف وبينا اعضاؤه يتفرقون اقبلت انا الى الجامعة فرآني الاستاذ احمد لطفي السيد بك فدعاني وقدمني الى معالي ثروت باشا وزير الحقانية . فاخذ يدي

بين يديهِ ولبث يكلمني لحظة يطلب اليَّ فيها الرفق حين اكتب ويشجعني على المضي فيما انا فيهِ من درس ونقد . ففهمت اني لم افصل من البعثة واحسست من عذوبة ذلك الصوت عطفاً زادني بالرجل حبًّا ، وعرفت بعد ذلك بساعات فصار اني مدين لهُ وللاستاذ لطفي بك بالعودة الى اوربا

ومضت ايام البعثة كلها لم القَ فيها ثروت ولم اسمع من امرهِ بشيء

ثم عدت الى مصر فلقيتهُ وخرجت من عندهُ اشد الناس حبًّا لهُ واعجاباً بهِ وشكراً لحسن لقائهِ

وكان هو الذي قدمني الى الجمهور حين بدأت التدريس في الجامعة . وما كان اشد الاثر الذي تركتهُ في نفسي خطبة التقديم تلك بعد ان اجلسني ثروت على كرسي الاستاذ ووقف فقدمني الى الجمهور في لفظ عذب كلهُ تشجيع وحثّ على العمل والجد

واختلف رحمهُ الله الى درسي اياماً يحضر الدرس كغيره من الناس ، حتى اذا كان آخر الدرس اقبل اليَّ فصافحني في ظرف ودعة وعرفني بنفسهِ

ثم كانت بيني وبين الجامعة خصومة فكان رحمهُ الله اعطف اهل الجامعة عليَّ وارفقهم بي واشدهم الحاحاً عليَّ في الاّ اخلط بين العلم والمنفعة وفي الاّ تكون المصاعب المادية مهما تشتد وتشق صارفاً لي عما انا فيهِ من الدرس والجد

وكانت لثروت — رحمهُ الله قدرة شديدة الخطر على الاقناع. فكان اذا جادلك لم يلبث ان يتسلط عليك ولاسيما حين يجادلك في امر يمسك خاصة لانهُ كان في هذا الجدال صريحاً مخلصاً تحس منه في غير شك انهُ ينكر نفسهُ ولا يعرف الاّ اياك والا منفعتك فلا تستطيع ان تقاومه ولا ان تأبى عليهِ . كنت اعرف منه هذا فكنت احبهُ وكنت اخشاهُ وكنت اذا اصررت على شيء من الامر حاولت جهد الطاقة الاّ يجادلني فيهِ ثروت حتى لا يصرفني عنه . اذكر اني استقلت ذات يوم من مجلس الجامعة لخلاف كان بيني وبينهُ — رحمهُ الله في مادة من مواد لائحة الجامعة . واستقلت اثناء الجلسة فكلف من كلمني في ان استرد استقالتي فأبيت فانتقل من مكانه حتى انتهى اليَّ وهمس في اذني : لا اطلب منك ان تسترد استقالتك وانما اطلب منك ان ترجئها حتى نتكلم قلت فانا : اخشى ان نتكلم قال: فانا آبى ان تستقيل . قلت : ان كان الامر على هـذا النحو فانا مذعن لما تريد . قال . انا لا احب الاذعان وليس من شأنك ان تذعن

افتظن ان من اليسير ان تقاوم رجلاً كثروت كانت لهُ مكانتهُ وهو يتحدث اليك هذا الحديث ؟

ثروت « والشعر الجاهلي »

رحم الله ثروت . . . كانت الخصومة بينهُ وبيني في مجلس الجامعة حول مادة من مواد اللائحة تجعل الاساتذة غير قابلين للعزل . وكان — رحمهُ الله — يقبل المبدأ ولكنهُ يريد ان يحتفظ للحكومة (ولم يكن فيها) بشيءٍ من الحق ، وان يحتاط في تنفيذ هذا الاصل . وقبل المجلس رأيه وتأجل تنفيذ اللائحة . وما هي الا اسابيع حتى ظهر كتاب الشعر « الجاهلي » وارجف المرجفون وتحدث الناس وكثر حديثهم . واقبل عليَّ بعض الاصدقاء ينقلون لي عن ثروت انهُ كان يأسف اشد الاسف لانهُ لم يكن يقدّر اني سأكون اول ضحية لرأيه في تلك المادة

زرتهُ بعد ذلك ، فلقيني ضاحكاً ثم وضع يدهُ على كتفي وقال : ان حرية الرأي اكرم من ان يعبث بها العابثون مهما يكونون ، وثق بان اول اثر لما يمكن ان ينالك انما هو استقالتي من مجلس الجامعة وانقطاع الصلة بيني وبينها وانقطاع الصلة بيني وبين الذين يعينون عليك مهما يكونوا . ولكني اطلب اليك ان تثبت للعاصفة والا تجيب الذين يخاصمونك في الصحف . فانت استاذ وكرامة الاساتذة ترفعهم عن هذه الخصومات

ولولا نصيحة ثروت هذه لكان لي للمرجفين بالشعر الجاهلي شأن آخر

رحم الله ثروت . لقد كان لهُ من السعي في مسألة الشعر الجاهلي ما لن انساهُ ابداً وما لن استطيع ان اتحدث عنهُ الآن . ولكني اذكر يوم ظهر تقرير النيابة في امر هذا الكتاب فاستقلت . وطلب هو الى وزير المعارف الا يقبل استقالتي فأبيت . فطلب الى مدير الجامعة ان يطلب اليَّ ان ازورهُ . فذهبت اليه في الغد فتلقاني مبتسماً وما هي الا دقائق حتى اقنعني بان استقالتي خطأ . ولكنهُ كان اظرف واكرم من ان يطلب اليَّ استردادها فأمر بالاعراض عنها . طلبت اليه ذلك اليوم ان ادع الجامعة وان انقل الى عمل آخر اذا لم يكن بد من البقاء في الحكومة . فقال : قد تكون منفعتك في ذلك وقد يكون من حقك عليَّ ان اجيبك اليه ، ولكن للجامعة عليَّ حقاً آخر

كيف تريد ان تقاوم رجلاً يتحدث اليك في هذا الظرف وفي هذه الدعة ؟

ثم مضت اشهر وكانت بيني وبين الجامعة صعوبة اخرى طلبت في اثرها ان انقل

من الجامعة فابى وزير المعارف وأبيت . وكلفت ان ازور رئيس الوزراء ،وكنت مصرّاً، وكنت اعلم اني ان زرته فسأنهزم له. فأبيت إن اجيب دعوته . وانكر عليّ الناس جميعاً هذا الاباء ولكني طلبت الى بعض اصدقائي ان يبلغ رئيس الوزراء اني لن اراه ما دام اليه الامر ، فاذا ترك الحكم فسيراني . فسكت وسكتُّ . وانتهى كل شيء واستقالت وزارته . وذهبت اليه ازوره . وكنت اقدّر اني سأجد منه عتباً ولوماً . ولكني لم اجد منه الاّ ظرفاً وعطفاً ، ولم الق منه الاّ هذه البشاشة التي اعرفها والتي يعرفها اصدقاؤه جميعاً وخصومه جميعاً والذين لا يحفظون له ودًّا ولا يضمرون عليه حقداً . لقيته ذلك اليوم واطلت المجلس عنده ، وتحدثنا في كل شيء الاّ الجامعة . وانصرفت من عنده وانا اقدر اني سأراه بعد قليل . . . ولكني لم اره منذ ذلك اليوم ولن أراه

***

لم أتحدث اليك مما كان لثروت عندي من يد الاّ بالشيء القليل الضئيل فقد قدمت ان الحديث عن ثروت ليس بالشيء اليسير بل ليس بالشيء الممكن في اكثر الاحيان. على ان هذا الشيء الضئيل الذي تحدثت اليك به يصوّر لك من هذا الرجل العظيم ناحية يدور الناس حولها ولا يحسنون تصويرها هي ناحية المودة والوفاء في المودة ، لا رغبة في المنفعة ولا ابتغاء لها ولكن لان الرجل كان وفيًّا بطبعه ولأن مزاج الرجل كان مفطوراً على المودة والوفاء فيها

وماذا كان يبتغي ثروت حين يرفق بي او يعطف عليّ ؟ واين كنت اكون من ثروت وقد اجتمع له السلطان كله واجتمعت حوله خيرة مصر ؟

ماذا كنت اكون من ثروت رجلا كغيري من الناس ؟ ولكن ثروت هو الذي قال: من اخلص فلنفسه . وقد احسّ ثروت مني اخلاصاً في حبّه ، وما ارى الاّ انه قد بعث فيّ هذا الاخلاص لانه عطف عليّ ورفق بي واخلص في ذلك حتى ملك نفسي وحتى حملني على ان احبه فاحببته ولم اقف ولن اقف في حبه عند حد

وصاحب السعادة عبد الحميد باشا بدوي يذكر ان ذكرته اني حين عدت من اوربا كنت شديد الاعجاب بثروت وعدلي ورشدي . ولكني لم اكن اتجاوز هذا الاعجاب الى الحب . واذكر انه ناقشني فيهم ذات يوم بمحضر حسن باشا عبد الرازق رحمه الله فقال : لو عرفتهم لاحببتهم حبًّا لا يقل عن اعجابك بهم . وقد عرفتهم فأحببتهم. ولكني

عرفت ثروت معرفة لم اعرفها احداً غيره من هؤلاء الزعماء فأحببته حبًا لا حد له كما قلت :

رحم الله ثروت . . . كيف استطيع ان انساه او ان اقدر ان ذكره قد يضعف في نفسي يوماً ما وانا لا أكاد اذكر حادثة من حياتي منذ رجعت من اوربا الا ذكرت ثروت واثره فيها . لقد كنت اركن اليه والوذ به واستشيره في كل شيء . ولقد كنت اجد منه في هذا كله عطفاً لا يشبهه عطف . ووداً لا يشبهه ود . ولقد كان يزيد من اثر هذا الود والعطف في نفسي ما كنت اشعر به من انه كان عطفاً خالصاً ووداً لا تشوبه شائبة . ولست وحدي الذي يستطيع ان يتحدث عن ثروت بمثل هذا الحديث ، وانما نحن كثيرون نذكر له هذا الود الخالص وهذا الوفاء الصفو . يذكره له اكفاؤه واقرانه كما يذكره له صنائعه كما يذكره له المتصلون به

ان في مصر لزعماء تختلف حظوظهم من المكانة في قلوب الناس قوة وضعفاً . ولكني اعتقد ان ثروت كان اعظم هؤلاء الزعماء جميعاً حظاً من القلوب التي تحبه فتخلص في حبه ، تحبه لشخصه لا لزعامته ولا لرياسته واكثر ما تظهر له هذا الحب حين يبعد عن الزعامة والرياسة

نعم . ان هذه القلوب لا تملأ الشوارع ولا تدفع الى التصفيق والصياح . ولكنها على قلتها كانت غنية بالحب الذي لم يكن يتردد في التضحية . واقسم ان من اصدقاء ثروت من لو خير في ان يعيش او يفتدي ثروت بنفسه لما تردد ، لا لأنه يحب مصر ويؤثرها بثروت بل لانه يحب ثروت ويؤثره على نفسه

رحم الله ثروت . لقد انقطعت بيننا وبينه اسباب الحياة منذ شهرين ، ولكننا لم نعود بعد الاطمئنان الى انه قد مات وما ارى انا سنتعود هذا الاطمئنان وما ارى ان لوعتنا عليه سينالها ضعف او خمود وان الحياة لكفيلة ان تزيد هذه اللوعة شدة ، وان ما في الناس من ضعف وفتور ومن اثرة وتغير لكفيل ان يذكرنا ابداً ما كان لثروت من قوة وشدة ومن اخلاص ووفاء

رحم الله ثروت . لئن كان رهين قبر في الصحراء فان شخصه رهين قبور اخرى هي هذه القلوب التي ملأها فعرف كيف يملأها فلن تفرغ منه ابداً

هليوبوليس طه حسين

اول رجل بلغ القطبين

رولد امندصن

في احد ايام سبتمبر الماضي عثر نفر من صيادي نروج على طوفٍ تائهٍ في البحر على نحو عشرين ميلاً من ترومسو . وبعد البحث والتحقيق ترجح انهُ طوف الطيارة البحرية التي هبَّ امندصن على اجنحتها مع اربعة من الشجعان لنجدة الجنرال نوبلي زميلهِ في الرحلة القطبية وخصمهِ الالدّ بعدها . وعليهِ يرجَّح الآن ترجيحاً هو في مرتبة اليقين ان امندصن ذهب شهيد المروءة في الاصقاع المتجمدة التي قضى فيها الجانب الاكبر من شبابهِ وكهولتهِ معانياً مصاعبها مذللاً اهوالها بعقل راجح وجسم قوي وعزيمة تفلُّ الحديد . وقد اشرنا الى ذلك في مقتطف يوليو حيث قلنا : « واكثر خوفنا ان امندصن لقي حتفهُ مع الطيار الفرنسي وصحبهما في البحث عن نوبلي ورجالهِ . فاذا صحَّ ذلك فموتهُ مفخرة لهُ يخلد بها كما هو خالد بانهُ اول رجل بلغ القطبين »

***

ولد في ١٦ يوليو سنة ١٨٧٢ في بلدة صغيرة على بضعة اميال من عاصمة نروج . ونقل والداهُ الى العاصمة بعيد ولادتهِ فتلقى مبادئ القراءة والكتابة والعلوم في احدى مدارسها . ولما بلغ الثامنة عشرة من العمر انتظم في جامعة اوسلو ليدرس العلوم الطبية اجابة لرغبة والدتهِ ولكنهُ لم يلبث فيها طويلا لان روعة الاصقاع القطبية كانت قد اخذت بمجامع نفسهِ والرغبة في اقتحامها والتغلب عليها ملكت عليهِ كلَّ سبيل . وكان منذ صغرهِ ميالاً الى ذلك فجعل يعدُّ نفسهُ لاهوال الرحلات القطبية فينام في اشدّ ليالي الشتاء برداً ونوافذ غرفتهِ مفتوحة على مصاريعها ودثارهُ غطاء خفيف لا يردُّ عادية البرد . وكان كلما سنحت لهُ الفرصة يصعّد في الجبال والآكام التي تحيط باوسلو او يتمرس بالزلق على الجليد او يلعب كرة القدم على الثلج

وسنحت لهُ الفرصة الاولى لتحقيق رغائبهِ سنة ١٨٩٧ اذ عيّن ملازماً في البعثة البلجيكية التي سافرت بقيادة ده غورلاش الى الاصقاع المتجمدة الجنوبية . وكان عمرهُ ٢٥ سنة . فلبثت البعثة في الجنوب نحو سنتين جمعت في اثنائها حقائق كثيرة عن الجزائر المنتشرة في جنوب الاوقيانوس الاتلنتيكي

انتصاره الاول

وسنة ١٩٠٣ استقلَّ باعداد بعثة استأجر لها سفينة صغيرة محمولها ٤٧ طنًا وقوة محركها ٣٩ حصانًا وانضمَّ اليه ستة رفاق فسافروا الى جرينلندا وداروا حول طرفها الجنوبي ثم اتجهوا شمالاً ودخلوا المضايق الكثيرة التي تخلل الجزائر التي الى شمال كندا وفي جويا اسرهم الجليد سنتين متواليتين اشتغلوا في اثنائهما بتدوين الارصاد الجوية ومسح شواطئ البلدان القريبة وضبط موقع القطب المغناطيسي. وفي اغسطس سنة ١٩٠٥ أطلقت سفينتهم من عقالها الجليدي فساروا بها متجهين غرباً قاصدين الوصول الى المحيط الباسيفيكي فاسرهم الجليد ثانية قرب رأس الملك ولم يطلق سراحهم الاَّ في ١١ يوليو سنة ١٩٠٦ فساروا توًّا الى الاوقيانوس الباسيفيكي فدخلوهُ من مضيق بيرنغ في اغسطس سنة ١٩٠٦ فتمَّ لهم بذلك ما لم يتمَّ لاحد قبلهم او بعدهم وهو السفر من الاوقيانوس الاتلنتيكي الى الاوقيانوس الباسيفيكي في طريق بحري يقع الى شمال اميركا الشمالية يعرف باللغة الانكليزية North-west-Passage

القطب الجنوبي

وفي سنة ١٩١٠ شرع امندصن في اشهر رحلاته وهي الرحلة التي سبق بها الروّاد الى اكتشاف القطب الجنوبي. فسافر من نروج في السفينة « فرام » التي استعملها نسن الرائد الاسوجي من قبل، قاصداً ان يعبر بها من جنوب المحيط الاتلنتيكي الى المحيط الباسيفيكي ثم يتجه شمالاً الى مضيق بيرنغ فيدخل المناطق المتجمدة حول القطب الشمالي ويخترقها راجعاً الى اوربا

ولكنهُ لم يكن قد اعدَّ كل المعدات اللازمة لهُ في رحلة طويلة خطرة كهذه الرحلة فوقف في بحر روس القائم على طرف المنطقة المتجمدة الجنوبية ليقضي الشتاء هناك علَّهُ يتمكن في اثناء الشتاء من جمع المال بواسطة اصدقائهِ العديدين لشراء المعدات اللازمة. فخطر لهُ حينئذٍ ان يسير الى القطب الجنوبي فوصلهُ وعاد منهُ في رحلة لم تشتهر على خطورتها بشيء سوى سرعتها وسهولتها. ولما وصل الى القطب اقام حولهُ ركائز يثبت بها انهُ وصل اليهِ اذا حاول احد ان ينازعهُ ذلك فسبق الكابتن سكوت الانكليزي اليهِ بنحو ثلاثة اسابيع

بعيد ذلك نشبت الحرب الكبرى وتوقفت اعمال الريادة حتى وضعت الحرب اوزارها فجمع امندصن من المال ما مكّنهُ من اعداد بعثة لتحقيق رغبتهِ القديمة وهي اجتياز

المنطقة المتجمدة الشمالية من مضيق بيرنغ الى سبتسبرجن فكان الفشل نصيبهُ ولكن الفشل يزكي الهمم في النفوس الكبيرة

الطيران الى القطب الشمالي

كان في سيتل في غرب الولايات المتحدة حين سمع ان طيارة مصنوعة من معدن الالومنيوم فازت بالطيران مسافة طويلة . فنظر بتلك الشعلة التي تخترق حجب المستقبل الى فائدة الطيارات في استكشاف القطبين وفي الحال بدأ تجاربهُ في استعمال الطيارات ولكنها باءت بالفشل . على انهُ لم يقنط من النجاح ولما منحهُ المستر الزورث الاميركي مبلغاً من المال قدرهُ ١٧ الف جنيه إبتاع طيارتين مائيتين وحاول ان يطير على متنهما من سبتسبرجن الى القطب الشمالي فأصيبت إحدى الطيارتين بعطل حملها على النزول على سطح الجليد وهي على نحو مائة ميل من القطب فنزلت الطيارة الثانية أسوة بها . وأطبق الجليد على الطيارتين حتى كاد يحطمها وحتى تعذر نهوضهما من الارض وتحليقهما في الجو . فقضى امندصن وصحبهُ ثلاثة اسابيع على الجليد يعانون الاهوال وهم يحاولون تخليص الطيارتين من أنياب الجليد والعودة بهما الى سبتسبرجن فروّع العالم المتمدن لانقطاع أخبارهم ثلاثة اسابيع ولكنهم فازوا بعد ذلك بتخليص طيارة واحدة والارتفاع بها والعودة بها الى سبتسبرجن سالمين . والفضل في كل ذلك عائد الى شجاعة امندصن ومعرفتهِ بأساليب المعيشة في الاصقاع المتجمدة وما لهُ في نفوس رفاقهِ من المكانة والاجلال [1]

وكأنَّ هذه الرحلة الجوية الى القطب وفشلها وهي على مقربة منهُ شحذت غرار عزمهِ فعني في السنة التالية والتي يليها باعداد الرحلة القطبية على متن البلون نورج ففاز باختراق الاصقاع المتجمدة الشمالية من سبتسبرجن الى الاسكا ماراً فوق القطب الشمالي مجتازاً مسافة ٢٧٠٠ ميل في ٧١ ساعة [2] ولو ساعدهُ الحظ لكان سبق برد في الوصول الى القطب الشمالي عن طريق الجو . ولكنهُ مع ذلك حاز اعظم فخر يرنو اليهِ رائد مقدام وهو الوصول الى القطبين. فامندصن اول رائد وصل الى القطب الجنوبي وثالث رائد وصل الى القطب الشمالي سبقهُ اليهِ الكومندر بيري مشياً على الاقدام فوصلهُ في ٦ ابريل سنة ١٩٠٩ والكومندر برد بالطيارة إذ حلق فوقهُ في ١١ مايو سنة ١٩٢٦

(١) راجع كتاب الرواد صفحة ٢٤٥
(٢) راجع مقتطف يناير وفبراير سنة ١٩٢٨ ص ٦٧ و١٩٢

الحضارة العربية والنهضة الشرقية

خطبة الاستاذ محمد كردعلي في اكسفورد

زهد العرب في العلوم المادية قديماً وطلائع النهضة في الشرق

عقد مؤتمر المستشرقين الدولي السابع عشر في جامعة اكسفورد في ٢٧ اغسطس الماضي فحضره نحو ثلاثمائة مندوب نابوا عن ٢٥ دولة و٨٥ جامعة و٦٩ جمعية علمية وناب فيه الاستاذ محمد كردعلي رئيس المجمع العلمي العربي ووزير المعارف السورية عن دولة سورية وناب الدكتور طه حسين والاستاذ جاد المولى بك والاستاذ سليم بك حسن الأثري عن الحكومة المصرية والخواجه فضلو الحوراني عن حكومة لبنان واحد الآباء اليسوعيين عن كلية القديس يوسف في بيروت والاستاذ كاظم الدجيلي عن العراق . فرأينا ان نثبت هنا خطبة الاستاذ كردعلي آملين ان نوفق الى تلخيص بعض الخطب التي تليت فيه متى اطلعنا على نصوصها

يا سيداتي ويا سادتي : اصيبت بلاد العرب بعد المائة الثامنة للهجرة بفتور في اعصابها تناول معظم مشخصاتها ومقوماتها وضعفت في اقطارها مادة الحياة التي كانت متجلية في طبقات رجالها فاصبحت لا تعيش الا بقوة التسلسل المنبعثة فيها من قوى الادوار السالفة واكتفت بالتغني بماضيها الباهر وعزها الغابر

وكان من اول امارات تراجع الامة العربية من ميدان الفكر البشري الزهد في العلوم المادية والاكتفاء بفروع علوم الدين واللسان وعلى نسبة ما كان الغربي في تلك الحقبة من الزمن يقوم على قيود الجمود ليكسرها وينهض حرًّا طليقاً كان العربي يزيد للسلطات الدينية والمدنية خنوعاً ويحارب العقل فيتدلى ويرجع القهقرى

ورأى الغرب من مصلحة المدنية بعد نهضته ان لا يغفل عن تعرف حالة الشرق القديمة ففكر افراد منهُ بعد اختراع الطباعة ان يحيوا شيئاً من مدنية العرب كما احيا علماؤهم مدنيتي اليونان والرومان ، وذلك لان العرب كانوا الصلة الوحدة بين اهل المدنيات القديمة وارباب المدنية الحديثة فاخذ اهل النظر من نبهاء الغرب يلوون على كتب العرب يجمعونها من الشرق ويجعلونها في خزائنهم اجمل قنية وافخر اثر ، وانشأوا يطبعون في مدينة رومية اولاً بعض ما رأوا في نشره مصلحة لهم ، ومما نشروهُ قانون ابن سينا الذي ظلَّ يدرَّس في جامعات الغرب قروناً . ولم تلبث مطبعة ليدن ان

شرعت منذ أوائل القرن السابع عشر بطبع بعض كتبنا . وبعد حين انتقلت الطباعة الى الاستانة ولم تطبع بحروفها العربية شيئاً مهمّاً بلغتنا

وهكذا اخذت نهضة الآداب العربية تسري ضئيلة في بعض اقطار اوربا ، والشرقُ لا علم لهُ بما يؤسس ، حتى اذا احتلَّ نابليون مصر ، في أواخر القرن الثامن عشر وصحبَهُ في رحلته جلة من علماء فرنسا انشأ في القاهرة اول مطبعة عربية وأصدر جريدة رسمية بالعربية والافرنسية كانت ايضاً اول صحيفة عربية . ولم يطل العهد حتى قام محمد علي الكبير يأخذ باليمين ما زهدت فيه ايدي مَن قبلهُ . فكان حقّاً واضع اساس النهضة العربية ، بما ارسل من البعثات العلمية الى فرنسا وما انشأهُ من معاهد العلم والصناعة على مثال الغرب وبلغة العرب ، وما هي الا بعض سنين حتى توفر من اختارهم من صفوة اذكياء بلده على ترجمة العلوم المادية ، وتوطدت اركان النهضة في مصر على اساس علمي معقول ، وبدأ اختلاط الشرقي بالغربي يزداد سنة بعد سنة ، خصوصاً بعد اختراع السفن البخارية وامتداد الخطوط الحديدية

كان علم المشرقيات العربية يضعف في الغرب ويقوى بحسب ميل الحكومات وهدوء الاحوال الاجتماعية . والى المهد الذي قام فيه العلامة سلفستر دي ساسي ، إمام المستعربين في الغرب لم نعهد مستعرباً جمع الصفات التي تؤهلهُ للبحث في كتب العرب. فكان لهذا العالم الفرنسي الفضل على المستعربين في عصره فطفقوا يختلفون اليه في باريز، على اختلاف عناصرهم ، يأخذون عنهُ علوم العربية ولا بدع اذا كان هو ونبغاء تلاميذه من السويديين والهولانديين والافرنسيين والالمانيين والبريطانيين وغيرهم من الذين تمكنوا من معرفة اسرار لغتنا ، هم الذين عنوا بنشر امهات كتب العرب عن كفاية ثابتة ولولا عملهم العظيم لظللنا الى اليوم نجهل مدنية اجدادنا الاَّ قليلاً

طبع المعاصرون لسلفستر دي ساسي ومن خلفهم عشرات من المخطوطات العربية على اجمل طراز ، وما زال هذا الدؤوب يتسلسل في المستعربين من علماء المشرقيات ، على ما كان في اجدادهم البررة ، حتى احيوا لنا خزانة كتب فيها جماع حضارتنا . فأبدوا بما نشروا حسن بلاء اجدادنا في خدمة العلم ، وكذبوا القائلين بان العرب نقلة ليس فيما كتبوهُ ابداع ولا امتاع ، ونعوا من طرف خفيّ على ابناء اللغة انفسهم قصورهم ، فاكتسبوا بذلك فضل السبق علينا . ولم نزل معاشر العرب ، على ما بلغتهُ العلوم في هذا القرن من الترقي في مصر والشام خاصة ، عيالاً على المستعربين منكم في التدقيق والتحقيق

وما طبعناه في مطابعنا عدا الكتب الدينية واللغوية لا يعد الا مثالاً مصغراً من جهودكم المتوالية وطول انفاسكم وشدة اماتتكم في الحرص على اخراج نصوص مؤلفينا سالمة من الشوائب . ونحن اذا انتبهنا اخيراً الى نقصنا وقدرنا مساعي علماء المشرقيات حق قدرها فان الزمن الذي صرفناه في الدرس والبحث لم يكف لان يتأصل في نفوسنا روح العناية والاتقان ، لنخرج بما طبعناه في مصر والشام والعراق والغرب الاقصى والاوسط والادنى عدداً من الاسفار النافعة يبلغ القدر الذي اخرجه الغرب من حيث الكمية والكيفية . فالمستعربون الى اليوم لا يطبعون من الكتب القديمة الا ما كان في نشره فائدة ، ونحن ننشر الصالح والطالح وقلما خدمنا طبعاتنا بمثل ما تخدمون به طبعاتكم من التجويد . وعسى ان لا يطول الزمن حتى يصبح التدقيق في ادق المسائل ملكة فينا على نحو ما غدا لكم عادة مستحكمة نحسدكم عليها حسد غبطة . فلسنا بثقوب اذهاننا وايم الحق دون اجدادنا ولا دون غيرنا من الامم الحديثة الحضارة ولكن نقصنا ظاهر في قلة الصبر والترتيب ومع هذا نعالجه

وفي الحق اننا لما بدأنا في نهضتنا العلمية في الشرق العربي كان ينقصنا كل شيء ولقي القائمون بالامر والداعون الى التجدد ضرباً من المقاومة من ارباب الجمود ، فلما تمت الادوات او كادت ، واتسع افق العمل امام العاملين، اصبح الامل معقوداً بان لا يمضي زمن طويل حتى نضاهيكم في هذا السبيل ، ونتساند معكم حق التساند في ذلك الغرض الشريف لاسيما ونحن أحق باحياء تراث السلف وان كان العلم ليس ملكاً لامة ولا لفرد

***

والآن بعد ان حدثتكم بهذا الحديث الذي تعرفونه ، احب ان انتقل بالاشارة الى النهضة العربية الحديثة فانها تبشر بخير عظيم ظهرت آثاره للعيان . فان ما نشرتموه واجدادكم الكرام ايها السادة من اسفار قدماء مؤلفينا في اللغة والشعر والادب والملل والنحل والاجتماع والتاريخ والجغرافيا والرحلات والقصص والفلسفة والفلك والطب والطبيعيات والرياضيات والموسيقى والكيمياء والزراعة والنبات والحيوان وجر الاثقال وعلم الكتب واسرار الحروف والخطوط من الفروع التي خاض العرب عبابها وما طبعناه نحن مقتفين فيه آثاركم ، قد احييت به امور كثيرة من معالم الحضارة العربية ، فدخلت لغتنا خصوصاً بعد اتقاننا آداب الامم الكبرى الحديثة في طور جديد ، وانقلبت سحنة الشعر والنثر عندنا ، ودخلت الكتابة والخطابة والتأليف والوضع في دور ما كان لها

الاَّ في أرقى عصور الدول العربية الرشيدة . وشهد الله ان اللغة العربية اليوم تكتب بسلاسة لا تقلُّ عن السلاسة المتمثلة في أرقى اللغات العربية . وقد ظهرت لنا في العهد الاخير في مصر والشام والعراق وغيرها صحف ومجلات وأسفار ومطبوعات فيها من الابداع شيء كثير ، اذا ترجم بعضها بلغة من لغات العلم في هذا القرن لا تخجل منها بل نرفع بها الرؤوس ، ذلك لأنا عرفنا ان الغرب لم ينهض نهضتهُ هذه إلا بالاخصاء فنشأ منها الاخصائيون في اكثر العلوم واثر كل ذلك في لهجتنا ، ورجعنا الى الاساليب التي كان اجدادنا يكتبون بها العلم ايام جدة اللغة . حتى ان اللهجة العامية اليوم في مصر والشام وتونس ارقى مما كانت عليهِ قبل خمسين سنة ، فقد دخلها كثير من الفصيح ، وحسنت تأديتها ولبست حلة أنيقة من الرشاقة تزينها جودة الفكر . وكلما ارتقى التعليم في بلادنا ، وصقلت الاذهان ، ولطفت الاذواق ، زادت لغتنا رقة ودقة ، وقربت من اساليب الفصحاء لا محالة ، فقد رأينا اليوم صبيان الكتاتيب ينطقون بالفصيح ويكتبون بالفصيح ، على صورة لم تكد تكتب منذ اربعة قرون إلا لافراد قلائل جداً في كل قطر أفنوا اعمارهم في تعلمها ، على حين يتقن ذلك التلميذ من ابنائنا الآن في بضع سنين بفضل الاساليب الحديثة التي تلقيناها على الغربيين وانتشار علم التربية والتعليم في معلمينا واساتذتنا ، مما طبقناهُ بالاخذ منكم في مدارسنا ، فارتفع بهِ مستوى العلم بين ظهرانينا وما برحنا،وفي ذلك الفخر العظيم لنا ، نرسل الى جامعاتكم بالمئات من طلابنا يتلقون العلوم على اختلاف ضروبها على اساتذة الغرب ليعودوا الينا يعلمون ويهذبون ،وينقلون الينا من مدنيتكم كل ما يحيي مدنيتنا القديمة ، ويقربنا من تمثيل المدنية الحديثة ، على ما كان المولعون بالعلم من اجدادكم ينزلون الاندلس ليأخذوا العلم من علماء العرب . اذا عرفنا هذا فقد صح لنا ان نقول دون ما مبالغة ان في الشرق العربي الآن مدنيـة جديدة لا شرقية ولا غربية ، جمعت من مدنيتنا ومدنيتكم الاطايب . وكان لاوربا واميركا بذلك الفضل الاكبر على كل عربي في آسيا وافريقيا

ان اسفار الاجداد تنشر اليوم بالطبع في مراكش والجزائر وتونس والعراق وزنجبار والهند وفارس. وكانت مصر والشام سبقت تلك الاقطار ، واليوم يسبق هذان القطران سائر الاقطار العربية للتوفر على احياء ما اندثر من تلك العظمة القديمة . وتمشي على أثرهما تونس والعراق ، ولكن عمل مصر والشام أقوى في هـذا الباب لانهما تقدمتا للدخول في ميدان الحضارة قبل غيرهما . ومصر اليوم بانتشار التعليم

والتمدين ليست دون كثير من شعوب الغرب وربما فاقت بذكاء ابنائها ، كما فاقت بذكاء تربتها واذا عرفنا ان الشرق اعطى للغرب فيما مضى مختاراً والآن يأخذ منهُ العلوم مختاراً، حق علينا ان نطلب دوام هذه الصلة بل بعثها الى اقصى حد ممكن لان مصلحة المدنية تقتضي ذلك . واريد ان اقول اننا كلنا في حاجة ماسة الى التضامن العلمي واحكام صلات التعاون بيننا ، فبقدر ما يزيد اختلاطنا تتأصل المدنية وتزول الفوارق بين الامم والشعوب، فترفع بذلك مشاكل كثيرة ، فالشرق لا يعيش وحده ولا الغرب كذلك

انبعثت النهضة الاخيرة عندنا من القاهرة اولاً ثم تلتها بيروت ثم دمشق وتونس واليوم اخذ شعاعها يسري الى بغداد ، فاذا اخذتم بايدينا حقاً لحقت بنا غداً صنعاء ومكة وفاس وغيرها من بلاد العرب ، ومن جملة دواعي الاختلاط الرحلة الى البلد الذي تعهدهُ ، وهذا اصبح من الميسور جداً لنا ولكم بعد اتقان وسائل النقل السريع

***

ولما كان علماء المشرقيات قد اجتمعوا اليوم اجتماعهم السابع عشر في هذه الجزيرة السعيدة وفي حي اقدم جامعات القارة الاوربية رأت دولة سوريا ان تدعوكم الى التفضل بعقد مؤتمركم الثامن عشر في مدينة دمشق اول ارض انبعثت فيها المدنية العربية ، وفيها وقع اول تدوين في الاسلام ، وفيها بدىء بتعريب مدنية القدماء ، وفيها انشئت اول خزانة كتب عند العرب ومنها نقل العلم العربي الى بغداد شرقاً ، والى الاندلس غرباً ، فباسم دولة سوريا وباسم المجمع العلمي العربي وهو المجمع الوحيد في اقطار العرب الذي يتفانى في احياء لغتهم وبعث مجدهم القديم ، ادعوكم الى اجابة دعوتنا لتشرفوا من كثب على جهود امتنا ، وتدلّوا بتفضلكم انكم مجمعون قلباً وقالباً على ان تزيدوا صلاتكم بديارنا وانكم منا ونحن منكم في باب هذا الاجتهاد . وان ارضاً كانت عشّ العظماء في الاسلام ، واخرجت بني امية وعلماءهم ، وهي مهد العجائب والاديان وآية الجمال الطبيعي في البلدان ، حرية بان تزار وتتعهد بالذكرى فهي من اقصاها الى اقصاها متحف طبيعي حيثما انقلب المرء يرى عظمة القدماء وبدائع الطبيعة الساحرة . وان ما في خزائننا من المخطوطات التي تنتظر منكم ان تتعاون على اخراجها للناس ، وما في ديارنا من مصانع وآثار جديرة بان تزار ، وان تقدس تلك العقول التي انتجتها ، فنكون قد خطونا خطوة مهمة نحو تعاون الشرق مع الغرب تعاوناً فعليًّا اساسهُ العلم والنور ورائدهُ تبادل الحب والسلام عليكم ورحمة الله

أؤمن بالعلم

العقم عقم العقول والفضل فضل العلوم

للسر ارثر كيث

رئيس المجمع العلمي البريطاني في سنة ١٩٢٧

اطلعت الآن في صحف الصباح على ان سكان بلادي اسكوتلندا كانوا حينما ولدت منذ اثنتين وستين سنة ٠٠٠ ٢٢٥ ٣ نسمة ، يحرثون ويزرعون ٠٠٠ ٤٧٠ ١ فدان اي ما متوسطهُ نصف فدان للنسمة الواحدة منهم . وقد زاد السكان الآن حتى بلغ عددهم نحو خمسة ملايين نسمة ونقص ما يحرثونهُ من الارض ويزرعونهُ الى ٠٠٠ ١٤٧ ١ فدان اي ان المتوسط نقص الى نحو ربع فدان للنسمة الواحدة . ومع ذلك نرى سكان اسكوتلندا الآن اوفر راحة ورخاء من سكانها في اواسط القرن الماضي . فطعامهم انظف واكثر غذاء وبيوتهم اكثر راحة ودفأ وملابسهم البق واغلى ونظام تعليمهم ارقى واشمل ونفقاتهم العامة تضاعفت. وما يقال عن اسكتلندا يقال عن انكلترا ويلس بوجهٍ عام. فكأننا حققنا المستحيل فكيف فعلنا ذلك ؟

لقد حققنا هذا التقدم بثمار عقولنا التي استعملناها ادوات للعلم . والحق يقال اننا سكان الجزائر البريطانية قد عدنا لا نعتمد على حاصلات ارضنا بل على خصب عقولنا ومنتجاتها. فمساحة بلادنا يجب الا تقاس بالفدان ولا أن يبنى على قياسها كذلك ما يمكن ان تسعهُ هذه البلاد من السكان . وعلينا ان لا نتخوف من ازدحام السكان في بلادنا حتى تنغصّهم قبل ان تبلغ قوانا العقلية حدّها من التقدم والاكتشاف والاختراع وتصاب عقولنا بالعقم . وهناك الويل الاكبر . لاننا عدنا لا نعيش على الارض فقط بل على المكتشفات والمخترعات والحقائق الراهنة — وهذه كلها عناصر العلم بل دعائمهُ التي يقوم عليها

لا اعرف امة يحيط بها الخطر كما يحيط بنا. فعلينا ان نتصل ببلدان العالم النائية وان نحفظ مواصلاتنا البحرية من اخطار تهددها . وفي كل ذلك يجب ان نعتمد على العلم لان الشجاعة وحدها لا تكفينا . فالعلم هو خط دفاعنا الاول والاخير

لي الشرف ان اكون اميناً لصندوق المعهد الملكي الذي يديره السر وليم براغ رئيس المجمع العلمي البريطاني هذه السنة . والسر وليم ساحر من سحرة العلم الحديث فقد استنبط بمعاونة ابنه طريقة يستعملان فيها اشعة اكس ونوعاً من البلورات لمعرفة بناء الجواهر في البلورات المختلفة وبقي اكتشافهما مجرّداً عن اية فائدة عملية حتى استعمل في فروع الصناعة على اختلافها لامتحان قوة المعادن بفحص بلوراتها على هذه الطريقة

وسلف السر وليم في هذا المعهد كان السر جيمس ديور الذي عمد الى تسييل غاز الهدروجين فاستنبط في اثناء قيامه بتجاربه زجاجة « الترموس » واكتشف مكتشفات دقيقة دخلت فروع الصناعة فخلقت مرتزقاً لالوف ومئات الالوف من العمال

ومنذ قرن واحد كان ميشال فراداي مدير هذا المعهد يلهو بتجاربه الكهربائية فاكتشف كيفية توليد الكهربائية وصنع اول مولد كهربائي فكان ذلك العمل الحقير في بدئه اساساً لكل الصناعات الكهربائية على اتساعها . ولما سأله غلادستون : « ما فائدة استنباطك هذا » اجاب : « صبراً يا سيدي فلقد تجبي الحكومة منهُ اموالاً طائلة » . لم يولد لفراداي ولد يخلد اسمه ولكن بنات افكاره تخلد ذكره على مرّ العصور وتفتح امام ملايين من المرتزقين ابواب العمل والحياة . والسر تشارلس بارسنز احد اركان هذا المعهد ابن عالم نفح الحضارة بآلة التربين البخاري . وكم بيت في بلادنا وغيرها من البلدان يعتمد على الحقائق العلمية التي كشفها كلفن او المستنبطات التي ابدعها وط

العلم العملي اوجد مدننا الصناعية . فكيان هذه المدن ومستقبلها رهن مباحث الكيماوي والطبيعي اكثر مما هي رهن حكمة السياسي او فصاحة الخطيب البرلماني . الصناعة سلسلة انكلترا الفقارية والعلم اساس الصناعة وروحها

***

هذا المام بسيط بانتصارات العلماء في ميدان القوى المادية . ولكن انتصاراتهم في ميدان القوى الحية لا تقلّ عدداً ولا مقاماً . خذ علم الطب مثلاً . فالعالم الكهربائي منح الاطباء آلة تمكنهم من تدوين كل ضربة من ضربات القلب . ورنتجن مكنهم باكتشافه لاشعة اكس من رؤية اعضاء مرضاهم وتحقيق عللها . والكيماوي كشف الطريق لصنع ادوية وعقاقير اقوى فعلاً من الادوية الطبيعية

ان باستور اعظم محسن لعلم الطب بل ركن الطب الحديث بدأ حياته العلمية كيماويًّا . ولكنهُ دلّ الناس والاطباء على طريقة للبحث عن اسباب الامراض وكيفية

معالجتها والوقاية منها . ولما طبّق لستر مكتشفات باستور ابدع طريقة في الجراحة خلصت ملايين النفوس من العذاب والموت . فعلم الطب يرتقي وصناعتهُ تتقدم لاعتمادهما على الحقائق العلمية التي يكشفها العلماء الذين لا يمارسون صناعة الطب وانما غايتهم الاولى البحث عن الحقيقة اين كانت

ولا اريد ان احمل القارئ على الاعتقاد بان رجال العلم قد فازوا بالنفوذ الى كل اسرار الجسم الانساني ومغلقات الحياة. فان العلماء الذين انقطعوا لدرس بناء الجسم الحيّ يعلمون حقّ العلم ما يحيط بدرسهم من المجاهل والمعميات في بناء الاعضاء ومعرفة وظائفها . وليس ادلّ على ذلك من مسألة السرطان التي لا تزال الى الآن سرًّا مغلقاً

ولكني لا اظن احداً درس تاريخ ارتقاء العلم وكيفية ارتقائهِ يداخلهُ اقل ريب بان معقل السرطان لا بدّ ان يفتح ابوابهُ يوماً ما للباحث العلمي . لان رجال الطب يتخذون البحث العلميّ مطية لهم يسيرون عليها الى تحقيق مُثُلهم العليا . انهم يرنون بابصارهم وآمالهم الى زمن يستطيع فيهِ رجال الصحة ان يضمنوا للمولود الجديد صحة تامة وحياة لا يشوبها الم او مرض، فلا يأتيه الموت الاّ حين تنفد القوة الحيوية بعد عمر طويل

ان رجال العلم يفكّرون تفكيراً جديًّا الآن في تطبيق مبادئ العلم على تحسين النوع البشري . وعندي ان النوع البشري قابل للتحسين لانهُ كما ثبت لرجال العلم ان الناس ارتقوا منذ ازمنة غابرة الى الآن في اجسامهم وعقولهم وتصرفهم يصحُّ لنا ان نعتقد ان هذا الارتقاء ميسور لهم في المستقبل

والاعتقاد بصحة مذهب النشوء يشمل جميع طبقات الباحثين في كل فرع من فروع العلم والبحث . انهم يعلمون انهُ ما من شيء سواءٌ كان حيًّا او جماداً يستطيع الجمود على ما هو . لانهُ ان لم يتقدم مع صفوف السائرين الى الامام ظلّ متأخراً

فالعلم هو رائد المستقبل الوحيد . واذا سرنا من غير نورهِ وجب علينا ان نتلمس طريقنا في دياجي الجهل

لذلك أؤمن بالعلم. وعلى تقدمهِ اعلق مستقبل الحضارة . ولكني مع ذلك ارى ان في الانسان نزعات كثيرة لا يستطيع العلم ان يحققها. العلم عنصر واحد من عناصر الحياة ولكن خطورة هذا العنصر تدفعني الى وضعهِ في صف على حدة فوق سائر الصفوف

اؤمن بالادب : للاستاذ عباس محمود العقاد — في مقتطف يناير القادم

الى اخي يوسف

الخريف في باريس

ما لهذا الشَّجَرِ عابساً كالقَدَرِ
باكياً في السَّحَرِ بدُموعِ المَطَرِ

يالصوتِ المَطَرِ في حفيف الشَّجَرِ
مثلَ نوحِ الوَتَرِ في حديثِ السَّمَرِ

يالرَقص المطَر حوْل قلبي الضَّجرِ
مثل شَدْوِ القُمْري حَوْل ذاوي الزَّهَرِ

يالعيشي الكَدِرِ عند صفْوِ المطرِ
أنَّةُ المحتَضِرِ رُوحي بل أثَرى

باريس ادوار فارس



تاريخ الغناء العربى

(١) فى العهد الجاهلى

الغناء فن جميل يقصد به تحريك النفوس بتنسيق الأصوات وتأليفها على طريقة ترتاح لها الآذان فتهتز لها القلوب وتنشرح بها الصدور

وخير الغناء ما تضمّن أغراضاً شريفة وصادف أفئدة حصيفة وصدر عن ألسنة فصيحة

والغناء العربى مظهر من مظاهر الحضارة العربية ومعرض حسن لآدابها وصورة ناطقة بمشاعرها وميولها وشرعة حام على ورودها العرب والعجم إلاّ أن الآخرين أعجموا . والأولين أعربوا كما أطربوا . فأنهلونا من سلسالها حتى تحببْنا ريّا . وتزوّدنا رويّا . وخميلة غنّى على أيكاتها المننون فى أحضان نجد وثرى تهامة . ومشارف الشام وربا اليمامة . وغياض اليمن وعمان . وقصور الخلفاء فى بغدان . ومروج الأندلس الخضراء فى أيامها البيضاء . كما صدحت على أغصانها العنادل وغرّدت على أفنانها البلابل وشدت على آجامها كل قُمرية ولحّنت على أعوادها بنات الهديل بلحنها الجميل فأطربت وإن أعجمت . غير أن العرب حاكت سجعها وإيقاعها فاخترعت العود والمزهر الحنون إلى غيرها من آلات الطرب وسكبت نغماتها فى قوالب من الشعر الرقيق فى كل معنى أنيق يدخل إلى الآذان بلا استئذان وافتنت فى الإيقاع وأتت بطرائف من الابتداع. وقد دفعتها الحاجة إلى الغناء للتغنّى بفضائلها وشرف محتدها وذكر أيامها الصالحة وأوطانها النازحة وفرسانها الأبطال وأجوادها من جميع الأجيال ولتستنهض العزائم وقت النزال وتعيد إلى الحزين سروره وتسهّل لذى الحاجة أموره وتحرّك القلوب بالغزل والنسيب . والتشبيب بالحبيب. فيصبو الراهب فى صومعته فيدع صلاته وصيامه. وينسى تبتّله وقيامه. إلى غير ذلك من صنوف الأدب المدوّنة فى كتب العرب ولذلك توهموا أعاريض فجعلوها موازين للكلام فى بداوتهم ودوّنوا بها طرائق لحنها فى حضارتهم وجعلوا لكل غناء أو لحن وزنا كما يأتى

(١) النصب وهو غناء الركبان

(٢) الهزج وهو الغناء الخفيف الخصيص برقص العرب فإذا ما سمعه الحليم منهم

انبعثت جوارحه واهتزت أعصابه فقام يرقص طرباً كالفتى لعبت به الصبابة لعب الريح بالعلم

(٣) السناد وهو الغناء الثقيل ذو الترجيع الكثير النغم — وكل ذلك كان فى الجاهلية قبل أن يلبس العرب ثياب الحضارة ويتبوءوا أرائك الإمارة — قال لبيد العامرى فى معلقته :

بصَبوح[1] صافية وجذب كرينة وموتّر[2] تأتاله[3] إبهامها

ولقد أغرقوا فى الشغف بالغناء حتى كان الشاعر المستهام يشبه هوى حبيبه بالغناء كما قال :

وهواك عندى كالغناء لأنه حسن لدىّ ثقيله وخفيفه

وظلوا بعد الإسلام يختصون كل لحن بوزن كما سنبين ذلك إن شاء الله تعالى فى مقالاتنا الآتية فى الأغانى الأموية والعباسية والأندلسية

ولا نخال الوزن الا مأخوذاً فى الأصل من توقيع سير الإبل فى التنائف[4] والفلوات فى الغدوات والروحات ولا ريب فى ذلك فتوقيعه يوافق خطاها يعزز ذلك أن الرجز أول ما استعمله العرب لسوق الإبل المعروف عندهم بالحُداء (والنصب المتقدم ضرب منه) لأن العربى يقضى جل حياته فى معاشرة جمله أو ناقته وأكثر الرجز ماكان مشطوراً كقول الشاعر :

يشكو إلىّ جملى طول السرى[5] يا جملى ليس إلىّ المشتكى
الدرهمان كلفانى ما ترى شدّ الجواليق[6] وجذبا بالبرى[7]
صبراً جميلاً فكلانا مبتلى

ولو ركبت أيها القارئ ناقة وسارت بك على مهل لرأيت سيرها أشبه بهذا الوزن تماماً ويتجلى للنظارة من حركات اهتزازك عليها توافق تلك الحركات لتوقيع ذلك الرجز مقطعاً — وبهذا الضرب كانت العرب تحدو إبلها إذا أرادت مشيها وئيدا أما إذا أراد الحادى أن تسرع الجمال فى مشيتها فإنه يحدوها بالرجز المنهوك مثل

---

(١) الصبوح بفتح الصاد المشددة شرب الخمر فى الصباح (٢) موتر مضرب ذو وتر أو أوتار
(٣) تأتاله تحركه تباعاً بتنسيق (٤) التنائف جمع تنوفة وهى البرية لا ماء فيها ولا أنيس
(٥) السرى — السير بالليل (٦) الجواليق جمع جوالق وهو الشوال باللغة العامية المصرية
(٧) البرة حلقة فى أنف البعير أو فى لحمة أنفه

يا ليتني فيها [٨] جذعْ أخب [٩] فيها وأضعْ [١٠]

واعتبر ذلك في بحر الخبب من الشعر فإنه يوافق في توقيعه خبب الفرس إذا ما ركض مثل
أبكيْتَ على طلل [١١] طرباً [١٢] ؟! فشجاك وأحزنك الطلل
(وخبب الفرس يسميه بدو مصر الآن بالحجيج)

ثم وضع العرب بعد الرجز سائر الاوزان التي سماها الخليل بن احمد الفراهيدي فيما بعد بحوراً حسب مقتضيات الاحوال

والشعر والغناء من أصل واحد عند جميع الامم والشعر وضع أولاً للتغنى به وإنشاده للآلهة !!! أو الملوك أو الامراء ولذلك كان اليونان والرومان والفرس يقولون حتى الآن غنّى فلان شعراً وعليه جاء قول ابرهيم بن سهل

بكيتُ فقال الحسن هزءاً أتشترى ؟ بماء جفونٍ ماء ثغر منضّد
وغنّيته شعرى به أستميلهُ فأبدى ازدراء بابن [١٣] حجر ومعبد [١٤]

ولقد لبث اليونان أحقاباً لا يقولون الشعر إلا إنشاداً ولعلّ العرب كانوا كذلك قبل عصر أصحاب المعلقات (١٦٣ ق هـ) فنبغت منهم طائفة تغنى شعرها كما صنع الاعشى قبيل الإسلام فقد كان ينظم الشعر ويغنيه ولذلك لقبوهُ صناجة العرب — وما فتئوا كذلك بعد الإسلام فإن الشاعر كان اذا قال قصيدة وقصد بها خليفة أو أميراً أنشدها فى حضرته وهو قائم فإذا لم يكن رخيم الصوت اقتنى له غلاماً حسن الصوت جيّد اللحن ثم يدفع له القصيدة لينشدها أمام الممدوح — ولا يخفى ان للإنشاد لحناً مطرباً — وكان القدماء يعدّون الغناء لغة عامة لجميع الناس يفهمونها على تباين ألسنتهم واختلاف أمزجتهم وكان لا بد لطالب الفلسفة من الإحاطة بفن الموسيقى مع الرياضيات — وقد اتفقوا على أن لا شيء يعدل تأثير الغناء فى إعداد النفوس الى الفضائل ؟

عبد الرحيم محمود
المدرس بالسعيدية الثانوية بالجيزة

(٨) الجذع من البهائم صغيرها (٩) أخب فيها أسير خبباً وهو نوع من سير الخيل المتوسط فى السرعة (١٠) أضع أتوقف عن السير وأتيم في ميدانها ومعنى البيت يا ليتنى فى الحرب كالجذع أسير فيها كما يسير المهر خبباً وأتوقف عن السير وأتيم في ساحتها مقاتلا فى كلتا الحالتين

(١١) الطلل ما بقى من الديار الدارسة (١٢) طرباً حزناً والطرب يكون من فرح أو ترح فهو من الأضداد (١٣) ابن حجر هو امرؤ القيس رأس شعراء العرب فى العهد الجاهلى

(١٤) معبد من أشهر المغنين الملحنين فى العصور الاسلامية وسيأتى المقال فيه باسهاب ان شاء الله تعالى

الفاجعة القطبية

حكاية الرحلة — حلول الفاجعة — نجدة الروَّاد

فقد الرائد امندصن

ليست الفاجعة التي حلّت بالبلون « ايطاليا » اولى الفاجعات التي حلّت بروَّاد القطبين ولا اخراها . ولكنَّ العالم المتمدن شعر بقربها من ابوابهِ لان ابناءهُ كانوا يطّلعون كلّ ساعة من ساعات النهار والليل على انباء الروَّاد وقد وقعوا في قبضة الجليد والشجعان الذين هبوا الى نجدتهم وما قام في وجوههم من المصاعب والعقبات. لقد ادرك الهلاك قبلاً الكبتن سكوت الانكليزي ورفاقهُ في الاصقاع المتجمدة الجنوبية . ولكن خبر هلاكهم لم يبلغ آذان الناس قبل انقضاء بضعة اشهر على تلك الفاجعة الاليمة. على ان المخاطبات اللاسلكية التي اتقنت بعد فاجعة سكوت قلبت ريادة القطبين والاصقاع المتجمدة رأساً على عقب ومكنت ابناء الامم المتمدنة من ان يشتركوا مع الروَّاد في الطرب لانتصارهم والوجل لما يحلُّ بهم من الحادثات

واذا صرفنا نظرنا عن الشجاعة التي ابداها رجال البلون « ايطاليا » في اقتحام اسرار الاصقاع المتجمدة والاقدام الذي دفع رجال الامم المختلفة الى نجدتهم رأينا في حديث هذه الرحلة القطبية امتحاناً لثلاثة من اهم المخترعات الحديثة — نريد البلون والطيارة والآلة اللاسلكية

فطيران البلون « ايطاليا » من ايطاليا الى جزيرة سبتسبرجن ومنها الى القطب وما حواليهِ من الاصقاع المتجمدة اظهر للعلماء والمستنبطين مواطن القوة والضعف في آلة اخف من الهواء

اذ قد ثبت من هذه الرحلة ان استكشاف المجاهل بهذا النوع من وسائل الطيران يمكن ان يكون سريعاً وشاملاً في آن واحد ولكنهُ يعرّض الرجال الذين يقدمون عليهِ لاخطار كبيرة . ونتيجة الرحلة تجلو كثيراً من غوامض المسألة التي عني العلماء بدرسها وهي مسألة المواصلات الجوية بين اوربا واسيا من جهة وشمالي اميركا من جهة اخرى فوق القطب الشمالي

ولو لم يصحب طيران البلون « ايطاليا » فقدُ الرائد « امندصن » وصحبهِ لكان

انتصار « البلون » « والطيارة » في اعمال الريادة والاستكشاف والنجدة كبيراً ولفاقت الطيارة البلونَ في ذلك لان الطيارين قاموا بعمل كاد يحسب مستحيلا . ذلك انهم اهتدوا الى مقرّ الجنرال نوبلي ورفاقه في مساحة شاسعة من الاصقاع المتجمدة يكاد يضيع فيها الجبل الشامخ . ولكن ضياع امندصن واضطرار بعض الطيارين الى النزول على سطح الجليد رغماً عنهم لخلل حلَّ بطياراتهم يشيران الى ان الطيارات لا تزال تحتاج الى كثير من الاصلاح والاتقان لكي تصبح اداة للمواصلات يصحُّ الاعتماد عليها

ومع ذلك لولا اتقان المخاطبات اللاسلكية لكان جهاد الطيارين لتخليص رفاقهم ضاع عبثاً ولبقي روّاد البلون « ايطاليا » في قبضة الجليد الى ان تحين منيتهم ولظلَّ الناس في امر فقدهم امام سرّ يتعذر الكشف عنهُ

ولكن وراء الطيارات والبلون والآلة اللاسلكية تقوم شجاعة الرجال ومروءتهم واقدامهم على اقتحام المخاطر والاهوال . ومهما تكن نتيجة الجدال العنيف الذي احتدم حول اسباب الفاجعة وتصرف المسؤولين فيها فلا ريب ان اظهر مظاهر الرحلة هي تلك الشجاعة التي جعلت اقاصيص الاقدمين عن شجعانهم خرافات يرجح فيها جانب الخيال على جانب الحقيقة

قيام البعثة

لم تشرع بعثة من بعثات الاستكشاف عملها بمثل ما شرعت به بعثة الجنرال نوبلي القطبية من التفاؤل وبوادر النجاح . فان مشروع الرحلة كان آيةً من آيات الوطنية الايطالية الجديدة والبلون ايطاليا الذي بُني في ايطاليا وصنعت كلُّ معداته فيها جاء رمزاً بليغاً الى ايطاليا الجديدة التي خلقها موسوليني ونفخ فيها روح الحياة

لم يكن الجنرال نوبلي قد راد الاصقاع المتجمدة الشمالية او الجنوبية فعرف مداخلها ومخارجها ومخاطرها كما كان يعرفها الروّاد امثال امندصن وشكلتن وسكوت وبيري . ولكنهُ صحب امندصن سنة ١٩٢٦ في البلون «نورج» الذي طار من جزيرة سبتسبرجن فوق القطب الشمالي الى الاسكا . ومع ان تلك الرحلة كانت موفقة في كل ما قصدت اليه رغم المخاطر التي تعرَّض لها رجال البعثة اختلف الزعيمان — امندصن ونوبلي — في شؤون كثيرة اختلافاً ادَّى الى احتدام نار الجدال بينهما على صفحات الجرائد . فاذكى هذا الاختلاف نار الحمية في صدر نوبلي وعزم حينئذٍ على ان يثبت للملا ان في استطاعة ايطاليا ان تبني بلوناً ايطاليًّا وتجهزهُ بالمعدات اللازمة والرجال الاكفاء

وتبعث بهِ الى القطب الشمالي يستكشف ما يحيط بهِ من الاصقاع المتجمدة

وسار نوبلي في اعداد معداتهِ بعد ما لقي تأييداً من الحكومة والشعب فعمد الى استشارة كثيرين من الروّاد والعلماء في اسوج ونروج والمانيا وغيرها من البلدان واتفق مع حكومة نروج على ان تأذن لهُ في استعمال خليج الملك في سبتسبرجن مقرّاً للباخرة « شيتادي ميلانو » قاعدة لاعمال بعثتهِ . وفي اوائل مارس الماضي كان قد تمّ بناء البلون وامتحانهُ وفي الساعة الثانية من صباح يوم ١٥ ابريل الماضي قام البلون برجال البعثة من ميلان قاصداً الى ستولب (في مقاطعة بومرانيا بالمانيا) ليجتاز اول مرحلة من رحلتهِ الطويلة الشاقة الى سبتسبرجن . وكان البابا قد سلّم ربّانهُ صليباً معدنيًّا علوهُ ست اقدام لينصبهُ في القطب الشمالي مع الاعلام الايطالية المختلفة التي كان ينوي ان يقيمها هناك

كانت المرحلة الاولى من رحلة البلون « ايطاليا » اشارة بليغة الى ما حلّ بالبلون ورجالهِ من المصائب في الشمال بعدئذٍ . فانهم ما بلغوا جبال الكربات حتى هبّت عليهم عاصفة شديدة قال عنها نوبلي انها اقوى من كل العواصف والرياح التي لقيها في الرحلة القطبية مع امندصن واشد منها خطراً. واصيب البلون ايطاليا بعطل كبير فتحطمت بعض آلاتهِ واصيبت محركاتهُ بما استلزم وقتاً طويلاً لاصلاحها . وزد على ذلك تعطلت الآلة اللاسلكية حيناً من الزمن فاضطرّ نوبلي ان يلبث في الجوّ ردحاً لا يدري مسيرهُ ولا مصيرهُ في جوّ مستطير متلبد بالغيوم

ولما وصل البلون الى ستولب اخذ رجالهُ يصلحون ما يلزم اصلاحهُ فيهِ ولكنهم تأخروا لاضافة بعض المعدات التي رأوها لازمة لهُ ولكي يفسحوا للباخرة « شيتادي ميلانو » وقتاً كافياً حتى تصل الى خليج الملك بسبتسبرجن . وفي هذه الاثناء كان الكابتن ولكنز الاسترالي قد طار بطيارتهِ من الاسكا الى سبتسبرجن وكان الفصل الذي تسهل فيهِ ريادة الاصقاع المتجمدة الشمالية لصفاء الجوّ فيهِ آخذاً في الانقضاء . وبعد ما قضوا ما يزيد على اسبوعين في بلدة ستولب قاموا منها صباح اليوم الثالث من شهر مايو مع انهم كانوا في برنامج خطتهم الاول ينوون ان يكونوا حائمين حول القطب في ذلك التاريخ . . . وكانت طية البلون بلدة ڤادسو في شمالي نروج حيث نزل البلون نورج سنة ١٩٢٦ قبل رحلتهِ الاخيرة الى سبتسبرجن . ولكن الجنرال نوبلي في هذه المرحلة ايضاً اضاع اتجاههُ حينما صار فوق القسم الشمالي من فنلندا لتلبد الغيوم وكثافة

الضباب فاضاع بضع ساعات من الطيران بحثاً قبلما تمكن ثانية من الاتجاه الى ستوكهلم التي بلغها حوالي الظهر فحام فوق احدى ضواحيها ليمكن الاستاذ ملمغرن من القاء رسالة صغيرة الى والدته . ولما بلغ البلون بلدة ڤادسو وجد ان غلافهُ كان قد مُزّق في غير مكانٍ واحدٍ وان هيكلهُ المعدني يحتاج الى التقوية قبل استئناف الطيران ومع ذلك استأنف الجنرال نوبلي الطيران في صباح اليوم التالي فبلغ خليج الملك في سبتسبرجن سالماً رغماً عن عاصفة من الثلج ورياح شديدة هبت في وجههِ

وانقضت بضعة ايام قبلما تمكنت البعثة من استئناف عملها كان لا بدَّ من انقضائها لاصلاح غلاف البلون وآلاتهِ . ولكن الجنرال نوبلي كان لا يزال شديد الثقة باتمام العمل الذي ندب نفسهُ لاتمامهِ . وقد قال حينئذٍ « ان البلون ايطاليا قد تخطى الآن اكثر المراحل خطراً . وسنبدأ قريباً في تحقيق الغرض الاصلي من بعثتنا . ففي أسبوع واحد نأمل ان نعمل ما لم يعملهُ احد من قبل »

وكان قد استأجر ستة رجال من المشهورين بتصعيد جبال الالب لكي يربطهم بحبال ويدليهم من البلون الى سطح القطب فينصبوا فوقهُ صليب البابا والاعلام الايطالية لكنَّ هؤلاء لما رأوا تأخر البعثة في تنفيذ خطتها الاصلية نظراً الى ما اصاب البلون من العطل استقالوا من العمل الذي نُدبوا لهُ بعيد وصول البلون الى سبتسبرجن وحجتهم ان العمل اصبح شديد الخطر

وفي ١١ مايو اي بعد وصول البلون الى سبتسبرجن بخمسة ايام قام رجال البعثة في رحلتهم الاولى الى المناطق الشمالية وغايتهم ان يستكشفوا « ارض لنين » . ولكن البلون وصل الى « ارض فرنس جوزف » واضطرَّ أن يعود ادراجهُ لان الضباب كان كثيفاً مما جعل التقدم الى الامام محفوفاً بالخطرِ العظيم . ولما نزل الى الارض في خليج الملك صُدِم المحرك الذي في مؤخرتهِ صدمة عطلتهُ وكادت تحطمهُ . وقبلما تمكن المهندسون من اصلاحهِ هبت عاصفة شديدة من الثلج نزعت سقف الدار التي بنيت لحفظ البلون ولولا الشجاعة النادرة التي بذلها رجال البعثة لكان تحطم تحت ثقل الثلج الذي سقط عليهِ

وفي ١٥ مايو قام نوبلي وصحبهُ ثانية قاصدين الى ارض لنين ولا يعلم حتى الآن ماذا رأوا منها لان الضباب كان كثيفاً . ولكن يقال ان بعض رجال البعثة صوروا نحو مائتي صورة ونحو ٥٠٠ قدم من الفلم ودونوا ارصاداً جوية كثيرة . واثبتوا

ان لا وجود لجزيرة غلس التي اختلف العلماء في مسألة وجودها وعدمهِ

وانقضت ايام بعد عودتهم من هذه الرحلة هبت فيها العواصف فمنعتهم من الطيران ثانية قبل صباح ٢٣ مايو فساروا حينئذٍ محاذين لخط الطول ٢٤ متجهين الى القطب فبلغوهُ بعيد منتصف الليل في ٢٤ مايو وثبت لهم حينئذٍ ان النزول بالبلون الى القطب متعذر الآن — وقد يبقى متعذراً الى ما شاء الله

وبقي البلون ايطاليا حوَّماً فوق القطب نحو ساعتين قفل بعدها راجعاً الى خليج الملك ، وبقيت رسائلهُ اللاسلكية تذيع للعالم اذاعة منتظمة نبأ الفوز العظيم . ولكن الآلة اللاسلكية صمتت قبيل الفجر ووقف الناس ينتظرون بوجل نهاية هذا الصمت المخيف . ثم اذيع ان بعض المحطات اللاسلكية في سان فرنسسكو التقطت الحروف S. O. S. وهي الحروف المتفق عليها بين كل الامم على طلب الغوث لماخرات البحر والجوّ . أين البلون ايطاليا ، وماذا حلَّ برجالهِ ؟ وهل هم احياء ؟ اسئلة لم تنجلِ الاَّ يوم الجمعة في ٨ يونيو اي بعد انقضاء اسبوعين كاملين على ضياع اثرهم

الفاجعة

ويستطاع جمع حديث الفاجعة من اقوال الرجال الذين نجوا من الهلاك مع انها اقوال مبعثرة . فقد قيل ان نوبلي ترك الريح تدفع البلون على غير هدى لكي يستكشف ارضاً جديداً . ولكن يظهر ان حرج الموقف لم يتجلَّ لربان البلون وقائد البعثة الاَّ قبيل وقوع الفاجعة لان الآلات كانت منتظمة العمل ولم تقف عن عملها الاَّ حين أُوقفت . وحينئذٍ بدأ الجليد يتكون على غلاف البلون وبعض اجزائهِ . وقد وصف نوبلي حلول الفاجعة بقولهِ : كنا في الساعة العاشرة من صباح ٢٥ مايو سائرين في جوّ معتدل على ارتفاع ١٥٠٠ قدم واذا بالبلون قد اخذ يثقل ويهبط هبوطاً سريعاً لم نتمكن من منعهِ بكل الوسائل الهندسية المعروفة وفي اقل من دقيقتين اصطدم بالجليد فانبترت الغرفة المتصلة بالبلون من جانبهِ الاسفل فخفَّ وزنهُ فارتفع ودفعتهُ الريح في اتجاهٍ شرقي . وكل الذين كانوا في هذه الغرفة حال حدوث الاصطدام لم يسترجعوا رشدهم الاَّ ووجدوا انفسهم على سطح ركام من الجليد ولكن على انقاض آمالهم الضائعة

في وحي الروح (١)

التراب المتكلم أمام التراب الصامت

تُرى ايهما هو الصدقُ في حقيقتهِ ، ما نفرحُ بهِ أو ما نحزن لهُ ؟ أما إن في الحياة مِلْحاً وإن في الحياة حُلواً وكلاهما نقيضٌ فليس منهما شيءٌ الاَّ هو رَدٌّ للآخر او اعتراضٌ فيهِ او خِلافٌ عليهِ ، وتجدهما اثنين وهما واحدٌ في اثنين ، فأنت تُؤتى الحلوَ تُسيغهُ وتستعذبهُ فاذا هو بك في المِلح تمجُّهُ وتغصُّ بهِ ، ثم لا تضعُ من أمرٍ على أحسنهِ في صورةٍ الاَّ رأيتهُ على أقبحه في صورة اخرى ، والانسان من الهمّ في عُمْر دهرٍ لا يموت ومن السرور في عمر لحظة تَشِبُّ وتَهْرَمُ وتموتُ في ساعات ، والحيُّ كأنهُ من هذه الدنيا فرخٌ في بيضةٍ سُلِّطتْ لهُ وختمت عليهِ فلن يزيد فيها غيرُ خالقها وخالقُها لن يزيد فيها ، ومن الصحة والمرض ، ومما قد استبانتْ فيهِ الحيوانية ومما سرَّ وساء ، وما شدَّ وهدَّ ، ومن العقل العجيب الذي يحكم من الانسان تركيباً عصبيًّا مجنوناً ثائراً — من كل ذلك وما اليهِ مزيجٌ هو بقدرة الله أشبهُ ولكنهُ فوق ضعفنا وحيلتِنا فلن نرى منهُ في الكون الاَّ شكلَ الحيْرة ومعناها والعذابَ بها والفرحَ بالغفلة عنها والسرورَ بإنكارها أو المكابرة فيها ، والحيرة لا نفيٌ ولا إثبات ، ومتى يطلب الانسانُ الحقيقة وهو جزء منها لم يقف الاَّ على جزء منها ، فالمشكلة متحركة الى كل جهة حتى لا تذهب عنها لتنساها الاَّ وانت ذاهبٌ بها لكيلا تنساها

أما إن في الحياة ملحاً وان في الحياة حلواً وكلاهما نقيض ، فالصريحُ أن يخلق منهما المستحيل وهو الملح الحلو . . . . . فان لم يمكن فالممكنُ من الحقيقة للانسان ان يستحيل الانسان فيموت

***

تُرى أيهما الذي هو الكذبُ في نفسه ، الموتُ أم الحياة ؟ إنهُ الجنين فالوليدُ ثم الميتُ لا محالة بعد ان يُسرع الأجلُ او يتراخى . لا يتقارُّ جنينٌ في ذاتهِ

(١) روح اخي كامل بك الرافعي وقد انتقل الى ربه في شهر يونيو من سنة ١٩٢٨ ، رحمه الله

الدموية من الاحشاء ، ولا يثبت وليدٌ في ذاتهِ اللحمية من المهد ، ولا يُترك شابٌ في ذاتهِ العظمية للحياة ، ولا يقف شيخ في ذاته الجلدية دون القبر

من عُقدة الثمرة الى لُبّها الى شحمتها الى قشرتها ، على ناموس القضاء والقدر في باب الحَتْمِ المقضيّ من كتاب السماء ، وعلى ناموس النشوء والارتقاء في باب الهذيان العلمي من كتاب الارض ......

وكما تكون تحت الوسائد كنوزُ أحلام الليل، تكون في هذه الحياة أحلامُ الكنوز الخالدة التي يملأ الارضَ كلها ضوءُ لؤلؤةٍ واحدةٍ منها

تطلع الشمس تلمعُ على الناس كأنها فصُّ خاتم السماء تُشير به أن تعالَوْا الى الكنز في ضوء هذه الياقوتة الصغيرة

***

الحواس زائغةمتراجعة مقلوبة وهذا هو نظامُها ونَسقُها واستواؤُها، فليس من أحدٍ في هذا الكون الموجود الا وهو ناظر الى كونٍ غير موجود . السماء سموات والارض أرَضُون والأكوان عِدادَ العقول ، وكل أمل في رأس مخلوق يزيد عنده الدنيا أو ينقصها ويغيّر من الخليقة ويبدّل ، وكل انسان في كل يوم هو انسان يومه ذلك فكأن كل حي من كل حي غلطة . وآمالنا كأرقام الساعة هي اثنا عشر رقماً محدودة ولكنها في كل دقيقة هي اثنا عشر رقماً فلن تنتهي

والحياة خداع وغرور ، وزيغ وخطأ ، وعمل وعَبَث ، ولهو ولعب ، ومهزلة وسخرية ، والناس كالارقام تُخط على هذا التراب ثم يقال للعاصفة : اجمعي واطرحي وحلّي المسألة ....

***

واين كل ماصبّتهُ الشمسُ والكواكبُ من نيرانها ، وما اخرجتهُ فصولُ الأرض من وشيها وألوانها ، وما هتفت بهِ الطير من أغاريدها والحانها ، وما تلاطمتْ بهِ الدنيا من أمواج انسانها . أين ما صحّ وما فسد ، وما صدق او كذب ، وما ضرّ أو نفع ، وما علا أو نزل ؟ في كل لحظة تمتلئُ هذه الدنيا لتفرغ ثم تفرغ لتمتلئ ، وماضيها ومستقبلها مطرقتان يمرّ بينهما كل موجود لتحطيمهِ . وكأن الحياة ليست أكثر من تجربة الحياة زمناً يقصر أو يطول، وما العجيبُ أن لا تفلح التجربةُ في احد ولكن العجيب

أن لا تنقطع وهي لا تفلح ، والعالم كالبحر من السّراب يموج بهِ أديمُ الارض ثم لا تملأ امواجهُ مِلمقة ، والحقيقة في كل شيء لا تزال تفرُّ من تحليل الى تركيب ومن تركيب الى تحليل ، لان شعور اهل الزمن بالزمن لا يحتمل المعنى الخالد ، ولعل سببَ الموت انك لا تجد انساناً يعيش في حقيقتهِ الانسانية فلا هذه الحقيقة يُستَرت له كاملةً ولا هو خُلق لها كاملاً ، وفي الانسان كالطبيعة أرضٌ وسماء فترابهُ لا يتغشّاه مما فوقهُ غيرُ الظل ، وقد خُلق مقسوماً ، فشُقّةٌ منهُ في ارضهِ وشُقّةٌ في سمائهِ فاذا حضرهُ الموت ضرب الضربةَ بين هاتين فاخذت السماء السماء وجذبت الأرضُ الارض

هناك البرقُ الالهي ملءُ الكون يلتمع ويخطف ولكنهُ من الانسان كشعلة تتوهّج في غرفة ارضُها وسقفها وحيطانها من المرايا وليس في هذه الغرفة الا هذا الضوء ورجلٌ أعمى . فلا سخرية ولا ضلالة ولا عبث ولا خداع الا في اسلوبنا الانساني المبني على حواسنا الزائغة كما تنودُ [١] السفينةُ خفّت على موج البحر وما عَبثَ البحرُ بها ولكن يعبثُ بها وزنها

***

يريد الله ان نخلق لانفسنا معنى من السمع والبصر ليس في أذُن ولا عين وأن نزيد في مجموعة أعصابنا الواهنة عصباً عقليّاً يراهُ ويسمعهُ ويدركهُ ويؤمن بهِ ، فالايمان قوة جبّارة لا تجتمع الا من ردّ كل أطراف النفس المنتشرة [٢] الى عقدتها الروحية وحبسِها اكثرَ حواسها في حس واحد عنيف مؤلم ، ووضع المناعم المضنونِ بها في ذلك المعنى المفتوح المتهدّم الذي لا يمسك شيئاً وهو الزهد ، وحصر الآلام الطاحنة في ذلك المعنى المطبق المتحجر الذي لا يُفلت شيئاً وهو الصبر ، وردّ الاخلاق كلها الى ذلك العنصر الذي يضيف معنى الحديد الى معنى اللحم والدم وهو الارادة ، وبعد ذلك كله وضع كل شيء انساني في ضوء من اضواء الكلمة المتألهة المسماة بالفضيلة . يا الهي ما أقواك وما اضعفنا . كأنك تقذفنا من السماء فنجهد ان نرتفع اليها بأنفسنا على أجنحة الاعمال التي تطير بجاذبيةٍ مما تحب

لما خلقتَ الانسانَ عبداً على قدرك صار إلهاً على قدره ، فيجب في الحق أن تعذبهُ السماء اذا وغلَ عليها طفيليّاً بلا عمل ولا ثمن

(١) تنود تتمايل وتتحرك (٢) أطراف النفس كناية عن شهواتها

النخلة السحوق نواةٌ مخزونة في بلحة ، والعالَم العظيم تركيب مخبوء في انسان ، فالانسان لتكده الطبيعي محيط بنواميس قاهرة تحركهُ ،وتحيط به نواميس اخرى قاهرة تحرك معهُ ،فمن ثمَّ لا يبرح يصطدم ولن يكون متجهاً أبداً الاَّ الى التحطيم . فاذا هو تورَّع وتحرَّج أمات من شهواته فأبطل بعضَ نواميسه الداخلة فيهِ فأبطل مثلَ ذلك فيما حولهُ فكان خروجُه من بعض الدنيا هو حقيقة وجوده في بعض الدنيا . ومثل هذا حقيق ان يقول : إني أحكم العالم من داخلي

***

تباركتَ ربنَّا وتعاليت.ان الشك فيك لهو اليقين على طريقة والايمان بك هو اليقين على طريقة اخرى . المُقعد لا يمشي والاعرج لا يعدو والضعيف لا يسبق العدَّاء ، فاذا انكر المقعد على من يراهُ يمشي ،والاعرج على من يُبصرهُ يَعْدو ، والضعيف على من يعرفهُ قد سبق ، فما ذلك من إنكار العين ولا من مكابرة النفس وانما ذاك رأيٌ منظورٌ فيهِ الى حظ رجْلٍ مهملة او قدم مكسورة أو عظم واهن . ومن ثمَّ لن يكون في الناس ملحد الاَّ وفي طباعهِ او أخلاقه او حوادث دنياه جهةٌ مريضة ينكسر عندها الرأي ويُبتلى بها الحس فهي توجّههُ وتصرّفهُ منظوراً فيهِ الى شعور بعينهِ . وقد ينتحر الرجل من إعراض امرأة فنذا يقول إن النفس الانسانية في وزن قبلة ؟

فأما الملحد بغير علة فهذا لا يوجدهُ أبٌ ولا تضعهُ أمٌّ اذ يجب ان تكون طباعه لهُ وحده وميراثه منهُ وحده حتى يصدّق زعمُهُ انهُ ألحد للبرهان وحده . فما يجحد الجاحد الاَّ ليجعل نفسه في الرفاهية من الامر والنهي ويخرج بها من حكم الضرورة ، والايمان كله ضرورات مسلَّطة الحكم على ما بين المؤمن ونفسه وما بين المؤمن والناس وما بين المؤمن وربه حتى كان فيهِ شيئاً يُلذِعهُ بالجمر فما يستريح من لذعة الا قدر ما يجمّ ليحتمل اللذعة بعدها

يا الهي : انما يحبك المؤمنون ويكابدون في رضاك على مقدارٍ منك لا منهم . فانت تقذف قلب المؤمن بضرورات كشعَل البراكين وتضرب روحه من مصائبهِ بسلسلة جبال مفتولة وتتركهُ في الارض بشعر كانما خرَّ عليهِ سقفُ العالم

شُبَهٌ خلفها بصائرُها ، وظلمات تنتهي بعد حين الى مدّ النهار الاكبر[1] ،ومن

(١) اي أعظم ضوئه

الضرورات والمصائب والآلام يخلق الجوّ الحسّاس الذي يبسط فيهِ الانسان جناحي روحهِ ويسمو بها على التراب والمادة . ؟

الجوّ الجوّ ، هذه تغريدة البلبل في قفصهِ

الغذاء الغذاء . . . . وهذه قوقأة الدجاجة في قفصها

***

أيقيسُ الانسان نفسه على قياسٍ من الطبيعة في قوتها المتراكبة، ومظهرها المسخَّر لكل ما يتفق، وتركيبها المبني على سهولة الاحتمال، ونظامها الميسَّر لعدم المبالاة ؟ ألا ما أحمق الزهرة التي علمت أن الدوحة لا تقتلعها الاّ العاصفة العاتية فقالت : الآن أهزأ بالنسيم ، ثم لمسها النسيم فرمى بها ورقة ورقة

كأن الشكل الانساني نقصٌ انساني ، وكأن الانسان لم يجيء الى الدنيا بأكله ، وكأنهُ ما خلق منهُ الاّ قدرٌ ما لغرضٍ ما . كأنهُ تركيب في يد الصانع الاعظم ألقى منهُ جزءًا في مرجل الفلك الارضي ليغلي قليلاً . . . ثم يتطاير ويجتمع فيتلقاه من بعد

كأنّ هذا الانسان تحت هذه الضغطة في هذه الفَوْرة في هذا الفلك مادةٌ تُطعم جوًّا لتتحول ولتتحول ليس غير . ألاَ ما أحمقهُ وهو في المرجل على الوقدة الحامية اذا أبى ان يغلي . . . . وما أسخفهُ وهو في المِصفاة تحت الضغطة الثقيلة اذا أبى ان يُعصر . . . . وما أجهلهُ وهو في الحياة الفانية اذا نسي انهُ سيموت !

لا تغترّي ايتها الحبة الصغيرة المختبئةُ في كُدْسَةٍ من القمح تتحدَّر في ثُقب الرحى ، ولا تحسبي أنك من لهوٍ ولعب تتبعثين هناك وهنا بين الحَبّ . إنك في رفق ولكنهُ رِفْقُ الحجرين الآكلين اللذين لا يدعان شيئاً ولا يفلتان شيئاً وانما يرفقان بك قليلاً قليلاً ليُجيدا طحنك كثيراً كثيراً

***

فتحنا القبر وضَمَّنّاه الميت العزيز ، لم أقل إنهُ مات بل قلت ان موته قد مات ، كأن الحي على هذه الارض هو القبر الانساني لا الجسم الانساني فانك لتجد قبوراً من الف سنة ولا تجد انساناً في بعض عمرها ، أما ترى هموم الدنيا وأحزانها كيف لا يخلو منها أحد وكيف تخرج من النعيم كما تخرج من البؤس ؟ ما أحسبها الاّ صُوَراً من ظلمة القبر يجيء القبر فيها حيناً بعد حين الى ميّتهِ الذي لم يمت

من يهرب من شيء تركه وراءه الا القبر فما يهرب أحد منه الا وجده امامه. هو أبداً ينتظر غير متململ وأنت ابداً متقدم اليه غير متراجع . وليس في السماء عنوان لما لا يتغير الا اسم الله ، وليس في الارض عنوان لما لا يتغير الا اسم القبر

وأينما يذهب الانسان تلقته أسئلة كثيرة : ما اسمك ما صناعتك كم عمرك كيف حالك ماذا عملك ما مذهبك ما دينك ما رأيك ؟ . ثم يبطل هذا كله عند القبر كما تبطل اللغات البشرية كلها في الفم الأخرس ، وهناك يتحرك اللسان الأزلي بسؤال واحد للانسان : ما أعمالك ؟

أيها المتقاتلون على الدنيا والانسان الى حين ! ان تنازع البقاء مذهب فلسفي بقري لا انساني . . . . . فانها الثيران هي التي تجد من القوة أن تنتطح في المجزرة وتنسى لم هي في المجزرة

***

فتحنا القبر وأنزلنا الميت العزيز الذي شفي من مرض الحياة ، ووقفت هناك بل وقف التراب المتكلم يعقل عن التراب الصامت ويعرف منه ان السر على ما يمتد محدود بلحظة ، وان القوة على ما تبلغ محدودة بخمود ، وان الغايات على ما تتسع محدودة بانقطاع ، وحتى القارات الخمس محدودة بقبر . . . . يا عجباً ! القبور مأهولة بمل الدنيا وليس فيها أحد . أية ذرة من التراب هي التي كانت نعمة ورغداً وأيتها كانت بؤساً وشقاء وأيتها التي كانت حبًّا ورحمة وأيتها كانت بغضاً وموجدة ؟

سألت القبر أين المال والمتاع واين الجمال والسحر واين الصحة والقوة واين المرض والضعف واين القدرة والجبروت واين الخنوع والذلة ؟ . قال كل هذه صور فكرية لا تجيء الى هنا لانها لا تؤخذ من هنا . فلو أنهم اخذوا هدوء القبر لدنياهم وسلامة لنزاعهم وسكونه لتعبهم لسخروا الموت فيما سخروه من نواميس الكون

ان هؤلاء الاحياء يحملون في ذواتهم معانيهم الميتة وكان يجب أن تدفن وتطهر أنفسهم منها ، فمعنى ما في الانسانية من شر هو معنى ما في الناس من تعفن الطباع والاخلاق

يكذب أحدهم على أخيه فيعطيه جيفة حقيقة ميتة ، ويكيد بعضهم لبعض فيتطاعمون من جيف الحوادث المسمومة ، ويمكر الخائن فاذا جيفة عمل صالح قد مات ، فكل مضغة

تبتلعها من حق أخيك الحي هي كمضغة تفتلذها من لحمه وهو ميت لا تعطيك الا جيفة ثم انت من بعدُ لست بها انسانا ولكنك وحش . . . . بل وحش دنيء ليست له فضيلة الوحشية التي من قوة تأبى ان تمسّ لحوم الموتى

***

واهاً لك أيها القبر . لا تزال تقول لكل انسان تَعَالَ . ولا تبرح كل الطرق تُفضي اليك فلا يُقطَع بأحد دونك ولا يرجع من طريق راجع . وعندك وحدك المساواة فما أنزلوا قطرفيك ملكاً عظامهُ من ذهب ولا بطلا عضلاتهُ من حديد ولا أميراً جلدهُ من ديباج ولا وزيراً وجهه من حجر ولا غنياً جوفهُ خزانة ولا فقيراً عُلِّقت في أحشائهِ مخلاة

ألاَ ويحك أيها القبر لِمَ لا تأتي الاّ في الآخر ؟ ولمَ لا تضع حدودَ معانيك بين الاحياء بعضهم من بعض حتى يقوم بين الضعف والقوة حدُّ العاقبة ، وبين الظلم والعدل حدُّ الحساب ، وبين الغنى والفقر حدُّ الموعظة ، وبين الكبرياء والذل حدُّ المساواة ، وبين النفوس والشهوات حدُّ التّقوى ، وبين الحرام والحلال حدُّ الله

يا شقاء اهل الارض ، أما إنهم لو وُضعوا فيها موضعاً من العناية لما كان الإبهامُ في السريرة ولا كانت الغفلة في النفس ولا كان النسيانُ في الطبع ، ولولا هذه الثلاثُ في هذه الثلاثة لما كان المجهولُ البشريّ كله في شيء واحد وهو القبر

***

ان أحزاننا وهمومنا ودموعنا هي كل المحاولة الانسانية العاجزة التي نحاول بها ان نكون في ساعة من الساعات مع امواتنا الاعزاء . هم يأخذوننا اليهم اختلاجاً وانتزاعاً في هذه الاحزان والهموم والدموع ، فكأنها أمكنة تخلق من الاثير الروحي وتتجسم من معانيها كي تصلح أن يلتقي فيها روح الحي وهو حيّ بروح الميت وهو ميت ، كما يتلاقى روحا الحبيبين في قبلتهما أولَ مرة اذ يخلُق قلباهما لهذا اللقاء جوًّا اثيريًّا من الزفرات واللوعات بين الشفاه المتلامسة

او لعلّ الموت كما يجرد الحيّ من روحه ينزع من أهله شهواتِ ارواحهم فيميتهم مدة من الزمن في القلب وفي العين وفي الفكر . وبذلك يردُّ جميع المحزونين الى المساواة فأهلُ كلّ ميت وإن علا كأهل كل ميت وإن نزل . ويموت بالموت الفروقُ الانسانية

في المال والجاه والقوة والجمال ، حتى لا يبقى الا الدمعةُ واللوعةُ والحسرة والزفرة وهذه هي أملاك الانسانية المسكينة

ياهمٌ من يحس ويعرف ويرى كيف يموت العزيزُ عليهِ وكيف يتحول من يحبه الى ذكرى . ان ما يُعمل في القبر يُعمل قريبٌ منهُ في القلب

***

وما يعرف الحيُّ ان الذاكرة فيهِ هي حاسة اللانهاية (١) الاّ حين يموت لهُ الميت العزيز فلا يكون في الدنيا وهو في ذاكرتهِ بمعانيهِ وصورتهِ لا يبرحها

وليس يُنزل الحي من امواته في القبر الاّ من يقول لهُ انني منتظرك الى ميعاد . أما لو عقلها الاحياء لعرفوا ان الموت هو وحده ناموس ارتقاء الروح ما بقيت في الدنيا ، ولكن ضجيج الشهوات — على انهُ لا يعلو رنة كأس ولا يتطي همسة دينار ولا يخفي ضحكة امرأة — يطمسُ على الكلمة الازلية التي فيها كلُّ قوة الصدق وكل صراحة الحقيقة فاذا هي خافتةٌ لا تكاد تُسمع ملتويةٌ لا تكاد تثبت غامضةٌ لا تكاد تُبين

أذلك سحرُ الحياة فينا ، أم سوء استعدادنا لها ، أم شراهةُ الجسم من لذة الحياة لابتلاع كل ما في الكون منها ، ام حماقةُ الكأس التي تريد ان تغترف البحر لتكون لهُ شاطئين من الزجاج ، أم بلاهةُ الانسان الذي يريد ان يطوي فيهِ معنى الخالق ليكون اله نفسهِ

ويحه من غريق أحمق يرى الشاطىء على بُعدٍ منهُ فيتمكَّث في اللُّجة مرتقباً ان يسبح الشاطىء اليهِ . . . . ويثبت الشاطىء ويدع الاحمق تذوب ملحةُ روحه في الماء

إسبح ويحك وانجُ فان روح الارض في ذراعيك وكل ضربة منهما عُن ذرة من هذا الشاطىء . كذلك ساحل الخلد يريد من الانسان الذي هو انسان ان يبلغ اليهِ مجاهداً لا مستريحاً ، عاملاً لا وادعاً ، يلهثُ تعباً لا ضحكاً ، ويشرَق بانفاسه لا بكأسه ، وينضح من عرَق جهاده لا من عطر لذاته

ان روح النعيم الارضي في ذراعي الغريق المجاهد لينجو ، وروح النعيم الازلي في ذراعي الحي المجاهد ليفوز

مصطفى صادق الرافعي

(١) هذا رأي لنا فالذاكرة عندنا من الادلة على خلود الروح

من اغاني الدرويش

قصري

قصري بناهُ الوحيُ رحبَ المجال
في القبَّةِ الزرقاء منذ الوجودْ
فارقصنَ فيهِ يا بنات الخيالْ
يا حبَّذا منكنَّ هزُّ القدودْ
وامرحنَ في ساحات ذاك الجمالْ
والبسنَ من تلك الدراري عقودْ
تلوح في دُهْم الليالي الطوالْ
علامةً للنفس في زهدها

والذة العيش برعْي النجوم
بين اسى الشاكي ورشف المدامْ
اذ تطرد الاحلام جيش الهموم
اذ تنجلي الآمال تحت الظلامْ
دبّي رعاكِ اللهُ بنت الكروم
وغلغلي في القلب حتى ينامْ
على بساطٍ مُدَّ فوق الغيوم
حاكتهُ ايدي النفسِ من وجدها

ما تنفع الشكوى ودمعي بحورْ
جفَّت حياة سُلَّ منها الشبابْ
لم يبقِ منها الدهر الاَّ قشورْ
لولا قليل اودعوها الترابْ
لكنَّ في قصري وراء البدور
باقٍ الى يوم النشور اللبابْ
قد وفَّرتهُ النفس قبل العبور
من هذهِ الدنيا الى مهدها

نيويورك
رشيد ايوب

خمسة في سيارة

٨

مناقشة في الاستعمار والاطفال والنبوغ

المصري — هنيئاً لكم بلدكم أيها الفرنساويون . ففرنسا جنةٌ وعدكم الله بها ومن يقصدها من السياح

ألا ترى هذه السيارة تتخطى الطرق المعبّدة الى جبال مكسوّة بالحراج والغابات مرتفعة تناطح السحب تارةً وآخذةً في الانخفاض شيئاً فشيئاً الى اودية تشقها الانهار ماءً سلسبيلا تارة اخرى

فلا تقع العين على وادٍ ليس بذي زرع او على بقعة خلت من روعة الحسن

على انهُ يخيل اليَّ ان الطبيعة وحدها فعلت في الارض ما فعلت فان السكان فاننا لم تقع اعيننا على شبح لآدميّ بعدُ مما يؤيد حقيقة عقمكم التناسلي. فبلدكم تتسع لثمانين مليوناً لا لاربعين لما حوت من الثروة على ظهر الارض وفي باطنها

فلماذا تستعمرون ان لم يكن حبًّا بالمجد واندفاعاً وراء روحكم العسكري الموروث وطمعاً باستغلال المستعمرات على اخصر الطرق واهونها حتى اذا اثريتم عدتم الى التمتع باجمل بلاد الله

الافرنسي — انا قوم قلَّ نسلنا لانا نسعى الى تحسين النوع لا الى الاكثار منهُ. فواحدنا يؤثر المعيشة الهنيئة مؤدباً نفسه وابنه احسن تأديب على معيشة لا تمكنهُ من الاستمتاع المادي والادبي اذا كثر نسله

اما استعمارنا فهو للمجد وللترف في العيش سعياً وراء الكماليات لا الضروريات . وهل من لوم علينا في ذلك او تثريب ؟. ان المدنية الحقة تتطلب كمالاً ورقيًّا في العيش لا اكلاً وشرباً فقط

الانكليزي — ما هذه الانانية ؟ وكيف توفقون بين ما تقولهُ وبين حاجات الشعوب التي تنزلون على ظهورها

الافرنسي — أأنتم تتكلمون عن الانانية وقد احتكرتم انواعها . لا تحدثني عن

كندا واستراليا ونيوزيلاندا فهذه بلدان يسكنها بريطانيون مثل الذين يسكنون انكلترا واسكوتلندا فاذا ذكرت حكوماتهم وتجارتهم وحضارتهم فاذكر انهم انكليز سكن بعضهم في الجزر البريطانية والبعض في هذه البلاد المترامية الاطراف فلا فضل لكم في كل ما هم فيهِ من مدنية وعمران

ولكن حدثني عن البلاد الاخرى التي لا يمتُّ اهلها اليكم بنسبٍ .ماذا فعلتم فيها واين هي من المدنية واي يد لكم في تعليمها وتهذيبها ورفعها في سبيل الحضارة الحديثة

الانكليزي — قابل حالهم الآن بما كانت عليهِ قبل ان نتولى نحن شؤونهم تجد الجواب

الافرنسي — هذا غاية التضليل . ستقول انكم قد اغنيتموهم بعد جوع وامنتموهم بعد خوف واقمتم العدل مقام الظلم . انما ليس بالخبز وحده يحيا الانسان

فهل قربتموهم الى قُدْس حضارتكم وبالتالي الى قدس الحضارة الغربية؟ وهل مكنتموهم منها في شيء . بل تعطفون على الاميّ الجاهل حتى يتعلم ويرطن بلسانكم فتنقلبون اعداء له كأنهُ اخطأ او ضلَّ السبيل . ذلك انكم تسعون الى المادة وغرضكم من البلاد الغربية عنكم ان تظلَّ سوقاً تبيعكم موادها الاولية بابخس الاثمان وتبيعونها مصنوعاتكم باعلاها . نحن وانتم قوم متمدنون . ولكننا نحن نمدّن وانتم لا تمدنون

نحن نأتي بمدنيتنا تدعمها قوتنا ونقول من شاء ان يلبس لباسنا فلهُ ما لنا وعليهِ ما علينا كأنهُ افرنسيٌّ من باريز ومن لم يشأ فيلبقَ في قذارتهِ . كذلك كل اصحاب الحضارات السابقة . واما انتم فلا يندمج غير بريطاني بكم ابد الدهر

السيدة اللبنانية الافرنسية — (مخاطبة المصري) ارأيت هؤلاء الغربيين انهم لا يفهمون الاَّ القوة فدع جيشاً من الجيوش الشرقية يصدم جيشاً من جيوشهم ويقهرهُ ترنا عندهم قوماً صالحين . اما فيما سوى ذلك فاننا نظل سلعةً في اعينهم

على ان الذنب ليس ذنبهم .فكل حضارات العالم السابقة — كما يقول زوجي — قامت على هذا المبدأ فالدنيا مع الغالب والناس على دين القوي وعلى حضارتهِ

وصاحت السيدة الانكليزية ان اسكتوا وانظروا ما اجمل هذا الوادي فالتفت القوم واذا بهم على قمة جبل عالٍ وتحتهُ وادٍ كأنهُ قطعة من خمائل الفن تكتنفهُ اكام مختلفة الالوان باختلاف اوراق الشجر تهطل عليهِ الامطار ثم تطلُّ عليهِ الشمس

وقال السائق هذه البوربول

وهي بلدة قائمة على ارتفاع نحو ثماني مائة متر عن سطح البحر وتحيط بها الجبال من كل ناحية . مياهها زرنيخية يصفونها لتقوية عظام الاطفال فتراها مكتظة بهم في غاباتها اولاد. وفي حدائقها اولاد. وفي حماماتها اولاد. وعلى ينابيعها اولاد. وعلى محطة السكك الحديدية فيها اعلان مكتوب بالقلم العريض انها محطة للاولاد . فاذا تمتع هؤلاء الاولاد بكل ما فيها تمتع الرجال والنساء بهوائها النقي وبمياهها المنعشة وبمناظرها التي تأخذ بالالباب . انما ليس في هذه الدنيا من كمال ولا بدَّ لك من ثمن تدفعهُ لكل متاع

فالرجل الذي لم يتمتع ببلدة الولد ولم يفهم انهم اكباد آبائهم وامهاتهم تمشي على الارض يجوز لهُ ان يتبرم بالبوربول وان يستغني عن كل ما وهبتهُ اياها الطبيعة فراراً من هؤلاء الاطفال

فنادق البلدة عديدة مهما تتنقل من واحد الى آخر لا تستطع الفرار من هؤلاء الاطفال .ان دخلت الردهة عثرت بطفل بين رجليك وآخر امامك او جلست تقرأ اخذ صراخهم بحواسك الخمس فافقدك الصواب او قعدت لتأكل جاز لهم ان يقذفوا الكرة لاعبين في غرفة الطعام وعلى مائدتهِ .اما النوم فحرام عليك الا في الهزيع الرابع من الليل

فان تفهم هؤلاء الاولاد فلست بفاهم امهاتهم وآباءهم . فالولد عزيز على ابيهِ حبيب الى قلب امهِ . عويلهُ موسيقى لاذانهما ولعبهُ تسلية لهمومهما . انما ما ذنب الرجال العازبين ؟ ما ذنبهم في كل هذا واي جرم اقترفوهُ حتى يقذفهم الآباء بلطف ابنائهم وصحة ابنائهم وخفة ابنائهم وظرف ابنائهم ونبوغ ابنائهم

قال صاحبنا المصري يوماً لصحبهِ وقد بلغت منهُ الروح التراقي هل تعرفون حكاية كاتبكم الانكليزي تشارلس لامب . قالوا هاتها . قال كان هذا الكاتب المشهور عزباً وحدث انهُ دعي ذات يوم الى العشاء الى بيت صديق لهُ ذي اولاد يلعبون ويمرحون وبيناهم جلوس الى الطعام بادرتهُ ربة الدار سائلة انك تحب الاولاد يا مستر لامب .الا تحبهم وكيف تحبهم ؟

اجابها مسلوقين ايتها السيدة مسلوقين !

فوالله لو بعث الآن وجيء بهِ الى البوربول لاحبهم مسلوقين ومقليين ومشويين

فان كان حقاً ان ملكوت السموات لمثل هؤلاء الصغار فحق ايضاً ان البوربول لهم وليست هذه ولا تلك لامثالي

الجميع — صارخين في وجهه — يا لك من قاسٍ عاتٍ

السيدتان — هذا دليل على انك لم تتزوج وانك في اشد حالات الحاجة الى الزواج فيحنو قلبك ويرق طبعك

الرجلان — زوجوه . زوجوه . قصاصاً لهُ على ما يقول

ولم يطل المقام باصحابنا في البوربول فان الاربعة الذين عابوا على المصري قسوته على الاطفال لم يكونوا اشد منهُ احتمالاً للمصيبة فتركوا البلد وفي القلب غصة اذ ليس بالسهل على المرء ان يفارق بلداً حوى كل ما تشتهي النفس الا محاسن الصغار وقفلوا راجعين الى فيشي فباتوا فيها ليلتهم ثم شدُّوا الرحال الى « ليون » ومنها الى « اكس لابان » فمكثوا يوماً وبعض يوم ثم قصدوا الى اعالي جبال سافواي الى بلدة تدعى « شاموني » Chamonix

***

وكأن النكتة التي رواها عن الاطفال في البوربول فكّت عقدة لسان صاحبنا المصري وشجعتهُ فزال عنهُ الكثير من حيائه فجلس في مقعد من السيارة لينظر ما ارتفع من الجبال حول شاموني ويشير الى « الجبل الابيض » ويقول . ما هذه الجبال بل ما هذا الجمال او بماذا تشبهون هذا الجبل ايها الرفاق ؟

الافرنسي — اموعظة منك على الجبل انت الآخر ؟

المصري — لا . ولكن بماذا اشبه هذا الجبل وبماذا ينبغي ان يشبَّه ؟ كيف اصف ما في الجبال من عظمة ومن وقار ومن جمال يبدو لك وانت بعيد عنهُ فيملأ خيالك اعجاباً ويصور لك البعدُ الفنيّ ممثلاً فيهِ . فاذا ما اقتربت منهُ ودخلت حراجهُ او تسلقت صخورهُ وتطلعت باشجارهِ وتفرست ذلك الجمال وتلك العظمة رأيتهما يذوبان رويداً رويداً واذا ما حسبتهُ جمالا قد صار تحت قدميك فبدا لك القريب الذي كان بعيداً وبانت معايبهُ . فالشجرة قد اعتراها اليبس والصخر تفتت تراباً والارض منها المرتفع ومنها المنخفض شأنها في كل طرقك على غير الجبال

فتبعد عن الجبل وقد ازدريتهُ ثم تبدو منك التفاتة الى الوراء فيعود اليك جماله ويرجع فيأخذ عليك حواسك عظمة ووقاراً

انهُ اشبه الاشياء بالنابغة العبقري

تقرأُ الشعر الخالد فتبني للشاعر قصراً شامخاً يكاد يمسُّ عرش الآلهة فاذا قربت

منهُ وخبرتهُ أو قرأتهُ ودرست حياتهُ رأيتهُ بشراً مثلك له كل عيوبك وقد لا يكون لهُ كل فضلك

وتسمع بالقادة الزعماء الذين استهووا الجماهير فساقوهم الى الثورة أو الى الحرب او الى الاصلاح فيصور لك البعد اعمالهم كمالاً واقوالهم احكاماً وتبرز لك اشخاصهم متقنة الصنعة من أبدع ما اتقن الخيال. ثم تقرب منهم وتتاح لك عشرتهم أو تقرأ سيرهم الشخصية فاذا انت امام رجل يحب ويكره ويغضب ويرضى ويطمع ويزهد بل يسفل حيث يعلو سواهُ فتعود وانت تظن انهُ لا يستحق ما اعددت لهُ من قصور أو انك انتَ تستحق ما كنت قداعددتهُ لهُ. ذلك لان نظام الطبيعة في الاشياء والاشخاص يأبى الوحدة — ماذا اقول بل يأبى التناسق

فالطبيعة تكره الكمال ولا تسعى اليهِ رغم ما يقولهُ لنا علماء الاخلاق. بل هي تجمع كل ما تناقض في واحد. فحيث الذكر هناك الانثى وحيث السرور هناك الغم وحيث العلو هناك الهبوط وحيث الجمال هناك القبح

تلك الزهرة جميل لونها فائح عطرها قائمة على سفح الوادي تنعشها الشمس ويحييها المطر لا تلبث ان ينهار عليها صخر من عل فاذا بها اثر بعد عين

لكل شيء في الطبيعة ندٌّ يقاومهُ ولكل شيء في الانسانية ثمن

اذا طمعت بالثروة فسعيت لها وأجهدت نفسك فاحرزتها تفقر غيرك بل تفقر نفسك في أمور أخرى. قد يتاح لك متاع المال ولكنك قد تحرم متاع الحب الطاهر أو الفكر النير أو الرحمة تبذلها للغير. او افعل الشر تنل جزاءك من عملك بالذات وترَ الخير قد برز في ناحية اخرى من نواحي ما عملت

بل عقابك على عملك أو ثوابك عليهِ آت في دنياك كرهت أو رضيت. ولا تقس هذا العقاب أو ذلك الثواب على مقياس عقلك فانك تضلُّ السبيل فعملك ابن عاطفتك ووليد رغبتك لم يُتَح لهُ بعد ان يستقلَّ عنهما. فالقوانين التي تعاقب السارق على سرقة من السرقات بالحبس سنة واحدة وآخر على سرقة أخرى بالحبس سنتين -- هل أصابت ووزعت العدل بالسواء؟ ألم تحرم الطبيعة السارق لذة الحياة المطمئنة ولذة العمل ولذة الكسب منهُ — دع عنك ما حرمه منهُ القانون. فالطبيعة تكره الكمال ولا ترضى عن عظمة تقوم الا البستها نقصاً. فكأنَّ الانبياء اتخذوا من درسها صورة للخلود وللحياة الاخرى وما وصفوا فيهما من ميزان عادل يوزع الامر بين الناس بالقسطاس

لا . انما تجزى كل نفس بما صنعت وكل شيء بما هو ليس في الآخرة فحسب بل في هذه الدنيا ايضاً

فناموس المقاصة يوزع على الناس وعلى الاشياء اقساطهم في حياتهم بله ما بعد المات صعود وهبوط . غناء وفقر . موت وحياة . عذاب وسرور . هذه هي الطبيعة بل هذه هي الحياة

أمور تناقضت واجتمعت في شخص فسموه عقلاً وعواطف وسموه الانسان واجتمعت في شيء فسموه جبالاً وبحاراً وبرداً وحراً وموتاً وحياة وسموه الطبيعة

***

وما اشبه النابغة بالجبل او اشبه الجبل بالنابغة في ان كلاًّ منهما يحتوي كل ماحوله فليس الرجل بالعبقري النابه ان لم يضمَّ في برديه كل آمال جيله وامانيه وكل ماضي جيله وتقاليده وكل مطمح لجيله وكل مثال عال

تقرأ النابغة فترى انهُ ترجم فكرك وقال ما هممت انت بقوله فلذا سارت اقواله مضرب الامثال . فليس النابغة من يقول الشعر فلا تدرك ما يقول او يكتب فلا يعبر عن فرحك وحزنك وعن املك وعن شعورك . لا . انما النابغة من أخذ أبسط الامور في الحياة فحاكها رأياً جامعاً في ثوب لا يبلى او تناول اقرب الاشياء الى النفس فنطق بها فكراً حيًّا يعيش ابد الدهر

كذلك الجبل المظيم الفخم الجميل . انظر اليهِ . ألم يحو الصخور الكبير منها والمتحطم والاشجار الشامخ منها والضارب رأسهُ في الارض . انهُ جمع الوحدات وضمَّها كلها ضمة واحدة فتكاد تخاله مستقلاً عما حوى اذ يبهرك بوقار عظمتهِ وما هو الا هذه الحجارة وهذا النبات اتخذوا شكلهُ قالباً رفيع الشأن

السيدة اللبنانية — تنظر الى المصري نظرة اعجاب فلا تبدي ولا تعيد

السيدة الانكليزية — لقد هبط عليك الوحي . اقبل تهنئتي

الانكليزي — اذا كنت قد شعرت بشيء من البرد فخذ هذه الكاس من الوسكي

الافرنسي — حقًّا انك احسنت التعبير . ان خيال الصحراء يتبعك في اعالي الجبال فهنيئاً لك

المصري — لا هذا ولا ذاك . ولكنني امام جمال الطبيعة وفي وسط قوم كرام

سامي الجريديني

لماذا ينخدع العلماء

باعمال الوسطاء الخادعين

فصل موجز من كتاب «رسائل الارواح» الذي نشرته ادارة المقتطف في اواسط الشهر الماضي وهو يشتمل على احدث المباحث في مناجاة الارواح وانتقال الافكار وتعليل الاحلام والشفاء بالاستهواء وما الى ذلك من المباحث الخطيرة

اهتمَّ جمهور كبير من القرَّاء بما كتبناهُ عن الفتاة التي تدَّعي انها تعود الى ما كانتهُ قبلما وُلِدَت. فكثرت علينا مسائلهم واكثرهم يحسب ان التعليل الذي عللنا بهِ ما ادعتهُ لا يكفي لتعليلهِ كلهِ. وهذا صحيح فان ذلك التعليل لا يكفي لتفسير كل دعاويها اذا كانت صادقة في كل ما ادعتهُ وكان الذين رأوها وكتبوا عنها صادقين في قولهم وغير مخدوعين في احكامهم. لكن ذلك كلهُ بعيد عن التصديق وانخداع الناس بما يرونهُ ويسمعونهُ اكثر كثيراً ممَّا يُظَن لاول وهلة وقد اتفق مراراً ان شاهدنا بعض المدَّعين مناجاة الارواح نحن وجماعة من الادباء تخيَّل اليهم انهم رأوا وسمعوا ما لم نرَهُ نحن ولا سمعناه. وزاد الفرق بيننا وبينهم حينما تكلَّم كلٌّ منا عمَّا رآهُ وسمعهُ فان الوهم صوَّر لهم الامور على غير حقيقتها حتى صرنا نرتاب في كل ما نسمعهُ عن غرائب التنويم ومناجاة الارواح

وهذا يفسّر لنا ما اجمع عليهِ جمهور من جلّة علماء العصر الذين يشار اليهم بالبنان فانهم يقولون ان الحوادث المنسوبة الى مناجاة الارواح بعضها حقيقي لا شبهة فيهِ وهو ليس من تصورات الذهن ولا من اوهام المخيلة بل امر واقعي لا شبهة فيهِ يقوى على الامتحان العلمي فيثبت ثبوت كل المدركات. وهم مخلصون في قولهم مقرون ما يعتقدون صحتهُ تمام الاعتقاد ولكن اعتقادهم صحتهُ لا يوجب كونهُ صحيحاً لان انخداع الناس اكثر كثيراً ممَّا يُظَن

وقد تطرف الدكتور الفرد ولس فقال ان الغرائب التي نُسبت قديماً الى مناجاة الارواح وكذَّبها جمهور العلماء ثبتت صحتها الآن لانهُ وقع لدى علماء هذا العصر ما يماثلها تماماً

وقول ولس هذا حمل البعض على استخدام مناجاة الارواح في تحقيق بعض الجرائم التي وقعت حديثاً في البلاد الانكليزية فقد وجدت جثة فتاة ملقاة في سرب من اسراب سكة الحديد ولم يهتدِ رجال الحفظ الى قاتلها ولا الى سبب قتلها فلجأ بعضهم الى اشهر المدعين مناجاة الارواح لاكتشاف القاتل فصوَّروهُ على صور مختلفة ضلّت بها الافهام ولم تأتِ

بطائل كما يفعل اصحاب الرمل والمندل عندنا يقولون لك اموراً مبهمة تعلّق بها المعنى الذي يسبق اليهِ وهمك وكلها تدجيل في تدجيل واصحابها خادعون او مخدوعون

ويدَّعي الذين يعتقدون صحَّة ما يقال عن ظهور الارواح ان ظهورها ومناجاتها من الادلة القاطعة على خلود النفس ووجود عالم الارواح ويتَّهمون من يخالفهم بانهُ منكر لوجود النفس جاحد للحقائق الدينية فيقف ضعيف العزيمة وقفة الريب والخوف منهم ولاسيما بعد ان يرى بين المصدقين بمناجاة الارواح جماعة من اهل الفضل والنبل لكنهُ اذا انعم نظارهُ قليلاً في دعاويهم رأى ما يكفي لنقضها

فاولاً يرى ان الذين كانوا يهتمون اشد الاهتمام بجلاءِ هذا الامر الغامض واثبات مناجاة الارواح ثم ماتوا لم تحاول روح احد منهم ان تتجلى لاحد من المنكرين وتقنعهُ بوجودها . فان كانت روح الميت تبقى في هذه الدنيا حول الاحياء تناجيهم وتؤثر فيهم تسمع كلامهم وتجيب طلبهم فعلامَ لا تفعل اهم شيء يزول بهِ الاشكال وتنجلي بهِ الحقيقة وهو ان تقول للاحياء انا روح العالم فلان جئتكم لاثبت لكم ما كنت انكرهُ

وثانياً ان اشهر الذين كانوا يدَّعون مناجاة الارواح اعترفوا اخيراً انهم كانوا يستعملون الحيل لخداع الناس فالفتاتان المعروفتان باسم مرغريت فوكس وكاتي فوكس تزوجتا بعد ان خدعتا كثيرين وبيَّنتا كيف كانتا تخدعان الناس بتحريك اصابع ارجلهما فيصدر من تحريكها نقر تدَّعيان انهُ نقر الارواح اجابةً لسؤال السائلين . والدكتور سلايد الذي خدع الناس زماناً طويلاً بادعائهِ انهُ يأمر الارواح فتكتب على الالواح الحجرية اجوبة المسائل التي تُسألها عادة فبيَّن كيف كان يفعل ذلك . وقبل هذا بحثت لجنة من كبار العلماءِ في افعالهِ فاهتدت الى وجه الحيلة فيها

ثالثاً ان الارواح التي يزعم مستحضروها انها ارواح الموتى لا تفعل الاَّ اسخف الاعمال واحقرها فلا تكتشف سرًّا في كشفهِ فائدة لاحد ولا تنبئ بامر من الانباء بهِ نفع ما مع ان مستحضريها يدَّعون انها تفعل ما هو اغرب من ذلك . وان كانت الارواح ترى ما لا يرى وتقرأ ما في الافكار فعلامَ لا يستخدمها رجال السياسة في كشف الغوامض السياسية ورجال القضاء في تحقيق الجنايات بدلاً من ان تقتصر افعالها على الالاعيب الصبيانية التي لا يجني احد منها نفعاً

رابعاً ان الذين يصدقون بمناجاة الارواح ويمارسون ذلك تضعف قواهم العصبية رويداً رويداً وينتهي امرهم الى الجنون وهذا امر معلوم يدل على ان اعصابهم كانت ضعيفة

من اصلها او مائلة الى الضعف ومن كانت اعصابه كذلك لا يركن الى احكامه وتصوراته الا ان الذين يدّعون مناجاة الارواح لا ينفكون عن الاتجار ببضاعتهم الرابحة لاسيما وان الذين ينخدعون بهم اكثر كثيراً من الذين يستطيعون كشف خداعهم ولا غرابة في ذلك فان كشف الخداع يقتضي علماً وخبرةً ومهارة غير عادية . الا ان المشعوذ يقف امام الناظرين ويقول لهم صريحاً ان اعماله كلها تتم بالخفة والمهارة لا سحر فيها ولا شيء يفوق الطبيعة ومع ذلك لا يدرك كيفيتها واحد من عشرة من الذين يرونها فلو ادعى انه ساحر يعمل اعماله بقوة سحرية او روحية لصدقه كثيرون من الذين يرونها

قال الدكتور فورنس وهو من اشهر الذين تصدّوا للبحث عن حقيقة مناجاة الارواح « لقد رأيت رجالاً يمسكون بنسائهم المتوفيات وقد ظهرن لهم باجسادهنَّ وآباء يمسكون بابنائهم المتوفين وقد ظهروا بالجسد ايضاً وارامل يبكين ويتحن بين ايدي ازواجهم المتوفين وكنت اناجي نفسي قائلاً أأُصبت بالعمى حتى لا ارى ما يراه غيري فان الذي اراه امامي انما هو الشخص المدعي اظهار الارواح لا غيره ومع ذلك ينظر اليه رجل ماتت زوجته ويحسب انه يراها امامه بعينها ثم يخرج وتأتي بعده امرأة مات زوجها فتحسب انها تراه امامها ثم رجل مات ابوه فيحسب انه يراه امامه والشخص واحد لم يتغيَّر فهل قوة الإبصار ضعيفة جداً في هؤلاء الناس او ان الشخص الذي يدعي استحضار الارواح يستهويهم فيفقدون قوة التمييز او ليس في الامر سرٌ سوى ان النور ضئيل والليل ستَّار فيخفي الحقائق »

وقد رأينا بعض اعمال المنوّمين ومستحضري الارواح ورأينا وجه الحيلة في كثير منها ولم نرَ فيها شيئاً غريباً . ولكن اكثر الذين رأوها معنا استغربوها كلَّ الاستغراب ولم يصدّقوا الا انها من الخوارق او مما لا يمكن تعليله . واغرب من ذلك انخداع الاذن بالاصوات فقد كنا نسمع كلمة مبهمة لا نفقه لها معنىً ويسمعها غيرنا واضحةً تنطبق على ما ينتظره او ما قام في ذهنه

ثم ان مدعي استحضار الارواح مشعوذون كلهم ماهرون في تحويل انتباه الذين امامهم عن الامور الجوهريَّة في حيلهم الى ما لا علاقة له بها والمكان والزمان لا يصلحان للبحث والتنقيب فيتعذر على الرائي ان يكتشف الحيَل لا سيما وهو غير معتاد ذلك ولا متمرّن فيه

وزد على ذلك ان اكثر الناس تعودوا تصديق بعضهم بعضاً والاركان الى ما يرونه ويسمعونه كأنه حقائق لا شبهة فيها فيعسر عليهم اكتشاف الحيل وانكار ما تراه عيونهم وتسمعه آذانهم ولو كان كله اوهاماً في اوهام

جراح المحبة

لاوسكار وايلد

ولد اوسكار وايلد في دبلن سنة ١٨٥٤ من أبوين كانا على جانب عظيم من رفعة الشأن . واشتهرت أمّهُ اللادي وايلد بالقصص الارلندية التي كتبتها وطبعت في عدة مجلّدات . تخرّج اوسكار في كلية دبلن وأكمل تحصيل العلوم العالية في جامعة اكسفورد . وكان شاعراً مجيداً وكاتباً بليغاً . فأعجب القرّاء بمطالعة قصائده التي طُبعت في ديوانهِ سنة ١٨٨١ . ومال بعد ذلك الى تأليف الروايات التمثيلية وكتابة المقالات الادبية والقصص والاقاصيص . فاجاد فيها كلّها إجادة اذاعت صيتهُ بين جميع قرّاء اللغة الانكليزية . ومن اقاصيصهِ « جراح المحبة » الآتية وعنوانها في الاصل « الجبّار المستأثر » اي المحبّ لنفسهِ :

القصة

اعتاد الاولاد ، كل يوم بعد الظهر في اثناء رجوعهم من المدرسة ، ان يذهبوا الى حديقة الجبّار حيث يطيب لهم اللهو واللعب

وكانت هذه الحديقة روضةً فيحاء غنّاء حافلةً بكل ما يُقرّ النواظر ويسرّ الخواطر . وقد فُرشت ارضها ببساط عشب شديد الخضرة والنضرة مرصّع بجواهر الازهار والرياحين على اختلاف انواعها والوانها . وبين ادواحها الوارفة الظلال والطيّبة الثمار اثنتا عشرة شجرة دُرّاق [خوخ] تلبس في الربيع مطرف زهر انيق بديع وتخرج في الخريف ثمراً حلواً لذيذاً . ومما زاد هذه الحديقة حسناً وجمالاً أنّ الطيور ألفت اشجارها فكانت لا تبرح مقيمةً فيها تتبارى في الشدو والتغريد والغصون تحتها تتمايل مصفقةً لها والاولاد يشنّفون آذانهم بسماع تغاريدها ويطفرون من شدة الطرب ويرقصون ويقولون بعضهم لبعض « ما اشدّ ابتهاجنا وسرورنا في هذا المكان »

وكان الجبار صاحب الحديقة والقصر المجاور لها مسافراً لطيّة بعيدة . وفي غيابهِ هذه المدة الطويلة خلا للاولاد جوّ التنزّه في الحديقة فكانوا يأتونها عصر كل يوم ويسرحون فيها ويمرحون ويغنمون ما شاؤوا من طيب النفوس وقرّة العيون . ولما

عاد من طيّته نظر فرأى الاولاد يلعبون في الحديقة. فاستشاط غيظاً وصاح بهم صيحة السخط قائلاً لهم: — «ماذا تفعلون هنا؟». ولما سمع الاولاد صوتهُ الاجشّ يهدر كالرعد القاصف ولّوا الادبار وركنوا الى الفرار هائمين مذعورين. وشفع انتهاره لهم بالبلاغ الآتي: «ان هذه الحديقة حديقتي. وتلك حقيقة لا يصعب فهمها على أحد. وليس لإنسان غيري ان يجوس خلالها ويتملى حسنها وجمالها»

وما ابطأ ان بنى حولها سوراً عالياً وكتب على بابها هذا الانذار: — «من يحاول دخول هذه الحديقة يستهدف لاشدّ عقاب. ولقد أعذر من أنذر». وكان هذا المارد الجبار مثلاً مضروباً في شدة الاستئثار. لا يحبّ غير نفسهِ ولا يشعر باقل شيءٍ من العطف على احد من ابناء جنسهِ

وبعملهِ هذا أصبح أولئك الاولاد محرومين لذة التمتع باللهو واللعب. فقد حاولوا ان يلعبوا على قارعة الطريق ولكن حال دون بغيتهم هذه ما لقوهُ في الطريق من تراكم الغبار وكثرة الحجارة وشدة الوعوثة. فكانوا كل يوم بعد خروجهم من المدرسة يمرّون بالحديقة ويطوفون حول سورها الرفيع ويذكرون عهد تمتعهم باللعب فيها بالشوق والحنين بل بالتنهد والانين، قائلين بعضهم لبعض «ما كان أسعدنا في ذلك الحين!»

وانقضى فصل الشتاء وبدت تباشير الربيع في البلاد كلها بزقزقة الاطيار وظهور اوراق الاشجار وابتسام ثغور الازهار. ما عدا حديقة العملاق الطاغية فانّ الشتاء ظلّ فيها شديد الوطأة وراسخ القدم لم تهشّ الطيور الى التغريد فيها لان الاولاد ليسوا هناك. وعرا اشجارها فتور وخمول فما ازهرت ولا اورقت. واتفق ان زهرة جميلة أخرجت رأسها من كمها ولما رأت الانذار رقّت لحالة الاولاد وما لبثت ان عادت الى القبوع في كمّها مستأنفة نومها الشتائي. واخذ السرور كلّ مأخذ من الثلج والصقيع فطابا نفساً بما كان وهتفا من شدة الابتهاج قائلين «نسي الربيع هذه الحديقة او تناساها وسنبقى فيها راتعين على مدار السنة». وفرش الثلج بساطهُ الكثيف الابيض على الكلاءِ فغطاهُ ونثر الجمدُ حبّاتهِ الفضية على اغصان الاشجار. ودعوا ريح الشمال الصرصر فلبّت دعوتهما وهبّت هبوباً عنيفاً أناخ على الحديقة بكلاكل القرّ والزمهرير ثم اهابت بالبرَد فظل ثلثة ايام متوالية يصبّ انصباباً غزيراً على سطح القصر وجدرانهِ حتى حطم زجاج نوافذهِ وشرفاتهِ وطاف حول الحديقة يُباري ريح الشمال في العبث والإفساد وتحميل الجبّار ما لا يطاق من صنوف الإعنات والإرهاق

وطال عليهِ الانتظار من يوم الى يوم وهو يعلّل نفسهُ بقدوم فصل الربيع والتخلّص من صبارّة البَرْد وقرس الزمهرير حتى عيل صبرهُ او كاد فوقف في نافذة احدى الغرف واطلّ على الحديقة فرآها تُقاسي الامرّين من شدّة فتك الثلج والصقيع والريح الصرصر والبَرد فقال : — « لا أدري لماذا ابطأ الربيع هذه السنة ؟ ولا بدَّ من مجيئهِ عن قريب . فصبراً يا حديقتي صبراً انَّ بعد العسر يسراً »

ولكن الربيع لم يزر حديقتهُ قط . وهذا الصيف حذوهُ فصدّ عنها معرضاً. وخلع الخريف على كل حديقةٍ حلل الثمار العسجدية ولم يستثنِ من هذا الإنعام الا حديقة الجبَّار قائلاً « انهُ شديد الاثرة والجشع ». فلم يبرح الشتاء مخيّماً عليها وظلّت مسرحاً وملعباً للبَرْد والرياح والثلج والجمد

وفي صباح يوم حدث ان الجبار ، وهو باقٍ مضطجعاً في سريرهِ، سمع ايقاعاً رخيماً جميلاً . فشاقهُ هذا الصوت العذب المطرب وظنَّ ان فرقة الموسيقى الملكية مجتازة من ناحية الحديقة . ولم يكن ذلك الصوت سوى زقزقة عصفور خارج النافذة . ولكنهُ إذ كان قد مضى عليهِ وقت طويل لم يسمع فيهِ طائراً يغرّد في حديقتهِ عدَّ الزقزقة التي طرقت اذنيهِ اجمل ايقاع موسيقي في العالم. وعندئذٍ انقطع تهطال البَرَد وسكن هبوب الريح وعبق القصر برائحةٍ طيّبة النشر . فنهض الجبار من فورهِ واطلّ من النافذة وهو يقول : — « لا بدَّ ان يكون الربيع قد جاء »

فماذا رأى ؟

رأى اغرب منظر لم يخطر قط ببالهِ ولا ببال احدٍ من الناس . فان الاولاد كانوا لشدة شوقهم الى دخول الحديقة قد استخفوا بالوعيد والتهديد وفتقت لهم الحيلة بان عالجوا اضعف موضع في السور حتى نقبوهُ وانسلوا الى الحديقة وتفرقوا تحت اشجارها ولم يقع نظرهُ على شجرةٍ الاَّ رأى ولداً متفيئاً في ظلالها . ومما زادهُ دهشة انهُ شاهد الادواح كلها حانيةً على الاولاد « حنوَّ المرضعات على الفطيم » ولم تلبث ان اخرجت ازهارها من الاكمام فبدت طيباً للنفس وقرة للنظر ومدت اغصانها الميلاء لاحتضان ملائكةٍ في صورة بشر ! وتسابقت أسراب الطيور من كل صوب وجلست على الاغصان المتدلاة فوق رؤوس الاولاد وامعنت في الشدو والانشاد باصوات تطرب الجماد وعمَّ الربيع جهات الحديقة الاَّ زاوية منها ظلَّ الشتاء مخيماً عليها . وفي هذه الزاوية القصوى وقف ولد صغير لم يستطع لشدة قصرهِ ان يصل بيديهِ الى اغصان الشجرة فوقهُ . فكان

يروح ويجيء موغلاً في العويل والبكاء والشجرة نفسها مغشاة بالثلج والصقيع وريح الشمال تهب فوقها هبوباً شديداً . ثم حنت الشجرة اغصانها وقالت له باطف لهجة وارق نغمة : « هيّا هيّا ايها الولد الصغير تسلق الاغصان واصعد اليّ » فمدّ يديه متطاولاً ومحاولاً بلوغ الاغصان المتدلاة فوقه فاعياه ذلك

رأى الجبار هذا كله فذاب قلبه اسىً والتياعاً . وقال « لله ما اعظم غباوتي وحماقتي واشدّ جشعي واستئثاري ! الآن علمت لماذا تعمد الربيع قطيعتي وصدّ عن قصري وحديقتي . واني لآسف اشدّ الاسف على غلاظتي وقساوة قلبي . وسأبدأ الآن بالتكفير عن ذنبي العظيم فأبادر الى رفع ذلك الولد الصغير المسكين الى ذروة الشجرة ثم اهدم سور الحديقة واجعلها الى الابد وقفاً مشاعاً على الاولاد يسرحون فيها ويلعبون ويغنمون ما شاؤوا من اسباب المسرة والابتهاج »

قال هذا وخفّ نازلاً الى الحديقة . فلما رآه الاولاد فرّوا مذعورين مرتاعين وعلى اثرهم ذهب الربيع وخلفه الشتاء ! ولم يبق منهم في الحديقة سوى ذلك الولد الصغير لأن عينيه كانتا مغرورقتين بالدموع فلم يرَ الجبّار عند دخوله . وكان قد جاءه يسترق الخطى . فاحتضنه برفق ولطف ورفعه الى الشجرة . ومن فورها أخرجت اوراقها وازهارها وجاءتها الطيور تغرّد على افنانها ومدّ الولد ذراعيه وطوّق بهما عنق الجبّار وقبّله . ولما رأى بقية الاولاد ما حدث وتيقنوا ان الجبّار ارعوى عن شره وطغيانه رجعوا الى الحديقة ورجع معهم الربيع بازهاره واطياره . فرحّب الجبّار بهم هاشاً باشاً وقال لهم : « هذه حديقتكم ايها الاولاد الاعزّاء . لا ينازعكم فيها احد من الآن فصاعداً ولكم ان تدخلوها وتلعبوا فيها متى شئتم على السعة والرحب » . ثم عمد الى فأس وأعملها في السور فدكّه الى أساسه . واجتاز الناس امام الحديقة فاستوقف انظارهم هذا التغيير المفاجئ الذي طرأ عليها اذ ابصروا سورها مهدوماً والجبار يروح ويجيء بين الاولاد وقد اباح لهم التمتع باجمل حديقة في العالم . فكانوا يقفون مبهوتين مدهوشين وقد أجمعوا كلهم على الإعجاب بما استوفته هذه الروضة الغناء من اسباب الحسن والرواء واتفق رأيهم على ان جمال منظر الاولاد الصغار فاق برونقه وبهائه كلّ ما ازدانت به من الاشجار والازهار والاطيار !!

واتفق ان ذلك اليوم كان عيد عطلة عند الاولاد فقضوه في الحديقة . وفي المساء ذهبوا الى الجبار يودعونه فسألهم : — « اين رفيقكم الولد الصغير الذي وضعته في

الشجرة ؟ فاني لا اراهُ معكم » .وكان الجبار قد احبَّهُ على الخصوص متأثراً من تقبيلهِ لهُ . فاجابوهُ قائلين انهم لا يعلمون اين يقيم ولم يروهُ من قبل . فاغتمَّ الجبار واعتراهُ التماج حبس لسانهُ عن الكلام

وكان الاولاد يأتون عصر كل يوم الى الحديقة حيث يوافيهم الجبار ويشاركهم في اللهو واللعب ولكنهُ لم يرَ بينهم الولد الصغير الذي احبهُ ومع اهتمامهِ بملاطفتهم كان فؤادهُ يصبو شوقاً الى صديقهِ الصغير ويقول في نفسهِ « ليت عيني تراهُ »

وتوالت السنون وطعن الجبار في السنّ وخارت قواهُ فاصبح غير قادر على مشاركة الاولاد في اللعب . فكان يجلس على كرسي كبير يراقبهم في العابهم ويعجب بجمال حديقتهِ ويقول : — « فيها كثير من الازهار والرياحين الجميلة المنظر والذكية الرائحة ولكن الاولاد اجمل ازهارها كلها »

وفي صباح يوم من ايام الشتاء استيقظ الجبّار وبعد ما لبس ثيابهُ وقف في النافذة واطلّ منها على الحديقة .وكانت افكارهُ الآن قد تغيرت من جهة الشتاء فعاد لا يشعر باقلّ بغض او كراهية لهُ لانهُ علم يقيناً أن الشتاء عبارة عن ربيع راقد في حضن الطبيعة والازاهير نائمة في مضاجع الراحة .ثم مسح عينيهِ بيدهِ مدهوشاً مبهوتاً وامعن في الشخوص والتفرّس لانهُ لاح لهُ منظر عجيب غريب. ففي زاوية الحديقة القصوى شاهد شجرة مزدانة بازهار ناصعة البياض فائقة البهاء ومن افنانها المسجدية تتدلى ثمار لجينيَّة والولد الصغير الذي احبهُ راتع تحتها فطار اليهِ محمولاً على اجنحة الشوق . وباسرع من لمح البصر اجتاز الحديقة حتى دنا منهُ . ولما نظر اليهِ اخذتهُ سورة الحنق فصاح مزمجراً : — « من ذا الذي اقدم على اصابتك بهذه الجراح ؟ » لانهُ ابصر ندوباً [آثار جراح] في باطن كفّيهِ وقدميهِ وكرّر سؤالهُ لهُ قائلاً « من ذا الذي اقدم على اصابتك بهذه الجراح ؟ اخبرني باسمهِ لاروي غليل حسامي من دمهِ » فاجابهُ الولد :

« انها جراح المحبَّة ! »

فاخذت الجبّار رهبة شديدة وجثا امام الولد وسألهُ : « من انت ؟ »

فاجابهُ الولد باسماً : « لقد اذنت لي في ان العب في حديقتك . واليوم تصحبني الى حديقتي التي هي جنة النعيم »

وفي عصر ذلك اليوم جاء الاولاد الى الحديقة فوجدوا الجبار ملقى ميتاً تحت تلك الشجرة ومكفناً بالازهار البيضاء

ترجمة : اسعد خليل داغر

ما تريد أن تعرفهُ عن الحبشة

تتويج الرأس تفري ماكونين امبراطوراً

[كان تتويج الرأس تفري ماكونين نجاشياً للحبشة من الحوادث الكبرى في شهر اكتوبر الماضي . فرأى كاتب المقال الآتي ان يفصل علاقة مصر بالحبشة منذ ايام الفراعنة ثم دخول المسيحية الى بلاد الحبشة وسيطرة كنيسة الاقباط المصرية على الكنيسة الحبشية . وعناية النجاشي بالمهاجرين المسلمين ورد اذى المخالفين عنهم.وتوثيق عرى الود بين الحكومتين المصرية والحبشية. واخيراً فصل تاريخ الحبشة الحديثة من ايام الامبراطور تواضروس حتى بلوغ النجاشي تفري عرش الحبشة]

ما هي الحبشة ؟

الحبشة هي المملكة الافريقية الوحدة التي لا تزال حافظة كيانها واستقلالها التام . فلا حماية ولا وصاية ولا انتداب ولا اشراف ولا غير ذلك من انواع السيطرة الاوربية المبسوطة على افريقيا من شمالها الى جنوبها ومن شرقها الى غربها

تبلغ مساحتها ٣٥٠ الف ميل مربع . وعدد سكانها عشرة ملايين.وسكان العاصمة (اديس ابابا) ٧٠ الفاً وجيشها العامل ١٠٠ الف . وتقدر وارداتها التجارية بمبلغ ١١٠ آلاف جنيه وصادراتها بمبلغ ١٧ الفاً

وقد انضمت الى جمعية الامم في ٢٨ سبتمبر سنـة ١٩٢٦ بعد ان قبلت برنامج الجمعية وكل تعهدات الدول ومنها مقاومة تجارة الرقيق التي يقال انها لا تزال منتشرة في اكثر مقاطعات الحبشة

بين مصر والحبشة قديماً

لمصر علاقة بالحبشة قديمة ترجع الى ايام العائلة الفرعونية الثانية عشرة اذ وصلت الجنود المصرية الى سفوح الحبشة واخذت في غزو المدن وسلبها ونهبها . وفي عهد العائلة الثالثة عشرة تغلغل الجنود المصريون في البلاد الحبشية واستولوا عليها فاصبحت ايالة مصرية يولى عليها ابناء الفراعنة ويعمل الجند والموظفون المصريون فيها لنشر دينهم ولغتهم وأدبهم وخلفوا هناك آثاراً كثيرة من الهياكل والمسلات وغيرها . وبقيت الحبشة تابعة لمصر حتى سنة ٩٣٠ قبل الميلاد المسيحي

وانقلبت الآية بعدئذٍ اذ هاجم بيونكي ميامون صاحب الحبشة البلاد المصرية بين سنتي ٧٤٠ و ٧٣٠ قبل الميلاد المسيحي وفتح معظم اقاليمها وتبعهُ خليفتهُ ساباسون فوصل بجنوده في مصر الى ساحل البحر الابيض المتوسط وبقوا في مصر حتى اخرجهم منها اسور بانيال الاشوري سنة ٦٦٣ قبل الميلاد . ثم عاد الحبشان فجددوا حملتهم على مصر في ايام البطالسة واستولوا على التخوم الجنوبية

الحبشة المسيحية

اختلف مؤرخو الكنيسة في حقيقة دخول المسيحية الى بلاد الحبشة . فروى بعضهم ان القديس مرقس الكاروز الافريقي بشَّرها بها . وقال آخرون ان بشيرهم هو متى الرسول وانهُ ترك انجيله عندهم . وبقي هنالك الى ان احضره الى مصر بنتينوس استاذ مدرسة اللاهوت بالاسكندرية

ولكن المتفق عليهِ هو ان الحبشة ظلت بعيدة عن المسيحية حتى القرن الرابع عشر اذ بشرها بها فرمونتيوس ، وهو شاب من اهالي مدينة صور ، خرج مع اخيهِ ايدوس وعمه ميريوس في رحلة بالبحر الاحمر . فهاجمهم جماعة من القرصان عند شواطئ بلاد الحبشة وقتلوا العم ميريوس ورجال سفينتهِ وابقوا على الشابين فرمونتيوس وايدوس واوصلوهما الى دار الملك فلبثا في خدمته زمناً . ثم استأذنا في العودة الى بلادهم فاذن لهما ومرا بمصر . ومثلا بين يدي البطريرك اثناسيوس الاول وقصَّا عليهِ قصتهما وقالا لهُ ان في الحبشة مجالاً لنشر المسيحية وتعطشاً لسماع كلمة الانجيل المقدس . فاصغى الى اقوالهم ورسم فرمونتيوس مطراناً على الحبشة وجهزهُ بكل ما يلزمه للتبشير

ولما عقد مجمع نيقية في القرن الخامس كان من قراراتهِ « انه لا يجوز لمسيحي الحبشة الاستقلال بامورهم . بل هم تابعون للكرسي الاسكندري ويعين بطريرك الاسكندرية اساقفتهم »

ولا تزال الحبشة منذ بشَّرها فرمونتيوس حتى اليوم تابعة للكنيسة القبطية متمسكة بعقيدتها الارثوذكسية . وعبثاً حاولت الكنائس والارساليات المسيحية من ارثوذكسية وكاثوليكية وانجيلية التفريق بين الاحباش والاقباط . فباءت بالفشل

وكان البطريرك كيرلس الرابع آخر بطريرك قبطي سافر الى الحبشة وقد رحل اليها مرتين الاولى للتوفيق بين الاسقف القبطي وقسوس الحبشة والثانية لمهمة سياسية انتدبهُ لها سعيد باشا والي مصر سنة ١٨٥٦

وآخر مطران قبطي لها كان الانبا متاوس الذي رسمه الانبا كيرلس الخامس (البطريرك السابق) في سنة ١٨٨١ وحضر الى مصر مرتين اولاها سنة ١٩٠٢ والثانية في سنة ١٩٢٤ وسافر في المرة الاولى الى الاستانة وبطرس برج (لننغراد) وقابل كلاً من جلالة السلطان عبد الحميد والقيصر نقولا الثاني

وكان النجاشي منليك قد طلب من البطريركية القبطية منذ عشرين سنة ونيف ان ترسل اليها بعثة من الشبان للتعليم في المدارس الحبشية فاجاب طلبه. ولكن هذه البعثة لم توفق في عملها فعاد بعضها واشتغل البعض بمهام اخرى في الحبشة غير التربية والتعليم

وتوفي الانبا متاوس منذ سنتين ولم يعيَّن خلف له بعد ولا يعلم متى يتم هذا التعيين (اولاً) للخلاف الواقع بين الاحباش والاقباط على ملكية دير السلطان بالقدس. وتمسك كل فريق منهما بدعواهُ. وقد مضى على هذه القضية زمن طويل وحضر الرأس تفري الى مصر للنظر في حلّ الاشكال ولكنهُ لم يفلح في قصده (ثانياً) يجنح فريق من الحبشان الى الانفصال عن الكنيسة القبطية. ويشترط البعض ان يكون المطران القبطي عالماً دينيًّا جديراً بالمنصب الكبير المعد لهُ. ولم يجد الاقباط في دياراتهم ولا بين شبانهم المتعلمين من يرسلونهُ لتولي هذه المهمة الخطيرة

ويقول بعضهم ان دولة كبيرة ذات مصلحة تلعب دوراً خفيًّا في هذه المشكلة

الحبشة والاسلام

وكان اصحمة نجاشي الحبشة اول ملك فتح بلادهُ للمسلمين ورحَّب بهم وكفاهم شر اعدائهم من مشركي قريش الذين كانوا يؤذون النبي (صلعم) واصحابهُ الكرام. فاذن النبي للصحابة بالهجرة الى الحبشة فبرحوا مكة في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة النبوية. واقاموا في حمى النجاشي آمنين مطمئنين حتى بلغهم إيمان قريش برسالة النبي فقرروا العودة الى اوطانهم. فلما قربوا من مكة علموا ان الخبر غير صحيح ولكنهم لم يجدوا بداً من الدخول الى مكة فاحتمى كل واحد منهم بكبير من اكابر قريش

وازداد اذى المشركين فاذن النبي (صلعم) لمن يريد الهجرة الى الحبشة فهاجر ١٣٢ شخصاً يتقدمهم جعفر بن ابي طالب ابن عم النبي وزوجتهُ اسماء. ثم لحق بهم فوج آخر مؤلف من ١٥٠ مهاجراً برياسة ابي موسى الاشعري فصادفتهم انواء القت بزورقهم الى الشاطىء الحبشي حيث التقوا باخوانهم المهاجرين

وارسل مشركو قريش وفداً الى نجاشي الحبشة تحت امرة عمرو بن العاص وعمارة ابن الوليد يحملون الهدايا لتحريضه على المهاجرين وطردهم بدعوى انهم اتوا الى الحبشة لايقاع الفتنة والفساد . فجمع النجاشي بين جماعتين من الفريقين وسمع اقوالهم . فبهرتهُ حجج المهاجرين . فاعاد الى المشركين هداياهم وقال لهم: ليس من العدل والمروءة ايذاء قوم لم نرَ منهم الاّ شرف النفوس . فعاد الوفد خائباً

ولكن المشركين اعادوا الكرة وارسلوا وفداً ثانياً بعد واقعة بدر يحملون الهدايا فردهم النجاشي اصحمة خائبين

وتبودلت الكتب والهدايا بين النبي والنجاشي . وجهز النجاشي سفناً حملت المهاجرين الى المدينة

وكان النبي قد ارسل في السنة التاسعة للهجرة هدية الى النجاشي اصحمة . فوصلت بعد موتهِ . ولما بلغ النبي نعيهُ جمع الصحابة وصلى عليهِ غائباً

ويقول الواقفون على دخائل الحبشة ان المسلمين فيها الآن يبلغون جزئين من عشرة اجزاء من السكان وان في يدهم تجارة البلاد وكثيراً من مرافقها الاقتصادية

وللحبشة في الازهر رواق يعرف باسم « رواق الجبرتية » وفيهِ تربى المؤرخ الشهير الشيخ عبد الرحمن الجبرتي (١٢٤٠ هـ) صاحب التاريخ المعروف باسمهِ ولا يزال حتى اليوم أفضل مرجع لتاريخ الحملة الفرنسوية على مصر . وقد عنيت الحكومة المصرية بترجمتهِ الى اللغة الفرنسوية

ولا يزال رواق الجبرتية حتى الآن غاصًا بالطلبة الاحباش وجيرانهم من سكان الساحل الشرقي بافريقيا . وكلهم معروفون بدماثة الاخلاق والتدين والجد في التحصيل

وبالنظر الى علاقة ايطاليا بالحبشة وما يجاورها يعنى سفير ايطاليا في مصر بامر اهل رواق الجبرتية فيزورهم ويعطف على فقرائهم ويشجع اذكياءهم بكل وسيلة

بين الحكومتين الحبشية والمصرية

وقد قامت اخيراً ضجة حول ما سموه مشروعات الاميركان في بحيرة تسانا الحبشية وعلاقة الري في مصر بهذه المشروعات وطال بحث الجرائد والكتاب في هذا الموضوع وكذبتهُ المصادر الحبشية . ثم سكت المتكلمون فيهِ على غير نتيجة

وشعرت الحكومة المصرية بحاجتها الى توثيق عرى الود بينها وبين الاحباش

فالفت وزارة المعارف بعثة من الاساتذة الاقباط للتعلم في المدارس الحبشية وقامت الحكومة المصرية بنفقاتهم

وصدق البرلمان المصري في دورتهِ الاخيرة على انشاء قنصلية مصرية في ادبس ابابا واختارت الحكومة الاستاذ انيس عازر افندي المدرس في مدرسة التجارة العليا قنصلاً لها ولكن اسباباً خاصة حالت دون سفرهِ فسبقهُ موظفو القنصلية . وفي تنقلات القناصل الاخيرة تقرر تعيين عازر افندي قنصلاً في اميركا والاستاذ موسى افندي السكرتير الاول لمفوضية مصر في برلين قنصلاً في الحبشة

وتبدي الحكومة المصرية رغبة صادقة في حل مشكلة دير السلطان القائمة بين الاقباط والاحباش وتمهيد السبيل لانتخاب مطرانٍ قبطي للحبشة حفظاً لسيطرة كنيسة مصر على الاحباش

الحبشة الحديثة — النجاشي ثيودروس

يبدأ تاريخ الحبشة الحديث سنة ١٨٥٠ ففي هذه السنة كان الاهالي منشقين بعضهم على بعضٍ منقسمين فئات . فنهض كاسا محافظ احدى مدن امحرا وقاتل الرأس عالي حاكم المملكة وظفر بهِ واستولى على قاعدة ملكه . ثم طفق يحارب هذا وذاك من حكام الولايات والمقاطعات حتى بسط ملكه على الحبشة كلها في سنة ١٨٥٢ . ثم غزا مملكتي التغرة وشوا ونودي بهِ امبراطوراً ونجاشياً (ملك الملوك) للحبشة في ١٢ فبراير سنة ١٨٥٥ باسم « النجاشي ثيودروس »

وناهضهُ قنصل الانكليز في الحبشة . واشتد الخلف بينهما فعمد ثيودروس الى اساءة النزلاء الاوربيين في بلاده فاتى بهم وفي مقدمتهم قنصل الانكليز والقاهم في السجون مكبلين بالحديد . فارسل الانكليز لمحاربتهِ جيشاً مؤلفاً من اربعة آلاف جندي انكليزي وثمانية آلاف جندي هندي وثمانية آلاف للخدمة و ٣٥ الف جواد و ٤٠ فيلاً لحمل المدافع

وتغلب الانكليز على ثيودروس بعد حرب قصيرة فاطلق النار على نفسهِ ومات قتيلاً في ١٣ ابريل سنة ١٨٦٨ وهو في الخمسين من عمره بعد ان ملك ٢٢ سنة منها ثلاث عشرة سنة نجاشيًا

يوحنا كاسا

وكان كاسا حاكم التغرة قد ساعد الانكليز وعاون جيشهم على محاربة ثيودروس . فلما تمّ لهم النصر مهدوا لحاكم التغرة سبيل الحكم على البلاد فحارب خصومهُ من ولاة

المقاطعات وانتصر عليهم وتوّج نجاشيًّا باسم «يوحنا كاسا» في سنة ١٨٧٢

وشهرت الحكومة المصرية الحرب على الحبشة في سنة ١٨٧٦ وجردت جيشاً كبيراً تحت امرة البرنس حسن باشا (ابن الخديو اسماعيل وشقيق جلالة الملك فؤاد) فتكبد عناء كبيراً وافنى الحبش معظم وحداته

ثم عقد الصلح بين الحبشة ومصر بواسطة الانبا كيرلس (بطريرك الاقباط السابق) بكتاب ارسلهُ الى النجاشي

وطلب النجاشي يوحنا كاسا من بطريرك الاقباط ان يعين للحبشة مطراناً وثلاثة من الاساقفة فاجاب طلبهُ . ووضع لذلك قانوناً خاصًّا ورسم هؤلاء الرؤساء الدينيين في ٨ يوليو سنة ١٨٨١

وهاجم مهدي السودان التخوم الحبشية فصدهُ النجاشي ودحرهُ وانتصر عليهِ

وبينما كان النجاشي يحتفل بدفن جماعة من جنودهِ البواسل الذين ابلوا بلاءً حسناً في محاربة المهدي انقضَّ عليهِ احد اعدائهِ وقتلهُ يوم ٩ ابريل سنة ١٨٨٩

النجاشي منليك

وانتهز منليك حاكم مقاطعة شوا فرصة موت يوحنا كاسا واضطراب الخواطر وتنازع الحكام فاعلن نفسه نجاشيًّا للحبشة ومسحهُ الانبا متاوس (مطران الاقباط السابق في الحبشة) بدهن المسحة المقدس في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨٩ وسأل البطريرك ان يباركهُ ويصلي لهُ

وهاجم الايطاليون مدينة كسلا في ١٧ يوليو سنة ١٨٩٤ وفتحوها وتقدموا الى البلاد الحبشية فاحتلوا ادجرات وميكاليه وانطالو وامبالاجي فانبرى لهم النجاشي منليك واجلاهم عن بلاده . وامضى الطرفان معاهدة صلح وسلام في ٨ مارس سنة ١٨٩٦ اعترفت فيها ايطاليا باستقلال الحبشة والغاء معاهدة اوتشيالي (التي كانت قد ابرمتها مع النجاشي منليك سنة ١٨٨٩)

النجاشي ياسو

واصيب النجاشي منليك بالفالج فقاومهُ سنوات ثم عاودهُ في سنة ١٩٠٩ ويقول بعضهم انهُ قضي عليهِ في هذه السنة فكتم الاحباش موتهُ ولم يعلنوهُ الاَّ بعد سنوات

ومهما يكن من امر هذه الرواية فقد نشرت جريدة « زارع الحبشة » الفرنسوية يوم ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٠٩ البيان الآتي :

« رأى جلالة الامبراطور منليك حسماً لما عساهُ ان يقع من الخصام والنزاع ، في مسألة من يخلفهُ على عرش المملكة الحبشية ، ان يقرر نهائيًا انتخاب حفيده الامير ياسو فبايعهُ الملك بنفسهِ ، بما لجلالتهِ من السلطة المطلقة ، امام رؤوس المملكة جميعهم ، معترفاً بانهُ خلفهُ الوحيد الشرعي ، وان لا شريك لجلالتهِ في مملكتهِ سواهُ

« وقد اصدر جلالتهُ الامر باعلان هذه المبايعة في انحاء المملكة كافة ، بعد ان سأل جميع الرؤوس ان يقسموا يمين الطاعة والامانة للمنتخب الجديد

« وعليهِ فمن الآن يلقب « اللدج ياسو » بلقب « آني ياسو »

« وهذا الامير في الثانية عشرة من عمره وسموه كما لا يخفى ابن الرأس ميخائيل حاكم مقاطعة والو من زوجتهِ المرحومة سوارجيا كريمة الامبراطور منليك

« وقد قضى النجاشي بهذا العمل على كل خصام بين افراد اسرتهِ . ولاسيما بعد ان اخذ على رعاياه تلك اليمين المقدسة التي لا تنقض

« وبناء على ارادة الامبراطور منليك قد عين الرأس تسما وصياً على الامير الصغير، ونائباً عن جلالتهِ ، الى ان يبلغ الامير سن الرشد » اه

وتليت وصية النجاشي منليك في الاداراش (ردهة الاستقبال بالسراي الملكية) واعلن المطران (الانبا متاوس) حرم كل من يتجاسر على مخالفة هذه الوصية

واعلنت وفاة النجاشي منليك رسميًا في سنة ١٩١٣ . وكان عمر النجاشي ياسو حين ذاك ١٦ سنة فقامت بمهام المملكة الامبراطورة طاطيو (زوجة منليك) والرأس تسما. ووُلّي الرأس ميخائيل (والد ياسو) الحكم على مدينة اديس ابابا (عاصمة الحبشة) ثم اعتزلت الامبراطورة طاطيو الحكم . وتوفي الرأس تسما فالقيت مقاليد الملك الى الرأس ميخائيل فاتى مع ابنهِ ياسو من الاعمال مالم يرض الاهالي والزعماء فعزلوا ياسو وحرمهُ المطران في سبتمبر سنة ١٩١٦ . وجهز والده جيشاً للاخذ بالثار فكسرهُ الاحباش واسروا الرأس ميخائيل . وبقي ياسو هائماً على وجهه متنقلا من مقاطعة الى اخرى حتى قبض عليهِ في سنة ١٩٢١

الامبراطورة زوديتو والجازماج تفري

وبعد ان خلع الاحباش النجاشي ياسو في سنة ١٩١٦ اعلنوا تولية الاميرة زوديتو ابنة النجاشي منليك امبراطورة على الحبشة واحتفلوا بتتويجها في كنيسة القديس

جرجس باديس ابابا يوم ١١ فبراير سنة ١٩١٧ وفي هذه الحفلة سمي الجازماخ تفري وليًّا لعهد الحبشة

والرأس تفري ابن الرأس ماكونين ابن عم النجاشي منليك. وحفيد سهلى مسلاسي ملك شوا. ولد في ١٧ يوليو سنة ١٨٩١ وعهد في تربيته الى اساتذة اوربيين. وتزوج في سنة ١٩١٢ الاميرة وزيرو منن ابنة الداجازاصغو وحفيدة الملك ميخائيل. ورزق منها بولدين وابنتين

كيف وصل الرأس تفري الى العرش

وقضى الرأس تفري اثنتي عشرة سنة وليًّا للعهد طامحاً الى اعتلاء العرش فلم ينِ لحظة عن زيادة عدد الحرس واستمالة الزعماء وحكام المقاطعات وكل ذي شأن خطير في المملكة

ويؤخذ من رسالة خاصة من جيبوتي انهُ في أواخر شهر سبتمبر الماضي اوعز الى بعض كبار حاشيته الامناء بان يبلغوا الامبراطورة زوديتو ان (الرأس تفري) يمضي ويتعاقد مع الدول ويمنح الامتيازات بدون استشارة جلالتها وان يقولوا لها اذا سارت الحال على هذه الوتيرة لم يبق لجلالتها شيء من السلطة او النفوذ. ولا يخلصها من هذا الموقف المريب الا مقاومة الرأس تفري ومنعهُ بالقوة من اتمام مقاصده

فاصغت الامبراطورة الى اقوالهم وعملت بنصيحتهم وعقدت مجلس شورى الدولة تحت رياستها وحضرهُ الرأس تفري الذي اخذ يتحدى جلالة الملكة ويعلن مخالفتهُ لكل ما تبديه من الآراء بعبارات جافة. فخرجت من الجلسة حانقة وامرت رئيس الحرس بان يمنعوا الرأس تفري ورجاله من الخروج من القصر

ووصل الخبر الى الاميرة منن (ولا يبعد انها كانت عارفة بكل ما دبره زوجها) فامرت حرسه الخاص ان يحاصر قصر الامبراطورة ويخرج الرأس ورجاله

فسار رئيس هذا الحرس وطلب من الامبراطورة فتح ابواب القصر. وهددها بهدم اركانه في نصف ساعة

وتقدم رئيس حرس القصر الى الامبراطورة (وكان على اتفاق مع الرأس) وقال لها انهُ لم يكن يدرك ما لدى ولي العهد من قوة ورجال. ونصح لها بالتسليم وذلك اولى من تدمير القصر. فعملت بنصيحته وامرت بفتح الابواب فدخل انصار الرأس تفري ورؤساء الجيش. واعلنوا تنصيبهُ نجاشيًّا. وكرر الشعب المحيط بالقصر الهتاف والدعاء للامبراطور تفري ماكونين

توفيق حبيب

ذكرى تولستوي

طرف من سيرته

هو الروائي الروسي الشهير والمصلح الاجتماعي الكبير . ولد في التاسع من سبتمبر سنة ١٨٢٨ وهو من اسرة المانية الاصل هاجرت الى روسيا في عهد بطرس الاكبر واول من اشتهر منها بطرس تولستوي الذي كان سفيراً لروسيا لدى الباب العالي ورقي الى مصاف الاشراف سنة ١٧٢٤ . واشتهر كثير من ابنائها في السياسة والانشاء

اما الكونت ليون تولستوي الذي احتفل بانقضاء مائة سنة على ولادته في ١٠ سبتمبر الماضي فتلقى دروسهُ الابتدائية في مدينة موسكو وفي املاك اسرته بين سنة ١٨٤٣ وسنة ١٨٤٦ ثم درس في جامعة قازان . وانتظم في سلك الجيش الروسي سنة ١٨٥١ وجعل في حاشية البرنس غورتشكوف لدى الباب العالي قبيل حرب القرم وكان في مدينة سفستابول لما هاجمها جنود الدول المتحاربة سنة ١٨٥٥ . وكان قد اشتهر في عالم الانشاء والشعر بمؤلفاته ومنظوماته فخرج من الجندية وانتظم في حلقة امراء الانشاء في عاصمة روسيا بطرسبرج (لننغراد)

ثم ساح في المانيا وايطاليا وتزوج سنة ١٨٦٤ ومن ثم جعل اقامتهُ في املاكه قرب موسكو بين الفلاحين

ومؤلفاتهُ كثيرة اقدمها كتاب الطفولة والفتوة والشباب انشأهُ وهو في القوقاس قبيل حرب القرم . ومن اشهرها الحرب والسلم . انا كارانينا . بم يعيش الناس . حيث المحبة فهناك الله . ديانة المسيح . بماذا أؤمن . الحياة . مملكة الظلام . ملكوت الله داخلكم . الانسان ورئيسهُ . حب الوطن والديانة المسيحية . ما هو الفن . البعث

وقد ضمن هذه الكتب والروايات من الآراء والافكار ما يقضي بطرح الاوهام والخرافات والصلف والعتو والاعتماد على طهارة السيرة والسريرة ومعاملة الناس بالحسنى الى حدّ انكار الذات وايثار الغير على النفس وعدم الانقياد للسلطة اذا كانت تجبر المرء على ما يخالف ضميرهُ . وقد قصد مرةً ان يوزع املاكهُ كلها على الفقراء والمحتاجين ويعيش عيشة المسكنة والفقر مثلهم لكن زوجتهُ ابت عليه ذلك حاسبة ان لاحقَّ لهُ ان يحرمها واولادها مما لهم . فنقل املاكهُ اليها والى اولاده وكان يعيش عيشة الفلاحين

آراؤُه وفلسفتهُ واثرهُ

اشار تولستوي الى غايتهِ العظمى من الحياة بقولهِ في احدى رواياتهِ « ان مثلي الاعلى هو الحق ». واذا نظرنا الى المكانة الرفيعة التي تبوأها في حياة اوربا الفكرية مدة ثلاثين سنة قبل وفاتهِ عرفنا ان تولستوي كان قوة فكرية عالية لانهُ كان يبحث عن الحقائق ويذيعها للناس في غير تردّد او ملابسة

فلقد كان من ابناءِ الاشراف محتداً ومولداً ونشأة وتهذيباً فاجتمع لهُ في نفسهِ عنصران تلازما مع تناقضها — الاول ذلك العنصر الحيوي الذي يدفع الشاب الى غمرات الحياة بمسراتها وملاهيها. والعنصر الثاني هو ذلك التصوف الروحي الذي لا يتصف بهِ الا أكبار المصلحين

وقد ظهر فيهِ هذا العنصر الاخير ظهوراً واضحاً لما كان لا يزال حدثاً فقد ذكر في يوميتهِ سنة ١٨٥٥ ان نوراً علويًّا اضاء عقلهُ ونفسهُ وهو السعي لتوحيد امم الارض وربطها معاً بدين المسيح بعد تنقيتهِ من آيات التحكم والخرافات. ولكن عقيدتهُ المسيحية لم تتخذ شكلاً معيناً الا بعد ما انقضى نحو ثلاثين سنة على ذلك

وكان شابًّا طموحاً الى المعالي فتنازعهُ عاملان — الاول ان ينزوي في أراضيهِ ويعيش عيشة الامير القروي والثاني ان ينضمَّ الى حاشية القيصر ويعيش عيشة امراء البلاط واشرافهِ. وبينما هو يتردد بين العاملين انتظم في سلك الجيش وشهد معارك حرب القرم كما تقدم فوصفها في كتابهِ « سفاستبول » فمزّق بهِ الستار الاخاذ المسدول في عقول العامة حينئذٍ على صورة الحرب وصوّر ما في الحرب من الفظاعة ومعاني الحيوانية صوراً لم يجرؤ كاتب من قبلهِ على كتابتها ونشرها

وبعد سياحتهِ في اوربا سنة ١٨٥٧ عاد الى روسيا وهو ينتقد رجال البلدان التي زارها وعادات سكانها وهو كالعادة يتراوح بين عاملين عامل التجرد الروحي وعامل الانغماس في بحر الملاهي والشهوات. ولكنهُ انقطع اولاً الى الحياة في الريف فانشأ المدارس لابناء القرويين وانتصر للفلاحين على الاشراف اصحاب الاملاك. ولكنهُ سئم من القيام بعمل المصلح الشاق بعد انقضاء سنتين فتزوج وهو في الرابعة والثلاثين وانزوى في املاكهِ مكبًّا على تأليف روايتيهِ « الحرب والسلم » « وانا كارانينا » فصوّر في الاولى حياة الشعب الروسي في العقد الاول من القرن التاسع عشر. وفي الثانية طبقات الاشراف. وهاتان الروايتان من ابلغ الروايات التي كتبت واقربها الى

الحقيقة. حتى قال احد كبار النقاد في ثانيتهما «هي الحياة على حقيقتها». وقد قرأنا في صحف أوروبا ان شركة اميركية تعنى الآن باخراجها رواية سينمائية تحت عنوان «الحب» لانها من ابلغ الروايات في تمثيل مواقفه المختلفة

***

ولكن تولستوي لما بلغ الخمسين من العمر تولاه كرهٌ من الحياة واحتقار لها وساوره تشاؤم اظلمت به نفسهُ رغم ماكان قد بلغهُ حينئذٍ من ذرى الشهرة والنجاح المادي . وسيطر على عقله قول الجامعة الكل باطل وقبض الريح . وقد اشار الى ذلك بقوله « جاء عليَّ حين من الزمن صممت فيه على الانتحار تخلصاً من عذابي » . وجعل يبحث عن الله ومعنى الحياة فلجأ الى الكنيسة الروسية ولكنهُ لم يلبث ان خرج من حضنها لانهُ وجد رؤساءها يقيمون دون الدين والكنيسة حواجز لا يسمح لرجال المذاهب الاخرى باجتيازها ولانهم كانوا يؤيدون الحرب والاعدام فوضع حينئذٍ قواعد عقيدته الدينية الخمس في الكتاب الذي سماهُ « ديني » وهي (١) لا تغضب (٢) لا تشته (٣) لا تربط نفسك بقسَم (٤) لا تقاوم الشرّ (٥) كن محباً للعادلين وللظالمين

واراد ان يطبق هـذه القواعد على مشاكل المجتمع الروسي من دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية فاصطدم برجال الدولة ورجال الكنيسة ورجال الاعمال لان المفكرين رأوا بعد قليل من انعام النظر ان دين تولستوي القائم على مبدإ « لا تملك » و « لا تقاوم الشرّ » متعذرٌ تطبيقهُ لانهُ يجتث قواعد العمران من اصولها فيهدمهُ هدًّا . واشار كثيرون من منتقديه الى ان تولستوي نفسهُ لم يتمكن من تطبيق مبادىء عقيدته على حياته الخاصة دع عنك حياة امة كبيرة

على ان صوتهُ الداعي الى توحيد الامم في السعي وراء ماهو حق وصلاح وفي القضاء على الشرور الاجتماعية في روسيا اولاً وسائر بلدان اوربا ثانياً اخذ يخترق الحجب التي ضربها على عقول الجماهير وضمائرهم دعاة المحافظة والتقليد في ذلك العصر . ولما نشر كتابهُ الذي عنوانهُ ملكوت الله فيكم (سنة ١٨٩٣) حمل فيه حملة شعواء على استئثار الحكومة باستعباد الفلاحين لما فيه فائدتها وحقر تأييدها عن سبيل الكنيسة لتنظيم جيوش مسيحية والسماح باستعباد المسيحيين في المعامل والمصانع . ومع ان الحكومة الروسية كانت تصادر اكثر رسائله وكتبه كانت نسخ منها تتصل بالاحرار من ابناء بلدان اوربا فتتلقفها الايدي كأنها آيات الوحي . ومع ذلك لم تجرؤ الحكومة على ان

تناله باذى لما كان له من المكانة الرفيعة في قلوب الشعب

***

على ان تعاليم تولستوي ومبادئه لم تنحصر في روسيا بل شمل اثرها كل دول اوربا. ولعل ذكاءه وحكمته وبعد نظره لم تظهر باجلى ما ظهرت به في كتابه « المسيحية والوطنية » الذي نشره سنة ١٨٩٤ بعيد ما توثقت الروابط السياسية بين فرنسا وروسيا بزيارة الاسطول الروسي طولون (ميناء فرنسا الحربي في البحر المتوسط) . فهبط الوحي على الصحف الفرنسوية فاخذت تتغنى ما شاءه البيان الفرنسوي « بالاتحاد الاخوي بين امتين عظيمتين ضماناً لسلم اوربا ». ولكن تولستوي ابان في بضع صفحات يندر وجود ما يضاهيها في بلاغة الاسترسال وقوة العارضة ان « الثأر » هو ما يطلبه رجال السياسة وان المحالفات السياسية لا بدَّ ان تتبعها محالفات اخرى ضدّها لحفظ التوازن السياسي والحربي وان كلَّ ذلك لا بدَّ ان يزجّ اوربا في حرب طاحنة . فصودرت هذه الرسالة في روسيا وكثير من بلدان اوربا ولكنه لم يكفَّ عن اعلان آرائه فاتبعها برسائل اخرى منها « رسالة الى الاحرار » (سنة ١٨٩٦) « والازمة في روسيا » و« نهاية العصر » سنة (١٩٠٥) تنبأ فيها بحدوث الثورة الروسية والقضاء على نظام الحكم الحالي (حينئذٍ) يتبعها ثورة وانقلاب في بلدان اوربا واميركا . ويقال انه لقي يوماً الموسيقي الروسي الشهير غولدنفيزر فقال : « الواضح ان مع هذه المشكلات الداخلية والخارجية لا بدَّ ان تصحو الامة الروسية ذات يوم فتجد نفسها ممزقة شرَّ ممزق . هي دولة عظيمة مترامية الاطراف الآن ولكنها قد تتفكك اوصالها بين ليلة وضحاها » وقد صحت نبوءته بحذافيرها

ان عبقرية تولستوي قائمة في هيامه بالحق واندفاعه في نشره غير خائف فيه لومة لائم . واثره الخالد في حياة اوربا الفكرية هو اولاً ايقاظه لفكر الجمهور الروسي عن طريق مباشر والجمهور الاوربي عن طريق غير مباشر وتفتيح عيونهما لرؤية الشرور الاجتماعية التي تنخر في اركان العمران وثانياً نزع الستار المسدول على تلك الشرور والتشهير بها. ومكانته كمعلم دولي اساسها هذه المقدرة الغريبة على اختراق الحجب وكشف الاكاذيب والخدع والشرور ووصفها ببلاغة تنفر القارئ منها وتثير فيه الرغبة في مقاومتها . فتولستوي كرجل فن اولاً ومعلم يدرك ادراكاً خفيًّا معاني الحياة الروحية ثانياً من اعظم الكتاب والمعلمين الذين قاموا في القرن التاسع عشر

الدكتور صرّوف والمقتطف

ماذا اعطاهُ وماذا اخذ منهُ

١ : ماذا اعطاهُ

حكماء الادهر

لقد شاقني في مطالعاتي أدب كنفوشيوس ، وتقوى سقراط ، وحكمة بوذا ، واتّزان زرادشت ،وعدالة عمر ،وصراحة كرمويل ، وسعة هيغل ،وصراحة كنت ، وخيال فنلون ، وفصاحة هيوغو ،وديموقراطية تولستوي ،وسداد لو بون ، واخلاص دي مولان ، وحرية شكسبير ، ودقة ملتن. ولكن اربعة في نوابغ الادهار المشهورين، استهووني وهم : افلاطون اليوناني ، وامرسن الاميركي ، ومكس ملر الالماني ، وفكتور غيزو الفرنسي. واذا اضفتُ الى هؤلاء خامساً فهو الدكتور صرُّوف صاحب « المقتطف » فقد استهواني منذ نعومة اظفاري

صروف والمقتطف

الدكتور صرُّوف والمقتطف اسمان متلازمان ، لا يذكر احدهما الاَّ وقد تمثَّل الآخر في الخيال . ظل هذان الرفيقان معاً زهاء الاثنين والخمسين ربيعاً . ورفيقان كهذين يتبادلان الانفعال والنوال . فماذا اعطى الدكتور صرُّوف المقتطف ، وماذا ردَّ المقتطف عليهِ ؟

احلام الاعيان

الناس ضحايا احلامهم ، واحلام الناس ظاهرات عقولهم ، وتطبيق حياتهم على احلامهم مقاس ماهياتهم ، واعلان ذاتياتهم ، ومجلى حقيقتهم . ويوم الممات هو ختام الرسم والاعلان. وبهذا الاعتبار قيل ان حياة المرء الحقيقية تبتدئ يوم موتهِ

وتختلف الاحلام ، في مختلف الرجال ، في مختلف الامم ، في مختلف العصور ، في مختلف الاحوال . فقد كان حلم الاسكندر ملك الدنيا ، وحلم هنبال سيادة قرطاجنة وحلم ارمينيوس تحرير اوربا ، وحلم بولس تنصير البشرية ، وحلم جان دارك تحرير فرنسا ، وحلم كولمبوس كشف العالم الجديد ، وحلم ابرهيم لنكن تحرير العبيد ، وحلم

بسمارك زعامة بروسيا في المانيا ، وحلم فلورنس تينجال تخفيف آلام المرضى ، وحلم هوارد اصلاح السجون ، وحلم وليم بوث تنوير الفقراء ، وحلم مصطفى كمال انقاذ تركيا وحلم موسوليني رفعة ايطاليا . وتراجم الاعيان متاحف تتجلى فيها احلامهم ، والخطط الذي يرسمونهُ في تحقيقها

اما حلم الدكتور صرُّوف فهو تنوير الامة العربية ورفع مستواها الفكري والاجتماعي بواسطة المقتطف. بهذه الفكرة عاش ولتحقيقها سعى الحياة بطولها . ومجلدات المقتطف السبعون آية فنية في متحف التاريخ تتجلى فيها احلامهُ وتحقيقها . وفي ٦ يوليو سنة ١٩٢٧ انتهى عملهُ المباشر في تحقيق حلمهِ تليهِ نتائجهُ الخالدة

قابليات الرجال

اذا ارسلنا النظر في ذلك الفارس المغوار، الذي صال في ميدان العلم والادب وجال ، نحو ستين سنة ، رافعاً علم العلم والفن والصناعة والفلسفة ، بحثاً وتنقيباً وتعليماً وترجمة وتأليفاً ، رأينا فيهما بدا منهُ للعيان ، وما كان يمكن ان يكونهُ . وذلك غاية ما يدرك في درس الرجال

والذي اراهُ في الدكتور صرُّوف انهُ كان يملك مواهب ضحَّى بها في سبيل مجلَّة المقتطف ، وكان يمكن ان تبرز هذه المواهب الى حيّز الوجود لولا اشتغالهُ بالتحرير. فكان يمكن ان يكون احد اربعة : شاعراً : رياضيًّا : طبيعيًّا : روحيًّا : واليك البيان

شاعرية الدكتور صروف

هل كان الدكتور صرُّوف ذا شاعرية ؟ وما هي ظاهرات شاعريتهِ ؟ اما انا فارى ان المقتطف نفسهُ كبرى تلك الظاهرات ، على النحو الذي رأى بهِ هيغل شعرية الوجود . فقد ذهب ابو الفلسفة الحديثة الى ان نظام الافلاك الدوارة ، وتلاؤم اجزائهِ ، وسعتها ، وترابطها ، ونواميسها ، شعرية كونية يدركها المفكّر الحصيف . وارى في نظام المقتطف وتبويبهِ واتّساقهِ وأدبهِ وبيانهِ وصبغتهِ ، على هذا النحو ، شعرية لها في نفوس قرائهِ رنّة المعلّقات وقد تزيد

على اني اذا رمت امثلة من الشاعرية البارزة بنظم القوافي فلا احرم الكثير منها ، فللدكتور صرُّوف من هذا النوع شيء كثير . من ذلك قولهُ في نصب دي لسبس على رصيف الترعة في بور سعيد

يا مارج البحرين يلتقيان أنت الممثل همَّة الانسان
قف حيث انت فتلك اعظم وقفة فالخافقان هناك يجتمعان

وقال في باريس

ودَّعت باريس مفتوناً بمرآها وآي حسن تجلَّى من محيَّاها
وجاه ملك رفيع الشأن جاورها دهراً طويلاً ولم يبرح بمغناها
رواقهُ مسبطرٌّ في معالمها وبدرهُ مشرق في أوج علياها
وعصبة عصمتهم في صناعتهم لإلاهة الحسن فاستهدوا بسيماها
وخلّدوا ذكر ارباب السيوف ومن فاق الورى حجَّة او فاقهم جاها
او خاض بحر المنايا فاجتنى درراً وصاغ منها حُلى حسنٍ بها باها
او غاص في لجّ بحر العلم مجتلياً غوامض الكون تعميماً لجدواها
وآل علمٍ وفضلٍ طار صيتهم فطبَّق الكون ادناها واقصاها
ودَّعتها وبنفسي من محاسنها آيات حسن يهيج الشوق ذكراها

ولهُ من قصيدة في سرّ الوجود

فتّشت عن سر الوجود وقصده وسألت عنهُ النطس والاحبارا

....

فاجابني ركز خفيٌّ قائلاً اسمع وقل قولي أمنت عثارا
هذي الخلائق كلهنَّ دقائقٌ والكون من مجموعها قد صارا
ورقيّ هذا الكون يستدعي اندثـــارَ دقائق ونفاية وبوارا

ثم صرخة صادرة من قلب توّاق الى معرفة الحقيقة

انموت من اجل الرقيّ ضحيةً ونصير في طلب النجاح غبارا
نور الخلائق مصدر النور الذي يهدي الكواكب في السماء مدارا
ان لم تنر عقلَ ابن آدم لم يجد نور الهدى بل زاد عنك نفارا
فاهدِ ايا نور البصائر معشراً تخذوا الحقيقة خلةً وشعارا
انضوا عوامل عقلهم فتثلمت واستوقفوا المبغى فزاد فرارا

وارى في البيت الاخير ولاسيما في عجزهِ شاعرية مسفرة كشمس الضحى.

ولهُ وقد بلغ الشيخوخة

سبعون حولاً لقد مرَّت وما وجدت نفسي مقراً لها في العالم الفاني

فهل اذا عمّرت سبعين اخرى ترى من مرفإٍ بين ابحارٍ وخلجانِ
كلا . اجسامنا والموت يرصدها فالنفس مرفأها في عالمٍ ثانِ
فرضان اما فناءٌ والبناء له لغوٌ واما بقاءٌ شاءه الباني
اما واجسامنا ليست سوى صورٍ مشكلات باشكالٍ والوانِ
كهاربٌ جمّعتها النفس فانتظمت في شكل مستودعٍ للنفس جثماني
حتى اذا تمَّ في الدنيا تطوّرها طارت الى مركزٍ في الكون روحاني
لا بدَّ للعلم من يوم يفوز بما يبيّن الحقّ فيه خير تبيانِ

ولو جمعت كل منظوماته لاربت على ديوان برمته

على اننا مع كل احترامنا للدكتور صرّوف لا يمكننا ان نضعهُ في طبقة هوميرس ودانتي وغوته وشكسبير ، ولا رتبة ملتن وتنسن وهيوغو ولامارتين والمتنبي والمعري . بل ولا في مصاف رجال الطبقة الاولى من شعرائنا الحاليين . ولماذا ؟ . لانهُ باشتغالهِ بالمقتطف نحّى بشاعريتهِ التي تتجلى لنا من خلال سطورهِ تجلّي الشمس من خلال الغصون

العلوم الرياضية والفلكية

وهي في حسباني اجلُّ من الشاعرية قدراً ، واوفر في دائرة الاجتماع نفعاً ، واسمى في ملكوت الفكر عرشاً . فما هو مقام الدكتور صروف في دائرة الرياضيات ، وفي قبة الفلك ؟

امَّا انهُ كان قبل سبع وخمسين سنة استاذ الرياضيات في ارقى معاهد الشرق العلمية فامر تاريخي . واما انهُ ملأ المركز الذي شغلهُ بضع سنوات ، فحقيقة محفوظة في سجلات الجامعة الاميركية في بيروت

زد على ذلك ان الدكتور صروف فتح في مجلة المقتطف باباً للمسائل الرياضيَّة هو عديم المثال في الصحف والمجلات العربية . كان نوابغ الفن يتطارحون فيهِ المباحث العويصة ويتسابقون الى حلها في الحساب والجبر والهندسة والمثلثات واللوغرثمات وحساب التمام والتفاضل والفلك ودخلوا في مناقشات رياضية لا يفهمها الاَّ خاصة ارباب العلوم المجردة . اذكر منهم همام والحوراني ومشاقة وشفيق منصور والشدودي . وكان الدكتور صروف الحكم والمرجع غير منازع

زد على ذلك انهُ ابرز كتاباً في بسائط علم الفلك ظهر فيهِ علمهُ واطلاعهُ

الواسع في هذا العلم الجميل . هذا عدا المقالات الضافية التي كان يزين بها جيد المقتطف من حينٍ الى حين ، في النظام الشمسي والسيَّارات والثوابت والكلف الشمسيَّة والمذنبات والنيازك والسدم وبناء الكون وظاهراته الكهربائية والمغناطيسية ويترجم الفلكيين والرياضيين من رجال الطبقة الاولى مع تبيان مذاهبهم وآرائهم . وفي كل ذلك كان الدكتور صروف بعيد الغور ، واضح البيان ، سهل المأخذ ، راوياً عطش النفس

على انهُ مع كل ذلك لم يدرك شأو العبقريين في هذا الفن كفيثاغوروس واقليدس وارخميدس وكبلر وهرشل وتيخوبراهي وكبلرٍ وميكلنصن وكلفن وانشطين ولا ارى من سبب حال دون التحاقهِ بهؤلاء الارهاط الاَّ افول نجم الرياضيات في الشرق واشتغال صاحب هذه المواهب بانشاء مجلة المقتطف . ولو حصر قوتهُ وعمرهُ في الرياضيات لما كان ادراكه شأو من ذكرنا بعيد المنال

الطبيعيات — والكيمياء — والفلسفة

والطبيعيات اعمق مباحث العلم البشري مغاصاً ، واوسعها مجالاً ، واغزرها نتاجاً ، وعليها المعوَّل في جامعات اوربا واميركا لبلوغ البشرية طور رشادها والقبض على ازمة الطبيعة واستخدامها في مصلحة بني حوَّاء ، وللوقوف على سرّ تكوُّن المادة وحلها ، وتركيب العناصر وتحوُّلها ، وادارة رحى الحوادث الكونية في عالم البيولوجي والفيزيولوجي والسيكولوجي والاتنولوجي . وهذا الفرع من العلوم مناط آمال الناس ومحور الاعمال والسياسات وتصوُّرات البشرية

اما ان الدكتور صروف كان صلتنا برجال هذا الميدان ، وبهِ وبمقتطفهِ عرفناهم فامرٌ لا نجهلهُ . فقد عرَّف الينا كلارك مكسول وفارادي وداروين وولس وتندل وهكسلي واغاسيز وفلطا ومندليف وكرشوف وهلمهلتز وهيكل ولدج وطمسن ومركوني وهرتز وتسلا واديصن وباستور وكوخ وفرنكلين وبنسن وبوهر ولارمور وملكان وكروكس وطورشللي وغاليلي

كما انهُ عرَّف اخوانهم الكيمائيين دلتن ولافوازيه وبيلي وبلاك وكافنديش ودايفي ورامزي وصدي وارنيوس وبرزيليوس ومنهوف وكوري ودوماس وشيلي وليبج . فمقتطف صروف هو المجلى البديع ، وبهِ رأينا هؤلاء الانجاب عن كثبٍ ، وعرفنا ان بهم ازدانت جبهة البشرية ، وبهممهم العالية تمكنت الذراع البشرية من القبض على ازمَّة الطبيعة

وقد عرفنا بالمقتطف فلاسفة الادهر من عهد حمورابي ومينيس حتى الساعة . وفيهم طاليس وسقراط وافلاطون وارسطو وسنيكا وبلينيوس وشيشرون واوغسطين وابن رشد وابن ماجي وابن سينا وباكن ودى كارت ولوك وهبز ومالنبروك وليبنتز وشيلنغ وهيغل ونخت وسبينوزا وكنت وڤولتير وديدرو وروسو وبوصويه وسبنسر وجيمس وبرغسن ونيتشه وبخنر واضرابهم

على ان العدالة لا تأذن لنا بادراجه في هذا السلك ، لان اشتغاله بالمقتطف حرمه من بلوغ شأو الكواكب اللامعة في سماء المجد في الطبيعيات والكيمياء

الثقافة الروحية

اما فطرة الدكتور صروف الروحية فتتجلى للبصير في كل كلمةٍ في كل سطرٍ ، في كل صفحة ، في كل مجلدٍ من مجلدات المقتطف .ولو اردت ايراد الامثلة على ذلك لهان عليَّ الامر. فقد كان الدكتور صروف في شبيبته رئيساً ومديراً لمدارس الاميركان في صيدا وطرابلس الشام . وقد ترجم للارسالية بعض الكتب الادبية المفيدة الى اللغة العربية ككتاب سر النجاح للقس صموئيل صميلز ، وكتاب الحرب المقدَّسة لجون بنيان ، وغيرها . وظل يحترم المبدأ الروحي الى نهاية حياته . وكانت سيرته مرآة الادب والفضل كاحسن المنادين بالبر ، والتزم قويم المسالك مع كل ما بلغ من الفوز والشهرة والثراء . ولم يعرج عن ادبه قط ولو مع شر الخصوم . واكبر ما نحفظهُ لهُ من الانحاء باللوم قوله في خصمٍ شديد المراس : سامحهُ الله :

والثابت عندي انهُ لو ظل في خدمة الارسالية الاميركية في التعليم والوعظ والترجمة لما قصَّر عن ادراك شأو كبراء اللاهوت كاوغسطينوس واكويناس وبوناونتورا وملانكثون ونكس وبطلر وكاري وتيلر وزملائهم .وهذه ايضاً فطرة رابعة تخطَّى بها الدكتور صروف على مذبح المقتطف

المالية

على انهُ ايضاً كان مضحياً بالمالية في سبيل المقتطف

اذا كانت مجلة عربية في الارض تستحق الارباح الوافرة فتلك المجلة هي المقتطف، مصباح العلم والفن والفلسفة والاختراع لسبعين مليوناً من ابناء العربية . على انَّ المقتطف لم يكن مجلة تجارية ، ولم يكن اعتماد منشئيه عليه للمعيشة . ولم يتبع خطوات المطبوعات التجارية لكسب اموال الناس ، ولولا ثبات الدكتور صروف ، وكلفه

بالمقتطف ، لما كان لنا مقتطف ، ولكان انطفأ ذلك المصباح المنير

والخلاصة : ان الدكتور صرُّوف ضحى بخمسة اشياء في سبيل المقتطف وهي : شاعريتهِ : رياضياتهِ : طبيعياتهِ : روحية منحاهُ : ماليتهِ : وكل واحدة من هذه الضحايا هي من الخطورة بحيث يتردد غير امثالهِ في التضحية بها . ولكنهُ ضحى بها غير آسف ولا متردّد . فهل استحقَّ المقتطف هذه التضحيات ؟ . وبِمَ استحق ؟ . هي مسألة أرجئ الجواب عنها الآن . واستأنف البحث في الشق الثاني من موضوع هذه المقالة وهو :

ماذا رد عليه

هنا اقف حائراً ، لاني في مفرق الطرق بين كثير المنعرجات ، امام قضية عديدة الوجهات . وموجب الحيرة ليس قلة ما يقال بل كثرته . فكيف ابدأ ؟ . اية وجهة او اية شعبة اختار ؟

لا بذل من غير مكافأة . وقد رأينا ما بذلهُ الدكتور صروف في سبيل المقتطف . فما هي مكافأتهُ ؟ اني اختار ثلاثة من انواع المكافأة اشير الى كلٍّ منها بالاختصار

الاولى : جزاؤهُ علميًّا — زيادة معارفهِ

الثانية : جزاؤهُ اجتماعيًّا — اعلان جمال نفسهِ

الثالثة : جزاؤهُ روحيًّا — خدمتهُ الانسانية

اتساع نطاق معارفه

النحلة وهي تجني عسلاً تتغذّى هي اولاً بالعسل . فتذوق قبل ان تذيق . ونفس الدكتور صرُّوف المتعطشة الى مناهل العلوم والمعارف ، التوّاقة الى مجالي الكشف والتعليل والاطّلاع ، نالت بغيتها في سياق جنيها شهد العلوم والمعارف لروّاد قفيرها المقتطف . فلا احد في ابناء الضاد اوسع اطلاعاً من الدكتور صرُّوف على المذاهب العلمية والنزعات الفلسفية ، ومعرفة افاضل الغرب واساطين الحكمة والادب والفن فلا رجل كبير في العلوم والفنون والسياسة والادب والتجارة والاكتشاف الاَّ وهو معروف جيداً للدكتور صرُّوف . كذلك لا يوجد فرع في شجرة العلوم والمباحث لم تلامسهُ ريشة الدكتور صروف . وليس على من يريد ان يقف على ذلك الاَّ ان يذهب الى ادارة المقتطف ويلقي نظرة على فهرس موضوعات المقتطف فانهُ ليذهل ، ايَّ ذهول ، اذ لا يرى شهيراً في الارض خارج ذلك الفهرس . ففيهِ الاكاسرة والقياصرة والامبراطرة والقوّاد الفاتحون ، ورجال الدين والاصلاح واليقظة والابتكار والاكتشاف

والروّاد ورجال المال والاعمال والاطباء والجراحون والعلماء والفلاسفة وارباب الفنون الجميلة ، وجميلات النساء وكبار المحسنين والخطباء والمرنمين ومشاهير الدنيا في كل فرع. ويرى فيه ايضاً جميع عواصم الدنيا في الحاضر وفي الغابر ، ودولها وشارعها ونظمها وعادات اهلها ونشأتها ومصيرها في اقسام التاريخ الثلاثة . ويرى فيه ايضاً الجبال والسهول والبحيرات والانهار والخلجان والبراكين والشركات على انواعها والمتاحف والمعارض والجامعات والتقارير السياسية والمعاهدات الدولية والاساطيل الحربية والسكك الحديدية والمباحث النفسية وسير العلوم وتدرجها شهراً فشهراً مدة ستين سنة

فالمقتطف مدينة العلم والدكتور صرّوف بابها وحاجبها . والمعارف روضة زاهرة والدكتور صروف بستانيها . فدائرة اطلاعهِ اوسع دوائر الاطلاع في بني الضاد . وذلك جزاء كبير لمن يحب العلم لذاتهِ . فالمقتطف كافأ الدكتور صرّوف بهذا الاطّلاع ولولا المقتطف لاستحال ان يبلغ هذا المبلغ . اجل كان يمكنهُ ان ينبغ في احد الفروع كالرياضيات مثلاً ، او الشعر . ولكنهُ اذ ذاك لا يبلغ ما بلغهُ من التمكن وسعة الاطلاع في كل دوائر البحث على اختلاف موضوعاتها . فصحَّ في الدكتور صروف ، بهذا الاعتبار قول صاحب الامثال : يوجد من يفرّق فيزداد : فقد وزّع الدكتور صروف حقائق العلوم ولكنهُ بذلك التوزيع ازداد علماً واطلاعاً

اعلان جمال نفسه

هذه ثانية مكافآت المقتطف لمؤلفهِ . فقد منح المقتطف كاتبهُ اثمن فرصة لاعلان جمال نفسهِ . وذلك غاية ما يرمي اليهِ الرجال في ميادين العمل في هذا الوجود

ما هو الجمال ؟ . بل ما هي مجالي الجمال ؟ . وهل كانت نفس الدكتور صروف جميلة ؟ . وهل تمكّن من اعلان ذلك الجمال في المقتطف ؟

الجمال من الكليات التي تدرك بالبداهة ولا تتقيّد بالحدود فيلامسها الذوق الروحي في النفس ولا تقوى الالفاظ على الاحاطة بها . وجمال النفس اسمى جمال ، وهو خلاصة ما ذخر في اهراء الوجود من نفائس الاعلان . واستكشاف الجمال هو غرض الحكيم الخاص . والجمال اس الحب . وذلك الحب هو معراج الفلسفة على ما اثبت افلاطون امام المفكرين في كل العصور وقد نقر على هذا الوتر الصوفيون — تلامذة افلاطون وذراريه في كل العصور — ولست لارقص على هذا اللحن ، فاقرع باب الصوفية والتصوّف ، وابين الحكمة في نشوئها وسيادتها . لا . ان المقام اضيق من ان يتسع لمثل

هذا المطلب البعيد الاطراف . فاقتصر على نثر جمل مختصرة في مجالي جمال نفس الدكتور صروف على ما تبيناها في المقتطف . ومنها : توازن القوى

فضائل النفس الاربع

ذهب أفلاطون ، وتابعهُ في ذلك ارسطو ، وقفى عليهما اتباعهما مدة الفي سنة ، الى ان في الانسان اربع قوى لها اربع فضائل

الاولى : القوَّة الذهنية وفضيلتها « الحكمة »

الثانية : القوَّة العصبية وفضيلتها « الشجاعة »

الثالثة : القوَّة الشهوية وفضيلتها « العفاف »

الرابعة : القوَّة الادارية وفضيلتها « العدالة »

وعلى هذه الفضائل الاربع — الحكمة والشجاعة والعفاف والعدالة — اسس افلاطون دولة النفس الكاملة في الفرد وفي المجموع، على ما هو مشروح في « الجمهورية » قال افلاطون ان النفس الحاصلة على هذه الفضائل مع التوازن والائتلاف فهي « جميلة »

وقد رأينا ذلك التوازن والائتلاف في مقتطف الدكتور صروف . فكان قانونه المتبع « لا افراط ولا تفريط » . ومع ان المقتطف مجلة علمية صناعية لم يألُ جهداً في خدمة الادب والفن والاجتماع . ومع انهُ مجلة جدّية لم يكن ناشفاً . ومع انهُ اتصف بالتدقيق لم يكن متطرفاً . ومع شدة امانتهِ لم يكن قاسياً شاخاً . بل كان وديعاً هادىء الروح ككرمة دانية القطوف صافياً عميقاً كبحيرة عذبة المورد . وبذلك يعلن لنا المقتطف مجلى من مجالي نفس كاتبه وناسج برده

احترام الحقيقة

وهذا ثاني مجالي الجمال والرجالُ الحريصون على الحقيقة في وسط تيَّار الاجتماع هم جواهر الشرق — بل جواهر التاريخ الغوالي — والدكتور صروف هو — في الشرق — احدى تلك الغوالي . فقد تشبَّث بالحقيقة الى غاية ما يمكن لا تثنيه عنها لومة لائم . فلم يغش محيَّا الحقيقة مصانعة . والنفس لا تحب الحقيقة الى هذه الدرجة ما لم يكن رسم الحقيقة مطبوعاً على صفحاتها . ورسم الحقيقة على صفحات النفس هو الجمال الحقيقي الذي تهواهُ النفوس . ولا نفس تهوى الحقيقة ما لم يكن لها في ذاتها حقيقة . وشغف النفس بالحقيقة هو ظاهرة التفاهم بين النفس وبين الحقيقة

لست ازعم الكمال في المقتطف . فان امكان تسرُّب الخطأ اليهِ ، والى كل

كتابات البشر، امر لا يفتقر الى دليل . ولكن حرص الدكتور صرُّوف على اثبات ما اعتقدهُ حقاً هو الجلي البديع في حياتهِ . والمقتطف كان اللوحة التي عليها تجلَّى ذلك الجمال. فهل قدر احد ان يزحزح الدكتور صروف قيد انملة عن معتقدهِ في مسألة الارواح ومخاطبتها او في النشوء ،وما شاكل ذلك من الموضوعات التي كانت مدار البحث منذ أنشىء المقتطف

النجدة

النجدة في رأس قائمة اغراض الدكتور صروف في المقتطف . كتب اليَّ سنة ١٩٠٣ يقول : « اني ارمي بالمقتطف الى رفع مستوى الامة اجمالاً ،وهو غرض بعيد المنال لا يتسنى قبل المئات من السنين » . فكان يفتح الابواب امام العقول لتهب من سجنها وقيودها . وحيث لا يمكنهُ ان يقول ، عملاً بحكم الاحوال ، كان يشجع غيره اذا قال من ذلك تقاريظهُ كتاب قاسم بك امين وكتاب باحثة البادية . فانك لترى النجدة تتألق في خلال سطورهِ تألق شمس الصباح

اللباقة والنزاهة

الدكتور صرُّوف على ما هو ممثل لنا بقلمهِ في المقتطف اديب لوذعي فذ نزيه العواطف ، لين العريكة ، رصين كلي الجد ، غير مماذق ولا غمَّاز لمَّاز . وهو الذي ابتدع هذه العبارة — مناظرك نظيرك — وجعلها شعار البحث في المقتطف . وقد طبق عملها عليهِ ، حتى انهُ مدة اثنتين وخمسين سنة لم يخالف حكمها قط . وكان يحذف من الرسائل الواردة اليهِ كل ما ساورهُ التعرض للشخصيات . وبعضها كان يحذفها برمتها مهما يكن من امر كاتبها

فكان الدكتور صرُّوف الرجل الذي تحتاج اليهِ الامة والبلاد في عصر نهضتها ويقظتها واذا كان المقتطف وسيلة فقط لاعلان جمال نفس الدكتور صرُّوف فهو نوع من المكافأة ازاء ما بذلهُ الدكتور صروف في سبيل المقتطف من التضحيات

الخدمة

هي ثالثة انواع المكافأة التي ردها المقتطف الى الدكتور صروف . وجد الرجال ليخدموا ، لا لغرض آخر . ونقطة دائرة خدمتهم البناء الانساني العظيم ، فالفرص السانحة لهم للخدمة هي أعز الهبات . فاذا غنموها فقد أدوا غرض الحياة وقد اتاح المقتطف للدكتور صروف ادراك غرض الحياة. فكان رسالتهُ الحية للاجيال

التالية . وبهِ نقل الدكتور صروف من حدائق الغرب الى لغة الاعراب كل طريف شهي ، وزين هامها بنفائس الاعلاق . ولم يهب قلم اللغة العربية ما وهبها قلم صروف ، من كنوز العلم وطرائف الحكمة . فهو زعيم النهضة العلمية غير منازع ، ومقدام رجالنا غير مزاحم

فما يستلزمهُ الدفاع عن شرف الامة في عيون الاحفاد هو ان تقدر الامة زعيمها وتحلهُ المحل الجدير بهِ من المحبة والاحترام . واعظم ما تستطيعهُ الامة من هذا القبيل هو تجلية مزاياه الروحيَّة وتبيان اهليته . انها بذلك لا تهبهُ شيئاً ولكنها تبرهن للملأ انها فهمتهُ

واخيراً آتي للجواب عن المسألة التي ارجأت الجواب عنها وهي : هل استحق المقتطف التضحيات التي ضحى بها الدكتور صروف في سبيلهِ ؟

والجواب : اذا لم يكن يستحق ذلك بالنظر الى المضحّي فانهُ يستحقهُ بالنظر الينا لان مجلدات المقتطف بيننا افيد من اي نظام فلسفة او ديوان شعر . اقول اننا احوج الى المقتطف منا الى الياذة هوميروس او فلسفة سبينوزا

ويكفي الدكتور صروف انهُ سدَّ في اللغة العربية هذا الفراغ . فهل قليل عندنا انهُ في خلال ستين سنة انبرى لتقليده عشرات من كبار الكتاب ومع ذلك لا يزال المقتطف الى الآن فريداً في بابهِ . فاننا ليس عندنا مجلة تحل محلهُ . او قليل انهُ في سبعين مليوناً من ابناء الضاد لا يوجد رجلان يملآن مركز صروف . ولا يفوت الحصيف ان مجموع الجهود التي استلزمتها مجلة المقتطف لا تقل عن جهود عبقري في بلوغ شأو الشهرة في فرعٍ او فلسفة ، وقد تزيد عليهِ . فلم يقامر الدكتور صروف في انشاء المقتطف — لم يقامر بمواهبهِ وحياتهِ — بل عمل شيئاً مشروعاً . ووقف نفسه لا على عمل تستلزمهُ حال ابناء العربية. فاصدار المقتطف قفزة في الظلام هذا بعض ما تراءى لي في امر الدكتور صرُّوف والمقتطف ولا ارى من يماري في ذلك من حصفاء الباحثين . واؤكد ان كثيرين منهم يتقدمون الحد الذي بلغتهُ في تشريح ذاتية الدكتور صرُّوف تجلية لمحاسنها وفوائدها لابناء امتهِ . ولاشك عندي في ان ابناءنا واحفادنا سيكونون ابعد منا مرمى في هذا الميدان

حنا خباز

العلم امام سر الحياة

مباحث جديدة قد تكشف القناع عنهُ

خطب الاستاذ دنّ استاذ الكيمياء في كلية لندن الجامعة خطبة خطيرة في مجمع تقدم العلوم البريطاني عالج فيها موقف العلم الآن ازاء سر الحياة نلخصها فيما يلي :

قال الفيلسوف ليبنتز مرة « ان آلات الطبيعة ، اي الاجسام الحية ، هي في الواقع آلات حتى في ادقّ اجزائها » . ولقد كشف علماء التشريح ووظائف الاعضاء بناء جسم الانسان ووظائف اعضائهِ وأبان علماء الهستولوجيا بناء الخلية ونواتها والمادة التي تبنى منها واثبتوا انها الوحدة الاساسية التي تبنى منها كل الاعضاء والانسجة الحية. فماذا تحتوي عليهِ الخلية الحية داخل غشائها الرقيق ؟ هنا نقترب من معقل الحياة المنيع. فاذا دخلنا هذا المعقل وجسنا خلالهُ انجلى لنا اغمض اسرار الحياة — ولعلهُ السر الحقيقي الوحيد : فدرس بناء الخلية وتصرفها في احوال مختلفة ودرس الحيوانات الدنيا المؤلفة من خلايا واحدة هو الآن عمل علماء البيولوجيا الحقيقي

ففي الخلية الحية مادة تدعى البرتوبلازم لم يوفَّق احد من العلماء بعدُ الى ادراك كنهها. ومن العناصر الاساسية التي تبنى منها هذه المادة نوع من المواد الكيماوية تدعى « المواد البروتينية » وكل نوع من الخلايا في كل نوع من الاحياء يحتوي على مادة بروتينية او اكثر ينفرد بها . وهذا عدا المواد البروتينية العادية . اما العناصر الاخرى التي تبنى منها اجسام الخلايا فهي الماء وكلوريد الصوديوم والپوتاسيوم والجير وبيكربوناتها وفصفاتها . وهناك مواد غريبة تدعى الانازيم من شأنها ان تفعل بالخلايا فتزيد سرعة تفاعلها الكيماوي من غير ان تفنى في ذلك . ومن الغريب ان كل خلية حية تحوي في طياتها بزور موتها وهي نوع من الانازيم التي من خواصها ان تفعل بالمواد البروتينية فتحلها. على انهُ ما زال في الخلية رمق من الحياة فهذه الانازيم الهدّامة تبقى مقيدة لا تستطيع ان تفعل فعلها . ما اغرب هذا الامر ! ان شياطين الموت كامنة في كل خلية من خلايا الاحياء ولكن اجنحتها تبقى مقيدة وافواهها الشرهة مكمومة ما زالت الحياة تدب في تلك الخلايا

وحالة البروتوبلازم في الخلايا الحية هو اشبه شيء بحالة الزلال في البيض وتعرف

هذه الحالة لدى الكيماويين بالحالة الكولويدية . ولكن لا يخفى ان اعمال الهضم والتمثيل والاحتراق والافراز لا تقف هنيهة واحدة في الاجسام الحية بل ان الخلية الحية تتبادل تبادلاً دائماً القوة والغذاء مع الخلايا التي تجاورها فكأن هذه المادة الزلالية المائعة تقريباً مركبة تركيباً آليًّا يمكن دقائقها من القيام بهذه الاعمال من غير انقطاع

وهذا مما يؤيد قول ليبنتز السابق ذكرهُ . وكأَنَّ هذا الجيش من الدقائق منظم تنظيماً دقيقاً يمكنها من القيام بالاعمال المطلوبة منها بسرعة وكفاءة

اذا افرغت خزان سيارتك من البنزين ومحركها من الاكسجين وقفت السيارة عن العمل. ولكنها لا تتفكك ولا تتفرط اجزاؤها كما ينتشر عقد قُطع سمطهُ. على انك اذا منعت الاوكسجين والغذاء عن الخلية الحية ماتت في الحال واخذت تنحلُّ . وتفعل بعض الانازيم التي فيها حينئذٍ بالبروتوبلازم فتحلهُ . فما هو سبب ذلك . ولماذا تموت الخلايا ؟ ان جواهر المادة ودقائقها وايوناتها لا تزال فيها . وقد اثبت الاستاذ ميرهوف ان مقدار القوة في البروتوبلازم الميت هو هو في البروتوبلازم الحيّ فهل افلتَ من هذه الخلية عنصر حيويٌّ كان نازلاً فيها

هنا ، على الباب الفاصل بين الموت والحياة ارى ان الاستاذ هل الفسيولوجي الانكليزي اصبح في مباحثهِ على عتبة اكتشاف خطير اذا لم يكن قد اكتشفهُ الآن . فقد ثبت من تجاربهِ ومباحثهِ في الاعصاب التي ازيلت بعض اغشيتها وفي العضلات ان بناء الخلايا هو بناء كيماويّ ديناميّ ولا بد لهُ من الاكسجين والاحتراق للمحافظة عليهِ . فنظام البناء في دقائق الخلايا الحية يميل دائماً الى التشوش والانحلال ويحتاج دائماً الى الاكسجين ليحفظ بناء الخلايا الحية على ما هو

فالآلة الحية اذاً تختلف اختلافاً كبيراً عن آلاتنا الميكانيكية . لان بناءها ونظامها ليس بناءً ساكناً بل هو بناء حيوي . وعندي ان الخلية الحية اشبهُ شيء ببطرية كهربائية تفرغ اذا لم تملأ بالكهربائية . والفعل الذي يملأ بطرية الخلية الحية بالحياة هو الاحتراق

لا نستطيع الآن ان نحكم على مدى تطبيق هذه الاحكام وشمولها لسائر انواع الخلايا في الاجسام الحية ولكني اعتقد ان اثبات هذه الحقيقة من اخطر المكتشفات العلمية التي أُثبتت حديثاً وانهُ لاول مرة في تاريخ العلم قد بدأنا نفهم ، ولو كان فهماً مشوباً بكثير من الابهام - الفرق بين الموت والحياة

الالعاب الرياضية

مصر في الدورة الاولمبية التاسعة

في امستردام

لم تنتبه مصر للانضمام الى الالعاب الاولمبية بعد بعثها سنة ١٨٩٦ الاَّ سنة ١٩٢٠ وحصلت في ذلك الوقت على نتائج لا بأس بها ثم اشتركت فيها سنة ١٩٢٤ فتقدمت قليلاً وسارت في طريق مطرد من التقدم وجاءت سنة ١٩٢٨ فاشتركت مصر ايضاً في هذه الدورة — في الالعاب الآتية — كرة القدم — المصارعة رفع الاثقال « او الربع » — الغطس في الماء — لعب السيف والشيش — ولم تشترك في الملاكمة لعدم وجود من يصلح فيها لتمثيلها — مع ان النية كانت متجهة الى كرم عبد العزيز — ولكن كرماً لم يحقق في آخر لحظة حسن ظن الذين وقع اختيارهم عليهِ فكان بهذا فصل الخطاب في هذه اللعبة

اما الامم التي اشتركت في هذه الدورة فكانت حوالي ثلاث واربعين امة من امم العالم اجمع . واذا شئنا ان نتناول الموضوع بشرحٍ وافٍ ضاق بنا المقام ولما كان الغرض من هذا المقال ان نتحدث عن مصر فنرى ان نبدأ بفريق كرة القدم

كرة القدم

سافر هذا الفريق مكوَّناً من الذين وقع عليهم الاختيار — ولم يسافر معهُ حسين حجازي بطل الكرة في مصر لانهُ كان موقوفاً عن اللعب بناء على قرار ناديهِ لانهُ لم يتقدم لتسلم المداليات في مباراة نادي الترسانة مع النادي الاهلي . وسافر في طليعة اللاعبين أقدمهم في اللعبة وارسخهم فيها قدماً — علي افندي الحسني قلب الدفاع المشهور وكان معهُ من الاداريين احمد بك فؤاد انور بصفتهِ رئيساً للبعثة — وعلي افندي مخلص سكرتيراً — ومحمد بك صبحي اميناً للصندوق — والمستر جيمس ماكراي ممرناً — وسافر معهم ايضاً يوسف افندي محمد بصفتهِ حكماً دوليًّا

ولما نزلوا في مرسيليا لعبوا مع احدى فرقها فتعادلوا معها — ثم ذهبوا الى باريس ومنها قاموا توًّا الى امستردام قبل بدء الالعاب الرسمية باسبوع واحد

وفي خلال هذا الاسبوع علموا ان الدول المشتركة في لعبة كرة القدم كانت تسع

عشرة دولة ولحسن حظ مصر كانت قرعتها الاولى مع الترك فتغلبت على فريق تركيا بسبعة اهداف لهدف واحد في ٢٨ مايو الماضي

وكان فريق المصريين مكوّناً من حمدي حارساً للمرمى — وسيد اباظه واحمد سالم ظهيرين — والصوري — والحسني — واحمد سليمان للدفاع . وكان خط الهجوم مكوناً من السيد اسماعيل — علي رياض — محمود اسماعيل — محمود مختار الصغير — جميل الزبير

وبعد ذلك كان من نصيب مصر ان تنازل فريق البرتغال — فنزلت بتغيير طفيف في صفوفها فتغلبت ايضاً بهدفين لهدف واحد وبتغلبها على البرتغال وصلت الى الدور قبل النهائي فنازلت فيه فريق الارجنتين — الذي تغلبَ عليها بستة اهداف لهدف واحد

هنا قد يقف الرياضي حائراً لدى التأمل في اسباب هذه الهزيمة بعد ان رأى فوز الفريق المصري فوزاً حاسماً على فريقي تركيا والبرتغال . اما الاسباب فترجع الى امور بعضها فني وبعضها ادبيّ . اما النقط الفنية التي حدت بمصر الى هذه الهزيمة فكانت ضعف فريقها من حيث الروح المعنوية . وهناك غلطة يمكن اجتنابها في المستقبل ذلك ان فرق الارجنتين والاوراجواي وغيرها من الدول وصلت الى امستردام مبكرة فوالت اللعب فيها حتى تمرست بحالة الجوّ والارض التي تلعب فيها — ولم يكن عند اللاعبين المصريين من قوة الصبر والاحتمال ما به يتمكنون من المحافظة على قوتهم فان المباراة الواحدة كانت تنهكهم ولكي يكونوا لائقين لمباراة دولية اخرى كان يتحتم عليهم ان ينالوا قسطاً وفيراً من الراحة ولم يكن لديهم ذلك — ومن جهة اخرى خلبت البابَ بعض اللاعبين المدنية الغربية فساروا في تيارها غير عابئين بالمسؤولية . وكل هذا يرجع الى ضعف اليد الادارية التي كان يجب ان تكون قدوة في مثل هذه الاحوال . فنجم عن هذا ان دبَّ دبيب الخلاف بينهم واصبحوا فرقاً وشيعاً — هذه هي الاسباب التي انبنت عليها هزيمة مصر مع الارجنتين ومع كل ذلك فقد كان هناك امل وحيد هو مباراتها مع ايطاليا — ولكن يظهر ان مباراة الارجنتين كانت قد فلت من عزيمة المصريين من جهة ولم يشترك بعض البارزين منهم في المباراة من جهة اخرى لما اصابهم في مباراة الارجنتين من رضوض — ويقال ايضاً ان رستم حارس المرمى المصري لم يصد الكرة مرة واحدة فان الرميات التي رميت على الهدف المصري كانت تجد طريقها سالكاً امامها — فخرجت مصر من اللعب مهزومة باحدى عشرة اصابة لثلاث اصابات

اما اللاعبون المصريون الذين نالوا ثناء الدول عامة فقد كان على رأسهم محمود مختار الصغير — وجميل الزبير — والسيد اسماعيل — ومحمود اسماعيل — وعلي رياض وجميعهم من خط الهجوم ولم يخس ايضاً عبد الحميد حمدي حقهُ — هذا وقد رددت الصحف الغربية اسمي لاعبين مصريين احدهما محمود مختار الصغير — وثانيهما احمد سالم — وقالت عنهما انهُ يصح ان يكون كل منهما نجماً ولكن النية كانت متجهة الى محمود مختار الصغير — فهو اللاعب المصري الوحيد الذي نال اعجاب العالم اجمع

وبعد مباراة ايطاليا عزمت مصر على القيام برحلة في اواسط اوروبا فلم توفق فيها وكان يجدر بالقائمين بها ان يعدلوا عنها — وليس هذا مجال الخوض في هذا الموضوع

رفع الاثقال

الى هنا انتهينا من بعثة الكرة وعلينا ان نتحدث عن بعثة العاب القوى فنبدأ بحمل الاثقال فنتحدث قليلاً عن بطلنا المصري بل بطل العالم في الوزن الخفيف وهو سيد نصير الذي لا ارى احداً احق منهُ بالفخر والتمجيد من ابطال العالم المصريين الذين رفعوا رأس مصر

سافرت هذه البعثة ومعها ابطال المصارعة ايضاً وعلى رأسها المسيو هيرمن سكرتير الاندية الرياضية المتحدة والمسيو يانكي ممرناً ومدرباً وفي يوم ٢٨ يوليو كان بدء المباراة في رفع الاثقال فتقدم اليها من مصر مختار حسين والسيد نصير ولا اريد ان اطيل الشرح من الوجهة الفنية او الغلطة الفظيعة التي اقترفت في تقليل وزن مختار حسين فان الامر يقتضي شرحاً طويلاً وغاية الامر انهُ قد اسيء الى مصر اساءة لا تغتفر بتقليل وزن هذا البطل . تقدم للمباراة وكانت الآمال معقودة عليهِ ونال كثيراً من العطف والتشجيع فكانت رفعاته كالآتي : —

ضغطاً	خطفاً	نتراً	الجملة
٩٠	٩٢٫٥	١٢٠	٣٠٢٫٥

وكان ترتيبهُ السابع في وزن الخفيف المتوسط بين ابطال العالم — وبعدها تقدم البطل المصري سيد نصير فرفع الرفعات الآتية

ضغطاً	خطفاً	نتراً
١٠٠	١١٢٫٥	١٤٢٫٥

فكانت مجموع رفعاتهِ ٣٥٥ كيلو

وتفوق نصير ولا تسل عما لقيهُ من التشجيع في وسط هذا الجمع الزاخر . وظلت

آلاف الحناجر تردد من قلوب خالصة اسم مصر مقروناً باسم بطلها الاوحد نصير — نصير — فلتحي مصر — وهكذا لقيت مصر بين هذه الالوف المحتشدة من يعطف عليها وينادي باسمها — وما كاد يعلن تفوقهُ حتى ارتفع العلم المصري على الملعب واهتزت لذلك اسلاك البرق في العالم ومرت في اثناء الرفعات لحظات رهيبة كادت تفت في امل المصريين ولاسيما عندما اخفق نصير في احدى الرفعات — ولكن لم يثن ذلك من عزمهِ بل تقدم ثابتاً هادئاً وطلب زيادة الوزن فاجيب الى طلبهِ فرفعها بسهولة وكانت هي الرفعة الفاصلة في تاريخ البطولة العالمية

المصارعة

واشتركت مصر ايضاً في هذه اللعبة ففازت منها ببطولة عالمية أخرى هي بطولة ابراهيم مصطفى

تقدمت بابراهيم كامل وهو من وزن الديك فهُزم مرتين في يوم ٤ اغسطس وفي وزن الريشة تقدمت بعلي كامل فهزم في المرة الاولى — وفاز في الثانية وهزم في الثالثة وفي الوزن الخفيف الثقيل تقدمت بالبطل ابراهيم مصطفى — وكان هو الامل الذي بقي لمصر ففاز خمس مرات متوالية لم يغلب في واحدة منها — فاز ثلاث مرات بالكتف (بالصرعة) ومرتين بالنقط — وكانت آخر واقعة لهُ مع روجر الالماني الذي علقت عليهِ المانيا كبير املها فنافستها مصر وانتزعت الفوز منها انتزاعاً

هنا رفع العلم المصري للمرة الثانية وكانت ساعات فرح تكل عن وصفها الاقلام اذ لا يمكن للانسان ان يصوّر بالقلم ذلك الشعور الناطق بالعطف على الابطال المصريين

وجاء دور الوزن الثقيل فهزم فيهِ ابراهيم صبح وكان قد سافر على نفقتهِ الخاصة

مسابقات الغطس في الماء

كان البطل العالمي الثاني فيها فريد سميكة — اما الاول فكان امريكيًا وكان مدى البطولة لمسافات محدودة بين ٥ أمتار وعشرة امتار

اعلن الحكام في اليوم الاول ان سميكة هو الفائز ولكنهم لم يلبثوا ان راجعوا انفسهم في اليوم التالي واعلنوا انهم أخطأوا في عد النقط وان ترتيب فريد سميكة هو الثاني بين ابطال العالم — وكان ذلك بعد ان رفع العلم المصري مرة ثالثة

مسابقات الشيش والسلاح

كان لمصر نصيب كبير في هذه المسابقات فازت فيها على بعض الدول الكبرى حتى

وصلت الى الدور قبل النهائي ببطليها شيكوريل — ومويل — وكان ترتيب شيكوريل النهائي السادس بين ابطال العالم ومويل الثامن

وفي لعب السلاح ايضاً وصل فلوري ومويل الى الشوط قبل النهائي — وهي نتيجة عظيمة لمصر اذ تغلبت على جميع الدول الكبرى التي تقدمت الى هذه اللعبة

العاب الجباز

اما العاب الجباز فقد اوفدت مصر اليها على حساب وزارة المعارف عبده مختار. وظل هذا البطل يوالي التمرن ويجهد نفسهُ فوق الطاقة حتى اذا حان ميعاد اللعب وجد مختار نفسهُ غير مستعدٍ لها فلم تفز مصر في هذه الالعاب لان الدول كانت تشترك بفرق وليس بافراد — ولم يجد عبد المنعم مختار عطفاً من ادارة بعثة العاب القوى — كانما هو قد جنى عليها جناية

الى هنا انتهي من هذه العجالة البسيطة بعد ان الممت بحظ مصر الماماً اجماليًّا في الدورة الاولمبية

سباح مصري يخضع المانش

اسحق بك حلمي

اسحق بك حلمي سليل اسرة عريقة في المجد هو ابن المرحوم عبد القادر باشا حلمي ولع منذ نعومة اظفارهِ بالرياضة وتعلق بالسباحة فاولاها كل عنايتهِ وجهده ووقف لها من وقتهِ وصحتهِ وماله ما وقف وكان يرمي الى غرض واحد حققهُ بضعة عشر نفر من العالم فكان اسحق بك حلمي احدهم

حاول غير مرة عبور المانش فاخفق ولم يقعد بهِ هذا الاخفاق عن المحاولة لانهُ كان عنيداً يريد ان يسيطر على هذا الخصم العنيد — بحر المانش — فيقهرهُ بدوره ويضرب مثلاً للبطولة المصرية يسجلهُ له التاريخ

فسافر الى فرنسا هذا العام وجعل يعدُّ نفسه بالمرانة وانقاذ الغرقى من السباحين الذين كانوا يتمرنون مثله على عبور المانش وظل يوالي الاستعداد بعزم الجبابرة غير ناظر الا الى امر واحد هو تحقيق رغبة مليك البلاد الذي صرح غير مرة انهُ يريد ان يرى احد رعاياهُ بين الذين عبروا المانش

بدأ اسحق بك مرانتهُ من ٩ يوليو سنة ١٩٢٨ وظل الى يوم ٣١ اغسطس حيث

انس في نفسه القدرة على تحقيق رغبة جلالة الملك فبدأ محاولته وكان ذلك يوم الجمعة بعد الظهر فنزل في الماء من رأس جريتز بفرنسا وصحبه في قارب كثير من السباحين والاصدقاء بغية تشجيعه في الاستمرار على السباحة — وظل يسبح بقوة خارقة حتى كان بعد اثنتي عشرة ساعة على بعد ميل من ميناء دوفر ولو ساعدته حالة الجو والبحر لسجّل رقماً قياسيًّا عالميًّا في سرعة اجتيازه المانش ولكن ابى الحظ وابت الطبيعة الا معاكسة البطل ليضرب لنا مثلاً آخر في الصبر على احتمال الشدائد — فقامت في سبيله الامواج وقاومهُ الريح وتصدى لهُ المد ووقف في طريقه التيار فكان كفاحاً عظيماً بين الطبيعة الهائجة والانسان الذي يريد بقوة ذراعيهِ التغلب عليها . وظلّ المد والتيار يقذفان بهِ امتاراً كلما حاول التقدم خطوة فلم يقعد بهِ اليأس ولم يتطرق الى عزيمته الخور بل كان جاعلاً امام عينيهِ اسم بلاده وارادة مليكه فسار مدفوعاً بهذه القوة غير المنظورة وهو يرى في تقلبات الطبيعة ومعاكسة القدر لهُ درساً قاسياً من الحياة — سار بين هذه الاهوال لم يبال بها وهو يشق طريقه في وسطها شقًّا شأن الجبار العنيد — ولما كان على بعد قليل من الشاطىء ازيحت النظارة الواقية عن عينيهِ فكان ذلك داعية لتسرب الماء الملح اليهما — على ان هذه العراقيل لم تفت في عزمه بل زادتهُ ثقة بالنفس واملاً بالفوز حتى وصل فولكستون الساعة ١ : ٤٠ بعد ظهر اليوم الثاني فكأنهُ قد ظل في الماء اربعا وعشرين ساعة كاملة الا دقائق معدودة وفي فولكستون قابلتهُ الجماهير بحماسة كانت كافية ان تعيد اليهِ نشاطه وخرج من الماء منهوك القوى احمر العينين مما تسرب اليهما من ماء البحر ولم يلبث الا قليلا بعد ان تناول نصف كأس من الشمبانيا استعاد بها قواهُ حتى ذهب الى الحمام فاغتسل وتدلك وعاد هو اسحق بك كأنهُ لم يقم بتلك المحاولة الجريئة ولم يقهر هذا الخصم الهائل ولم تفارق شفتيهِ تلك الابتسامة المحبوبة

هنا قد يضيق بنا المقام عن وصف الحفلات التي اقيمت في انكلترا وفرنسا تكريماً لبطلنا المصري وكيف اهتزت اسلاك البرق مرددة صدى هذه البطولة العالمية وبعد ما انتهى كل ذلك عاد اسحق بك الى مصر حاملا اسماً مجيداً وعلى رأسه اكليل من الفخار وفي مصر تشرف بالمثول بين يدي جلالة المليك فقلدهُ نوط الجدارة الذهبي وتلك كانت اعظم امنية تشرف بها مصري للآن ثم اقيمت لهُ حفلة تكريم وزارة المعارف فاهديت فيها اليهِ كأس فضية اعترافاً من الحكومة بفضله

يحيي فهيم

باب شؤون المرأة
وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

رسالة من البرازيل
تحتوي على رأي خاص في المرانة الرياضية

لا يسعنا ان نقفل الباب الذي جئنا فيه على ذكر ابطال مصر في الالعاب الاولمبية وسباحة المانش من غير ان ننبه برسالة جاءتنا من البرازيل من رجل قضى في التمرين الرياضي ٢٩ سنة محتفظاً بكل قواه مع انه تخطى الخمسين . فدلته خبرته على ان الطريقة التي وصفها فيما يلي هي افضل الطرق للتمرين البدني والاحتفاظ بقوى الجسد في سن الشيخوخة والكهولة ونحن ننشرها في باب تدبير المنزل لان العناية بحفظ الصحة من أول شؤون المنزل وربته

ان ما كتب من المقالات والآراء عن التمرين الجسدي وما اخترع من الحركات لزيادة فائدته وما نشر في الجرائد الرياضية يختلف عما يأتي هنا من امور اختبرتها بنفسي ٢٩ سنة حتى توصلت الى نتيجة احبُّ ان يجربها كلٌّ من رغب في الرياضة البدنية لعلها تساعدهُ على ان يعيش عيشة صحية خالية من الامراض ويحتفظ بقوتهِ في الشيخوخة

وتجربتها او ممارستها لا تجلب خسارة قط بل بالعكس . فانها تخزن القوى لسن الشيخوخة وهذا هو الامر المنشود

اذا كان رجل واقفاً امام نبع من الماء الزلال فانهُ لا ريب يشتهي جرعة منهُ وذلك لانهُ قرب ذلك النبع ليس إلاَّ . فاذا كان جسمهُ لا يحتاج او لا يتطلب ذلك الماء فهل من اللازم ان يشرب ؟

واذا كانت معدتهُ لا تحتمل جرعة ماء ولو كانت من اعذب الماء افلا يكون الشرب مجلبة لضرر كبير ؟

وما يجري على المعدة يجري على كل عضو من اعضاء جسمنا . اذا اجبرناه على عمل شيء ليس مستعداً له نكون قد اضعفناه بدلاً من تنشيطنا له

ونحن جماعة الرياضيين اذا اردنا ان نسابق ونفوز على اقراننا وجب ان نأخذ بالتمرين كل يوم او يومين مرة غير حاسبين ان عضلاتنا لها ارادة يجب ان تطاع ولها قوانين تجري عليها كل سني حياتها تشعر بها وتُشعر صاحبها بقابليتها متى كانت قادرة على التمرين او متى كانت غير قادرة عليه . فاذا كانت مرتخية او مشلولة غير قابلة للتمرين ومرتها فكأنك قد طردت منها الحياة بدلاً من الفضلات اي تكون قد طردت ما كان قائماً باحيائها من غير ان تفرز فضلات، على الجسم افرازها بواسطة العرق او التنفس. والبرهان على ذلك هو اننا اذا بقينا بدون تمرين ستة وعشرين يوماً على الاكثر ولم نكن نشعر بوجوبه طول تلك المدة وتمرنا بعدئذٍ بقابلية لم نشعر بالم بعد التمرين كما يحدث دائماً وذلك دليل ساطع على ان التمرين لم يكن اقل من اللازم . ولو كان العكس لشعرنا بألم كلما حركنا تلك العضلات وذلك دليل على ان الفترة كانت اطول من اللازم

اني منذ ٣١ سنة وأنا أمارس الرياضة البدنية وقد اختبرت ذلك بعد أن مضى عليّ ١٠ سنوات من التمرين العنيف. اذ كنت أتمرن كل يوم أو حسبما كانت تسمح لي الاحوال (وعندها كنت أرفع ٩٥ كيلو) فوجدت أني مقبل على غلط فاضح يجرّ جسدي الى أمراض أنا في غنى عنها

ولاحظت أن الجسم اذا كان محصناً بحصون العضلات القوية فهو مثل دولة لها حصون منيعة تعتزّ بها فلا يدخلها العدو إلا بعد أن تمزق شمل عساكره . هكذا صرت أبحث عن طريقة أمرّن بها جسدي ولا أنهكهُ في الوقت عينه . فتوصلت إلى أن أنتظر قابليتهُ حتى صرت أشعر بها وأمرّن كما شعرت بقابليته فحفظت قوتي مدة طويلة وبقيت أرفع ٩٥ كيلو من الكتف وصاعداً. وكان وزني ٦٧ كيلو وعمري لا يزيد عن ٢٥ سنة . فحزت بذلك لقب بطل العالم للوزن الخفيف وأيضاً بطل البرازيل لكل الاوزان وذلك سنة ١٩٠٠ وبصفتي هاوياً من هواة اللعب. ولا تزال قوتي حتى الآن كما كانت عليه قبلاً أرفع هذا الوزن إذا شئت وهو أثقل أثقالي . وذلك يرجع فضله إلى التمرين على الطريقة التي شرحتها ففي بعض الاشهر أتمرن من ٤ مرّات إلى ١٠ مرّات في الشهر وبعض الاشهر أتمرّن كل يوم مرّة عند ما أشعر بقابلية وهذه الاشهر نادرة

وليس التمرين وحده يفي بالمرام . بل يجب ان تلاحظ مسألة الاكل والاشغال والنوم لان لذلك أثراً عظيما في الجسم وبكلمة اخرى يجب الاعتدال في كل شيء حتى ان طريقة تمريني تتبع كل هذه القوانين . وتحتوي على جميع حركات الجنستيك. واذا تمرنت مرّنت جميع اعضاء جسمي حتى ورؤوس اصابع رجليّ . اذ الجسم يجب ان يكون ليّناً مرناً لكي تكون قوته كافية . لهذا تعوّد اللين ورشاقة الحركات لتجعل عضلاتك سهلة القياد تستعملها كما تشاء بسهولة . وقد تكون ايها القارىء الكريم من الرجال الاقوياء الذين وهبتهم الطبيعة قوة طبيعية فلا تقل اني قويّ بدون كل هذا التمرين . وعليه اجيبك بان المشي والوقوف والاكل كلها تمرين . وعدم التمرين هو النوم او الاستلقاء على الفراش . فلهذا كل انسان يتمرّن يومياً بدون ان يشعر . والطبيعة وهبتك قوة اهملتها لكنها لا تزال معك اذا استعملتها ووافقت على التمرين النظامي تجددت وحزت قوة عظيمة اذا لم تكن هرقلية

والتمرين النظامي يطرد الفضلات التي تفرز من الاعضاء بعد الرياضة البدنية الاعتيادية كالمشي الخ . الاّ ان هذه الرياضة اليومية غير كافية لطردها لذلك يجب أن تحرّك جميع أعضاء جسمك لتطردها خارجاً وجسمك نفسه يشعرك بلزوم طردها إذا تعودت ذلك . وربّ سائل يقول لمَ لا يكون التمرين منتظماً كالاكل مثلاً مرة كلّ يوم او مرة كل ثلاثة ايام أو ما شابه. اجبنا ان النوم ومدته والاكل ونوعه والمشي ومسافته والشغل الخ اعمال ليست منتظمة ولا هي تجري على ما نريده . حتى حالة الجوّ ليست منتظمة ولا تكون حرارة كل يوم كحرارة اليوم السابق . وهذا أهمّ داع إلى تكييف الجسم حسب تكييف الاحوال وأخصها اشغال الفكر ولا من شيء نظامي في معيشة الانسان لكي يكون التمرين منتظماً

سان بولو حنا يافث

[المقتطف] المشهور ان الرياضة البدنية لازمة للجسم . لذلك نرى المدارس قد افسحت مجالاً في برامجها للرياضة البدنية سواءكانت من انواع الجري والقفز ورمي الحديد او من العاب الكرة على اختلافها ككرة القدم (الفوتبول) وكرة السلة (الباسكتبول) والهُكي والكركيت والبايسبول وما اليها من انواع الرياضة والسباحة . والزمت كل تلميذ من تلاميذها ان يروّض جسمه ساعات معينة كل اسبوع . ولا شكّ ان الجسم يحتاج إلى الرياضة لانها تقوّي العضلات والمفاصل وتحفظ الدورة الدموية

في حالة صحية وتهيء الاجهزة المختلفة لافراز الفضلات إما عرقاً او بولاً او مع زفير الرئتين ولكنها ان تمدت الحد المعقول اضعفت الجسم بدلاً من ان تقويّه فهي بذلك ابلغ مَثَل على ان الاعتدال خير شعارٍ يسير عليه الناس في اقوالهم وافعالهم

فنحن اذاً نوافق حضرة الكاتب على ان الرياضة البدنية يجب ان تمرّن الجسد من غير ان تنهكهُ. فقد عُرف كثيرون من أبطال الالعاب الرياضية الذين أنهكوا أجسامهم بالتمرين فأصيبوا بتضخم في القلب او بضعف في الرئتين او بضعف عام أقعدهم عن العمل وانتهى بموتهم في شرخ الشباب. فالرياضة البدنية لازمة للجسم ولكنها يجب الاّ تتعدى حد الاعتدال. وبعض الناس يحسب انهُ اذا لم تُتِح لهم اعمالهم وقتاً للرياضة البدنية كلّ يوم جربوا ان يعوضوا ذلك النقص باجهاد نفوسهم يوم الاجازة الاسبوعية ومنهم من يحسب انهُ اذا لم يتمكن من المشي ميلين كل يوم عوّض ذلك يوم السبت مثلاً بمشيهِ ١٥ ميلاً. وهذا خطأ كبير لان فائدة الرياضة لا تقوم على مقدارها بل على انتظامها بقدر الامكان

لذلك نرى نفسنا مسوقين الى التساؤل عن فائدة الخطة التي بشير بها حضرة الكاتب. فالانتظام في عالم الرياضة لا يعني انتظاماً رياضيًّا في دقتهِ فقد تمرّن قليلاً حين تشعر بتوعّك في مزاجك وتمرن أكثر من ذلك حين تحسُّ بالنشاط. ولكنك في الاول لا تنقطع عن الرياضة انقطاعاً باتّاً وفي الثانية لا تتعدى حدّ الاعتدال. فالانسان يجنح الى الكسل في مسألة الرياضة اذا لم يكن مولعاً بلعبة من الالعاب او اذا لم يضع لنفسهِ قانوناً يجري عليهِ. فاذا انقضى شهر لم يتمرّن في خلالهِ لانهُ لم يشعر بقابلية لذلك خيف حينئذٍ ان يكسل بعد الشهر او ان يتعود عادة جديدة تملك عليهِ لبّه ويمارسها في ساعات الرياضة فتحلّ محلها. فما رأي الاطباء في ذلك ؟

مقام اللبن بين الاطعمة

في كل رطل من اللبن العادي ٣١٤ وحدة من وحدات الحرارة. فهو بذلك مساوٍ لنصف رطل من لحم البقر. او لاربع بيضات ونصف بيضة من بيض الدجاج الكبير. والبروتيين الذي فيهِ عظيم القيمة في التغذية فان ٩٧ الى ٩٨ في المائة منهُ يهضم ويمتص ولهُ مزية على البروتيين الذي في الاطعمة الاخرى ومزيتهُ انهُ خالٍ من المواد التي تولد الحامض اليوريك في الجسم وليس عرضة للفساد السريع في الامعاء

ماء الشعير – شراب منعش

ماء الشعير شراب منعش مغذٍ يصنع صافياً بأن تضع ملعقة كبيرة من الشعير المقشور في اناء وتصب عليهِ ماء بارداً حتى يغمره وتضع الاناء على النار حتى يغلي خمس دقائق ثم تسكب الماء وتضع الشعير في اناء من الزجاج او الصيني وتضع معهُ القشر الدقيق من نصف ليمونة حامضة وفنجاناً من السكر وتصب عليهِ رطلاً من الماء الغالي وتغطيهِ وتتركهُ حتى يبرد ثم تزل الماء وتضيف اليهِ قليلاً من عصير الليمون فيكون شراباً منعشاً

غسل الريش

اذا قدم ريش الفراش والمخدات واردت غسلهُ وتجديدهُ خِط كيساً كبيراً واتركهُ مفتوحاً من احد جوانبهِ وافتق جانباً من الفراش او المخدة وخِطهُ بالجانب المفتوح من الكيس وانقل الريش الى الكيس ثم خطهُ واغسلهُ والريش فيهِ في ماء اذيب فيهِ كثير من الصابون واعد غسلهُ ثانية ثم اغسلهُ في ماء نقي لا صابون فيهِ ولا تعصرهُ عصراً بل علقهُ حتى يتصفى الماء منهُ وضعهُ على العشب في الشمس وهزهُ مراراً ومتى نشف الريش تماماً اضرب الكيس بعصا حتى ينتفش فينظف ويصير كالريش الجديد

الغبار وازالته

من مزايا هذا القطر كثرة الغبار في هوائهِ وتراكمهُ على كل السطوح المكشوفة للهواء فاذا مسحت مرآةً من الغبار ونظفتها جيداً ثم تركتها ساعة من الزمان وجدت سطحها قد تغطى بطبقة جديدة منهُ . وقس على ذلك الموائد والستائر والحصر والبسط وما أشبه . وفي الغبار دقائق ترابية ونباتية وحيوانية كما يعلم من فحصهِ بالمكرسكوب وهي سبب كبير للوسخ وانتقال الامراض فلا بدَّ لربة البيت من أن تتعهد كل أثاثهِ بالكنس والنفض يوماً بعد يوم . الآن ان جانباً كبيراً من دقائق الغبار يثور في الهواء بالكنس ولا يزول من الغرف الا اذا نثر على أرضها وعلى ما فيها من البسط شيء من اوراق النبات او من نشارة الخشب المبلولة بالماء حتى تلصق بها دقائق الغبار قبل كنسها فلا تثور في الهواء

كتاب «فوائد منزلية»

نقلنا ما نشرناهُ بعنوان فوائد منزلية في بابي تدبير المنزل في عددي اكتوبر ونوفبر عن كتاب بهذا العنوان لامين افندي الغريب صاحب مجلة الحارس البيروتية فاقتضى التنبيه



نظم العقيان

في أعيان الأعيان للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ — سنة ١٥٠٥ م .

ظهر هذا الكتاب حديثاً مطبوعاً أول طبعة بالمطبعة السورية الأمريكية في نيويورك سنة ١٩٢٧ م بتحرير العلامة السوري الأمريكي الأستاذ فيليب حتي وهو يتضمن تراجم مشهوري القرن التاسع الهجري في مصر والشام والحجاز والعراق والأندلس وسائر العالم الإسلامي وهم زهاء المائتين وأكثرهم ممن كانوا في عصر المؤلف السيوطي من قضاة ومقرئين ومحدثين وفلكيين وشعراء وساسة وسلاطين إلى غيرهم وبعض هؤلاء الاعيان لا تجد أثراً لسيرهم في غير هذا الكتاب. وحماديّ القول أنّ نظم العقيان يصوّر لنا الحالة العلمية والأدبية والاجتماعية في عصر المماليك الشراكسة بمصر خاصة وبغيرها عامّة وهو عصر جمع واختصار وإبهام وتفسير لا عصر وضع واستنباط. وصفحات الكتاب مائتا صفحة ومقياس حرفه ١٨ ومقياس حروف عناوينه ٢٤ ومقياس حروف حواشيه ١٢ من البوصة المقسمة أقساماً متساوية قدرها ٧٢ قسماً . وورقهُ متوسط من قلبين في اصطلاح الطبّاعين والورّاقين. وقد نضّدت حروفه بآلة تنضيد الحروف (Linotype) .

وفي رأس الكتاب وذيله فهرسان هما من وضع الأستاذ حتّي فالفهرس الأول يتضمن التراجم حسب الشهرة وَفق ترتيب الحروف الهجائية مع بيان رقم الصفحة أمام اسم كل مترجم من أولاء الأعيان . والفهرس الثاني يتضمن أسماء المصنفات الوارد ذكرها في الكتاب مرتبة وفق ترتيب الحروف الهجائية أيضاً مع بيان أسماء المصنفين وعدد الصفحة أمام كلّ . وغير خاف علينا ما لاقى واضع هذين الفهرسين من المتاعب الجمة (لتسهيل المراجعة والأخذ) لولا يد الصبر الجميل .

وقد أعارتني إدارة المقتطف نسختها المهداة إليها لأنها عهدت إليّ أن أبدي رأيي على صفحات المقتطف حيال هذا الكتاب الفذّ وعمل محرره الأستاذ العلم فيليب حتّي فقرأت أكثره في ليلتين فمنّت لي الملاحظات الآتية :

(١) قد أوجز الإمام السيوطيّ فى أكثر التراجم بما لا يزيد على سطر مثل ترجمة الشريف محمد بن بركات والى مكة (انظر الصفحة ١٤٤) أو أربعة أسطر (انظر ترجمة البلقيني في الصفحة ١١٩) وأسهب فى القليل منها (انظر ترجمة الشهاب الحجازى أحمد من الصفحة ٦٣ إلى الصفحة ٧٧) فتراه قد قتّر أكثر مما أسرف فى غير ما يقتضيه المقام.

(٢) عناية الأستاذ رِحتّى بضبط الرواية لانه عثر على ثلاث نسخ مخطوطة من هذا الكتاب واحدة في بيروت وأصلها فى القاهرة أعاره إياه أحمد تيمور باشا من دار كتبه وثالثة فى ليدن إحدى مدائن هولاندة وقد وصلت إليه صورتها الشمسية. والنسخة المصرية التيمورية أصح من النسختين الأخريين لأنها أقل غلطاً منهما كما تجلّى ذلك لمحرر الكتاب (مصححه) والقائم على نشره بعد طبعه حضرة الأستاذ رِحتّى إذ قال (المخطوطة التيمورية لا أخت لها في بلدان المشرق على ما نعلم) فاعتمد حضرته النسخة التيمورية وجعلها أساساً لهذا الكتاب ونص فى الحاشية على ما يخالفها من ألفاظ أو أساليب من نسخة ليدن ولم يعوّل على النسخة البيروتية لأنها منقولة من النسخة التيمورية بغير دقة تامة وهذا عمل جليل شاق وأجلّ منه وأشقّ ما قام به من إصلاح الأغاليط التى وقع فيها الناسخون للنسخ الثلاث حتى زلّت اقلامهم فى طائفة من آيات القرآن الكريم فحرّفتها وأومأ إلى ذلك كله الاستاذ رِحتّى فى الحواشى بعد الإصلاح مع ذكر مصدره إن كان له مصدر (انظر الى الصفحتين الثانية والسادسة من الكتاب) ذلك إلى ما فى المخطوطتين التيمورية والليدنيّة من الكلمات والجمل الساقطة التى بقى مكانها بياضاً كما روى العلامة رِحتّى.

(٣) إن علامات الفصل والوصل ووضع عناوين للتراجم وضبط الأعلام بالحركات عمل حسن للمحرر أيضاً يقابل من القراء بعظيم الحمد وجزيل الشكر لانه يساعدهم على التفهّم ويجنّبهم الخطأ ويريحهم من عناء مراجعة المعاجم وغيرها فى الاعمّ الاغلب. أما قولى إن ما تقدم من عمل الأستاذ رِحتّى فدليلى عليه ما قاله حضرته فى مقدمته بالصفحتين ط و ظ كما نقل لنا نموذجين بآلة التصوير الشمسى أحدهما من مخطوطة تيمور باشا وكاتبها إبراهيم بن سليمان الجينينى سنة ١٠٩٧ هـ والآخر من مخطوطة ليدن وهى مخرومة وكاتبها أحمد بن أحمد بن حسن الرديني الحسنى سنة ٩٧٤ هـ ولهذين النموذجين من الأثر التاريخى ما لها وحبذا الحال لو حذا حذوه من يطبع الكتب المخطوطة وبخاصة ما كانت بخطوط مؤلفيها المتقدمين والمتأخرين.

(٤) ظهرت لي أغلاط عروضيّة ولغويّة ونحويّة وصرفيّة وإملائيّة وغيرها في الكتاب وفي مقدمة محرّره الأستاذ حتّي فارى ضرورة الإشارة إلى أمثلة منها خدمة لقرّاء الكتاب ووفاء بحقوق اللغة العربية ليلاحظها العلماء والأدباء فيعملوا على اجتنابها وما أكثرها إذاعة بالسنة الناطقين وأقلامهم على صفحات الكتب والصحف والمجلاّت العصريّة وهاكم أمثلة من كل نوع بإيجاز.

(١) الأغلاط العَرُوضية

في الصفحة ش: البيت الآتي للسيوطي من أرجوزته المسماة تحفة المهتدين بأسماء المجتهدين

وقد رجوت أنني المجددُ فيها ففضل الله ليس يجحدُ

والصواب أنّي بدل أنني أو أنه يحرك ياء المتكلم من أنني بالفتحة. وقلّ من يفطن لها من القرّاء لأنه من الرجز وكما في الصفحة ١٤ البيت الآتي وهو للباعوني

أتى عليّ تسعون بلا شكّ ولا ريبِ

والصواب ما ذكرته مخطوطة ليدن (أتى لي الآن تسعونا) مع زيادة ألف على تسعون ليستقيم الوزن لأن البيت من الهزَج أو مجزوء الوافر. والبيت الذي يليه مكسور وإصلاحه يحتاج الى مراجعة في مصدر آخر أما الاصلاح بتغيير بعض كلماته بغيرها تتفق هي والوزن مع المحافظة على المعنى ذاته فغير جائز في معتقدي واعتقادي لأن هذا العمل ضدّ الأمانة في الرواية ومأخذي على محرّر الكتاب في هذا ونحوه أنه ذكره ولم يشر إلى أنه غير متّزن في الحاشية. والأبيات التي تليه وهي الرابع والخامس والسادس مدوّرة فوضعها كما جاءت في الكتاب خطأ في اصطلاح علماء العروض وصوابها أن تكتب هكذا

ذكرت شبابيَ الماضيـــ ـيَ لمّا صرت ذا شيب

فيا ألله جـد بالسّتـ ـرِ لي يا ساتر العيب

وبالعفو الذي أرجو ه يا ذا الجود والسيْب

بجعل الياء الأولى آخر الشطر الأول والياء الثانية أول الشطر الثاني من كلمة الماضيّ وبجعل التاء من كلمة الستر آخر الشطر الأول والراء أول الشطر الثاني وبجعل الهاء في أرجوه أول الشطر الثاني وإذا كتب كل كلمة من هذه الكلمات في الشطر الأول بلا تجزئة كما يفعل كثير من أبناء العصر فليجعل في الفضاء بين الشطرين من كل بيت من

الأبيات المتقدمة وما شاكلها الحرف م إشارة إلى أن البيت مدوّر (موصول) ليفطن له القارئ إذا كان يعرف هذا الاصطلاح واتباع الرأى الأول أولى . ومثل هذا الكلام يقال فى الأبيات المدوّرة الآتية بالصفحتين ١٩ ، ٩٨ على اللف والنشر المرتب وهى كما فى الكتاب

باعين فابكى للوليد بن الوليد بن المغيره (صفحة ١٩)

فيكون آخر الشطر الاول الياء من لفظة الوليد الأولى وهذا هو الصواب لأنه من مجزوء الكامل المرفّل .

وتأسيتمُ ختاناً بابراهيم لكن هذا الختان بموسى
كان قطعا وزال والحمد لله ومنه يعوّضان العروسا

والصواب أن يكتب (إبرا) فى الشطر الاول و (هيم) في الشطر الثانى من البيت الأول وأن تكون الهاء من الله أول الشطر الثانى من البيت الثانى لأن البيتين من الخفيف . فيكتبان هكذا

وتأستيتمُ ختانا بإبرا هيم لكنْ هذا الختان بموسى
كان قطعاً وزال والحمد للـــه ومنهُ يعوّضان العرُوسا

وفي الصفحة ٦٤ البيت الآتى وهو للشهاب الحجازى جعله لسان حال الخصر

انظر الى الردف تستغن بهوأنا مثل المعيدىّ فاسمع بى ولا ترنى

والصواب تستغنى بياء فى آخر المضارع لأن البيت من البسيط وربما سرى الى ذهن الناسخ أو الطابع أن الياء يجب أن تحذف من تستغنى لانه مجزوم فى جواب الأمر وهذا وهم فإن المضارع يقع مجزوماً فى جواب الأمر جوازاً لا وجوباً فسيان عند علماء النحو حذف لام هذا الناقص وإبقاؤها إلى غير ذلك من الأبيات المكسورة المبعثرة فى الكتاب .

(ب) الأغلاط اللغوية

الوحيدة وقد ذكرت مرتين بالصفحة ت وصوابها وحدة بفتح الواو وكسر الحاء وفى هذه الصفحة أيضاً (فى كاتالوك مكتبة ليدن) والصواب فى فهرس دار كتب ليدن وفى الصفحة ث ولقد كلفنا الأستاذ سنوك هرغرنه بنقل المخطوطة هذه لنا بالفوتوغراف والصواب أن يقال كلّفنا الأستاذ فلاناً نقل المخطوطة هذه لنا بآلة التصوير الشمسىّ ولا تثريب إذا قدم اسم الإشارة على المخطوطة فكلّف يتعدى بنفسه ولا يتعدى بحرف الجر.

وفى الصفحة خ مواضيع جمع موضوع والصواب موضوعات لأن مفرده خماسى لم يسمع له جمع تكسير وما فى المعاجم اللغوية مثل ملاعين ومشائيم وميامين جمع ملعون ومشئوم وميمون فمقصور على السماع ولا يقاس عليه. وفى الصفحة ض لفظة يستنتج وهو خطأ لأن صيغة استفعل ليست قياسية فورود نتج فى اللغة وأنتج لا يقتضى صحة استنتج والصواب يستنبط بدل يستنتج وما أدرى من أين نقل صاحب المنجد استنتج وكذلك يستلفت التى في الصفحة ط والصواب يلفت أو يوجّه

وفى الصفحة خ ويمكن اعتبار كتاباته السيكلوبيدية فى موضوعاتها ودائرة اتساعها مجسّم العلوم والصواب أن يغير السيكلوبيديا بترجمتها المشهورة دائرة معارف أو مجموعة معارف فيقول ويمكن اعتبار كتاباته دائرة معارف فى موضوعاتها ولا لزوم لقوله (ودائرة اتساعها مجسم العلوم) وفى الصفحة خ أنموذج والمشهور فى المعاجم نموذج. بحذف الهمزة. وفى الصفحة س وتطوّرها فى رأس السيوطى خطأ لأن العرب لم تشتق من الطور تطوّر والصواب أن يقال وانتقالها من طور إلى طور وفى الصفحة ظ وزيادة عن التنويه والصواب وزيادة على التنويه وفى الصفحة ١٧٥ أحد المشاهير جمع مشهور لأنه لم يسمع عن العرب وليس يقاس على ملاعين ومشائيم إذ هو مقصور على السماع والصواب جمعه جمع مذكر سالماً وقد رأيته فى كلام الشنقيطى مجموعاً على مشاهير فى رحلته الشنقيطية وليس قوله حجة لأنه كان فى هذا العصر بعصر وإن كان حجة فى النقل عن المعاجم ودواوين الشعراء وكتب الأنساب.

(ج) الأغلاط النحويّة والصرفيّة

الأصوليّ فى الصفحة العاشرة خطأ والصواب الأصليّ لأنك تنسب للواحد إذا أردت النسب إلى الجمع، وفى الصفحة ٦٤ وقال فى مليحة لابسة ثوب خمرى والصواب لابسة ثوباً خمرياً وفى الصفحة الرابعة وهم ذوو القربى المذكورين والصواب المذكورون ولا ينبغى أن نلجأ إلى أنه نعت مقطوع والتقدير أعنى المذكورين فالقرّاء فى غنية عن هذا التأويل وإن صحّ تخريجه. أما الألقاب المذكورة فى الكتاب التى لا تتفق هى وقواعد النسب فالواجب ذكرها مثلما فعل المؤلف والناشر كما هيه — لأن واضعيها أطلقوها على هؤلاء الأعيان فاشتهروا بها وما زلنا نقول الجيزاوى نسبة إلى الجيزة والصواب جيزيّ ونذكر المرحوم الشيخ أبا الفضل الجيزاوى بالصحف السيارة

(د) الأغلاط الإملائيّة

ما أكثر هذه الأغلاط على أنها من أوليات فن رسم الحروف مثل ياابن (بالصفحتين ٨، ١٦٩) والصواب أن تكتب هكذا يابن وألف ابن تكتب فى أول السطر ولو كانت بين علمين مثل بن أبى بكر السيوطى فى أول سطر من صفحة عنوان الكتاب والصواب أن تكتب ابن أبى بكر وكذلك سقطت ألف ابن من أوائل السطور فى ابن المغيرة وابن الوليد بالصفحة ١٧ وزيدت على هشام بن الوليد فى أثناء سطرها بالصفحة عينها وحذفت ألف ابن من الحافظ ابن حجر والواجب إثباتها لأن الحافظ لقب وليس بعلم ومثل ياأيها فى الصفحة ٣٨ والصواب أن تكتب هكذا يأيها ومثل فهاأنا بالصفحة ٦٦ والصواب فهأنذا فهنا غلط إملائىّ ونحوىّ لان ها التنبيه إذا دخلت على الضمير وجب أن يؤتى بعد الضمير باسم إشارة مطابق له ويجب حذف ألف ها التنبيه وألف أنا فتكتب كما ترى (فهأنذا) وفى الصفحة ١١٦ الأولى باثبات الواو والصواب حذفها لأن الألى اسم موصول بمعنى الذين وفى الصفحتين ١٤٤، ١٤٥ (ختى م . فعلى م) والصواب كتابتها هكذا ختام . فعلام ، وفى الصفحة ١٥٦ دنى بالياء والصواب ان يكتب دنا بالالف لأنه من الدنوّ أى القرب ودنىَ صار ضعيفاً ساقطاً لايناسب السياق

(هـ) أغلاط مضحكة أو خرافات

قال السيوطى فى الصفحة ٢٧ المعروف بالناجى لكونه تمذهب شافعياً بعد أن كان حنبلياً وهذا هوى مذهبي ممقوت مضحك لأن الإمامين أحمد بن حنبل والشافعى على حق وهما ومن تبعهما من العامة فى نجاة من النار بالأعمال الصالحة . وفى الصفحة ١٦٣ قال البقاعى فى معجمه حدّثنى الخ أن أباه نورالدين لمّا ورد إلى الروضة الشريفة وقال (السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته) سمع من كان بحضرته قائلاً من القبر يقول وعليك السلام يا ولدى ! وفى الصفحة ١٧٤ قال البقاعى فى معجمه أخبرنى أنه رأى وهو صبىّ فى يوم ذى غيم رجلاً يمشى فى الغمام لا يشك فى ذلك ولا يتمارى !! .

وكنت أربأ بالسيوطي وهو إمام عصره فى المعقول والمنقول وقد ضرب بسهم فى الحكمة والفلسفة عن أن يكتب هذه الخرافات وسياق الكلام يدلنا على أنه كتبها وهو يعتقد أنها حق ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ؟

عبد الرحيم محمود
المدرس فى السعيدية الثانوية بالجيزة

اجتمع في مكتبة المقتطف طائفة من المطبوعات الجديدة تعذّر علينا ان تنظر فيها في هذا الجزء نظراً يتفق مع مقام مؤلفيها وخطورة مباحثها فارجأ ناذلك الى الاجزاء التالية واليك عناوينها واسماء مؤلفيها وناشريها

مطبوعات جديدة

١ : تاريخ الادب العربي . بقلم احمد حسن الزيات مدير التعليم العربي بجامعة القاهرة الاميركية . صفحاته ٤٠٣ طبع بمطبعة الاعتماد بمصر

٢ : العظماء : وهو كتاب بلوطرخس الطائر الصيت . ترجمة ميخائيل بشاره داود . طبع بدار العصور بمصر . صفحاته ٣١٤

٣ : العقائد . تأليف عمر عنايت . طبع بمطبعة العصور بمصر . صفحاته ١٧٢ قطع صغير

٤ : اغاني الدرويش . نظم رشيد ايوب . طبع بالمطبعة السورية الاميركية بنيويورك

٥ : امراض الجلد . تأليف الدكتور محمد كامل براده . طبع بمطبعة دار الكتب المصرية . صفحاته ٢٤٠

٦ : تدرج المذاهب في التربية . مذهب سبنسر للدكتور عبد الكريم احمد السكري صفحاته ٢١٠

٧ : تاريخ المؤامرات السياسية . تأليف محمد عبدالله عنان . نشرته مجلة الهلال ووزعته هدية الى مشتركيها . صفحاته ٢٧٨ قطع صغير

٨ : علم ادب النفس . تأليف نقولا الحداد وقد وزعته مجلة السيدات والرجال هدية الى مشتركيها . صفحاته ٢٩٠

٩ : الحوماني : ديوانا شعر الاول صفحاته ٢٠٨ والثاني ٢٢٤ قطع صغير . طبع بمطبعة العرفان بصيدا

١٠ : كتاب الاغاني . الجزء الثاني طبع بمطبعة دار الكتب المصرية . صفحاته ٥٢٠

١١ : اختلال التوازن العالمي : تأليف الدكتور غوستاف لوبون وترجمة الدكتور صلاح الدين مرصفي . نشرته مكتبة العرب لصاحبها الشيخ يوسف توما البستاني صفحاته ٤٤٠ قطع صغير

١٢ : جدول الامراض تأليف الدكتور فؤاد غصن وهو يحتوي على اسمائها بالعربية والافرنجية

١٣ : الحياة البسيطة : تأليف شارل واغنر وترجمة الارشمندريت انطونيوس بشير . نشرته مكتبة العرب صفحاته ٢٥٦

١٤ : رباعيات الخيام : ترجمتها عن الفارسية نثراً ونظماً جميل صدقي الزهاوي وطبعت بمطبعة الفرات ببغداد صفحاتها ٧٢

١٥ : ذكرى امين الرافعي بقلم محمد صادق عنبر . طبع بمطبعة النهضة بمصر . صفحاته ٧٠٩

١٦ : اصل الانواع : الجزء الاول منه . ترجمة اسماعيل بك مظهر صاحب مجلة العصور وقد طبع بمطبعتها

١٧ : Art in Oriental Rugs-by De Mitry Georges Sand.

١٨ : New Arabian Nights, by H. Katibah. Scribenrs N. Y.

١٩ : Jesus the Son of Man Kahlil Jibran : Knopf N. Y.

مطبوعات اخرى

١ : انشودة الحب : للكاتب الروسي ترجنيف ترجمة سليم قبعين صاحب مجلة الاخاء بمصر صفحاتها ٩٦

٢ : التقرير الرسمي المرفوع الى عصبة الامم عن احوال الادارة العراقية سنة ١٩٢٦ ترجمة عطا عوم محرر في جريدة العالم العربي بالعراق . صفحاته ١٨٩

٣ : نهضة الحسين تأليف هبة الدين الحسيني طبع بمطبعة السلام ببغداد صفحاته ١١٦

٤ : علم صناعة الحديد وضعه يوسف العارف استاذ علوم في الهندسة الميكانيكية وعثمان عبدالله دبلوم مدرسة الفنون والصنائع الملكية . طبع بالمطبعة المصرية بمصر .

٥ : اعظم حرب في التاريخ وكيف مرت حوادثها . تأليف الاستاذ جرجس الخوري المقدسي . منشئ مجلة المورد الصافي . طبع بالمطبعة العلمية صفحاته ١٢٨

٦ : دروس في الكنيسة الارثوذكسية وضعه بالانكليزية الارشمندريت انطونيوس بشير صاحب مجلة الخالدات بدترويت مشيغان

٧ : الطبيعة المصرية : وهي طبعة ثانية من هذا الكتاب تأليف احمد محمود خليل راشد وقد طبع بالمطبعة الرشادية بالاسكندرية

٨ : اليوبيل الفضي لجريدة الافكار ومنشئها الدكتور سعيد ابي جمرة . طبع بسان بولو وصفحاته ٩٩

٩ : خديجة ام المؤمنين تأليف السيد عبد الحميد الزهراوي طبع بمطبعة المنار بمصر .

١٠ : سبيل الرشاد ـ دين وتاريخ واخلاق ـ تأليف الاستاذ الشيخ محمد صالح بشاشه المدرس بالمعارف السودانية طبع بالمطبعة المصرية بالخرطوم . صفحاته ٩٤ قطع صغير

١١ : ما وراء خزان اسوان او بلاد النوبة تأليف ابرهيم مصطفى الوليلي معاون ادارة بمركز دهيا بمديرية الشرقية . صفحاته ١١٤

١٢ : الرحلة العلمية لناظرات المدارس الاميرية الى اوربا في صيف ١٩٢٦ بقلم سنية عزمي ناظرة مدرسة المعلمات ببولاق صفحاته ١٠٠ قطع صغير

١٣ : مذكرات في التربية الوطنية . تأليف يوسف نجيب . طبع بمطبعة التوفيق بمصر صفحاته ٢١٦

١٤ : كتاب الاخلاق . تأليف علي عزت الانصاري ومحمد مجاهد ناظر مدرسة الفيوم الابتدائية الاميرية واحد مدرسيها وطبع بمطبعة مكتبة الهلال . صفحاته ١٢٥ قطع صغير

١٥ : العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية تأليف الطاهر الحداد طبع بمطبعة العرب بتونس صفحاته ١٩١

١٦ : وسائل الوقاية في وادي النيل للدكتور فريدلوزي وقد طبع بالمطبعة المصرية الاهلية

١٧ : ما تراه العيون قصص مصرية لمحمد تيمور صفحاته ١٥٨

١٨ : اثارة الاذهان في ترجمة الشهيد الحمصي ايليا جمع شوارده الخوري عيسى اسعد طبع بمطبعة حمص صفحاته ٢٧٩

١٩ : الجديد في القراءة العربية لواضعه خليل السكاكيني طبع بمطبعة دار الايتام السورية بالقدس . صفحاته ٨٣

٢٠ : مرآة الاشياء تأليف علي فكري الامين الاول لدار الكتب المصرية . طبع بمطبعة الشباب بمصر . صفحاته ٦٤ قطع اللطائف المصورة

٢١ : الشرق مجلة ادبية سياسية نصف شهرية تصدر في سان بولو لصاحبها موسى كريم

٢٢ : التقرير الرابع باعمال المجمع العلمي العربي عنه سنة ١٩٢٥ و ١٩٢٦ و ١٩٢٧ طبع بمطبعة الترقي بدمشق . ويحتوي على صور طائفة كبيرة من اعضاء المجمع

٢٣ : الثمرات مقالات ادبية بقلم محمد بسيم بن ديب . طبع في دار الطباعة الحديثة صفحاته ٢٠٠ قطع صغير

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) السنة النورية

شطرة المنتفك . عراق . لقد قرأت في مقتطف يوليو سنة ١٩٢٨ مقالة تحت عنوان المجرة جاء فيها ذكر السنة النورية فما هي السنة النورية وكم عدد ايامها

ج . السنة النورية اصطلاح اتفق عليه العلماء للدلالة على المسافة التي يجتازها النور في سنة شمسية . ولا يخفى عليكم ان النور يجتاز نحو ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية و ١١١٦٠٠٠٠ ميل في الدقيقة و ٦٦٩٦٠٠٠٠٠ ميل في الساعة و ١٦٠٧٠٤٠٠٠٠٠ ميل في اليوم و ٥٩٨٥٣٤٤٠٠٠٠٠٠ ميل في السنة . ولما كانت اقرب النجوم الثوابت الينا تبعد عنا نحو اربعة اضعاف ما يجتازهُ النور في سنةٍ من الزمان استقرَّ قرار العلماء على ان يجعلوا المسافة التي يجتازها النور في سنةٍ وحدة لقياس الابعاد التي بين الكواكب وهذه هي السنة النورية

(٢) طول السكك الحديدية

ومنهُ . ما هو طول السكك الحديدية في القارات الخمس . وفي كل قارة على حدة

ج . لم نتمكن من ان نقف على احصاء جديد بمجمل لخطوط السكك الحديدية في مختلف القارات مع اننا راجعنا أجزاء دائرة المعارف البريطانية الجديدة وكتاب السياسي السنوي لسنة ١٩٢٦ . ولكن عثرنا في الطبعة الحادية عشرة من دائرة المعارف البريطانية على احصاء يفي بمطلبكم الآن انهُ يرجع الى سنة ١٩٠٧ واليكم البيان

القارة	طول السكك الحديدية بالاميال
اوربا	١٩٩٣٧١
اميركا	٣٠٩٩٧٤
آسيا	٥٦١٨١
افريقيا	١٨٥١٦
أستراليا	١٧٧٦٦
المجموع	٦٠١٦٠٨

وفي الاجزاء التي صدرت بعد الحرب من دائرة المعارف عالج الكتّاب تقدّم السكك الحديدية من جميع وجوهها من غير ان يشيروا الى الخطوط التي مدّت بعد صدور الطبعة الحادية عشرة . ومتى عثرنا على احصاء حديث يفي بطلبكم ننشرهُ

(٣) معنى لفظة بروفسور

ومنهُ . ما معنى كلمة « بروفسور » وما هو مدلولها وماذا يقابلها بالعربية

ج . اصل الكلمة من فعل « Profess » ومعناهُ « اعلن » او « صرّح » واللفظة « بروفسور » لها معانٍ كثيرة منها « من يصرح على رؤوس الاشهاد بمعتقدهِ وارائهِ » ومنها « من يحترف تعليم الفنون او العلوم او اي فرع من فروع المعارف » وهذا هو مطلوبكم على ما نرجح

ففي جامعات الغرب مناصب او « كراسي » كما تُدعى بالانكليزية كلٌّ منها خاص بتدريس فرع من فروع العلم فللفلسفة « كرسي » وللتاريخ « كرسي » وهكذا . والمدرّس ـ سواء كان رجلاً او امرأة ـ الذي يملأ هذا الكرسي يطلق عليهِ لقب « بروفسور » . وقد اصطلح كتّاب العربية على جعل لفظة « استاذ » ترجمة « بروفسور » وجرينا نحن عليها . ولكن يظهر ان هذه اللفظة صارت تطلق الآن على كلّ كاتب واديب في مصر فخرجت عن معناها الفني الاصلي . لان الغربيين لا يطلقون لقب « بروفسور » على رجل مهما علا كعبهُ في علم من العلوم الاّ اذا كان يشغل منصباً معيناً في جامعة او كلية

(٤) تمثال الحرية

ومنهُ . لماذا مثّل تمثال الحرية المنصوب عند مدخل خليج نيويورك وعليهِ مسحة البطولة وخشونة الرجل في حين انهُ يرمز الى الحرية مثال اللين والرقة

ج . لا نعلم اين اطلعتم على ان تمثال الحرية المذكور عليهِ مسحة من البطولة وخشونة الرجل . فقد شاهدناهُ منذ اربع سنوات فوصفناهُ على اثر مشاهدتهِ بما يلي « . . . يمثل الحرية في مثال امرأة تبسط ذراعي والدة ترحب بابنائها — ترحب بهم في النهار بسمتها اللطيفة ونظرها الوقور . وفي الليل تحمل في يمناها المرتفعة مشعالاً ينير سبيلهم الى بلاد الحرية » ثم قلنا « . . . وكأنها بما عليها من مسحة وقارٍ وجلال تحذر الذين يعبثون بحرية غيرهم من الناس وتقول ان في البلاد التي احرسها قوة تضرب على ايدي العابثين » واشرنا اليها في مكان آخر بقولنا « ما ابهى فتاة الحرية . . الخ »

(٥) الطيران الى القمر

صافيتا سوريا . قرأت في الصحيفة ٧١٢ من المجلد ١٣ من العرفان ان الاستاذ هرمان اوبرث والدكتور فرانز هوف باشرا

ابتناء سهم عظيم مجهز بجميع لوازم الطيران والسفر المتناهي في السرعة حتى يقطع سبعة اميال في الثانية وعلى هذا المعدل يمكنهُ ان يبلغ القمر في خلال يومين ووزنهُ خمسة اطنان فهل توفقا الى معرفة كيفية استقرارهذا السهم في القمر واذا لم يكن قد حصل لهما ذلك فهل في الامكان الوصول الى القمر بهذا الواسطة

ج . راجعوا مقالتنا المدرجة في مقتطف نوفمبر الماضي تحت عنوان «الطيران الى النجوم» تجدوا فيها خلاصة طيبة لما عرف في هذا الموضوع

(٦) روح الانسان وقت النوم

ومنهُ . اين تكون روح النائم حال نومهِ. وقد يحلم ويتكلم مُسمعاً كلامهُ واحياناً لا يسمع . فما تعليل ذلك

ج . اذا قصدتم بالروح الحياة فالحياة مستقرة في كل خلية من خلايا الجسم في حالي اليقظة والنوم . فاذا تركت الجسد حلَّ بهِ الموت كما ترون ذلك مفصلاً في مقالة «العلم امام سر الحياة» في هذا الجزء . اما الشق الثاني من سؤالكم فتعليلهُ ما يلي: النوم هو انقطاع الدماغ عن العمل انقطاعاً مؤقتاً والحلم سببهُ يقظة أحد هذه المراكز من غير ان يستيقظ النائم . فمركز البصر في الدماغ يكون ساعة السبات منقطعاً عن العمل فلا يرى النائم شيئاً . والحلم الذي تتألف أجزاؤهُ من أمور رآها الحالم سببهُ تنبهُ مركز البصر في الدماغ بعض التنبه . وما يصدق على مركز البصر يصدق على مراكز الدماغ الاخرى — السمع والشم والذوق واللمس وغيرها

ولما كان الجهاز العصبي متصل الاجزاء بفروع الاعصاب الدقيقة المنتشرة في كل أعضاء الجسم ولما كانت مراكزهُ العليا محصورة في الدماغ فمن السهل ان تصل بعض الافعال العصبية من مركز متنبه في أثناء النوم الى مركز النطق فتتحرك أعضاؤهُ فيتكلم النائم في نومهِ وقد تتصل بالمركز الذي يسيطر على أعضاء المشي فينهض من سريره ويمشي وهو ما يعرف بجولان النائم . فاذا كان الفعل العصبي المتصل بمركز النطق قوياً ولبث برهة كان كلام النائم عالياً مسموعاً . واذا كان ضعيفاً كان الكلام خافتاً وقد يكون غير مسموع على الاطلاق

(٧) تحول القوى الطبيعية

البصرة . المعلوم ان القوى الطبيعية تتبدل بعضها الى بعض الا النور. فما هو سبب ذلك

ج . والنور يتحول ايضاً الى قوة كهربائية مغناطيسية اذا وقع على بطرية خاصة بذلك. وهذا التحول جعل التلفزة (الرؤية عن بعد) والصور المتحركة الناطقة (راجع ص ٣٦٢ هذا الجزء) في حيز الامكان

(٨) اصل الحياة

مصر القاهرة . من المعلوم ان المياه

اذا عقمت ماتت فيها جميع انواع الحياة وبالامكان حفظها معقمة مدة طويلة . فالارض التي كانت جمرة كالشمس كانت بالطبع معقمة من فعل حرارتها . فلما بردت قشرتها وانفصلت عن الشمس واصبحت ارضنا هذه التي نحيى فيها ظهرت عليها الحياة فمن أين اتتها جرثومة الحياة الاولى

ج. هذا هو السرُّ الذي يبحث عنهُ العلماءُ. فقد ارتأى وتشر والمر وليم طمسن (لورد كلفن بمدتي) وغيرهما ان جرثومة الحياة الاولى وصلت الى الارض على نيزك هبط عليها من الفضاء او مع غبار اتصل بها من احدى السيارات . وواضح ان هذا القول لا يحلُّ المسألة بل يبعد حلها . لان ما يعترَض بهِ على نشوءِ الحياة على الارض بسبب حرارتها يعترَض بهِ على نشوئها في سائر السيارات لانها كلها انفصلت عن الشمس وكانت حرارتها حين انفصالها شديدة تمنع وجود الحياة . زد على ذلك ان النيازك تحتك بالهواء المحيط بالارض فترتفع حرارتها الى درجة تميت جراثيم الحياة التي تحملها

وهناك رأي آخر كان زعيمهُ الاستاذ ارهنيوس الكيماوي الاسوجي الذي توفي في السنة الماضية ملخصهُ ان الحياة قديمة كالمادة وانها من الاركان الاساسية التي بني عليها الكون وان جراثيمها منتشرة في الفضاء ووصلت الى الارض عرَضاً

ثم تذهب طائفة كبيرة من العلماء الى ان الحيَّ على هذه الارض نشأ من غير الحيّ في اعماق البحار بفعل النور ويدللون على ذلك بقولهم ان الاملاح التي تدخل في تركيب جسم الانسان وتدور فيه تماثل في نوعها ونسبة مقاديرها ما كانت عليه املاح البحار منذ مائة مليون سنة

(٩) متوسط عمر الانسان

بونس ايرس : هل متوسط عمر الانسان الآن اطول مما كان عليهِ منذ مائة سنة

ج . ان متوسط عمر الناس حين وفاتهم اعلى كثيراً الآن مما كان عليهِ منذ مائة سنة . ويتعذر الحصول على احصاءات يركن اليها يؤخذ منها ما كان متوسط عمر الانسان قبل القرن التاسع عشر . ولكن يظهر من سجلات مدينة برسلاو ان متوسط عمر سكانها في القرن السابع عشر كان ٣٣ سنة ثم زاد في القرن الثامن عشر فبلغ ٣٧ سنة

وكان متوسط عمر الناس في ولاية مستشوستس سنة ١٨٥٥ اربعين سنة . وبلغ في نيويورك بين سنتي ١٧٧٨ — ١٨٨١ احدى واربعين سنة . ويؤخذ من احصاء الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٩٠١ ان متوسط عمر سكانها كان حينئذٍ ٤٩ سنة فبلغ سنة ١٩١٠ احدى وخمسين سنة وفي سنة ١٩٢٠ بلغ متوسط عمر المتوفين في ٢٤ ولاية من ولاياتها ٥٦ سنة



الصور المتحركة الملونة

اذا وقع خطٌ من نور الشمس على لوح زجاجي احمر امتصَّ اللوح كلَّ الالوان التي يتألف منها خطُ النور الا اللون الاحمر فانهُ ينفذ الى الجهة الأخرى ويصبغ الجسم الذي يقع عليهِ باللون الاحمر ونور الشمس الابيض كما لا يخفى مؤلف من سبعة الوان هي الاحمر والبرتقالي والاصفر والاخضر والازرق والنيلي والبنفسجي ولكن كلَّ لون منها مناطق تختلف الوانها باختلاف بعدها عن الالوان المجاورة لها فاذا اقتربتَ في منطقة اللون الاصفر من منطقة اللون الاخضر كان اللون الاصفر اقل صفرة واكثر خضرة منهُ في منطقة قريبة من اللون البرتقالي . ولكن العين البشرية لا تتمكن من تمييز هذه الفروق في صور تتوالى عليها بسرعة كسرعة الصور المتحركة

ومعلوم لدى المشتغلين بالطباعة المصوَّرة ان الصورة التي يراها القارئ على صفحة من الصفحات المصوَّرة في هذه المجلة ليست سوى نقط دقيقة تختلف سواداً وبياضاً باختلاف مواقع الظل والنور على الجسم المصوَّر وان عين الانسان لضعفها عن تبيّن هذه النقط ترى الشبح صورة متصلة من غير انفصال بين أجزائها

مباراة الرائد

الحكم في القصائد التي وردت على ادارة المقتطف تلبية لاقتراحهِ

أعضاء اللجنة

الاستاذ عباس محمود العقاد . الاستاذ مصطفى صادق الرافعي . الاستاذ عبد الرحيم محمود

الحكم

فاز بالجائزة الاولى وقدرها عشرة جنيهات نقداً وما قيمته ثلاثة جنيهات من مطبوعات المقتطف

حليم افندي دموس

وفاز بالجائزة الثانية وقيمتها خمسة جنيهات نقداً وما قيمته جنيهان من مطبوعات المقتطف

السيد عباس مرزا الخليلي

صاحب جريدة اقدام اليومية بطهران

فنهنئهما وسننشر القصيدة الاولى في مقتطف يناير القادم وتليها القصيدة الثانية في مقتطف فبراير وتليهما مختارات من القصائد الباقية في اجزاء تالية

ومعلوم لدى المشتغلين بالتصوير انهُ اذا مُزجت مقادير مختلفة من الالوان الثلاثة الاساسية — الاصفر والاحمر والاخضر — استطاع المصوّر ان يقلد ايّ لون من الالوان الطبيعية . فاذا مزج الاصفر بالازرق تكوَّن اللون الاخضر . واذا مزج الازرق بالاحمر تكوّن اللون البنفسجي وهكذا

هذه هي المبادىء الاساسية التي بني عليها الجهاز الجديد الذي جعل تصوير الاجسام بالوانها الطبيعية تصويراً فوتغرافيًّا في حيز الامكان

ذلك انك تضع امام عدسية آلة التصوير ما يعرف بالصفاة اللونية وهي غشاء شفاف مقسم الى ثلاث مناطق الاولى زرقاء والثانية حمراء والثالثة صفراء. فاذا أردت تصوير وردة حمراء وقعت الاشعة المكوسة عنها على سطح هذه المصفاة فلا تنفذ الاَّ من المنطقة الحمراء لان هذا ناموس من نواميس انعكاس الضوء ونفوذه. فاذا تخطت هذه الاشعة المنطقة الحمراء من المصفاة وقعت على عدسية الآلة فتجمعها على الشريط الحساس . ولكن سطح هذا الشريط ليس مستوياً ملساً كالشرائط الفوتغرافية العادية بل هو مضلّع تضليعاً منتظماً وشكل كل ضلع على سطحهِ كنصف اسطوانة دقيقة . وهذه الضلوع تخترق الشريط طولاً وهي دقيقة تحتوي كل بوصة مثلاً على نحو ٥٥٩ ضلعاً وسطح كلّ ضلعٍ منها يمثا بةعدسية تجمع الاشعة الواقعة عليها في نقط دقيقة على سطح الغشاء الحسّاس الذي يغشى الشريط

ثم يؤخذ الشريط ويثبَّت بالطرق العادية. فاذا عرض على لوح الصور المتحركة وضع وراءهُ نور قويّ يخترق الغشاء الحسّاس ثم سطح الشريط المجعدّ فتتكسر الاشعة ثم تمرّ في عدسية الآلة فتتجمع نقطاً دقيقة يمرّ ما كان احمر منها في الغشاء الاحمر ويقع على لوح السنما نقطاً حمراء وما كان أزرق يمرُّ في المنطقة الزرقاء ويقع على لوح السنما نقطاً زرقاء . وهكذا تتألف الصورة من نقط حمراء وزرقاء وصفراء وأخرى تجمع بين هذه وتلك ليتكوّن منها الاخضر والبنفسجي والخمري وغيرها من ظلال الالوان وتظهر للعين صورة متصلة الاجزاء ملونة بألوان الجسم الاصلية

وهذه الطريقة لم تستعمل استعمالاً تجاريًّا بعدُ اذ لا بدَّ من نور قويّ يؤثر تأثيراً كافياً في العدسيّات والفلم . وحتى الآن لم يعرف نور قوي يكفي لذلك سوى نور الشمس

الملكة نفرتيتي : صورة الغلاف

يرى القراء على غلاف المقتطف هذا الشهر صورة ملونة للملكة نفرتيتي التي تحسب من اجمل الملكات في التاريخ . وقد كانت زوجة الملك اختاتون (حمي توت عنخ امون) الذي نقل عاصمة ملكهِ من طيبة الى تل العمارنة ليكون حرًّا في ممارسة تقاليد معتقدهِ الخاص . وقد سمَّاه الاستاذ برستد « اول شخصية كبيرة في التاريخ »

والصورة التي نزفها الى القراء هي صورة تمثال بديع لهذه الملكة الجميلة محفوظ الآن في متحف برلين وهو آية من آيات الفن في ذلك العصر

فوز غراف زبلين

في ١١ اكتوبر الماضي ارتفع البلون «غراف زبلن» من مطيرهِ بفردريكسهافن بالمانيا ليجتاز المحيط الاتلنتيكي من اوربا الى اميركا بقيادة ربانهِ والمشرف على وضع رسومهِ وبنائهِ الدكتور هيغو اكنر وكان البلون يحمل عدا رجالهِ طائفة من الركاب بينهم وزير الداخلية الالمانيــة واللايدي درمند هاي المعروفة في هــذا القطر وقد كانت السيدة الوحدة على متنهِ في هذه الرحلة

وكان الدكتور اكنر يأمل ان يجتاز المسافة بين المانيا والولايات المتحدة في خمسين ساعة على الاقل اذا ساعدتهُ الريح . ولكن لما حلَّق البلون في الجوّ دلَّت انباء الارصاد الجوية على ان السير في اتجاه غربيّ صعب ان لم يكن متعذراً لتلبد الجوّ بالغيوم وهبوب العواصف فاتجه البلون جنوباً مارًّا فوق فرنسا واسبانيا ومنها الى مادبرا حيث القى كيس بريد . ثم حوَّل مقدمهُ غرباً في شمال الى جزائر برميودا. وفي ١٣ اكتوبر حوالي الظهر كان البلون قد صار على مقربة من جزائر برميودا الى شرقها فوردت رسـائل منهُ على انهُ في خطر فاستمدت البواخر والبوارج التي كانت على مقربة منهُ لتغيثهُ اذا لزم الامر ولم تنقض ساعتان حتى وردت منهُ رسالة لاسلكية اخرى تفيد انهُ قد خرج من مأزقهِ وانهُ سائر الى طيتهِ . ذلك انهُ قبيل وصولهِ الى جزائر برميودا ثارت في وجههِ عاصفة شديدة فزقت أحدى الزعانف التي تبنى حول مؤخرة البلون لحفظ التوازن في الجوّ وخيف ان يتسع هذا الخرق فيتمزق الغلاف كلهُ. فهبَّ ابن الدكتور اكنر واشـترك معهُ أربعة من الشجعان وبنوا صـقالة خارج البلون وهو سائر في ظلام الليل على ارتفاع نحو ١٥٠٠ قدم فوق سطح البحر وخرجوا على هذه الصقالة المعلقة بين السماء والمـاء

وحاولوا سدّ الخرق قبل ان يتسع. ففازوا بذلك وتمكن البلون من ان يسير بعد ذلك بسرعة ٥٠ ميلاً بحرياً في الساعة بعدما كان قد خفّض سرعتهُ الى ٣٥ ميلاً في الساعة

وفي الساعة الخامسة والدقيقة الثلاثين من بعد ظهر ١٤ اكتوبر وصل البلون الى مطير ليكهرست في نيوجرزي بعد ماطار فوق وشنطون ونيويورك وبلطيمور فاستغرقت رحلتهُ ١١١ ساعة اجتاز في أثنائها نحو ٦٣٠٠ ميل

وعاد البلون من اميركا الى المانيا في ٢٨ اكتوبر فاجتاز المسافة في ٧١ ساعة ويقال الآن ان همة اصحابهِ متجهة الى الاشتراك مع الدكتور نانسن الرحّالة المشهور لاستعمالهِ في رحلة جوية الى القطب الشمالي

سيار وراء نبتون

ارتأى الاستاذ بكرنغ الفلكي الاميركي حديثاً كما ارتأى بعض العلماء قبلهُ ان وراء نبتون سياراً يؤثر في نبتون واورانوس فيحوِّلها من فلكهما المقرر وقد حسب موقعهُ وجرمهُ فوجد ان قطره يجب ان يكون نحو ٦٣٠٠ ميل اي اقصر قليلاً من قطر الارض. ولكن علماء الفلك لم يعثروا عليهِ حتى الآن في الجهة التي قيل انهُ فيها

من اقوال العلماء

انفصلت الارض عن الشمس كرة من النار منذ الف وستمائة مليون سنة : — للدكتور نرنست من جامعة برلين

متى مست الحاجة يتمكن الكيماوي من تحويل نور الشمس ونتروجين الهواء الى طعام مغذٍ : — للدكتور برنارد كيماوي اميركي

يأمل العلماء ان يصلوا الى درجة الصفر المطلق (٢٧٣° تحت الصفر بميزان سنتغراد) باستعمال سلفات الكولينيوم : — للدكتور هبكنز من أساتذة جامعة الينوي بأميركا

نبوغ الايطاليين يختلف اختلافاً كبيراً عن نبوغ الاسوجيين فاذا تزاوج أبناء هاتين الامتين نتج شعب يفوق الامتين في كثير من صفاتهِ : — الاستاذ هولدين البيولوجي الانكليزي

يستطيع الكيماويون ان يصنعوا الآن حجارة صناعية تقلد الحجارة الكريمة على اختلاف أنواعها فلا يفرقها عنها الا الخبيرون بعد امتحان مدقق : — للدكتور وايد رئيس أكاديمية العلوم بولاية انديانا الاميركية

ان استعمال القوة الكهربائية والآلات التي تسيَّر بها قد خلق للانسان مشكلة

جديدة وهي : ماذا يفعل في اوقات الفراغ — الدكتور سمث رئيس مصلحة الجيولوجيا بالحكومة الاميركية

اذا شاع الطيران كما شاع ركوب السيارات نتج عن ذلك تغيّر في جسم الانسان والتغير يصيب عينيهِ واذنيهِ اولاً :— للكولونيل هانواي رئيس اطباء مصلحة الطيران بالحكومة الاميركية

اذا استعملنا طيارة لمسح الاراضي تمكنا من ان نمسح بها في يومٍ واحد ما يستغرق مسحهُ شهراً بعزلجة يجرها كلاب :— لدونلد مكملان الرحالة

الحياة قد توجد في الفضاء الذي يتخلل الاجرام كما توجد على السيارات : — للسر اوليفر لدج

ان نباح الكلاب واصوات السيارات والضجة التي يحدثها قوم راجعون من سهرةٍ راقصة في ساعة متأخرة من الليل وما اليها خطر على الصحة العامة ويجب مكافحتها : — الدكتور جون ستيفنز طبيب انكليزي

عناصر الارض في الشمس

اثبت الدكتور مجرز احد علماء قسم المقاييس بالحكومة الاميركية ان عنصري الكوبلت والمغنيوم من العناصر التي لها وجود في الشمس

عملية جمع : من يحققها ؟

أكثر المستنبطات العظيمة والمكتشفات العلمية الخطيرة ليست سوى عمليات جمعٍ بسيطة

فقد كان العلماء يعرفون مثلاً كل النواميس التي تجري عليها المجاري الكهربائية والكهربائية المغناطيسية . ثم جاء مورس فجمع بين هذه الحقائق على طريقة مكنتهُ من استنباط التلغراف الذي قلب المخاطبات بين الناس رأساً على عقب

ثم انقضت سنون جاء بعدها اسكندر غراهام بل فأخذ تلغراف مورس وأضاف عليه بعض الحقائق العلمية فدهش الناس لما أثبت انهُ يستطيع ان ينقل الصوت البشري مسافات شاسعة باستنباطهِ الذي أطلق عليهِ اسمهُ بالتلفون

فمن من المستنبطين يستطيع ان يحلّ عملية جمعٍ جديدة . لقد أُتقنت الصور المتحركة . واتقنت المخاطبات اللاسلكية من اذاعة واستقبال . وتقدمت التلفزة (الرؤية عن بعد) وحُقق مبدأ الصور المتحركة الناطقة ومبدأ التصوير الفوتغرافي بالالوان الطبيعية كما يرى القارىء في هذا الجزء من المقتطف . فمن لنا بمستنبط مبدع يجمع بين هذه المستنبطات الاربعة فيمكننا من ان نجلس في بيوتنا نشاهد التمثيل على مسرح الاوبرا مثلاً فنشاهد الممثلين

يروحون ويجيئون ونرى الوان ملابسهم ونسمع اصواتهم في آن واحد؟

ثوران اتنا

يقول الاستاذ غايتانا بونتي مدير مرصد جبل اتنا الشجاع ان ثوران هذا البركان الأخير يفوق ثورانه سنة ١٩١٠ و١٩١١ و١٩٢٣ قوة وتدميراً. بدأ الثوران في ٢ نوفمبر بانطلاق غيوم كثيفة من الغاز المثقل بالرماد من منحدرات الجبل الشمالية الشرقية وتعذر الرصد على عمال الرصد ولكن ثبت بعيد الظهر ان الحمم السائلة اخذت تسيل من ثلاث شقوق مختلفة وفي الصباح التالي اندفعت الحمم من شق قريب من بلدة مسكالي ولم تلبث ان انحدرت الى وادي فلبوناتشيو واحاطت بمسكالي فدمرتها في ٧ نوفمبر. وفي الوادي الممتد شمالاً اجتازت الحمم خط السكة الحديدية وصبت في البحر. وجرى تيار آخر من الحمم الى الجنوب مهدداً مدينتي كاربا وجيار فأرسلت ثلة من الجنود لتنسف شقاً يحول مجرى الحمم عن المدينتين الى البحر. وفي ٨ نوفمبر طار الاستاذ بونتي فوق فوهة البركان فرأى مجاري كثيرة من الحمم تنفجر من فوهات البركان المتوسطة وقال ان الثوران قد يدوم اسبوعاً آخر. وفي ١٢ نوفمبر وردت انباء تفيد ان ثورة البركان آخذة في الخمود

فائدة الدموع

المشهور ان الدموع تعبر عن حزن صاحبها والمه. ولكن اذا نظرنا اليها نظر الكيماوي وجدنا انها بركة من اعظم البركات. ذلك ان المادة الاساسية في الدموع هي الليسوزيم وهي من اقوى المواد المعروفة على قتل المكروبات. ويؤخذ من مباحث الدكتور فردريك رِدْلي احد اعضاء الجمعية الطبية الملكية بلندن ان ملعقة شاي واحدة من هذه المادة النقية تفعل في قتل بعض مكروبات العين ما يفعلهُ مائة جالون من ماء البحر الاجاج

ويقول هذا الطبيب ان هذه المادة توجد كذلك في كريات الدم البيضاء التي تهاجم المكروبات المختلفة حين تدخل الجسم لتقيه منها. وقد يصبح في الامكان استفرادها واستعمالها كما تستعمل المطهرات المشهورة

مصير الارض والانسان

اطلع القراء على مباحث العلامة الاميركي الدكتور روبرت ملكن التي اثبت بها ان اشعة قوية تصيب الارض من مصدر سموي تفوق اشعة اكس نحو ٣٠٠ ضعف في قوة اختراقها للاجسام. وقد خطب حديثاً خطبة قال فيها ان ما يذاع عن عزم العلماء على استخدام القوة المدّخرة في

الجوهر الفرد وتدمير الارض باطلاقها « وهم صبياني وتهويش في تهويش »

ومباحثهُ في الاشعة الكونية حملتهُ على الاعتقاد انهُ قد مضى على الارض نحو الف الف الف سنة وانهُ قد ينقضي عليها الف الف الف سنة اخرى وليس ما يمنع بقاء الانسان سيّداً لها كلَّ هذا الدهر الطويل

اللاسلكي وفساد اللبن

يدَّعي الاستاذ كارل سيدل من أساتيذ جامعة فينّا انهُ كشف عن طريقة يعالج بها اللبن بأمواج لاسلكية قصيرة فتحفظهُ من الفساد من ثلاثة أسابيع الى أربعة أسابيع . وقد عني رجال الصحة في الحكومة الالمانية بهذه الدعوى وهم يجربون التجارب الآن لامتحان صحتها

والمبدأ الذي تقوم عليهِ هذه الطريقة هو امرار تيار من الامواج اللاسلكية القصيرة في حلَّة اللبن فتميت كل الجراثيم التي تفسد اللبن من غير ان تسخنهُ

رأي جديد في السرطان

يرى الدكتور مكدونلد احد اساتذة جامعة بنسلفانيا ان سبب السرطان ليس مكروباً بل ان زيادة قلوية الدم تؤثر في الخلايا فتخرج عن القيود التي تقيّد نموَّها وتنمو نموًّا سرطانيًّا. وعندهُ ان علاج السرطان بالراديوم واشعة اكس يفيد لانهُ يزيد حموضة الدم بطريقة مجهولة وهو وطيد الامل ان يكشف يوماً عن مادة كيماوية تؤخذ شرباً او حقناً فتعدّل قلوية الدم الزائدة وتمنع تولد السرطان

احدث رسالة لاسلكية

قرأنا في احدى المجلات الاميركية ان كاتباً في شركة التلفون والتلغراف الاميركية كتب رسالة بالخط المختزل تحتوي على نحو مائة كلمة أُرسلت الى لوس انجلوس لاسلكيًّا كما ترسل الصور الفوتغرافية فوصلتها في سبع دقائق

وقف ركفلر

جاء في تقرير الدكتور جورج فنسنت رئيس وقف ركفلر ان مجموع ما أنفقهُ القائمون على ادارة هذا الوقف سنة ١٩٢٧ بلغ مليوني جنيه ونحو نصف مليون أُنفق أكثرها في مكافحة الامراض وحفظ الصحة العامة

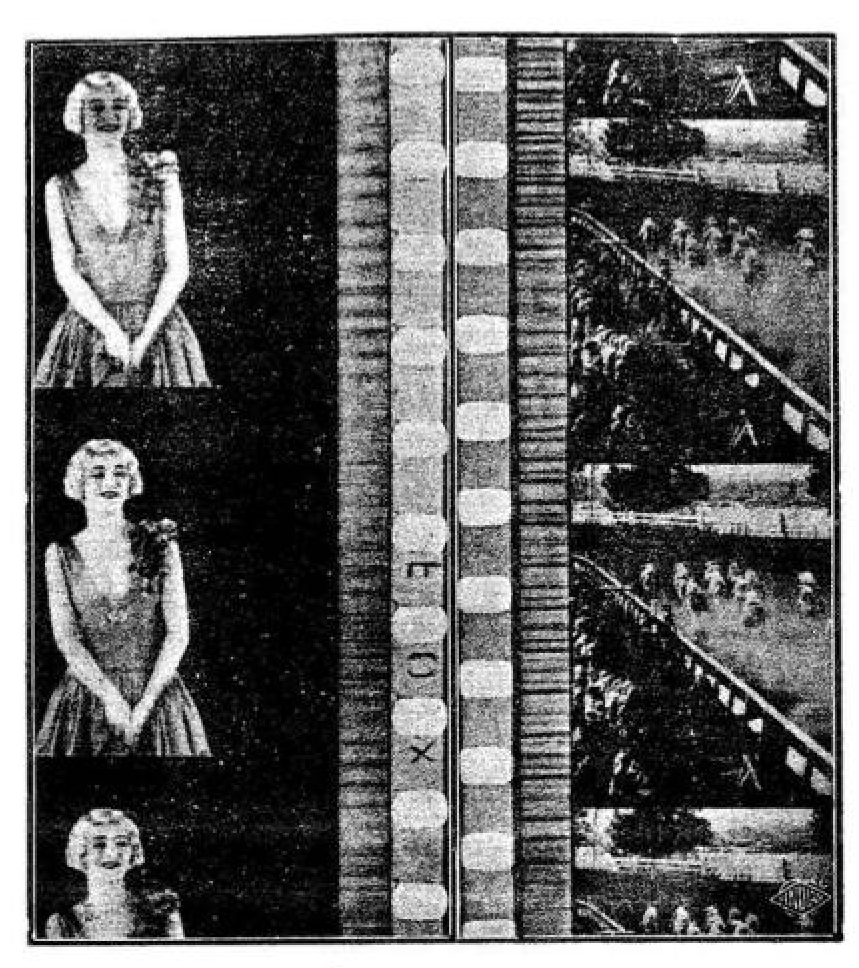
السر ارنست رذرفورد

السر ارنست رذرفورد من اكبر علماء الانكليز المعاصرين وقد انتخب مؤخَّراً عضواً اجنبيًّا في اكادمية العلوم بباريس. وعدد هؤلاء الاعضاء يجب ان لا يزيد عن ١٢ عضواً ومنهم الآن السر راي لنكستر انتخب سنة ١٩١٠ والسر جوزف طمسن أُنتخب سنة ١٩١٩

الجزء الرابع من المجلد الثالث والسبعين

صفحة

فهرس المجلد الثالث والسبعين



قطعتان من فلمين ناطقين وترى على جانب كل منهما منطقة عليها خطوط متوالية آناً ترى أحدها قريباً من الآخر وآناً ترى أحدها بعيداً عن الآخر . هذه هي المنطقة التي يدوّن عليها صوت الممثل الى جانب صورته كما تراه موضحاً في هذا المقال

مقتطف دسمبر ١٩٢٨

أمام الصفحة ٣٦٢



الرحالة النروجي رولد امندصن اول رجل بلغ القطبين

مقتطف دسمبر ١٩٢٨

أمام الصحفة ٣٧٤



الجنرال السر الفرد ترنر وصورة روح امه



هوديني المشعوذ الذي وقف آخر حياته
على كشف خداع الوسطاء



الجنرال السر الفرد ترنر وصورة روح غير واضحة
مقتطف دسمبر ١٩٢٨
انظر صفحة ٤٠٩



الرأس تفري بعد تتويجه امبراطوراً يستقبل احد الممثلين السياسيين الاوربيين

مقتطف دسمبر ١٩٢٨

امام الصفحة ٤١٧



الفيلسوف تولستوي وزوجتهُ

مقتطف دسمبر ١٩٢٨

امام الصفحة ٤٢٥



ابطال مصر في الالعاب الاولمبية وغيرها

وهم جلوس من اليمين الى اليسار: ابرهيم مصطفى . سلفاتور شيكوريل . اسحق حلمي بك . ادمون صوصه (بطل العالم بالبلياردو لسنة ١٩٢٨) والسيد نصير

مقتطف دسمبر ١٩٢٨
امام الصفحة ٤٤٢

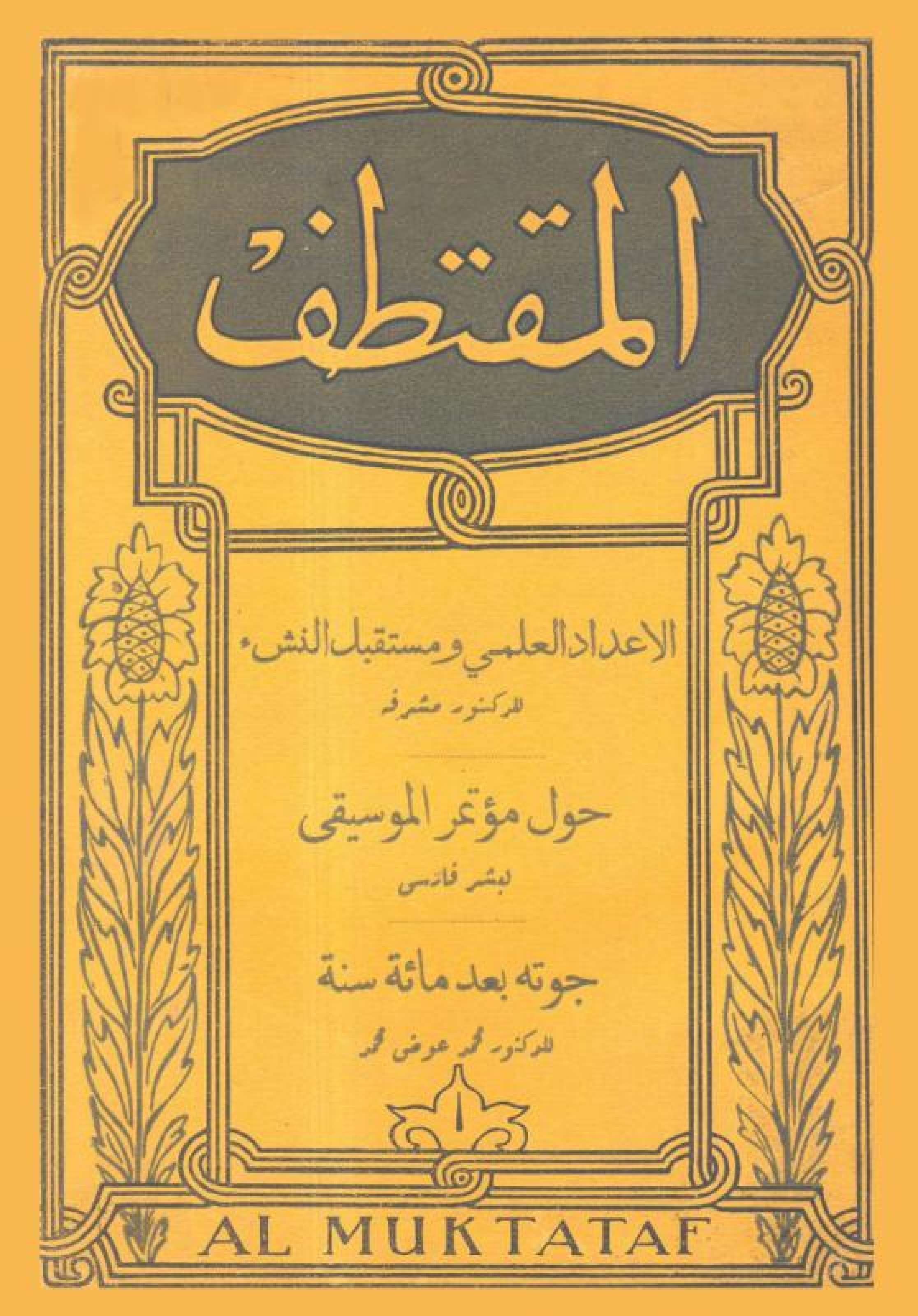
حنا يافث في سن الخامسة والعشرين يرفع من الكتف ٩٥ كيلو
وينال بذلك لقب بطل العالم في الوزن الخفيف

حنا يافث وقد تعدّى سن الخمسين لا يزال قادراً ان يرفع ٩٥ كيلو
وذلك بفضل طريقته المفصَّلة في صدر تدبير المنزل من هذا الجزء

مقتطف دسمبر ١٩٢٨

امام الصفحة ٤٤٥




المقتطف
الاعداد العلمي ومستقبل النشء
للدكتور مشرفه
حول مؤتمر الموسيقى
لبشر فارس
جوته بعد مائة سنة
للدكتور محمد عوض محمد
١
AL MUKTATAF



كلمات للدكتور صروف

اللغة العربية والتعريب

اذا قرأت مقدمة نصير الدين الطوسي في كتابهِ تحرير الاصول لاقليدس وجدت ان كثيراً من الفاظها وتعابيرها ليس من مناحي العرب ولكن مترجمي اقليدس والجارين في خطتهم مثل ثابت بن قرَّة الحرَّاني وحجاج بن مطر وسنان بن جابر الحراني لم يتقيدوا بالفاظ الشعراء والادباء واساليبهم بل اخضعوا اللغة لاغراضهم فعرَّبوا واستعاروا وتصرفوا كيف شاؤوا على ما اقتضاهُ نقل المعاني الى العربية. وهذا ينبغي ان يكون شأننا نحن اذا اردنا ان نجاري العصر ونسير في طريق العلم. فالحاجة الى التعريب واساليب التعريب لا يعرفها ولا يقوم بها الاَّ اصحاب كل فن في فنهم. فالجرَّاح الذي قرن العلم بالعمل والتعلم بالتعليم يعلم ما تحتاج اليهِ صناعتهُ من التعريب. والصيدلاني الذي قرن العلم بالعمل والتعلم بالتعليم يعلم ما تحتاج اليهِ صناعتهُ من التعريب. وقس على ذلك الفلكي والفسيولوجي والبيولوجي والجيولوجي والنباتي والرياضي والنوتي وقائد الجيش وصانع الآلات والادوات. اما ان تقيم نحويًّا او منطقيًّا او مؤرخاً او منشئاً لوضع كلمات في علم الفلك وعلم الهندسة وعلم النبات وعلم الحيوان والعلوم الطبيَّة والطبيعية والرياضية فمثل تحويلك قاضياً تطبيب الابدان وطبيباً تصوير الالوان. نعم انهُ لابدَّ من الاستعانة بعلماء اللغة الذين يحفظون متونها ويسهل عليهم استحضار الفاظها ولكن يستحيل الاستغناء بهم عن العلماء الاختصاصين الذين لهم المام واسع بمختلف العلوم والفنون وقد قرنوا العلم بالعمل زماناً طويلاً

العلم يقبض على اعنة الطبيعة

صورة غلاف المقتطف

بين كل الانقلابات الخطيرة التي حدثت منذ انشاء المقتطف، لا نعرف انقلاباً اكثر خطراً وأبعد اثراً في الحضارة والحياة من الانقلاب الاجتماعي الذي اساسهُ تطبيق قواعد العلوم الطبيعية على مقتضيات العمران . فقد سيطر الانسان على عناصر الطبيعة واستخدمها في قضاءِ ما ربهِ فتضاعفت قوتهُ وزادت ساعات فراغهِ فاخذ ينفقها في مطالب الحياة العليا من تأمل ومطالعة وتمتع بمشاهد الطبيعة وآثار التاريخ وآيات الفنون

فقواعد العلوم الطبيعية وما استعملت لهُ من الاعمال تدخل في كل كبيرة وصغيرة من حياتنا اليومية فردية كانت او اجتماعية

لقد اصبح المهندسون من جهة والكيماويون من جهة اخرى ارباباً يبارون الطبيعة في استحداث كل ما هو عجيب مفيد . انهم صيّروا الارض كرة صغيرة كالكرة التي يلهو بها الطفل في العابهِ . لان طرائق المخاطبات اللاسلكية التي استنبطوها تمكنهم من ارسال رسالة حول الارض في اقل من خمس ثانية وفي الولايات المتحدة وحدها اذا خطب خطيب تمكن خمسون مليوناً من الاصغاء اليهِ. وارتقاء المواصلات البرية والبحرية والجوية محا آية البعد . وقد جعلوا اطراف هذه الكرة كذلك اكثر تراميا وارجاءها اعظم اتساعاً بما كشفوهُ من المجاهل وما جففوهُ من المستنقعات وما رووهُ من الصحارى وما مهدوهُ من الادغال وما ابادوهُ من الامراض في البلدان الموبوءة

ان طرق المواصلات السريعة التي لم تخطر لابناء القرن الماضي في اولهِ على بال ، جعلت ابناء العصر الحاضر من مختلف الاقطار على اتصال دائم بعضهم ببعض . فمن اقصى البلدان والجزائر النائية تمخر السفن عباب اليمّ حاملة على متنها مواد الصناعة واصناف الغذاء . والاسلاك البرقية تطوق قارات الارض باسلاك من نحاس بل والهواء نفسهُ يعجُّ عجيجاً بالامواج اللاسلكية تحيط بالارض وتحمل على اجنحتها السحرية الصور والانباء — انباء النجاح وانباء الخيبة ، انباء السرور وانباء الحزن ، انباء الحرب وانباء السلم ، انباء المكتشفات الخطيرة التي تنشىء في التاريخ حدوداً للزمان وانباء الحوادث والمكائد والسرقات الحقيرة . . . . ولله درّ خليل مطران القائل :

فاليوم ابطأ ما تكون رسالة … ان نطت عاجلها بريش القشعمِ
حمّل الوكتك الفضاء يؤدها … شرراً الى اقصى مدًى متيمَّمِ
فالجوّ بالقطبين طرس دارٌ … والبرق اسرع ما ترى من مرقم

فاذا امتطى جماعة من الروّاد متن طيارة او منطاد وراحوا يطلبون المجدَ في ارتياد صقعٍ من مجاهل القطبين فاصيبوا بنكبة هاضت اجنحتهم وتركتهم يعانون الزمهرير على ركام طافٍ من الجليد، يتراوحون بين الامل بالنجاة واليأس من الحياة، كان في الامكان ان ترد انباء نكبتهم وان يعيّن مكانها على اجنحة الاثير نبرات واضحة وكلمات مفهومة، فيشترك العالم المتمدن في سماعها ويشاركهم في جزعهم ويهبُّ ابناؤه الى نجدتهم . واذا دخل الانسان دارهُ حسب نفسهُ ربَّما صغيراً اذ يضغط على زرّ كهربائي قائلاً « ليكن نور » فتنقادُ الكهربائية لامرتهِ صاغرة تشق دياجير الظلام بنور كنور النهار . واذا شاء ان يتملّى القوة في مظهرها الميكانيكي فما عليهِ الاَّ ان ينظر من نافذة دارهِ الى الشارع فيرى السيارات تطوف الشوارع رشيقة القوام كالغادات التي تسوقها، ولكن في داخلها قوة تستطيع ان تدفعها في سرعة السهم او النيزك المنقضّ من الفضاء. ثم اذ حلق بنظرهِ الى السماء رأى الانسان وقد امتطى اجنحة من معدن يسابق عليها عقبان الجوِّ . واذا سار الى المرفإِ شاهد فيهِ مدناً طافية اكتملت فيها كل معدات الراحة والرفاهة تجوب البحار هازئة بامواجها وكم من سفين ابتلعهُ البحر في حشاه . واذا زار معملاً من المعامل الحديثة رأى فيهِ الآلات الضخمة

يدُ العلم ترفع اعباء الحياة عن كتف الانسان بما تستحدثهُ من المستنبطات الآلية المختلفة التي توفر وسائل الراحة وتمدُّ في اسباب الرخاء

تطبع وتقصُّ وتطوي او تغزل وتنسج او تصهر وتسبك وتقطع وترفع وتنقل كأنها احياء عاقلة تماثل الاحياء العاقلة ذكاء وارادة وتفوقها قوة ومضاء ودقة في اعمالها

واذا جال في بساتين التجارب الزراعية رأى العجب في اكباب الباحثين على تعرُّف المجهول. فاكثر امراض المواشي والنباتات قد دان لصبرهم وذكائهم. واسرار الوراثة وتحسين النسل على دقتها وابهامها صارت معروفة لديهم وفي استطاعتهم ان يولدوا مئات من الانواع الجديدة من الازهار والاثمار وينشئوا فيها صفات لم تعرف فيها من قبل . فقد استحدثوا خوخاً لا قشرة قاسية لنواته وتيناً بشوكه لا شوك في اغصانه ويرى العلماء ان مجال الابداع في هذا الميدان ، في النباتات والحيوانات ، متسع جدًّا

واذا نظر الى جسده رأى كيف مكنهُ العلم من اسرار الحياة وقواعد الصحة واسباب المرض ووسائل العلاج . فمنذ سبعين سنة كان العلماء لا يعرفون شيئاً عن الجراثيم او المكروبات التي تسبب الامراض. وكان لويس باستور الفرنسي يبحث في احدى معاصر الخمر عن الامراض التي تفسد النبيذ والجعة فثبت لهُ ان الاختمار لا يمكن ان يكون ذاتيًّا بل هو نتيجة لفعل جماهير كثيرة من الاحياء الدقيقة . ثم اثبت ان الهواء يعجُّ بهذه الاحياء ونحن نطلق عليها الآن اسم جراثيم او مكروبات او بكتيريا . ومن ذلك توصل الى الكشف عن المكروبات التي تحدث بعض الامراض في الناس والحيوانات والسبيل الى علاجها والوقاية منها . وقد صارت انواع المكروبات التي كشفت ودرست تعد بالمئات وفي انحاء العالم المتمدن تجد عشرات المعامل والمختبرات يقيم فيها العلماء يوماً بعد يوم على درس طبائع هذه الاحياء واثرها في الصحة والمرض والصناعة والزراعة

وقد بني على كشف هذه الاحياء ودرسها استعمال انواع المطهرات ومضادات الفساد وغيرها من الوسائل التي نأمل يوماً ان نسيطر بها سيطرة تامة على كل الامراض بعدما دانت لنا الدفتيريا والجدري والحمى القرمزية والحمى التيفوئيدية وغيرها . وصار حديث الجراحين كحديث السحرة لغرابته . فكم من حياة انقذوها بجرأتهم وخفتهم في البضع والاستئصال

كل هذا جديدٌ يعود تاريخ انشائه الى القرن الماضي بل الى السنوات الخمسين الاخيرة منهُ . والمرجَّح لدينا ان طائفة من قراء المقتطف الذين ماشوهُ في سيره الى الامام لا تزال تذكر الهندسة الكهربائية وارבابها وهم يحاولون ان يثبتوا وجودهم في العقد الثامن من القرن الماضي باستنباط امر يثير اهتمام الجمهور. وهي ولا ريب تذكر كذلك الانباء الاولى عن التلفون وكيف قوبلت بالاعراض والريب. حتى ان السر وليم طمسن (لورد كلفن امير

الطبيعيين البريطانيين في القرن التاسع عشر) دهش واعجب حين رأى التلفون حقيقة يراها ويسمعها بعد ما سمع بها . وفي اثر ذلك يجري فونغراف اديصن وتربين بارسنز وآلة الاحتراق الداخلي . ان هذه الاطفال العلمية، اذا استعملنا لفظة فراداي الانكليزي للتعبير عن المستنبطات الجديدة ، نمت واشتدَّ ساعدُها ولكنها لم تصبح جبابرة تسير في الارض فتفرق لسيرها القلوب . بل هي عبيد اخضعتها ايدي العلماء القادرة لتقوم باعمال الحضارة على اختلافها وتعقيدها . فزادت سيطرة الانسان على الطبيعة سيطرة وقوة ، فهو اطول عمراً وأوفر راحة واكثر تعلماً وتهذباً واجنح الى السلم منهُ الى الحرب لارتباط المصالح واشتباك الاعمال ولشعور الناس ان امم الارض اصبحت بفضل العلم أمة واحدة

ولادراك هذا الانقلاب الخطير ما علينا الاَّ ان نطوي بالذاكرة قرناً كاملاً فنشاهد قاطرة ستيفنسن الاولى. انها كلعبة الطفل اذا نسبت الى قاطرات اليوم ! وكان التلغراف السلكي — دع عنك التلفون والفنون اللاسلكية جمعاء — لا يزال فكرة في طيّ الغيب . والكهربائية على تغلغلها في العمران الحالي كانت لا تزال تسلية غريبة يلهو بها الباحث العلمي . واكتشاف فراداي للمبدإ الاساسي الذي بني عليهِ المحرك الكهربائي لم يتمَّ الاَّ سنة ١٨٣١ .وكانت المبادئ العلمية التي يستطيع المهندسون ان يطبقوها على مقتضيات الحياة قليلة فكانت مستنبطاتهم قليلة ضئيلة الاثر . ولكن علماء الطبيعة كانوا مكبين على تقصيها فكانت مكتشفاتهم في حفظ القوة ونواميس الحرارة والكهربائية وقواعد الكيمياء ومبادئ علوم الحياة اساساً لكل ما نراهُ حولنا من مقومات العمران الحديثة . ذلك لانَّ غاية البحث العلمي توسيع نطاق المعرفة بما يكشفهُ من نواميس الطبيعة ومبادئ الحياة . واكثر هذه المباحث يعود على الصناعات بفائدة كبيرة تفوق الفائدة التي تجنى من بحث صناعي ضيق النطاق يقصد بهِ استنباط جهاز معيَّن .فالبحث الصناعي قد يقصَد بهِ مثلاً اتقان جزء خاص من المحرك الكهربائي او المصباح الكهربائي ولكن البحث العلمي المجرد غايتهُ كشف نواميس الكهربائية . ومتى عرفت هذه النواميس اصبحت كلُّ الآلات الكهربائية في حيز الامكان. فالبحث العلمي يجب الاَّ يركب مطية الاخفاق بحصر الغاية منهُ في النفع المادي المباشر . وتاريخ ارتقاء العمران سلسلة متصلة من الادلة على ان البحث العلمي يكون في البدء مجرَّداً ثم لا يلبث المستنبط ان يبني على المبادئ العلمية المجرَّدة المستنبطات الخطيرة فيتناولها ارباب الصناعات ويتوسعون في صنعها حتى يعمَّ استعمالها الناس وتصبح من ضروريات الحياة

كلُّ هذا او اكثرهُ تمَّ في عهد المقتطف فرأينا ان نجعل صورة غلافهِ رمزاً الى العلم في شكل انسان قابض على اعنة الطبيعة وقد رمز عنها باسلاك دقيقة تحيط بالكرة الارضية



اللغة العربية والمصطلحات العلمية

مقال مخطوط للمرحوم الدكتور صروف

لا نعرف في العربية بحثاً علميًّا ولا مصطلحات علمية قبل عهد بني العباس حينما استقدموا الاطباء والمنجمين من البلدان التي فتحوها وسهلوا لهم ترجمة الكتب العلمية والفلسفية من السريانية واليونانية والهندية وحينما جعل النابغون من رجالهم يؤلفون في العلوم اللغوية والفقهية وامثالها اقتداء بالامم التي فتحوا بلادها. فاضطروا حينئذٍ الى استعمال المصطلحات العلمية لان الالفاظ المستعملة في الكلام لا تعبر عن معنًى جديد لا يعرفهُ المتكلمون بها ولاسيما اذا كانوا لا يزالون على حال البداوة كما كان العرب في ذلك العهد

ويظهر لنا من النظر في الكتب العلمية التي ظهرت بالعربية وضعاً او ترجمة في القرون الستة الاولى ان هذه الكلمات الاصطلاحية تقسم الى ثلاث طوائف

الطائفة الاولى الكلمات العربية التي استعملت كما هي ولكن وضع لها معنًى مجازيّ يشبهُ معناها الوضعي مثل كلمة الماضي للفعل الدال على معنى حدث في الماضي مثل ذهب وكلمة امر للفعل الدال على الفعل الحاوي معنى الامر مثل إذهبْ واقتلْ. ومن هذه الطائفة كلمات كثيرة في الحساب والجبر والهندسة والفلك والطب والفقه مثل الجمع والطرح والقسمة والكسر والجبر والمعادلة والزاوية والهرم

والطائفة الثانية الكلمات العربية المبنى التي لا تظهر لها اقل علاقة بمعنى ما وضعت لهُ مثل كلمة المضارع للفعل ومثل كلمة نحو للعلم المعروف وكلمة وتد وكلمة سبب في علم العروض. وهذه الكلمات كثيرة وقد بحثنا عن اصل بعضها فكشفنا ما ادهشنا فكلمة نحو اسم بلد في مديرية المنوفية من القطر المصري نُسِبَ اليها الاسقف القبطي المؤرخ يوحنا النحوي الذي كان في زمن الفتح فخلط العرب بينهُ وبين يحيي الغراماطيقي اليوناني الذي كان قبل الفتح بزمن طويل فحسبوهما رجلاً واحداً واستنتجوا ان كلمة نحوي مرادفة لكلمة غراماطيقي واذن فكلمة نحو اسم لعلم قواعد اللغة عند اليونان. وبعد ان استنتجنا ذلك وجدنا ما يؤيدهُ في لسان العرب في كلمة نحو. ومن هذا القبيل كلمة وتد في فن العروض فانها ترجمة حرفية للكلمة اليونانية ولكن للكلمة اليونانية معنيين مختلفين من اصلين مختلفين الواحد معناهُ صوت او مقطع او نغم والثاني معناهُ الوتد الذي يدقُّ في الارض او في الحائط والظاهر

ان الذين ترجموا العروض من اليونانية لم يكونوا يعرفون العروض فترجموا هذه اللفظة بالمعنى المتعارف اي الوتد الذي يُدَقُّ . ونرجح انهُ اذا تناول هـذا الموضوع اناس يحسنون السنسكريتية والفارسية واليونانية والسريانية وجدوا مئات من الكلمات المحسوبة عربية فارسية وما هي الاَّ معرَّبة

الطائفة الثالثة الكلمات المعربة على اصلها او مع شيء من التحريف وهذه في الطب والشرع والموسيقى تعَدُّ بالالوف

هذا كان لما كانت اللغة حية تنمو من الداخل ومن الخارج ولا مجامع لغوية تمنع نموها ونحن الآن امام امر واقع في هذه النهضة الحديثة التي نشأت منذ ايام محمد علي باشا . وهذا الامر لا يتعرض لقواعد اللغة من حيث وضع العوامل والمعمولات ولا لتصاريف الافعال والاسماء ولا لحروف الجرّ والعطف والاستفهام ونحوها من حروف المعاني ولا لقواعد الاعراب والبناء اي انهُ لا يتعرض لجوهر اللغة وغاية ما فيه ادخال كلمات جديدة لمعانٍ جديدة والاتفاق على ترجمة بعض المصطلحات العلمية الجديدة اي السير بالعربية كما سير بها في القرن الثاني والثالث والرابع والخامس بعد الهجرة بل كما سير بهـا قبل الهجرة من اتصال العرب بمصر والشام ومن سكنى اليهود في بلاد العرب ومن تنصر كثيرين من العرب على يد قسوس من السريان واليونان .فان العربية تناولت من هؤلاء كلهم كلمات كثيرة حسبت بعدئذٍ من صميم العربية

ولعلنا من اشد الكتّاب شعوراً بهذا الامر الذي نشير اليه اي الاتفاق على ترجمة المصطلحات الجديدة او تعريبها فاننا من حين شرعنا في انشاء المقتطف رأينا ان لا بدَّ لنا من الترجمة والتعريب فنظرنا اولاً في المصطلحات العلمية التي جرى عليها الاقدمون كابن الهيثم في الحساب والجبر وابن سينا في الطب والطبيعة وابن البيطار في العقاقير الطبية والبتاني في علم الفلك والتي جرى عليها اساتذتنا في الجامعة الاميركية ومدرسة قصر العيني الطبية

نعم رأينا انهُ لا بد لنا من استعمال كثير من المصطلحات العلمية وهذه اما ان نجدها فيما لدينا من الكتب القديمة كقانون ابن سينا ومفردات ابن البيطار وشمسية ابن الهيثم وزيج البتاني وما اشبه من الكتب العربية العلمية او فيما طبع من الكتب المترجمة في مدرسة قصر العيني وجامعة بيروت الاميركية . واما ان نضطر الى ترجمتها او تعريبها فجارينا الذين سبقونا فيما ترجموهُ او عربوهُ وحذونا حذوهم في ترجمة ما جدَّ بعدهم او تعريبه فجارينا الدكتور ڤانديك في كل ما ترجمهُ وعربهُ في الطب والجبر والهندسة والانساب والمثلثات والمساحة وسلك الابحر والفلك والكيمياء والدكتور ورتبات في الفسيولوجيا

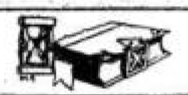
والتشريح والدكتور بوست في النبات والحيوان والجراحة ورأينا انهم هم تابعوا اساتذة قصر العيني في كثير مما ترجموهُ او عربوهُ

ثم حذونا حذو هؤلاء الاعلام في ترجمة ما جدَّ وتعريبهِ ولكنَّ الكتب العلمية المترجمة حديثاً في القطر المصري لا يجري مترجموها مجرانا فيما يترجمهُ واضعوها فنحن مثلاً نترجم كلمة Atom بكلمة جوهر او جوهر فرد لان العرب ترجموها كذلك وقالوا ان الجوهر هو الجزء الذي لا يتجزأ واما المترجمون في مصر فيترجموها بكلمة ذرة ونحن ترجمنا الكلمة quantum بكلمة مقدار والجمع quanta مقادير وتلامذة المدرسة المصرية ترجموها بكلمة كمّ اما نحن ففضلنا كلمة مقدار لانهُ يسهل جمعها على كلمة كم التي لا تجمع

وبعض الكلمات التي ترجمناها شاع كثيراً ومن ذلك كلمة غواصة ودبابة ورشاشة ونواة ولكن بعضها قليل الاستعمال مثل كهرب لكلمة electron ونرى الآن ان الاتفاق على ترجمة الاسماء العلمية الجديدة في مصر والشام والعراق وتونس والجزائر والمغرب الاقصى يكاد يكون ضرباً من المحال ولا تجنى منهُ فائدة كبيرة وخير منهُ تعريب هذه الاسماء على ما هي لانها (اولاً) عديدة جدًّا تزيد على خمسمائة الف اسم في الحيوان والنبات والجماد فترجمتها كلها تقتضي السنون الطوال ولو توخاهُ جماعة من العلماء . وقبل ان يتفقوا على ترجمة الف اسم من هذه الاسماء يكون العلماء قد اكتشفوا اكثر من الف اسم جديد فيزيد بعدنا عن الغاية المطلوبة فمحاولة ترجمتها ضرب من المحال اما التعريب فلا يكلف الاَّ كتابتها بحروف عربية . (ثانياً) لان الذين سبقونا مثل ابن سينا وابن البيطار جروا على هذه الخطة في كل الاسماء العلمية التي دخلت فيما كتبوهُ فان كل اسم ليس لهُ مرادف في العربية عربوهُ بلفظهِ اليوناني او الفارسي . (ثالثاً) ما يقال عن الاسماء المجردة يقال عن مشتقاتها اما في المشتقات فنتبع القواعد العربية في المثنى والجمع والنسبة ووزن الفعل ان امكن

والتعريب انما يكون متى كان اللفظ ليس لهُ مرادف في العربية اما ما لهُ مرادف فتجب ترجمتهُ بمرادفهِ ولو كان المرادف غير عربي الاصل

ثم ان الكلمات العلمية قد لا تكون واحدة في الانكليزية والفرنسوية والايطالية مثال ذلك كلمة Nitrogen الانكليزية فانها في الفرنسوية Azote واكثر الذين ترجموا عن الانكليزية عربوها بكلمة نتروجين والذين ترجموا عن الفرنسوية عربوها بكلمة ازوت ولكن هؤلاء اذا ذكروا حوامض هذا العنصر واملاحهُ قالوا حامض نتريك ونترات الصودا . فاذا اختلف اسم المادة الواحدة في لغتين مختلفتين من لغات اوربا فالاولى اتباع اكثر اللغات استعمالاً لان الفوز سيكون لها اخيراً



أمن عصر العقل الى عصر القلب ؟

ام من عصر العقل الى عصر المعدة ... ؟

مشكلة الفقر والغنى بين العلم والقانون والايمان

يزعمون أننا في عصر العلم وفي دهر القانون ويريدون أن يسلبوا الناسَ إيمانَهم كأن الايمان هو مشكلة الانسانية مع أنهُ لاحلَّ لمشكلتها إلا بهِ . إن مسألة الغنى والفقر وما كان من بابهما لا يحلها العلم ولا القانونُ إذ هي من مواد القضاء والقدر في إنشاء الآلام والاحزان وأضدادها التي تـقابلها ، وما دام فوق الانسانية من السماء قوةٌ لا تُحدُّ ، وتحت الانسانية من القبر هُوَّةٌ لا تُسدُّ ،فلا نظامَ الاّ على تصريف النفس أمراً ونهياً وتأويلِ الحياة معنىً وغاية ، فان لم يكن الشأنُ في ذلك مقرراً في الغريزة على جهة الإيمان فلن يكون العلم والقانونُ على ظاهر النفس الاّ ثورةً بما في باطنها ، ولن يبرح الناسُ على ذلك بعضهم من بعض كالهارب منهُ وهو مضطر اليهِ أو كالمضطرِّ اليهِ وهو هاربٌ منهُ ، وكلٌّ من كلٍّ في معنى من معاني النفس لا انسانية فيهِ

ما زاد العلماء على أن خلقوا في ساعدَي الحياة هذه العضلةَ البخاريّةَ وذلك العصب الكهربائيَّ فمن لم يستطع أن يتوقّى ضربة الحياة المدنية بعُدَّةٍ من قوة وعتادٍ من المال طاحتْ بهِ فدكتهُ دكَّ الخسف ووضعتهُ من الناس موضع الحبّة من الرَّحى الدائرة فاينهُ وبين أن ينهار موضعٌ يستمسك عليهِ ، وانما هذا الموضع هو ايمان المؤمن إذ يعطفُ على الضعفاء أو يُسعِدُ أو يبرُّ بما كتب عليهِ أن يرقَّ لهم من ذات نفسهِ ويتحنى ويتوجع

ومتى كان العلم والدينُ يقومان جيعاً على تنظيم الطبيعة في مادتها وإنسانيتها لم تجر الانسانية الاّ على ناموس بقاءِ الاصلح في الجهتين، فاذا تخلّى بها العلمُ وحده فلن تجري أبداً الاّ على ناموس بقاء الأصلح في ظاهرها لايجاد الأفسد في باطنها

لن يُفلحَ الانسانُ للحياة الطيبة — ما دام بهذا التركيب الذي لن يتغير — الاّ اذا وَازنَ بين بيئتهِ التي هو يوجّهها وبين طباعهِ التي هي تُوجّههُ ،فقيّد أشياء في قيودها وأطلق أشياء من قيودها وجمع في مُتبوَّأ نفسهِ حداًّ بحرية ودِيناً بعلم . بيدَ أن طغيان

العلم في هذه المدنية قد مَرَدَ على طباع [١] الانسان وشمائله في كل موضع من الحياة لا تكافئهُ فيه قوة الدّين فاذا هو يزين الشهوات واذا الشهوات تُطوّعُ المغامرةَ واذا المغامرةُ تجلب المنازعة واذا المنازعةُ تدفع الى الحرص واذا الحرصُ يتصرفُ بالحيلة واذا الحيلةُ تهلك التّقوى وكان في تقوى الانسان إيمانهُ وكان في إيمانه رحمتُهُ وكان في رحمته الاثرُ الانسانيُّ الذي تعيش فيه الروح . وعلى ذلك يقع في الانسان من النقص بمقدار ما يزيد لهُ العلم ، فاذا هو منحدرٌ الى السقوط مقبلٌ على المحق راجع الى الحيوانية بأكثر مما يحتمل تركيبهُ منها

أو لا يرى الناسُ أن تفوّق امة على أمة لم يعد في هذه المدنية الاّ معنى من معاني القدرة على أكلها . . . . ؟

ومضى العلم على شأنه ذاك حتى جعل الانسان آلةً من آلاته التي عمّر بها الدنيا فأصبح من لا ايمان لهُ يتعسّف خسائسهُ [٢] لا يدري أين يؤمُّ منها وأين يقف ، فلا يتسفل بقوة انسان ولا بضراوة وحش ولكن بقوة آلة من الآلات الكبرى ودقتها وسرعتها وإتقانها . . . . حتى لا رذيلة من رذائل هذه المدنية إلاّ هي مفنّنةٌ في تركيب على نسق الامور المخترعة ، وكأن الآلات العمياء ما زادت انسانها شيئاً الاّ أن قالت لهُ كن أعمى . . . . وكأن المدنية الملحدة ما عدت أن جعلت الوحشية تعمل أعمالها الفظيعة بتأنق وتمدن . . . .

نسي الناسُ الايمانَ أو انسلخوا منهُ فاذا أيديهم تموجُ بأسباب الفضائل [٣] تُحكمها ولا تضبطها وما كان الايمان الصحيحُ الاّ التقوى [٤] ولا كانت هذه التقوى إلاّ عملاً من أعمال الارادة غايتهُ ايجادُ الغرائز العليا في الانسان بالاسلوب الذي لا تُخلق الغريزةُ العملية في النفس الاّ به وعلى النحو الذي لا تصلحُ في الحياة الاّ عليه أظهرُ آثار الايمان تحديدُ الغايات الانسانية وتنسيقها والملاءمةَ بينها ، فان اطلاقَ

---

(١) أي مرن عليها واستمر وبلغ بها الغاية التي تخرجها من جملة ما عليه الطبع الانساني الكريم

(٢) يتخبط فيها على غير هدى

(٣) ماجت اليد بالشيء اذا اضطربت به كأن أيديهم لا تضبط أسباب الفضائل من ضعفها عنها

(٤) الاسلام كله في كلمة التقوى كما بيناه مفصلا في كتابنا (اعجاز القرآن) فانظره . وكلمة التقوى من معجزات هذا الدين . ولقد قال (هكسلي) قسيم دارون الشهير — : «ان الدين هو لجلال المثل الأعلى من الاخلاق ومحبة العمل على تحقيقه في الحياة» . وكل هذا من قول أستاذ القرن التاسع عشر. وكل ما سبقه به الفلاسفة والحكماء وكل ما جاء وما سيجيء هو من معاني (التقوى) في الاسلام لا تضيق الكلمة عن شيء منه

الغاية لكل انسان على شأنه وسبيله كيف دَرَّت معيشتُه (١) وكيف دارت اهواؤه — يجعل طُرُقَ الناس متداخلةً متعاديةً فيقطع بعضها على بعض ويقوم سبيلٌ في وجه سبيل ، فلا تُحل عقدةٌ الاَّ من حيث تُفرَض أختُها ولا يخلص خيط من خيوط اللذات الملتبسة المتشابكة الاَّ قاطعاً متقطعاً معاً ، وأنت اذا بحثتَ عن الوحدة التي تحاول ضمَّ الانسانية المتنافرة وردَّها الى مرجع واحد لم تجدها في غير إيمان المؤمنين ، فهو أبداً يقابل في كل نفس ما تطغَى بهِ الحياةُ على اهلها ، ولا عمل لهُ الاَّ ان يحذف الزيادات الضارَّة بالانسان من بيئتهِ وبالبيئة من انسانها وهو بهذا حائلٌ في كل مجتمع بين ان تنقلب أسبابُ السمو العقلي فتعودَ من اسباب الدناءة والخسة ؛

وانما محلُّ الايمان من اهله فوق محل الحكومة ممن تحكمهم فهو الامرُ والنهيُ بلغة الدم والعصب ، وهذه الغاياتُ التي تتألف من أجلها الحكومات كأمْن الناس ونظامهم وسعادتهم هي انفسُها محكومةٌ بمسائل تأتي من ورائها في طبائع الناس وعاداتهم ومعايشهم ومصالحهم ، فان لم تكن في النفوس من الدين اصولٌ تأمرُ وتحكم ، وفي الطباع من اليقين أصولٌ تستجيبُ وتخضعُ ، رجعت الحكومةُ في الناس أداةً مسلطةً لا تغني كبير غَناء في الخير والشر . اذ يحتاج الخير ابداً الى قوتها تحميهِ ويحتال الشر أبداً على قوتها تستنقذهُ ، ومتى لم يكن الخيرُ الاَّ بالقوة فاحتياجُهُ اليها شر . ومتى لم يكفَّ الشر عن القوة فاحتيالهُ عليها شر مثلهُ ، فاذا تضعضعَتْ من الاديان هذه الدعائمُ الراسية وفرطَ من الانسانية هذا الفارطُ الذي ليس في الأرض كِفَاءٌ منهُ — لم تجد حسنةً في حكومة من الحكومات الاَّ معها من طبيعتها سيئةٌ ، ولم تجد سيئةً الاَّ هي سيئتان ، فلن تكون الحياةُ حينئذٍ الاَّ تعقيداً أشدَّ التعقيد من طغيان القادرين عليها بالمال والغنى ومن حقد العاجزين عنها بالفقر والحاجة

والغنيُّ القادرُ على مُتَعِ الحياة ولذّاتها هو دائماً في فلسفة العاجز قادرٌ بلا قدرة ، كما ان الفقير الضعيف هو دائماً عند نفسه عاجزٌ بلا عجز ، ولا أدلَّ على ذلك من تعبيرهم عن معناهُ بالكلمة التي تُشبهُ ان تكون هي ايضاً معنًى بلا معنًى . . . . . وهي الحظ !

فلا بد للناس من الحدود التي تبني بين كل ضدين من احوال الانسانية جداراً يعطفُ نفساً على نفس بالرحمة ، ويردُّ قوة عن قوة بالصبر ، ويكُفُّ عادية عن عادية بالتقوى ، ويحقق عواملَ التوازن بين اسباب الاضطراب في الجماعات المتصادمة ليُقِرَّ كلَّ

(١) كناية عما تتفق به أسباب العيش وتجتمع وتزكو

مُضطرِبٍ في حيّزٍ إن لم يمسكهُ فيثبتَ فيهِ لم يُفلِتهُ فيغدُوَ على سواهُ

فاذا عملت المدنيةُ على هدم هذه الحدود وتركت قوةَ الايجاب في طبيعة الحياة بغير قوة قلبيةٍ سلبيةٍ من الايمان في طبيعة النفس، كشفتْ للانسان عيوبَهُ ببلاغةٍ من تعبير شهواته فزادتها رسوخاً فيهِ كما تقول للص : إنك لتسرق وستصبحُ غنيًّا تمرُّ يدكَ في الذهب تنفق وتستمتعُ على ما تشتهي . . . . فما يراك قلتَ لهُ لا تكن لصًّا وتَعفَّفْ بل قلتَ لهُ كن غنيًّا واستمتِعْ . ويومئذٍ يغبرُّ البؤسُ ويقشعرُّ الفقر كما نرى لعهدنا في الامم التي فشا الإلحاد فيها ، فليس من بعدُ إلاّ أن يتحول الفقر عن صورته البيضاء في سكْبِ الدمع إلى صورتهِ الحمراء في سفك الدم وكان سؤالاً فيعودُ اغتصاباً وكان الأسفلَ فيرجعُ الأعلى وكان يَفرضهُ الحقُّ فاذا هو الحقُّ نفسهُ . والله لكأن المسكين في هذه المدنية هو الجزء اللئيمُ الذي طردهُ الغنيُّ من نفسهِ وتبرأ منهُ وأمات ما بينهُ وبينه ، فاذا هما اعترضا في مذهب من مذاهب الحياة ، نَفرَ الغنيُّ كأنما يرى قبره يدنو منهُ وأطبق عليهِ البائس بمعاني النقمة واللعنة يقول لهُ ما أنا الاّ لؤمك أنت

إن من الشجر شجرةً تنبت في القَفر تعتصرُ ماءها من بين رملٍ وحجرٍ وتمتصُّ غذاءها من لؤم الجدب ، فاذا حان أن يُزهِرَ عُودُها شوَّكَ فلا يكون في عُقَدِهِ ونبرهِ[1] الاّ شوكٌ ، فاذا ازدَرَعُوها في الخِصْب وخَضَّلها الماء [2] وساغت لها الطبيعة ثم حان أن يزهرَ عودُها مَلَسهُ كرَمُ الارض [3] فاذا في موضع كل شوكةٍ زهرةٌ كأنها كلمةُ الحمد . وكذلك مَثَلُ الفقير بين الملحد والمؤمن

تُرَى أيخرجُ الانسان في هذه المدنية من عصر العقل إلى عصر القلب . أم هو منحدرٌ من عصر عقلهِ الى عصر معدتهِ . . . . ؟

وكان على هذه الارض أغنياء مؤمنون فيهم من كرمِ الحس شِبهُ الفقر ، ومساكينُ مؤمنونَ لهم من كرم الصبر شبه الغني ، فهل تنقلب المدنيةُ من الغنى المحض والفقر المحضِ الى مادة تخلق اللحمَ الحيَّ وأخرى لا تخلق لهُ الاَّ الظُفرَ الحيّ . . . ؟

وكان اختراع الانسان في المادة الجامدة ، أفتُراهُ يجيءُ يومٌ على الناس يكون أعظم اختراع فيهِ للانسان الاخير ان يعيدَ الى الارض إنسانها الاول الكريم ؟

مصطفى صادق الرافعي

(١) النبر النتوء الذي في العود (٢) بله الماء (٣) نعمته وأدمجته وأزالت نتوءه

البلشفية . والمانيا تتقلب مقضوضة المضجع بين احزابها الوطنية واحزابها الاشتراكية والجمهورية وكتلة شعبها التي تسير في عملها اليومي وكفاحها في معترك الحياة مقتنعة ان حلم السيادة لم يبدُ بعدُ . وفرنسا تقف في ساعة نصرها المبين تحصي الخسائر الفادحة التي تكبدتها لاحراز هذا النصر الموهوم . وانكلترا المنصورة تراها جالسة على عرشها الامبراطوري تنظر الى امبراطوريتها فتجدها قد زادت سعة وغنى ولكنها ترى كذلك مستعمراتها الحرة تطلب استقلالاً وتفوز بهِ الى حدٍّ بعيد. ثم تتأمل قليلاً فتدرك ان الحالة المالية والصناعية في اثناء الحرب الكبرى قد قضت على زراعتها فهبَّ المولون واصحاب الصناعات بعد الحرب يسعون لبيع بضائعهم في اسواق يزاحمهم فيها الالمان والاميركيون اشد زحام فيجدون الفوز فوق طوقهم والضرائب العالية تثقل كواهلهم

اما اميركا فتبدو لاول وهلة غير خاضعة لهذه الثورة الفكرية والسياسية الخطيرة. تراها قائمة بين محيطين في بلاد شاسعة غنية وأبناءها راتعين في بحبوحة من العيش ، ومن فيض اموالهم يقرضون امم اوربا فتحسبهم قد بلغوا الغاية العليا من الرخاء والاطمئنان . ولكن النقاد من اميركيين واوربيين لا يرون هذا الرأي . فاينشتين يسخر من ذكاء الاميركيين وسيغفريد يراهم نحاساً يطنُّ وصنجاً يرنُّ ، ويؤيدهما في ذلك طائفة من النقاد الاميركيين انفسهم

٢ — اركان الحضارة الغربية

يراد بالحضارة الغربية لدى موازنتها بالحضارة الشرقية حضارة مبنية على العلم والصناعة والا لات ازاء حضارة قائمة على الزراعة والصناعات اليدوية . فهي في الواقع حضارة ميكانيكية . وعمرها لا يرجع الى اكثر من مائتي سنة اي الى اوائل القرن الثامن عشر على الاكثر وعندي ان نفوذها آخذ في التوسع والانتشار بدلاً من الضعف والتقلص

فالركن الاساسي الذي تقوم عليهِ مدارهُ آلات تديرها قوة عظيمة تفوق قوة الانسان وتضاعف مقدرتهُ على صنع المصنوعات . فالعلوم الطبيعية بفروعها المختلفة اصبحت عبيداً في ايدي ابناء الحضارة الغربية يقيمون عليها بناءها الفخم . وقد انقضى عصر المستنبط الفرد وصار لا بدَّ من البحث العلمي المتواصل في العلوم الطبيعية على اختلافها لابداع الآلات الجديدة ولنشر المصنوعات في مختلف الاسواق . ولما كان المال الذي ينفق في نشر العلم وترقيتهِ يجبى من الضرائب التي تجبى من اصحاب الصناعات ومن هبات الاغنياء فلا ينتظر ان ينضب لمصباح البحث العلمي زيت او يطمس لهُ نور

والحضارة الآليّة التي نحن بصددها تختلف عن كل الحضارات السابقة في انها حضارة

حيوية تحمل في طياتها بزور بعثها وتجديدها . ولما كانت هذه الحضارة قائمة كما قدمنا على الصناعة والعلم والاستنباط واتساع الاسواق كان لا بدَّ لها من ان تتغير تغيراً سريعاً لان العلم يتجدد ويتحول كلَّ يوم وهو اساس الاستنباط وركن الصناعة . فلم يكد عصر البخار يثبت على دعائم متينة حتى حلَّت الكهربائية محلَّهُ . ولم تكد الكهربائية تسيطر على كل القوى التي سبقتها في المعامل والصناعات حتى أخذت آلة الاحتراق الداخلي تزاحمها وتسبقها

فاذا سلمنا ان هذه الخصائص تميز الحضارة الغربية — بركنيها العلمي والميكانيكي — فهل نستطيع ان نسلم كذلك ان هذه الحضارة صيحة في واد او سراب لا يلبث ان يلمع حتى يزول او حادث من حوادث التاريخ لا يلبث ان ينقضي ويحلَّ نظام آخر من نظم العمران مكانهُ ؟ هل يتوقف جمهور الناس يوماً ما عن طلب البضائع التي تصنع بالآلات فيقضى على المصانع الكبيرة التي تخرجها وتقفل ابوابها ؟ هل يحتمل ان يضعف العلم عن اغراء الرجال بوقف حياتهم وذكائهم وصبرهم على احيائهِ وتجديده بمباحثهم ومكتشفاتهم ؟

ان جواباً بالايجاب عن هذه الاسئلة يحتاج الى تعنت كثير . فالعلم ليس وقفاً على طائفة واحدة من الناس ورجال العلم لا ينحصرون في طبقة معينة من طبقات الشعب ومالم تخدعنا كل الظواهر لا نجد سبباً واحداً يقنعنا ان الصناعة والعلم سيضمحلان وينقرضان. وهما كيفما قلبنا وجوه المسئلة الركنان اللذان تقوم عليهما الحضارة الغربية في صميمها

٣ — الخطر الاسيوي

فاذا كانت الحضارة الغربية في مأمن من خطر داخلي كالخطر الذي قدمنا ذكرهُ ينتابها ويقضي عليها ، فهل لدينا ظاهرة من الظواهر تدلُّ على ان امة من الامم القاطنة اسيا تستطيع ان تغزو اوربا سلماً اوحرباً وتبيد النظام الآلي العلمي الذي تقوم عليهِ حضارتها ، من غير ان تتسلح بهذا النظام نفسهِ لتستعملهُ اداة لقضاء ما ربها ؟

مما لا ريب فيهِ ان بعض الامم الاسيوية شرعت تأخذ عن اوربا بعض اركان حضارتها ومظاهرها واشهر هؤلاءِ الامة اليابانية التي لا تزال على ما بلغتهُ من التقدم في هذا المضمار تعتمد على الغرب في كثير مما تحتاج اليهِ من الادوات الميكانيكية والمبادئ العلمية التي تبنى عليها المخترعات والمستنبطات. فاذا لم ينحطَّ الابداع العلمي في الغرب — ولسنا نعرف دليلا يشير الى ذلك — فمن المرجح كثيراً ان ما من امة من امم الحضارة الزراعية في آسيا او افريقيا تستطيع ان تباري الغرب في ارتقائهِ العلمي والميكانيكي . واذا صرفنا النظر عن هذه الوجهة من وجهات البحث لم نرَ في احدى هذه الامم ما يؤيد القول بان منها امة تستطيع ان تغزو اوربا بجحافلها كما غزت قبائل الشمال الامبراطورية الرومانية وقطعت

اوصالها ، الاَّ اذا اقتبست اصول الحضارة الغربية وفاقت ابناء الغرب فيها . وحينئذٍ اذا حاربت اوربا بسلاحها وانتصرت عليها فلا يقال ان الحضارة الغربية قد بادت لانها في الحقيقة تكون قد انتقلت من مكان الى آخر على سطح الكرة الارضية

٤ — خطر الانحطاط الفني

واذا نظرنا الى حقيقة الحضارة نظرة محصورة في الادب والفن ظهرت بوادر الانحطاط اكثر وضوحاً من بوادر الانحطاط في العلم والصناعة . هنا نقترب من موضوع يصعب تحديده وعليهِ يتعذر البحث فيهِ بحثاً علميًّا منتظماً . فاذا نظرنا الى آيات الاداب الغربية التي ظهرت في خمسين السنة الاخيرة لم نرَ فيها دليلاً ما على انها اخذت في الانحدار من قمة المجد . بل يذهب نفر من النقاد الالمبين الى ان الادباء في هذا العصر — عصر السرعة والماكنة — يضاهون في قوتهم وبلاغتهم اعظم الكتّاب في اي عصر من العصور بعد ظهور الاسلوب الروماني الفخم . اننا نسلم باننا لا نعرف بين كتاب العصر الحديث كاتباً يوضع في مصاف هوراس او شكسبير او غوته ، ولكننا نذهب كذلك الى ان ادباً مثل ادب هؤلاء الاعلام لا مكان لهُ في حضارة تقوم على اساس يختلف كلَّ الاختلاف عن حضارة عصورهم . واذا كانت فنون الشعر قد اخذت تفقد ما كانت تتصف بهِ من فخامة وروعة فسبب ذلك ليس انحطاط القوى العقلية بل سببهُ ان الخرافات التي بُنيت عليها اشعار القدماء لا تمتُّ بسبب الى روح ابن العصر . وعندي ان خيال علماء كاينشتين الالماني وبوهر الدنماركي وملكن الاميركي يفوق خيال شعراء كملتن الانكليزي وفرجيل الروماني ؟

وما يقال عن الآداب يقال عن الفن . وهنا كذلك نسلّم جدلاً ان عصر الآلات لم ينجب في فنون البناء والنحت والتصوير ما يضاهي آثار الفن التي خلفتها القرون الوسطى . ولكن هذا إنْ يدلُّ على شيء فيدلُّ على ان عصر الآلات لا يزال في مهدهِ وان ابناءهُ لم يوجدوا فنًّا يعبر عما توحيهِ اليهم مظاهر هذا العمران الجديد ، مع ان هناك تباشير فن جديد يتفق مع روح العصر ، نرى آثارهُ في محاطّ السكك الحديدية وآلات النقل والانتقال على اختلافها والمعاهد العامة ومباني المعامل وناطحات السحاب . فاذا اعترض معترض ان ابناء هذا العصر لم يبنوا كنائس تضاهي الكنائس التي بناها ابناء القرون المتوسطة اجبناهُ ان القرون الوسطى لم تبنِ طرقاً وحمامات وقناطر للماء مثلما بنى الرومان قبلهم . ان لكل عصر روحاً تظهر في مبانيهِ . وروح كل عصر تختلف عن روح العصر الذي يسبقهُ او الذي يليهِ . قد يظهر في المستقبل ان ابناء هذا العصر لم يخلقوا فنًّا يضاهون بهِ فنون

العصور الغابرة ولكننا لا نستطيع ان نقول انهم بلغوا الآن في فنهم ذروة الارتقاء حتى ثبت انهم اخذوا في الانحدار منها

٥ — اخطار الحروب الاهلية والدولية

هل يجوز ان تمنى امم الحضارة الغربية بثورات او حروب اهلية تفتُّ في عضدها وتدكُّ قواعدها كما حدث لامبراطوريات العصور القديمة ؟ اذا حاولنا ان نقيس الحاضر على الماضي وجب ان نفعل ذلك والحذر رائدنا الاول . فاننا مهما نقلْ في حالة العمال الآن في البلدان الصناعية نجد ان حالتهم المادية والاجتماعية والتهذيبية ومقامهم السياسي يفوق حالة العمال والعبيد في الامبراطورية الرومانية . فثورة مثل ثورة العبيد في رومية بعيدة الاحتمال في حضارة آلية مهما يبلغ ضيق العمال ، لان العمال يطلبون إنْ طلبوا شيئاً زيادة وسائل الراحة والمدّ في اسباب الرخاء — فطالبهم اذاً تقوم على رغبة في تأييد الحضارة الغربية مع توزيع منافعها على الجمهور توزيعاً عادلاً

ولكن ألا يحتمل ان تنشب حروب طاحنة بين الامم المتحضرة بالحضارة الغربية فتكون شؤماً على الحضارة نفسها تدك بنيانها وتخرب البلدان التي نشأت فيها وتنضب دماء الامم التي ابدعت مبادئها وشيّدت معالمها ؟ من المرجح ان حروباً طاحنة تنشب في المستقبل فتفني الدول في اتونها زهرة شبابها وكل ثروتها . ولكني لا استطيع ان اتصوّر حرباً تستطيع ان تفني الشعب كلّهُ وتقوض اركان المعيشة التي يعيشها . واذا فعلت ذلك الى حدٍّ ما فان حيوية الشعوب المختلفة تبعث على انقاض الماضي النظامَ الاليَّ العلميَّ حيًّا من جديد ، وتوطد اركان الرخاء المادي في فترة قصيرة . وقد ذهب الفيلسوف الاقتصادي الانكليزي جون ستيورت مِلْ الى انهُ اذا بادت الثروة الميكانيكية في امة من الامم امكن احياؤها في عشر سنين . وعليهِ لا نرى مسوّغاً للقول بان تعاقب الحروب في المستقبل يقضي على الحضارة الغربية . نقول ذلك من غير ان ننتقص في حال من الاحوال الضرر الناجم عن هذه الحروب . واذا سلمنا ان حروباً كهذه تقوّض اركان الحضارة الغربية في اوربا واميركا افلا تستطيع اليابان وقد بلغت شأواً بعيداً في الاخذ بحضارة الغرب ان تحيي هذه الحضارة من جديد بما في خزائنها وجامعاتها ومعاملها من بزور حيّة

فللأسباب المتقدمة نرى ان الحضارة الحاضرة المبنية على العلم والصناعة لن تنحطّ وتضمحل كما انحطت الحضارات القديمة واضمحلت . (ملخصة بتصرف قليل من مقالة للمؤرخ الاميركي الاستاذ شارلس بيرد في مجلة هاربرز)

العصور الغابرة ولكننا لا نستطيع ان نقول انهم بلغوا الآن في فنهم ذروة الارتقاء حتى نثبت انهم اخذوا في الانحدار منها

٥ — اخطار الحروب الاهلية والدولية

هل يجوز ان تمنى امم الحضارة الغربية بثورات او حروب اهلية تفتُّ في عضدها وتدكُّ قواعدها كما حدث لامبراطوريات العصور القديمة ؟ اذا حاولنا ان نقيس الحاضر على الماضي وجب ان نفعل ذلك والحذر رائدنا الاول . فاننا مهما نقُل في حالة العمال الآن في البلدان الصناعية نجد ان حالتهم المادية والاجتماعية والتهذيبية ومقامهم السياسي يفوق حالة العمال والعبيد في الامبراطورية الرومانية . فثورة مثل ثورة العبيد في رومية بعيدة الاحتمال في حضارة آلية مهما يبلغ ضيق العمال ، لان العمال يطلبون إنْ طلبوا شيئاً زيادة وسائل الراحة والمدَّ في اسباب الرخاء — فمطالبهم اذاً تقوم على رغبة في تأييد الحضارة الغربية مع توزيع منافعها على الجمهور توزيعاً عادلاً

ولكن ألا يحتمل ان تنشب حروب طاحنة بين الامم المتحضرة بالحضارة الغربية فتكون شؤماً على الحضارة نفسها تدك بنيانها وتخرب البلدان التي نشأت فيها وتنضب دماء الامم التي ابدعت مبادئها وشيّدت معالمها ؟ من المرجح ان حروباً طاحنة تنشب في المستقبل فتفني الدول في اتونها زهرة شبابها وكل ثروتها .ولكني لا استطيع ان اتصوّر حرباً تستطيع ان تفني الشعب كلّهُ وتقوض اركان المعيشة التي يعيشها . واذا فعلت ذلك الى حدٍّ ما فان حيوية الشعوب المختلفة تبعث على انقاض الماضي النظامَ الاليَّ العلميَّ حيًّا من جديد ،وتوطد اركان الرخاء المادي في فترة قصيرة .وقد ذهب الفيلسوف الاقتصادي الانكليزي جون ستيورت مِل الى انهُ اذا بادت الثروة الميكانيكية في امة من الامم امكن احياؤها في عشر سنين . وعليهِ لا نرى مسوّغاً للقول بان تعاقب الحروب في المستقبل يقضي على الحضارة الغربية . نقول ذلك من غير ان ننتقص في حال من الاحوال الضرر الناجم عن هذه الحروب . واذا سلمنا ان حروباً كهذه تقوّض اركان الحضارة الغربية في اوربا واميركا افلا تستطيع اليابان وقد بلغت شأواً بعيداً في الاخذ بحضارة الغرب ان تحيي هذه الحضارة من جديد بما في خزائنها وجامعاتها ومعاملها من بزور حيّة

فللأسباب المتقدمة نرى ان الحضارة الحاضرة المبنية على العلم والصناعة لن تنحطّ وتضمحل كما انحطت الحضارات القديمة واضمحلت . (ملخصة بتصرف قليل من مقالة للمؤرخ الاميركي الاستاذ شارلس بيرد في مجلة هاربرز)

ما يصنعهُ الكيماوي بالكهربائية [1]

واقعات اغرب من الخيال — مركبات الكلور والالومينيوم — الفرن الكهربائي
تحويل المعادن بفعل التيار في الافران الكهربائية الشديدة الحرارة

اذا ارسلنا النظر في التطبيقات المتنوعة للعلوم المختلفة ، لم نجد في العلوم الطبيعية فرعاً موثق العلائق بشؤون الحياة العصرية كفرع الكهربائية مع انهُ احدث فروع الطبيعيات نشأةً . فقد وضعت قواعده ، ودرست ظواهره الاولى بعد النهضة العلمية في اوربا . واول من اجرى ما يصح ان يسمَّى تجارب كهربائية هو جلبرت الانكليزي ، المتوفى سنة ١٦٠٣ في عهد اليصابات ملكة انكلترا . فقد دعاهُ البلاط الانكليزي لعرض تجاربهِ في تكهرب الاجسام بالدلك على سبيل التسلية كما يتسلى الامراء بمشاهدة اعمال السحرة والمشعوذين . وظلّ العلم بعد ذلك ساكناً مدة قرن ونيف

﴿ نبذة تاريخية ﴾ وفي أوائل القرن الثامن عشر اخذت التجارب الكهربائية تزداد وشغف كثيرون بها . فاكتشفوا الاجسام الموصلة والفاصلة ، وعرفوا نوعي الكهربائية ، السلبي والايجابي . واخترعوا الآلات الكهربائية الاستاتيكية (الساكنة) التي عمّ استخدامها ، واتخذها الناس وسيلة من وسائل اللهو . وفي بدء القرن التاسع عشر توصل ڤولطا العالم الإيطالي سنة ١٨٠١ الى استنباط الجهاز المعروف بالعمود القلطاني لتوليد التيار الكهربائي في الاسلاك . وتمكَّن من تركيب بطارية كهربائية بتوصيل اعمدة عدة . وما ذاع خبر استنباط العمود الكهربائي حتى تهافت العلماء على استخدامهِ لاجراء الامتحانات بواسطته ، فافضى ذلك الى سلسلة من الاكتشافات المتوالية في السنين الاولى من القرن التاسع عشر . فنشأ عنها فنُّ الحل الكهربائي وكان من اسبق كشوفه حلّ الماء بالكهربائية الى عنصريهِ الاصليين ، الهيدروجين والاوكسجين

وتتبَّع داڤي الكيماوي الانكليزي درس هذا الموضوع . فافضى بهِ البحث سنة ١٨٠٨ الى اكتشاف ان الصودا الكاوية والبوتاسا الكاوية ليسا عنصرين بسيطين ، بل هما مركبان . وتمكن من حلها بالكهربائية ، فحصل على عنصرين جديدين ، هما الصوديوم

---

(١) خطبة للاستاذ حبيب افندي اسكندر مدير مدارس التوفيق القبطية . خطبها في نادي الشبان المسيحيين بمصر في ٢ نوفمبر سنة ١٩٢٨

والبوتاسيوم اللذان لم ترهما عين انسان قبلاً في الكون . واليوم يحضر هذان المنصران بالطريقة عينها بمقادير وافرة للصناعة . ومن ثم تقدمت الاكتشافات الكهربائية تباعاً . فاكتشف العلماء الخواص المغنطيسية، وظواهر النور والحرارة في التيار الكهربائي . ثم ظهر إمام الكهربائية الاعظم، فارادي الانكليزي الذي كان في اول حياته مجلد كتب وموزع صحف، فصار بجده واجتهاده علماً بين اكابر العلماء الطبيعيين . وتمكن من اكتشاف نواميس التأثير الكهربائي، والتحليل الكهربائي ، التي كانت مدخل دور جديد من ادوار الكهربائية . وكان من آثارها العمرانية ما نراهُ من تطبيقاتها في شؤون الحياة الكثيرة يتبين من هذه الفذلكة التاريخية

الموجزة ان فنَّ الكهربائية من احدث فروع الطبيعيات . فاذا حسبنا ڤولطا مؤسساً لهُ كان عمر الفن ١٢٨ سنة . واذا عددنا فارادي اباً لهُ كان عمرهُ ١٠٠ سنة فقط . فلا يبعد ان يكون بعض الاحياء اليوم ممن عاشوا قبل ان يهتدي الانسان الى استخدام الكهربائية في اية ناحية من نواحي الحياة . فمنذ مائة عام كان العالم — الحافل الآن بالادوات والآلات الكهربائية — خلواً من كل تطبيق كهربائي بل لم يدر في خلد احدٍ يومئذٍ ان هنالك فائدة ترتجى من الابحاث الكهربائية . فسألت سيدة ذات يوم الاستاذ فارادي، على اثر القائه محاضرة في ابحاثه الكهربائية قائلة لهُ : هبني ان ابحاثك هذه وتجاربك صحيحة كما تقول، فما هي الفائدة المرجوَّة منها ، وما هي

> هذه الخطبة النفيسة تبين في سهولة استرسال اثر الكهربائية في اعمالنا اليومية الحيوية من كبيرة وصغيرة — في صنع الصلب والنحاس وادوات الالومنيوم والمنسوجات والزجاج والورق والاطعمة والاسمدة والمفرقعات والمطاط والعقاقير والحجارة الكريمة واقلام الرصاص وعيدان الثقاب والمواد المبيدة للحشرات والزيوت والغازات السامة وغير ذلك من المواد التي لا تقوم للحضارة او الصناعة قائمة بدونها

قيمتها العملية ؟ : فاجابها على الفور جواباً تفهمهُ السيدات قال : ان قيمة هذه الاكتشافات هي كقيمة طفل ولد حديثاً ، لاحول لهُ ولا طول ، ولكنهُ سيصير يوماً من الايام رجلاً ذا بأس : وزارهُ مرة كبار رجال الدولة ، ومعهم غلادستون الشهير . وبعد ان عرض عليهم فارادي بعض تجاربهِ الكهربائية ، سألهُ غلادستون عن قيمة هذه التجارب من الوجهة العملية .فاجابهُ جواباً يغتبط لهُ رئيس كل حكومة قال : ياجناب الوزير، لا يمضي زمن طويل حتى تجبي الدولة التي ترأسونها المبالغ الطائلة من الضرائب . وقد تحقق قوله هذا بسرعة مدهشة ، فقد بلغ ما تقبضهُ الحكومة الانكليزية من اصحاب معامل الادوات اللاسلكية وتجارها اكثر من نصف مليون جنيه سنويًّا

فالكهربائية ، التي كانت الى عهدٍ قريب مجرَّد لعبة وتسلية ، قدصعدت بسرعة فائقة عديمة المثال في التاريخ ، الى ذرى المجد والسؤدد ، فاحتلت المكان الاول في العلوم التطبيقية فهي اليوم اعظم اداة للعمران، واذا زالت تطبيقاتها من الوجود تصدعت اركان الحضارة ، وزال اظهر مميز لمدنية العصر الحاضر عن مدنيات العصور التي تقدمتهُ

وللكهربائية تطبيقات عديدة في شؤون الحياة ، فان استخدامها في التلغراف والتلفون والتنوير وتسيير القاطرات وتحريك الآلات، اشهر من ان تذكر. ولكني احصر كلامي الآن في ناحية واحدة هي الناحية الكيماوية التي قد لا يفقهها الكثير من عامة المتعلمين . ومن هذه الناحية تدخل الكهربائية في حياتنا من مئات الابواب من غير ان نشعر. وقلما تجدون مادة او سلعة تجارية الاَّ ولها بالكهربائية صلة قريبة او بعيدة لان اكثر المواد الاساسية تحضر اليوم بطرق كهربائية

خذ مثلاً « ملح الطعام » . هذا الملح الابيض الذي نستعملهُ مراراً كل يوم ، يكثر في ماءِ البحر ، وفي بعض طبقات الارض . فاذا مرَّ في محلولهِ المائي تيار كهربائي نتج من ذلك المحلول ثلاث مواد اساسية ، هي الكلور والهيدروجين والصودا الكاوية. وهذه المواد الثلاث تحضر اليوم بالقناطير والاطنان من ملح الطعام ، بواسطة المولدات الكهربائية ، كما في معامل شلالات نياغرا بامريكا

﴿ الكلور في الصناعة ﴾ فالكلور ، وان كان مجهول الاسم عند الكثير من الناس ، يدخل في كثير من ضروريات الحياة. فيضاف بعضهُ الى ماء الشرب لتطهيرهِ من الجراثيم ، وخاصة جراثيم الحمى التيفوئيدية . وقد كان استعمالهُ سبباً في منع تفشي هذا الداء الفتاك . على ان المقادير اللازمة منهُ لهذا الغرض هي قليلة .لان قطرة واحدةمنهُ سائلاً تكفي لقتل الجراثيم في ثمانين لتراً من الماء . واما معظم الكلور فيستخدم في الصناعات الكيماوية .

يضاف بعضهُ الى الجير لصنع المسحوق المبيّض ، الذي يزيل الالوان في صنع الورق ، والمنسوجات وغيرها فيقصرها . ويستخدمون بعضهُ في تحضير بعض اصباغ القطران ، كصباغ النيل . وكذلك في تحضير العقاقير الطبية ، كالكلوروفورم ، وفي صناعات كيماوية اخرى كتنقية الزيوت ، وتحضير البنزين ، واستخلاص المعادن . ثم انهُ اساس حرب الغازات فهو نفسهُ اول غاز سام أُستعمل في الحرب العظمى . كما انهُ مادة اساسية لتحضير معظم الغازات والابخرة السامة ، مثل غاز الفوسجين ، وغاز الخردل ، والكلوروبكرين ويدخل ايضاً في صنع المفرقعات ، وفي تركيب المواد المهلكة للحشرات في فن الزراعة

وما قيل عن الكلور المستحضر بالحل الكهربائي يقال كذلك في المادتين الآخريين ، الهيدروجين والصودا الكاوية . ولزيادة الايضاح اذكر علاقة هذه النواتج الكهربائية بامر بسيط وهو « الجوارب » المصنوعة من القطن ، التي قد لا يستغني عنها متمدّن . فالهيدروجين غاز اذا احرقناهُ في الهواء اتحد بالاوكسجين فتكوَّن من اتحادهما الماء وبقي الازوت او النتروجين . ويتحد هذا الغاز الاخير بالهيدروجين ، في احوال خاصَّة ، فيتولد من اتحادهما غاز النشادر المستعمل في صنع الجليد . الاّ ان اهم فوائد النشادر استخدامهُ في تحضير الاسمدة الزراعية ، ولاسيما كبريتات النشادر ، وفصفاته ، التي ترسل الى البلاد الزراعية ، كمصر ، غذاء لشجرة القطن . وعند ما تكبر شجرة القطن ، وتصل الى نهاية النمو تصاب احياناً ببعض الامراض فيعالجونها بمواد كيماوية كزرنيخات الكالسيوم التي تحتاج في تحضيرها الى الكلور المحلل بالتيار الكهربائي . وبعد جني القطن وحلجهِ وغزلهِ خيوطاً يقصَّر اي يجعَل لونهُ ابيض ناصعاً بغاز الكلور المجهز بالتحليل الكهربائي او بمسحوق ازالة الالوان الذي يستحضر بواسطتهِ . ولكي تصير خيوط القطن لامعة كالحرير تعالج بمحلول الصودا المستحضرة من ملح الطعام بالتحليل الكهربائي ، فيصير القطن بهذه الوسائل ابيض ناصعاً برّاقاً . واذا أُريد صبغهُ باللون الاسود او بغيره من الالوان استعملت بعض اصباغ القطران ، التي تحتاج في تحضيرها الى غاز الكلور الناتج عن الحل الكهربائي . هذه هي قصة مختصرة للجورب وعلاقة الكيمياء الكهربائية بهِ . وما يقال عن الجورب والمنديل يقال كذلك عن كل مرافق الحياة

﴿ الكيمياء والتعدين ﴾ ومن الصناعات الكيماوية المتصلة بالكهربائية اتصالاً وثيقاً صناعة التعدين فالحديد الصلب يجهَّز اليوم في افران كهربائية . واكثر المعادن تستخلص من مركباتها الطبيعية بالتحليل الكهربائي ، بعد ان كانت تستخلص بالطرق الكيماوية العادية ، ولكن بحالة غير نقيَّة . ونقاوة المعادن تؤثر في خواصها تأثيراً بالغاً . فيجب ان لا

يحتوي الالومنيوم على اكثر من جزء واحد في المائة من المواد الغريبة ، والاّ تغيرت خواصهُ . والرصاص لا يحتمل اكثر من جزء من الف من المواد الغريبة ، وكذلك القصدير . اما النحاس فلا يحتمل اكثر من خمسة اجزاء في عشرة آلاف جزء . واذا اتصل جزء من البزموت بعشرين الف جزء من النحاس ، وزناً ، صار قصماً ، غير قابل للسحب والمط وصنع الاسلاك . من هـذا تتبينون ما لتحضير المعادن نقية بواسطة التيار الكهربائي من الشأن الخطير

هذا وان معدن الالومنيوم خاصة لا يمكن استخلاصه من ركازهِ بتسخينهِ بفحم كوك . فالطريقة التجارية لانتزاعه من خاماته الطبيعية هي بتحليلها مصهورة بالتيار الكهربائي . فتنحلّ تلك الكتل الى اوكسجين والومنيوم . وقد كشف هذه الطريقة الكهربائية شاب امريكي فقير يدعى « هول » وهو في الثالثة والعشرين من العمر. ولما مات سنة ١٩١٤ ترك ثروة تقدَّر بالملايين من الجنيهات . وذلك لان الالومنيوم متحلٍّ بكثير من الصفات التي تجعلهُ خليقاً بالرواج . فهو معدن متين ، مع انهُ اخف وزناً من الحديد ثلاثة اضعاف حجماً لحجم . وهو قابل للمط والانطراق، وموصل جيد للحرارة والكهربائية ولا يتأكسد بالهواء . وهذه الخواص تجعلهُ جديراً بالاستعمال في شؤون كثيرة : فتصنع منهُ كميات كبيرة من اواني الطبخ والمائدة . ويحلُّ محلَّ النحاس في المنشآت الكهربائية وخاصةً في صنع الطيارات والسيارات . وتستخدم صفائحهُ في التفضيض ، لانها تحفظ بريقها ولا تسودّ ، كالفضة في الهواء. ويستعمل مسحوقهُ في بعض الزيوت كدهان للحديد لمنع صدئهِ . ويدخل في تركيب بعض السبائك المعدنية فبرنز الالومنيوم ، او المعدن الذهبي هو سبيكة من النحاس والالومنيوم ، لها مظهر الذهب ولا تصدأ بالهواء . ومخلوط الالومنيوم مع القصدير يستعمل بدل النحاس. ويفضلهُ في انهُ اخف وزناً واقل عرضة للتلف وفوق ذلك يستخدم الالومنيوم في لحم المعادن باللحام المعروف بالترميت . ولولا التيار الكهربائي لما تمتع العالم بهذا المعدن المفيد الثمين . وكان قبلاً يباع الرطل منهُ بمائة واربعين ريالاً (٢٨ جنيهاً) لندرة وجودهِ . فلما صار يستحضر بواسطة التيار الكهربائي شاع استعماله حتى يباع رطله الآن بخمسة غروش

﴿ الفرن الكهربائي ﴾ ويجمل بي في هذا المقام ان اقول كلمة في الفرن الكهربائي. وما يصنعهُ الكيماوي بواسطته . وسترى انهُ آلة غريبة تعد من معجزات العلم الحديث . فمن العمليات التي تهم الكيماوي كثيراً عملية التبريد والتسخين . لما غمس الطبيعي الالماني فهرنهيت سنة ١٧٢٠ ترمومتره المعروف، في مخلوط الملح والجليد هبط زئبقه ٣٢ درجة

عن درجة الجليد . فتوهم انهُ بلغ ادنى درجات الحرارة فدعا تلك الدرجة درجة الصفر ولكنهُ بعد ذلك ثبت ان درجة الصفر المطلق هي تحت صفر فهرنهيت بنحو ٤٥٩ درجة . وقد تمكن العلماء في السنوات الاخيرة ، بطرق التبريد المؤسسة على تمدُّد الغازات الفجائي من الوصول الى ما يقرب من درجة الصفر المطلق وهي ٤٥٩ درجة تحت الصفر . فيمكنهم تحويل الغازات اجساماً صلبة . وفي امريكا يبيعون ثاني اكسيد الكربون المتجمد كما يبيعون الجليد بمصر . ويستعملونهُ في التبريد ، وحفظ الاطعمة . فباستطاعتهم حفظ الجلاني والدندرمه ، والاطعمة المعرَّضة للفساد وتصديرها من امريكا الى اوربا والبرازيل،دون ان تذوب او تفقد شيئاً من خواصها

هــذا من جهة التبريد ، او درجة الحرارة المنخفضة . اما من جهة التسخين او درجة الحرارة المرتفعة فقد كانت اقصى درجات الحرارة التي استعملها السباكون والمعدنون في العهد الماضي هي درجة حرارة الفحم المنفوخ فيهِ بالهواء او الاكسجين ولكنهم بعد اكتشاف القوس الكهربائي والدينامو تمكنوا من عمل افران كهربائية تبلغ فيها درجة الحرارة ١٤٠٠٠ فوق الصفر . وهي اعلى من حرارة الشمس ٣٠٠٠ درجة وعلى هذا اصبح لدى الكيماوي ، او الصانع الحديث مدًى متَّسع من درجات الحرارة لايقل عن ١٤٤٥٠ درجة . فاستطاع الكيماوي ان يأتي بالمعجزات لانهُ كلما ارتفعت درجة حرارة الجسم اصبح ذليلاً ، وضعفت فيهِ قوة الاستمساك الطبيعية . فيلين الجسم القاسي اولاً ، ثم يرتخي ثم يسيل ثمَّ تتباعد دقائقهُ ويتحول بخاراً . ثمَّ تنحل ذرات دقائقهِ وتنحل المركبات الى عناصرها الاصلية البسيطة . واخيراً تطير من تلك الذرات بعض كهاربها التي يعادل الواحد منها جزءاً من ١٨٠٠ من ذرة الهدروجين . وهـذه اصغر وحدة في الكون . وجميع خواص العناصر الطبيعية والكيماوية تتوقف على عدد الكهارب في ذراتها . وبتغيير عددها ونظامها يمكن تحويل العنصر الواحد الى عنصر آخر

فالفرن الكهربائي بدرجة الحرارة المتناهية في الارتفاع المقرونة بقوة التيار المرشدة يعدُّ آلة سحرية في يدالكيماوي لاحداث تغييرات وتحولات غريبة في المادة ، لا تخطر على بال ، وبذلك حولوا الكربون الى الماس والفحم الى الجرافيت المستعمل في صناعة اقلام الرصاص. وبهِ تمكنوا من فصل عنصر الفلور انشط العناصرالكيماوية الذي يفعل بالزجاج . وبهِ يحضرون عنصر الفصفور من كتله الطبيعية ويستعملونهُ في وجوه كثيرة ، اهمها صناعة عيدان الثقاب (الكبريت) . وبهِ توصلوا الى فصل عنصر السلكون المعدود من العناصر المستعصية ولم ترهُ العين فيما سلف

﴿ بناء الاجسام العضوية ﴾ وبالتيار الكهربائي يمكن عمل ما هو عكس العمليات السابقة . اي يمكن بناء مركبات معقدة كالتي تتكون في جسم النبات من عناصر بسيطة . خذ مثلاً مادتين بسيطتين ، هما الجير والفحم فاذا مرَّ بمخلوطهما تيار كهربائي انفصل عنصر الكلسيوم عن الاكسجين ، واتحد بالكربون فكوَّن مادة جديدة تدعى كربونور الكلسيوم. وهذه المادة الجديدة التي يصنعها الكيماوي بالفرن الكهربائي ، من عنصرين بسيطين هي المادة الاولية لبناء جميع المواد العضوية فهي قنطرة اتصال العالم العضوي بالعالم غير العضوي. فقد كان الشائع قديماً ان جميع المواد المستخرجة من الحيوان والنبات تتكون بتأثير قوة حيويَّة ، وليس في وسع الكيماوي بناؤها من عناصرها البسيطة. ولكن هذا الاعتقاد قد تهدَّم ، واصبح الاشتغال في العالم العضوي ايسر منهُ في غير العضوي . ولو كان الكيماوي لا يزال عاجزاً عن محاكاة الطبيعة ، كل العجز

قلت ان كربونور الكلسيوم الذي يجهز بالفرن الكهربائي ، مادة أولية يبنى عليها معظم المواد العضوية . ولبيان ذلك اقول. اننا اذا القينا قطعة منهُ في الماء اخرجت غازاً ، اذا لامسهُ اللهيب احترق متفرقعاً . وهذا الغاز هو الاستلين المشهور ، بالنور الخاطف الابصار ، المستخدم في الدراجات والسيارات . واذا حرق هذا الغاز في الاكسجين التي انتج اشد اللهب الكيماوية حرارة . فيقطعون بهِ الواح الفولاذ كما يُقطع الخشب بالمنشار فتشقُّ لهبهُ لوحاً من الفولاذ سمكهُ خمسة سنتمترات بسرعة ٢٥ سنتمتراً في الدقيقة كما يشق الخياط الاقمشة القطنية. واذا اضيف غاز الاستلين الى ماء فيهِ قليل من الحامض وملح الزئبق اتحد بالماء وكوَّن مركَّباً عضويًّا يدعى « استلدهيد » . واذا مزج بخار الاستلدهيد بالهيدروجين ، ومرَّ المزيج على سلك من النكل اتحد — الهيدروجين والاستلدهيد — ، وكوَّنا الكحولاً . وهو نفس الالكحول الذي يحضر بطريقة الاختمار من الفاكهة والحنطة ، ويشربهُ الشاربون في الجعة والنبيذ . ويسهل تحويل الاستلدهيد الى خل ، او الحامض الخليك ، بالبكتيريا وبعوامل بسيطة. ويتحد الحامض الخليك بالجير ويكوّن خلات الكلسيوم ، التي تنحلل بالتسخين وتكوّن مادة عضوية ، تسمَّى الاستون ، المستعمل لاذابة كثير من المواد الصلبة . واذا اتحد الاستون بغاز الاستلين كيماويًّا نتجت عنهُ مادة تسمَّى « ايسوبريم » وهي مادة المطاط الاساسية ، او الكاوتشوك . وكان الالمان ، في اثناء الحرب يحضرون الكاوتشوك منها وهكذا اذا بدأنا بالفحم والجير والفرن الكهربائي وصلنا الى اعقد المركبات العضوية بناء كالكاوتشوك وغيره

اترك الجير وانتقل الى الرمل . يتركب الرمل من مادة تسمَّى سليكا ، وهي مادة

لا تنصهر، ولذلك يخلطونها ، في صنع الزجاج ، بالصودا ليسهل صهرها . غير انهم في المدة الاخيرة توصلوا بالفرن الكهربائي الى صهر السلكا النقية ، وصنع اوانٍ شفافة كالزجاج

وهذه الاواني والاجسام يمكن احماؤها الى درجة الاحمرار ، وغمسها في الماء البارد دون ان يصيبها كسر ، وهي شفافة تنفذها اشعة الحرارة ، وكذلك اشعة النور الى حدّ يمكنك من قراءة الكتابة وراء قطعة منها سمكها عشرون سنتمتراً ويصنعون منها اليوم اواني المطبخ والمائدة

هذا واذا مرَّ القوسِ الكهربائي في مخلوط الرمل والفحم تولَّدت منهما مادة زرقاء او سوداء، تشبه الماس جمالاً وصلابة تسمى « كربوراندم » . كان اول من اهتدى الى هذه المادة يبيعها الرطل بـ ١٢٠ جنيهاً ، على انها حجر كريم . وهي تأتي بعد الماس في الصلابة وقوة خدش الاجسام . وهي تفوق الصنفرة (اكسيد الالومنيوم) في شحذ المعادن مع اقتصاد الحرارة . ومنها يصنعون الرحى والاهوان واحجار الشحذ والقماش المصنفر ، ولها فوائد جمّة . ويصنع منها سنويًّا في كندا والولايات المتحدة ما يبلغ ثمنهُ الملايين من الريالات. واذا فعل عنصر الكلور « بالكربوراندم » وكلاهما حاصل الكهربائية ، حلّ الكلور محل الكربون ، فتكوَّن منهما مركب جديد يسمى كلورور السلكون الرابع وهو يكوّن مع الهواء الرطب والنشادر دخاناً كثيفاً. وقد استعمل مخلوطاً بالنشادر في الحرب العظمى لاحداث حواجز من الدخان لاخفاء مواقع المدافع والجنود والبوارج عن اعين الاعداء . وكانوا يضعون بعضهُ في القنابل ليروا مواضع انفجارها فيعرفون مدى مرماها . وهنالك مادة اخرى تسمى كلورور التيتانيوم الرابع وهو افضل من كلورور السلكون الرابع في احداث الدخان والضباب الكثيف . وهذه المادة ايضاً تحضر بالفرن الكهربائي

﴿ تثبيت النتروجين ﴾ واهم تطبيق كيماوي بالكهربائية في شؤون الحياة استخدامها في تثبيت النتروجين الجوي بطرق متنوعة. ان قصَّة عنصر النتروجين من اغرب القصص وافيدها . هذا العنصر متكبر يميل الى العزلة ،ولا يحب الاتحاد الكيماوي بغيره من العناصر. ولهذا يوجد في الهواء على حالتهِ العنصرية مخلوطاً بالاكسجين بنسبة ٤ الى واحد حجماً . وهو لا يكلف شيئاً ،كما انهُ لا يصلح لشيء. غير ان مركباتهِ الكيماوية كالنشادر والحامض النتريك ومشتقاتهما من افيد المركبات واشدها لزوماً لصنع المفرقعات والاسمدة الزراعية . وقد كان مصدر المركبات النتروجينية الوحيد ملح شيلي او نترات الصوديوم . ويبلغ ما استخرج من مناجم شيلي من هذا الملح ٧٠ مليون طن . ويرى الفنيون ان

هذا الملح سينفد بعد سنوات قليلة . ولا بد من ايجاد مصادر اخرى لاستحضار الحامض النتريك والنترات . والاَّ تعرَّض العالم لازمات زراعية شديدة . لذلك حوَّل الكيماويون وجوههم شطر اكبر موارد النترات وارخصها ، وهو الهواء محاولين ادخال نتروجينهُ في مركبات كيماوية . فاستعان بعضهم بالكهربائية فانقاد لهم العنصر المتكبر صاغراً فحولوهُ الى حامض نتريك ونترات ومفرقعات واسمدة . فاذا اطلقت الشرارة الكهربائية في مزيج الاكسجين والنتروجين اتحد هذان العنصران اتحاداً كيماوياً فتألف منهما فوق اكسيد النتروجين واذا عولج هذا بالماء كوَّن الحامض النتريك ويمكن تجهيز النترات من الحامض باضافة القواعد اليهِ . وتستخدم في الصناعة افران ذات اقواس كهربائية كبيرة شديدة الحرارة تبلغ درجتها ٦٠٠٠ درجة . وطول القوس الكهربائي فيها ٢٣ قدماً على شكل لهب حلزونية . وبمرور تيار الهواء الساخن في هذه الافران على لهب القوس بسرعة ثم يُدفَع الاكسيد المتولد في انابيب يحيط بها الماء البارد ، وينقل منها الى اسطوانات رأسية حيث يتأكسد ما فيهِ من الاكسيد النتريك الى فوق اكسيد النتروجين بالاكسجين المتخلف . ثمَّ تطرد الغازات في ابراج مرتفعة يقطر فيها الماء فيتحد الماء بالغاز مكوناً الحامض النتريك ويمر ما بقي في محلول الصودا فيكوّن نتريت الصوديوم

ويخزن الحامض في احواض من الجرانيت . ثمَّ يعدَّل بالحجر الجيري او الجير ويبخر المحلول ويباع الناتج في الاسواق باسم ملح النرويج ، او ملح الهواء ويسمَّى كيماوياً نترات الكلسيوم . وتستعمل هـذه الطريقة في البلاد ذات المنابع الكهربائية الرخيصة كبلاد نروج التي تكثر فيها مهابط الماء التي تستخدم في توليد الكهرباء من غير نفقات طائلة . وتستخدم الشركات في بلاد نروج ما يعدل قوة نصف مليون حصان من القوة بالاستمرار في تثبيت النتروجين الجوّي . ويقال ان الحكومة المصرية اليوم تدرس مشروع توليد الكهرباء من خزان اصوان . واذا نجح العمل امكننا تثبيت نتروجين الهواء بهذهِ الطريقة وتوفير مبالغ طائلة واوجدنا عملاً لملايين من الايدي الفارغة التي اذا تركت هملاً هددت السلام والامن تهديداً عظيماً

هذه كلمة شتيتة تبين بالاختصار بعض ما يصنعهُ الكيماوي الكهربائي ، وتظهر اثر الكهربائية في اعمالنا الحيوية كبيرة وصغيرة من صلب والومنيوم ونحاس ومنسوجات وورق واطعمة واسمدة ومفرقعات ومطاط وادوية وزجاج وحجارة كريمة وجرافيت وعيدان ثقاب ومواد مبيدة الحشرات وزيوت وغازات سامة وغير ذلك من المواد التي لا تقوم للحضارة او الصناعة قائمة بدونها

الرائد

القصيدة التي نالت الجائزة الاولى في مباراة المقتطف

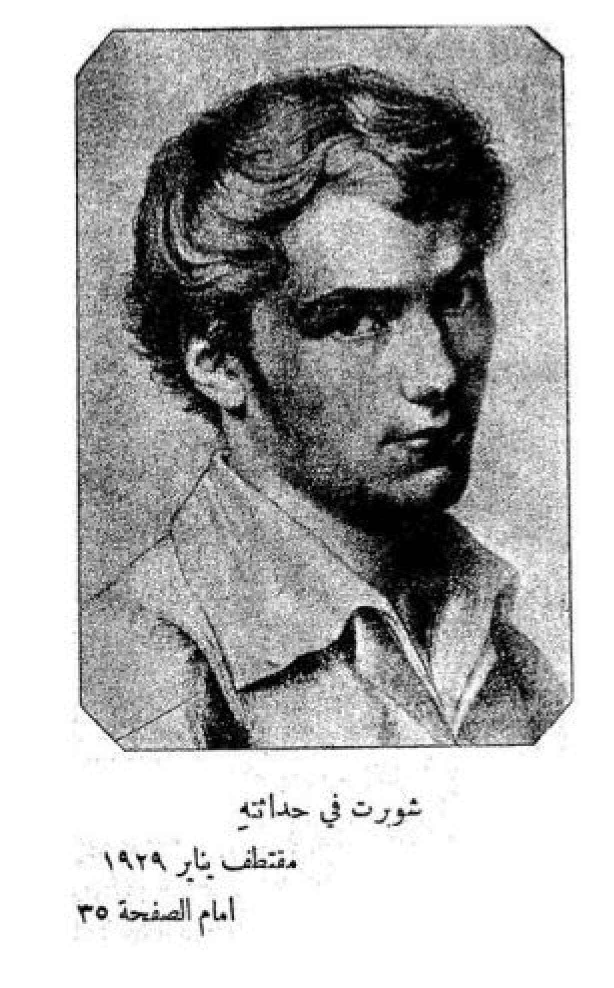
تحفّز حتى القطب في وثباته ... وحلّق حتى الشهب في رغباته
وزاحم نسر الجوّ في طيرانه ... وصال على عقبانه وبزاته
وأقلق حوت البحر في مستقره ... وروّع وحش البرّ في فلواته
فما شهدت عين الزمان كرائد ... تمرّس بالاهوال في غمراته
يهون عليه أن يضحّي بذاته ... وأكرم حيّ من يضحّي بذاته
يودّع مغناه ويمشي إلى الردى ... وحيداً وصرف الدهر بعض عداته
حقيبته تفضي إليك بسرّه ... ومرقبه ينبيك عن عزماته
عصاه عصا (موسى) ومنه تفجّرت ... ينابيع علم قبل ضرب صفاته
ففي كلّ أفق من أشعة فكره ... وفي كل وادٍ من صدى كلماته
وفي كلّ قفر صفحة من كتابه ... وفي كلّ نهر قطرة من دواته
وفي كلّ لجّ مسرب لسفينه ... وفي كلّ قطب مركز لأداته
وفي كلّ فجر مسرح لخياله ... وفي كلّ ليل معبد لصلاته
يطير إلى القطب الشماليّ صاعداً ... وفي البحر هول القبر في فجواته
ويهوي إلى القطب الجنوبيّ هابطاً ... يشقّ حجاب الغيب في خطواته
يفلّ جيوش الزمهرير مغالباً ... عناصر كون لوّحت قسماته
وكم جاز أصقاع الجليد وحفّه ... ضباب كثيف حال دون نجاته

يسدُّ عليه الثلجُ حيناً سبيلهُ — وحيناً يقيه الثلجُ من عثراتهِ
ويغمرهُ الليلُ البهيمُ وقلبهُ — يحسُّ دبيبَ الموتِ في نبضاتهِ
وكم خطرٍ يجتازهُ متسلقاً — إلى جبلٍ أوفى على هضباتهِ
وكم شاقهُ وادٍ فمرَّ بجدولٍ — تدفق حتى سالَ عن جنباتهِ
وأفضى إلى غابٍ فراعَ فؤادهُ — فحيحُ أفاعيهِ وسمُّ نباتهِ
تهبُّ عليه الريحُ نكباءَ زعزعاً — وتمتزجُ الرمضاءُ في زفراتهِ
ويفري الفيافي والجوى ملءُ صدرهِ — كأنَّ لظى الصحراءِ نفثُ لهاتهِ
تجوسُ الضواري وهي تزأرُ حولهُ — فتحرمهُ في الليلِ طيبَ سباتهِ
فيا للغريبِ يلتقي الهولَ وحدهُ — ويقضي فقيراً بعدَ مكتشفاتهِ
يكادُ يزيحُ السترَ عن كلِّ غامضٍ — ويفتتحُ الأفلاكَ في غزواتهِ
يطالعُ سفرَ الكونِ حتى إذا انثنى — أضافَ على المكتوبِ من صفحاتهِ
فيرتشفُ الروادُ من قطراتهِ — ويقتطفُ الروادُ من ثمراتهِ
وينظمُ للأجيالِ خيرَ قصيدةٍ — يدونها التاريخُ في حسناتهِ
وينشدها السمارُ في هدأةِ الدجى — ويذكرها الطيارُ في رحلاتهِ
وما العمرُ إلا رحلةٌ إثرَ رحلةٍ — يكابدها الإنسانُ قبلَ مماتهِ
فمن عاشَ عيشَ الظافرينَ تبسمتْ — لهُ صفحاتُ الكونِ في خلواتهِ
ومن ماتَ موتَ الرائدينَ مغامراً — فدى العلمِ كانَ الموتُ بدءَ حياتهِ

حليم دموس



شوبرت قبيل وفاته، وتوقيمه



شوبرت في حداثته

مقتطف يناير ١٩٢٩
امام الصفحة ٣٥

فعلى شواطئ امريكا اقليم واسع هو أقليم كليفورنيا . هل يعلم القارئ ما هي كليفورنيا التي لا شك الآن في انها حقيقة من حقائق العيان ؟ هي في الخرافات الاسبانية كجزائر الواق في الخرافات العربية ، هي مدينة من مدن الاوهام تخيلها الكاتب الاسباني « منتالفو » في اواخر القرن الخامس عشر وافرغ عليها مسحة من السحر وذهباً من كنوز الخيال التي لا تنفد وجعلها على مقربة من بلاد الهند التي كانت في ذلك العهد كعالم الغيب في اوهام الرواة ، فلما شخصت السفن الى الغرب لترتاد السبيل الى بلاد الذهب والجوهر كانت قصة الملكة كلافيا صاحبة تلك المدينة في وطاب كل ملاح يشق غمار العباب من أجل ذلك السراب ! وكانت « كليفورنيا » هي الاسم الذي اختاره الرواد لارض الكنوز والاعلاق حين تمثل الحلم في وضح النهار ، ولولا تلك الاحلام وما أشبهها لبقيت امريكا في ضمير الغيب ولما أصبحت جزيرة الواق مكاناً معهوداً على خريطة هذا العالم المعمور ! ولئن بات العالم خلواً من شواسع الاقطار التي تهدينا اليها الاقاصيص فان في اطواء كل نفس لاقطاراً شاسعات لا يزال يهدينا اليها الحلم ولا تزال نشق اليها النهار ولا تزال هي الثروة التي من اجلها تنفق الثروة وهي النضار الذي من اجله تطلب النضار

والناس يخطئون فهم « الامريكيات » التي يسمونها بالواقعيات وينكرون من أجلها الشعريات والخيالات . فما كان أبناء امريكا وسكانها متهافتين على الذهب لانه الذهب ولا كاسبين المال لانه المال . انما يتهافتون على الذهب لانه الوسيلة الى ما يتعطشون اليه من إحساس الحياة والعدّاد الذي يعدّون به قدرتهم على ان يعملوا عملهم ويشعروا شعورهم ويأخذوا من الآمال بنصيبهم ، فاذا بلغ بهم الذهب أقصى حدوده تجاوزوه في طلب الاحساس الى المخاطرات والمجازفات وركبوا البحر والهواء الى الموت او الى لحظة من الزمن يتجمع فيها من شعور الحياة ما هو وسق أعمار وأجيال

الاحساس هو عملة الحياة لا عملة غيرها ولا يمكن ان يكون غيرها عملة صحيحة ، فكل شيء في هذه الدنيا لا يتحول في نهاية امره الى احساس هو زيف وهباء وهو خديعة وهراء وهو عدم او كالعدم في عالم الاحياء

***

يقول العالم الكبير الاستاذ ارثر كيث في مقاله الذي ترجمه له مقتطف ديسمبر الماضي بعنوان اؤمن بالعلم : « اطلعت الآن في صحف الصباح على ان سكان بلادي اسكوتلندا كانوا حينما ولدت منذ اثنتين وستين سنة ٣٬٢٢٥٬٠٠٠ نسمة يحرثون ويزرعون ١٬٤٧٠٬٠٠٠ فدان اي ما متوسطه نصف فدان للنسمة الواحدة منهم . وقد زاد السكان الآن حتى بلغ

عددهم نحو خمسة ملايين نسمة ونقص مايحرثونهُ من الارض ويزرعونهُ الى ١،١٤٧،٠٠٠ فدان اي ان المتوسط نقص الى نحو ربع فدان للنسمة الواحدة ، ومع ذلك نرى سكان اسكوتلندا الآن أوفر راحة ورخاء من سكانها في أواسط القرن الماضي ، فطعامهم أنظف وأكثر غذاء وبيوتهم أكثر راحة ودفأ وملابسهم أليق وأغلى ونظام تعليمهم أرقى وأشمل ونفقاتهم العامة تضاعفت . وما يقال عن اسكوتلندا يقال عن انكلترا وويلس بوجه عام . فكأننا حققنا المستحيل فكيف فعلنا ذلك ؟ لقد حققنا هذا التقدم بثمار عقولنا التي استعملناها أدوات للعلم . والحق يقال اننا سكان الجزائر البريطانية قد عدنا لا نعتمد على حاصلات ارضنا بل على خصب عقولنا ومنتجاتها . فمساحة بلادنا يجب ألا تقاس بالفدان وألاّ يبنى على قياسها كذلك ما يمكن ان تسعهُ من السكان . وعلينا ألاّ نخوف من ازدحام السكان في بلادنا .. قبل ان تبلغ قوانا العقلية حدَّها من التقدم والاكتشاف والاختراع وتصاب عقولنا بالعقم ... »

لهذا يؤمن العالم الكبير بالعلم ويؤمن برسالة العلماء . فالآن ما محصل كل هذا ان لم يكن محصله ان الناس يحسون في هذا العصر أحسن مما قد أحسوا قبل ستين سنة ويتشوقون أحسن مما تشوقوا ويستريحون أحسن مما استراحوا ؟ فالذين يطلبون الحياة بغير أدب يطلبونها بغير احساس لانها لن تحس الا عبرت ولن تعبر تعبيراً جميلا الا كان لها أدب في صورة من صور الآداب

***

ومن المقارنات الخاطئة ان يوضع العلم في المكان المقابل للادب كأنَّ العلم يمنع الادب او كأن الادب يمنع العلم او كأن الامم لا يمكن ان تتفق لها علوم وآداب في وقت واحد . فكل أمة تحسن التشوق والاستطلاع تحسن العلم وتحسن الادب ، وكل علم لا يكون باعثهُ الشعور الصادق بالحياة ولا تكون غايتهُ من هذا القبيل هو علم كالجهل او لعل الجهل خير منهُ لان الجهل كان في الدنيا وكان فيها العظماء والسعداء والغالبون والفاتحون ، بل كانت الشمس تدور حول الارض في نظر ألوف من سكان هذه الكرة السابحة في الفضاء كانوا أعظم وأقدر من أناس يعلمون اليوم انها كرة سابحة في الفضاء ! وقد سبحت الارض سبحها ولم تقف لمحة عين لان سكانها سلخوا الدهور يجهلونها ويظنون بها الوقوف

***

قال لي صديق من المؤلفين المعروفين وقد رأى في يدي ديواناً من الشعر : « ما رأيك اني لأحسب ان الشعر شيء قد مضى أوانهُ وانهُ لهوٌ قد يستهوي صغار الشبان ولكنهُ

الارتقاء والتقدم ممهداً امام الغني والفقير من ابنائها على السواء . فثبت من هذا البحث ان الطبقات الوضيعة من الهيئة الاجتماعية وهي طبقة العمال والصناع على اختلاف مراتبهم لم تنجب من هؤلاء المشهورين سوى ١١٫٧ في المائة من ثلاثين الفاً ذكروا في القاموس المشار اليه واما الطبقات العالية فانجبت ٨٨٫٣ في المائة منهم

وقد وضع الكاتب الفرنسوي المسيو البرت اودن Odin كتاباً موضوعهُ « اصل الرجال العظام » ذكر فيهِ كلَّ الذين اشتهروا في الادب الفرنسي شعراً ونثراً في القرون الخمسة الماضية فذكر اماكن ولادتهم واحوال اهلهم الاجتماعية والاقتصادية ويظهر من كتابهِ هذا ان القول « بان الكوخ مهد النبوغ » قول لا ينطبق على الحقيقة . فقد اثبت في كتابهِ هذا ان تسعة ادباء فقط من كل مائة اديب اشتهر في فرنسا في القرون الخمسة الماضية ولدوا في مهد الفاقة ومع ذلك فان الطبقات الفقيرة في فرنسا حسب المقياس الذي وضعهُ وسار عليهِ تبلغ ٩٧ في المائة من مجموع السكان والطبقات الغنية تبلغ الثلاثة في المائة الباقية . اي ان هذه الطبقات الغنية على قلتها انجبت من نوابغ الادب الفرنسي عشرة اضعاف ما انجبتهُ الطبقات الفقيرة على كثرتها

واذا نظرنا الى طبقة الاشراف في فرنسا وهي جزء من مائة جزء من مجموع السكان وقارناها بالطبقات الفقيرة من حيث عدد النوابغ الذين انجبتهم كلُّ طبقة وجدنا ان طبقة الاشراف الفرنسية انجبت ٢٥ في المائة من نوابغ الادب الفرنسي في القرون الخمسة الماضية وان الطبقات الوضيعة لم تنجب سوى ٣ في المائة

ومن الغريب ان كثيرين من الاشراف انفسهم الّفوا كتباً ووضعوا روايات ونظموا اشعاراً اصبحت فيما بعدُ دستور الاحرار الفرنسيين وقد اثبت الاستاذ ادورد ثورنديك ان كل ضروب الاصلاح التي توخاها الثوار في فرنسا في عهد الثورة يرجع اصلها الى كتابة بعض هؤلاء الاشراف . فيستدلُّ مما تقدم ان ابناء الاغنياء كانوا اقرب الى النبوغ والاشتهار في فنون الادب الفرنسي في القرون الخمسة الماضية من ابناء الفقراء ولا نعلم هل ذلك عائد الى الوراثة او الى اثر البيئة

وبحث السر فرنسس غلتن العالم الانكليزي المشهور في سِيَر ابناء المشهورين من قضاة الانكليز مدة ٢٥ سنة وقارن الذين اشتهروا منهم بالذين يشتهرون من ابناء الطبقات العامة فثبت ان واحداً من كل ٤٠٠٠ شخص من العامة يبلغ مرتبة معينة من ذيوع الصيت واما ابناء القضاة الذين بحث في سِيَرهم فواحد من ثمانية منهم يبلغ المرتبة نفسها

ويصعب ان نعيّن السبب في هذا التفوق . هل هو تفوق ناتج عن ا

ورأيي الخاص ان سبب التفوق عائد الى كليهما معاً ولكن ما هي نسبة الواحد الى الآخر؟ ذلك امرٌ لا اعرفهُ ولا اظن ان احداً يعرفهُ. ولكني اعرف امراً واحداً وهو ان ماتقدم يثبت فساد القول بان كل رجل يصيب شيئاً من الشهرة والنجاح فقد حكِم على اولادهِ بالخيبة وفساد السيرة

على انهُ مهما اختلف الرأي في اسباب هذا التفوق والنبوغ فلا ريب ان طبقات الشعب الراقية اجتماعيًّا والناجحة ماليًّا تنجب اكبر عدد من اصحاب الادمغة المفكرة؟ ويصعب ان نتبسط هنا في الاسانيد التي تسند اليها هذا القول. ولكنَّ الدكتور پوپينو محرر «جورنال الوراثة» جمع اهمها واليك نماذج منها: —

١ — امتحن الاستاذ امبرتو سافيوني جماعات من التلاميذ بميلان ثم رتبهم حسب الاعمال التي يزاولها آباؤهم ووضع امام كل جماعة رقماً يدلُّ على درجة ذكائهم ولدى مقارنة الارقام نستطيع ان نحكم على نسبة ذكائهم بعضهم الى بعض:

ابناء اصحاب المهن الحرة	٥٫٢٩
ابناء الطبقات التجارية العالية	٥٫٠٨
« الطبقات التجارية العادية	٤٫٧٢
« الخدم	٤٫٤٤
« الصنّاع	٤٫١٧

٢ — امتحن عالمان من علماء السيكولوجيا تلاميذ مدرسة في بروكسل ببلاد البلجيك لا يؤمها الا ابناء الاغنياء فوجدا ذكاءهم يفوق المتوسط المقرر للتلاميذ الذين في سنهم

٣ — ثبت من امتحان اولاد الاغنياء الذين لا يزيد سنهم على ٩ سنوات في احدى المدارس فوجدا انهم يوازون ابناء الفقراء الذين في العاشرة ذكاءً والامتحانات التي من هذا القبيل معقدة وكلها تؤيد هذا القول

وقد وضع السيكولوجي المشهور الدكتور سيريل برك سلسلة من الاسئلة لا بدَّ ان يجيب عنها الاولاد من مختلف الطبقات الاجتماعية اجابة صحيحة اذا بلغوا عمراً معيناً فوجد ان الاولاد الذين يعيشون في ازقة لفربول واحيائها القذرة يستغرقون ١٢٣ ثانية في الاجابة عنها وان ابناء التجار يستغرقون ٩١ ثانية في الاجابة عن الاسئلة نفسها وان اولاد الاساتذة والمطارنة يستغرقون ٧٤ ثانية فقط. واذا اعترض على هذا الامتحان بان اولاد الازقة نحاف الاجسام ضعاف العقول لانهم لا ينالون غذاءً كافياً حرنا في تعليل الفرق في سرعة الاجابة بين ابناء التجار وابناء الاساتذة. والمرجح ان اولاد الفريقين

ينالون كل ما يحتاجون اليهِ من الغذاء والعناية الصحية . وقد لخّص الاستاذ لوس ترمن الاميركي وهو من كبار الباحثين في هذا الموضوع نتائج هذه المباحث بقولهِ « ان التفوق في الذكاء يزيد خمسة اضعاف في ابناء الطبقات الاجتماعية العالية عن ابناء الطبقات الاجتماعية الواطئة »

وقد نشر الدكتور هفلك الس الفيلسوف والكاتب الانكليزي المشهور بحثهُ في ١٠٣٠ نابغة من نوابغ الانكليز رجالاً ونساء سنة ١٩٠٤ وبعد ما بوّبهم حسب طبقاتهم الاجتماعية او عملهم وجد النوابغ فيهم على النسبة التالية

	في المائة		في المائة
الطبقات العالية (الاسر العريقة)	١٨،٥	الجيش والاسطول	٦،١
رجال الكنيسة	١٦،٧	صغار الموظفون والكتاب	٣،٢
رجال القانون	٧،١	التجار	١٨،٨
رجال الطب	٣،٦	الصنائع	٩،٢
المهن المختلفة	٧،٨	الفلاحون	٦،٠

وقد نشر الدكتور كاتل رئيس مجمع تقدم العلوم الاميركي كتاباً جمع فيهِ سير ٩٥٠٠ رجل من رجال اميركا المتفوقين في العلم وبحث في الاصل الذي نشأ منهُ ٨٨٥ منهم وهاك نتيجة بحثهِ :

اصحاب المهن	انجبوا	٤٣،١	في المائة	وهم ٣،١٠	في المائة من المجموع
المشتغلون بالزراعة	انجبوا	٢١،٢	»	وهم ٤١،١	» » » » »
« بالصناعة والتجارة	انجبوا	٣٥،٧	»	وهم ٣٤،١	» » » » »

فثبت من ذلك ان ثلاثة في المائة من سكان اميركا وهم اصحاب المهن الحرة انجبوا نحو نصف علمائها

ووضع الدكتور ادون لفت كلارك رسالة بحث فيها في اصل ٦٦٦ رجلاً من رجال الكتابة والتأليف في اميركا فوجد ما يأتي .

اصحاب المهن الحرة انجبوا	٤٩،٢	في المائة من الرجال الذي تناولهم في بحثهِ	
المشتغلون بالتجارة «	٢٢،٧	» »	» »
المشتغلون بالزراعة «	٢٠،٩	» »	» »
غيرهم	»	٠،٨٢	» »	» »

وقد توصل الدكتوركلارك من مباحثهِ الى القول بان لا الفقر يخلق النبوغ ولا الغنى ولكن الغنى اكبر معوان على اظهارهِ وان الوراثة والبيئة تشتركان في ذلك

واجرى الدكتور برسي والمس روث رالستن بحثاً انتخبوا فيهِ جماعتين من التلاميذ وكانت اعمار التلاميذ في الجماعة الاولى تتراوح بين ست سنوات وثماني سنوات واعمار التلاميذ في الفرقة الثانية تتراوح بين ١٠ سنوات و١٤ سنة فوجدوا في الفرقتين ان نحو ٧٩ في المائة من اولاد اصحاب المهن الحرة يفوقون الرتبة العلمية المعيَّنة لعمرهم وان ٣٨ في المائة من ابناء العمال يفوقونها كذلك . ثم تركوا الفرقة الاولى كلها تتعلم اربع سنوات واعادوا الكرة على امتحان افرادها فوجدوا ان النسبة فيها لم تتغير تقريباً. ورأي الباحثين يتلخص في ان علة هذه الفروق مقدرة داخلية موروثة وانهُ ليس لفعل البيئة والتعليم في البيت او في المدرسة اثر كبير في ذلك

***

هل يستطيع نبوغ نابغة ان يظهر باجلى مظاهرهِ من غير ان تتناولهُ ايدي المعلم والمهذب بالصقل والتثقيف ؟

اذا اعدنا النظر في كتاب الاستاذ ادون وجدنا ان ٧٩٥ رجلاً من ثمانمائة واحد عشر رجلاً تلقوا علومهم في الجامعات . وهذا يجب الاَّ يؤخذ دليلاً على ان التعليم في الجامعات يهبط بالنبوغ على الطلاَّب. ولكنهُ يثبت اثباتاً لا يحتمل الريب انهُ يصعب جدًّا على الجاهل مهما تبلغ مقدرتهُ الموروثة ان يتسلق قمة النجاح والشهرة في هذا العصر وان المصاعب التي تقف حائلاً دون هذا التسلق تزداد يوماً فيوماً حتى يكاد يصبح متعذراً . ويظهر من المقدمة التي كتبها محررو (كتاب مشهوري اميركا) لسنة ١٩٢٤ و١٩٢٥ الذي يحتوي على تراجم مختصرة لما يزيد على ٢٤ الف رجل وسيدة من الاميركيين ، ان ٧٧ في المائة من هذا الجم الغفير تلقى علومهُ بعضها او كلها في المدارس الكلية وان ٦٤ في المائة من المجموع نال شهادة عالية . والمرجَّح ان زعماء الاعمال في جميع مسالك الحياة الذين بلغوا مكانتهم العليا من غير ان يتلقوا علوماً في مدرسة كلية او جامعة اخذوا ينقصون وقد لا تمضي بضع سنوات حتى يتعذر ان تجد رجلاً في منصب كبير لم يتلقَّ علومهُ في مدرسة عالية . فالرجل العصامي بالمعنى الذي استعملهُ لهُ صموئيل صميلز قد فات زمنهُ اوكاد لان شؤون الحضارة اصبحت كثيرة التعقيد والتركيب سريعة الاحساس والانفعال ولن يسمح بعدُ لايدٍ غير لبقة وعقول غير مثقفة ان تدبر مصيرها (ملخصة عن مقالة للمستر البرت وجَمْ في مجلة العالم اليوم) ....

المطامع الدنيوية . فهو لا يطلب جاهاً ولا ثروة ولا مقاماً . ولو خيّل اليهِ ان مصلحة الدولة كانت تقتضي ان يبقى السلطان على عرش آبائهِ لثبّت لهُ عرشهُ . وفي الواقع انهُ رجا من السلطان في زمن من الازمان ان يتسلم مقاليد الدولة ويقوم باعباء الملك . ولما عرض الاتراك على الغازي ان ينادي بنفسهِ سلطاناً وخليفة ابى ذلك كل الاباء اذ لم تكن لهُ مطامع عالمية . ولو فعل ذلك لتقوّل اعداؤهُ عنهُ السوء ولقالوا انهُ اناني يسعى لمصلحة نفسهِ . ولما خلا عرش آل عثمان بذهاب السلطان وحيد الدين تولى الغازي قياد الدولة بنفسهِ قائلاً : ان القائد الحازم يجب ان يكون شارعاً حازماً ايضاً ولا يصدق الحكم على الاول حتى يثبت ان في وسعهِ تحويل جنوده من مقاتلين الى مسالمين

وهذا الداهية يحيط بهِ اليوم عصبة من الوزراء الافذاذ . وهو يمتاز بسرعة الحكم وحسن تصريف الامور . فكلما عرضت لهُ او عرضت عليهِ مشكلة عالجها بحزم مدهش يترك الناظر حائراً . فهو ثاقب البصر واسع الحيلة لا يلقي نظرهُ على امر الا عرف الوجه في تصريفهِ . ولهُ ذاكرة هي اكبر معوان لهُ على اعمالهِ . فلا تفوتهُ شاردة ولا واردة . وهو واسع الالمام بعلم التاريخ فتراهُ يطبق عبر الزمن الغابر على ما فيهِ صلاح الدولة

والحق ان هذا العبقري قد كان وسيظلُّ معجزة من معجزات الزمان . فهو لتركيا الكل في الكل واليهِ ترنو عيون ابنائها . فهو زعيمها وقائد جيشها ومدير سياستها والقيم على شؤونها . فبينما تراهُ مصلت السيف في ميادين القتال اذا هو في مثابات القوم رجل دمث الاخلاق واسع الخبرة بآداب الاجتماع . وقد تلتقيه في مجتمع ادبي فتحسبهُ من ارقى اهل الافرنج بمنظرهِ وهندامهِ . وانك لتطيل تحديقك اليهِ فلا تجد منهُ موضع ضعف لا في حديثهِ ولا في مرآه . بل انك لتعجز عن ان تجد في هندامهِ نقصاً يدعو الى الانتقاد . على انك اذا زرتهُ في دارهِ رأيت في اثاثهِ ما يدهشك من سلامة الذوق مع بساطة المظهر . ولعل انفس ما يقتنيهِ تحف قد اهداها اليهِ اقيال المشرق الذين لهُ عندهم اسمى مقام

وقد جرى لكاتبة هذه السطور معهُ حديث بل احاديث عدة تناولنا بها مختلف الموضوعات. وذكرت لهُ مرة اني اضطررت ذات ليلة الى النزول مع رفيقين في منزل تاجر من اهالي ازمير للمبيت. فاضطر التاجر ان يعنى بامرنا بنفسهِ لان السيدات لا يؤذن لهنَّ في الاختلاط بالرجال . فقال الغازي وهو يستشيط غضباً : هذا هراء سوف يزول لا محالة. فلن تنقضي فترة من الزمن حتى نقضي على الحجاب وعلى جميع العوامل التي كانت كالسوس ينخر كياننا والتي ورثناها عن اهل بيزنطة القدماء . وليت شعري كيف يتاح لنا ان ننشئ بلاداً ديمقراطية اذا كان نصف قومنا يرسفون في قيود الاستبداد ؟ اجل . لن ينقضي عامان حتى

عيط كل امرأة عن وجهها النقاب وتختلط بالرجال. وسوف ينزع الرجال طرابيشهم ويلبسون القبعات . فلقد انقضى الزمن الذي كانت فيه الثياب رمزاً الى الدين . والطربوش الذي هو موضع سخرية الحضارة الغربية يجب ان يزول

وقد كدت اكذب اذنيَّ ولا اصدق ما يقول ذلك العبقري . بل ما كان ليجول في خاطري ان رجلاً واحداً يستطيع كل ذلك في مثل تلك الفترة الوجيزة . ولكن من العزائم ما لا تقف امامها العثرات . ولقد قال لي مصطفى كمال : لقد كنت اشعر منذ حداثتي بضرورة تأسيس نظام الاسرة عندنا على اساس مكين لان الرجال الذين تحتاج اليهم الديمقراطية يجب ان يكونوا ثمرة الحياة البيتية الطيبة ولما كنا قد قضينا على تعرض الاجنبي لشؤوننا فقد صار في وسعنا ان نشرع في الاصلاح

قلت : ولكن حجاب التركيات من جهة الزيّ هو من اجمل ما ابتكرهُ اهل الفن

قال : قد يكون الامر كذلك ولكننا لا نستطيع ان نظل في العصور المظلمة ليسر كتّاب الافرنج بمرأى الحجاب

قالت : وماذا تفعلون برجال الدين ؟

قال : صدقت . لقد مرت علينا العصور ونحن مستعبدون لرجال الدين. وقد آن الاوان ان يعلموا ما هو واجب عليهم. فاذا تعرضوا لنا فسنلحقهم بالسلطان

قال ذلك بلهجة الحازم وعيناهُ تلمعان بنور خفيّ على ان معرفتي بتاريخ الاتراك وباحوال رجال الدين القت في نفسي بعض الريبة . ذلك لان الامر الذي اجتمع لهُ عزم الغازي لم يكن من توافه الامور . ومع ذلك فقد عرفت الغازي فعّالاً قليل الكلام . واذ لمح في وجهي دلائل الريبة قال لي . انك تتحدثين عن الدين . الا فاعلمي اني رجل لا دين لهُ. وكثيراً ما وددت لوكان في وسعي ان اقذف بجميع الاديان الى قعر البحر

فلم اجبهُ بشيء . اذ علمت انهُ لم يكن يومئ الى روح الدين بل الى ما علق بهِ من الاباطيل . وليس ذلك بمستغرب من رجل ولد وترعرع في سلانيك

وواصل الغازي حديثهُ فقال : ان الحاكم الذي يشعر بحاجتهِ الى الدين ليدعم بهِ حكومتهِ لهو أخرق الرأي ضعيف السلطان يحاول اصطياد الرعية بالحبال الواهية . اما الشعب التركي فسيتعلم مبادئ الديمقراطية الصحيحة ويرضع لبان العلوم الحقة . وسنضرب الخرافات بيدٍ من حديد ثم ندع للناس حرية الاعتقاد ليعبدوا ما يشاؤون . فلكلٍ دينه وعقيدتهُ الاّ اذا كان ذلك ينافي العقل ويأمر بالمنكر ويدعو الى العدوان

ذلك كان — ولا يزال — موقف الغازي مصطفى كمال بازاء الدين . وقدكان من

حسنات النظام القديم في تركيا اطلاق حرية الاديان الى اوسع حد . على ان الغازي رأى في ذلك شيئاً من الغلو وادرك ان هنالك اموراً تعزى الى الدين والدين بريء منها والمدنية الحقيقية لا تبيحها فهل يلام اذ هو تصدى لمنعها ؟

الغازي والاجانب

لقد عابوا على الغازي سياستهُ بازاء الاجانب فرموهُ بالتعصب وبكره الاجنبي . وكل دليلهم على ذلك انهُ نسخ الامتيازات الاجنبية وقضى على تعرض الاجانب لسلطتهِ . ولما قيل لهُ في ذلك قال انني لم اشهر سيفي الا في سبيل الحق . فنحن قوم نرى في تعرض الاجنبي لنا سبَّة ونريد ان نعيش مع الدول بسلام لكي يتاح لنا ترميم بلادنا وازالة مساوئ العهد القديم .

وفي الواقع ان اخلاص مصطفى كمال لوطنهِ هو الذي حداه الى انتهاج ذلك المسلك فقد وجد بلاده مغلولة الايدي بسبب تعرض الاجنبي وكانت مرافق البلاد كلها في يد الاجانب والاتراك يعانون من جراء ذلك عرق القربة . ولم تكن المتاجر وحدها صيداً حلالاً للغريب بل كانت سلطة الدولة نفسها مقيدة بقيود الامتيازات . وقد رأى مصطفى كمال ان من العبث محاولة اي اصلاح ما دامت البلاد تحت نير الغير . وكان شعاره : « يجب ان نكون اتراكاً وان نجدد كل شيء » . وفي الواقع ان تركيا كانت مستعبدة في كل شيء — في دينها وتجارتها وماليتها وحكومتها ومدارسها وموارد حياتها . وما كان في وسع احد ان يطلق اسارها من دون خلع نير الامتيازات . فضلاً عن ان ترقية البلاد ودفعها نحو الديمقراطية الحقيقية كانا يقتضيان هدم النظام القديم واقامة صرح نظام جديد على انقاضهِ . ولو انك فحصت بعض شكاوى الاجانب من النظام الجديد لرأيتها تافهة الى حد مدهش . فهم يقولون ان التعليم والتخاطب والمراسلات بين دواوين الحكومة ولوائح الشركات واسعار السلع واجور السكك الحديدية وقوائم الفنادق وشعائر المخازن وما الى ذلك قد اصبح باللغة التركية بعد ان كان باللغات الاجنبية . وفي ذلك ما فيهِ من التعب لجماعة الافرنج من سياح ومقيمين بالبلاد . على ان الذين يشكون من جعلهِ باللغة التركية انما يسرفون في العنت وكان جديراً بهم ان يرعوا حرمة النصفة ويعترفوا بان الغازي لم يأت شيئاً ادًّا

ويعتبر الغازي نفسه زعيم حزب الامة لكنهُ يكره ان يعزى اليهِ كل الفضل في بناء صرح النظام الجديد . ولذلك لا تسمعهُ يتكلم عن شيء بصيغة المفرد بل بصيغة الجمع

ويكره ان يوصف اي مظهر من مظاهر ... بالكمالي . وهو شديد الاحترام لعبر التاريخ يستعين بها على عمله لاعتقاده ان حكم التاريخ لا يعرف الرحمة ولا المحاباة . ولذلك تراهُ يحاسب كلاًّ على عمله لا تأخذه فيهِ هوادة . ولهُ غرام بجمع الاحصاءات وبتحليل الحوادث لمعرفة العلل والمعلولات . واذا سألت عن اعظم رجال التاريخ في نظره قال لك ان كل من خدم وطنه هو رجل عظيم ومن الغبن ان تقارن رجال التاريخ بعضهم ببعض

وللاتراك في مصطفى كمال ثقة عمياء . وقد سئل احدهم عنهُ مرة فقال انهُ صفوة الرجولة التركية ونموذجها المعصوم عن كل خطإٍ . وهو شديد الاخلاص لوطنهِ يعترف لهُ كل تركي بانهُ رافع علم وطنهِ وضامن حريتهِ بعد ان كان الاتراك في عهد عبد الحميد اشبه بالسائمة

***

وللغازي باعتبارهِ رئيس الجمهورية التركية حرس خاص يحيط بهِ في روحاتهِ وغدواتهِ ولكنهُ يكره هذه المظاهر ويتمنى لو يستطيع الاستغناء عنها . وكثيراً ما ينسلُّ في الخفاء ليقضي ساعة في الخلاء بين التلال المجاورة . ولهُ خادم امين يدعى بكير يلازمهُ عن كثب ويحرسهُ ومع ان مهام الدولة تستدعي كل اهتمامهِ فانهُ يجد متسعاً من الوقت لاخذ نصيبهِ من الرياضة الخلوية . ولا تعقد حفلة من حفلات الدولة الاَّ يحضرها . واذا رأيتهُ في احداها ادهشك ما تراهُ من سلوكهِ الذي ينطبق في جزئياتهِ وكلياتهِ على ادق مقتضيات العرف والتقاليد . وهو في تلك المجتمعات نموذج دماثة الخلق وحسن الضيافة يضع كل شيء في موضعهِ ويقت لكل شيء وقتاً ومع محافظتهِ على مقتضيات منصبهِ وكرامة سلطتهِ تراهُ شديد الوفاء لاصدقائهِ الذين عرفهم في ايام حداثتهِ . وكان قره بكير من جملة قادة الجيش الذين ناوأوهُ في اول عهده ثم انضمَّ اليهِ لما استتبَّ لهُ الامر . فاغضى الغازي عن عدوانه وقبل منهُ ما اظهرهُ من الندم . ولما اساء قره بكير التصرف في احدى الولايات الشرقية والحَّ الناس في اقالتهِ ضنَّ بهِ الغازي ولم يشأ ان ينال منهُ احد . وقد غامر بذلك بمنصبهِ وبما لهُ من المكانة في نفس الشعب حرصاً على صديقهِ قره بكير . الاَّ ان هـذا الصديق خان عهد الامانة فقلب للغازي ظهر المجن مرة اخرى

وعلاقة الغازي بوزرائهِ اشبه بعلاقة رب اسرة باهل بيتهِ . فهم شديدو الاخلاص لهُ يلجأُون اليهِ في كل معضلة ويقبلون حكمهُ في كل مشكلة . وهو خير قدوة لجميع الذين يعملون معهُ لا تغرهُ بهرجة الظواهر ولا يكترث لمشاق المعيشة . ومن احسن ما يؤْثر عنهُ

انهُ يرتب اوقاتهُ على مقتضى ... الدلة ويعطي كل وجه من وجوه الحياة حقهُ. وهو واسع الاطلاع على آداب الارجح كامل الالمام بمبادئ كتابهم. ولعل «ويلز» الكاتب الانجليزي العصري هو قدوة الكتاب في الادب والاجتماع في نظره حتى انهُ يقتبس مما قد كتبهُ ما لا يستطيع ان يقتبسهُ الانكليز انفسهم. وهو معجب اشد الاعجاب بكتابهِ «خلاصة التاريخ» فانهُ يسابق شطراً من اوقات فراغهِ في مطالعتهِ

لقد خلق ... في كمال جمهورية تركيا الجديدة وهو يعلم ان بقاء هذه الجمهورية ونجاحها يتوقفان على عمل ابنائها ولذلك تراهُ يسعى الى نفخ روح العزم والثقة في صدور القوم محاولاً تغيير نفسيتهم واستيلاء جيل جديد اكثر انطباقاً على مقتضيات الحالة الجديدة واصلح للبناء من الجيل الذي افسدهُ ربق العصور الفائتة. كل ذلك وهو لا ينتحل لنفسهِ شيئاً من الفضل بل يعزو نجاحه الى وطنية الشعب التركي واخلاص رفاقهِ القائمين معهُ باعباء الدولة واشد ما يوقر سمعه ان يوصف عهده بالكمالي او ان يقال ان الشعب التركي ينتمي الى الحزب الكمالي. ذلك لانهُ يعتقد ان ليس في البلاد حزب كمالي وحزب غير كمالي لان الشعب كله حزب واحد هو حزب الوطن يسعى لخير الامة ويعمل على رفع منارها

وكان الغازي في اول الامر يأنف من العودة الى الاستانة حتى انهُ قضى سبع سنوات لم يرها في خلالها لانها كانت في نظره رمزاً الى العهد القديم فتقوَّل اعداؤهُ عن امتناعهِ عنها الاشاعات المختلفة وقالوا انهُ جبان يخشى ان هو زار الاستانة ان يلاقي فيها حتفه بيد أحد اعدائهِ. فلما سمع بتلك الترهات صمم أن يزور الاستانة. وفي ذات ليلة علم اهل هذه المدينة ان الغازي قد وصل وحلَّ في قصر «طولمه بغجه». ثم ما عتموا حتى رأوهُ يطوف بانحاء العاصمة بلا حشم ولا حراس. فاثبت للقوم انهُ لم يكن يخشى احداً ولا يعتقد ان لهُ اعداء

قلنا ان العاصمة كانت في نظر الغازي رمزاً الى العهد القديم. وفي الواقع انها عنوان السياسة العتيقة التي جرى عليها سلاطين الاتراك والتي كانت تمثل للعالم في شكل سلسلة من المظالم والمفاسد في عهد حكام لم يروا من السبة ان تنزل البلاد الى اسفل دركات الغباوة والفساد بل كانوا يتعمدون استبقاء الرعية راسفة بقيود المهانة لان جل ما كانوا يرمون اليهِ هو ملء جيوبهم واشباع بطونهم. ذلك هو ما كان يحول دون ذهاب الغازي الى الاستانة في اول الامر. وقد اثبت للعالم اجمع ان تركيا اليوم غير تركيا الامس وان تلك وان تكن اصغر من هذه حجماً الا انها اعظم قوة وارسخ بنياناً

س



عيد الطيران الفضي

بعض وجوه الاصلاح التي ينتظر تحقيقها

في ١٧ ديسمبر الماضي احتفل المشتغلون بشؤون الطيران بانقضاء خمس وعشرين سنة على تجربة الاخوين ريط الاولى التي اثبتا بها ان الانسان يستطيع ان يحلق في الجو ويلبث فيه برهة وهو ممتط متن آلة اثقل من الهواء . فرأينا ان نثبت نبذة عن رسولي الطيران في العصر الحديث ثم نستطرد الى ذكر بعض وجوه الاصلاح التي ينتظر تحقيقها في المستقبل القريب كما يراها الكومندر برد الاميركي اشهر رواد القطبين عن طريق الجو ومن ارسخ الباحثين قدماً في مسائل الطيران من وجه علمي

من الخطاءِ البين القول بان كل الفضل في ارتقاء الطيران الحديث يرجع الى الاخوين ولبُر واورڤيل ريط . وهما آخر من يدعي هذا الفخر لانهما يعلمان انَّ روَّاداً كثيرين سبقوهما الى العناية بعلم الطيران وتقرير قواعدهِ الاساسية ومحاولة التحليق في الجوّ بآلة اثقل من الهواء . على انهما افلحا حيث خاب غيرهما لانهما درسا مباحث من تقدمهما وجمعا الحقائق المنثورة ثم عكفا على تحقيقها واصلاح الخطاء فيها والبحث عن مبادىء جديدة مرتبطة بها . وبعد ما ملكا ناصية البحث من الوجهة النظرية عرفا بزكانة المستنبط المبدع كيف يبنيان عليها طيارة ترتفع في الجوّ وتلبث فيهِ برهة مع انها اثقل منهُ

وُلد ولبر ريط في ١٦ ابريل سنة ١٨٦٧ في بلدة ملڤيل بولاية انديانا من اعمال الولايات المتحدة الاميركية ووُلد اخوهُ اورڤيل سنة ١٨٧١ وبعد ما تلقيا علومهما الثانوية فتحا دكاناً لاصلاح الدراجات (العجلات) ثم اتجهت افكارهما الى شؤون الطيران فعنيا بدرسها علماً وعملا وفي ١٧ من دسمبر ١٩٠٣ طار احدهما بطيارة من صنعهما مسافة ٢٦٠ ذراعاً فلبث في الجوّ ١٧ ثانية فكان بذلك اول انسان طار بطارةٍ اثقل من الهواء . وفي ٥ من اكتوبر سنة ١٩٠٥ طار اورڤيل على مقربة من بلدة ديتون فاجتاز مسافة ٢٤ ميلاً بسرعة ٣٨ ميلاً في الساعة . ومع هذا النجاح لم يقدم احد من المتمولين على تعضيدهما بالمال . فذهب ولبر ريط سنة ١٩٠٨ الى فرنسا وفي ٢١ من سبتمبر فاز بجائزة ميشلن بعد ما طار مسافة ٥٦ ميلاً . فذاع صيتهُ بين ليلة وضحاها . وفي شهر دسمبر من السنة نفسها طار مسافة ٧٧ ميلاً في ساعتين وثلث ساعة . وفي سنة ١٩٠٩ طار فوق نيويورك مسافة ٢١ ميلاً في ٣٣ دقيقة و٣٣ ثانية . وسنة ١٩٠٩ منحهما الكنغرس (مجلس الامة الاميركية)

وساماً ضُرب لهما خاصة ثم اشترت الحكومة طيارتهما بستة آلاف جنيه . وقد توفي ولبر سنة ١٩١٢ ولا يزال اخوهُ اورڤيل حيًّا وهو رئيس المهندسين في شركة طيران كبيرة

ما اقصر الشقة بين ١٧ من دسمبر سنة ١٩٠٣ و١٧ من دسمبر ١٩٢٨ وما اطولها !

استغرقت الرحلة الجوية الاولى بالطيارة ١٧ ثانية ومن الطيارات الآن ما يبقى محلقاً في الجوّ نحو ستين ساعة . وكانت سرعة الطيارات الاولى لا تتجاوز ٣٨ ميلاً في الساعة اما الآن فقد بلغت سرعة الطيارة المائية التي امتطاها الكابتن دارسي كريج الانكليزي في نوفمبر الماضي ٣١٩ ميلا في الساعة . وكان الناس حينئذٍ يسمعون اخبار الطيران ولا يصدقونها لغرابتها ولاعتقادهم الراسخ ان مجاراة النسور في الجو امر يستحيل على الانسان. اما الآن فترى الطيارات تطير في مواعيد معينة وتصل الى اماكن طيتها في مواعيد معينة تحمل على متنها الرسائل والركاب وامتعة الركاب . وترى الروّاد يستقلونها لاجتياز البحار والصحارى ولارتياد القطبين وما يحيط بهما من الاصقاع المتجمدة . وترى الدول تهبُّ الى بناء اساطيلها الجوية كما كانت تعدّ جيوشها البرية واساطيلها الضخمة، استعداداً للمعارك فوق الغيوم .وكانت فواجع الطيران يتلو بعضها بعضاً فصارت بعض الشركات تمنح راكبي طياراتها تأميناً مجانيًا على حياتهم في اثناء الطيران لشدة ثقتها بسلامة الذهاب والاياب . وقد انقضى على شركة امبريال اروبز اكثر من ثلاث سنوات لم تصب طياراتها بفاجعة ما

كل هذا التقدم في وسائل النقل والانتقال بدأ يوم فاز ولبر رايط بالطيران مسافة ٢٦٠ ذراعاً في ١٧ ثانية يوم ١٧ من دسمبر سنة ١٩٠٣ . من كان يقول حينئذٍ ان ذلك اليوم يصبح حدًّا من حدود التاريخ التي ينتهي عندها عصر ويبدأ عصر جديد !

مستقبل الطيران

من اغرب المفارقات في تاريخ العمران انهُ بقدر ما تزداد عناية الجمهور بشؤون الطيران، يبطئ ارتقاؤهُ .ذلك انهُ كلما كثرت العقول التي تعنى بمعالجة المشكلات وحلها كثرت الآراء المتضاربة وبطؤ التقدم . ولكننا مع ذلك نخرج من معمعة الآراء ونحن واثقون بان الرأي الذي يستقرُّ عليهِ القرار هو الرأي الراجح والقول الصواب. فتى اشترك مئات من المهندسين في المفاضلة بين المحركات التي تبرد بالهواء والمحركات التي تبرَّد بالماء وجب ان نثق ان نوع المحرّك الذي تتفق عليه كلمتهم يفضل نوعي المحركات التي حميت عليها معمعة الجدال

والطيران قد خاض الآن هذا الدور من ادوار النمو والارتقاء فصفوف المهندسين الذين يضعون رسوم الطيارات واصحاب المصانع الذين يريدون ان يبنوها والطيارون التائقون الى ان يخوضوا بها عناصر الجوّ تتضخم كلَّ يوم بما ينتظم في سلكها من خريجي

المدارس او مهرة الصناع . لذلك كثر تضارب الآراء بين الصفوف وبطؤ ارتقاء الطيران اذا قيس بسرعة ارتقائهِ منذ اوائل الحرب الكبرى . ولكني واثق كل الثقة ان ما ينتظر تحقيقهُ من الارتقاء ابقى اثراً واعظم فائدة . ويلوح لي من احاديثي مع اناس من مختلف الطبقات ان العامة تهتزُّ لما تراه في حياة الطيار من الخطر والمغامرة وتنتشي بنشوة القوة والسلطان حين تتصور ما يكنُّهُ المستقبل القريب من العجائب والممكنات. فمستقبل الطيران مرتبط كل الارتباط بما يلازمهُ من خطر ومغامرة. وتقدم اية وسيلة من وسائل النقل والانتقال لا تكفل الاَّ اذا كانت امينة الجانب . فالجمهور لن يؤثر الطيارة على السكة الحديدية الاَّ اذا وازت الطيارة السكة الحديدية في سلامتها وما يتوفر فيها من اسباب الراحة على الاقل

وقد خطونا في السنوات الماضية خطوات كبيرة الى الامام . فقد اثبتنا اولاً ان آلة من آلات الاحتراق الداخلي تستطيع ان تبقى دائرة نحو يومين من غير ان تقف . عرفنا ذلك اولاً في مختبرات المعامل الصناعية حيث بقيت بعض الآلات دائرة اكثر من يومين ولكن الدوران في المعمل شيء والثبات على الدوران في عاصفة تهبُّ فوق الاتلنتيكي او القطب الشمالي شيء آخر . على ان الشجعان من روَّاد الجوّ الذين طاروا من اوربا الى اميركا او من اميركا الى جزائر هواي ومنها الى استراليا او من اوربا الى اميركا الجنوبية اثبتوا انهُ يصحُّ الاعتماد على دوران المحركات دوراناً متصلاً من ٣٠ الى ستين ساعة وذلك رغم ما لقوه في رحلاتهم من تقلبٍ في احوال الجوّ وتفاوتٍ في درجة الحرارة . وعندي ان يوم الآلة التي تستطيع ان تستمرَّ دائرة نحو مائة ساعة قد اصبح على الابواب

تعدد المحركات

وقد اثبتت هذه الرحلات الجوية البعيدة المدى ان الطيارات المجهزة باكثر من محرك واحد هي الطيارات التي يصح الاعتماد عليها في المواصلات الجوية لانهُ اذا اصيب احد محركاتها بعطل ما اوقفهُ عن الدوران أُستعمل المحرك الآخر وهلمَّ جرًّا . وعليهِ ارى ان طيارات الركاب التي ينتظر ان تكون شائعة سنة ١٩٣٦ لا بدَّ ان يكون كل منها مجهزاً بعدد من المحركات يتراوح بين الاربعة والعشرة . ولا يستعمل بعض هذه المحركات الاَّ حين الحاجة — اي حينما يعطل بعض المحركات الاخرى . ولا بدَّ ان يعنى المستنبطون والمشتغلون بشؤون الطيران بتخفيف حملها في لحظة من الزمان . اذ قد ثبت لي بالاختبار ان هذا الامر لا مندوحة عنهُ . ففي الطيارة « اميركا » التي طرنا عليها من اميركا الى اوربا كنا قد اعددنا جهازاً خاصًّا يمكننا من افراغ حوض البنزين على سعتهِ في دقيقة ونصف دقيقة لاني حسبت انهُ اذا لم تستطع الطيارة النهوض بحملها الثقيل فالمرجح انها تتعرض في

محاولتها النهوض لخطر الانقلاب او الاصطدام فافراغ حوض البنزين في لحظة رهيبة كهذه يخفف حمل الطيارة فتصبح قادرة على ان تنهض به

صعود الطيارة ونزولها

ومن الامور التي انتظر تحقيقها في المستقبل استنباط جهاز يمكّن السائق من ابطاء سير الطيارة لدى نزولها الى الارض . فطيارة ربط كانت تسير على سطح الارض بسرعة ثلاثين ميلاً في الساعة ثم تبطئ رويداً رويداً الى ان تقف . اما طيارات اليوم فيجب ان تكون سرعتها ٦٠ ميلاً في الساعة لدى نزولها الى الارض لانهُ اذا كانت سرعتها اقلّ من ذلك لم تستطع الهبوط الى الارض هبوطاً تدريجيًّا لثقلها فاذا اخطأ الطيار خطأً مهما يكن قليلاً في ادارتها عرّض الطيارة وراكبيها لاصطدام خطر . وزد على ذلك ان هذه السرعة تستلزم ميداناً فسيحاً تجري فيهِ الطيارة قبل وقوفها . ولعلَّ التقدم يأتي من ناحية التغيير في شكل الطيارة ونسبة اجزائها بعضها الى بعض او باستنباط اجهزة صغيرة تتصل بالاجنحة فتفعل فعل « الفرامل » في السيارات والقطارات فتبطئ سرعة الطيارة حين تلمس الارض. ويتبع ذلك استنباط اجهزة تمكن الطيارة بحملها الثقيل من ان ترتفع عن الارض او تهبط عليها في زاوية اكثر انفراجاً من الزوايا التي تستعملها الآن. وهذا الامر على تفاهته الظاهرة خطير جدًّا . ذلك ان ازدحام المدن يجعل تصغير مساحة المطير الذي تحطُّ فيهِ الطيارات وتقوم منهُ من الامور التي لا مندوحة عنها . فاذا كانت زاوية القيام — اي خط قيام الطيارة بالنسبة الى سطح مستوٍ — حادة وجب على الطيارة ان تسير شوطاً طويلاً قبلما ترتفع عن الارض ارتفاعاً كافياً . ولذلك هلل الناس وكبروا لطيّارة دلاشيرفا الاسباني الانكليزي التي وُضع في اعلاها عجلة كطاحون الهواء فتمكنت طيارتهُ من النهوض في خط عمودي تقريباً والنزول الى الارض في خط عمودي

الطيران والمخاطبات اللاسلكية المنتظمة

وعندي انهُ متى تمكنت الحكومة وشركات الطيران من تنظيم مكتب لجمع انباء الظواهر الجوية من مختلف الانحاء بالتلغراف والتلفون اللاسلكيين واذاعة هذه الانباء اذاعة منتظمة حتى يستفيد منها سائقو الطيارة قلَّ كثيراً الخطر الذي تتعرض لهُ طيارات الركاب وطيارات البريد. فاذا انتظمت خطوط السفر الجوي بين اوربا واميركا فوق المحيط الاتلنتيكي كانت هذه الانباء التي تذاع من محطات لاسلكية قائمة على شواطئ القارتين ومن البواخر الماخرة عباب البحر ، كالاشعة التي تنبثق من المنائر القائمة على الشواطئ الصخرية تفري الظلمات وتهدي التائهين. لانها علاوة على اذاعة انباء الجو تعيّن للطيارين مواقع طياراتهم.

وحينئذٍ لا يعود ضرورياً لربّان طيارة ان يوجهها معتمداً على البوصلة فقط بل يجمع الاخبار الواردة عليهِ من مختلف الجهات ويعين موقعهُ واتجاههُ . ولا يخفى انهُ اذا اضاع الطيار اتجاههُ تعرض لاكبر المخاطر

بين اوربا واميركا

وهذا يصل بنا الى الكلام على انتظام السفر الجوي بين اوربا واميركا فوق المحيط الاتلنتيكي. فقد عني جمهور من الباحثين بوضع رسوم مختلفة لجزائر صناعية ضخمة تقام على صدر الخضم في خط الطيران فتؤوب اليها الطيارات لملء أحواضها بالبنزين او ترسل منها السفن والطيارات لاغاثة الطيارات التي تصاب بحادث ما. ولا شك ان المسافرين لا يغامرون بأنفسهم اذا لم يتأكدوا ان في البحر أماكن تستطيع الطيارات ان تنزل فيها اذا تعرضت للخطر. ورأيي الخاص انهُ قد لا ينقضي نصف قرن على الاكثر الاّ ونرى نوعاً من هذه الجزائر قد استقرَّ القرار عليهِ وبنيت معهُ سفن ضخمة لها سطوح متسعة تستطيع الطيارات ان تحطَّ عليها وان تحلق منها في الجوّ . وهذه السفن تعيَّن لجوب البحار في مناطق خاصة . فاذا وقع لطيارة من طيّارات الركاب ما حتم عليها طلب الغوث فعلت ذلك لاسلكيًّا فترسل طيارات صغيرة من أقرب السفن اليها لتنجية الركاب والسائقين . ومع ان هذا الحلّ لا يفي بالمطلوب الاّ انهُ ولا ريب خطوة تتبعها خطوات أخرى

الطيارة ام البلون

ولا بدَّ ان تنشأ مزاحمة شديدة بين الطيارات والبلونات وخصوصاً لان الحكومات المختلفة أخذت تنفق نفقات طائلة في بناء بلونات ضخمة . فالبلون غراف زبلين بلغ طولهُ ٧٦٢ قدماً والبلون الانكليزي الذي ينتظر اتمامه قريباً طولهُ ٧٢٠ قدماً ويسع خمسة ملايين قدم مكعبة من الغاز وفي أمكانه ان يجتاز مسافة ٩٠٠٠ ميل من غير ان ينزل للارض حاملاً مائة مسافر . والبلون الاميركي الذي يبنى الآن سيكون أضخم من هذا فطولهُ سيكون ٧٨٠ قدماً وسعتهُ ٦ ملايين قدم مكعبة من الغاز وفيه ٨ آلات مجموع قوتها ٤٨٠٠ حصان تسير البلون بسرعة ٨٥ ميلاً في الساعة . وأظن انهُ لا بدَّ ان تمضي خمس سنوات على الاقل قبل ان نتمكن من بناء طيارة تستطيع ان تحمل على متنها مائة مسافر مع ان أحد المهندسين الالمان يشتغل الآن بوضع تصميم كامل لطيارة من هذا القبيل

ومع ان كثيرين يرون ان السرعة التي بلغتها الطيارات الآن هي سرعة فائقة الحدّ لا أرى ان هناك ما يمنع زيادة هذه السرعة الى خمسمائة ميل في الساعة وخصوصاً بعد ما تدرس طبقات الجوّ العالية درساً وافياً حيث الهواء ألطف فيسهل على الطيارات ان تزيد سرعتها

فعّالة ؟ وهل توجد طريقة أقل خطراً واكثر سهولة من طريقة الدكتور طود في تحضير المصل الواقي ؟ هذا ما نريد ان نصل اليه في بحثنا هذا. لانهُ قد ثبت انهُ اذا أضيف محلول الفورمالين الى بعض السموم بنسبة مخصوصة وحُفِظ المزيج على درجة ٣٧ سنتغراد لمدة معلومة فان هذه السموم تتحول نحو"لا" يخفف فعلها السام" ولكنها تحفظ قوة توليدها للمواد المضادة لها . وبعد ما سرد الخطيب جملة تجارب علمية دقيقة على الحيوانات المختلفة بحقنها بهذه السموم المخففة لاثبات هذه النظرية او نفيها وصل الى النتائج الآتية —

(١) انهُ يمكن تخفيف سموم العقارب بوضع قليل من محلول الفورمالين عليها بنسبة مخصوصة

(٢) ان هذه السموم المخففة تحفظ قوة توليدها للمواد المضادة لها اذا حقنت في الحيوانات وانهُ يمكن استعمالها في تحضير المصل المضاد لسم العقرب بدون تعريض الحيوانات المحقونة للخطر كما في الطريقة المستعملة الآن

(٣) ان الحيوانات التي تستعمل في المعامل كالارانب والارانب الهندية يمكن اكسابها مناعة فعالة بحقنها بهذه السموم المخففة بمقادير متزايدة وبناء عليه فانهُ يمكن ايضاً بواسطة هذه الطريقة تحضير المصل الواقي من الخيل بدون تعريضها للخطر الذي تتعرض لهُ في الطريقة القديمة اذ يمكننا اعطاءها مقادير كبيرة من السموم المخففة بدون اي خطر عليها

ملاحظات على الدوسنطاريا في مصر

للكولونيل ماريان بري مدير معامل الصحة بمصر والماجور بنستد كبير البكتيريولوجيين بها

لقد أبان الخطيبان نتيجة الفحص البكتريولوجي لسلسلة من الحالات المصابة بأسهال حاد مصحوب بدم ومخاط . وأغلب المرضى من اهالي المدن المصرية والنتيجة تنطبق بالاكثر عليهم ولكن لا يوجد ما يمنع تطبيقها على اهالي الارياف ايضاً

فقد وجد الخطيبان ان اغلب الحالات مسببة عن العدوى بباسيل فلكسنر اذ أن ٣٧ ½ في المائة من هذه الحالات فصل منها هذا المكروب و ١٨ ¾ من بقية الحالات وجد بها باسيل سون و ½ ٢ في المائة وجد بها باسيل شيجا و١٢ في المائة اميبا الدوسنطاريا

ويلاحظ من هذه النتائج ان الرأي الشائع عن انتشار أميبا الدوسنطاريا في مصر وازدياد العدوى بها عن العدوى بباسيل الدوسنطاريا لا أساس لهُ لان المنسوب المئوي في حالات الاميبا الايجابية في هذه السلسلة لم يتعدَّ ١٢ في المائة وعليه فالقول ان اكثر اصابات الدوسنطاريا بمصر سببهُ اميبا الدوسنطاريا ليس لهُ اساس علمي

اسهال الاطفال في مصر

للماجور بنستد

هذا الخطاب يتناول بحث ثلاثمائة طفل مصابين باسهال الاطفال في احد مراكز رعاية الطفل في القاهرة. فقد أجرى الخطيب البحث في براز هؤلاء الاطفال بحثاً بكتريولوجياً دقيقاً ووجد في ٩٥ في المائة منهم المكروب المسبب للمرض كما يظهر من الجدول الآتي :—

حالات مسببة عن باسيل فلكسنر	٤٤ في المائة
حالات مسببة عن باسيل شيجا	١٢ في المائة
حالات مسببة عن اميبا الدوسنطاريا	١١ في المائة
حالات مسببة عن باسيل مورجان (Entamaeba histolytica)	٠٠ في المائة
والباسيل الصديدي الاخضر (bacillus pyocyaneous)	٠٠ في المائة
وباسيل شمتز للدوسنطاريا (Schmitz's bacillus)	٢٨ في المائة

داء الطحال المصري

للدكتور هرلد ستفن مدير المستشفى الاميري ببور سعيد

ذكر الدكتور ستفن خلاصة ما اختبره بنفسهِ باستئصال الطحال المتضخم في ٣٩٠ مطحولاً مصريًّا ومن رأيهِ ان داء الطحال المصري من اشد الادواء التي تصيب الفلاح وهو يظن ان سببهُ شدة عدوى البلهارسيا وهذا يتفق مع رأي الدكتور داي الانكليزي استاذ الامراض الباطنية الاكلينكية في قصر العيني سابقاً الذي ذهب الى انهُ وجد في اوردة الطحال بيوض البلهارسيا. وشرح عمليتهُ الجراحية التي يستأصل بها الطحال وقال ان ذلك لا يكون الا بعد اعداد المطحول اعداداً تاماً لها بمعالجتهِ بحقن من الطرطير المقيء وبالعلاج المضاد للزهري وحذَّر احداث الجراحين من الاقدام على هذه العملية بلا اعداد المريض لها تمام الاعداد لانها عملية شديدة الخطر ولكن نفعها عظيم. ففي الـ ٣٩٠ عملية جراحية التي عملها مات ١٩ في المائة على اثرها وسلم الباقون. وقد تحقق بالبحث والاستقصاء بعد سنتين وثلاث سنوات من عمل عمليتهِ الجراحية ان ٧٠ في المائة من الذين عملت لهم يتمتعون بتمام الصحة والعافية كغيرهم من الاصحاء. ولولا العملية واستئصال طحالهم لماتوا بعد سنة اوسنتين. قال ومهما تكن العملية خطرة فشفاء الاكثرين بها ونجاتهم من موت عاجل لولاها يشهد بنفعها ويشدد العزائم على عملها

باب شؤون المرأة وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

السيدة سغريد اوندست تفوز بجائزة نوبل

Sigrid Undset

تسير المرأة في العصر الحاضر سيراً حثيثاً الى الامام منازعة الرجل في كل مرافق الحياة، حتى في جوائز نوبل الادبية . . فقد حازت في العام الماضي غرازيا ديليدا الكاتبة الايطالية جائزة نوبل للآداب وفازت بها هذا العام (١٩٢٨) الادبية والراوية النروجية سغريد اوندست

وها هي ذي جميع الاندية الأدبية في اوربا تحتفل باوندست وبمؤلفها الشهير المثلث الذي حازت بهِ جائزة نوبل . ذلك المؤلف الذي اثار كثيراً من الدهشة في مختلف انحاء الغرب—وخصوصاً في البلدان الشمالية كاسوج ونروج والدنمارك والمانيا وغيرها—لما احتواه من احساس عميق ووصف بليغ لحياة بلاد النروج في القرن الرابع عشر ويعدُّ هذا المؤلف بحق من اظهر المؤلفات الادبية واعظمها اثراً في هذا العصر

وكل مؤلف مثلث (تريلوجي [١] trilogy) يحتاج في تأليفهِ الى جرأة واعتقاد ثابت وبحث مستفيض وقد قامت اوندست بكل ذلك في مؤلفها العظيم المسمى Kristin Lnrensdatter الذي يضم كتباً ثلاثة عناوينها (اكليل ازهار . سيدة هزبي . والصليب)

واذا كانت هناك امرأة لها من آرائها الاجتماعية السديدة وافكارها الصائبة ما يخولها ان تتبوأ العرش الادبي لعام ١٩٢٨ فتلك هي سغريد اوندست

ولدت في الدنمرك عام ١٨٨٢ حيث كان والدها Ingvald Undset يشتغل وهو من

---

(١) هي قصة او قطعة ادبية ذات اجزاء ثلاثة مستقل بعضها عن بعض — ولكنها تتصل بفكرة عامة ورأي شامل

اعظم واشهر المؤرخين الذين انجبتهم بلاد نروج ، وقد عادت عليهِ مؤلفاته الاولى بشهرة واسعة واسم ذائع وحسب ثقة يُرجَعُ اليهِ في آثار نروج واصلها وكان قد قضى في رومية مدة طويلة باحثاً في مكتبة الفاتيكان منقباً عن تاريخ نروج. اما ابنتهُ « سغريد » فقد اتيح لها ان تكون سكرتيرة لوالدها . ويرجع حذقها وبراعتها في التاريخ الى بقائها معهُ في مكتبهِ تنقب لا لمدرسة سواها . . .

ومات ابوها قبل ان يتم مؤلفاً عظيماً كان يشتغل بتأليفهِ ،فظلت آثاره ومخطوطاته القيِّمة التي صرف عمره في جمعها وكتابتها ، في عهدة ابنتهِ « سغريد » فجعلت اظهار هذه الآثار مهمتها الاولى وجاءت الى النروج لتقوم باعباء ذلك العمل الادبي

وما لبثت ان تزوجت من الرسام Lars Svanstad وصرفت كل جهودها للادب والكتابة والتأليف ، تلك الصناعة الشاقة التي لا يتاح الفوز بها الاَّ لكل من يبسم لهُ الحظ ويبشُّ لهُ الدهر ! . . وقد قالت سغريد نفسها في احدى رسائلها « انهُ لصعب جدًّا ان تكتب ، والطفل يصرخ ويعول في المهد » !

ظهر اول مؤلفاتها سنة ١٩٠٧ وهو قصة تدعى Fru Martha Orly ولكنها لم تحز الاَّ قليلاً من الاعجاب . واتبعت مؤلفها هذا بقصة اخرى عنوانها « العصر السعيد » وصفت فيهِ تجاربها في الحياة ومصاعبها واثر ذلك في نفسها ، والحياة في النروج ، وهي كما هي في باقي بلاد العالم ، تكاد تكون مملة شاقة في اغلب الاحيان !

وظهر في سنة ١٩١١ مؤلفها جني Jenny وقد نجح نجاحاً لا بأس بهِ . ولكنها لم ترَ في ذلك ما يقرب بها من غرضها الاعلى . . . وحين ذاك رجعت الى مؤلفات ابيها باحثة منقبة ، وانقضت مدة طويلة قبلما اظهرت للعالم مؤلفها المثلث العظيم وقد وصفهُ احد اصدقائها قائلاً : « لقد حملتنا هذه (الرواية المثلثة) على ان نطلق على مؤلفتها لقب امرأة النروج العجيبة ؟ » وعند ما تقرأ ما تكتبهُ سغريد عن النروج تشعر بعواطفها تسيل رقة وعذوبة . وترى حب بلادها متغلغلاً في اعماقها

واما مؤلفها المذكور فقد عاد عليها بثروة ساعدتها على التنقل بين عواصم اوربا وبلدانها، فزارت خزائن الدنمارك والمانيا وايطاليا . ولا نغالي اذا قلنا ان لسغريد اياديَ بيضاء على النروج فبلادها مدينة لها بكثير من المعلومات التاريخية الواسعة وهي مرجع تاريخي مهم سواء في اللغة او التاريخ ، وقد ترجمت الى لغة النروج الحديثة بعض مؤلفات ايسلندا وخرافات النروج القديمة

وقد اشترت مما ربحتهُ من مؤلفاتها ، بيتاً في بقعة جميلة تعيش فيهِ محبوبة من كل الذين تسكن بينهم من الفلاحين ، لكرمها وعطفها عليهم . وقد سأل احد الكتاب : «ماذا تشبه في ظاهرها ؟ » فقيل لهُ : « هي كملكة زوجية قديمة — ولستُ قادراً على ان ازيد شيئاً على ذلك » وهي تتكلم ست لغات ، وتلقي مع اعمالها ، كثيراً من المحاضرات في التاريخ والادب . وهي فوق ذلك موسيقية بارعة تضرب على الارغن . وقد أكبت على جمع آثار النرويج ، وبنت قرب دارها متحفاً لذلك تضم اليهِ كل ما تعثر عليهِ من الآثار ، كاسلحة قديمة ، وحلي وملابس ومراكب ، وما الى ذلك . ومع هذا فاهم شيء لديها في الحياة ان تكتب وتؤلف ، وقد يمضي عليها الليل بكاملهِ فلا يغمض لها جفن . . . .

وشهرة سغريد اوندست ترتكز على دراستها نفسية المرأة حيث جعلتها المحور الذي تدور عليهِ في مؤلفاتها . وبذلك تستند وترجع دائماً الى نفسيتها . ان تأليفها ترجمة نفسية لها . ومن ثم جعلت من الفلاحين ابطالاً في تأليفها ، تبتهج بمرآهم وتُسرّ لاحاديثهم ، وتسمع ما ينبض بهِ وجدانهم ، وما تتأثر بهِ مشاعرهم . ولذلك كان لها اثر بين في الادب النروجي ، وصورة عامة تنطبق على الحياة الانسانية — وما تحويهِ من مهازل ومآسي — ذلك على ما اعتقد — جعلها تفوز بجائزة نوبل العالمية . . .

حلب — سورية فؤاد عينتابي

صحيفتنا الصحي حقائق صحية في اسلوب سهل

هل تدخن ؟ هل تدخنين ؟

يتعذر في الغالب على الباحث في مسألة التدخين ان يتجرد عن هواهُ ويتناول البحث من وجهٍ علمي بحت . لانهُ اما ان يكون مدخناً او غير مدخن . فاذا كان مدخناً حركهُ عامل خفي الى القول بان ما يلذُّ لهُ مفيد او انهُ على الاقل غير ضار . واذا كان لا يدخن صعب عليهِ ان يحبس نفسهُ عن القضاء على عمل يكرههُ هو ويمارسهُ غيرهُ . اما كاتب هذه المقالة — وهو طبيب مشهور وعضو من اعضاء الجمعية الطبية البريطانية — فمعتدل في التدخين ومن الطبيعي انهُ لا يجد سبباً يحملهُ على التشهير بالاعتدال في التدخين ولكنهُ مع ذلك يأمل ان يتناول الموضوع من وجهٍ علمي مجرَّد

عناصر دخان التبغ : ما هي العناصر التي توجد في دخان التبغ وتفعل في الجسم ؟ يسهل قسمة هذه العوامل الى ثلاثة اقسام . (الاول) غاز الامونيا ومعهُ مادة آلية

طيّارة تدعى بيريدين ومواد اخرى تماثلها . هذه المواد تهيج الاغشية المخاطية وهي سبب الالتهاب المزمن في الحلق والفم واللسان الذي يصاب بهِ مدمنو التدخين وما يتبع ذلك من سعال شديد في الصباح ، وبلغم ينفثونهُ حين السعال . على ان الامونيا والپيريدين لا تزيدان التدخين لذة ما ولا نعرف سبباً يمنع استنباط وسيلة علمية صناعية لاستخراج هذه المواد من التبغ من غير ان تغير طعمهُ ورائحة دخانهِ واثرهُ في المدخنين

استنشاق الدخان وفعلهُ : والعنصر الثاني في دخان التبغ هو اكسيد الكربون الاول وهو غاز سامّ وتجدهُ في غاز الفحم كما تجدهُ في الدخان الذي يخرج من انابيب السيارات الخلفية . وفعل هذا الغاز السام سببهُ انهُ يتحد بمادة الهموغلوبين التي في كريات الدم الحمراء والتي وظيفتها الاولى الاتحاد بالاكسجين في خلايا الرئتين ونقلهُ الى كل أعضاء الجسم . ولما كان اتحاد غاز الكربون الاول بمادة الهموغلوبين اسرع واقوى من اتحادهِ بالاكسجين فالنتيجة الاولى التي تنجم عن استنشاق غاز الكربون الاول مع دخان التبغ هي منع الهموغلوبين من نقل الاكسجين الى اعضاء الجسم . فاذا حدث ما منع ١٥ في المائة من هموغلوبين الدم عن الاتحاد بالاكسجين ونقلهِ الى الاعضاء ظهرت على الجسم الطبيعي آثار التسمم. على ان هناك اناساً شديدو الانفعال بقلة الاكسجين حتى اذا امتنع ١٠ في المائة من هموغلوبين دمهم او اقل من ذلك عن الاتحاد بالاكسجين ظهرت عليهم آثار التسمم

اما مقدار هذا الغاز في دخان « السيجار » فيبلغ نحو ٨ في المائة وفي دخان «البيبة» نحو ١ في المائة وفي دخان السجاير يتراوح من نصف الى واحد في المائة. فاذا دخل دخان لفائف التبغ الفم اختلط بالهواء فقلّ مقدار اكسيد الكربون الاول كثيراً واذا كان المدخن لا يستنشق الدخان الممزج بالهواء الى رئتيهِ لم يستطع هذا الغاز السام ان يتصل بكريات الدم الحمراء ويتحد بمادة الهموغلوبين فيها فالتدخين من غير استنشاق الدخان الى الرئتين لا يضرّ من هذا القبيل

ولكن اذا كان المدخن ممن يستنشق الدخان الى رئتيهِ فلا مندوحة حينئذٍ عن ان يتصل هذا الغاز بالكريات الحمراء ويفعل فعلهُ فيها وبعض مدمني التدخين يمنعون نحو عشرة في المائة من هموغلوبين دمهم عن القيام بعملهِ الطبيعي (الاتحاد بالاكسجين اللازم للحياة ونقلهِ الى الاعضاء) لكثرة ما يستنشقونهُ من دخان التبغ . ولا يقوم حينئذٍ دمهم بعملهِ الطبيعي قياماً وافياً الا في فترة النوم

النيكوتين: والعنصر الثالث الذي يتكون منهُ دخان التبغ هو مادة النيكوتين التي سميت كذلك نسبة الى جان نيكو Nicot سفير فرنسا في اسبانيا (١٥٣٠ — ١٦٠٠) لانهُ كان يزرع التبغ في حديقة دارهِ وكان شديد الاعتقاد بفائدة أوراقهِ في العلاج الطبي . ومادة النكوتين هذه هي مصدر الفعل الذي يطلب التدخين من أجلهِ

لا ريب في ان مادة النيكوتين سم مميت سريع الفعل . ففي سيجار واحد من النيكوتين ما يكفي لقتل رجلين . على ان جانباً من نيكوتين التبغ يتبخر بفعل النار حين اشعال السيجار او السيجارة او البيبة وعليهِ فمقدار النيكوتين الذي يستنشقهُ المدخن أقل من المقدار الذي يوجد في التبغ حقيقة . وهذا المقدار لا يتصل بالرئتين الاَّ اذا استنشق المدخن الدخان . وقد حسب أحد الباحثين انهُ اذا دخن أحد مدمني التدخين عشر سجاير الواحدة في أثر الاخرى استنشق مع دخانها مقداراً من النيكوتين يساوي عشر جرعة مميتة

ومتى اتصل النكوتين بالرئتين وسرى فعلهُ في الجسم ظهر لهُ أثر مخدر في بعض الاجسام ومهيج في البعض الآخر

ويضع البعض النكوتين مع مخدرات كالمورفين والكوكايين في صف واحد ويقولون ان ادمان التدخين وادمان المورفين والكوكايين من نوع واحد يضرَّان بالجسم ضرراً بالغاً ويؤديا الى اضعاف الجسم وانحلال في الاخلاق

على ان مسألة الادمان مسألة نسبية وقلَّ بين الناس على كثرة من يدخن منهم المصاب بضرر كبير من جرَّاء التدخين . وعلى الضدّ من ذلك نجد ان مدمني المخدرات عبيد لها لا يستطيعون ان يتحرروا من عبوديتها وهم في الغالب ضعاف الاجسام ضعاف الاخلاق

أثر النكوتين في المعدة: وللنكوتين اثر كبير في الجهاز الهضمي والغدد المتعلقة بها . ومن افعالهِ الظاهرة التأثير في غدد الفم لافراز اللعاب فاذا توقف المدخن عن التدخين توقفت هذه الغدد عن افراز مفرزاتها . وبذلك يعلل جفاف فم المدمن عند الصباح

ومن افعالهِ ايضاً التأثير في غدد المعدة فتفرز العصارة المعدية ولذلك يصاب الذين يتأثرون كثيراً بفعل التدخين بزيادة حموضة المعدة لان تدخينهم يزيد افرازها للعصارة التي تحتوي على الحامض الهيدركلوريك . ويقول بعض الثقات انهُ اذا اتصلت بعض محتويات المعدة الحامضة بالامعاء الدقيقة كان ذلك مدعاة لتقرّح الامعاء ولذلك يحذر المصابون باي تقرّح في المعدة من التدخين

وللنكوتين فعل في المعدة هو منع عضلات المعدة من التقلص فيقلُّ الشعور بالجوع

لان تقلص عضلات المعدة يحدث الشعور بالجوع . لذلك تضعف قابليات المدمنين في اثناء ادمانهم ثم تزيد اذا تركوا التدخين

الضجة وأثرها في الصحة والعمل

الانسان قابل بطبعهِ للتكيف بحسب مقتضيات البيئة التي يعيش فيها . فاذا أخذت جماعة من الناس من بلاد باردة وأسكنتهم بلاداً حارّة صعب عليهم في البدء ان يعيشوا ويشتغلوا في البلاد الحارة كما كانوا يعيشون ويشتغلون في البلاد الباردة . لكن أجسامهم لا تلبث ان تتكيف بحسب مقتضيات المعيشة في البلاد الجديدة فيعيشوا فيها عيشة طبيعية

ومن الامور التي لا يختلف فيها اثنان ان الضجة واصطخاب الاصوات من أظهر مميزات المعيشة في المدن المزدحمة في هذا العصر . فهل ينتظر ان يتكيف جسم الانسان فيعود لا يعبأ بأثر الاصوات فيه في أثناء الراحة او العمل ؟

هذه مسألة خطيرة جدًّا والكشف عن سرها يعود بفائدة كبيرة على الصحة العامة وسرعة انجاز الاعمال في المكاتب والمتاجر والمعامل

وقد عُنيت جامعة كولجيت الاميركية بالبحث في هذه المسألة بحثاً علميًّا فتناول البحث جمهوراً كبيراً من الموظفين والكتاب والمصارعين وطائفة من الحيوانات ايضاً . فثبت من هذه التجارب ان الضجة تثير في الناس والحيوانات الخوف من طارئ مفاجئ . فصوت المبرد وهو يبرد قطعة من الحديد يثير قشعريرة في الظهر. وانطلاق مسدس على غير انتظار يدفع ومن يُفاجأ بطلقهِ ان يقفز خوفاً . وغير ذلك

وقد جربت تجربة في نائم فوجد الباحثون انهُ كلما مرّت سيارة في الشارع تحت نافذة غرفتهِ انقبضت عضلاتهُ وارتفع ضغط دمهِ من غير ان يستيقظ . ووُجد انهُ اذا نقص الصوت بمقدار ١٥ في المائة في مكتب من المكاتب زاد مقدار ما تشتغلهُ الكاتبات على التيب ريتر ٥ في المائة وقلّ ما تنفقتهُ من القوة في انجاز هذا الشغل ٢٥ في المائة . ولا تزال التجارب العلمية في هذا الموضوع قائمة على قدم وساق وكلها تشير الى ان الضجة تؤثر في جسم الانسان نائماً ويقظاً على المنوال المتقدم . وبعد هذا نأمل ان تعنى الحكومة بما يكفل للسكان القاطنين في الاحياء المزدحمة عدم التعرض لضجة لا مسوّغ لها بعد منتصف الليل ، حيث تكون الشوارع فارغة تقريباً ولا داعي لنفخ أبواق السيارات فيها نفخاً مزعجاً مثلاً

باب الزراعة والاقتصاد

زراعة الارز في مصر

وتجارته مع الاقطار الخارجية

اهم ما يعنى بهِ الباحثون من رجال الاقتصاد والمال في مصر تنويع المحاصيل الزراعية في البلاد اذ لم يبق شك في خطر اعتماد القطر على محصول واحد لان كل ما يصيب سوق هذا المحصول من اضطراب او كساد يؤثر تأثيراً مباشراً في جميع مرافق القطر من اقصاه الى اقصاه

ولما كان اصلاح ما في اليد خير من النظر الى ما بايدي الناس، كان واجبنا الاول تنشيط المحاصيل الزراعية التي تنتجها التربة المصرية فعلاً، علاوة على القطن، مع السعي بكل الوسائل المفيدة لتجربة زرع محاصيل جديدة يمكن ان تتكوَّن منها في البلاد مصادر للثروة واولى المحاصيل بالعناية هو الارز

فان هذا الصنف فضلاً عن كونهِ من المواد الغذائية التي يستهلك منها مقادير كبيرة في القطر نفسه بل ويكاد يكون الغذاء الرئيسي في شمال الدلتا حيث يعتمد عليهِ دون القمح — فان لهُ في السوق العالمية طلباً لا بأس بهِ وتستورد اقطار اخرى مقادير كبيرة منهُ. فضلاً عن انهُ يصلح الاراضي الضعيفة والمالحة ويحسن حالتها

زراعة الارز ومحصوله

يزرع الارز في شمال الدلتا بمديريات البحيرة والدقهلية والغربية وكذا في الشرقية. وزراعتهُ صيفية — مثل القطن — ويحصد في اوائل الخريف اي انهُ يصل الى الاسواق حوالي شهر اكتوبر من كل سنة. ولكن مساحة ضئيلة لا تتجاوز ٢٥ الف فدان تزرع نيليًّا في مديريتي الشرقية والفيوم

وتتوقف الزراعة الصيفية على حالة مياه النيل فهي تضطرد زيادة ونقصاً مع ارتفاع الفيضان وانخفاضهِ وتحدد الحكومة حوالي مايو من كل سنة مقدار المساحة التي يمكن زرعها ارزاً والمناطق التي يجوز ان يزرع فيها وذلك طبقاً للانباء التي ترد اليها عن حالة النهر في اعالي السودان

ويترتب على هذه الحالة ان محصول الارز المصري يتراوح قلة وكثرة بين سنة واخرى

وهذا يؤثر طبعاً في مقادير الصادرات منهُ الى الاسواق الخارجية التي لا تستطيع ان تستمرّ على انتاج محدود ولو على وجه التقريب من الارز الوارد من القطر المصري

ولكي يستطيع القارىء ان يتصور مقدار التفاوت في محصول الارز بين عام وآخر نورد هنا بعض الارقام على سبيل المثال

السنة	المساحة بالفدان	المحصول بالاردب	الصادر بالطن
١٩١١	٢١٧٬٠٣٦	٥٥٩٬٠٠٠	٢٩٬٧٥٦
١٩٢١	٣١٢٬١٥٢	٧٩١٬٠٠٠	١٩٬١٦٠
١٩٢٢	٠٤٨٬٢٢١	٠٩٣٬٠٠٠	١٧٬٤٠٦
١٩٢٣	١٧٩٬٠٨٧	٥٠٩٬٠٠٠	١٨٬١٣٤

فبينما يقدَّر المحصول بما يقرب من ثمانمائة الف اردب في عام ١٩٢١ اذا به لا يتجاوز ٩٣ الف اردب فقط في سنة ١٩٢٢ وهي التالية لها مباشرة . كما ان صادرات مصر من الارز في عام ١٩١١ بلغت نحو ثلاثين الف طن في حين انها لم تصل الاَّ الى ١٨ الف طن فقط في سنة ١٩٢٣

غير ان المأمول ان تتعدل هذه الحالة اذا ما نفذت مشروعات الري الكبرى وامكن توفير المياه الصيفية فهناك يصبح من المستطاع زراعة الارز بطريقة منتظمة ثابتة

انواع الارز

وللارز انواع عديدة جداً يختلف كل منها عن الآخر من حيث موعد الزراعة ومدتها والتبكير في النضوج ووفرة المحصول وسهولة الدراس وغير ذلك ولكل من هذه الانواع قيمة تجارية وغذائية خاصة

واهم الانواع الصالحة للزراعة في مصر هي : —

(١) ياباني بانواعهِ
(٢) صيني دكرنس
(٣) صيني بلقاسي
(٤) فينو
(٥) عجمي
(٦) سلطاني
(٧) اتحادي
(٨) جديدي
(٩) جبلي
(١٠) امباري
(١١) كيدناوي
(١٢) طلياني

ومعظم هذه الانواع يزرع في حقل تجارب وزارة الزراعة بالجيزة بقصد الاكثار من الانواع الصالحة للقطر المصري

ولا نرى ونحن هنا في مقام بحث اقتصادي ان نتعرض لشيء من التفاصيل الزراعية — فهذه قد يمكن ان تكون موضع بحث خاص — ولهذا نكتفي بان نذكر ان ضم الارز ودراسته لا تجعله صالحاً للاستهلاك مباشرة بل تكون حبته اشبه شيء بالشعير ولهذا يطلق عليه اسم الارز الشعير ويتعين تقشيره ثم تبييضه قبل ان يصل الى ايدي المستهلكين

مضارب الارز

في القطر المصري مضارب عديدة لتقشير الارز موزعة في المديريات طبقاً للبيان الآتي

الدقهلية	١٠٠	دمياط	٠٢٢
الغربية	٠٩٨	الفيوم	٠٠٣
البحيرة	٠٦٦	اسكندرية	٠٠٢
الشرقية	٠٤٣	الجملة	٣٣٤

والعدد الاكبر من هذه المضارب هو كالمطاحن بالنسبة للغلال يشتغل بتقشير الارز لحساب اصحابه دون تبييضه وذلك في المناطق التي غذاؤها الرئيسي هو الارز

وليس من بين هذه المضارب من يشتغل بالتجارة فعلاً سوى مضارب دمياط ورشيد والمنصورة والاسكندرية فهذه تضرب الارز وتبيضهُ وتوردهُ الى المدن الكبرى والاسواق الخارجية . وعدد هذه المضارب الكبرى كالآتي

	عدد		عدد
إسكندرية	٢	دمياط	٢٢
رشيد	١٦	المنصورة	٠٣

ومصنعا الاسكندرية هما اكبر مصانع القطر واحدثها عدداً واتمها استعداداً وقد يستطيع هذان المصنعان ان يضربا كامل محصول القطر المصري من الارز الشعير . ولكن قلة المحصول واختلاف مقاديره بين عام وآخر تجعل مضارب الارز لا تشتغل سوى شهوراً قليلة في السنة فقط ومنها ما يضطر الى عدم الادارة مطلقاً وذلك في الاعوام التي يكون فيها المحصول ضئيلاً

ولو ان المصانع الكبرى التجارية اشتغلت العام باكمله لاستطاعت ان تضرب ما يوازي ٧٠٠ الف اردب من الارز الشعير وهذا يعادل اكثر من ضعفي المحصول المصري حتى في اوسع سنواته مساحة

وهذه الحالة تجعل صناعة ضرب الارز من الصناعات غير المرغوب فيها . لان اصحاب المضارب لا يجدون ارزاً كافياً لتشغيل مصانعهم طول العام مع انهم مضطرون للاحتفاظ بالموظفين الفنيين اللازمين لها وهم لا ينتفعون بهم اكثر من بضعة شهور كلّ سنة

ولا تزال طريقة ضرب الارز المتبعة في رشيد ودمياط كما كانت عليهِ منذ قرن مضى . ولا سبيل للعمل على ادخال الآلات الحديثة هناك حتى يمكن حماية صناعة الارز وتنشيط تجارتهِ بحيث يمكن لهذه المصانع ان تستفيد من آلاتها طوال العام

(تتمة البحث في الجزء التالي) جلال حسين

تثبيت نتروجين الهواء

بطريقة بوش هابر — والاحتفاء بالاستاذ هابر في مصر

ان اسم هابر علم بين العلماء قلما يجهلهُ واحد من القراء لما اشتهر عن علمهِ وفضلهِ فهو من هذا القبيل من اولئك الافذاذ الذين قرنوا العلم بالعمل فكان لهم في كل واد ومنزل اثر خالد يذكّر العالم بما كشفوا عنهُ او استنبطوهُ فكان مصدر فائدة مادية ومعنوية لجميع الناس

وقد اشتهر الاستاذ فرتز هابر بمباحثهِ في كيمياء الغاز وطلي الحديد وتحليل الكهربائية التدريجي في النتروبنزول الذي عليهِ يتوقف تركيب الانيلين الى حدّ بعيد في صناعة الاصباغ

الاَّ ان شهرة هابر العالمية ترجع بالاكثر الى الطريقة التي تمكن بها من التقاط النتروجين من الجو وهو العنصر الذي يغذّي النبات وينميه ويدخل في تركيب اشهر الاسمدة الطبيعية كزبل البقر ونترات الشيلي . فالعالم في حاجة اليهِ لانماء مزروعاته كما يحتاج اليهِ في مختلف صناعاتهِ وهذه الحاجة زادت كثيراً عما كانت عليهِ قبلاً لان ارتقاء الصناعات ورواج المصنوعات ووجوب العناية بتثمير الارض الزراعية الى اقصى حد مستطاع يستلزم ذلك

ومن الشواهد العديدة على ذلك ما نراهُ في مصر من الاقبال على استعمال الاسمدة الازوتية (النتروجينية) اي التي تحتوي على عنصر الازوت (النتروجين)

الاّ ان الناس كانوا يخشون قبل هابر من ان يأتي يوم تنفد فيهِ المناجم التي تستخرج منها المواد (النتروجينية) الازوتية كنترات الصودا في شيلي او يقل ما يستخرج منها عما يحتاج اليهِ الزارعون كما قلّ قبلها السباخ البلدي فتقف الزراعة والصناعة حينئذٍ مشلولة اليدين. فكان الشعور بهذه الحاجة وازعاً لعلماء الكيمياء حملهم على البحث عن مادة تقوم مقام الاسمدة النتروجينية الطبيعية وقد توفقوا في صنع النشادر. الاان هابر تجاوزهم بطريقتهِ المعروفة بطريقة هابر — بوش التي مكنت المعامل الالمانية من ان تصنع اليوم من الاسمدة الازوتية ما يزيد على استخراج نترات الصودا مرتين مع مراعاة ما تحتويهِ هذه من الازوت وسهلت على العالم الحصول على اسمدة تفوقت على كل ما تقدمها من حيث النقاوة في التركيب وتجهيز المزروعات بما تحتاج اليهِ للخصب والنمو

ومما يذكر لهابر في خدمة بلادهِ ان طريقتهُ المذكورة كانت القوة التي مكنت المانيا من الاستمرار في تلك الحرب العالمية خصوصاً بعد ان انفصلت عن العالم ومنعت عنها نترات شيلي التي كانت تعتمد عليها في تسميد مزارعها ولولا طريقة بوش هابر التي مكنت المعامل الالمانية من ان تصنع الاسمدة النتروجينية (الازوتية) لما بقيت المانيا في الدفاع بقائها السنوات الخمس . ولكن لا يفهم مما تقدم ان نية هابر في بحثه واستنباطهِ كانت منصرفة الى هذا الوجه الحربي لانهُ كان اول الناهضين ضد الحرب بعد ما وضعت اوزارها معلناً بوجوب اتجاه العالم الى السلم والوئام ومنذراً بالاضرار التي ينالها العالم من حرب اخرى بعد ما بلغتهُ الكيمياء من اصطناع المواد الخانقة والمفرقعة ما بلغت

ولد هابر في برسلو في يوم ٩ دسمبر سنة ١٨٦٨ حيث تلقى علومهُ ولما شب اراد ابوه ادخاله في محل تجارته الذي كان يتعاطى فيهِ بيع النيلة والمواد الكيماوية الاّ ان هابر لم يطل عليهِ المطال حتى آنس من نفسه الميل الى العلم فسافر الى برلين وتلقى العلوم العالية فيها ونال شهادة الدكتوراه في سنة ١٨٩١ وبعد ان اقام مدة قصيرة دعي في سنة ١٨٩٤ لان يكون مساعداً في معهد الكيمياء الفنية في مدرسة البولتكنيك في كارلسرو وفي سنة ١٨٩٨ نال شهادة البروفسور (الاستاذ) في الكيمياء ثم في سنة ١٩١١ عين مديراً لمعهد الامبراطور غليوم في برلين حيث تخصص في درس الكيمياء الطبيعية والكهربائية وقد بلغ هذا المعهد شأواً عظيماً في الشهرة يرجع الفضل فيهِ الى اعمال هابر نفسه. هذا تاريخ مقتضب عن اعمال هذا الرجل العظيم الذي كان ضيف مصر في الشهر الماضي والذي احتفلت مصر بقدومهِ احتفاء بعلمهِ وفضلهِ

ثابت ثابت

الحشائش المضرّة وابادتها

هي الاعشاب او الحشائش البرية التي تنمو من نفسها بدون حاجة اليها فتؤذي الارض والزرع ومن يغتذى بهِ من الحيوان والانسان وتسمّى الارض الملوثة بها محشة ثم خرساً وهي المحشة اكثر . وتسمى الارض نظيفة اذا كانت سليمة من الحشائش

أضرارها

اولاً بالارض تستنفد خصبها ونداوتها وتصعّب فلاحتها وتشغلها من قبول البذر وانماء الزرع كالنجيل والحلفة والخريزة

ثانياً بالزرع من وجوهٍ الاول تزاحمه فتحول دون استفادته كما ينبغي من خصبها ونداوتها وقد تتغلب عليهِ فتحرمهُ من تأثيرات الجو المفيدة الضوء والحرارة والتهوية وغيرها وتلوث ثمره ببذورها وهشيمها فتقلّل قيمتهُ كالسريس بالبرسيم والملوخية بالقطن والدنيبة بالارز — الثاني تحمي وتغذّي بعض حشراتهِ وآفاتهِ فيزداد تكاثرها وفتكها بهِ فان الحشائش الغضة كالسلق والعلّيق والقرلة والجعضيض، والحيض تحتمي بها شرانق الديدان وجراثيم الفطريات وتتغذى بها في بعض ادوار تناسلها ثم تنتقل الى الزرع كالدودة القارضة وديدان القطن — الثالث تتطفل عليهِ فتتغذّى منه ذاتهِ فتضنيه وتميتهُ كالحامول والهالوك في البرسيم والفول وغيرها

ثالثاً بالانسان والحيوان اذ يغتذيان من الزروع وحبوبها الغلتة بهذه الحشائش وبذورها كالداتورة والدحريج في القمح والاولى سامّة مسهلة مرّة والثاني كريه الرائحة وكلاهما يغير لون دقيقهِ والنفل اي الحندقوقى والزغلنته « نبات يشبه الرجله » في البرسيم يقلّلان لبن الماشية الحلوب ويغيران طعمهُ والاول ينفخها والثاني يسيل ريالتها « اللعاب حينما يسيل من الفم »

رابعاً بمجاري الري والصرف بتعطيل جري المياه فيها كالنسيلة « الأمشوط » في المساقي والرم في المصارف

ومما يزيد تكاثر هذه الحشائش البرية واضرارها

(١) ان بذورها تستكن بالارض حافظة لقوة انباتها بضع سنين الى ان تطرأ ظروف توافقها فتنمو فجأة كالسّعد مع التّنيل والسلق مع الدّمس والهالوك مع الفول والدنيبة والنّبت والعجير مع الارز

(٢) استعمال الغلت من التقاوي كالقمح الذي لم يغربَل والبرسيم الذي لم يعقب ومن العلائق كالشعير الملوث ببذر الحندقوقي فينزل بعضهُ مع روث الماشية قبل تمام الهضم على الارض وهي بالغيط او في الزرائب والاسطبلات فيخرج مع السماد قبل تعفنه تعفناً يقضي على قوة انباته فيرجع الى الارض بالتسميد

(٣) انها ابكر إنباتا واسرع نمواً من الزرع لا سيما بدء حياته وأقدر منهُ على تحمل سوء الاحوال الجوية والزراعية كالسلق مع القطن والسريس مع البرسيم والنفل اي الحندقوقي مع الشعير وعلى مقاومة الامراض والحشرات وأبكر نضوجاً وتبذيراً منهُ فتنتثر حبوبها على الارض قبل الحصد كالدنيبة مع الارز والزمير مع القمح وأن بذور بعضها ذات زغب فيسهل تطايرها مع الهواء وانتشارها في الغيط كذيل القط (اسم نبات)

(٤) انها تجد في جوانب البتون والسكك وحافات مجاري الري والصرف التي تهمل فلاحتها عادة منابت تظل نامية فيها بينما تكون الارض عرضةً لاجراآت الفلاحة المبيدة لها كالحرث والعزيق

وسائل ابادتها

الاولى — تشريق الارض حتى تقف تغذية حشائشها ثم حرثها حرثاً عميقاً يقلع جذور الحشائش التي تتكاثر بجذورها كالنجيل والسعد والحلفاء وتظهر بذور الحشائش الاخرى — ثم تترك للتشميس حتى تفقد او تضعف قوة انباتها ثم يصير تنقية الجذور حتى تنظف الارض منها وتنقل بعيداً عن التربة وتحرق في الحال حرقاً لا يبقى معهُ اثر لها

الثانية — ريّ الارض حتى اذا نبتت بذور حشائشها يسرع ابادتها بالحرث او العزيق قبل تبذيرها او بالقلع قبل تكاثر جذورها اذا كان بقي شيء من هذه ثم يحرق حرقاً. اما الحشائش التي يخشى أن تتكاثر يذورها وابيدت قبل تبذيرها فان كانت رفيعة كالسلق والحميض يسهل تلاشيها في التربة وتحللها بها كمادة عضوية مفيدة فيحسن ابقاؤها بعد ابادتها اما الحشائش الخشنة التي يخشى ان تشوه منظر التربة او تحول دون اتقان فلاحتها كالحلّة والخريزة فلا بد من ازالتها من الارض وخير الاوقات للعمل بالوسيلتين السابقتين فصلا الصيف والخريف والارض خالية بعد المزروعات الشتوية وقبل الزراعة التالية لها نيلية كانت كالذرة اوشتوية كالقمح او صيفية كالقطن

الثالثة — اذا كانت الارض خرساً او شبيهةً بالخرس تحرث وتُباد حشائشها مراراً ثم تزرع برسيماً فيخصّبها من جهة ويتغلب على حشائشها بكثافة نموه فلا تعيقهُ ولكثرة ريّهِ تموت بذورها ثم ما ينمو منها بعد ذلك يُباد مع تكرر رعيهِ او حشهِ

الرابعة — ان لا تستعمل الا التقاوي والعلائق النظيفة من الفلت وان لا يستعمل السماد البلدي الا بعد تعفنهِ تعفناً يقضي على حياة بذور الحشائش

الخامسة — العناية بحرث اوعزيق او نقاوة الحشائش النامية بجوانب البتون والسكك ومجاري الري والصرف

السادسة — تستأصل من الارض المزروعة اما بالعزيق إذا كانت الزراعة في خطوط او قلعاً باليد وحشاً بالمحشة اذا لم تكن ، فالحشائش التي لا تربّي خلفة كالنفل والسريس لا بأس من حشها اما التي تربي خلفة كالدنيبة فتقلع قلعاً بجذورها حتى لا تنمو ثانياً. ويجب التبكير بابادة الحشائش من المزروعات اوائل نموهما كليهما قبل تكاثفهِ تكاثفاً يزداد معهُ ضررها وتصعب ابادتها وتسبب الابادة اتلافاً للزرع في اثناء اجرائها

وفي العرف ان تتم ابادتها من المزروعات الشتوية قبل الفطاس اذ بعدهُ ينشط نمو النباتات بأنواعها ومن زراعة القطن قبل نزول النقطة اذ بعدها يقوى نموه وتفريعهُ ويصعب عزيقهُ ويروى اشباعاً فيزداد نموها ذاتها — ومن الارز قبل تعقيله

ومما لاحظتهُ انهُ يجب مثلاً ان تكون نقاوة الملوخية من القطن قبل تزهيره حتى لا تكون نقاوتها بعد سبباً في إسقاط ازهاره وقبل زيادة تفريعه حتى لاتكون سبباً في تكسير فروعهِ وقبل تفتيحهُ حتى لا تكون سبباً في تلويث شعره وتصعيب جنيهِ وان تأخر نقاوة الحشائش الشائكة والخشنة من المزروعات الشتوية يصعب حصدها ويسبب تناثر حبوبها وتكسير حصيدها وان نقاوة اللبين (وهو السريس بعد ان يزهر) من البرسيم الربابة تكون بعد ان تذهب طراوتهُ ويعقد بجمهُ (زهره) فلا تسبّب نقاوتهُ دهوسة الربابة دهوسة تضر نموها وانعقاد حبها وقبل ان ييبس تماماً فيتقصف ويتناثر بل تكون وهو لين قد انعقد ثمره واحسن ما تكون النقاوة حينئذٍ في الصباح والربابة ندية

السابعة خدمة كل زراعة بما يناسب نموها وينفع في ابادة تلك الحشائش فتزرع الزراعة الشتوية الحبوبية بطريقة (الحراتي) لا العفير — والزراعة الصيفية بعد دمس ارضها — وتأخير ريهما وموالاة عزيق ما يزرع منهما في خطوط عزقاً يساعد على تحمل تأخير الري وعلى ابادة الحشائش — ويروى الارز غمراً كافياً يفيد في تنشيط نموه ومعاكسة نموها

(ملحوظة) ذكرنا اسماء الاعشاب او الحشائش كما هي في العرف الزراعي اذ الغرض زراعي عملي لافادة جهور الزراع لا نباتي علمي فان هذا من اختصاص النباتيين — واكثرنا من الامثلة لانها افيد في توضيح المعاني وتحديدها

احمد الالفي

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيما كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

رعشة الكاتب

رُبَّ رأيٍ خيرٌ من علاج

رغبنا الى الاستاذ اسعد خليل داغر ان يصف لنا هذا الداء الغريب الذي يعتري بعض الذين يزاولون الكتابة فبعث الينا بالوصف التالي

رعشة الكاتب من الامراض النادرة المجهولة الاسباب . يصاب بها من يتعاطى صناعة الكتابة ، بعد طول مزاولته لها وعكوفه عليها . فترتعش يده كلما امسك بها قلماً وترتعد مضطربة كأنها لامست مجرى كهربائيًّا . وتأخذها حركاتٌ اضطرارية تعرِّض لعضلاتها عند ما تحاول أن تتحرَّك طوع ارادة صاحبها فتتقبَّض وتعجز عن الجري بالقلم على مراد الكاتب . والغريب في امرها أنها تعرض ليد الكاتب من غير ان يشعر معها باقل شيء من الالم والوجع او الوهن والضعف . ولا يظهر اثرها في اليد الاَّ عند قبضها على القلم ، ايًّا كان — قلم حبرٍ او قلم رصاص . وقد تعتري الذين يكتبون بالمكتاب [تيبريتر] والذين يزاولون الإيقاع على البيانو

أصابتني هذه الرعشة منذ ثماني سنين وكانت وطأتها ، باديءَ ذي بدء ، خفيفة ضعيفة . فكنتُ اتمكن من مقاومة هزَّات يدي او حركاتها الاضطرارية بمعارضتها بحركات اخرى أُثيرها في عضلاتها بقوَّة ارادتي . فتتغلب هذه على تلك وتظلُّ يدي جارية بالقلم على مشتهاي ولو بشيء من الرهق والمشقة . ولكن حدث بعد ذلك أن ثقلت على يدي وطأة الرعشة واشتدَّت وحالت حركتها الاضطرارية اي ارتعاشها وارتعادها دون مطاوعتها لي في الكتابة . فالتجأت الى غير واحدٍ من نُطُس الاطباء واستعملت كلَّ ما وصفوهُ لي من الادوية والعلاجات ولم استفد شيئاً ، حتى اضطررت اخيراً ان ابتاع

[مكتاباً اي التيب رايتر] واستخدمهُ على رغمي في قضاء حاجاتي الكتابية

وفي صيف سنة ١٩٢٤ ذهبتُ الى لبنان وزرت أُسرة صديقي المرحوم نعوم شقير بك في صوفر. وكان نجلهُ الدكتور ادوار شقير قد أكمل في تلك السنة دروسهُ في المدرسة الطبية للآباء اليسوعيين في بيروت وأحرز شهادتها . وكنتُ لم أرهُ منذ عدة سنين . فذكرتُ لهُ في اثناء الحديث ما اشكوهُ من رعشة الكاتب وقصصت عليهِ بالاختصار إصابتي بدائها. وبعدما أطرق متأملاً متفكراً قال لي ما خلاصتهُ : — « ان هذا المرض نادر الحدوث وسببهُ الحقيقيّ غير معروفٍ معرفة تامة . ولذلك يضطرُّ معظم الاطباء — إن لم يكن كلهم — ان يصفوا علاجهُ بالحدس والتخمين او بالنقل عما في كتب الطب لجهلهم سببهُ وقلة ما يُعرض عليهم من حوادثهِ . فرأيي والحالة هذه ان تدع الاهتمام بالعلاج جانباً وتقتصر على العناية بتدريب يدك اليسرى على الكتابة فتحذقها بعد مرانة قصيرة وتستغني بها عن يدك اليمنى »

ولكنني لم احفل برأيهِ هذا لظني انهُ ، مع شدة ذكائهِ ونباهتهِ ، باقٍ حديث السنّ وقليل الاختبار ولان تمرين يدي اليسرى لم يُشر بهِ طبيب آخر واعدُّهُ صعباً جدًّا ان لم يكن متعذراً بالنظر الى سني . وفي خريف تلك السنة زرتهُ في بيتهِ في مصر. فسألني . « هل مرّنتَ يدك اليسرى على الكتابة ؟ » ولما اجبتهُ سلباً قال لي : —

« يا سبحان الله ! ألأنها وصفة مجانية سهلة التناول ترفضها ولا تعنى بها ؟ إنَّ خوفك من صعوبة تمرين يدك اليسرى ، لتقدّمك في السنّ ، في غير محلهِ لانك لست محتاجاً ان تتعلم فنَّ الكتابة، إذ هو محفوظ في ذهنك وصور الحروف كلها مرسومة في لوح ذاكرتك فليس عليك سوى ان تمرّن يدك اليسرى على حركات رسم الحروف بضع دقائق كل يوم، مدة اسبوع وانا الضامن لك انك تجدها مطواعة لك في كتابة ما تشاء »

ثم أفاض في توطيد رأيهِ بالادلة العقلية . واتفق ان سلفي المرحوم العلامة الدكتور يعقوب صرُّوف كان حاضراً وسمع كلَّ ما قالهُ الدكتور شقير فوافق عليهِ كلَّ الموافقة وايّدهُ بالاستشهاد بالجنرال غورو الذي بعد ما قطعت يمناهُ مرَّن يسراهُ على الكتابة واقترن تمرينهُ لها بالنجاح . وحينئذٍ لم يسعني الاَّ ان أعنى بتمرين يدي اليسرى . وبعد ايام قليلة لاحت تباشير النجاح . وفي بضعة اسابيع صار هلال هذا النجاح بدراً كاملاً !

وقد مضى عليَّ الآن اربع سنوات ازاول فيها الكتابة بيدي اليسرى، بما لا مزيد عليهِ من الراحة والسهولة والاتقان، مثنياً على ذكاء الدكتور شقير وبراعتهِ، ومعجباً باصالة رأيهِ وصواب مشورتهِ . وعارفاً لهُ جميلاً ، إن قصَّر عن شكرهِ لساني فلن يقصّر عن الشعور بهِ جناني

الاستقلال الشخصي وحطة النوم على الضيم وضرورة التعاون والتكاتف على تحقيق مطالب العمران العليا

اصل الانواع

تأليف شارلس دارون — ترجمة اسماعيل مظهر بك — طبع بدار العصور بمصر

سئل المستر ولز الكاتب الانكليزي الشهير ان يذكر المؤلفات العشرة التي يحسبها أعظم المؤلفات في التاريخ فجعل كتاب دارون في أصل الانواع وكتابهُ في تسلسل الانسان بينها. ومما لا ريب فيه ان كتاب أصل الانواع الذي نشر سنة ١٨٥٩ كان فاتحة عصر جديد في الفلسفة والعلم والاجتماع

فتغيُّر الرأي في النظر الى اصل الانسان وتسلسل المخلوقات وارتقائها من عجائب القرن التاسع عشر . وقد اشار الى ذلك العالم الانكليزي المشهور السر ارثر كيث في قولهِ «من كان يظن ان كتاب اصل الانواع حين ظهورهِ سيحدث ثورة كاملة في نظرنا الى الاحياء ويكون فاتحة عصر جديد في اساليب التفكير — ندعوهُ بحق العهد الداروني — ونحن لا نزال في غمراتهِ الى الآن»

فكتاب كهذا الكتاب وهو في الحقيقة خزانة حافلة بالحقائق العلمية والملاحظات الدقيقة والآراء الفلسفية واساليب التفكير المبني على الاستقراء والتحفظ من الخطأ — دع عنك أثرهُ وشهرتهُ — يجب الاَّ تحرم منهُ لغة قوم يريدون ان يسيروا في موكب الحضارة الى الامام

ويسرّنا ان قد تصدّى لهُ صديقنا الاستاذ اسماعيل مظهر بك فترجمهُ منذ بضع سنوات ونشر فصولهُ الخمسة الاولى ، وهي الفصول التي تحتوي على لب الموضوع . وقد عاد في الصيف الماضي الى اعادة طبع الكتاب في خمسة اجزاء وقد انجز الجزء الاول فصدرهُ بمقدمتين الاولى وصف فيها وصفاً بليغاً كيف صحت عزيمتهُ على ترجمتهِ والثانية تناول فيها سيرة شارلس دارون مؤلف الكتاب ثم لخص المذاهب القديمة في النشوء واثر تقلب الاحوال الخارجية في الاحياء . ومذاهب النشوء عند العرب وما الى ذلك من المباحث العقلية الخطيرة . وقد ذيل الجزء الاول بذيل مسهب شرح فيهِ المصطلحات العلمية على اختلافها وترجم العلماء الذين ذكروا في المتن . ويقيننا انهُ متى تمَّ طبع الكتاب على هذا النسق جاء كنزاً علميًّا لا يقدَّر بمال . فنثني على همة مترجمهِ ثناءً عظيماً ونرجو ان يلقى من التأييد ما يخفف عنهُ أعباء عمل علمي شاق كهذا

تاريخ الادب العربي

بقلم الاستاذ احمد حسن الزيات — مدير التعليم العربي بجامعة القاهرة الاميركية. صفحاته ٤٠٠ صفحة قطع المقتطف — طبع بمطبعة الاعتماد بمصر — طبعة رابعة منقحة

أدب كل أمة هو تاريخها النفسي ، هو صورة لحياتها الحقيقية ، هو تعبير عما يجول في صدور أبنائها من الافكار وما يختلج في نفوسهم من الآمال والرغبات. لذلك كان درس تاريخ الادب مكملاً لا مندوحة عنهُ لدرس التاريخ العام . فني هذا نطلع على تاريخ الحروب والثورات وانثلال العروش ونشوء أنواع الحكم على اختلاف العوامل السياسية والاقتصادية والفكرية التي تتضافر على احداثها . وفي ذلك نرى في الروايات والقصص وصفاً لحياة الشعب كما هي ، ما يجول في عقول أبنائهِ على اختلاف طبقاتهم من المعاني — أهم قانعون بنظام الحكم المفروض عليهم ؟ وهل لحرية الفكر والقول والعمل مقام ما في نظام معيشتهم؟ هل تأخذهم فلسفة العمل الجديدة فيندفعون في تيار الحضارة لا يلوون على مُثُل عليا كانت تتصباهم ؟ هل هم شديدو الغيرة من الاجانب ، وما هو موقفهم ازاء التغيُّر في نظام الاخلاق ؟ هل يرون شرًّا عظيماً في انحلال نظام العائلة وتكاثر حوادث الطلاق ؟ اما ملابسهم، واما بيوتهم، واما آدابهم في الحديث والزيارة والاكل وآراؤهم في الزواج والدين والاولاد والحب وغير ذلك فصور واضحة لا بدَّ ان تقع عليها في كل أدبٍ راقٍ . لذلك نقول ان درس التاريخ لا يكفي ان لم يقرن بهِ درس الادب . ودرس الأدب اذا نظر اليهِ هذه النظرة درس خطير لا يكتفى فيهِ بسرد أسماء الكتاب وتبويب أساليبهم وذكر مؤلفاتهم والاطلاع على نبذٍ من شعرهم او نثرهم . على ان معرفة هذه الحقائق لا بدَّ منها كمقدمة لدرس الادب في صميمهِ . وعندنا ان كتاب الاستاذ الزيات من أصلح الكتب كمدخل الى الادب العربي في معناه الاصيل

فهو كتاب مدرسيٌ لم نرَ كتاباً مدرسيًّا يفوقهُ ترتيباً وحسن نظام وايجازاً في سرد الحقائق وبلاغة في ارسالها . وطبعهُ طبعة رابعة أكبر دليل على ما لهُ من المكانة العالية في المدارس التي تعنى بتدريس تاريخ الادب العربي

على انا نتمنى على الاستاذ الزيات ان يكبَّ على وضع كتاب في الادب العربي لا يكون تتابع الاسماء فيهِ الاَّ هيكلاً لحمهُ ودمهُ تلك التيارات النفسية التي تجتاح النفس العربية والعقل العربي في الجزيرة ومصر والشام والعراق والمغرب والاندلس في مختلف العصور . ونحن على يقين ان الاستاذ اهلٌ للاضطلاع بهذا العمل المفيد

أشار فيهِ الى «البعد الرابع» اي «الزمن» وهو من الاركان التي تقوم عليها نظرية اينشتين . غير ان اشارة ولز ليست سوى خطرة روائي مبدع تعوَّد ان يتصوَّر الاشياء تصوُّراً غريباً . ولكن اينشتين على ما نعلم هو اول من قال بنظرية النسبية والَّف بين اجزائها . على ان نظريتهُ مبنية على تجربة مشهورة لدى علماء الطبيعة تعرف بتجربة ميكلصن ومورلي وفيها حاول العالمان اولاً — وميكلصن وحده بعد وفاة مورلي — ان يثبتا حركة الارض في بحر الاثير الذي تسبح فيهِ فلم يفلحا على غير ما كان ينتظر . فاضطر العلماء ان يقولوا — بانين قولهم على هذه التجارب — انهُ لا يمكن الشعور بالاثير باية آلة من صنع الانسان . فلماذا نفرض اذاً وجود شيء نبني عليهِ كلَّ فروضنا العلمية من غير ان نستطيع ادراكهُ على الاطلاق ولماذا لا نقول بان الاثير غير موجود ؟

فجاء اينشتين وبنى نظريتهُ على نتائج هذه التجارب ومن اركانها تعليل الظاهرات الطبيعية من غير ان يفرض وجود الاثير

ومع ذلك يجب الاَّ يغمط حق العلماء الذين مهدوا لمذهبهِ بمباحثهم الرياضية الدقيقة مثل لورنتز ولارمور وفتزجرلد وغيرهم

(٣) بقاء النسبية

ومنهُ . هل لنظرية النسبية من القوة ما يمكنها من ان تكون اساساً للعلوم الحاضرة اقوى من الاساس الذي سار عليهِ العلم مدة وجيزة ؟

ج . الفروض العلمية تبقى سائدة ما زال منها فائدة للعلماء اي ما زال العلماء قادرين ان يعللوا بها ظواهر طبيعية لا يستطيعون تعليلها باي فرض علميّ آخر . لذلك لا نستطيع ان نعرف الزمن الذي يبقى فيهِ مذهب اينشتين مسيطراً على اصول العلم . ولكن مما لا ريب فيهِ انهُ يعلّل كثيراً من الامور التي لم يكن تعليلها مستطاعاً بالمذاهب القديمة كالاضطراب في حركة عطارد وتفرق النور . واكثر عناصر هذا المذهب الجديد قد امتحن امتحاناً علميًّا فايَّدهُ الامتحان . من كان يقول منذ خمسين سنة ان نظرنا الى الكون المبني على مباحث كوبرنيكس وغليليو ونيوتن سيتغير كما تغيَّر الآن ؟ بل من كان يقول قبل ظهور كوبرنيكس وغليليو ان آراءهما ستغيّر الآراء الفلكية السائدة قبل مجيئهما . كذلك لا ندري الى متى يبقى مذهب اينشتين كافياً لتعليل الظواهر التي قد يكشف عنها العلماء في المستقبل

(٤) حدود الكون

ومنهُ : الرأي الحاضر المجمع عليهِ تقريباً يقول بان « لانهاية للكون » والاستاذ اينشتين يحدده — وذلك كما جاء في الجزء السابع من المقتطف سنة ١٩٢٨ في الاخبار العلمية — فكيف توفقون بين رأيهِ والرأي السابق

ج . راجعنا باب الاخبار العلمية في جزء يوليو سنة ١٩٢٨ وهو الجزء السابع الذي صدر هذه السنة فلم نجد فيهِ الاشارة الى رأي اينشتين التي تذكرونها في سؤالكم.

بيد ان اينشتين يقول ان الفضاء ينتهي ولكنهُ غير محدود . ذلك ان رأيهُ في الفضاء يختلف عن الآراء السابقة فيهِ . فهو يرى ان الفضاء كرويّ فاذا ارسلت شعاعة نور من كوكب في احد اطرافهِ سارت الشعاعة في خط مستقيم ظاهراً — لسعة الكون وتعذر رؤية الانحناء في خطوط قصيرة تخترقهُ — وتبقى سائرة حتى تعود الى الكوكب الذي صدرت منهُ . فالكون من هذا القبيل ينتهي . ولكنهُ غير محدود بمعنى انهُ اذا امتطى انسان متن هذه الشعاعة وسار عليها في الفضاء لم يصل الى مكان يرى فيهِ لوحة كتب عليها « هنا حدُّ الكون ولا كون وراءهُ » فالكون من هذا القبيل غير محدود

ونرجو ان تعذروا ما قد يتسرب الى هذه الاجوبة من عدم التدقيق العلمي التام لانهُ لا مندوحة عن ذلك في بسط مذهب علمي يقوم على ادق القواعد الرياضية واعقدها

(٥) مبادىء مذهب اينشتين

ومنهُ . هل لكم ان تذكروا لنا شيئاً عن اهم ما جاء في نظرية اينشتين وتاريخها وشيئاً عن تاريخ هذا العالم خدمة للعلم والحقيقة

ج . لا يتسع باب المسائل للجواب عن هذا السؤال . انما بدأنا من مدة نجمع المواد لكتابة مقالة في مذهب النسبية تمكن القراء من الاطلاع على صورة اجمالية لهُ . ونأمل ان نفرغ منها قريباً فننشرها في اول فرصة . اما سيرة اينشتين فقد لخصناها في باب المسائل ص ١٠٨ من مقتطف يوليو ١٩٢٨

(٦) الشعر في الانف

الاسكندرية . في السنة الاخيرة كثر الشعر في انفي وبدأ الآن يظهر فما هي افضل طريقة لازالة لون الشعر حتى لا يظهر . وهل هناك خطر اذا ازيلت هذه الشعيرات بابرة كهربائية او قلعت نتفاً

ج . هذه الشعيرات الدقيقة تصفي الهواء الذي تتنفسهُ من الانف وتمنع وصول ذرات الغبار الى باطن الانف فالاقلال من التلاعب بها قاعدة صحية تجب مراعاتها مراعاة دقيقة وقلع هذه الشعيرات نتفاً مضرٌ ضررين الاول انها تعود الى النمو فتكون اثخن واقسى والثاني ان بصيلات الشعر قد تلتهب فتسبب المأ شديداً وقد ينجم عنها ضرر كبير . فقصُّها اقل خطراً من غيرهِ على شرط ان يكون المقص حاداً . اما في قصرها (اي ازالة لونها) فنفضل استعمال اكسيد الهدروجين الثاني (او اكسيجينه)

باب الاخبار العلمية

العلم في العام الماضي

تتمة ما نشر صفحة ١٤

﴿ الطبيعيات ﴾ (١) تأيُّد مباحث ملكن في الاشعة الكونية وذهابهُ الى ان مصدرها تكوُّن العناصر المركبة من دقائق الكهربائية او من دقائق العناصر البسيطة في السدم اللولبية (٢) توفق الاساتذة تيبو وهنت واوسبرن وهوج كلٌّ على حدة، الى اكتشاف اشعة مكانها في الطيف بين الاشعة التي فوق البنفسجي واشعة اكس . وكانت الهوة بين هذه النوعين من الاشعة خالية الى الآن من اشعة معروفة

﴿ الارتياد ﴾ (١) فاجعة البلون ايطاليا ونجاة قائدهِ ورجالهِ وفقد امندصن الرحالة النروجي الشهير (٢) طيران ولكنز وايلسن بطيارة من الاسكا الى سبتسبرجن (٣) وكلا الرحلتين اثبت عدم وجود ارض في الاصقاع المتجمدة الشمالية (٤) قيام بعثتين جويَّتين الى القطب الجنوبي لارتيادهِ عن طريق الجو وهما بعثة الكومندر برد وبعثة السر جورج ولكنز

﴿ الظواهر الجوية ﴾ (١) اجتماع علماء الظواهر الجوية من بلدان اميركا واوربا في باريس في شهر مايو والغاية من هذا الاجتماع اعداد المعدات لتنظيم مكتب دولي لجمع أنباء الجوّ من البواخر في عرض البحر واذاعتها لاسلكيًا لتستعملها البواخر والطيارات التي في حاجة اليها . وهذا العمل كان مرمى علماء الظواهر الجوية الاعلى منذ خمسين سنة الى الآن

﴿ الطب ﴾ (١) كان البحث في انواع الفيتامين واستفرادها والخطر الناتج عن زيادتها في الجسم وخصوصاً فيتامين (ه) وعلاقتهِ بالعقم في مقدمة المباحث الطبية التي عالجها العلماء (٢) ثبت انهُ يمكن نقل عدوى الحمى الصفراء الى نوع من انواع القردة الافريقية وبذلك تسنى للاطباء ان يجربوا تجاربهم في القردة بدلاً من تجريبها في الناس وتعريضهم لخطر الموت بها اثباتاً لرأي طبيّ او نفياً لهُ (٣) ثبت لطائفة من الباحثين في جامعة وسكنصن ان لمقدار النحاس في الجسم مقاما كبيراً في تكوين الدم. وقد كان الرأي الشائع حتى الآن ان الاملاح الحديدية هي المواد الرئيسية اللازمة للدم . (٤) تمَّ لبعض الجراحين ازالة نصف المخ من غير ان يموت المريض. (٥) اثبات فائدة الكبد النيء في معالجة الانيميا الخبيثة

﴿ الهندسة الكهربائية ﴾ (١) التقدم الكبير في اتقان التلفزة اي الرؤية عن بعد وتجربة ذلك بين اوربا واميركا ونجاح التجربة نجاحاً لا بأس بهِ . (٢) التوسع في استعمال الانابيب المفرغة للتحكم بسير الطيارات والسفن من بعيد . (٣) صنع آلات كالاحياء كآلة التلفكس التي تسمع الاوامر بالتلفون وتنفذها والآلة الهندسية التي تحسب حسابات رياضية معقدة يستغرق حلها اياماً . (٤) اتقان المنائر التي تنير انواراً تخترق الضباب باستعمال غاز النيون (٥) درس البرق درساً علمياً منتظماً ومحاولة التقاط القوة الكهربائية التي تتولد من شرارته واستخدامها

اول صانع للطيارات

اشرنا قبلاً الى خلاف عنيف قام بين المستر اورفيل ريط احد الاخوين ريط اللذين استنبطا الطيارة ومديري المعهد السمثصوني الاميركي على نصيب الاستاذ لنغلي في استنباط الطيارة الاولى وهل كانت طيارتهُ اول طائرة اثقل من الهواء صنعها الانسان وتمكن من ان يحلق بها في الجوّ فتثبت فيهِ وتتحرك بقوة محركها . ذلك ان مديري المعهد السمثصوني رمموا طيارة كان قد صنعها الاستاذ لنغلي وعرضوها في متحف المعهد بعد ما كتبوا على لوحة علقت بها انها طيارة لنغلي الاصلية وانها اول طيارة حلّق بها الانسان في الجوّ فلبثت فيهِ وسارت بقوة محركها. فاحتجّ على ذلك المستر اورفيل ريط وارسل الطيارة الاصلية التي استنبطها مع اخيهِ ولبر وطار بها في ١٧ دسمبر ١٩٠٣ الى المتحف العلمي بسوث كنسنجتون بلندن بدلاً من ان يعرضها في المتحف السمثصوني في عاصمة بلادهِ

فعهدت ادارة هذا المعهد الى لجنة من الخبراء في تحقيق دعوى المستر ريط وقد قرأنا الآن في نانشر ان مدير المعهد ـ الاستاذ أبُت ـ نشر رسالة اعترف فيها بخطاءِ المعهد ولذلك غيّرت اللوحة التي علقت على طيارة لنغلي فصارت كما يأتي « طيارة الاستاذ لنغلي التي صنعها سنة ١٩٠٣ بعد ترميمها » . ووجه دعوة جديدة الى المستر اورفيل ريط ليهب طيارتهُ التي في لندن الى المتحف السمثصوني بعد ما قرّرت اللجنة المنتدبة للبحث انهُ واخوهُ كانا اول من طار بطائرة أثقل من الهواء تسير بقوة محركها ويمكن التحكم بها في سيرها

رسائل الارواح

عنيت جريدة الديلي نيوز الانكليزية بنشر سلسلة من المقالات لنفر من اشهر كتاب الانكليز رغبت اليهم في ان يجيبوا فيها عن اسئلة ثلاثة . الاول هل تأيدت دعاوي الروحانيين او لم تتأيد وهل ينتظر

ان تتأيد او تنفى ؟ الثاني ما هي الادلة التي بنى عليها الكاتب جوابهُ . الثالث هل ممارسة مخاطبة الارواح تضر بجسم الذي يمارسها ؟ ومن الكتاب الذين نشرت رسائلهم السر اوليفر لدج . على انهُ لم يجب عن هذه المسائل اجابة صريحة بل اكتفى بتفنيد المذهب المادي في النظر الى الحياة وختمها بقولهِ بان الادلة على الحياة بعد الموت ازدادت كثيراً في السنين الاخيرة وانها على ازدياد متواصل. واجاب المستر روبرتسون J. M. Robertson ان تاريخ الخمسين السنة الاخيرة لم يثبت بدليل علمي امكان التحكم بالاجسام المادية بطريقة روحانية ولا امكان مخاطبة الاموات للاحياء

المستشرقون والمطبوعات العربية

جاءنا من المستر ارثر جفري الاستاذ بمدرسة اللغات الشرقية في جامعة القاهرة الاميركية انهُ كان حديثاً في اميركا واوربا وزار كليات العلوم ودور الكتب المشهورة بها والتقى بكثيرين من العلماء المستشرقين فأعربوا له عن أسفهم على عدم وصول معلومات كافية اليهم في الوقت المناسب عن المطبوعات العربية التي تنشرها مطابع مصر. وقد بحث معهُ الدكتور ستوك هورغوني المستشرق في أيسر طريقة للوقوف على أخبار صدور هذه المطبوعات في حينها لأن العلماء يحبون ان يقتنوها ولا سيما الكتب الخاصة بعلوم التاريخ والتفسير والفقه والتصوف

ثم قال ان هذه المسألة ذات ركنين الاول جمع المعلومات عن الكتب العربية التي تصدر والثاني نشر هذه المعلومات للراغبين فيها . وقد وجد حلاًّ للركن الثاني اذ ظهرت في لندن حديثاً مجلة شهرية اسمها «آسياتكه» اتفق مع محررها على ان ينشر بها ما يرسله اليهِ من المعلومات عن الكتب التي تطبع. فبقي الركن الاول وهو مستعد ان يجمع تلك المعلومات ويرتبها على النظام المطلوب اذا رضي ناشرو الكتب العربية ان يرسلوا عينات مطبوعاتهم الى مكتبتهِ في مدرسة اللغات الشرقية في جامعة القاهرة الاميركية. وأهم ما يعنى بهِ المستشرقون من الكتب هو كتب الفنون الاسلامية والعلوم الشرقية وتاريخها وهم لا يعنون طبعاً بالكتب التي تترجم من اللغات الاوروبية ولا بالروايات ولا بمختصرات العلوم الحديثة

جائزة نوبل الطبية

نشرنا في مكان آخر من هذا الجزء صورة الدكتور شارل نيكول مدير معهد باستور في تونس الذي فاز هذه السنة بجائزة نوبل الطبية جزاء لهُ على مباحثهِ في حمى التيفوس التي أبان بها ان في الامكان نقل عدوى التيفوس من البشر الى الشمبانزي

ومنهُ الى القردة من المراتب الدنيا ، وانهُ يمكن نقل العدوى كذلك الى الخنازير الهندية ولكن أعراض العدوى فيها لا تكون حادة . وهو الذي اثبت ان القمل ينقل مكروب هذه الحمى وخصوصاً النوع المعروف علميًّا « بريكيولوس قستمنتي » وان البراغيث والبق والبعوض لا تنقل هذا المكروب. ثم اثبت ان حقن الاصحاء بمصل دم الناقهين من هذه الحمى يمنح الاصحاء مناعة فعالة ولكنها غير دائمة. وهو مع الاستاذ كونسي Conseil اول من اثبت ان مصل دم الناقهين من الحصبة يساعد الاصحاء المعرضين لها على اتقائها

التلفزة الملونة

التلفزة هي الكلمة التي عربنا بها لفظ تلفيزيون الفرنسوي ومعناهُ الرؤية عن بعد. وقد اخترنا هذه اللفظة المعربة لسهولة جريها على الاوزان العربية . فالاسم تلفزة والفعل تلفز والآلة تلفاز وهلمَّ جرًّا

ولا يخفى على قرّاء المقتطف ان تصوير الاجسام بالوانها الطبيعية صار ممكناً على ما بيناهُ في باب الاخبار العلمية من جزء دسمبر الماضي. لذلك عني المستر بايرد ابعد المشتغلين بالتلفزة نجاحاً باستنباط طريقة تمكنهُ من تلفزة الاجسام بألوانها الطبيعية وقد فاز بما اراد. ذلك انهُ يستعمل مصفاة لونية كالمصفاة المستعملة في التصوير الملوّن مقسمة الى ثلاثة اقسام احدها اخضر والثاني احمر والثالث ازرق فتمرُّ امام عين المشاهد على اللوح ثلاثة صور للجسم المتلفَز احداها خضراء والثانية حمراء والثالثة زرقاء ولكن سرعة تتابعها تمنع العين من رؤية كل لون على حدة فترى صورة فيها الالوان متحدة او بالحري كأنها مغمورة بنور الشمس المركب من كل الالوان

ارشاد البواخر باللاسلكي

جُهّزت باخرة كبيرة في المانيا تدعى « تزيهرنغن » محمولها ١١ الف طن بادوات لاسلكية تمكن اصحابها من ادارتها لاسلكيًّا وهي في عرض البحر . ثم أُرسلت الى عرض البحر من غير بحّار واحد على متنها ومن غير ان يكون بينها وبين اليابسة اتصال ما الاّ بالامواج اللاسلكية وكانت تصدر اليها الاوامر اللاسلكية من اليابسة فتنفذها . فكانت تسير وتقف وتسرع وتبطئ وتدور على وفق الاوامر اللاسلكية الصادرة اليها .وزيادة عن ذلك كان بامكان مديريها ان يطفئوا ناراً تشبُّ فيها باستعمال مطافئ تدار باللاسلكية وهذا من غرائب الصناعة . وقد جرّبت امثال هذه التجارب قبلاً في البواخر والطيارات فنجحت ولكننا لم نقرأ ان التجربة جربت في باخرة هذا حجمها ومحمولها

اكبر التلسكوبات

وهب مجلس التعليم الدولي معهد كاليفورنيا الصناعي بپازادينا — حيث يقوم الاستاذ ملكن بمباحثهِ الخطيرة في الاشعة الكونية — هبة مالية كبيرة لبناء تلسكوب يكون قطر مرآتهِ مائتا بوصة اي مضاعف قطر المرآة في اكبر تلسكوب بني حتى الآن وهو تلسكوب جبل ولسن الذي قطر مرآتهِ مائة بوصة. فتى تمَّ ينتظر ان يصل بهِ العلماء الى تصوير خمسمائة مليون نجمة لم يستطيعوا ان يصوّروها حتى الآن لضعف التلسكوبات المستعملة

وكان يعترض على التلسكوبات العاكسة بان الحرارة تفعل بمراياها فتتقلص او تتمدد بحسب هبوط الحرارة او ارتفاعها فاذا تقلصت المرآة او تمددت مهما يكن تقلصها او تمددها قليلاً شوهت صور المرئيات التي ترسمها. لذلك يرى القائمون على بناء التلسكوب الجديد ان يحلّوا هذه المشكلة بجعل مرآة التلسكوب المنوي صنعهُ من الكوارتز المصهور وهواقل انفعالاً بتقلبات الحرارة من الزجاج العادي

الاستاذ تشمبرلين واصل السيارات

في ١٥ نوفمبر الماضي توفي الاستاذ تشمبرلين الاميركي استاذ الجيولوجيا المتقاعد في جامعة شيكاغو في الخامسة والثمانين من عمرهِ. وهو من اكبر العلماء الذين انجبتهم اميركا واشهر ما يذكر بهِ رأيهِ في تكون السيارات من السديم الشمسي الذي يلخص فيما يلي: ان شمسنا كانت في سالف عصرها قائمة بذاتها خالية من السيارات ثم مرَّت شمس اخرى على مقربة منها فتجاذبت الشمسان وحدث مدٌّ شديد في مادة كلٍّ منهما عن جانبيها فخرجت من جانبي شمسنا مادة تساوي جزءا من سبعمائة جزء من جرمها وكان من المحتمل ان تعود اليها بعد ابتعاد الشمس الاخرى عنها ولكن تلك الشمس لم تكتف بجذب هذه المادة ونزعها من شمسنا بل دفعتها بجاذبيتها في الفضاء فصارت تحت سلطة قوتين قوة جذب الشمس الاولى لها لارجاعها اليها وقوة دفع الشمس الاخرى لها في الفضاء فسارت بين هاتين القوتين اي دارت حول الشمس كما تدور اذرع السديم اللولبي حولهُ ثم تجمعت دقائقها وتكونت منها السيارات واقمارها. وقد اطلق على هذا المذهب اسم المذهب المدّي لان انفصال السيارات عن الشمس كان على اسلوب يشبه المدّ

مكتشفات اثرية هامة

ادى استئناف اعمال الحفر التي تباشرها مصلحة الآثار بسقارة (جنوب القاهرة) الى اكتشاف غير منتظر فقد عثر فوق حفرة كبيرة مغمورة بالرمال وبعيدة عن

الابنية على جملة تماثيل حجرية مكدسة بعضها فوق بعض تمثل آلهة غير مصرية تدلُّ ازياؤها وحركاتها على انهُ يحتمل كثيراً ان تكون آلهة سورية غير ان صنعها يدل بعكس ذلك على انها من عمل حفار مصري من العهد الفارسي او من عهد البطالسة . واكبر تلك التماثيل تمثال امرأة ممتلئة الجسم وهي جالسة يعلو رأسها تاج مرتفع. أما التماثيل الاخرى فانها تمثل رجلاً مرتدياً ثوباً من الثياب الكلدانية وامرأة وكلاهما واقف جامداً و باسطاً ذراعيهِ الى الامام ثم رأس رجل ذي لحية طويلة يظهر انهُ كان رأس ثور ذي اجنحة

ولما كانت صور آلهة اسيا في الشرق الادنى نادرة للغاية فان قيمة هذه المجموعة عظيمة الشأن وهي في الوقت نفسهِ تذكار نفيس لاحدى الجاليات الاجنبية العديدة في منفيس في العصور المتأخرة والتي لا يعرف سوى النزر القليل عنها

واكتشفت مصلحة الآثار التاريخية بسقارة رأس تمثال جسم من الجرانيت الاحمر لاحد ملوك الاسرة الخامسة وقد حصل هذا الاكتشاف في اثناء الحفائر التي عملت في الجهة الجنوبية من الهرم الذي يظن انهُ هرم الملك اسيسا المعروف باسم « الهرم الخربش »

ومن المحتمل كثيراً ان يكون هذا الرأس رأس الملك اوسركاف اول فراعنة الاسرة الخامسة لانهُ قد وجد بالقرب من ذلك المكان جملة قطع لتماثيل اخرى ونقوش بارزة من معابد منقوش عليها خرطوش (خاتم) هذا الملك

وهذا الراس محفوظ في حالة جيدة وهو من اجمل ما اخرجهُ الصناع في الدول القديمة واكبر راس عرف حتى الآن بعد راس ابي الهول من تلك الدولة ولا يعرف حتى الآن من مخلفات الاسرة الخامسة تمثال لاحد ملوك هذه الاسرة

العلم والحكومة

القى العالم البيولوجي الانكليزي الاستاذ هلداين خطبة ضافية في الجمعية الفابية في ٢٥ اكتوبر الماضي جعل عنوانها « العلم والحضارة الغربية » طلب فيها ادخال الطرق العلمية في معالجة شؤون الدولة ومما قاله فيها انهُ يطيب خاطراً اذا رأى في الوزارة الانكليزية عضواً واحداً تساوي معارفهُ العلمية معارف طالب في الفرقة الثانية من قسم التاريخ الطبيعي بجامعة كمبردج. ومثل على ذلك بقولهِ ان قانون الضرائب على السيارات لا يمكن ان يضعهُ الا مجنون

النتروجين والذهب

يبلغ الآن ثمن رطل من غاز النتروجين نحو سبعة غروش صاغ اما ثمن رطل من

الذهب فلا يقل عن مائتين وخمسين جنيهاً.
ومع ذلك يقول الاستاذ باينس وكيل اتحاد زراعي اميركي كبير في الجمعية الكيماوية الاميركية ان ثروة كل امة لا تلبث ان تقاس بمقدار ما تستعمله من نتروجين هوائها لا بمقدار ما في خزائنها من الذهب الابريز. لأن اربعة اخماس الهواء الذي تتنفسه ويحيط بنا من هذا الغاز المجرد عن اللون والرائحة الميّال الى العزلة اي الى عدم الاتحاد بغيره من العناصر. ولكنه مع ذلك من الزم العناصر في صناعات الاسمدة والمفرقعات. فمستقبل العالم يتوقف على مبلغ نجاحنا في اخراجه من عزلته وحمله على الاتحاد بالعناصر الاخرى لصنع الاسمدة. ولولا ذلك لصحت نبوءة السر وليم كروكس العالم الانكليزي الذي ذهب الى انهُ اذا لم يفز العلماء بصنع الاسمدة الصناعية بتثبيت نتروجين الهواء حلّت مجاعة عامة بعدما تنفد مصادر نترات شيلي

وقد اشار الى هذا الموضوع كلٌّ من الاستاذ حبيب اسكندر في نهاية خطبته في هذا العدد ص ٢٤٠ وثابت افندي ثابت في ما ذكرهُ عن الاستاذ هابر الالماني في باب الزراعة ص ٩٢

مطلب الجمهور في الصحف

يؤخذ من تحليل الصحف الانكليزية الكبيرة ان الانباء التجارية تشغل اكبر جانب من الصحف التي تناولها البحث في لندن مما يدلّ على عناية الجمهور الانكليزي بالشؤون التجارية والمالية لان الصحف تنشر لقرائها ما يهمهم. ويلي ذلك الشؤون السياسية فانباء الالعاب الرياضية على اختلافها فالمسائل العقلية فالفنية فالعلمية فالاخبار المثيرة للاهتمام بغرابتها كالجرائم وما اليها فامور الدين

اكرام العلماء

منحت الجمعية الملكية الانكليزية المدالية الملكية لكل من الاستاذ ادنغتون استاذ الفلك في جامعة كمبردج لمباحثهِ الخطيرة في علم الفلك الطبيعي «استروفزكس» وللاستاذ بروم لمكتشفاتهِ التي تجلو بعض الجلاء اصل الحيوانات الثديية. ومنحت مدالية كوبلي للسر تشارلز بارسنز لما أفاد بهِ علم الهندسة ومدالية رمفرد للاستاذ باشن لمكتشفاتهِ في الحل الطيفي ومدالية دايفي للاستاذ دونان لمباحثهِ في الكيمياء الطبيعية

جائزة نوبل للكيمياء

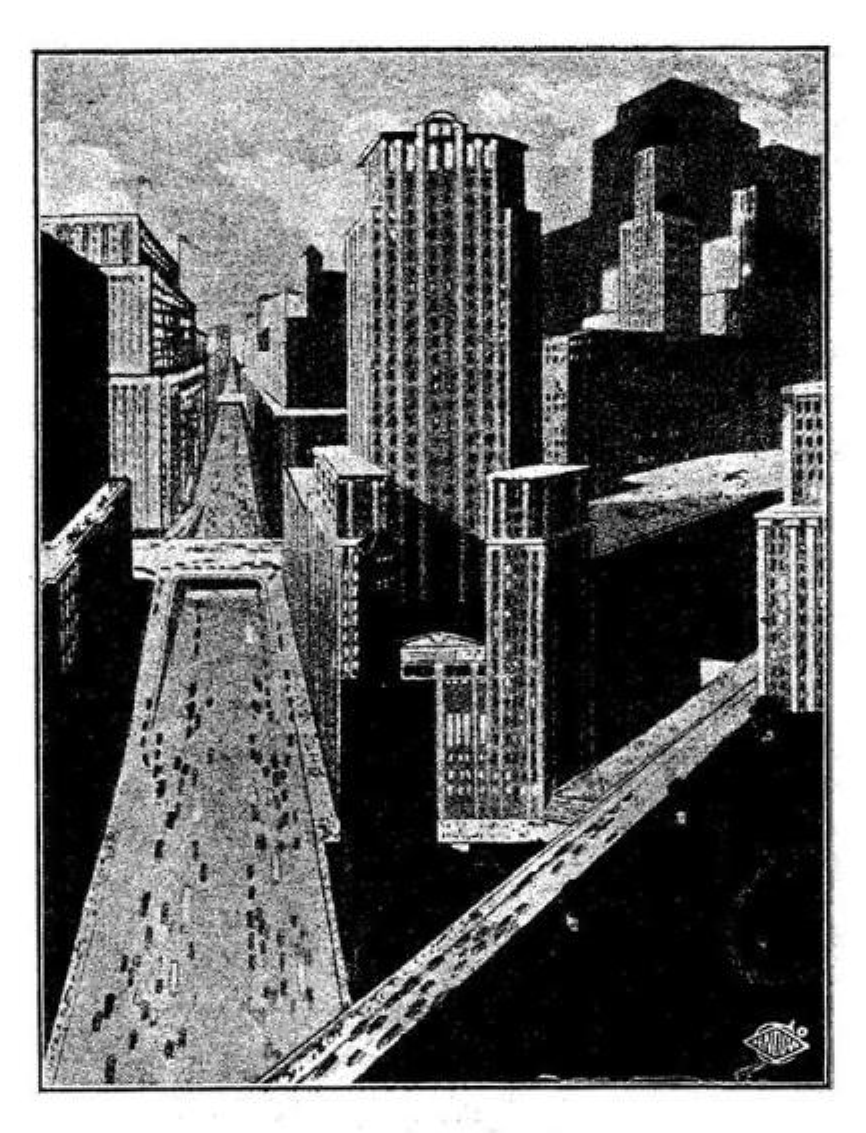
منحت جائزة نوبل للكيمياء عن سنة ١٩٢٧ للاستاذ ڤيلند من اساتذة جامعة مونيخ لمباحثهِ في حوامض الصفراء وعن سنة ١٩٢٨ للاستاذ ڤندوس من اساتذة جامعة غوتنجن لمباحثهِ في مواد تدعى «الستيرين» وعلاقتها بالفيتامين



وجه مريم المجدلية
كما تصوَّرهُ ورسمهُ جبران خليل جبران في كتابهِ الجديد
« يسوع ابن الانسان »

انظر الصفحة ٩

مقتطف يناير ١٩٢٩



نظرة الى مدينة المستقبل

أليس في هذه المباني فنٌّ أكثر انطباقاً على حضارة العصر من فنون القرون الوسطى ؟

مقتطف يناير ١٩٢٩

امام الصفحة ١٩



الغازي مصطفى كمال باشا

مقتطف يناير ١٩٢٩

امام الصفحة ٦٥



نائلو جائزة نوبل

الاستاذ برغسن الفرنسي
فاز بجائزة الاداب عن سنة ١٩٢٧

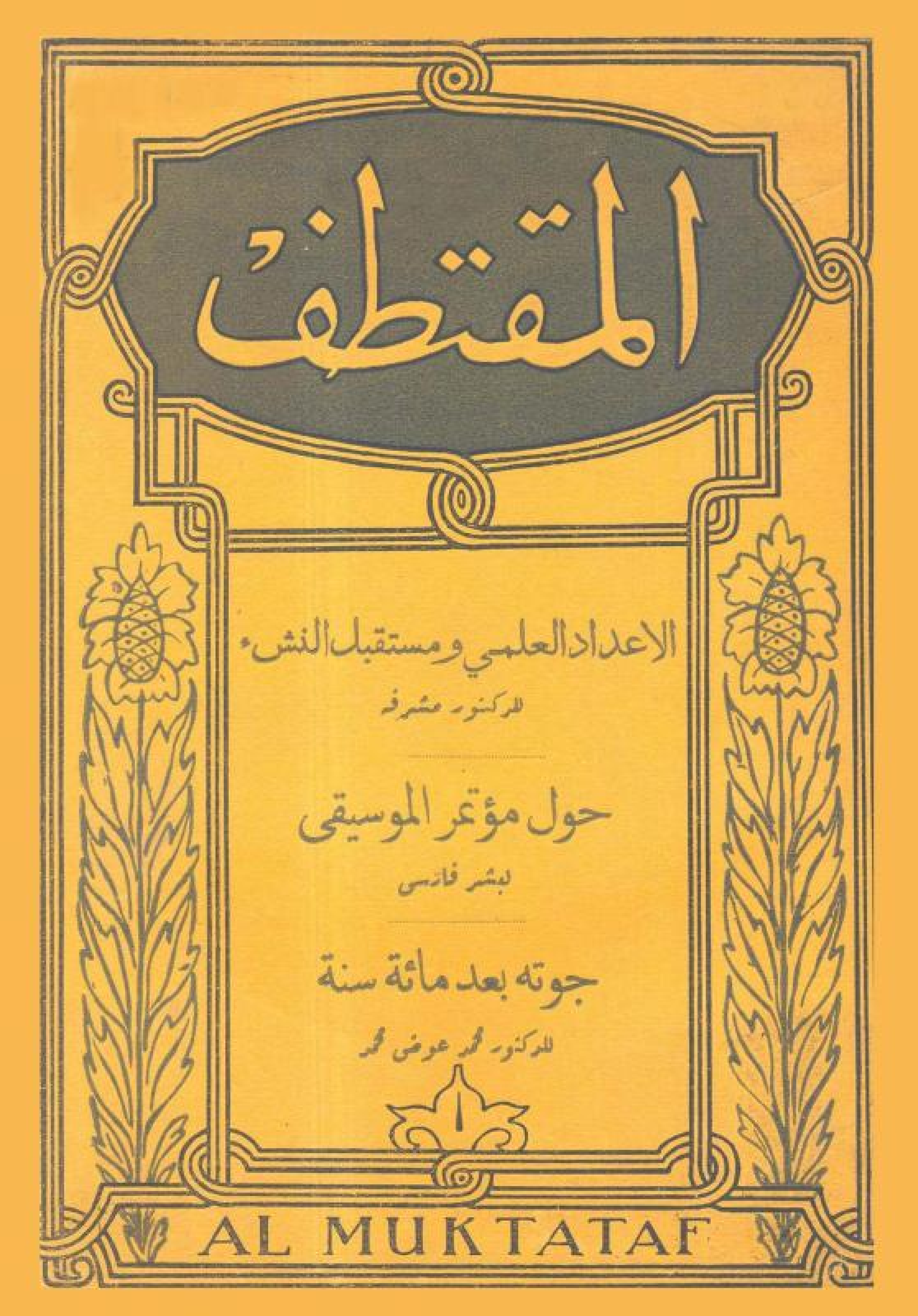
سيغريد اوندست النروجية
فاز بجائزة الاداب عن سنة ١٩٢٨

الاستاذ شارل نيكول
فاز بجائزة نوبل للطب

مقتطف يناير ١٩٢٩
امام الصفحة ٨٣

الجزء الاول من المجلد الرابع والسبعين

صفحة


المقتطف
الاعداد العلمي ومستقبل النشء
للدكتور مشرفة
حول مؤتمر الموسيقى
لبشر فارس
جوته بعد مائة سنة
للدكتور محمد عوض محمد
AL MUKTATAF



كلمات للدكتور صروف

الاعصاب وفعل الموسيقى

كنا في حداثتنا نطرب لصوت الترتيل اليوناني ولأصوات المؤذنين والمغنين. ولما سمعنا المرتلين يرتلون في الكنائس الانكليزية استهجنا اصواتهم ولم نرَ فيها شيئاً يطرب او يحرك العواطف . واتفق اننا اقمنا مدة في بيت رجل اميركي وزوجتهِ وكان امام كوة الغرفة التي نجلس فيها مأذنة يؤذن فيها مؤذن مشهور برخامة صوتهِ ولكنهُ كان لا يكاد يشرع في التأذين حتى يقوم الرجل وزوجتهُ ويقفلان الشباك فنضطر ان ننتقل الى غرفة اخرى لنستمع اذانهُ . وكان الرجل من الماهرين باللعب على الارغن وكنا لا نطيق سماعهُ . ثم وُضع في يدنا كتاب لنترجمهُ الى العربية وفيهِ فصل عن الموسيقى الدينية وتأثيرها في النفوس فترجمناهُ وعقبنا عليهِ بان الموسيقى لا تؤثر التأثير الواجب الا اذا الفتها الاذن طويلاً . وطبع الكتاب فقامت علينا قيامة اصحابهِ ونزعوا منهُ الورقة التي فيها التعقيب. ثم مرَّت السنون ونحن نسمع الموسيقى الافرنجية والموسيقى العربية فصرنا نسرُّ بالاثنتين على حدٍّ سوى . ونحن نعلل ذلك بان الصوت الموسيقي لا يصل الى مركز الشعور بهِ في الدماغ الا بعد ما يمرُّ في سلسلة من الاعصاب والدقائق العصبية فيحركها حركةً لم تكن قد الفتها فلا ترتاح لها بل قد تتعب منها فاذا تكرر من آونةٍ الى اخرى انتظمت تلك الدقائق الانتظام المناسب لسير امواج ذلك الصوت فيبطل تعبها منهُ وتألفهُ وتصير تنتظرهُ فترتاح لحدوثهِ . واذا قُرن الصوت بكلام لهُ معانٍ مستحبة اومرتبطة بشيء محبوب زاد سرور النفس بهِ واشتركت مع اعصاب السمع اعصابٌ اخرى فتتحرك حركةً موسيقية وتحرك معها الاعضاء الخاضعة لها حركةً موسيقية أيضاً

النور اللاسلكي

بعد التلغراف اللاسلكي والتلفون اللاسلكي والصور اللاسلكية والرؤية اللاسلكية قوي الامل بتحقيق القوة اللاسلكية التي تذاع من محاط مركزية وتلتقط في البيوت والمعامل. ثم وردت الانباء ان المستنبطين فازوا بصنع مصابيح تنير نوراً اسهل استعمالاً وأرخص نفقة وأبهر ضوءاً من النور الكهربائي المعروف ومما يدعو الى العجب والاعجاب انهُ نور لاسلكي!

ولا يخفى ان النور الكهربائي الشائع الآن هو نتيجة تيار كهربائي قويّ يسري في أسلاك دقيقة من المعدن فيحميها حتى تحمرّ اولاً ثم تبيضّ فتنير. فجانب كبير من القوة الكهربائية المستعملة ضائع في احماء الاسلاك. ومع هذا فالنور ليس باهراً ولكي تمتحن ذلك ما عليك الآ ان تسدل الستائر على نوافذ غرفة من الغرف في رابعة النهار وتنير فيها المصابيح الكهربائية مهما تكن قوية، ثم ارفع الستائر والمصابيح منيرة تر الفرق

فاوّل تغيير ينتظر احداثهُ في هذه المصابيح هو اخلاؤها من كل اثر للاسلاك التي تنكسر او تحترق وملؤها بغازات تضيء اذا مرّ فيها تيّار كهربائي سريع التناوب. فكل مصباح من هذه المصابيح كرة مفرغة من الزجاج تحتوي في داخلها على غاز لطيف شفاف

والتغيير الثاني هو انارة هذه المصابيح بتيارات كهربائية من غير ان تتصل المصابيح بالسلك الذي يجري فيه التيار. فقد وجد الباحثون انهُ اذا وضعت مصباحاً من هذه المصابيح في حقل ممغنط، قوة مغنطيسه تتغير تغيراً متتابعاً بين القوة والضعف، احدث هذا التغير في كهارب الغاز المالئ للمصباح تيارين يسير الاول مندفعاً في جهة ثم يسير الثاني مندفعاً في جهة مقابلة، وانّ احداث هذين التيارين في كهارب الغاز ينيرهُ. فكل ما يجب في هذه المصابيح الجديدة هو ان تضعها على مقربة من حقل ممغنط متغيّر القوة تغيّراً سريع التناوب. وهذا الحقل يمكن ايجادهُ بمدّ اسلاك كهربائية في جدران الغرفة التي تريد انارتها كما تُمَدُّ اسلاك المصابيح الكهربائية الآن وتعيين مكانين داخل الجدار او ثلاثة امكنة توضع فيها لفات من السلك الكهربائي الممغنط من غير ان ترى فيجري التيار السريع التناوب في الاسلاك حتى يصل الى هذه اللفات فيحدث التناوب المطلوب في حقلها المغناطيسي. فاذا وضع مصباح من المصابيح المذكورة آنفاً على مقربة من هذه اللفة او تلك أضاءت ضوءاً باهراً ولون ضوئها يختلف باختلاف الغاز الذي يملؤها

اللغة العربية والمصطلحات العلمية

رأي الدكتور محمد شرف بك

صاحب المعجم الطبي العلمي المعروف

لم نعهد في تاريخ البشر فتحاً أعظم من فتح اللسان العربي ، ولا أشد سرعة منهُ ، فانهُ ولا جدال قد عمّ اجزاء كبيرة من العالم ، ولم ينازعهُ الشرف في كونهِ لغة عامة ، اولسان فكر ديني او سياسي اسمى من اختلاف العناصر ، الاّ لغتان اللاتينية واليونانية ، ولكن أين مجال هاتين اللغتين في السعة من الاقطار التي عمّ انتشار العربية فيها . ولقد اختارت الامم الكثيرة التي خضعت للمدنية الإسلامية التي ضربت بجرانها من الصين الى المحيط الاطلنطي، اللغة العربيةفي تدوين مصطلحاتها العلمية ، وكان شأنها في ذلك كاللغة اللاتينية فيما بعد، لما أخذت الأمم الغربية عن العرب في الأندلس وايطاليا ما خلّفتهُ المدنيات السالفة

ولم يبق هذا التراث على حالتهِ التي كان عليها ، بل أدخلت العرب عليهِ زيادات في كل فرع من فروع العلم وفتح العلماء الاعلام والفلاسفة المشهورون الذين ظهروا في بغداد وقرطبة ومصر مجالاً لتقدم العلوم ، وضربوا بسهم صائب في رفعة منار المدنية ، مدة ستة قرون ، كانت فيها سائر الامم الاوروبية غارقة في بحار جهالة القرون الوسطى ، فترجمت الى العربية في عصر الدولة العباسية وخصوصاً في عهد هارون الرشيد وابنهِ المأمون ، كتب فلاسفة اليونان . وأول من بدأ حركة الترجمة ، خالد بن يزيد الذي تعلم الطب على استاذهِ مريانوس الكاهن المسيحي ، الذي كان في الغالب مدرّساً في مدرسة الطب بالاسكندرية

والعربية ليست من اللغات الميتة ،حتى يزهد بعض ابنائها فيها، ويتعلموا العلوم بغيرها ، بل هي لغة كاملة وغنية اي غنى . هي الآن لغة اكثر من ٧٠ مليوناً من البشر ، نازلين في اجمل اقطار الارض، في آسيا وافريقية ، وهي لسان ديني لما يقرب من اربعمائة مليون من المسلمين، ولسنا معاشر الناطقين بها دون ارقى امم الحضارة الحديثة بعقولنا او ذكائنا، فتاريخنا موضع الدهشة على توالي العصور ، وإنا اذا عرانا ضعف سياسي قد أخّرنا عن المجتمع العصري ، وقصرنا عن اللحاق بالسابقين فيهِ ، لا نلبث بتماسكنا ، وتعاضدنا وتفانينا بحب قوميتنا ولغتنا ، أن نساوي غيرنا قريباً

نشرنا في مقتطف يناير الماضي مقالاً مخطوطاً لمنشيء هذه المجلة المرحوم الدكتور صروف الم فيها الماماً موجزاً بمسألة « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » ووجوب توحيدها . وقد بعثنا بهذا المقال الى طائفة من اكبر العلماء ليبدوا آراءهم في هذا الموضوع الخطير على صفحات المقتطف . وسننشر هذه الردود تباعاً في الاجزاء التالية

معروف عن العرب ماكان لهم من لطف الحس وصفائهِ ، ونصاعة الفكر وارتقائهِ ، وفصاحة اللسان وحسن بيانه ، ومعروف عنهم ايضاً شغفهم العظيم بلغتهم ، وتعظيمهم لشأنها وافتخارهم بها ، واعتقادهم انها اشرف اللغات وأوسعها ، واغناها بل اجملها واكثرها انقياداً ، تتجلى فيها الدقة والرقة وحسن الصنعة ، والادلة على صحة ذلك كثيرة مثبتة في كتب اللغة والادب . ولم تُغفِل العرب وضع شيء من الالفاظ التي تدل على جميع ما شاهدوهُ او احسّوهُ حتى اصبحت المفردات في وقتهم زائدة عن حاجة التعبير عن المحسوسات

وان وجدنا في لغتنا اليوم قصوراً في التعبير عن المعنويات فما ذلك الا لاننا أهملنا الجري على سننهم في الاستحداث . ألا ترى كيف يغني فيها الحرف الواحد عن الكلام الكثير؟ ألا ترى فيها الايجاز والبعد عن الاكثار ظاهراً في أمثالهم وخطبهم وأشعارهم ؟ وفيها من الالفاظ المفردة التي لا يعبّرعنها في اللغات الفرنجية الا بعبارات ؟ ألا ترى شدة عنايتهم بالالفاظ ومراعاتهم لها بالتصليح والتهذيب والإحكام ، وعنايتهم بالمعاني وتخيُّر أحسن الالفاظ لتأديتها واظهار أغراضها ومراميها ، ولتكون أوقع لها في الآذان وأذهب بها في الدلالة على القصد ؟ ألا ترى في كثرة مفرداتها وتفرُّعها وتشعُّب طرق التركيب وتنوّع الاشتقاقات القياسية وسيلة لصوغ ألفاظ تؤدي ما لا نهاية لهُ من المعاني ؟ أليست هذه مزايا تجعل العربية راجحة على اليونانية واللاتينية (وهما اساس اللسان العلمي) واللتان تتخذان من النحت طريقة لوضع الالفاظ المركبة التي تشاكل المعاني ؟ فقد سهلت على أبناء العربية استحداث اوضاع لمدلولات العلوم الدينية والعربية والرياضية والطبيعية والطبية وغيرها لما شرعوا في نقلها ، وهذه معدّات حسنة للغاية في اللغة تجعلها لائقة للانشاء العلمي

ولم يكن كتّاب العرب أهلاً للقيام بالترجمة العلمية والتعريب العلمي لانهم لم يحسنوا فهمَ اليونانية التي كانت تعلم في بغداد ولم يعلموا شيئاً من العلوم الطبيعية ، فلم نسمع بواحد منهم قام بتعريب شيء من

الكتب اليونانية علمية كانت أو أدبية . والذين تولّوا نقل علوم اليونان الى العربية في عصر الخلفاء كانوا من النسطوريين والكلدانيين والاسرائيليين كابن الخصيّ والطوسيّ وحنين بن اسحق العبادي النسطوري المتوفى سنة ٢٦٣ هـ — ٨٧٦ م وابنهُ اسحق ويحيي بن ماسويه المتوفى سنة ٢٤٣ هـ — ٨٥٧ م وأبو بكر أحمد بن علي بن قيس الكلداني المعروف (ابن وحشيه) الذي عاش في سنة ٢٩١ هـ — ٩٠٣ م وآل جرجس ابن بختيوشع وتلاميذهم وجبريل عيسى بن صهار بخت واصطفن بن بسيل وشيخوص بن ياتون والحجاج بن مطر وابن البطريق وسليمان وأبو بشر متى بن يوسف المتوفى سنة ٣٢٨ هـ — ٩٣٩ م وابو زكريا يحيي بن عديّ التكريتي المتوفى سنة ٣٦٤ هـ — ٧٤٩ م وابو علي عيسى بن زارة مترجم التاريخ الطبيعي وكتاب الحيوانات وقسطا بن لوقا وغيرهم . وهؤلاء كانوا علماء أكثر منهم أدباء ، وان كانوا تعلموا العربية فانهم لم يتفقهوا فيها ولم يتقنوا آدابها . لذلك تجد ما عرّبوهُ مشحوناً بالالفاظ اليونانية مع ان لها في العربية مرادفات . وكان اسلوبهم ركيكاً بالنسبة الى نظائرهِ من كتب الادب ، أو لما عرّب من الفارسية بمعرفة من برّزوا في اللغتين كابن المقفع المتوفى سنة ٧٦٠ م وأمثالهِ . ومع هذا فقد كان تعريبهم مقبولاً وافياً بالمرام لحدّ معيَّن من جهة الامانة في النقل وحسن التأدية بتحصيل المعاني المقصودة واخراجها على وجه يقرب من الصحيح ، في صورة تتفق مع قوام اللغة العربية ومشربها ، وبأسلوب تسوغهُ أذواق الناطقين بها

والذي يُستخرجُ من استيعاب معرّبات العرب أنهم لم يجروا في التعريب على نمط واحد يصحُّ اتباعه الاَّ في احوال معينة . بل تجدهم صوّروا الكلمات المعرّبة وخصوصاً اليونانية بصور شتى ، يصعب على قارئها رجعها الى اصولها أو تطبيقها على الاسماء الحالية تطبيقاً صحيحاً . والنُسَّاخ أحقُّ باللوم لانهم لم يضعوا التنقيط على الحروف العربية بالضبط الوافي فادّى ذلك الى التصحيف والتحريف وعدم فهم المصطلحات المعرّبة والتخليط في الأزمان التالية . ولم يذكر أحد من أئمة اللغويين اي قواعد لما يعرّب من الكلمات الاعجمية توجب علينا اتباعها ، وان ذكر بعض أصحاب المعاجم قليلاً من المعربات في موادأصولها أو استطراداً في غير مظان موادها ، وقد أجروا بعضاً منها مجرى أصول الكلام العربي في الصرف واشتقوا منها كما يشتق من أصول كلامهم

عدم صد باب انماء اللغة عند العرب ونهجهم في التوسع والاصلاح

وقد وجدت العرب اسماء تفرّدت بها الفرس وامم اخرى دونها فاضطرت الى تعريبها او تركها كما هي وورد كثير منها في كتب اللغة والمعاجم ومن امثالها الكُوز ، الابريق ، الطَسْت ، الطبق ، من انواع الاواني . السَّمُّور ، السَّنجاب ، الفيل ، من الحيوانات .

الديباج ، السُّنْدُس من الملابس . الياقوت ، البِجاد ، البَلُّور ، اليشب (عبرية) من الجواهر . والسّميذ ، الدَّرْمك ، الجرْدق ، الجرْمازج من ألوان الخبز . الجُلاب ، السَّكَنْجبين ، الجلنجبين ، الميبة من الاشربة والانبجات . الهُلام ، الإسبيذناج ، الجِرْذباج ، والفالوذَج ، والسَّكْباج ، والبزماورد ، من ألوان الطبيخ والحلوى. المشلوْز . والرصاص والزنبق والزيتون. والفُلفُل ، والكروْياء، والقرْفة ، والزنجبيل ، من الافاويه. والنرجس ، والبنفسج والنَّسْرين، والخيرى ، والسَّوْسَن ، والمرزجوش، والياسمين، والجُلنار من الرياحين. والمسك، والعنبر، والكافور، والصَّنْدل، والقرنفل من انواع الطيب وكلها فارسية. كما استعارت العرب من اليونانية الفاظاً كثيرة نذكر منها : الفِرْدَوس، القِسْطاس ، السَّجَنْجَل، البطاقة ، القرْسطون، الأُسْطُرْلاب، القُسطرىّ ، القُسطل ، القُنْبرُس ، البطريق ، القراميد ، الترياق، والدرياق ، القنطرة ، القيطون ، النقرس ، القُولَنْج ، القلم ، الحوت ، الكندارة ، الإسْبور ، الانقليس والرساطون والإسفنط والعلوز والسربس والمومس والمالنخوليا الخ ،

هذا بخلاف ما أُخذ من الحبشية والعبرانية والسريانية والسنسكريتية والنبطية والكلدانية واللاتينية في فروع المعارف على اختلافها قبل أن يتسنّى لهم وضع ما يقابلها في لغتهم

ومن ذلك نرى أن النحاة واللغويين لم يصدّوا الأبواب في وجوه من أراد إنماء اللغة باستعارة ألفاظ اعجمية تهذّب للدلالة على مالا تقوى لغتهم على تأديته ، بل كانوا حكيمين مجددين يحفلون بصيانة التراث اللغوي القديم بقدر ما يعنون بانماء الثروة اللفظية كما دعت الحاجة الى ذلك . واذا تأملنا صيغ الاشتقاق العربية وكثرتها ، وشدّة العناية بها حتى تكون مشتملة على جميع المعاني وجدنا فيها معدّات قوية للتوسع في اللغة وقد وضع اللغويون قواعد للاشتقاق وتصرّفوا تصرّفاً واسعاً حتى يكون صالحاً للتمييز واستيعاب اللغة واستدراك ما لم يوجد في كتبها وانمائها. وكل ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم ويصحّ اجراؤه مُجراه وان لم ينطقوا به. واذا كان القياس لا يمنع وضع لفظ جديد فاتباعه لتأدية معنى جديد لا غبار عليه بل هو مستحبّ جداً . ولم يكن العرب أعداء للتجديد والتوسع والابتداع في عصر من عصور نهوضهم وقد أباحوا بناء الالفاظ على مثل جديدة . وقالوا إن تركهم للبناء بتلك الكيفية ليس بمانع من بنائه كذلك ولم يوجبوا على المتأخرين ايراد مثل في ذلك من كلامهم القديم .فقد قال الجاحظ ما على الناس شيء اضرّ من قولهم ما ترك الاول للآخر شيئاً . والاشتقاق في العربية لا يوجد له مثيل في اية لغة ويقوم مقام النحت في اللغات الفرنجية التي تنحت ما تستحدثه من أصول إغريقية أو لاتينية . ولاختلاف هذه اللغات

عن العربية في تقديم المضاف اليه على المضاف لا يمكن تعريب ألفاظهم الكثيرة الأهجية الا اللحى والشفاه ويشق على العربي التلفظ بها وينفر عنها حسه وينبذها ذوقهُ ،ولذلك نجد فيه اصلح الوسائل لابتداع الالفاظ الجديدة

التعريب في العصر الحاضر

وقد سار معرّبو هذا الزمن ومترجموهُ في نقل اللغات الفرنجية على طرق مختلفة ، فابتدع هذا اسلوباً جرى عليه خالفهُ فيه غيرهُ ، واستنّ آخر سُنّة لم يشايعهُ عليها احد. وصار كل معرّب يضع لنفسه منهاجاً لتصوير الالفاظ والمعاني او لتعريبها ،واطلقت للاقلام والالسنة الأعنة ،ووضعت اوضاع وصيغت ألفاظ بطرق مختلفة لا تؤدي المقصود منها ، وشطّ المعرّبون عن الصواب شططاً بعيداً . وجاء فيما ظهر من الكتب العلمية المعربة والتي تدرس في مدارس الحكومة او ما نشر في الصحف اليومية والمجلات خلط كثير. وأكثر هؤلاء المعربين ممن درسوا بلغات فرنجية وابتعدوا عن العربية، فتجدهم يستعملون الالفاظ المبتذلة والسخيفة ، والكلمات العامية الركيكة ، ويتصرّفون بالمعاني ويتناولونها بالزيادة أو النقص أو التشويه أو يستعملون المجازات التي لا تتم بها المعاني المقصودة تماماً لعدم وقوفهم على الالفاظ العربية المقابلة ، أو لعدم وجود طريقة تتبع ، أو معجم وافر يُستدعى للمعونة حتى صار أكثر المعرَّبات لا يتفق في وحدة الاصطلاح أو المدلولات

وتجد أساليب مختلفة لكل ناقل باختلاف مشربه واللغة الفرنجية التي استقى منها . ولاختلاف القوام اللغوي وخواص التركيب ونسب الإسناد بين الالسن ، يسهل على القارىء المدقق تعرُّف المصدر الذي عُرّب عنهُ ، فرنسياً كان او انجليزياً . فان تناولت كتاباً مما عرّب بهذه الاساليب،او مجلة من المجلات الطبية العربية او المصرية ،او الجرائد الهندسية او الزراعية ، تجد ما يكتب فيها كلاماً ارسل سدًى غير محصّل وغفلاً من الاعراب فلا ترتاح نفسك الى قراءته ، ولا تستخرج منهُ فائدة ، لان اكثر المعربين يكتبون بروح فرنجية ، وبلغة لم تطبع في نفوسهم ، فيتخذون كل لفظة فرنجية ويضعون لها مقابلا عربياً ، أو يضعونها كما هي على حالها ، بدون حسن تطبيق في الهجاء العربي ، أو يصوغونها في قالب غريب ، بدون مراعاة للمعاني وخدمتها واستجماعها ،وبدون أدنى تأمّل في أحكام النحو، أو طلاوة التركيب وانسجام الاسلوب العربي ، فلا تعرف إن كنت تقرأ كلاماً عربياً أو فرنجياً

في تتمة هذا المقال الحصيف يتناول الدكتور شرف المقابلة بين القدماء والمحدثين ويبدي خلاصة مقترحاته العملية لمعالجة هذا الموضوع الخطير — فارقب مقتطف مارس القادم



اؤمن بالدين

عرفتُ فيمن عرفتُ من أصناف الناس اربعةً تجري امورُهم في نفسي على غير مجاريها في انفسهم وأرى من طبيعتهم موضعَ الغفلة فيما يرونه أو يحسبونهُ موضعَ السَّداد :

(فالاول) رجلٌ ملحد اديب مَعْنِيٌّ بجمع الكتب يتعلق بكل نفيسٍ منها ، وهو يزعم أنهُ تأمَّل الاديانَ فلم يجد طائلاً في شيءٍ منها ، وأن له في كل دينٍ ظِنَّةً على ريبةٍ ونقداً على مسئلة وثانيةً على أُوَّلةٍ[1] ، وانهُ تبدَّل الدينَ بالخُلُق فما خسر شيئاً وربح الحقيقة ، ثم يَحْذو بعدُ على هذا الحَذْو كما يفعل الملحدون في صفة انفسهم وهم دائماً لا يأخذون من الكلام الا بمل‌ءِ اليدين اذ من العجيب أن لا تقع لهم الكلمةُ الصحيحةُ المفردة

هذا الذي خرج من الاديان ومن نهيها وامرها الى الاخلاق وعُهْدتها وادبها ، قال لي ذات يوم وقد خُضْنا في امر الكتب : اني لأَمقتُ السرقةَ والغَصْبَ والخديعةَ ولا أُبيح منها شيئاً ولا أُمرِّرُها لأحد ، غير اني اذا وجدت كتاباً نفيساً وعجزت عنهُ ثم أمكنتني فرصة من الغَفَلات لم أتورَّع ان أسرقهُ .... ولو غَصَبتُ ولو خَدَعتُ

قال هـذا فلم أفهم من كلمته شيئاً الاَّ ان لقب (اللّص) يكون من الشرف أحياناً بحيث يسمو كثيراً على الرجل الملحد

(والثاني) رجل متفلسف انقلبت عقيدتهُ الى زَيْغٍ فلهُ رأيان في امور الحياة : واحدٌ ينزع فيهِ الى طبيعتهِ فيستمتع ما وجد متاعاً في حرام او حلالٍ وفي معروف او منكر . والآخر يرجع بهِ الى ضميرهِ الانساني وما هو الاشبهُ بعلمهِ وعقلهِ وفلسفتهِ فيألم ويتململ إذ يرى انهُ لا يزن من لذاتهِ لا بمقادير الخير ولا بمقادير الشر وانهُ يبيح لنفسهِ ويحرّم على غيرهِ فانما الرأيُ والحق والعدل ان لا ينطلق في كل انسان تاريخهُ الوحشيُّ كما يفعل هو ليقوم النظامُ على أصولهِ وتتحقق الانسانية في أهلها ، ولو فعل الناس ذلك فوسعتهم الفلسفة لما وسعتهم الطبيعة بل هي تسرع حينئذٍ فتطلق لكل حيوان مع أكيلتهِ التي يغتذي بها آكلهُ الذي يغتذي بهِ

لم أفهم من فلسفة الرجل أنهُ فيلسوف ، بل عرفت من علمه ان الرجل من الناس قد يكون سافلا حتى من الجهة العالية فيهِ وقد يكون فاسداً حتى من بعض جهاتهِ الصالحة

---

(١) كناية عن التعدد وانه لا يكتفي بواحدة

(والثالث) رجل يزعم عند نفسه انهُ مصلح ويتولى امور الناس فيُداورها ويلتمس لكل شيء مأتىً يتسبب منهُ الى اصلاح فيهم حتى اذا وثق الناس به واستكانوا اليه وصاروا في حال الغرّة وفي قياد الأمن ، صدعهم في اديانهم وأخلاقهم وركبهم بعزائمه وخرافاته وبثّ اوهامهُ في مذاهب اقدارهم وتصاريف امورهم وظن الدين كلمة يضع في موضعها كلمة غيرها وحسب اليومَ من ايامه في عمل الدهر كاليوم من ايام الله في خلق السموات . . . . فهو يطرد الازمنة ويمحو العادات ويغيّر الطباع ويسنُّ لفروع الشجرة سنّة جذورها فلا يذهب الفرعُ طالعاً بل يغور نازلاً ، ثم يريد ان يقيم على طريق التاريخ مَجازةً او قنطرةً ليمشيَ بالناس فوق التاريخ فيقطع بهم الف سنة في الف يوم وكأنهُ زاد في الطبيعة ناموس نهيه وامره . . . . انا لا أقول في مثل هذا انهُ مصلح بل اقول يا عجباً لسخرية الاقدار من القوة ، ألا يرتفع النسرُ في الجوّ الا ليبحث أين تكون الجيفة . . . .

(والرابع) ذاك الذي جعلتهُ الكتب عالماً وقسمتْ لهُ ما شاء ولكن الله تعالى لم يقسم لهُ شيئاً من كرم الضريبة وشرف العرق ولا أتى معاني الذهب في سلسلة آبائه فهو رِثّة[1] لا يجيء في معاني الناس بطباعه واخلاقه الا كالثوب الخَلَق من فتوق ورُقع ، ويغطي عليه العلم كما تغطي القشرةُ النضرةُ على الثمرة المرة ، فاذا كتب للناس ارتطم في طباعه ونزع الى مأخذه وتجاذبَ داخلُ نفسه وخارجها فيذهبُ ينكر ويعترض ويسفّه ما عليه الناس من دين وخُلق وينزو بهم في نوازيه ودواهيه ، ويردُّ كل ما في الطبيعة من الجمال وكل ما في النفس من الحق الى تأويل ماديّ بحت ، كأنّ الزهرة الخارجة من الطين هي طين مثلهُ ويسقط عنده كلُّ ما عمل الشعاع والماء في الذّرة الازلية التي انبثقت منها النبتة فخرجت توحي عن السماء وحي النور واللون

أنا لا أفهم أن مثل هذا عالم ولكنهُ في الناس كبعض النبات في النبات يُرزق من النمو قوةً يفسد بها ما حوله، فاذا هي ظهرت فيه لم تنبه على قيمته بأكثر مما تنبه الناس الى وجوب اقتلاعه واستئصاله . . . .

***

لا ثقة لي بمتخلّق لا دين له فان الخُلق يصلهُ بحظ نفسه اكثر مما يصله بواجبات الناس ، ولا بفيلسوف ملحد لان الفلسفة تمزجهُ بالمادة اكثر مما تمزجهُ بالانسانية ، ولا بمصلح ينسلخ من الدين لان اصلاحهُ صورٌ من غروره ، ولا بعالم جاحد لان علمه كهندسة الشوكة كلُّها من أجل آخرها . . . . أولئك لا يدرون انهم من هذا العالم في حدود

(١) اي من البقايا التي لا خير فيها

أغراضهم الصغيرة الفانية اذ كان كل منهم يتناول الكون من حيث يحبُّ هو لا من حيث يجبُ عليهِ ، ثم يفسر الاشياء في جزء منها لا في مجموعها ، ويعتبر الزمن عمراً كعمر الفرد وهو تاريخ لا يموتُ وينظُر الى الغاية من الوجود كأنها داخلة في الحد مع انها لو حُدّت لبطلت ان تكون غاية

كل منهم صحيح في ذاتهِ فاسدٌ بموضعهِ من اغراضهِ أو من اغراضنا ، وما اشبههم بالأشجار في المقابر لا تجد لها في المقبرة ما تجد لها في الحديقة ، كأنها لما قامت في موضع الموت قامت حية ولكن ماتت روحُ الحديقة فيها

لا تسمو حياة الفرد الاَّ اذا كان جزءاً من كلٍّ ، ولا يجتمع الكلُّ الاَّ اذا كان تامًّا فيما هو كلٌّ بهِ ، فالسبيل ان يُدفع الفرد أبداً الى خارج حدوده الذاتية الصغيرة . وفكرة الكل هذه لا يصوّرها ولا يستوفي معانيها الاَّ الدينُ الصحيح إذ هو خروجٌ بالفرد من شهواتهِ التي تفصله من غيرهِ الى واجباتهِ التي تصله بغيرهِ ، وانتزاعٌ لهُ من ذاتيتهِ الى انسانيتهِ ، ودفعٌ بالانسانية نفسها الى الكل الذي هو أسمى . فكان الايمان في حقيقتهِ إن هو الاَّ دُرْبة لهذا الانسان على الدخول في اللانهاية فهو من أجل ذلك يقضي على الفرد أن يتسع ويمتدَّ في انسانيتهِ لا في شخصيتهِ فيتخلق بالاخلاق التي تعمُّ دون التي تخصّ . وهذه صورة صغيرة من جعل الحدود في ذاتهِ أعظم من ذاتهِ ودفع ما ينتهي في سبيل ما لا ينتهي

فاذا عمل الفرد على ان يُقفل حدودهُ عليهِ ويستغلقَ بها ويمتنع من ورائها ، صار كالقلعة المحصّنة لا تصلح الاَّ حرباً لما حولها ودفاعاً عما فيها فلن يضع هو امرهُ الاَّ على هذا المعنى ، ومن ثمَّ فلن يكون لهُ ممن يصادمونهُ الاَّ حكمٌ واحدٌ وهو تخريبهُ وهدمهُ واقتحامهُ . فاذا كانت الحياة غير باقية على فرد من الناس فمن الحق ان تكون هذه هي صورة الانسانية فيها ، واذا كان ذلك حقاً فالحق ولا جرَمَ بعض المعاني التي يقوم الإلحاد عليها

***

ليس في الأرض انسان لا أجداد لهُ فمن ثمَّ ليس على الأرض انسان في نفسهِ بل انسانيةٌ فقط ، انسانيةٌ متصلةٌ مُفرَغةٌ إفراغاً ليس للفرد بينها موضعٌ لذاتهِ بل موضعهُ لاتصاله بسائرها كمنزلة الخلية الواحدة بين الملايين من الخلايا المتلازمة في جسم واحد قائم من جميعها صالح للوجود بصلاحها وفسادها معاً

أما إنها لعجيبةٌ أن تُلاقيَ بسؤالين متناقضين لا يلتئمان ثم لا تجد عليهما الاجواباً واحداً لا يختلف، سَلِ الحكمة : لِمَ صَلُح هذا ؟ فالجواب : ليكون شيئاً ضروريًّا في الوجود . وسلها لِمَ فسد ذاك ؟ فالجواب كذلك ليكون شيئاً ضروريًّا في الوجود . هي الحلقةُ

المفرغة لما غاب طرفاها صار كل موضع فيها طرفاً وعلت كلها وتزلت كلها فليس الا النوع لا الفرد والكل لا الجزء والانسانية لا الانسان. وانما يقع كل شيء في الحياة — بل في الوجود كله — تدريجاً لتحقيق هذه الوحدة كيلا ينفصم أحد منها ، فهي ابداً ذاهبة بالجسم والعقل والمعرفة والعمر من جزء الى جزء ، من الاصغر الى الصغير، الى الكبير الى الأكبر، الى الأوسع الى الأسمى ، لان تلك هي علامتها في حركتها و تسحبها وهي طريقة برهانها بالنهاية على أنها لا نهاية

بيد أن خطأ الغريزة في الانسان يظهر في اعتبار الفرد نفسه كلاً تاماً وشيئاً متميزاً فلا يريد لنفسه الا أمراً تاماً ووجوداً يتميز فيه ، وبذلك يقتحم سواه ويستبيح وجوده فيقع النزاع والعدوان ويضيق بمقدار مالا يستطيع ان يتسع لأن دفعه لكل ما حوله مردود عليه بدفع مثليه مما حوله فتتبدل صورة الانسانية في شكل دخله الغلط من كل جهاته .وهنا موضع الدين الصحيح فما هو الا الناموس القائم من كل انسان على الواقع في ذاته والواقع في غيره ليصل بين الواقعين المختلفين بنظام مختلف متحد يكون له في النفس ما يكون لنظام المد والجزر

وبهذا كان واجباً حتماً أن تكون العقوبة جزءاً من نعيم الدين وأن يكون القيد شقاً من حرية العقيدة والا بطلت في الايمان قوتا الجذب والدفع معاً يبطلان إحداهما لأن مداً بلا جزر هو أخش الغرق من ناحية وجزراً بلا مد هو أخش الغرق من الناحية الاخرى

***

تعجبني كلمة في الانجيل لا أعرف احداً أحسن تأويلها و بلغ حقيقتها . قال « يجب أن تولدوا ثانية » ،ووضعها في هذا المقال هو تفسيرها فان الفرد يولد من الفرد ولكنه لا يصلح على ذلك بل يجب أن يولد في صفاته واخلاقه من المجموع الانساني لتقع الملاءمة .ثم انه من أبويه يخرج من الحيوانية بغرائزها ولن يفلح بها انساناً فيجب أن يولد مرة اخرى من جنسه الاجتماعي بغرائز مكتسبة . ثم انه يولد مهيأ للاقرار بنفسه وحدها فيجب أن يولد الثانية مهيأ لإنكارها وحدها

على هذه الأرض ، إما الإقرار بالنفس وإيثارها والاعتداء بها ومع كل ذلك الحيوانية والشيطان ، وإما إنكارها والايثار عليها والمهاونة بها ومع كل هذه الانسانية والله

لن تطاق الحياة الآ اذا تبدلت فاتخذت لها اسلوباً غير أسلوبها الآتي من تركيب المادة ، وانما صراع الارض كله حول اقامة هذا الاسلوب الجديد او هدمه او ترميمه . أسلوب الاخلاق والطباع الشديدة التي لا تطيقها الحيوانية فتسميها انسانية ،وتكبرها

الانسانية فتسميها الايمان. بالاسلوب الاول تكونون بالحياة في موضعها ، وبالثاني تسمُون بالحياة عن موضعها « فيجب ان تولدوا ثانية »

***

كل ما يراد بهِ أن يسدَّ في الانسانية مَسدَّ الدين ويغني عنهُ فانما هو في رأيي كطعام أهل الجحيم ، لا يطعمون فيها كما يطعمون في (نزلٍ) لشبع وسمَن بل طعاماً كما جاء في القرآن الكريم « لا يُسْمِنُ ولا يغني من جوع » أي لإحداث الجوع وكلبهِ واستمرارهِ (١)

والطبيعة نفسها تهيّئ الانسان للدين بأسلوب غريب هو هذا الحب الذي يُخلق فطرةً على انواع مختلفة متعددة حتى لا يخلو منهُ أحد فلا معدلَ عنهُ ولا محيص . وانما هو في مظاهرهِ — أيًّا كان — دُربةٌ للنفس الانسانية تصعد بهِ درجاتٍ من الفضائل كالاخلاص والإيثار والاتصال الفكري والانبعاث الروحي والشوق الخيالي ونحوها مما هو في الحقيقة إيجاد للحياة النفسية في أعمالنا وفيضٌ بالقوة الروحية على مظاهر المادة لاحداث الملامسة بين الارواح والاشياء والترابط بين الجاذب والمنجذب . وكل ذلك تهيئة للدين وعملهِ في النفس ليكون قائماً على اساسهِ في الطبيعة . فالحب دين على اسلوب خاص ضيق ولذلك يشتد فيهِ التعصب كما يقع في الدين من المؤمن بهِ على وتيرة واحدة اذ لا يرضى القلب في هذا ولا هذا غير رأي واحد

فكيفما قلّبنا الحياة رأينا في كل جهة منها وجهاً من وجوه الايمان وباعثاً من بواعثهِ وحكمة من فلسفتهِ ، فالمصلحون الذين يحاولون تجديد الامم بصور ملوَّنة من الغرائز تطمس على الدين ، هم الذين يرجعون بهذه الامم في عاقبة الامر الى الحيوانية لانهُ ليس في طبيعة النفس الا شيئان : هوًى هي دائماً اعظم منه وإيمان هو دائماً اعظم منها

مصطفى صادق الرافعي

---

(١) انظر اعجاز هذا التركيب وكيف بدأ حين أراد وصف طعام أهل الجحيم وما هي بدار طعام بل دار عذاب فقال « لا يسمن » فينخدع الحس فيظن أن هذا الطعام ان لم يسمن فربما ذهب بالجوع وان لم يذهب به فربما أغنى منه ولو شيئاً . فقال « ولا يغني من جوع » فيصدم الحس هذه الصدمة وينعكس عليه التأثير الذي توهمه . ثم يشتد هذا التأثير ويبلغ مبلغه حين يتأمل الحس البليغ هذا التركيب الدقيق فلا يخرج له الا أن طعام هؤلاء اذا كان لا يحدث نتيجة البتة مما هو من خصائص الاطعمة لا في سمن ولا شبع ولا الغناء من جوع فما هو الا طعام منعكس لايجاد الجوع واستمراره وتسميته على ذلك (طعاماً) مع أن لهذه الكلمة في النفس عكس ذلك العمل يكون اشد على النفس في العذاب وفي التهكم فتأمل كيف يكون الاعجاز

ركفلر الصغير يتحدث عن أبيه

اغنى الاغنياء واسخى المحسنين

بلغت قيمة هباتهما نحو ١٣٠ مليوناً من الجنيهات

سيرة ركفلر الكبير

كان الشأن الاكبر في القرن الماضي للفحم الحجري لاعتماد المعامل والبواخر عليهِ . اما المعامل فبعضها لا يزال اعتمادهُ على الفحم والبعض الآخر صار اعتمادهُ على الكهربائية سواء اكانت متولدة من الفحم او من انحدار الماء. واما السفن البخارية تجارية كانت او حربية فصار اكثر اعتمادها على البترول توقدهُ بدل الفحم وستقتصر كلها عليهِ في القريب العاجل على ما يظهر . واضيفت اليها سيارات والطيارات ولذلك صار البترول من الحاجات التي لا يُستغنى عنها . وهو ليس من المواد التي تزرع وتُستَغلُّ كالحبوب والأثمار فتولد البزرة مئات ولا ممّا يتيسَّر الحصول عليهِ في اكثر الاماكن كالمياه والمعادن بل هو ممّا خُصَّت بهِ بعض الاراضي . ولذلك انصرفت همة الدول الحربية والتجارية الى امتلاك تلك الاراضي والاَّ تعذَّر عليها وجود القوة المسيِّرة لاساطيلها البحرية والبرية والهوائية من البواخر والسيارات والطيارات

ولما كان العثور على الينابيع الغزيرة من البترول غير خاضع لارادة الانسان ولا هو مرتبط بقاعدة معلومة صار هذا العثور نوعاً من المضاربة فقد ينفق الباحث مالاً قليلاً فيصل بهِ الى غنىً وافر وقد ينفق ثروتهُ كلها ولا ينال شيئاً . وهذا لا يعني ان ليس في الاكتساب من البترول مجال للبحث والعمل المنتج فان ما يستنبط منهُ من الارض لا بدَّ من تكريرهِ وتقطيرهِ على اساليب مختلفة حتى يصير صالحاً للاستعمال فيما يراد استعمالهُ لهُ وحتى يسهل نقلهُ من مكان الى آخر . والاعمال اللازمة لذلك اقتضت معارف اكبر العلماء وابرع المهندسين . فهو مادة طبيعية كالفحم الحجري والحديد ولكنها لا تصلح للاستعمال الاَّ بعد ما تعالج على اساليب شتى

واذا ذُكر ملوك البترول فاول من يخطر على البال منهم ركفلر الاميركي صاحب الملايين الكثيرة والمبرات الوافرة الذي اعطى ابنهُ نحو مائة مليون جنيه ووهب المدارس

والمكاتب والمستشفيات ونحوها مائة مليون اخرى ولم يزل في يده ثروة طائلة لا يدري كيف ينفقها حتى يموت فقيراً. وها نحن أولاء موردون شيئاً من ترجمته وما فيها من الاعمال التي تصلح ان تكون دستوراً لغيره

ولد جون ركفلر بولاية نيويورك في ٨ يوليو سنة ١٨٣٩ فكان يشتغل اولاً بالفلاحة ١٥ ساعة في اليوم لقاء خمسة غروش ثم انتقل بهِ ابوهُ الى كليفلند سنة ١٨٥٥ حيث نيط بهِ مسك الدفاتر في بيت تجاري هناك وجعل راتبهُ ١٢٠ جنيهاً في السنة . وحدث حينئذٍ امران كان لهما الشأن الاكبر فيما وصل اليهِ من الغنى الوافر . الاول ان صاحب ذلك البيت التجاري امرهُ ان يدفع لرجل ثمن ادوات صحية وضعها لهُ في بيتهِ فنظر في الأثمان المطلوبة لتلك الادوات فوجد انها مقدَّرة باكثر من ثمنها الحقيقي ولو قليلاً فأبى دفعها فسرَّ بهِ صاحب البيت التجاري . وكان هذا شأنهُ في كل اعمالهِ التالية فانهُ كان ينظر في الجزئيات ويهتم بها كما يهتم بالكليات . والامر الثاني انهُ لما جمع من اجرتهِ ٨٠٠ ريال اتاهُ رجل اسمهُ كلارك وقال لهُ انهُ عازم على انشاء محل تجاري ويود ان يشركهُ معهُ اذا اتاهُ بالفي ريال فنظر في الامر واستحسنهُ وذهب الى ابيهِ وطلب منهُ ان يقرضهُ الف ريال فقال لهُ ابوهُ انهُ كان عازماً ان يعطي كل ولد من اولادهِ الف ريال حينما يبلغ سن الرشد اما وهو لم يبلغ تلك السن (اي ٢١ سنة) فانهُ يعطيهِ الف الريال ديناً بربا عشرة في المائة فرضي بذلك وتمت الصفقة على هذه الصورة وانشيء محل كلارك وركفلر واخذ ابوهُ الربا منهُ . وهذا دليل على ما اتصف بهِ ذلك البيت من حسبانهِ المعاملات المالية اساليب تجارية لا محل فيها للعواطف ومراعاة الخواطر

***

لم يكن البترول منذ خمسين سنة يكرر كما يكرر الآن وينقى من الشوائب التي تخالطهُ وكان كل ما يتعلق بالبترول من حين استنباطهِ من الارض الى ان يصل الى من يستعملهُ في حالة الاضطراب والتشويش حينما تناول ركفلر هذا الموضوع فعزم على اصلاح ذلك كلهِ واستخراج نوع من البترول يكون في جودتهِ مقياساً (ستندرد) يقاس غيرهُ عليهِ ومن ثم سميت شركتهُ الآتي ذكرها شركة ستندرد اويل اي شركة البترول الذي هو مقياس . وقد جعل الاقتصاد اساساً لاعمالهِ . مثال ذلك ان اغطية صفائح البترول كان الغطاء منها يلحم باربعين نقطة من اللحام فوجد بعضهم ان تسعاً وثلاثين نقطة تكفي فجرى ركفلر على ذلك فبلغ ربح شركتهِ من اقتصاد نقطة واحدة من اللحام خمسين الف ريال في السنة . وكان

خشب براميل البترول يقطع في الغابات ويؤتى بهِ حالاً الى حيث تصنع البراميل منهُ فصار يتركهُ في الغابات حتى يجفَّ بعد قطعهِ فيخف وزنهُ ويقتصد ربع نفقات نقلهِ

ولركفلر الفضل في انهُ ادخل في اعمال الشركات اسلوبين كان لهما شأن كبير في نجاحها . الاول اسلوب الاحصاءِ فقد كان عمل شركتهِ حينئذٍ ابتياع البترول الخام من مستخرجيهِ وتكريرهُ وبيعهُ مكرراً وكان سعرهُ قبل تكريرهِ يكتب ويعلق يوميًّا على جدران غرفة الانتظار في مكتبهِ كما تعلق اسعار القطن الآن في البورصة .وذات يوم دخل تلك الغرفة شاب اسمهُ يمس ورأى السعر منشوراً فاخذ ورقة وجعل يحسب نفقات تكرير الجالون من البترول نسبة الى ثمنهِ ورآهُ ركفلر حينئذٍ فأُعجب بهِ واستخدمهُ لهذا العمل وانشأ فرعاً للاحصاءِ في معملهِ اي لحساب النفقات وهو فرع الاحصاءِ الذي يرى الآن في كل معمل واسع حسن الادارة . ثم لما اراد انشاءَ شركتهِ الكبيرة « ستندرد اويل كمبني » جعل هذا الشاب من مديريها وهو الذي ادخل بترول ركفلر الى الصين وناظر الشركات الاخرى في الشرق كلهِ . ولما توفي كان قد صار نائب رئيس الشركة

والاسلوب الثاني انشاءُ المطاعم للرؤساءِ والمديرين في المعامل نفسها ليتناولوا فيها طعام الظهر وغرضهُ من ذلك الاقتصاد في الوقت والاهتمام بامور الشركة فان الرؤساءَ والمديرين كانوا يضيعون جانباً كبيراً من الوقت في ذهابهم الى حيث يتناولون الغذاءَ فصار المطعم في المعمل نفسهِ وصاروا يجتمعون معاً ويدور حديثهم على مصلحة العمل. فالقليل الذي ينفق على طعامهم لا يوازي الاَّ جزءًا صغيراً من الربح الذي يربحهُ المعمل من النظر في امورهِ. وكان ركفلر وهو صاحب الشركة ومديرها لا يجلس على رأس المائدة بل بين سائر المديرين كانهُ واحد منهم واعطى الرآسة لغيرهِ وكان عدد المديرين حينئذٍ ١٦ ولم يبق منهم الآن حيًّا الاَّ ركفلر

وانتقل مقرُّ الشركة الى اماكن مختلفة بحسب اتساع اعمالها وكانت غرفة المائدة ابهج غرف الاماكن التي انتقلت اليها ويدعى اليها اصدقاءُ المديرين والرؤساءِ ليتغدوا معهم ولا يقتصر الحديث فيها على ما يتعلق باشغال الشركة بل يتناول كثيراً من الموضوعات الفكاهية فهي رابطة الالفة بين مديري الشركة وموسعي نطاقها وموفري مكاسبها

ولما انقسمت اعمال الشركة الى دوائر مختلفة صار لكل دائرة منها غرفة غداء خاصة بها والاساس الذي بني عليهِ هذا النظام هو ان المؤاكلة من اقوى وسائل الالفة بين الناس

الاسلوب الثالث انشاءُ مجلس الادارة حيث يجتمع المديرون كل يوم ويتذاكرون في

مصالح الشركة فيصير كل واحد منهم على علم بكل الاعمال التي تتعاطاها

ودامت الحال على هذا المنوال وركفلر ينشىء شركات جديدة ويضمها هي وغيرها الى شركته الاصلية ويسيطر عليها الى ان كانت سنة ١٩١١ فادُّعي عليهِ حينئذٍ ان في هذا الضم وهذه السيطرة احتكاراً غير جائز فحكمت المحكمة بتفريق هذه الشركات فافترقت واستعفى ركفلر حينئذٍ من ادارتها ومن ادارة شركتهِ الاصلية ولكن هذا الافتراق لم يضعفها بل زادها قوة وانتشاراً وزاد اعمالها اتساعاً وقد كان مجموع رؤوس اموالها ٢٨٥٠ مليون ريال سنة ١٩١١ فصار ٩٢٥٠ مليون ريال سنة ١٩٢٣ وكان لركفلر ٢٤٤٣٤٥ سهماً في شركتهِ الاصلية وكان السهم منها يساوي ٦٥٠ ريالاً سنة ١٩١١ فقيمتها كلها كانت اقل من ١٥٩ مليون ريال فصارت قيمة السهم الآن ٣٥٠٠٠ ريال فتساوي كلها ٩٥٥ مليون ريال او نحو مائتي مليون جنيه

والراسخ في الاذهان ان ركفلر لا يملك الاَّ اسهم البترول والحقيقة انهُ يملك اسهماً كثيرة في شركات سكك حديد ومناجم الحديد فثروتهُ بلغت اكثر من الف مليون ريال (مائتي مليون جنيه) ولكنهُ انفق أكثر من نصفها في الاعمال النافعة كالمدارس والمكاتب ومعاهد البحث الطبيّ وما اشبه

ومما جرى عليهِ في هباتهِ انهُ لا يهب نقوداً بل اسهماً من اسهم شركاتهِ ويبقي لمديري شركاتهِ شيئاً من السيطرة عليها فتزيد قيمتها مع الزمن وتزيد قيمة هباتهِ بها . مثال ذلك ان ثمن السهم في شركتهِ القديمة كان ١٢٥ ريالاً سنة ١٨٩٣ فلو وهب مدرسة ٤٠٠ سهم منها حينئذٍ اي ٥٠٠٠٠ ريال لصار ثمنها ٠٠٠ ١٤٩ ١ ريال سنة ١٩٢٣ وتكون المدرسة قد تناولت ربحاً في هذه السنين يبلغ ٠٠٠ ٧٢٢ ريال مع انهُ لو اعطاها ٥٠٠٠٠ ريال نقوداً لبقيت كما هي ولما زاد ربحها في هذه السنين على ٠٠٠ ١١٦ ريال

ولما استقال من الادارة العامة وقت افتراق الشركات صار لكل شركة مدير خاص يتولى شؤونها فنمت واتسعت فزادت قيمة ممتلكاتها اكثر من عشرين ضعفاً وهذا سبب الزيادة العظيمة في ثروتهِ . وقد ثبت من ذلك ان اتحاد الشركات مفيد في بداءة الاعمال الى ان يتدرب المديرون على العمل ثم يصير الانفصال اصلح من الاتحاد

ما تعلمت من والدي [1]

﴿ التوفير والاحسان ﴾ من أقوالهِ المأثورة : « كل شاب يجب ان يعتني كل الاعتناء

(١) هذه الحوادث مقتطفة من حديث لركفلر الصغير — ضيف مصر الكريم — مع احد الكتاب الاميركيين ومن ترجمة ركفلر الكبير في كتاب « ملوك التجارة »

بماله . وانهُ لفرض مقدس عليهِ ان يجمع كل ما يستطيع جمعهُ من المال وان يحتفظ بكل ما يستطيع الاحتفاظ بهِ وان يُحسن بكل ما تنبسط لهُ يدهُ » . فقد كان ابي في حداثتهِ وهو عامل بسيط لا يكاد يكسب الا ما يقوم باوَدهِ ، يعنى بتوفير شيء من مالهِ والاحسان بجانبٍ من هذا المال الموفر . ولديهِ الآن يومية كان يحفظها في تلك السنوات يظهر منها انهُ كسب بين سبتمبر ١٨٥٥ وينار ١٨٥٦ عشرة جنيهات أنفق منها على طعامهِ وغسل ثيابهِ ووفر جانباً منها ومع ذلك كان يبسط يدهُ كل اسبوع لمساعدة مدرسة احدية بمليمين . مليمان كل اسبوع ! مبلغ حقير ولا ريب ، ولكنهُ عوّد ركفلر العامل الفقير ان يكون ركفلر الغنيُّ محسناً سخيًّا . ولما زاد راتبهُ الشهري حتى صار ٥ جنيهات كل شهر سنة ١٨٥٧ جعل يحسن الى جمعية من جمعيات التبشير بقرشين كل شهر والى جمعية اخرى بقرشين واربعة مليمات . ومن الدروس التي أُغرم بالقائها على أصدقائهِ وأبنائهِ ان الاحسان لا يستدعي ان يكون المحسن غنيًّا وهذه اليوميّة تثبت ان ركفلر كان يمارس في صغرهِ عقيدتهُ هذه

وقد جرى على هذا المبدإ في تربيتنا فقد علَّمنا منذ صغرنا اننا لا نستطيع ان ننال منهُ كل ما نريدهُ . بل كان كثيرونٍ من أبناء عمومتنا ينالون من اللعب والهدايا أكثر منا . وعلَّمنا اننا يجب ان نعمل عملاً مفيداً مقابل كلّ ما نأخذهُ منهُ او من أمنا من النقود . وكان كلما وفر احدنا جنيهين مثلاً يضيف عليهما جنيهين من جيبهِ ويفتح لهُ حساباً في البنك . وكان يجازينا عن قيامنا بما يجب علينا قياماً تامًّا بجوائز مالية يحتم علينا توفير جانب منها والاحسان بجانب آخر . ولما بدأت انا أشتغل في ارضنا بولاية كليفلند كنت أتناول أجوراً كباقي العمال

﴿ رحابة صدرهِ وكرمهُ ﴾ ومع تدقيقهِ هذا دهش الناس منذ بضع سنوات لما جُردت أسماء أصحاب الاسهم في شركاتهِ المختلفة فوُجد ان ركفلر الصغير صاحب أكثرها لا ركفلر الكبير . ذلك ان ركفلر الكبير وجد ان ابنهُ يقوم بأعباء العمل ويحمل كل المسؤولية في ادارتها فوهبهُ من الاسهم ما قيمتهُ ثمانون مليوناً من الجنيهات !

قال ركفلر الصغير : وبعد ما توفي مورغان الكبير نُقلت مجموعتهُ الخزفية النفيسة الى المتحف المتروبوليتان بنيويورك ثم عرضت للبيع فوددت ان اشتري بعضها فكتبت الى ابي أطلب منهُ ان يقرضني المال اللازم لشرائها . فجزع لعظم المبلغ ورفض الطلب . فكتبت اليهِ ثانية أقول « لم أنفق في حياتي مالي جزافاً في القمار وما اليهِ من اسباب الترف والاسراف . وهذه المجموعة النفيسة لها قيمة فنية وتهذيبية كبيرة لانها من آيات الفن المشهورة » وطلبت

اليهِ ثانية ان يقرضني المـال اللازم فقبل ولكنهُ بدلاً من ان يقرضني المال أهدى اليَّ المجموعة التي اخترتها . وكانت قيمتها مائتي الف جنيه

ومرة لما كنت لا ازال حديث العهد بالاعمال المالية ضاربت بمبلغ من المال كنت قد وفرتهُ مع اختي فخسرت مبلغاً كبيراً لان السمسار خدعني فذهبت اليهِ وعرضت عليهِ الامر وطلبت ان ينشلنا من الهوَّة التي وقعنا فيها . فاخذ يوجه اليَّ اسئلة دقيقة كشفت لي عن اسرار المضاربات وخطر التمادي فيها ثم قال انهُ مستعد ان يدفع كل الخسارة التي خسرتها من غير ان يؤنبني بكلمة واحدة . وحين اذكر تلك الحادثة واذكر كرمهُ وشممهُ واسئلتهُ الدقيقة يثبت لي ان ابي لم يكن قادراً ان يجد طريقة لتأديبي في هذا الموقف افعل من هذه الطريقة

وهاتان الصفتان فيهِ لا تدلان على انهُ سهل الانخداع بل تلازمهما صفة اخرى هي التدقيق في كل عمل قبل ان يقدم عليهِ ومتى وصل الى نتيجة حاسمة في الموضوع مضى فيهِ من غير تردُّد

﴿ الصبر ﴾ اذكر مرة انا كنا نتناقش في موضوع يتعلق باعمالنا فقال « هذه الخطة سليمة ولا بدَّ من ان تؤدي بنا الى النجاح في هذا الامر ولو لزم الامر ان نصبر خمساً وعشرين سنة » . وحياتهُ ابلغ مثل على انتصار الصبر والمثابرة على كل المثبطات . واي مثبط اعظم من الفقر وضعف الصحة والشيخوخة . ومع ذلك ترى ركفلر الكبير قد فاز على فقرهِ بالاجتهاد والصبر حتى صار اغنى اغنياء العالم واسخى محسنيهِ وفاز كذلك على ضعف صحتهِ وشيخوختهِ بمثابرتهِ على علاج مملّ نتيجتهُ بطيئة الظهور . ولكنهُ الآن في التاسعة والثمانين من عمرهُ ولا يزال يلعب الجولف

﴿ تواضعهُ ﴾ ارادت اسرة ركفلر منذ بضع سنوات ان يعنى سارجنت المصور الاميركي المشهور بتصوير رأس الاسرة صورة كبيرة بالزيت . فسأل قبل قبولهِ عن نفقاتها فلما عرف وجد المبلغ كبيراً فرفض قائلاً ان لهُ اصدقاء بارعين في التصوير في بلدتهِ لا يتقاضون عن عملٍ كهذا اكثر من مائة جنيه . فلما قيل لهُ ان سارجنت من اشهر مصوري الاشخاص قال « ولماذا يجب ان يصور صورتي رجل مشهور يتقاضى هذا المبلغ الكبير؟ من انا وماذا فعلت ؟ لقد اتفق ان اثريت ولكني اعرف رجالاً كثيرين اثروا كذلك » ولكن لما قيل لهُ إن كلَّ اعضاء اسرتهِ يتوقون الى رؤية صورتهِ مرسومة بريشة سارجنت قبل ولكن ابنهُ دفع الثمن

خمسة في سيارة

٩

واجمع الاصدقاء امرهم بعد هذا على ان يذهبوا الى سويسرا الالمانية فراراً من الحر الذي عمَّ فرنسا وسويسرا الفرنسوية في تلك الايام . فقالوا تعالوا نذهب الى جنيف نركب سككها الحديدية النظيفة تديرها الكهربائية ز لوسرن وانترلاكن وما الى ذلك من البلاد الهلفاسية ثم نقفل عائدين الى فرنسا فبلاد البلجيك ونعود من بعدُ الى اكتراء سيارة تطوف بنا مواقع الحرب في هذه البلاد . فكان اشدهم ارتياحاً للرأي صاحبنا المصري فانهُ كاد يضنيه ركوب السيارة بتصعيدها وهبوطها وقعوده فيها مقعد الاسير طوال الطريق

فبعد ان مكثوا ليلهم في جنيف همّوا في الصباح بقطار يذهب رأساً الى عاصمة البلاد واسمها « برن» فوصلوا اليها قبيل الظهر وخرجوا يسألون عن اهم ما يرى فيها وما لا يرى

فقال الرفيق الافرنسي — وكان قد زار المدينة مراراً — اما ما لا يرى فامرأة جميلة ذات هندام حسن او ذات حذاء صغير واما ما يُرى فمحلٌ يعرف « بئر الدبة » يحاذي حديقة يسمونها « حديقة الورد » . فقالوا هيّوا بنا الى البئر ثم الى الحديقة

وسمع صاحبنا المصري اسم « بئر الدبة » وانهُ قبلة زائري المدينة فظنهُ شيئاً كالاهرام او كابي الهول او كبئر يوسف في القلعة ولم يشأ ان يستوضح رفاقهُ لئلا يظهر جهله بآثار المدنيات العالمية . وساروا على اقدامهم يصعّدون في طريق يرتفع رويداً رويداً فلا يصل المرء الى آخره حتى يكون حرَضاً او يكون من الهالكين . فقال صاحبنا اين « بئر الدبة » قال شرطيٌ واقف في الطريق ها هو الى يمينك حيث ترى اربعة او خمسة من العمال العاطلين واقفين. فذهبوا فاذا بهم في بقعة ارض صغيرة بها حفرة يخالها المرء خندقاً في الارض في اسفله اثنان او ثلاثة من الدببة يروحون يجيئون ملتمسين الطعام في وسط اقذار ووحول

« ما هذا ؟ ايضحك الناس من عقولنا . لقد كنت اظنني آتياً لاشاهد اثراً عظيماً اطلقوا عليهِ اسم الدبة او لارى صخوراً برزت فيها تماثيل الدببة لغرض لا اعلمهُ واما ان آتي الى بقعة في حيّ مثل احياء « تحت الربع » وانظر في حفرة لارى دبّاً يلاعب دبّاً فهذا لم يخطر لي ببال » . قال صاحبنا المصري هذا ساخطاً مضنىً

ولا تسل عن ضحك الرفاق من انفسهم ومن غباوتهم فانهم كلهم كانوا ذلك المصري —

يتساءلون عن السرّ الذي جعل عاصمة سويسرا تشتهر بتربية الدببة مثل هذا الى ان قال قائل الا تعلمون ان هـذه المدينة كانت في ما مضى من الزمان تسكنها الدببة وجبالها لا تزال حتى الساعة مأوى لهذا الوحش . او لا ترون ان شعارها في رايتها وفي كل مواقع العظمة منهـا دبٌّ اسمر . او لا تعلمون ان اسمها برن Bern وهو في لغتهم السويسرية الالمانية دببة اي جمع دب . فقال المصري اما انا فلم اكن اعلم شيئاً من هذا — ولكن هبك الامر كذلك اما رأوا ان يخلدوا دببهم الا في هذه الحفرة ولماذا يأتون بهِ الى قلب البلد وجبالهم تعجُّ بهِ

لا . ايها الرفاق . اني لا امكث بعد هذا في بلد شعارهُ الدب وموضع الفخر منهُ دبٌّ واسمهُ جمع للدب . قالوا لا تيأس من رحمة الله وتعال نرَ حديقة الورد فهي على قابي قوس من هذا المكان . فسار معهم يعرج مضنىً من التعب ودخلوا الحديقة وهي اذا قيست بها حديقة « الأرمان » في القاهرة عُـدَّت هذه الاخيرة جنة وفردوساً . وانك لو قابلت صديقنا هذا الآن لرأيتهُ يقسم باعظم الايمان انهُ لم يرَ وردة او شبه وردة في هذه الحديقة التي يسمونها حديقة الورد

على ان في برن — ولا بدّ من انصافها — بناء فخماً جميلاً هو مجلس نواب الاتحاد السويسري فقد زارهُ القوم فاعجبوا من حسن موقعهِ من البلد ومن جمال عمارتهِ من الخارج والداخل واتساع غرفهِ وكان اكثر ما اثار اعجاب صاحبنا هذا الخشب السويسري الذي سقفت بهِ الغرف وقدّت منهُ المقاعد والابواب فانهُ غاية في الابداع ليس بعده غاية . اما بقية السفر فلم يعبأوا بشيء من هذا فلما قال لهم في ذلك قالوا هذا صنع حديثاً وليس عليهِ مسحة من جمال الفن القديم

فاطرق صاحبنا يقول في نفسهِ ان هؤلاء الناس لا يفتأون يحدثونني عن الفن القديم فاذا بي لا اكاد افهم للفنِ معنى والتفت الى الصديقة اللبنانية المتفرنسة يسألها عن معنى الفن

الفن

قالت هو الجمال يظهره لك الفنّان مرة في الحجر واخرى في الصور . تارة في الشعر وآونة في النثر وقال الانكليزي بل هو في الطبيعة فكل فن لا يحاكي الطبيعة ليس بفن

اللبنانية — عندك ايها السيد بل هو في نفس الفنان تفيض بهِ نفسهُ وخيالهُ على ما قدّمتُ من آثار

المصري — اذاً هناك رأيان في الفن احدهما رأي صديقنا الانكليزي الذي يرى الفن في محاكاة الطبيعة وهذا قول رجلهم رسكن Ruskin فانهُ رسول هذا الرأي وقد رأينا صورتهُ منقوشة في صخرةٍ في شاموني Chamonix حيث كان يجلس يشاهد الطبيعة الفاتنة يستوحيها الدليل على ما يشعر بهِ. ورأيك ايتها السيدة اذ تزين الفنّ في خيال الفنان يبرزهُ على لوح او في كتاب. وسواء اكان الامر هذا ام كان ذاك فليس من المنطق ان يُجمع الناس على شيء فنيّ جميل. لان ما اراهُ انا من جمال في الطبيعة قد لا تراهُ انت. واما تتبع الفنانين في خيالهم فكيف يكون في متناول الجميع ؟ فخيال الفنان المصري خلاف خيال الفنان الفرنسي . فكيف تملون لي اجماع الناس على اشياء انها جميلة كصورة للعذراء من صنع رفايل او آية من الشعر غناها هوميروس او شكسبير

الانكليزي — ان الذين عاشوا من الفنانين حتى الساعة هم الذين نظموا الحياة وعبروا عنها بادق معانيها وهذا يؤيد مذهبي فما الحياة الصحيحة الاَّ الطبيعة بكل ما فيها . فشكسبير حي لا يموت لانهُ صوّر الطبيعة نفسها وجسدها تصويراً حقًا ورفايل خلد لانهُ صوّر الحنو والعطف والطهر في صور العذراء تصويراً حقًا

الفرنساوي — قد يصحُّ هذا في شكسبير ولكنهُ لا يصحُّ في الصور والتماثيل

المصري — كما انهُ لا يصح في هوميروس وملتون ودانتي ومن اليهم. الجميع معاً — وكيف ذلك ؟ الامر بسيط . كلكم وكل رجل منصفٍ يجيب اذا سئل عن آيات الفن في الشعر مثلاً فيقول انها الالياذة لهوميروس والكوميديا السماوية لدانتي والفردوس المفقود لملتن ونقول نحن في بلدنا انها المعلقات السبع . واذا لم يجب بمثل هذا عدَّ مقصراً في الثقافة . فقولوا لي بربكم من منا قرأ الالياذة او استطاع ان يأتي عليها من اولها الى آخرها. ومن منا قرأ الفردوس المفقود ومن منكم قرأ المعلقات السبع. اني اخشى ان يكون الناس في كل آرائهم مقلدين يحاكون القردة ولا يحكمون ذوقهم الخاص او رأيهم الشخصي لذلك ارى ان الفن والجمال في الفن امر نسبي لا اطلاق فيهِ شأن كل الامور الاخرى

السيدة اللبنانية — انت رجل ماديّ الشعور فلا ترقص والرقص فن ولا ترى الجمال الا حيث تريده فليس اجماع الناس على شيء بالامر المنكر بل ان في روح الجماعات منطقاً وذوقاً سليمين لا تغني فلسفتك عنهما شيئاً

الرقص

الانكليزي — (وكأنهُ اراد ان ينقل الحديث الى حيث يريد) ولماذا لا ترقص .

ان الرقص فن ورياضة بدنية ولا ينفر منهُ الاَّ ذو النيات السيئة

المصري — ولماذا نحسبهُ فناً . اكلما عزفت الموسيقى بلحنٍ مشجٍ وجب عليَّ ان اعود بمواطفي الى الغريزة الحيوانية الاولى فاقفز واختطف الانثى . ان اجدادنا الاولين والامم البعيدة عن الحضارة حتى الآن كلاهما كان اذا رقص هم بفتاة يختطفها عنوة ويستميلها بمظاهر قوته — فهو في اساسهِ نتيجة لميل جنسي قد لا يظهر الآن تحت ستار التقليد والعادات ولكنهُ كامن كمون كل عواطفنا الموروثة . اني افهم الفن جمالاً اتلذذه بعقلي وبقلبي وبعاطفتي ولكني لا افهمهُ خروجاً عن الرزانة الطبيعية ورجوعاً الى الغريزة الاولى اذ كان الحكم للاصوات وللاشارات مثلما هو عليهِ الامر في الحيوان الآن

الفرنساوي — اتعلم ماذا قال احد كتابنا الحاليين مشيراً الى الرقص الذي عمَّ العالم بعد هذه الحرب ? انهُ شبه الحرب بابرة وخزت بطن المدنية الغربية فتحركت ذات اليمين وذات الشمال كابرة تخز بطن احد الناس فانهُ لا يلبث ان يتحرك ويلتوي معوجاً . وما الرقص في نظره ، وعلى الاخص الرقص على نغمات هذا الجازباند الاَّ منظراً من مناظر المدنية المتألم بطنها من وخز الابرة

الانكليزي — كاتبكم ابله لا قلب لهُ . فلا يدرك حقيقة الرقص الاَّ ذوو القلوب الطيبة وهذا ما اشار اليهِ احد علمائنا الطبيعيين فانهُ لاحظ ان الاطفال والخرفان والكلاب يحبون الرقص ولا يكرهون عليهِ ذلك لطيب سريرتهم . واما رجال الشرطة ورجال القانون وجميع انواع السمك فلا ترقص الاَّ نادراً واذا رقصت كان رقصها رديئاً وما ذلك الاَّ لقساوة قلوبهم . اما ديدان الارض واعضاء المجالس البرلمانية فلا يرقصون الاَّ لغرض [1] . فقهقه صاحبنا المصري قهقهة بلدية نسي معها وقار موقفهِ . وانك لا تدري أضحك لاشارة الانكليزي الى الديدان والى أعضاء البرلمان وجمعهِ اياهما في صعيد واحد ام تضاحك ليستر اهانة الرجل للبرلمانات وهو راغب في هذه النظم السياسية متفائلٌ بها خيراً

وكأنهُ ادرك حرج حاله فتظاهر بالتواضع وقال اما انا فلا ارقص لاني لم استطع اتقان الرقص ولا اخفي عليكم اني لو كنت احسن نقل خطاي بلباقة وخفة لما وجدت كالرقص آلة للذة العيش . فهو ابن هذا العصر عصر السرعة وتعجُّل النتيجة . فالراقص اليوم يستطيع في ليلةٍ ما لم يستطعهُ كبار المحدثين من العشاق في سنة

---

(١) الاشارة هنا الى الكاتب الفرنساوي André Maurois والى العالم الانكليزي جيمس ستفنس

المبدأ والمصلحة

الافرنسية — اذن انت تهكم على الشيء من حيث علاقته بك لا من حيث المبدأ

المصري — كل شيء في الدنيا كذلك أيتها السيدة المحترمة

الافرنسية — فالعفاء على المبادىء بعد هذا

الانكليزي — لا . لا تبالغي ان صديقنا المصري مصيب كل الاصابة فيما يقول — فان لكل امر في العالم من الامور الادبية او الاجتماعية مرجعاً اذا استقصينا سره وجدناه في شخصية المرء لا في مطلق المبدأ

الافرنسية — ما فهمت

الانكليزي — اسمحي ان افسر ما اقصد اليه بشيء من التطويل

انهُ يستحيل على امرء ان يقوم برأي يبذل لهُ نفسهُ ونفيسهُ او بعمل يضحي لهُ بكل عزيز وغال الاَّ اذا كان هذا العمل او ذاك الرأي مما تطمئنُّ اليهِ نفسه وتوافقه عليهِ عواطفه او غريزتهُ . واني لا احب ان اقول شيئاً ينفر مني امرأةً جميلةً متدينةً مثلك فاكشف لها عن رأيي في الذين قاموا بالديانات الناجحة دون التي ماتت في مهدها

بل اضرب لكِ مثلاً او مثلين من الامور الاجتماعية . فهاكِ الاشتراكية

انظري الى زعيمها كارل ماركس . هذا رجل يهودي عاش في برلين حيث لا قيمة ولا شأن لابناء جنسهِ واضطرَّ بعد ذلك ان يذهب الى لندن عاصمة اغنياء الدنيا في عهدهِ وركن الارستوقراطية . وكان فيها فقيراً . وكانت نفسه كبيرة تنظر الى الناس بعين الكره لاحتقارهم بني جنسه من ناحية ولتمتعهم دونه بملذات الحياة من ناحية اخرى . فهل تتوقعين ممن كان مثل هذا ان يقول باشتراكية « لا يكون حرب الطبقات » اساسها المكين ؟ ان الحسد والشهوة وحبَّ ما ليس في متناولهِ يملي عليهِ مبدأهُ الاشتراكي اراد ام لم يرد

وهاكِ الاشتراكي الآخر كاتبنا ولز (Wells) . هذا اثرى من كتبه وصار يُعدُّ من كبار الملاَّك اذا كتب اليوم في لندن قرأهُ غداً مائتا مليون متكلم بالانكليزية ضاحكةً لهُ باسمة. فهل تنتظرين من اشتراكيتهِ ان تكون مثل اشتراكية كارل ماركس ؟ لا . فهو يدعو الى التعاون والى المحبة بين الناس لانهُ لا يشتهي ما في ايديهم ولا يحسد احداً شيئاً . فهذا العامل الشخصي هو المكوّن الاعظم لآراء الناس ولافعالهم سواء جاهروا بهِ ام كتموه

الى احمد شوقي بك

الشتاء في باريس

رب فجرٍ شعرتُ بالـ ... حزنِ قد دبّ في الفضا

فنضا الكونُ من بشا ... شةِ وجهيهِ [1] ما نضا

وانزوى البلبلُ اللعو ... بُ [2] عن الوردِ مُعرضا

حسب الوردُ أنهُ ... قد نبا عنهُ مبغضا

فذوَى مُطرِقاً عبوسـ ... ـاً وسرعانَ ما قضى

غضَّ من همسهِ النسـ ... ـيمُ اكتئاباً وخفّضا

كفّنَ الوردَ بين أغـ ... ـطافهِ ثُمَّ أعرضا

فإذا البلبلُ انبرى ... موجعَ القلب مُمْرَضا

لثمَ الوردَ باكياً ... ثمّ في فيضهِ مضى [3]

باريس — ادوار فارس

(١) المثنى هنا بمعنى المفرد (٢) قال صاحب تاج العروس «اللعوب الجارية الحسنة الدل. قال الازهري كتب لعوباً لكثرة لعبها» وفي البيت تشبيه (٣) مضى في فيض فلان أي شيع جنازته



اين نحن في مسائل الفيتامين

هل يعيش الانسان بالحرارة وحدها ؟

هل يكمل الغذاء من دون انواع الفيتامين ؟ هل ينمو الجسم نمواً تاماً اذا ازيلت من الغذاء ؟
ما هي الامراض التي تصيبه اذا منعت عنه ؟ ما هو مصدرها ؟ وهل يمكن توليدها
في الاطعمة باشعة الشمس اذا كانت تنقصها ؟

يقال — والعهدة على القائل — ان ادمند كين الممثل الانكليزي المشهور كان يتناول طعاماً خاصًّا لكل دورٍ يمثلهُ فكان يتناول لحم الخنزير قبلما يمثل دور طاغٍ من الطغاة ولحم البقر قبل تمثيلهِ دور سفّاك من السفاكين ولحم الضأن قبل تمثيل دور عاشق ولهان

وينطوي هذا القول على حكمة بليغة اثبتها المباحث العلمية الحديثة . فكل من القراء يتناول طعاماً طبخهُ طبّاخ لا يدري في الغالب شيئاً من المبادىء العلمية التي يجب ان تبنى عليها شؤون الغذاء .فلا يعرف مثلاً قيمة الاطعمة المختلفة من حيث توليدها للحرارة والحوامض ولا مقدار ما تحتوي عليهِ من عناصر الجسم المختلفة.على ان كلاًّ منهم يقول : «ولِمَ هذا القلق والاضطراب فآباؤنا واجدادنا وآباؤهم كانوا يأكلون كما نأكل من غير عناية خاصة بتركيب اطعمتهم على الاصول العلمية وقد كانوا كلهم اصحاء الابدان والعقول ؟».وهذا قول صحيح اذا نظرنا اليهِ نظراً ضيّق النطاق . ولكن كثيراً من الناس على اختلاف اعمارهم كانوا يصابون بامراض متباينة تنشأ عن جهلهم باصول التغذية العلمية كالبريبري والاسكربوط والكساح وغيرها . وهذه الامراض قد دانت للعلماء الآن لان مباحثهم في الغذاء مكنتهم من معرفة اسبابها وطرق معالجتها والوقاية منها . زد على ذلك ان الاطعمة التي كان يتناولها اجدادنا تختلف اختلافاً كبيراً عن الاطعمة التي نتناولها نحن ، في هذا العصر ، في المدن المزدحمة والحياة المندفعة التيار . فقد كانت اكثر اطعمتهم لحماً من ضأن او عجل مذبوح لساعتهِ ، ولبناً وزبدة وبيضاً وخضراوات وفواكه وخبزاً من حنطة غير مقشورة . وماذا يأكل سكان المدن الآن ؟ لحوماً مقددة ومحفوظة في العلب ، وزبدة صناعية بدلاً من الزبدة الطبيعية الجديدة ،وخبزاً ابيض من حنطة مقشورة.وهذا التغيير في عناصر الغذاء يجعل العناية بالوان الطعام والمبادىء العلمية في تركيبها فرضاً على كل انسان نحو نفسهِ ونحو اسرتهِ ونحو امتهِ

كيف كشف الفيتامين

لما كشف علماء الطبيعة مبدأ حفظ القوة حاول علماء الفسيولوجيا ان يطبقوهُ على شؤون الغذاء في الجسم الحيّ. فقالوا اذا كان هذا المبدأ صحيحاً فيجب ان تكون الحرارة التي تتولد في الجسم من تناول طعام معيَّن مع الحرارة التي يفرزها الجسم في مفرزاته مساوية للحرارة التي في استطاعة هذا الطعام المعيَّن ان يولّدها. وابدعوا لذلك تجارب كيماوية دقيقة اثبتوا فيها صحة هذا المبدإ الخطير فشرعوا حينئذٍ في امتحان الوان الاطعمة المختلفة لمعرفة ما يولدهُ من الحرارة كلٌّ منها. وجعل الاطباء والعلماء يشيرون بالعناية كلَّ العناية بهذا الوجه من وجوه الغذاء حتى كأن مسألة الطعام كلها وتغذية الجسم حُصرت حينئذٍ في ما يستطيع الجسم ان يولدهُ من الحرارة بعيد الطعام مع الاحتفاظ بنسبة المواد الدهنية والنشوية والبروتينية بعضها الى بعض

على ان السر فردريك جَوْلند هبكنز (وكان الدكتور هبكنز حينئذٍ) اثبت بسلسلة من التجارب العلمية البديعة ان الانسان لا يعيش بالحرارة وحدها. وقال ان هناك مواد اضافية غير المواد الدهنية والنشوية والبروتينية، لا مندوحة عن وجودها في كل طعام حتى يكون طعاماً كاملاً يغذي الجسم تغذية تامة. وقد دعيت هذه المواد بعدئذٍ بالمواد الحيوية او «الفيتامينية» ويحسب الكشف عنها فاتحة عصر جديد في علم الغذاء

ذلك ان هبكنز جاء بطائفة من الجرذان وغذاها بمواد دهنية ونشوية وبروتينية بعد ما نقّاها تنقية كيماوية من كل عنصر آخر ولشدة عجبهِ وجد ان هذه الجرذان وقفت عن النمو واخذ وزنها ينقص مع ان غذاءها كان تامًّا. وكان قد عني عناية خاصة بان يجعل طعامها كافياً لتوليد الحرارة اللازمة لها محتفظاً بالنسبة بين عناصر الغذاء المختلفة مضيفاً عليها ما يلزم من الاملاح المعدنية والماء. ومع ذلك لم تكن كل هذه المواد كافية لتغذية الجرذان فاستمرت تضعف وتهزل

فتساءل هبكنز — ما ينقص هذا الطعام من العناصر اللازمة للنمو ? وكأن الوحي هبط عليهِ فخطر لهُ ان الاطعمة الطبيعية قد تحتوي على عناصر لازمة لنمو الجسم تزول منها اذا نُقّيت وحُفظت. فامتحن هذا الخاطر على المنوال التالي: اخذ طائفة اخرى من الجرذان وجهز لها طعاماً يماثل طعام الاولى من كل وجوههِ إلّا انهُ اضاف عليهِ قليلاً من اللبن الجديد. وكان مقدار اللبن قليلاً لا يمكن ان يكون لهُ اقلُّ أثر في زيادة مقدار الحرارة التي تولدها عناصر الغذاء الاخرى. ولكن وجود هذا المقدار القليل من اللبن

الطازة كان لهُ أثر كبير في نمو الجرذان لان طائفة الجرذان الثانية اخذت تنمو وجعل وزنها يزيد زيادة مطردة

ولما كان هبكنز عالماً يحتاط بكل الوسائل لمنع تسرب الخطإ الى بحثهِ اراد ان يمتحن صحة النتائج التي دلت عليها تجربتاهُ السابقتان امتحاناً ينفي كلَّ ريب ، فاخذ طائفتي الجرذان اللتين استعملهما في تجربتيهِ المتقدم ذكرهما وقلب آية الطعام ، فغذى الطائفة الاولى بالغذاء الذي كانت تتناولهُ قبلا وهزلت من تناولهِ ، بعد ما اضاف عليهِ قليلاً من اللبن . وغذى الطائفة الثانية بغذاء الاولى اي منع عنها اللبن . فنمت الاولى واشتدّت بعد هزالها وضعفها ، وهزلت الثانية بعد شدتها . فأفحمت هذهِ التجربة كل معترضٍ واثبتت ان في بعض الاطعمة مواد لازمة لنمو الجسم لم تعرَفْ قبلاً

وظُنَّ اولاً ان هذا العنصر الغذائي انما هو عنصر اضافي لازم لتكملة التغذية التي تقوم على المواد الدهنية والبروتينية والنشوية . ولكن الباحثين الاميركيين اثبتوا ان الخميرة تحتوي على عنصر غذائي لازم لنمو الجسم ولكنهُ يختلف كلَّ الاختلاف عن العنصر الغذائيّ الذي في اللبن . واشاروا ان يطلقوا على العنصر الذي في اللبن الحرف الاول من الحروف الابجدية (ا) وينعتوهُ بقولهم « الذي يذوب في الدهن » وان يطلقوا على العنصر الذي في الخميرة الحرف الثاني من الحروف الابجدية (ب) وينعتوهُ بقولهم « الذي يذوب في الماء » ووجدوا ان العنصر (ب) يوجد كذلك في اللبن ولكن مقدارهُ فيهِ اقل من مقدارهِ في الخميرة . واثبتوا ان العنصر (ا) يوجد في الزبدة ومحّ البيض وزيت كبد الحوت والادهان الحيوانية المختلفة . ثم اطلق على هذين العنصرين اسم المواد الحيوية او « الفيتامين » فشاعت اللفظة وصار لا مندوحة لنا عن استعمالها معرَّبة

***

واعجب ما عرف عن المواد الفيتامينية في اول درسها ان مقداراً قليلاً جدًّا منها يفعل هذا الفعل العجيب في الجسم الحيّ . وكان السر فردريك هبكنز اول من اشار الى ان نقص المواد الفيتامينية في الطعام يحدث المرض في الجسم . وهذا المذهب في سبب الامراض صار مألوفاً ولكنهُ في بدء الحرب الكبرى كان مذهباً جديداً وفي نظر البعض متطرفاً . لان العلماء كانوا يظنون الى ذلك الوقت ان سبب الامراض مكروبات مختلفة وكاد يكون من المتعذر اقناعهم ان نقص بعض عناصر الغذاء يسبب مرضاً

الامراض التي يحدثها نقص الفيتامين

قبلما نشر السر جولندهبكنز مباحثهُ كان الشائع بين الباحثين ان بين الامراض ونوع الغذاء ارتباطاً لم يعرفوا طبيعتهُ على وجهٍ دقيق

﴿ البريبري ﴾ فرض البريبري مثلاً مرض يصيب الجهاز العصبي كان يفشو بين آكلي الارز من سكان اليابان وجزائر ملقا وجزائر الهند الشرقية وما اليها من البلدان ولا يزال كذلك . وكان الدكتور ايجكمان المدير الصحي لسجن جزيرة جاوى فوقعت اليهِ حوادث مختلفة من البريبري ولاحظ في اثناء معالجتها وبعدها ان الدجاج في حقل السجن يصاب احياناً باعراض تشبهُ اعراض البريبري التي تظهر على المرضى من الناس . ولاحظ كذلك ان الناس والدجاج تعتمد كثيراً في غذائها على الارز المقشور نخطر على بالهِ ان هذا الغذاء هو سبب المرض . فمضى في البحث فوجد — هو وآخرون — انهُ اذا اكل الناس الارز مقشوراً اصيبوا بمرض البريبري اما اذا اكلوهُ غير مقشور فلا . واثبت ايضاً ان قشور الارز التي تُزال حين قشرهِ تمنع البريبري اذا اضيفت الى الارز المقشور واكلت معهُ . فحصرت علاقة المرض بالارز في قشرتهِ . على ان الدكتور ايجكمان اخطأ اولاً في تعليل هذه الحقيقة فقال ان قشور الارز تعدّل فعل غذاء غنيٍّ بالنشاء ليس الاّ . ولكن المباحث الحديثة اثبتت ان الفيتامين في قشور الارز هو العنصر الفعّال الذي يقي الجسم من مرض البريبري

ومضت مدة ظن فيها الباحثون ان الفيتامين المقاوم للبريبري هو هو الفيتامين المساعد للنمو الذي يذوب في الماء . واطلق على كليهما فيتامين (ب) ولكن المباحث الحديثة قد اثبتت ان الواحد يختلف عن الآخر ولذلك يطلق الآن اسم فيتامين (ب) على الفيتامين المساعد للنمو الذي يوجد في الخميرة ويطلق على الآخر الملابس لهُ « الفيتامين المقاوم لالتهاب الاعصاب » (والبريبري منها) ويكثر وجوده في الحبوب والقطاني وخصوصاً في قلبها (الجنين الذي ينمو حين التفريخ) وفي قشورها وما يلي القشور . اما ما بقي من الحبوب نخال من هذا النوع من الفيتامين

﴿ الاسكربوط ﴾ والاسكربوط مرض كان يظن انهُ مثل البريبري لهُ علاقة بالطعام . وقد عرفهُ البحارة منذ اقدم الازمنة وكانوا يعرفون انهم اذا لم يأكلوا الخضروات والفواكه الطازة اصيبوا بهِ . وظل الاسكربوط كابوس البحارة الى زمن حديث . وقد اشار الى ذلك باخسترم في رسالتهِ التي وضعها سنة ١٧٣٤ بقولهُ : « وجد ان الخضروات

الحديثة هي المادة الوحدة التي تحفظ الجسم من هذا المرض » وقد ذكر الطبيب لند نقلا عن كرامر رئيس جرّاحي الجيش النمسوي في المجر سنة ١٧٢٠ ما يأتي :

الاسكربوط من اكره الامراض . ولست تجد له دواء في خزانة ادويتك ولا في اكمل الصيدليات استعداداً . فلا الصيدلة تفيد في معالجته ولا الجراحة . احذر من التزيف . اجتنب الزئبق فهو سم . . ولكن اذا اكل المريض الخضروات الخضراء ، اذا حضرت مقداراً كافياً من العصائر الجديدة الشريفة المضادة للاسكربوط ، اذا كان لديك برتقال وليمون او لبهما او عصيرهما محفوظاً مع السكر في زجاجات حتى تستطيع ان تصنع منها ليمونادة حين تشاء . . استطعت ان تشفي هذا المرض من غير وسيلة اخرى

وقد لاحظ الملاحون ان لليمون والبرتقال فعلاً شافياً خاصاً في معالجة هـذا المرض وسنة ١٨٠٤ حتمت وزارة البحرية الانكليزية على كل وحدات الاسطول البريطاني ان تحفظ فيها مقداراً كبيراً منهما ، فقلَّ الاسكربوط حتى صار نادراً مع ان الوفاً من البحارة كانوا يصابون بهِ كلَّ سنة (والليمون المقصود هنا هو الليمون المعروف بالاضاليا)

وقد اثبتت المباحث الدقيقة في معهد لستر بلندن ان الاسكربوط كالبريبري مرض سببهُ نقص احد انواع الفيتامين من الطعام . فاطلق على هـذا الفيتامين الحرف الثالث من الحروف الابجدية (ج) وهو كثير في الفواكه والخضروات وخصوصاً البرتقال والليمون والطماطم (البندورة) واوراق الخس والكرنب (الملفوف) وقليل في اللبن واللحم . اما اللحم المحفوظ في العلب فخالٍ منهُ ولذلك لا يفيد اكلهُ في منع الاسكربوط . على ان الطبخ على النار يميت هذا النوع من الفيتامين وعليهِ فالخضروات المطبوخة لا تفيد في منع الاسكربوط. ولكن اذا لم يدم الطبخ اكثر من نصف ساعة بقي بعض ما فيها من الفيتامين فعالاً . ولما كان وجود مادة قلوية يزيد فعل النار بهـذا الفيتامين فيجب الاَّ تضاف مادة كربونات الصودا على الخضروات حين طبخها لئلا تأتي على البقية الباقية من الفيتامين فيها. وقد كان طبخ الخضروات خمس ساعات سبباً لحدوث ٨٢ اصابة بالاسكربوط في معسكر اسكتلندي سنة ١٩١٧ وقد ثبت ان الاسكربوط فشا في ارلندا سنة ١٨٤٧ وفي نروج سنة ١٩١٤ عقب امحال موسم البطاطس فيهما . ومن المواد الغنية بفيتامين (ج) البصل وهو رخيص الثمن

﴿ الكساح ومرض العيون ﴾ قلنا قبلاً انهُ ثبت ان فيتامين (ب) هو في الحقيقة فيتامينان الاول يساعد على النمو والثاني يمنع البريبري . وقد ثبت كذلك ان فيتامين (ا) فيتامينان دُعي احدهما فيتامين (ا) والثاني فيتامين (د) واشهر مصادرهما زيت كبد الحوت وادهان الحيوانات بوجهٍ عام . وكلاهما لازمان للنمو والاطعمة التي ينقصها فيتامين (د)

تسبب الكساح ومرضاً يصيب العينين فيجفف جفونهما وما قيها ويفقدهما لمعانهما وخصوصاً في الاطفال الرضع . وقد فشا هذا المرض الاخير في الدعارك في اوائل الحرب الكبرى لانَّ الامهات المرضعات كانت تمتاض عن الزبدة بالمرجرين وهي زبدة صناعية

اما نقص فيتامين (ا) فلا يؤدي الى ظهور مرضٍ خاص واعراض خاصة ولكنهُ يضعف الجسم ويعدّهُ للاصابة بعدوى المكروبات. على انَّ هناك مرضاً يصيب عيون الكبار وهو نوع من «العشاوة» يرجح ان سببهُ نقص فيتامين (ا) من الغذاء — وقد لوحظ ان هذا المرض كثيراً ما يفشو بين فلاحي الروس وخصوصاً في اثناء الصيام الكبير الذي يسبق عيد الفصح اذ يمنع في هذه المدة اكل اللحوم والسمك والبيض واللبن. ولما كان هذا المرض يشفى بتناول زيت كبد الحوت ترجح ان سببهُ نقص فيتامين (ا) من الغذاء

﴿ العقم ﴾ وقد وجد حديثاً ان هناك نوعاً سادساً من الفيتامين يكثر في قلوب الحبوب كالحنطة واوراق الخضروات كالخس وبعض الزيوت النباتية وهو قليل في بعض الانسجة الحيوانية وزيت كبد الحوت. وثبت انهُ اذا كان الطعام ناقصاً من هذا الفيتامين كان نمو الجسم غير طبيعي واصيب بالعقم وقد اطلق عليهِ فيتامين (ه)

اصل الفيتامين

قدمنا ان زيادة مقدار قليل من اللبن الطازة على طعام الجرذان في تجربة المستر رولند هبكنز الشهيرة كان كافياً لان يعيد الى الجرذان نموها ونشاطها . ولدى البحث ثبت ان فعل اللبن هذا يختلف، اي ان مقدار الفيتامين فيهِ يختلف باختلاف الزمن. فلبن البقر في انكلترا اكثر فيتاميناً في الصيف منهُ في الشتاء . فقادت هذه الحقيقة جمهور الباحثين الى التنقيب عن مصدر الفيتامين . هل البقرة تبنيهِ في جسمها ثم تقدمهُ لنا في لبنها او هو يبنى في المواد التي تأكلها البقرة ويظهر في لبنها ؟ فثبت ان مقدار الفيتامين في لبن البقر يختلف باختلاف ما تأكلهُ ويبلغ اعظمهُ عند ما تأكل البقرة الحشائش الخضراء في الصيف وينقص الى اقلهِ في الشتاء حين تقتصر على التغذية بالحبوب والقطاني

ويؤخذ من الادلة المتجمعة ان مصدر الفيتامين الاول في عالم النبات لا في عالم الحيوان . فقد تتبع العلماء فيتامين (ا) الذي في زيت كبد الحوت الى مصدرهِ فوجدوهُ في الحشائش البحرية الدقيقة ومقدار الفيتامين فيها كبير جدًّا ومن المرجح انها قادرة على تركيبهِ في جسمها من العناصر الاولية كما تركب الاشجار في اوراقها الخضراء السكر من الماء واكسيد الكربون الثاني . وامتحنت احدى هذه الحشائش البحرية فوضعت في حوض من ماء بحري معقم فتمكنت من تركيب فيتامين (ا) في جسمها

الفيتامين ونور الشمس

قلنا ان الكساح مرض يصيب الاطفال في عظامهم فينشأون ضعاف الأجسام مقوَّسي الارجل صفر الوجوه . والظاهر انهُ يصيب الكلاب وغيرها من الحيوانات أيضاً . وهو كثير التفشي في المدن الصناعية بين العمال الفقراء وقد ظل الاطباء منقسمين في سببهِ فريق يقول انهُ ناجم عن قلة الغذاء . وآخر يذهب الى ان سببهُ المعيشة في وسط غير صحي الى ان جاء الدكتور هبكنز سنة ١٩٠٦ وقال ان الكساح كالبريبري والاسكربوط سببهُ نقص نوع من انواع الفيتامين من الطعام وأثبت قولهُ بتجارب جربها في صغار الكلاب . كما اثبت ان تناول زيت كبد الحوت يشفي منهُ ويمنعهُ . وهـذا الفيتامين هو فيتامين (د) المقاوم للكساح

ثم ثبت من مباحث أخرى ان نور الشمس يفيد في شفاء الكساح ومنعهِ . وان الاطفال الذين يلعبون في الفضاء الطلق متعرضين لنور الشمس قلما يصابون بهِ . ولما عولج بعض الاطفال المصابين بهِ بتعريضهم للاشعة التي فوق البنفسجي شفوا . فحمل هذا البحث نفراً من العلماء على القول بان فعل نور الشمس واشعتها البنفسجية والتي فوق البنفسجية في حوادث الكساح هو كالفعل الناجم عن زيت كبد الحوت

ولم تعرف حقيقة فعل الشمس من هذا القبيل حتى كُشف ان بعض الاطعمة التي لا تحتوي على فيتامين (د) اصلاً يتولد فيها اذا عرضت للاشعة التي فوق البنفسجي . فهذا الفيتامين مثلاً قليل جدًّا في اللبن ولكن اذا عرض اللبن للاشعة التي فوق البنفسجي زاد مقدار فيتامين (د) فيهِ زيادة كبيرة . ولكن تعريض اللبن لهذه الاشعة يكسبهُ طعماً كريهاً ويميت فيهِ فيتامين (ا) فاذا اعتمد الاطفال عليهِ في غذائهم امنوا شرَّ الكساح ولكنهم تعرضوا للامراض التي تنجم عن نقص فيتامين (ا) . فجربت التجارب في الزيوت النباتية وثبت انها اوفى لهذا الغرض من اللبن اي لتوليد فيتامين (د) فيها واستعمالها غذاء . ولدى التدقيق ظهر ان مادة شمعية في هذه الزيوت تدعى كولسترول ، هي المادة التي يتكوَّن فيها فيتامين (د) بفعل الاشعة التي فوق البنفسجي . على ان العلماء لم يكتفوا بذلك بل واصلوا البحث فوجدوا في الكولسترول مادة اخرى نسبتها فيها نسبة ١ الى ٢٠٠٠ تدعى ارجسترول ، وانها هي المادة التي تتأثر بفعل الاشعة فتولد الفيتامين المقاوم للكساح (د) والمرجح ان هـذا الفيتامين سيكون الضربة القاضية على مرض الكساح اذا شاع استعمالهُ لان توليده بالطريقة المتقدمة سهل التناول قليل النفقة

الرائد

القصيدة التي نالت الجائزة الثانية في مباراة المقتطف

ابثك ما بي من جوًى يفلق الصما يجيش اذا ما رائد الامل احتما
واخشى على نفس بجنبيك حرة اذا بحت ان لا تحمل البث والهمّا
جوًى طالما اخفيته عنكِ فالتوى على القلب صلاً ارقماً ينفث السمّا
رعى الله قلباً قلبته يد الهوى على الجمر ان ساد الظلام رعى النجما
تحيّر بين الحب والمجد تائهاً فمن جاذب عفواً ومن دافع رغما
فكم ليلة وسدتك الزند والضنى ينم على وجدي كريّاك اذ نمّا
ضجيعين نمسي والهوى يستفزنا فنخمده رشفاً ونوقده لثما
فيورثنا حرّ الضمير فننثني عناقاً فنطفي حرّ انفاسنا ضمّا
ابيت على همّ لو ان يسيره برضوى لاهوى او يذبل لانهمّا
ومن كان ذا انف اشمّ فقد ضوى اليه من التبريح ما اثقل الشما
اتدرين لم لم تألف النوم مقلتي ولم لم تفارق مهجتي الهمّ والسقما
لعلك ترضين العلى لي ان اجع بسري او لا تكبرين بي الحزما
تهون عليّ النفس عندك مثلما تهونين عندي ان أرى انصر العلما
هو العزم ما بين المنية والمنى فسيان اودى المرء او فقد العزما
اريد ارتياد القطب والحتف دونه فاما العلى فوزاً واما الردى إما . . .

***

فقالت : امسّ فيك ام انت ابله اعيذك ام هل اعمه انت ام اعمى ؟
تركت يقيناً في وجود مخلد ورحت تعاني في يد العدم الوهما
فكم رائد في البحر صاحب حوته وكم بهمة في البر قد آنس البهما
فما الرأي ان تفشل وما النفع ان تفز وما شأن من يمسي الاياب له غنما
فقلت لها قد قال قولك معشر ولكنّ لي عن قولهم اذناً صما
ونادر لنا اذ فيه اطلقت مقولي وحاولت اقناع النفوس به حتما
الحّ عليّ القوم ما بين عاذل وبين جهول قام يوسعني شتما
فمن قائل قد جن هذا وزاعم باني هذار اصابني الحمى

وقالوا تطلبت المحال ضلالةً وسميت ويك الجهل علماً لنا ظلما
لو انك حاولت العروج الى السما وامسيت في قوس البروج اذاً سهما
لاسهل من ان تطوي البرّ خابطاً واقرب من ان يعبر الرائد اليمّا
وقلع مسامير النجوم من الفضا لايسر من ان يبلغ القطب من امّا
فقلت اذا هاج الفتى العزمُ حلّقت عزائمهُ في الجو بالهمة الشما
يحاورني الجهال في كل محفل وترمقني الابصار تفحص بي الوصما
فيعجزني تبيان قصدي وانما عسير على الانسان ان يفهم العجما
فأزمعت بعد اللوم لا مترقباً واملت حمد الرأي لا خائفاً ذما
واهملت طيب العيش وهو محببٌ وفضلت حمل النائبات على النعمى
وفارقت اصحابي واهلي وجيرتي وقومي حتى الصنو والخال والعما
فان انس لا انسى العجوز اذ انحنت تقبلني باللهف والامر قد حمّا
تقول الا يا ليت نفسي لك الفدا وقلْ الفدا لابن ابيت لهُ أمّا
الا في سبيل العلم سر حيث ما تشا وفي ذمة الرحمن ظعنك ان زما
وودعت عرسي وهي لي غاية المنى ونبذت انسي واستعضت بهِ الغما
ولما تعانقنا وحان فراقنا لممنا كلانا الشوق تحت النوى لمّا
فقبلت منها العين والخد واللمى وصيرت زادي الفم واللثم والشما
فاشبه در الدمع لؤلؤ ثغرها فن لامع نثراً ومن ناصع نظما
فوالله ما ادري اقبّلت مدمعاً اذ اختلط التبريج ام مبسما ألمى
ولي طفلة كالبان قدّاً اذا انثنى وكالبدر في وجه أغر اذا تمّا
بكت فبكى من كان حولي بادمع حرار تذيب الشحم او تفطر العظما
وقالت رعاك الله ليتكَ ترعوي فتصرف عني يوم ترحالك اليتما
تخلفتها حسرى بعين قريحةٍ وودعتها والدمع يستمطر الرحما
وحلقت في الجو المريع مخلفاً لدى الاهل روحاً ثاوياً فارق الجسما
وسخَّرت بالعزم الفضاء وقد هوى من الهول نسر الجو اذ حاول الصدما

***

كأن لفيف السحب اوراق كاتب يخط يراع البرق فيها لنا رسما
كأن الرواسي تحتنا أكر بها تلاعبت الارياح تقذفها لطما

بطيارة قد غالب النسر شأوها فكاد السحاب الجون يحطمها حطما
فباتت بعصف الريح ريشة طائر وكان كثيف الغيم يهوي بها رغما
فادت وحاولنا النزول الى الثرى ولكن خشينا البحر يلقمنا لقما
فلنا الى مالم يطئه ابن آدم وصرنا لمن يرتاد من بعدنا ادما
نزلنا على ارض الجليد بهمة بلغنا السما بل قد بلغنا بها الاسمى
فشاهدت ما لم تشهد العين مثله وحُملت ما لم يحمل المرء لو همّا
ومرت علينا اربع لم نذق بها طعاماً ولم نعرف لغير الطوى طعما
سل الجوع عنا فهو ينبيك اننا صبرنا كراماً اواذا شئت سل عما . . .
فاردى الطوى طيارنا وهو خير من يعزُّ علينا اذ شكا القر والقرما
وصدّنا بعيد الجوع دبّاوقد غدا الذ طعام لم نذق مثله لحما
فكنا نروم الاكل من قبل شيّه وكدنا نكد العظم نلهمهُ لهما
وخل حديث البرد عنك فانهُ تهاون لما شام من عزمنا الحدما
فلم يثننا هذا وذاك عن العلى ولم يسلب الجهد الذي غاب الحتما
مشينا على الاقدام لكن رؤوسنا تنازع منا الارجل الزحف والدما
واكبادنا كانت ترى لا عيوننا سوبعةً لم نبصر طريقاً ولا رسما

***

لك الله من هول لقيت ومحنة حملت تريع الحل او تحزن الخصما
فما الدهر ان اخنى وما الويل ان دها وما الليث ان اردى وما السهم ان اصمى
باعظم من هول بهِ اسودَّ يومنا فشبنا بما ابيضت بهِ الليلة الدهما
ولما بلغنا القطب والموت دونهُ نسينا بهِ الآلام والنصب الجمّا
وعدنا وقد طرنا باجنحة المنا وفزنا وفاخرنا بها البطل القرما
وما البطل السفاك ان اخضع الورى كمن راد صعب الارض او خدم العلما

***

وجئت الى قومي بأسنى هدية فزال العنا عنا وصفو المنا عمّا
وسار الى اقصى البلاد حديثنا وصرت اذا عدّت شهام الورى شهما
الا فليخطّ المجد لي فوق صدره من الذهب اسماً حينما خلد الاسما

طهران عباس ميرزا الخليلي



دقائق الجماد تتصرف كالخلايا الحية

هل فيها سرّ التولّد والحياة ؟

هل هي حلقة الاتصال بين الجوامد والاحياء ؟

حركات الجماد

اذا اذبت قليلاً من ملح الطعام في الماء ووضعت نقطة من هذا المذاب على زجاجة تحت المكرسكوب فانك تشاهد بلورات الملح تتكون امام عينيك اشكالاً مربعة منخفضة من وسطها كأنها بيوت تبنى او كأنها المربعات الحربية في ساحة القتال. وكل البلورات تتكون على هذه الصورة فان دقائقها لا تكتفي بان تتحرك فقط ولكنها تتحرك حركة منتظمة حتى تبنى منها اشكال هندسية منتظمة انتظاماً بديعاً جداً ولكل نوع من المادة المتبلورة شكل خاص بهِ كأنها النباتات او الحيوانات التي لكل نوع منها شكل خاص بهِ .فالحيوان والنبات والجماد متماثلة من هذا القبيل

ولقد شوهد ان نقط الزئبق الصغيرة تتحرك حركة تشبه حركات الحيوان والنبات او حركات دقائقهما وأول من انتبه لذلك بازوف Paaizov وذلك سنة ١٨٥٨ فانهُ وضع نقطة من الزئبق في صحفة مستوية وصبّ على هذه النقطة قليلاً من الحامض الكبريتيك ووضع الى جانبها بلورة صغيرة من بيكرومات البوتاس فجعلت نقطة الزئبق تتغير في شكلها وتتحرك فتدنو من بلورة البيكرومات ثم تبعد عنها ثم تدنو ثم تبعد دواليك. ومتى دنت تقعّرت في الجهة المقابلة للبلورة . وسبب ذلك ان البيكرومات يؤكسد وجه الزئبق الذي يليهِ فيقل تماسك الزئبق بعضهُ ببعض وتنجذب النقطة الى البيكرومات ولكن الجزء الذي تأكسد يذوب في السائل حالاً فيعود ما بقي من نقطة الزئبق الى تماسكه الاول ويبعد عن البيكرومات . ثم يتأكسد جزء من الزئبق فتنجذب النقطة كلها الى البيكرومات ويذوب هذا الجزء الذي تأكسد فتبعد بقية الزئبق عن البيكرومات وهلمَّ جرًّا

وقد اعاد احد الفسيولوجيين الآن هذه التجربة على صورة اوضح حتى صارت حركة نقطة الزئبق مثل حركة الحيوان تماماً وذلك انهُ وضع نقطة الزئبق في صحفة من الزجاج موضوعة وضعاً افقيًا وصبّ في الصحفة حامضاً نتريكاً مخففاً ووضع فيها بلورة من

بكرومات البوتاس على بضعة سنتمترات من نقطة الزئبق . فحالما انتشر المذاب الاصفر من البلورة في السائل جعلت نقطة الزئبق تدنو منها حتى تتصل بها ثم تبعد عنها ثم تدنو ثم تبعد دواليك . واذا أُبعدت البلورة عنها فانها تتبعها اينما سارت حتى تصل اليها وتكاد تحتضنها ثم تبعد عنها

ولا يخفى ان بعض الاحياء الدنيا كالاميبا تتحرك على هذه الصورة اذا ادنيت منها بعض المواد الكيماوية . فاذا ملئ انبوب دقيق بمذاب خفيف من كلورات البوتاس او البيتون ووضعت فيهِ نقطة من الزئبق فيها مكروبات متحركة فبعد ثوانٍ قليلة تجد هذه المكروبات قد اسرعت واجتمعت عند فم الانبوب وهي تمدُّ زوائدها امامها كانها ايدٍ تتلمَّس بها وكانها تشعر ان في تلك المادة الكيماوية طعاماً لها فتهجم عليها لكي تغتذي بهِ. وقد اطلق على هذه الصفة اي صفة الانجذاب الى المادة الكيماوية اسم الكيموتكسس Chemotaxis اي الانتظام الكيماوي

احياء صناعية

وقد عالج الاستاذ هريرا المكسيكي — رئيس قسم البيولوجيا في مصلحة الزراعة المكسيكية — هذا الموضوع من جهة اخرى فكشف فيهِ عن عجائب تحير اللب

ذلك انهُ يأخذ خمسين جزءًا من زيت الزيتون ويذيبها في ١٠٠ جزء من الغازولين ثم يأخذ ١٤ جزءًا من القلي ويذيبها في مائة جزء من الماء المقطر ثم يضيف على هذا المحلول قليلاً من صبغ الانيلين الاسود حتى يستطيع ان يفرق بين المحلولين

ثم يضع المحلول الاول (زيت الزيتون والغازولين) في صحن ضحضاح من الخزف ويقيمهُ في مكانٍ هادئٍ مستورٍ حتى يثبت لهُ ان ما فيهِ من الحركة غير ناتج عن فعل الجاذبية . ثم يتناول قطارة ويأخذ بها نقطاً من المحلول الثاني الاسود (القلي والماء المقطر) ويزجُّها في المحلول الاول تحت سطحهِ . ثم يقدم لزائرهِ عدسية مكبّرة ويطلب اليهِ ان يراقب ما يحدث

وفي الحال تبدأ الحركات الغريبة في الظهور. وكأن القطرة السوداء اصبحت خلية حية فتبدأ ترتجف وتهتز بنفسها . بل تبدأ تختلج وتتنفس ثم تنقسم اقساماً كالحيوانات الدنيا . وهذه الاقسام الجديدة تأخذ في الحركة كانها غير قانعة بالبقاء حيث هي . بل هي تطارد القطرات الاخرى آناً وتجتنبها آناً وتشتبك معها في معركة آناً آخر . بل هي تمدُّ في بعض الاحيان اذرعاً كاذرع الاميبا او كاذرع السديم لمحاربة القطرات الاخرى

فهذه القطرات الغريبة تتصرف كالخلايا الحية . تراها تغتذي وتتولد اي تكبر حجماً

وتنقسم اقساماً تظهر فيها مميزات القطرة الاولى وتتحرك وتحارب كما تفعل الاميبا في بركة من الماء تقطنها الوف من اخواتها . على ان الاستاذ هربرا لا يدعي ان هذه القطرات حية بل يعلل حركاتها ببعض النواميس الطبيعية والكيماوية المعروفة وهي النواميس التي يجري بموجبها فعل « التصبين » اي تكوُّن الصابون من القلي والزيت

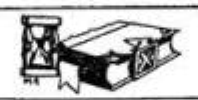
التعليل

حين تزج القطرة السوداء من محلول القلي والماء في محلول الزيت والغازولين يتكون حولها في الحال غشاء صابونيٌّ شفاف . فلدينا اذاً قطرة من محلول اسود يحيط بها غشاء صابوني وكلاهما معلق في محلول تختلف مادتهُ عنها اختلافاً بيناً

وهذا الغشاء الذي يحيط بالقطرة السوداء كالاغشية التي تحيط بالخلايا الحية ويعرف بجدارها وهو رقيق شفاف تخترقهُ جواهر السوائل فحالما يتكون حول نقطة القلي السوداء تأخذ الجواهر من المحلول الخارجي تحاول اختراق الغشاء الى داخلهِ وجواهر القطرة التي داخل الغشاء تحاول اختراقهُ حتى تخرج منهُ ويعرف هذا الفعل بالاسموسس فتنشأ عن ذلك تيارات دقيقة من الخارج تحاول الدخول وتيارات من الداخل تحاول الخروج فينجم عن هذه الحركات تغيّر مستمر متتابع في شكل القطرة وتركيبها لانها بدلاً من ان تكون محلولاً من القلي في الماء تدخل عليها قطرات من محلول آخر هو محلول الزيت في الغازولين وتتحد بها . ثم تبلغ القطرة درجة تصبح عندها ذرة من الصابون فتسكن بعد الثورة والحركة . والمدة التي تقتضيها قبل بلوغ هذه الدرجة رهن حرارة السائل التي تعلق فيهِ ، فاذا كانت حرارتهُ ٥٠ درجة بميزان فارنهيت كانت مدة « حياة » القطرة ثلاثة ارباع الساعة

ولا تكفي نواميس الاسموسِس لتعليل حركات هذه الدقائق بل لا بدَّ من تطبيق مبادئ الضغط السطحي وبعض النواميس الكهربائية التي تعرف بها مقدار الشحنات الكهربائية التي في الايونات . ولذلك يقترح الاستاذ فربرا تجربة واسعة النطاق تتناول هذا البحث وهي بناء بحيرة كبيرة يوضع فيها المحلول الاول (محلول الزيت في الغازولين) ثم ادخال قطرات كبيرة نوعاً من محلول القلي في الماء المقطَّر فيستطيع الباحثون ان يدرسوا حقيقة هذه الظاهرات درساً اوفى

وقد جرَّب تجارب اخرى بمواد آلية مثل التنين والالبومين والادهان على اختلافها فقلَّد حركات البكتيريا والبرتوبلازم وميكروبات السترپتوكوكس وما اليها من الاحياء



هل تندثر مدوّنات العصر؟

او الورق والتاريخ

اقتراح على اصحاب الصحف العربية

وضع لنا مؤرخو القرن التاسع عشر والقرن العشرين قواعد الاسلوب العلمي في كتابة التاريخ فكان من اهم هذه القواعد العناية بالآثار والمدوّنات والوثائق الرسمية واستنطاقها متجردين عن هوى النفس . فرسّخ ذلك في نفوسنا وجوب العناية بحفظ مصادر التاريخ سليمة لا تعبث بها ايدي الدهر في حدثانه . لذلك تبنى خزائن الكتب وتشاد المتاحف تحفظ فيها الآثار او توقف المبالغ الطائلة من المال على العناية بدور العلماء والفلاسفة والقوّاد لتكون مزاراً للناس ومصدراً للتاريخ

وبعد ما علمنا مؤرخو القرن التاسع عشر والقرن العشرين قدسية هذه الآثار وضرورة حفظها سليمة حتى يستطيع مؤرخو القرون المقبلة ان يستنطقوها اخذ الكتّاب والعلماء والفلاسفة يطبعون كتبهم على ورق مصنوع من رُبّ الخشب الذي لا يلبث ان يأتي عليهِ حين من الدهر حتى يتلف ويندثر

ولا يعرف عصر في عصور التاريخ منذ فجرهِ الى الآن عمد أبناؤهُ الى تخليد آثارهم في مادة قابلة للاندثار كهذا العصر . فمن شرائح الخيزران التي كتبت عليها كتب سيلان المقدسة الى الرُقُم الدلغانية التي حفظت فيها كتابة الاشوريين المسمارية الى ورق الصين الحريري الى بردي مصر وغرانيتها الى رقوق العصور المظلمة — مواد مهما قيل فيها فلا سبيل الى انكار مقدرتها على مقاومة انياب الدهر قروناً بل عشرات القرون . اما الورق الذي تطبع عليهِ صحفنا اليومية واكثر مجلاتنا الشهرية وطائفة كبيرة من الكتب فلا يقدَّر لهُ من الحياة اكثر من عشرين سنة او ثلاثين

فدروج البردي المصرية التي يرجع تاريخها الى اكثر من اربعة آلاف سنة لا تزال محفوظة سليمة من الاذى تتناولها ايدي العلماء تطويها وتنشرها وهي تفضل في ذلك كثيراً من الصحف اليومية التي طبعت في اثناء الحرب الكبرى . وفي خزانة ليدن الهولندية كتاب عربي من عصر النبي مكتوب على ورق مصنوع من الياف القطن ولا تزال صفحاتهُ متينة

تقلبها وتقرؤها فاذا هي افضل من كثير من كتب العصر . وبعض المطبوعات التي طبعت في اول عهد الطباعة تفوق في متانتها المجلات والجرائد التي طبعت سنة ١٩٠٠ والتي اخذت يد الدهر تمزقها كلَّ ممزق

> اطلعنا على هذا البحث النفيس في مجلة السينتفك اميركان فرأينا ان نأتي على خلاصتهِ ونشفعهُ باقتراح على اصحاب الصحف العربية لا بدَّ ان تنجم عنهُ فائدة علمية اذا أُخذ بهِ . فابناء الحضارات القديمة خلفوا لنا آثارهم في رقم الدلغان ودروج البردي واحجار الغرانيت وصحائف الحرير ولفائف الرق وهي لا تزال متينة تقاوي انياب الدهر على قدم عهدها بهِ . فهل يكون نصيب الصحف والمدوَّنات في هذا العصر نصيب المدوَّنات القديمة من البقاء ؟

صناعة الورق من الحرير والكتان والقطن قديمة يرجع تاريخها الى الفي سنة تعلمها العرب من ابناء الصين ونقلوها الى اوربا في العصور المتوسطة فحلَّ الورق محلَّ الرقوق الثمينة التي كانت معتمد الاوربيين الوحيد في نسخ المخطوطات ويقال ان الامبراطور فردريك باربروسا منع استعمال هذا الورق لكتابة الاوامر والنشرات الامبراطورية لظنهِ انهُ ضعيف المقاومة سهل الاندثار

ثم أُستنبط فن الطباعة فقلب آية التأليف والنشر وبنيت عليهِ صناعة كبيرة هي صناعة طبع الكتب ونشرها . وصارت الكتب في متناول الجمهور فانتشرت آيات العلم والفلسفة والصناعة وما زالت حتى الآن تزيد رواجاً وذيوعاً . على ان استنباط فن الطباعة ما كان يكفي لرواج الكتب وذيوعها لولا استنباط طريق صناعية لصنع مقادير كبيرة من الورق بنفقة قليلة

لقد ثبت ان الورق الذي كان يصنع في العصور الوسطى باليد من الياف الكتان او القطن يستطيع ان يبقى على الزمن ويقاوم انياب الدهر . فمخاوف الامبراطور فردريك بربروسا لم تكن قائمة على اساس متين . والنشرات الامبراطورية عمّرت بعد ما زالت القوانين التي دُوّنت فيها . والكتب التي طبعت في القرن الخامس عشر لا تزال في خزائننا متينة القوام صافية الرواء

ولكن في اوائل النصف الثاني من

القرن التاسع عشر كشف عن مبدأين جديدين قلبا صناعة الورق رأساً على عقب . الاول استنباط آلة لصنع مقادير كبيرة من الورق بنفقة قليلة . والثاني صنع الورق من الالياف الخشبية التي في انواع مختلفة من الحشائش والاخشاب فرخص بذلك ثمن الورق كثيراً عما كان عليهِ وصار في مستطاع اصحاب الجرائد ان ينشئوا صحيفة في نحو ٢٤ صفحة من حجم المقطم ويبيعوها باقل من نصف غرش. نعم ان الاعلانات مورد كبير من موارد الرزق لاصحاب الصحف ولكن لولا استنباط الآلات التي تصنع لفات الورق الضخمة ولولا الكشف عن طريقة لصنعهِ من الياف الاشجار والحشائش الرخيصة الثمن متى قيست بثمن ألياف الكتان او القطن ، لبقي الورق غالي الثمن وبقيت الصحف مقيدة بقيود ثقيلة تعيقها عن النهوض والارتقاء

والمبدأ الذي بنيت عليهِ صناعة الورق هو استعمال الالياف الخشبية الدقيقة التي في جدران الخلايا النباتية سواء كانت هذه الخلايا من خرق قطنية او من جذوع اشجار او من انواع خاصة من القش . تؤخذ الخرق القطنية مثلاً فتنظف وتقطع وتبلّ وتغلى حتى تتحول رُبًّا ثم يؤخذ هذا الربُّ ويوضع في اسطوانة كبيرة وتغمر بماء نقيّ حارّ اذيبت فيهِ الصودا وتضرب جيداً باجهزة خاصة حتى تقطع الالياف الخشبية ويصبح الربُّ دقيقاً ثمَّ يلوَّن باللون المطلوب او يُقصَر او يترك على لونهِ ثم تضاف اليهِ مادة غروية تمسك الالياف الخشبية الدقيقة معاً فيستطاع مدّها ورقاً. ثم يحَلُّ كل هذا بالماء ويمرُّ طبقات رقيقة جدًّا في آلة معقدة التركيب فتبخر الماء رويداً رويداً وتترك الالياف والغراء فتتماسك معاً وتصبح ورقاً

فالالياف الخشبية هي العمدة في صناعة الورق فاذا انحلَّت هذه الالياف واندثرت انحلَّ الورق المصنوع منها واندثر . والالياف تختلف في قبولها للانحلال والاندثار باختلاف المصادر التي تؤخذ منها . فمنها الياف يصعب عليها ان تتحد بغيرها من المواد فتحفظ قوامها زمناً طويلاً ومنها ما يسهل عليهِ هذا الاتحاد فيبلى ويندثر . فقيمة كل ورق قائمة على استعداد اليافهِ للاتحاد بغيرها من المواد او عدم استعدادها لذلك. ولا يخفى ان المادة الاساسية في كلّ هذه الالياف سواء كانت من القطن او الكتان او القنب او القش او الخشب هي السلولوس . ولكن سلولوس الخشب يحتوي على مواد ميالة الى الاتحاد بغيرها فالورق الذي يصنع منها سريع الانحلال قريب العهد بالفناء . واما سلولوس القطن والكتان والقنب فيحتوي على مواد ميالة الى العزلة غير راغبة في الاتحاد بغيرها من المواد. فالورق

الذي يصنع منها ورق متين يبقى على الزمن . اما العنصر الذي يبلي الورق فهو اكسجين الهواء الذي يتحد ببعض المواد التي في الالياف فتنحلُّ وتندثر واتحادهُ بها هو من قبيل الاحتراق البطيء . لان كل اتحاد بالاكسجين في عرف الكيماويين احتراق فاذا كان الاتحاد عنيفاً تولدت حرارة تظهر لهباً واذا كان بطيئاً كانت الحرارة التي تتولد من هذا الاتحاد قليلة متدرجة الظهور فلا يظهر لها اثر بيّن

واذا كان الجو رطباً او عُرّض الورق اتفاقاً لدخان بعض الغازات فعلت بهِ بقايا الحوامض التي دخلت في تركيبهِ واتلفتهُ واذا طلي الورق بالجلاتين اصبح مرتعاً خصباً للمكروبات حين بلـه. على ان عدو الورق الاكبر هو الاحتراق البطيء اي الاتحاد بالاكسجين فاذا كانت اليافهُ من الشجر والقش لم يقو الورق على هذا العدو وخصوصاً إذا كان كثير الاستعمال واما اذا كانت من الكتان او القطن او القنب صدتهُ عنها هازئة بهِ

الصحافة والتاريخ

والصحف هي السجلّ الذي تدوَّن فيهِ كلُّ انباء العمران يوماً فيوماً ويجب ان يكون سجلاً خالداً يستطيع ابناء القرون المقبلة ان يرجعوا اليهِ كمصدر من مصادر التاريخ . على ان قرّاء الصحف لا يحفظون نسخة منها بعد مطالعتها فطبعها على ورق كتاني متين من قبيل الاسراف الذي لا داعي لهُ فضلاً عن انهُ يحدُّ انتشار الجريدة لغلائها . ولكننا نرى انهُ يجب على كل صاحب جريدة او مجلة ان يطبع منها بضع نسخ على ورق كتاني متين تحفظ في ادارة الجريدة نفسها وفي خزائن الكتب العامة. وقد كانت جريدة نيويورك تيمس سبّاقة الى تحقيق هذه الغاية فان اصحابها يطبعون كلَّ يوم نسخاً منها على ورق كتاني كالقماش ليحفظ سجلاً عامًّا لما تي العمران. وقيمة الاشتراك بنسخة من هذا النوع ٣٤ جنيهاً مع ان قيمة الاشتراك بنسخة مطبوعة على الورق العادي لا تزيد على ١٤٠ غرشاً صاغاً

وعندنا انهُ يجدر بكبريات الصحف المصرية ان تطبع كلٌّ منها بضع نسخ كل يوم ، على ورق كتاني متين تحفظ احداها في دار الكتب المصرية والاخرى في خزانة الجامعة المصرية والثالثة في خزانة ادارة المطبوعات (اذا كان لها خزانة لحفظ الصحف) ورابعة لادارة الجريدة نفسها. ولا بد ان تعنى بعض الجامعات الكبيرة في اوربا واميركا وحكومات البلدان الشرقية بطلب هذه النسخ المطبوعة على ورقٍ خاص لحفظها في خزائنها . فمجلدات الصحف المصرية في دار الكتب المصرية تكاد تندثر في زواياها لكثرة التقليب مع انهُ لم يمضِ على اقدمها من الصحف المنشورة الآن اكثر من قرن واحد

مقاييس النجاح

هل نقيسهُ بالشهرة او السعادة او الغنى او خلود الذكر ؟

ما النجاح ؟ ان رأي صموئيل صميلز[1] فيهِ معروف مشهور : يؤمُّ طالب صناعة مدينة لندن وهو لا يملك أكثر من نصف ريال فاذا ما وجد عملاً واصل ليله بنهارهِ في الانكباب عليهِ فيظفر برضى رئيسهِ وثقتهِ بهِ فيرقيهِ ثم يتخذه شريكا له في عمله ثم يزوجهُ ابنتهُ فاذا مات كان من أصحاب الملايين

هذا هو النجاح المحسوس الذي يعنيهِ والذي لا يختلف فيهِ اثنان

وكل رئيس وزارة رجل ناجح لانهُ لو لم يكن كذلك لما توصل الى هذا المقام الرفيع في ادارة أحكام بلادهِ . كذلك يحسب القاضي او رئيس الاساقفة او قائد الجيش او المؤلف الرائجة مؤلفاته ناجحاً من هذا القبيل ، كلٌّ في عملهِ الخاص . ويزعم أكثر الناس ان كلاً من هؤلاء كان يفضل إما ان يكون مثرياً وإما رئيس وزارة اذا تسنى لهُ ذلك . ولكن لا ريب في انهم افلحوا في العمل الذي تفرغوا لهُ

وتوجد بلا شك طرق أخرى لقضاء الحياة تستهوي بعض الخلق ولكنَّ المجتمع الانساني لا يحسبها عادة تفضي الى النجاح

فقد كان روبرت براوننج (١٨١٢ — ١٨٨٩) الشاعر الانكليزي يظن ان العالِم بالنحو والصرف الذي يقضي حياتهُ في تفهُّم مغامض الصرف الاغريقي معلقاً على عملهِ النجاح التام او الخيبة التامة ، في مقدمة الناجحين . وقد عرفتُ عِدة من هؤلاء العلماء فاذا هم لا يرنون مطلقاً الى تيجان تزدان بها رؤوسهم واذا هم أسرى عاداتهم لا غير ، ولو حيل بينهم وبين مكاتبهم وكتبهم يوماً واحداً لحلَّ بهم الشقاء ولم يهنأ لهم عيش

ويسلم جم غفير من الناس بالقول « إن السعادة غايتنا من الوجود وضالتنا المنشودة في الحياة » ومع ذلك ، وهو من المستغربات ، تراهم لا يعترفون بأن النجاح هو السعادة نفسها . ولو فعلوا ذلك لتحتم عليهم تغيير رأيهم في حقيقة النجاح تغييراً عظيماً . ولقد قيل ان الرجل السعيد يملك أفضل الاسباب لصيرورتهِ سعيداً وذلك السبب هو سعادتهُ الراهنة .

---

(١) مؤلف كتاب سر النجاح

وربما كان هذا الاعتقاد صحيحاً . ولكن الرجل القنوع ينقصهُ كثير من الاستعداد للجري في ميدان الحياة . لأن من يطلب قليلاً لا يفوز الا بقليل . وقد يكون حب الشهرة والرفعة عند السعداء أحياناً مدعاة للسرور ولكنهُ في الغالب سلوى للاشقياء

ويدعونا جورج بورو (الرحالة الانكليزي المؤلف ١٨٠٣ — ١٨٨١) في أحد مؤلفاتهِ الى الاعتقاد بأن « الميل الى الخمول العقلي قد يكون صديقاً حميماً للانسان » — كأنهُ يقول — « ذكاء المرء محسوب عليهِ » او « إن العلماء يشقون بعلومهم » او « إن ذوي الجهالة لفي نعيم مقيم » فقد قال : « ان رمت يا صاحِ ان تكون حليفاً للحبور فارض بأن تكون مجنوناً . فايُّ عمل عظيم كان ثمرة من ثمار المسرَّة والحبور ؟ ومن هم الذين اشتهروا بالفطنة والقوة وتدويخ الاقطار ؟ أكانوا من أبناء السرور ؟ كلاَّ »

إن تراجم العظماء على الاجمال تؤيد رأي بورو هذا . على أننا لو تتبعنا نشأة اولئك العظماء لوجدناهم في الغالب قد عاشوا عيشة بؤس وافلاس مرغمين على الكفاح كفاحاً شديداً بلا معين ، اذلاء ، مضطربين اضطراباً يفوق الحدَّ الذي كانت تقتضيهِ أحوالهم . وطالما اعترفوا بأن أسعد ايام حياتهم كانت في أثناء جهادهم الاول الذي أسفر عن فوزهم فوزاً يسيراً في البدء . وكانت انتصاراتهم العظمى في بعض الاحيان لا يعقبها الاَّ زوال ابتهاجهم لانها كانت تأتي بعكس ما كانوا يقصدون فكانت صحتهم تعتلُّ بعد معاناة الشدائد التي لا بد من معاناتها لاحراز النصر ، اوكانوا يتعودون عادات تحرمهم التمتع بلذة الظفر اذا ما أُوتوه . فلا يجرؤ بعد هذا احدٌ على الزعم « ان الناجحين في الغالب سعداء » الاَّ اذا كان النجاح في اعمال غير شريفة او سهل المنال لا يقتضي جهداً وعناء

وأغلب العظماء ، كما يقول المستر اوغسطين بيريل في احدى مقالاتهِ البليغة يبغضون عظمتهم لانها ليست من النوع الذي يهيمون بهِ

كان جراي شاعراً مجيداً ونال عرَضاً منصباً رفيعاً في احدى الجامعات بينما كان يصبو الى منصب قائد جيش مظفَّر ولكنهُ نظم قصيدتهُ « رثاء في مقبرة قروية » ولم يفز بالاستيلاء على مدينة كويبك . على حين دوَّخ القائد ولف تلك المدينة وكان في اثناء انتصاره يقول « ليتني أنشأت مرثية كالتي نظمها جراي ولم أحرز هذا الفوز المبين »

ثم ان كارليل [1] الذي كان شعاره « الضرب افضل من الكلام » أو « السيف أصدق انباء من الكتب » قد خالف هذا الشعار فألف نحو ستة وثلاثين مجلداً أطنب فيها بفوائد الصمت

(١) اديب مؤلف اسكتلاندي (١٧٩٥ — ١٨٨١)

اما المرضى من الادباء مثل هنلي المقعد او روبرت لويس ستيفنسن المسلول فقد أطلقا العنان لتخيلاتهما في وصف ضروب الشدة والعنف واراقة الدماء البشرية

واذا غضضنا الطرف هنيهة عن مقياس الغبطة لانهُ ليس مقياساً ثابتاً للنجاح — لانَّ السعداء إما حيل بينهم وبين السعادة وإما قد الهتهم شواغل الحياة عن التفكير في هل هم سعداء حقيقة أو اشقياء — صادفتنا مشاكل اخرى عويصة تتطلب الحل وهي :

لماذا اعتدنا نعت كل امر حميد العاقبة حميداً ؟ وما سبب عظمة شأن امرىء في خاتمة تاريخ حياتهِ وان كان وضيع المحتد ؟ أو هل تظن ان الذي يقضي حياتهُ متجشما اصعب المشاق ابتغاء القوة اوالمنصب او سعياً وراء الاعمال الكبيرة ناجحاً؟ مع انهُ اذا ما نال اربهُ في النهاية لا يلبث ان يحرم ثمرة مجهوده وهي على قاب قوسين من فيهِ اما بساطان الموت واما بدافع الضعف واما بسبب الكوارث العائلية ؟

أكان بولس الرسول مخفقاً لانهُ عوقب بقطع رأسهِ ؟ وهل كان نابليون قائداً غير مظفَّر لانهُ نفي ومات شريداً في جزيرة القديسة هيلانة ؟ وهل كان رفائيل[1] وموزارت[2] خائبين لان غصن حياة كليهما هصر رطباً

يكلف رجلان بغانية فيفوز احدهما بها وينظم الآخر فيها قصيدة بليغة فايهما الفائز . انزلت بياتريس آي الشعر الخالد على دانتي ولكن زوجها كان يحسبها امرأة عادية . فايهما كان مفلحاً ؟ الرجل الذي حرمها ام الرجل الذي تزوجها ؟

أما وجوب الاحجام عن وصف اي انسان بالنجاح حتى يموت فيحكم عليهِ حينئذٍ الحكم النهائي — فلا يصلح اتخاذه قاعدة ثابتة ولا مقياساً صحيحاً للعظمة . فكم من رجال ماتوا في ربيع الحياة وبعضهم قضوا أشقياء مع انهم في بدء حياتهم قاموا باعمال جعلت العمران مديناً لهم

أما مشكلة نيل الشهرة بعد الموت واعتبارها عنصراً من عناصر النجاح فما زالت متعذرة الحل . فقد كان روجرس يعتقد أنهُ شاعر مفلق وقد تمتع بشهرتهِ كل التمتع مع أنهُ غدا نسياً منسيا. ولو مات وردزورث في الخمسين من عمره لما كان من حظهِ الاعتراف بفضله في حياتهِ أما الآن فهو آمنٌ مطمئن على مقامهِ الادبي . وكان المصور الفرنسي ميليه في متربة على حين كان — ميله الانكليزي يكسب ٣٠ الفاً من الجنيهات الانكليزية في

---

(١) مصور ايطالي (١٤٨٣ — ١٥٢٠)
(٢) موسيقي نمسوي (١٨٥٦ — ١٨٩١)

كل سنة. فأيهما كان أعظم نجاحاً؟ المصور الافرنسي الذي رسم «الانجلوس» أم الانكليزي الذي صوَّر على رقع الكتان صوراً حازت اعجاب الجمهور فراجت سوقها؟

وهذه المسائل التي يصعب تفسيرها تفسيراً مقبولاً لا بدَّ ان تسوقنا الى البحث عن معيار آخر للفلاح لا يقوم على النجاح المادي الظاهر الذي فتن بهِ صموئيل صميلز. لان النجاح متعلق بكنهِ الانسان أو مصيره ولا يقوم على ما يكسبهُ او يربحهُ. وهذا مما يرجع بنا الى المشكلة القديمة. كيف نحكم على الانسان — بصفاتهِ الظاهرة او بحقيقتهِ غير الظاهرة؟ وقد بحث فيها سقراط الفيلسوف في الجزء الاول من كتاب افلاطون المسمى «الجمهورية» وأدت بهِ مباحثهُ الى الاعتراف «بأنهُ خير للانسان التحلي بسجية العدل من تظاهره بهِ ولو مات الدعيُّ حائزاً لسمات الشرف وشارات الاكرام وهلك الرجل العادل شنقاً بعد احتماله صنوف التعذيب والآلام»

ونحن إذا ما قرأنا تلك الجملة التي كتبت في القرن الرابع قبل الميلاد كان في وسعنا إدراك قصدَ نيتشه[1] بقوله «إن افلاطون كان مسيحيًّا قبل ظهور السيد المسيح نفسهِ» فان كنت تصبو الى النجاح فلا بدَّ لك من استثمار حياتك استثماراً سديداً. أما البحث فيما يعود عليك من ذلك فليس لهُ شأن في قياس النجاح

على المرء ان يسعى الى الخير جهده وليس عليهِ ان تتم المقاصد

ولا بدَّ أن هذا المقياس الجديد للفلاح يزيّف بعض الابطال الذين نوَّه بهم صميلز كما يزيف بعض المشهورين الذين يشيد بذكرهم المستر لويد جورج

وكم افلحت طوائف من الناس بسلوك سبل عملية كانت مفضية (على غير انتظار) الى خير عميم. وكم سعدت بانتهاز الفرص عند سنوحها كما حدث لبعض الذين احتكروا اصناف البضائع وقتاً ما فغنموا منها ارباحاً طائلة وساروا في طريقهم لا يعترضهم اي حائل بينما كان غيرهم يئنُّ من فداحة اعباء المعيشة. وهذا هو الظلم الاجتماعي الذي يثير استياء المساكين. ونحن يشقُّ علينا الاحجام عن الاعتراف بان هذا الضرب من النجاح هو الممدوح كثيراً والمحسود عليهِ صاحبهُ والمنشود من الآخرين اكثر مما يجب ان يكون

وقد يتغاضى المرء نفسه عن عيوبه الشخصية ويتجاهل أن سيرته عرضة للانتقاد ولكن هذا النوع من النجاح السمج لا يتناسب مع سمو الاخلاق بل هو مفسدة لها وفي وسعنا ان نتحقق ذلك حتى من دون التحذيرات التي جاءتنا بها الكتب المقدسة

---

(١) هو فريدريك نيتشيه الفيلسوف الالماني ولد سنة ١٨٤٤ وتوفي سنة ١٩٠٥

وخارج ميدان التجارة نرى كثيراً من الشهرة التي يدعوها الناس نجاحاً ناجمة عن استئثار رجل معروف بشهرة رجل غيرهِ احقُّ منهُ بها او على الاقل يشاركهُ فيها. وعليهِ نرى انهُ لا يسهل علينا الاجابة عن المسألة التي ابدعها سقراط — هل نحكم على حقيقة الرجل او على ظاهرهِ؟ لانهُ يكاد يكون متعذراً معرفة الحقيقة من الظاهر

ولكن اذا كانت أركان النجاح تتوقف على استخدام أكثر مواهبنا الطبيعية وأفضلها فكيف يحصل الفلاح من دون التخصص في شيءٍ ما ؟ ومن ذا الذي ينبغ في عمل لم يتخصص بهِ ؟

انا لنغبط الرجل المتناسب أعضاء الجسم بسبب ما يجنيهِ من جم المنافع ولكن ليس اولئك الرجال هم الذين لهم فضل يذكر على الانسانية

وانا لنستصوب الاقتداء بالسير جون لبوك الذي كان (لورد افبري) يهتم بكل صغيرة وكبيرة ، فمن مباحث في تربية النحل الى مباحث في أعمال المصارف المالية . او التشبه بالمستر اندرو لانج الذي كان يكتب آناً كتابة بليغة في لعبة الصولجان وآناً آخر ينشىء المقالات في كل ما يتعلق بالشعوب القديمة من عادات واعتقادات وتقاليد وخرافات وما شا كلها وهذا عدا ترجمتهِ الياذة هوميروس

أولا يحسب ليوناردو دافنشي [1] ناجحاً وهو ذلك النابغة الذي لم يبلغ شأوه أحد من معاصريهِ والذي فرّق بعض مواهبهِ شذر مذر فأضعف نتائجها بمحاولتهِ عمل اشياء كثيرة فانجز نصفها ولم يتمكن من اتمامها كلها بل مات وتركها ناقصة ؟

أما رأيي في التخصص فانهُ اذا كان الشيء المراد التخصص فيهِ دنيئاً دالاً على الاثرة أو غير محمود الاركان الفوز فيهِ كثير الكلفة لان سلوك السبيل الى هذا الفوز يفسد النفس ويهبط بالاخلاق الى ادنى الدركات . ولكن اذا عقد امرؤ نيتهُ على القيام بمحمدة من المحامد وخيّل اليهِ وجوب التفرغ لها فان تضحيتهُ في هذا السبيل لا تكون كبيرة كما يظهر لهُ أولاً

اما الفضائل الثابتة : ومنها التقوى ، والصدق ، والجمال فان كل فضيلة منها تنطوي على الاخرى فاذا اتبعنا احداها باخلاص أسوة بالقديسين أو العلماء أو رجال الفنون فانا لا نخسر جميع ما نتعلمهُ من الفضيلتين الاخيرتين

---

(١) ولد سنة ١٤٥٢ وتوفي سنة ١٥١٩ — مصور ايطالي ومثال — مارس صناعته في مدينتي ميلانو وفلورنسا فرسم في الاولى صورة (العشاء الاخير) وفي الثانية (معركة العلم) ثم أنشأ قناة لمدينة ميلانو وكتب مقالات شتى في التصوير والتاريخ الطبيعي والعلوم ومن صوره «الجوكوندا» المشهورة

وكل مسعى شريف يذيع صيتهُ في الآفاق — وبذا لا يضيق المجال أمام العقول الواسعة فاذا استوعبنا دراسة موضوع ما تيسر لنا التوغل في دراسة غيره . وهذا خير لنا من المعارف السطحية أو القشور التي نلهو بها من عدة مباحث في آن واحد

***

قال السيد المسيح في ثنائهِ على يوحنا المعمدان ان الانبياء أعاظم الناس . ولكن النبيَّ شخص مُلهم . فما هو نوع العظمة الذي يلي العظمة الروحية التي تبلغ اوجها في الانبياء ؟ وكيف نبلغهُ ؟

اولاً يجب ان نقع على عمل يتفق مع ميولنا الطبيعية . وثانياً يجب ان نوحّد الغاية في الانكباب عليهِ. وقد قال كارليل في ذلك «مبارك الذي وجد عملهُ . ليصرف همهُ عن البحث عن بركة اخرى»

وقد يكون العمل سافلاً او الغاية غير نبيلة فالنجاح في تحقيقها نجاح في الشر وهو ما لا تنفك عن التنديد بهِ

ومن أسمى الامثلة في وضع خطة والسير عليها سيرة جيبون المؤرخ. على اننا نفضل عليهِ تشارلس داروين والسير فرنسيس جالتون وباستور

ولما كانت الاكتشافات العلمية لا نهاية لارتقائها فقد وصم البعض نيوتن وداروين بعدم التنزه عن الخطاء - ولكننا قلنا إن الخاتمة ليست من أركان النجاح لأن الرجل الذي وسع نطاق المعارف واتى كل ما استطاعهُ مخلوق في حياتهِ ان يأتيهُ لخير بني جنسهِ يجب ان يحسب ناجحاً ولو انقلبت تعاليمهُ كما تقدم البحث

اما الرجال (العمليون) الذين كانت نتائج اعمالهم غير مأمونة العواقب سريعة الزوال ومنهم يوليوس قيصر ونابوليون وبسمارك فان الطرق التي سلكوها والمقاصد التي تحروها كانت اقل نزاهة من مقاصد العلماء المكتشفين ورجال العلم المحنكين

ولكن اصوات الجمهور تجعلهم في أعلى عليين فوق هام العلماء والمفكرين . أما انا فلا يسعني الا الاسف على هذا التصرف الممقوت لان أولئك القواد الحربيين قد اختلسوا من المجتمع الانساني اكثر مما نفحوهُ بهِ من المنافع ثم سببوا للعالم مصائب لا تحصى . وسيأتي يوم تنقشع فيهِ غياهب الجهل عن أبصار الجمهور المتمرد فيبصر في وضح النهار ما استفادهُ العالم من محبي خير الانسانية فيمجدهم أكثر مما يمجد الامبراطور نابوليون وغيرهُ من القواد العظام الذين عملوا على محق البشرية

ملخصة بتصرف عن الانكليزية — عوض جندي



الحياة على سطح المريخ

جلة علماء الهيئة الاميركيين يجمعون على وجود الحياة

على سطح المريخ ولكنهم يختلفون في درجة ارتقائها

اذا نظر المرء الى السماء بعيد الغروب رأى فيها نجماً كبيراً احمر اللون وهو من السيارات العليا التي فلكها اوسع من فلك الارض . ومتى اتفق وقوع الارض بينهُ وبين الشمس قيل انهُ في الاستقبال لاننا نستقبل حينئذٍ وجههُ الذي يقع عليهِ نور الشمس وهي تحت افقنا . ومدار المريخ حول الشمس اهليلجي فيكون في بعضهِ اقرب الى الشمس ، وبالتالي الى الارض ، منهُ في البعض الآخر

والمريخ الآن في الاستقبال بلغ اقرب قربهِ الى الارض في استقبالهِ هذا ، في الاسبوع الثاني من شهر دسمبر الماضي اذ صار على نحو خمسين مليون ميل منها . وهذا ليس اقرب قربهِ اليها فقد اقترب منها في استقبال سنة ١٩٢٤ حتى صار على ٣٢ مليون ميل منها وفي استقبال سنة ١٩٢٦ حتى صار على ٤٢ مليون ميل منها

ويغتنم علماء الهيئة اقتراب المريخ من الارض على هذا النمط ليوجهوا الى سطحهِ آلات الرصد في المناطق التي يصلح رصدهُ فيها لكي يكشفوا عن الاسرار التي تحيط بمسألة الحياة عليهِ . اذ لا يخفى على قراء المقتطف ان على سطح المريخ ترعاً حسبها بعض العلماء من صنع أناس بلغوا درجة بعيدة من الرقي العقلي عارفين باصول الهندسة والريّ وحسبها البعض الآخر من قبيل الخداع البصري

وقد اطلعنا في احدى الصحف الاميركية على مقالة في هذا الصدد أُوجزت فيها آراء جمهور كبير من علماء الهيئة الاميركيين اجمعوا كلهم على ان المكتشفات الحديثة تؤيد القول بوجود الحياة على سطح المريخ . ولكنهم مختلفون في درجة ارتقائها. فالدكتور بكرنغ[1] يذهب الى انهُ من الثابت تقريباً وجود احياء عاقلين على سطح المريخ وانهم يحاولون التخاطب معنا . ويعارضهُ في ذلك الدكتور أَبت[2] فيقول ان الحياة على المريخ محصورة

(١) الدكتور بكرنغ مدير فرع مرصد جامعة هارفرد في بلدة مندفيل بجاميكا

(٢) الدكتور أبت مدير المرصد الفلكي الطبيعي بالمعهد السمثصوني الاميركي

في الاحياء النباتية الدنيا لعدم موافقة الاحوال الجوية التي تحيط بهِ لغيرها من الاحياء. وبين الطرفين نجد الاساتذة رسل[٣] وايتكن[٤] وفشر[٥] الذين يقولون ان وجود احياء راقية او عمران اناس متمدنين على سطح المريخ ليس مستحيلاً ولا هو غير مرجَّح. ولكنهم يذهبون كذلك الى ان الادلة العلمية التي جمعها الباحثون الى الآن لا تثبت ان الاحياء التي على سطح المريخ اعلى من النباتات والحيوانات الدنيا

***

فما هي المكتشفات الفلكية الحديثة التي حدَت بالعلماء الى تغيير موقفهم ازاء مسألة الحياة على المريخ فعادوا يجزمون بوجودها على سطحهِ بعد ما كان اكثرهم يهزأُون بالاستاذين لوِل وبكرنج اشهر من تصدى لهذا البحث

لقد ثبت من المباحث الحديثة ان على سطح المريخ وفي جوّهِ حرارة وماء واوكسجيناً وهي المواد الثلاث اللازمة للحياة. وقد ايدت المباحث الفوتغرافية الارصادَ بالعين المجردة في ان الاحوال اللازمة للحياة لا تختلف كثيراً في جو المريخ عنها في جوّ الارض

ولعلَّ اكبر المباحث شأناً في هذا الصدد قياس الحرارة في جوّ المريخ قياساً دقيقاً قام بهِ الدكتور كوبلنتز[٦] بعد ما استنبط اداة دقيقة لذلك تدعى الترموكبل فوجد ان درجة الحرارة على سطح المريخ تبلغ حوالي الظهر ٦٠ درجة بمقياس فارنهيت اي نحو ١٥ درجة بمقياس سنتغراد وهي مثل حرارة الجوّ في القاهرة حوالي الظهر في ايام الشتاء الباردة وهذه النتيجة تخالف رأي العلماء سابقاً اذ كانوا يظنون ان درجة الحرارة في جوّ المريخ لا ترتفع عن درجة الصفر (الجليد)

اما كيف قيست حرارة سيار يبعد عن الارض ملايين الاميال فمن اغرب غرائب البحث العلمي في هذا العصر. فالطبيب اذا شاء قياس حرارة مريضهِ وضع ميزان الحرارة في فمهِ تحت لسانهِ. ولكنهُ اذا بعد عنهُ ذراعاً واحدة لم يستطع مقياسُ الحرارة ان يتأثر بحرارة المريض على الاطلاق. مع ذلك استنبط العلماء آلة يستطيعون ان يقيسوا بها حرارة المريخ وبعده عنا يتراوح بين ٣٢ مليون ميل و٦٣ مليون ميل في الاستقبال. وهذه الآلة انبوب مفرغ من الزجاج يحتوي في داخله على اسلاك دقيقة من البلاتين والبزموت مشتبكة كنسيج العنكبوت

(٣) الدكتور رسل مدير المرصد بجامعة برنستن ونائل الوسام الذهبي من الجمعية الملكية الفلكية بلندن
(٤) الدكتور ايتكن مدير مرصد لك
(٥) الدكتور فشر امين علم الهيئة في متحف التاريخ الطبيعي بنيويورك
(٦) الدكتور كوبلنتز من علماء مصلحة المقاييس في الحكومة الاميركية

واماكن اتصالها الواح دقيقة مستديرة والاسلاك لدقتها تكاد لا ترى بالعين المجردة بل يجب وضعها على لوحة المكرسكوب حين وصل احدها بالآخر . وطرف هذا الانبوب مسطح وفي وسطهِ دائرة صغيرة شفافة فاذا جمعت الاشعة الواردة من المريخ عليهِ نفذ النور من الدائرة الشفافة ووقع على احد هذه الالواح المعدنية فيحميها مهما يكن ضئيلاً . واحماؤها يولد تياراً كهربائيًّا يستطاع قياسهُ . فاذا قوبلت قوة هذا التيار بقوة تيار صادر عن حرارة معروفة عرفت حرارة الاشعة القادمة من سطح المريخ

***

ولما سئل الدكتور كوبلنتز عن رأيهِ في سكان المريخ وهل هو دار لاحياء بلغوا درجة بعيدة من الرقي العقلي قال لا نعلم . انما نعلم الآن شيئاً محققاً عن درجة الحرارة في جوهِ فالمباحث التي قمت بها مع الاستاذ لامبلاند في مرصد لول والمباحث التي قام بها الاستاذان بتي ونيكلصن في مرصد جبل ولسن تؤيد القول بان حرارة الجو في المريخ قرب الظهر فوق درجة الجليد . وقد دونت حتى الآن درجات من الحرارة تتراوح بين درجة ٤٠ ودرجة ٦٠ بميزان فارنهيت وهذه الحرارة صالحة للحياة على ما يعرف من مراقبة الاحياء الارضية

ولكن ايدلُّ هذا على ان المريخ مأهول معمور، فيهِ حضارة ومدن وصناعات ؟

كلاَّ ، يجيب الدكاترة كوبلنتز ورسل وفشر وايتكن وغيرهم من علماء الهيئة الذين يشيرون الى ان الاختلاف الكبير بين حرارة جوّ المريخ على أعلاها في النهار وحرارتهِ على أدناها في الليل يجعل حياة الناس كما نعرفها على الارض متعذرة

***

اذا نظرت الى المريخ بتلسكوب ضخم رأيت على سطحهِ بقعاً وخطوطاً وقد علم من عهد السر وليم هرشل انهُ اذا جاء الشتاء في المريخ تكوَّنت على كلٍّ من قطبيهِ بقعة بيضاء كبيرة ثم تضيق رويداً رويداً بمجيء فصل الصيف ان لم تزل تماماً. ويظهر بقياس التمثيل بين الارض والمريخ ان فيهِ ماء وهذا الماء يجمد ويصير ثلجاً وجليداً عند القطبين في فصل الشتاءِ ثم يعود ماء في فصل الصيف . اما الخطوط التي يراها القارئ على الصفحة المقابلة فظُنَّ اولاً انها اقنية صناعية للريّ واستدلَّ بها لول وغيرهُ على ان صانعيها قوم بلغوا درجة عالية من الارتقاء العقلي ومعرفة الاصول الهندسية . ولكن مباحث الاستاذ انطونيادي بمرصد مودون قرب باريس ومباحث علماء الفلك بمرصد جبل ولسن ومرصد

لول أيدت القول بأن هذه الخطوط تدل على وجود خضرة على سطح المريخ ، اي أيدت القول بوجود أحياء نباتية على سطحهِ . فقد لوحظ مثلاً ان لون هذه الخطوط والبقع اخضر في ربيع المريخ ثم يحول قليلاً قليلاً فيصير نحاسيًّا في الخريف

على ان وجود النبات يكون عادة مصحوباً بوجود حيوانات من المراتب الدنيا . ولذلك نرى الدكاترة ايتكن وشايلي[٧] ورسل وكوبلنتز وادمز[٨] وفرست[٩] وسليفر[١٠] وبكرنج يجمعون ان هذه هي الحال على المريخ . والدكتور ادمز يقول ان مباحث الاستاذ ربط من علماء مرصد جبل ولسن تثبت ان للمريخ جوًّا يحتوي على بخار الماء وبعض الغيوم وان ازدياد ثلج القطبين في الشتاء ونقصهُ في الصيف يؤيدان وجود الماء . وقد كشف الباحثون في مرصد جبل ولسن عن الاكسجين في جوّ المريخ . فقد اجتمعت لدينا اذاً كل العناصر اللازمة للحياة كما نعرف مقوماتها — الحرارة والاكسجين والبخار المائي والماء

وفي ذلك يقول الدكتور رسل : لقد ثبت ثبوتاً قاطعاً ان للمريخ جوًّا ولم يعد ثمت ريبة ما في ان بقعتي القطبين ثلج يتراكم في الشتاء ويذوب في الصيف . ووجود البخار المائي في الجوّ ثبت بالمباحث السبكترسكوبية (مباحث الحل الطيفي) وما يقال عن البخار المائي يقال عن الاكسجين . وحرارة جوّهِ أكثر جدًّا مما كان يُظَنّ . فلا نرى مانعاً بعد كل هذا يمنع حسبان المريخ داراً صالحة للاحياء

والمباحث الحديثة تدل على ان هذه الاحياء نباتات وحيوانات من المراتب الدنيا . هنا نصل الى الحدّ الفاصل بين الدليل العلمي والتخيُّل . ان الادلة الوافرة التي عرضها الاستاذ لول ليؤيد بها قوله بان المريخ دار لاحياء بلغوا درجة عالية من الرقي العقلي وشأواً بعيداً في العلوم والصناعات لا نستطيع ان تنفيها نفياً باتًّا ولا ان نؤيدها . فهي قائمة على رصد المريخ بالعين المجردة ورؤية اشياء دقيقة لا بدّ ان يختلف الباحثون في تعليلها . ولا نعرف الآن طريقة علمية لحلّ هذا المسألة والبت فيها ما زالت آلات الرصد كما هي ، على تقدمها . لذلك يجب ان نترك هذه المسألة معلقة الآن

---

(٧) الدكتور شايلي مدير مرصد كلية هارفرد
(٨) الدكتور ادمز مدير مرصد جبل ولسن
(٩) الدكتور فرست مدير مرصد يركز
(١٠) الدكتور سليفر مدير مرصد لول ببلدة فلاغستاف من اعمال ولاية اريزونا

لبناء معمل طاف لاستخراج عنصر البروم من ماء البحر . فكان انهماكه في هذا العمل الكبير منبهاً لفكره الى الاهتمام بخاطر قديم كان قد خطر له وهو بناء جزائر صناعية في الاتلنتيكي تستعمل كل جزيرة منها محطاً للطيارات . ولكنه لم يتفرغ لمسألة المطير البحري ومقتضياتها الهندسية الا سنة ١٩٢٦ فبنى مثالاً مصغراً له . ولكن الفكرة بقيت موضع نظر حتى فاز لندبرغ سنة ١٩٢٧ باجتياز الاتلنتيكي فبنى حينئذٍ مثالاً جديداً وقرّر مع بعض المتمولين الذين يشدون ازره ان يبنوا مطيراً كبيراً يوضع على ٤٠٠ ميل من نيويورك لكي يمتحن في اشد الاحوال الجوية والبحرية اضطراباً

وقد عني المستر ارمسترنغ منذ البدء ببناء المطير حتى لا تفعل بهِ امواج المحيط عند طغيانها فلا ترجحهُ ولا تُقلقلهُ . ففاز بذلك لانهُ بنى مطيرهُ على المبدإ العلمي القائل ان اكبر الامواج التي تثور في المحيط الاتلنتيكي لا يزيد ارتفاعها على ٤٢ قدماً وان البحر متى ثار ثائرهُ لا تضطرب اعماقهُ مطلقاً تحت مستوى معين . فقال المهندس اذا بنينا هيكلاً قائماً على اعمدة ارتفاع سطحهِ عن سطح البحر ٤٥ قدماً او اكثر وعمق مركز الثقل فيهِ تحت المستوى الذي يضطرب فوقهُ ماء البحر حين هياجهِ ، تمكنا من صنع مطير طاف لا يؤثر فيهِ اضطراب البحر ولا العواصف الهوجاء

وفي الحال بدأ يمتحن فكرهُ هذا . فبنى امثلة مصغرة للمطير ووضعها في حوض كبير من الماء ثم بنى مثالاً مصغراً لاضخم البواخر المعروفة على النسبة ذاتها ووضعها في الحوض ايضاً . ثم احدث في الحوض امواجاً نسبتها الى المثالين المصغرين نسبة امواج ارتفاعها ١٤٢ قدماً الى المطير والباخرة في حجمهما الحقيقي . فلم تقلقل الامواج مثال المطير مع انها عبثت بمثال الباخرة حتى كادت تقلبها . فثبت من ذلك ان بناء المطير على اعمدة ترتفع فوق اعلى الامواج وتهبط حتى تبعد عن مستوى اضطرابها يجعله في مأمن من طغيانها والمنتظر ان يكون سطح هذا المطير ٩٠٠ قدم طولاً و٢٤٠ قدماً عرضاً وثقلهُ نحو ٥٠ الف طن ونفقاتهُ نحو ٣٠٠ الف جنيه . ويبنى على جانبيهِ من وسطهِ نزلان كبيران يحتويان على احدث وسائل الراحة والرفاهة لنزول المسافرين وفيهما متسع لمائتين وخمسين مسافراً عدا الموظفين الذين يجعلون مقامهم هناك وعددهم لا يقل عن ١٥٠ موظفاً . وسيبنى تحت السطح الاعلى سطح آخر يستعمل لاصلاح كل ما يلزم اصلاحهُ في الطيارات

ويرى المهندسون ان التفاصيل التي أعدها المستر ارمسترنغ لتحقيق فكرتهِ لا غبار عليها من الوجهة العملية ولذلك ننتظر الاخبار عن امتحان مطيرهِ الاول بفارغ صبر

التجسس والجواسيس

صفحة مطوية من مقدمات الحرب الكبرى

لوليم لوكيو

[ولد وليم لوكيو في لندن سنة ١٨٦٤ من اب فرنسي وامٍ انكليزية وتوفي في السنة الماضية . قضى معظم حياته في مزاولة الصحافة وكتابة القصص . (له ما ينيف على ١٣٠ قصة ومنها قصة « رسبوتين الراهب المحتال » التي ترجمها كاتب هذه السطور وعنيت بطبعها مكتبة العرب) وكان جواب آفاق وعبر اسفار كانه هو المعني بقول ابن زريق البغدادي :—

« ما آب من سفرٍ الا وأزعجهُ عزمٌ الى سفرٍ بالرغم يزمعهُ
كأنما هو في حلٍّ ومرتحلٍ موكَّلٌ بفضاء الله يذرعهُ »

فقد شخص الى فرنسا والمانيا وايطاليا ماشياً وسافر الى شرق اوربا وشمال افريقية وجوّل في روسيا وسيبيريا وزار مصر والسودان. وفي اول عهده بالصحافة تعيّن مكاتباً خارجيًّا خصوصاً لجريدة التيمس . ومكاتباً لجريدة الديلي ميل في عدة عواصم ومكاتباً حربيًّا لها في حرب البلقان . وهو مشهور لدى قرّاء اللغة الانكليزية . ومعروف بانهُ أُوتي علاوة على ذلك قوة خارقة في الذكاء والفراسة وتسقّط الاخبار وكشف الخفيّ المستور وانتزاع الاسرار من اعماق الصدور . فاحاط علماً بما عند الدول من المنابآت (المخابرات) السرية ، على رغم مبالغتها في التكتم . وكثيراً ما كانت حكومة انكلترة تستشيرهُ في هذه الامور . ولشدة تضلعهِ من معرفة هذه الخفايا كان اول من سبق فانذر بوقوع الحرب الكبرى كما يتضح من مقالتهِ الآتية]

***

أدّعي ولا يصعب عليَّ تأييد دعواي باني اوّل من انذر بريطانيا العظمى بانَّ امبراطور المانيا يكيد لها في الخفاء ليصليها حرباً زبوناً تشيب لهولها الاطفال

فمنذ سنة ١٩٠٥ علمتُ ان ادارة التجسُّس في المانيا بثَّت في انكلترة ومستعمراتها جيشاً من العيون والأرصاد. وهذا السرّ وقفتُ عليهِ من صديق لي في برلين كان حينئذٍ

مساعداً لمدير مكتب التجسُّس القيصريّ. وكان قد تزوج سيدة انكليزية ظن جميع معارفهِ واصدقائهِ انها المانية

ولما رجعتُ من المانيا الى لندن شرعتُ من فوري في تنبيه الرأي العامّ الى هذا الخطر العظيم. ولكن لسوء الحظ ذهب انذاري صرخةً في واد ونفخةً في رماد. جواسيس! ولماذا تروم المانيا تجسس أخبارنا؟ أوَ لسنا معها على ما يرام من حيث الرفاه والوئام؟ اولم يصرّح قيصرها للورد هالدن بان السلم ضالتهُ المنشودة؟ لا. ليس لعين الرقباء والجواسيس من اثر الا في مخيلة وليم لوكو القصصيّ!

بهذه العبارات وامثالها قابل الجمهور إنذاري وضربوا بهِ عرض الحائط. والصحف كلها رفضت مقالاتي التي طلبت نشرها. وكان عذر اصحابها انهم لا يرومون إلقاء الذعر في قلوب القرّاء بلا اقلّ مسوّغ

فذهبتُ الى صديقي اللورد روبرتس واطلعتهُ على ما علمتهُ. فاعارني اذناً صاغية وقال لي انهُ مثلي موجس خوفاً شديداً من مقاصد المانيا. ثم جمعتهُ باللورد نورثكلف وبحثنا نحن الثلاثة بحثاً مليًّا في هذا الخطر الواقف لنا بالمرصاد

وأفضيت بسرّي الى الكولونل لوكود العضو في مجلس النواب — وهو الآن اللورد لمبورن. ولما اقتنع بصحة كلامي عرض الامر على المجلس فقوبل كلامهُ بالهزء والازدراء. وقيل لهُ ان الجواسيس من مخترعات الاوهام المنيخة على صدر وليم لوكو!

ولقيت البرنس لويس اوف باتنبرغ واللورد تشارلس برسفورد واطلعتهما على ما عندي من الادلة التي انفقت من مالي على جمعها. فوافقاني كلاهما على وجود خطر كبير ينذر بشرّ مستطير

وكانت ادارة المنابآت [قلم المخابرات] في كلّ من وزارتي البحرية والحربية على غير ما يرام من الضبط والاحكام. وادارة سكتلند يارد [البوليس السريّ] قاصرة اهتمامها على الارلنديين الثائرين والسياسيين المشاغبين، وناظرة الى مسألة الجواسيس بعين الاحتقار والاستخفاف. وعلى هذا المنوال كانت اعظم امبراطورية في العالم تملى ارتشاف شراب مسكن، تديرهُ عليها الصحافة المصافية لالمانيا وتحكم عليّ وعلى اللورد روبرتس واللورد نورثكلف بالعتهِ والوسوسة

فزرت صديقي القديم المستر طمسن صاحب جريدة «دندي كورير» وعدة جرائد أخرى واسعة الانتشار في سكوتلند وانكلترة وبحت لهُ بمكنونات صدري. وبعد البحث

والتأمل ارتأى ان انشر في هذا الموضوع مقالات متوالية مبنيَّة على ما عندي من الحقائق المؤيدة بالادلة والبراهين . فدبجتُ اول قصة كُتِبَتْ عن الجواسيس بعنوان « جواسيس القيصر » . ونشرها المستر طمسن في « الاخبار الاسبوعية » التي هي من اوسع الصحف انتشاراً . ثم طبعت بعد ذلك على حدة . ولما سقط الغشاء عن عيون الجمهور شرع كثيرون من الكُتَّاب يقتدون بي وينشرون مقالات بمعنى ما كتبتهُ فاصابوا بذلك ربحاً جزيلاً

ولكن الحكومة ظلت غير راضية عن اقدامي على هـذا العمل ولم تستصوب اطلاع الشعب على حقيقة الواقع . فان اصابع التجسّس في المانيا كانت ممتدَّة الى كلّ جهة من جهات بريطانيا العظمى تنشب فيها اظفارها وتتسقَّط أخبارها وتمزّق عن اسرارها أستارها وكنت قد اصبحت معروفاً عندها ومستهدفاً لخطر ايقاعها بي لدى سنوح اول فرصة

زرتُ بعد ذلك اللورد روبرتس وقلتُ لهُ :

« لقد بذلتُ كل ما استطيعهُ ولكنَّ الذين يهمهم الامر لا يبرحون يعيرون كلامي اذناً صماء وينظرون الى إنذاري بعين الاستهزاء وقد أسرفوا في تهكمهم عليَّ وكدتُ أعد مجنوناً وفي هـذا ما فيهِ من العبث بشهرتي ككاتب . واني مضطرّ كغيري من الكتبة الى التماس عيشي من شقّ القصبة ! » فمدَّ يدهُ نحوي واجابني بلهجة الاب الحنون

« ياعزيزي لوكو . اني أنا ايضاً معدود مجنوناً لاني بعد خدمة اربعين سنة في الهند جئت الى لندن وتجاسرت ان اقول لانكلترة انها غير مستعدة للحرب . ولست اجهل خوفك على ضياع شهرتك ان واصلت المسير في هذا السبيل . ولكن قف بجانبي — اتبعني فانا وتشارلس برسفورد نتجدك من كل وجه . وسنحاول إقناع الذين لا يهمهم سوى جمع المال بالخطر العظيم المحدق بهم »

فقبضتُ يدهُ الممدودة وهززتها موافقاً على ما قالهُ لي

ثم تعين اللورد روبرتس قائداً عاماً للجيش البريطاني . وكان اول شيء فعله أنهُ أنشأ لجنة شحنة او شرطة (بوليس) سريَّة ، مستقلَّة استقلالاً تاماً عن ادارة سكتلند يارد الرسمية . وقد تألف اعضاؤها بالتطوّع الاختياري . وكنتُ انا واحداً منهم . هؤلاء الاعضاء تطوّعوا لخدمة الوطن وتبرَّع كلٌّ منهم بالإنفاق على نفسهِ من مالهِ وشرعوا يطوفون في المانيا وغيرها يتسقطون من الاخبار ما تنتفع بهِ حكومة بلادهم عند الحاجة. اما انا فتعين لي التجول في ايطاليا والشرق الادنى . ثم وسعتُ نطاق اسفاري فشمل روسيا والمانيا والنمسا .وكنتُ من وقتٍ الى آخر اعود الى لندن واطلع اللورد روبرتس

على ما عندي من الانباء السرية فيزداد اقتناعاً بان امبراطور المانيا يتأهب للحرب تأهباً بطيئاً ولكنَّهُ ثابت اكيد

وعلى حين غفلة جاءتني بطاقة ، بطريقة خفية ، من صديقي الالماني — يسألني فيها هل يمكنني ان اوافيهُ الى سويسرى لانهُ يروم ان يجدّد علاقات المعرفة والصداقة وعين لي وقت وجوده في زوريخ . فعلمت انهُ يبتغي ان يفضي اليَّ بامر ذي شأن . ومن فوري ذهبت الى فندق دولدر في زوريخ حيث لقيتهُ وتسلمت منهُ صكاً رجعت بهِ الى لندن فأثارت محتوياتهُ اهتماماً عظيماً في بعض الاندية والمجالس . لانهُ تضمَّن تفصيلاً مدققاً لوقائع مجلس سريّ انعقد منذ شهر في بوتسدام برآسة الامبراطور وحضور اخيهِ الامير هنري ونواب الامبراطورية الالمانية وقادة الجيش والبحرية وبينهم صديقي المشار اليهِ

في هذا المجلس السريّ بدا القيصر في حلتهِ البحريَّة الرسميَّة مصفرّ الوجه ثابت العزم متهيج الاعصاب والقى خطبة استغرقت ساعتين او اكثر ، موضحاً كلامهُ بكثير من الخرائط والرسوم والاشكال الهندسية ونماذج الاسطول الهوائيّ والمدافع الضخمة البعيدة المرمى وغيرها مما يراد استخدامهُ في الحرب القادمة

وكان صوتهُ باديء ذي بدء خافتاً خفيّاً وعلى وجههِ سمات الشحوب واللغوب ولكن كلماتهِ كانت واضحة فلم يصعب استيعاؤها واستيعاب معناها وفيها جاهر علانية بانهُ عقد عزمهُ على خوض غمار الوغى

خطبة الامبراطور غليوم

قال الامبراطور :

« دعوتكم الليلة الى هذا الاجتماع اطاعة للامر الالهي فان الله القادر على كل شيء كان على الدوام حليفاً كبيراً ونصيراً قديراً لبيت هوهنزلرن . ومنهُ عزَّ وجلَّ استمدُّ كما استمدَّ اسلافي العظام — الالهام والارشاد عند استحكام حلقات الازمات والشدائد. وبعد ما قضيت عدة ساعات في الضراعة والابتهال اشرق عليَّ نور من السماء ساطع الضياء لم يبقِ حولي اثراً للظلماء . وانتم يا مستشاريّ واصدقائي ، الذين لا يخفى عليهم شيء من اموري ، تعلمون اني منذ تبوَّأت العرش بذلت جهدي في توطيد السلام العامّ وتوثيق عرى الصداقة مع جميع امم العالم . ولم اجهل ان الخطة التي انتهجتها لم تقع دائماً عندكم موقع الرضى والاستحسان. وطالما وددتم لو اني استخدم كفاً مصفحة بالحديد بدل القفاز الحريري الذي اخترتُ استعمالهُ في اثناء المفاوضات الجارية بيني وبين

بعض الامم الاخرى . وكنتُ ارمض جدّ الارتماض عندما ارى مقاصدي الحسنى يُساء فهمها وتحمل على غير محملها وينعكس الغرض المراد منها . لكنني تلقيت سهام الانتقادات التي صوّبها الجمهور اليّ بدرع الصبر وسعة الصدر ، لثقتي الاكيدة باني مسؤول عن اعمالي لله فقط. ولم انفكّ مواظباً على اتمام ما اعدّهُ واجباً مقدساً عليّ للوطن المحبوب . ولكوني بملء الإخلاص احتفظ بتقاليد بروسيا وبيت هوهنزلرن ارى ان اعظم ضمان للسلم انما هو إعداد جيش كبير واسطولٍ قويّ. ولشدّة رغبتنا في تأييد السلام أضطررنا ان نجاري جيراننا في المنابرة على زيادة التسليح حتى بلغنا اقصى حدوده او كدنا نبلغها

« وبتنا الآن واقعين في اشدّ ازمة عرضت لنا في تاريخ امبراطوريتنا الجديدة . فان ثقل المكوس والضرائب امسى فادحاً يبهظ الظهور وغلاء نفقات المعيشة بات فاحشاً يحرج الصدور ويستفزّ العامة على المناداة بالويل والثبور . وقد يتسع نطاق التبرم من سوء الحالة الحاضرة حتى يتناول اهل الطبقتين الوسطى والعليا الذين هم عماد الدولة وحجر زاويتها . وشرٌّ من هذا وذاك توافر الادلة على تفشي داء التذمر بين الجيوش والسعي في تأليف جمعية سرية لبثّ روح كراهة التجنيد بين العساكر والبحارة وحملهم على التمرُّد والعصيان

« وهذا السعي غير محصور في بلادنا بل لهُ اثر كبير في اكثر البلدان الاوربية . فكيف يمكن تدارك الخطب قبل تفاقمِهِ واستفحالِهِ ؟ والجواب عن هذا السؤال كان موضوع عنايتي واهتمامي في الاشهر الاخيرة . فالموقف حرج جدًّا ولكن لا يليق بنا ان نجعل للجزع واليأس سبيلاً الى قلوبنا . لانّ الله حليفنا الاعظم قد جعل في أيدينا وسائل انقاذ الامبراطورية من الاخطار التي تهدّدها

« ومرادي بوسائل الانقاذ ذلك الاختراع العظيم الذي وفّق الله الكونت تسبلن اليهِ لوقاية وطننا المحبوب والدفاع عنهُ . اجل ! بهذا الاختراع مهد الله لي السبيل لكي انتشل المانيا من وهدة الخطر واقودها الى ساحة الفوز والظفر ، مصداقاً لقول شاعرنا : — المانيا المانيا فوق الجميع ! . نعم ايها السادة الاجلاء . المانيا فوق كل شيء في العالم واعظم قوة على الارض في السلم والحرب

« هذا حكمي الذي لا سبيل الى نقضهِ . ونحن ، بفضل مناطدنا (بلوناتنا) وطياراتنا ومدافعنا البعيدة المرمى ، اصحاب الحول والطول وفي استطاعتنا ان نصلي اعداءنا حرباً عواناً تشيب الولدان وتقشعرّ لهولها الابدان

« وسنشرع في شنّ هذه الغارة الشعواء عندما احرز اسطولاً كبيراً من مناطد تسبلن

حينئذٍ نحمل بهِ على اساطيل انكلترة وندمّرها فيخلو لنا الجوّ لنقل جيوشنا الى السواحل البريطانية والزحف بها الى لندن والاستيلاء على اكبر عواصم العالم

« ولعلكم ترومون ان تعرفوا كيف يتمّ شهر الحرب او بماذا نتذرّع لشبّ نارها وخوض غمارها فاقول انهُ لن يصعب علينا انتحال الاسباب او تمحلها لان لي جيشاً لجباً من الجواسيس المتفرقين تحت كل كوكب — في بريطانيا العظمى وفرنسا واميركا الشمالية والجنوبية وسائر انحاء العالم ، حيث لالمانيا مصالح تتعرّض ، بسعي اولئك الجواسيس ، للاصطدام والاحتكاك بدولة اخرى . ومنذ وقت غير بعيد اصدرتُ بعض الاوامر السرية بهذا الصدد ليتمّ كلّ شيء طبق المراد ! »

فعرضتُ هذا الصكّ على اللورد روبرتس واريتهُ للورد تشارلس برسفورد واللورد نورثكلف وامير البحر هـ . و . « ولكن » وبعض كبار القادة والضباط . ولما عرض على مجلس الوزراء نظروا اليهِ بعين الازدراء . ولكن بعد ستّ سنوات نفذ القيصر هذا البرنامج بحرفهِ وكاد يدرك الغرض الذي وضعهُ لاجلهِ

ولما اعطاني صديقي الالماني صورة خطبة القيصر هذه قال لي : —

« ان الحرب واقعة لا محالة وهي قاب قوسين او ادنى . اما انا فمع كوني المانيًّا أكره الحرب لاعتقادي انها مجلبة الخراب والدمار على الغالب والمغلوب على حدّ سواء . فعلى اصدقائك والحالة هذه ان يكونوا على حذر ويعلموا ان وراء الاكمة ما وراءها . وبناء عليهِ اعطيتك صورة الخطبة وهي طبق الاصل في كل كلمة نطق بها صاحب الجلالة . ولي الثقة التامة بان اسمي يظلّ محفوظاً عندك في طيّ الكتمان كواحد من الاسرار التي لا يباح بها لانسان »

وعلى هذا عاهدتهُ وظل سرُّ اسمهِ مودعاً اعماق صدري

قلتُ ان هذه الخطبة ، لما جئت بصورتها إلى لندن احدثت اهتماماً عظيماً عند الذين اطلعوا عليها . ولا يخفى ان بعض الوزراء شكوا في صحتها . وبذل جميع الموظفين في سكتلنديارد (البوليس السري) جهدهم في تفنيدها

واخبرتُ عدداً ليس بقليل من الذين يعنون بطبع الكتب ونشرها اني عازم على تأليف كتاب اميط فيهِ حجاب الخفاء عن مقاصد القيصر الحربية . فثبّطوا كلهم عزمي قائلين ان كتاباً كهذا لن يلقى اقلّ رواج عند القرّاء

وبطريقة لا اعلمها تمكّنت الحكومة الالمانية من معرفة حصولي على صورة خطبة

القيصر السرية ونشأ عن ذلك اغربُ حادثةٍ . ففي شهر سبتمبر ١٩٠٩ عزمت على نشر كتاب أُبيّن فيهِ بالادلة البالغة تعمد المانيا اضرام نار الحرب . فزرت المستر ناش في مكتبهِ وعرضتُ عليهِ فصول الكتاب الاولية ومعها صورة الخطبة السرية . وبحضوري وضعها كلها في درج مائدة الكتّاب واقفلهُ . وبعد يومين فتح الدرج واذا بالفصول وصورة الخطبة مسروقة منهُ اوهذه السرقة لم يقدم عليها الاّ جواسيس المانيا في لندن . وبعد بضعة ايام علمت ان هذه الفصول وصورة الخطبة باتت في سجلات إدارة الشحنة السرية في برلين ولحسن الحظ كان عندي صورة اخرى من الخطبة لم انشرها الاّ بعد نشوب الحرب

وحدث بعد ذلك اني زرتُ اللورد روبرتس واليأس مالىءٌ قلبي واخبرتهُ بانَّ جميع مساعيَّ ذهبت ادراج الرياح ولم تقترن قطٍ بشيء من النجاح . ومعظم الذين كلّمتهم في هذا الموضوع الخطير سخروا مني وعدُّوني رجلاً مصاباً بعقلهِ . وقلتُ لهُ اني قصصيٌّ . فسأقتصر على تعاطي مهنتي هذه واهتم بكتابة القصص لا غير

فقال لي الفيلد مارشال :

« اذا كان الناس يفضلون مطالعة القصص الوهمية الخرافية على مطالعة الاشياء الحقيقية فلماذا لا تدمج في القصة الموضوعة وصف ما يحدث اذا شبت حرب كبيرة وهاجم الاعداء بريطانيا العظمى ؟ »

فاجبتهُ اني لستُ رجلاً عسكريًّا واخاف ان ارتكب في قصة كهذه كثيراً من الغلطات الفنية فقال :

« اني مثلك يهمني جدًّا ان احمي ذمار الوطن واذود عن سلامتهِ . فإن بنيتَ قصتك على هذا الموضوع فانا ارسم لك خطة الهجوم والدفاع وما يتعلق بهما »

ولما سألتهُ : — «من ينفق على طبعها ؟ » اجاب : —

« عليك باللورد نورثكلف »

فذهبت اليهِ في اليوم التالي وعرضت عليهِ رأي اللورد روبرتس فاستصوبهُ وفوّض اليَّ تأليف هذه القصة ليدرجها في جريدتهِ « الديلي ميل » واعداً بدفع النفقات وبجائزة كبيرة لي

ومن فوري شمرت عن ساعد الجد والاجتهاد وقضيت اربعة اشهر في التأهب والاستعداد لهذا الامر الخطير . فطفت في سواحل انكلترة وشواطىء البحار وبمساعدة الفيلدمارشال روبرتس وغيرهِ من كبار القادة والضباط وضعت ما تمس الحاجة اليهِ من

الخرائط والرسوم والاشكال وانفقت في هذا السبيل اربعة آلاف جنيه دفعها اللورد نورثكلف بملء الارتياح . ثم شرعت في تأليف القصة

وكان تأليفها عملاً شاقاً الى الغاية ، استغرق وقتاً طويلاً وكلفني عرق القربة . وعلاوة على مشقة التأليف وعورة مسلكه اعترضتني عقبة كؤود لم يدر قط في خلدي انها تتصدّى لي

فبعد ما قضيت سنة في تأليفها وطالعها اللورد روبرتس بتدبُّر وتروٍّ لامزيد عليهما وأصلح ما عثر عليه فيها من الغلطات ، ظهرت في صباح يوم — سوف يبقى مأثوراً مذكوراً — صحف التيمس والديلي تلغراف والديلي ميل والمورنن بوست والديلي كرونيكل وكثير من صحف الاقاليم والمديريات وفي الصفحة الاولى من كلّ منها خريطة انكلترة ، مدلولاً فيها على الاماكن المعرضة لغزو الجيش الالماني وغارته عليها والإشارة الى قصة « الغزوة » التي ستنشر تباعاً في جريدة الديلي ميل ابتداء من صباح اليوم التالي فختمت وزارة كمبل بانرمان بوجوب تفنيد كلّ ما اقوله في هذه القصة وتعريضه للهزء والازدراء

وبدأت حملة الوزارة عليّ بعد ظهر ذلك اليوم حين وجّه بعضهم سؤالاً الى رئيسها في مجلس النواب عن اعلانات الصحف السابق ذكرها . فاجاب السر ه . كمبل بانرمان عن السؤال بانهُ رأى هذه الاعلانات ورماني بالعته والوسوسة ، عادًا عملي مدعاة الضرر ومجلبة الفساد وانهُ يراد بهِ هياج الخواطر في الخارج وازعاج البسطاء والجهلاء في الداخل

فكتبت اليهِ أسألهُ كيف ساغ لهُ ان ينتقد كتاباً لم يقرأهُ قط وباي حق يعدّ عامّة الشعب البريطاني الذين انتخبوه اجهل من جيرانهم في عبر المانش. وكان مرادي بهذا السؤال ان اسومهُ ولو شيئاً قليلاً من الحيرة والارتباك . ولكن خدع السياسة وشعوذاتها بحر لا قرار لهُ . فقد بعث اليّ في اليوم التالي مع رسول مخصوص ببطاقة بخط يده يعتذر عمّا بدر منهُ امس في مجلس النواب ، بقولهِ انهُ اراد بالجهلاء اجهل طبقة بين العامّة ويأمل اني لا أحمل كل كلمة تضطرهُ السياسة الى قولها على محمل التعريض بي والاساءة اليّ وطلب ان ازورهُ في دونن ستريت في اول فرصة تسنح لي ليزيدني ايضاحاً !

وفي صباح اليوم التالي صدرت جريدة الديلي ميل وفيها الفصل الاول من قصة « الغزوة » . فاقبل القراء على مطالعتهِ اقبالاً يفوق الوصف وجميع الذين لقيتهم في الاندية او زرتهم في بيوتهم كانوا يتسابقون الى اطرائي وتهنئتي بالنجاح الباهر الذي احرزتهُ ملقبين اياي بالرجل الذي لم يخش في قول الحق لومة لائم

(البقية في الجزء التالي) ترجمة : اسعد خليل داغر



نظرة الى العام الماضي

١٩٢٨

بماذا يخلد في التاريخ ؟ بميثاق كلوج ام بكتاب برنارد شو ام بتقدم المخاطبات اللاسلكية ام بانتهاء الثورة في الصين ام بتعاون العمال والمتمولين في ايطاليا على يد الحكومة ام بانتصارات الطيارين الباهرة

لاميل لدفج الكاتب الالماني الكبير

ملخصة بتصرف قليل من مجلة السفير الانكليزية

كان الناس في العصور الغابرة ينسبون تفشي الاوبئة او ثوران البراكين الى غضب الآلهة. وما زالوا في هذا العصر ، عصر النور والعلم ، ينظرون الى ثوران بركان اتنا مثلاً وتدفق حممه المدمرة على شواطئ صقلية الجميلة ، نظرهم الى انذار خفي تخطهُ يد القدر ، لتحذير الانسان من العبث بانظمة الطبيعة وآيات الحضارة . فاذا كنا قد تعودنا ان ننظر هذا النظر الى كارثات الطبيعة حقّ لنا ان نرى في الزلازل وثوران البراكين ونكبات البواخر التي حدثت في السنة الماضية اشارة بليغة تحذر الانسان من محاولة العبث بقوى الطبيعة واصلاء نيران الحرب وتدمير ما تي العمران

ميثاق كلوج

وقد انتهت السنة الماضية من غير نشوب حرب وهذه الحقيقة من اهم ما تُذكر بهِ. يضاف الى ذلك ان اميركا بعثت الى اوربا برسول محبة ووئام يحاول ان يبدع وسيلة لضمان السلام . فبعدما انقضت عشر سنوات على نشوب اعظم الحروب اجتمع ممثلو الدول الكبيرة والدول الصغيرة في باريس للتوقيع على ميثاق يحرّم الحرب . ومع ان هذا الميثاق ناقص نرى انهُ على الاقل اطار توضع فيهِ صورة . بل هو اشارة نبيلة ولا بدَّ لنا من الترحيب بهِ . لانهُ اذا وقفت امم الارض مرة اخرى موقفاً حرجاً في مأزق سياسي خطير وباتت على شفا حرب طاحنة ، وساعد هذا الميثاق على تحريك ضمائر الشعوب مذكراً رجال السياسة الثائرين اليائسين، بتلك اللحظة الرهيبة في ردهة الساعة في الكاي دورساي (وزارة خارجية فرنسا) كفى بميثاق كلوج فائدة وحقّ لهُ ان يحسب اعظم عمل تمَّ في عام ١٩٢٨ لتوطيد اركان الطمأنينة والسلام

الصين جمهورية

ولا بدَّ من القول ان اعظم الحوادث الدولية في العام الماضي وقع في الصين . ففي تلك البلاد المترامية الاطراف التي يكاد الباحث يغرى باطلاق لفظة قارة عليها ، انتقل اربعمائة مليون من البشر من حالة اضطراب وفوضى الى ظل الوحدة الذي انتشر بعد انتصار الفريق الجنوبي وافتتاحهِ باكين عنوة . فبعد انقضاء عقد كامل من النزاع والنضال والثورة والقلق فاز رجال الجنوب ، الذين يتجهون في تفكيرهم اتجاهاً عصريًّا ، على ابناء الشمال الذين يتمسكون بالملكية ويستميتون في سبيلها . وهكذا اصبحت اقدم الممالك في التاريخ جمهورية وقضي فيها على سلطة الملوك

ولكن سلطان الطغاة لم ينقضِ بعد . فرئيس الجمهورية الصينية الجديد قائد حربي وعليهِ فالدولة الصينية في خطر من مطامع قائد اذا لبث في دست الرآسة اكثر مما يقتضيهِ دور الانتقال من العهد القديم المضطرب الى العهد الحديث المنتظم . وقد كتبت المواد الاساسية في دستور البلاد باحرف ضخمة على الاسوار التي تحيط بمدن الصين المقدسة . ولكن الباحث لا يسعهُ في هذا المقام ان ينظر الى انقلاب خطير كهذا الانقلاب من غير شعور بالحسرة والاسف على زوال عمران اقدم من عمران اوربا ولعلهُ أمتن وانفس . على ان عصرنا لا يعنى بنظم المراثي ، لان قوى عظيمة تتضافر على الرقي بهِ رقيًّا سريعاً وهي مستمدة من جماهير الامم ، فلا اقف هنا موقف المتحسر

المال والعمل في ايطاليا

ولما كانت جيوش الصينيين الجنوبية تتقدم الى الشمال لتحدق بباكين وتقضي على تنين الملكية فيها هبَّ طاغية ايطاليا للنزال مع تنين اجتماعي كاد يقوّض اركان الامم العصرية ، فوقف في ستة آلاف من رجال الصناعة يعلن لهم الخطة التي قرّر ان ينتهجها في ربط المتمولين والعمال برابطة التعاون فقال : « في النظام الفاشستي الاقتصادي لم يبقَ العمال مستخدمين لا يكافأون مكافأة وافية على اعمالهم . بل هم شركاء في العمل ومستواهم الاقتصادي والروحي يجب ان يرتفع. فاذا اشتدت الازمات كان من مصلحة العامل ان يقبل التخفيض في اجورهِ ولكن متى زالت الازمة صار من مصلحة المتمول ان يزيد اجور عمالهِ . على اننا في ايطاليا لا نستطيع ان نتبع فورد وندفع اجوراً عالية جدًّا للعمال . ولكن تخفيض الاجور كثيراً ضارٌ أيضاً لان الصناعة تسيء الى نفسها اذا اضعفت مقدرة الجماهير على الشراء بتخفيض اجور العمال »

ولا نعلم الآن ما يبلغهُ موسوليني من النجاح في تطبيق اقوالهِ هذه على وقائع الحال.

فاذا افلح في التقريب بين المتمولين والعمال تقريباً اساسهُ التعاون كان عملهُ هذا أعظم جداً من كل المساعي التي يبذلها لتوسيع ابطاليا وتقوية أسطولها وجيشها لان اوربا لا يهمها توسع امة من امها قدر ما يهمها القضاء على « حرب الطبقات »

حرب الطبقات

واعضل مرض أصاب عمراننا الحاضر هو «حرب الطبقات» هذا. وعلاجهُ لم يوجد الى الآن الاّ في عالم العلم والاستنباط. لانهُ كلما ازداد التناحر بين الطبقات على السيطرة وكثرت المستنبطات التي تغني عن عمل الانسان اليدوي وترخص الممتلكات وتزيد السرعة في توزيع البضائع وتعميمها. وهذا الطريق العلمي أصلح الطرق لتوزيع مقومات الرخاء البشري كما كان استنباط المطبعة خير سبيل لنشر الآراء والحقائق. وكما كانت الكنوز الروحية والفكرية في العصور الوسطى في متناول الملوك والامراء والكهنة فقط كذلك كانت وسائل الرفاهة والرخاء في القرن الماضي في متناول الاغنياء فقط. فجاءت المطبعة ونشرت المعارف في كل انحاء الارض وكل طبقات الناس ثم جاءت المستنبطات الحديثة فجعلت الاغنياء ومتوسطي الحال سواء في كل ما يلزم للعيش الهني والحياة الرغدة

المستنبطات والمكتشفات

وأكثر المستنبطات والمكتشفات العلمية في العام الماضي تمّ على يد الاميركيين والالمان. فالالماني اوبرث اشتغل سنة ١٩٢٣ بوضع القواعد العلمية لطيارات وسيارات تسير بقوة الصواريخ المتفجرة وتناول هذا البحث نفسهُ الاستاذ غودرد الاميركيّ مستقلاً عن الباحث الالماني. على ان الالمان كانوا أسبق الى بناء سيّارة تسير بهذا المبدإ الجديد في يونيو سنة ١٩٢٨. وسواء فشلت التجربة الاولى او نجحت، فاليوم الذي جرّب فيهِ هذا النوع الجديد من السيّارات سيبقى خالداً في التاريخ لانهُ فاتحة عصر جديد في وسائل الانتقال. اما متى يتم الطيران الى النجوم على ما يحلم بهِ المشتغلون بهذا البحث الخلاَّب فلا يزال طيَّ الكتمان. ولنذكر ان نبوليون قال « لا أعرف كلمة المستحيل »

وفي الصيف الماضي نجح الطيّار الاسباني ده لاشيرفا بالطيران من لندن الى باريس بطيارتهِ « الاوتوجيرو » التي ترتفع من الارض ارتفاعاً عموديًّا من غير ان تجري مسافة طويلة كما تفعل الطيارات الآن. وتستطيع كذلك ان تنزل الى الارض نزولاً عموديًّا من غير ان تحوّم فوق المطير ثم تقف حيث تحطُّ. وتلا ذلك في الخريف فوز البلون الالماني غراف زبلين بالطيران من المانيا الى اميركا وعودتهُ منها. ونحن لا نقول ان هذا البلون هو اول بلون اجتاز المسافة بين اوربا واميركا لان أحد الانكليز نجح في

ذلك منذ تسع سنوات . ولكنهُ اول بلون اجتاز هذه المسافة حاملاً في مركبتهِ الركاب وأكياس البريد . وشهرة الدكتور اكنر صانعهِ وربانهِ ، تقوم في رأيي على اعترافهِ بأن البلون « غراف زبلين » ليس من المعدات الكاملة من حيث هو وسيلة لنقل الناس وانهُ ينوي ان يبني بلوناً آخر يكون أوفر راحة وأضمن سلامة للمسافرين . كذلك كان طيران الطيارين الالمانيين من ارلندا الى اميركا من حوادث العام الماضي التي لا بدَّ ان يكون لها أثر معنوي كبير في تثقيف الناس وتمهيد الطريق الذي شقهُ لندبرغ لتقدم الطيران

قرأت منذ اسابيع ان أحد الاميركيين صنع سلكاً تلفونيًّا ضخماً اذا استعمل بالاشتراك مع شركات المخاطبات اللاسلكية جعل ربط القارات المختلفة بالمخاطبات التلفونية (سلكية ولاسلكية) في الامكان . ومع ذلك لم تنشأ مخاطبات تلفونية لاسلكية بين اميركا وقارة اوربا الا في العام الماضي . وكنت ذات يوم في داري في حرج قرب برلين نخاطبني صديق لي من شيكاغو ، فلما سمعت نبرات صوتهِ تحملها الامواج اللاسلكية مسافة ٥٠٠٠ ميل تفصل بيننا ، شعرت بروعة العمل وجلالهِ . ولم احسّ انا على الارض الاّ حينما اخبرني صديقي انهُ ينوي ان يطلق امرأتهُ

فهذا الارتقاء وما تمَّ من التقدم في نقل الصور مسافات شاسعة على ايدي ميهالي المجري وكورن الالماني وغيرها من المستنبطين الاميركيين نراها ابعد أثراً في العمران من كل الغازات السامة والسيارات المسلحة والغواصات الفتاكة التي اتقنت في العام الماضي

وعندي ان هذا التقدم العلمي اعظم من كل الصور التي صوّرت والروايات التمثيلية وغيرها من الكتب الادبية التي ظهرت . لان هذا العصر عصر العلم ولا يثير رجالَ الفن عليهِ الا عماهم عن حسناتهِ

لم يكشف في العام الماضي عن حقيقة بيولوجية خطيرة ، ولكن يجب ان نذكر ان المكتشفات الخطيرة في علم من العلوم تقتضي بحثاً مستفيضاً وتحقيقاً دقيقاً يستغرق سنين طوالاً فلا نستطيع ان نقيدها بتاريخ محدود

نظر العلماء قبلاً نظر الريبة الى قول العالم النباتي الروسي غورفتش الذي قال منذ بضع سنوات ان جذراً نباتياً ادبَّ فيهِ الانحلال ، وزالت منهُ آثار الحياة يعود الى النمو اذا وضع قرب جذر حيٍّ ملامس لهُ ، وان النمو في الجذر الميت يحدث في الجهة التي يلامس عندها الجذر الحيّ . ولكن هذه الحقيقة الغريبة تأيدت في الصيف الماضي بتجارب مختلفة جربت بثلاثة انواع من الميكروبات . وفي نوفمبر الماضي اثبتت مباحث الاستاذين سوَر بروخ وشومان ان اشعة تصدر من الاجسام الحيَّة وتتصل بالاجسام التي حوالها . والجديد في

هذه النتيجة ان التغير في كهربائية الجسم يؤثر في الاجسام التي تحيط بهِ . ولعلَّ البحث في هذه الناحية يؤدي بنا الى معرفة طبيعة الميل والنفور وما اليهما من الانفعالات النفسية

الطب

الى هنا تنتهي اعظم وجوه الارتقاء العمراني ، نعني الارتقاء الطبي والصحي . لانهُ ماذا نستفيد من أتقان وسائل التخاطب والانتقال ان لم نتمكن من اطالة العمر وقهر اعداء الحياة للتمتع باسباب الراحة ووسائل الهناءة والرغد

وقد اجتمع في الصيف الماضي مؤتمر السرطان الدولي بلندن تحضرهُ اكبر علماء الطب من ثمانية عشر بلداً واجمع المؤتمر تقريباً مع اختلاف اعضائهِ في اصل السرطان واسبابهِ على انهُ داء قابل للشفاء وان استعمال الراديوم واشعة رنتجن والرصاص مفيد في معالجتهِ . وتقدم البحث في انواع الفيتامين فكُشف عن نوعين جديدين منهُ كشف عنهما فندوس الاستاذ الالماني الذي فاز بجائزة نوبل مكافأة لهُ . وارتقت المباحث في طبيعة الغدد الصماء وفعلها فاثبت الاستاذ اڤانز الاميركي مقدرتهُ على تحويل الذكور الى اناث . وفي الربيع الماضي نجح الاستاذ ارنست لكيور الالماني في معالجة ذكور الماعز بأسترادام حتى صارت تدرُّ لبناً ، ولكنهُ لم ينجح في جعلها ولودة

الادب والفن

ولدى مراجعة الحوادث والمكتشفات التي تمت في العام الماضي يرى المتأمل ثلاثة امور (اولاً) ان العام الماضي لن يخلد بصورة عظيمة صوّرت فيهِ . ولو سئلت ما هو اعظم كتاب ظهر من حيث فائدته للبشر لا استطيع ان اسمي رواية من الروايات بل اذكر كتاب برنارد شو المسمى « دليل الى الرأسمالية والاشتراكية » . (ثانياً) يرى القارئ ان كل الامم اشتركت في ترقية العلم والعمران مع اقتصاري على امثلة قليلة في كل فرع من فروعها . وذلك لان مسائل العلم تسمو عن مسائل القومية . وانا كالماني ، افخر بان المانيا الحديثة تنظر الى اعمال علمائها فخورة بهم من غير ان يُحفظ افتخارها صدور جاراتها . (ثالثاً) ان البشر تقدموا في العام الماضي هذا التقدم لانهم اتقنوا طرق التخليد والتجديد تخليد العلم والعلماء ، وتجديد ذكرهم ولا بدَّ ان يجيء يوم يكفُّ فيهِ الناس عن رفع التماثيل للقواد فيعنون برفعها للاطباء والمستنبطين . ان « ردهة الشهرة » في نيويورك تحتوي على ستة وستين تمثالاً للاميركيين الخالدين ، القواد بينهم ثلاثة فقط . ان هذا فخر لاميركا ودرس بليغ لاوربا . واعظم ما اتمناهُ للبشر ان يضم العام الجديد تحت جناحيهِ العالم القديم والعالم الجديد وقد نقص فيها القواد وزاد المستنبطون

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

الجرائم في مصر

وتقرير القيسي باشا

نشر صاحب السعادة محمود فهمي القيسي باشا مدير الامن العام تقريراً ضافياً عن حالة الامن العام في القطر المصري في عام ١٩٢٨ جاء فيه على احصاءات مفصلة يستدل منها ان عدد الجنايات في العام المذكور قلت عن مثلها في العام السابق ٣٨١ جناية واكثر القلة بين الجرائم الخطيرة فعني حضرة الاستاذ حسن حسين بكتابة هذه الكلمة توطئة لدرس موضوع الجرائم في مصر ووسائل مكافحتها

كانت الحياة تمشي على مهل وتسير سيرة السذاجة والبساطة حيث كان الانسان على فطرته الاولى يعيش مع السذاجة والبساطة ، ولقد تبدلت الحال غير حال ، وسار الانسان مع سنة التطوّر ، وقانون التحول — فانفرجت زاوية العلم ، واتسعت دائرة المعارف ، واصبح انسان اليوم غير انسان امس الغابر

ومصر الناهضة الفتية تسير الآن الى جانب غيرها من الامم الحية الراقية قدماً بقدم وتعمل على رفع شأنها يوماً بعد يوم ، ولا ادلّ على ذلك مما نراه ونقرأه العام بعد العام ، من التقارير والاحصاءات الدالة على مقدار يقظة الحكومة ، ومبلغ نزوع الامة الى الرقي الحق : ان مسألة التقارير والاحصاءات من اهم واعظم ما تشتغل به دول الغرب في تعرف حالتها للعمل على تلافي الخطر ودرء الشرور الاجتماعية قبل استفحالها والحق — ان مسألة الاحصاء قد اصبحت علماً مستقلاً يدرس في كليات الحقوق والتجارة وان مسألة المقابلة قد صارت من اهم المسائل في تعرف الادواء الاجتماعية ووصف الدواء لها . آية ذلك اننا لا يمكننا ان نعالج مسألة هامة في حياة امة من الامم — كمسألة الأمن العام مثلاً الا

اذا تعرفنا بالاحصاء عدد ما وقع من الجرائم في يوم او اسبوع او شهر او عام او نسبة هذه الجرائم بالمائة الى السكان ثم مقابلة ذلك بمثل اليوم او الاسبوع او الشهر او العام في السنة السابقة مثلاً . هنالك نعرف الفرق بين حالة في زمن ما — ونفس هذه الحالة في زمن آخر — وهنالك نستطيع من بعد ذلك ان نصف الدواء بعد تعرف الداء

ولقد كانت الجرائم في مصر سنة ١٩٢٧ كثيرة زائدة عما كانت في عام آخر — فارتفعت الاصوات من كل جانب بالضجيج والشكوى — وتبارت الاقلام تعالج مسألة الامن العام — وزيادة الجرائم وتبحث في اسباب هذه الزيادة — وما يلزم للعمل على هبوطها — وكان سعادة مدير الامن العام يتدبر الامر في تريث ورشد، ويعالج مسألة زيادة الجرائم مع الخلود الى السكون ، بهمة الشباب وحكمة الشيوخ. ثم هو من بعد ذلك ما لبث ان اصدر تقريره لسنة ١٩٢٧ فكان آية في الاحكام وتعليل الاشياء وقدر الامور حق قدرها . اما وقد صدر الآن تقرير سنة ١٩٢٨ عن حالة الأمن العام في المملكة المصرية — فانا نحاول ان ندلي بآراء عسى ان تجد قبولاً لدى القائمين بالامر — فيستخلص منها ما يتفق وحالة البلاد ، ويتلاءم مع طباعنا وعاداتنا ، وجونا ، ونحن نعلم ان لكل امة عادات ولكل شعب حالات ، وان ما يتسق مع خلق لا يوافق ولا ينفع خلقاً آخر وان للعوامل الطبيعية والاجتماعية والسياسية حكماً واثراً فعالا وانما الحكمة تحتم والواجب يقضي بوضع الشيء في ما هو لائق به — في محله

ولئن كان سعادة مدير الامن العام موفقاً في تقريره سنة ١٩٢٧ فانه الآن وفي تقريره لسنة ١٩٢٨ كان اكثر توفيقاً — آية ذلك ما نراه في هذا التقرير من احصاءات قيمة — وبيانات دقيقة — للجرائم التي وقعت في المملكة المصرية سنة ١٩٢٨ على تباين انواعها ، واختلاف درجاتها — في كل بلد وقرية ومركز ومديرية — ثم مقابلة ذلك بسنوات اخرى — للبرهنة على ان حالة الامن في هذا العام احسن مما كانت عليه في السنين الماضية . فهو يصف الداء وصفاً حكيماً ثم يدل على الدواء — في تريث ورشد

ولم يكن فوت قدرته ان يشير الى اسباب الاجرام في مصر، ويلوح بما يراه هو من العوامل الفعالة في انقاص نسبة الاجرام في هذه البلاد — مثل ذلك ما قاله من وجوب زيادة رجال البوليس الساهرين ونشر لواء التعليم في ربوع البلاد والسعي المتواصل لحصر تجارة المخدرات على اختلافها ، والتوفيق بين العمال واصحاب الاعمال والتضييق في منح الرخص لاصحاب المحال الخطرة والمقلقة للراحة وتنظيم شؤون المراهنات والمقامرة على اختلافها وتعديل اللائحة الخاصة بالتراجمة وغير ذلك من المقترحات العملية المفيدة

وامیرکا الجنوبية واستراليا وزيلندا الجديدة وكلهن يحملن الرباط الابيض شعار الاتحاد المقدس . ولم تحرم مصر من التمثيل في هذا المؤتمر فقد حضره عنها خمس سيدات منهن ناظرة مدرسة الامريكان باسيوط

وقد تليت في هذا المؤتمر تقارير كثيرة ووزعت نشرات مختلفة عن حركة تحريم المسكرات في بلدان العالم المختلفة وشرحت المندوبات الوسائل التي اتبعت في بلدانهن لتقوية هذه الحركة فمن اعلانات تقام في الميادين العامة على أعمدة خاصة ، الى جوائز تمنح لطلاب المدارس عن أحسن رسالة في مضار الخمر ، الى مناظر سينماتوغرافية مؤثرة ، الى انشاء فنادق ومطاعم خاصة قام بها بعض أفراد الجمعية حيث لا تقدم الخمر مطلقاً ولا يسمح بشربها

وقد أسست جمعيات عديدة للاطفال ليتمرن الصغار على خدمة هذا المبدأ العالي وليتعودوا مزاياه . ومما لا شك فيه ان تعليم الاطفال مضار الخمور في مدارس الولايات المتحدة له الفضل الاكبر في ايجاد رأي عام ضد الخمور هو الذي كان سبباً في نجاح حركة التحريم وقد أصبحت بفضله ايضاً استراليا والدنمارك وزيلندا الجديدة والنرويج واسكتلندا ميادين عظيمة لمنع المسكرات الاختياري . وتمنع الآن بريطانيا بيع الخمر للاطفال

وقد عادت حركة التحريم في الولايات المتحدة على تجارتها والحياة الاجتماعية فيها بفوائد لا حصر لها . فعمال المصانع يشتغلون ساعات كاملة واصبح للكثيرين منهم حسابات في المصارف المالية واستعاض الناس باللبن عن البيرا . وقد ادى هذا الى ازدياد العمل في المزارع ومصانع الالبان . وكان امام منصة الخطابة في مؤتمرنا بلوزان آلاف الملفات تحمل توقيعات الملايين من شباب امريكا يؤيدون بها حركة المنع هذه

***

وللاتحاد مكاتب رئيسية في كثير من البلدان كما انه يتولى ايواء الفتيات في بعضها ففي الهند مثلاً ثلاثة منازل للوطنيات ومنزل امريكي تحت اشراف الاتحاد كما يؤدي مركز بونس ايرس في جنوب اميركا خدمات عظيمة للسيدات

وتصدر فروع الاتحاد مجلات خاصة بها توزع على مليون شخص في انحاء العالم . ففي الولايات المتحدة ست وثلاثون جريدة مختلفة للتحريم وفي انكلترا وويلز مجلة ولاسكتلندا وارلندا مجلة وفي كندا ثلاث مجلات وفي استراليا اربع وكذا لكل من نيوزيلندا والهند والبلدان السكندينارية والبلجيك وفرنسا مجلة

ومقر الاتحاد في الولايات المتحدة في بناء فخم فسيح الارجاء . وقد اشترينا في بريطانيا داراً كبيرة لتكون تذكاراً لرئيستنا السابقة الكونتس كارليل . اما المقر الرئيسي في اسكتلندا وايرلندا فهو جميل. ويسمح بايواء عدد كبير من الفتيات في دور الجمعية بكندا

وللجمعية فرع في كل من ولايات استراليا والهند والصين واليابان وكلها تعمل لخدمة الغرض الاسمى وهو تحريم الخمور

رمل الاسكندرية عن قصر آل ويصا اغنيس سلاك

امرأة فوق المحيط اللايدي درمند هاي

اول امرأة عبرت الاتلنتيكي طيراناً من اوربا الى اميركا والمرأة الوحدة بين ركاب الغراف زبلين الستين تصف رحلتها من الوجهة النسائية

ان عبور الاتلنتيكي بالبلون طريقة من طرق المواصلات التي لابدَّ ان تتقدم كثيراً وسيكون للنساء فضل كبير في تقدمها كما كان لهن فضل كبير في نجاح المواصلات الجوية بين لندن وباريس . وعندي ان الهواء احنى على النساء من البحر . فباخرة من البواخر التي تمخر سطح اليم تتقلب بين عنصرين مضطربين هما الماء والهواء . ولكن سفن الجوّ — البلونات — اقلّ تقلباً لانها تسبح في عنصر واحد يحيط بها من كل الجهات فيقلُّ بذلك اضطرابها وما ينشأُ عن الاضطراب من دوار وتعب . وزد على ذلك ان الهواء على ارتفاع بضع مئات من الامتار نقيٌّ طلق ينعش النفس ويرهف القابلية . ثم ان البلون نفسهُ خالٍ من كل رائحة كريهة كثيراً ما نرغم على شمها اياماً متوالية في باخرة من البواخر

لقد كان طيران البلون الغراف زبلين تجربة كبيرة . فهو اول سفينة هوائية اجتازت الاتلنتيكي حاملة على متنها الركاب واكياس البريد وفي مركبتها كنت ترى ستين انساناً ينامون ويأكلون ويروحون ويجيئون ويتحدثون — وبكلمة واحدة يعيشون عيشة طبيعية مدة خمسة ايام ، معلقين بكيس ضخم ممتلئ غازاً لطيفاً وتدفعهم في الجوّ قوة محركات قوية هازئة بالعناصر . واعتقد اعتقاداً راسخاً ان الناس سينظرون الى هذا البلون بعد انقضاء خمس سنوات نظرهم الآن الى الطيارة الاولى وما كان فيها من مواطن النقص في اسباب الرفاهة ووسائل السلامة في الجوّ وعند النزول الى الارض .

ولا ريب ان الرجال القائمين على صنع البلون قد تعلموا اموراً فنية كثيرة في اثناء رحلتهم الى اميركا لا بدَّ ان يستفيدوا منها لدى بناء بلون آخر. وهذا امر فنيٌّ لا اتناولهُ ولكن من

الواضح ان ادخال كثير من وسائل الراحة والرفاهة التي كانت تنقصهُ امر قريب التحقيق

واكبر وجوه النقص في نظر المرأة كان الاستغناء عن وسائل التدفئة . فلقد كان من حظنا ان اجتزنا الاتلنتيكي من اسبانيا الى جزائر مديرا الى جزائر برميودا الى اميركا وهو طريق دافئ لانهُ جنوبيٌّ على انهُ طريق طويل وطرق المستقبل لا بدَّ ان تكون فوق شمال الاتلنتيكي لقصرها . والجوّ هناك بارد فوسائل التدفئة لا بدَّ منها . فانك اذا ضربت خيمة في الصحراء لم تأمن مجاري الهواء تخفق فيها . ولكن ارفع هذه الخيمة الف قدم في الهواء وسيّرها بسرعة ٦٠ ميلاً في الساعة يكن لك مثال مصغر لبلون في الجوّ . ان درجة البرد قد تبلغ حينئذٍ مبلغاً لا يحتمل . وقد بلغني ان البلونين الانكليزيين يحتويان على وسائل التدفئة . والمرجح ان الزبلين القادم يسير في اثرها

وغرف النوم صغيرة ولكنها لبست ضيقة والفرش لينة مريحة وكتانها من النوع الجيد ولكن اغطيتها غير كافية فيجب ان يضاف عليها غطاء خفيف محشو بالريش حتى يدفأ النائم. والفراغ الذي في خزائن الغرف لتعليق الثياب كافٍ ولكن الخزائن خالية من مرآة وهذا امرٌ صعب على امرأة ؟

اما غرف الغسيل فشبيهة بغرف الغسيل بمركبات النوم في سكك الحديد التي تصنعها شركة بولمان ففي كل من طرفي المركبة غرفة للغسيل احداها للنساء والاخرى للرجال وفيهما ماء جارٍ باردٌ وسخنٌ ومرآتان ولكن عدم وجود مرايا في غرف النوم وضيق غرف الغسيل عن ان تسع اكثر من عشرة اشخاص جعل مسألة الغسل واللبس كلَّ صباحٍ معقدة كلّ التعقيد

وليس في غرف النوم اجراس كهربائية لدعوة الخدم . ولا مصابيح فوق الاسرة للقراءة في الليل ولا يسمح بفتح النوافذ لادخال الهواء النقي لانهُ اذا سمح بفتحها قذف بعض المسافرين باشياء منها قد تعلق بالمحركات وتعرض البلون وركابه لخطر عظيم

والتدخين ممنوع في كل ناحية من نواحي البلون مما حمل بعض مدمني التدخين من الرجال على التذمر. وقد علمت ان في البلونين الانكليزيين ستبنى غرفة خاصة بالمدخنين . والالمان سيفعلون ذلك وسيفردون غرفة خاصة لزينة النساء « بودوار »

وقد كانت غرفة الجلوس وغرفة الطعام في الغراف زبلين واحدة فكانت غرفة الجلوس تحوَّل في اوقات الطعام الى غرفة مائدة وعندي ان هذا كافٍ لان اكثر المسافرين كانوا يقضون اكثر اوقاتهم في غرفهم يقرأون او يتأملون مناظر الجوّ والبحر

اما المطبخ الكهربائي الصغير فلم يكن متسعاً لاعداد الطعام لستين شخصاً ثلاث مرات كلَّ يوم. والظاهر ان اكبر صعوبة عرضت للقائمين بهِ عجزهم عن تسخين مقادير كافية من الماء اللازم للطبخ والشاي في الصباح وبعد الظهر

وليس في البلون حمامات ولا حمامات «الدوش البارد» اذ ليس في امكان البلون ان يدفق الماء جزافاً لان وزنهُ يجب ان يبقى حول حدٍّ معين وان لا يخفف وزنهُ الا في احوال خاصة لذلك يقاس مقدار ما يحملهُ من الماء قياساً دقيقاً قبل قيامهِ ويحسب حساب لكل ما قد يستعمل لهُ فاذا استعمل في الغسيل الاعتيادي مثلاً جُمع وحفظ في حوض حتى لا يرمى وينقص وزن البلون مقدار ما يرمى من الماء

فاذا قام هذا البلون برحلات جوية منتظمة بين اوربا واميركا لا ارى مانعاً يمنع النساء من السفر بهِ انما اشير على كل مسافرة ان تأخذ معها غطاء صوفياً ثقيلاً «حراماً» وثياباً صوفيّة، وجوارب مدفئة للنوم وزجاجة ماء سخن ومناشف لتقوم مقام مناشف الورق التي في البلون، وحذاء عالياً ليقي الكاحلين من مجاري الهواء

صديقنا الصحي حقائق صحية في اسلوب سهل

المشروبات الروحية ومضارها

تناولنا في الجزء الماضي مسألة التدخين والصحة. ونحن اليوم نتناول مسألة المشروبات الروحية ومضارها على ذكر المقالة التي اتحفتنا بها المس سلاك عما تبذلهُ النساء من الجهد في مكافحة شرور المسكرات

﴿ الكحول يقصر الحياة ﴾ لقد ثبت من مباحث مستفيضه في انكلترا ان متوسط الوفيات بين مدمني المسكرات اعلى منهُ في الشعب كلهِ. ويؤخذ من سجلات شركات التأمين على الحياة في انكلترا واسكتلندا والولايات المتحدة الاميركية ان متوسط الوفيات بين المعتدلين في تناول المسكرات يزيد من ٤٠ في المائة الى خمسين في المائة عنهُ بين الذين لا يتناولونها مطلقاً. وشركات التأمين على الحياة اما ترفض ان تؤمن على حياة المدمنين او تتقاضى منهم اقساطاً سنوية عالية لان الادمان يقصر الحياة

﴿ الكحول يسبب الامراض ﴾ كل الاعضاء الداخلية معرضة لان تصاب باحد الامراض من جرّاء التمادي في تناول المسكرات. وقد ثبت ذلك من فحص هذه الاعضاء

بعد وفاة المدمنين . فكل من المعدة والكبد والكليتين والقلب والعروق تصاب بامراض خطرة تنشأ عن ادمان الكحول

﴿ الكحول يضعف القوة على مقاومة الامراض ﴾ معلوم لدى القراء ان كريات الدم البيضاء هي خط دفاعنا الاول ضد هجمات المكروبات. ويساعد هذه الكريّات مفرزات خاصة من الغدة الدرقية والغدد الكلوية (ادرينال) فالكحول يضعف فعل هاتين الغدتين فتقلُّ مفرزاتهما وتضعف مقدرة الجسم على مقاومة المكروبات. فمدمنو المسكرات معرضون اكثر من غيرهم للاصابة بامراض خطرة واحتمال شفائهم منها اقل من احتمال شفاء غيرهم

﴿ الكحول يخدر الاعضاء ﴾ للكحول فعل في اجهزة الجسم كفعل الايثر الاَّ ان فعل الكحول بطيء وفعل الايثر سريع . وكلاهما يخدّر الاعصاب. ولما كان الانسان يتناول المشروبات الكحولية بيده فالمرجح انهُ لا يصل مطلقاً الى حالة التخدير التام . وينتج عن فعل الكحول في الاعصاب ضعف النظر والنظر المزدوج احياناً وتلعثم اللسان واضطراب اليدين وضعف الذاكرة واضطراب الافكار وفقد قوة التفكير والحكم . اي ان السكران يصاب بالعتهِ موقتاً . وبعد زوال فعل الكحول يشعر بانحطاط في الجهاز العصبي وينظر الى الحياة من وجهها الاسود

﴿ تكرار السكر يورث المرض ﴾ وهذا المرض الخاص بالجهاز العصبي يدعى هذيان السكارى (دليريوم ترمنز) وهو مثل هذيان الحمى الاَّ انهُ ناتج عن فعل الكحول

﴿ الكحول يسبب العته والاجرام ﴾ السكر والعته والاجرام ثلاثة افعال مرتبطة ارتباطاً وثيقاً فالسكر كما قدمنا عتهٌ موقت . وتكرر السكر يحدث في الدماغ ما يجعل العته الموقت عتهاً دائماً . والبرهان على ذلك ان عدداً كبيراً من المتوهين في البيمارستانات اصلهم اصحاء ولكنهم كانوا من مدمني المسكرات . وقد وجد في بعض البيمارستانات ان من ٤٠ الى ٦٠ في المائة من المتوهين فيها اصلهم كذلك ولا يعلم على وجه التدقيق عدد الجرائم التي يسببها تناول الالكحول . ولكن نفراً كبيراً من الثقات يؤكدون ان اكثر من نصف الجرائم يقترفها اناس سكارى

﴿ الكحول والوراثة ﴾ ولو ان آثار الكحول تقتصر على جسم المدمن لقلنا شرٌّ ويزول . ولكن المباحث في الوراثة اثبتت ان اولاد المدمنين يكونون غالباً بلهاء اومتشردين او متسوّلين او من مدمني المسكرات او مجرمين او مصابين بامراض القلب

هذه هي بعض المضار التي تنشأ عن ادمان المشروبات الروحية فتدبرها ايها القارئ

باب الزراعة والاقتصاد

الارز المصري في الاسواق الاجنبية

يلقى الارز المصري في البلدان الاجنبية سوقاً رائجة لا بأس بها وينافسهُ ارز ايطاليا واسبانيا كما ان الارز الوارد من بلاد الهند الشرقية يزاحمهُ حتى في مصر نفسها

وسبب منافسة الارز الهندي انهُ ارخص سعراً في غالب الاحيان ولكن ارز مصر يمتاز عنهُ من جهة النوع بمراحل واية تجربة بسيطة يحاولها الانسان بنفسهِ تسفر دائماً عن تفوق الارز المصري على ارز رانجون وسايجون . واحسن الاسواق للارز المصري هي بلدان الشرق الادنى كسوريا وفلسطين وما جاورهما

وقد تأثرت تجارة الارز مع الخارج في الاعوام الاخيرة وكانت هذه المسألة موضع عناية الحكومة المصرية وتولى بحثها الممثلون التجاريون في خارج القطر المصري وتتلخص نتيجة الابحاث في ان التجار يشكون من انحطاط نوع الارز وخلطه كما انهم مستاؤون جداً من سوء المعاملة التجارية . ولما كان القصد من هذا المقال هو درس احسن الوسائل لتنشيط تجارة هذا المحصول الرئيسي من محاصيل البلاد المصرية وجب علينا ان ندرس العيوب التي يشكو منها المستهلكون في الاسواق الخارجية وتعرف اسبابها ووسائل تلافيها

الشكاوي المتعلقة بشؤون الزراعة والصناعة

تتلخص شكاوى الاسواق من هذه الوجهة فيما يأتي :

اولاً — وجود حبات رفيعة وغريبة بالارز وارتفاع نسبة الحب الاصفر والمعطوب فيهِ
ثانياً — كثرة الحصى والاحجار الصغيرة — ثالثاً — زياده كمية الارز الكسر

اما العيب الاول فيتعلق بالزراعة وما يتبعها من الدراسة والتخزين

ان انحطاط نوع الارز ووجود حبات رفيعة وغريبة بهِ يرجع في الواقع الى التقاوي فان البزور المستعملة في البلاد لم تتغير منذ زمن طويل كما ان الزراع اعتادوا اخذ التقاوي اللازمة للزراعة المقبلة من محصول اراضيهم نفسها ومما لا جدال فيهِ ان هذا يؤدي الى انحطاط النوع في الارز وفي كل المخلوقات الحية اذا سارت عليهِ. واغلب التقاوي الموجودة مخلوط رديء النوع فيؤدي هذا الى رداءة الناتج فضلاً عن ضعف المحصول وقلتهِ

والمزارعون يضمون الارز عادة على المياه قبل جفاف الارض وذلك بقصد زيادة الاوزان فعند ما ينقل الارز الى المخازن والاجران يصيب حبوبهُ العطب والاصفرار بسبب ما يعلق بها من الرطوبة

وتزداد الحالة سوءاً عند نقل الارز من المزارع الى المصانع . فان الارز باعتباره محصولاً صيفياً كالقطن تتفق مواعيد شحنهما الى المصانع معاً ولما كانت مصلحة سكك حديد الحكومة تضع عرباتها تحت تصرف القطن ينتج من ذلك تأخير شحن الارز وبقاؤهُ في مخازن المحطات وعلى ارصفتها معرضاً لتقلبات الجو وامطار الشتاء وهذا ايضاً من عوامل العطب والفساد . والحال على هذا المنوال ايضاً عند الشحن بطريق النيل

فالعيوب المتعلقة بالزراعة اذن تسبب مما يأتي : —

١ — رداءة التقاوي وخلطها وتكرار زراعتها في المنطقة نفسها . ٢ — عدم العناية بالدراس والتخزين سواء في المزارع او المضارب . ٣ — تعرض الارز للتقلبات الجوية

اما كثرة الحصى والاحجار والارز الكسر فرجعه في الغالب الى مضارب الارز والمصدرين فقد اتضح ان اكثر هذا الخلط ناتج من سوء النية . فإن الكسر الناتج من عملية الضرب يباع على حدة دائماً ولكن بعض التجار يضيفونهُ عمداً الى الرسائل الصحيحة

وبهذا الصدد نورد هنا حادثة ظريفة ذكرت في تقرير أحد القناصل وهي ان محلاً من اكبر المحال التجارية التي تشتغل بتجارة الارز المصري صرّح لهُ بانهم يرغبون بشدة في استيراد الارز المصري «ولكنهم يأسفون لانهم لا يريدون مشترى حجارة من الاهرام»

اما طريقة الصناعة نفسها فنحن نعتقد ان تغييرها يحتاج الى زمن طويل وان الآلات الحديثة المستعملة في بعض المصانع لا يمكن ان تعم الجميع الا اذا تحسنت تجارة الارز وشعر القائمون بها بمزايا الانفاق في سبيل تغيير آلاتهم . على اننا شخصيًّا نميل الى الاعتقاد ان هذه الآلات القديمة هي التي اكسبت الارز المصري سمعته الاولى الطيبة في الاسواق ولكن الخطر كله هو من الخلط وسوء النية اللذين اضرا بسمعة هذه التجارة واخّرا تقدمها تأخيراً كبيراً . ولعلاج هذه العيوب جميعاً نشير باتباع الوسائل الآتية

(ا) التقاوي

عبء هذه المسألة واقع على الحكومة المصرية اولاً ثم على الجمعيات المنظمة الكبرى كالجمعية الزراعية والنقابة الزراعية العامة . فالبلاد في حاجة الى بزور جديدة صالحة . والحكومة تجرّب في اراضيها من اعوام عديدة اصنافاً مختلفة من المحاصيل فيتعين ان تعمل الحكومة او هذه الهيئات الكبرى على ان تسهل للفلاح الحصول على ما يلزم من التقاوي الطيبة بايسر السبل

لقد استورد محل تجاري كبير في الاعوام الاخيرة بزوراً من الارز الياباني ولكنهُ شكا من ارتفاع سعرها فقد بلغ ثمن الطن في اواخر سنة ١٩٢٥ ما يوازي ½ ٣٨ جنيه . وقد خشي هذا المحل ان لا يجد وسيلة لتوزيع هذه التقاوي . ويجب ان تعطي الحكومة هذه البزور بالاجل او بتسلم مقدار مماثل من البزرة بقصد الاكثار منها وبشرط مراقبة الزراعة كما فعلت ذلك في بعض تقاوي القطن السكلاريدس . وليست هذه المهمة من واجبات الافراد بل من شأن الحكومة او الهيئات التعاونية

أما الافراد فيجب ان يفهموا — وان يفهّموا — ان تكرار الزراعة في المنطقة الواحدة مضر جداً بمحصولهم وانهُ يجب جلب ما يحتاجون اليه من التقاوي من منطقة اخرى

(ب) العناية بالدراس والتخزين

اذا صح ان مهمة وزارة الزراعة هي الارشاد وكان عبء هذه المهمة ايضاً واقعاً عليها وعلى النقابات الزراعية فان استمرار الفلاحين على ضم الارز على المياه قبل جفاف الارض تماماً وعدم تهوية المخازن ونظافة الاجران امور يجب التنبيه اليها دائماً ومراقبتها بواسطة عمال الوزارة الذين يجوبون بلاد الارياف . والصحافة تؤدي نفس المهمة فان المزارع المصري مع شدة تمسكه بالقديم مستعد دائماً للاخذ بالوسائل التي تنفعه وتفيده وليس هناك خير من تنظيف المحصول لتحسين سعره فارشاده ضروري اذا أريد اي اصلاح لحالة البلاد الزراعية

(ج) شحن الارز وتخزينه في المضارب

ان مناطق الارز معروفة محصورة واهم مضاربه قائمة في جهات معينة وكل ما يطلب من مصلحة سكك حديد الحكومة ان توفر العربات اللازمة للشحن في مدة الموسم فلا يبقى الارز على الارصفة زمناً طويلاً كما ان اصحاب الارز يجب ان يعنوا باستعمال مشمعات واقية من الامطار سواء في عربات سكك الحديد او في المراكب حفظاً له من التقلبات الجوية . وهذه المشمعات ليست سريعة الاستهلاك كما انها ليست غالية الثمن

ومراقبة المخازن في مضارب الارز من اختصاص مفتشي الصحة والداخلية . وكما ان الحكومة تشترط اوصافاً خاصة للمصانع فسألة تهوية المخازن يجب ان تكون في مقدمة المسائل التي يعنى بها لان عدم التهوية ضار بالارز لانهُ متى تطرق الاصفرار والعطب الى حبة من الحبات فلا سبيل لعلاجه على الاطلاق وقيراط وقاية افضل من فدان علاج . ومن مصلحة اصحاب المضارب انفسهم ملاحظة ذلك من غير اشتراطات الحكومة

(د) مراقبة الصادر

حق المراقبة على الصادر ومنعه في يد الحكومة المصرية بغير حاجة الى استئذان او

تدخل من الدول صاحبة الامتيازات فالواجب على الحكومة حرصاً على سمعة التجارة ان تراقب الصادر من الارز وتمنع التصريح باي بضاعة تبلغ نسبة الكسر فيها والحبات الصفراء درجة معينة . ولا يلزم لهذا نفقات جديدة او وظائف جديدة فهناك قسم لوقاية النباتات تابع لوزارة الزراعة له مكاتب في كل الجمارك تراقب الفاكهة الواردة ومن السهل جداً ان يتولى عماله هذه المهمة السهلة

هذا هو مجمل ما يمكن عمله لاصلاح العيوب الصناعية و الزراعية. على ان ادخال آلات ال Silos الحديثة الى القطر المصري للارز بل ولغيره من الغلال والحبوب هو خير سبيل لتنظيم اسواقها وترقية نوعها وهذه الآلات الرافعة تتولى تنظيم الحبوب جيعاً وفرزها وتبويبها اسوة بالقطن ولها مزايا جمة . وربما قمنا ببحث قريب عن هذه الآلات وما تؤديه من خدمات في البلدان الاخرى جلال حسين

وفي الشهر القادم يتناول البحث الشكاوى المتعلقة بتجارة الارز المصري وملافاتها

سماد نترات الصودا الشيلي

مصدره . طريقة استخراجه . تجارته في انحاء العالم

اتجهت انظار الزراع المصريين في الاعوام الثلاثين الاخيرة الى استعمال الاسمدة الكيماوية وذلك لضرورة تعويض الارض عن الغذاء الذي تستنفده الزراعة من جهة ولتغذية النباتات نفسها من جهة اخرى ومساعدتها على النمو والاثمار . وقد اصبح للسماد الكيماوي الآن المقام الاول في سدّ حاجات الفلاح المصري مع انهُ لم يكن يعرف من قبل سوى السباخ البلدي الذي لا يمكن انتاجه بكميات كبيرة تكفي حاجات الزراعة

ولقد كانت واردات مصر من السماد في عام ١٩٠٢ الفي طن فبلغت في عام ١٩٢٧ ما مقداره ٤٣٠ ٢٢٥ طنًا وهذه الارقام تدل دلالة واضحة على شدة اقبال الفلاح المصري على الاسمدة الكيماوية . واكثر الاسمدة ذيوعاً في مصر هو نترات الصودا وهو السماد الازوتي الطبيعي الوحيد فقد بلغت وارداته في عام ١٩٢٦ ما مقداره ١٨٢٫٨٤٩ طنًا وفي سنة ١٩٢٧ نحو ١٤١٫٣٠٠ طن او ما يعادل ٧٠ ٪ من جملة واردات الاسمدة

ولسنا نرغب هنا ان نبحث في خواص نترات الصودا او مزاياهُ للارض . وانما نريد ان نشرح للقراء مصدره وكيفية استخراجه وتجارته في العالم. فالقليلون جدًا من مستعملي هذا السماد يعلمون اين يستخرج وكيف ذلك والادوار التي يمر بها حتى يصل الى ايديهم . فهم يستعملونهُ في زراعاتهم وينتفعون بهِ في تخصيب التربة والاكثار من المحصول لاغير

مصدر النترات

يعرف هذا السماد الطبيعي باسم « نترات الصودا الشيلي » نسبة للبلاد التي يستخرج منها وهي جمهورية الشيلي في امريكا الجنوبية . وهذه الجمهورية كما هو معروف عبارة عن مساحة ضيقة مستطيلة من الارض تنحصر بين المحيط الهادئ وسلسلة جبال الاندس . جنوبها خصب ومناخه معتدل مأهول بالسكان يتكلم اهله اللغة الاسبانية . والجزء الشمالي منها متصل بجمهورية البيرو وهو صحراء قاحلة

غير ان تلك المنطقة الجرداء الواقعة بين خطي عرض ١٩° و٢٦° جنوبي خط الاستواء تحوي ثروة طائلة مصدرها « الذهب الابيض » او نترات الصودا

وقد يلوح غريباً ان تكون هذه البقعة الجرداء من الارض مصدر اكبر مخصّب معروف للآن . ولكن العلماء لم يتمكنوا للآن من تعليل وجود هذه الطبقات المتراكمة من النترات في تلك الصحراء القاحلة مع اهتمام الكثيرين بذلك مثل العلامة ستوكلازا وغيره . ولكن اقرب التعليلات للمعقول ما ابداهُ بعضهم من ان شمال بلاد الشيلي كان في العصر الجيولوجي مغموراً ببحيرات كبيرة مالحة . وقد تبخرت مياه هذه البحيرات فنشأ عن ذلك راسب ملحي تفاعل على اثر الانقلابات البركانية مع بعض الاعشاب المعروف باسم Varech واختلط برمل ابيض فجرى التحول الى المادة النتروجينية تحت تأثير العوامل الجوية . وقد ساعد انحباس الامطار على احتفاظ هذه المناجم بحالتها حتى فطن الناس الى مزاياها وعملوا على استخراجها في اوائل القرن التاسع عشر

وقد ادى اكتشاف هذا الكنز الثمين الى امتداد العمران الى تلك الصحارى فانشئت المدن والموانئ ومدت الخطوط الحديدية الى غير ذلك من وسائل المدنية . وتشتغل باستغلال هذه الثروة حكومة شيلي نفسها وبعض الشركات المالية ولكن المساحة التي يستثمرونها اليوم لا تتجاوز ستة آلاف كيلو متر مربع من الارض وهو ما لا يزيد عن ثلاثة في المائة من مساحة المنطقة التي فيها هذه الرواسب

البحث عن النترات واستخراجه

يوجد المنجم الذي يحتوي على نترات الصودا على اعماق قريبة من سطح الارض لا تزيد سمك طبقاته عن متر ونصف الى مترين ويطلق عليه اسم كاليش Caliche. ومظهره صخري ولونه يميل الى السمرة غالباً . وفيه نتوءات حجرية متلاصقة ببلورات من الاملاح القابلة للذوبان . وتوجد فيه مادة النترات متحدة مع كبريتات الصوديوم والكلسيوم والمانيزيوم ومع يودات الصوديوم وعلى الاخص مع كلورور الصوديوم . وقد توجد

النترات مبلوره حتى تكاد تكون نقيّة . ويبحثون عن هذا المعدن بالمسبار حتى اذا ظهرت منطقة غنية (بالكاليش) عمدوا الى نسف الصخر بالبارود . وتؤخذ القطع الناتجة من عملية الانفجار وتزال عنها المواد الغريبة اللاصقة بها وتنقل الى المصانع لمعالجتها

وعملية استخراج النترات من هذا المعدن الخام عملية شاقة فهو يعالج بالماء البارد ثم بتسخين المحلول وتصفية السائل الذي عندما يبرد يتحول الى نترات لا تقل نقاوتها عن ٩٥ في المائة وتحتوي على ١٥٫٦ في المائة من الازوت . وبعد التجفيف توضع النترات في جوالات وتشحن الى بلاد العالم . على ان عملية التعدين آخذة في التحسين عاماً بعد عام وبعد ان كانت العملية كلها يدوية ادخلت الآلات الحديثة عليها وجربت طرق عديدة منها طريقة معروفة باسم (جوجنهيم) وهذه من شأنها معالجة المعدن الخام بحرارة منخفضة وبلورة النترات بواسطة مواد لها خاصية التثبيت وكل مجهودات الماليين والحكومة الشيلية منصرفة لاحداث اكبر اقتصاد مستطاع في الوقود والايدي العاملة مما يؤدي الى انقاص كمية النفقة

تجارة النترات

ويبلغ ما يستخرج من النترات في السنة في الوقت الحاضر ثلاثة ملايين طن . وقد كان ما استخرج في سنة ١٩٠٠ مالم يزد مقداره عن ١٥٠٠ طن فقط . ولكن مجهود قرن كامل لم يؤثر على تلك الثروة الطبيعية التي لا تنتهي ولا يمكن تقدير المستخرج للآن باكثر من وشل من بحر. واهم الموانى التي تصدر النترات انطوفاغستا ابكيك طلطال توكوبيلا

واولى الممالك التي تستهلك النترات الولايات المتحدة ثم فرنسا ويعتبر القطر المصري ثالث بلاد العالم التي تستهلك هـذا السماد الطبيعي وتبذل حكومة الشيلي والشركات التي تستثمر هـذا « الذهب الابيض » مجهوداً عظيما في نشر الدعوة لاستعمال هـذا السماد وملاحظة جودة نوعه ومراقبة تأثيره في الاراضي الزراعية. ولهذا الغرض انشأت مكاتب علمية في اغلب الممالك ويبلغ عدد هذه المكاتب اربعين منها واحد في مصر انشىء منذ عام ١٩١١ مهمتها ان تقوم بالابحاث الفنية المتعلقة باستخدام النترات في تسميد الارض كما تتولى ارشاد المزارعين الى كل ما يخص السماد ويؤدي الى تحسين نتائجه وتقوم بعمل تحاليل في معامل فنية خاصة بها وتقوم بتجارب زراعية تعلن نتائجها في نشرات مجانية

ولا تقوم هذه المكاتب باي عمل من اعمال التجارة او البيع والشراء على الاطلاق وهكذا تحافظ الشيلي على أهم مصادر ثروتها وهي نترات الصودا او « الذهب الابيض »

جلال حسين



معجم انجليزي عربي
في العلوم الطبية والطبيعية

تأليف الدكتور محمد شرف بك — الجراح بمستشفى الملك بمصر — وعضو كلية الجراحين الملكية
صفحاته نحو الف صفحة من حجم الطائف — طبع بالمطبعة الاميرية بمصر — ثمنه ١٥٠ غرشاً

هذا عمل مجمع اضطلع باعبائهِ فرد نابغ حملهُ حبهُ للغة وكلفهُ بترقيتها وزيادة ثروتها على قضاء ساعات الفراغ من عمل شاق كالجراحة في عمل اشقّ منهُ وهو تصنيف معجم لغوي دون تصنيفهِ خرط القتاد حقيقةً

وكفى بالقارئ ان يعرف ان هذا المعجم يشتمل على مصطلحات ومفردات مستعملة في الطب والتشريح وعلم وظائف الاعضاء والجراحة والقبالة والمادة الطبية وامراض النساء والاطفال والعيون والاعصاب والجلد والطب الشرعي وعلوم النبات والحيوان والكيمياء والطبيعة والكهربائية وحفظ الصحة والصيدلة وما اليها ليدرك ان الرجل الذي يقدم على عمل كهذا يجب ان يكون اولاً متبحراً في هذه العلوم ، اذ لا يكفي الالمام بمبادئها في هذا المقام ، وان يكون ثانياً ذا صبر دونهُ صبر ايوب يمكنهُ من مطالعة كل ما كتب في تحديد المواد المختلفة وتحقيق ما ذكرهُ العرب في كتبهم ترجمة او تعريباً لها ، وقراءة كتب الصيد والقنص والرحلات ودواوين الشعر لتحري اسماء الحيوانات والنباتات ومعرفة اسمائها كما تعرف في اوطانها ، وان يكون فوق ذلك بصيراً بمواطن الخطاءِ لاجتنابها ألمعيًّا في تخير الالفاظ الصحيحة واستنباطها كلِفاً بمهمتهِ تهون عليهِ كل مشقة في سبيل انجازها

وفي ذلك قال في مقدمة الطبعة الثانية : « ولكن مما هوَّن عليَّ التعب وشق النفس وساعد على عدم تسرُّب الملل والقنوط الى نفسي ، لكثرة ما يستلزمهُ هذا العمل من الجهد والنفقات في اقتناء كتب نادرة واستئجار كتبةٍ ، التشوُّق لقراءة مختلف الكتب العلمية والتاريخية وكتب الاسفار والارتياد ، واني كلما امعنت في المطالعة وزدت غوراً في قراءة العربية زاد اعجابي بها لما فيها من الثروة اللفظية وقابليتها للنمو المستمرّ — ولما فيها من البلاغة والمعاني الباهرة . وكلما ازدادت معرفتي بكلام العرب وادراكي لحسن بيانهِ جرى في جسمي مجرى السحر ، وذلك ما رغبني في استيعاب اكثر دواوين الشعر وكتب

اللغة التي كتبت في موضوعات مخصوصة »

وكل من يرمي نظارة عجلى على مقدمة المؤلف والطرق التي اتبعها في الترجمة والتعريف وايراد الوصف ادرك ان الدكتور شرف خير من يضطلع بعمل كهذا . فقد قضى نحو ١٤ سنة يتصفح ويقتطف ويدوّن ويبوب حتى تهيأ لهُ اصدار الطبعة الاولى من معجمهِ سنة ١٩٢٦ فقوبلت بآيات الاعجاب والثناء . واكبر دليل على حاجتنا الى معجم من هذا القبيل ان طبعتهُ الاولى نفدت في اقل من سنتين والنسخة التي امامنا الآن من نسخ الطبعة الثانية بعد التنقيح والاضافة

ولما كان اشتغال الدكتور شرف في وضع هذا المعجم يجعل لرأيهِ في موضوع الترجمة والتعريب اعلى مقام بين المفكرين رأينا ان نستوضحهُ رأيهُ هذا فكتبهُ لنا في مقالة بليغة مسهبة نشرنا جانباً منها في مكان آخر من هذا الجزء وابقينا الجانب الثاني الى الجزء التالي . فنهنئ صديقنا الفضال بهذا السفر الجليل ونهنئ كتاب العربية وابناءها المتعلمين بهِ وبمعجمهِ

كتاب العشر مقالات في العين

المنسوب لحنين بن اسحق (١٩٤ — ٢٦٤ هـ)

الدكتور ماكس مايرهوف طبيب من ابرع اطباء العيون في مصر . ومستشرق محقق عني بتاريخ الطب عند العرب ولهُ في ذلك آيات تشهد بفضلهِ وعلمهِ . وقد انتهز فرصة اجتماع المؤتمر الطبي الدولي في القاهرة فطبع في المطبعة الاميرية كتاباً طبيًّا نفيساً هو كتاب المقالات العشر في العين المنسوب لحنين بن اسحاق واهداهُ الى كلية الطب في الجامعة المصرية . فاسدى بذلك خدمة جليلة للمستشرقين عامةً والمشتغلين منهم خاصة بتاريخ العلوم الطبية عند العرب

وهذا الكتاب كما يقول الدكتور مايرهوف فيهِ اقدم كتاب في طب العيون ألف على الطريقة العلمية ونصّهُ العربي منقول عن النسختين الوحدتين المعروفتين ، احداها في خزانة احمد تيمور باشا والثانية في خزانة لننغراد وقد جاء الدكتور ماير هوف بصورة فتوغرافية منها ليقابلها على النسخة التيمورية

وقد قدّم الدكتور مايرهوف لهذه الطبعة مقدمة مسهبة تناول فيها مباحث العلامة الالماني هيشبرج استاذ طب العيون بجامعة برلين سابقاً وعنايتهُ بتدوين تاريخ طب العيون عند العرب والشعوب الاسلامية الاخرى . . . « فكشف عملهُ هذا عن بلوغ طب العيون عند العرب في القرنين الرابع والخامس من الهجرة مرتبة سامية تدعو الى الدهشة حقًّا »

واثبت انهُ « لا مندوحة لنا عن التسليم بان المؤلفات العربية في طب العيون حتى ما جاء منها في عصر الانحطاط تفوق بدرجة عظيمة الكتب التي ظهرت في اوربا قبيل سنة ١١٠٠ هجرية اي سنة ١٧٠٠ ميلادية »

ثم ذكر الدكتور مايرهوف قائمة بالمصنفات العربية الاولى التي تناولت طب العيون واثبت في كلامهِ على كتاب البصر والبصيرة الذي ينسب تصنيفهُ الى الطبيب والفلكي والمترجم الذائع الصيت ثابت بن قرة الحراني (العراق ٢١١ — ٢٨٨ — هـ) ان هذا منتحل بصورة مخجلة من كتاب عمار بن علي الموصلي (مصر حوالي سنة ٤٠٠ هـ). وبرهانهُ على ذلك ان اسم الرازي ورد فيهِ « وعلى هذا لا بدَّ ان يكون قد صنف بعد سنة ٣٢٠هـ ولا يمتُّ بصلة الى العالم الصابئ ثابت بن قرة الذي عاش في العراق ومات ٢٨٨هـ». وقال في كلامهِ على كتاب « تركيب العين واشكالها ومداواة عللها لعلي ابن بختيشوع الكفرطابي » «انهُ مجهول ولم يذكرهُ احد سواي. وتوجد منهُ نسختان خطيتان كاملتان في خزانة لننغراد والخزانة التيمورية »

ويلي ذلك بحث مسهب في سيرة حنين بن اسحق واسلوبهِ في التأليف ومقالاتهِ العشر في العين وتشريحها وادوائها ومعالجتها وترجمة ذلك كلهِ بالانكليزية. والكتاب مخدوم بفهارس وجداول ومعاجم تضاعف فائدتهُ لتسهيلها تناولهُ. ومجموع صفحاتهِ بجزئيهِ العربي والانكليزي ٥٠٠ صفحة من قطع المقتطف

الدليل

مجلة شهرية جامعة تعنى بالشؤون الاقتصادية والعمرانية يصدرها بسان باولو (البرازيل) الكاتب الاديب توفيق افندي ضعون ويساعدهُ في انشائها نفر من صفوة الادباء والمفكرين

تصفحنا اعدادها فوجدناها من ارقى المجلات العربية التي اطلعنا عليها من صحف المهجر. فهي تصدر كلَّ شهر في نحو اربعين صفحة كبيرة من قطع اللطائف المصورة حاوية لطائفة مختارة من المباحث التي تهم قرّاء العربية في اميركا الجنوبية وغيرها من الاقطار. اخذنا اتفاقاً الجزء السابع الذي صدر منها فاذا هو يحتوي على سيرة اسطفان رادتش النائب اليوغوسلافي الذي قتل حديثاً مترجمة عما كتبهُ بقلمهِ. ومقالة علمية في الحشرات آيتها « لكل شيء آفة من جنسهِ » واخرى في « السفن الهوائية » ورحلة الغراف زبلين من المانيا الى اميركا وعودتهِ منها. وفيها عدا ذلك ابواب لنقد الكتب وللزراعة وللصناعة والتجارة وللادب. وهذا الباب الاخير يحتوي على خلاصة لرواية شكسبير التي عنوانها « تاجر البندقية »

ابحاث في المواد المخدرة في مصر

رسالة في ٤٦ صفحة وضعها الدكتور عبد الوهاب محمود وقدمت الى المؤتمر الطبي الدولي الذي التأم في القاهرة في شهر دسمبر الماضي. وقد بحث فيها بحثاً استقرائيًّا مفيداً عن انتشار المخدرات في مصر ننقل منهُ ما يأتي :

نسبة الانتشار بين الف من مدمني المخدرات

١٥	موظفاً
٥٠	تاجراً
٤٩	فلاحاً
٤٥٥	عاملا
٤٣١	صانعاً
٥٥١	المتزوجون
٤٤٩	العزّاب

النسبة بحسب السن

٦٤٩	بين ٢٠ سنة و٣٠ سنة
٢٥٤	« ٣١ « و٤٥ «
٩٧	« ٤٦ « و٦٠ «

النسبة بحسب التعلم

٣٦٣	يعرفون القراءة والكتابة
٧٣٧	من غير المتعلمين

نسبة الانتشار بين ٤٣١ صانعاً من المدمنين الالف

١٠٧	نجارين
٩٨	قهوجيًّا
١٧	رساماً
٢٣	ساعاتيًّا
٧٠	استورجيًّا ومبيضاً
٢٧	حدّاداً
٣	صوّاغ
٥٢	سائق سيارات
٣٤	صنائع مختلفة

الانتشار بين النساء

النسبة بين ٢٣٨ امرأة حكم عليهن سنة ١٩٢٨

١٥٣	امرأة بين ٢٠ سنة و٣٠ سنة
٥٩	« « ٣١ « و٤٥ «
٥٦	« « ٤٦ وما فوقها

والرسالة طافحة بالاحصائيات المفيدة والاقوال الرشيدة فيصح ان تجعل هذه الرسالة اساساً لمكافحة انتشار المخدرات في مصر

السوريون في مصر

بقلم الخوري بولس القرألي — صاحب المجلة السورية ومحررها — صفحاته ١٣٤ قطع المقتطف

الجزء الذي بين يدينا يتناول علاقات سورية ومصر من اول التاريخ الى عصر محمد علي وقد لخص الاب المحترم هذه العلاقات في صفحة ٩٣ : حيث قال

« فانت ترى مما سبق أن مصر وسوريا من أول عهد التاريخ حتى محمد علي لم تنفصل الواحدة عن اختها الاَّ نادراً وفي فترات قصيرة . فقد جاء الملوك الرعاة السوريون الى مصر مع مئات الالوف من مواطنيهم وحكموها ستمائة سنة . ولما عاد الملوك الى بلادهم لم يلحقهم مواطنوهم بل تبعهم الفراعنة واستولوا على سوريا مدة اربعمائة سنة . ثم طغى سيل الاشوريين على القطرين فاتحدا عليهم . ولما ظهر اليونان واستولوا عليهما اخذ ملوكهم يتنازعون الشقيقتين الجميلتين .وقد بقيت سوريا أكثر ايامها في حوزة بطالسة الاسكندرية ثم جاءت النصرانية فدانتا بها ولحقتها الاسلامية فخضعتا لها . واصبحت مصر في اول امر العرب من اعمال دولة دمشق او بغداد او السامرة حتى استقل بها آل طولون فضموا اليها سوريا . ولما جاء المماليك فقدوا سوريا وقتاً قصيراً ثم استعادوها . وخلفهم العثمانيون فجعلوا الشقيقتين عبدتين وولوا امرها الى باشاوات اساؤوا معاملتها .فاتحد علي بك الكبير صاحب مصر مع الشيخ ضاهر صاحب عكا والامير منصور شهاب اللبناني على تحريرها وجمع شملها فلم يساعدها الحظ طويلاً وظهر بونابرت واحب امتلاكها فكان اقل حظ منهم وقام محمد علي فضمها مدة عشر سنين »

وسيلي هذا الجزء جزءان آخران اولها يحتوي على جداول الاسر السورية في القاهرة والاسكندرية من سنة ١٦١٨ حتى سنة ١٨٠٥ والثاني يتناول حالة السوريين في عهد المماليك

الحالة المالية والتطور الحكومي

والاجتماعي في عهدي الحملة الفرنساوية ومحمد علي

وضع هذا الكتاب الاستاذ ابرهيم زكي بك وكيل مصلحة الاموال المقررة بالمالية. وقد قسمهُ الى بابين كبيرين الاول يبحث في حالة مصر المالية في عهد الحملة الفرنسية فذكر اولاً العناصر التي كانت تتألف منها الحكومة المصرية والموظفين الذين عُهد اليهم في جبي الرسوم والضرائب. ثم قسم هذا الباب الى قسمين عامين تناول في اولها الضرائب والرسوم العمومية مثل الضرائب على الاطيان والضرائب على الوظائف وضرائب البضائع والضرائب الشخصية ففصَّل كلاً منها تفصيلاً وافياً وفي القسم الثاني بحث في النفقات العمومية مثل نفقات الجيش والمعاشات واعمال الخير ونفقات ركب المحمل الشريف والخزانة التي كانت ترسل الى السلطان سنويًّا

والباب الثاني من الكتاب قسمهُ كذلك الى قسمين يشتمل الاول على بعض رسائل

محمد علي واوامره والثاني على تفاصيل التطور الاجتماعي والحكومي في عهده وأثرهما في تاريخ مصر بعد ذلك. ومما قاله في رسائل محمد علي في التعليم :

« والرسائل حافلة بالبحث في موضوع التعليم فكان يطلب بياناً يومياً عن الدروس التي تلقاها الطلبة في القلعة ويذكر انهُ يشعر بارتياح تام عندما يقف على درجة ما نالوهُ من التقدم وعلى حسن سلوكهم . ويشير بجلد طلبة لم يقبلوا على الدرس خمساً وعشرين جلدة

« وكان يطلب بذل العناية في الزام طلبة الطب بأن يترجموا الى العربية الكتب الطبية التي درسوها فاذا لم يكونوا قد خوطبوا في ذلك وجب أن يخاطبوا باللغة العربية للوطنيين والتركية للاتراك وأن يطلعوا سمو الوالي على نص هذه الخطابات

« وفرض على كل تلميذ من تلاميذ قصر العيني أن يكتب سطرين بخط يده ويذكر فيهما اسمهُ وعمره وترسل هذه المخطوطات الى سمو الوالى ليتبين درجة تقدمهم

« وقد عاد طالب صناعة المراكب في انجلترا فأمر بتعيينهِ مساعداً ثانياً في اول الامر ثم يعين لهُ الراتب الذي يتناسب مع درجتهِ

« وقد أشار الى ان الحاجة لا تستلزم أن يعين لمدارس الاقاليم نظار ومساعدون بل يكلف شيخ البلد التي تنشأ فيها المدرسة بادارتها مقابل جُعل يسير على أن يتولى نظافتها خدامه الخصوصيون وعليهم مراقبة الطلبة مراقبة جدية ولفتهم الى ضرورة النظافة

« وأمر بانشاء مدرسة للتعدين وتوطيد دعائمها وأن يخصص لها مكان في حي الأزبكية

« وعاد ثلاثة طلاب تعلموا الزراعة في أوروبا فاشار بانتخاب ثلاثين شخصاً من أبناء مشايخ القرى الموسرين وبناء مساكن لهم في شبرا وبأن يتولوا زراعة المحصولات الاوربية مع تمرين الثلاثين شخصاً المشار اليهم تمهيداً لنشر هذه النظرية في الاوساط الزراعية المحضة

« وابتهاجاً بالطلبة أمر بان من لم يتم ختانه من تلاميذ المدارس في الاقاليم يجب على المديرين القيام بأتمام هذا العمل مع دق الطبول والمزمار أثناء ذلك مبالغة في ادخال الفرح عليهم »

حقاً ان من يراجع كتابات محمد علي التي تدل على عنايتهِ بكل كبيرة وصغيرة من شؤون الدولة يقول مع لورد كرومر « فقد توفرت في محمد علي مواهب فائقة تستحق الاعجاب » ومع السر شارلس مري « لئن وضعهُ التاريخ بصفتهِ قائداً في صف طارق وصلاح الدين فلا جرم ان ينيلهُ بصفتهِ مصلحاً قسطاً من ذلك الاحترام الذي يشعر بهِ الانكليز لقائدهم كرومويل والذي يخالج افئدة الفرنسويين تلقاء واضع القانون الجليل »

فلسفة الفارابي

وأثرهُ في المذهب المدرسي

وضعه بالانكليزية الاب روبرت حموي — صفحاته ٨٦ قطع وسط — طبع بمطبعة بلغريني وشركاه بسدني اوستراليا

الاب حموي مؤلف هذا الكتاب وُلد في حلب سنة ١٨٩٥ وانتظم في سلك الرهبنة الفرنسيسكانية في فلسطين فاظهر تفوقاً ونبوغاً في الدروس التي تلقاها حتى اذن لهُ رؤساؤهُ وهو في السنة الرابعة والعشرين ان يذهب الى رومية ليتم دروسهُ الفلسفية في جامعتها ولما تقدَّم للامتحان بعد سنتين تفوَّق على كل الطلاب الذين تقدموا معهُ . وعاد الى فلسطين سنة ١٩٢١ فبقي فيها يدرّس الفلسفة الى سنة ١٩٢٧ حين عزم ان يسافر الى استراليا ليخدم ابناء العربية المقيمين في ربوعها . وفي هذا الكتاب يبين الاب حموي ما في الفلسفة الفارابية من العناصر التي تتفق مع مبادىء المذهب المدرسي واخرى تختلف عنها. ومن تحليلهِ يظهر لك كيف انتقلت الفلسفة اليونانية اليهِ فصقل المذاهب القديمة وتوسع في المذاهب الجديدة ثم كيف نقل عنهُ فلاسفة العصور الوسطى آراءً حسبها كثيرون فيما بعد من مبتكراتهم . ومن اقوال الاب حموي في ديباجتهِ : لقد حان الزمن للفلسفة المسيحية أن تعترف بما هي مدينة بهِ للفارابي وغيرهِ من كتاب العرب

العلم والطب

مجلة علمية طبية لصاحب امتيازها توفيق مفرج بك ورئيس تحريرها المسؤول الدكتور اسماعيل مرتضى بك تصدر كل شهر في ٣٢ صفحة من القطع الكبير نصفها عربي والنصف الآخر فرنسي. واليك بعض المباحث التي اشتمل عليها العدد الثاني في القسم العربي. الكبد وخلاصة السرطان . وليم هارفي ابو الطب الحديث . وصف المعرض الطبي . الالم وتشخيص الامراض الباطنية . ونبذ مختلفة علمية وطبية مفيدة. اما القسم الفرنسي فيحتوي على مقالة في مضار المشروبات الروحية للدكتور كاسنجينا والنقابة الطبية للدكتور سركيس وتشخيص القيء للدكتور بيز . وفي القسمين قدر كبير من الاعلانات عن اشهر المستحضرات الطبية وفوائدها

لم يتسع هذا الجزء من المقتطف للبحث في طائفة من الكتب النفيسة مثل كتاب «فجر الاسلام» للاستاذ احمد امين و « الحركات الاجتماعية في الاسلام» للاستاذ بندلي جوزي و«تاريخ الحركة الوطنية» لعبد الرحمن بك الرافعي فوعدنا بها الجزء القادم ان شاء الله

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم تدرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) كأس شنيدر

الاسكندرية . تردّد في التلغرافات العمومية في أوائل هذا الشهر اسم كاس شنيدر ومباراة شنيدر . فمن هو شنيدر هذا وما هي كأسهُ

ج . شنيدر من رجال الطيران والالعاب الرياضية المشهورين في فرنسا صنع سنة ١٩١٢ كأساً من الذهب والفضة والبرونز قيمتها نحو الف جنيه وجعلها جائزة دولية يفوز بها السابق في سباق للطيارات المائية يقام كلَّ سنة او كلَّ سنتين . والغاية منهُ ترقية الطيارات البحرية وزيادة سرعتها باذكاء نار المزاحمة بين أبناء الامم المختلفة . وقد تحققت غايتهُ كما ترون من الجدول التالي وفيه أسماء الفائزين بهذه الجائزة النفيسة والامة التي ينتمون اليها وسرعتهم في السباق الذي تفوقوا فيه والسنة التي تفوقوا فيها

سنة	الاسم	والمملكة	السرعة بالميل بالساعة
١٩١٣	بروفو	فرنسي	٤٥٫٧٥
١٩١٤	بكستن	انكليزي	٨٦٫٠٠
١٩٢٠	بولونا	ايطالي	١٠٦٫٦٧
١٩٢١	دهبريفانتي	ايطالي	١١٠٫٤٩
١٩٢٢	بيارد	انكليزي	١٤٥٫٦٧
١٩٢٣	رتنهوس	اميركي	١٧٧٫٣٨
١٩٢٥	دولتل	اميركي	٢٣٢٫٥٧
١٩٢٦	دهبرناردي	ايطالي	٢٤٦٫٤٩
١٩٢٧	وبستر	انكليزي	٢٨١٫٥٤

ولم تقم المباراة في اثناء الحرب ثم اقيمت سنة ١٩١٩ في انكلترا فكان الضباب كثيفاً فلم يتمكن الطيارون من الطيران فوق الخط المعين ولما كان اقربهم الى ذلك الطيار الايطالي اقيمت المباراة في السنة التالية في ايطاليا اذ من شروط هذه المباراة ان تقام في البلاد التي فازت بها في السنة السابقة . ولم تقم المباراة سنة ١٩٢٤ لان الطيارة الانكليزية تحطمت قبل شحنها الى اميركا والطيارة الايطالية لم ترسل

وبعد ما اقيمت المباراة في ايطاليا سنة

١٩٢٧ طار الطيار الايطالي ده برناردي فتفوق على اسرع ما بلغهُ وبستر الانكليزي اذ بلغت سرعتهُ ٣١٧ ميلاً في الساعة . ثم حاول دارسي كريج الانكليزي ان يتفوق عليهِ ففاز بذلك اذ بلغت سرعتهُ ٣١٨ ميلاً في الساعة ولما كان من شروط المباراة ان المتفوق يجب ان يتفوق على من سبقهُ بخمسة اميال في الساعة على الاقل فقصب السبق لايزال اذن باسم دي برنادي الايطالي

(٢) الابيغرافيا

الاقصر . ذكرتا أنباء قدوم المستر ركفلر والاستاذ برستد ببعثة في الاقصر لجامعة شيكاغو الاميركية تقوم بعمل اثري جليل . فما علاقة الاستاذ برستد والمستر ركفلر بها وما هو عملها

ج. الاستاذ برستد رئيس الدائرة الشرقية واستاذ التاريخ المصري في جامعة شيكاغو والمستر ركفلر من أكبر المحسنين اليها . والعمل الذي تقوم به بعثة جامعة شيكاغو بالاقصر في هيكل رعمسيس الثاني المعروف بمدينة حبو مديرهُ الدكتور نلسن استاذ التاريخ القديم سابقاً في جامعة بيروت الاميركية وتلميذ الدكتور برستد وهو يختلف عن اعمال البعثات الاخرى فقد اقتصر على ما صار لهُ شأن كبير في المباحث التاريخية ونعني تصوير الكتابات الهيروغليفية المنقوشة على اعمدة الهياكل وجدرانها لتحفظ في المتاحف وخزائن الجامعات . وهذا عمل يحتاج القائم بهِ الى الصبر الجميل وطول الاناة لما يقتضيهِ من الدقة في التصوير الفتوغرافي وما يتبعهُ من الرسم بالحبر الصيني والمقابلة على الاصل المنقوش في الحجر وما نشرهُ علماء الآثار من قبل اذا كان قد اتيح لهُ النشر . ومدير البعثة يرسل نسخاً من الصور التي يصورها بالفوتغراف ثم يرسمها بالحبر الى بعض الاثريين المشهورين في اوربا واميركا ليروا رأيهم فيها ويبدوا ما عندهم من الملاحظات وبعد هذا كلهِ يعتمد نسخة واحدة تكون اقرب ما يمكن ان تكون الى الاصل . وقد لا يتم تصوير الكتابات المنقوشة على جدران مدينة حبو واعمدتها في اقل من ثلاث سنوات وقد مضى على البعثة هناك نحو اربع سنوات الآن . ولكن متى تمَّ العمل صار لعلماء التاريخ بيان تام دقيق لتلك الكتابات يرجع اليها الباحثون الذين لا يستطيعون المجيء الى مصر للوقوف على الاصل

(٣) مبلغ مبرات ركفلر

ومنهُ . اختلفت الناس في مقدار ما انفقهُ ركفلر الكبير وابنهُ في مبراتهما الكثيرة . فما هو المبلغ الحقيقي

ج . يتعذر تقدير ذلك تقديراً مدققاً ففي احصاء نشر سنة ١٩٢٥ ان مبرات ركفلر بلغت ٥٧٥ مليوناً من الريالات اي ١١٥ مليوناً من الجنيهات ولكنهما وهبا

مبالغ طائلة من اول سنة ١٩٢٥ الى الآن لذلك قدرنا مبالغ هباتهما بمائة وثلاثين مليوناً من الجنيهات في صدر المقال المنشور في صفحة ١٣٣ من هذا الجزء. وقد اطلعنا في كتاب « ملوك التجارة » على ان مبراتهما بلغت ١٥٠ مليوناً من الجنيهات. ولعل هذا التقدير مبالغ فيه قليلا. وهذا المبلغ هو الرأسمال الذي وهباه واما الربح الذي ينفق في الاعمال المختلفة فيساوي المبلغ الاساسي الآن او يفوقهُ، واذا قدرنا ان هذا الرأسمال يبقى كما هو من غير ان يزيد لارتفاع اسعار السندات فريعهُ السنوي نحو خمسة ملايين ونصف مليون من الجنيهات كلَّ سنة باعتبار الربح نحو ٤ في المائة فقط. فكأن ركفلر يهب الآن خمسة ملايين ونصف مليون من الجنيهات كلَّ سنة

(٤) كيف انفق

ومنهُ. وفي اي سبيل انفق هذا المبلغ الضخم

ج. اشهر مبرات ركفلر اربع. (١) « مؤسسة ركفلر » وقد وهبها الى آخر سنة ١٩٢٥ نحو ٣٧ مليوناً من الجنيهات. وغايتها محصورة الآن في نشر التعليم الطبي والصحي ومكافحة الاوبئة. وفي كل سنة تقريباً تنشر خلاصة تقريرها فاذا هو ينبئ عن اشتراكها مع طائفة كبيرة من الحكومات في اوربا واسيا وافريقيا واميركا الجنوبية على مكافحة الحمى الصفراء والملاريا والسل الرئوي والانكلستوما وغيرها. ومن منشآتها « المجلس الصحي الدولي » و « مجلس الصين الطبي » الذي اسس كلية باكين الطبية وما يتصل بها من مدارس التمريض والمستشفيات و (٢) « مجلس التعليم العام » وقد وهبهُ الى آخر دسمبر سنة ١٩٢٤ نحو ٢٦ مليوناً من الجنيهات. وغايتهُ ترقية التعليم في الولايات المتحدة الاميركية من غير نظر الى الجنس او المذهب. وكان هذا المجلس قد وزع من ربع مالهِ ٢١ مليوناً من الجنيهات على مختلف الكليات والجامعات الاميركية بينها هارفرد وجونز هبكنز وشيكاغو (ومنها الاستاذ برستد) وييل وكولمبيا. وسنة ١٩١٩ وهب المستر ركفلر هذا المجلس ١٠ ملايين من الجنيهات ليهبها الى الجامعات والكليات لترفع رواتب أساتذتها منعاً لاستقالتهم واقبالهم على اعمالٍ مالية مكاسبهم منها تفوق الرواتب التي ينالونها من المدارس والكليات. (٣) « معهد ركفلر الطبي » وقد وهبهُ حتى الآن نحو عشرة ملايين جنيه وغايتهُ ضمّ أكبر علماء الطب اليهِ حتى يتفرغوا للبحث عن اسباب الامراض وطرق مكافحتها والوقاية منها ومن أشهر رجالهِ العالِم نوغوشي الياباني الذي توفي في السنة الماضية في افريقية وهو يبحث عن حقائق جديدة تتعلق بالمكروب الذي

يسبب الحمى الصفراء . (٤) وقف « لورا سيلمن ركفلر التذكاري » وقد وهبهُ حتى آخر ١٩٢٤ نحو ١٥ مليوناً من الجنيهات لينفق ريعها في اعمال الخير النسائية التي كانت زوجتهُ (واسمها قبل الزواج لورا سيلمن) تعنى بتنشيطها قبل وفاتها سنة ١٩١٥

وعدا هذه الهبات تبرع بنحو اربعة ملايين من الجنيهات للكنائس ونحو تسعة ملايين جنيه لجامعة شيكاغو . واما هباتهُ الاخرى فيتعذر حصرها الآن

(٥) نفق المانش

مصر . نشرت التلغرافات العمومية منذ ايام نبأً عن الاهتمام باعادة النظر في مشروع نفق تحت المانش يصل بين انكلترا وفرنسا فما هي الحقائق العلمية التي ترتبط بهذا الموضوع

ج . اذا تمَّ الاتفاق على تنفيذ المشروع حُفر نفق مزدوج تحت بحر المانش احدها للقطارات الذاهبة من دوڤر (بانكلترا) والآخر للقطارات الآتية اليها من كاليه (فرنسا) والظاهر ان طائفة كبيرة من المهندسين البارعين قد نظروا في الامر من الوجهة الهندسية ورأيهم انهُ لا توجد صعوبة ما تحول دون حفر النفق بآلة صنعت لهذا العمل خاصة . فقعر بحر المانش فيه مادة ٧٥ في المائة منها طباشيري و٢٥ في المائة دلغاني وهي مادة لا يخترقها الماء . ويكون النفق عميقاً يبعد ١٣٠ قدماً عن قعر المانش او اكثر وينتظر ان يستغرق حفرهُ وبناؤهُ من الداخل بالسمنت المسلَّح نحو ثلاث سنوات ونصف سنة وتقدَّر نفقاتهُ بنحو ٣٠ مليوناً من الجنيهات . اما الاعتراضات الحربية التي توجَّه اليهِ فقد نأتي عليها وعلى ما يدحضها في مكان آخر لان هذا الباب لا يتسع لها

(٦) منع النزلة الصدرية

الاسكندرية . شفيت منذ اسبوعين او ثلاثة من النزلة الصدرية التي اصبت بها على اثر اصابتي بالانفلونزا فما هي افعل الطرق لتوقي الاصابة بها ثانية

ج . لا يعرف حتى الآن لقاح او مصل يقي من النزلة الصدرية . وبعض الاطباء يعتقد ان الاصابة بها تقي منها مدة قصيرة جدًّا . والبعض الآخر يقول ان الاصابة بها تعرض المصاب لاصابة اخرى

والنزلة الصدرية مرض معدٍ لذلك يجب عزل المصابين بها عن سائر افراد الاسرة ويجب على من اصيب بها سابقاً ان يتقي الاختلاط بالمصابين كل الاتقاء . وعليهِ ترون ان الواقي الوحيد لكم هو الاحتفاظ بصحة حسنة وعناية خاصة بمسألة الغذاء والرياضة البدنية والنوم الكافي والنظافة الجسمية والدفء وعدم التعرض لمجاري الهواء . ولما كانت مكروبات هذا المرض تكثر في الفم والحلق فمن الوسائل لوقاية الجسم العناية بصحة الاسنان والحلق وتنظيفهما كل صباح وكل مساء

باب الأخبار العلمية

إنفار . ألنفار . بلاتنيت

منح مجلس الجمعية الطبيعية بلندن وسام ددل التذكاري عن سنة ١٩٢٨ للدكتور شارل ادوار غيّوم مدير المكتب الدولي للموازين والمقاييس بسيفر . وهذا الوسام يمنح كلَّ سنة لمن يوسع آفاق العلوم باستنباط آلات علمية جديدة او ابتداع مواد جديدة لبناء الآلات العلمية

والدكتور غيّوم مشهور في عالم العلم بانهُ استنبط ثلاثة معادن جديدة كل منها مزيج من معادن اخرى وهذه المعادن هي « الانفار » و « الالنفار » و « البلاتنيت » والاخير اهمها من الوجهة الصناعية فهو مزيج من النكل والحديد يتمدد عند درجة الحرارة التي يتمدد عندها الزجاج ولذلك يسهل صهره مع الزجاج ويستعمل في صناعة المصابيح الكهربائية . ولما كانت مصانع المصابيح الكهربائية تصنع كلَّ سنة نحو الف مليون مصباح فاستعمال هذا المعدن مكان سلك البلاتين يوفر على المصانع مليون جنيه في السنة

والمعدن الثاني هو الانفار وهو مزيج من النكل والصلب لا يكاد يتمدد بفعل الحرارة فاذا صنعت منهُ شريطة من الشرائط التي تستعمل للقياس في مسح الاراضي لم تتأثر بفعل الجو فلا تطول ولا تقصر . واعمدة الرقاص في كل الساعات المتقنة الصنع تصنع منهُ الآن لوقاية الرقاص من فعل الحرارة . والمعدن الثالث هو الالنفار وهو شبيه بسابقهِ ولكن لا يتأثر مطلقاً بتغير حرارة الجوّ فلا يتمدد بارتفاعها ولا يتقلص بانخفاضها وقد استنبطهُ خاصة لتصنع منهُ اجزاء الساعات الدقيقة وخصوصاً الزنبلك ويقدّر الآن ان خمسة ملايين ساعة تصنع كلَّ سنة ويدخل هذا المعدن في صنع اجزائها

تكريم السر جاغاديس بوز

احتفل في اول دسمبر الماضي بالهند بتكريم العالم الهندي السر جاغاديس بوز لبلوغهِ سن السبعين فارسل مهارجا نيبال وحكام الهند ورؤساء الجامعات فيها مندوبيهم لحضور هذا الاحتفال الفخم ونظم الشاعر ربندرانات طاغور قصيدة خاصة لتتلى فيهِ . وورد على المحتفل بهِ رسائل التهنئة من مختلف البلدان . فأرسل رومان رولان الكاتب الفرنسي المشهور تلغرافاً قال فيهِ لقد : « أدمجت في امبراطورية الروح

عالم الحياة الذي كان يحسب حتى الامس ميتاً ولا وجدان لهُ » وهو طبعاً يشير بذلك الى مباحث بوز التي أثبت بها ان النباتات تحسُّ وتشعر كالحيوانات. وأرسل معهد البحث الوطني بنانكنغ رسالة جاء فيها: « العالم ينظر اليك لترفع العلم الى مقام الحقيقة الروحية . وكل اسيا تشترك معك في مجدك». فأجاب بوز بخطبة قال فيها: « لقد مضى عليَّ اربعون سنة وانا أشتغل لأفوز للهند بمكانة معترف بها بين دول الارض بما تقدمهُ من ثمار القرائح لتوسيع نطاق العلم . والعالم اليوم منقسم الى فرق مستعدة للحرب مهددة بذلك كيان الحضارة. وهناك طريقة واحدة لانقاذ العالم من دمار شامل وهي التعاون الفكري لمصلحة الناس العامة » . ولما اجتمع مجلس (سنا) جامعة كلكتا في ٨ دسمبر أصدر قراراً بتهنئتهِ

موتمر للغة العربية

في مساء يوم الجمعة ١١ يناير سنة ١٩٢٩ دعي جمهور من اهل الفضل والادب من المصريين والشرقيين الى دار ميرزا مهدي رفيع مشكي بك رئيس الغرفة التجارية الايرانية فتذاكروا في سمرهم الحفلات التي أقيمت بالقاهرة لتكريم امير الشعراء شوقي بك وما كان في عزم المحتفلين بهِ من اقامة مؤتمر للغة العربية ثم ذكروا اشتداد الحاجة في الوقت الحاضر الى السير في تنفيذ هذه الفكرة بعقد مؤتمر دوري يتنقل بين حواضر البلاد العربية ويحضرهُ مندوبون من اقطارها للبحث في وسائل ترقية اللغة العربية رسماً ولفظاً حتى تأخذ المكان الجدير بها بين اللغات الحية وتصبح كفيلة بكفاية التعبير عما استحدث من مقتضيات الحياة الحاضرة. وتنفيذاً لهذه الفكرة ألفوا من بينهم لجنة مؤقتة تتولى تنظيم الاعمال التمهيدية لعقد لجنة تأسيسية لتنظيم المؤتمر

وقد اجتمعت هذه اللجنة الموقتة مساء يوم الثلاثاء ١٥ يناير الجاري بدار الرابطة الشرقية وبحثت في اسماء من عرفوا بالعناية بشؤون اللغة العربية من الادباء والعلماء بالقطر المصري لتدعوهم للاستنارة بآرائهم في موضوع المؤتمر . فنرجو لها النجاح في عملها

وعندنا انهُ لا محيص عن اشتراك حكومات البلدان العربية في تنظيم هذا المؤتمر والانفاق عليهِ لأنهُ اذا لم يكن عملهُ مستمراً ، واذا لم يقف طائفة من العلماء كلَّ وقتهم عليهِ بحثاً وتنقيباً وتأليفاً فلا ترجى من عقدهِ في فترات بعيدة فائدة عملية كبيرة . وهؤلاء العلماء يجب ان يكفوا همَّ العناية برزقهم اذا تفرغوا لهذا العمل الجليل ومن يكفل لهم ذلك غير الحكومات المختلفة في البلدان العربية ؟

وقد استوضحنا آراء طائفة من كبار العلماء

في هـذا الموضوع وما يتصل بهِ وأخذنا ننشر آراءهم تباعاً في المقتطف

الفيتامين ايضاً

في مكان آخر من هـذا الجزء مقال مسهب عن الفيتامين . ولكن العلم سريع الارتقاء لتعدد الباحثين وتعاونهم واتقان وسائل البحث واشتراكها . فباحث في فعل غاز من الغازات قد يوفق الى طريقة يستعملها باحث في الفيتامين فيكشف بها عن حقائق جديدة لم يكن الكشف عنها ممكناً لولا تعاون العلماء في البحث عن الحقائق . وقد قرأنا في السينتفك اميركان مثلاً بليغاً على ما تقدم . ذلك ان غاز الاثيلين من الغازات التي تستعمل في انضاج الاثمار قبل اوانها وهو كذلك من الغازات التي شاع استعمالها في الجراحة للتخدير وقد حلَّ بين الجراحين الاميركيين محلَّ جانب كبير من الايثر والكلوروفورم والاكسيد النتروس. فخطر على بال بعض الباحثين السؤال التالي : هل الخضراوات والاثمار التي تنضج انضاجاً صناعيًّا بفعل غاز الاثيلين تحتوي على الفيتامين الذي تحتوي عليهِ عادة متى نضجت نضجاً طبيعيًّا ؟ فاذا لم تكن كذلك فانضاجها بغاز الاثيلين مهما يكن مفيداً من الوجهة المالية للشركات التي تقوم بهِ مضرٌّ بالجمهور الذي يأكلها ، فاخذ الدكتور باب Babb احد اساتذة جامعة ماين الكرفس الذي انضج بفعل الاثيلين والكرفس الذي نضج نضجاً طبيعيًّا وامتحن فعلها في طائفة من الجرذان فثبت لهُ من تجاربهِ هذه، التي جرى فيها مجرى السر غولندهبكنز المفصلة في مقالتنا ص ١٤٦ من هذا الجزء ، ان انضاج الكرفس بغاز الاثيلين لا يقلل مقدار ما فيهِ من فيتامين (ب). ولكن هذا الحكم لا يصحُّ اطلاقهُ على ما بقي من الخضراوات والاثمار . فيجب امتحان البرتقال والطماطم وغيرها من الاثمار التي تنضج بالاثيلين كما امتحن الكرفس ليعرف هل هذا الغاز يقلل ما فيها من الفيتامين او لا

في القطب الجنوبي

في القطب الجنوبي الآن بعثتان علميتان الاولى بعثة برد الاميركي وقد اشرنا اليها في مقتطف نوفمبر الماضي ونشرنا معها صورة للاصقاع المتجمدة الجنوبية. والثانية بعثة السر جورج هوبرت ولكنز الرائد الاسترالي الذي طار مرتين فوق القارة المتجمدة الجنوبية فاثبت ان غراهاملند (ارض غراهام) ليست شبه جزيرة متصلة بالقارة المتجمدة كما كانت تحسب قبلاً بل جزيرة يفصلها عن القارة مضيق متجمد . وكشف كذلك ست جزائر جديدة لم تذكر قبلاً . وسنعود الى تفصيل اعمال البعثتين بالصور في الجزء التالي مبينين وجوه

الفرق بين ارتياد الاصقاع المتجمدة الشمالية وارتياد الاصقاع المتجمدة الجنوبية

ومهما تكن النتائج العلمية التي تسفرعنها اعمال هاتين البعثتين فاذا اسفرت عن الاجابة عن سؤال واحد كفاها فخراً . وهذا السؤال الخطير هو : هل جليد القارة المتجمدة الجنوبية آخذ في الذوبان . فاذا كان الجواب بالايجاب فعلى كل المدن الكبيرة القائمة على شواطئ البحار ان تشرع في نقل خزائنها ومتاحفها ومعاملها ودورها ومدارسها الى الداخلية ، لانهُ متى ذاب هذا الجليد ارتفع مستوى البحار نحو خمسين قدماً وطغى ماؤها على الشواطئ فغمرها . وهذا القول ليس من بنات الخيال بل هو رأي عالم استرالي من مشهوري علماء الجيولوجيا وهو السر ادجورث داڤيد

اطالة العمر واختلاف العلماء

نشر المقطم من مراسله في الفيوم ان في ضواحيها شيخاً معمراً اسمهُ ابراهيم البطران بلغ من العمر ١٥٣ سنة وانهُ لذلك اكبر الاحياء سناً على ما يعلَم . وقد اطلعنا على رأي للدكتور ارثر ريس من اساتذة جامعة بنسلفانيا ذهب فيه الى ان المعمرين سيصبحون في سنة ١٩٥٠ كثاراً حتى لا يعود يعبأ بهم احد ، وهو لا يرى سبباً ما يمنع اطالة الحياة حتى تصير مائة سنة بدلاً من ان تحدَّ بستين او سبعين . والتقدم في علوم الطب والغذاء وما اليها يجعل ذلك منتظراً . والدكتور جورج روكر من اساتذة جامعة جونز هبكنز يذهب الى ان بلوغ سن المائة من غير يوم واحد من المرض في حيز المستطاع وعندهُ ان اطالة العمر تتوقف في مقدمة ما تتوقف عليه من الامور ، على التغذية الصحيحة

اما الدكتور دبلن وهو من الاطباء المتصلين بشركة المتروبوليتان للتأمين على الحياة فيرى اننا لم نتقدم مطلقاً في القرن الاخير في اطالة الحياة . وكل ما فعلهُ علماء الطب وموظفو المجالس الصحية هو زيادة متوسط عمر الانسان بتقليل الوفيات بين الاطفال . والدكتور الفرد كون من علماء الحياة في معهد ركفلر الصحي يؤكد ان الشيخوخة مرتبة طبيعية من مراتب الحياة لا مندوحة عنها وكل ما فعلهُ الطب انهُ جعلها اكثر رفاهة ورخاء

اصول الحضارة الهندية

جاء في ناتشر ان السيد بودب موكرجي اصدر رسالة صغيرة موضوعها « قدم الحضارة الهندية » جاء فيها على ان اصل الحضارة الهندية يرجع الى ١٩٥٠ مليون سنة . ولما كان السر جيمز جينز أشهر علماء الفلك المعاصرين يذهب الى ان عمر الارض نفسها يرجع الى الفي مليون سنة حتم علينا

ان نصدّق قول المستر موكرجي حيث يقول « وأكثر الناس لا يصدقون قولي هذا ». ولكن الفصل الذي أفردهُ لتاريخ الكيمياء الهندية لا بأس بهِ وهو جدير بأن ينظر فيهِ مؤرخو هذا العلم. ومن اقواله في هذا الفصل ان الرازي مدين للهنود بما تعلمهُ عن كيمياء المعادن. ومما لا يقرّهُ عليهِ العلماءُ قولهُ « ان مذهب دارون قد رفضهُ الآن أشهر علماء العصر وفلاسفتهِ ». ثم تشير ناشر على المؤلف ان يشترك مع أحد العلماء الذين رسخت قدمهم في موضوع النقد التاريخي على الاسلوب العلمي الحديث فينتج عن هذا الاشتراك فائدة علمية كبيرة

عملية عجيبة في العين

جاء في مجلة العلم العام نبأ عملية جراحية في العين اذا صحّ بحذافيره كان من عجائب الدقة وآيات الابداع. ذلك ان طبيباً اميركيًا في مستشفى العين والاذن بنيويورك شاهد فيهِ مريضاً فقد احد عينيه وعوّض عنها بعين زجاجية ثم اصيبت الثانية بالكتركتا وهو اظلام العدسة البلورية فرأى ان ينقل من عين رجل آخر قرنيتها ويزرعها على عين هذا المصابة بعد ازالة قرنيتها المريضة. وفعلاً قام بذلك فنجح وصار الرجل يرى الاشباح على بعد عشر اقدام بعد ما كان مهدداً بالعمى. وكانت عين الرجل التي تبرع بقرنيتها مصابة بخرّاج خبيث ولهُ عين اخرى يرى بها فتبرع بجانب من عينهِ المريضة التي لا ترجى لتصلح بها عين اخيهِ

المناعة ضد السل الرئوي

في اجتماع لجمعية الطبيعيين والاطباء الالمان خطب الاستاذ لوفنشتين النمسوي مبيناً انهُ في الامكان احداث مناعة ضدّ السلّ الرئوي باستعمال دهن يحتوي على مكروبات السل الميتة. واسم هذا الدهن « درموتيون » وقد استعمل في السنوات الاربع الاخيرة لوقاية تلاميذ المدارس بفينا من السل واستعماله يكون ثلاث مرات متوالية بين المرة والاخرى شهر وقد احدث مناعة فعالة في ثلث الاطفال الذين عولجوا بهِ. فعسى ان يعنى احد طلبة الطب المصريين في فينا بتفصيل هذا العلاج اذا كان ما ينسب اليهِ صحيحاً

انباء موجزة

* بنت شركة اللفت هنسا الالمانية التي تسيّر كل خطوط الطيران التجاري في المانيا طيارة مائية ضخمة لتستعملها في نقل الركاب والبريد بين اسبانيا واميركا الجنوبية. وقد جهزتها بثلاثة محركات مجموع قوتها ٢١٦٠ حصاناً وبكل الآلات الدقيقة التي لا مندوحة عنها لقيادة الطيارات وسلامة الركاب. وفيها متسع لاثني عشر راكباً

وخمسة طيارين وخدم . وتستطيع ان تطير مسافة ٢٤٠٠ ميل من غير ان تحطّ على الارض بسرعة ١٣٠ ميلاً في الساعة

* كان بين زوّار القاهرة في شهر يناير الماضي السر دنيسُن رُس المستشرق الشهير ومدير مدرسة العلوم الشرقية بلندن وقد القى يوم ١٦ يناير خطبة نفيسة في «الادب الفارسي» على جمهور كبير من العلماء والادباء والممثلين السياسيين في ردهة الخطب بجامعة القاهرة الاميركية . واتيح لنا الاجتماع به قبيل الخطبة فالفيناه من قرّاء المقتطف وقد شجعنا على المضي في خطتنا العلمية

* فازت الطيارة الاميركية «علامة الاستفهام» بقصب السبق في طول البقاء بالجوّ اذ بقيت ستة ايام ونصف يوم محلقة من غير ان تحطّ على الارض وكانت تملأ احواضها بالبنزين بانبوبر من طيارة تحلق فوقها . وقُدِّر طول المسافة التي اجتازتها في اثناء طيرانها بثمانية آلاف ميل ونيف

* احتفل في ١١ يناير الماضي بتكريم الطبيبين المصريين الدكتور شاهين باشا وكيل الداخلية للصحة وعلي ابراهيم بك الجراح الشهير لما ناله اولهما من تقدير المعهد الصحي الملكي البريطاني والثاني من فوزه بلقب رفيق شرف بكلية الجراحين الملكية بلندن

* وصلت الى لندن في ١٧ يناير الماضي اللايدي بايلي بعدما اجتازت وحدها المسافة بين مدينة الراس بجنوب افريقية ولندن على متن طيّارة صغيرة . وقد منحت لقب أبرع امرأة طيارة في سنة ١٩٢٨ لفوزها هذا

* جاء في انباء المانيا ان الدكتور اكنر الذي صدرنا هذا الجزء بصورته ينوي ان يجيء مصر في اوائل مارس القادم على متن بلونه الشهير «الغراف زبلن» وقد عُرض عليه ان يربط بلونهُ حين نزوله بمصر بالسارية التي اقيمت لغرض كهذا في الاسماعيلية

* لو صح المذهب القائل ان المقدرة العقلية تتوقف على وزن الدماغ لكان حوت واحد يفوق اربعة او خمسة من النوابغ . فقد بحث احد العلماء الالمان في ذلك ووجد ان في دماغ حوت واحد ٢٤٧ اوقية من المادة السنجابية مع ان متوسط وزن الدماغ في الانسان قلما يزيد عن خمسين اوقية

* عرض في دور الصور المتحركة بانكلترا في الشهور التسعة الاولى من السنة الماضية ٥٥٠ شريطاً جديداً ٤١١ شريطاً منها من اميركا و٦٢ شريطاً من المانيا و٥٣ من انكلترا نفسها و١٧ من فرنسا و٤ من ايطاليا و٢ من روسيا وشريط واحد من الدنمارك

* اثبتت المباحث في قسم الالبان بوزارة الزراعة الاميركية ان وضع اللبن في مكان معرض لنور الشمس يكسبهُ طعماً شبيهاً برائحة بزر الكتان وذلك لان النور يساعد على اكسدة اللبن . وثبت ايضاً ان وضعهُ في مكان مظلم يقيهِ من ذلك

* دعت سيدة مريضة بيونس ايرس طبيباً المانيًّا بالمانيا على التلفون اللاسلكي ووصفت لهُ الاعراض التي تصيبها فشخص لها مرضها ثم ارسل وصفة الدواء بالتلغراف ودامت المحادثة اللاسلكية ثلث ساعة كان الحديث فيها واضحاً كل الوضوح

* يعنى الدكتور يوب العالم الالماني واحد اساتذة كلية الزراعة في براندنبرغ بتأصيل نبات تبغ جديد يستطيع كل واحد ان يدخنهُ من غير ان يصاب بالسعال . ويأمل ان يولد تبغاً زكي الرائحة خالياً من النكوتين

* الالوان الصفراء والبيضاء والسوداء هي الالوان التي يسهل على الطيارين تمييزها وهم طائرون لان اللونين الاولين يعكسان النور والثالث يمتصهُ لذلك قرّر ان تدهن كل المعالم التي يمكن ان يهتدي بها الطيارون بهذه الالوان

* تضاعفت معاهد التعليم العالي الخاصة بالزنوج في اميركا في السنوات العشر الاخيرة . وزاد عدد الطلاب فيها ستة اضعاف

* لقد انشيء قسم خاص في جامعة باريس دعي معهد البحث الصوتي (فونتيك) وأُلحق بهِ معمل للبحث العلمي ومعرض لاصوات الرجال المشهورين واغاني المغنين والمغنيات

* صُوّر المشتري صوراً فتوغرافية متتابعة في مرصد جبل واسن ثم صنع من هذه الصور شريط سينماتوغرافي متى عرض عليك رأيت حركة دوران المشترى وأحد اقمارهِ حولهُ

* قررت حكومة ايطاليا ان تراقب الاعلانات الطبية . ولا يؤذن لاية جريدة او مجلة ان تنشر اعلانات طبية لم يرخص بنشرها من الحكومة

* انفق السياح الاميركيون في البلدان التي زاروها في سنة ١٩٢٨ نحو مائة وثمانين مليوناً من الجنيهات

* اخذ الجدري بالزوال من تركيا على اثر سن قانون يقضي بالتطعيم الاجباري العام

* ينتظر ان يجيء مصر في اواسط فبراير المستر رديرد كبلنغ الروائي والشاعر البريطاني الشهير

* في الولايات المتحدة ٦٩٨٩ مستشفى تسع ٨٧٠ ٩٩٣ سريراً

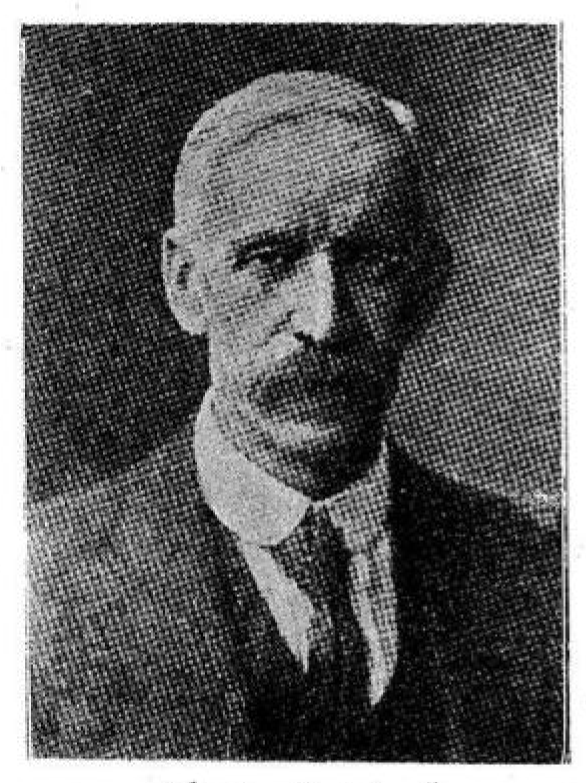
* ان معامل فُكَر للطيارات قد بنت حتى الآن ١٦ الف طيارة

ركفلر الصغير

ضيف مصر الكريم وصاحب المبرات الوافرة للعلم والتعليم

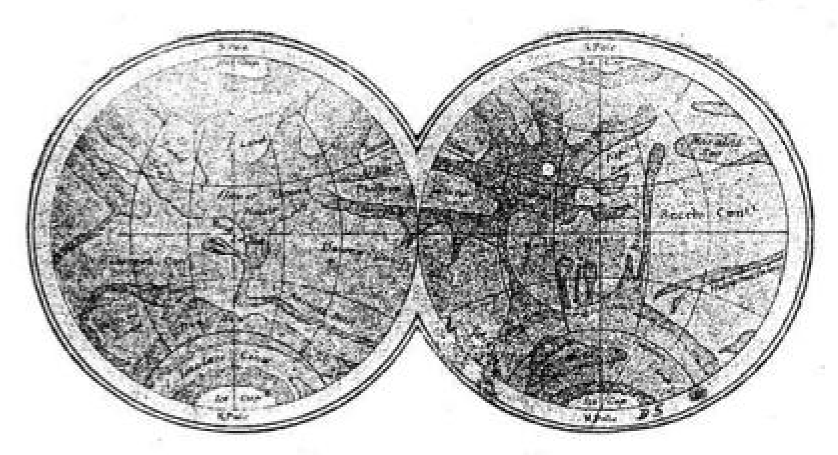
ركفلر الكبير

الذي وهب من ماله نحو ١٣٠ مليوناً من الجنيهات



السر فردريك جولند هبكنز
زعيم الباحثين في مسائل الفيتامين

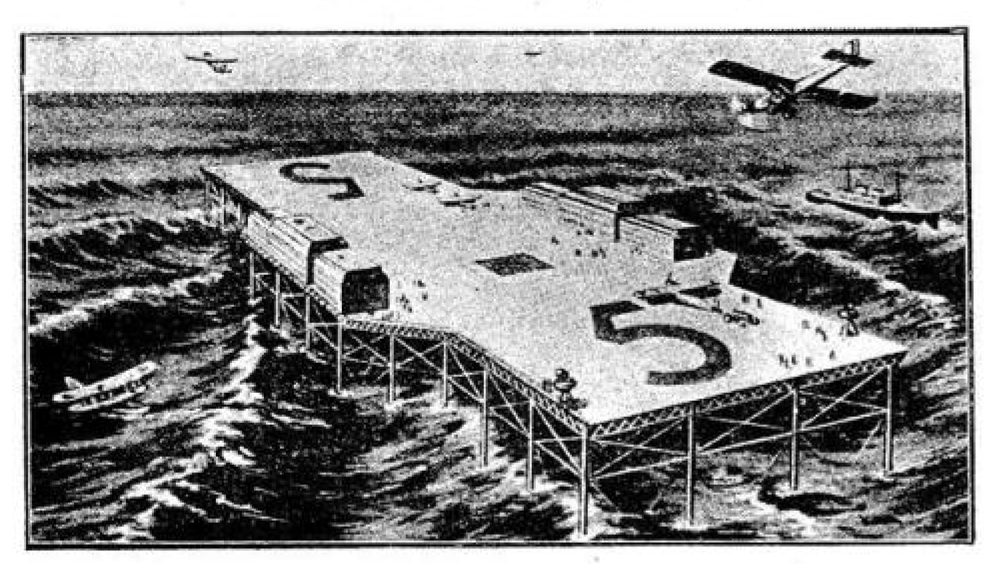
مقتطف فبراير ١٩٢٩
امام الصفحة ١٤٩



خريطة المريخ كما رسمها بروكتر منذ نحو خمسين سنة

صورة المريخ كما رسمها الاستاذ لول ويظهر في اسفلها الثلج على القطب
والخطوط ترمز الى ما يحسب فيهما ترعاً للري

رسم المطير والنزلان على جانبيه



رسمه كما يكون في الماء والطيارات محوّمة حوله وحاطة على سطحه

مقتطف فبراير ١٩٢٩
أمام الصفحة ١٨٩

جانب من الردهة « الصالون » في البلون غراف زبلين



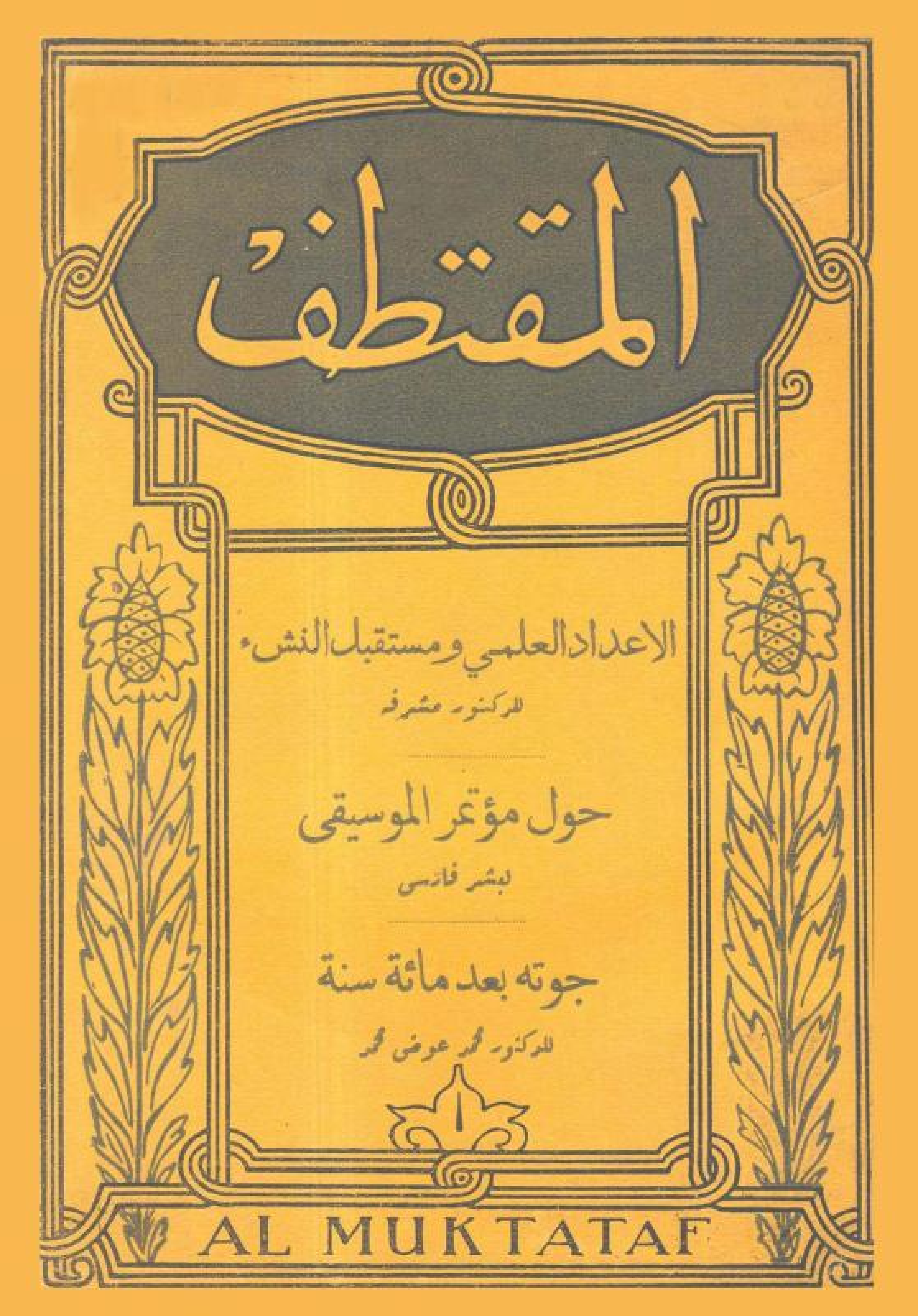
اللايدي درمند هاي تتناول الطعام في البلون غراف زبلين وهو فوق الاتلنتيكي

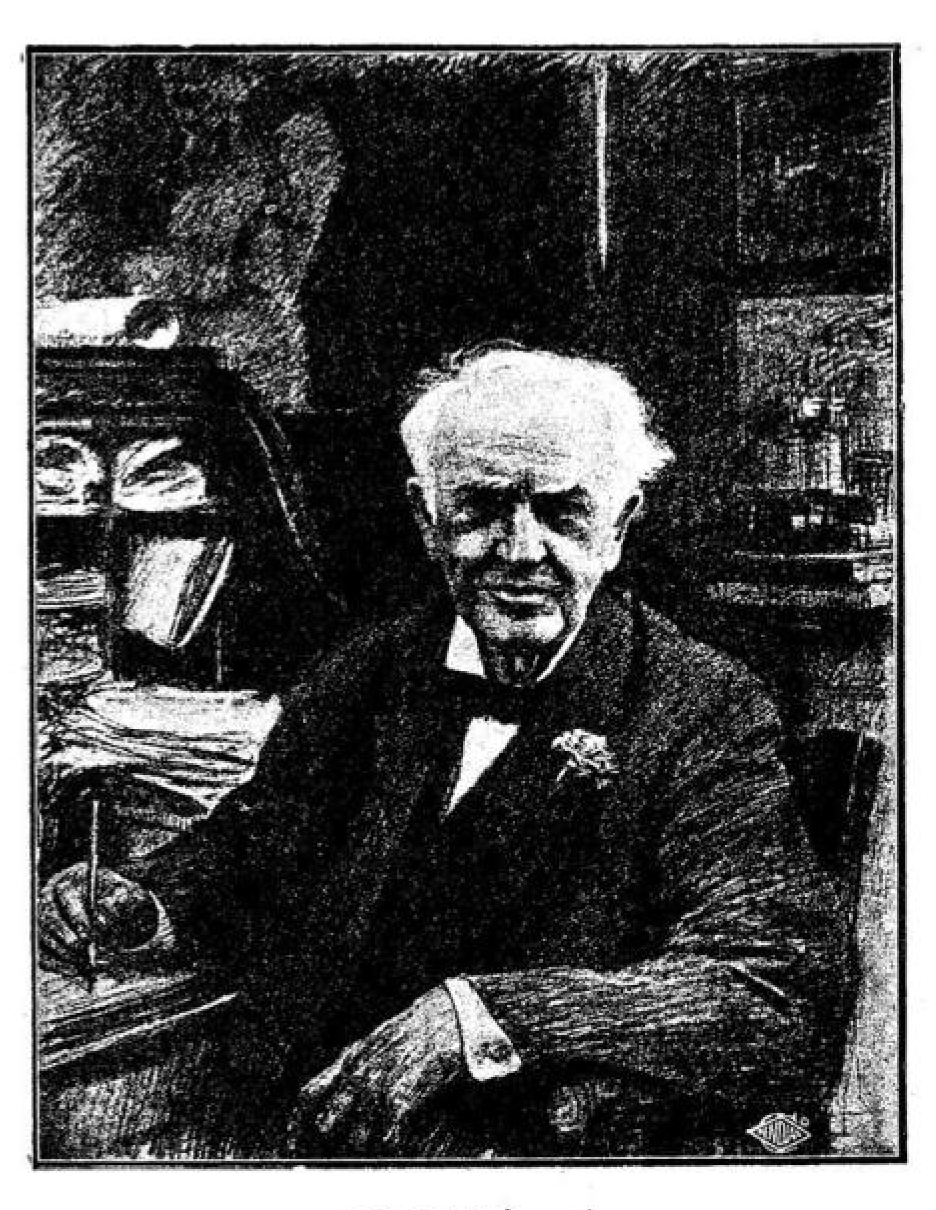
نترات الصودا الشيلي تنشر في الاوعية حتى تنشف قبل وضعها في الاكياس

نترات الصودا الشيلي في الاكياس حاضرة للتصدير

مقتطف فبراير ١٩٢٩
امام الصفحة ٢١٩

الجزء الثاني من المجلد الرابع والسبعين


المقتطف
الاعداد العلمي ومستقبل النشء
للدكتور مشرفه
حول مؤتمر الموسيقى
لبشر فارس
جوته بعد مائة سنة
للدكتور محمد عوض محمد
١
AL MUKTATAF



اديصن في الثانية والثمانين

في شخصية اديصن وسيرته ومستنبطاته ابلغ مثال على روحانية الحضارة الغربية في صناعتها وعلمها

مقتطف مارس ١٩٢٩
امام الصفحة ٢٤١



كلمات للدكتور صروف

مستقبل بلاد الفينقيين

يظن البعض ان الشرقيين عاجزون عن ادارة امورهم بايديهم لانهم يرون ما في بلدانهم المختلفة من الضعف والوهن وتضعضع القوى . ولكننا اذا بحثنا في تاريخهم القديم وجدنا ان هذا الضعف طارىء عليهم وانهم لم يكونوا كذلك في غابر الازمان . واذا قسناهم بغيرهم من امم الارض وعلمنا ان الاسباب المتشابهة تنتج نتائج متشابهة ترجح لنا انهُ لا يتعذر عليهم ان يلموا شعثهم ويستردّوا مجدهم السابق . فان الامم التي نحسبها الآن متسنمة غارب المجد وراقية ذرى الفلاح لم تكن كذلك منذ بضع مئات من السنين . فامَّة اليابان مثلاً لم تكن ارقى من مجاوريها سكان الهند والصين منذ مائة سنة وهي الآن مثل امم اوربا العظمى . ودول اوربا لم يكن لها شأن كبير منذ الف سنة وهي الآن في اوج مجدها

والامة التي استطاعت ان تنشىء مثل صور وصيداء وقرطاجنة في غابر الازمان وتحكم نفسها بنفسها على اسلوب استحق اعجاب ارسطوطاليس كبير الفلاسفة السياسيين وامتدت تجارتها الى اقاصي البلدان الى الهند والصين شرقاً والى اسبانيا وبلاد الانكليز غرباً وشمالاً ودارت سفنها حول افريقية واستخرج رجالها الذهب من مناجم الترنسفال والنحاس من مناجم اسبانيا والقصدير من مناجم انكلترا وحاربت رومية سنين عديدة — الا يحتمل ان يستطيع ابناؤها الآن الاستقلال بادارة امورهم اذا شاؤا ولم يتعرَّض لهم من يقاومهم قبل ان يشتدّ ساعدهم

هل الحضارة الغربية حضارة مادية ؟

روحانية الحضارة الغربية في صناعتها وعلمها

من جوامع الكلم التي تنسب الى كنفوشيوس حكيم الصين ان كل ادوات الحضارة لها اصل روحي لان الفكرَ مصدرها كلها . فهو يقول : « متى تصوّرت هذه الادوات كان تصوّرها في عقلك « افكاراً » . ومتى جسمتها في شكلٍ من اشكال المادة دعوتها « ادوات » ومتى نشرتها بين جمهور الناس لاستعمالها لبست شكلاً من اشكال الحياة ونسبوها الى الآلهة . ومثّل كنفوشيوس على قولهِ بامثلة كثيرة فقال ان الانسان رأى الخشب طافياً على وجه الماء قبلما صنع المراكب والسفن . ورآه كذلك مغموراً بالماء فصنع التوابيت لحفظ اجسام آبائهِ واجدادهِ . ورأى المطر هاطلاً من السماء فخاف ان يمحو كلّ آثار الانسان فاستنبط الكتابة

ومن العبث التدليل على ان رأي كنفوشيوس هذا قد أخذ بهِ ارسطوطاليس وافلاطون . فكل ادوات العمران ومنشآتهِ اصلها « افكار » او « صور فكرية » في عقول مبدعيها . وقد كانت العصور التي عاش فيها كنفوشيوس وافلاطون وارسطوطاليس سابقة للعصور التي اضطرب العقل البشري فيها بمسألة الجسد والروح وانفصال احدهما عن الآخر فاعترفوا جميعهم بان اساس العمران المادي والمستنبطات المادية اساس روحي

روحانية الصناعة

والحق يقال انهُ لا يوجد في التاريخ ما يسمونهُ « حضارة مادية » مجردة . فكل اداة من ادوات الحضارة يبدعها الذكاء البشري متصرفاً بالمادة والقوة لتحقيق حاجة من حاجات المعاش او تلبية لدافع يدفعهُ الى تمثيل الجمال الاسمى او لا كفاء ميلهِ الى البحث والتنقيب وحب الاستطلاع . وانا لا أرى ان قطعة من الخزف فيها من المادية اكثر مما نجدهُ في قصيدة بليغة من قصائد الحب . كما اني لا ارى ان كاتدرائية القديس بولس اقل مادية من بناية ولورث ناطحة السحاب . واذا رجعنا الى التاريخ وجدنا ان الانسان الاول لما فاز بابداع النار من حك الخشب حُسب ابداعهُ هذا عملاً روحيًا سامياً يجب ان ينسب الى اعظم الآلهة . وفي الصين ترى ان كل ملوك الخرافات فيها لم يكونوا

> نشرنا في مقتطف يناير الماضي مقالة موضوعها « هل الحضارة الغربية على جرف هار » اثبت فيها كاتبها ان الحضارة الغربية تقوم على العلم والصناعة وانه لا خوف عليها من الانحلال والاندثار لان العلم يتقدم تقدماً حثيثاً وارتباط الصناعة بالعلم يزداد كل سنة احكاماً . وانه اذا ثارت حرب طاحنة بين الامم التي بلغت فيها الحضارة الغربية ارقى مراتبها وقضت على كل مآثر العمران امكن تجديدها في اميركا واليابان . وفي مكان آخر من هذا الجزء يرى القارىء مقالا موجزاً لخص فيه الكاتب رأي الفيلسوف الالماني سبنغلر الذي يذهب الى ان ظل العمران الغربي آخذ في التقلص . ومن اقوى الادلة التي يسوقها لتأييد رأيه ان الحضارة الغربية مادية تفسد الاخلاق وتغري بالتزاحم والتناحر . فهل الحضارة الغربية حضارة مادية فعلا ؟ هذا هو السؤال الذي نريد ان نجيب عنه في ما يلي بتلخيص مقال مسهب للحكيم الصيني الدكتور هو شه

كهاناً ولا فلاسفة بل كانوا مستنبطين مثل سوي جن مكتشف النار ويوتساو اول بانٍ للبيوت وشن نونغ اول معلم للزراعة والطب. واجدادنا احسنوا فعلا بتأليه المستنبطين لان الانسان مهما وصف لا يخرج عن انهُ حيوان يحسن صنع الآلات ، وصنع الآلات هذا هو اساس العمران. فالكشف عن النار كان فاتحة عصر جديد في تاريخ البشر . كذلك كان الكشف عن مبادىء الزراعة الاولى ، واستنباط الكتابة ، واستنباط الطباعة . أوَ ليس استنباط التلسكوب والآلة البخارية واكتشاف الكهربائية وتطبيقها اساس العمران الحاضر ؟ واذا حق للعصور الوسطى ان تجعل كهنتها في مرتبة القديسين وجب ان نؤله غليليو ووط وستيفنسن ومورس وبل واديصن وماركوني وفورد كما ألّه الاقدمون بروميتوس مكتشف النار وقدموس مستنبط الكتابة . ان كلَّ هؤلاء يمثلون تلك الشعلة الالهية في الانسان — العقل المبدع الذي يستنبط الآلات ويبني بها العمران

وحضارة كل امة هو ما تعملهُ لتكيُّف وفق مقتضيات بيئتها والنجاح في هذا التكيُّف او الفشل فيهِ يتوقفان على مقدرة ابناء هذه الامة في استخدام ذكائهم لاستنباط الآلات اللازمة الفعالة . والتقدم في العمران متوقف اولاً وآخراً على البراعة في ابداع الآلات واتقانها . ان اسماء العصور المتغلغلة في التاريخ تدلك دلالة واضحة على ما تقدم . لماذا نقول العصر الحجري والعصر البرونزي وعصر الحديد وعصر البخار وعصر الكهربائية ؟ ذلك لان كل مادة او

قوة من المواد او القوى المذكورة كان الصبغة الغالبة التي اصطبغت بها ادوات ذلك العصر وكانت مرقاة لابنائه الى ذرى العمران

***

وما يصح على تقدم الحضارة التاريخي يصحُّ كذلك على وجوه الاختلاف بين حضارات الشرق وحضارات الغرب . فالفرق بين حضارة الشرق وحضارة الغرب انما هو في الدرجة الاولى فرق بين ادوات العمران المستعملة في كلتيهما . فامم الغرب تقدمت امم الشرق في القرنين الاخيرين في ميدان الحضارة لان ابناء الامم الغربية تمكنوا من استنباط ادوات جديدة واستعمالها فمكنتهم من تفهم اسرار الطبيعة والسيطرة على قواها وزيادة مقدرتهم على العمل والانتاج. اما الامم الشرقية ،التي كانت بلدانها مهداً لاقدم ادوات العمران واشهرها، فتأخرت عن مجاراة الغرب في هذا الميدان والسير على نهج أبنائها الأُول، فظلت تعمل باليد ما سخَّر لهُ ابناء الغرب البخارَ والكهرباء

هنا اذاً نرى الفرق الاساسي بين حضارة الشرق وحضارة الغرب. ان الحضارة الشرقية قائمة اصلاً على عمل اليد ، وهو مصدر كل القوة التي تستعملها في انتاج ما يلزم لها من مقومات العمران . اما حضارة الغرب فقائمة على قوة الآلات . وقد قال لي احد اصدقائي الاميركيين « كل رجل وامرأة وولد في اميركا يملك من ٢٥ الى ثلاثين عبداً ميكانيكيًا مع ان كلَّ رجل وامرأة وطفل في الصين لا يملك سوى جزء من اربعين جزءا من ذلك ». وقد وضح احد المهندسين الاميركيين ذلك بصورة ابلغ اذ قال :« لكل انسان في الولايات المتحدة الاميركية ٣٥ عبداً فنيًا يقومون باعماله . والعامل الاميركي ليس مستعبداً بل رئيساً لهذه العمال الميكانيكية سواء عرف ذلك ام لم يعرفهُ » . هذا هو الفرق بين الحضارتين . هو فرق في الدرجة ولكنهُ بلغ مبلغاً عظيماً حتى كاد يصير فرقاً في النوع

***

في يوليو سنة ١٩٢٦ وصلت الى مدينة هاربن بشمال منشوريا في طريقي الى اوربا . وهي مركز تجاري يدعى الآن «شنغاي الصين الشمالية» وقد كانت قبلاً دائرة نفوذ للروس فنشأ على بعد بضعة اميال منها بلدة صغيرة كانت قبل ذلك قرية حقيرة . جلت في شوارع المدينة ثم انتقلت الى البلدة الصغيرة فلاحظت امراً ادهشني وحملني على التأمل لانهُ كان ابلغ مثل يبين الفرق بين روحانية الحضارة الغربية وروحانية الحضارة الشرقية . ذلك ان كل وسائل الانتقال في مدينة هاربن كانت عربات يجرّها الناس فكأنهم حلّوا فيها محلّ

الحيوانات . ولما انتقلت الى بلدة « هاربن » لم ار شيئاً من هذا . لان الروس كانوا قد منعوا ذلك في ايام سيطرتهم فاحتفظ السكان بهذه العادة حتى بعد خروج الروس منها والانتقال الى سيطرة الصينيين

هنا وقفت على الحد الفاصل بين حضارة الجركشا وحضارة السيّارة . حضارة الانسان المستعبَد كالحيوان وحضارة الانسان السيّد

دع الفلاسفة الذين يقولون بروحانية الحضارة الشرقية يتأملوا هذا . اية روحانية تجدها في هذه العبودية الفظيعة وامثالها ؟ انعتقد حقاً ان في هؤلاء العبيد المستعبدين كالحيوان حياةً روحية سامية ، مع انهم يشقون في قيود العبودية الخرساء . انعتقد حقاً ان حياة هذا المستعبد الروحية اسمى من حياة عامل اميركي يملك سيّارة فيستقلّها مع افراد اسرته بعد انقضاء ساعات العمل فيطوف بها الارجاء الفسيحة والحدائق الغناء او يذهب الى دور الصور المتحركة يتلقى على ستارتها ما يزيد حياته الفكرية والروحية سعة وعمقاً او يجلس في داره يصغي لاسكيًّا الى كبار الكتاب والعلماء والوعاظ والموسيقيين ويستطيع ان يعلم اولاده في مدارس عامة مجهزة باحدث ادوات العلم ومجموعة صالحة من كتب المتقدمين والمتأخرين

لن يستطيع القارئ ان يدرك الفرق الذي احاول ان اصوّره الاَّ اذا رأى ما يكابده هؤلاء المساكين من التعب والشقاء واثر ذلك في صحتهم وعمرهم . حينئذٍ يبارك هارغريف وكارترايت وفلتن ووط وستيفنسن وفورد الذين ابدعوا الآلات المختلفة لتنفي من عمل الانسان ذلك الذي يساويه بالحيوانات والذي لا يزال ابن الحضارة الشرقية القديمة مستعبَداً بهِ

هنا روحانية التقدم المادي والميكانيكي في الحضارة الغربية . فالتقدم الميكانيكي يعني استعمال العقل البشري لابتداع الادوات والآلات حتى يضاعف بها قوة الانسان على العمل والانتاج فيتمكن من التخلي عن استعمال يديهِ ورجليهِ وظهرهِ في عمل لاجدوى منهُ ، حتى يستعمل ما يتسع امامهُ من ساعات الفراغ للتمتع بكل اسباب الحضارة والتثقيف واللذة العقلية والروحية . لانهُ اذا قضي على الانسان ان يقضي كل نهارهِ وجانباً من ليلهِ يقطّر دمهُ في عملهِ الشاق لم يبق لديهِ نشاط للاقبال على تلك الامور الروحية والعقلية التي يتمتع بها ابن الغرب

فعندي ان كل حضارة تستحق ان تدعى كذلك يجب ان تبنى على اساس الرقي المادي وقد قال في ذلك احد ساسة الصين منذ ستة وعشرين قرناً : متى كثر الطعام واللباس امكن التفريق بين الشرف والخسة . ومتى امتلأت المخازن تعلم الناس الآداب السامية

روحانية العلم

مهما يختلف المفكرون في تحديد المقصود من « حياة الروح » او « الحياة الروحية » لا يختلف اثنان في ان حب المعرفة واستطلاع المجهول من المطالب الروحية العليا التي تدفع الانسان الى البحث والاستقصاء . ومع ذلك ترى ان اكثر الحضارات القديمة حاولت ان تطمس في الانسان هذه النزعة الروحية النبيلة . ففي سفر التكوين يعلل سقوط الانسان بطلب المعرفة . واكثر الديانات الشرقية علمتنا: « لا علم لا شهوة » و « اجهل كل شيء واتبع نظام الرب » و « اجتنب الحكمة » . وقد قال احد حكماء الشرق العظام « الحياة محدودة والمعرفة غير محدودة . فما اصعب السعي للحصول على غير المحدود بشيء محدود » لذلك أعرض هؤلاء الحكماء عن الطريق العلمي طريق البحث عن الحقيقة بالاستقصاء والاستقراء والبحث والتنقيب وانصرفوا الى التأمل والبحث في النفس سعياً وراء ما سموه الحكمة العميقة . ودعى بعضهم الى الاتصال بالله عزَّ وجلَّ حتى من غير تأمل في اعماق النفس . وغيرهم عيَّن المراتب التي يجب ان تمرَّ النفس فيها قبل الحصول على قوى الاله الست

في يناير سنة ١٩٢٧ كنت في بلدة بنيوجرزي باميركا فشاهدت فقيراً شرقيًّا يحاول ان يقنع الجمهور الاميركي انهُ يستطيع ان يثبت تفوق الحضارة الروحية الشرقية بدفن نفسهِ ساعتين و٥٢ دقيقة خمس اقدام تحت الارض يعود من بعدها فينتفض حيًّا. وهو عمل سبقهُ اليهِ هوديني المشعوذ المشهور الذي لا يدعي قوة خارقة ، فبقي مطموراً كذلك نحو ساعة ونصف ساعة

وعندي انهُ من الجهل القول بان روحانية الحضارة قائمة على هذه الاخاديع . أوَ لا تستطيع طائفة كبيرة من الحيوانات الدنيا والعليا ان تنكمش وتقضي فصل الشتاء مستكنة كأنها ميتة فتنقطع عن الحركة والاكل ثم تعود الى الحركة والحياة حين تصلح بيئتها لذلك

ولكن ألستَ تجد روحانية حيَّة في اكباب العلماء على استقصاء المجهول من اسرار الطبيعة والحياة بطريقتهم العلمية الدقيقة الخاضعة للامتحان

الحق خفيٌ لا يكشف القناع عن وجههِ للخادعين من امثال الفقير الشرقي المذكور او زملائهِ من الوسطاء الغربيين ، الذين يقتربون من قدسهِ بايدٍ غير متمرنة على البحث وعقولٍ غير مثقفة باساليبهِ ونفوس لا ترى الحقَّ فوق كل حطام من حطام الدنيا

العلم يثقف العقول فيدنيها من القدس الاعلى لانهُ يجهزها بطرق واساليب وادوات للبحث عن الحق الخفيّ . وهو كذلك يعلمنا ان لا نقنط حين تكتنفنا المصاعب والعقبات في

سعينا للكشف عن الحقيقة لان العلم لا يتقدم الاَّ بالبحث الدقيق والتغلب على المصاعب التي تحول بين الباحثين وضالتهم المنشودة. وكل حقيقة جديدة يثبتها العلماء هي فتح جديد للعلم مهما تكن تافهة في ظاهرها وعدم علاقتها بغيرها من الحقائق. لان جسم العلم الحيّ النامي انما هو مجموعة من هذه الحقائق، وكل خطوة يخطوها الباحث الى الامام توقظ في نفسهِ ذلك الحبور الروحي الذي كان ينسب الى الحكماء الاقدمين حين تجلّى الالهة لهم. كذلك شعر ارخيدس حين كان في حمامه وعقلهُ غارق في بحث مسألةٍ علمية عويصة. فانهُ حين اهتدى الى حلها قفز من حمامهِ وخرج عارياً في الشوارع ينادي «وجدتها وجدتها» لان جذلاً روحيًّا تملكهُ وسدَّ عليهِ منافذ العقل الخاضع للتقاليد الاجتماعية. وهذا هو الحبور الذي كان يشعر بهِ كلٌّ من المكتشفين العظام مثل غليليو ونيوتن وباستور واديصن ومن هم على شاكلتهم — فرح روحي لم يشعر بمثلهِ انصاف الانبياء من ابناء الحضارات القديمة الذين كانوا يبحثون عن الحقيقة الكلية بالتأمل والاستهواء

واكثر عناصر العلم الحديث روحانيةً هو هذه الريبة في كل شيء قبل تصديقهِ، هذه الشجاعة الادبية على الشك في كل امرٍ لم تقم على تأييدهِ الادلة الوافية. وهذا الموقف ازاء الحقيقة ليس موقفاً سلبيًّا كما يدعي كثيرون بل هو موقف يؤدي بالباحثين الذين يقفونهُ الى الابداع والبناء. لان الشك هو الطريق الى الاقتناع او كما قيل الشك اول مراتب اليقين. وغايتهُ انما هي التغلب على الشكوك والريب باقامة المعتقد على دُعُمٍ راسخة. فان العلماء الذين يقفون هذا الموقف لم يكتفوا بمحاربة المعتقدات القديمة بآلة «الشك» الهدامة بل كان موقفهم باعثاً على كشف كثير من المكتشفات العظيمة ما كانت تكشَف لولا تشددهم في اقامة الدليل. هو هذا الروح، روح «الشك المبدع» الذي كان العنصر الاساسي في سِيَر رجالهم في مقدمة المحسنين الى الانسانية امثال داروِن وهكسلي وباستور وكوخ

وماذا نقول بنظرة الاعجاب والاجلال التي تبعثها في النفس المباحث العلمية الجديدة حين تكشف لنا عن عظمة الكون وبناء المادة واسرار الخلق والتكوين والوراثة والنشوء وما اليها ؟

ومغزى هذا الحديث جليٌّ لذي عينين. بدأ الانسان حياتهُ على سطح الكرة كحيوان صانع للادوات وبنى حضارتهُ باستنباط ادوات جديدة قرناً بعد قرن مكنتهُ من السيطرة على قوى الطبيعة التي تحيط بهِ. وهبطت هذه الحضارة الى دركها الاسفل حين سئم الانسان هذا العراك مع القوى الطبيعية فاخلد الى التأمل في حياة الروح. ولكن العلم الحديث وما بني عليهِ من اساليب الصناعة اعاد للانسان ثقتهُ بنفسهِ ومقدرتهِ فابدع حضارة الغرب



ارتقاء سفن الهواء

والبلونان الانكليزيان الجديدان

نخط هذه الكلمات والعمل قائم في المانيا لاعداد الغراف زبلين لزيارته الى مصر وما يجاورها من بلدان الشرق الادنى. ولا يخفى ان سفره من المانيا الى اميركا وعودته منها حاملاً على متنه المسافرين واكياس البريد كان فاتحة عصر جديد في النقل الجوي. وقد تصور رسامنا البلون وهو احدث مستحدثات العمران فوق الاهرام ومسجد القلعة فوضع الصورة البديعة التي طبعناها على غلاف المقتطف هذا الشهر

ارتقاء البلون

ان تاريخ ارتقاء الطيارة لا يمكن فصلهُ عن حديث السابحات في الهواء التي حاول بها بعض القدماء تقليد الطيور. كذلك تاريخ البلون المسيَّر من امثال الغراف زبلن لا يستطاع فصلهُ عن تاريخ البلون الذي كان في ايدي بعض الباحثين من ابناء القرن الثامن عشر لعبة يلهون بها لأدهاش الناس

ولا ريب في ان هذين الاسلوبين من اساليب الطيران — الطيارة والبلون — دُرسا درساً نظريًّا من اقدم العصور لان التحليق في الجو ومجاراة الطيور في مملكتها كان غاية يصبو اليها الانسان من فجر العمران . وقد جاء في الخرافات القديمة ان ارخيتس احد ابناء ترنتوم استنبط « طيارة تشبه حمامة فصنعها من الخشب وصنع آلة تمكنها من الطيران وكانت اجزاؤها متوازنة ثم دفعها الى الحركة بهواء سخن مخفي » وكذلك ديدالس حاول الطيران مع ابنهِ ايكاروس من جزيرة اقريطش الى صقلية ففاز بذلك ولكن ابنهُ سقط في البحر . ثم جاء ارخميدس العالم الصقلي فكشف عن المبدإ القائل انهُ اذا حلَّ جسم من الاجسام محل مقدار من الماء او الهواء وزنهُ اكبر من وزن الجسم طفا ذلك الجسم في الماء او ارتفع في الهواء . فارخميدس بكشفهِ عن هذا المبدإ يصح ان يدعى « ابو البلون »

ولكن فرنسا من امم الحضارة الحديثة كانت اولى الامم التي عنيت بالبلون وترقيتهِ فاهتم اثنان من ابنائها يوسف مونغولفيه واتين منغولفيه اخوه وهما ابنا صانع ورق من قرب ليون ببناء بلون يرتفع بالجو حين ملئهِ بالهواء السخن فكان ذلك اول بلون بني في التاريخ على ما يعرف

وفي ٥ يونيو سنة ١٧٨٣ اطارا بلوناً كروياً الشكل محيطهُ ١٠٥ اقدام فارتفع الى ستة آلاف قدم وبعد ما لبث في الجو عشر دقائق قطع في اثنائها ميلاً ونصف ميل فقد توازنهُ وسقط الى الارض. فاثار عملها هذا اهتمام الشعب الفرنسي وملكهُ لويس السادس عشر فدعي الاخوان الى بلاط الملك وفي جمهور من النبلاء يتقدمهُ الملك والملكة ماري انطوانت اطارا بلوناً آخر بعدما علقا بهِ سلة وضعا فيها خروفاً وديكاً واوزة . ورأى ذلك الطبيعي شارل فادرك للحال الفائدة العظيمة من استبدال الهواء السخن بالهدروجين بعد ما اثبت الكيماوي الانكليزي كافندش ان الهدروجين اخفُّ من الهواء سبعة اضعاف. وانقضت فترة من الزمن بعد ذلك كان صنع البلونات واطارتها مدار حديث القوم واعمالهم

ولكن الانسان لا يكتفي بالتفرج على البلون محلقاً في الجوّ من غير ان يحاول استخدامهُ لقضاء ما ربهِ في حرب ونقل وانتقال. وادرك الباحثون ان استعمالهُ لا يستطاع اذا لم تستنبط طريقة لامتطائهِ وتسييرهِ بحسب ارادة ممتطيه فحاول بعضهم ان يعلق بالبلون زورقاً وان يصنع لهُ شراعاً ومقاذيف تستعمل لتوجيه البلون في الجهة المرومة . ثم ذهب احد القواد الفرنسيين المدعو مونيه Meusnier الى ان شكل البلون يجب ان يكون بيضوياً حتى يسهل تسييرهُ فوضع بذلك المبدأ الحديث في بناء البلونات المسيَّرة . وحاول الراهبان ميولان وجانينه ان يدفعا البلون في الجوّ بثقب مؤخرهِ حتى ينطلق الهواء السخن منهُ بقوة فيدفع البلون في الجهة المقابلة وهو المبدأ الذي بنيت عليهِ سيَّارة الصاروخة الحديثة

واول رجل صعد ببلون هو فرنسوى ده روزيه (١٧٥٦ — ١٧٨٥) احد سكان متز . فانهُ صعد في ١٥ اكتوبر سنة ١٧٨٣ والايام التي تليهِ مراراً في بلون مقيَّد اي مربوط بحبل الى عمود في الارض واثبت انهُ لا يجد صعوبة ما في ان يستقلَّ معهُ ناراً يوقدها لتسخين الهواء في البلون وحفظهِ محلقاً في الجوّ . فلما اثبت ذلك تقدم اليهِ مركيز دارلاند فصعدا معاً في بلون مطلق في ٢١ نوفمبر سنة ١٧٨٣ فحلقا الى علو ٥٠٠ قدم ومرّا فوق الانفاليد والمدرسة الحربية ونزلا على ٩٠٠٠ يرد من المكان الذي قاما منهُ

وبعد انقضاء عشرة ايام على ذلك اي في اول دسمبر سنة ١٧٨٣ صعد الطبيعي الفرنسي شارل في بلون يحتوي على غاز الهدروجين ومعهُ احد الاخوين روبرت اللذين بنيا لهُ البلون وكان قطرهُ ٢٧ قدماً وعلقت بهِ مركبة تدلت من وسط البلون برباط كالشبكة كان يحيط بهِ . فحلق الى علو ٢٠٠٠ قدم ولبث في الجوّ نحو ساعتين نزل بعدها على ٢٧ ميلاً من المكان الذي صعد منهُ

وفي ٧ يناير سنة ١٧٨٥ تمكن بلانشار الفرنسي والطبيب جفريز الاميركي من اجتياز بحر المانش من دوفر الى بولون بيلون فلما صارا فوق البحر رأيا البلون آخذاً في الهبوط فرميا كلَّ الاثقال التي كانت معهما فخفَّ البلون قليلاً وارتفع ولكنهُ لم يلبث حتى اخذ في الهبوط ثانياً قبيل وصولها الى الشاطئ الفرنسي فرميا الحبال التي كانت معهما وتجردا من بعض ثيابهما ورمياها فخفَّ البلون ثانية وارتفع وظلَّ مرتفعاً حتى وصلا الى فرنسا ونزلا في حرج غِين فيها على مقربة من بولون

وفي ١٥ يونيه سنة ١٧٨٥ حاول ده روزيه ورومان ان يعيدا الكرة بعبور المانش من فرنسا الى انكلترا فصنعا لذلك بلوناً خاصاً مزدوجاً ولكن البلون احترق بعد ما قضيا في الجوّ نحو نصف ساعة فقتل روزيه للحال وتبعهُ رفيقهُ رومان بعد عشر دقائق

وهكذا ظلَّ تاريخ البلون يتقدم تقدماً بطيئاً حتى اواسط القرن التاسع عشر . ومن اكبر الباحثين اثراً في ترقيته هنري جيفار الذي كان قد ساعد احد صناع الساعات السويسريين في بناء مثال مصغَّر لبلون يمكن تسييره في ريح متوسطة الهبوب. وفي سنة ١٨٥٠ استدان جيفار نقوداً من اصدقائهِ وبنى بلوناً كبيراً جرى في بنائهِ على مبدإ مونيه فجعلهُ بيضويّاً مستطيلاً وعلى اقتراح المهندس هبكنسن الاميركي فبنى لهُ محركاً. وكان طول هذا البلون ١٤٣ قدماً وقطرهُ عند وسطهِ ٣٩ قدماً واحاطهُ من الخارج بشبكة من الحبال جُمعت عند اسفل وسطهِ وربط بها البلون بسارية . ووضع لهُ في مؤخرهِ اجنحة كزعانف السمك لحفظ موازنتهِ في الهواء وكان المحرك آلة بخارية تولد قوة حصان لكل ١١٠ ارطال من الوزن . واتخذ كل اسباب الوقاية ضد الحريق . فلما تم استعدادهُ ارتفع بهِ في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٥٢ . فتمكن من الارتفاع بهِ في الجوّ وسيَّرهُ بسرعة خمسة اميال في الساعة ولكن لما كانت الريح التي تهبُّ في وجههِ قوية وسرعتها اكبر من سرعة البلون تقهقر البلون الى الوراءِ بدلاً من ان يتقدم الى الامام

ثم صنع بلونات اخرى صغيرة فاقتنع في اثناء مزاولتهِ لصنعها انهُ يجب ان يفوز بآلة قوية حتى يستطيع تسيير البلون بسرعة كبيرة ولذلك عكف على وضع الرسوم اللازمة لصنع بلون كبير طولهُ ٢٠٠٠ قدم وسرعتهُ ٤٤ ميلاً في الساعة . ولكن اعتلال صحتهِ حال دون اتمام العمل وتوفي سنة ١٨٨٢

والخطوة الكبيرة التالية في ارتقاءِ البالون جاءت سنة ١٨٨٥ حين بنى الكابتن شارل رنار الفرنسي البلون المشهور « لافرانس » بعدما منحهُ غمبتا اعانة مالية من الحكومة . وكان طول هذا البلون ١٦٥ قدماً وقطرهُ ٢٧ $\frac{1}{2}$ قدم وشكلهُ بيضويّ مستطيل جداً « كالسيجار »

ووضع فيهِ محركاً كهربائيًّا وطاربهِ مراراً فكان متوسط سرعتهِ ١٤ ميلاً في الساعة وفي خمس من سبع رحلات قام بها كان البلون يسير ويعود الى المكان الذي قام منهُ طبقاً لارادة الذين فيهِ

***

الى هنا كانت فرنسا وابناؤها في مقدمة الامم عناية بالبلون واتقانهِ. ولكن في اواخر القرن التاسع عشر بدأت المانيا تهتم بأمرهِ فصار بعنايتها وعناية فون زبلن خصوصاً ما صار اليهِ الآن من الارتقاء. فصنع اولاً ولفرت الالماني سنة ١٨٩٧ بلوناً تسيّرهُ آلة تحرق الغازولين وتبعهُ شوارتز النمساوي فصنع آخر تدفعهُ في الهواء آلة تحرق البنزين. وكانت اكثر البلونات التي صنعت قبل زبلن اما مرنة او نصف مرنة اي ان الكيس الذي يحتوي على الغاز كان لا يحتوي على اي هيكل صلب او على هيكل مرن. فلما جاء الكونت زبلن عني ببناء هيكل صلب من معدن خفيف كالالومنيوم ثم كساهُ بالنسيج الذي يريده حتى لا تعبث بهِ العواصف والرياح

وعني الكونت زبلين في سنة ١٨٩٧ بصنع بلون لهُ هيكل من معدن الالومنيوم يسع ١٦ كيساً من الغاز سعتها ٤٠٠ الف قدم مكعبة. وعلّق بهِ مركبتين في كل منهما محرك قوتهُ ١٦ حصاناً وامتحنهُ في يونيو سنة ١٩٠٠ فبلغت سرعتهُ ١٨ ميلاً في الساعة. وسار ثلاثة اميال ونصف ميل قبلما عُطلت آلة ادارتهِ. وسنة ١٩٠٥ انهى الكونت زبلين بلونهُ الثاني فكانت سعتهُ من الغاز اقل من سعة سابقهِ ولكن قوة محركيهِ بلغت ٨٥ حصاناً اي نحو خمسة اضعاف قوة المحركين في سابقهِ. وما زال الكونت زبلين يتقدم في تكبير حجم البلون المعروف باسمهِ وزيادة قوة محركاتهِ واتقان وسائل ادارتهِ واستعمالهِ في الحرب والنقل الى حين وفاتهِ في اثناء الحرب الكبرى على ما ترى في الصور المرافقة هذه المقالة. وكان الدكتور اكنر صانع الغراف زبلين وربّانهُ من مساعدي الكونت زبلين فلما توفي وقع العبء في اتمام العمل عليهِ ويظهر لنا انهُ خير خلف لخير سلف

البلونات الانكليزية

تبني الحكومة الانكليزية الآن بلونين متى تمّ بناؤهما كانا اكبر البلونات التي صنعت حتى الآن. فسعة البلون غراف زبلين من الغاز كانت ٣٧٥٠٠٠٠ قدم مكعبة من الغاز ومن الركاب ستين راكباً مع امتعتهم الخفيفة واكياس البريد. ولكن ينتظر ان تكون سعة كلٍّ من هذين خمسة ملايين قدم مكعبة من الغاز ومائة مسافر مع امتعتهم ومقداراً كبيراً

من وسائل البريد . فطول البلون منها ٧٢٠ قدماً وقطره ١٣٢ قدماً ومقدار ما يرفعهُ في الجوّ ١٥٦ طناً منها ٢٤ طناً ونصف طن يُتقاضى عليها اجرة كركاب وبريد . وقوة محركاتهِ اربعة آلاف حصان وسرعتهُ ٧٠ ميلاً في الساعة ويستطيع ان يسير ٣٥٠٠ ميلاً بحملٍ كامل من الركاب والبريد من غير ان يحطّ على الارض

وسنذهب بالقارئ الآن الى احد هذين البلونين لنصف له ما أُنشئ فيهِ من المعدات لراحة الركاب ورفاهتهم

اذا وصلنا الى السارية الضخمة التي ربط البلون باعلاها دخلنا بابها وامتطينا آلة رافعة تصعد بنا الى اعلى السارية حيث نجد غرفة معدة لاستقبال الركاب فنخرج منها على ممرّ مغطى من كل جوانبهِ الى داخل البلون فاذا وصلنا الى وسطهِ انفتح امامنا باب يكشف عن ردهة متسعة تنتشر منها الطرق المؤدية الى الغرف المختلفة منها مطبخ مجهز باحدث وسائل الطبخ الكهربائية يستطيع الطباخون ان يجهزوا فيهِ طعاماً يكفي مائة واربعين شخصاً والمطبخ متصل بغرفة الطعام فوقهُ بآلة رافعة تمكن الخدم فيهما من تلقي اطبقة الطعام سخنة من المطبخ رأساً

وعلى مقربة من المطبخ غرف صغيرة للغسل ومراحيض . ثم غرفة التلغراف اللاسلكي ثم غرفة يوزَّع منها الهواء التي على الغرف العامة والخاصة لتهويتها . فاذا كان الجوُّ بارداً حمي هذا الهواء قليلاً بامرارهِ فوق وجاق يسخن ببخار يتصل بهِ من آلتي البلون . ووراء غرفة التهوية غرف القبطان ورجاله والغرفة التي فيها كل الآلات والادوات اللازمة للملاحة الجوية . هذه هي الدكة السفلى

اما الدكة العليا فيصعد اليها من الردهة الكبيرة التي في وسط الدكة السفلى وقد بني عليها خمسون غرفة نوم كل غرفة تحتوي على سريرين ومرآة وخزانة الى آخر ما يلزم المسافر . اما غرفة الطعام فمفروشة فرشاً متقناً وفيها متسع لخمسين مسافراً يتناولون الطعام معاً . وفي مقدمة هذه الدكة غرفة للجلوس فيها كراسي مريحة يسهل نقلها من الغرفة واعدادها للرقص في دقائق قليلة . اما موسيقى الرقص فيسهل التقاطها لاسلكيًّا من المحطات القريبة من مكان البلون . وعلى كل من جانبي هذه الغرف ممر طويل متسع للمشي يحيط بهِ (درابزين) وامامهُ فتحات كبيرة في هيكل البلون كالنوافذ يرى منها المسافر مشاهد البرّ والبحر والدكتان بما فيهما من الغرف مبنيتان في هيكل البلون وليستا مركبة معلقة بهِ كما كانت الحال في البلون ايطاليا والغراف زبلين . وليس في اسفل البلون الاَّ غرفة الملاحة الخاصة بالقبطان

تنضيد حروف الطباعة تلغرافياً

احدث المستنبطات الصحافية (١)

... ولما كانت الصحافة ركناً من اركان العمران الحديث كان لا بدَّ لها من ان تجاريهُ وتتخذ من المستنبطات الحديثة عيداً لقضاء مآربها . فاننا بفضل هذه المستنبطات اصبحنا ولا صبر لنا على البطء في شأن من الشؤون . فالمسافات الشاسعة نريد ان نجتازها باقصى سرعة مستطاعة ولا نحجم عن ركوب الطيارات لذلك . والانباء من البلدان النائية نريد ان نتلقاها بالتلغراف او التلفون ونؤثر اللاسلكي منها على السلكي . والفتى يريد ان يتعجل الوقت الذي يصبح فيهِ رجلاً . والفتاة تستبق الساعة التي تمكنها من ان تصير لامها اختاً . والامم تقطع الاوصال التي تربطها بالماضي لتجاري الامم السابقة في ميدان الرقي. ولما كانت الصحافة مرآة للحضارة في بلد من البلدان . بل مرآة للحضارة في كل البلدان وجب ان تدخل اسباب السرعة الى مخادع كتابها ومراسليها . والى الغرف التي تجمع فيها الحروف والمطابع التي تطبع بها

من منا يطيق ان يقرأ صحيفة لا تحتوي فيما تحتوي عليهِ من الاخبار على « اخبار اليوم اليوم » من اقصى الشرق الى اقصى الغرب ومن اقصى الشمال الى اقصى الجنوب سواءٌ كانت انباءٌ من عالم السياسة او عالم التجارة او عالم الرياضة او عالم الصناعة او عالم العلم او عالم الاجتماع . والجريدة التي لا تستطيع ان تجعل السرعة والدقة ديدنها في كل اعمالها مقضي عليها بالتقهقر والفناء في تيار الحضارة السريع الجارف

لذلك اذا دخلت بناية من البنايات الحديثة التي اقيمت لصحيفة من الصحف رأيتها متصلة مع كل انحاء العالم بالتلغراف والتلفون السلكيين واللاسلكيين ومراسلوها منتشرون في كل انحاء الارض يتسقطون الاخبار من مصادرها . ورأيت الغرف التي تنضد فيها حروف الطباعة تحتوي على آلات اللينوتيب (في بناية التيمس النيويوركية ٧٩ آلة منها) وهي شبيهة بالآلة الكاتبة (التيب ريتر) فاذا قرع الكاتب على المفتاح الخاص باحد الحروف صبّت لهُ

---

(١) من محاضرة للاستاذ فؤاد صروف رئيس تحرير هذه المجلة موضوعها « المستنبطات الحديثة في الصحافة » القاها في نادي نقابة موظفي الحكومة المصرية بمصر في ٢١ فبراير الماضي

آلة اللينوتيب في مسبكٍ يباطنها حرفاً جديداً من مزيج الرصاص والقصدير والانتيمون . ثم اذا قرع على مفتاح الحرف الثاني صبّت لهُ حرفاً كذلك . فاذا انتهى الكاتب من قرع حروف سطر كامل على مفاتيح المكتاب كانت هذه الحروف قد صبّت في المسبك وُصفت احدها الى جنب الآخر . ولما كان الكاتب البارع من الكاتبين على المكتاب يستطيع ان يكتب اكثر من مائة كلمة في الدقيقة فتصوّر السرعة العظيمة التي تنضد بها حروف الصحف الاميركية والانكليزية وغيرها . ويقدّر الآن في دور الصحف الاميركية ان الكاتب على الآلة المنضدة يحل محلّ اربعة او خمسة من منضدي الحروف باليد . فاذا دفعتَ بمقالة الى عامل ينضّد الحروف باليد واستغرق في تنضيد حروفها ساعة تمكن العامل على المنضّدة من ان يفعل ذلك في اقل من ربع ساعة

اما الماكنات الطابعة ففي ادارة كل جريدة كبيرة خمس عشرة اوعشرون او اكثر منها تطبع الواحدة اكثر من عشرين الف نسخة كل ساعة ويتراوح عدد الصفحات في النسخة بين ست عشرة صفحة واثنتين وثلاثين صفحة بصورها واخبارها واعلاناتها

***

ومن اغرب الآلات التلغرافية التي رأيناها في الدوائر الصحافية هي آلة تلغرافية شاهدناها في السنة الماضية في ادارة المانشستر غارديان الانكليزية . ذلك ان لادارة الغارديان مكتباً خاصاً في مدينة لندن . ويصل بين ادارة الجريدة بمانشستر ومكتبها بلندن خط تلغرافي خاص يستطيع ان ينقل عدة رسائل تلغرافية بين المكانين في آن واحد سواء كانت ذاهبة من مانشستر الى لندن او آتية من لندن الى مانشستر او آتية وذاهبة معاً . وفي غرفة الاستقبال في مكتب مانشستر خمس آلات كاتبة تراها تكتب الانباء المرسلة من مكتب لندن كتابة آلية اي من تلقاء نفسها . وتفسير ذلك ان في مكتب لندن خمس آلات مثلها يكتب بها الكتّاب الانباء التي يجمعها المخبرون او المقالات التي ينشئها المحررون . فاذا ضرب الكاتب على مفتاح حرف في آلة كاتبة بلندن انتقل هذا الحرف على السلك التلغرافي واتصل باحدى الآلات الكاتبة في مكتب مانشستر وطبع عليها طبعاً آليًا . وكثيراً ما يحدُثُ ان الآلات الكاتبة الخمس في مكتب لندن تستعمل كلها في آنٍ واحد فترسل رسائلها على السلك التلغرافي فاذا وصلت الى مكتب مانشستر دخلت آلة كهربائية دقيقة تفرزها احداها عن الاخرى وتوزعها على الآلات الكاتبة فتطبعها كل آلة رسالة واحدة منها . وبينما كان مدير هذا المكتب في مانشستر يشرح لنا عمل هذا الجهاز المدهش قال لنسأل عن حالة الجوّ في لندن . وتحوّل الى آلة تلغرافية صغيرة على الطاولة فقرع عليها رسالة

برقية موجزة بشفرة مورس مؤداها كيف حالة الجوّ عندكم وفي اقلّ من دقيقة كانت احدى الآلات الكاتبة تطبع الكلام التالي « الجوّ صافٍ الشمس مشرقة الهواء دافئ » ولا نزال محتفظين بهذه الورقة تذكاراً لهذه الزيارة المفيدة . فالرسالة التلغرافية التي ارسلها محدثنا ذهبت الى لندن على السلك الخاص مع ان رسالة اخرى كانت آتية من لندن عليهِ ثم جاء جوابها عليهِ مع رسائل اخرى كذلك فطبعت على هذه طبعاً آليًّا كما تقدم وهو من العجائب

***

واغرب من هذا وابعث على الدهشة استنباط جديد يجمع بين مبدإي الآلة المنضدة (اللينوتيب) والجهاز التلغرافي المذكور آنفاً . ذلك ان مستنبطاً اميركيًّا صنع آلة تمكن الصحافي من ان يشاهد مشهداً من المشاهد ويصفهُ بطبع وصفهِ على الآلة الكاتبة. وفيما هو يطبع وصفهُ هذا تنضّد الحروف في مسبك اللينوتيب تنضيداً آليًّا توطئة لطبعها . فكأن آلة اللينوتيب قد شطرت شطرين الشطر الاول هو الذي يحتوي على مفاتيح الحروف والشطر الثاني على المسبك الذي تصبّ فيهِ الحروف قبل طبعها . ثم وُصل بين الشطرين بسلك تلغرافي — قد يكون طوله مائة قدم او مائة ميل — فاذا نقر المكاتب على مفتاح حرف في الشطر الذي امامهُ احدث ثقوباً في شريط عرضهُ $\frac{7}{8}$ البوصة وكل حرف او رقم له مجموعة من الثقوب خاصة بهِ . هذا الشريط المثقوب متصل بآلة تلغرافية فيحركها حتى تحدث في السلك التلغرافي نبضات كهربائية تجعل الطرف الثاني من الآلة الكهربائية يحدث ثقوباً في شريط مثل الثقوب التي في الشريط الاول . وهذا الشريط الثاني المثقوب يحرك الشطر الثاني من اللينوتيب فتصبّ الحروف كما لو كان الكاتب ينقر عليها وشطراها متصلان

وفائدة هذه الآلة هي زيادة السرعة في نقل الاخبار واعدادها للطبع

فقد حدث منذ خمس سنوات ان كنّا في مسرح من مسارح برودواي بنيويورك وكانت في الوقت نفسهِ حفلة ملاكمة كبيرة في نيوجرزي (على مقربة من نيويورك) بين اثنين من اشهر الملاكمين . انتهت حفلة الملاكمة في الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والخمسين وخرجنا نحن من المسرح المذكور فرأينا جريدة النيويورك هرلد تباع في الشوارع وفيها وصف الملاكمة دوراً دوراً حتى آخر ضربة فيها . وقد استغرق الوصف عموداً ونصف عمود على الصفحة الاولى . فكيف تسنى لهذه الجريدة ان تفوز بهذا الوصف الدقيق وتنضد حروفهُ وتطبعها وتبيعها بهذه السرعة

لذلك طريقتان . الاولى ان بعض الشركات اللاسلكية تقيم على مكان عالٍ يشرف على مكان المباراة رجلاً خبيراً يشاهدها ويذيع وصفها لاسلكيًّا فيلتقط هذا الوصف

كلُّ من يملك آلة لاسلكية يعرف طول الموجة التي يذاع بها . واصحاب هذه الجريدة يستطيعون ان يفعلوا ذلك . ويدونوا الوصف كما يجيء على متن الامواج اللاسلكية وينضدوهُ ويعدّوا كلَّ شيءٍ للطبع حتى اذا انتهت المباراة وصدر الحكم دارت المطابع تلتهم الورق والحبر تطبع عشرين الفاً من النسخ في الساعة . ولكن الجرائد الكبيرة لا ترضى ان تنشر في صفحاتها وصفاً اصبح ملكا عامًّا للجمهور لذلك ترسل مكاتبها الرياضي الاول الى حفلة كبيرة كهذه وتمدُّ سلكا تلغرافيًّا خاصاً بين ادارتها ومكان المباراة. ويصحب المكاتبَ عاملٌ تلغرافي فيصف المكاتب سير الحفلة والعامل التلغرافي يبعث بهذا الوصف الى ادارة الجريدة تلغرافيًّا فيتلقاها عامل تلغرافي آخر ويحول شفرة مورس الى كلمات عادية ويدفع بها الى الكاتب على اللينوتيب فينضّد حروفها . فهذا العمل شغل اربعة من رجال الجريدة ولا بدَّ ان يستغرق غير قليل من الوقت بين الوصف والارسال والاستقبال والكتابة والتنضيد

فالآلة الجديدة (التلتَيْبستر اي منضدة الحروف تلغرافيًّا) تزيل ثلاثة من الرجال من هذا العمل وتحذف ما قد يضيع من الوقت في اتمامهِ . ذلك ان المكاتب نفسهُ يحمل في حقيبتهِ شطر الآلة المنضدة وما يتصل بها بعد ما يصل بين ادارة الجريدة والمكان الذي يجلس فيهِ بسلك تلغرافي . فاذا بدأت الملاكمة اخذ المكاتب ينقر وصفها على حروف مكتابهِ فتُصَفُّ الحروف وتنضد لدقيقتها في ادارة الجريدة. وساعة انتهاء الملاكمة يكون كل الوصف جاهزاً للطبع . هذا ولا نرى ما يمنع ان يجعَل الاتصال بين المكاتب والادارة لاسلكيًّا . فقد اثبتت المستنبطات الحديثة ان النبضات الكهربائية التي ترسل على الاسلاك يستطاع تحويلها الى امواج لاسلكية تنتقل في الفضاء . وكل آتٍ قريب

***

ما من حادث يقع في ناحية من انحاء الارض الدانية او النائية او في اعلى طبقات الجوّ او في سفينة تتقاذفها الامواج الاَّ وتنقل اخبارهُ وصورهُ على متن الاسلاك البرقية والتلفونية او على اجنحة الامواج اللاسلكية . فاسباب المخاطبات الحديثة قد محت آية البُعد وصغّرت الكرة الارضية حتى اصبحت امها قبيلة واحدة . وللصحافة في ذلك ابعد اثر لان رُسلها يجمعون الاخبار ويرسلونها فتنضد وتطبع وتذاع بعد حدوثها بساعات بل بدقائق فيقرأها الجمهور حيثما كان ويشعر كأن الحادث وقع ببابهِ . وعندي ان هذا العمل الصحافي من اجلّ الاعمال العمرانية شأناً لانهُ يخرج الناس عن حدود ذاتياتهم الضيقة فيوسّع افق نظرهم الى الحياة ويطلق افكارهم من اغلال التحزب الوطني والتاريخي والاجتماعي وهذا الانطلاق امتن دعامة من دعائم السلام والوئام

في حلب ودمشق الى عهد قريب

وكان الفاتحون يأخذون في القرون الوسطى في جملة ما يغنمون الطرائف البديعة وأدوات الزينة والابداع . هكذا فعل تيمورلنك في القرون الوسطى ،فحمل معهُ من دمشق صنّاع هذه البدائع وما أبدعوه ،وهكذا فعل السلطان سليم العثماني فاتح مصر فنهب منها اجمل آثارها التي استطاع حملها وزين بها قصره وقصور جماعته في القسطنطينية . وذكر المؤرخون ان بعض ملوك الاندلس من العرب كانوا يعرضون في قصورهم التماثيل الجميلة من غير نكير ، وفيها صور الآدميين وغيرهم . وكان اهل القرون الوسطى في اوربا زمن الحرب الصليبية وبعدها يتنافسون فيما يجلبونهُ من الاقمشة والبسط وأدوات الزينة من الشام ، ولما جاء القرن الاخير أخذوا ينقلون الى متاحفهم ما أبقتهُ صنع الايدي من اهل المدنيات القديمة من تماثيل ونصب وأحجار زُبر عليها كتابة ، وفي بعض متاحف اوربا ولاسيما في متحف اللوفر في باريز والمتحف البريطاني في لندرا ومتحف برلين ومتاحف ايطاليا وغيرها كثير مما عثر عليهِ الباحثون من العاديات الحجرية في اليمن والشام ومصر ولاسيما من البلاد الشامية . وقد اخذت عادياتنا تسافر من بلادنا منذ اخذ علماء الآثار يبحثون في ارضنا سهولها وجبالها وما كتبهُ كثير من علماء المشرقيات والعاديات في القرن التاسع عشر دليل عظيم على ذلك، وقد نشروا ابحاثهم في كتب خاصة ومقالات لهم في المجلات الاثرية والعادية والعلمية ومجلات المجامع العلمية

اما نحن سكان هذه الديار فلم تكن لنا عناية بهذا الشأن بل قلّ جدًّا من اهتدى الى الاحتفاظ بما خبأتهُ الايام في بطون هذا الصقع وكنا أزهد الناس فيها حتى نقلت آثارنا ونفائسنا امام اعيننا كما نقلت كتبنا ونحن ضاحكون مستبشرون ، وانتفع بها القوم هناك واكملوا بها تاريخ المدنية . ولما وقع الانتباه في الحكومة العثمانية اخذت تمانع بعض الشيء في نقل هذه التحف والطرف ، ونقلت بعض ما عثر عليهِ من المصانع في خرائب صيدا وتدمر وغيرها فزينت بها متحف الاستانة . وقد ندب بعض علماء الآثار من الانكليز وحفروا بطرق عجيبة مغارة الصخرة في المسجد الاقصى فذهب ما فيها ولم يعلم عنهُ شيء

وكم من بعثة أثرية قامت بحفريات في بلادنا واخذت ما عثرت عليهِ ولم تأخذ الدولة العثمانية حقها منهُ ولسان حال الباحثين ماورد في الأمثال العربية « لا يحزنك دم ضيَّعهُ اهله » . وقد طلب منها في مؤتمر الصلح بباريز إعادة ما اخذتهُ هي والمانيا خلال الحرب العامة من هذه الديار من الآثار والعاديات

ولقد كنا نزين للحكومة التركية منذ ست وعشرين سنة ان تنشيء لدمشق متحفاً صغيراً

تجعل فيه العاديات وبدائع الصنائع فكان عمالها يتشاغلون عن ذلك لانهم يحبون ان يكون كل فضل في الاستانة وان تكون سائر الولايات قرى ومزارع للاستعمار على طريقتهم حتى اذا نادت سورية بالحكومة العربية صحت عزيمة هذه على إنشاء متحف فاتخذت له سنة ١٣٣٧ — ١٩١٩ دار المدرسة العدلية من أجمل قصور الفيحاء ومصانع العرب الباقية من القرون الوسطى ، واخذت تجمع بهمة المجمع العلمي ما بقي من الآثار النفيسة . فهو اول متحف عربي في هذه الديار ، سار القائمون به على قدم الغربيين في نظامه . وعسى ان لا يمضي بضع سنين أخرى حتى يكون غنيًّا بكل أنواع الابداع الذي تم في هذا القطر منذ اربعين قرناً الى اليوم . وحياة المتحف العربي بمعاضدة الامة له . ولم يقصّر بعض من لديهم مثل هذه التحف والطرف في اهدائها لتجعل في دار آثار الامة عنوان ارتقائها ونموذجاً على معرفتها بتاريخها لاجرم ان هذا المتحف هو البزرة الاولى التي أُلقيت في هذه التربة المخصبة المهيأة لأنواع النماء والاثراء يستفيد منهُ اهل الاجيال الخالفة ما يغني غناءه في تربية عقولهم وعيونهم وأناملهم ويعتبرون بماضي الصناعة عند الاقدمين ، وما كان لاجدادنا من الايادي البيضاء في الفنون الجميلة بين المحدثين

البعثات الاثرية الغربية — اوفدت اكثر حكومات الغرب بعثات علمية للتنقيب عن آثار الشام نخص منها بالذكر البعثة الافرنسية التي رافقت حملتها في سنة ١٨٦٠ م والجمعية الانكليزية للبحث عن آثار فلسطين . ثم تضاعفت الهمم فجاء من الافرنسيين رنان والدوق دولوين ودوسلسي ودوفوكوين وكارمون غانو ودوسو وفانزان وغيران ، ومن الانكليز روبنسون ومادن وسايس وويلسون وفارن ، ومن الألمان اوتوتينيوس ، ومن السويسريين ماكس فان برشيم . واهم الامكنة التي نقبوا فيها هي تل الحسى وتل زكريا وتل الصافي وتل الجديدة وتل الجزر وتل تعناك وتل المتسلم وعكا ويافا والقدس وصيدا وصور وجبيل وعمريت وجزيرة ارواد وبعلبك وفي عدة اصقاع في الشام الشمالية

وبينا كانت هذه البعثات مجدة في عملها ، كانت الدولة العثمانية في سبات عميق لا تبدي حراكاً مكتفية بمراقبة هذه البعثات لاقتسام الغنيمة وايداعها متحف الاستانة الوحيد . ولم تفكر قط بعمل حفريات ، كما انها كانت تمانع بانشاء فروع لمتحفها في الشام او في غيرها من البلاد العثمانية ، وحجتها في ذلك ان آثار البلاد اذا جمعت في مركز واحد ، وضم بعضها الى بعض نتجت من ذلك فوائد علمية وعملية لا ترجى من تعدد دور الآثار ، وذلك اسوة بمتاحف اكثر الامم الغربية ، وعملاً برأي اكثر علماء الآثار . ولكنها تجاهلت

أن ما يصلح لبلاد لها وحدة تاريخية لا يعمل به في بلاد ضمت تحت لوائها شعوباً مختلفة ومدنيات متباينة كالامبراطورية العثمانية

ولذلك كان جل همّ الدولة العثمانية اغناء متحف الاستانة فاهملت امر الآثار القديمة في بلادها ، فلم تعهد الى أناس يتعهدونها او يراقبون سيرها ، ولذلك درس كثير من البنايات الاثرية البديعة ، واقبل الاهلون في كل ناحية ينقبون عن الآثار القديمة بغية الاتجار بها ، فأصبحت هذه التجارة ذات شأن في البلاد ، وغصت متاحف اوربا بآثار الشام ، واقتنى غواة العاديات الاجانب كثيراً منها . وبهذه الصورة وبفضل الامتيازات الاجنبية تمكنت الجامعة الاميركية والكلية اليسوعية في بيروت وغيرهما من المعاهد من إنشاء كل منها متحفاً خاصًّا بها ، وجمع الدكتور فورد في صيدا وغيرهُ في حلب من الاجانب مجاميع مهمة من آثار الشام . ولم يعرف من الشاميين من اشتهر بجمع الآثار القديمة بل كانوا لا يعبأُون بها ، ولا يقيمون لها وزناً . ومن كان منهم يملك طرفةً او اثراً يتنازل عنها مقابل دريهمات معدودة على ايسر صورة ، حتى تجردت اكثر البيوت والأُسر من نفائسها

آثارنا وآثار جيراننا ولقد تبين من الحفريات التي أجريت في الشام ومن الآثار التي اكتشفت فيها ان آثارها تختلف كثيراً عما وجد من نوعها في البلاد المجاورة لها ، ولا يرجى ان نعثر في هذه البلاد على آثار تثير بجسامتها إعجاب العامة قبل الخاصة ، كما هو شأن آثار مصر واشور وفارس . والسذاجة في الصناعات تغلب على الشاميين منذ القدم ، وهذا ناشئ عن طبائعهم ومعتقداتهم . فالشامي في جميع أدوارهِ التاريخية يميل الى الساذج وهـذا يظهر في صناعاتهِ وفلسفتهِ الدينية ، وتتجلى في هذه البساطة مواهب الشامي الفنية ، فقد جمع بين الساذج والجميل فأحسن الصنع وأبدع . وتقلّ الآثار المنقولة النفيسة التي اكتشفت في الشام بالنسبة لما وجد في غيرها من البلدان المجاورة ، وهـذا القليل يشهد ببراعة الصانع الشامي وذوقهِ السليم ، وهو ذو مكانة بين أقرانهِ من متفنني بقية الشعوب

وليس معنى قلة العاديات عدم انتشارها في البلاد بل لانها لم تصل الينا لأسباب وعوامل شتى . اولاً لأن تربة الشام رطبة لا تحفظ ما يودع فيها . وثانياً لأن الشاميين قلما يحملون في مدافن موتاهم نفائسهم ، كما هو شأن المصريين وغيرهم من الامم القديمة . بل يكتفون بالاشياء الساذجة المنوعة . فاذا أضفنا الى خلو القبور من الاعلاق ، وما قد كتبهُ اشمونزار ملك صيدا على تابوتهِ مخاطباً بهِ نابشي القبور ، ناصحاً لهم ان لا يهتكوا

حرمتهُ ، مؤكداً ان لا ذهب ولا فضة في قبرهِ — ندرك من هذا كل سرّ ندرتها بين أيدينا . فاذا كان هذا حال ملوكهم فما بالك بالرعية . وخلو القبور منها هو حجة للشام لا عليها ، ودليل على سمو عقيدة سكانها ، ونضج فكرتهم منذ القديم ، لأن الشامي كبقية الشعوب السامية يغلب عليهِ الاعتقاد بأن الجسم مادة تتلاشى مع الزمن ليست جديرة بالاكرام الذي يبالغ بهِ غيرهم من الشعوب . ومع هذا فقد انتشرت في الشام عادة وضع بعض اشياء في القبور وذلك بمؤثرات خارجية ، واقتباس عادات الغالب ، لأن الشام كانت في أكثر أدوار تاريخها خاضعة لسلطان اجنبي

الشام معهد ثلاث ديانات يدين بها اليوم معظم البشر . وهذه الديانات لم تكن ابنة ساعتها بل هنالك عوامل مهدت لها السبيل مدة قرون عديدة قبل ظهورها . ولذلك يهم كل منا معرفة تطورها قبل نشوئها . وهذا ما يزيد في مكانة آثار الشام ويجعل اقبال العلماء عليها أكثر من سواها لعلاقتها الكبيرة بنظامنا الاجتماعي الحاضر . وقد أدركت جمعية الامم هذا الامر واحتاطت لهُ خوفاً من المزاحمة او استئثار دولة بهذه الآثار دون سواها . ولذلك اشترطت في المادة (١٤) من صك الانتداب ان القانون الذي سيسن لحماية العاديات يجب ان يستمد روحهُ مما يدعو الى التنشيط أكثر منهُ الى التثبيط ، كما انها اشترطت على الحكومة المنتدبة عند منحها اجازات بالحفر ان لا تتصرف بشكل يرمي الى حرمان علماء اي شعب كان تلك الاجازات دون اسباب موجبة وهكذا أصبح الباب مفتحاً لجميع الامم

تأسيس دور الآثار

وقد تضاعف نشاط البعثات الأثرية الاجنبية عقب الهدنة في سنة ١٩١٨ ، وأظهرت قيادة جيوش الحلفاء في الشرق عناية كبرى بآثار الشام ، وعهدت للاخصائيين في جيوشها بدرس الآثار في هذه الديار ورفع التقارير عنها ، وشددت النكير على العابثين بها . ومن جملة مقررات المؤتمر الافرنسي الذي عقد في مرسيليا سنة ١٩١٩ للبحث بشؤون الشام العامة اقتراح على الحكومة الافرنسية بانشاء ديوان للآثار القديمة ، والتشبث باسترجاع ما أخذتهُ الحكومة العثمانية من آثار البلاد ، وقد حققت المفوضية الافرنسية في الشام الاقتراح الاول ، فأنشأت لها ديواناً للآثار القديمة وحذت المفوضية الانكليزية حذوها في فلسطين وشرق الأردن

ولم تكن الشام في عهد الملك فيصل أقل عناية من تينك الدولتين . فقد اغتنم هذه الفرصة بعض مفكري البلاد وفي مقدمتهم الاستاذ مؤلف « خطط الشام » فاقترحوا على الملك انشاء متحف في دمشق ، فقوبل هذا الاقتراح بارتياح عظيم . وما لبث الملك ان أصدر امرهُ بذلك الى الاستاذ بأمر تحقيقهِ على ان يكون فرعاً للمجمع العلمي العربي الذي

أسسهُ الرئيس ايضاً . وفي عهد الانتداب الافرنسي أنشأت الحكومة السورية متحفاً آخر في حلب وأنشأت حكومة لبنان وجبل الدروز والعلويين متاحف في بيروت والسويداء وطرطوس وكذلك أنشأت كل من حكومتي فلسطين والشرق العربي متحفاً جعلتهُ الاولى في القدس والثانية في عمان . وجميع هذه المتاحف نمت بسرعة عظيمة بفضل ما اشترتهُ واستهدتهُ من الآثار ، وما نالها مما اكتشفتهُ البعثات الاثرية في مناطقها . وبمقتضى تشجيع الحكومات المحلية والسلطات المنتدبة أصبحت الشام ساحة عمل دولي كبير

ولقد قامت البعثات الافرنسية بالبحث عن الآثار في صيدا وام العواميد وكفر الجرة وبيروت وجبيل والقرية ولبيا في منطقة الحكومة اللبنانية، وفي السويداء وقنوات والشهباء في جبل الدروز ، وفي طرطوس من أعمال حكومة العلويين ، وفي تل النبي مند (قدش القديمة) وفي المشرفة (قطنا القديمة) والنيرب وارسلان طاش والقصر الاحمر من اعمال دولة سورية ، وقامت بعثتان مختلطتان بأعمال التنقيب في قلعة الصالحية (دوراسا وروبوس القديمة) على شاطئ الفرات وفي مدينة تدمر وبحرت البعثة التشكوسلوفاكية آثار الشيخ سعد وتل ارفاد ، ونقبت بعثة المانية في رأس العين شمالي الشام من عمل حكومة سورية . وحصرت البعثات الانكليزية والاميركية أعمالها في منطقة فلسطين والشرق العربي، فنقبوا عن الآثار في تل المتسلم (مجدو القديمة) وبيسان وسبسطية (سمرة القديمة) وسيشم وبيت جبرين والقدس والنابغة وجرش

متحف دمشق تختلف مجموعة دار الآثار في دمشق عن مجاميع متحف الشام للعناية التي بذلتها بآثار القطر الشامي على اختلاف أدواره التاريخية وخاصة العهد الاسلامي . وحريٌ بدمشق عاصمة الأمويين ، ومهد الحضارة العربية ، أن يكون لها متحف يحيي ذكرى هذا الماضي المجيد . ورغم ندرة العاديات الاسلامية المنقولة في ربوع الشام وأسعارها الباهظة ، تمكنت دار الآثار من جمع أعلاق قيمة . منها مجموعة نقود اسلامية ، ومجموعة خزف عربي ، ومجموعة مصاحف مخطوطة ومذهبة . ومجموعة خشبية أخص بالذكر منها جانباً من سدة جامع من خشب الحور الرومي آية في جمال الصنع وحسن الذوق ، مزينة بنقوش عربية بديعة ، وكتابات قرآنية كوفية مزهرة متناسقة جميلة جداً . وتابوت مزين مجموع بشكل حشوات صغيرة منقوشة نقشاً بديعاً . وبين مجموعة الكتابات الحجرية لوحتان سلجوقيتان كتب عليهما تاريخ ترميم جانب من جامع بني امية في شهور سنة ٤٧٥ واخرى ايوبية تاريخها سنة ٥٧٥ ومجموعة وافرة من شواهد قبور امراء الشام وعلمائها في القرن السابع والثامن هـ . ومما يلفت النظر اليه جرة

من رخام ابيض وعلى القسم الاسفل منها نقوش عربية وعهدها من القرن الثامن للهجرة . واخرى من الفخار عليها نقوش اشخاص وحيوانات وطيور وازهار محكمة الصنع وهذه الجرة فريدة في بابها وهي من صنع العراق في القرن الثالث عشر م

ومن اهم الآثار غير الاسلامية مجموعة زجاجية وهي أجمل مجموعات العالم ، ومجموعة مهمة من الآثار التدمرية وهناك رأس تمثال أحد عظماء الحثيين يرجع عهده للالف الثانية قبل الميلاد . ونصب الفرعون سيتي الاول وعليه ذكر انتصاره على الحثيين وطائفة من الآثار الرومانية واليونانية

متاحف بيروت والسويداء وحلب والفرس وعمان

وجمع في متحف بيروت كثير من الآثار الفينيقية وغيرها وأهمها الاواني والحلي التي عثر عليها في مدافن جبيل وفي اقبية معبدها . ويرجع عهد بعضها الى الالف الثالثة وبعضها الى ١٨٠٠ سنة قبل الميلاد . منها ناووس الملك احيرام المتوفى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد . وقد نقشت على جوانبه صورة الملك يتناول القرابين من اتباعه وبعض الشعائر الدينية وهو قائم على اربعة اسود . ومما يزيد في شأن هذا الاثر الكتابة الفينيقية التي زُبرت عليه وهي أقدم كتابة عرفت من نوعها حتى اليوم . بين هذه الآثار آنية خزفية نقش عليها اسم الفرعون امنمحت الثالث (١٨٥٠ — ١٨٠٠) قبل المسيح . وآنيتان عليهما امنمحت الرابع وآنية من الرخام جميلة الصنع مع غطائها وكتب عليها بالهيروغليفية ما يأتي : « خدام الاله ابن الشمس فليعش امنمحت الى الابد » . وصندوق صغير للحلي من حجر كريم اسود محلى بالذهب وشكله على طراز الناووس وعلى الغطاء كتابة هيروغليفية . وجمعت في هذا المتحف كمية كبيرة من الفخار أهمها الاواني التي عثر عليها في كفر الجرة ويرجع تاريخ صنعها الى الالف الثانية قبل الميلاد . ولآثار جبيل مكانة تاريخية عظيمة وهي من اهم ما عثر عليه حتى الآن في بلاد الشام

وكان في متحف السويداء عاصمة جبل الدروز مجموعة حجرية نفيسة اكثرها من العهد اليوناني والروماني ولكن ضاع معظمها مع الاسف إبان الثورة السورية : ومتحف طرطوس في حكومة العلويين حديث العهد وليس فيه الاَّ مجموعة صغيرة ليست ذات شأن كبير . وأما متحف حلب فلم يخصص لهُ مكان بعد ، ولكن مجاميعه جاهزة ستحفظ فيه متى هيء المكان . واكثر هذه الآثار حثية واشورية من التي استخرجت في حفريات أرسلان طاش وتل الاحمر وتل ارفاد والنيرت

وفي متحف القدس مجاميع خزفية ومعدنية تبين تطور نهضة فلسطين والادوار التي مرت عليها في أهم عصورها التاريخية كما انهُ يحتوي على عدد من النواويس من العهد اليوناني والروماني وأجملها ما نقش عليهِ صورة معركة بين اليونان والنساء المترجلات (امازون) وطائفة آثار من الحجر البركاني من عهد الفرعون سيتي الاول ورعمسيس الثالث التي وجدت في بيسان . وقد حفظت قطع الجمجمة التي وجدت في التابغة ويرجع عهدها الا ما قبل التاريخ . واما مجموعة متحف عمان فاكثرها مما يرجع تاريخهُ الى العهد الروماني والبيزنطي

وبعد فقد عرفنا مما تقدم مقدار العناية التي بذلتها البعثات الاجنبية بآثار الشام غير الاسلامية وإعراضهم عن هذه الاخيرة. ولا جرم انمعظم الآثار الاسلامية في بلاد الشام محفوظة في الجوامع والمساجد والمدارس مع محتوياتها وهي تحت تصرف الاوقاف ولذلك يتحاشى الاجانب ما امكن ان يثيروا عواطف عوام المسلمين حتى انالسلطات المنتدبة تركت لدوائر اوقاف البلاد حرية التصرف بهذه الاماكن المقدسة . وقد اكتفت بان تسدي اليها من حين الى آخر النصائح لبذل العناية بهذه الآثار . ولكن اكثر هذه الدوائر في شغل شاغل عنها . فكل يوم نسمع بضياع اثر او تشويهِ لا عن قصد منهم بل لانهم لا يقدرون قيمة ما هو تحت تصرفهم ، حتى اصبحت اكثر هذه الامكنة الاثرية في حالة يخشى عليها من الاندراس ، وبذلك تفقد البلاد هذه المفاخر التي تشهد بمدنية السلف العظيمة في أزهى عصور البلاد الشامية .فعسى ان تحذو البلاد حذو شقيقتها مصر وتؤلف لجنة للآثار الاسلامية تعنى بجمعها وتتفقد شؤون الابنية منها

وقد انشأت الجمهورية الافرنسية في دمشق معهداً افرنسيًّا لدرس الآثار وخاصة منها الاسلامية على منوال المعهد الافرنسي في القاهرة . وقد سبق للبعثات الاجنبية ان اسست في القدس معاهد لدرس الآثار مثل المدرسة الاثرية الافرنسية والمدرسة الاثرية الانكليزية والمدرسة الاميركية للابحاث الشرقية ، ولهذه المعاهد فضل كبير بكشف غوامض التاريخ ببلاد الشام القديم. ولم تدع السلطتان الافرنسية والانكليزية في منطقتي سورية وفلسطين باباً الا طرقتاهُ لنشر الدعاية في البلاد الاجنبية عن آثار بلاد الشام ومكانتها . وقد تجلى ذلك في دعوتهم لمؤتمر الآثار الدولي الذي عقد في سورية وفلسطين في شهر نيسان (ابريل) سنة ١٩٢٦ فكانت نتائجه مرضية. وبفضل هذه الدعاية نرى عدد السياح بازدياد في كل سنة . ولا شك انالشام اذا صرفت العناية بفنادقها وطرق مواصلاتها تصبح مقصد السياح من اهل الارض وتجني من ذلك فوائد مادية وادبية لا تقدر



التركيب العلمي يفوق الطبيعة

بعد ما نجح الكيماوي الكبير مرسلان برتلو الفرنسي في التجارب الاولى التي جربها في تركيب المواد الآلية كتب ما يأتي : «ان تركيب الاجسام الدهنية المتعادلة لا يقتصر على تأليف خمسة عشر او عشرين جسماً طبيعياً من الاجسام المعروفة حتى الآن بل يساعد على تأليف مئات الملايين من الاجسام الدهنية المماثلة لها . وقد اصبح من السهل الحصول عليها في المستقبل من كل شيء بموجب الناموس العام المتسلط على بنائها » فلم يدل بهذا الكلام على اتجاه الصناعة الكيماوية الحديثة وطرق سيرها سنين طويلة فقط بل بدأ عصراً جديداً في تاريخ العلم والتمدن . لكل عصر مميزاته والعلم في هذا العصر لم يبقَ محصوراً في المختبرات العلمية بل تجاوزها وتمرّس بمعايش الانسان على اختلاف انواعها فنشأت عن هذا التمرس فكرة صناعية جديدة سارت على طريق البساطة وانتهت الى غاية الانتاج المخصب وهذا ما يجعلنا نؤكد في هذه العجالة الحافلة بالصور الغريبة انه كلما تقدم العلم تقهقرت الطبيعة

التركيب ومرماه الاجتماعي

لما كان النظام الطبيعي قد هوى عن عرش سيادته والنظام الفني قد انقلبت اركانه لم يسع النظام الاجتماعي ان يظلّ مغلول اليدين ازاء هذا التغيير فان تقدم كل صناعة من صناعات التركيب يوقظ في كل عمل نشاطاً واضطراباً محسوسين . وكلما اتسع نطاق تطبيقه اثار الجهة الاقتصادية من العمران او الجهة المالية او كلتيهما معاً ، وتصحبه اضطرابات في العلاقات التجارية والوطنية بين الدول فيحوّل مجاري التعادل بينها ان هو لم يهدمها ويحرّر ما كان مقيّداً ويفقر من كان غنيًّا

او ليس في اكتشاف النتروجين (الازوت) المركّب واستثماره الصناعي ما يدرُّ على المانيا ثروة سنوية تقدّر بمليار مارك تستفيد منها موازنتها التجارية . واذا نظرنا الى جهة ثانية افلا نرى ان اتساع دائرة هذا الاكتشاف الصناعي اتساعاً كبيراً يهدّد الآن بلاد شيلي بالدمار؟ فقد بارت فيها صناعة النترات او كادت ونجم عن ذلك قلق الحكومة الشيلية من تناقص الرسوم التي كانت تستوفيها من تصدير هذا الصنف وهذا ما جرَّ الى فقد التوازن في ميزانيتها وهي توجس خيفة من تفاقم الخطب في المستقبل . واذا قضي

عليها بان تشتدّ فيها الازمة ويستفحل امرها كان على غير منتجي النترات ان ينهضوا باعباء الضرائب . وقد حدث ذلك لانهُ من نحو عشرين سنة كان احد العلماء الالمان يشتغل في مختبره بكل سكينة بعيداً عن انظار الناس في مصانع الانيلين فاكتشف طريقة لاتحاد النتروجين بالهدروجين بتأثير جسم ثالث يلامسهما (كتاليسِس)

واليك مثالاً آخر وهو انهُ قبل اضرام نار الحرب العالمية بمدة قصيرة لم يكن مجهولاً في المختبرات الكيماوية امكان تحضير الحامض التريك بطريقة التركيب ولكن لم يكن مختبر من المختبرات قد تمكن من تحضير مقدار كبير من هذا الحامض لان الطرق المتبعة حينئذٍ لم تكن تمكن الصناع من تحضير أكثر من عشر غرام . ولذلك صرف الكيماويون — ما عدا الالمان — النظر عن معالجة تحضير مقدار وافر منهُ فبقي الالمان وحدهم يوالون تجاربهم سرًّا على ما هو مشهور عنهم . ولما أعلنت الحرب وعرف الالمان ان أعداءهم سيضيقون عليهم الخناق ويسدون جميع المنافذ البرية والبحرية في وجوههم أُسقط في يدهم وخافوا ان يتعذر عليهم جلب النترات من الخارج وكانوا يعلقون شأناً كبيراً عليها لانهم لا يستطيعون بدونها ان يصنعوا شيئاً من المواد المتفجرة ، فاذاعت الحكومة في شهر اغسطس نشرة سكّنت بها خواطر الناس في بلادها ومما جاء في هذه النشرة انهُ مهما كان الامر فلن يعوزهم شيء مما يحتاجون اليهِ من المواد المتفجرة. فان كلمة « مهما كان الامر » كان يراد بها ان للصناعة الالمانية طريقة كيماوية تمكن المصانع من تحضير الحامض التريك المركب . ولا يخفى انهُ لو لم يتيسر للحكومة الالمانية الحصول على هذا الحامض بطريق التركيب لما استطاعت المانيا ان تواصل الحرب مدة طويلة

فيستنتج مما بسطناهُ ان للتركيب الكيماوي اثراً كبيراً في الوجهة الاجتماعية فان موت الملايين من الناس وحياتهم كانا متوقفين عليهِ وهذا الاكتشاف تمّ بعد وفاة برتلو بسبع سنوات وقد استطاعت المانيا ان تصيب بهِ مئات الالوف من الاطنان المركبة اللازمة لحياتها الوطنية

المركبات الكبيرة الصناعية

ولننظر الآن الى الوسائل الكبيرة — الوسائل الكيماوية الاساسية — التي اتسع نطاق استعمالها حتى كاد يعمّ العالم . فاولها من جهة التاريخ والنوع طريقة صنع النشادر على ماوضعها هابر وهي معروفة. فانها تتألف من الهدروجين والازوت المتحدين بواسطة جسم يؤثر بالملامسة وهذا الجسم على ما وصفهُ المسيو ماتينيون من الحديد المتحد بقليل من الالومنيوم. فهذه الطريقة غير متغيرة بالنظر الى مبدأها اعا تتغير بتغيير مصدر الهدروجين

والجسم المؤثر بالملامسة او باختلاف درجة الضغط . وجاء كلود وكازال بعد هابر وحيث كان بدء العمل الكيماوي عندهم جميعهم متماثلاً كانت الخاتمة الصناعية متماثلة ايضاً وهذه الخاتمة تعتبر في الدرجة الاولى النشادر المركب ثم تركيب سلفات النشادر الصناعي الذي هبطت قيمتهُ التجارية لقلة استعمالهِ . وقد سهل الانتقال من النشادر الى الحامض النتريك وكان من نتيجة ذلك تأكسد غاز النشادر في الهواء مع البلاتين الذي يكون بمثابة الجسم المؤثر بالملامسة . ولا بدّ من لفت النظر الى بساطة الطرق والتماثل في ابداعها وتطبيقها من بعض الوجوه ولا بدّ فيها كلها من مبدإٍ مشترك هو تدخل الاجسام المؤثرة بالملامسة (الكتاليسس)

وعمَّ صنع الحامض النتريك المركب في ابان الحرب الكبرى فسهل بواسطتهِ على الشعوب المتحاربة تحضير جميع انواع المواد المتفجرة . ولو نضبت موارد نترات شيلي لما وقفت المصانع عن العمل لافتقارها الى هذه النترات

وكان الاكثار من انشاء مصانع التركيب يزيد عن انتاج ما تحتاج اليهِ الامم في آونة السلم . وعلاوة على ذلك كان هنالك الوف من العوامل لم يكن القائمون بالدفاع الوطني يكترثون لها ومن جملة هذه العوامل ما يقتضيهِ العمل من النفقة . فكان من الواجب بعد الحرب ان ينظر في مسألة الاختراع من وجهتها المالية وما تدرُّه على اصحابها وهذه كانت تقتضي التجديد التام . وكان هذا التجديد يسير جنباً الى جنب مع الاتقان الفني وهو اتقانٌ سريع باهرٌ لم يقتضِ اكثر من عشر سنوات — ولذلك تعتبر هذه المدة عهد وضع الشيء في محلهِ وانشاء المصانع الصناعية لصنع الحامض النتريك المركب وما يتفرع عليهِ من المواد للاستعمال . وألّف أصحاب مناجم الفحم برنامجاً مسهباً يمكنهم من الوصول الى صنع مقادير كبيرة من نترات النشادر . وحين يتم هذا الامر يكثر الاقبال على السماد الازوتي الصناعي فيتفوق بجميع اشكالهِ — النترات اولاً ثم السلفات . ويحسن بنا ان نتذكر ان الازوت المركب لم يكن لهُ وجود في سنة ١٩١٣ وانهُ لم يبرز الى الوجود في عالم التجارة الا سنة ١٩١٨ فكانت السنوات السبع التي تلتها كافية لان يجد الناس في الاسواق التجارية ٥٨٥٠٠٠ طن من بضاعة جديدة صارت تستعمل في آونة السلم . هو وايم الحق ثورانٌ في الافكار لم يكن يحلم بهِ كبار العلماء

واذا طبقت الوسائل العلمية واتسع نطاقها في المعامل الصناعية أصبح العلماء ينظرون اليها نظرهم الى الحوادث الماضية ثم يتجهون الى المستقبل . ولكن ما يكنُّ لنا المستقبل من هذا القبيل؟ اسمان فتانان يظهران في طليعة الاسماء هما البترول المركب والاستيك المركب

البترول المركب

مهما تكن الحوائل التي تحول دون صنع البترول المركّب فالغاية عظيمة جديرة بالعناية والبذل . وليس من غرضنا ان يحلّ البترول الصناعي محلّ الزيت الخام الطبيعي بل نقصد ايجاد مادة تخفض من تفوق هذا الزيت وسيطرتهِ وحصر مجال امتدادهِ واقحام مزاحم لهُ في سوقهِ يكون ايضاً عند بعضهم عنصراً للاستقلال

واذا نظرنا الى المسألة من الجهة الفنية على ما ثبت في المختبرات العلمية وجدنا انها حُلّت على صور متعددة. فبعضهم يقوم بمعالجة الفحم الحجري بالهدروجين والبعض الآخر بكربنة الفحم الاخضر على درجة حرارة وطيئة . اما من الجهة الصناعية فلم يبقَ الاَّ استنباط الطرق الميكانيكية للكربنة بدرجة حرارة منخفضة . وينحلّ هذا الفعل الى درجات :

١ — كربنة اللجنيت والفحم في افران كهربائية خاصة بهذا العمل على درجة من الحرارة متوسطها ٦٠٠ درجة بميزان سنتغراد فينشأ من هذه العملية قطران اصلي وفحم الكوك وفنول ونشادر وغير ذلك

٢ — معالجة انواع القطران الاصلي للوصول الى تجزئتها. وتؤخذ هذه الانواع من القطران بحسب مناهج تحضيرها اما قبل التعقيد واما بعدهُ . والعملية الثانية اكثر تعقداً من الاولى الاَّ انهم في المانيا يحضرونها بعد التعقيد بحسب منهاج « فاربنندستري » وفي فرنسا قبل التعقيد بحسب مذهب هودري برودوم

ولكن الجهة الفنية في الاعمال الصناعية لا تعتبر كل شيء . ولما كانت الغاية من كل عملٍ فني صناعي هي اخراج بضاعة ، فالغاية من صنع هذه البضاعة هي وجود سوقٍ لها وبيعها والربح منها . وبالتالي تطبَّق على كل طريقة فنيّة ضرورة النظر في نفقاتها واسعار البضاعة التي تصنع بها . وهم يستعملون لهذا الغرض اللجنيت وهو أقل قيمة في حالتهِ الخام ونتيجة من الفحم الحجري وميسورٌ عند جميع الشعوب . ولكن كثيراً ما يكون ان الذي يصيب طريقة فنية للتركيب لا تتيسر لهُ الوسائل الاقتصادية لاستغلالها . ففي فرنسا مثلاً مناجم غنية بهذا النوع من الفحم ولكن المصاعب دون تعدينها كبيرة . أما المانيا فهي بعكس ذلك فانها تستخرج ما يزيد على ١٣٠ مليون طن من أفضل انواع اللجنيت من احشاء ارضها في كل سنة ولا تنفق مالاً كثيراً على استخراجهِ . ويكون سعر البترول المركب من جراء قلة النفقة التي يقتضيها رخيصاً . وبناء عليه يمكننا ان نقول ان قضية البترول المركب تدور على المحور الآتي : ان ارباب الفن عالجوها واصحاب التجارة سيَّروها على هواهم واصبحت شركة « الفاربنندستري » الالمانية قادرة على انتاج مقدار من البترول المركب لا يقل عن

الفي برميل في اليوم (يسع البرميل ١٥٨ لتراً) . غير ان هذا الانتاج لا يرتقي الاَّ اذا منحت الحكومة الالمانية اصحابهُ امتيازات خاصة في الجمارك وسكك الحديد . ويستنتج من ذلك انهُ اذا كان التركيب قد تقدم تقدماً عظيماً في صنع البترول المركّب في السنين الاخيرة فانهُ تأخر في تطبيق الوصفات الكبيرة المتعلقة بالنشادر المركب والحامض النتريك المركب. وهذا التأخر منشأهُ ان العملية المتعلقة بالنشادر والحامض النتريك تقوم على ابسط الاجسام المنتشرة في كل البلدان. اما تركيب البترول على ماهو معروف في الوقت الحاضر فيرمي الى تركيب مادة موزعة توزيعاً غير متساوٍ بين الامم، فالامم التي حُرِمت من مصادرها ترمي الى تركيبها تركيباً صناعيًّا

الستيك المركب

نحن الآن في حالة انتظار فيما يتعلق بالستيك ولكنهُ ليس انتظاراً وهميًّا او عمليًّا وانما هو انتظار لابداع طرق صناعية تصنع الستيك المركّب . واذا نظرنا الى الستيك المركب من الجهة الكيماوية وجدنا انهم نجحوا في تركيبهِ تركيباً صناعيًّا ينطبق على تركيبهِ الطبيعي . اما من جهة خواصهِ الطبيعية فانهم لم ينجحوا فيهِ لأن خواص الستيك الصناعي أدنى من خواص الستيك الطبيعي ولا يخفى ان هذه الخواص هي التي تجعل للستيك قيمتهُ التي ينتفعون بها . وليست هذه المسألة من المسائل التي تستعصي على الحل في الظاهر فان شركة « فاربنند ستري » لما عزلت في احوال اقتصادية موافقة « الايزوبرين » وهو المادة الاساسية في الستيك اهتمت باكتشاف اكثر الاحوال موافقة لصنع الستيك حتى تظهر فيهِ كل خواصهِ الطبيعية . وسيتم هذا التطبيق ولا شك في اجل قريب او اجل بعيد . وتبدو لنا ملاحظة في هذا الشأن وهو ان الحصول على «الايزوبرين» سهلٌ لجميع انواع القطران تحتوي عليهِ وهي أكثر انتشاراً من الخشب المفحّم (اللجنيت)

وعلاوة على ذلك نلقى فرقاً عظيماً بين انتاج الستيك وانتاج البترول في العالم فان ستمائة الف طن من الستيك تقابل ١٥٥ مليون طن من البترول وحيث لا يستطيع البترول الصناعي الذي يصنع بالطرق الفنية بشكلهِ الحاضر ان يؤثر في سوق البترول الطبيعي فان الستيك المركب الذي يصنع بالطرق الفنية لا بدَّ ان يقتحم سوق الستيك الطبيعي . هذا ولا يخفى ان البترول يخرج من احشاء الارض بحفر بئر يظل البترول يسيل منها اكثر من سنة . اما الستيك فيسيل من شجرة يقتضي نضجها سبع سنوات . وسيأتي يوم يشعر فيهِ غارسو اشجار الستيك في سيلان وجزائر ملقا والهند الهولندية بالمعضلة التي يواجهها الآن المشتغلون بالنترات الشيلية (مترجمة)

***

اصول الترجمة والتعريب

رأي الاستاذ انيس المقدسي

استاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

﴿تمهيد﴾ يراد بالترجمة نقل الافكار من لغة الى لغة . او هي تفسير الكلام بما يقابلهُ في لسان آخر . فنقول مثلاً في هاتين العبارتين —

L'Etat est moi. Human virtue was created out of the Family

الدولة انا (او انا الدولة) — والفضيلة نشأت من العائلة (او عن الحياة العائلية).

ونترجم الالفاظ التالية: Parliament, Hospital, University, Constitution

مجلس نيابي — مستشفى — جامعة — دستور — لغات .Langues

ويراد بالتعريب ان يتفوّه العرب باللفظ الاعجمي على منهاجهم كقولك بوتقة (لما يذيب بهِ الصائغ المعادن) ومغناطيس ومهرجان (عيد كبير) ودينار وقيصر وطاولة وتلغراف ويوبيل ودرفس (العلم الفارسي القديم) وامثالها ولا يكون ذلك عادةً الاّ في المفردات

مناطق البحث

لهذا الموضوع الحيوي منطقتان رئيسيتان منطقة الآداب ومنطقة العلوم

فالمنطقة الاولى تضمّ الشعر والخطابة والرسائل والمحاضرات او كل كلام نفيس يصلح ان تحفظهُ الاجيال لجمالهِ او لتأثيرهِ. ولمّا كان المنهاج الادبيّ العالي لا يتّسع للمصطلحات والاوضاع الغريبة كانت الاولوية في هذه المنطقة للترجمة دون التعريب . وذلك بديهيّ فان الادب يتناول جمال المؤثرات في النفس وتدوين اثرها بطريقة شائقة او هو كما قال بعضهم تجسيم الجمال المطلق بالالفاظ . ومصادر الجمال لا تنحصر في جيل او قطر ولكنّ اثرها النفسي يختلف باختلاف الافراد والجماعات وبالتالي يظهر في كلّ امّة على منهاجها الخاصّ . خذ مثالاً لذلك هذه العبارة المشهورة للشاعر الانكليزي تنسون

Men rise on stepping stones of their dead souls.

فلو اتبعت فيها الوضع الاعجمي لقلت « ان الناس يصعدون على درجاتٍ من نفوسهم البالية او الميتة » وفي ذلك ما فيهِ من الغموض وقد ترجمت هذه العبارة نظماً باستخلاص الفكر الحقيقي فجاءت

انما المرء يرتقي للمعالي سلَّماً من مرارة الاختبارِ

واليك عبارةً اخرى من مجلة اميركية : For generations the scourge of tropical epidemics preyed upon America وترجمتها — « مرّت اجيال على اميركا تجتاحها او تغتالها الاوبئة الاستوائية » ولو روعي فيها الحرف الانكليزي لقيل «لاجيال كانت ضربة الاوبئة الاستوائية تفترس اميركا (او تغتذي بافتراسها) »والفرق بين العبارتين فرق بين الاسلوبين الانكليزي والعربي. ومراعاة الاسلوب اللغوي هو الذي يعتمده كبار الكتاب فيما ينقلونهُ عن اللغات الاجنبية ويشترط فيه ان لا يتنطس الناقل الى درجة تذهب بروح الفكر الذي يحاول نقلهُ . كأن يخلط بين الاساليب الكتابية فينقل الرواية المؤثرة مثلاً الى عبارة المترسلين القدماء او اصحاب المقامات ويستعمل للوصف الخيالي اوضاعاً ضخمة لا تصلح الاَّ في الملاحم او المساجلات. ولا يلتبسنَّ عليك هنا الفرق بين الاوضاع والافكار . فقد نقتبس افكاراً اوصوراً بيانية من لغات اخرى ونصوغها في قالب عربيّ بليغ فتزيد ثروتنا اللغوية . كقول المحدثين من اهل الادب — وضعهُ على بساط البحث — ذرّ في عينه الرماد — تمَّ النصاب — انتخب باكثرية ساحقة — نفض يدهُ من ذلك . وامثال ذلك من المجازات التي اقتبسناها عن الحضارة الحديثة والبسناها لباساً عربيًّا قشيباً فجرت على الالسنة والاقلام

***

ويساوق التنكّب عن الاوضاع الدخيلة في الادب العربي التنكّب عن كل مبتذل وسخيف ولو كان من صميم اللغة . الادب يتناول جمال المبنى كما يتناول جمال المعنى واذا كان السخيف وهو من اصل اللغة ممنوعاً فاحرِ بكلّ ما يشمّ منهُ رائحة العجمة اللهمّ الاَّ ما سبق اليهِ الاقدمون وصقلتهُ الالسنة على ممرّ العصور فاصبح من تراث اللغة ككثير من دخيل القرآن والادب القديم. مثاله كرسي ، منبر ،حواريّ، دمقس،ديوان،سرادق، جريال ، ترياق ، سجيل ، زنار ،صكّ ، صولجان ، قسطاس ، كافور ، ناي. وغير ذلك مما يعدّ في طبقة الفصيح

فالمبدأ الاساسي في منطقة الادب اذن ان يعمد الكاتب الى الكلام الاعجميّ فيترجمهُ بكلام عربي فصيح يسوقهُ على مناهج العرب . ويتناول الفصيح هنا من غير العربي الصميم ما عرّبهُ الاقدمون واستعملهُ كبار كتّابهم وشعرائهم ولا نعدل عن ذلك الاَّ اضطراراً

منطقة العلوم

وتتناول ما حقق ونظم من المعلومات الطبيعية والاجتماعية كاصول الكيمياء والفلك والطبيعيات والطب والاقتصاد والآثار وعلوم النفس والاحياء وسواها . وغاية العلم التوصل الى الحقيقة المثبتة ولذلك ترى اربابه يتوخون في ما ينقلونهُ الدقة او اداء المعنى خالياً من التعقيد والالتباس . على ان ما ينقلونهُ لا يتعدّى احد امرين — مجرّد Abstract وهو (الاسم المعنوي) ومحسوس Concrete او اسم الذات . فان كان الاول فعندنا انهُ لا مندوحة في الاغلب عن الترجمة لان اسماء المعاني العربية تضيق حوصلة اللغة عنها . مثالهُ الالفاظ التالية :

condensation — erosion — force — efficiency — radiation — evolution — personality — culture — elasticity — characteristics vaccination — La Renaissance — asphyxie des racines — monopoly

فنقول بالعربية — تكاثف — تأكّل - قوّة — كفاءة — اشعاع — نشوء (او تطور) شخصية — ثقافة — مرونة — خواص — تلقيح (تطعيم) — دور النهضة — اختناق الجذور (اي جذور الزرع لكثرة المطر) — احتكار

ومثل الموصوفات المجرّدة الصفات على انواعها فانها تعتبر هنا من باب المعنويّات لا المحسوسات. فنقول مثلاً — عصبي - موصل جيّد - فعّال — آلي (اوعضوي) - اساسي — هلامي — لاسلكي — دستوري — جامد وجماد — حسّاس — اولي — علمي —

nervous — good conductor — active — organic — basic — jelly — like — wireless — constitutional — solid — sensitive — primary— scientific.

ومن ذلك قولهم التبنيج الايصالي Conductive Anesthesia. الثقل النوعي specific gravity. التقلقل الجاذبي Gravitational instability . المادة الكونية Cosmic matter . الرأي السديمي Nebular theory . وقس عليهِ العشرات بل المئات من هذه الاوضاع العلمية . ويستثنى من ذلك ما لا يمكن ترجمتهُ ترجمة تحفظ المعنى الاصلي او تجري بسهولة على الاقلام وكذلك الصفات الناشئة من النسبة الى اسماء أُلف تعريبها فان الوضوح العلمي يقتضي بقاءها على لفظ تلك الاسماء المعرَّبة كقولنا — انباء تلفونية . دروس سيكولوجية . تجارب ميكانيكية . امر امبراطوري .مناظر سينمائية . حزب ديموقراطي . اعصر جيولوجية . وما شاكل مما لا يترجم الا بتكلّف شديد قد تضيع معهُ الفائدة

اما اذا كان المنقول من باب المحسوسات او اسماء الذوات (Concrete) فلهُ احكام ومبادىء نلخصها فيما يلي :

١ — ما لهُ مرادف قديم في العربية (اصيلا كان ذلك المرادف او دخيلاً) فاستعمال مرادفهِ اولى من تعريبهِ . ككثير من الاوضاع النباتية والحيوانية والطبية والفلكية التي وضعها من سبقنا من علماء العرب

٢ — كلُّ ما يستطاع نقله الى اللغة فسهل عليها هضمهُ وتمثيلهُ بحيث يدلُّ تماماً على ما كان يدلُّ عليهِ قبلاً فترجمتهُ اولى مثاله — طيارة (Aeroplane) معهد موسيقي (Conservatoire) دبّابات (tanks) مجلس الشيوخ (senate) سفير (Ambasador) مدمّرة (destroyer) الجهاز الافرازي (excretory system) مضاد للفساد (Antiseptic) وفد (delegation) كتلة (Mass) مسهّلات (laxatives) ناطحات السحاب (sky-scrapers) مؤتمر (Conference) عصبة الامم (League of nations) ومثلها مئات الالفاظ التي ترجمت قديماً وحديثاً . وهذه مادة اما لها صورة في حضارة الامة او هي من قبيل الصفات

٣ — كل ما أُلفت ترجمتهُ وجرى في مجاري اللغة فيجب المحافظة عليهِ لانهُ اصبح من مادة اللغة ومن الخطإِ استبدال ترجمة جديدة بهِ الاَّ اذا كانت اوضح دلالة وأسهل استعمالاً . من ذلك : الجوهر الفرد (atom) الدقيقة (molecule) نواة (nucleus) العمود الفقاري (vertebral colunm) قائم (perpendicular) خرّيج او متخرّج (alumnus) مذهب النشوء (evolution) كهرب (electron) رشاش (للترو ليوز) رماني (amphibian) القواضم (rodents) شقائق البحر (sea anemones) المجاسّ (antennae) حلميّة (parasite) والبعض يقول طفيلية. ميزانية (budget) تضخم مالي (inflation) . وما الى ذلك في كتب العلم القديمة والحديثة مما لا يمكن احصاؤهُ هنا

٤ — كل ما ليس لهُ صورة او مثال في العربية او كل ما يسهل ادخاله في نصاب اللغة ولاسيما اذا كان في ترجمتهِ تكلّف ومشقة قد تضيع بهما الحقيقة المنشودة فتعريبه اولى . وعلى هذا جرى الاقدمون وتاريخ كل لغة شاهد بصحتهِ . خذ الالفاظ التالية :

Oxygen — Hydrogen — Radio — Bourse — Cinema — Geology Manometer — Gorilla — Vitamine — Film — Bacteria — Battery mperator — Manœuvre — Sodium— Balloon.

فاذا اعتبرت الغاية من المباحث العلمية واعتبرت نشوء العشرات بل المئات من الاوضاع الجديدة كل سنة وكيف تعنى اللغات الحية الراقية بتبنيها رأيت انهُ لا مندوحة لنا عن ان نعرّب هذه الالفاظ وامثالها فنقول — اوكسجين — هيدروجين — راديو — بورص سينما — جيولوجيا — مانومتر — غورلا — فيتامين — فلم — بكتريا — بطارية — امبراطور — مناورة — صوديوم — بالون . ولا نتحرج في النقل العلمي الى قول من يقول بدل ذلك — مولد الحموضة — مولد الماء — الهاتف اللاسلكي — المصفق — الندي او الهاتف — الحاكي — علم طبقات الارض — الى آخر ما حاولهُ بعض المتحمسين من ذلك

والذي يراجع ما قام بهِ علماء العصر العباسي من هذا القبيل والذين نسجوا على منوالهم في بدء نهضتنا الحديثة يجد انهم جروا طبقاً للمبادئ الكلية التي حاولنا بسطها لم يشذّوا عنها الاّ قليلا . وليس يشك احد اليوم انّ اللغة العربية ملأى من هذه المعربات وبعضها قديم جداً وانما ثبتت مع الايام ودخلت في نصاب اللغة اما لتعذّر ترجمتها ترجمة تمنع الالتباس والغموض او لنبوّ ما تُرجمت بهِ عن الصيغ الصرفية من جمع وتثنية وتصغير ونسبة

***

وهنا لا بدّ لنا من القول ان بين العربية واخواتها من الارومة السامية علاقة حيوية وشبهاً كبيراً فما تشابه لفظهُ ومعناه منها (سواء كان ذلك في المجردات او المحسوسات) استوى فيهِ التعريب والترجمة لان اللفظ مأخوذ عن احدى هذه اللغات اوهو من الارومة المشتركة بينهن . والقاعدة هنا ان يجري الناقل تماماً على منهاج اللغة المنقول اليها — فتقول في مدبحو (السريانية) وكوهن (العبرانية) ومتصهف (الحبشية) مذبح وكاهن ومصحف وكذلك : حكيمو — حكيم . ونبيو — نبي . وسفنتو — سفينة. وطالو —طلّ . ويامو — يمّ . وقس عليهِ ما لا يحصى من هذه الالفاظ المشتركة . اما اذا بعد اللفظ والمعنى بين الاخوات السامية فحكمه حكم ما تقدم معنا في منطقتي الادب والعلم

منطقة الاعمال

اي المعاملات التجارية والصناعية والزراعية وما الى ذلك من ضروب العلاقات بين الناس . وهذه لا تخرج عند التحقيق عن منطقة العلوم بيد أنه يتوخى فيها الاقتصاد والسهولة والبعد عن التأنق او التنطس الادبي . ولذلك قد يتسع فيها باب التعريب . فلا يشترط في الالفاظ التالية : كرتون —سكرتير — اوبرا —بنك — افندي — بسكوت — ركت— ان يقال مقوّى — ناموس —مغناة —مصرف — السيّد —فرنيّه —طبطابة.

فذلك ما لا تقوى عليهِ المعاملات ومن العبث حمل الجمهور على هذا التكلف والاسراف . ولا يطبق قانون الترجمة عليها الا تحت شروط -- منها

١ — ان تكون الالفاظ الاعجمية مما يعسر التلفظ بهِ اوما ينبو عن المنهاج العربي

٢ — ان يكون لهُ مقابل في العربية ككاتب بدل سكرتير

٣ — ان تكون من باب المجرّدات والصفات كقولنا شركة ضمانة الحياة المحدودة وكل ذلك مرّ معنا في منطقة العلوم

« خطأ المعاهد المستقلة » نشأ في بعض الاقطار العربية معاهد لغوية خدم بعضها الادب العربي خدمة تذكر . وقد عالجت مشكلة التعريب والترجمة فخبطت فيها خبط عشواء ولم تسفر جهودها عن نتيجة مرضية وذلك لاسباب اهمها

١ — انهم خلطوا بين هذه المناطق الآنفة الذكر ولم يراعوا المبادىء الاساسية فيها

٢ — تطرّف بعضهم فجعلوا اللغة العربية وحدة قائمة بذاتها لا يجوز ان تأخذ من سائر اللغات او تعطيها فاندفعوا يترجمون دون روية او بحث وزاد الطين بلة ما نشأ بعد الحرب الكبرى من بواعث النعرات القومية المتطرّفة حتى صرت ترى طائفة من الكتاب يأنفون من كل اعجميّ الصبغة ويحسبون التعريب مغايراً للروح القومية

٣ — لم يراعِ البعض منهم ما أتى من سبقهم ولم يدققوا النظر فيهِ فاغفلوهُ كما فعلت طائفة من المترجمين في مصر وغيرها وابتدعوا اسماء جديدة لمسمّيات كانت قد ترجمت قبل عهدهم وجرت على اقلام الكتاب . فزادت بذلك الفوضى والبلبلة . قابل الاوضاع العلمية في الكتب المصرية الحديثة بالاوضاع التي كانت مستعملة قبلاً ترَ ما نقصد اليهِ

٤ — اصبحت هذه المعاهد اللغوية اقليميّة [1] واصبح للغة بواسطتها مراجع متضاربة فظهر في الشام ومصر والعراق (واخيراً في لبنان) لجان علمية باسم مجامع كلّ منها يدّعي « وصلاً بليلى » ومعاهد العلم الكبرى في البلاد تجري مجراها المعتاد تنقل وترجم وتصنّف غافلة عن عمل تلك المجامع او وجودها ولم يقف الامر عند هذا الحدّ بل زادت روح الاستقلال اللغوي في الافراد ايضاً فاخذ المشتغلون بالعلم يعمل كلّ منهم كما يريد وتطرّف بعضهم وتطسّس فتهجّم على بعض الاوضاع العربية السائرة محاولاً أن يستبدل بها ما يسميهِ « فصيحاً » يحضرني من ذلك الآن ما يلي :

---

(١) وهي ايضاً غير قائمة على مبدأ التمثيل العلمي فاعضاؤها تنتخبهم لجنة انشئت اعتباطاً لا هيئات علمية منظمة

الالفاظ السائرة	فصيحها في زعمهم
وصل (ايصال)	قَبْض
كاتب	ناموس
دفّة السفينة	خيزرانتها او خيفوجها او سُكّانها
ربطة الرقبة	الأُبن
الربّان	الناخذات
الكبريت	الثقاب
تصاوير	تهاويل
خادم البيعة (قندلفت)	الجلاذي
متخصّص	حفيّ جمعها حفواء
رسالة	اطروحة
التقاعد	الايداع
الشيخ senator	البلّيت
السائق الحاذق	المعقب
المنبه (الجرس المنبه)	الجلجل
الستره	الفرّوج

وقس على ذلك كثيراً غيره . قد تقول ولكن بعض ما ذكر من الاوضاع السائرة من غير اصل في العربية فأجيب ولكنهُ اصبح كذلك بعد ان قبلتهُ اللغة واصبح سهلاً على ألسنة اهلها

مجمع عربي عام

نحن من الذين يعتقدون بناموس النشوء والارتقاء وان الاصلح يبقى مع الزمان وما التضارب في الآراء وكثرة المنازع الا محكّ يظهر بهِ الصحيح ويثبت . وعلى هذا الناموس جرت اللغة العربية منذ القدم فلو تحريت الالفاظ الجاهلية وما تلاها في الاسلام وقابلت ما بقي منها الى اليوم وما اندثر لتحققت فعل الزمان في الانتخاب اللغوي . على اننا في عصر غريب . عصر خطت فيهِ العلوم العصرية خطوات واسعة الى الامام ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان ما ظهر من المكتشفات والمخترعات العلمية في المائة السنة الاخيرة يربي على اضعاف ما ظهر من ذلك في كل القرون الماضية ومعظم ذلك في القرن العشرين . وسيطرد هذا التقدم وتتضاعف سرعته وبالتالي ستزدحم اللغات الحيّة بكثير من الاوضاع العلمية الجديدة ازدحاماً لم يعهد لهُ مثيل . وعليهِ فسيكون عمل الانتخاب الطبيعي بطيئاً بالنسبة الى حاجة الانسان وفي ذلك ما يحدونا الى القول بوجوب التفاهم بين الاقطار العربية لئلا تزيد الفوضى ويغلب التهويش على المنطق . واذا كان هذا التفاهم لا يتم الا بانشاء مجمع عربي فليكن مجمعاً عاماً يمثل اعضاؤه الهيئات العلمية الكبرى في البلدان العربية الراقية . واني على سبيل المثال اقترح انشاءهُ في القاهرة على النمط التالي

(١) — يقوم بالدعوة اليهِ وزير المعارف المصرية .

(٢) — ترسل الدعوة الى (١) ادارات المعارف الرسمية في الممالك والاقطار العربية المنظّمة (٢) الى المعاهد العلمية من رتبة جامعة (٣) الى المجامع العربية المنظّمة

(٣) — تنتخب كلٌّ من هذه الهيئات ممثلين او ثلاثة بحيث يكون عدد اعضاء المجمع العام نحواً من خمسين

(٤) — يجتمع هذا المجمع مرة كل سنة (مدة اسبوعين) في القاهرة برئاسة وزير المعارف ويخصص الاجتماع الاول للتعارف وتأليف اللجان وتعيين مناطق البحث

(٥) — ومتى تمّ ذلك انفضّ المجمع وانصرفت اللجان في اثناء السنة الى درس مباحثها الخاصة وتمحيصها والى تهيئة قراراتها لتعرض على المجمع في دورتهِ التالية . فاذا قررها نشرت في الجرائد والمجلات ليطلع عليها الخاص والعام

لا انكر ان هنالك تفاصيل كثيرة لا بدّ من النظر فيها وليس ما اعرضهُ الاَّ خطة عامة الفت اليها نظر اهل الرأي واقلّ فوائدها انها تربط البلدان العربية برابطة ادبية واحدة وتحول دون الفوضى اللغوية التي ترى طلائعها في كلّ مكان

رأي الدكتور محمد شرف وخلاصة مقترحاتهِ

اللغة العربية والمصطلحات العلمية

(تتمة مقاله المنشور في مقتطف فبراير الماضي)

المقابلة بين القديم والحديث

يتّصف التعريب في عهد العرب بحسن الاسلوب وتأدية المعاني بوجه التقريب ، ويتصف التعريب الحديث بكونه تضميناً اومسخاً باسلوب مضطرب لا يسوغهُ الذوق العربي. ولم يكن عجباً امام هذا القصور والاضطراب ان يقوم بعض الجاهلين بثروة العربية وحسن معداتها للتعبير ، او فريق المتهوّسين للغات الفرنجية ، فيقول بعدم صلاح العربية لتأدية العلوم الطبيعية والطبية ، ويرميها بالقصور والجمود . ولا ريب في انهُ يعسر على الطالب فهم هذه المعرّبات المشوّهة ، وانهُ اسهل لهُ ان يدرس علومهُ باللغة الفرنجية من ان يقرأ كتاباً معرّباً بهذا الاسلوب ، لانهُ لا يستلذّ قراءتهُ لعدم انسجام تراكيبهِ ، وخلوه من التثبت وحسن التأدية والبيان ، ووضعه الكلمات في غير مواضعها . فلم يكن عجباً ان زهد أبناء العربية في لغتهم القومية ، حتى اصبحت في نظر الكثيرين ممن تعلموا في بلاد الغرب كانها لغة قوم آخرين ، ولا غرابة اذا بارت سوق الكتب العلمية المعربة . ولذلك انقسم

المنشئون من المتكلمين بالعربية من اهل القلم والعلم الى ثلاث شيع يدلي كلٌ بحججهِ ويفنّد آراء خصمهِ :

(١) قسم درس اللغات الفرنجية وقصر جهده عليها فلم يقف على ألفاظ العربية ومبلغ ثروتها وسعتها ، يرى اتخاذ الالفاظ الفرنجية الجديدة وأساليب صوغها ، وادخالها كما هي على حالها في لغتنا . وأصحاب هذا الرأي أكثرهم مصريون وقد بالغوا في تصوير قصور اللغة عن مجاراة اللغات الحية

(٢) وقسم حنبلي لا يرى شيئاً من ذلك ، ويوجب علينا ان نكون متبعين للسلف لا مبتدعين ، ويزهد كل الزهد في اية استعارة من اللغات الاجنبية . ويعزّ على هذا الفريق ان تشوَّه لغة القرآن او تشوبها أدنى شائبة من لغو او لكنة ، ويرأ بها ان يتنازع اسلوبها او قوامها اي فساد او انحطاط . وأنصار هذا الرأي بعض ادباء مصر والشام والعراق وفلسطين الذين تضلّعوا من اللغة وتمكنوا منها وتدرَّبوا فيها حتى استبطنوا خفاياها ، وعرفوا أصولها ومواردها وأسرارها ولكنهم غير متّصلين بالحركة العلمية العالمية

(٣) قسم ثالث بين هذين الرأيين ، ويقول بأن خير الامور الوسط ، وان الاصوب اتخاذ ما لا يمكن ان نحققهُ في العربية من الاوضاع المستحدثة ، ولا يوجد فيها ما تؤدّي معناهُ ، وإلباسهُ حلّة عربية .واما ما عدا ذلك ففيها ما يقوم مقامهُ ، وصاحب هذا المقال من أنصار هذا الفريق . فأصحاب الرأي الاول لا ينبغي لهم ان يغتروا بوجود أنصار أقوياء ،لان مآل مذهبهم ان نستبدل باللغة الفصحى السامية لغة تكاد العامية تكون أحسن اسلوباً وأصحّ تعبيراً منها ، وتشترك معها في عدم تقيُّد الكاتب بقواعد النحو وأحكام الاعراب وأصول البيان او نظر الى البلاغة

أما القسم الثاني الموسوم بشدّة التحفظ والاستمساك بالقديم فانهُ يزداد ضعفاً بازدياد تمسكه لان مآل مذهبهِ زيادة تشوّه اللغة بما يدخلها من الألفاظ رغماً منه لجموده ووقوفهُ باللغة .وكيف تقوى حجتهُ على مواجهة الحقائق الآتية

(١) لم تخلق اللغة مرة واحدة ، ولم توضع في وقت واحد وانما وضعت شيئاً فشيئاً بالتدرُّج بحسب الحاجة الى التعبير عما يتجدّد من الأحوال التي تتقلّب وتحوّل على الدوام ولا بد من نمو اللغة والزيادة فيها للابانة عن كل جديد يمرّ بالخواطر او يقع تحت الحواس وما اللغة الا كسائر الاجسام الحية التي تنمو ، وكل محاولة لمنعها من النمو سعي الى تشويهها

بالتزيّد الحادث قهراً من دخول ما لا بد معرفتهُ من أسماء المستحدثات

(٢) وليس من المعقول أن يريد هذا الفريق باللغة أن تبقى دائماً كما كانت في الجاهلية أو صدر الاسلام . ولو نُشر أكتبُ كتابها قديماً وطلب منهُ تأدية المعاني الحديثة لأشكل عليهِ التعبير واضطربت عبارتهُ . ولا يخفى على كل من وقف على كلام العرب واخبارهم ان العربية استحالت كثيراً في كل عصر من عصورها عما كانت عليهِ في الجاهلية أو صدر الاسلام ، باتصال العرب بالفرس والسريانيين والكلدانيين والاحباش والروم واللاتين والقبط واتساع تصوراتهم وتغير أحوالهم ، فوضعوا اسماءً وافعالاً لكل ما استحدث لديهم ، وجارتهم اللغة في النموّ وتحوُّل الاسلوب الى اللين والسهولة . ومن ألقى نظرة على معجم قديم او حديث وجد آلافاً من الالفاظ الدخيلة التي استعارها العرب من سائر لغات هؤلاء الاقوام، لاحتياجهم اليها لخلوّ لغتهم منها واستعانتهم بها على تأدية المعاني المستحدثة ، واعتبروها من الفصيح

(٣) ولقد كانت العربية في عصر نهوض الاسلام كسائر اللغات الحية الآن ، الانجليزية والفرنسية والالمانية والطليانية ، مستوفية لخواص الحياة والمرونة قابلة للنموّ والزيادة . فالذين يريدون الرجوع باللغة الى الازمان الاولى ، ويوجبون علينا الوقوف بها يقفلون باب الاجتهاد والابتداع ويعملون على موت اللغة وزهد الناس بها ، بتضييق السبل على المنشئين والمعرّبين

النهضة الحديثة ومستقبل اللغة

لم تبق الحاجة الى العلم والشعور بشدة لزومهِ خفيَّة على سواد الناس . يُستدلُّ على ذلك بالاندفاع المتزايد الى المدارس الثانوية والعالية، وبانتشار الجرائد والمجلات والمعرّبات وتكاثرها ، وميل عدد كبير الى احراز ثقافة صحيحة باقتباس علوم الغربيين ، وتزايد الذين يسعون في الارض شمالاً وغرباً لتحصيل علوم الفرنجة بمختلف لغاتهم . ومن مظاهر هذه النهضة تجدُّد العناية بالعربية وازدياد عدد المتوفرين على خدمتها وإحياء شأنها والرغبة في ردّ العجمة والرُّطانة عنها ، ورفعها لمجاراة اللغات الحية بالسير بأوضاعها على السنن التي تلقيناها عن السلف أو التي نبتدعها ونتواضع عليها تواضعاً يحسن أن تقرّه سائر المجامع اللغوية التي أنشئت والتي ستنشأ وإيثار الالفاظ العذبة السهلة على الخشنة ، وفقاً لروح الحضارة العصرية التي تتطلب الحسن والجميل وتطوّر الاساليب لاقتباس الكتاب بعض أساليب اللغات الغربية التي تعلموها . ونرى مما يكتب في الجرائد بالحاف في طلب تأسيس مجمع للغة في مصر يتّصل بمجامع الشام والعراق ومن السعي الى وضع كتب نحوية جديدة متقنة القواعد،

تلائم العقول الحديثة وتسهّل الإحاطة بالعربية ، ومن الرجوع الى تعليم مبادئ العلوم العالية بالعربية في المدارس الثانوية دليلاً على رغبة اكيدة في إحياء العربية ، وبرهاناً على ان ابناءها بدأوا يشعرون أن حياتهم بحياة لغتهم وأنهم مكلفون بحماية ذمارها . ولو تابعت التآليف العلمية التي ظهرت في عهد محمدعلي واسماعيل ولم نحرم مصر من مواصلة تدريس العلوم العالية بالعربية لما أعوزنا اليوم تعبير في علم منها . ومهما بلغت درجة تحصيل العلم بلسان غريب فهضمهُ وإساغتهُ لا يتمّان الا بالاستعانة على فهمه باللسان القومي

ونعتقد أن المعجم الذي وضعناه ،وهو أبسط المعاجم الانجليزية العربية وأوسعها ، قد ألقى نوراً ساطعاً أمام الناهضين بالعربية والراغبين في تحرير الفاظها المتعلقة بالعلوم الطبيعية والطبية ، وان لم يكن ذلّل لهم أكثر العقبات فقد كشف لهم عن الثُّغَر التي تقف في طريقهم. وقد اعتمدت وزارة المعارف المصرية الاصطلاحات التي جاء بها فخطَوْنا بهِ خُطىً واسعة في سبيل توحد الأوضاع العربية المتعلقة بهذه العلوم ودفع الفوضى اللفظية التي كنا نعانيها . وليس لي في هذا المقام متسع للافاضة في شرح اسلوبنا في التعريب والقواعد التي عوّلنا عليها في صوغ الأوضاع الحديثة ورأيناها جديرة بالاتباع ، وحسب الشادي الاطلاع عليها مشروحة شرحاً وافياً في مقدمة الطبعة الثانية من المعجم

لذلك نرى

انهُ لا مندوحة عن انشاء مجمع لغوي علمي يضمُّ خيرة أهل الفضل من العلماء ويتّصل اتصالاً وثيقاً بمنتديات اللغة في الشام والعراق والمغرب وفلسطين . ولا بدّ من ان ننبّه أولي الأمر الى الامور التي نجملها بعدُ اذا أُريد من المجمع أن يكون مثمراً

(أولاً) يقوم المجمع بوضع معجم حديث وافٍ للغة العربية ، يكون نبراساً لكتاب العربية يهتدون بهديه فتهمل الالفاظ التي تقادم العهد على نبذها والتي لم يستعملها سوى الأعراب الحوشيين المتوغلين في البداوة والألفاظ التي عدلنا عنها الى أخرى أسهلَ وأخف وتذكر الألفاظ التي استحدثت منذ وضع المعاجم القديمة ويُصلَح النقص البين في المعاجم القديمة لأنها لا تحتوي الا الألفاظ الفصحى القديمة دون المستحدثة أو التي عرّبت منذ وضع هذه المعاجم وتشرح الألفاظ المبهمة أو غير الصريحة التأدية شرحاً وافياً وتعرّف تعريفاً مطابقاً للعلم الحديث ، مع ذكر الفوارق بين المترادفات واشباه المترادفات وتخصيصها ويصلح ماكان مصحفاً وأُغلق فهمه ويخرج على وجههِ الصحيح ، ويكتفى من اللغات المتعددة في الكلمة بما هو أفصح وأعلى ، وتذكر الجموع القياسية فقط والتصغير ، وتحيا

بعض الألفاظ التي يظنها البعض مهجورة أو ميتة وما هي كذلك بل يجدر بنا بعثها واذاعتها ويعاد شرح الالفاظ التي تغيرت معانيها المشروحة قديماً بتغير الزمن أو الاصقاع او ضاقت بالمعاني الحديثة بفعل الحضارة ، كل ذلك مع تخير الالفاظ السهلة المأخذ والتاقي وايثار العذب المسمع على المستثقل وتفضيل ماكان موافقاً للذوق العصري المصقول ورفض استعمال ما شنع تآلفه او تطلب الكلفة في النطق به ويستشهد بآيات مألوفة من القرآن أو الحديث والشعر القديم فقط . بذلك تتوحّد الالفاظ المستعملة في الاقطار المختلفة الناطقة بالعربية وتُدفع الفوضى اللفظية التي نعانيها

(ثانياً) وضع معجم فرنجي عربي لاصطلاحات العلوم والفنون يكون دليلاً يركن اليه العلماء وسفراً جامعاً لما يخفف به عنهم ما يلاقونهُ من العيّ في التعبير والتأدية الحسنة وذلك بالبحث في المعاجم الحديثة العهد بالوضع وفي كتب العلوم التي نقلها العرب واتخاذ ما يكون موافقاً

وباشتقاق الفاظ جديدة من اصول عربية ، تؤدي المعنى تأدية مميزة ، جرياً على اصول الاشتقاق العربية ولو لم تذكر هذه الالفاظ في المعاجم القديمة

وبتعريب الالفاظ التي يكون لساننا خلواً منها ولا مقابل لها فيه حتى تجري على الاوزان العربية

(ثالثاً) ينبغي أن تكون أكثرية أعضاء المجمع من المختصين بالعلوم الطبيعية المتوفرين على مباحثها وأن يساعدهم في ضبط الالفاظ التي يختارونها طائفة من رجال اللغة الذين يحفظون فقهها وأسانيدها وأن يضمّ المجمع بعضاً من رجال الصحافة وخيرة الشعراء المشهود لهم بسعة العلم والكفاءة لأنهم عليهم المعوَّل في اذاعة الألفاظ التي يتخيرها

(رابعاً) تنشيط المؤلفين والمعربين بالاعلانات والجوائز على وضع الكتب في العلوم المختلفة مستعملين فيها الألفاظ التي يتفق عليها لأن الألفاظ في المعجم ميتة لا تتقد شعلة الحياة فيها الا في سطور المؤلفين

والعلاّمة لطفي السيد بك الجالس على كرسي المعارف هو الآن قبلة أنظار المهتمين بالعربية وقد سبق له في خدمتها كثير من المآثر والمحامد فان نجح في انشاء المجمع ووفّق الى الغرض منهُ خلّد له فخراً مبيناً والسلام م؟



العين اللاسلكية الساحرة

مصباح صغير من الزجاج ، مفرغ من الهواء او قريب من المفرَغ ، زجاجهُ مطليّ من داخله بمعدن البوتاسيوم ولا يحتوي في فراغهِ على شيء سوى حلقة دقيقة من معدن البلاتين أُستنبط من خمس سنوات فقط فصار يستعمل الآن في قياس قوة النور الذي يصل الارض من الكواكب على بُعدها ، وتبنى عليهِ عدّادات دقيقة تحصي ما يمرُّ في الشوارع من السيارات ، ويوضع في آلة تدخلها لفائف التبغ (السيجار) من احد طرفيها فيفرّق بين هذه اللفائف بحسب لونها ، ويستعمَل في الآلات التي تصنع بها الصور المتحركة الناطقة فيحوّل النور الى نبضات صوتية اذا اصابت سماعة تلفون صارت كلاماً مفهوماً ، ويدخل في التلفزة وادواتها فيجعل اشعة النور المنعكسة عن الاجسام تغيّرات في قوة التيار الكهربائي تنقل لاسلكيًا الى اقصى اقاصي الارض

هذه هي العين اللاسلكية العجيبة التي اطلق العلماء عليها اسم البطرية النورية الكهربائية. فما هو سرُّ فعلها العجيب على بساطة تركيبها ؟

***

لتعليل ذلك يجب ان نعود الى المذهب الطبيعي القائل بان كل الاجسام المادية مؤلفة من دقائق وان كل دقيقة منها مؤلفة من جواهر وان كل جوهر مؤلف من بروتون تدور الكهارب حوله كأنها السيارات في النظام الشمسي . وان عدد الكهارب في عنصر من العناصر واحد في كل جواهر ذلك العنصر في احوال عادية . فاذا كان الجوهر في حالةٍ طبيعية كانت كهربائيتهُ متعادلة اي كانت كهربائيتهُ الايجابية معادلة لكهربائيتهِ السلبية

ولكن اذا حدث للجوهر ما حملهُ على انهُ يفقد احد كهاربهِ سعى الى اجتذاب كهرب جوهرٍ آخر اليهِ لذلك يقال ان شحنة هذا الجوهر الكهربائية شحنة ايجابية. اما اذا حدث للجوهر ما جعل بين كهاربهِ كهرباً زائداً عن العدد الطبيعي كان ميل هذا الجوهر الى اطلاق كهربهِ الزائد . فالجوهر الذي بين كهاربهِ كهرب زائد يوصف بانهُ جوهر سلبي اي ان شحنتهُ الكهربائية شحنة سلبية

ومن الصفات الخاصة التي تتصف بها بعض العناصر كالبوتاسيوم والروبيديوم ان جواهرها تطلق بعض كهاربها اذا وقع عليها نور الشمس. فانك اذا عرّضت لوحاً من البوتاسيوم لنور

الشمس تطايرت من سطحهِ كهارب عديدة. فاذا استطعنا ان نسيطر على هذه الكهارب المنطلقة وان نسيّرها في دورة كهربائية احدثت حركتها تياراً كهربائيًّا . ولما كان عدد الكهارب التي تتطاير من سطح البوتاسيوم يزيد او ينقص بزيادة النور ونقصانهِ كان التيَّار الكهربائي الذي تحدثهُ هذه الكهارب خاضعاً في قوتهِ وضعفهِ لقوة النور وضعفهِ

والعين الكهربائية : او البطرية النورية الكهربائية ، كما قدمنا انبوب مفرغ او يكاد يكون كذلك بعض زجاجهِ مغطى من داخله بطبقة من معدن البوتاسيوم الذي يتأثر بالنور وفي وسط الانبوب حلقة دقيقة من معدن البلاتين غالباً متصلة بقطب البطرية الايجابي بسلك دقيق . وغشاء الانبوب الذي من معدن البوتاسيوم متصل بقطب البطرية السلبي

فاذا وضع هذا الانبوب في مكان مظلم لم تمكن البطرية من توليد تيار كهربائي فيهِ لانهُ لا يوجد اتصال بين قطبيها السلبي والايجابي ولكن متى وقع النور على الانبوب تأثر غشاء البوتاسيوم فتطايرت من سطحهِ الكهارب فتجذبها الحلقة اليها لان كهربائيتها ايجابية فتسري في الحلقة والسلك المتصل بها تياراً كهربائيًّا. ولما كانت جواهر البوتاسيوم قد اخذت تفقد كهاربها بفعل النور تأتيها كهارب اخرى تحلُّ محلها من طرف البطرية السلبي وهكذا يحدث التيار الكهربائي في الانبوب وما يتصل بهِ من جرَّاء وقع النور على ظاهره . فاذا زاد مقدار النور الواقع على خارج الانبوب زاد عدد الكهارب التي تنطلق من غشائهِ الداخلي وزادت قوة التيار الكهربائي الذي يولَّد على الطريقة المتقدمة. واذا ضؤل النور قلَّ عدد الكهارب المتطايرة وضعف التيار الكهربائي

***

ويجب التفريق بين بطرية السلينيوم والبطرية النورية الكهربائية. فالسلينيوم معدن او شبهُ معدنٍ موصل للكهربائية يتأثر بفعل النور فتقلُّ مقاومتهُ للكهربائية اذا وقع عليهِ ثم تزيد اذا حُجب عنهُ . لذلك استعمل اولاً في نقل الصور الفتوغرافية سلكيًّا ولاسلكيًّا . ولكنهُ بطيء التحول بين القوة والضعف لا يصلح للتغيرات السريعة التي تستلزمها وسائل النقل اللاسلكية . فخلت محلَّهُ البطرية النورية الكهربائية حين استنبطت منذ خمس سنوات لانها اسرع فعلاً وادقّ صنعاً . وهي فوق ذلك تولِّد التيار الكهربائي بتطاير الكهارب من سطح البوتاسيوم كما تقدم

وقد استعمل بعض المستنبطين هذه البطرية في آلات مختلفة غير ما تقدم . منها ما يدق

جرساً كهربائيًّا اذا حال ظل خفيف بين البطرية ومصدر النور الذي يقع عليها. لذلك تستعمل هذه الآلة في حفظ خزائن البنوك. فتوضع البطريات في اماكن خفية حول الخزائن فاذا اقترب السارق وحال بين البطرية ومصدر النور قرع جرس قرعاً عالياً ينبه الحراس او اذا شئت ان تضع مكان الجرس جهازاً ينفث غازاً خانقاً او يطلق رصاصاً مردياً كان لك ذلك. وصنعت بها آلات اخرى توضع في المعامل فتدق اجراساً تنبه المديرين الى ان كثافة الدخان في المعامل زادت عما تقضي به قوانين المجالس الصحية العامة . وصنع علماء الفلك الطبيعي آلات دقيقة لقياس حرارة الشمس وسائر الكواكب والسيارات . وبنت الشركة الكهربائية العامة بالولايات المتحدة الاميركية مقاييس دقيقة على هذه البطرية يقاس بها

مقدار النور الذي ينفذ انواعاً مختلفة من الزجاج الذي يستعمل في مصابيح الزينة كما ترى في الصورة ويقاس بها شفوف الورق والانسجة وطيوف الالوان المختلفة في صناعة الاصباغ ونضوج الأثمار اذا كان لونها دليلاً على نضوجها. ويقول الدكتور ايفس انهُ لا يبعد ان تمكن يوماً ما من استخدام قوة الشمس المنتشرة في الفضاء بمولدات كهربائية مبنية على مبدإ البطرية النورية الكهربائية. واهم من ذلك الآن ما شرع بعضهم في تحقيقهِ وهو استعمال هذه البطرية الساحرة لتحويل النور المكعوس عن الحروف المختلفة في كتاب او مجلة الى اصوات معينة فيستطيع العميان ان يقرأوها عن طريق الاذنين. فاذا لم يكن للبطرية النورية الكهربائية التي تقدم وصفها الا الفائدتين الاخيرتين لكفى مستنبطها ومتقنها فخراً وخدمة للعلم والعمران

المستنبطات اللاسلكية

التي حققت او ينتظر تحقيقها

١ ـ التلغراف اللاسلكي * ٢ ـ التلفون اللاسلكي واذاعة الاخبار والخطب والموسيقى وما اليها * ٣ ـ استنباط نظام البيم (الامواج القصيرة الموجّهة) وربط القارات المختلفة بالمحادثات التلفونية اللاسلكية * ٤ ـ نقل الصور الفوتغرافية لاسلكيًّا * ٥ ـ التلفزة (الرؤية عن بعد) والنكتوفيزيون (اي الرؤية في الليل) * ٦ ـ النور اللاسلكي * ٧ ـ القوة اللاسلكية * ٨ ـ الصور الناطقة اللاسلكية

فحم حجري من الكرنب (الملفوف)

عجائب الكيمياء الصناعية

غذاء من نشارة الخشب — ليمونادة من قشور الفول السوداني — خشب من القش
قطن من سوق الموز — المستنبطات الكيماوية الحديثة تفوق الخرافات غرابة

منذ بضعة اسابيع رقي منبر الخطابة في نادي معهد كارنيجي الفني بمدينة بتسبرج الاميركية عالم من مدينة هيدلبرج الالمانية المشهورة بمدرستها الجامعة، فأعلن بصيغة التوكيد تمكنهُ (بعد ان قضى اثنتين وعشرين سنة مكبًّا على التجارب الكيماوية) من صناعة الفحم الحجري صنعاً كيماويًّا، وذلك من الخشب والكرنب وحطب الذرة!

وكان ذلك الخطيب يلقي خطابه، بصوت خافت غير مؤثر، من تقرير في عويص كان في يده، وما كاد يفرغ من القائه حتى دوت ارجاء النادي بتصفيق السامعين تصفيقاً حادًّا وكانوا من صفوة علماء الخافقين أصغوا الى الخطيب وكان على رؤوسهم الطير، وهم الذين ديدنهم التروي في الحكم، ودأبهم مقت التظاهر لغير سبب خطير، ونبذ كل رأي فطير

هؤلاء العلماء الذين شهدوا المؤتمر الدولي الثاني الخاص بالفحم الحجري اللين (١) والخطيب الذي اعلن الاختراع هو الدكتور فردريك برجيوس — إذ تناول احد عشر رطلاً من مادة السليولوز وهي المادة الخشبية في كل النباتات — فمزجها مزجاً تامًّا بالماء ثم وضع المزيج في وعاء محكم الغلق حتى لا يصل اليهِ الهواء ثم سخَّنهُ الى درجة ٦٤٠ بمقياس فارنهيت وبعدئذٍ وضع الوعاء في رصاص مصهور حيث ترك أربعاً وعشرين ساعة ومحتوياته تطبخ بحرارة الرصاص ثم قطع تلك الحرارة الهائلة عنهُ وجعل يطلق الغاز الذي تولد في الوعاء وتراكم في اثناء الطبخ وترك السائل حتى برد وتجمد فكان الناتج أحد عشر رطلاً من الفحم الحجري الصناعي!

ولو أردنا التوسع في المعنى لصح لنا القول: إن الدكتور برجيوس خطيب الحفلة التي نحن بصددها قد ظفر باكثر من ذلك، وطفر طفرة تخطى بها عصوراً طويلة إذ أُتيح لهُ في مدى ٢٤ ساعة فقط إنتاج مادة لا غنى للناس عنها، مادة تقضي الطبيعة في

---

(١) هو اكثر انواع الفحم الحجري شيوعاً ويحتوي من الكربون مقداراً يتراوح بين ٦٠ و٧٠ في المائة — وهو ذو اصناف شتى ومنه تستخرج مئات من المواد الكيماوية الحديثة

خلفها ٢٤٠٠ قرن — فاصبح هذا المخترع وفي وسعه تحدى الطبيعة في نهار وليلة ، وذلك باختراعه الذي سيفضي حتماً الى منع كارثة عامة تقع عند نفاد الوقود من العالم وهي المجاعة الوقودية التي ما فتىء العالم مهدداً بها في مستقبله

وقد أذاع في المؤتمر نفسه الدكتور كارل كروتش مدير نقابة معامل الاصباغ الالمانية نبأ لفت أنظار مندوبي الدول في ذلك المؤتمر الحافل ، بأن وصف طريقة لصنع الغازولين « البترول النقي المستعمل في الوقود » الصناعي ورواج سوقه ، وهو الذي ينتج من الفحم الحجري اللين — وقرر انهُ في السنة الماضية كان الناتج من الغازولين الصناعي في مصنع النقابة بمدينة ليونا بالمانيا ٧٠٠٠٠ طن وفي هذا العام قد ينتج ٢٥٠٠٠٠ طن

واليك تفصيل ما سبق في هـذا السبيل من وجهة النظر العملية والعلمية . قلّ زيت النفط (البترو ليوم) فارتفعت اسعار الوقود ارتفاعاً فاحشاً أوجس لهُ الالمان خيفة فلم يسع علماء الكيمياء منهم السكوت على تلك الحالة السيئة بل شمروا عن ساعد الجد ولم يفتروا عن العمل حتى تسنى لهم تحويل الفحم الحجري الطبيعي الى زيت معدني وذلك بطرق شتى . فكان عملهم هذا نموذجاً ثانياً لما فعلتهُ المانيا في اثناء الحرب الكونية حينما انقطعت عنها النترات بسبب الحصر البحري الذي ضربتهُ عليها حلقة من مدرعات الحلفاء فلجأ علماء الكيمياء الالمان الى الجو فاستخلصوا منهُ النشادر الصناعي وكانوا قبلئذٍ يستوردونهُ من بلاد شيلي في نترات الصودا الشيلية المشهورة

ولو تأملنا خطورة استنباط الزيت الصناعي وبحثنا في مقدار تأثيره في علاقات الدول بعضها ببعض وتفحصنا عن مدى أثره في السلام العام ورخاء العالم لذهلنا وادركنا عظم الفوائد التي يحبونا بها علماء الكيمياء

والواقع أن الذي قام بهِ علماء الكيمياء في معامل التحليل الكيماوية هو تناولهم جرائيم حرب كونية عتيدة ووضعها في أنابيب الاختبار الكيماوي ثم إذابتها حتى تفنى من الوجود ! لانّ كثيرين من الباحثين يرون انهُ لا مناص من اشتباك الدول في حرب أخرى زبون لاجل الاستئثار بمنابع النفط

وماكاد الدكتور كروتش يختم خطبتهُ حتى اعتلى المستر زر ندين سكرتير لجنة الوقود في المجلس الوطني بمدينة برلين فأماط اللثام عن المنافع الاقتصادية العظيمة التي يجنيها الناس من استعمال الفحم الحجري السائل الذي تمكنوا من إسالتهِ بطريقة التقطير فقال إن هذه الطريقة لا تفيد فقط في منع الاهتمام بتلاشي المدّخر من الفحم الحجري

الارضي تلاشياً بطيئاً بل يستطاع بواسطتها الاستغناء عن نقله المتعب وضغط التراب والرطوبة الملازمين لذلك الوقود في حالته الراهنة

ثم اعلن عالم الماني آخر وهو الدكتور فرتز هوفمان أنهُ استنبط صمغاً مرناً «كاوتشوك او لستيك» من الفحم الحجري وذلك في معمله الكيماوي ، غير أنهُ يرى ذلك الصنف الصناعي من الصمغ المرن يحتاج الى نفقات باهظة في تحضيره فتفوق أسعاره أثمان الصمغ المرن الطبيعي ولكنهُ وطيد الأمل في نيل بغيته يوماً ما بتجاربه المتواصلة حتى يتسنى لهُ تقليل النفقات ما أمكن وعرض مصنوعاته في السوق بمقادير وافرة وأثمان منخفضة

***

إذن قد قام المؤتمر بعرض طائفة من المستحدثات التي تدل على تحقق أحلام العلماء وهذا مما سيفضي الى احداث انقلاب خطير في طبيعة الاشغال والصناعات ويجعل منافعها محسوسة في دور الملايين من الخلق وفي معيشتهم اليومية في أنحاء المسكونة بأسرها

وما اقتصر العلماء على استنباط الزيت من الفحم الحجري ولا استحداث الفحم الحجري من الكرنب بل انتجوا كذلك غازاً مشتعلاً من الماء وكحولا خشبيًّا وصابوناً وادهاناً صالحة للغذاء — ولعلَّ اليوم الذي يتمكنون فيهِ من انتاج لحم خنزير مملح صناعي ليس بعيداً ! وهذه كلها أشياء عتيدة أي يرجى اتمامها في القريب العاجل بما يبذله العلماء من الجهد العظيم كما ثبت ذلك في المؤتمر المذكور

وقد أتيح بواسطة تلك الصناعة انتاج فحم كوك انفع من الفحم الحجري النيء نفسهُ وأصباغاً أبهى من الوان قوس قزح وعطوراً ازكى أريجاً من الازهار، وغيرها من الاشياء الصناعية التي تفوق ما أبدعتهُ الطبيعة مما توفر للناس وسائل الرفاهية والسرور

وقبيل انعقاد المؤتمر في مدينة بتسبرج اذاع الدكتور يابغر الكيماوي الاميركي أنهُ وفق لطريقتين حديثتين لتنقية الانثراسين [١] وهذا مما ينجم عنهُ ثروة طائلة لصناعة الصباغة في الولايات المتحدة — تلك الثروة الكامنة في المواد الأولية المدخرة في فحم كوك وقطران الفحم الحجري

وحوالي ذلك الوقت نفسهُ أعلن المستر ماكدويل رئيس شركة السماد بمدينة شيكاغو اختراعهُ طريقة لاستخلاص السماد من الفحم الحجري ولا بدَّ ان ينشأ منها نفع عميم للزراع في تسميد الذرة والشعير والحنطة الشتوية والقطن. وقد اكتشفت هذه الطريقة عرضاً في

(١) الانثراسين مادة هيدر كربونية تنتج من تقطير قطران الفحم الحجري وهي مصدر الاليزارين الصناعي — والاليزارين مادة حمراء ملونة كانت تستخرج سابقاً من الفوة

اثناء استخلاص النشادر من غاز الانارة للتخلص من رائحته الخبيثة

وقبل ذلك ببضعة اسابيع أذاع عالمان المانيان من علماء الكيمياء على الملأ نجاحهم في صنع غذاء من الخشب أو بمعنى أوضح صنع السكر من نشارة الخشب وما لبثنا ان جاءنا نبأ مدهش من فرنسا هو في الحقيقة أغرب مما تقدمهُ وهو ان عالماً من علمائها حوَّل الفحم الحجري الى ماس[١] وقد لا يمضي زمن طويل حتى تزدان بهِ نحور غانيات امريكا وتتحلى بهِ سواعدهن البضة

إذن هذه سلسلة من الحوادث العلمية قد ألقت في رُوعنا مرة اخرى ان الكيماوي العصري لم يقصر همتهُ على وراثة صناعة الكيمياء القديمة كما كانت في العصور الوسطى بل قد اتقنها وبلغ فيها شأواً بعيداً

فالكيماوي الحديث على عكس الكيماوي في الازمنة المظلمة — حين كان يسمى الساحر الاسود — يأتي بالعجائب لا ليدهش شهوده ويربكهم بل لينير أذهانهم ويوضح لهم القوى الغامضة التي تحيط بهم من كل جهة من جهات الطبيعة ثم تسخير تلك القوى لاجل زيادة الهناءة والرخاء . وقد أزف اليوم بل حلَّ فعلاً الوقت الذي فيهِ يقوم العالم الكيماوي بتغذيتنا وكسائنا وتدفئة بيوتنا وانارتها وامدادنا بالوقود الضروري للآلات التي نستخدمها في انتقالنا والتي تقوم بحاجاتنا اليومية الضرورية

وقد جاءنا النبأ الذي فحواهُ ان العلماء قد افلحوا في تحويل نشارة الخشب الى غذاء في الوقت الذي ورد فيهِ تقرير من المانيا يؤخذ منهُ ان معمل تحليل كيماوي شرع في صنع ملابس من صفائح رقيقة من معدن الاليومنيوم لتحلَّ محل الصوف والقطن

وابلغ الدكتور ورن إملي احد علماء مصلحة المقاييس بالولايات المتحدة فريقاً من أعضاء الجمعية الامريكية الكيماوية ان ليموناده مصنوعة من قشور الفول السوداني والنخالة ستظهر في السوق قريباً ، ولا يحول دون ظهورها حالاً سوى ضرورة وضع اسم مختصر لها بدل الاسم الذي سموها وقتيًّا بهِ وهو xylotrihydroxglutaric acid وقد صنع الدكتور لنش الموظف بمصلحة الانتفاع بالمواد المهملة بالولايات المتحدة حريراً صناعيًّا من قشور الفول السوداني

وهناك مئات من علماء الكيمياء في العالم يشتغلون في تحويل المواد العاطلة المهملة الى

---

(١) هو جيمس باسيت الكيماوي الفرنسوي والمقصود هنا صنع حجارة كبيرة من الماس لان الكيماوي الفرنسي مواسان كان اول من حقق المبدأ الذي يصنع به الماس من الفحم ولكن الالماس الذي صنعه كان ذريرات دقيقة

اشياء نافعة للجنس البشري . فجدير بنا ان نسميهم « سحرة العلم الحديث » ومنهم شاب من جزائر الفيليبين اسمهُ بالينغاو اخترع منذ زمن غير بعيد مادة تحل محل القطن وقد استخرجهُ من سوق شجر الموز بطريقة تشبه تلميع القطن بالصودا الكاوية حتى يماثل الحرير في لمعانهِ وتقوم الطريقة المشار اليها بتقشير السيلولوز المحيط بالالياف فتصير بيضاء ناصعة صالحة للنسج من غير غزل سابق. ثم ان مقادير عظيمة من سوق النباتات في الاقاليم التي تزرع فيها الحبوب في الولايات الوسطى الغربية من جمهورية الولايات المتحدة حيث لا توجد غابات تحوَّل الآن الى خشب صناعي بها وذلك بلصق الالياف بعضها ببعض حتى يتكوَّن منها الياف طويلة

وفي معمل التحليل الكيماوي الخاص بمصلحة مناجم الولايات المتحدة بمدينة بتسبرج قد استخلصوا ثلاثة جالونات ونيفاً من الشمع الخام وذلك من طن واحد من الفحم الحجري المستخرج من مناجم ولاية يوتاه. وكانوا في بدء الامر قد استغلّوا اثنين وثلاثين جالوناً من القطران من الفحم الحجري ثم اسفرت التجارب التالية عن استخراج احد عشر في المائة من الشمع الخام . وقد اعلن العلماء الكيماويون الذين اكتشفوا ذلك أن مقادير كبيرة من الشمع الخام لا تقل جودة عن المادة التي تستعمل الآن في شمع الاضاءة يمكن استخراجها من القطران بقليل من التعب

ومن غريب ما روي ان عصفوراً غريباً قد علَّم الصناع الانكليز في غويانا البريطانية كيفية الحصول على مادة تستعمل بدل القطن ،وذلك من نبات عديم النفع اذ كانوا يرون الطائر وهو يبنى عُشَّهُ بمواد اشبه بالقطن فثبت بالفحص ان الطائر اخذها من نبات آخر وعالجها طبق المرام

وجاء الباحثون ببذور ذلك النبات وجذورهِ الى انكلترا منذ ثماني سنين فأصبح الآن ما ينتج منهُ يتراوح بين ثلاثة ملايين رطل واربعة ملايين رطل من هذا القطن الصناعي الذي يزرع في ولايتي اسكس وصسكس وهما الولايتان اللتان لم تصلح فيها زراعة الخضراوات على الاطلاق قبلا . ولم يكتفِ ولاة الامور بالانتفاع باراضي تينك الولايتين على ذلك الاسلوب بل يقال ان القطن الصناعي الذي يستغلُّ منهما جيد كالقطن الطبيعي وارخص منهُ ١٦ مليماً في كل رطل انكليزي

اما مسألة تحويل نشارة الخشب الى طعام وهي من اغرب الامثلة الكيماوية على الانتفاع بالمواد المهملة فقد تمت بطريقة هينة تقوم باضافة ذرة واحدة من الماء الى ذرة واحدة من السيلولوز. وهذه باضافتها الى الالياف الخشبية تؤلف منها المادة الاصلية المكونة للخشب

وقد عرف العلماء هذا التفاعل الكيماوي من قرن ونيف ولكن لم تحقَّق الفكرة حتى قيض الله لها عالمين المانيين . ومقدار الخشب في النشارة قد يبلغ ٤٠ في المائة منها تذهب هدراً فيتسنى تحويله الى علف للمواشي وربما الى غذاء للناس — على ان هذه الفكرة لم تخطر ببال أحد قبلهما

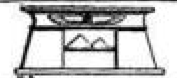
ولم يفقه علماء الكيمياء الحديثة الاَّ اخيراً ان أعشاب البحر التي تنبت على سواحله يستطاع تحويلها الى تبر وذلك بطريقة غير مباشرة طبعاً

وقد أنشئت حديثاً في اميركا صناعة كبيرة للانتفاع بتلك الاعشاب البحرية لأنهُ قد ظهر للعلماء احتواؤها على خواص تشبه خواص النشاء والصمغ العربي . وفي الواقع أن خواصها الغروية تفوق النشاء جودة لانها الصق من النشاء اربع عشرة مرة والزق من الصمغ العربي سبعاً وثلاثين مرة — وقد تصلح لتصميغ القماش اكثر من النشاء فيصير القماش بواسطتها اصفق منهُ اذا نشّي بالنشاء واشد منهُ مرونة بدل تخشبه من النشاء العادي

ويتكهن علماء الكيمياء أنها ستصلح للصباغة وطبع الالوان وربما للخلط ببعض الاغذية وبناء على ما تقدم ترى علماء الكيمياء لا يكفّون عن التجارب في معامل التحليل التي تعدُّ بالمئات للانتفاع بالمواد المهملة التي لا ينتفع منها الخلق بتاتاً . ورب معترض يقول اننا ما برحنا نرى ركام الفضلات كثيرة في انحاء العالم فنجيب المعترض أن المسألة خطيرة فانها تتطلب نقل المواد الى المصانع ثم نقلها من المصانع الى الاسواق وربما لا يستفيد الناس الفائدة المرجوة من الفضلات الاَّ اذا تحولت الى اشياء نافعة تروج في الاسواق وينتج منها ربح للمصانع التي تنتجها

مثال ذلك الخشب الصناعي الذي يتخذ من سوق النباتات في الولايات الغربية الوسطى من الولايات المتحدة فانهُ يستعمل في الجهات الخالية من الشجر والتي تزرع فيها الحنطة حيث كان السكان مضطرين الى جلب الخشب الطبيعي من بلدان قاصية بنفقات باهظة — فاستغنوا عنهُ بذلك الخشب الصناعي . وبالاخص اذا انخفضت اسعاره حتى تصبح كأثمان الخشب الطبيعي في بلدانه التي يقطع منها

والعلماء من وجهة اخرى ليسوا تجاراً وانما هم لحسن الحظ يشتغلون لاجل الانسانية فيواصلون مباحثهم وتجاربهم الكيماوية غاضّين النظر عن الصعاب التجارية التي قد تصادفهم فيثبون كذلك قنطرة تصل بين المعمل العلمي والمعمل الصناعي الذي يخرج للناس ما يحتاجون اليه في حياتهم اليومية . اه عن مجلة العلم العام الاميركية



اشعة من الماضي السحيق

تاريخ البشرية المادي

في عهد الطفولة

يصعب على العامة عندنا وانصاف المستنيرين ادراك أبعد مما يقع عليه ابصارهم كل يوم في هذا العالم . فهم يحسبون الكون موجوداً على حالته الراهنة منذ البداية . وللعامة عذرها ، ولانصاف المستنيرين عذرهم . فقد يكون لاستغلاق عبارات العلم على الافهام عند الآخرين عذر مقبول ، كما قد يكون «للبروباجنده » التي تذيعها طائفة خاصة عند الاولين عذر كذلك . وسواء أصح ان يقوم هذا او ذاك عذراً ام لم يصح فالعذر كل العذر في ان العقول لم تحرر بعدُ من الخرافات القديمة التي يرجع ميراثها الى عشرات آلاف السنين ، والتي لا يزال أثرها مسيطراً حتى على عقول بعض المستنيرين ممن يؤمنون « بنظرية التطور» ولا يقوون على الجهر بها والدعوة اليها

وليست الصعوبة في نشر « نظرية التطور » وتفهّمها او بعبارة أبلغ ليست « رسالة التطور » قاصرة على مصر وحدها بل تتناول بلاداً ارقى مدنية من بلادنا بكثير . ففي امريكا مثلاً تقوم العقبات في سبيل تبليغ هذه الرسالة حيث قد حرمت بعض ولاياتها تلقينها في مدارسها وجامعاتها (وان كانت المحكمة العليا قد قضت ببطلان حكم الولاية في هذا الشان) . وكذلك العامة في كل مكان لا تكاد تقيم وزناً لها . ورغم كل ذلك فالدلائل كلها تدلُّ على ان البشر لا بدَّ ان يعتنقوا هذه الرسالة في زمن قصير

وما دامت القوى التي كوّنت هذا العالم دائبة على عملها بدون انقطاع ولا التفات الى رغبات المتعنتين فلا بدَّ ان يأتي يوم قريب يؤمن فيه كل الناس بما أثبتتهُ المباحث العلمية منذ زمن طويل من ان العالم لم يصغ في هذا القالب الذي نشاهدهُ عليه اليوم . فالحياة قد اتخذت على الارض مثلاً عدة اشكال مختلفة نتيجة لتعاقب التفاعلات الكيماوية . وبذلك تطورت حياة الكائنات البشرية في انظمتها الاجتماعية طبقاً لرقابة الانسان التي بسطها على انتاج الطعام واللباس والمسكن

واول من حمل رسالة التطور الى شعوب الارض هم دارون ، وباشوفن ، ومورغان .

والاخير اول من ادخل الترتيب المنطقي في تاريخ البشرية الاولى اي تاريخ العصور التي تقدمت التاريخ فقد قسمهُ الى ثلاثة عصور «عصر الهمجية» و« عصر البربرية» و« عصر المدنية» . وجعل عصري «الهمجية » و« البربرية » و«عهد الانتقال من البربرية الى عصر المدنية» موضع عنايتهِ . فجاء أكمل تاريخ ، واضبط مرجع . ثم عاد فقسم كل عصر من هذه العصور الى ثلاث مراحل . المرحلة السفلى ، والمرحلة الوسطى ، والمرحلة العليا ، وذلك طبقاً للتقدم في انتاج وسائل القوت. وعند مورغان ان درجة تسلط الانسان على الطبيعة يتوقف على مقدرتهِ الانتاجية لوسائل الحياة . اذ الانسان وحدهُ هو الذي حصل من بين الكائنات الحية على حق الرقابة المطلقة على انتاج الطعام . وان تقدم الانسانية وعصورها الزاهية لتعرف بازمنة الرخاء واليسر في سبل الحياة .وجرياً على تقسيم مورغان لتاريخ البشرية في عهد الطفولة نشرحهُ كالآتي

(١) عصر الهمجية

﴿ المرحلة السفلى ﴾ كانت فيها البشرية في عهد الطفولة . فكان الانسان لا يزال يعيش في محلات اقامتهِ الاصلية : في الغابات الحارة ونصف الحارة حيث عاش زمناً طويلاً فوق الاشجار اذ بهذه الوسيلة وحدها كان يمكنهُ ان يتقي هجمات الحيوانات المفترسة الكبيرة .وكان طعامهُ الفاكهة والبندق والجذور .ومن آثار نتائج هذا العهد المهمة تكوين الكلمات المنطوقة. ولا تعرف امة واحدة من الامم المعروفة في التاريخ يتصل تاريخها بهذا العهد

وحيث ان نظرية تسلسل الانسان من المملكة الحيوانية قد اصبحت مقبولة ولاغبار عليها ، فلا مفرَّ بعد ذلك من قبول هذا الرأي وانهُ امتدَّ الى آلاف السنين

﴿ المرحلة الوسطى ﴾ وتبتدىء بابتداء الانسان بالانتفاع بالاسماك ، واستعمال النار وكلاهما يتصل بالآخر لأن السمك لا يساغ اكله بغير استعمال النار . وبهذا النوع من الأطعمة استقلَّ الانسان تمام الاستقلال عن الطقس ومحل الأقامة . حيث اخذ في اتباع مجاري الانهار وشواطئها ، وبذلك انتشر في مساحات متسعةٍ من الارض رغم همجيته . وان انتشاره الواسع في كل القارات ليدلُّ على مدى تغلغله كما ان ميله المستمر للاستكشاف مع حصوله على النار (نتيجة الاحتكاك) خلق نتاجاً جديداً في المناطق التي احتلها في النهاية فاخذ يطبخ الجذور ويخبز في التراب السخن او في افران الارض

وترجع ادوات العصر الحجري الاول Palaeolithic المصنوعة من الحجارة غير المهذبة ولا المحددة الى ذلك العهد ، ولما اكتشف السلاحين الأولين الحربة والنبوت

أضيف القنص الى قائمة طعامهم. (ويظن ان اكل اللحوم البشرية يبتدىء في هذه المرحلة)

﴿ المرحلة العليا ﴾ ابتدأ البشر في هذا العهد باختراع القوس والسهم. ولما كان السهم والوتر والقوس ادوات معقدة استلزم اختراعها عدة تجارب وقوى عقلية متفوقة. اذ الوصول الى اختراع هذه الأدوات يتطلب الوقوف على اختراعات أخرى . وهذا الاختراع جعل الصيد في هذه المرحلة حرفة عادية كما جعل القنص جزءاً منظماً من اعمال الانسان اليومية

والمقابلة بين الأمم التي تعرف استعمال القوس والسهم والتي لم تعرف فن الفخار بعد (وهو العهد الذي يبدأ بهِ مورغان تاريخ الانتقال الى البربرية) نجدها تشترك في ابتداء سكنى القرى ، ومراقبة الطعام ، والأوعية الخشبية ، ونسج لحاء الاشجار باليد ، وعمل السلال من قصب الغاب واللحاء ، وتحديد الادوات الحجرية . وعلى العموم فأن النار والفأس الحجرية كانتا أداتين للحفر فوجد الانسان هنا وهناك اخشاباً والواحاً لبناء البيوت . وامثال هذه المحسنات وجدت بين هنود امريكا الذين يستعملون السهم والقوس ولا يعلمون شيئاً عن الفخار بعد . والسهم والقوس في العصر الهمجي بمثابة السيف الحديدي عند البرابرة ، والسلاح الناري عند المتمدنين اذ كان سلاح السيادة يومئذ

(٢) عصر البربرية

﴿ المرحلة السفلى ﴾ وتؤرخ هذه المرحلة منذ عهد ادخال فن الفخار . ويرجع اكتشافه لعادة تغطية الخشب او الأوعية بالطين لحفظها من النار . ولم يمض زمن كبير حتى اكتشف ان الطين وحده بدون تغطيتهِ بمادة اخرى يصلح بالنار أن يكون وعاء

والى هذه المرحلة يمكننا أن نعتبر سير التطور على العموم في كل الامم لعصر ما بدون الرجوع الى محل اقامتها . ولكننا ابتداء من البربرية نصل الى مرحلة تتأثر بالاختلاف في موارد الارض الطبيعية . ولا يمكن بعدها للتطور أن يطرد مع كل الامم التي تسكن البقاع المختلفة على السواء . والعلامات الظاهرة في مرحلة البربرية هي تدجين الحيوانات وتحسينها وزراعة النباتات. فقد كان جزء الارض الشرقي المسمى بالدنيا القديمة يحتوي تقريباً على كل الحيوانات الأليفة وعلى كل انواع الحبوب الزراعية لمـا كانت القارة الغربية امريكا لا تعرف الأحيوان اللاما الأليف ونبات القمح وهو احسن انواع الحبوب . ومنذ ذلك الحين صيّر اختلاف الطبيعة اهالي كل منطقة مختلفين عن اهالي المنطقة الاخرى. وبذلك اختلفت العلامات المميزة لكل مرحلة من المراحل التي جاءت بعد

﴿ المرحلة الوسطى ﴾ وقد ابتدأت في الشرق بتدجين الحيوانات ، وفي الغرب

بزراعة نباتات الطعام وريّها ، وكذا باستعمال الطوب المجفّف في الشمس والحجارة للبناء (وحتى غزو اوربا للقارة الغربية لم تكن امريكا قد خرجت بعد من هـذه المرحلة) فقد كان الهنود الذين يسكنون شرق المسسيبي في مرحلة البربرية السفلى يزرعون على مساحات صغيرة في حدائق القمح والبطيخ وبعض نباتات الجنائن . وكانوا يعيشون في بيوت خشبية وعزب مسيّجة. اما قبائل الشمال الغربي وعلى الخصوص أولئك الذين كانوا في المنطقة التي على طول نهر كولومبيا فقد كانوا لايزالون في مرحلة الهمجية العليا . يجهلون الفخّار وزراعة اي نبات على الاطلاق وكان هنود البوبلو Pueblo في المكسيك الجديدة والمكسيكيون وامريكيو اميركا الوسطى والبروفيون Peruvians في مرحلة البربرية الوسطى . فقد كانوا يعيشون في بيوت اشبه بالحصون مصنوعة من الحجارة . ويزرعون الحنطة ونباتات اخرى تتفق مع الطقس والمكان ويروون الحدائق ريًّا صناعيًّا ويحتفظون ببعض الحيوانات ألا ليفة فقد وجد عندهم الديك الرومي وبعض الطيور الأخرى وكذا حيوان اللاما . وكانوا يستعملون المعادن — ما عدا الحديد . ولذا لم يكن في مقدورهم السير بدون اسلحة وادوات من الحجارة

واما في الشرق فتبدأ مرحلة البربرية الوسطى بتدجين الحيوانات اللبونة وذات اللحم بينما يظهر أن زراعة النباتات بقيت مجهولة مدة طويلة في هذه المرحلة كما يظهر أن تدجين الحيوانات وتحسينها وتكوين قطعان كبيرة منها هو الذي فصل الآريين والساميين عن باقي البرابرة فلم تزل اسماء الحيوانات مشتركة بين لغات الاوروبين ولغات الآريين الاسيويين بينما لايوجد هذا في اسماء النباتات

وقد دعا تكوين القطعان في البلدان الغنية الى الحياة البدوية كما كانت الحال مع الساميين في سهول الفرات والدجلة ومع الآريين في سهول الهند والدن والدنير والمفروض ان تدجين الحيوانات قد تمّ مبدئياً على ضفاف انهر مثل اراضي هذه المراعي

وربما يرجع تقدم الآريين والساميين الى طعام اللبن واللحم. وبالاخص الى تأثير مثل هذا الطعام في نمو الاطفال . ومما يستوقف النظر ان هنود البوبلو الذين يسكنون المكسيك الجديدة كانوا يعيشون في الغالب على الأغذية النباتية وكان لهم دماغ اصغر من دماغ الهنود في المرحلة السفلى للبربرية ممن يأكلون اللحم والاسماك . وعلى اي حال فان اكل اللحوم البشرية ابتدأ يختفي تدريجيًّا في هذه المرحلة (وبالطبع لن يسلم بهذا جماعة النباتيين . ونحن نسلم بأن الغذاء ليس هو العامل الجوهري الوحيد في تقدم الاجناس . بل ان للوسط كذلك اثراً كبيراً في هذا التقدم)

﴿ المرحلة العليا ﴾ وتبدأ بصهر معدن الحديد والخروج الى المدنية باختراع حروف الكتابة والانتفاع بها في التحرير والتدوين. وهذه المرحلة مرحلة ابطال الاغريق والقبائل الايطالية قبل انشاء روما بقليل

وفيها نرى لاول مرة المحراث الحديدي تجرُّهُ الحيوانات مما جعل الزراعة ممكنة على مساحات واسعة في الحقول . ونتج عن ذلك كشف الغابات وجعلها ارضاً زراعيّة ومراعي — ومثل هذه العملية لا يمكن ان تقوم على مساحات واسعة بدون مساعدة الفأس والشفرة الحديديتين — وطبيعي ان امثال هذه التحسينات قد انتجت زيادة سريعة في عدد السكان اذ احتشد عدد كبير منهم في مساحات ضيقة . وقبل زمن زراعة الحقول كان في الامكان الجمع بين نصف مليون من الناس تحت ادارة واحدة مركزية بشرط صلاحية الاحوال . وهذا لم يكن ميسوراً في كثير من الحالات

وأبلغ وصف للمرحلة العليا البربرية موجود في اشعار هوميروس وعلى الخصوص في الالياذة . فانت تقرأ فيها عن الادوات الحديدية المحسنة ، والمنفاخ ، وطاحونة اليد ، والعجلة ، وتجهيز الزيت والخمر ، والعربة ، وبناء السفن ذات الالواح والدسر ، والشروع في البناء الفني ، والمدن المسيّجة بالاسوار وذات القلاع الخ . مما نقل الاغريق من البربرية الى المدنية . وبمقارنة هذا بالوصف الذي اعطاهُ « قيصر » و « تاسيتس » وقد كانا في ابتداء عهد التطور الذي كان يستعد فيهِ الاغريق لمغادرتهِ الى عهد اسمى ، ندرك مقدار ثروة التقدم الانتاجية في مرحلة البربرية العليا

(٣) عصر المدنية

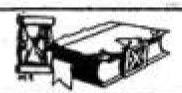
اما عصر المدنية ومراحلها فليس موضوعهُ هذا المقال وهو منشور بين ايدي الطلبة في كل مكان . ويمكن تلخيص العصور المتقدمة كما يأتي :

﴿ عصر الهمجية ﴾ عصر سيادة الملكية للانتاجات الطبيعية حيث ابتدع الانسان الادوات الرئيسية النافعة والمسهلة لهذه الملكية

﴿ عصر البربرية ﴾ عصر تدجين الحيوانات وترقيتها ، ومعرفة الزراعة ، والاستزادة في تعرّف الاساليب الجديدة لزيادة الانتاج الطبعي

﴿ عصر المدنية ﴾ عصر الانتفاع الواسع بالمحصولات الطبيعية ، والصناعة ، والفن ولعل في هذا الشرح الكفاية

محمود حسني العرابي



المجمع اللغوي المصري

قد لا يصدر هذا الجزء من المقتطف ويتداوله ايدي قرائه حتى تكون الوزارة المصرية قد خطت خطوة علمية كبيرة بانشاء المجمع اللغوي المصري . فلدى معالي وزير المعارف المصرية الهمام الاستاذ احمد لطفي السيد بك مشروع كامل لانشاء هذا المجمع لا ينقصهُ الاّ موافقة الوزارة عليهِ وصدور المرسوم العالي بهِ . فيصبح المجمع حينئذٍ دائرة من دوائر الحكومة المصرية تشرف عليهِ وزارة المعارف مع استقلالهِ في ادارة العمل الذي يتفرغ لهُ . ويصير عملهُ مستمرًّا تنتظر منهُ الفائدة التي ترجى من عمل جدي مستمر ، فلا يكون نصيبهُ بعد ذلك ما كان نصيب سابقيهِ — هبة وهبّة . ويقيننا ان الحكومة لا بدَّ ان تعنى بجعلهِ بعيداً عن منازع السياسة حتى لا تعبث بهِ اهواؤها

واول عمل يباشرهُ هـذا المجمع هو اقرار النهج الذي ينهجهُ في نقل المصطلحات المستحدثة في فروع المعرفة وابواب العمران على اختلافها . وليس لنا ان نتكهن بذلك قبل اقرارهِ . ولكننا نرى ان القواعد العامة التي وضعها منشيء هذه المجلة المرحوم الدكتور صروف في مقالتهِ « اسلوبنا في الترجمة والتعريب » المنشورة في مقتطف مايو سنة ١٩٢٧ وهي قريبة من المذكرة التي رفعها الى المجمع اللغوي الذي انشيء في اثناء الحرب الكبرى وظل يوالي اجتماعاتهِ في دار الكتب المصرية الى سنة ١٩١٩ واقرها ذلك المجمع بعد مناقشة دامت نحو سنةٍ تقريباً ، والقواعد التي يشير اليها الاستاذ انيس الخوري المقدسي استاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية في مقالهِ المنشور في صفحة ٢٧٠ وما يليها من هذا الجزء ، والمبادىء التي سار عليهـا الدكتور محمد شرف في وضع معجمهِ العلمي الانكليزي العربي ، هي الاصول التي ينتظر ان يتخذها المجمع اساساً للنهج الذي يقرّهُ

والغاية الاولى من تأليفهِ هي وضع معجم عربي حديث مرتب على مناهج المعاجم الغربية محتوياً على اوضاع عربية لمستحدثات العلم والصناعة والاجتماع

ولما كان انشاء المجمع من اعمال الحكومة المصرية فانا لا نرى سبيلاً الى اشتراك علماء سورية والعراق والمغرب في اعمالهِ اشتراكاً فعليًّا لاسباب كثيرة اهمها تعذر حضورهم كل جلسات المجمع وتحملهم تبعة قراراتهِ لان المجمع كما قلنا ينتظر ان يكون مصلحة دائمة من

مصالح الحكومة المصرية فلا بدَّ من ان تكون اجتماعاتهُ متوالية وقد لا يخلو اجتماع منها من قرار لغوي خطير. واذا قيل لا بدَّ من الاشتراك في وضع المصطلحات المستحدثة حتى تعمَّ كل الاقطار العربية قلنا ان ذلك متعذرٌ وافضل منهُ ان يترك المجمع المصري يضع المصطلحات كما يرى وضعها فاذا كانت صالحة للبقاء واذا كان الكتّاب الذين تنجبهم الامة المصرية والنازلين بين ظهرانيها اعلاماً بين الكتّاب ، وصحفها زعيمة بين الصحف العربية سارت مصطلحات المجمع المصري في مشارق الاقطار العربية ومغاربها وقبسها اهل الشام وفلسطين والعراق والحجاز واليمن والمغرب الاقصى والمهاجر الاميركية وسواها. كذلك كان تنازع البقاء من قبل ولا يزال . فقد كانت اللهجات العربية في الجزيرة العربية قبل الاسلام تختلف احداها عن الاخرى اختلافاً كبيراً قبلما ظهرت قبيلة قريش على سواها من القبائل. فلما نزل القرآن الكريم عليها سادت لهجتها العربية سائر اللهجات. وقديماً قال فيلسوف العرب الاجتماعي ابن خلدون « الامم المغلوبة تتبع الامم الغالبة » وليس المراد هنا الغالبة بالسيف بل الغالبة بالحضارة والثقافة

ولما كان المجمع مصريًّا فالمرجَّح بل المؤكد ان تستعمَل كل المصطلحات التي يقرّها في المدارس المصرية والصحف المصرية ونشرات الحكومة المصرية فتكون هذه المنشآت سبيل المجمع لنشر مقرّراتهِ بين ابناء الضاد

وهذا الاستقلال بانشاء المجمع اللغوي المصري لا ينفي تعاون اعضائهِ مع علماء البلدان العربية واساتيذ المعاهد العلمية على اختيار اصح الالفاظ واقرب الاوضاع الى اساليب العرب وخصوصاً علماء البلدان التي شاعت فيها قديماً اللغات الساميَّة المختلفة وهي تمتُّ بصلة القربى الى اللغة العربية فتصحُّ استعارة بعض الالفاظ او الاصول اللغوية منها لتعريب بعض الاوضاع العلمية الحديثة كما استعيرت الاصول اليونانية واللاتينية في تكوين اللغة العلمية الشائعة في اكثر لغات الافرنجة

ولا ندري ما يستغرقهُ المجمع من الوقت في وضع هذا المعجم ولكننا نأمل بعد ذلك ان يباشر وضع معجم افرنجي عربي من قبيل المعجم الذي عني بوضعهِ الدكتور شرف او ان يتخذ معجم الدكتور شرف اساساً يدخل التعديل والتصحيح عليهِ ويعتمدهُ

هذا ونرجو ان تكون حياة هذا المجمع حياة حافلة بجليل الاعمال ولا غرو فجلالة مليك البلاد يحوطهُ بعطفهِ السامي ومعالي وزير المعارف يكلؤهُ بعنايتهِ ويوفر لهُ كل اسباب التقدم والنماء وحاجة البلاد الى عملهِ كبيرة

التجسس والجواسيس

صفحة مطوية من مقدمات الحرب الكبرى

لوليم لوكيو

(بقية المنشور في الجزء السابق)

والذين لم يتح لهم ان يلقوني في ذلك اليوم ليعبّروا عن شكرهم لي شفاهاً عبّروا عنهُ كتابة . وكان بين الكتب التي جاءتني كتاب من اللورد روبرتس هذه ترجمتهُ : —

« قصر بورتلند رقم ٤٧ ، لندن « في ٢٢ اغسطس ١٩٠٦

« عزيزي المستر لوكيو

« أعيد اليك بمزيد الشكر الاوراق الملحقة بكتابك المؤرّخ في ٢ اغسطس الجاري

« يظهر لي ان الخطّة الخيالية قد استوفت قسطها من التدبُّر والتأمُّل فجاءت قرينة الصواب وغاية في الاتقان والإحكام . لانها تمثّل الخطر العظيم الذي نستهدف لهُ ، اذا انتهزت احدى دول اوربا (يريد المانيا) فرصة غياب اسطولنا او ضعفهُ الموقّت وانزلت جيشها على سواحل بلادنا

« ان الاحتفاظ بعدد كاف من الجنود الحسنة التدريب والتنظيم والجيش الاحتياطي يطلق للاسطول عنان الهجوم وحماية تجارتنا البحرية ويمكّننا من ارسال النجدات الى مستعمراتنا والذود عن بيضة الامبراطورية البريطانية وصيانة مصالحها

« فأتمنى لك والحالة هذه نجاحاً تامّاً في سعيك المتواصل لإقناع اهل هذه البلاد بان حراسة امبراطورية لا تغيب الشمس عن املاكها تقتضي قوة دفاع مطابقة لعظمتها وسعتها وغزارة منافعها على اختلاف انواعها . وانهم إن لم يبذلوا ما عزّ وهان في هذا السبيل خسروا ما ربحهُ اجدادهم « المخلص روبرتس »

ولم يقلّ مجموع كتب التهنئة التي وردت عليَّ من اعاظم الامة واكابرها عن الثلثين حتى خيّل اليَّ ان انكلترة كادت تستيقظ من سبات الغفلة والاهمال !

ولم البث بعد ذلك ان دُعيتُ مع اللورد روبرتس لحضور اجتماع انعقد بسعي غرفة لندن التجارية للنظر في الدفاع الوطني وقد رأسهُ محافظ لندن . وكان الفيلد مارشال

روبرتس قد صرّح في مجلس الاعيان بأنّ وسائل الدفاع عندنا ، من جيوش واساطيل هي الآن ، كما كانت سنة ١٨٩٦ ، ناقصة وغير مستوفية شروط التأهب والاستعداد. قال:—

« قصارى ما تبتغيه الامة عموماً والذين يضعون مصالحها نصب اعينهم خصوصاً ، السلم والامان ، لا من حرب فعلية فقط بل من المخاوف والاراجيف . وبعلء الاسف اقول ان اماناً كهذا لا يمكن تحقيقهُ بسياسة الموادعة والمسالمة كما يزعم بعضنا ويحاولون حملنا على تصديق زعمهم هذا . فالوقاية الحقيقية تتم بان يكون جيشنا المسلح دائماً على قدم الاستعداد لدفع الطوارىء حتى لا يكون في مصلحة احدى الدول ان تغامر بشهر الحرب علينا »

وبهذه الخطبة البليغة المفعمة بروح الحماسة والحمية حثهم على وجوب ايقاظ الامة من غفلتها لتتدارك الخطر المحدق بها . واصابت الديلي ميل بنشر قصة « الغزوة » نجاحاً كبيراً من حيث زيادة سعة الانتشار وسرعة الرواج . واعانت مطالعتها على هياج الخواطر وتنبيه الافكار . وتعرّض لها غير واحد من جهابذة النقد فكدموا كلهم في غير مكدم اذ لم يجدوا لانتقاد خطة الهجوم الخيالية من مطمع ولا مغنم لانها مرسومة بيد ابرع رجل في وضع الخطط الحربية . وذاع صيتها خارج انكلترة واستطارت شهرتها في كل مكان حتى انها ترجمت الى سبع وعشرين لغة . وسرّني جدًّا اني نلتُ مرادي من تنبيه الامة البريطانية وغيرها من الامم الى الصداقة المزيفة التي يدّعيها القيصر زوراً وبهتاناً

ورأى اصدقائي اننا منساقون الى الحرب وان النجاح الذي نلتهُ في تصنيف القصة بلغ اقصى مداهُ لكنّ نتيجتها جاءت على خلاف المراد

فقد طالعها اهل العالم كافة والموا غاية الالمام بمشاهد غزو سواحلنا والمعارك الدموية التي دارت رحاها في اسكس ولانكاشير ويوركشير وزحف العدوّ على لندن . وكانوا عند الفراغ من المطالعة يطوون الكتاب ويضعونهُ جانباً ومع تسليمهم بان القصة ابتكار خياليّ يهيج الخواطر ويستفزّ الافكار ، ويعدّونني جول فرن الثاني !

واتفق بعد ذلك اني بينا كنتُ في نابولي اخذت كتاباً من وكيلي في لندن يقول فيه ان رجلاً المانيًّا زارهُ وعرض ان يشتري حق ترجمة القصة الى اللغة الالمانية . فاجبتهُ تلغرافيًّا بالقبول مهنئاً نفسي بان اعداءنا انفسهم سوف يتحققون ان هجومهم علينا لن يقترن بسوى الخيبة والخسارة

وماكان اعظم ارتماضي واضطرابي عند ما اطلعت ، بعد ستة اشهر ، على ترجمة قصة « الغزوة » باللغة الالمانية ، مزدانة بالرسوم والاشكال ومختومة بنتيجة تضمن لالمانيا نجاح هجومها علينا وفيها صور غزو الجيش الالماني للندن وامعانه في السلب والنهب !

وشرٌّ من هذا وذاك انهم عُنوا بتجليد هـذه النسخة وتذهيبها وتوزيعها جوائزَ على تلاميذ مدارسهم !

فأخذ مني الغيظ والحنق كلَّ مأخذ ومن فوري ذهبت الى مكتب جريدة الديلي ميل ودخلتُ على اللورد نورثكلف وقلتُ لهُ وشرر الاستياء والامتعاض يتطاير من عينيَّ : —

« إني بموجب الشريعة الانكليزية انكليزي واحبُّ انكلترة ولكنيّ من ابٍ فرنسيٍ فانا فرنسيٌ أيضاً واشكر الله على ذلك ! »

وكان مفطوراً على الحلم وطول الاناة فغضَّ النظر عن هذه الكلمات الفظَّة الجافيَة وتلقاني بالصبر وسعة الصدر ودعاني لقضاء يوم الاحد معهُ في قصرهِ خارج لندن

واتضح لي بعد التأمل اننا لم نحرز تقدماً جديداً في سبيل استفزاز الجمهور . ولولا اللورد روبرتس واللورد نورثكلف والمستر لويد جورج واللورد تشارلس برسفورد وغيرهم من اصدقائي الاوفياء لكدت اعدل عما عقدت عزمي عليهِ ووجهت كل التفاتي اليهِ ولكن بعد ما أشمّرتُ عن ساعد الجد في سبيل غرضٍ إنما كان واضع ادراكهُ نصب عينيَّ لا يسهل عليَّ ان اتخلى عنهُ وارضى من الغنيمة بالاياب . والمبلغ الباهظ الذي تناولتهُ على تأليف قصة « الغزوة » لم البث ان انفقتهُ على اسفاري في اوربا كجاسوس او مخبر سريّ لانكلترة

انفقت مالي بسعة وسرور غير مكترث لشيء سوى تسقط الأخبار التي يهمُّ بريطانيا العظمى الوقوف عليها . فكنتُ الرجل الانكليزيَّ الوحيد الذي تمكّن من الدخول الى مصنع « ارازدت » في « دسلدورف » حيث كانوا يصنعون المدافع الضخمة البعيدة المرمى . دخلتهُ متنكراً وقد خفيت معرفتي عليهم لاني بسطتُ يدي في الرشوة التي تعمي العيون وتقطع الالسنة

وجميع الأنباء السرية التي تسقطتها في سفراتي ومغامراتي أودعت سجلات وزارة الحربية ولم تلقَ من يأبهُ لها او يعنى بشأنها لأن اللورد روبرتس كان قد استقال وباستقالتهِ أهملت الحكومة هذا الموضوع الخطير وضربت عنهُ صفحاً

او ليس من الغرابة بمكان — كما جاء في مقالة نشرتها الديلي ميل مؤخراً لبعض الكتّاب — ان قصة « الغزوة » المكتوبة قبل الحرب الكبرى بخمس سنين ، لم تقتصر على تقديرِ معركةِ جوتلند البحرية بل وصفت كثيراً من المدرّعات التي غرقت فيها وانبأت بغرقها وكذلك قدرت إطلاق المدافع على سكاربورو وذكرت بعض البيوت التي اصابتها قذائف المدافع باسمائها !

وفي ذات يوم من شهر سبتمبر سنة ١٩١٠ جاءتني بطاقة من الجنرال السر الفرد ترنر يقول فيها انهُ شديد الاعجاب بمحبتي لوطني ويدعوني لتناول العشاء عنده . فقبلت الدعوة وذهبت ولما وصلت دهشت اذ وجدت بين المدعوين سفير المانيا ومستشار السفارة والملحق العسكريّ والملحق البحريّ فيها وعقائلهم . وبعد تناول العشاء جاست لمسامرة الملحق العسكري فوجه الحديث نحو حملتي القلمية على المانيا وبدعوة منهُ وافيتهُ الى ناديهِ في اليوم التالي لتناول الغداء معهُ فاكرم وفادتي وبالغ في الاحتفاء بي . وفي اثناء الحديث اشار الى مساعيَّ المبذولة في سبيل الانذار والتحذير وقال ضاحكا : « لن تقع حرب بين بلادي وبلادك . فمن الحماقة ان تحاول يا عزيزي المستر لوكيو تحذير شعبك من خطر ليس لعين وجودهِ من اثر . وبهذه الترهات والاراجيف أسأتَ الى نفسك وسودت صحيفة شهرتك . فلماذا لا تقلع عن هذا الغي ؟ لا نروم مخاصمة امتك ولسنا نجهل انك تعمل ما تظنهُ واجباً عليك »

« لستُ اظنّهُ بل اراهُ بعين اليقين واجباً عليَّ »

« إنك ككاتب يهمّك ان تنشر ما يصبو القرّاء الى مطالعتهِ وهذا الغرض يسهل عليك ادراكه بنشر ما يكون في مصلحة المانيا . ونحن ان فعلت ذلك نعرف لك هذا الجميل العظيم ونحسن جزاءك » . فكدتُ اتميّز من شدّة الاستياء واسمعتُهُ كلاماً احدَّ من طعن السنان وقفلتُ راجعاً على الأثر . وقد ذكرتُ هذا مثالاً للطرق التي كانت ادارة الشرطة السريّة في المانيا تستخدمها بواسطة جواسيسها لكمّ فمي وكسر قلمي

ومن امثلة ذلك ان شركة نور دتشلر لويد في برمن عرضت عليَّ السفر حول الارض في احدى بواخرها مجاناً فازور المستعمرات الالمانية واصف كل ما اراهُ فيها . ومنها ان اقطاب السياسة الالمانيين في الاستانة وبلغراد وغيرها من عواصم ممالك البلقان كانوا على الدوام يبالغون في تملّقي وملاطفتي ويلمحون الى رغبتهم في شراء سكوتي بايٍّ ثمن كان هكذا كانوا في يقظة تامة . واما نحن فكنا في اسفل دركات الغفلة والتهاون

ومن ادلة غفلتنا اني كنتُ ذات يوم من شهر اغسطس سنة ١٩١٣ — قبل الحرب بسنة — اجوّل في شارع قرية في سوثبورو ومعي آلة لتصوير ما يعنّ لي من المناظر والمشاهد . واذا بخمسة وعشرين ضابطاً المانيًّا في ملابس غير رسمية يخترقون سوثبورو راكبين ويتكلمون جهاراً باللغة الالمانية ، باذلين جهدهم في الاستطلاع والاستشراف لمعرفة المواقع ومستعينين بالصور الفوتوغرافية على تعيين الاماكن التي ينصبون فيها المدافع

اي يستعدون لغارة شعواء يشنونها على انكلترة . وفي تلك الليلة عادوا ادراجهم الى لندن حيث أدب لهم السفير الالماني مأدبة فاخرة في « كارلتن هوس »

ولا يخفى ما في عملهم هذا من التعدي علينا والانتهاك لحرمة بلادنا . وكنتُ قد تمكّنتُ من اخذ صورهم وهم يستشرفون ويستطلعون . ومن فوري ذهبتُ بها الى اللورد روبرتس وأريتهُ اياها فثار ثائر غيظهِ واستيائهِ من هذا العمل الفظيع والحّ عليَّ ان اكتب عنهُ في الصحف . فكتبتُ ولكنَّ الصحف على بكرة ابيها ابت ان تنشر شيئاً عن هذا الموضوع وكتب اليَّ واحدٌ من اربابها يقول لي اني مأفون مجنون !

وقد تبين بالادلة المقنعة ان الالمان تعمدوا غزو تخومنا الشرقية والجنوبية على حين غفلة . وحاولتُ غير مرة ، انا واللورد روبرتس واللورد نورثكلف تحذير الجمهور فلم يعرنا احد اذناً صاغية . وبعد طول التقصّي والتحرّي اتّضح لي ان معظم الفنادق والمنازل على الساحل الشرقي من هَلّ الى فوكستون ، مديروها او اصحابها رجال المانيون . وكلما عرضت حانة للاجار تقدم لها طالب الماني واعلن استعدادهُ لقبول اية شروط يشترطها المالك . وقلما خلا مكتب تلغراف مهم من وجود الماني مقيم في جوارهِ ليقتحمهُ في الوقت المعيّن ويعطّل آلاتهِ

واني أُعيد ما سبقت فقلتهُ من قبل ان جميع الامور التي ذكرتها حقائق راهنة واني اتحدّى كلَّ من تحدّثهُ نفسهُ ان يتعرض لها بطعنٍ او تفنيد ولم آسف على شيء من المشقات والنفقات الباهظة التي كابدتها وتكلفتها في سبيل الحصول عليها لأني بذلت هذا كلهُ علىٰ الرضى والمسرة منساقاً اليهِ بالمحبة الوطنية للبلاد التي فيها وُلدتُ وتحت سمائها دببت وشببت

ومع اننا الآن راتعون في سلام يرفرف علينا بذيولهِ وحواشيهِ ارى في الجو علامات تنذر بنشوب حرب اخرى في مستقبل قريب غير بعيد والكتابة على الحائط ظاهرة امام الذين لهم عيون تبصر ويستطيعون قراءة الكلام وفهم معناهُ ! وفي العالم كلهِ سعي حثيث باشدّ القوى واوسع الخطى لإيقاد حرب اعظم تنكيلاً وتدميراً من الحرب الكبرى الاخيرة — بمركبات هوائية تمطر العباد والبلاد بقذائف التقتيل وغازات سامة وقنابل محشوة بجراثيم الامراض الفاتكة والاوبئة الوبيلة ومواد سريعة الانفجار تفاجيء الارض وسكانها بما لم يسبق لهُ قط نظير من دواهي الاجتياح والاستئصال . وعلى من تشهر هذه الحرب ؟ على بريطانيا العظمى بلا اقل ارتياب

نعم اننا كنّا اقصينا العدو عن بلادنا ولكنهُ عاد اليها راسخ العزم شديد الحول .

وادارة الشحنة السرية او التجسس في المانيا واسعة الانتشار ولها فروع في سائر الاقطار ولاحدَّ لمكايدها وطرق ختلها وخداعها. وهي لا تعف ولا تتورع من تحليل محرم او تدنيس مقدس . وجميع الاحتياطات التي تتخذها سراً لدفع الطوارىء والتأهبات التي نجريها في الخفاء لاتقاء المفاجآت من سفن هوائية وبحرية على اختلاف انواعها واشكالها هذه كلها يقف الالمان في برلين على تفاصيلها وصورها في اقل من اسبوع وتراهم على الدوام يسخرون من فتورنا وغفلتنا ويباهون بانهم يعرفون عن احوالنا السياسية والعسكرية والاجتماعية اكثر جداً مما نعرفهُ نحن .وفي سجلات ادارة الشرطة السرية في برلين الوف من التقارير المطولة المجموعة في اثناء السنين العشرة الاخيرة عن حياة عظماء انكلترا واحوالهم ووصف دورهم وقصورهم التي يعللون انفسهم بنزول جيوشهم فيها يوماً من الايام .وعلاوة على العيون والرقباء الموفدين من قبل ادارة التجسس لهم بيننا طائفة كبيرة من المستوطنين الضاربين باكبر سهم من المكر والدهاء . وهم يدأبون في التدرّب على تسقّط الاخبار واستراق الاسرار ونقلها الى المانيا بطرق خفية مختلفة

وللامة الالمانية في الوقت الحاضر امل كبير بانها تتمكن من مفاجأة لندن والسواحل بضربة قاضية ، لا بالهجوم البحريّ ، بل بجيش لجب يقتحم سواحلنا بعد ما تكون سفن الهواء قد امطرتنا ناراً ذات شرر لا تبقي على اساطيلنا وجيوشنا ولا تذر . وهذا اقولهُ عن علم صحيح واختبار اكيد فلا سبيل على الاطلاق ، لحملي على العدول عنهُ باحدى الطرق . لاني لم انسَ قول المستر مكّنا لنا ان جميع الجواسيس الالمانيين في بلادنا « مُقفل عليهم » وبعد اسبوع قبضوا على عدد كبير منهم وكان نصيب اثنين منهم الموت شنقاً . ولن انسى ما لقيتهُ من العنت على اثر تصريحي بهذه الحقيقة في خطبة القيتها في بوكستن . وبعد هذه الخطبة صدر الامر الى جميع صحف لندن الصباحية والمسائية بعدم الاشارة اليها ! ولما زرت المستر تشارلس بالمر صاحب جريدة « الغلوب » اراني هذا الامر وقال ضاحكاً :

« اليس هذا الامر بنفسهِ يؤيد ادّعاءنا ان بعض جهات الاختصاص الواقعة تحت سلطة يد المانيا الخفية تخاف اشدّ الخوف من هتكك لاستار اسرارها بلا شفقة ولا رحمة ؟ »

وفي الختام اقول اني عملت بما املتهُ عليَّ محبة الوطن وبذلتُ جهدي متفانياً في خدمة بلادي وان تكن هذه الخدمة لم تأتِ لسوء الحظ بالفائدة المبتغاة

ترجمة : اسعد خليل داغر



على اجنحة الريح الى القطبين

موازنة بين ارتياد القطب الشمالي والقطب الجنوبي

بعثتا برد وولكنز واساليب الارتياد الحديثة

لا تكمل سيطرة الانسان على الارض حتى تعنو لهُ القارة المتجمدة الجنوبية وتبيح لهُ اسرارها . وهذا هو الغرض الاسمى الذي من اجلهِ يغامر الروَّاد بحياتهم غير عابئين بالمخاطر التي تحيق بهم والعقبات التي تعترض سبيلهم

في ناحية منزوية من احدى الصحف الاوربية قرأنا النبأ اللاسلكي التالي : «تمكن امس الرائدان ولكنز وايلسن من الطيران ٦٥٠ ميلاً في ست ساعات فوق القارة المتجمدة الجنوبية فاثبتا في اثناء طيرانهما هذا ان ارض غراهام (وهي اقرب انحاء هذه القارة الى طرف اميركا الجنوبية الجنوبي) ليست شبه جزيرة كما كان يظن بل هي جزيرة يفصلها عن القارة المتجمدة الجنوبية مضيق متجمد» .وزادت مجلة ناتشر على ما تقدم ان ما كشفا عنهُ من الحقائق الجيولوجية المتعلقة بتكوين هذه الجزيرة اجلُّ شأناً من الحقيقة الجغرافية التي تقدم ذكرها.ففي ست ساعات تمكن رائدان من روَّاد القرن العشرين ان يحققا اموراً عجز عن تحقيقها جماعات الروَّاد التي سبقتهم الى استكشاف تلك البلدان النائية

وهذا النبأ على ايجازهِ يبين لنا كيف انقلبت اساليب الارتياد في هذا العصر . فقد قضى الكومندر بيري الاميركي خمساً وعشرين سنة يستعدُّ ويحاول الوصول الى القطب الشمالي . ولما بلغهُ سنة ١٩٠٩ واراد الرجوع قضى شهوراً عديدة قبلما اتصل بالبلدان العامرة وقبلما اتيح للامم ان تقف على انباء رحلتهِ في الصحف والكتب .ذلك لان الرائد في العهد السابق كان يعتمد على قوتهِ وقوة بعض رفاقهِ الشجعان فيتجه الى هدفهِ اما سيراً على الاقدام او في مزالق تجرها الكلاب ،معانياً هو ورفاقهُ اهوال الثلج والجليد والزمهرير والجوع ليفوزوا بايضاح حقيقة جغرافية غامضة او ليكشفوا نوعاً جديداً من الحيوان او النبات . وقد مضت خمسة قرون على الارتياد الجغرافي بمعناهُ الحديث لم يبلغ قطبي الارض في اثنائها الا ثلاثة هم بيري الاميركي وامندصن النروجي وسكوت الانكليزي لذلك تحيط باسمائهم هالة من المجد لا يفوز بها كثيرون من العلماء

ولكن المشهد في ميدان الارتياد لا يلبث ان يتغير قليلاً . فتحلُّ الطيارة والبلون

محلٌ المزالج والاقدام . ويصبح في مستطاع الرائد ان يتصل بالعالم المتمدن اتصالاً دائماً مهما يكن مقامهُ نائياً في صحراء قاحلة او على مفازة من الجليد . فالطيارات والبلونات والآلات اللاسلكية غيَّرت اساليب الطيران كلَّ التغير ولكنها لم تجعلها اقلَّ خطراً ولا المصاعب التي يتعرض لها الروَّاد اسهل مراساً ، ولا الصفات التي يجب ان يتصف بها الرائد كالشجاعة والاقدام وضبط النفس والصبر على الشدائد ادنى من صفات سلفهِ

واول رائد مشهور حاول ان يبلغ احد القطبين بالطيارة هو امندصن النروجي (سنة ١٩٢٥) فعجز عن ذلك وهو على ١٦٣ ميلاً جغرافيًّا من القطب الشمالي . وتلاهُ الكومندر برد ففاز بالوصول اليهِ من سبتسبرجن في ٩ مايو سنة ١٩٢٦ على الطيارة جوزفين فورد مع رفيقهِ فلويد بنت . ثم فاز امندصن ونوبلي وصحبهما بالطيران على متن البلون نورج من سبتسبرجن الى الاسكا مارين فوق القطب الشمالي في ١٠ مايو سنة ١٩٢٦ وتلاهم ولكنز وايلسن فطارا بطيارة صغيرة من الاسكا الى سبتسبرجن مارين الى جنوب القطب في ابريل سنة ١٩٢٨ وقبيل وقوع فاجعة البلون «ايطاليا» في السنة الماضية تمكن نوبلي ورفاقهُ من الوصول بهِ الى القطب الشمالي. فترى مما تقدم ان تقدم الطيران مكَّن نحو ثلاثين شخصاً من الوصول الى القطب الشمالي في سنتين مع انهُ انقضت قرون لم يبلغهُ في اثنائها الاَّ رائد واحد

***

ذكرنا في مفتتح هذا المقال بعثة الكبتن ولكنز الاسترالي وما فازت بهِ من المكتشفات الجغرافية والجيولوجية. ولكن في الطرف المقابل للمكان الذي نزلت فيهِ بعثة ولكنز من القارة المتجمدة الجنوبية نزلت بعثة اخرى يقودها الكومندر برد الاميركي بطل الطيران الى القطب الشمالي واجتياز الاتلنتيكي بطيارة ضخمة تحمل اربعة رجال . ومع الكومندر برد نحو ثمانين رجلاً من العلماء والروَّاد وقد انشأوا في خليج الحيتان ببحر رُس بلدة صغيرة ضربوا فيها خيامهم واودعوا فيها طعامهم ومؤونتهم لانهم ينوون ان يبقوا هناك ما يزيد على سنة ليحققوا الغاية من رحلتهم على الوجه العلمي الاتمّ . وقد اخذوا ينشئون مستودعات خمسة بين محطهم الكبير على شاطىء بحر روس والقطب الجنوبي ليضعوا فيها طعاماً ووقوداً وادوية وادوات ميكانيكية حتى اذا اضطرت احدى طياراتهم ان تنزل على الجليد وجدوا على مقربة من مكان نزولها ما يأكلون وما يصطلون بهِ وما يمكنهم من اصلاح الطيارة . ومعهم اربع طيارات احداها كبيرة ضخمة لها ثلاثة محركات مثل الطيارة التي استقلها برد الى اوربا قوة محركاتها الف حصان وفي امكانها ان تنهض بحمل ثقلهُ ستة اطنان الى ١٢ الف قدم. واثنتان خفيفتان مثل الطيارة التي طار بها لندبرغ من نيويورك الى باريس قوة محركات

كلٌّ منها ٤٠٠ حصان ورابعة صغيرة قوة محركها ١١٠ احصنة وغايتهم ان يجعلوا اماكن هذه المستودعات مراكز يطيرون منها بالطيارتين الصغيرتين الى مجاهل الاصقاع المتجمدة ومتى سنحت لهم الفرصة طار بعضهم بالطيارة الكبيرة الى القطب واذا تمكنوا من النزول نزلوا عليهِ لتدوين الارصاد الجوية. فاذا تمَّ هذا الوجه من وجوه الرحلة على ما يرام حاول بعضهم ان يخترقوا القارة المتجمدة الجنوبية من بحر روس الى بحر ودل . كما ترى في الخارطة

وقد صنعت لهم آلات لاسلكية متقنة تمكنهم من ان يبقوا متصلين بها بالعالم المتمدن فيذيعون بها اخبارهم ويتلقون بجهازها المستقبل انباء العمران. فغرضهم كما يتبين ليس الوصول الى القطب الجنوبي فقط بل البحث العلمي الذي يوسع نطاق العلوم الفلكية الجغرافية والجيولوجية والنباتية والحيوانية

***

يتشابه القطبان الشمالي والجنوبي في احوالها الجغرافية . فالشمس تشرق على كلٍّ منها نحو ستة اشهر كل سنة . على ان الظلام بعد غروبها ليس دامساً . والجو يكون غالباً صافي الاديم تلمع من ورائهِ النجوم في الفضاء . وفي ليلة قمراء غير غائمة تستطيع ان ترى شبح رجلٍ مرتدٍ ثوباً اسود وهو على بعد نصف ميل منك واذا كان القمر بين الربع الاول والربع الثالث امكنك ان تراهُ نقطة سوداء وهو على ثلاثة اميال منك او اكثر. فالطيران الليلي في مناطق القطبين اسهل منهُ في اي مكان آخر على سطح الكرة حيث يتعرض الطيَّار للاصطدام بالجبال والآكام واعمدة التلغراف وما اليها

وبرد الجوّ ليس عائقاً من عوائق الطيران ما زالت الطيارة في الجوّ . لان البرد يكثف الهواء قليلاً فيسهل على الطيارة ان تنهض بحمل اكبر من حملها حين تكون طائرة في هواء لطيف . ولكن اذا اصيبت بعطل جعل النزول الى الارض لا مندوحة عنهُ صار البرد من اكبر المصاعب التي يتعرض لها الطيار . لان من يحاول اصلاح طيارة عليهِ ان يتناول اجزاءها الدقيقة باصابعهِ العارية وهذا متعذر على الطيار لانهُ اذا اخرج يديهِ من كفوفهما الكثيفة هرأها البرد . والمرجح لدى علماء الظواهر الجوية ان حرارة الجوّ في القطب الجنوبي اقل من حرارة الجوّ في القطب الشمالي ثلاثين درجة بميزان سنتغراد. ولكن هذا الفرق نظري فقط لان الطيارين الذين يرودون القطب الشمالي يجب ان يرودوهُ في اشد شهورهِ برداً والطيارين الذين يرودون القطب الجنوبي يرودونهُ في اقلّ شهورهِ برداً فتتعادل الكفتان من هذا القبيل

وكل من القطبين المغناطيسيين يبعد عن القطبين الجغرافيين نحو الف ميل وصعوبة استعمال

البوصلة المغناطيسية في الملاحة البحرية والجوية انما هي ناتجة عن فعل القطب المغناطيسي بالبوصلة فيحرف ابرتها ولا فعل للقطب الجغرافي بها . ولما كان كثير من خطوط الملاحة في المنطقة المعتدلة الشمالية قريب من القطب المغناطيسي الشمالي وتستطيع البواخر ان تضبط مواقعها واتجاه سيرها من غير ان تعبأ بفعل القطب المغناطيسي بالبوصلة فالمعقول كذلك ان الطيران في المناطق القطبية يمكن ان يتمَّ من غير نظر الى فعل القطب المغناطيسي بالبوصلة . وقد اثبت طيران برد الى القطب الشمالي وعودتهُ منهُ وطيران ولكنز وايلسن من الاسكا الى سبتسبرجن في السنة الماضية ان الملاحة الجوية يستطاع ضبطها الى اقصى حدود الضبط ولو على مقربة من القطب المغناطيسي . ولذلك ادوات لا محل للتبسط بشرحها هنا

كذلك ترى ان الجليد دائم على القطبين ولكن القطب الشمالي نقطة على سطح البحر والرحلات الجوية الحديثة اثبتت ان لا يابسة تحيط بهِ او على مقربة منهُ . واما القطب الجنوبي ففي مرتفع من الارض والجليد المتراكم يعلو نحو ميلين عن سطح البحر فالهواء هناك لطيف تحتاج معهُ الطيارة الى قوة كبيرة للصعود في الجوّ بعد نزولها الى الارض

هذه بعض وجوه الشبه والاختلاف بين القطبين . على ان هناك وجهاً آخر من وجوه الاختلاف هو اهمها وابعدها اثراً في مستقبل الريادة القطبية

ذلك ان الاصقاع المتجمدة الجنوبية قارة اكبر من استراليا او اوربا . ولكن الاصقاع المتجمدة الشمالية محيط يعرف بالمحيط المتجمد الشمالي . وتسميتهُ بالمحيط ليس الاَّ تجوُّزاً لانهُ في الحقيقة خليج كبير او بحر متوسط بين قارات اميركا واوربا وآسيا كما ترى في الصورة . فالاصقاع المتجمدة الجنوبية اذاً قارة تحيط بها الاوقيانوسات . والاصقاع المتجمدة الشمالية بحر تحيط بهِ القارات . فريادة الاصقاع الشمالية ومعرفة احوال الجوّ فيها ابعد اثراً في العمران لان فوق هذه الاصقاع تمرُّ اقصر الخطوط التي تصل بين اكبر مدن الارض . ولكن اذا اخذت الكرة الارضية ورسمت على سطحها اقصر الخطوط بين استراليا من جهة وجنوب افريقية وجنوب اميركا من جهة اخرى (هذه البلدان هي اقرب البلدان الى القارة المتجمدة الجنوبية) وجدت ان هذه الخطوط لا تلمس القارة المتجمدة الجنوبية بل تمرُّ في البحار التي تحيط بها . لذلك ترى ان ريادة هذه القارة لا شأن لهُ من حيث الملاحة بين القارات المختلفة . فاذا اصبحت الاصقاع المتجمدة الشمالية ممرًّا لخطوط الطيران تمكنت البلونات المسيرة من اختراق الجوّ في خطوط مستقيمة ترسمها بين المدن التي تطير منها واليها . اما الطيارات فتضطر ان تتبع خطوطاً اقلّ استقامة من البلونات لانها لا تستطيع الآن ان تطير مسافات طويلة من غير ان تنزل الى الارض ولذلك يجب ان تقام محاط

مختلفة لها تنزل فيها وهذه المحاط تكون عادة على يابسة لذلك يتعذر ان تكون في خط مستقيم

تثور العواصف في الاصقاع المتجمدة الشمالية والجنوبية حيث تلتقي اليابسة بالبحر لذلك ترى الجوّ حول القطب الشمالي ساكناً في الغالب لان لا يابسة على مقربة منهُ . واما شواطئ القارة المتجمدة الجنوبية فاكثر الاماكن على سطح الارض تعرضاً للعواصف والزوابع . ولكن امندصن اول من وصل الى القطب الجنوبي يقول ان حول القطب يسود سكون تام والمرجح لدى علماء الجغرافية والظواهر الجوية ان بقعة حول القطب الجنوبي لا تقل مساحتها عن الف ميل مربع قلما تعصف فيها ريح صرصر

لذلك يظن ان العمل الذي تقدم لهُ ولكنز وهو ارتياد شواطئ القارة المتجمدة الجنوبية حول بحر ودل من اعظم اعمال الريادة خطراً لشدة العواصف وهياج البحر ولكنهُ اقدم على ذلك ليثبت رأياً عنَّ لهُ وهو ان شاطئ القارة المتجمدة هناك منخفض عن سائر شاطئها ولذلك فالرياح فيهِ قليلة . فاذا صحَّ رأيهُ وتمكن من اتمام عملهِ على ما يروم ملأ فراغاً كبيراً فيما يعرف عن جغرافية تلك النواحي وجيولوجيتها

ولكنَّ القارة المتجمدة الجنوبية لن تكون ملتقى لسبل المواصلات كما تقدم معنا فالمرجح ان جلَّ النتائج التي تسفر عنها مباحث ولكنز وبرد وصحبهما تبقى مطوية في كتب العلم النظرية وقد لا تتعداها الى منطقة العلم العملي. ولكن يجب ان لا تهمل العناية بها لذلك . فالحكومات والجامعات تنفق الوفاً من الجنيهات كلَّ سنة للبحث عن السدم اللولبية التي تبعد عنا مئات الالوف من سني النور . مع انهُ لا ينتظر منها نفع عملي مباشر

على اننا لدى التدقيق نجد ان ريادة القارة المتجمدة الجنوبية قد تنجم عنها قواعد عملية جمة . ذلك ان القارات المتفرعة من القارة المتجمدة الجنوبية اي اميركا الجنوبية وافريقية واستراليا فيها حقول فسيحة ومراعٍ واسعة وقطعان كثيرة ولكنها كلها تعيش على اقل مقدارٍ من الماء يمكنها من المعيشة. فاذا قلَّ هطل المطر في سنة من السنين جفت الارض ومات الزرع والضرع وبات السكان في جوع ومرض. فاذا كان في امكان العلماء ان يقولوا لهؤلاء الزرّاع والفلاحين « السنة القادمة سنة جفاف » اعدَّ هؤلاء عدتهم لها . والمنتظر ان يصبح علماء الظواهر الجوية قادرين على ذلك . ولكنهم لا يستطيعون ان يحققوا شيئاً من هذا في نصف الكرة الجنوبي الاَّ اذا عرفوا معرفة دقيقة احوال الجوّ وتقلباتهِ فوق القارة المتجمدة الجنوبية . هنا نجد الفائدة الاولى من بعثتي برد وولكنز . ولعل ما تجمعانهِ من الحقائق تمكن العلماء من بناء محط للظواهر الجوية في تلك الاصقاع النائية يذيع على متن الامواج اللاسلكية انباء الجوّ وتقلباتهِ



تحدُّر الفلسفة

ومكانة افلاطون

اورد هذا الرسم توطئة « لجمهورية افلاطون » وقد نقلتهُ عن « تاريخ الفلسفة » للعلامة « دورانت » الاميركي . فلا فضل لي في حسناتهِ ، ولا ملام عليَّ في مساويهِ . هذا عذري لدى من ينكر على واضعهِ اغفالهُ اسماء بعض الفلاسفة الذين يحسبونهم جديرين بالذكر. ولو ان الامر راجع اليَّ لآثرت ذكر فيثاغورس على ذكر ديوجينس ، واوغسطينوس على الاكويني

على انهُ لا يراد بهذا الرسم الموازنة بين الفلاسفة ، واثبات التفاضل بين اعلامهم بل يراد بهِ بيانٌ جلي لتحدُّر الفلسفة من اقدم العصور الى الآن ، والحلقات التي تؤلف سلسلة الفلسفة الجميلة في التاريخ ، مع تبيان النسب الفلسفي وعلاقة الخلف بالسلف ، والاتصال بين نوابغ الادهار

وقد اخترت ان اربط ذلك بكتاب « الجمهورية » ، لانهُ خريطة ، وان تكن غير كاملة لتاريخ الفلسفة والفلاسفة في كل العصور. فانهُ يساعد متصفحهُ على تصوُّر النسبة — كليًّا او جزئيًّا — الكائنة بين الفلاسفة باعتبار المذاهب والآراء المقترنة باسمائهم ، والمنتسبة اليهم

يبدأ هذا الرسم في القرن السادس قبل التاريخ المسيحي ، وبعض اسمائهِ قبيل ذلك العهد ، وينتهي في العصر الحاضر . ففي اعلى الرسم خمسة مستطيلات تحتوي على اسماء اربعة من زعماء الفلاسفة ، وهم لوسيبيوس واناكسوغوراس الى اليمين ، وبارمنيدس وهيرقليطس الى اليسار . اما الخامس وهو الاوسط فيحمل بدل اسم الشخص اسم السفسطائيين ، ولم يخص بالذكر منهم غورغياس او غيره من زعمائهم . كما انهُ لم يذكر فيثاغورس امام المذهب الرياضي ، ولاطاليس المليطي جد الفلسفة العظيم

والذي الفت الانظار اليهِ بنوع خاص هو وضع سقراط في عمود السفسطائيين ، كمتسلسل منهم ، على انهُ لو صحَّ ذلك لما كان في الامر من غرابة ، فان لهُ مثلاً في التاريخ كتسلسل بوذه من البراهمة ، والمسيح من اليهود ، ولوثر من الكاثوليك وغيرهم من غيرهم . وجميع الفلاسفة ، بلاخلاف ، يحسبون سقراط بدء سلسلة جديدة من الفلسفة . ومن حلقات تلك

السلسلة افلاطون وارسطوطاليس . وهؤلاء الثلاثة اشهر الفلاسفة الاقدمين في كل العصور ان لم اقل اكثر من ذلك

ولكن افلاطون ليس الوحيد الذي اخذ عن سقراط بل اخذ عنهُ ايضاً

الاقطاب والمذاهب التي خلفوها . على ان سقراط لم يترك اثراً خاصًا ، بقلمهِ . ولا نعرف عنهُ الاَّ ما ورد باقلام افلاطون وارسطوطاليس واضرابهما . واعظم الرواة عن سقراط هو افلاطون ، وقد

اربستيبوس وانتيثينيس ، على ان هذين ليسا خلف سقراط بالمعنى الخاص . بل هما خلف ديمقريطس وهيرقليطس مع اخذهما بعض فلسفتهما عن سقراط . فخلف سقراط الخاص هو افلاطون على ان افلاطون لم ينحصر في التراث الذي تركه

جمهورية افلاطون

قال امرسن حكيم اميركا : الفلسفة هي افلاطون وافلاطون هو الفلسفة . وقال الكاتب دورانت : « الجمهورية » اعلى قمة بلغ النثر في كل عصور التاريخ . وقالت الانسكلوبيذيا البريطانية : « الجمهورية » اعظم كتاب لاعظم مفكر

هذه هي بعض الاقوال في كتاب فريد عنيت ادارة المقتطف باختياره وترجمته الى العربية لاول مرة في التاريخ حتى تهديه الى مشتركيها هذا العام وهذا الفصل مع الرسم المرفق به ديباجة لهذا السفر النفيس تتلوها ترجمة افلاطون ثم فصول « الجمهورية »

والهدية لا ترسل الا للمشتركين الذين سددوا كل ما عليهم لادارة المقتطف

استعار اسمهُ كالمتكلم في كل مؤلفاتهِ ، على النحو الذي اتبعهُ مؤلفو المقامات في الادب العربي . فهل افلاطون خالق سقراط ، او مجرَّد راوٍ يملي علينا ما عرف عن سقراط؟ تلك مسألة لست بالذي يتصدَّى للاجابة عنها، او الدخول في شعاب مباحثها ولكني اقول

لهُ سقراط بل اخذ ايضاً ، كثيراً او قليلاً عن فيثاغورس وامبيدوقليس وبارمنيدس ، واخذ عن غير هؤلاء الاساطين . وعلاوة على كل ذلك فقد اضاف ، ولا بدَّ ، الى ما ورثهُ شيئاً عظيماً . كما هو واضح لمن ارسل نظرة صائبة في تاريخ هؤلاء

استناداً الى ما هو مأثور عنهم انهُ لولا افلاطون لكان ما نعرفهُ عن سقراط ضئيلاً جدًّا . وبهذا الاعتبار يأخذ افلاطون المقام الاول بين الرواة عن سقراط يليهِ اريسطوطاليس وزينون الشهير في العمود الاوسط تستقر الفلسفة

الالهية ، وعنها اخذ اللاهوت المسيحي . وفيها من الحلقات المعتبرة جدًّا اريسطوطاليس ودي كارت وكانت وارباب الشأن في ميدان الفلسفة يقدرون هؤلاء الافذاذ . فليرفع القارئ نظرهُ الى رأس العمود ، فانهُ يرى في رأسهِ — تحت اسم السفسطائيين واسم سقراط — اسم افلاطون العظيم ، كرأس العمود والحلقة الاولى في السلسلة . اما السفسطائيون فلا شأن لنا معهم . واما سقراط ، فمع اننا لم نحسبهُ شخصاً وهميًّا ، ليس ذا أثرٍ كتابي ، ولا فلسفة مركبة

فافلاطون هو الزعيم . وقد مرَّ عليهِ ٢٤ قرناً لم يزحزحهُ احد عن عرش الزعامة

واذا راجعنا جمهورية افلاطون ، وهي اشهر المؤلفات التي وصلت الينا من قلمهِ ، فاننا نجد فيها رياضية فيثاغورس ، وكونية اميدوقليس ، والهية بارمنيدس ، وادب سقراط ، وسياسة افلاطون . فهي صورة واضحة لنظام التفكُّر القديم ، واثر ، بل حجة لامعة ، لمكانة السلف الكريم ، ولاسيما مؤلفها العظيم افلاطون

لا فيلسوف في الدنيا مستقل عن السلف والخلف . اليك الفيلسوف لوك الانكليزي فانهُ متصل باربعة اطراف ، اثنين في عصر السلف وهما « باكن » و« دي كارت » واثنين في عصر الخلف وهما ڤولتير وباركلي . كذلك « كانت » بل هو اكثر من ذلك لانهُ يتصل بالزملاء بستة اطراف منها باركلي وهيوم في جانب السلف ، وفخت وهيغل وشيلنغ وجيمس في جانب الخلف . كذلك هيغل وسبنسر وغيرهما . فالفلاسفة مترابطون ، والمذاهب الفلسفية متداخلة متقاطعة متماسة متسلسلة ، قل ما شئت ، بعضها ببعض

في اسفل الرسم سبعة فلاسفة ، خمسة منهم لا يزالون في قيد الحياة على ما نعلم . اما وليم جيمس الاميركي فقد مات سنة ١٩١٢ . واشهر الفلاسفة الذين يعيشون اليوم هم هنري برغسن وبرتران رسل . اما انشطين فلم يدرج بعد في عداد الفلاسفة ، لان عملهُ جديد ، لا يزال في دائرة النقد والتمحيص ، وهو يختص بالكون الطبيعي ، او في الجانب المادي منهُ

وهذا الجانب مع جلالة قدره في التمدين الحاضر ، لا يحسب عند الفلاسفة بالجانب الخطير وكان اللورد هالدين قد شرع يؤلف فلسفة لنظرية النسبية التي ابتدعها ، ويذود عنها انشتين ، حتى يكون لانشتين ما كان هربرت سبنسر لشارلس داروِن ولكن دهمتهُ المنية في الصيف الماضي ولا نعلم هل اتمها او لا

بقي ان الموضوع يحتمل كثيراً من الشروح والايضاحات ، ولاسيما ما اختص منهُ بافلاطون وجمهوريتهِ ، وقد اعود الى معالجتهِ في المستقبل القريب

حنا خباز



كبلنغ : شاعر الامبراطورية

مكانته الادبية وفلسفته

صاحب القول الذائع « الشرق شرق والغرب غرب »

بين ظهرانينا الآن رديرد كبلنغ الشاعر والمؤلف القصصي الانكليزي الطائر الصيت. وهو ملك من ملوك الكلام المنثور والمنظوم، ينشىء القصص الطويلة والقصيرة وينظم القصائد فيسمع له ملايين من الناس — يسمعون مختارين مسرورين دهشين . يسمع له كل من يقرأ الانكليزية في مشارق الارض ومغاربها لا لبلاغة في اقواله تجري مجرى الاساليب المدرسية البليغة في الادب الانكليزي بل لانه يقول لهم ما يودون سماعه ويصف لهم طباع الناس واحوال الزمان والمكان وصفاً منطبقاً على الحقيقة كل الانطباق . فانه كان يقول لهم في بدء حياته الادبية ان الشعوب البيضاء ارباب الشعوب الصفراء والسوداء فعليهم ان يتسلطوا على تلك الشعوب ويعتنوا بها كما يتسلط الله على عباده ويعتني بهم . وكان يقول لهم ولا يزال ، بعد رحلته حول الارض ، ان الكون لا ينتظم بالحرية والاباحة بل بالقانون والطاعة . واي ملك لا يرضيه هذا القول . واي متسلط لا يود نشر هذه المبادئ . يخاطبهم بذلك نثراً ونظماً لا يتوخى غريب الالفاظ ومهجور التراكيب بل اللغة المحكية المتعارفة . فاذا ادخل في قصة من قصصه كناساً انطقه بما ينطق الكناسون واذا ادخل فيها بحريًّا انطقه كما ينطق البحارة واذا ادخل فيها فقيهاً انطقه كما ينطق الفقهاء . وهذا من الامور التي يمتاز بها ويجعل ترجمة كتاباته متعذراً . فيشعر القارئ مع ذلك كانه يرى هؤلاء الناس امامه ويسمع كلامهم الذي يتكلمون به عادة ولا يسمع منه كلمة يستغرب تكلمهم بها . واذا وصف مدينة في اميركا او قرية في بلاد الهند او غابة من الغابات الملتفة في المناطق الاستوائية او سفينة في عرض البحر حسبته مصوّراً يصوّر لك ما يريد وصفه بالوانه الطبيعية وينفخ فيه نسمة الحياة

كاتب مثل هذا تسكر اقواله الامة الانكليزية التي تملك ربع المسكونة بحجة تمدينها وتثقيفها ونشر راية العدل فيها . وقد اشار كبلنغ الى ذلك في قصيدته المشهورة التي عنوانها « حمل الرجل الابيض » اي الامور التي تطلب من الشعوب البيضاء للشعوب السوداء والصفراء حيث يقول : « احملوا حمل الرجل الابيض واضرموا حروب السلام

الطاحنة . اشبعوا فم الجوع وضعوا حدًّا للامراض . فاذا اقتربتم من محجتكم اغمدوا سيف القناعة والجهل لئلا يقضي على ما املتموهُ

« احملوا حمل الرجل الابيض ولا ترضوا بما هو دون ذلك . ولا تملّوا عملكم وتحاولوا سترهُ بستار الحرية (تمنحوهُ للشعوب التي تحكمونها) اذ بكل ما تروّمونهُ او تهمسون بهِ او تعملونهُ او تهملون عملهُ ستضعكم هذه الشعوب الصامتة انتم وربكم في ميزان الحكم »

وقد زاد اعجاب الشعوب الانكليزية بهِ لما وقف تجاهها موقف صاحب المزامير تجاه بني اسرائيل بعد الاحتفال بيوبيل الملكة فكتوريا وخاطبها كأنها شعب الله المختار بقصيدة من اشهر قصائدهِ عنوانها « لئلا ننسى » قال في مطلعها : يا آله آبائنا — المعروف منذ القدم . يا رب اجنادنا المنتشرين في مشارق الارض ومغاربها الذي علّك تحت يدهِ القوية على النخيل والصنوبر . يا اله الاجناد ابق معنا لئلا ننسى — لئلا ننسى

ترجمته

ولد كبلنغ في مدينة بمباي ببلاد الهند سنة ١٨٦٥ فهو الآن في الرابعة والستين من عمرهِ وقد طبَّقت شهرتهُ المسكونة وهو شاب . وكان ابوهُ رئيس مدرسة الفنون في لاهور وهو من اعلم اهل زمانهِ باخبار الهنود وآثارهم وامهُ من عائلة مكدونلد الشهيرة وهي خالة المستر بلدوين رئيس وزارة انكلترا الحالية كانت من نوابغ النساء في التصوير وسرعة الخاطر . فابوهُ انكليزي وامهُ اسكتلندية ارلندية واصل عائلة كبلنغ من هولندا وقد هاجرت منها الى البلاد الانكليزية منذ اربعمائة سنة

وتعلم كبلنغ الهندستانية منذ نعومة اظفارهِ كما تعلم الانكليزية ومارس جميع الشعائر الدينية الشائعة في آسيا فدخل كنائس النصارى ومساجد المسلمين وهياكل البراهمة . وأُرسل الى البلاد الانكليزية وهو فتى ليتعلم فيها وعاد منها الى الهند وهو في السابعة عشرة من عمرهِ . وجعل محرراً ثانياً في الصحيفة الملكية والحربية بلاهور فالصحافة اول حرفة اشتغل بها وهي الحرفة التي يشتغل بها الآن لان كل ما ينشئهُ نثراً ونظماً انما هو من قبيل الكتابة في الصحف حتى يأخذ عليهِ بعض النقاد ان الصحافة افسدت فنهُ في جانبٍ مما كتبهُ قبيل الحرب لانهُ كان يكتب ما يقصد منهُ الرواج

قال محرّر تلك الصحيفة الاولى في وصفهِ « انهُ كان يلبس سراويل من القطن الابيض فلا يمضي عليهِ يوم حتى يتلطخ بالحبر فيمسي كأنهُ من كلاب دلماطيا الرقطاء ذلك انهُ كان يغط قلمهُ في الدواة مراراً كثيرة قبلما يكتب كلمة وكانت حركاتهُ سريعة متقطعة

فيتطاير الحبر من قلمهِ على ما حولهُ . واذا دخل مكتبي كما كان يفعل مراراً كنت التفت اليهِ وآمرهُ ان يقف بعيداً عني مخافة ان يدنو مني بقلمهِ وهو مملوءٌ حبراً فيطير الحبر منهُ عليَّ حين وضعهِ المسودَّة امامي لسرعة حركتهِ ورعشتهِ »

وحرَّر ايضاً في صحيفة الله اباد المعروفة برائد الله اباد وكاتب جرائد اخرى وبقي سبع سنوات يطوف في بلاد الهند ويدرس احوال اهاليها من اعلاهم الى ادناهم ويطبع صورهم في ذهنهِ. وقوَّة الاستحضار فيهِ غريبة فيستحضر الصورة التي يريدها ويصفها لك كما لو رأيتها بعين المنتقد البصير . ولقد قال فيهِ كاتب في مجلة بلاكوُد الشهيرة « انهُ اذا ارادت ملكة الانكليز ان تعرف معرفة تامة كيف تُساس سلطنتها الهندية وكيف تحمى وكيف يدافَع عنها توسلنا الى وزير الهند ان لا يعرض عليها اعمال المحرَّرات الرسمية بل كتب رديرد كبلنغ فان فيها اتم وصف لبلاد الهند — لأعجب مملكة تسلط عليها المخلوق واعظم بلاد فتحت لاجل الخالق »

وعاد كبلنغ الى انكلترا سنة ١٨٨٩ بطريق الصين واميركا فوجد شهرتهُ قد سبقتهُ اليها وجعل ينشئ القصص القصيرة والطويلة فتنتشر في الاقطار بسرعة البرق . وتزوج سنة ١٨٩٢ وانتقل بزوجتهِ الى اميركا واقام فيها ثلاث سنوات ثم عاد الى بلاد الانكليز وطاف حول المسكونة وهو يكاتب جريدة التيمس وينشئ الروايات وينظم القصائد ولا يتحاشى ذكر الذنوب والفظائع مما لا يروق لكثيرين الى ان اتى يوبيل الملكة الاخير فنظم القصيدة التي ذكرناها آنفاً وارى الامة الانكليزية الشديدة التدين والورع ان من يتفنن في المجون على الرباب قد يرتل المزامير على القيثارة فصفحت عما مضى واحلتهُ من صدر ادبها محلاً رفيعاً

لكن من الَف فقد استهدف ولا يخلو المرء من ضد ولاسيما اذا سبق غيرهُ من الذين قصَّروا عن مداهُ وهم يحسبون انهُ دونهم علماً وفهماً . فلما نشر قصيدتهُ المعنونة « بحمل الرجل الابيض » انتقدها كثيرون وقال احدهم انها قصيدة رياء وعارضها بقصيدة يخاطب بها البيض بلسان السود يتذمرون فيها من فتح بلادهم للسموم والخمور وغيرها من ملابسات المدنية التي تنزل بالنفوس الى الدرك الاسفل

وقد منح كبلنغ جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٠٧ وعيّن بعد الحرب مديراً لجامعة سانت اندروز الاسكتلندية بعد ما نال القاب شرف مختلفة من جامعات انكلترا

فلسفته وعقيدته

انهُ ينظر الى العالم نظرة الرجل العملي فيقبلهُ كما هو بما فيهِ من مساوئ وحسنات

وحقائق واوهام تتقاذف الانسان في تيارها المصطخب وتبتلعهُ في غالب الاحيان . ومن العبث في رأيهِ ان يحاول الانسان تغيير المجرى الذي تجري فيهِ صروف الاقدار . فهو من هذه الناحية شبيهٌ بهاردي. ولكنهُ على طرف نقيض منهُ في ان كبلنغ يأخذ الارض كلها مسرحاً لابطال رواياتهِ وبطلاتها ومصدراً لاشعة فكرهِ وخيالهِ في حين ان هاردي يقتنع بان يدرس منطقة ضيقة من مناطق الريف الانكليزي فيصف دقائقها ويخلص منها الى النتيجة نفسها . وكبلنغ يرى انهُ اذا كان في امكان انسان من الناس ان يزيد الثروة الانسانية برأيٍ او مذهبٍ او استنباط وحاول ان يفعل ذلك في غير الزمن المعدّ لهُ ذهب عملهُ ادراج الرياح . لذلك رسم في كتابهِ « دبتس وكردتس » صورة كاهن من كهنة العصور الوسطى حطّم مكرسكوبهُ لانهُ جاء قبل اوانهِ . وقصَّ في كتابهِ « ريوردز آند فاريز » حكاية بحّار في عصر الملكة اليصابات تخلّى عن فكر خطر لهُ وهو انشاء سفن مدرعة بالحديد لان زمن المدرّعات لم يكن قد جاء بعد . ولكن الانسان يجب الاّ يتذمر . لذلك يُنطق احد ابطالهِ بقول مأثور « حقي ! انا لست لاذهب باكياً حقي امام هذا او امام ذاك كاني لا استطيع ان اطالب بحقوقي . حقوقي ! بحق الله العظيم انا رجل ! » فهذه السمة التي يتسم بها ابطال كبلنغ ، هذه الشخصية الانوفة المترفعة في حصنها هي اساس الارستقراطية التي يعدّها اهم العناصر في لعبة الحياة

وقد وقف قصيدتهُ المشهورة « اذا » على وصف الصفات التي يجب ان يتصف بها الرجل الرجل، واليك بعضاً مما جاء فيها : « اذا كنت قادراً ان تحتفظ برباطة جأشك حين يضطرب كلٌ من حولك. اذا كنت تثق بنفسك حين يرتاب فيك الناس . اذا كنت قادراً ان تحلم والاّ تكون عبداً للاحلام وان تفكر من غير ان تجعل الافكار غايتك . اذا كنت تستطيع ان تواجه الفوز والفشل وتعامل هذين على السواء. اذا كنت تستطيع ان تجمع كلَّ ما كسبتهُ وتغامر بهِ مستعدًّا ان تخسرهُ وتبدأ من جديد من غير ان تبس بكلمة واحدة عن خسارتك . اذا كنت قادراً ان تماشي الجماهير من غير ان تتخلى عن فضيلتك وان تمشي مع الملوك من غير ان تفقد اتصالك بالجمهور . اذا كنت تستطيع ان تملأ كل دقيقة ستين ثانية من العمل . فالارض لك وكل ما فيها . وما هو اكثر من ذلك. كنت رجلاً يا ابني »

فالارستقراطي في رأيهِ مهما يكن جنسهُ او عقيدتهُ رجل كامل . فهيدن الفلاح ارستقراطي صميم وهو يبسم بسمتهُ التي تنمُّ على معرفة وازدراء حين يرى المُلاك يتغيرون والارض ثابتة لا تحول . هذا وغيرهُ من ابطال كبلنغ ارستقراطيون في رأيهِ لانهم لا يعنون باشخاصهم قدر عنايتهم بالمبادئ التي تمثلها اشخاصهم ، لانهم كرماء يقبلون على لعبة الحياة

وملء افواههم الابتسام ، لا يطلبون مساعدة احد فيها ولا ينتظرون جزاء احدٍ حين تكلل اعمالهم بالفوز . « فالانسان يجب ان يتألم اولاً ثم يجب ان يتعلم عمله ثم يجب ان يتعود تلك الكرامة التي تجلبها المعرفة » هكذا يقول كبلنغ

وكبلنغ ليس رجلا يتعلق باهداب المذهب المحدود والعقيدة الخاصة . فهو القائل اذا خلا الانسان في محراب الليل اصبحت كل العقائد في نظرهِ سواء . انهُ لا يجلُّ مذهباً الا بقدر ما يخلق في صدور معتنقيهِ من الفضائل التي يجلها ويعليها . وهو يقول « ان الايمان الذي يحمل الانسان على التعلق بهِ ولو خسر نفسهُ لهو الايمان الجدير بالاعتناق »

ورأيهُ في المسيحية ليس مما يعلي شأنها لأنهُ يزعم انها لم تنزل من عقول المسيحيين « الخوف من النهاية » وان العالم الغربي يتمسك بالخوف من الموت اكثر من تمسكهِ بالرجاء من الحياة ! ولكنهُ يعطف على عقيدة كل انسان اذ يرى ان لا بدَّ في هذه الحياة من رادع او وازع لذلك تراهُ يكتب في وصف هيكل من هياكل برما « كن عطوفاً حين يصلي الوثنيُّ لبوذا في كاماكورا »

وهذا يعود بنا الى ما قدمنا عليهِ الكلام في مفتتح هذا المقال من علاقة كبلنغ بالامبراطورية البريطانية . لانا حين نذكر دين كبلنغ نذكر دين الامبراطورية البريطانية اذ يتعذر فصل كبلنغ الشاعر والمؤلف عن الامبراطورية البريطانية . فكأن رسالتهُ في الحياة كانت ربط اجزاء هذه الامبراطورية برابط متين من الاخوة . كذلك لا نستطيع الاَّ ان نقول ان مشهد الامبراطورية بهره ببلدانها المترامية الاطراف في كل انحاء المعمور واساطيلها الضخمة البحرية والتجارية تربط هذه الاجزاء بروابط المصلحة والثقافة . على ان رأيه في الامبراطورية ونظرهُ اليها ليس نظر رجل سياسي كلّ همهِ ان يرى بقعة حمراء قد اضيفت على خريطة العالم . ولكن بريطانيا في نظرهِ الآهة ، يجلها ويعتبرها كرجل متفنن لانها تحتم على اتباعها ان يتصفوا بصفات العمل والصبر وانكار الذات والامانة والكرامة التي يطلبها هو في الرجل الارستقراطي ويلبسها اعظم ابطالهِ في رواياتهِ واشعارهِ . لذلك يدعو الى تأييد الامبراطورية ليس لان بناءها عمل عظيم بل لانها اداة فعّالة في حشد قوى الانسان لمغالبة الكون وترسيخ قدمهِ في فضائهِ . ولما كانت فعالة في توحيد هذه المساعي فالامبراطورية في نظر كبلنغ كالكنيسة الكاثوليكية في نظر كل كاثوليكي

الى هنا نقف بالقارئ عن متابعة البحث وهو كثير الشعاب يتناول اسلوب كبلنغ الفني ومقابلتهُ باساليب معاصريهِ من الانكليز كولز وبرناردشو وما قد يكون نصيبهُ من الخلود . ولكن المقام لا يتسع لكل ذلك الآن



تقلص ظل المدنية الاوربية

ظهر اخيراً في عالم الادب والفلسفة كتاب ترجع خطورته الى غرابة موضوعه وطرافة بحثه ولما اثاره الباحثون من الضجة حوله في العالم الاوربي. ذلك ان مؤلفاً المانيا معروفاً في عالم الادب والفلسفة يدعى (اوزوالد سبنغلر) أخرج كتاباً سماه « تقلص ظل المدنية الاوربية » بسط فيه رأيه في أن هذه المدنية الاوربية قد بلغت ذروة مجدها وانها آخذة في الانحدار منها وانه عما قريب ستندثر آثارها وتندرس معالمها !

قد يكون غريباً ان يقوم عالم وباحث من كبار الباحثين مثل سبنغلر يبحث بحثاً غريباً في بابه ومثيراً لمناقشات حادة حوله مما يدعو الكتاب لوضع مؤلفات متعددة تدور حول هذا البحث المثار بين ناقد مسفه لرأيه وبين محبذ عاضد له لكن على كل حال للرجل رأيه وحجته وللراي وجاهته وأنا لننقل رأي الرجل أمناء في نقله كما ساقه الينا :

يقول سبنغلر ان لكل مدنية حياتها واجلها كما هي الحال في الجسم الحي : تظهر ثم تمر في ادوار الطفولة والشباب حتى تبلغ اوج مجدها وقوتها ثم تهزل وتضعف ثم تموت

وهذا قانون طبيعي تخضع له المدنيات جميعاً . وهكذا كان شأن المدنيات العالمية التي روى لنا التاريخ أدوارها التي مرت بها ووضحت لنا معالمها على ضوء تمهيداتها ومقدماتها ونتائجها وآثارها . وقد بحث سبنغلر في تاريخ المدنيات العظيمة التي ظهرت على سطح الارض وقدر لكل مدنية ان تعمر حياة لا تزيد على الف وخمسمائة عام تمر فيها بادوارها المختلفة من نشوء الى نماء فازدهار فذبول واندثار

ولقد نشأت المدنية الاوربية الحديثة منذ عام ٩٠٠ وعليه فانها ستعمر حتى عام ٢٤٠٠ ميلادية اي ٤٧٥ عاماً اخرى . حقاً لقد ازهر غصن المدنية الاوربية فبهر الابصار وتدانت ثماره فاقتطفها المستثمرون اما اليوم فهو في دور الانحلال والزوال ! هكذا يقول سبنغلر وتلك نظريته التي يؤيدها بالبرهان التاريخي ويسوق للدلالة على صحتها الحجج الدامغة !

قد يكون رجماً بالغيب من مثل المؤلف أن يتكهن بتاريخ المستقبل وان يقول بسقوط مدنية يعتقد البعض انها في ابان عظمتها وسيطرتها على العالم وانها لا زالت في عنفوان قوتها وسيادتها وانها قائمة على اركان يذهب البعض الى انها اركان قوية لن تتداعى. وان العقل لا يستطيع ان يسلم بتصديق مثل هذه الآراء المتطرفة التي تبدى في جرأة مدهشة مع انها

تعد في نظر البعض بعيدة التحقيق جداً بل من قبيل التنبوء بالمستقبل البعيد . ولو انهُ جاز لرجل من المشتغلين بالفلك التنبؤ بحدوث ظاهرة جوية لقلنا انهُ درس علمهُ وتوغل في ميدانه حتى اصبح من مجرد الوقوف على علامات خاصة يمكنهُ ان يخبرك عما يخبئهُ المستقبل القريب للجو من تقلبات مستنداً الى ما لديهِ من مقدمات هي ستؤدي حتماً الى هذه النتائج

الا أن سبنغلر يقول لك في الرد على هذا اني قد درست التاريخ درساً دقيقاً وتعمقت في مباحثي التاريخية ورأيي أن لا شيء يحول بيني وبين التنبؤ بالمستقبل وحوادثهِ التي سيؤدي اليها حتماً التاريخ الماضي والحاضر وحوادثهما فاني أرى الحاضر بناظري وأزن حوادثهُ بعقلي واستخلص من ذلك كلهِ مقدمات أجعلها اساساً لتنبؤاتي عن المستقبل وأن نظري في هذا لا يخطيء وانما هو صائب كنظر الفلكي فيما يتعلق بالفلك وان التاريخ ليعيد نفسهُ كل يوم كما رأينا وسمعنا وكما سنرى وسنسمع !

ويسمي سبنغلر بحثه هذا بالعلاقة الوصفية وهو درس الماضي بقصد ترتيب النتائج المستقبلة على ضوء ما يعرف عن الاول . فانك اذا درست مدنية من المدنيات وجب عليك ان تدرسها من مختلف نواحيها السياسية والعلمية والادبية والفلسفية والفنية ومن حيث رقيها المادي والصناعي والتجاري والخلقي. ومن هذا الدرس وبعد التمحيص والمقارنة بالمدنيات الأخرى يمكنك ان تستخلص فكرة عما سيؤول اليهِ أمر هذه المدنية من عمر طويل أو فشل وزوال . وقد كان الزوال نصيب المدنيات اليونانية والرومانية والاسلامية فلم لا يكون نصيب المدنية الاوربية كذلك

قد يكون سبنغلر صادقاً في نظريتهِ كما قد يكون خاطئاً فيها الا أنها نظرية على كل حال لها قيمتها التي تستحق من أجلها البحث وفعلاً قد تناولها في اوروبا كثير من العلماء وكتبوا عنها كثيراً من الكتب والمقالات

ولد الفيلسوف سبنغلر في بلانكنبرغ من اعمال المانيا في ٢٩ مايو سنة ١٨٨٠ وتلقى العلوم الرياضية والطبيعية في جامعات المانية مختلفة ولكنه كان في الوقت نفسه معنياً بدرس التاريخ والفن. فكان الجمع بين هذه المباحث المختلفة منشأ لما يرى في كتاباته من الاستشهاد بالعلوم الطبيعية آناً والمباحث التاريخية والفنية آناً آخر . ولما نال لقب دكتور في الفلسفة كان موضوع رسالته سنة ١٩٠٤ « فكرة ما وراء الطبيعة في فلسفة هيراقليطس » ثم قضى اربع سنوات (١٩٠٧ — ١٩١١) يدرس الفلسفة الطبيعية في مدرسة بهمبرج وضع في اثنائها اركان فكره الفلسفي الذي يدعو اليه واستقال سنة ١٩١١ من التدريس واكب على وضع كتابه المشهور الذي ترجم الى الانكليزية ونشر بها سنة ١٩٢٦ بعنوان « انحطاط الغرب » وهو الكتاب الذي يشار اليه في هذا المقال

بين ساخر يدعي ان القصد من الكتاب سياسي ليحمل الحلفاء على الرفق بالمانيا لئلا يكون اندثارها مقدمة لاندثار الحضارة نفسها . وجاد مؤيد لها يستند الى الأدلة التاريخية كما يستند الى الواقع في المدنية الاوربية اليوم . فاوربا تتناحر وهذا التناحر لا شك من اسس انحدار المدنية . والافكار في مختلف بلدان اوربا متجهة اتجاهاً مادياً صرفاً حتى ان المادية قد استولت على عقول القوم واحساسهم ومشاعرهم فهم لا يعون الا المادة ولا يفكرون الا بها ولا يسعون الا في سبيل الحصول عليها حتى لقد صار التزاحم عليها عظيماً ومن أجلها ترى التنافس في سبيل الاستعمار الذي قد ضاق نطاقهُ اليوم فمن الوجهة الاقتصادية تعتبر الحالة المتسلطة اليوم اسوأ ما وصلت اليهِ اوربا

أما ما يدعيهِ الساسة من مكنة القضاء على نزعة الحروب فهذا ما لا يمكن التسليم بهِ لمن يزن الأمور بعيارها الصحيح . فالدول جميعاً تعمل على تقوية جيوشها وتزويدها بأحدث وسائل الدفاع . وعقول المخترعين والمفكرين تعمل ليل نهار على اختراع الوسائل الفاتكة كالمفرقعات وغازات السموم وها هي ذي الاختراعات تحتفظ بها وزارات الحربية في مختلف الدول . حتى المانيا تلك التي يقولون عنها أنها قد سرحت جيوشها وحرمت عليها التعبئة لديها اقوى الجيوش فهي تعمل اليوم على تكوين جيوش هي مثال الشجاعة والقوة تملأ نفوس رجالها الذين هم شباب اليوم وعدة المستقبل روح الحمية والحماسة وحب الانتقام . فهؤلاء الفتيان الالمان لا يكفون عن التمرن على الالعاب الرياضية حتى الفتيات منهم بشكل اقرب الى الحركات العسكرية منهُ الى الالعاب الرياضية العادية . وبعد هذا التطاحن والتنافس في سبيل المحافظة على الجيش الاقوى والوصول الى اشد الاختراعات فتكاً واعظمها هولاً يقول ساسة اوربا نحن نسعى لنزع السلاح ولما فيهِ ضمان السلام العالمي !!

اما الحالة الخلقية العصرية فسواء كانت في اوربا او غير اوربا فانها وان لم تكن قد بلغت الحد الاقصى من التدهور والانحطاط فانها بالغة اياهُ عما قريب . وحينئذٍ تحق على اوربا كلمة سبنغلر ويتحقق نظرهُ فان الانحلال الخلقي سيكون ولا شك عاملاً قوياً في اندثار المدنية الاوربية وتقويض اركانها ان قريباً او بعيداً

قد يذهب مدى الفكر البعيد بالانسان الى ان يفكر في تلك المدنية التي ستقوم على انقاض المدنية الاوربية حينذاك . هذا الذي يكون رجماً بالغيب حقاً . لكنها قد تكون مدنية امريكية تقوم في ذلك العالم الجديد — والعوامل التي تساعد على ترجيح ذلك كثيرة — اهمها أن ذلك العالم يعمل في هدوء وسكينة لما فيهِ خير المدنية والانسانية !

عبد الفتاح حيشه المحامي

خمسة في سيارة

١٠

اذا كان القارىء قد ملَّ الحديث الذي اتينا عليهِ في ما تقدم هذا الجزء من اجزاء المقتطف فليس اللوم على الراوي بل على طبيعة الاشياء . فالحديث الذي مرَّ كان حديثاً في قطار سكة حديدية داخل عربة ضمت اصحابنا الخمسة ضمًّا محكماً فلم يكن لهم مندوحة عن ان يتكلموا سواء اصابوا ام ضلّوا الصواب . وكان القطار هذا يسير بهم بين « برن » و « انترلاكن » . وكانت الشمس قد آذنت بالمغيب وبدأ برد الجبل ينعش اجساماً اضناها الحرّ

واقترب الركب من انترلاكن فصمتوا واخذوا ينظرون الى جبال سويسرا وبحيراتها فان هذه البلاد مشهورة كما يعلم الناس بما فيها من بحيرات وما يرتفع فيها من جبال

وحاذى القطار البحيرة الاولى التي الى يمين انترلاكن وهي تكاد تكون سوداء على خلاف البحيرة الثانية التي الى شمالها فانها زرقاء الى شيء من الاخضرار

وانترلاكن هذه جميلة لا نزاع في الامر ولكنها صغيرة لا تعدو ان تكون سوقاً واحدة مكتظة بالفنادق المكتظة هي الاخرى بمتكلمي الانكليزية والالمانية فهم عماد هذه الناحية من سويسرا وركن معاشها المكين

اما نكتة البلد ففي موقع في جبل بعيد لا يزال مكسوًّا بالثلوج صيفاً وشتاء يذهب اليهِ الراغب في سكة حديدية تخترق الثلوج ثم يصعد في سكة جبلية هي نفق شُقَّ من علٍ في الثلج فيسير يحيط بهِ الثلج من الجهات الاربع فاذا انتهى الى آخر المحطات اذا بهِ بآلة رافعة تصعدهُ الى القمة حيث مطعم يأكل فيهِ ويشرب وميزان الحرارة هابط الى ما تحت الصفر . واسم هذا الجبل في لغتهم « الامرأة الشابة » (Jungfrau) . اما صاحبنا المصري فخالف اصول المجاملة الشرقية وقال لرهطه اذهبوا انتم الى هذه الثلوج اما انا فباقٍ في انترلاكن

وانك لا تدري ما الذي دعاهُ الى التخلف عن القوم . أتعبٌ اضناهُ ام خوف البرد ام رغبة في مشاهدة انترلاكن كما يشاء ام اقتصاد لنفقة السكة الحديدية فانها باهظة لا معنى

لها ام هي كل هذه الاسباب ضمّ بعضها الى البعض الآخر . ولكنهُ بقي فرأى من جمال انترلاكن ما لم يستطع صحبهُ ان يروهُ . ذلك انك اذا وقفت اين ما شئت منها ونظرت الى الجبال امامك رأيت منظراً يأخذ بمجامع القلوب . هذه الى اليمين جبال خضراء مما كستها الحراج والغابات وتلك الى الشمال جبال سوداء قاتمة مما تلبد عليها من الغيوم وفي الوسط « الامرأة الشابة » بيضاء لا بياض بعده . تحسبها في الوسط وهي بعيدة عما حولها بعداً شاسعاً اما الجبال الاخرى فقريبة منك كل القرب

فلما عاد الصحب من رحلتهم وقصّوا عليهِ حكاية الثلوج في « المرأة الشابة » واراهم هو ما تمتع بهِ نهاره قالوا انك كنت من الكاسبين .وعلم انه كان احكم منهم واعقل ولكنهُ اسرّها في نفسه ولم يبدها لهم

ومن اجمل ما في هذا البلد ايضاً بناء فخم يدعونهُ الكورسال وفي فرنسا كازينو. عمارته جميلة في وسط حديقة غناء ترى في ارضها ساعة كبيرة صنعت كلها من الازهار تدور عقاربها دوراناً كما تدور ادق الساعات السويسرية صنعة

وتساءل القوم هل يقيمون في انترلاكن يوماً آخر او يذهبون الى لوسرن

قال المصري بل نعجل الى لوسرن

الانكليزي — انك متبرم بسويسرا ولا تحلو لك الاقامة الا في فرنسا

المصري — لا ولكنني اعجب لقوم يتخذون لعاصمتهم اسماً هو « الدب » ويطلقون على جبل مكسوٍّ بالثلج اسم « المرأة الشابة » ولله في خلقهِ شؤون

الافرنسية — اين هذا من جبال شاموني فهناك العظمة يتخللها اللطف. وهنا العظمة يسودها العنف

وعادوا الى القطار وقطارات السكك الحديدية في سويسرا خير قطارات العالم – ميممين لوسرن . فجاؤها والسماء تطش طشًّا خفيفاً والشمس لا يعلم لها وجه واليوم يوم احد يوم خرج بهِ كل من هبَّ ودب في لوسرن يتنزهون في بحيرتها . فضاقت مقاليد صاحبنا المصري وكان قد شبع من النظر الى البحيرات حتى ارتوى وكان قد ملَّ المطر حتى ابتلّ واشتاقت نفسهُ الشمسَ حتى المحرقة ، فكيف وهو سيمكث اسبوعاً متوالي الايام في بلدٍ الشمس فيها منغيّبة والمغرب لا يحول

فاحفظتهُ هذه الحال فلبث نزر الحديث والقوم من حولهِ يضحكون مرحين

***

اما شهرة بحيرة لوسرن فقد طبق ذكرها الخافقين فهي بحيرة جميلة حقًّا. جميلة بنفسها

ان صحَّ هذا التعبير وجيلة بالجبال التي تحيط بها وهي جبال تكاد تكون سوداء ترتفع وتنحدر فجأة فتراها كأنها قدت الى جانب الماء قدًّا منتصباً وترى في اعاليها الفنادق تصل اليها بجميع اسباب المواصلات

ولكنها ليست بالبحيرة الضاحكة او الباسمة مثل البحيرات في فرنسا فلا تدري أكسبت العبوسة من سكانها ام اكتسبوها هم منها . ولم يكن من المعقول ان يزور القوم لوسرن ولا يطوفون ببحيرتها فركبوا فلكاً من هذه الافلاك التي تمخر دايرة حولها والناس يتزاحمون عليهـا بالمناكب ولكنك لا تكاد تسمع لهم صوتاً وهذا خير ما في خلق هؤلاء الناس . وجلسوا كما شاءت مقادير الازدحام متباعدين واتبذ المصري مكاناً في مقدم السفينة اضاعهُ عن الرفاق وحانت منهُ التفاتة الى اليمين فاذا بجانبهِ رجل مديد القامة خلاسي اللون كهل كاد يطرق ابواب الشيخوخة يجيل نظره في الناس ثم يخرج من جيبهِ اشياء يتلمظ بها

فولاه صاحبنا ظهره وقال بعداً للقوم المجاورين. ولكنهُ ما لبث ان احس بيد ربّتت على كتفهِ وقائلٍ يقول اوحيداً انت هنا ؟ الا تشعر بشيء من الحنق على هؤلاء النصارى يمرحون ويسرحون في ايام احادهم ونحن تضيق بنا السبوت

فاجفل صاحبنا ونظر نظرة لو تجسمت لاردتهُ احتقاراً فتجاهلها الرجل . الست يهوديًّا . انا يهودي

المصري (في ضميره) قاتل الله الرجل . ما الذي جعله يهوّدني . اقبيح انا منظراً الى مثل هذا المقدار . وهل يُعدُّ اليهود بشعين ؟ لا . وماذا على ثيابي من آثار الذل ؟ واليهود قوم ذوو يسار يتقنون هندامهم . ومالي نفرت لهذه الشبهة وانا رجل افاخر بابتعادي عن التعصب جنسيًّا كان ام دينيًّا. حقاً لقد اخطأت الى الرجل فلا كفرنَّ عن ذنبي (متكلماً) عفواً ايها السيد فقد كنت ضايع الفكر متبرماً بهذا الطقس البارد. انا ابن عم لك من ارض الفراعنة وكل الناس عندي واحد من حيث الدين . وكان اليهودي ارتاب في الجواب المبهم ولكنهُ يحب الكلام مهما ابتعد عنهُ المخاطب فاخذ يسرد تاريخ ابيهِ وامرأتهِ وتاريخ تجارتهِ الواسعة بين العراق واوربا ويقصُّ احاديث سياحاتهِ ونفقاتهِ الكثيرة في الفنادق وفي مسارح اللهو ومواطن السرور ثم يعرّج على ما اشتراه من حلى لامرأتهِ وما دفع ثمناً لبذلتهِ ولحذائهِ حتى ضاق صدر المصري ولا حيلة بهِ بالابتعاد عنهُ ولا طاقة لهُ ان يلقي بهِ في اعماق اليم .وقدر الله ووقفت الفلك في ميناء من موانئ البحيرة فتظاهر المصري بالنزول

اليهودي — هل من حاجة اصير فيها الى محبتك

المصري — شكراً والف شكر فاني ذاهب لملاقاة اصدقاء لي اضعتهم واضاعوني

اليهودي — انا رهن اشارتك. تعال زرني في الفندق في لوسرن امتعك بما لا تعرفهُ فيها

فهرول صاحبنا غير مجيب ولجأ بعد لأي الى اصدقائهِ يقص عليهم حكاية ابن اسرائيل

ولما دار الفلك دورتهُ عادوا الى لوسرن ويمموا فندقهم وما لبثوا ان قرع لهم جرس العشاء فجلسوا الى مائدة اعدت لهم وما كادوا يهمّون بالطعام حتى لفت نظرهم حسناء تدخل القاعة بيضاء فتنة للناظرين يتبعها رجل تفرس بهِ صاحبنا المصري فاذا بهِ صاحب حديث الفلك ابن عمهِ الاسرائيلي

ولا تسل عما ساورهُ وقتئذٍ من شتى الافكار. فكم لعن نفسهُ ولام خالقهُ. كيف يضيق صدرهُ لرجل اسلفهُ الود فردّهُ ردًّا غليظاً ؟ وكم شفع سحر هذه الحسناء بسماجة ذلك البليد

وادار الاسرائيلي نظره محلقاً بالجالسين فلما رأى صاحبنا المصري هشَّ وبشَّ مسلّماً فسُرّي عن صاحبنا وغفر لصاحبهِ وقومهِ ذنوبهم

ولما تعشى القوم نهض الاسرائيلي عن مائدتهِ وتقدم الى اصحابنا فقام لهُ المصري مسلّماً وقدمهُ الى الرفاق فسبقهُ الرجل وسمى نفسهُ اسماً لم يلتقطوا من فتاته الأكلمة ابراهيم. فكانوا اذا خاطبوهُ قالوا مسيو ابراهام اما صاحبنا المصري فدعاهُ ابا اسحاق. وجاءت السيدة وتعارف القوم فاذا بها زوجهُ ولم يكن اسمها ساره

واحتكر ابو اسحاق الحديث فكان اذا ذكر اللباس فكَّ ازرار صدارته واراك حرير قميصهِ مطنباً بالصنف وبالصنعة او اخرج ربط عنقه ومدها فرجةً للجالسين اما زوجهُ الصالحة فكانت رزينة صامتة لا تتخرج بالصمت الى لا ولا الى نعم

ونهضت السيدتان الانكليزية والافرنسية معتذرتين بالتعب قاصدتين الى النوم اما فراراً من ثرثرة الرجل او حسداً من جمال المرأة وانفضَّ المجلس

حتى اذا كان النهار من اليوم التالي واجتمع الرفاق اعادوا ذكر ابي اسحاق حديثاً عريضاً للتندر وامتازت بهِ من بينهم السيدتان

سامي الجريديني

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

ابالمقتطف تُقَيَّدُ العربية

الحاجة سبب الاشتقاق

الى حضرة المدير لمجلة المقتطف المحترم

تحية اياكم وتسليماً عليكم ، إني قرأت النقد الذي كتبهُ « عبد الرحيم محمود » الاستاذ حول كتاب « نظم العقيان » في الجزء الرابع من المجلد الثالث والسبعين من مجلة المقتطف فوجدتهُ قد قيّد العربية بقيود الجمود في هذا العصر عصر التطور والحرية . ولو لم يكن تقييده بمجلة المقتطف المشهورة بالتطور وخدمة العلم والعربية لما استوجب التفاتي هذا ، فالمؤمل من حضرتكم ان تنشروا ما يلي تحيتي وتقدمتي خدمةً للعربية وتمحيصاً للحق ولكم شكري :

١ — ان الاستاذ الناقد قد انكر ورود « المشاهير » جمعاً لهُ « مشهور » وليس ذلك صواباً لانهُ مسموع ومقيس . اما دليل السماع فما في قاموس « الاب انستاس ماري الكرملي » المستدرك على علماء اللغة وهو « ان المشاهير وردت جمعاً لمشهور فقد قال صاحب تاج العروس في مادةق ب ب : ارباب الدواوين المشاهير . وقال في مادة : ع ش ا ما نصهُ « الاعشى : السبعة المشاهير » وذكر هو نفسهُ في نحو الآخر من شرح خطبة القاموس ما قال ابو زيد ونقله المجد الفيروزبادي ونصهُ « إذا جاوزت المشاهير من الافعال » ففسره بقوله « المشاهير جمع مشهور » وقال صاحب القاموس في شرحه « جذل الطعان » ما نصهُ « وجذل الطعان بالكسر لقب علقمة بن فراس من مشاهير العرب » وقال ابن سيده في المخصّص « ج ٦ ص ١٩٣ » ما نصهُ « من مشاهير فحول الخيل »

وقال الزمخشري « لم تستند إلى علماء نحارير ولا الى اعلام مشاهير » في « ارشاد الاريب لياقوت الحموي ج ٧ ص ١٥٠ » هذا ما نقلناهُ عن الاب المحترم بتصرف في التعبير. ونزيد عليهِ ما قالهُ ابن الطقطقي في كتابهِ « الفخري » ونصهُ « والفصل الثاني تكلمت فيهِ على دولة دولة من مشاهير الدول ، ص ٨ بالمطبعة الرحمانية بمصر » وهذا من بلغاء القرن السابع الهجريّ . والقارئ يرى ان الادلة التي قدمناها لا يمكن نقضها ولا يعروها شك ولا لبس

امَّا الدليل القياسيّ فهو « ان كل اسم رابعهُ حرف مدّ يجمع كعصفور » أي بزيادة « الف » بعد الحرف الثاني وقلب حرف المدّ ياءً مثل « عصافير ومشاهير وحذافير وخناصير ومصابيح » ولماذا تطبق القاعدة على « مفعال ومفعيل » ولا تطبق على « مفعول »؟ فتقول « ميثاق وميعاد ومخراق ومسكين ومحضير وملعون وميمون » لا تباين مثل « مشهور ومعروف ومسجون » لان الاعتداد بحرف المد الرابع لا غير ، قلت ذلك فضلاً عن كونها مشتركة في ان اوائلهما ميمات فلم نقتل العربية وهي واسعة هذه السعة ؟

٢ — وفي ص ٤٥٧ قال الاستاذ « وفي الصفحة خ : مواضيع جمع موضوع والصواب: موضوعات لانَّ مفردهُ خماسيّ لم يسمع لهُ جمع تكسير » وهذا القول خارج عن الصواب ايضاً لان هذا الجمع مسموع ولا يشذّ عن القاعدة التي اسسها العلماء . وفي قاموس الاب أنستاس « جاءت المواضيع مجموعة في مادة دور من التاج قال مؤلفه في شرح دارة مواضيع: كانهُ جمع موضوع » وكاني بالاستاذ يريد ان يكون كل لفظ مسموعاً مع انهُ عالم بان اللفظ لا يسمع الاَّ اذا قيل ولا يقال الاَّ اذا احتيج اليهِ . فكيف نباح ان نريد من اسلافنا قولهم « ما لم يحتاجوا اليهِ » ؟ حتى يكون لنا سماعيًّا ؟ فما يؤثر « عن رؤبة بن العجاج » الشاعر المتوفى سنة ١٤٥ للهجرة انهُ « كان يبتدع من الكلم ما لم تقلهُ العرب ويوسع العربية بتصرف قياسيّ وكذلك كان ابوهُ » فتطوير اللغة واجب وحيّ لها

٣ — وقال في ص ٤٥٣ « ومقياس حروف عناوينهِ » و « مقياس حروف حواشيهِ » وفي ص ٤٥٦ « في فهرس دار كتب ليدن »

وفي قوله تتابع اضافات وهو من مرديات الفصاحة العربية فالصواب « ومقياس الحروف لعناوينهِ » و « مقياس الحروف لحواشيهِ » و « في فهرس دار الكتب لليدن » . قلت ذلك لانَّ تتابع اضافات ثلاث على غرار قول الشاعر « حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي » ممنوع

٤ — وقال في ص ٤٥٣ ايضاً « فالفهرس الاول يتضمن التراجم حسب الشهرة » والفصيح المشهور ادخال الباء على حسب فتكون « بحسب »

٥ — وقال فيها « وغير خاف علينا ما لاقى واضع هذين الفهرسين من المتاعب الجمة لولا يد الصبر الجميل » وهذه الجملة سرّ من الاسرار لا يدرك معناهُ لان قولهُ « لولا يد الصبر الجميل » ينفي بمعناهُ « ما لاقاهُ واضع الفهرسين » وقوله « لاقى » يثبت المكابدة والمقاساة فقد يقال « كدت أتيه لولا محمود » والمعنى ظاهر لانني لم اته لوجود محمود ، و « لولا » حرف امتناع لوجود يوجب امتناع « ملاقاة الاتعاب الجمة » لوجود « يد الصبر الجميل » فما هذا التناقض ؟ فالصواب « ولولا يد الصبر الجميل لما نال بغيتهُ »

٦ — وقال في ص٤٥٥ « ليلاحظها العلماء والادباء فيعملوا على اجتنابها » والملاحظة إن جازت في غير هـذا الموضع فانها ههنا لا تجوز ، ذلك بانها خاصة بالامر المحبوب اذا كانت بمعنى « المراعاة » وقد تكون مفاعلة من اللحظ وذلك غير مقصود لان الاشياء المذكورة يلحظها الانسان ولا تلحظهُ . فكيف يقال « ليراعيها العلماء والا دباء فيعملوا على اجتنابها » ؟ وما معنى المراعاة ؟ فالصواب « ليتنبّه عليها العلماء والا دباء فيعملوا على اجتنابها »

٧ — وقال فيها أيضاً « لأنها منقولة من النسخة التيمورية بغير دقة تامة » مريداً بقولهِ « بدقة غير تامة » وهو مخطئ لأن قولهُ « بغير دقة تامة » جحد للدقة كلها فلا فائدة في اضافة « تامة » أو « ناقصة » . قلت ذلك لان « غيراً » إذا أضيفت إلى نكرة جحدتها كلها لان النكرة تخص كلِ جنسها ولكنها اذا اضيفت الى معرفة « كان المجحود معيَّناً » فاذا قلت « خاطبني غير واحد » جحدت الواحد كله فما الفائدة في إضافتك على « غير واحد » لفظة « عاقل » فتكون الجملة « خاطبني غير واحد عاقل » والجحد شامل العموم ؟ ألا ترى قولهُ تعالى « فمن اضطر غير باغ ولا عاد » جحد كل باغ وعادٍ لأن معنى غير « لا » وتقديره « لا باغياً ولا عادياً »

٨ — وقال في ص ٤٥٥ « والصواب أنني بدل أنىّ » فاقول ! والصواب « . . . أنني بدلاً من أنىّ » لان « بدلاً » حال لا يجوز أن تكون معرفة وهي ههنا معرفة أما ورودها شذوذاً فلم يجعله العلماء مقيساً لأفساده العربية واشتباه الحال بالبدل

٩ — وقال « أما الأصلاح بتغيير بعض كلماتهِ بغيرها تتفق هي والوزن مع المحافظة على المعنى ذاته فغير جائز » قلت أراد بالتغيير ههنا « التبديل » فلزمهُ أن يعدّى « التغيير » كتعدّى « التبديل » وذلك بأن يدخل الباء على المبدل منه وينصب المبدل كما قال تعالى

« وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط » فالصواب « بتغييره ببعض كلماته غيرها » ولولا هذا لفسد قوله أما تأكيده المعنى بـ « ذات » فليس فصيحاً . فالصواب « على المعنى بعينه أو عينه أو بنفسه أو نفسه »

١٠ — وقال في ص ٤٥٦ « وربما سرى الى ذهن الناسخ » والصواب « ربما تبادر ذهن الناسخ » .. أنّ الياء » أو « ربما سار الى ذهن الناسخ .. » لأن « السرى » خاص بالليل وهو القائل في ص ٣٧٨ « السرى السير بالليل » و « سرى » من السرى لا من السير

١١ — وقال وفي الصفحة لفظة « يستنتج » وهو خطأ لان صيغة استفعل ليست قياسيّة فورود نتج في اللغة وأنتج لا يقتضي صحة « استنتج » والصواب : يستنبط بدل يستنتج وما ادري من أين نقل صاحب المنجد « استنتج » وكذلك يستلفت التي في الصفحة ط والصواب « يلفت أو يوجّه » اهـ. قلت ان انكاره ورود « استنتج » وتخطئته من قالها واستجهاله صاحب المنجد خطأ منهُ لان الاب انستاس قد استدرك على العلماء « استنتج » ووجدها في قول الحريري في المقامة السادسة عشرة المغربية « فتداعينا الى ان نستنتج لهُ الافكار ونفترح منهُ الابكار » وهذا دليل ناطق . أما قوله « لان صيغة استفعل ليست قياسيّة» فغير مقبول ومرغوب عنهُ لانها مقيسة في مالم يسمع له « استفعل » بحكم التطور والحاجة فكيف صاغ قدماؤنا الكثير ونحن لا نصوغ ؟ ولعل انزلت اللغة وحياً مرة واحدة حتى يمنع القياس « انهم احتاجوا فصاغوا ونحن نصوغ عند الاحتياج » وليس ما ذكره العلماء في كتب اللغة حاصراً للغة كلها حتى يثق الانسان ثقة الاستاذ بتخطئتهُ لصاحب الدكتوراه والغريب انهُ أصلح « يستلفت » بـ « يلفت ويوجه » فارتكب غلطين اولها استعماله « أو » في موضع « أي » المفسرة بالترادف اللفظيّ مرةً والمعنويّ آونة فالصواب « يلفت أي يوجه » والآخر جعلهُ « يلفت » بمعنى « يستلفت » وشتان ماهما لان الهمزة والسين والتاء في يستلفت تدل على الطلب وقولهم « يطلب الالتفات » ليس معناه « الالتفات » ولا « اللفت » فالعربية محتاجة الى « استلفت » كل الاحتياج كما احتاجت الى « استجوب » و « تضامن » و « تزاعم » و « تنجلز » و « تفرنسَ » فتعاورتها الالسن واليراع

١٢ — وقال « وفي الصفحة س وتطورها في رأس السيوطي خطأ لان العرب لم تشتق من الطور « تطوّر » والصواب ان يقال « وانتقالها من طور الى طور » قلت ان المولدين احتاجوا إلى التطوير والتطوُّر فاشتقوهما من الاسم ومن ذلك قول الشعراني في الطبقات « كان الشيخ حسين من كمّل العارفين واصحاب الدوائر الكبرى وكان كثير التطوّرات »

اه. وكيف جاز لأسلافنا ان اشتقوا « استنوق » من الناقة « واستجمل » من الجمل ولا نصوغ « تطور » من الطور و « استحمر » من الحمار وهل سبب الاشتقاق إلا الحاجة ؟

١٣ — وقال « الاصولي في الصفحة العاشرة خطأ والصواب : الاصلي ، لانك تنسب للواحد اذا اردت النسب الى الجمع » قلت ان الصواب « الاصولي » لا الاصلي لان هذا الجمع « مسمى بهِ » وليس المراد النسبة الى كل اصل في الدنيا . وما سمي بهِ فينسب اليهِ على لفظه لئلا يفنى الاسم فقد قالوا « ثوب معافري » و« رجل انماري وكلابي واوزاعيّ واصوليّ واخباريّ » والجمع هنا يجري مجرى المفرد . وكيف خفي ذلك على الاستاذ ؟ فقد ذكره العلماء . قال ابن عقيل في شرحهِ « اذا نسب جمع باق على جمعيتهِ جيء بواحدة ونسب اليهِ ..... هذا ان لم يكن جارياً مجرى العلم فان جرى مجراهُ كانصار نسب اليهِ على لفظهِ فتقول في انصار انصاريّ وان كان علماً فتقول في انمار انماري» اه

١٤ — وقال الاستاذ « وفي الصفحة ٦٤ : وقال في مليحة لابسة ثوب خمري . والصواب : لابسة ثوباً خمرياً » ولم يذكر دليلاً على تصويبه

والحقيقة ان ما قالهُ المنقود صواب لان « اسم الفاعل » المجرد من ال والاضافة قد أعملوهُ لملابستهِ الفعل المضارع فيعمل « لابسة » اذا كان بمعنى « تلبس » في الحال والاستقبال . ولكون المرأة قد « لبست » ثوبها في الماضي وصح اسناد اللبس اليها أضاف الدكتور اسم الفاعل الى معمولهِ وذلك صريح الفصيح ورأي الجمهور فما دليل الاستاذ على صواب تصويبهِ ؟

١٥ — وقال « فالواجب ذكرها مثل ما فعل المؤلف والناشر كما هي » والصواب كما هي عليهِ » لان هي تحتاج إلى خبر هو الجار والمجرور أو متعلقها

١٦ — وقال في ص ٣٨٦ « ومروج الاندلس الخضراء . في أيامها البيضاء » والصواب « مروج الاندلس الخضر في أيامها البيض » لان السلف لا ينعتون بأفعل وفعلاء المفردين اذا كان المنعوت جمعاً بل يجمعون النعت جمعاً مطرداً فكما لا يقال « المؤمنون الابيض كذلك لا يقال « المؤمنات البيضاء » وكل من خالف هذا فقد أخطأ . قال ابو العباس المبرد في الكامل « ج ١ ص ٣٩ » ما نصه « فان اردت نعتاً محضاً يتبع المنعوت قلت مررت بثياب سودٍ وبخيل دهم وكل ما اشبه هذا فهذا مجراهُ » ا ه

١٧ — وقال في ص ٣٨٧ حول قول لبيد « بصبوح صافيةٍ وجوب كرينة تأتاله

ابهامها» ما نصه «الصبوح بفتح الصاد المشدّدة شرب الخمر في الصباح» فقوله «المشددة» حشو لا فائدة فيهِ لان الصاد لا يجوز ههنا تخفيفها فضلاً عن انهُ غير ممكن لان الصاد حرف شمسيّ وقوله «شرب الخمر» يدل على انهُ مصدر وليس كذلك لانهُ اسم لما يشرب في الصباح ألم يرَ قول الشاعر «صافية» فكيف يصف المصدر بصافية ؟

١٨ — وقال في ص ٤٥٦ «وربما سرى الى ذهن الناسخ أو الطابع أن الياء يجب ان تحذف من «تستغن» لانهُ مجزوم في جواب الامر. وهذا وهم فان المضارع يقع مجزوماً في جواب الامر جوازاً لا وجوباً» قلت ان الظاهر «ان الجزم واجب لاجائز» ومنهُ: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

قال المبرد في الكامل «ج ا ص ٢٠١» ما نصه وقوله: فيا قوم هل من حيلة تعرفونها. موضع تعرفونها «خفض» لانه نعت للحيلة وليس بجواب ولو كان ههنا شرط يوجب جواباً «لانجزم[1]» تقول ائتني بدابة أركبها أي بدابة مركوبة فاذا أردت معنى «فانك ان اتيتني بدابة ركبتها» قلت «اركبها[2]» لانهُ جواب الامر كما ان الاول جواب الاستفهام وفي القرآن «خذ . . .» وفي الجواب «فذرهم يخوضوا ويلعبوا» أي «ان تركوا خاضوا ولعبوا» فالجزم بالطلب واجب على ما ذكرهُ المبرد وكل فعل لم يجزم بجواب الامر فليس المراد بهِ الجواب بل إما الوصف وإما الحال فالوصف مثل «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها» أي مطهرة لهم وكذلك «انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً» أي كائنة لنا عيداً والحال مثل «فذرهم في خوضهم يلعبون». فهذا ما استوجب الحق ذكره والله الموفق للصواب

العراق — الكاظمية مصطفى جواد
المعلّم في وزارة المعارف العراقية

[المقتطف] نحن معكم على ان اللغة العربية يجب الاَّ تتقيَّد بما ذكر في معاجمها التي وضعت قديماً وبما ورد على السنة العرب فقط في القرون الاولى وان سنة الارتقاء تقضي باشتقاق الفاظ جديدة للاعراب عن المسمَّيات الجديدة والمعاني الجديدة وان الحاجة سبب الاشتقاق. وهذه هي الخطة التي جرى عليها المرحوم الدكتور صروف منشئ المقتطف وحبَّذنا اقرار مبدئها في الكلام على المجمع اللغوي المصري الذي ينتظر انشاؤهُ قريباً

(١) قوله «لانجزم» يفيد القارئ وجوب الجزم أبداً (٢) أراد «جزم الفعل»

باب الزراعة والاقتصاد

الدكتور صروف وفن الزراعة

منذ بضع وخمسين سنة كانت الزراعة عندنا كقواعد تقليدية يتوارثها الخلف عن السلف بما يغشاها من الابهام والاوهام — والزعم منتشر بين الناس انها ليست من الفنون التي تستدعي سعة في العلم والادراك والعاملون لها وفيها هم جمهور اهل الريف بوسائلهم المحدودة بفقرهم وجهلهم وضعتهم — وكان لفظ الفلاحة من الفاظ التحقير — وكان الخاصة ومن اليهم لا يرون الفضل الاّ في وظيفة تُقلد او مقامة تجبّر وما أشبه

حينذاك ظهر المقتطف فأخذ المرحوم الدكتور صروف يبين أهمية الزراعة لحياة الامم ورقيها ورخائها وما تقتضيه من علم وجهد وذكاء ويذيع أصح مسائلها ووسائلها بما يترجمهُ عن الكتب والمجلات الاوروبية وما يتفق عليه بنفسه اثناء اشرافه على مزارعه ومباحثاته لخاصة الزراع وما يعرفهُ ذوو النباهة والانتباه منهم ويدونوه اجابة في الاكثر لطلبه منهم وبذلك صار باب الزراعة في المقتطف خير مرجع يرجع اليه في استقصاء حقائقها ودقائقها العلمية والعملية ومعرفة تطوراتها منذ كانت هذه التطورات مبنية في الاكثر على الابحاث الكيمائية منذ عهده الاول حيث لا كتب عربية فيها (الاّ ما جاء في الجزء الاول من كتاب ندى بك) ثم على الابحاث البكتيرية بعدُ حتى ان اول كتاب عربي في هذه نشر اولاً في المقتطف

خذ اي عدد من اعداد المقتطف منذ صدوره تجد «الاّ في الاقل الاندر» باب الزراعة حافلاً بالابحاث الزراعية على اختلاف فنونها ومتعلقاتها حتى صار ما نشر فيه الى الآن خير موسوعة تفي بحاجة الزراع من كل وجه ومنذ بضعة عشر عاماً اقتبس المرحوم راجي بك مفتش الخاصة الخديوية حينذاك من بعض مجلدات المقتطف كتاباً أسماهُ الارشادات كان قسم الزراعة من اكبر اقسامه

كان لي حظ الاستفادة من قراءة المقتطف بنظام واستمرار وكتابة بعض الابحاث الزراعية فيه والاتصال بفقيدنا المرحوم، منذ ١٩ عاماً كما كان لي حظ الاطلاع على بعض مجلدات منشورة من قبل فلم استفد مثل استفادتي من ابحاثه معرفة واسلوباً ولو جمع ما اطلعت عليه فيه لكان خير كتاب في — انواع الارض ومراتبها وطباقها وتركيبها الميكانيكي

والكيماوي والحبوي ودورتها الزراعية — انواع الاسمدة والمقادير المناسبة منها لانواع الارض والزراعات — قواعد الفلاحة الاساسية كالري والصرف والحرث والعزق والحصد الخ — التقاوي بانواعها وصفاتها الجيدة والرديئة وانتخابها وتأصيلها الخ فلاحة المزروعات من أهمها واكثرها شيوعاً كالقطن والقمح والذرة الى ادناها في ذلك كالنيل والدنيبة — فلاحة بساتين الخضروات والفاكهة والازهار وزراعة الاشجار (والنباتات) الآلات الزراعية — الحشرات — الحيوانات والطيور الزراعية — صناعة اللبن — المعارض الزراعية — نتائج الاختبارات والتجارب في الغيطان والمعامل المصرية والاجنبية خلاصات منتخبة من المحاضرات والمباحث والتقارير الفنية — الانتاج الزراعي واحصاؤهُ في مصر وممالك اوربا المختلفة الخ الخ الخ

وقد كان المرحوم لا ينشر شيئاً من كل ذلك الا بعد أن يتفهم ويتبين الفائدة من نشره ويصوغهُ باسلوبهِ الفصيح ويبسطهُ بطريقتهِ البديعة

ان شيوع هذه الابحاث في كل مجلدات المقتطف بل في كل اعداده لا في باب الزراعة وحده بل وفي المقالات الرئيسية وباب المراسلة والمناظرة وباب المسائل ايضاً يُغنيني عن الاشارة الى نمر المجلدات والاعداد والصفحات فليتناول القارىء بعضها فيجد فيهِ شواهد ما اقول ماثلة بابلغ بيان وأصدقه ومع ذلك فسآتي على امثلة مختصرة فيها وان هي الا قطرة من بحر

قال من مقالة بعنوان التجارب الزراعية : وصل ارباب الزراعة بالاختبار الى قواعد عمومية عرفوا ان الجري عليها يفيد الزراعة ويجيد المحصول وأن الحيد عنها لا يفيد فعرفوا مثلاً ان محصول الارض المحروثة او المسمدة اكثر من محصول الارض التي لم تحرث او لم تسمد ولكنهم لم يعرفوا للآن كل الاسباب التي تجيد المحصول او تضعفهُ فالارض الواحدة يبلغ محصول الفدان فيها في سنة ٧ قناطير قطناً مثلاً ولا يبلغ في غيرها ٤ قناطير . وطينان متماثلان في كل شيء حسب الظاهر ومحصول الفدان من احدهما قد يكون ١٥ اردبًّا من الذرة ولا يبلغ من الآخر ٥ ارادب

ومعلوم ان الاسباب الواحدة تنتج نتائج واحدة دائماً فاذا اختلفت النتائج فلا بد من اختلاف في الاسباب ولا يعرف هذا الاختلاف الاَّ بالتجارب الدقيقة المتوالية والفلاح الواحد لا يستطيع وحده عمل هذه التجارب ولا هو دقيق النظر والمراقبة حتى يحفظ نتائج سنة واسبابها ويقارنها بنتائج اخرى واسبابها ولا هو متعلم حتى يعلق النتائج باسبابها الحقيقية لا باسباب وهمية ولكن الحكومة هي التي يمكنها عمل التجارب الخ

ومن مقالة بعنوان الاسلوب العرفي والاسلوب العلمي

الاسلوب العرفي وهو مبني على الاختبار الزراعي وهذا الاسلوب ليس وقتيًا ولا ينتظر ان تكون نتائجهُ واحدة دائماً ويكفي فيهِ ان تأتي النتائج متقاربة او ان تماثل اكثر مما تماثل بالمصادفة — وعليهِ اعتماد الزراع المصريين وغيرهم ونتائجهُ كبيرة جدًا فان الفلاح الذي استفاد أحسن من هذا العرف يستغل من ارضهِ ضعف من لم يستفد منهُ استفادتهُ ونفذه تنفيذه

والاسلوب العلمي يجب ان يكون ادق وانفع من الاسلوب العرفي ولكن لا يزال الاعتماد على الاسلوب العرفي فالفلاحون عمليون يجرون على طرق ألفوها فصارت فيهم من البديهيات التي لا يعرفون سببها وتراهم يقدرون نتيجة عملهم قبلما يصلون اليها فتجيء النتيجة قريبة مما قدروا وهذا لا يستطيعهُ رجال العلم والامل بالنجاح في المستقبل يتوقف على الجمع بين هذين الاسلوبين معاً ولذلك ترى المباحث العلمية في الزراعة قد انبثت في كل التجارب الزراعية فزادت قيمتها العملية الخ

ومن آرائهِ في توزيع ماء الري

اما القطر المصري فاعتماده كله على ماء الري واطيانهُ ضيقة يخص النفس من سكانهِ اقل من نصف فدان فاذا اخطأ مقسمو ماء الري حتى زاد على بعض الاطيان او قل عن حاجتها قلَّ بهِ محصولها وساءت حال اصحابها لانهُ ليس لهم مورد رزق آخر يعتمدون عليهِ

ويخطىء من يظن ان ماء الري يعطى لاصحاب الاطيان مجاناً كأنهُ هبة من الحكومة لهم يتصرف فيها كيفما تشاء وانما هو بضاعة مشتراة بثمن غال لان متوسط مال الفدان في القطر المصري مائة قرش في السنة وهذه الضريبة الفاحشة التي لا مثيل لها في بلد آخر اكثرها ثمن ماء الري الذي يروى بهِ ذلك الفدان . وكان الواجب ان توزع مياه الري على الاطيان حسب الضرائب ولكن اذا كان الماء الذي يصل الى اطيان مربوط الفدان منها ١٥٠ قرشاً في السنة كافياً لتلك الاطيان فلا داعي لزيادتهِ . واذا كان الماء كافياً لري الاطيان الزراعية والاطيان البور واصلاحها فلا موجب لمنع هذه الزيادة عن هذه الاطيان لاصلاحها لان الاطيان الزراعية في غنى عنها . ولكن ان كان ماء ترعة لا يكفي لري الاطيان المربوطة بالمال ولري الاطيان البور المعفاة من الضرائب فالعدل يقضي بان تروى الاطيان المزروعة اولاً ولا تروى الاطيان البور الا مما يفيض عن الاطيان المزروعة وهذا ما يفعلهُ كل مالك في هذا القطر باطيانه ولكن لا يفعلهُ رجال الري الذين لا يريدون ان يتعبوا انفسهم او يعكروا مزاجهم او يغيروا كلمة قالوها الخ

لها بقية — احمد الالفي

الاسمدة الكيماوية الصناعية
ومقامها اليوم في الزراعة العالمية

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف

نشرتم في عدد شهر فبراير الماضي من مقتطفكم الأغر فصلاً في باب الزراعة والاقتصاد عن نترات الصودا الشيلية . وهي نوع من انواع الاسمدة كان اكثر استعمالها في تسميد الزراعات ولكنها ليست الوحدة الآن بل ان ما ظهر من الاسمدة الصناعية وخصوصاً في الجيل الاخير اوجد لها متسعاً في الزراعة العالمية رأيت للالمام به ولاتمام مقالة نترات الصودا ان اوافي المقتطف الاغر بسلسلة من المقالات أتكلم فيها عن تاريخ الاسمدة الصناعية وانتشارها مع بيان عن مقادير انتاجها ومحلات انفاقها فتجيء مكملة لبحث علمي يشتاق الكثيرون للاطلاع عليه . وبالاخص في هذا القطر السعيد الذي عمد زرّاعهُ الى استعمال الاسمدة عامة في تسميد زراعاتهم ووجدوا منها الفائدة المرغوبة

اننا نذكر ما استهدف العالم اليه من مخاوف على أثر نمو سكانه عاماً بعد عام مما اهاب بالمشتغلين في البحث بالامور المعاشية اذ خافوا ان يأتي يوم خصوصاً على بعض الاصقاع الآهلة المزدحمة بالسكان فلا يفي انتاجها الزراعي بحاجة اهلها من الغذاء والطعام فوجهوا اهتمامهم الى تلافي ما يمكن وقوعهُ من علة الانتاج مما يؤدي الى قحط تحل بعده مجاعة عالمية تكون القاضية على عمرانه او دافعة الى الثورة والفوضى بين سكانه فتفتك بالهيئة الاجتماعية وتهدم ما قام من مدنيات .فلم يجدوا وسيلة اوفى من البحث في زيادة الانتاج ليكون نسبيًا مع زيادة السكان خصوصاً في البلاد التي ضاقت ارضها عن حاجة سكانها ولم يعد في الامكان اتباع نظم الزراعة القديمة في زراعتها من اراحة الأرض لتعوض العناصر التي فقدتها من الاجهاد في الزراعة المتوالية

نعم ان الفلاح لم تفتهُ معرفة وجوب تموين الأرض بالمواد التي تعوض عناصرها المفقودة بعد كل زراعة فكان يستعمل في تسميدها مخلفات المواد العضوية كالسماد الطبيعي المؤلف من روث البهائم . لكن لما كانت هذه لا تكفي وحدها بعد الذي قلناه عن تكاثر السكان — لسد الحاجة الماسة — عمد كثيرون الى البحث عن مواد أخرى تساعد مساعدتها وتأتي بفائدتها . وقدكان في مقدمة الباحثين في هذا الموضوع الهام في منتصف القرن الماضي الاساتذه ليبج ولاوز وجلبرت Liebig, Lawes, Gilbert فقرروا بعد البحث والتدقيق مبادىء تغذية النبات اصطناعيًا من الوجهة العامة واثبتوا

أن التسميد لا ينتج نتائجهُ المفيدة الاَّ اذا جمع العناصر المغذية الثلاثة الاصلية اي الآزوت (النتروجين) والحامض الفصفوريك والبوتاس وان يكون استعمالها على نسب صالحة وبشرط توافر الكلس (اي الجير) في الارض

ولكن ما قررهُ العلماء المذكورون بصورة علمية واضحة ماكان ليفوت المشتغلين بالزراعة علمه. فالفلاحون منذ القديم عمدوا الى استعمال الاسمدة الطبيعية المؤلفة من روث البهائم أو من المخلفات العضوية حتى أنهم استعملوا الجوانو الذي يحتوي بخلاف الآزوت على الحامض الفصفوريك ثم استعملوا أخيراً نترات الصودا الشيلية كسماد آزوتي بالنظر الى أهمية الآزوت في التسميد بين العناصر المذكورة. ولكن لم يطل المطال طويلاً حتى بوغت العالم في أواخر الجيل الماضي أيضاً بتركيب غاز النوشادر المستخرج من رجيع الفحم الحجري مع الحامض الكبريتيك واستعماله في سماد ملح (سافات) النوشادر حتى بلغت المقطوعية منهُ مقادير كبيرة استعملوها سماداً في اواخر الجيل المنصرم فنافس نترات الصودا منافسة كبيرة

الاَّ ان الهمة المنصرفة الى ايجاد الاسمدة للحاجة اليها كما أوضحنا لم تقف عند حد صنع ملح النوشادر المتقدم الذكر بل ان العالم فوجيء في عام سنة ١٩٠٣ باكتشاف اهم جاء عن اختراع بركلند — وايدى — بصنع اول سماد آزوتي اي نترات الجير النروجي المحتوي على الآزوت بشكل نترات الكلسيوم وعقبهُ بعد قليل اكتشاف فرانك وكارو لطريقة تثبيت الآزوت من الهواء في كار بور الكلسيوم بانتاج السياناميد الذي يحتوي على الآزوت بشكل السياناميديكي

ولكن كل ما تقدم من اكتشاف واختراع لم ينل ما نالتهُ طريقة هابر — وبوش من التفوق والنجاح في ترقية صنع الاسمدة الكيماوية لانهم وصلوا بها الى تركيب الآزوت الجوي مع الهيدروجين وما يستخرج عنها من النوشادر فكانت الرابطة لصنع سافات النوشادر والاسمدة الكثيرة الاخرى التي تحتوي على الآزوت بشكل نوشادري فرتيركي او اميديكي فكان الفضل في هذا الرقي الصناعي لطريقة العالمين المذكورين. وكان احدهما الاستاذ هابر ضيف مصر في هذا الشتاء. فالآن وقد اجملنا تاريخ الاسمدة من وجهة الاستعمال وطريقة الانتاج لانرى بدًّا من التحدث عن انتشار هذه الأسمدة الآزوتية الكيماوية التي تنافس نترات الصودا منافسة شديدة. وان نبين بذلك مقادير ما يستهلك منها في كل عام لنؤيد بالارقام ما صادفت من اقبال وما عادت بهِ من فوائد على العالم اجمع

ولاستيفائها حقها من الايضاح سنعود الى تبيانها بالعدد التالي من المقتطف الاغر

ثابت ثابت

الشكاوى المتعلقة بتجارة الارز المصري

اجمع التجار في كل الاسواق الخارجية على سوء معاملة المصدرين المصريين

اولاً — من حيث عدم مطابقة العينات للبضاعة فالعينات دائماً منتقاة خالية من العيوب اما البضاعة فملوءة بالاقذار منحطة النوع

ثانياً — عدم وصول البضاعة في المواعيد المتفق عليها وهذا من اسوأ ما يضر بمصالح التجار فقد جرت العادة ان يحدد التاجر موعد وصول البضاعة في انسب الاوقات لتصريفها واذا تأخرت عن موعدها اصبحت عديمة الفائدة

وقد يكون من السهل في كلتا الحالتين ان يلجأ التاجر الى القضاء او التحكيم وهو يجد من غير شك انصافاً ولكن هذا لا يهمهُ بجانب اعتصاب زبائنه ومعامليهِ الذين يكون قد ارتبط معهم بناء على الموعد الذي حدده مع التاجر المصري او العيّنة التي اتفق معهُ عليها والمسؤول عن هذا في الغالب عناصر غير مصرية

فسوق التصدير مع الاسعار في الارز وغيرهِ — في ايدي الاجانب ومنهم الذين لا يهمهم مصلحة مصر او حاصلاتها بقدر ما تهمهم مصالحهم الخاصة . وما دام الربح ميسوراً ولو من غير طريقهِ الشرعي فهم يرحبون بهِ . وسواء اغضب المستورد ام رضي فكل ما يريدهُ هو قبض ثمن الصفقة

ولا سبيل لمعالجة هذه الحالة الاَّ بان يتقدم اصحاب مضارب الارز انفسهم الى ميدان التجارة الخارجية وان يعملوا على عرض عيّناتهم على التجار هناك مباشرة وان يبذلوا اقصى جهدهم في ايجاد سوق للارز الذي يصنعونهُ بانفسهم

ان صناع الارز هنا هم تجار ولست ادري ما الذي يمنعهم من الاشتغال بالتصدير سوى عدم الاقدام والجرأة . ووجود قناصل لمصر في الخارج من اكبر المشجعات

ومن الغريب ان تتفق شكاوى جميع مستوردي الارز في كل الاقطار على سوء المعاملة مع تجار مصر وان تكون كلها واحدة فبينما يذكر تاجر في هل « Hull » في بريطانيا هذه الحقائق المفجعة اذا بآخر في هامبورج يعدد وقائع معينة من النوع نفسهِ تتردد صداها حتى في تركيا وسورية . على انهُ اذا اهتمت الحكومة بمراقبة الصادرات ومنعت الارز ذا الحبات المعطوبة والكسر خفّت الشكوى من رداءة الصنف وبقيت مسألة المواعيد وهذه لاعلاج لها الاَّ بتعليم الناس قصيري النظر الذين يخسرون تجارة رابحة بسبب اهمال في الموعد وهم يعتذرون بعدم انتظام الشحن في سكك الحديد ولكن هذا العذر واه جداً في

نظرنا لان التاجر ما دام مرتبطاً بعقود فيجب ان يفكر فيها قبل حلولها بزمن كاف

عدم انتظام معدلات وزن الارز في مصر

يكون بحثنا هـذا غير واف اذا لم نشر الى مسألة فريدة في بابها فان كل المحاصيل المصرية الآن لها وزن ثابت مقرر ما عدا الارز فان اوزانه تختلف في كل مديرية عن غيرها . وانهُ لمن اكبر عيوب التجارة ان تشتري الاردب فيصلك من رشيد زنة ٢٩٣ كيلو جراماً بينا تشتري اردباً من دمياط فيصلك ١١٦ كيلو جراماً

ولبيان هذه الفوضى نورد هنا البيان الآتي

الوحدة	المديريات المستعملة بها	نسبتها للوحدات الاخرى	الوزن بالكيلو
الارز الشعير			
الضريبة	جميع المديريات	٣٫٢ اردب رشيدي ٨ « صغير	٩٣٤٫٥٠
الاردب الكبير	البحيرة والغربية في المناطق المجاورة لرشيد	٢٫٥ « « ٣٠ كيلة	٢٩٢٫٥٠
الاردب الصغير	الدقهلية والشرقية والفيوم	٤ر. من الاردب الكبير ١٢ كيلة	١١٦٫٨٠
الارز الابيض			
الاردب		١٥٦ اقة	١٩٥
الفرد			٤٨٫٥

ويلاحظ ان الاردب الابيض في رشيد يزن ١٦٢ اقة

فاي شخص يمكن ان يتصور مثل هذه الفوضى في المعاملات الخاصة بمحصول واحد !!

ان الاردب محدد بقانون نمرة ٩ لسنة ١٩١٤ بانهُ كيل يعادل ١٩٨ لتراً وهـذا لا يمكن ان يزيد من الارز الآ من ١٠٥ — ١١٥ كيلو فقط حسب الصنف وهو قريب من الاردب الصغير

اما الاردب الرشيدي فلا يمكن ان يطلق عليه اسم اردب الاً تساهلاً لان هذا يخرق القانون الذي يحدد المقاييس وهو الذي يجب اتباعهُ واحترامهُ في مصر

ولا سبيل لاصلاح هذه الحالة الاَّ بتحديد معدَّل واحد لمقاييس الارز واجب الاتباع في القطر كلهِ

وقد رأت احدى اللجان الرسمية التي تعرَّضت للموضوع جعل الضريبة اساساً للمعاملات على ان يكون وزنها معادلاً للطن وما دامت الضريبة كلة اصطلاحية وليست محددة لاي قانون فان المقاييس التي يمكن ان تكون اكثر ملاءمة هي

الضريبة = طن = ٨٠٠ اقة = ١٠٠٠ كيلو = ٢٢٠٠ رطل

والضريبة الآن ثمانية ارادب صغيرة فيكون وزن الاردب ١٢٥ كيلو او ١٠٠ اقة وهو يوازي (الكنتال) المستعمل في اوربا

اما اصرار رشيد على اتباع نظام الاردب الكبير فالطريقة للتوفيق بينهُ وبين هذه الحالة هو ان يكون الاردب الكبير ضعفي الاردب الصغير على نظام ضعف (الكنتال)

٢٥٠ كيلو او ٢٠٠ اقة

اما الارز الابيض فيباع بالفرد الذي يساوي ٥٠ اقة على ان يكون الجوال ١٠٠ اقة وهو النظام الحالي . وهذا يحتاج الى قانون ولكن التعجيل بهِ ضروري جداً

مكافأة المصدرين

بقيت مسألة رأينا ان نذكرها هنا اتماماً للبحث وهي ان الحكومات جرت على سنة تشجيع المصدرين بمكافآت مالية معروفة باسم Primes d'Exportation وهذه المكافآت المالية تساعد المصدر على تخفيض السعر وبالتالي على مزاحمة الاصناف الاخرى في الاسواق الاجنبية . وقد اشير في مصر بمنح نياشين !! ومع اننا لا نرى ضرراً منها الا انها تدل على ميل الشرقيين عامة الى الزهو والخيلاء دون التمسك بحقائق الامور

تلك هي خير الوسائل لتحسين تجارة صنف هام هو الارز وعندي ان الوقت حان كي تفكر مصر تفكيراً جديًّا في زيادة انتاجها الزراعي لان العالم يسير الى الامام ولكن من المؤلم والمدهش ان محصول اراضينا لم يزل كما كان عليهِ منذ قرن من الزمان

لقد اثيرت مسألة الارز بمناسبة حضور الخبير البريطاني المستر دجلاس الذي استقدمتهُ حكومة مصر لدرس هذه الصناعة الهامة ولقد اشار الخبير باتباع قرار اللجنة التي تشكلت في عام ١٩٢٦ ودرست هذه المسألة

وقد بحثنا هذه المسألة على صفحات المقتطف في ضوء ابحاث لجنة ١٩٢٦ التي تشرفنا بعضويتها وكتابة محاضر جلساتها وتقريرها . فلعلَّ التفكير والحديث في هذه المسألة ينتهي بعمل نافع فقد طال عهد الكلام

جلال حسين

باب شؤون المرأة

وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

اللادي بايلي

ابرع امرأة طيّارة في العالم

انعم اتحاد الطيران الدولي على اللادي بايلي الطيارة الانكليزية الجريئة بلقب « ابرع امرأة طيارة في العالم للعام الماضي » وذلك على اثر تحليقها بطيارة صغيرة الى علو لم يسبقها احد اليه بطيارة من هـذا الوزن . ويقيننا انهُ لو لم تقم اللادي بايلي برحلتها العظيمة من لندن الى مدينة الكاب ثم عودتها منها الى لندن وحدها لما أُنعم عليها بهذا اللقب

طارت وحدها بطيارة صغيرة من طراز « مُث » من لندن الى القاهرة . فلما وصلتها قيل لها ان ولاة الامر في السودان لا يسمحون لها ان تطير وحدها فوق بلدانه المترامية الاطراف. وطال الاخذ والردُّ بينها وبينهم حتى سئمتها فجاء الطيّار بنتلي اخيراً ورافقها فوق البلاد المذكورة . وفي عودتها الى انكلترا ارسلت تطلب الاذن بالطيران فوق السودان قبل قيامها من جنوب افريقية فلم تفز بهِ فعزمت ان لا تطير فوق البلدان المشمولة بالنفوذ الانكليزي فطارت فوق البلدان المشمولة بالنفوذ البلجيكي والبرتغالي والفرنسي والاسباني معتمدة على محرك طيارتها مع ان طياري البلجيك في الكنغو البلجيكية الذين يستعملون طيارات لكل منها ثلاثة محركات يرون ان نزول طيارة في تلك البلدان يعرض ركابها لخطر عظيم . ولا يعرف احد ما تعرضت لهُ من المخاطر في رحلتها هذه ولما كانت امرأة وديعة لا تحب المباهاة بنفسها فالمرجح اننا لن نعرف ذلك

وصلت لواندة في مقاطعة بانغولة البرتغالية في الخامس من اكتوبر الماضي فالتقت هناك بالطيارين البرتغاليين اللذين كانا يحاولان الطيران من لشبونة الى بلاد موزمبيق في شرق افريقية . ولما غادرت لواندة سارت محاذية للشاطئ حتى وصلت الى بوما فاتجهت الى

بحيرة تشادفي داخلية افريقية عند زاوية نيجيريا الشمالية الشرقيةومنها اتجهت غرباً الى غاو في افريقية الفرنسية وهي على مقربة من تمبكتو . هناك طلبت اذناً من الفرنسيين ليسمحوا لها ان تطير فوق الصحراء الكبرى فلم يأذنوا لها في ذلك فاتمت طيرانها الى الشاطئ الغربي وطارت محاذية لهُ حتى وصلت الى الدار البيضاء في مراكش ومنها الى اسبانية ففرنسا فوصلت باريس في ٦ يناير . ولبثت فيها بضعة أيام حتى صحا الجوّ قليلاً فاستأنفت سفرها الى لندن فوصلتها في ١٧ يناير

ليس الجمال كلّ ما هنالك

بقلم اليصابات سيمون الفتاة المجرية

التي فازت بجائزة الجمال الاولى في اوربا

آمالي آمال امرأة من العهد القديم . اريد ان اكون زوجة صالحة واماً محبّة محبوبة وفي ذلك ليس الجمال كلّ ما يلزم الفتاة

بعد ما فزت بجائزة الجمال الاولى اخيراً في اوربا انهالت عليّ الطلبات لاعقد اتفاقات اظهر فيها على المسارح او في الصور المتحركة على الستارة الفضية ولكني عازمة ان ارفض كل ما هو من هذا القبيل . ومما يحملني على الدهشة والاستغراب ان الناس يسلمون باني لا بدَّ ان اصير ممثلة بعد الفوز بالجائزة المذكورة . ولو كنت ميالة الى التمثيل لكنت حاولت الظهور في ميدانهِ قبل الآن . وسأشترك في مباراة الجمال التي تقام في مدينة جالفستن باميركا وبعد ذلك اعود الى المجر لاعيش العيشة التي كنت اعيشها قبلما اشتهرت . واملي مثل كل فتاة معقود على ان اتزوّج يوماً ما رجلاً اجد فيهِ الصفات التي ارى وجوب توافرها في كل زوج

اما الزوج الامثل في رأيي فلا يجب ان يكونَ بهيَّ الطلعة لاني اكرهُ ان اتزوّج رجلاً يحقُّ لهُ الدخول في مباراة للجمال . ولكني اطلب فيهِ ان يكون رضي الاخلاق لان هذه الصفة بمثابة الزيت في آلة الحياة يسهّل على اجزائها الدوران من غير احتكاك . كذلك يجب ان يكون ممن يشعرون بالتبعة ويدرك معنى الشرف كما يجب ان يكون محبوباً من رفاقهِ وموضعاً لثقتهم بهِ . فثقة الرجال برجل من اكبر الادلّة على متانة خلقهِ . لا يهمني مطلقاً هل هو اشقر او اسمر ، متأنق في ملابسهِ او غير ذلك . بل كل ما يهمني ان يكون متحلياً بالصفات المتقدمة

ومنذ اشتهرت بالجائزة التي فزت بها اخذ الناس يسألونني رأيي في « الفتاة العصرية » كأني اعرف عنها كلَّ شيء . ولكني ارى انهُ اذا قسنا « الفتاة العصرية » بالفتيات اللواتي يطالع القارئ اوصافهنَّ في ثنايا الروايات وجدنا الفتاة العصرية متفوقة على اخواتها. فهي اسرع خطوة واذكى عقلاً واكثر استقلالاً ومعرفة للتبعة الناجمة عن هـذا الاستقلال . وهي كذلك تعرف كيف تبدو جميلة فتانة وكيف تعتمد على قواها الاخرى في الافادة والاستفادة . فالجمال ليس الآن صفة يمتاز بها النفر القليل من السيدات بل هي صفة تكاد تكون عامة بين الفتيات العصريات وجمالهنَّ عادة لا يتوقف على جمال الوجه بل على رشاقة القد وخفة الحركة وامارات الصحة والنشاط التي تبدو عليهن . كان الناس قبل هذا العصر يقفون في الشوارع حين تمرُّ سيدة جميلة لكي يشاهدوا جمالها ولكنهم لا يفعلون ذلك الآن لان في شخص كل فتاة شيئاً من الجمال هو بهجة البيت او المكتب او المعمل

اشعة الشمس واثرها في الاطفال

ملخص مقالة للدكتور كالب صليبي

الدكتور كالب صليبي أشهر من ان يعرف فهو علاوة على معارفهِ الطبية من ائمة علماء الانكليز في علم الاجتماع وزعيم المبشرين بالعلاج باشعة الشمس في انكلترا وقد عثرنا على مقالتهِ هذه في مجلة الاطفال الدولية فحاولنا تلخيصها فيما يلي : —

العلاج باشعة الشمس علاج قديم استعمل منذ عدة قرون مضت ولكنهُ نُسِيَ مع غيرهِ بمرور الزمن وتطور الانسان في رقيهِ المدني. وهنا استشهد الكاتب برسالة جليسون Glisson (١٦٥٠) المشهورة في تأثير اشعة الشمس وكذلك بمقالة الدكتور بام Balm الذي ابان فيها ان الدخان المتكاثف فوق المدن هو أهم العوامل في انتاج الكساح بين الاطفال . ثم اشار الكاتب الى محاولة بونيه Bonnet معالجة تدرُّن العظام باشعة الشمس وكذلك بمجهودات روليه وهلدتشنسكي وغيرهم في هذه الناحية. ثم استطرد الحديث فقال ان الشمس الد اعداء الكساح والسل وابان ان الاطفال في احتياج الى اشعتها منذ ولادتهم ان لم يكن من قبل الولادة ونصح للحامل بالتعرض لها يوميًّا بدلاً من ان تختفي بين جدران بيتها لانها بتعرضها للشمس تأخذ حاجتها وحاجة طفلها منها لان الاشعة الشمسية تولد في جلد الام الفيتامين (D) المضاد للكساح الذي يمتصهُ من الجلد في الدورة الدموية عند الاحتياج اليهِ . ثم أبان ان الاشعة التي فوق البنفسجي هي الاشعة المضادة للكساح وهي هي الاشعة التي يحجبها الدخان المتكاثف فوق المدن ويجب علينا ان نتذكر

ذلك دائماً كلما حاولنا اتخاذ اي اجراءات لمقاومة الكساح

ثم تحول الكاتب الى بيان الاجراءات العملية التي اتخذت الى الآن في مقاومة السل والكساح وعلاجها بهذه الطريقة فاستشهد بالمدارس التي اسسها روليه في ليزن وفي شارولتبرج في المانيا . ومع ان هذه المدارس معدة في الوقت الحاضر للاطفال ضعاف البنية الا انهُ يجب ان تكون جميع مدارس الاطفال مثلها حيث يجب ان يتلقى التلاميذ دروسهم واجسامهم معرضة لاشعة الشمس دائماً. فان الصغار في هذه المدارس يلبسون حين تلقي دروسهم لباس الحمام الخفيف ولكنهم يغطون رؤوسهم بقبعات مناسبة وعيونهم بنظارات سوداء وعند اشتداد هبوب الريح يحاط محل الدرس بحواجز للوقاية من الريح

العناية بالاطفال

فصول صحية في شكل حديث بين طبيب ورجل وزوجته

كانت الساعة الواحدة والنصف من صباح الجمعة حيث كان السكون مخيماً على اسرة صغيرة مؤلفة من رجل وزوجة وخادم نائمين في منزل صغير قائم على ضفة النيل الشرقية في ضاحية العاصمة الجنوبية. وكان قد مضى على هذه الاسرة في هذا المنزل نحو تسعة اشهر اي من يوم عُقد لكريم على وردة. وكان كريم من الشبان النبهاء وعلى جانب كبير من الذكاء والفطنة يشتغل في تحرير احدى جرائد الصباح الكبرى وغيرها من المجلات الاسبوعية وكانت وردة متعلمة تعلماً حسناً وعلى قسط وافر من التهذيب . في هذه الساعة المتأخرة من الليل استيقظت وردة من نومها العميق وجلست في سريرها مذعورة من الم حاد احست بهِ في ظهرها و بطنها ولكنها ما كادت تستوي على سريرها الاَّ والالم قد زال بالسرعة التي جاء بها وشعرت كأنهُ لم يكن بها الم وكانها لم تحس بشيءٍ غير عادي وهذا ما ادهشها وضاعف ذعرها وهمت ان توقظ شريك حياتها

وانها لكذلك احست بالالم وقد عاودها كالسهم اصاب هدفهُ ونفذ منهُ فما وجدت نفسها الاَّ صائحة باعلى صوتها يا كريم يا كريم . فقام كريم على ندائها مروَّع الفكر والقلب ولما قصت عليهِ ما شعرت بهِ هدأ باله وسكن اضطرابهُ وادرك في الحال ان وردتهُ في بضع ساعات تصبح امَّا. فاخذ يشجعها ويبعد عنها مخاوفها وحضر لذهنهِ ما يطلب في هذه الساعة الحرجة من الصبر والجلد وابتدأ يهيء لها كل لوازمها واحضر ما احضر من الادوات ودعا من دعا من المعارف ليستأنس بولائهم وبعد حين وضعت وردة غلاماً تامَّ الخلق جميل الصورة وقد عاد وردة الوالدة الدكتور امين وجرى لهُ معها ومع صديقهِ كريم الحوار الآتي

بلاد العرب : نظرة مجردة

هذا موضوع الخطبة النفيسة التي خطبها امين الريحاني في جمعية آسيا الوسطى في جلسة عقدت خاصة لذلك برآسة السر جلبرت كلايتون مندوب بريطانيا السامي في العراق . وقد نشرت الخطبة مجلة جمعية آسيا الوسطى في عددها الصادر في اواخر يناير الماضي واهدى الينا محررها نسخة منها فطالعناها فاذا الاستاذ الريحاني قد بسط الحالة كما يراها بسطاً وافياً من غير تحزب لابن السعود او لخصومه ووضع كثيراً من اللوم في ذلك على الانكليز انفسهم وخصوصاً في جنوب الجزيرة وقد اشار الى ذلك بقوله

« اريد ان اقول كلمة للذين بغضبهم تعرضي بالانتقاد للموظفين البريطانيين وللسياسة البريطانية في بلاد العرب . فاذا نظرتم الى الامر بعد ما قدمتهُ لكم من علاقتي بالثقافة الانجلوسكسونية رأيتم ان الاقوال التي اقولها لا اقف فيها موقف العربي وان كانت وجهة النظرين متفقة احياناً ولكني اقف فيها موقف المؤلف الذي يفاخر بالتراث الفكري الجيد الذي يجعل صلتهُ بالحق اعلى من كل صلة جنسية او دينية او سياسية »

وقد اشار بحلول سياسية وجغرافية معقولة للمشاكل القائمة الآن حبذا الحال لو نظر فيها ولاة الامر . فعسى ان يقرأ هذه الخطبة من تهمهم متابعة الاحوال في الجزيرة العربية وعسى ان تعنى احدى الجرائد العربية في العراق بترجمتها ترجمة حرفية لانها تحتوي على فوائد كثيرة يجب ان يضنّ بها فلا تبقى محجوبة عن قرّاء البلدان التي تعرض لشؤونها

أسرار المراهقة في الفتاة

تأليف الدكتور شخاشيري

يعجبني ان لا يعالج التأليف في موضوع ما غيرُ المتخصص لهُ العارف باصول التأليف، ولكن يعجبني اكثر من ذلك ان يكون نتاج التأليف تامّ الدلالة على نفس مطبوعة على موضوعه ، قد تذوَّقتهُ بلذَّةٍ فعبَّرت عنهُ تعبيراً حيًّا جمَّ الحرارة صادق الشعور

من اجل ذلك استمرئ كتابة طه حسين عن أبي العلاء، والآنسة ميّ عن باحثة البادية ووردة اليازجي، والامير شكيب ارسلان عن المجد العربي، والكرملي عن فقه اللغة العربية وفلسفتها ، كما استمتع بكتابة غيرهم من اعلام ادبائنا في المباحث التي اشعر أنها ذاتُ المحلّ الاسمى في نفوسهم وقد اندمجت ارواحهم فيها . ومن بين هؤلاء الفضلاء البارزين العالم العامل الدكتور شخاشيري صاحب كتاب (اسرار المراهقة في الفتاة) الذي طلع على ابناء العربية في اشدّ اوقات الحاجة الى امثاله، فانّ الدكتور الفاضل يشتغل بالطبّ والجراحة

في المستشفى الانكليزي بمصر القديمة ، فموضوع الكتاب إذن غيرُ غريبٍ عنهُ ، وهو الى جانب ذلك اديبٌ اشتغل بالكتابة والتأليف ردحاً من الزمن ويعرف حقَّ المعرفة كيف يصرّف قلمه، ثم هو فوق ذلك والدٌ حنونٌ يشعر بمسؤولية الابوّة ادقَّ الشعور. وهذه كلها عوامل ومناسبات تدفعهُ الى التأليف في هذا الموضوع الخطير بغيرة واهتمام و بعطف وحرارة

يقعُ هذا الكتاب النفيس في ثمانين صفحة من القطع الصغير مطبوعاً طبعاً أنيقاً يكاد يخلو من الاخطاء المطبعية وقد اختار لهُ حروفاً كبيرة ، وجعلهُ في اسلوب قصصي أخاذ فضمن بذلك نجاحهُ الاوفى مظهراً ومخبراً . وحسناً فعل الاستاذ المؤلف في معالجتهِ هذا الموضوع المحرج باختيار أسلوب القصة والحوار معاً ، مع مراعاة السهولة التامة في التعبير والصراحة المقبولة حيثما استدعى المقام ذلك

اما ملاحظاتي النقدية على هذا التأليف الذي لا يحتمل التلخيص (ويجب ان يُقتنى ويقرأ ويدَّخر في كل بيت) فأهمها ما يأتي :

(١) تورط المؤلف في حديث تشريحيّ طويل لا موجب للتفصيل فيهِ سيما وفيهِ من أسماء العظام ما لا يذكره أكثر الاطباء ، فكان جافاً على خلاف عادتهِ . وكان الأولى بهِ الاجمال بدل ذلك البيان الممل والاكثار من التحدث عن عجائب وظائف الاعضاء ونحو ذلك من الفوائد التي لها صلة كبرى بموضوعهِ مستعيناً بأسلوبهِ الادبي الجميل

(٢) لم تعجبني مفاجأتهُ الصريحة بذكر التلقيح دون تمهيد بحديث أو أكثر مدلياً بمقارنات مناسبة مستمدة من حياة النبات أو من حياة الحشرات ، فكان يلطف ذلك البيان الشعري وتلك المقارنة من وقع الصدمة عن حقيقة الحياة الجنسية ، ولعلَّ رغبتهُ الشديدة في الاختصار هي التي أدت الى ذلك الاقتصاد الكثير (٣) قَدْحُهُ في عادة قصّ الشعر (التي هي طبيًّا صحية) مما نقلهُ من مؤلف طبيٍّ اجتماعيٍّ الى ما هو ابعد من ذلك ، متناسياً انَّ بين قارئاتهِ الكثيرات المتعلمات من أرقى الأسر مَنْ ينظرْن الى هذه العادة نظرةً ذوقيةً فقط . وكان بودّي ان يكون كالحكم المستقلّ بل كالمحايد في مسألة كهذه لا علاقة لها باسرار المراهقة في الفتاة . وحينئذٍ ما كان اولاهُ باغفالها من مباحثهِ

(٤) خلوّ الكتاب من الصور التوضيحيَّة التي قد تزيد من تأثيرهِ ونفعهِ اذا ما كانت فنيَّة متقنة . وهذا مما يُستطاع تداركهُ في الطبعات التالية

ولا يسعني أخيراً الاَّ أن أهنئ حضرة الزميل الفاضل بشجاعتهِ الادبية وبتأليفهِ الجم الفوائد الذي يستحق من أجله شكر جميع الاسر التي تعرف قدره ، وشكر العربية التي كثيراً ما بذل لها مواهبهُ بالقلم واللسان

أحمد زكي أبو شادي

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم تدرجه بعد شهر آخر تكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) اعظم عظماء القرن العشرين

مصر . من هو اعظم رجل خدم العالم في القرن العشرين

ج . اذا اريد بالعظمة العظمة القومية فالنظر يختلف باختلاف البلدان . فالمصريون يحسبون زغلول باشا وثروت باشا في مقدمة من خدم بلادهم . والفرنسيون يحسبون جوفر وفوش من اعظم عظمائهم لان اولهما صدَّ الالمان في بداءة الحرب عن اقتحام الخطوط الفرنسية واحتلال باريس ولان الثاني احرز النصر النهائي على الالمان . والبلشفيون يحسبون لنين في مقام فوق مقام البشر والايطاليون يرفعون موسوليني الى مصاف اعظم العظماء في كل عصور التاريخ . واذ اريد بالعظمة النفع المادي فالمستنبطون وعلى رأسهم اديصن والاطباء الباحثون في الطب من وجهٍ علمي اعظم عظماء العصر . واذا اريد بالعظمة التفوق العقلي واثره في اساليب العلوم واتجاهها فاينشطين ومدام كوري والسر جوزف طمسن والاستاذ ملكان وامثالهم . واذا اريد السعي لتأييد السلام فاللورد روبرت سسل . واذا اريد اغاثة الجائع والعريان فهربرت هوفر المنتخب لرآسة الولايات المتحدة الاميركية

لذلك ترون انهُ يتعذر علينا اجابة سؤالكم اذا لم تحدّدوا لنا نوع الخدمة التي تعنونها . ومع ذلك تظل المفاضلة بين العظماء متعذرة على حدّ قول احد الكتّاب « في ميدان التفوق تتعذر المفاضلة »

(٢) نقل الصور لا سلكياً

الاقصر . طالعنا في الصحف اليومية ان صورة تحويل مالي نقلت لا سلكيًا لاول مرة في التاريخ . ونحن نذكر اننا طالعنا في المقتطف منذ سنوات ان ذلك كان قد تمَّ للمستنبطين من قبل ورأينا فيهِ صورة تحويل نقلت كذلك

ج . ما قرأتموهُ هو الصواب فنقل الصور سلكيًا ولاسلكيًا ومنها صور التحاويل

المالية قد اتقن واستعمل قبل الآن . والمرجح لدينا ان المقصود من التلغراف هو نقل صور التحاويل بنظام ماركوني المعروف بنظام اليم اي النظام الذي يعتمد على الاشعة اللاسلكية القصيرة الموجّهة في شعاعه الى جهة خاصة . راجعوا مقالة ماركوني في جزء يناير الماضي صفحة ١٥

(٣) اصل الحياة

اولفيرا برازيل . في كتابكم اعلام المقتطف صفحة ١٧٢ قلتم في كلامكم على حياة باستور ما يأتي : لما شرع باستور يبحث في الاختمار وضع لبحثهِ مقدمتين الاولى ان الاختمار من ملابسات الحياة والثاني ان الحيَّ لا يتولد الاَّ من الحيِّ . فجاءت نتائج بحثهِ مطابقة لهاتين المقدمتين . فكيف اذاً وجد هذا الكون وهذه الخلائق من العدم الى الوجود وكيف نشأت الحياة اولاً

ج . اما مقدمة باستور الثانية فكانت ولا تزال تنطبق على الحياة في حالها الحاضرة كما هي معروفة على سطح الارض الآن . فالحيُّ لا يولد الاَّ من الحيِّ . وكل مباحث العلماء المدققين الذين تلوا باستور ايدوا رأيهُ ونتائج مباحثهِ . ولم يتعرض باستور مطلقاً الى اصل نشوء الحياة ولا أبدى رأياً في ذلك . اما الشق الثاني من سؤالكم فراجعوا في الردّ عليهِ صفحتي ٤٦٤ ٤٦٥ من مقتطف دسمبر سنة ١٩٢٨

وسنعود الى هذا البحث في عدد تالٍ

(٤) التطعيم ضد الجدري

صافيتا سوريا . م . يستخرج الاطباء المادة التي يلقحون بها الناس لوقايتهم من الاصابة بالجدري . وهل هذا التلقيح يكفل الوقاية من الجدري . فقد علمنا ان البعض يأخذون الآن قليلاً من سائل حبوب (الطفح) المصاب بهِ ويلقحون بها الاصحاء طلباً للوقاية ويزعمون ان هذا التلقيح يكفي لوقاية الجسم طول الحياة . فما رأيكم في هذا النوع من التلقيح وهل تؤمن عواقبهُ؟

ج . تلقح البقر او الخيل بمكروبات الجدري فتصاب بهِ فيؤخذ سائلها اللمفاوي وفيهِ مكروبات مرضها ويعقم ويحفظ في انابيب دقيقة هي الانابيب التي تباع في الصيدليات وتستعمل في تطعيم الاصحاء لوقايتهم . ولما كان جدري البقر او الخيل اخف وطأة من جدري البشر فاذا عُدي بهِ الانسان كما تعدى الحلابات اصيب بجدري خفيف يقيهِ من الاصابة بجدري ثقيل . والتطعيم اذا تمَّ على يد طبيب بلقاح جديد يكفل الوقاية من الجدري . اما التطعيم بسائل يؤخذ من طفح المصابين بالجدري فامر شديد الخطر ويجب ان يمنع

(٥) هل السل وراثي

ومنها . هل مرض السل وراثي وما اجدُّ رأي طبي في ذلك

ج . كلاَّ ليس السلُّ وراثيًّا وكل

ما هنالك ان الوالد المسلول يورث ابنهُ بنية ضعيفة واستعداداً للمرض. ثم ان الطفل يتعرض للاصابة بهِ بعيد ولادتهِ لان اباهُ قد لا يحجم عن حملهِ وتقبيلهِ وهو لا يكفُّ عن الحبو على الارض او على السرير في غرفة المريض فيتعرض كذلك لمكروبات السل المنتشرة في الغرفة. والثابت لدى الاطباء انهُ اذا ولد طفل ابوهُ مسلول وأُخذ حال ولادتهِ ليعيش في مكان صحيٍّ نشأ صحيح البنية سليم الجسم

(٦) تطهير غرفة مسلول

ومنهُ . ما انجع الوسائط لتطهير غرفة من السل الرئوي

ج. اولاً تسدُّ النوافذ والكوى ثم تقاس الغرفة حتى يعرف مكعبها ثم توضع فيها نار وعلى النار وعاء فيهِ ماء ويضاف الى الماء مادة الفورمول او الفورمالين بنسبة لترٍ لكل عشرة امتار مكعبة من الغرفة ثم تقفل الغرفة وتترك كذلك من ٢٤ ساعة الى ٤٨ ساعة بما فيها من الاثاث والامتعة . ثم تغسل الجدران والارض بمحلول كلورينات الكلس (الجير) بنسبة اوقية ونصف اوقية في كل جالون من الماء . اما الامتعة والملابس والستائر فيحرق منها ما لا قيمة كبيرة لهُ كالمناديل والباقي يغلى في الماء مدة ساعتين ثم يغسل بالصابون بعدها ويغسل بماء اذيب فيهِ محلول الفينيك ٣٠ غراماً في كل لتر من الماء

(٧) الزوابع

واشنطون. اميركا. ما الفرق بين الكلمات الآتية وما معناها Cyclone Typhoon Tornado فان ذكرها يرد كثيراً في الصحف في هذه الايام ايام الاعاصير والزوابع الشديدة

ج . السيكلون والهركين Cyclone وHuricane اسمان لمسمًّى واحد هو الزوبعة اي الريح التي تدور في هبوبها وتلتف كاللولب وحدوثها كثير في جوار جزائر الهند الغربية وفي البحر الصيني والاوقيانوس الهندي على جانبي خط الاستواء. اما التيفون Typhoon فزوبعة تثور على شواطىء تونكن والصين وجزائر اليابان ويرافقها عادة موجة تطفو على الشاطىء وتجتازهُ مخربة كل ما يكون في طريقها . واكثر حدوثها في يوليو واغسطس وسبتمبر . واللفظة الاخيرة هي التورنايدو Tornado وقد عرفت في كتاب الظواهر الجوية تأليف الاستاذ لومس وترجمة الدكتور فارس نمر « بالريح الهوجاء » وهي زوبعة عنيفة لا تستقر فوق مكان واحد بل تسير بسرعة ٢٠ ميلاً الى ٤٠ ميلاً في الساعة تقتلع الاشجار وتخرب البيوت . واذا مرت فوق بحر رفعت الماء عموديًّا في الهواء وتعرف حينئذٍ بالاعصار



خلاصة الغدّة النخمية

يجتمع مجمع تقدم العلوم الاميركي كلَّ سنة حوالي عيد الميلاد فتتلى فيهِ الرسائل العلمية وتمنح الرسالة التي تعدُّ ابعدائرًا من غيرها في ترقية فرعٍ من العلوم جائزة مالية قدرها مائتا جنيه . وقد نال هذه الجائزة في الاجتماع الاخير الاستاذ اولفركام مدير قسم البحث العلمي في معامل پارك آند دايفس بدترويت . وموضوع رسالته بحث في الغدة النخمية واثر مفرزاتها في الصحة والمرض

والغدّة النخمية هذه غدة صغيرة بحجم حبة من الحمص مركزها في منخفض من العظمة السفينية من عظام الجمجمة وتتصل بالدماغ قرب عصب البصر . وهي فصّان امامي وخلفي . فاذا كان الفصُّ الامامي قويًّا ومفرزاتهُ اكثر من المفرزات العادية نشأ صاحبها كبير الجثة كأنهُ احد العمالقة. وقد حصر الدكتور كام بحثهُ في فصّها الخلفي فوجد في مفرزاتهِ هرمونين اطلق على احدهما هرمون الفا او اكسيتوسِن وعلى الآخر هرمون بيتا او ڤازوپرسن. ولو كانت هذه الهرمونات للبيع وشاء احدٌ ان يبتاع رطلاً انكليزيًّا منها لكلفهُ ذلك مائتا الف من الجنيهات . والباحث المذكور لم يستطع ان يستخلص في مباحثهِ سوى جزءٍ يسير من الاوقية مع انهُ استعمل الغدد النخمية في اكثر من خمسين الف رأسٍ من الماشية . وقد دلت مباحثهُ على ان هرمون الفا قد يساعد النساء على التخلص من آلام الولادة والمخاض ويزيد ضغط الدم. وهرمون بيتا لهُ شأن كبير في السيطرة على استعمال الماء في مختلف اعضاء الجسم ويساعد على الاحتفاظ بضغط الدم الطبيعي في جراحة الدماغ . ولذلك قد يفيد استعمال هذا الهرمون في معالجة الحروق وفي العمليات الجراحية

وقال الدكتور آبل والدكتور جانسن من اساتذة جامعة جونز هبكنز الطبية انهما تمكنا من صنع بلورات الانسولين في المعمل الكيماوي ولا يخفى ان الانسولين هو خلاصة ما تفرزهُ البنكرياس ويستعمل في معالجة مرض البول السكري

اعجوبة علمية جديدة

برد من الطيارة فوق القطب يخاطب نيويورك

عند ما حلّق القومندر رتشرد برد

بطيارته « الخطوط والنجوم » الى علو ثلاثة آلاف قدم فوق مفاوز الجليد المحيطة بخليج الحيتان في القارة المتجمدة الجنوبية خاطب جريدة التيمس النيويوركية لاسلكيًّا وتناول جوابها والمسافة بينهما نحو عشرة آلاف ميل

فعند الساعة ١٠ والدقيقة ٣٠ وقت نيويورك في ٢٥ يناير الماضي خاطب كارل بترسون عامل اللاسلكي في السفينة نيويورك الراسية في خليج الحيتان في القارة القطبية جريدة التيمس بجهاز طول امواجه ٣٤ متراً وقال لها ان مالكولم هانسون رئيس عمال اللاسلكي في البعثة القطبية سيطير في الطيارة الخطوط والنجوم في وقت كذا فوق الارض التي سماها برد « امريكا الصغيرة » واشار على عامل اللاسلكي في التيمس ان يصغي ويسمع ما يصله من الطيارة فاعد العامل آلته على القياس الذي عينوه له وكان الناس نياماً والمشتغلون باللاسلكي من موظفين وهواة قد لجأوا الى الراحة فكان كل شيء على ما يريده العامل من الصفاء والسكينة لالتقاط الرسالة القطبية وبعد ان وصل الانذار الاول بالاستعداد لقبولها ارسل هانسون الرسالة التالية :

« تهانينا على اطول مخاطبة لاسلكية متبادلة مع طيارة في الفضاء . من الطيارة « النجوم والخطوط » الى القومندر س . هوبر مدير المواصلات البحرية في نظارة البحرية في واشنطون العاصمة تحيات خالصة لكم ولعامل البحرية الاختبارية ولكل نظارة البحرية بما قد تم من نجاح

خطوة جديدة كبيرة

في تحرير المقتطف

يسرنا ان نعلن لقراء المقتطف ومريديه اننا فزنا بمساعدة نفر من اكبر كتاب اوربا واميركا وعلمائها في تحريره . وقد اعددنا لمقتطف ابريل القادم ثلاث مقالات نفيسة خص بها المقتطف وهي

الفنون اللاسلكية بعد عشر سنوات

للدكتور فورست دالي

وهو من اشهر المستنبطين والباحثين في المسائل اللاسلكية

العلم والصناعة : المشاكل الاقتصادية تحتاج الى قرن آخر من الاكتشاف والاستنباط

للمستر فيليب سنودن

وزير مالية انكلترا في وزارة العمال

هل يطير الانسان الى النجوم

للمسيو روبر اينو بلتري

زعيم الباحثين في موضوع الملاحة بين النجوم

في اطول محادثةٍ مع الطيارات . نحن الآن طائرون على علو ثلاثة الاف قدم فوق اميركا الصغيرة خليج الحيتان في القطب. ليلة مشمسة جميلة »

وللحال اجاب ايفرسن عامل اللاسلكي في التيمس ان كل الكلمات وصلت مفهومة ولم يحتج الى اعادة احداها لان هانسن كان يعيد كل كلمة مرتين حين لفظها

مذهب اينشتين الجديد

شاع منذ مدة ان العلامة اينشتين يعدُّ العدة لينشر بحثاً عويصاً يعمّم بهِ مذهب النسبية حتى يشمل ظاهرات المغنطيسية والكهربائية. وقد ذاع في اواخر يناير انهُ قدّم رسالة في هذا الموضوع الى اكاديمية العلوم البروسية وحّد فيها النواميس التي تشمل الجاذبية والمغنطيسية الكهربائية . وقد بسط الاستاذ اينشتين موجز رأيهِ لمكاتب الديلي كرونكل في ما يأتي : « انقضت سنوات واعظم مطمح لي ان اقضي على « ثنائية » النواميس الطبيعية بتوحيدها . وهذه « الثنائية » ظاهرة في النواميس التي يقرّرها الطبيعيون . فطائفة منها خاصة بالجاذبية وطائفة اخرى خاصة بالكهربائية والمغنطيسية . وقد خطر لكثير من علماء الطبيعة ان هاتين الطائفتين من النواميس لا بدَّ ان تكونا قائمتين على ناموس واحد عامّ . ولكن البحث النظري لم يؤدِ الى هذا الناموس العام ولا الامتحان كشف عنهُ فلم يستطع اقراره على وجهٍ من الوجوه. واعتقد اني وجدت الآن شكلاً علميًّا نستطيع اقرار هذا الناموس العام فيهِ . ان مذهب النسبية يشمل كل النواميس المسيطرة على الزمان والمكان والجاذبية وهذا المذهب الجديد يشمل ما تقدَّم مع النواميس المسيطرة على ظاهرات الكهربائية والمغنطيسية ». وقد اشار الاستاذ ادنغتون في كتابهِ « طبيعة العالم الطبيعي » الى وجوب التوحيد بين هذه النواميس فحقق اينشتين ذلك . ولكن التفاصيل لم تعرف بعدُ ومتى عرفت فالمرجح انها تكون عويصة لا يستطيع ادراكها الا كبار الرياضيين

٣٧٨ كيلو متر في الساعة

في بحيرة شتارنبرج بالمانيا التي اعتادت ذوات الشراع في الصيف ان تسير الهوينا فوق مياهها الصافية الزرقاء ، والتي طالما جاش ساحلها في ذلك الفصل بالحياة بضوضاء المستحمين المغتبطين . في تلك البحيرة يقف اليوم في بردها القارس آلاف من الناس في ثياب الشتاء الدفيئة ينتظرون ما تأتي بهِ الساعة من حادثٍ قيل لهم انهُ خطير ، ويتساءلون ترى ما هو هذا الحادث الخطير. وقد امّوا البحيرة من

كل مكان وبلغ جمعهم نيفاً وثلاثة آلاف ليعلموا بعد ذلك ان مكس فالير سينطلق على الثلج بزحافة « سهمية » كما انطلق فوق الارض من زمن بسيارته « السهمية » وكما يمكن ان ينطلق غداً الى حيث لا يعرف أحد كما يمضي البرق ولا يعرف منتهاه

ظهر مكس فالير بزحافته فما بدأت سهامها تنطلق حتى امتدت الاعناق وتطلعت الابصار ودفع الناس بعضهم بعضاً وارتفعت الاصوات بالدهشة والاعجاب. وزحافة فالير كسيارته المشهورة مجهزة من الخلف بطائفة من الاسهم لا يعلم تركيبها الا مخترعها ينطلق السهم الاول ويشتعل بانطلاقه السهم الثاني فيتبعه في اقل من ثانية وهكذا كلما انطلق او على الارجح انفجر سهم اندفعت الزحافة بقوة الانطلاق فطارت بسرعة البرق كانما مسَّها الشيطان واخذ الناس يسجلون السرعة « ١٥٠ » — « ٢٠٠ » « ٣٠٠ » — سرعة ثلاثمائة كيلو متر في الساعة . وهنا فقد النظارة صوابهم فكادوا يخطون منطقة سير الزحافة والزحافة في خلال ذلك تمرُّ بهم وكانها لم تمرَّ حتى اذا وقفت كان ما سجلتهُ من سرعة قد بلغ ٣٧٨ كيلومتراً في الساعة

وبعد فمكس فالير هذا مهندس الماني يحاول ان ينهب الارض بسرعة آلاته نهباً. واذا كان قد سجل هذه السرعة الهائلة — سرعة ٣٧٨ كيلو متراً في الساعة — فقد يبلغ القمر بعد زمن يسير ! ومن يعش يرَ !

ورد هذا النبأ في رسالة المقطم في مكاتبه في برلين والقرَّاء يذكرون الفصل المسهب الذي كتبناهُ في مقتطف نوفمبر الماضي في وصف « سيارة الصاروخة » التي جربت في المانيا وينتظر مستنبطوها ان يبلغوا بها حدًّا من السرعة لا يضاهي. وها هي ذي « زحافة الصاروخة » لا تزال في مهدها وقد بلغت سرعة اسرع الطيارات

البرد في اوربا

مضى على اوربا نحو شهرٍ وهي في قبضة الجليد . فقد هبطت الحرارة في كثير من بلدانها الى درجات لم تبلغها في القرن الاخير . فقد هبطت في جوار موسكو الى ٦٧ درجة تحت الصفر بميزان فارنهيت اي الى درجة ٥٥ تحت الصفر بميزان سنتغراد. وهبطت في ڤانا بيولونيا الى درجة ٤٠ تحت الصفر بميزان فارنهيت اي درجة ٤٠ تحت الصفر بميزان سنتغراد. والى ٣١ تحت الصفر بميزان فارنهيت اي نحو ٣٦ تحت الصفر بميزان سنتغراد في سيليسيا . والى درجة ١٤ تحت الصفر بميزان فارنهيت اي نحو ٣١ تحت الصفر بميزان سنتغراد في بلغراد . والى ١٥ تحت الصفر بميزان فارنهيت اي الى درجة ٢٦ تحت الصفر بميزان سنتغراد في برلين وهي ادنى درجة حرارة عرفت

في برلين منذ مائة سنة

وقد تجمد بحر البلطيق وحبست السفن فيهِ فشلت حركة الملاحة وتجلد نهر الطونة (الدانوب) مسافة ١٠٠٠ ميل من مسيلهِ وسدّت منافذ النفق الذي يسير فيهِ الاكسبرس الشرقي من باريس الى الاستانة ومنع تراكم الثلوج في تراقية ثلاثة قطارات من اكسبرس الشرق هذا عن الوصول الى الاستانة . واضطرت بعض مدارس فينا الى ان تقفل ابوابها لقلة الوقود الذي يستطيع الطلاب ان يصطلوا بهِ

المنافسة البحرية

اقرّ مجلس الامة الاميركي (الكنغرس) المشروع الذي يقضي ببناء خمسة عشر طراداً في ثلاث سنوات . فعل ذلك بعد ما ابرم الانضمام لميثاق كلوج الذي يحرّم الحرب . وحجة الحزب الاميركي الذي يريد تقوية البحرية الاميركية ان ميثاق كلوج لا يمنع الحرب الدفاعية وانهم اذا لم يبنوا هذه الطرادات التي يبيحها لهم مؤتمر وشنطون البحري لم يتمكنوا ان يتفاوضوا مع بريطانيا واليابان وغيرهما لانقاص التسليح البحري مفاوضة الند للند

ولا يخفى على القرّاء ان مؤتمر وشنطون البحري قرّر ان نسبة القوة البحرية بين بريطانيا والولايات المتحدة واليابان يجب ان تكون ٥ : ٥ : ٣ في الطرادات . ولكن اميركا اهملت بناء ما يحق لها بناؤهُ فصار مقامها بعد اليابان بدلاً من ان يكون مساوياً لمقام بريطانيا كما ترى من الجدول التالي

الدولة	بريطانيا العدد	بريطانيا المحمول	اميركا العدد	اميركا المحمول	اليابان العدد	اليابان المحمول
الطرادات القديمة	!	!	٢٢	١٦٤١٠٠ طن	٩	٦٩٠٤٠ طناً
الطرادات الحديثة التي تم بناؤها	٥٦	٣١٦٧٧٣ طناً	١٠	١٢٠٠٠٠ طن	٢٦	١٣٢٤١٥ طناً
الطرادات الحديثة التي تبنى الآن او ينتظر الشروع في بنائها	١٠	٩٣٠٠٠ طن	٨	٨٠٠٠٠ طن	٧	٧٠٠٠٠ طن

فاذا اتمت الولايات المتحدة صنع ١٥ طراداً في سنة ١٩٣١ صار عدد طراداتها الحديثة ٣٣ محمولها ٢٩٦٠٠٠ طن وكلها طرادات كبيرة يتراوح محمول الطراد منها

بين ٧٥٠٠ طن و١٠٠٠٠ طن وهو الحد الاعلى المعين في معاهدة وشنطن البحرية. وصار لبريطانيا ٦٦ طراداً محمولها ٤١٠٠٠٠ طن ٢٦ منها طرادات كبيرة والباقية صغيرة. فالى اين يسوقنا هذا التنافس في التسليح ؟

نظام الكون وعظمته

المجرة التي نظامنا الشمسي جزء منها طولها نحو الف وخمسمائة مليون سنة نورية والسنة النورية هي كما لا يخفى على قراء المقتطف المسافة التي يجتازها النور في سنة سائراً بسرعة ١٨٦ الف ميل في الثانية . وكل مجرة نظامٌ مستقلٌ من الكواكب وما يدور حولها من السيّارات والمذنبات. وفي مجرتنا نحو عشرة آلاف مليون نجم . ولكنك تجد في الفضاء خارج مجرتنا الوفاً من المجرات بعضها يرى سدماً لولبية كما في غيوم مجلان . على ان مجرتنا تفوق في حجمها كل المجرات التي تناولها البحث من خمسة اضعاف الى عشرين ضعفاً . وقد ثبت ان ابعد المجرّات عنا التي كشفها التلسكوب تبعد نحو مائة مليون سنة نورية اي ٥٨٦ ٥٦٩ ٦٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ميل . هذه اراء الدكتور هارلو شابلي مدير مرصد كلية هارفرد كما بسطها في مجمع تقدم العلوم الاميركي

ويذهب الدكتور ولتر ادمس مدير مرصد جبل ولسن انهُ متى تمَّ صنع التلسكوب الكبير الذي قطرهُ مائتا بوصة تمكن علماء الفلك من ان يروا بهِ نجوماً من القدر الخامس والعشرين والنور الذي يصل الى الارض من احد هذه النجوم يساوي النور الذي يصل من شمعة عادية تبعد عنا ٤١ الفاً من الاميال

غراف زبلين

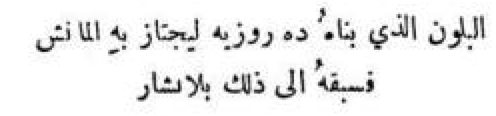
بعد ما كتبنا مقالتنا عن ارتقاء البلون وقدمنا لها بكلمة قلنا فيها ان غراف زبلين يعدّ عدتهُ لزيارة مصر والبلدان المجاورة لها جاءت الانباء بان زيارتهُ لمصر غير محققة وان اصحابهُ حتى كتابة هذه السطور لم يستأذنوا من وزارة الخارجية المصرية في الطيران فوقها

سبعة سيارات جديدة

جاء في مجلة العلم العام ان المسيو دلپورت من علماء الهيئة بالمرصد الملكي البلجيكي اكتشف سبعة سيارات جديدة صغيرة في جوار المشترى تدور حول الشمس

تصحيح خطأ

وقع خطأ في الخريطة المواجهة لصفحة ٣٠٨ اذ ذكر فيها ان سيتل بكندا والحقيقة انها في الولايات المتحدة الاميركية قريبة من حدود كندا

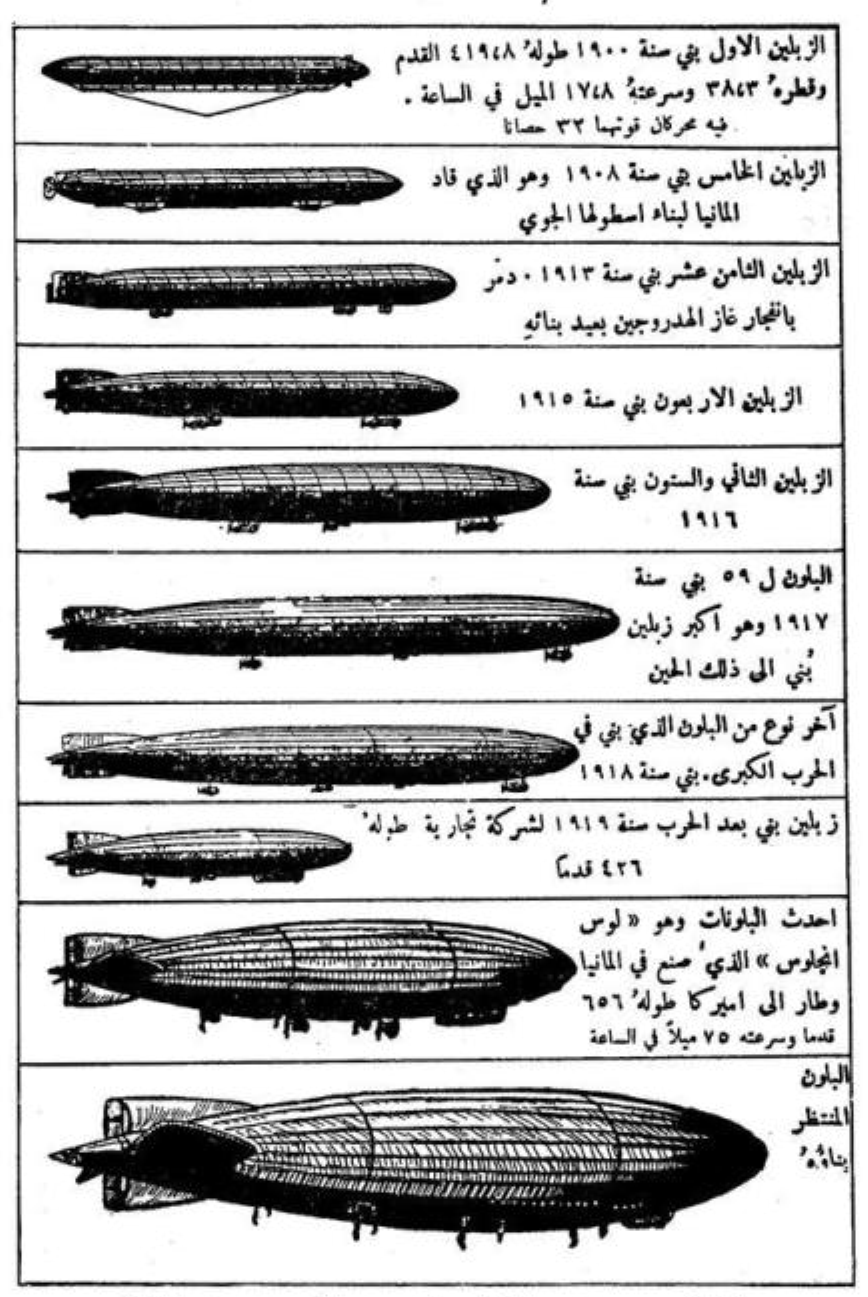


البلون الذي بناهُ ده روزيه ليجتاز بهِ المانش فسبقهُ الى ذلك بلانشار

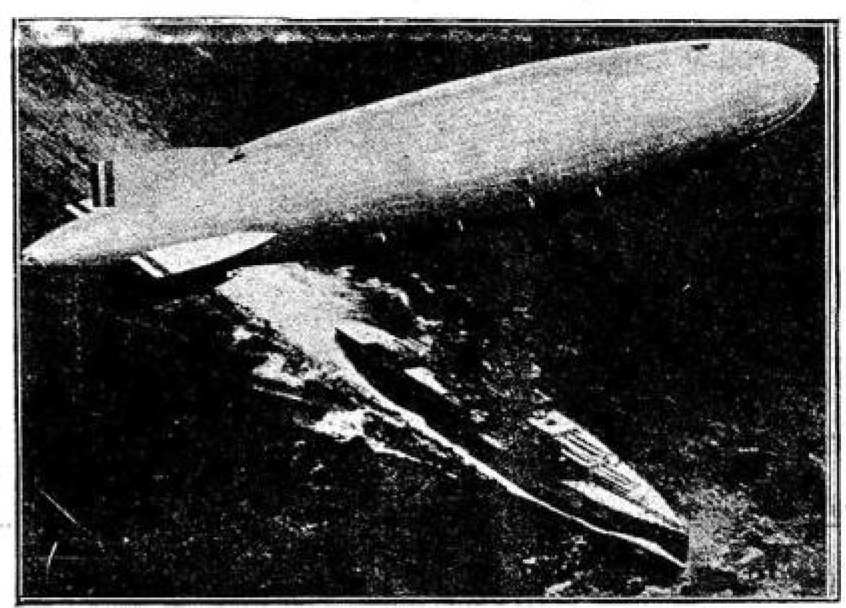
احد البلونات التي بناها الاخوان مونغولفيه

مقتطف مارس ١٩٢٩
امام الصفحة ٢٤٨

تقدم البلونات المسيرة

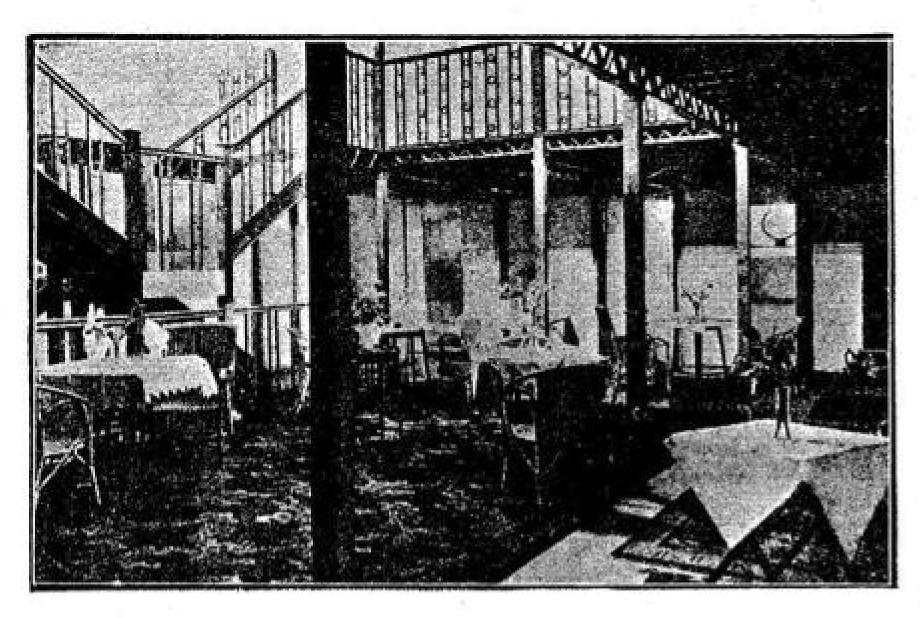


هذا الرسم يبين تقدم البلونات التي صنعها الكونت زبلين الالماني
وعليها يعلق الآن شأن كبير في ترقية المواصلات الجوية

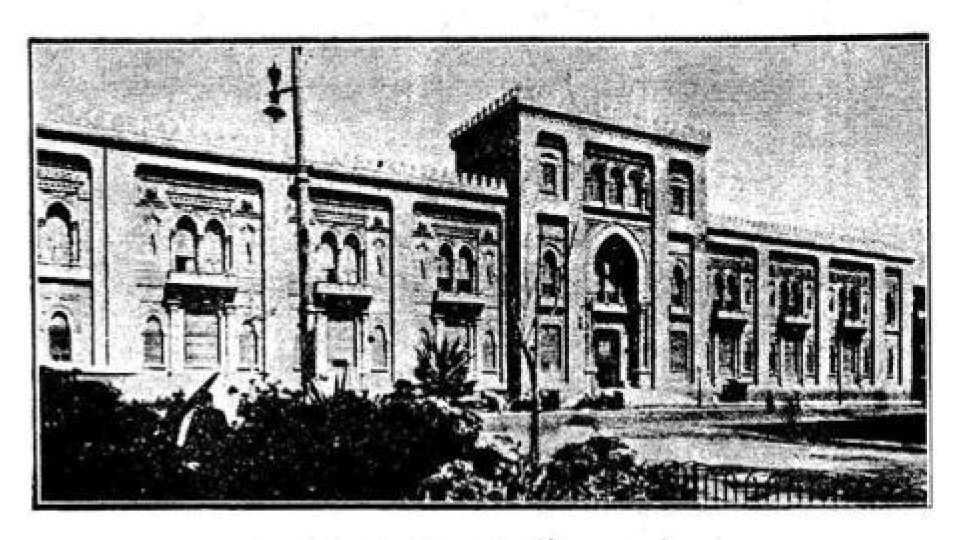


فوق — البلون نورج الذي طار به امندصن ونوبلي الى القطب الشمالي ومنه الى الاسكا
تحت — البلون الاميركي الضخم الذي يبنى الآن مرسوم على مقربة من بارجة حتى ترى النسبة بينهما
طوله ٧٨٠ قدما وقطره ١٣٢ وقوة محركاته الثمانية نحو ٥ آلاف حصان

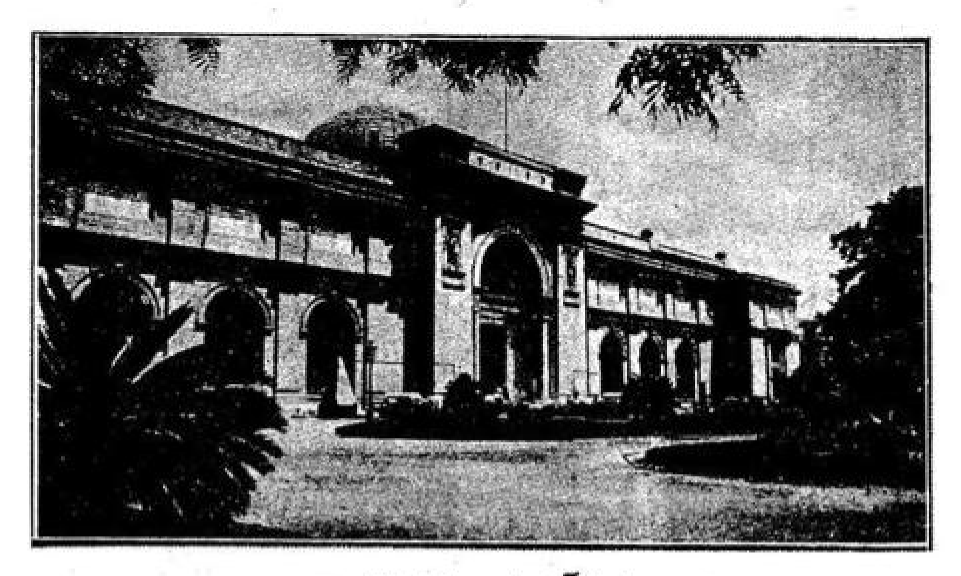
ردهة الجلوس في البلون غراف زبلين



ردهة الجلوس في احد البلونين الانكليزيين



متحف الآثار العربية في القاهرة



دار الآثار المصرية في القاهرة

مقتطف مارس ١٩٢٩
امام الصفحة ٢٦١



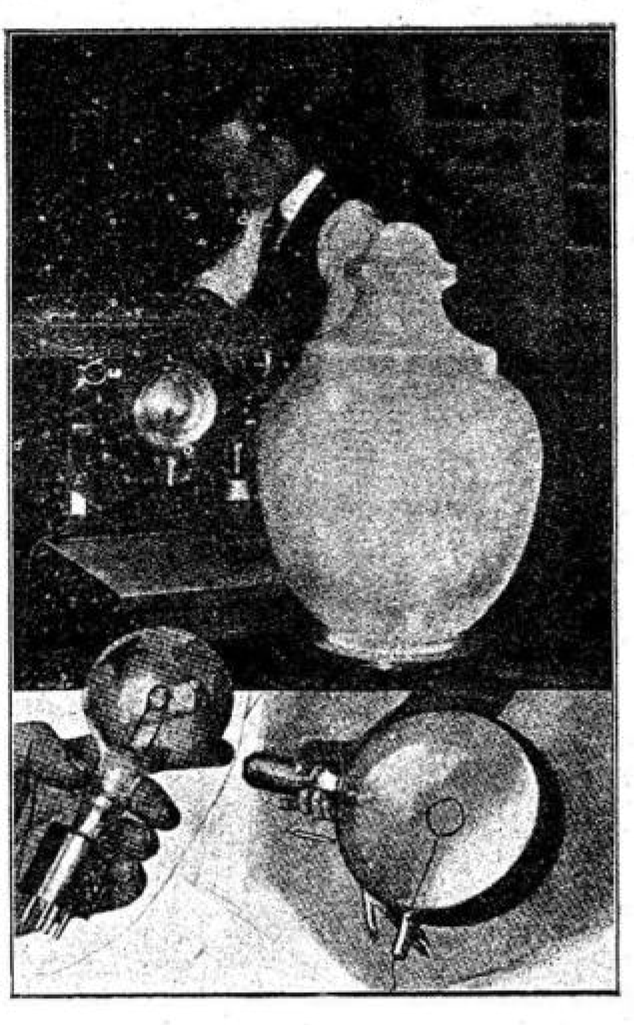
الاستاذ ادغار طويل السوري الفرنسي المقيم بباريس وامامهُ تلفازهُ وهو يحسب من اكبر المشتغلين بالتلفزة (الرؤية عن بعد)

مقتطف مارس ١٩٠٩

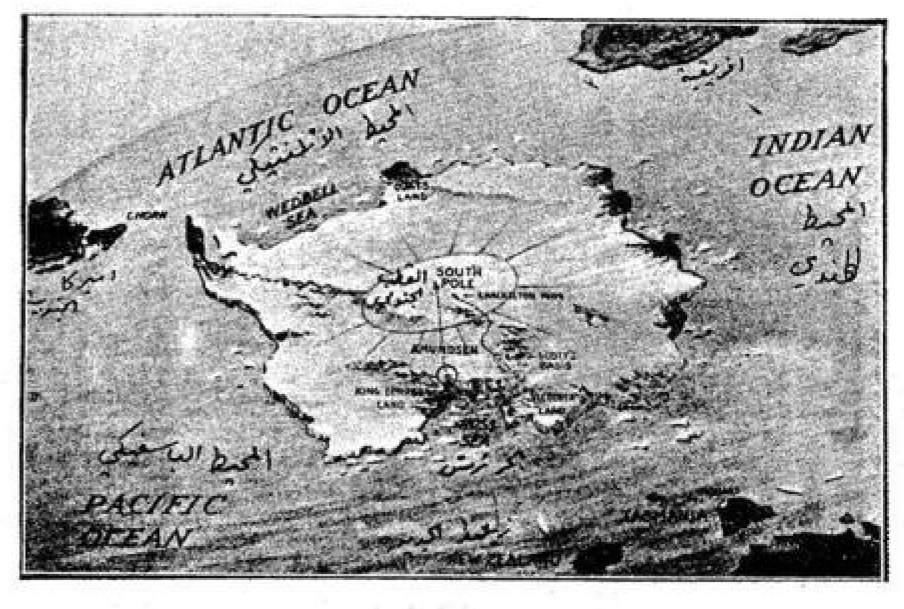
امام الصفحة ٢٨٤

العين اللاسلكية العجيبة

هذه الصورة توضح الحقائق التي ذكرناها في المقالة المقابلة . في الزاوية اليمنى من اسفل الصورة رسم يبين العين اللاسلكية التي اطلق عليها العلماء اسم البطرية النورية الكهربائية وهي كرة مفرغة جانب منها مبطن بمعدن البوتاسيوم وفيها حلقة من البلاتين يصلها بقطب البطرية الايجابي سلك معدني . وفي الزاوية اليسرى بطرية كهربائية نورية شديدة الاحساس حتى اذا مرت غيمة لطيفة وحجبت الشمس دونت ذلك بتحريك ابرة تخط خطوطاً على لوح من الواح الظواهر الجوية . وتستعمل كذلك في المعامل لتقيس كثافة الدخان الذي فيها . فاذا زادت الكثافة عن الحد المعين قرعت جرساً . اما الرسم الذي في اعلى الصورة فمصباح من الزجاج غير شفاف امثال المصابيح الكهربائية التي تستعمل للزينة في القصور وفي اضاءة الشوارع وقد أُنير ووضع امام البطرية المذكورة لتقيس شفوف هذا الزجاج اي لتقيس مقدار النور الذي ينفذه . وقد استعملت هذه البطرية في ادوات لاسلكية مختلفة هي من اعجب العجائب كما ترى

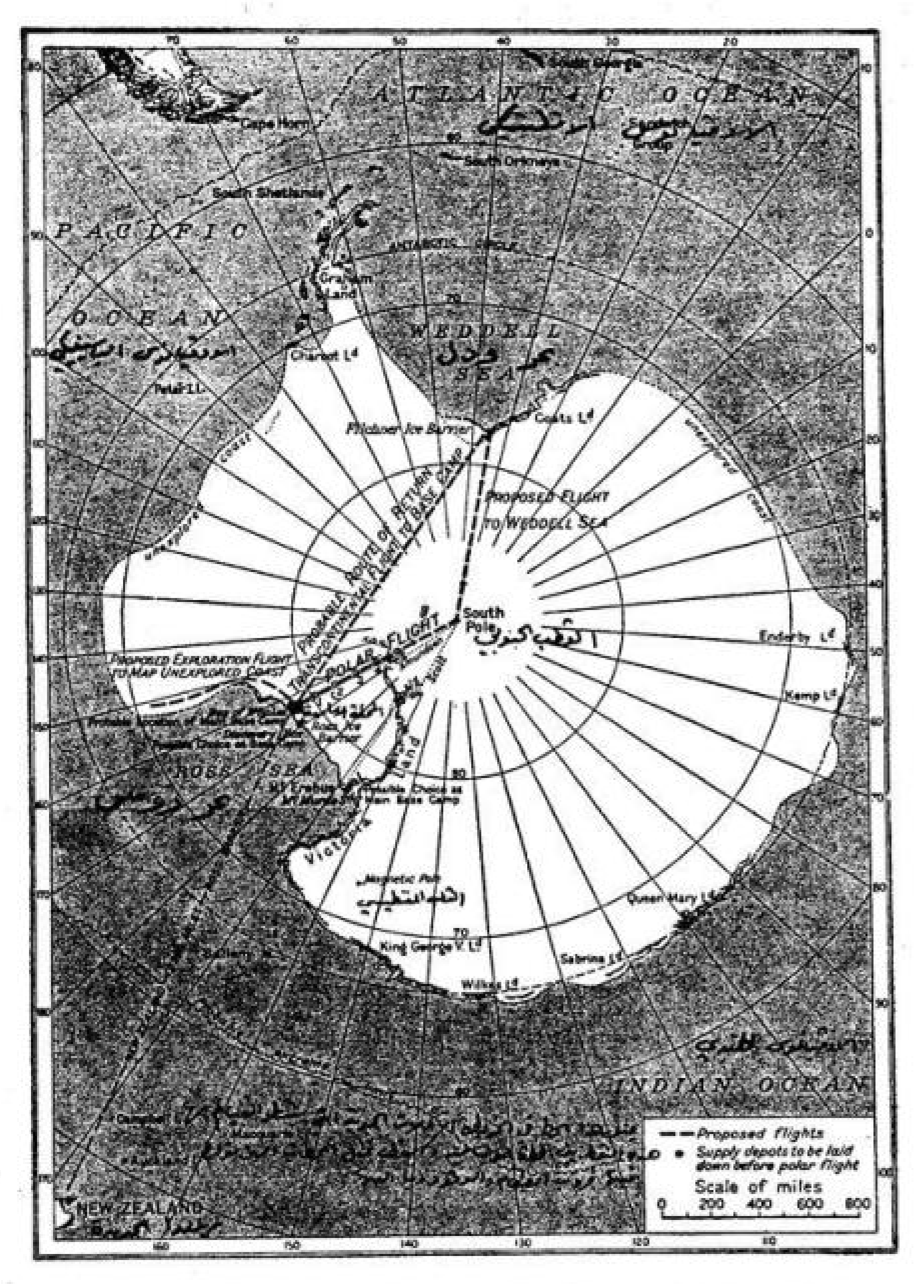


فوق المنطقة التي تحيط بالقطب الشمالي تمرُّ اقصر الخطوط التي تصل
بين طائفة من اكبر مدن الارض



القارة المتجمدة الجنوبية وما حولها

مقتطف مارس ١٩٢٩
امام الصفحة ٣٠٨



خريطة للاصقاع المتجمدة الجنوبية يرى فيها القارىء بعض التفاصيل عن رحلة الكومندر برد . وفي اعلاها يرى بحر ودل والى يسارها شبه جزيرة هي ارض غراهام الذي اثبت ولكنز بطيرانه انها جزيرة يفصلها عن القارة مضيق متجمد

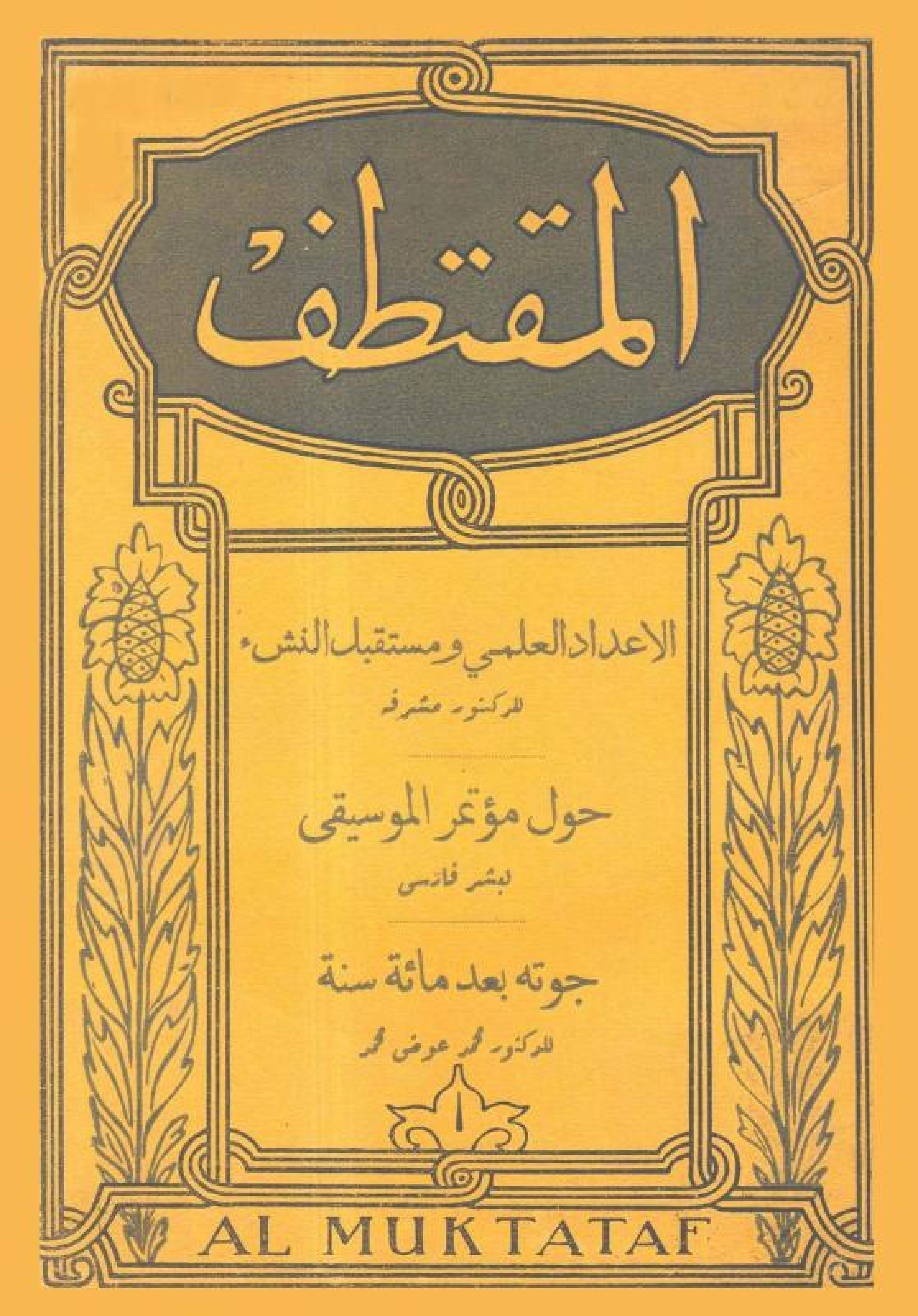


كبلنغ الشاعر والمؤلف البريطاني وزوجتهُ

مقتطف مارس ١٩٢٩

أمام الصفحة ٣١٧

الجزء الثالث من المجلد الرابع والسبعين


المقتطف
الاعداد العلمي ومستقبل النشء
للدكتور مشرفة
حول مؤتمر الموسيقى
لبشر فارس
جوته بعد مائة سنة
للدكتور محمد عوض محمد
AL MUKTATAF


المقتطف
مجلة علمية صناعية زراعية
الجزء الرابع من المجلد الرابع والسبعين
١ ابريل سنة ١٩٢٩ — ٢١ شوال سنة ١٣٤٧

كلمات للدكتور صروف

التكلم بالعربية المعربة

ان العربية المعربة تمتاز على غير المعربة بحركات الاعراب في الكلمات المعربة وبحركات البناء في الكلمات المبنية . ويستدل من علم اللغات ان اصل هذه الحركات كلمات فاختصرت على تمادي الزمن وبقيت منها هذه الحركات دلالة عليها ثم اهملت في الاستعمال ولم يفسد المعنى باهمالها . فكل ابناء العربية الآن يفهمون معنى زَيْدْ سَافَرْ كما يفهمون زَيْدٌ سَافَرَ وبعضهم يرى فهم الجملة الاولى اسهل من فهم الجملة الثانية في التكلم وفي القراءة ايضاً . وكل الذين لقيناهم من ادباء اللغة واساطينها مثل الشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الاسير والشيخ ابراهيم الاحدب والمعلم بطرس البستاني من علماء بيروت وادبائها والشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان ومحمود سامي باشا البارودي واسماعيل باشا صبري والشيخ علي يوسف من علماء مصر وادبائها كل هؤلاء لم تكن علامات الاعراب ولا حركات البناء الاخيرة تظهر في كلامهم وقلما تظهر في قراءتهم الا اذا قرأُوا شعراً . ومنذ عهد غير بعيد لقينا رجلاً من اساتذة مدارس الحكومة تردد علينا مراراً في سنتين وكان يكلمنا بلغة معربة تماماً كأنهُ يقرأ شعراً فكان يتأنى في كلامهِ وكنا نجد صعوبة في ادراك معناهُ بالسرعة المعتادة لان جانباً من انتباهنا كان ينصرف الى النظر في حركات الاعراب والبناء التي كان يلحق بها كلماتهِ . ثم الفنا اسلوبهُ في الكلام ولكننا بقينا نشعر

بشيء من التعب واقتصد هو في بعض الحركات . ولا شبهة ان الكلام غير المعرب يفهم الآن كالكلام المعرب ان لم يكن اسهل فهماً من المعرب . ويبقى امر آخر على غاية الاهمية وهو ان اللفظة اذا تركت منها حركة الاعراب اذا كانت معربة وحركة البناء من آخرها اذا كانت مبنية يبقى منها اما مقطع واحد — مثل زَيْدْ وقامْ واما مقطعان مثل أَحْمَدْ. وضَرَبْ واما ثلاثة مثل مُسْتَفِيدْ وتَقَدَّمْ . واذا اعرب المعرب منها والحق المبني بحركة البناء صارت هذه الجمل هكذا زَيْدٌ قَامَ أَحْمَدُ ضَرَبَ ومُسْتَفِيدٌ تَقَدَّمَ فيكون المتوسط في الاولى مقطعين وفي الثانية ثلاثة . فاذا اغنى المقطعان عن الثلاثة ففي ذلك اقتصاد ثلث الوقت في التكلم وفي القراءة من غير اخلال في المعنى المراد . فاذا قضينا على ابناء العربية ان لا يتكلموا الاَّ كلاماً معرباً نكون قد اضعنا عليهم ثلث الوقت الذي يقضونهُ في التكلم من غير فائدة تجنى . . اما قراءة القرآن والشعر فلا بدَّ من النطق بكل الحركات فيها حيث يجب النطق بها

بقي هل في الامكان التكلم باللغة المعربة عموماً ؟ فرأينا فيهِ ان العامة لا تستطيع ذلك ولا ترغب فيهِ والخاصة تستطيعهُ وقلما ترغب فيهِ لانها تراهُ مضيعة للوقت

وهنا امر حري بالنظر وهو ان حركات الاعراب والبناء لم تكتب في كل ما وصل الينا من الكتابات القديمة واقدمها نقود كسروية نقشت عليها كلمات عربية في عهد الخلفاء الراشدين وقرطاس من البردي عليهِ كتابة عربية ويونانية وجد في مصر تاريخ كتابتهِ سنة ٨٧ للهجرة ويظهر منها ان العرب كانوا يكتبون حينئذٍ كما نكتب من غير حركات مطلقاً . والاستغناء عن الحركات مزية للكتابة العربية يجب الاحتفاظ بها فانها من نوع الاختزال وفيهِ اقتصاد غير قليل

مطالعة النتف

النُّتَفَة في اللغة «من ينتف العلم ولا يستقصيهِ» وقد شاعت في هذا العصر جرائد ومجلات تجمع نتفاً من العلم يتسلّى بها القراء فيكتفون بها عن قراءة المقالات المسهبة التي تقتضي مطالعتها حصر الفكر في موضوعها . واما قارئ النتف او الخلاصات فانهُ يتسلّى بها مهلة ما يقرأُها ثم ينساها في الغالب واذا واظب على ذلك ضعفت ذاكرتهُ او خلطت بين الحقائق العلمية خلطاً معيباً الا اذا دئب على مطالعة المقالات العلمية القيمة وكانت هذه النتف او الخلاصات اخباراً علمية من مكتشفات او آراء جديدة تضيفها الذاكرة الى ما فيها من الحقائق العلمية فتحفظ فيها بالمجاورة

ومن غير ورقة في يده اخذ الاستاذ كمتن يسرد لنا الدليل العلمي في اثر الدليل العلمي مؤيداً اقواله بالمعادلات الرياضية على ان المذهب الذائع في ماهية النور يجب ان يناله تعديل كبير حتى يصير صالحاً لتعليل الحقائق الطبيعية الجديدة التي كشف عنها البحث العلمي

***

تعلمنا في كتب الطبيعة ان العلماء فريقان في نظرهم الى ماهية النور . فريق يرى (او كان لا يرى وعاد يرى الآن) ان النور مجارٍ من الذرات الصغيرة تنطلق بسرعة فائقة من الجسم المنير سواء كان شمعة او شمساً فتؤثر في شبكية العين وعصب البصر فنبصر النور . واكبر القائلين بهذا الرأي الفيلسوف اسحق نيوتن . والفريق الآخر يقول ان النور تموجات وفرضوا ان الوسط المتموج هو الاثير وزعيم هذا الفريق العالم هوجنس . وقد جرب اتباعه تجارب مختلفة غايتها معرفة ماهية النور فاسفرت كلها عن تأييد القول بان النور امواج في الاثير . ثم جاء كلارك مكسول امير العلماء الطبيعيين الرياضيين في القرن التاسع عشر وقال إن امواج النور من نوع التموجات الكهربائية المغناطيسية فاخذ العلماء بقوله وما زالوا يعللون اشعة النور واشعة اكس والاشعة اللاسلكية بهذا الرأي

لكن بعض الباحثين في ظاهرات الاشعاع كشفوا عن كثير من الافعال النورية الكهربائية مما لم يوفقوا الى تعليله بالرأي التموجي بل سهل عليهم تعليله بمذهب نيوتن الذري بعد تعديله تعديلاً طفيفاً . واشهر هذه الافعال فعل يدعى « الفعل النوري الكهربائي » . ذلك انهُ اذا وقع النور على بعض المعادن كالصوديوم او البوتاسيوم تطاير من سطح المعادن كهارب على نمط ما يحدث في سلك انبوب من انابيب التلفون اللاسلكي حين احمائه . هذا التطاير يدعى « الفعل النوري الكهربائي » وقد قضى اينشتين نحواً من عشرين سنة في درسه وصل في نهايتها الى اقتراحه بالعودة الى مذهب نيوتن

ويسهل تفسير هذا الفعل باتخاذ اشعة اكس مثلاً وهي كما لا يخفى لا تختلف عن اشعة النور الا في قصر امواجها وشدة نفوذها . فهي بذلك قادرة ان تطير الكهارب من اي مادة وقعت عليها

تتولد اشعة اكس حين يصطدم مجرى من الكهارب بلوحة من المعدن كما يحدث صوت فرقعة من وقوع رصاص متتابع منطلق من مدفع رشاش على درع من الدروع . فاذا فرضنا ان كهرباً انطلق من مصدر نور بسرعة مائة الف ميل في الثانية واصاب في انطلاقه لوحاً من البلاتين تولد من ذلك شعاعة من اشعة اكس تستطيع ان تنفذ لوحاً من الخشب من غير ان تفقد شيئاً من قوتها وهذا غريب لا ينطبق على قواعد العلوم الطبيعية

لو قيل لك ان احد البحارة في باخرة راسية في مرفإ الاسكندرية قفز الى الماء من دكة باخرته فاحدث موجة ما زالت دوائرها تتسع حتى خرجت من مرفإ الاسكندرية وعبرت البحر الابيض المتوسط فدخل جانب منها مرفأ مرسيليا وفيه اصابت رجلاً يسبح فصدمته صدمة عنيفة رفعته الى دكة باخرة قريبة منهُ — لو قيل لك ذلك اتصدقهُ

لكن ذلك ليس اقل غرابة مما يدعونا الى تصديقهِ القائلون بمذهب التموج. يريدون ان يجعلونا نصدق ان موجة من امواج اشعة اكس صدمت كهرباً في لوح من الخشب فانطلق بسرعتها العظيمة مع انها هي الاخرى موجة ناشئة عن اصطدام كهرب سريع بلوح من البلاتين . ولكن الواقع الذي لا مفرَّ منهُ ان اشعة اكس تفعل هذا الفعل فيجب اذاً ان نعللهُ تعليلاً آخر

لذلك استنبط مبدأ الكمّ الذي يتلخص في ان النور امواج بل هو مقادير دقيقة من القوة تسير سيراً موجيًّا . وكلُّ مقدارٍ من هذه المقادير يدعى الآن « فوتون » وبهِ يعلَّل الفعل المتقدم الذكر تعليلاً معقولاً . ذلك ان الكهرب الاول المنطلق بسرعة عظيمة اذا اصاب لوح البلاتين تحوَّلت قوة حركتهِ الى «فوتون» أي الى ذرة من اشعة اكس وهذه تنطلق بسرعة النور فاذا اصابت كهرباً في لوح الخشب اخذ الكهرب قوتها وانطلق بسرعة الكهرب الاول الذي اوجد الفوتون نفسهُ . ولكن مذهب الكمّ او مذهب «الفوتون» لا يتأيد الاَّ اذا استطاع العلماءُ ان يعللوا بهِ مظاهر اخرى من مظاهر الطبيعة لم يستنبط خاصة لتعليلها . ومن ذلك مظهر يدعى « تفرق الاشعة » الذي يعجز عنهُ اصحاب المذهب التموجي فتمكن علماءُ مذهب الكم من تعليلهِ وايدوا تعليلهم نظريًّا وعمليًّا . وفي مقدمة الباحثين الذين درسوا هذا المظهر وطبقوا عليهِ مذهب الكمّ هو هذا الاستاذ كمتن نفسهُ

وقد اعترف العالم العلمي لهذا العالم الشاب بدقة بحثهِ وبراعتهِ فمنح في السنة الماضية جائزة نوبل للطبيعيات عن سنة ١٩٢٧ وهو الاميركي الثالث الذي نالها سبقهُ اليها استاذاهُ وزميلاهُ ميكلصن وملكان

***

ينتقل المشهد الآن الى غلاسجو في سبتمبر سنة ١٩٢٨ . المجمع العلمي البريطاني مجتمع كذلك في هذه المدينة برآسة السر وليم براغ رئيس قسم الطبيعيات في اجتماع تورنتو . ونحن في قسم الطبيعيات ايضاً . وقد تقدم اولاً الدكتور دافسن الاميركي فتكلم بصوت خافت وتلاه الاستاذ جورج طمسن ابن السر جوزف طمسن مكتشف الالكترون وهو شاب

تفيض من وجههِ امارات النشاط والحياة والذكاء. فوصف تجارب تختلف كل الاختلاف عن التجارب التي وصفها دافسن . وجاء بعدهما امير فرنسي في غير حال الامراء واعتذر في بدء كلامهِ عما قد يقع في خطبتهِ الانكليزية من الخطاءِ. هذا هو لوي ده برولي عالم من اشهر علماء الرياضيات في هذا العصر فتناول النتائج التي وصل اليها كل من العالمين اللذين سبقاهُ وبسحر الارقام والمعادلات جمع بينهما على صعيد واحد . وبعد ما انفضَّ الاجتماع ذهب الثلاثة الى مدينة ابردين ليروا الادوات العلمية التي يستعملها الاستاذ طمسن الفتى في مباحثهِ التي حملتهُ على الاعتقاد ان الكهرب يكون آناً ذرة وآناً موجة او هو ذرة تسير في اثرِ امواج

***

هذا البحث ليس الاَّ وجهة اخرى من البحث الذي قدمنا عليهِ الكلام من « مذهب الفوتون » : كلاهما ناحية لاعظم المسائل العلمية التي تشغل اذهان العلماء ومعاملهم. ما هي حقيقتنا الثابتة ؟ هل نحن — اجسامنا ومقتنياتنا — امواج ؟ وهل غدا نورنا — الذي كان يحسب امواجاً — ذرات منطلقة في الفضاء

انك ايها القارىء تعرف ولا شك الجوهر الفرد . وقد سمعتَ ان الكهرب انما هو سيّار دقيق يطوف حول نواة صغيرة تدعى البروتون وان الجوهر الفرد يتأَلف من هذه النواة تدور حولها الكهارب. ما هو الكهرب ؟ قال بعضهم انهُ ذرة .ودعاهُ آخرون وحدة الكهربائية وقال آخرون انهُ ذرة — ذرة من اية مادة ؟ — تحمل شحنة كهربائية

نعم ان الكهارب وحدات . وان الاشعة السلبية ليست سوى مجارٍ من هذه الوحدات. وقد عمد بعض العلماء الى قياس الكهرب ووزنهِ فوجدوا ان زنتهُ تبلغ ٩ اجزاء من مائة الف مليون مليون مليون مليون جزء من الغرام . وتصورهُ آخر كرويّ الشكل يبلغ قطرهُ ٣٧ جزءًا من مائة مليون مليون جزء من السنتمتر

ولكن ! ولكن الدكتور دافسن والدكتور جرمر الاميركيين اطلقا الكهارب حتى تخترق بعض البلورات والاستاذ طمسن والدكتور ريد اطلقاها حتى تخترق غشاء رقيقاً من المعدن فوجدوا كلهم من غير اتفاق بينهم ان فعل الكهارب في هذه الاحوال كفعل الامواج

فكيف تكون الكهارب ذرات وامواجاً في آنٍ واحد ؟ هذا هو السؤَال الذي وجههُ العلماء عن حقيقة النور من ايام نيوتن الى الآن

ذهب نيوتن الى ان النور ذرات . وذهب هوجنس الى انهُ امواج فراجت سوق

الجدال بين العلماء . فاقترح احدهم ان يؤتى بصندوق اسود من داخله ويزنهُ اولاً ثم يوجه اليهِ شعاعة من النور ثم يزنهُ بعد ذلك . فاذا زاد وزنهُ بعد ذلك ثبت ان النور ذرات واذا بقي وزنهُ على ما كان عليهِ ثبت ان النور امواج . فجربت التجربة وبقي وزن الصندوق على حالهِ لان ادق المقاييس والموازين المستعملة الآن لا تستطيع ان تزن النور ولو كان ذرات لها وزن . فرجح المذهب التموجي حينئذٍ وبقي سائداً الى اوائل هذا القرن حين اخذت المباحث تثبت شيئاً فشيئاً ان النور ذرات وامواج او لدى التحقيق ذرات من القوة تسير سيراً موجيًّا وهو مذهب « الفوتون »

وما حدث للنور حادث للكهرب الآن . فان العلماء آخذون في النظر اليهِ نظرهم الى كتلة من الامواج كما يؤخذ من تجارب دافسن وطمسن على اختلاف وسائلها وعدم اتصالها قبل اجتماع غلاسجو ، وكما يستفاد من مباحث ده برولي الرياضية الدقيقة التي ايدتها التجارب في بعض المعامل العلمية

اخذ الدكتور دافسن الاميركي بلورة من النكل وصوّب الى وجهها تياراً من الكهارب فانحرفت بعض الكهارب عنها ولدى التدقيق وُجد ان هذا الانحراف يحصل في جهات معينة دون غيرها . وبعد البحث الرياضيّ الدقيق وجد انهُ لو كانت الكهارب امواجاً مصوّبة الى وجهِ هذه البلورة لانحرفت عنها الى الجهة التي انحرفت اليها الكهارب دون غيرها . ثم حسبت قوة هذه الامواج

واخذ الاستاذ جورج طمسن اغشية شفافة من المعادن آناً ومن السلولويد آناً آخر وامرّ فيها تياراً من الكهارب . ولما كانت اكثر المواد بلورية فكأن الاستاذ طمسن امرَّ تيار كهاربهِ في غشاء مكون من بلورات عديدة دقيقة بدلاً من ان يوجهها كالاستاذ دافسن الى وجهِ بلورة واحدة . وعلى ١٢ بوصة وراء الغشاء وضع لوحاً فتوغرافيًّا كانت تصيبهُ الكهارب بعد اختراقها للغشاء وتفرقها ببلوراتهِ وتترك فيهِ اثراً فتوغرافيًّا . ولما اخذ هذا اللوح الفتوغرافي وغسلهُ وثبتهُ وجد ان اثر هذه الكهارب ظاهر في حلقة او في نقطة منتظمة في شكل حلقي . وهذا الانتظام يشبهُ اثر اشعة اكس بعد اختراقها لطبقة رقيقة من بلورات الالومنيوم اي ان الكهارب فعلت كاشعة اكس . فالمسألة العظيمة التي تحيّر الباب العلماء هي هذه : هل النور امواج او ذرات . هل الكهارب امواج او ذرات . فالنور الذي نشأنا على حسبانهِ امواجاً لهُ احياناً صفات الامواج . والكهارب التي اتصفت بصفات الدقائق المادية ثبتت لها صفات واسندت اليها افعال تجعلها والامواج سواء



الثورة المقبلة: اجتماعية اقتصادية

تنشأ عن اتساع الهوة بين التقدم العلمي والارتقاء الاجتماعي

خاصة للمقتطف بقلم المستر فيليب سنودن

وزير مالية بريطانيا في وزارة العمال

هل يزيد رغد العيش ورخاء الناس بازدياد المكتشفات العلمية وتكاثر المستنبطات العجيبة واتقان الوسائل الصناعية على اختلافها ؟

ان نظرة عجلى الى دور الصناعة تكفي لان تقنع الناظر بان السيطرة على قوى الطبيعة واستخدامها في الآلات تخفف من عبء العمل الشاق عن كاهل الانسان ، وترفع مستوى معيشته . فاذا ذهب احد المفكرين مرتاباً في فائدة هذه المكتشفات والمستنبطات متسائلاً فيما بينهُ وبين نفسهِ « هل يستفيد العمران شيئاً ما من المكتشفات والمستنبطات التي ينتظر تحقيقها في قرن من الزمان » حسبهُ الناس متعنتاً ليس لهُ مسوّغ فيما يذهب اليهِ

من الاقوال المأثورة عن الفيلسوف جون ستيورت مل قولهُ « اني ارتاب اذا كانت كل الآلات الصناعية قد خففت عبء العمل اليومي عن كاهل عامل واحد » . فاذا حذفنا ما في هذه العبارة من المبالغة المقصودة وجدنا فيهِ نصيباً كبيراً من الحقيقة

لقد زادت قوة الانتاج في كثير من الصناعات نحو خمسمائة ضعف في ١٥٠ سنة بادخال الآلات البخارية والكهربائية الى المعامل. فاذا حسبنا ان مائة عامل كانوا يستطيعون من مائة وخمسين سنة ان يصنعوا مقداراً كذا من صنف ما في اسبوع اصبحوا الآن يستطيعون ان يصنعوا خمسمائة ضعف ذلك المقدار في الوقت عينهِ ولكن بمساعدة الآلات . ومع ذلك لا نرى نقصاً في ساعات العمل يوازي هذا التقدم في سرعة الانتاج ولا زيادة في اجور العمال تتناسب معهُ . على ان الانصاف يقضي علينا بان نقول ان الثورة الصناعية زادت الثروة العالمية فمهدت السبيل لسكان الارض المتزايدين عاماً بعد عام ان يعيشوا في مستوى من الرخاء اعلى من مستوى اسلافهم. واظهر الصفات التي يتصف بها تقدم علمي ميكانيكي كالتقدم الذي شهدناهُ منذ اواسط القرن الماضي صفتان : الاولى — تجمع الثروة في ايدي افراد قلائل من سكان البلدان الصناعية. والثانية — زيادة المشتغلين باعمال غير منتجة. لذلك يتعذر على اصحاب الصناعات ان يمنحوا العمال المنتجين ما يستحقونهُ من الاجور

ولا ريب في ان التقدم العلمي والصناعي افاد فائدة غير مباشرة جماعات السكان الذين لم يشتركوا في تحقيقه كمال . واشهر هذه الفوائد ارتقاء طرق المواصلات ورخصها وتعدد وسائل اللهو والمطالعة والتهذيب ورخص السيارات واتقان المخاطبات اللاسلكية وما اليها

والسبب في ان التقدم العلمي والصناعي لا يظهر له اثر في رخاء الجمهور وهنائه هو ان بلدان الارض لم تنتظم بعد انتظاماً يمكنها من استهلاك كل ما تقذف به المصانع الى الاسواق . لذلك تكون النتيجة الاولى التي تنجم عن استنباط وسيلة ميكانيكية جديدة لترقية الصناعة ان يستغنى عن عدد من العمال لان اصحاب الصناعة اذا احتفظوا بجميع العمال واستخدموهم في ادارة الآلات الجديدة زاد ما تنتجه المعامل عن حاجة الاسواق اليه . لذلك يعمد اصحاب الصناعات الى الاستغناء عن بعض عمالهم لكي يحفظوا ما ينتجونه ضمن نطاق محدود لئلا يكثر المعروض وتهبط الاسعار

فماذا ينتظر ان يحدث اذا استمر التقدم العلمي والصناعي سائراً سيراً حثيثاً الى الامام من غير ان يصحبه تقدم في مقدرة البلدان على استهلاك الانتاج الزائد الذي تمهد له الوسائل الصناعية الجديدة سبيل الزيادة والسرعة ؟ ان مقدرة البلدان على استهلاك البضائع المختلفة يتوقف على مقدرة الطبقة المعروفة بطبقة العمال على الشراء . فاذا لم تزد مقدرتهم على الشراء لم يتسع نطاق الاسواق المختلفة لاستهلاك ما تنتجه المصانع وصرنا حينئذٍ نخشى ثورة صناعية اخرى . وكل الدلائل تدل على اننا قريبون جداً من انقلاب خطير الشأن في وسائل الصناعة العلمية . اذ يظهر لي اننا على عتبة عصر جديد تستعمل فيه العلوم الكيماوية في الصناعة فتحدث ثورة أعظم اثراً وابعد مدى من الثورة الصناعية التي احدثها استنباط الآلة البخارية . وكيف اجلنا الطرف نجد ان العلوم مطردة التقدم لان كل اكتشاف جديد يثير العلماء على البحث والاستقصاء ويفضي الى اكتشافات كثيرة

وقد يكون في امكان الكيماويين ان يزيدوا خصب الارض في مدى قرن واحد زيادة تجعل الناس في غنى عن اربعة اخماس الاراضي المزروعة الآن . فيقضى على كثير من المواد الخام المستعملة الآن في الصناعة وتحل محلها مواد مركبة تركيباً كيماوياً . ان تقدماً في هذه الناحية من نواحي العمران يقلب رأساً على عقب توزيع العمل بين الناس وتعود الزراعة لا تحسب الركن الاساسي في ثروة الامم

تجيء الثورات احياناً فجأة كما جاءت الثورة الصناعية منذ ١٥٠ سنة وفي بعض الاحيان تأتي ببطء كأنها تنتظر تضافر العوامل التي تمهد لها السبيل . فهل في العمران الحاضر عوامل تهيأ وتتضافر لاحداث ثورة ما ؟

انظر الى المستنبطات التي حققت في الخمسين السنة الاخيرة. التلفون — المصباح الكهربائي المولدات والمحركات الكهربائية — الاتوموبيل — المخابرات اللاسلكية على اختلافها — السفن التي تحرق البترول — الحرير الصناعي — الآلات التي تنبع كالاحياء — هذه هي بعض المستنبطات التي قذف بها العلماء والمستنبطون والصناع الى ميادين الحياة اليومية

وقد اتقنت الوسائل الميكانيكية المختلفة اتقاناً جعلها كأنها مستنبطات جديدة . فقد نشر اتحاد العمال في اميركا نشرة اقتصادية يؤخذ منها ان مقدرة العامل على الانتاج زادت من اول القرن العشرين الى الآن خمسين في المائة وان هذه الزيادة سببها اتقان الوسائل الصناعية الميكانيكية

ومما يؤسف له وقد يكون له أثر شديد الخطر في العمران ان كثيراً من البلدان زادت قوة معاملها ومصانعها زيادة كبيرة لا تسوغها حالة الاسواق العالمية ولذلك ترى ان جانباً كبيراً من هذه المعامل واقف عن العمل لايبدي حراكاً . ففي ١٧ سنة (١٩٠٧ — ١٩٢٤) زادت القوة المستعملة في مناجم بريطانيا ومعاملها من ٨ ملايين حصان الى ١٥ مليوناً ولكن ما تنتجهُ هذه المناجم والمعامل لم يزد قط . وهذا يعود بنا الى ما قدمنا الكلام عليه وهو اذا لم تنتظم بلدان العالم انتظاماً يمكنها من استهلاك ما تنتجهُ المعامل التي تكثر ويزداد انتاجها كلَّ سنة باتقان اساليب العلم ووسائل الصناعة لم يجدِ هذا التقدم العلمي الصناعي نفعاً ما

فالنتيجة العامة التي نصل اليها بعد البحث المتقدم هي هذه . ان التقدم العلمي والصناعي سريع لا تستطيع بلدان الارض ان تجاريهُ بزيادة مقدرتها على الاستهلاك والتكيف على ما تقتضيه الاحوال الصناعية الجديدة . وانهُ اذا استمرَّ كذلك وقف كثير من المصانع عن العمل ووقعت لا محالة ازمة خطيرة جداً بزيادة العمال العاطلين

ولو كان في الامكان لكان يحسن بنا ان نقف عقداً او عقدين من الزمان عن الاكتشاف والاستنباط لنعنى في اثناء ذلك بتنظيم ما اتقناه حتى الآن ومحاولة الوصول الى نقطة التوازن بين الانتاج والاستهلاك . بذلك فقط نتمكن من توزيع المنافع التي تنجم عن ارتقاء العلم وزيادة سيطرته على اساليب الصناعة . وما لم نفعل ذلك بطريقة من الطرق لابدَّ ان نفيق يوماً فنرى الصناعة في ركود وجماهير العمال العاطلين في فقر مدقع فاذا حصل ذلك صعب على نظام العالم المالي تحمل هذا العبء ان لم يتعذر عليه ذلك وحينئذ ينحني تحتهُ وينهار

ما اغرب النتيجة التي وصلنا اليها — كلما زادت مقدرتنا على الانتاج زادت المصاعب في الاستفادة منها وتوزيع المنتج على جميع طبقات الناس توزيعاً عادلاً ! ما اصدق قول الشاعر « مجيء المعرفة سريع ولكن مجيءَ الحكمة بطيء »

العوامل الجغرافية في عمران الشرق

خطبة نقيضة القيت في باريس

ايها الافاضل : الشرق هو مهد الحضارة باتفاق الباحثين المدققين ، من علماء التاريخ والجغرافية والاقوام . واقصد بالشرق الشرقَ الادنى وقسماً من الشرق الاوسط اللذين تمتد ارجاؤهما من بادية ليبية الى بوادي تركستان : واحسن من هذا البلاد التي منحتها الطبيعة اهمّ ينابيع الحياة التي ما فتىء يردد ذكرها التاريخ . أعني ينابيع الحياة هذه — النيل والفراتَ ودجلة وقارون وسيحون وجيحون المنصبين في بحر آرال وبنجاب او الانهر الخمسةَ التي يتألف منها نهر السند العظيم . تجري هذه الانهر في منطقة ، لا تزيد درجة عرضها من الشمال على اربعين درجة ، ولا تتجاوز خط السرطان من الجنوب . تحيط بها البوادي من كل صوب ، وتنساب مياهها في هذه القفار ، انسياب العروق على ظاهر اليد ، فوق سواد من الطمي الذي ركدَ على جنباتها وعند مصباتها الفيضان . ومن هنا تشابه زائد في اقاليمها ، وتقاربٌ في تربتها وخصبها . فالاقليم على درجة من الحرارة تساعد على نمو النبات ونضوجه ، بسرعة تسمح للانسان والحيوان أن يستفيدا منهُ ، قبل مداهمة الامطار او فيض الانهار . وتربتها من حيث المجموع في نجوة من ديم البلاد الاستوائية التي تجرد الارض ، باطراد انصبابها وغزارتها من المواد المخصبة المكنوزة فيها . فلذلك وقى بُعْدُ هذه البلاد عن خط الاستواء وعن البحار العظيمة ، تربتها من الفقر ، وحفظ بركتها بحفظ المواد العضوية التي حملتها اليها الانهر العظيمة ، وبما ادّخر في جوفها من المواد المنحلة كالكلس والبوتاس والمغنيزى التي سفتها اليها الرياح ، او جرها السيل

جذبت خصوبة هذه البلاد اليها ، منذ عهد يصعب تقديره ، شتى البطون والعشائر القديمة . واغنتهم بركتها وتقارب مواسم النضوج والاثمار فيها ، عن النزوح الى بقعة اخرى من الارض ، طلباً للمرعى او القنص . فاعتادوا عادة المكوث والاقامة في دار واحدة ، ولجأوا الى استنزاف اكف الارض ، وخزن محصولها يقتاتون بهِ ، ايام رقود الطبيعة وموات النبات . فدفعتهم الحاجة الى الحيطة والتدبير ، وسطعت في اذهانهم انوار التبصر والتفكير . هذه اول خطوة من خطى الحضارة في العالم : الحضر بعد البداوة . لازمها اصطفاء بعض النباتات البقلية والخضرية التي نأكلها اليوم ، وفلاحة الارض وتسميدها ، واستخدام

الحيوانات التي تعين هذا الزارع الجديد على حرث الارض والنقل والجر

ظلت العشائر الاولية واقفة عند هذا الحد من الحضارة مدة طويلة من الزمن، قبل ان تصل الى ذلك المستوى من الرقي العقلي الذي استطاعت معه بناء الاقنية العظيمة والسدود، ورفع الهياكل المؤبدة والقصور، واتقان اساليب الصناعة والزراعة والموسيقى والشعر، وسن السنن القويمة والتفنن في طرق اللهو والمسرة والهناءة

لم تتحقق هذه الآثار الا بعد اجيال طويلة وحروب، بقيت في خلالها كل جماعة من الجماعات كالنوم في مصر والممالك الصغيرة في كلدانية وعيلام، آمرة ناهية على نفسها، مستقلة في قراها. لان تحقيق مثل هذا، منوط باتحاد الوف مؤلفة من الايدي، يدفعها الى العمل حسن التآزر والنفع العمم. يقول بهذا الصدد العلامة الجغرافي اليزه روكلوس Elisée Reclus في بحثه عن العراق: « إن سكان شواطىء النهرين، يرجعون بتاريخهم الخرافي الى عهد ذلك الفيض العظيم الذي دعوه بالطوفان، ونقل خبره عن اقاصيصهم في التوراة حرفاً بحرف. ويبدأ تاريخهم السنوي الاصلي قبل اربعة آلاف سنة من يومنا هذا. ولكن لسنا ندري كم مرت من آجال وقرون، قبل هذا الوقت الذي وسعه العد والحساب، على حراثة هذه الاراضي واستثمارها، من لدن تلك الطوائف المختلفة كالسيت والطورانيين اقدم البشر، والايرانيين والساميين، وسكان شبه جزيرة تلمون او البحرين! . ما فتئ يعمل عامل التمازج والاحتكاك بهؤلاء الجماعات المختلفة، حتى اختلطت اديانهم، وعاداتهم واوضاعهم بعضها ببعض، فتألفت من مجموعها وحدة قومية في العراق »

هذا مثال ايها الافاضل، ينطبق على كل بقعة من بقاع الشرق جذبت بهجتها الى حضنها شتى الاقوام المتبعثرة، كما يجذب الضياء في حلكة الليل الفراش. هذا نصيب مصر والعراق، والصغد وبقتريان، والهند والصين، من اختلاف جرثومة الاقوام التي سكنتها فيجدر بنا ان نصرح بعد هذا، بان الحضارة الشرقية ليست وليدة بقعة واحدة من الارض ولا هي حكرة قوم واحد، مستقل بلغته وعنصره ومزاياه. بل ازيد على ذلك واقول: يستحيل على قوم منفرد بذاته ان يأتي بحضارة كاملة تظل خالدة على مر الايام. هذه اقوام جزر المحيط الكبير، لم يقفوا عند حدهم من التوحش والهمجية، الا لنأي بعضهم عن بعض وانزوائهم في جزرهم. وهذا مثال المدنية الاوربية الحديثة التي لم تتقدم بهذه السرعة الا لاحتكاك بعض اقوامها ببعض، وتكافؤ افكارهم ومخترعاتهم. يقول الجغرافي الشهير ڤيدال دولابلاش واضع اساس المذهب الجغرافي الحديث « لا نكرّم امة من الامم الكبرى اذا اعتبرناها مستقلة بحضارتها عن غيرها، منفردة بمزاياها. فقد تضمحل هذه

المزايا ، اذا لم تنعشها من حين الى حين موارد جديدة من القوة والنشاط »

هنا اظنُّ أن قد لمسنا سر تقدم الحضارة الشرقية في العصور الغابرة ، وسرَّ تأخرها في آن واحد . بقي علينا ان نبين ما كان للعوامل الجغرافية من الاثر في احتكاك الشرقيين واختلاطهم بعضهم ببعض ، عن طريق التجارة والمهاجرة والحروب . ويحسن بنا قبل ان نخوض هذا البحث ان نحدّد دائرة موضوعهِ ونحصرها في اهم المناطق التي كان لها الاثر العظيم في سائر البلاد الشرقية . ومن اهم هذه البلاد مصر والشام والعراق

***

تنكشف مصر شمالاً لتجارة البحر المتوسط ، ويصلها من الشرق ببلاد العرب وبالشام البحر الاحمر وشبه جزيرة سيناء ، ويفصلها عن القارة الافريقية من الغرب والجنوب بوادي ليبية والنوبة . فتصلها هذه البحارُ الضيقةُ لتداني سواحلها وقلة اخطارها بآسية : وتفصلها تلك البوادي الواسعة عن افريقية ، لجفافها وكثرة مخاوفها ، مع فقر البلاد التي وراءها او تأخر حضارتها . فلذلك اتجهت مصر من اقدم العصور نحو الشرق ، ودفعتها مصالحها الاقتصادية والسياسية الى التوسع في انحاء جزيرة العرب وسورية والعراق ، كما انها كانت عرضة لغارات الامم الشرقية الآسيوية ، اكثر من الامم الافريقية . ولهذا نرى آثار الدم السامي والآري والمغولي غالبة على آثار الدم الحامي حتى في سكان القسم الجنوبي منها . اريد بذلك سكان مصر العليا فقط لان سكان السودان تغلب فيهم آثار الدم الحامي والزنجي

العراق يشرف على خليج البصرة المتجه الى بلاد الهند والبحرين . يربطهُ وادي الفرات بسهول آرام وبالبحر المتوسط : ويذلل وادي قارون على تجارته انجاد بلاد فارس ، ويصلهُ وادي دجلة بالجزيرة العليا وارمينية وكردستان . فكل من هذه الاودية ، وخليج البصرة ، وسهول بادية الشام التي تكثر فيها مجامع الماء والآبار ، عروق للتجارة ومسارح لمراكب البر والبحر ، مصدرها ومآبها مدائن بابل وآشور ، تلك البوتقةُ التي انصهرت فيها ، عشراتٌ من سبائك المدنيات المختلفة ، ومئاتٌ من الاقوام

سورية هي اداة الوصل بين مصر والعراق . قبضت بيديها من الشمال ، على تعاريج نهر الفرات . وتشبثت قدماها من الجنوب ، بأضلاع ذلك المثلث المؤلف من شبه جزيرة سيناء التي تربطها بمصر . وفتحتْ صدرَها وفغرت فاها لتجارة البحر المتوسط ، وقلبت ظهرها للبادية تعرِّضهُ لصدمات سكانها ، بينا هي تتصرف وتتحكم بموارد البحر . لذلك انصرفت الاقوام التي سكنت سواحلها الى الملاحة ، وتمسكت بطريق وادي الفرات ، ولم تقطع يوماً من الايام علائقها التجارية بمصر . وقد دعا توسط سورية بين العراق ومصر

إلى ان تكون مسرحاً لمعارك الامتين ، وممراً لجيوشهما ، وولاية تتناوب عليها سيادتاهما ، كما انها سادت على البلدين في بعض الاحيان

مصر والعراق ، قطبان استقرت فيهما قوتا الجذب والدفع ، وتواصلا فيما بينهما . فجذبا في ابان ضعفهما ، الى صدرهما ، اخلاط الامم المجاورة ، ودفعا في آوان قوتهما الى الفتح جيوشاً تخضع لحكمهما سكان البلاد المتاخمة مع تنازع بينهما ونضال . فترجحُ مرة كفة مصر وتهبط اخرى كفة العراق ، حتى وقعتا كلتاهما في قبضة الامم الآرية والمغولية التي انحدرت من اعالي انجاد فارس والاناضول . على ان نصيب مصر من غارات هذه الامم لم يكن ليقضي على اهميتها ووحدتها العرقية التي تأسست منذ عهد السلالات الاولى فقد بقي فيها بقية من الثروة والمدنية على الرغم من توالي الجيوش المستولية وغارات الاقوام الصغيرة التي ليس لها غاية ما سوى النهب والسلب . فبوادي افريقية التي تحيط بها من الغرب والجنوب ، كفت عنها شر الامم البدوية والزنجية . وقد حماها البحر المتوسط في اثناء الشدائد من هجمات الامم الساحلية ، كما مهد لها وسائل التجارة في ابان السلم . وحفظتها شواطئها على البحر الاحمر لصعوبتها وجردها ، وبعد وادي النيل عنها . فباب مصر الوحيد ، هو ذلك الساحل الضيق الذي يمتد بين دلتا النيل وفلسطين . فمن هذا الدهليز تسربت اليها جيوش الفاتحين . على ان هذه الجيوش ، كثيراً ما تكون منهكة بما عانتهُ من الشدائد ، في اجتياز سهول الشام وجبالها ، وفتح مدن سواحلها الحصينة التي حملها الغرور مراراً على رفض كل معاهدة لا تخدم مصالحها التجارية . فتكون اساطيلها ، على حالة سخطها ، مانعة لزحف تلك الجيوش بسهولة على مصر . فمقاومةٌ صادقةٌ يقوم بها المصريون في وجه عدوهم المنتهك تكفي لرد غارته وفلّ جيوشه

واما العراق فسهول ممتدة كالكف ، تشرف عليها من الشرق والشمال ، جبالُ فارس والجزيرة العليا التي تحفها جبال كردستان وارمينية والكام (او طوروس) . وهي موكولة لرحمة البادية من الغرب والجنوب . لان بوادي الشام ونجد ، لا تشبه بوادي افريقية المحيطة بمصر . فهي بالاحرى سهولٌ على شيء من الخصب ، ينبت فيها العشب بعد مداهمة الامطار ، وتقطنها قبائل غنية بقطعانها ، كثير عديدها . زد على ذلك فقر العراق بالحجارة والصخور ، تلك المواد الابتدائية اللازمة لبناء الاسوار والقلاع والحصون في كل وقت. مع ان مدائن العراق ومعاقلها ، كانت تبنى بالآجر الذي يحتاج جبله وطبخه ، الى مدة من الوقت ومهارة في الصنع . وفوق هذا وذاك ، كان جريان دجلة والفرات ، ضمن بعض الشرائط الطبيعية ، مما يمهد للعدو وسائل الفتح : وهو بعد ان ينطلق دجلة والفرات

من احضان واديهما على مقربة من سامرا وهيت ، تحفهما من الجنبين سدود معرمة من التراب ، تحمي مياههما أن تنكفئ يمنةً او شمالاً ، لان سوية المياه ، تعلو سوية الاراضي المجاورة ، لارتفاع مجرى النهرين ، بما يرسب في قراريهما من الطين والنضار . فما هو الأخرق او فجوة صغيرة على حرف النهر ، حتى تتوسع شيئاً فشيئاً بتأثير ضغط الماء ، فيتسرب منها النهر برمته ، ويحيد عن مجراه القديم ، ويعمُّ فيضهُ السهول والبقاع . كل من قرأ التاريخ القديم يذكر الحيلة التي احتالها الفرس لفتح مدينة بابل . فقد امر كسرى بهدم سدود الفرات ، ففاضت مياههُ على الاراضي المجاورة ، وحادت عن مجراها الذي كان يخترق المدينة . فمنع عنها الماء ، وهدد الزرع بالفساد ، وباغتها بعد ذلك من الفجوة التي تركها ممر النهر من تحت السور . لم يكن كسرى الكبير الفاتح الوحيد الذي جرد هـذا السلاح في وجه العراق . فقد فعل فعله كل فاتح قبله ، وحذا حذوه كل فاتح وجه اليهـا الجيوش من بعده . فنهم من اعاد المياه الى مجاريها ، والزراعة الى زهوها فنمت وازدهرت في عهدهم المدنية . ومنهم من اهملها ، فضلت المياه في الجداول والشعاب ، وكثرت المستنقعات ، وفسدت بعض الارضين وجف البعض الآخر ، وتقهقرت الزراعة وخيم البؤس والفقر فجلا عنها الناس الى ديار اخرى دانية او نائية طلباً للامن والمعاش

لمثل هذه الاسباب الطبيعية ، عاشت مصر الى يومنا واندرست آثار الحضارة والعمران في العراق

***

كانت الحروب التي اجتاحت مصر وسورية والعراق على نوعين . فمنها ما يرمي الى النهب والسلب والفتح المجرّد لتوسيع الملك ونشر السيادة ، دون كثير من الاهتمام بشؤون هذه البلاد . ومنها ما كانت غايتها التوطن والاستقرار . فكل من غارات جنكيز وتيمورلنك ، والقرامطة وبني هلال ، لا تكنُ وراءها غاية ما سوى النهب والسلب والقتل والتدمير . وكل من وقعة فرسال بين الاسكندر والفرس ، ووقعة القادسية بين سعد والفرس . ووقعة اليرموك بين خالد والروم ، كانت ترمي الى التوطن والاستقرار . لذلك ساد في عهد هؤلاء الامن ، وزهت الحضارة وراجت سوق التجارة ، وتقدمت الصناعة والزراعة والعلوم

منذ الفي وخمسمائة عام . اي منذ انحدت في الشرق شتى الاقوام السامية ، وممالكهم الصغيرة التي يمتُّ بعضها الى بعض بصلة من الصلات الاقتصادية والتجارية فالفت امماً كبيرة ودولاً عظمى ، الى يومنا هذا ، شهدت هذه البلاد (مصر وسورية والعراق) من المعارك الدامية ما ذهب بنفوس الملايين من الناس على ان الحروب التي ولـدها تنازع ابناء اشور ،

وكلدان ، وآرام ، ومصر على السيادة ومراكز التجارة ، لم تكن قاضية مميتة . فقد كان بينهم على الرغم من فظائعهم بالحرب شيء من التفاهم والتعاون آناء السلم على احياء الزراعة والصناعة وتسهيل اسباب التجارة ، اذ كانت غايتهم في الحياة واحدة وافكارهم ولغاتهم وعاداتهم ومعتقداتهم متقاربة متشابهة . ما زالت هذه الامم السامية في تطاحن وجدال بضعة عصور حتى اعيوا وتلاشت قواهم . فملوا الحروب وسئموا النضال ، فنبه ضعفهم طمع الشعوب الآرية وكان في لغات هؤلاء ومعتقداتهم وعاداتهم ما يفرقهم بعض التفريق عن الاقوام السامية فانكفأت جيوشهم من جبال فارس وارمينية يقودها الماديون مرة والفرس مرة ، ومن جبال الكام ونجاد آسية الصغرى يقودها المكدونيون تارة والرومان تارة اخرى

لم يصرف الفرس كل جهودهم الى احياء البقاع الخصبة من الشرق . كلفوها من الفرائض فوق ما بذلوا لها من العناية ، فظلت تغل لهم الغلال بينما هم يشتغلون عنها بفتح البلاد الجبلية في آسية الصغرى ، واوربة والهند ، لتعرفهم باحوالها ولصلتهم العرقية بسكانها

تلا الفرس المكدونيون ، وكان كبيرهم الاسكندر ، على غاية من الدراية وسعة النظر . فأحب أن يرجع عهد بابل القديم ، وكان يجد في نفسه من القوة والكفاية ما يكفي لاحياء بابل وحمايتها وسط تلك السهول . فيجعل منها حصناً حصيناً ، ومن بقاعها وغيطانها جنة فريدة على وجه الارض . عرف الاسكندر ان مثل هذه البلاد التي حوت كل شرائط الثروة بخصبها ، وغزارة مياهها ، وبموقعها التجاري في ملتقى الطرق البرية والبحرية ، لا يمكن ان تزهو برونقها ؟ إلاَّ اذا كانت مقراً لحكمه ، وموضعاً لجده واهتمامه . فبدأ بتعمير السدود وبتنظيف مجرى الفرات تسهيلاً لسير السفن . وقد بنى لها ، قرب عاصمته ، حوضاً واسعاً يلجأ اليه حينما تهبط مياه النهر

مات الاسكندر فتياً وماتت معهُ خطته . وكلف خلفاؤُهُ السلوقيون بمناخ الشام ، وعصمة جبالها ، وعذوبة مياهها السلسالة . فهجروا العراق وحرَّها ليقيموا في انطاكية والسويدية . فأزدهرت في عهدهم الشام ومصّرت فيها اجل الامصار . ولكن اهملت العراق وظلت مدة ثلاثة اعصر ، ساحة جدال بينهم وبين قبائل خوارزم وخراسان من الترك والفرس . ولما خلف الرومان السلوقيين انفصلت العراق عن الشام فكانت في اغلب الاحيان تحت حكم الفرس . وقامت فيها دويلات صغيرة من العرب كالمناذرة لا تقوى على صد هجمات الفرس والرومان ، وظلت جيوش الطرفين تكتسحها حتى ظهور الاسلام

لما فاجأ العربُ الفرس في العراق ، والروم في الشام ، كانت قد انهكت الطرفين حربٌ شعواء اطردت وقائعها منذ سبعين عاماً . هُدّمت في خلالها اكثر المدن الشامية

والعراقية والفارسية ، ولم يبق من آثار الحضارتين الفارسية والبزنطية الا مظاهر البذخ ، على أساس واهٍ من الفقر والاستبداد . افاق مع دولة العرب حظ مصر والشام والعراق برهة من الزمن . فأنتبهت الزراعة من غفلتها ، وهبّت التجارة والصناعة والعلوم من رقادها ، واسترجعت العراق خاصة في عهد بني العباس مجدها . حقّق المنصور أحلام الاسكندر : فبنى السدود الاشورية والكلدانية ، واصلح القنيّ ونظف مجاريها ، وجعل من بغداد بما شدّ ورفع حولها من الاسوار المنيعة والابراج ، مدينة السلام ، وبلغ عدد سكان العراق في عهد الرشيد اربعين مليوناً على التقريب

لم يطل عهد العرب في حكم البلاد الشرقية حتى بدأت حركة الاقوام الطورانية من شرق آسية الى غربها . فاجتازت قبائلهم انجاد فارس . وانصبت على آسية الصغرى والعراق ، وتغلغلت في احشاء الشام ومصر وجزيرة العرب . واقتفت في عهد العثمانيين آثار العرب في افريقية حتى حدود المغرب الاقصى . يعرف هذا الدور باضطراب حبال الامن ورقود التجارة وتوقف العلوم وتقهقر الزراعة والصناعة لاسباب كثيرة اهمها ان دلوف قبائل الترك والتتر الى هذه البلاد كان متقطعاً بطيئاً . فما يستقر منهم قوم في احد هذه البلاد حتى يفاجئهُ قوم آخرون ، ينازعونه سلطانه ويحلّون مكانه . فمن آل براق الى قره قويون ، الى طولون الى اخشيد الى بويه الى سلجوق، ومن الاتابك الى المماليك البحرية والبرية الى بني عثمان . تخللت هذه الممالك بعض الحكومات العربية والكردية كالحمدانيين والفاطميين والايوبيين فتنفست في عهدهم البلاد ومصرت الامصار ونشطت الزراعة والصناعة من عقالها وردّت غارات العدو المهاجم من الشمال تحت لواء الروم ، ومن البحر المتوسط باشارة رئيس الكنيسة الكاثوليكية، وبدافع التعصب والانتقام

هذه هي بعض الاسباب التي انضبت مناهل الثروة واعنتت النفوس في عهد المغول . على انهُ لا يجوز ان نعزو لهم كل اسباب تأخرنا ، ونحملهم اعباء هذا الجرم الكبير . نعم قد ظلم المغولُ واستبدوا ، واذهبوا النفوس وافقروا البلاد . غير انهم ليسوا كل السبب في ضعة الشرق الحالية . أرى ان السبب اعظمهُ يعود الى انتباه اوربة في عهد خمولنا : فلو انتبهت اوربة في عهد شباب الشرق يوم كانت حضارتهُ مضيئة وهاجة ، لما تركها تفعل بدون علمه ومؤازرته . ولما خفيت عليهِ اسرارُ تفوقها ، ولما قصّر في طلب الوسائل التي تدرأ عنهُ خطر مراقبتها ، ولسعى الى موازاتها ومضاهاتها بكل ما لديهِ من قوة وحيلة وذكاء . ولولا ان قوضت الصناعة والتجارة الحديثان قواعد الصناعة والتجارة القديمتين لما كان اليوم ، على خمولنا ، بيننا وبينها فرق عظيم

نافذ غنام



هل نستطيع الطيران الى القمر ؟

للمسيو روبرت اينو بلتري

المهندس والعالم الرياضي الفرنسي الشهير

[خاصة للمقتطف]

هل يتاح للانسان يوماً ما ان يطير بين الاجرام السماوية ؟ هل يستطيع ان يخرج من جوّ الارض ويفلت من جاذبيتها ؟ ان اقصى ارتفاع حلق اليهِ الانسان بطائرة لا يزيد على اثني عشر الف متر او ٣٦ الف قدم وكلما زاد ارتفاع الطيارة عن سطح الارض زادت لطافة الهواء وقلت مقاومتهُ لاجنحتها لذلك يتعذر على الانسان الطيران بطيارة خارج جوّ الارض لسببين

الاول : ان اجنحة الطيارة لا تستطيع ان تحفظها في الهواء لانها لا تجد مقاومة من الهواء نفسهِ للطافتهِ . وثانياً : لا يستطيع المحرك ان يسيّر الطيارة لعدم وجود هواء يدور فيهِ . فمحرك الباخرة اللولبي اذا دار في الهواء لم يستطع دفعها الى الامام ولكنهُ متى دار في الماء لقي من الماء مقاومة فتجري الباخرة الى الامام بفعل هذه المقاومة . لذلك اذا اردنا ان نطير خارج الجوّ الذي يحيط بالارض وجب علينا ان نجد وسيلة اخرى غير الطيارة

واول امر يجب ان ننظر فيهِ هو هل نستطيع بطريقة من الطرق ان نفلت من جاذبية الارض ؟ . والواقع انهُ اذا سار جسم مادي من الارض بسرعة ضئيلة لا تقاس بسرعة الارض العظيمة لا تلبث جاذبية الارض لهُ ان تسيطر عليهِ وتعيدهُ الى سطحها

لذلك يجب ان تزاد سرعة ذلك الجسم زيادة عظيمة حتى يستطيع الافلات من فعل الجاذبية الارضية . وقد اثبتت الحسابات انهُ اذا استطعنا ان نسيّر جسماً ماديًّا بسرعة تفوق سرعة الارض ثلاثة اضعاف وسار ذلك الجسم متجهاً من الارض الى الفضاء تمكن من ان يبقى سائراً في الفضاء الى ماشاء الله . وطبيعي انهُ كلما زادت سرعة الجسم كان سيره في الفضاء اسرع ولكن اذا انخفضت سرعتهُ الاصلية بعد سيرهِ في الفضاء وكانت الارض اقرب الاجرام اليهِ فعلت بهِ جاذبيتها فتضعف سرعتهُ رويداً رويداً حتى تتلاشى وحينئذٍ يبدأ في الرجوع الى الوراء حتى يصل الى الارض

تصوّر جول فرن الروائي الفرنسي المشهور في روايتهِ التي عنوانها « اول رجل

الى القمر» مدفعاً ضخماً في استطاعة قذيفته ان تصل الى القمر . وهذا الرأي خطأ لان الحسابات الرياضية الدقيقة تدلُّ على انهُ اذا اردنا ان نقذف قذيفة الى القمر او الى اللانهاية ، وهما من حيث بحثنا واحد ، وجب ان نجعل سرعة انطلاق القذيفة حين انطلاقها ١١ الف متر او ٣٠ الف قدم في الثانية فاذا استعملنا مدفعاً لاطلاق هذه القذيفة وجب ان يكون فيهِ مادة متفجرة تستطيع ان تقذف الرصاصة بالسرعة المذكورة

على ان علماء الكيميا الحديثة اثبتوا انهُ لا يوجد حتى الآن مادة كيماوية تستطيع ان تقذف دقائقها بسرعة تفوق ثلاثة اميال في الثانية . ولكن اذا شئنا ان تصل مقذوفة الى القمر وجب ان تكون سرعة انطلاقها حين انطلاقها ستة اميال وثلثي الميل في الثانية ولدى التدقيق ٦٫٦٦٤ من الميل . فاذا كانت دقائق المواد الكيماوية نفسها لا تستطيع ان تحرك بتلك السرعة فمن المعقول انها لا تستطيع ان تقذف مادة اخرى بسرعة تفوق السرعة التي تنطلق بها هي . ولذلك نقول انهُ من المستحيل بناء مدفع يطلق قذيفتهُ بسرعة كافية تمكنها من الافلات من جاذبية الارض والوصول الى القمر . فعلينا اذاً ان ننظر في وسيلة اخرى للملاحة بين النجوم — وهذه الوسيلة هي المبنية على مبدإ الصاروخة، الذي يختلف كل الاختلاف عن مبدإ المدفع وقذيفته ، الذي صورهُ جول فرن . فوزن الصاروخة ينقص كلما تقدمت في الفضاء لان ما فيها من المادة المتفجرة ينقص وكلما تنقص خف وزنها وزادت سرعتها . ولذلك ترى ان سرعة الصاروخة تأخذ في الازدياد كلما بعدت عن الارض

واذا اطلقت صاروخة في الفضاء تبقى من الوجهة النظرية سائرة حتى تفنى آخر ذرة منها . ولكن هذا لا يتم من الوجهة العملية لانهُ ما من صاروخة صنعت او ينتظر صنعها من مادة متفجرة فقط . فالمادة المتفجرة يجب ان توضع في اسطوانة والاسطوانة تبنى عليها مركبة . وكلما يتفجر انما هو المادة المتفجرة التي في الاسطوانات وعليه فمسألة الملاحة بين النجوم بطائرة مبنية على مبدإ الصاروخة انما هي قائمة على هذه الحقيقة الخطيرة — نسبة المادة المتفرقعة الى سائر جسم الصاروخة . ويقال ان الصاروخة تسير في الفضاء بقوة الدفع من الجو الذي يحيط بها وهذا القول ليس صحيحاً بحذافيرهِ اذ الواقع ان الصاروخة تفعل كالمدفع الرشاش . افرض ان مدفعاً رشاشاً اقيم على ثلاث عجلات . فقانون بسيط من القوانين الميكانيكية يدل على انهُ متى انطلقت منهُ رصاصة كانت سرعتها كمكفوء جرمها وجرم المدفع نفسهِ . فاذا كان وزن الرصاصة جزءا من مائة جزء من وزن المدفع كانت سرعتها ٩٩ في المائة من السرعة التي تحدث بانطلاق المدفع وكانت سرعة المدفع $\frac{1}{100}$ جزء من هذه السرعة والصاروخة مدفع رشاش مستمر العمل يطلق تياراً مستمراً من

الغازات فاذا انطلقت الغازات في جهة من الجهات انطلقت الصاروخة في الجهة المقابلة

ولكن اذا انطلقت رصاصة من مدفع كان معظم سرعتها حين انطلاقها من فوهة المدفع ثم تبطئ رويداً رويداً. اي كانت على اعظم سرعتها في طبقات الهواء الكثيفة ثم تقل حين تصل الى طبقات الجوّ اللطيفة . ولكن الصاروخة تختلف عن ذلك في ان سرعتها تزيد كلما بعدت عن الارض ووصلت الى طبقات الجوّ اللطيفة لذلك نستطيع ان نجتنب في استعمال الصاروخة مقاومة طبقات الهواء الكثيفة لها

لذلك نرى ان الصاروخة هي الوسيلة التي لا بدَّ ان نعتمد عليها في استنباط اداة للطيران بين النجوم وذلك لانها تكسب نظريًّا ، سرعة في طبقات الجوّ العليا لا تستطيع ان تكسبها مقذوفات المدافع . وزد على ذلك ان سرعتها تتجمع وتتزايد كلما لطف الهواء

وقد تناول الالمان هذا البحث فكشفوا فيهِ عن كثير من الامور الجديدة . وهم يذهبون الى انهُ في الامكان صنع صاروخة تسير بسرعة اعظم جدًّا من صاروخة غودرد الاميركي وذلك باستعمال مادة متفجرة مركبة من عنصري الاكسجين والهدروجين ولكن النسبة التي يمزجان بها حين تركيب الماء

وقد وجدتُ في الصيف الماضي ان الحسابات الرياضية الدقيقة التي قمت بها تتفق مع النتائج التي وصلوا اليها وانا نستطيع ان نصنع صاروخة تسير بسرعة اربعة آلاف متر في الثانية اي عشرة آلاف قدم الى ١٢ الف قدم وذلك باطلاق الغازات من مؤخرها

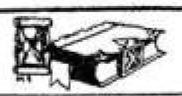
هنا نصل في بحثنا الى موضوع خطير . اذا وصلت الى القمر كيف تستطيع الرجوع منهُ الى الارض . اما الالمان فقد تناولوا هذه النقطة في مباحثهم ويرون ان حلها بسيط كل البساطة . ذلك انهم يملأُون اسطوانات الصاروخة بمادة متفجرة تطلقها بسرعة كافية حتى تخرج من جوّ القمر فاذا بلغت ذلك الحدَّ ولم يكن فيها مادة متفرقعة لتغيير اتجاهها والتخلص من جذب الارض لها ، جذبتها الارض اليها . ولكي يمنعوا اصطدامها بالارض حين وصولها الى سطحها اقترح الالمان استعمال باراشوت قالوا ان استعمالهُ يفعل كفرامل السيارات فيبطئ سير الصاروخة حتى اذا صارت على سطح الارض نزلت عليها نزولاً بطيئاً فلا تصطدم ولا تتحطم . ذلك انهُ متى دخلت الصاروخة جوّ الارض في طبقاته العليا اللطيفة لقيت من المقاومة ما يكفي لفتح الباراشوت فاذا فتح الباراشوت زادت المقاومة ضد الصاروخة فتخف سرعتها وكلما زادت كثافة الهواء زادت المقاومة التي تلاقيها الصاروخة والباراشوت معاً . ولكني ارى ان هذا الرأي مفلول بحقائق الحال . فقد ثبت من حساباتي الرياضية ان جوّ الارض على علو ١٦ ميلاً فوق

سطح البحر لطيف كل اللطف حتى يصح ان نقول انهُ غير موجود . وان كثافتهُ تزداد فجأة . لذلك ترى ان الباراشوت لا يلقى مقاومة كافية في الطبقة اللطيفة من طبقات الجو العليا التي يخترقها مع الصاروخة في بضع ثوان وذلك يمنع فتحهُ . فاذا وصلت الصاروخة والباراشوت الى طبقات الجوّ الكثيفة فجأة كان الباراشوت لا يزال مقفلاً . وكانت سرعة الصاروخة لا تزال عظيمة فتصطدم بالارض صدمة لا يستطيع جسم انساني ان يحملها

وزد على ذلك لقد ثبت لي بالحساب الرياضيّ ان جسماً يخترق الهواء بالسرعة التي ينتظر ان تخترقهُ بهِ الصاروخة ، وهي نحو ستة اميال في الثانية ، ترتفع حرارتهُ بالاحتكاك الى درجة ١٧٠٠ بميزان سنتغراد . وهذه حرارة تصهر عندها كل انواع المعادن الاّ معدن البلاتين ، وعليهِ فالباراشوت يحترق في هذه الحرارة ولذلك ارى ان النزول الى الارض نزولاً سليماً يكون مستحيلاً اذا اعتمد على رأي الباحثين الالمان

فهل تعني هذه الاقتراحات اننا لن نجد وسيلة لتحقيق هذه الرحلة الجوية الى الفضاء . كلاّ اني اقترح للتغلب على هذه المصاعب ان نستعمل الصاروخة نفسها ، اي بقلب عملها حتى تقاوم سرعة انجذاب الصاروخة الى الارض فلا تزداد سرعتها حسب ناموس « الاجسام الساقطة » الذي كشف عنهُ غليليو

يعنى الالمان باعداد المعدات للطيران الى الزهرة والمريخ ولكن ذلك في رأيي حلم كاحلام الشعراء . وعندي ان الارتفاع الذي نستطيع ان نبلغهُ الآن هو ١٢٠ ميلاً فوق سطح البحر ويتم الوصول الى هذا العلو على الطريقة التالية : تظل الصاروخة تحرق من مادتها المتفجرة الى علو ٦٠ ميلاً فيقف المحرك عن الدوران حينئذٍ ولكن سرعة الصاروخة تكون قد بلغت ميلاً في الثانية فتسير في الفضاء كقذيفة مدفع مسافة ٦٠ ميلاً اخرى فتصل الى ارتفاع ١٢٠ ميلا . فاذا بلغت الصاروخة هذا العلو وكان فيها رجل او اكثر تحقق لاول مرة في التاريخ خروج انسان من جوّ الارض . وهذا عمل علمي كبير الشأن لاننا مثلاً لا نعلم الآن مقدار الحرارة والقوة التي تشع من الشمس كل دقيقة لان جوّ الارض يحجب الجانب الاكبر من هذه القوة والحرارة . فتى تسنّى للانسان ان يخرج خارج جوّ الارض استطاع ان يقيس مقدار القوة التي تصبها الشمس على كل متر مربع من سطح الارض كل دقيقة . واستطاع كذلك احصاء الكهارب التي تنطلق من الشمس وتصيب الارض كل ثانية وتمكن من تحليل جوّ المريخ والزهرة . هل يستطيع عالم من الاحياء ان يصف طريقة لتحقيق هذه المباحث العلمية ؟ حبذا الحال لو عُني العلماء بذلك لاني معتقد اننا في السنوات الخمس القادمة سنتمكن من الطيران الى علو ١٢٠ ميلاً



مصائب الكتب والمكاتب في الشام

للاستاذ محمد كرد علي

وزير المعارف السورية ورئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

ما برحت المكاتب تزيد على الزمن بازدياد الحضارة في الاسلام وتنتقل الكتب من مصر الى الشام ومن الشام الى العراق ومن الحجاز الى الشام مثلاً ويُعنى بها العلماء والادباء ، ويتنافس في اقتنائها الملوك والامراء ، ويضعف الغرام بها يوم تضعف الحركة العلميـة ويفسد الزمان ويُرغب عن الفضائل ، ما برحت الحال على ذلك حتى دخل الروم حلب واحرقوها سنة ٣٥١ ثم احرقوا حمص وغيرها من مدن الساحل . ثم وقع الحريق الاعظم الذي اصيب بهِ الجامع الاموي بدمشق سنة ٤٦١ ودثرت فيهِ محاسنهُ وما كان فيهِ من الاعمال النفيسة والكتب والمصاحف من جملتها . وربما حرق فيهِ المصحف العثماني القديم . ومن اهم النكبات التي أُصيبت بها الكتب في الشام نكبة طرابلس لما فتحها الصليبيون واحراق صنجيل احد امرائهم كتب دار العلم فيها . واخذ الصليبيون بعض ما وصلت ايديهم اليهِ من دفاترها وكتب الخاصة في بيوتهم . واختلفت الروايات في عدد المجلدات التي كانت في خزانة بني عمار او دار حكمتهم في طرابلس . وعلى اصح الروايات انها ما كانت تقل عن مائة الف مجلد واوصلها بعضهم الى الف الف وبعضهم الى اكثر ، وقفها امين الدولة ابو طالب الحسن بن عمار وجاء بعدهُ الامير علي بن محمد ابن عمار الذي جدد دار العلم سنة ٤٧٢ ثم فخر الملك عمار بن محمد حتى صارت طرابلس كما قال ابن الفرات في زمن آل عمار جميعها دار علم ، وكان في تلك الدار مائة وثمانون ناسخاً ينسخون لها الكتب بالجراية والجامكية فضلاً عما يشترى لها من الكتب المنتخبة من البلاد . وابن الفرات هو ممن يقول بان عدد ما كان في دار العلم هذه من الكتب نحو ثلاثة ملايين كتاب عند ما احرقها الصليبيون سنة ٥٠٣ هـ . والغالب انهُ كان في طرابلس من الكتب الموقوفة غير دار العلم وقفت قبل بني عمار واراد ابن الفرات بهذه الثلاثة آلاف الالف عدد الكتب التي كانت في مكاتب طرابلس كلها

ولا ينبغي ان يذهب عن الخاطر ان ما كانوا يسمونهُ جزءاً او مجلداً او مجلدة لا

يتجاوز بضع كراريس من كراساتنا والكُراسة قد لا تكون اكثر من ثماني صحائف بمعنى ان الف المجلدة او المجلد لا تبلغ في مصطلحنا اكثر من خمسين كتاباً او ستين او سبعين كتاباً ، فكان المجلد في تلك العصور قليل الاوراق ، لان الورق او الرقّ غليظ فاذا جعل كل مجلد مائتين او ثلاثمائة او اربعمائة او خمسمائة ورقة صعب تناولهُ وحملهُ ونقلهُ ولا يصح ما قالهُ ابن الفرات من انهُ كان في دار العلم في طرابلس ثلاثة آلاف الف يوم نكبتها الا على هذه الصورة اي ان كتبها كانت بين المائتين وثلاثمائة الف ومنها اجزاء صغيرة ورسائل وقد يكون الجزء من كتاب لا تتجاوز سطوره سطور مقالة من مقالاتنا او املاءة من امالينا او محاضرة او مسامرة من محاضراتنا ومسامراتنا اليوم

فالمصيبة الاولى بل العظمى التي اصابت الكتب في الشام كانت على عهد الصليبيين والمصيبة الثانية ما حملهُ منها التتار في نوبة هولاكو وما احرق في مدارس دمشق وجوامعها من امهاتها. فقد ذكر المؤرخون انهُ امتلأت خزانة الكتب بمراغة بما نهبهُ هذا الطاغية من الشام والعراق وغيرها . وقدر ما حملهُ باربعمائة الف مجلد ومنها ما حرق في فتنة غازان سنة ٦٩٩ وفي واقعة التيمورلنك سنة ٨٠٣ فان النار ظلت تحرق دور دمشق ومدارسها وجوامعها في الفتنة التيمورية ثلاثة ايام فذهب في هذين الحريقين وغيرهما كتب المدرسة الضيائية والمدرسة العادلية وغيرها من المدارس

ومن الخزائن التي بلغنا خبر دمارها في الحروب الصليبية خزانة أُسامة بن منقذ احد اصحاب قلعة شيزر فانها كانت اربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة ارسل بها بعد ان اخذ عهداً من الصليبيين من دمياط الى عكا في بطسة فنهبت ونهب معها ثلاثون الف دينار قال ان ذهابها ظل حزازة في قلبهِ ما عاش . ومن مصائب الكتب ما وقع من حريق في دار صاحب حماة سنة ٦٨٧ ذهب فيهِ من الكتب ما لا يحصى

ومنذ دخل الصليبيون بلاد الشام اخذوا على ما يظهر يقتنون الكتب العربية ولكن على صورة ضعيفة لان العلم بها كان معدوماً عندهم ، يبتاعونها على انها عاديات قديمة غريبة الوضع والشكل . ولما لمعت في القرن السادس عشر شعلة النهضة في ايطاليا اراد البابوات اقتناء الكتب العربية فندبوا لذلك بعض العارفين من رهبان الموارنة وحملوا الى رومية من اديار لبنان ما كان محفوظاً فيها من كتب الدين والعلم مما كان مكتوباً بالعربية والسريانية. وحمل يوسف السمعاني من لبنان (١٧٦٨ م) كتباً في ثلاثة مراكب الى رومية ملأها بالمخطوطات العربية وغيرها فغرق منها مركبان ولا يقدَّر ما فيها باقل من عشرات الالوف من المجلدات

ومن المصائب التي أُصيبت بها الكتب ان بعض دول اوربا ومنها فرنسا وحكومات

جرمانيا وبريطانيا العظمى وهولاندة وروسيا اخذت تجمع منذ القرن السابع عشر كتباً تبتاعها من الشام بواسطة وكلائها وقناصلها والاساقفة والمبشرين من رجال الدين ، وكان القوم ولاسيما بعض من اتسموا بشعار الدين ومن كان يرجع اليهم امر المدارس والجوامع بلغ بهم الجهل والزهد في الفضائل ان يفضلوا درهماً على انفس كتاب فخانوا الامانة واستحلوا بيع ما تحت ايديهم او سرقة ما عند غيرهم والتصرف بهِ كأنهُ ملكهم .
حدثني الثقة ان احد سماسرة الكتب في القرن الماضي كان يغشى منازل بعض ارباب العمائم في دمشق ، ويختلف الى متولي خزائن الكتب في المدارس والجوامع ، فيبتاع منها ما طاب له من الكتب المخطوطة باثمان زهيدة وكان يبيعها على الاغلب ، واكثرها في غير علوم الفقه والحديث ، من قنصل روسيا اذ ذاك بما يساوي ثمن ورقها ابيض ، وبقي هذا سنين يبتاع الاسفار المخطوطة من أطراف الشام فاجتمع له منها خزانة مهمة رحل بها الى بلاده فأخذتها حكومتهُ منهُ وكافأتهُ عليها . والغالب ان معظم الكتب العربية المحفوظة في خزانة الامة في برلين هي من بلاد الشام . وفهرس هذه الخزانة من الكتب العربية فقط في عشرة مجلدات ضخمة ما عدا الملحق . وتكون فهارس الكتب العربية في خزائن الغرب اليوم خزانة برأسها . وان بعيداً يحسن القيام على هذا التراث الوافر لاحرى بهِ من قريب يبدده جزافاً . وان امماً عرفتنا اكثر مما عرفنا انفسنا حتى قال احد علمائهم ان العرب وضعوا من المصنفات مالا يستطيع احدنا ان يقرأه طول عمره ، لجديرون بارث الشرق في ماديانهِ ومعنوياتهُ كما قلنا من فصل في مجلة المقتطف منذ اربع وعشرين سنة . نعم ان كتباً تترك للارضة تعبث فيها ، والعفن يعبث بجمال جسمها ورسمها ، وتحرم النور ويعفي اثرها الغبار والاوساخ . ويحرم النظر فيها على من يحسن الاستفادة منها ، او تُفَضِّل عليها دريهمات معدودة حرية بان تكون في ملك من يستفيد منها ويفيد!

ومن الخزائن المشهورة التي بعثرت في عهدنا ولم نعرف متى جمعت خزانة قبة صحن الجامع الاموي بدمشق وكانت مملوءة برقوق نفيسة ففتحت سنة ١٣١٧ هـ بامر السلطان عبد الحميد الثاني إجابة لمقترح الامبراطور غليوم الثاني الالماني فعثروا فيها على قطع من الرقوق كتبت فيها سور من القرآن الكريم بالخط الكوفي ومنها قطع مهمة من مصاحف وربعات وقطع من الاشعار المقدسة بالارامية الفلسطينية وكتابات دينية وأدبيات دينية وقصص رهبانية ومزامير عربية مكتوبة بالحرف اليوناني ومقاطيع شعرية لهوميرس ، وكراريس واوراق بالقبطية والكرجية والارمنية في موضوعات دينية الا قليلا ، وجذاذات عبرانية وسامرية فيها نسخ من التوراة وتقاويم أعياد السامريين وصلوات وصكوك للبيع

والاوقاف وعهود زواج وبينها مقاطيع لاتينية وافرنسية قديمة وقصائد شعرية يرتقي عهدها الى ايام الصليبيين ونسخ انجيل برقوق . فأهدى السلطان معظمها لعامل المانيا ووزع قسماً منها على بعض رجال الاستانة ورجال دمشق واستخلصت بعض قطع منها حفظت الآن في دار الآثار في هذه المدينة واهمها تلك القطعة الكوفية المكتوبة على رق من ربعة شريفة وقفها عبد المنعم بن احمد سنة ٢٩٨ وعلى الوجه الثاني نقش مذهب باسم واقفها . ورأى شيخنا الامام طاهر الجزائري في تلك القبة جزءاً مكتوباً عليه انهُ حبس على مشهد زين العابدين صلوات الله عليهِ وعلى ابنائهِ الائمة سنة نيف وسبعين واربعمائة

وكانت في دير صيدنايا من جبل قلمون خزانة كتب حافلة بالمخطوطات النادرة ولاسيما السريانية فحاذر وكلاء الدير من كثرتها (المشرق ٢ ص ٥٨٨) ان تكون حجة بيد السريان يتقوون بها على اثبات حقوقهم في الدير فأجمع رأيهم على اخراجها واتلافها تخلصاً منها فجمعوها ومعظمها من النفائس المخطوطة على رق وبدأوا يحرقونها وقوداً للفرن خبزوا عليها خبزتين وكان هذا من نحو تسعين سنة . وهو عمل مثل الجهل المطبق والتعصب الممقوت . وكم وقع من حوادث افرادية من مثل هذه فضاعت فيها الكتب ولم تبلغنا تفاصيلها . ومما أعان على تشتت الكتب ان بعض من اولعوا في العهد العثماني بتسنم ذرى المناصب والقضاء ، وكان لهم مشاكل وقضايا يريدون حلها في المراجع العليا او لمجرد التقرب والتظرف كانوا يمعنون في مهاداة من يتوقعون الخير منهم بالكتب وبذلك رحلت الى الاستانة وغيرها أحمال من المخطوطات على هذا الوجه ايضاً فعدت هذه الهدايا في جملة مصائب المكاتب

***

هذا وخير طريقة تحفظ بها ثمالة تركة السلف الصالح اليوم ان يعمد كل من حوت رفوفهم وقماطرهم كتباً الى كتبهم المخطوطة فيودعوها في الخزائن العامة لانها اقل عرضة للحريق والتلف ولكوارث وموارث ، وان يستعاض عنها بالكتب المطبوعة في الخزائن الخاصة ، وتجعل المخطوطات ملك الجماعات يرجع اليها العلماء والباحثون ، وتسبل عليهم فتكون منهم على طرف الثمام ، وبذلك يزيد النفع منها ويحيا بالطبع والنشر ما لم تساعده الحال ان يعرف حتى الآن ، وبذلك تجتمع فائدتان فائدة الانتفاع وفائدة الحفظ ، كما فعل المصريون وحفظوا بقايا كتبهم في داري الكتب المصرية والازهر والخزانتين التيمورية والزكية في القاهرة وخزانة المجلس البلدي في الاسكندرية والجامع الاحمدي في طنطا . والله يرث الارض ومن عليها

غاز الهليوم العجيب

سائلهُ يغلي على الجليد ويجمّد القصدير

تاريخ اغرب غاز في الوجود وكيفية العثور عليه في الشمس اولاً ثم استنباطه من منابع اخرى وطريقة استعماله في نفخ اكياس السفن الجوية واستخدامه في المحادثات اللاسلكية وفي الغوص والاضاءة والتعدين واسباب رخص ثمنه بعد بهظه

حدث منذ بضعة اسابيع في الولايات المتحدة ان احد البلونات الصغيرة التي تستخدمها وزارة البحرية في الاستطلاع كان ينزل الى مطيره في بلدة ليكهرست بنيوجرسي فاشتبك في سارية من السواري المستعملة للاستدلال على اتجاه الريح فتمزّق غلافهُ فافلت غاز الهليوم من اكياسه وكان فيها ٢٥٠٠٠ قدم مكعبة منهُ واختلط بباقي عناصر الجو

ولو وقع هذا الحادث منذ عشرة اعوام لكانت خسارة وزارة البحرية بسبب تلفهِ زهاء سبعة ملايين من الجنيهات لان غاز الهليوم لم يكُ معروفاً وقتئذٍ في غير معامل التحليل الكيماوي الاّ قليلاً . وبلغ من ندرتهِ ان ارتفع ثمنهُ ارتفاعاً فاحشاً . وكانت اذ ذاك كل البلونات التي اخف من الهواء سواء كانت ألمانية أو بريطانية أو فرنسية أو ايطالية أو امريكية تشحن بغاز الهيدروجين القابل للاشتعال . فتغيرت الحال في هذه الاعوام تغيُّراً كليًّا اذ غدت بضعة مليمات كافية لشراء برميل من غاز الهليوم لان ثمن القدم المكعبة الواحدة منهُ ٦ مليمات

وقد نجم رخص الهليوم في السنين الاخيرة عن اكتشاف ينابيع جديدة للغاز الطبيعي ينتج منها مقادير كبيرة من الهليوم ويضاف الى ذلك استنباط طرق حديثة اقل نفقة من الاساليب القديمة التي كانت مستعملة لاستخلاصهِ . مثال ذلك ان المصنع الجديد الذي أُنشئَ بجوار مدينة اماريلو بولاية تكساس في وسعهِ تموين الولايات المتحدة الامريكية بأسرها بما تحتاج اليهِ من الهليوم في اثناء سنين كثيرة

والولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة حتى الآن التي تملك مقداراً كبيراً من الهليوم وكله يستخرج من البلاد نفسها أو بالحري أن ما يستخرج فيها هو كل ما في العالم برمتهِ وتصديرهُ الى خارج بلادها محظور ، حظرهُ القانون حتى ولو طلبتهُ المدارس الجامعة نفسها بغية عرض نموذج منهُ على طلبتها . وقد تبين ذلك لاحدى الشركات الامريكية

حينما فاوضتها بشأنه جامعة من جامعات كندا وعالم من علماء تشيكوسلافكيا لمثل هذا السبب فلم تستطع الشركة تلبية الطلب . وهو يستنبط من منابع الغازات الطبيعية بولايات تكساس واكلاهوما وكنساس

***

وهليوم كلمة مشتقة من لفظ هليوس اليوناني ومعناهُ الشمس — وهو غاز لا لون لهُ ولا رائحة ولا طعم وهو كذلك غير قابل للاشتعال وقوتهُ في رفع الاثقال تكاد تعادل ٩٢٫٥ في المائة من قوة غاز الهيدروجين وهذا الاخير هو اخف غاز في العالم . وقد كُشف عن الهليوم في بدء الامر في الشمس بواسطة جهاز التحليل الطيفي وكان ذلك في عام ١٨٦٨ ثم كشف عنهُ على سطح الارض بمقادير ضئيلة جدًّا في سنة ١٨٩٥

وبسبب خفتهِ وكونهِ غير قابل للاشتعال غدت اعظم منافعهِ استعمالهُ في شحن اكياس الغاز في البلونات والسفن الجوية — فاذا ما امتلأت بهِ اكياس بلون مسيَّر اصبح غير معرض للالتهاب ولو استهدف لمقذوف ناري وصار لا خطر عليهِ من انفجار هائل من نار تتصل بغاز سواء كان مصدرها انبوب تفريغ المحرك او من شرارة الايقاد او عود ثقاب يلقى بغير اكتراث كما هي الحال في السفن الجوية التي تشحن اكياسها بغاز الهيدروجين والتي ما برحنا نذكر بعض حوادثها المشؤومة

ولما قام البلون المسيَّر الضخم « غراف تسبلين » برحلتهِ الجوية الحديثة من المانيا الى الولايات المتحدة كان محظوراً على ركابه تدخين التبغ وكذا طبخ الطعام بغير الكهربائية فضلاً عما اتخذ من الاحتياطات التي تحول دون الحريق . ولما نزل ذلك البلون في مطير ليكهرست بولاية نيوجرسي وزع على الجمهور الذين غصَّ بهِ المكان اعلانات مطبوعة تحتم عليهم الامتناع عن التدخين حتى في الفضاء الطلق . وسبب ذلك ان البلون الالماني العظيم المشار اليهِ والمصنوع من الالومينيوم والحرير والصمغ المرن كانت اكياسهُ مملوءة بغاز الهدروجين وهو اشد المواد اشتعالاً . ولو تطايرت شرارة عن غير قصد لاحدثت فاجعة فظيعة

وقع ذلك كله على حين ان البلون المسمى « لوس انجلز » الاميركي جاثم في مطيره لا خوف عليهِ لان اكياسهُ مشحونة بغاز الهليوم غير القابل للالتهاب

***

ولغاز الهليوم منافع تجلَّت في العامين الماضيين ومنها استخدامه في منع التشنج الذي ينتاب الغواصين وكذا استخدامه في التعدين وفي ملء انابيب الراديو والمصابيح الوهَّاجة

كما يستعمل في بعض الاجهزة البحرية وغيرها من الآلات العلمية . ويستعمل ايضاً في تبريد الاجهزة الكهربائية المحوّلة لقوة التيار الكهربائي والمولدات الكهربائية الشديدة السرعة . ويستعين بهِ الكيماويون في مصانع التجفيف الكيماوي كما ينتفعون بهِ في صنع عجائن التبرج وصابون الحلاقة

والهليوم اقل غازات الكون ذوباناً بالماء أو بغيرهِ من السوائل — وهو بهذه الميزة يختلف كل الاختلاف عن ثاني اوكسيد الكربون الذي يتحد اتحاداً شديداً بالماء . هذه الصفة تجعل الهليوم نعمة للغواصين وذلك لان الغواص اذا ما انتشل من الماء بغتة انتابه تشنج مُبرِّح ينجم عن فقاقيع غاز النتروجين وهو بطبيعتهِ جزء من الهواء الذي يدخل في دمه بتأثير شدة الضغط فاذا ارتفع الضغط خرجت فقاقيع النتروجين فجأة فتسبب لهُ ألماً شديداً عند خروجها من بدنهِ حينما يصعد الى سطح الماء — ولما كان الهليوم لا يذوب في الدم كما لا يذوب في الماء استصوب علماء الكيمياء امداد الغواصين بهِ مخلوطاً بالاوكسيجين بدل تزويدهم بالهواء وهو مزيج من الاوكسجين والنتروجين فاسفرت التجارب عن نجاح ذلك نجاحاً قضى على أدواء التشنج التي اعيت الاطباء

ولما كان الهليوم غير قابل للذوبان أيضاً في المعادن المصهورة كان خير معوان للمعدنين في استخراج الفلزات من مناجمها — ومع انهُ اخف من الهواء الا انهُ أشد لزوجة واكثر نفعاً منهُ في ملء الاجهزة البحرية وما شاكلها من الآلات العلمية — لان اجزاء هذه الاجهزة العلمية متزنة اتزاناً دقيقاً فتهتز مدة طويلة قبلما تبطىء حركتها الى درجة تمكن المراقبين من تدوين المعلومات اللازمة . فاذا ملئت الصناديق التي تحتوي على هذه الاجزاء الدقيقة بالهليوم عوضاً عن الهواء لم تلبث الاجزاء طويلاً حتى تبطىء اهتزازاتها فيسهل على الباحث تدوين ما يريد تدوينهُ من الحقائق التي تشير اليها اجزاء الآلة

وتشحن أنابيب الراديو والانابيب المتأججة كالتي تستعمل في أجهزة التلفزة (الرؤية عن بعد) بغاز الهليوم لاسباب وجيهة وهي اولاً كون هذا الغاز يساعد التيار الكهربائي على الانجاه الى جهة واحدة دون الاخرى وثانياً شدة توهج الانبوب المتكهرب المملوء بالهليوم المضغوط ضغطاً خفيفاً . وهذا التوهج ليس مغايراً لتوهج غاز النيون المستعمل في اضاءة الاعلانات التجارية بأنوار حمراء قانية غير ان الضوء الذي يشع من الهليوم أبيض ضارب الى الصفرة

والهليوم موصل جيد للحرارة — وقوته من هذا القبيل تفوق قوة الهواء ستة أضعاف — ولذلك يشعر المرء برجفة شديدة اذا ما وجد في جو مشبع بالهليوم لانهُ يخلل الثياب فيسلب من الجسم حرارته في هنيهة — أضف الى ذلك انهُ ذو حرارة نوعية عظيمة أي انهُ يمتص مقداراً كبيراً ، دون ان ترتفع درجة حرارته ارتفاعاً يذكر . فكانت هذه المزايا فضلاً عن كونه موصلاً رديئاً للكهربائية وعدم تأثره من الدوائر الكهربائية القصيرة سبباً في اتخاذه غطاء لتبريد المولدت الكهربائية « الدينامو » العظيمة السرعة واستعماله بدل الزيت لوقف التماس الكهربائي في الاجهزة المحولة للتيار الكهربائي فتمنع الخطر

والهليوم يعجل عمليَّة التجفيف ومع ذلك لم يحن الوقت الذي يتسنى فيهِ للمرء تجفيف ثيابه المغسولة في آنيةٍ مشحونة بهِ

وسبب ذلك ان الماء وغيرهُ من السوائل المذيبة لغيرها من المواد تتبخر في الهليوم أسرع مما تتبخر في الهواء . وهذا أمر خطير في معامل التحليل الكيماوية حيث تعرض الاطباق وهي حاملة المواد الكيماوية لتجف تحت اغطية مفرغة من الهواءِ ومحتوية على الهليوم

وقد ثبت ان الهليوم نافع جداً في تركيب أدوات التزيّن مثل صابون الحلاقة ومعاجين الوجه وذلك بسبب عدم قابليتهِ للذوبان (التي أشرنا اليها فيما تقدم) وبواسطة وجود الهليوم يصبح في وسع الصانع خلط الصابون بالمعاجين من غير ان يلحقها الهواء

ولهُ خاصية اخرى غريبة لا بدَّ من الانتفاع بها في المستقبل القريب فانهُ اذا ما برد تغيَّر من الحالة الغازية الى حالة السيولة وكان اشد السوائل برودة . وهو يسيل عند الدرجة ٤٥٠ تحت الصفر بمقياس فارنهيت وقد بردهُ الى ذلك المدى الاستاذ كامرلنغ أونيس من علماء مدينة ليدن في هولاندا حتى بلغ درجة ٤٥٧ تحت الصفر وهي الدرجة التي لم يصل اليها انسان قبله والتي تبعد عن درجة الصفر المطلق درجتين فقط

اذا ما اسقطتَ مقداراً من الهليوم السائل في وسط جليد القطب الجنوبي حيث ذهب الرحالة برد ورفقاؤهُ للاستكشاف غات غلياناً حقيقيًّا كما تغلي المياه اذا وقعت على موقد حام الى درجة الاحمرار لان حرارة الجليد اذا قيست بحرارة الهليوم السائل كحرارة النار اذا قيست بحرارة الماء مثلاً

وعند تلك الدرجة من البرودة برودة الهليوم السائل يصير فنجان من القصدير قصماً كالزجاج ويتجمد الزئبق حتى يستطاع جعلهُ رأس مطرقة تستعمل لدق المسامير

والهليوم عنصر مستقلّ بنفسه لم يعرف حتى الآن انهُ اتحد بعنصر كيماوي آخر غير مرة واحدة وهي حينما تمكّن الاستاذ كومتن المعلم بمدرسة برنستون الجامعة من الجمع بين الهليوم والزئبق في أنبوب واحد مفرغ من الهواء وذلك بتهييج الزئبق بالاشعة التي فوق البنفسجية وسيجيء الوقت الذي تتجلى فيهِ منافع هذه الخاصيات

***

في عام ١٩١٢ قبيل نشوب الحرب الكونية لم يكن في المسكونة اكثر من ١٥ قدماً مكعبة من غاز الهليوم وكانت في حيازة الاستاذ أونيس أحد علماء ليدن . وكان ثمنها يُقدَّر في ذلك الوقت بستة آلاف من الجنيهات ! لان غاز الهليوم كان وقتئذٍ ثميناً جدًّا كالاحجار الكريمة مثل الألماس واللؤلؤ الاسود والياقوت الوردي ، ونادر الوجود كالراديوم . ولم يكن يعلم عنهُ شيئاً الاَّ القليلون من العلماء اي كانت القدم المكعبة منهُ تساوي ٤٠٠ جنيه فرخصت الآن حتى صارت تساوي ٦ مليمات

ولكن وقع في غضون الحرب حادث عرضي يقال أنهُ سبَّب اهتمام الدول بغاز الهليوم وفحواه: أنَّ قائداً من فرقة الطيران الملكية الانكليزية اقتفى اثر أحد بلونات تسبلين وحمل عليهِ في الجو ذات يوم من أيام عام ١٩١٧ وبدأ مهاجمتهُ بالرصاص المحرق قاصداً اضرام النار فيهِ وكان متأكداً من نتيجة هجومهِ بتأثير القنابل المحرقة في غاز الهيدروجين المملوء بهِ ذلك البلون. ولكن خاب ظنهُ فلم يحترق البلون ولم يسقط رماداً تذروه الرياح ، كما كان يأمل ، بل ظل طائراً متجهاً الى الجهة التي كان يقصدها فدهش قائد الطيارة من تلك النتيجة وعاد الى قاعدتهِ الحربية بصفقة المغبون فافضى الى رفقائهِ بسره فقال ان عند الالمان بلونات مسيَّرة لا تحترق من الرصاص المحرق

فاستشار مركز رئاسة الجيش السير ريتشارد ترلفول وكان عالماً مشهوراً فأجاب عن ذلك بقوله : إنهُ لا شك أن البلون كان منفوخاً بغاز الهليوم . ثم لم يسمع أحد بعد ذلك بوجود بلونات المانية لا تؤثر فيها النيران فرجح العارفون أن ذلك البلون استنفد ما كان عند الالمان من غاز الهليوم

ومن ذلك الحين جعلت الامم والحكومات تهتمُّ اهتماماً عظيماً بذلك الغاز العجيب النفيس

وعند دخول الولايات المتحدة في الحرب طلبت قيادة جيشها وبحريتها الى مصلحة المناجم الحصول على جانب من غاز الهليوم بأي ثمن كان

وكان علماء طبقات الارض في تلك المصلحة قد عثروا على آثار غاز الهليوم في بعض

آبار الغاز الطبيعي بولاية تكساس فأنشأوا المصنع الاول لاستنباط الهليوم في مدينة (فورت ورث) حيث استنبطوا من ينابيعها ما يملأ ٧٥٠ اسطوانة أعدوها قبيل الهدنة لتصدَّر الى فرنسا كي تستخدمها بلونات المراقبة التابعة للجيش

ولكن غاز الهليوم لم يستعمل لنفخ اكياس البلونات في الولايات المتحدة الاَّ في عام ١٩٢٠

ثم أُنشىء مصنع آخر في مدينة دكستر بولاية كنساس حيث اكتشف الهليوم بطريقة عجيبة وقد ظل اهل دكستر عدة أعوام يشنون من تهكم جيرانهم عليهم لانهم لم يكونوا يدركون خطورة غاز الهليوم. ففي عام ١٩٠٣ كان عاملان يحفران الارض تنقيباً عن الزيت المعدني فصادفهم سيل عرم من الغاز في عمق يقل عن ٥٠٠ قدم وقد اطنبت الجرائد المحلية وتتذ بمنافع ذلك الاكتشاف العرضي ثم أعدت المعدات للاحتفال بهِ ولكن حينما أرادوا اشعال الغاز لم يشتعل فهزئ الزوار الذين وفدوا لمشاهدة الاحتفال من منظميهِ وعادوا الى مدنهم مستائين فاخذت جرائدهم تلوم أهل دكستر

ثم وفّق الباحثون لطريقة مكنتهم من اشعال الغاز واستعماله في وقوداً ولكنهُ لم يصلح للاضاءة غير ان الاستاذ كايدي المعلم بجامعة كنساس امتحن ذلك الغاز فوجدهُ محتوياً على زهاء ٢ ٪ من الهليوم فانشئ مصنع لهُ ينتج يوميًّا ١٥٠٠٠ قدم مكعبة منهُ. ثم ثبت بالبحث والحفر في اعماق مختلفة وجود هليوم غزير. وفي نهاية عام ١٩١٧ كان المصنع دائراً ثم أُنشئ مصنع آخر في كندا حيث اكتشف غاز الهليوم بمقادير قليلة ولكنَّ هذا المصنع اغلق في نهاية الحرب

ولما ذاعت الانباء ان منبع غاز بتروليا في تكساس الذي كان محتوياً على مصنع (فورت ورث) ومصنعين آخرين كانت على وشك النفاد بدأ البحث عن ينابيع جديدة حتى عثروا على منبع اماريلو في تكساس فاقاموا فيهِ مصنعاً جهزوهُ باحدث الآلات الخاصة باستنباط الهليوم من صنع مصلحة المناجم هناك

ويستخلص غاز الهليوم من الغاز الطبيعي بجر الغاز من منابعهِ في الانابيب بكباسات ضخمة حيث يضغط ضغطاً شديداً ثم يبرد الى درجة ٣٠٠ تحت الصفر. وعند هذه الدرجة من البرد يتحول كل شيء الى سائل الاَّ الهليوم فانهُ يظل غازياً فيجرُّ ثم يضغط في اسطوانات كي ينقل الى ميادين الطيران بينما الغاز الطبيعي الذي تحسَّن باستخراج الهليوم منهُ يُباع رخيصاً للانارة والوقود. آه ملخصاً عن مجلة العلم العام



الخلود

قصيدة للشاعر لامارتين

[الفونس دي لامرتين (١٨٦٩ — ١٧٩٠) شاعر افرنسي ، رقيق العاطفة ، دقيق الشعور ، تغلغل الى سويداء الفؤاد فابدى مكنوناته ، وتسلل الى اعماق النفس فاظهر خوالجها ، وقد نظم هذه القصيدة ، وقدمها الى فتاة مريضة ، يائسة من الحياة ، قانطة من رحمتهِ تعالى ، لان آمالها بالخلود كانت محجوبة بغمامة احزانها الكثيفة

وكان هو وقتئذٍ غريقاً في لجج من دياجير النفس وآلامها ، ولكن الحزن والشك واليأس ، لم تكن لتأتي على مرونة قلبه ، الذي كان يستسلم للشك في بعض الاحيان ، لكنهُ لا يلبث ان يعاودهُ معتقدهُ ، فيسمو بآماله الى الخالق عزَّ وجلَّ ، لان قبس التقوى الذي اشعلتهُ في فؤاده امُّهُ الوَرِعة ، وظلت تضرمهُ بانفاسها ايام الحداثة ، كان يخبو حيناً من تأثير عواصف الدهر ، ويكاد يُطفأ تحت وابل الدموع التي تستدرها آلام الحياة ، ثم يعود الى الاشتعال حالما يخلو الشاعر الى نفسه ، لان الباري يتجلّى لهُ عند ما يزول كل حائل بينهُ وبين افكارهِ

وهذا ما كان يحدو بهِ فجأة الى نبذ الحزن العميق ، والانقياد والتسليم لما يأتي بهِ القدر ، لان الايمان هو الامل ، والامل اكبر معزٍّ ، واعظم مخفف للآلام البشرية]

ترجمة القصيدة

كل ما في الوجود يسير بخطى واسعة الى العدَم ، فالشمس لا تكاد تُشرق حتى يعتريها الزوال ، فتلقي في فترتها القصيرة على وجوهنا الذابلة اشعتها الشاحبة المضطربة ، فيتلقفها الظلام بصفوفهِ القاتمة المنبثقة من كل صَوْب ، ويبتلعها في دياجيره السوداء الحالكة ، فيلفظ النهار انفاسه ، دون ان يترك من مروره اثراً ، ويضمحلُّ كل موجود على وجه البسيطة ويزول ، كأن لم يكن ثم انيس ولا سامر

ولو وعى الانسان حقيقة حاله ، وتدبَّر ما يقع تحت انظاره ، لاعتراهُ الهول والجزع ، وتقهقر مذعوراً عن حافة الهاوية الفاغرة فاها لابتلاعه ، اذ من ذا الذي لا يتصور تفاهة هذه الحياة وغرورها ، عند ما يطرق أُذنَيه نشيدُ الاموات يردِّد صداه

الفضاء ؟ او زفرات عاشقة تودّع امانيها في شخص حبيبها الميت ؟ او ام حنون تدفن آمالها ومُنى نفسها في صدر فلذة كبدها الراحل ؟ او رنين ناقوس الحزن ينوح بولَه مُنذراً الانام برحيل تعس منهم ، من دار التعب والشقاء ، الى دار الراحة والهناء ؟

سلاماً أيها الموت ! ما انت الاّ مُنقذٌ سماوي ، تمسح يدك علينا فتبرئنا من آلامنا واسقامنا ، انك لا تبدو لي بمظهر مخيف مُفزع كما يتصورك البعض ، فذراعك ليست مسلحة بنصل مخرّب لا يُبقي ولا يذر ، وعينك ليست عين غدر ولا خيانة ،ووجهك لا يحمل بين اساريره سمات الصرامة والقساوة ، فانت رسول سَماوي تخلّص وتنقذ ؟ لا مُفنٍ تلاشي وتُعدم ، ارسلك الله رؤوف رحيم ، حاملاً مشعل النجاة ، لتخفف آلام الانسانية ، وتُنقذ بني البشر

وعند ما أعيننا التعبة تُغلقُ عن نور هذه الحياة، تُفيض انت عليها نوراً ، اشد سطوعاً ، واكثر تلألؤاً ، فالأملُ بقربك اذا ارتكزَ على دعامة الايمان ، يفتح لي دنيا ، اجمل من هذه الدنيا واسعد

فتعالَ اليَّ ،تعالَ لتنقذني من اصفادي الجسمية ، تعالَ لتخرجني من سجني الترابي . هَلُمَّ اليَّ ، وارفعني الى من كل شيء امامهُ هباء وعفاء . . أعِرْني جناحيك لاطير بهما الى الكائن الأزلي ، الذي هو ملجأي واعتمادي ، وغاية املي في دنياي وآخرتي

من ذا الذي ابعدني عنهُ؟ ومَنْ انا ؟ وماذا سيحلُّ بي؟ . . اسئلة تُردّدها نفسي الحائرة الوَجِلة ، دون ان تجد لها جواباً ، فسأموت ولا اعرف الحياة . . وانتَ ايها الروح ، ايها الضيف الغريب الحالُّ على غير معرفة ، لقد طالما سألتك فلم تُحرْ جواباً ، فهلا رغبت عن صمتك ، واطلعتني على مكنونات سرك . . أُناشدك الله ان تخبرني عن السماء التي اتيت منها قبل ان تحلَّ فيَّ ، وعن القوة التي قذفتْ بك الى هذه الكرة السريعة العطب ، وعن اليد التي قيدتك في سجنك الصلصالي. وعن الرابطة الخفية العجيبة التي تربطك بالجسد الفاني

اي يوم ستنزح فيه عن هذه المادة ؟ ولاي مقرٍّ سماويٍّ ستغادر الارض ؟ وهل تعيش بعد القبر في النسيان الذي كنت فيه ؟ ام سترجع الى احضان الله مُبدئك ومُعيدك ، متخلصاً من قيودك الزائلة ، متمتعاً بحقوقك الابدية التي حباك الخالق بها كرماً منهُ ومِنّةً ؟

أجل، هذا هو املي الوطيد ايتها الروح، يا من جعلك الباري نصف حياتي : النصف الباقي الخالد ، فبهذا الامل تشتد عزيمتي ، وتتقوى نفسي ، وتسرّ ايمّا سرور ، عند ما تبصر على محياي الوسيم، اضمحلال الوان الربيع الزاهية ، وبه اقبل بفرح لا يوصف ، الموتَ الذي طفق يدبّ في غصن حياتي الغضِّ ليهصره قبل أوانه

أمل ضائع ، ورجاء غير محقق ، يقول اتباع ايقوروس ، فالحياة تمتّع ولذائذ ، وما وراء القبر غير العدم ، فلا ثواب ولا عقاب ، ومن التمس غير ذلك فقد اضاع دنياه ، دون ان يجني من زهده غير خيبة الامل ، فتأمل ايها المغرور فيما حولك ، فكل شيء له بداية ونهاية ، كل شيء يولد ليموت وينقرض ، فالزهرة تذبل في المروج اذا ما دار الفلك دورته والارز يهوي في الغابات تحت عبء السنين ، والانهار تجفّ في مجراها من فعل الايام ، والسماء تشحب من مرِّ الغداة ، وكرِّ العشي ، وكوكب النهار الذي اخفى الزمنُ عنا مولدهُ يسير الى محاقهِ ، وسيأتي يوم يتطلع فيهِ البشر الى السماء بخوف وذعر فيرونها خلواً منهُ

أفلا تجد في كل هذا ما ينقض آمالك ، ويهدّ امانيك ؟ فالعصور في الطبيعة تتكدّس تكدُّس التراب فوق التراب ، والزمن يطوي في ارماسهِ كل حيٍّ وجماد ، والانسان ، الانسان وحده في قعر جدثهِ ، وعميق حفرتهِ ، يحلم بالبعث ، ويأمل في الخلود ، بعد ما طوّحت بهِ اعاصير الموت ، في لجج الفناء والاضمحلال

لكم مَنطِقكم يامن تدّعون العلم والمعرفة ، ولي منطقي ، فاذا كنتم ترمونني بالخطإِ ، فدعوني اسعد في خطائي ، فاني احب ، والحب هو الامل ، بل هو الخلود ، فاذا استعنّا بعقلنا في حل مُشكلة البقاء ، فالعقل يَهِنُ ويعجز ، وحيث يعي الادراك ، يحي الشعور فغريزتنا الطبيعة ، تبدي لنا باجلى المظاهر ، ما ينتظر الانسان بعد الموت من البعث والخلود فلو تبدّتْ لي اعظم فجيعَة تصورتها مخيّلة امرئ ، فابصرت في السهول السماوية ، الكواكب تحيد عن سُبُلها ، وتتصادم بعضها ببعض، وتتناثر اجزاؤها ، وتبعثر في الفضاء غير المحدود ، وسمعت باذني انين الارض ، وحشرجة نزعها ، ورأيتها سائرة على غير هدى ، في ظلام اللانهاية ، تبكي بنيها الذين لم يبق منهم عين ولا اثر . لو تمثّل لي خراب العوالم باجمعها ، ودمار الكواكب باسرها ، وتكدّست الظلمات فوق الظلمات ، والاشلاء فوق الاشلاء ، وبدا الموت مهيمناً ، والفناء مسيطراً ، ولبثت وحيداً بين هذه المروعات لما تزعزع ايماني بالكائن الرحيم قيد شعرة ، بل لظللت جاثماً فوق هذه الاطلال ،

منتظراً بملء الثقة بزوغ فجر الابدية ، الذي لا يعتريه افول ، ولا يصيبه زوال

أتتذكرين عند ما كانت تجمعنا تلك الامكنة السعيدة ، حيث ولد من نظرة واحدة ، حبُّنا الازلي ؟ فكنا نُدَلّلهُ تارة فوق قنن الصخور الشماء ، وتارة على شواطئ البحيرات الهادئة ، فنسير معاً ، بعيدين عن العالم ، محمولين على اجنحة السعادة والهناء ، نغوص بانظارنا في دياجير الحلك ، التي اخفت عن ابصارنا مرأى الطبيعة الأخاذة بالالباب ولكن جوقة كواكب الليل ، لا تعتم ان تبدو ، سائرة بسكون واتضاع ، فتنير السهول والاودية ، بنور كامد لا وهج فيه ، لكنهُ يملأ القلب روعة وجمالا . . بنور اشبه بضوء المصباح ، الذي يشعُّ في معابدنا المقدسة ، حالما يسوَدُّ الظلام ، فيأخذ على القلوب مشاعرها ، ويملأ الافئدة ورعاً وخشوعاً

وكنتِ في الانخطاف الروحي الذي يعتريكِ ، تنقلين طرفي من السماء الى الارض ، ومن الارض الى السماء ، وتجثين صائحة بتدلُّهٍ : ايها الاله الخفي ، انا لنتأمل الطبيعة ، فنرى ذاتك العلية متجلية في كل دقائقها ، فالطبيعة هيكلك ومذبحك ، واذا رُمنا معرفة كمالك الالهي ، فما علينا الاَّ ان نتطلَّع فيما حولنا ، فالدنيا شعاع من محاسنك ، والنهار نظرة من نظراتك ، والجمال ابتسامة من ابتساماتك ، فالقلب يعبدك في كل ما تراهُ العين ، والنفس تتنسَّمُكَ في كل ما يبدو ويبطن ، والعواطف تنجذب اليك منسحقة في حبك ، الذي يرفعها من مستوى الثرى الى مناط الثريَّا ، والروح الخالدة توَّاقة اليك ، لترتوي من ينبوعها السرمدي

وكان قلبانا يضمان تنهداتهما الصاعدة على اجنحة الشوق الى الكائن الاعظم ، فجثوتُ بجانبك ، لنعبدهُ في صنع يديهِ ، رافعاً واياكِ الى مقامهِ السامي ، مع الفجر والشفق ، والغروب والغسق . فروض العبادة ، الصادرة عن جوانح ملأى بالتقوى والخشوع ، وعيوننا الساجية تتطلع الى الارض دار منفانا ، والى السماء مقرِّنا ومثوانا

فيا حبذا ، لو استجاب الله في هذه البرهة ، دُعاء نفسَينا الشاردتين ، اللتين تريدان تحطيم قيودهما والعودة اليهِ ، واصطفانا معاً ، اذن لطارت روحانا الى مصدرهما الازلي ، مجتازتين طبقات الاثير على جناحَي الحب ، وصعدتا الى بارئهما ، كما يصعد من الافق ، شعاع النهار عند انبثاق الفجر ، وامتزجتا باصلهما الابدي ، الذي هو مصدر كل حبٍّ ، لتمجداه ، وتسبحا بحمده ، في أزلِهِ الى أزلهِ

طنطا نصيف جورجي نيقولاوس



روح الصحافة ومطالب القراء

المحرّر بين الحقيقة والجمهور

طلب الاعلانات من اقوى العوامل الصحافية في هذا العصر (١)

أيها السادة: هذه الآلات الضخمة الطابعة وهذه الاسلاك التي تهتزّ ليل نهار تنقل في اهتزازتها اخطر الانباء واحقرها، بل هذا الفضاء الفسيح الحافل بالاشارات اللاسلكية تحمل في طياتها الصور والانباء — كل هذا انما هو هيكل الصحافة فما هي روحها

ما هي الصفات التي يجب ان يتصف بها المشتغلون بهذا العمل العمراني الخطير. ما هي المقاييس العلمية والادبية التي يجب ان يقاسوا بها قبلما يؤذن لهم في الانتظام في سلك لهُ هذا المقام في تسيير الشؤون العامة وتصريفها. انهم لا يمتحنون امتحانات معينة ولا ينالون شهادات فنية ولا يطبعون بطابع خاص كما يطلب من رجال الصناعات الحرة كالاطباء والمعلمين والصيدليين وغيرهم ففي أي ميزان نزنهم؟

هذه المسائل تكشف لنا عن المبادىء الاساسية التي يجب ان تقوم عليها صناعة الصحافيّ وفنهُ، فعملهُ قبل كلّ شيء انما هو امانة في عنقهِ للجمهور الذي يقرأهُ ويصغي اليهِ. انهُ يقوم على عقد معنوي بينهُ وبين الجمهور تتلخص موادهُ في ان الصحافي يتعهد بان لا ينشر الا الصحيح من الاخبار على قدر ما يستطيع تحقيقها. ولا يذيع الا الرأي كما يبدو لهُ ناضجاً بعد التأمل والتمحيص. ان هذه الامانة شبيهة بالثقة التي يعقدها المريض على طبيبهِ، والتلميذ على معلمهِ. وهي في حال الصحافي اخطر من كليهما لانهُ اذا أخطأ الطبيب فخطأهُ يتعلق بفرد واحد واذا اخلّ الصحافي بأمانتهِ وقعت نتائج اخلالهِ على جمهور كبير

هنا يعترضنا سؤال خطير. هل الصحافي الذي ينشر في جريدتهِ اخباراً يعرف انها كاذبة بقصد التضليل يختلف عن التاجر الذي يبيع للناس بضاعة مغشوشة؟ هل الضرر الذي ينتج عن بثّ الآراء الفاسدة في الجمهور أقل من الضرر الذي ينتج عن بيع الاطعمة

(١) نشرنا في المقتطف الماضي جانباً من المحاضرة التي القاها الاستاذ فؤاد صروف محرر هذه المجلة في موضوع «المستنبطات الحديثة في الصحافة» وهذا جانب آخر من المحاضرة يعالج الموضوع من جهة اخرى

المغشوشة . نعم أيها السادة . ان الصحافي الذي يكتب او يذيع انباء كاذبة وهو يعلم بكذبها او آراء فاسدة وهو يدري ان منها ما هو خطر على الجمهور لهو كالتاجر الذي يبيع صابوناً مغشوشاً او سكراً غير نقي . بل اذهب الى ابعد من ذلك وأقول ان الصحافي الذي يخون الامانة التي تعهد ضمناً برعيها حين اقبل على الصحافة أجدر باللوم والعقاب من التاجر . فالصابون المغشوش قد يهيج حكة في الجلد ولكن الاخبار الكاذبة تقلق الجمهور والآراء الفاسدة تفسد العقول وتسمّها

وماذا يقال في محرّر مسؤول يكتب مقالة رئيسية في صحيفة يعبّر فيها عن رأي يخالف رأيهُ . يقول بعض الباحثين ان المحرر كالمحامي يؤجر ليعرض وجهة نظر في مسألة أو قضية لانهُ بارع في عرضها . ولذلك فهو ليس مسؤولاً عن هذا الرأي لان المحامي انما يعبر عن رأي موكله والمحرر عن رأي جريدتهِ فهو كعجلة في آلتها اذا لم يقبل الكتابة في هذا الموضوع على هذا النمط استغني عنهُ وجيء بمحرّر آخر يكتب ما رفض هو الكتابة فيهِ . وفي تاريخ الصحافيين حوادث كثيرة اختلف فيها المحرّر مع صاحب الجريدة في الرأي وفي اتجاه السياسة فتخلى المحرر عن منصبهِ ولم يتخلَّ عن آرائهِ

ولكن الصعوبة التي بسطناها انما هي في الغالب صعوبة نظرية لان المحرر الذي يكتب المقالات الرئيسية في جريدة من الجرائد الكبيرة لا يصل الى هذا المنصب الرفيع الاَّ بعد ما يكون قد قضى سنين كثيرة اشتغل في اثنائها بمختلف ابواب التحرير فتشرَّب روح الجريدة والمبادىء التي تجري عليها في سياستها فاذا وصل الى منصب المحرر كانت الاصول الاساسية التي تقوم عليها آراؤهُ متفقة مع القواعد التي تبنى عليها سياسة الجريدة

الصحافة والجمهور

ولكن ! ولكن أيها السادة. يجب ألا ننسى الجمهور أيضاً . فكل جمهور يفوز بالصحف التي يستحقها . ان الصحافة صناعة والشركات التي تتولاها شركات مالية قبل كلّ شيء . فقد انقضى الزمن الذي كانت فيهِ الصحيفة نشرة رجل واحد يبثُّ بها آراءه وتعاليمهُ أو بوقاً لحزب ينفخ فيهِ قواعد سياستهِ . وصار اصدار الصحف التي تستطيع ان تجاري العمران على النمط الذي قدمناهُ يحتاج الى مبالغ طائلة من المال لشراء الدار والمعدات الميكانيكية على اختلافها واستئجار المحررين والمخبرين والمراسلين وابتياع الورق والحبر بالاطنان. وبعد كل ذلك تباع الصحيفة في السوق فلا يصيب صاحب الجريدة من ثمنها الاَّ مبلغاً لا يكاد يفي بثمنِ ورقها . فكيف يستطيع ان ينفق سائر النفقات . وكيف يستطيع ان يجني ربحاً معقولاً من المال الذي قدَّمهُ للتثمير فيها

هنا المشكلة التي تعانيها الصحافة في كل انحاء المعمور . اذاً لا سبيل لصاحب جريدة يمكّنهُ من القيام بكل نفقاتها وهي طائلة وجني ربح معقول منها الاَّ بكثرة الاعلانات . واصحاب الشركات والمحال التجارية التي تعلن في الجرائد تجّارٌ لا يدفعون اجرة اعلان يعلنونهُ في جريدة من الجرائد الاَّ اذا كان يدرُّ عليهم فائدة معنوية ومادية . وهم غالباً يقيسون قيمة كل جريدة من حيث الاعلان فيها بعدد النسخ التي تطبع منها وتباع وبطبقة القرّاء الذين يقرأونها

فاصحاب الجريدة ومحرروها مرغمون اذاً على اتخاذ كل الوسائل التي تمكنهم من زيادة المبيع من جرائدهم حتى يفوزوا بالاعلانات الكبيرة لانها في آخر الامر سندهم المالي الاكبر

فكل الحراج التي تقطع اشجارها وتحوَّل ورقاً وكل غدران الحبر التي تهدر في المطابع ومئات الالوف التي تنفق في جمع الاخبار واعدادها للنشر ومثلها مما ينفقهُ التجار للاعلان عن بضاعتهم يتوقف على علاقة الجمهور بالجريدة . أيقبل عليها لانها تسبق غيرها الى نشر الاخبار التي تثبت صحتها بعد ? أيقبل عليها لنشرها مقالات يسيغها الرأي العام لانها تثيرهُ او تخدّرهُ او ترشدهُ — ان الجريدة التي يقبل عليها الجمهور هي الجريدة السابقة الواسعة الانتشار المحترمة الجانب . وهي الجريدة التي تدرُّ على اصحابها ثروة طائلة

ومن نكد الدنيا ايها السادة ان بعض الصحف الغنية يحاول توسيع انتشاره بطرق اصطناعية ليس من شأن الصحف القيام بها . فاحدى الجرائد الانكليزية مثلاً تمنح كل اسبوع عشرين الفاً من الجنيهات لمن يفوز في مباراة تتعلق بلعبة الكرة وغيرها من الالعاب . فكان من اثر هذه الجوائز ان زاد المطبوع والمبيع من اعداد هذه الجريدة ولكن قراءها لم يزيدوا . ذلك ان بعض المتجرين صار يشتري اعداد هذه الجريدة بالالوف ويقطع منها كوبوناتها ويرمي الباقي . ثمَّ يبيع هذه الكوبونات بعد ما يملؤها بأجوبة لا يصيب المحجة منها اكثر من واحد في مليون . فهذه الزيادة في انتشار الجريدة زيادة وهمية تغرُّ المعلن ولا تفيدهُ . تغرُّهُ لانهُ يقدر ان اعلانهُ في هذه الجريدة ينتشر بين جمهور كبير من الناس ولا يفيدهُ لان جانباً كبيراً من اعدادها مصيرهُ الى الطرح جانباً كما تقدم فلا يقرأهُ احد من الناس

***

نعود الى علاقة الجمهور بالصحف . من هذه العلاقة المبهمة نشأ القول بسلطة الصحف

ومقامها في الرأي العام . على ان القول بأن الرأي العام ضعيف مرنٌ متردد سهل على الصحف قيادتهُ وتسييرهُ حسب مرادها قول فيهِ نصيب من الصحة ونصيب من الخطاء. اما نصيبهُ من الصحة فواضح في كلام قاضٍ من اكبر القضاة الاميركيين حيث يقول «اعطوني الصحف ولا يهمني حينئذٍ من يسنُّ القوانين او يضع قواعد التصرف الادبي والديني». واما نصيبهُ من الخطاء فظاهر في درس الصحف الغربية اذ يرى الباحث فيها ان للجمهور او للرأي العام اكبر اثر في اتجاه الصحف وميلها . لان ذوق الجمهور ومطلبهُ انما هو في حقيقة الامر الحكم الفاصل في سعة انتشار جريدة وخيبة اخرى . وسعة الانتشار هي مدار النجاح الصحافي لان التجار لا يعلنون في جريدة ضيقة النطاق والاعلانات هي سند الصحافة المالي الاول والاخير . لذلك يميل الصحافيون الى ان يكتبوا للجمهور ما يطلبهُ الجمهور . ولذلك نقول ان كل امة تفوز بالصحف التي تستحقها . والصحافي الذي يستطيع ان يدرك بزكانتهِ وبعد نظره مطالب الجمهور هو الصحافي الذي يتسابق عليهِ اصحاب الصحف يمنونهُ بالسلطة العظيمة والراتب الكبير

ولكن ماذا يطلب الجمهور ؟

منذ ثلاثين سنة كانت الصحافة الانكليزية اليومية تكتب ما تقرأهُ طبقات خاصة من المتعلمين والاغنياء غير عابئة بطبقات العامة وهم سواد الشعب وبالنساء وهنَّ اكثر من نصفهِ. ولكنك ان سرت اليوم في عاصمة من عواصم اوربا رأيت كل رجل وامرأة تقريباً يحمل صحيفة يطالع اخبارها . كانت الصحف منذ ثلاثين سنة محدودة الانتشار لغلاء ثمنها من جهة ولضيق نطاقها من جهة اخرى فكانت المقالات التي ينشئها محرروها طويلة متلازمة العبارات يصحُّ ان تجمع في كتب يقرأها الرجل في اوقات فراغهِ . وكانت الاخبار يتلو بعضها بعضاً في العمود الواحد والصفحة الواحدة لا تكاد تفرّق بين الخبر الاهم والخبر المهم ، بل لا تكاد تفرق بين خبر وخبر لان عناوين الاخبار كانت غير ظاهرة فلا تسترعي النظر . ولكن رجل هذا العصر وفتاتهُ ايها السادة ليسوا الاَّ دقائق مندفعة في تيار الحياة السريع . ولا صبر لاحدهم على ان يضيع الوقت بين دارهِ ومكتبهِ في مقالة يصحُّ ان يقرأها استاذ . انهُ يريد ان يلقي نظرة عامة على اخبار اليوم ليعرف ما هو جار في مختلف البلدان وآراء المفكرين في ذلك . لذلك يطلب الجمهور الاخبار اولاً ويفضل الاخبار التي تثير في صدرهِ معاني الاعجاب والاستغراب لانها خارجة عن المألوف . ويريدها كذلك موجزة السياق كثيرة العناوين واضحتها حتى يستطيع ان يكتفي في كثير منها بقراءة العنوان ليستغني بهِ عن الخبر نفسه . اما المقالات التي يعبّر فيها عن آراء

المفكرين من اصحاب الصحيفة ومن يشدو شدوهم فيريدها كذلك موجزة تسير توًّا الى كبد الموضوع ولا تدور حولهُ من غير ان تمسَّهُ . فعمل الصحافي هو جهاد يومي ضد السآمة تبدو في سطور جريدتهِ لانهُ متى ادركت السآمة الجمهور من جريدة ما فقل عليها السلام

ادرك هذه الحقيقة النفسية الفرد هارمزورث الذي صار لورد نورثكليف بعدئذٍ فاخرج جريدتهُ الديلي ميل على النمط الذي تصورهُ فلاقت نجاحاً عظيماً واقبالاً واسعاً فسارت في اثرها اكثر الصحف وصار هذا الوجه من الصحافة من اوسع الميادين للتفنن والابتكار حتى الصحف القديمة المحافظة كالتيمس الانكليزية والمورننغ بوست غيَّرت بعض التغيير في سياق اخبارها ووضع عناوين لها . وماذا كان الفرق ؟

كان انتشار الجريدة منذ ثلاثين سنة محدوداً بخمسين الفاً او بستين الفاً او بمائة الف اذا بلغتها . فجاءت الديلي ميل وقلبت كل ذلك رأساً على عقب فصار كل رجل يقرأها لانها تقدم لهُ ما يريد في القالب الذي يريدهُ فبلغ انتشارها الآن نحو مليوني نسخة . وانتشار الديلي اكسبرس لا يقل عن مليون و٣٠٠ الف وهي تصدر في لندن ومانشستر وغلاسجو في صباح كل يوم . او تعجبون أيها السادة اذا قلت لكم ان في اليابان صحيفة تضاهي الديلي ميل في سعة انتشارها بل تكاد تفوقها ؟ هي الحقيقة ما اقول

***

أما الصحف الاميركية فلا تضاهي كبريات الصحف الانكليزية من حيث سعة انتشارها . فلا اعرف جريدة اميركية يزيد انتشارها على مليون نسخة . وذلك لان انتشار الصحف الاميركية ينحصر في المدن التي تصدر فيها . فصحف نيويورك قلما تقرأ في غير نيويورك وما يجاورها . وذلك لاتساع البلاد وترامي أطرافها ولان في كل بلدة تقريباً صحيفة تتلقى اهم الانباء من جرائد المدن الكبيرة ومن شركات الاخبار . ولكن خذوا الصحف الاميركية الشهرية والاسبوعية تروا ان انتشارها يكاد يفوق التصور لانها تقرأ في طول البلاد وعرضها . فان جريدة ستردي ايفننغ بوست تطبع وتوزع كل اسبوع نحو مليوني نسخة ونصف مليون وكل نسخة ثمنها غرش صاغ مع انها تكون احياناً ١٦٠ صفحة من حجم اللطائف المصورة او اكبر قليلاً . وخذوا المجلة الاميركية وهي شهرية فان انتشارها يبلغ مليونين وربع مليون كل شهر . كنت خالي الاعمال منذ ايام فاخذت اقلب عدداً منها فوجدت ان ثخن كل عدد من أعدادها نحو سنتمتر فاذا وُضعت كل الاعداد التي تطبع وتوزع في شهر واحد العدد فوق الآخر بلغ علوها ٢٢ كيلو متراً !

لقد أطلت عليكم الحديث أيها السادة ولكن الحديث ذو شجون ، وهو كثير المناحي لا يمكن الاحاطة به في ساعة واحدة . انما قصدت ان ارسم لكم صورة مصغرة للصحافة اليومية الغربية ورقيها . وما للمخترعات الحديثة من الاثر الكبير في ذلك. حتى اذا أخذتم نسخة منها وطالعتموها عرفتم ما وراء كل عدد منها من السعي والعمل والبذل

قد تنفق الاموال الطائلة في ابتياع دار فخمة ومنضدات ومطابع هي أحدث واتقن ما ابدع العلم . وقد تستخدم الامواج اللاسلكية في جمع الاخبار والصور ، والسيارات والطيارات لنقل اعداد الجريدة وتوزيعها . ولكن وراء ذلك كله عمل الرجال

الرجال الذين لا يصدهم صادٌ عن تسقط الاخبار الصحيحة ، الرجال الذين يعلقون عليها بآراء ناضجة حصيفة صادرة عن علم واسع واخلاص جمّ ، عن بداهة مصقولة بالاختبار واستقلال قائم على السعي في سبيل النفع العام

قد تؤلف الشركات المالية الكبيرة للسيطرة على الجرائد والتحكم بها ولكن ما زال الصحافيون يتبعون حكم ضمائرهم في فهمهم للامانة المعلقة في اعناقهم للجمهور فالصحافة بخير

وما زالت الصحافة تغري رجالاً من مقام روزفلت وفنلي ومورلي وبركنهد وكولدج وغيرهم للانتظام في سلكها والمحاولة عن طريقها تعليم الرأي العام وتهذيبهُ فالصحافة بخير

قد تكون الصحافة تجارة رابحة أو غير رابحة . وقد تكون صناعة شريفة أو حقيرة . وقد تكون عملاً يجري في ميدانه اصحاب المواهب السامية واصحاب المواهب الضعيفة السقيمة . وقد تكون حرفة يحترفها المعلم والمجرم على السواء . وقد تكون أداة لتثقيف العقول ولتهذيب النفوس او وسيلة لافسادها . كل ذلك يتوقف على الرجال الذين ينتظمون في سلكها وادراكهم للامانة التي يتعهدون برعيها

لذلك اسمحوا لي في النهاية ان اقول انهُ مع عظيم احترامي لكل الطرق التي تبتدعها الدائرة المالية لجمع الاشتراكات وزيادة الانتشار اقول ان مركز الثقل في كل جريدة انما هو في ايدي محرريها — الذين اذا اقبلوا على عملهم مشبعين بتلك الروح السامية التي حاولت رسم بعض خطوطها في ما تقدم جعلوا الصحف منشآت عامة لا يضاهيها مُضاهٍ في تهذيب الجمهور ورفع مستواهُ العقلي والروحي

جديد . فكأن السنوات التي قضاها المتعلمون في طلب العلم عن طريق الكتابة العربية ذهبت سدًى واصبح حتماً عليهم ان يشرعوا — هم والاميون على حدٍّ سوى — في تعلم الكتابة الجديدة

ويقول انصار مصطفى كمال ان ما يخسره المتعلمون (وعددهم لا يجاوز خمس عدد الامة) من جراء هذا الانقلاب لا يوازي شيئاً في جانب ما يربحهُ الاربعة الاخماس الباقون . فضلا عن ان ما يخسره الفريق الاول لن يعسر استرداده في فترة من الزمن فلا ينقضي ردح من الزمن حتى يصبح السواد الاعظم من الامة يحسن القراءة والكتابة

ولا يزعمن القارىء ان فكرة استبدال الحروف اللاتينية بحروف عربية عرضت للغازي فجأة بل هي اختمرت في نفسه بعد ان قلبها على جميع وجوهها فتبين له نفعها من ضرّها وأدرك بالبصيرة الثاقبة ما لا بد ان تسفر عنهُ من النتائج الباهرة . ولذلك اخذ يعدُّ لها العدة ويترقب الزمن حتى اذا استكملت شروطها اصدر امرهُ باستعمال الحروف الجديدة واضاف الى وجوه الاصلاح التي عالجها وجهاً آخر . لذلك سيظل اسمه رمزاً الى النهضة التجديدية في تركيا ويسجل لهُ التاريخ مفاخر سوف تبقى ما بقي الزمان

وانك لتمر اليوم باسواق انقرة وشوارعها فلا تجد من آثار الحروف العربية اكثر مما تجد من آثار السلف الراحل وغير ما تراهُ منقوشاً على ابواب الجوامع والنصب والتماثيل من آيات واحاديث سوف يحرص القوم عليها كما نحرص على الآثار في المتاحف. وقد يمر عابر السبيل في انقرة والاستانة بجماعات قد تألبوا على ابواب المكاتب والمخازن واخذوا يتحاورون في الحروف الجديدة المعروضة فيخيَّل اليه انهُ في وسط امة قد نهضت على بكرة أبيها لتتعلم القراءة والكتابة — لا فرق في ذلك بين الحدث والكهل او بين الرجل والمرأة

ولم يخل هذا الانقلاب من مشاكل كثيرة اشدها ما عانتهُ طائفة الموظفين وارباب الصحف وتلاميذ المدارس العالية. وطائفة الموظفين في تركيا تكاد تكون عالة على الحكومة فان جانباً غير يسير منها — ما عدا أصحاب المناصب العالية — هم ممن لا يحسنون شيئاً غير اليسير الذي يعرفونهُ من القراءة والكتابة بالحروف العربية . وقد عالج الغازي امرهم فلم يجد بدًّا من استحثاثهم على تعلم الحروف الجديدة والاَّ خسروا مناصبهم

اما ارباب الصحف فقد كانت مصيبتهم اعظم لان ابدال حروف الصحف العربية بين عشية وضحاها لم يكن بالامر الهين وقد كان لابد ان يؤدي الى نقص عدد القراء نقصاً كبيراً . فالصحيفة التي كانت تطبع بضعة آلاف نسخة بالحروف العربية وجدت

نفسها حيال مشاكل جمة اهمها انها لم تجد من يستطيع قراءتها اذا هي استعملت الحروف اللاتينية فتخسر بذلك مورد رزقها ورزق عمالها فضلاً عن ان الذين يشتغلون بجمع احرفها وترتيبها لن يستطيعوا شيئاً من ذلك بالحروف اللاتينية

ولم يكن مصطفى كمال ليجهل مدى خسارة الصحف من جراء هذا التغيير . فاختصها باعانة مالية لتفريج شدتها ومساعدتها على انتهاج الخطة الجديدة . ولولا ذلك لاحتجبت تلك الصحف عن قرائها

على ان مشكلة اعظم كانت تواجه مصطفى كمال . وهي مشكلة التعليم في المدارس وابدالها بالكتب القديمة كتباً جديدة مطبوعة بالحروف اللاتينية . وان المرء ليعجز عن ادراك مدى هذه الصعوبة وانما تنجلي لهُ ناحية منها متى تذكر مختلف العلوم التي يدرسها طلبة المدارس على اختلاف انواعها ولا سيما طلبة العلوم العالية كالطب والصيدلة والهندسة والحقوق وما اشبه . اضف الى ذلك مشكلة كتب الصرف والنحو . وليس وجه الاشكال ابدال طائفة من الحروف بغيرها بل وضع قواعد اساسية تقوم عليها اللغة

ومن العبث محاولة تصوير هذه المشكلة بصورتها الحقيقية في مثل هذه الفذلكة الموجزة . وانما نقول بوجه الاجمال ان المشكلة كانت جديرة بايهان العزائم لولا ان للغازي ارادة تفلّ الحديد . وقد عالجها بما هو مشهور عنهُ من الروية ومضاء العزيمة فاصبحت اليوم جميع الكتب المدرسية — من علمية وادبية وفنية وغيرها — مطبوعة بالاحرف اللاتينية وهي المعول عليها في برامج المدارس . فترى اذن ان القضاء على الحروف العربية في تركيا اصبح حقيقة واقعة . وقد قطع الغازي بهِ آخر صلة كانت تربط الطورانية بالعربية

***

وعلى ذكر المدارس وانتشار روح الرغبة في التعلم نورد فيما يلي خلاصة موجزة كتبتها السيدة جريس اليسون الانكليزية في هذا الشأن على اثر طوافها بانقرة وقونية وغيرها من مدن الاناضول فلقد كتبت السيدة تقول انهُ يجدر بمن يريد ان يحكم على تركيا ان يلقي نظرة على حالة التعلم فيها وعلى رغبة الشعب في انشاء المدارس . وقد كان مصطفى كمال منشأ هذه النهضة كما كان منشأ ضروب كثيرة من ضروب الاصلاح. وكان شعار الاتراك في ذلك « ان طلب العلم من اقدس الفروض » وانك لتعجز عن ادراك مدى حماسة الشعب في نهضتهِ الجديدة لطلب العلم وتشييد المدارس في جميع انحاء الدولة

وادهش ما في هذه النهضة سرعة انتشارها بين جميع طوائف الامة بل بين اصغر قرى الدولة. ولقد اتيح لكاتبة هذه السطور ان تطوف بمختلف الانحاء مع عامل (والي)

قونية وزوجه . وهذا العامل من اشد المجاهدين في سبيل نشر العلم وتشييد المدارس . وقد وقفت في اثناء طوافي معهُ ومع زوجهِ على آثار مساعيهِ الجليلة في هذا الشأن . فكنا كلما خطونا خطوة يشير بسبابتهِ الى دور العلم التي سعى في تشييدها . وهو في ذلك معجب بعمله مغتبط بمسعاه . وقد كان خروجهُ للطواف مع زوجهِ خروجاً على تقاليد قومه العتيقة ولم أر قط على وجه امرئ دلائل الغبطة التي رأيتها يومئذٍ على وجه ذلك الرجل . وفي الواقع انهُ قد بذل من الجهد ما تنوء بهِ راسيات الجبال حتى لقد أفرط بعض الشيء في اغتصابهِ طائفة من المنازل لتحويلها دوراً للتعليم

وقد جعل التعليم على ثلاث درجات وهو « ابتدائي » و « ثانوي » و « وعالٍ » ومع ان لغة التعليم الرسمية هي التركية بالحروف اللاتينية الا ان الطلاب مرغمون على تعلم اللغة الفرنسوية ايضاً . ورجال التعليم يبذلون عناية خاصة بتعليم الكيمياء والحساب والفنون والآداب على اختلاف انواعها . ولكن اهم ما يعنى بهِ الغازي من العلوم هو التاريخ ولاسيما الامة التركية واسباب ما مرت بهِ من الاطوار المختلفة حتى طورها الحالي وانقلابها من سلطنة الى جمهورية

وليس اهتمام الغازي بعلم التاريخ بالامر المستغرب وهو يعلم ان حكم التاريخ قاس لا يعرف المحاباة وان عِبَر التاريخ هي خير ما يتعظ بهِ احداث الامة . ولقد بلغ من ولعهِ بهذا العلم ان يعي من اخبار الامم واسباب رقيها وانحطاطها مالا يعيه صدر غيره . وما علم التاريخ في نظره ان تسرد حوادث الماضي بحسب ترتيبها الزمني بل ان تبحث فيها عن العلة والمعلول وعما بينها من ربط لتستخرج منها العبر والعظات . فاما ان تقرأ الحوادث ولا تقرأ ما بين سطورها فعبث بالوقت كالعبث بمطالعة القصص والاساطير

ولذلك يشرف الغازي على برامج المدارس ويتولاها بعنايتهِ . ولا حاجة الى القول بان هذه البرامج لا بد ان تصاب بصدمة خفيفة من جراء استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ولكن اثر ذلك لا يمكن ان يظل طويلاً فما هي الا ان ترسخ الحروف الجديدة في اذهان القوم حتى يواصلوا سيرهم في طرق العلم بنشاط اعظم

وقد اتفق لسيدة اخرى من سيدات الانكليز ان زارت تركيا بعد عهد قريب واستقصت احوال التعليم فيها . ولما وصلت الى ازمير زارت مع الوالي ذات ليلة احدى المدارس الليلية وهي جانب من جامع قديم فابصرت فيمن ابصرتهُ هنالك فلاحاً واسكافيًّا ونوتيًّا قد وخط الشيب رؤوسهم ومع ذلك اقبلوا على العلم بنفوس متلهفة . وكانوا يتلون « دستور حقوق الشعب » الذي يتعلمهُ اليوم جميع الاتراك كباراً وصغاراً ليعرف كل واحد

منهم ما لهُ من الحقوق وما عليهِ من الواجبات . ولاشك ان في هذا الدستور بزور ثورات كبيرة مقبلة فان التركي الذي ينشأ على معرفة حقوقهِ وواجباتهِ لن يستكين في المستقبل لسلك اي حاكم يزوغ عن الواجب قيد انملة

ومما يجدر بالذكر ان اهتمام الاتراك بالتاريخ في الوقت الحاضر قد انشأ بينهم وبين مدارس الاجانب كثيراً من الخلاف . فهذه المدارس لاتزال تعول على كتب التاريخ التي تنظر الى الاتراك بعين اجنبية وتعتبرهم من الامم المتأخرة غير الجديرة بالحياة . وبعض تلك الكتب تشوه حقائق التاريخ بما يجرح عزة الاتراك ويؤذيهم في كرامتهم . ولذلك توفد وزارة المعارف التركية مندوبين من قبلها — من وقت الى آخر — ليفحصوا حالة التعليم في تلك المدارس ويشرفوا على برامج التدريس فيها. فاذا انسوا من اولياء اي مدرسة ميلاً الى تشويه الحقائق بما لا يتفق مع كرامة الاتراك لم يحجموا عن اغلاق ابواب تلك المدرسة غير عابئين باحتجاج القناصل ومندوبي الدول . وقد اتفق ان زار مرة احد « المفتشين » الاتراك مدرسة في ازمير وحضر درساً من دروس التاريخ فوجد في كتاب التدريس ان ازمير ولاية يونانية وان شرقي الاناضول وطن للارمن فغضب «المفتش» ورفع الامر الى الحكومة فما كان من هذه الا ان امرت باقفال ابواب المدرسة

وفي الواقع ان الغازي لا يغتفر لمن يتعمد تشويه الحقائق بما ينتقص قدر التركي ويمتهن كرامتهِ . والاتراك يقولون انهم عانوا من تعسف الاجانب في الماضي ما لم يبق مجالاً للتسامح في الحاضر فهم لا يفرطون في عزتهم ولا يعذرون من يفرط فيها. وقد مضى الزمن الذي كان القناصل يتعرضون فيهِ لكل صغيرة وكبيرة من شؤون الاتراك ويكرهونهم على ما لا ترتاح اليهِ ضمائرهم

ولا ادل على انتشار روح الرغبة في العلم بين الاتراك من انك قد تزور اسرة فتجد معظم الخدم فيها غائبين. واذا سألت عنهم قيل لك انهم في المدرسة يتلقون دروسهم وليس لسادتهم ان يمنعوهم من ذلك او ان يقفوا دونهم لان الغازي يريد ان يكون جميع افراد الامة متعلمين

***

واذا نظرنا الى اثر الانقلاب التركي في امم الشرق بوجه الاجمال وجدنا ذلك الاثر واضحاً كل الوضوح ولاسيما ما يتعلق منهُ باستبدال الازياء واستبدال الحروف . فاما استبدال الازياء فليس هو المقصود من هذه المقالة . واما استبدال الحروف فقد كان لهُ اثر بعيد في عدة امم شرقية كالصين واليابان وفارس وافغانستان . وقد صدق احد الكتاب الانكليز بقوله ان الشرق ملّ احتجابه عن الغرب زماناً هذا مداهُ فعزم ان ينزع « قبع

الاخفاء » ويبرز للعالم اجمع . وما « قبع الاخفاء » في نظر هذا الكاتب الاَّ الحروف القديمة التي يصعب على الغرب استجلاؤها وتعلمها . وقد كانت حتى الآن اكبر عائق في سبيل الوصول الى حكمة الشرق وعلومهِ . وفي الواقع ان الجهد الذي يقتضيهِ تعلم الحروف العربية او الصينية او غيرها من حروف اللغات الشرقية هو اعظم بما لا يقاس من الجهد الذي يقتضيه تعلم الحروف اللاتينية وقد كانت هذه الحروف من اعظم اسباب الامية في البلاد الشرقية على اختلاف اجناسها

فلا عجب اذن ان يقدم المتعلمون في الصين والهند على الاستبدال بحروفهم حروفاً لاتينية كما فعل الاتراك . ويؤخذ من انباء الصحف ان في مقدمة طلاب هذا الاصلاح في بلاد اليابان طبيباً يدعى تاتسوجي اينوى وهو ينشر المقالات في الصحف لتحريض قومهِ على الاقتداء بالاتراك لا لمكافحة الامية فقط بل لمكافحة الخفش اي قصر النظر المنتشر بين اليابانيين انتشاراً رائعاً . فهو يعتقد ان تعقيد الحروف اليابانية هو سبب ذلك المرض وفيهِ عبث كبير بالوقت لان الياباني ينفق في تعلم حروف لغتهِ اضعاف ما ينفقهُ من الوقت في تعلم الحروف اللاتينية . فضلاً عن ان قراءة الاسطر الافقية من اليسار الى اليمين (كما هي الحالة في اللغات الافرنجية) هي اسهل من قراءة الاسطر العمودية كما هي الحالة في اللغة اليابانية

اضف الى ذلك ان احرف الهجاء في اللغتين الصينية واليابانية تعد بالالوف . فهي في اللغة الصنية كما يأتي :

٦٠٨	احرف تسمى « الرموز التقليدية »
١٠٧	« تسمى « « الفكرية »
٧٤٠	حرفاً تسمى « رموز الافكار المركبة »
٢١٫٨١٠	احرف تسمى « الرموز الصوتية »
٥٩٨	حرفاً تسمى « الحروف الاضافية »
٢٣٨٦٣	مجموع الحروف الصينية

ولا يزال طلاب الاصلاح في الصين واليابان وبلاد فارس وغيرها من الاقطار الشرقية يسعون لتحقيق امنيتهم وادخال الاصلاح على لغاتهم . وهم بذلك انما يقتفون خطوات الاتراك ويتشبهون بهم . وليست الصعاب التي تعترضهم لتفتَّ في عضدهم او تبعث اليأس الى قلوبهم لانهم واثقون بفوزهم عاجلاً او آجلاً



الدماغ والعقل كالشمعة ونورها

العقل والنفس في نظر العلم الحديث

بناء الدماغ — خلود الحياة — طبيعة الموت — الجسم الحي

للسر ارثر كيث

لقد عُني المشتغلون بالمباحث الطبية عناية خاصة بدماغ الانسان. فوجدوا تركيبهُ معقداً كل التعقيد وطرق تأديته لوظيفته مبهمة يصعب الكشف عنها. ومع ذلك ثبتت لهم حقيقة عامة ثبوت الشمس في رائعة النهار هي ان تعقيد تركيب الدماغ ومقدرتهُ على تأدية عمله يسيران جنباً الى جنب. فالعقل لهُ اساس مادي. راقب دماغ الطفل من ولادته الى المراهقة ترَ دماغهُ يكبر حجماً ويزداد تركيبهُ تعقيداً وانهُ كلما نما كذلك اتسع نطاق عمله. فاذا اصيب الدماغ في مرتبة من مراتب النمو بعلة اوقفتهُ عن النمو ظلت مقدرة صاحبه العقلية حيث هي لا تنمو ولا ترتقي. كذلك نرى ان مرضاً من الامراض يصيب هذا الجانب من الدماغ او ذاك فيعطل الملكة العقلية التي مركزها في ذلك الجانب المريض. فالتهاب الدماغ السحائي اذا اصاب دماغ طالب في المدرسة اوقف نموهُ العقلي وترك في خلقه اثراً باقياً هو دائماً اثر سيء ولن يكون اثراً صالحاً قط. فانتظام العقل لا يمكن ان يتمَّ الاَّ اذا كان الدماغ صحيحاً في بنائه سليماً من الامراض والآفات. وفي امكان الاطباء ان يخدروا الدماغ فيضعفوا عمل بعض اجزائه فتضعف الملكات المتصلة بها وان يحقنوا بعض الاجزاء الاخرى بمواد مختلفة فيغيروا بذلك عقل الرجل وتصرفهُ. وبكلام آخر ان الدماغ آلة حية تحرق الوقود وتحوّل القوة التي تنجم عن ذلك الى شعور وفكر وذاكرة وغيرها من الملكات العقلية والنفسية. فاذا امسكنا عن الدماغ مصادر الوقود الذي يحرقهُ — اي الاكسجين — وقف الدماغ عن العمل كما تخمد النار اذا حُبس عنها الهواء او نفد الوقود. ولذلك لا يرى المشتغلون بالمباحث الطبية سبيلاً الى الاعتقاد بان الدماغ عضو مزدوج التركيب مؤلف من مادة وروح. لان كل حقيقة تمكنوا من امتحانها واثباتها تحتم عليهم القول بان العقل والروح انما هما مظهران من مظاهر دماغ حيّ كما ان اللهب مظهر من مظاهر شمعة تحترق. فاذا اصاب الدماغ والشمعة ما حلّهما الى عناصرهما المستقلة بطل

وجود العقل واللهب وجوداً مستقلاً . ومهما تعارض هذا الرأي مع التقاليد والآراء المنقولة فرجال الطب لا يستطيعون ان يروا غير هذا الرأي اذا صدقوا ما تثبته حواسهم. ولولا ذلك لما كان في امكانهم ان يشخصوا الامراض العقلية وغيرها المختلفة ويصفوا لها طرق العلاج والوقاية

فالروح اذاً في نظر رجال الطب تقيم في الدماغ والجهاز العصبي المعقد التركيب ولا يمكن فصلها عنها . على ان هذا الرأي لا يسلّم بهِ طائفة من رجال العلم الذين اشتهروا ببراعتهم في الكشف عن اسرار المادة وبنائها وعلاقتها بالقوة . وفي مقدمة هؤلاء السر الفر لدج. ان نظره الى دماغ الانسان قائم على الاعتقاد بان الدماغ اداة مادية لوحدة غير مادية يسميها الروح والروح في رأيهِ متميزة عن الدماغ تميُّز الموسيقي عن القيثار الذي يعزف عليهِ . وهو مسوق الى هذا الاعتقاد لانهُ يستطيع ان يفسر بهِ اكثر المظاهر التي يعتقد بصحتها اصحاب المذهب الروحاني.

فالروحانيون يعتقدون ان العقل او الروح يجيء من الفضاء فيأخذ بتلابيب البرتوبلازم الحي ويجعل منهُ جسداً حيًّا ثم يستعمل هذا الجسد اداة لمظاهرهِ ثم لا يلبث ان يتجرد عن هيكلهِ المادي ويرجع الى الفضاء

والفرق بين الرأيين ان البيولوجي العصري يقدم الجسم والشمعة على الروح واللهب والروحاني يعكس الامر ويقدم الروح على الجسد واللهب على الشمعة

> السر ارثر كيث من اشهر علماء الحياة في هذا العصر. القى في السنة الماضية خطاباً موضوعهُ « نتائج المذهب الداروني » طبّق فيهِ مذهب النشوء على الغرائز والملكات العقلية ومما قالهُ فيهِ « ان رجال الطب لا يرون سبباً يحملهم على الاعتقاد بان العقل دماغ ثنائي البناء. اي مؤلف من مادة وروح » فاخذها احد الصحافيين وكبّر بها وهوّل فنشأت مناظرة بين رجال العلم الانكليز لخصنا منها هنا رأي الاستاذ كيث كما بسطهُ في كتاب لهُ موضوعهُ «معاني المذهب الداروني»

خلود الحياة

انا ارى ان الحياة نسيج خالد. وارى اني والسر الفر لدج وكل المخلوقات البشرية على الارض لسنا سوى دقائق لا ترى لصغرها في هذا النسيج الفسيح. فنسيج الحياة الذي

نراهُ الآن على نول الزمان انما هو القطعة الاخيرة من ثوب سابق متصل الاجزاء بدأ في جوف الزمان المتناغل في القدم وهو كذلك القطعة الاولى في ثوب لاحق متصل بهِ لا نستطيع ان نرى نهايتهُ . اقول هذا ولا اجهل ان علماء الهيئة الذي درسوا الشمس وعمرها يرون انهُ لا بدَّ ان يحلَّ زمن تصبح فيهِ هذه الارض داراً غير صالحة للاحياء امثالنا . ولما كانت هذه الضربة لن تحلَّ فيها قبل انقضاء ملايين من السنين لذلك يصحُّ القول ان خلود الحياة الانسانية علينا امر مقرَّر بالنسبة الينا . انا اؤمن بالخلود . والسر اولفر لودج يؤمن بهِ كذلك . ولكني اؤمن بخلود الحياة الانسانية على المنوال الذي قدمت . فاذا خلدنا فانما نحن نخلد في ابنائنا واحفادنا . وكل انسان يولد وفي جسمهِ عناصر الخلود . ولكن السر اولفر لدج يؤمن بخلود الشخصية المستقلة

على ان السر اولفر لدج قائد مجرَّب لهُ مقام رفيع بين جنود العلم الطبيعي الذين يحاولون ان يسلبوا الطبيعة اسرارها ويسيطروا على قواها . وانا لست سوى جندي في جيش الاطباء الذي يحاول انهُ يسيطر على الامراض ويديل من سطوتها على حياة الانسان . ونحن نرى اننا لن نفلح في حربنا مع الجراثيم الا اذا درسنا الحياة واساليبها في اعضاء الانسان على اختلافها ودماغهُ واحد منها . ولا ريب في انهُ فرض واجب علينا ان نستعين باخواننا علماء الطبيعة وما كشفوا عنهُ من اسرار المادة وتركيبها وخصوصاً بناء المادة الحية . الا انا نرى ان تأليف مجلس علمي للنظر في حياة الانسان لا بدَّ انهُ يحتوي بين اعضائهِ على الاطباء ولا بدَّ ان يكون لهؤلاء كلمة مسموعة فيهِ

طبيعة الموت

اذا فحص طبيب قلب مريض ووجد انهُ وقف عن الضرب وان رئتيهِ توقفتا عن التنفس حتم بان الرجل قد مات . ولكن الحقيقة انهُ لم يمت في نظر العلم . لانهُ اذا استطاع الطبيب ان يبني اداة تمكنهُ من حقن شرايين هذا الرجل الميت بدم جديد فيهِ عنصر الاكسجين لعاد الى الرجل رشدهُ وذاكرتهُ وعقلهُ وتمتع بهما ما زال هذا الدم الجديد يحقن في عروقهِ . ولكن اذا وقف الدم بما فيهِ من الاكسجين عن الدوران عشر دقائق انتقلت ملايين الخلايا التي يتألف منها الجسم الى هوة الموت السحيقة من غير امل في العودة منها

والقلب يبقى حيًّا بعد موت الدماغ — قد يبقى حيًّا ساعتين او اربع ساعات او اكثر من ذلك حتى بعد صدور الشهادة الشرعية بحصول الوفاة . وقد يؤخذ قلب من جسد ميت وتعاد اليهِ الحياة بوسائل صناعية فيعود ينبض كانهُ في صدر صاحبهِ الحي . كذلك تبقى

اغشية الشرايين تبدي دلائل الحياة اربعين ساعة بعد موت صاحبها . والجسم الحيّ مكوّن كما لا يخفى من الوف الخلايا الدقيقة التي لا ترى الاّ بالمكرسكوب . وقد ازال علماء الطب بعض هذه الخلايا من فتى ميتٍ وحفظوها حيّة في معاملهم الطبية زمناً كان فيه الجسم الذي اخذت منهُ قد عاد الى التراب

فالموت لا يحدث في لحظة كخطف البرق . والجسم الميت يموت تدريجاً كما يفنى شعب من الجوع في مدينة محصورة الضعاف يموتون اولاً ثم يموت الباقون بحسب ضعفهم وقوتهم على مقاومة الجوع . فاذا كان سبب الموت ، كما يعتقد السر اولفر لدج ، خروج الروح من الجسد وجب ان يكون هذا الخروج في لحظة واحدة اي من كل اعضاء الجسد وخلاياهُ في آن واحد . ولكنهُ كما رأينا فعل تدريجي . واذا كان اساس الحياة في الانسان روح غير مادي فكيف يحتاج اذاً الى اشياء مادية كالهواء والماء والغذاء لحفظ الحياة . اذا دخل روح الى بيتي في الليل ووجدتُ في الصباح انهُ اكل طعامي وشرب خمري وسرق نقودي حكمت ان هذا الروح مادي لا اثيري . هذا هو المبدأ الذي يبني عليهِ البيولوجي نظرهُ الى روح الجسد البشري . انهُ يرى انها تحتاج الى غذاء مادي وانها يجب ان تنفق المادة وتحول القوة وان الوعي والشعور والذاكرة والارادة وكل المدارك التي تحملها لفظة العقل تزول من الدماغ الحيّ اذا حبسنا عنهُ الاكسجين . فالحياة كما نعرفها لها اساس مادي . والعالم الفسيولوجي لا يستطيع ان يتصوّر كيف يمكن وجود الحياة منفصلة عن المادة . فحياة العقل وخلودهُ لا يمكن ان يتما من غير حياة الجسد وخلودهِ

اسرار تركيب الجسم

الجسد الميت شمعة قد طفئت . فماذا نعرف عن الشمعة المشتعلة المضيئة — ماذا نعرف عن الجسم منيراً بشعلة الحياة ؟ اننا نعلم كيف تنار شمعة الجسم الحيّ اذ يلزم لها نور شمعة اخرى حتى تنيرها . ما اسرع تقدمنا في هذا الميدان من ميادين العلم . لقد مرّ قرن واحد فقط منذ رأى الانسان للمرة الاولى في التاريخ دقيقة من البروتوبلازم تدعى البيضة التي منها تنشأ كل حياة انسانية . ونحن نستطيع الآن ان نتتبع كل درجة من الدرجات التي تمرّ بها هذه البيضة حتى تصير رجلاً او امرأة . فقد تتبعنا في رحم المرأة كلّ تغيير يطرأ على جسم الجنين من بنائهِ البسيط بعيد التلقيح الى هذه الاجسام التي تحير اللب في تعقيد بنائها وغموض الاسرار التي تحتجب وراء افعالها ووظائفها . كلٌّ منا يبدأ خلية من البروتوبلازم لا تكاد ترى بالمكرسكوب لصغرها . وكلٌّ منا ينتهي بجسم

مؤلف من الوف الوف الخلايا . وفي استطاعتنا ان نرى جماهير من هـذه الخلايا مسوقة لتقوم بعمل الجهاز العصبي وجماهير اخرى بنات عم لها تبنى منها الآلات العضلية الحية واخرى تبنى منها العظام واخرى يتركب منها الدم او الجلد او غير ذلك من انسجة الجسم واعضائه. كذلك نستطيع ان نراقب نشوء عضوي الحس الدقيقين في تركيبهما ووظيفتهما العين والاذن. حتى في ساعة الموت تكون بعض الخلايا قد اشرفت على الولادة والبعض قد اشرف على الموت والخلايا الاخرى فيما بين هذين الطرفين في مراحل مختلفة بين الولادة والموت . فكأن جسد الانسان يولد ويموت كلَّ يوم . وفي كل ساعة ترى روح الحياة او قوة الحياة تتحول اعمالاً صالحة او طالحة

فكيف نستطيع ان نعلل هذه التغيرات العجيبة التي تطرأ على خلية واحدة من المادة الحية فتحولها الى رجل عاقل ? اصحيح ما يذهب اليه السر الفر لدج من ان وحدة اثيرية، او روحاً بشرية دخلت هـذه الذرة من البروتوبلازم وحركت دقائقها وجعلتها تمرُّ في ادوار النمو والنشوء المعقدة لكي تبتني لها داراً ارضية زائلة . انها لا تكاد تبدأ في تكوين هذه الدار حتى تدخل عناصر الانحلال تفسد عليها عملها عاجلاً او آجلاً . كلاَّ انهُ لاسهل ولا قرب للعقل ان نعلل الحقائق المعروفة عن الحياة بانها افعال وتفاعلات حيوية مادية بدلاً من ان ننسبها الى فعل وحدة خفية غير مادية كالتي يذهب اليها السر الفر لدج

لماذا يبدأ كلٌّ من البشر حياتهُ في رحم امرأة فاذا صح ما يذهب اليه السر الفر لدج من ان الجسم ليس سوى دار للروح فاننا لانستطيع ان نعلل التلقيح وتكوين الجنين في رحم الانثى . ولكن اذا قبلنا مذهب النشوء — والادلة على وجوب قبوله كثيرة — تمكنا من ان نعلل ابتداء حياة كل انسان في خلية الانثى بعد اتحادها بخلية الذكر وكيف ينمو جسم الجنين ويتطور لان مذهب النشوء يقتفي خطوات الانسان منذ ظهور الحياة على الارض . وتاريخ الانسان الجنيني يلخص هذا التاريخ المديد . فالبيولوجيون يحسبون نوع الانسان جزءًا من نسيج الحياة الذي تداخلت اوائله في جوف الزمان . فما يصحُّ على الانسان يجب ان يطبق على الاحياء الاخرى التي تتكوَّن منها اجزاء هذا النسيج . فاذا قلنا بروح غير مادي لتعليل حياة الانسان لم نستطع ان نمسك عن تطبيق هذا التعليل على حياة الاميبا وهي ادنى الاحياء وابسطها تركيباً



كيف نعبر عن الحروف الافرنجية

E. G. O. P. V.

بحروف عربية لا ابهام فيها ولا اشكال

الى حضرات العلماء الاعلام رؤساء واعضاء المعاهد العلمية اللغوية في الشرق العربي

سادتي : اتقدم باحترام لالفت انظاركم الى الفاظ لا يمكن ضبطها بالحروف العربية وهي الالفاظ التي لا تستغنى عنها كتبنا وجرائدنا ومجلاتنا لاختلاطنا بالغربيين . وقد اصبحنا مرغمين على ان نأخذ عنهم ونقتبس منهم وان نكتب ونلفظ اسماءهم وكناهم ونعوتهم واسماء اعلامهم ونكرائهم دون تبديل وتحريف . ومن الضروري ان نكون امناء ونلفظها كما هي عندهم لتتم الفائدة ونفوز بالغرض المطلوب

ان الحروف الناقصة في حروف اللغة العربية والتي اصبح من الضروري اضافتها اليها هي هذه :

E — G — O — P — V
١ — ٢ — ٣ — ٤ — ٥

فقد اصطلحت الجرائد والمجلات العربية ان تستبدل بالحرف اللاتيني المدلول عليه اعلاه فوق رقم ١ حرف ال (الف) او حرف ال (ياء) او تستغني عنهُ مثل اسم Frederick تكتبهُ فريدريك او فرادريك او فردريك . وتستبدل ايضاً بالحرف اللاتيني رقم ٢ حروفاً عربية مثل حرف ال (غ) او ال (ك) او ال (ج) مثلا Morgan تكتبهُ مورغان او مورغن او موركن ومنهم من يكتبهُ مورجن . وهكذا تستبدل بالحرف اللاتيني رقم ٣ حرف ال (واو) مثل Boston or Morel فتكتبهُ بوسطن او موريل . وهكذا الحرف اللاتيني المعبر عنهُ برقم ٤ كما في Paul or Paris تكتبهُ بالباء العربية هكذا — باريز — بول . وتستبدل بالحرف اللاتيني المدلول عليه برقم ٥ حرف الفاء فتكتب مثلاً لفظة Salvador سلفادور

وبموجب ما مرَّ نكتب Leonard Perig ليونارد بيريغ او لايونار باريك او باريغ او بريك وكذلك Elen Verite تكتبهُ الآن فيريتي او الآن فاراتي او الن فرتي وهكذا Madelin Lobert يكتب مادالان لوبيرت او مادلين لوبارت او لوبرت

ذكرت مؤخراً احدى الجرائد العربية اسم اخوين حديثي السن ساحا العالم هكذا جيمس وكرو دغنتون — والله اعلم كيف يجب ان نلفظ اسمهما امام الغربي دون خطإٍ. وهكذا غليوم (امبراطور المانيا السابق) منهم من كان يلفظ اسمه كليوم ومنهم غليوم ومنهم غيّوم او جيوم حتى اصبحت العامة تسميه غليون

مئات الالوف من مثل هذه الاسماء بلغات العالم العديدة نضطر ان نكتبها بحروف لا يطابق لفظها العربي لفظها الاصلي ولهذا يستنكر الغربي سماعها لانها تبدو له ثقيلة عدا انهُ لا يفهمها بسهولة

والذي يشعر ويتألم لمثل هذا النقص اكثر من غيره هو المهاجر الشرقي الذي لا يحسن المطالعة الا في الجرائد العربية ولكنهُ لا يعرف الالفاظ على حقيقتها. فاذا حادث جارهُ الاميركي ولفظ الاسماء الغربية امامهُ كما قرأها يستعصي فهمها على الاميركي ويضطر المهاجر المسكين ان يكرر عليهِ لفظها مراراً تارة بالرفع واخرى بالخفض واخرى بتبديل الالفاظ . واذا قدر الله وفهمها منهُ يزدري بمعارفهِ وطبعا يدعوهُ بجملة اعتاد المهاجر الحديث سماعها وهي Green Horn « كرن هورن او غرن هورن ...او جرن هورن » واراني لا اعرف كيف يجب ان اكتبها لخلو طباعتنا من حرف خاص يقوم مقام الحرف اللاتيني رقم ٢ . وان هذا النعت — غرن هورن — يعني ان قرون هذا المهاجر ما زالت خضراء اي انهُ ما زال غير متمدن او عديم الفهم حتى ولو كان المهاجر من اكبر العلماء

وبعبارة خيالية اقول — لقد يسأل الاميركيُّ الشرقيَّ المهاجر هكذا — (س) — هل انت الدغ اللسان . (ج) كلا (س) — لماذا اذن لفظك غير مستقيم (ج) — انا الفظ كما قرأت في الجرائد (س) - لا اصدق ان الجرائد تكتب خطأً (ج) - نعم ان الجرائد لا تنقل الاسماء خطأ وانما اللغة العربية غير متممة الالفاظ . (س) — عجيب أليس عندكم اكاديمي — (ج) — كيف لا وعندنا معاهد مؤلفة من علماء اعلام (س) — لماذا اذن لم تصطلح هذه المعاهد على اشارات خصوصية لتقوم مقام الناقص من حروف لغتكم — كما هي العادة في جميع بلدان العالم - (ج) — انهم في الشرق لا يعدون مثل هذا النقص ضرورياً لان الحالة في الاقطار الشرقية لا تقتضي تلافيه كما تقتضيهِ حالة المهاجر . والغريب ان المهاجر نفسه هو الذي يتألم لعدم وجود الاحرف الملائمة ولا يطالب بها المعاهد . وعليه جئت باسطري هذه ملتمسا ان تكرموا باصلاح هذا الخلل الذي اصبح النظر فيه ضرورياً اكثر من كل شيء آخر من نوعهِ

اجل ان اصلاح هذا النقص بسيط للغاية لا يضطرنا الى اضافة حروف جديدة على

اللغة سوى وضع علامات على خمسة حروف اصلية لتقوم مقام الاحرف الافرنجية ولا اريد ان اقترح أشكال هذه العلامات . فذلك بسيط يمكنكم الاتفاق عليه

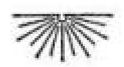
ولما كان الشيء بالشيء يذكر اقول ان علماء اللغات اللاتينية والسكسونية قد اصطلحوا على وضع .Kh.—Gh الاولى تنوب عن حرف الغين والثانية تنوب عن حرف الخاء حتى يتمّ لهم اللفظ المضبوط . ولا بأس من ان نذكر ان اللغة العبرانية ناقصة حرفين الاول هو الحرف اللاتيني المعبر عنهُ بنمرة ١ والثاني « الجيم » ولهذا اصطلح يهود شرقي اوربا الذين يكتبون لغتهم المسماة « بيوديش » (او يديش) باحرف عبرانية على وضع حرف ال(ع)— وهو لا لزوم لهُ في لغتهم —عوضاً عن الحرف اللاتيني نمرة ١ مثلاً — Telephone or Ellen يكتبونهما هكذا — علعن تعلفون . واصطلحوا ايضاً ان يضعوا حرف ال (ر) امام الحرف العبراني الذي يلفظ مثل الحرف اللاتيني رقم ٢ حتى تكون لهم الجيم

ان المسابك العربية لا تتأخر عن سبك خمسة حروف مشكلة ومنقطة بالعلامات التي تعتمدونها والمهم ان توفقوا الى اصلاح هذا الخلل ومتى اوعزتم بالاصلاح الى المسابك العربية باشرت بالعمل . اؤمل ان تهبوا الى اصلاح هذا الخلل حفظاً لكرامة هذه اللغة وقرائها في نظر الغربيين واشكركم كما يشكركم كل مهاجر شرقي غيور على سمعته وسمعة لغته والسلام عليكم من الداعي

موسى ديوان

***

[المقتطف] بعث الينا حضرة الكاتب الفاضل هذه المقالة — وكان قد نشرها في السائح النيويوركية — حينما اطلع في صحف القطر المصري على نبأ الجوائز التي قدمها حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد لتمنح للذين يفوزون في وضع اجمل رسوم لحروف عربية كبيرة تستعمل في اول الجمل واسماء الاعلام . وعندنا ان الحاجة الى اصلاح من قبيل الاصلاح الذي ذكرهُ الكاتب لا مندوحة عنهُ اذا اردنا مجاراة العلم الغربي السائر بخطى واسعة الى الامام . ان مصيبة المهاجرين على كبرها تهون ازاء مصيبة الالوف من قراء الصحف والمجلات العربية الذين يعتمدون عليها في توسيع معارفهم لان هذا الاختلاف في نقل الاسماء الاعجمية الى العربية يشوش على طلاب العلم معارفهم ويعيق انتشار العلم الصحيح بين الجماهير



قصة وارث

لجوزيف ادبسن

[ولد جوزيف ادبسن سنة ١٦٧٢ في ولتشير ، في جنوب انكلترة الغربي ، من ابوين اشتهرا بالفضل والعلم والادب ، وتخرّج في جامعة اكسفورد . وفي صباهُ زاول نظم الشعر في اللغة اللاتينية فاجادهُ . وسنة ١٦٩٩ ساح في اوربا وزار كثيرين من ملوكها وامرائها وباحثهم في الشؤون السياسية ، توطئة للانتظام في سلك رجال السياسة بعد رجوعهِ الى بلادهِ . ولكنهُ عرض لهُ بعد موت الملك وليم سنة ١٧٠٣ ما ثناهُ عن عزمهِ . فطلّق السياسة ومال الى الادب فجلّى في مضمارهِ ومن ذلك قصيدتهُ البليغة التي نظمها تنويهاً بانتصار دوق ملبرو في موقعة بلنهيم بعنوان « المعركة » . وفي سنة ١٧٠٩ شارك صديقهُ رتشرد ستيل في إصدار مجلة « تتلر » ثم « مجلة سبكتاتر » وفي كلتيهما نشر من المقالات والمباحث والقصص ما دلّ على رسوخ قدمهِ وعلوّ كعبهِ في صناعة اليراعة

القصة

خرجتُ امس اتنزّه في ضواحي المدينة ومعي صديقي السر رودجر . فمرّ بنا شابٌ جميل الطلعة حسن البزّة يمتطي جواداً كريماً ووراءهُ اثنان من الخدم . ولما سألتُ السر رودجر عنهُ قال لي : « انهُ صاحب ضيعة كبيرة وقد ربّتهُ امٌ رؤوم حنون كانت على جانب عظيم من التقوى والصلاح ولكنها لم تُرزَق نصيباً كبيراً من الزَّكن وبعد النظر وقوّة الارادة ككثير من الامهات . فخالفت في تنشئة ابنها أحكام عقلها وجرت على مقتضيات عواطف قلبها . ووجهت معظم اهتمامها نحو تفنيقهِ وترفيهِ والعناية بصحتهِ الجسدية . فشبَّ صحيح الجسم وجميل الصورة كما رأيتهُ ولكنهُ غير مستوفرٍ قسطهُ من الفطنة والذكاء ويوشك ان يكون عاطلاً من حلية العلم والادب . لم تلحّ عليهِ في المطالعة مخافة ان تصاب عيناهُ بالرمد . وتراخت في حثّهِ على الكتابة لئلاً يشكو صداعاً . ولما جاوز سنّ المراهقة واصبح قادراً ان يمتطي صهوة الجواد او يحمل البندقية القت حبلهُ على غاربهِ وتركتهُ يقضي ايامهُ في ركوب الخيل والصيد والقنص »

ومما قالهُ لي صديقي علمتُ ان هذا الشابّ متمتّع بأكمل صحة . فهو غنيّ جدًّا من

هذه الجهة فقط وافقر الفقراء من الجهات الاخرى . ولو اقتصر غرض الانسان في هذه الحياة الدنيا على ان يعيش — ان يأكل ويشرب وينام — لكان هذا الفتى اسعد الناس حظاً واسبقهم الى الحصول على الغرض المقصود

ومنذ اقامتي في هذه الانحاء طرق سمعي واستوقف نظري ما لا يحصى من الحوادث المتعلقة بالوارثين امثال هذا الشابّ الذين لم يكونوا يصلحون لشيء سوى أن يبذروا ما تركهُ لهم آباؤهم على أشهى المآكل واغلى الملابس وافخر الرياش وافخم القصور وغير ذلك من ضروب التنعّم والترفّه ووجوه السرف والتبذير . ولم يُعنَوا قطُّ بما يثقف اذهانهم ويروّض افكارهم ويهذّب نفوسهم ويكسبهم طيب الذكر وحسن الاحدوثة . فعاشوا غير منظورين بعين الاحترام اليهم وماتوا غير مأسوف من احد عليهم . وهذا يخطر ببالي قصة سمعتها عن صديقين خالفا في معيشتهما هذا المسلك الذميم . أرويها في ما يلي كاتماً عن القارئ اسميهما الحقيقيين لان في مغزاها عظة بالغة وعبرة مفيدة لمن شاء الاتّعاظ والاعتبار

تعارف رتشرد وليوتين وتآلفا منذ الحداثة . وكانا كلاهما عنوان حسن السلوك ومثال الجد والاجتهاد . فطلبا العلم في مدرسة واحدة ووثّقا بينهما صداقة ظلّت محكمة العرى الى آخر حياتهما . ولما فرغا من تحصيل العلم عزم رتشرد ان يقتفي في عمله آثار رجال القضاء فتعين في محكمة كاتباً بسيطاً . وبواسطة مواهبه الطبيعية ومعارفه الاكتسابية اخذ في العروج والارتقاء حتى بلغ في وقت قصير منصباً رفيعاً وصار ربَّ ثروة كبيرة . اما ليوتين فانتهز كل فرصة سنحت لهُ لإنارة ذهنه بالمطالعة والمحادثة والسفر حتى ألمَّ بجميع العلوم واتّصل بمعرفة اكبر جهابذتها في اوربا . وعاشر الكبراء وجالس الامراء وأحاط علماً باخلاقهم وعاداتهم . فقلَّ ان يرد ذكر واحد منهم لم يعرفهُ او لم يرهُ . وبالاختصار اقول ان نطاق معرفته العلمية والاجتماعية اتسع اتساعاً عظيماً حتى صار من اشهر رجال عصره . وفي أثناء اشتغاله بالدروس والاسفار كان يواصل صديقهُ رتشرد بكتبه ويطلعهُ على خلاصة انباء عظماء اوربا وامرائها وبهذه الانباء كان رتشرد يتذرع الى الحصول على ما شاء من زيادة الحظوة عند كبار رجال القضاء

ولما قطع هذان الصديقان مرحلة الشباب واشرفا على الكهولة عملا بما كانا قد اتفقا عليه في ايام الصبا فاعتزلا العمل وسكنى المدن واعتزما ان يقضيا بقية ايامهما في الريف . فتزوّجا واشترى ليوتين ، بما كان عندهُ وعند زوجته من المال ، عقاراً تبلغ قيمة غلته في السنة ثلثمئة جنيه . وفي جواره ابتاع رتشرد ضيعة يزيد ريعها السنوي على ثلثة آلاف جنيه . وصارا كلاهما ابوين في وقت واحد تقريباً . فرزق رتشرد ابناً وليوتين بنتاً . ولكنهُ

فجع بوفاة زوجتهِ — بعد ولادتها ببضعة ايام. فانقضَّت عليهِ هذه الرزيئة انقضاض الصاعقة. ولكن صديقهُ الحميم رتشرد كان يزورهُ كل يوم ويبذل جهده في مؤاساتهِ وتخفيف لوعتهِ

وحدث ذات يوم انهما اجتمعا حسب عادتهما وطفقا يتحدثان في شؤونهما . فأشار ليونتين الى ما يلقاهُ من الصعوبة في تربية ابنتهِ وتعليمها كما يجب في بيتهِ . واطلعهُ رتشرد على ما يوجسهُ من الخوف على مصير ابنهِ بعد ما يبلغ اشدَّهُ ويعلم انهُ الوارث الوحيد لثروة ابيهِ العظيمة فيشبُّ على البطالة والكسل وحبّ التبذير . وبعد الاستفاضة في هذا الموضوع اتفقا على مبادلة الولدين اي ان يربو الصبي مع ليونتين كأنهُ ابنهُ وتقيم البنت عند رتشرد كابنته حتى يبلغا رشدها . اما زوجة رتشرد ، فلعلمها أنهُ من مصلحة ابنها وفائدتهِ أن يوكل امر تنشئتهِ وتربيتهِ الى ليونتيل، وانها في الوقت نفسهِ ستكون دائماً قريبة منهُ ، رضيت بما اتفق زوجها وصديقها عليهِ ولم تبدِ اقلَّ ممانعة . وما ابطأت ان اخذت البنت ليونيلي وعكفت على تعليمها وتهذيبها كأنها ابنتها . ولم يألُ الصديقان جهداً في التوفر على تربية هذين الولدين وشمولها بالعطف الابويّ والمحبة الوالديّة حتى شعر كلٌّ منهما نحو مربيهِ بما يشعر بهِ الولد نحو ابيهِ الحقيقي. وتدرب فلوربو — ابن رتشرد — منذ طفولتهِ على ان ينظر بعين المسرة والابتهاج الى رتشرد الذي كان يزور صديقهُ من وقت الى آخر وتدرّب هو ايضاً بالميل الطبيعيّ وسنّة الحكمة على اكتساب محبة فلوربو واحترامهِ . ولما جاوز هذا الصبي طور الحداثة وعرف حالة الرجل الذي يظنهُ أباه رأى انهُ يجب عليهِ ان يحكّ جلدهُ بظفرهِ ويبني بيده صرح المستقبل الذي تطمح نفسهُ مذ الآن اليهِ . وهذا الفكر أخذ يتأصل في ذهنهِ ويزداد رسوخاً وتمكناً حتى نما وأزهر وجاء باطيب الثمار . وشرع يعير نصائح ليونتين واشاراتهِ اذنا صاغية ويبذل جهده في العمل بموجبها . وكان مفطوراً على الحصافة والذكاء وصحة الاستدلال وتوقد الذهن وسرعة الخاطر وقوة الملاحظة والحفظ . وهذه المواهب الطبيعية تعهدها مرشده الحكيم (ليونتين) بما أزكى غرسها ووسع مجال ظهورها ومكن صاحبها من ادراك نجاح سريع باهر في جميع العلوم التي عني بتحصيلها . وقبلما بلغ العشرين كان قد أكمل دروسهُ في الجامعة ونال كثيراً من شهادات الامتياز بعدة علوم ولا سيما علم الحقوق الذي احرز فيهِ شهرة كبيرة ومقاماً رفيعاً

وقبل دخولهِ الجامعة وفي اثناء العطلات المدرسية كان يكثر التردد الى بيت رتشرد حيث يلقى ما شاء من الحفاوة والاعزاز . وهناك شبّ على معاشرة ليونيلي . ومعرفتهُ لها تحولت على مرّ الايام الى حلاوة الفة فحبة . ولما كان من نخبة الشبان الذين غذيت



الضرائب في مصر والامتيازات الاجنبية

حديث لوزير المالية

قال مندوب المقطم : — يشتغل علي ماهر باشا وزير المالية باعداد مشروعات جديدة لنظام الضرائب في مصر تشمل اولاً كيفية جباية هذه الضرائب من سكان البلاد لا فرق في ذلك بين المصريين والاجانب. وثانياً البحث في انشاء ضرائب جديدة للانفاق على المشروعات والاعمال التي تحتاج البلاد اليها. وقد اشار معاليه الى هذه المشروعات في آخر المذكرة التي قدمها الى مجلس الوزراء مع مشروع الاتفاق الذي وضعهُ مع المستر روس مندوب وزارة المالية البريطانية في شأن ديون الجزية وتعويضات الحرب العظمى . ومن حين نشر تلك المذكرة ما فتئت الصحف تلهج بالكلام عن المشروعات العظيمة التي يشتغل وزير المالية باعدادها ولما كان هذا الموضوع من الموضوعات الهامة التي تشغل الرأي العام المصري والاجنبي على السواء رأيت ان اقابل معالي علي ماهر باشا واستوضحهُ بعض المسائل العامة التي اعتقد انها تعد بمثابة قواعد اساسية او مبادئ جوهرية تقوم عليها مشروعاته فقابلت معاليه في ديوانه بوزارة المالية وكاشفتهُ بالغاية من زيارتي فقال لي :

« ان هذا الموضوع ليس وليد اليوم كما قد يتبادر الى الاذهان لاول وهلة واظن اني حدثتكم عنهُ في الصيف الماضي .ولا اخالني افشي سرًّا اذا قلت لكم اننا ما زلنا ندرس مبادئه الاولية لانهُ لا يخفى عليكم ان موضوعاً كالذي نعالجهُ الآن ليس من الموضوعات التي يصح أو يستطاع البت فيها بين عشية وضحاها . والذي بعثنا على الاقدام على التفكير في الموضوع الذي نحن بصدده هو شعورنا بان نظام توزيع الضرائب على السكان كما هو في الوقت الحاضر لا يقوم على أساس عادل ولا يرتكز على قواعد الانصاف. فانهُ بينما الحكومة تنفق من خزينتها على مصالح سكان البلاد كلهم بلا تمييز بينهم ولا تفريق فان الذين يدفعون الضرائب الآن هم اصحاب العقارات والاطيان في حين ان اصحاب الثروات المنقولة لا يدفعون شيئاً مع انهُ لا نزاع في ان الثروة المنقولة لا تقل شأناً في هذا الزمان عن الثروة العقارية بل قد تكون أهم منها. ولما كنا نعيش في عصر لا تستطيع فيه الحكومات المستنيرة ان تفرض ضرائب على السكان الا اذا كانت نافذة على المصريين والاجانب على السواء ولما كان

بعض الاجانب لا يزالون يتذرعون بالامتيازات الاجنبية للامتناع عن دفع كل ضريبة تخرج عن الضرائب العقارية كان ذلك سبباً في غل يد الحكومة المصرية عن القيام بواجبها الى الآن

وهنا سكت معالي الوزير لحظة ثم قال بلهجة جلية صريحة « أما الآن فاني اؤكد لكم ان حسن توزيع الضرائب هو امنية من اماني الحكومة المصرية وذلك بصرف النظر تماماً عن المباحث التي نقوم بها لتدبير موارد جديدة لخزينة الدولة »

ثم استأنف معاليه حديثهُ فقال « واستطرد الآن الى الكلام عن مسألة زيادة الموارد في خزينة الدولة فأقول ان الاحصاءات الرسمية تدل على ان ما يصيب كل شخص من سكان هذا القطر من الاموال التي تنفق على الصحة والتعليم لا يتجاوز خمسة وعشرين قرشاً صاغاً في السنة وهذا مبلغ ضئيل لا يكفي لارتقاء المستوى الاجتماعي في البلاد ومما لاريب فيه انهُ اذا اريد تحسين الحالة الاجتماعية بتنفيذ المشروعات الكثيرة كمشروعات الري الكبرى أو مشروعات تغذية القرى بماء الشرب المقطر أو مشروعات رفع مستوى الصناعات كي لا يظل القطن المورد الوحيد لثروة البلاد أو مشروعات تحسين المواصلات المائية والبرية فان الاحتياطي الذي عندنا لا يكفي . اضف الى ذلك انهُ اذا اريد تجديد مباني المصالح الحكومية والمدارس الاميرية او بناء دور جديدة للاستعاضة بها عن الدور المستأجرة الآن فان هذا يقتضي ايضاً نفقات طائلة تضاف الى نفقات المشروعات التي تقدمت الاشارة اليها

ثم انا اذا أنفقنا المال الاحتياطي نخسر بانفاقهِ علاوة عليهِ مالاً يقل عن مليونين ونصف مليون جنيه وهو مجموع الفوائد التي تجنيها الحكومة من تشغيل الاحتياطي — فجميع هذه المسائل يتناولها البحث والتفكير الآن الا انها تحتاج الى وقت ليس بيسير لاهميتها وخطورتها »

فقلت لمعالي الوزير « وهل تجشم عود الحكومة البريطانية وسائر الحكومات الاوربية لمعرفة موقفها في هذا الموضوع وهل عندها اعتراض توجهه اليهِ وما هو نوع هذا الاعتراض »

فقال معاليه انكم تدركون جيداً اني لا استطيع الآن الجواب عن هذا السؤال بصراحة وجلاء لان المسألة ما زالت مطروحة على بساط البحث الاولي ولكن المفهوم هو ان البعض يرى عند البحث في هذا الموضوع انهُ جزء من اجزاء نظام الامتيازات الاجنبية والبعض الآخر يتفادى البحث في هذه النقطة ولكنهُ يثير مسألة اخرى وهي ان الضرائب تحتاج اما الى تشريع مدني او الى تشريع جنائي يضمن نفاذها ويكفل تطبيقها وان جميع

المسائل التشريعية التي تمس الاجانب يجب الحصول على مصادقة الدول المتمتعة بالامتيازات الاجنبية عليها او على الاقل يجب الحصول على موافقة الجمعية العمومية لمحكمة الاستئناف المختلطة عليها

« ولكن يتضح لكم مما تقدم انهُ اذا كان الموضوع من حيث المبدأ ليس محل نزاع فتكون مسألة سن التشريع اللازم لضمان التنفيذ امراً ثانوياً كثيراً ما واجهت الحكومة المصرية مثله

« على ان الحكومة المصرية واضعة نصب عينيها دائماً تشجيع اليد العاملة الاجنبية وتشجيع رؤوس الاموال الاجنبية في هذا القطر وانا نعتبر مما يرفع سمعتها ويعزز مكانتها السياسية ان تزداد رؤوس الاموال الاجنبية فيها لانها لا شك تكون دليلاً على عظم الثقة بالامة المصرية وبحكومتها ولذلك لا يعقل ان نعمل عملاً يعرقل التجارة الاجنبية بل اننا نريد تشجيعها وتنمية وسائلها ونحن في مقدمة من يقدر اهمية الاعمال العظيمة التي عملها الاجانب في مصر مما كان لهُ أثر كبير في كثير من نواحي تقدمها وعمرانها الحديث »

فقلت لمعالي الوزير « وهل ينتظر ان يتم تنفيذ شيء من مشروعات الضرائب قريباً »

فقال « المفروض ان المسألة ممهدة من الوجهة السياسية لان الحكومة سالكة فيها سياسة الاعتدال ومن شأن هذه السياسة ان تؤدي حتماً الى الاتفاق واني استطيع ان اصرح لكم من الآن بانهُ ليس هناك اعتراض على المسائل المتعلقة برسوم الخفر والسيارات والجمارك من حيث المبدأ وان البحث لن يدور الا على الامور التفصيلية الخاصة بكيفية تقدير الرسوم والضرائب وكيفية تطبيقها وضمان نفاذها. وغني عن البيان ان جميع هذه المسائل تحتاج الى وقت لاعداد المباحث المرتبطة بها والانتهاء من الاستشارات والمحادثات المتعلقة بها »

فسألت معاليه عن مشروعات الضرائب الجديدة التي وردت في مذكرته عن المفاوضات المالية وهي ضريبة التمغة وضريبة التركات وضريبة المهن فاجاب « ان هذه مشروعات جديدة درستها وزارة المالية والضريبتان الاوليان مأخوذتان عن نظام الضرائب في بريطانيا العظمى

« واما ضريبة المهن فمأخوذة عن نظام الضرائب في فرنسا على ان الملحوظ في اعداد هذه المشروعات ان قيمة الضرائب خفضت كثيراً عن مثيلاتها في اوروبا علاوة على ان الاموال التي اعفيت من دفع الضريبة ارفع جداً من نظائرها هناك. ففي انجلترا مثلاً لا يعفى الايراد السنوي الا اذا كان اقل من ١٢٠ جنيهاً في حين ان المشروع المصري يعفي

الايراد من الضرائب لغاية ٥٠٠ جنيه ويعفى التركات من الضرائب لغاية ٥٠٠٠ جنيه

« وعلى كل حال ان عملنا في ما يتعلق بانشاء ضرائب جديدة لن يكون سوى مجرد اعداد مشروعات وتجهيزها حتى اذا عاد البرلمان الى استئناف اعماله عرضت عليهِ لبحثها واقرارها

واما المسائل التي لا تحتاج الى موافقة البرلمان عليها للشروع في تنفيذها واعني بها مسائل رسوم الخفر والسيارات والجمارك فيشرع في تنفيذها حال الاتفاق على تفاصيلها نهائيًّا »

المستك او الكاوتشوك او الصمغ المرن او المطاط

يحار الكاتب او المترجم باية كلمة من هذه الكلمات يعبر عن مادة اصبحت في ايامنا هذه من اهم المواد الصناعية ومورد من اكبر الموارد التجارية. وحبذا لو اهتم ابناء العرب بضبط الالفاظ المعربة والتي تدعو الضرورة الى تعريبها احياناً ولو من قبيل الاصطلاح والعرف. اما الانكليز فيسمونهُ انديا رابر او كوتشوك وتقول دائرة معارفهم ان هذه الكلمة ربما تكون مشتقة من كلمة كاوتشا او كاوتشو كما يعبر اهالي الاكوادور وبارو عن المطاط والشجر الذي ينتجهُ. ويتكوَّن المطاط من لبن نباتي يستقطر من عدة انواع من الاشجار ونسبة المطاط الى اللبن تختلف باختلاف نوع الشجر والتربة التي ينمو فيها وتتفاوت من عشرين الى خمسين في المئة وهذا اللبن ليس العصارة التي تدور في الشجر وتغذيهِ وتنميهِ وحتى الآن لم يتحقق الناس من وظيفتهِ الحقيقية لان حياة الشجرة لا تتوقف عليهِ اما الاشجار التي تفرز لبن الكوتشوك بكثرة فافضلها نوعان هما: « ابو سيناسيا » « واسكلايا داسيا » ويستقطر اللبن عادة من قشر الشجر او جذوعها بحزها حزًّا عميقاً يكاد يبلغ خشبها وهذا اللبن النباتي يشبهُ لبن الحيوان وعند ما ينظر اليهِ بالمكرسكوب تبدو فيهِ كريات مستقلة طافية في السائل وهذه الكريات هي التي تتجمع تدريجاً وتتحول الى كاوتشوك ويتسنى تعجيل هذا التحول بوضع اللبن في آلة فرازة كالآلة التي تفرز القشدة من لبن الحيوان ثم تعرض القشدة لدرجة معلومة من الحرارة او تحرك او يضاف اليها بعض الاحماض او بعض المواد القلوية او القابضة فتتخثر وينفصل الكاوتشوك عن المواد الاخرى وقد يجري هذا التفاعل ايضاً تدريجاً اذا عرضت للهواء. واذا اضيف قليل من محلول النشادر او الفورمالين الى اللبن يتسنى حفظهُ مدة طويلة في حالتهِ الطبيعية. اما طبيعة التخثر في هذا اللبن فلم تدرك تماماً حتى الآن. ويعتقد البعض انهُ من قبيل تخثر لبن الحيوان او اشبه بجمود الدم

اكتشف العالم المتمدن الكوتشوك بعيد اكتشاف اميركا فقد لوحظ ان هنود اميركا

الحمر يلعبون بكرة مرنة مطاطة وجد فيما بعد ان لها مزية مسح كتابة قلم الرصاص عن الورق فكان اول استعمال الكوتشوك تجاريًا لهذه الغاية اذ شرع في صنع مسّاحات منهُ وهذا ما حدا الانكليز والاميركان الى تسميته « انديا رابر » اي المساحة الهندية . ولم تكتشف الاشجار التي تنتج الكوتشوك حتى اواسط القرن الثامن عشر ومعظمها بمعرفة الطوافين الفرنسيين . فاكتشف المسيو لاكواندمين طبيعة الشجرة المعروفة الآن باسم « هافيا برازيلينسس » التي استخرج منها كوتشوك بارا الذي كان يرد من اميركا الجنوبية. وبعد ذلك بزمن وجيز اكتشف المسيو فرازنو والمسيو اوبلا الشجرة المعروفة باسم « ادفورياسوس » التي استخرج منها كاوتشوك جويانا

اما الطريقة التي يستعملها اهالي المكسيك وهنود اميركا لاستقطار لبن الكوتشوك فهي طريقة اولية ولكنها لا تزال مستعملة حتى الآن مع قليل من التعديل

كان الكاوتشوك الى عهد قريب لا يستخرج الأ من غابات المناطق الاستوائية باميركا الجنوبية واميركا الوسطى ومن شرق افريقية وغربها ومن اسيا من اشجار وعرائش نمو في الغابات من تلقاء نفسها . ولكن ازدياد الطلب على الكوتشوك الذي نجم عن استعماله لعجلات السيارات والدراجات وادوات اخرى كثيرة حدا الناس الى زيادة السعي لاستخراجه وكانت النتيجة ان كثيراً من اشجاره وعرائشه ابيدت من سوء الاستعمال وطريقة البذل وانفق ان مساحات كبيرة ولاسيما في جنوبي السودان اصبحت خالية من هذه الاشجار العظيمة الفائدة . فأدى ذلك الى اصدار قوانين وقيود تحصر المواسم والطرق التي يستقطر فيها لبن الكوتشوك وتفرض وجوب زرع عرائش اخرى بدلاً من التي تتلف وفي بعض المناطق لا يصرح استخراج اللبن الأ في مدد دورية . على ان هذه التدابير التي تجري الآن في مستعمرات افريقية الفرنسوية والكنغو البلجيكية تقتضي نفقات طائلة لتنفيذها بتعيين حراس ومفتشين لهذه الغاية وما هي الأ تمهيدات اولية ريثما يتسنى انشاء مزارع خصوصية لشجر الكاوتشوك التي يمكن مراقبتها والتحكم فيها بسهولة

وقد حلَّ بغابات اميركا الجنوبية واميركا الوسطى مثل هذا الاذى فاتلفت اشجار كثيرة جداً . وكثيراً ما كان طلاب الكوتشوك يقطعون فروع الاشجار للحصول على كميات وافرة من اللبن نظراً لارتفاع اسعار الكاوتشوك ارتفاعاً عظيماً وادى ذلك الى تشديد المراقبة لصيانة الاشجار من التلف وسوء الاستعمال وشرع في غرس اشجار جديدة في مساحات مترامية الاطراف . ولا يزال الكاوتشوك الناتج من الاشجار البرية

في اميركا اكبر مورد لتجارة العالم وسيظل كذلك عدة سنين اخرى

ان طلب الكاوتشوك قد زاد زيادة عظيمة في اسواق العالم وربما ظلت الزيادة مستمرة نظراً لكثرة الادوات التي تصنع منهُ وقد ادى هذا الى زيادة الاهتمام بزروع شجر الستك وادخاله الى بلدان لم يعرف فيها قبلاً ولا سيما جزيرة سيلان وشبه جزيرة الملاي وارخبيلها حيث ادخلت اشجار كاوتشوك بارا المعروف باسم «هافيا برازيلياسس» ونجحت كلّ النجاح . وهناك الآن مزارع كثيرة لم يكن لها وجود منذ عشرة او خمسة عشر عاماً تنتج كميات كبيرة من الكاوتشوك الذي يباع في اسواق العالم ويعرف بكاوتشوك المزارع وهو خلاف الكاوتشوك البري . وكثيراً ما يباع كاوتشوك بارا انتاج المزارع باسعار تعادل كاوتشوك باره البرازيلي العالي بل كثيراً ما تربي عليها والسبب في ذلك يرجع الى حسن العناية بتحضير الكاوتشوك في مزارع سيلان والملاي واستعمال طرق علمية راقية لتنظيفهِ وتكريرهِ من الادران التي تعلق بهِ عادة ولكن لوحظ ان مزية المط والتقلص في الكاوتشوك البري اقوى مما هي في كاوتشوك المزارع ويعزى السبب الى ان الكاوتشوك البري تدخلهُ ادران ومواد غريبة تزيد فيهِ تلك المزية ويذهب البعض الى ان السبب هولان اشجار الغابات اقدم عهداً من اشجار المزارع ويبلغ معظمها من الثلاثين الى الخمسين من العمر . ومعروف ان اشجار كاوتشوك باره التي تنمو في المزارع وتنتج نوعاً واطياً جدًّا من الكاوتشوك اذا استقطر لبنها قبل السنة السادسة او السابعة من عمرها وهناك ادلة عدة على ان نوع الكاوتشوك يحسن كلما تقدمت اشجاره في العمر فينتظر والحالة هذه ان يتحسن نوع كاوتشوك المزارع مع الوقت حتى يبلغ درجة المطاط البري في قوة مغطه (لها بقية) سليم خوري

الدكتور صروف وفن الزراعة

مراقبة السماد الكيماوي

من مقالة في السماد الكيماوي ومراقبة الحكومة افتتحها بقولهِ : —

ان السماد الكيماوي مظنة الغش ويجب ان يكون بين دوائر الحكومة دائرة خاصة بتحليلهِ . . . وتطبع اوراق تلصق على كل شوال تبين فائدتهُ لنوع الزراعة الفلانية والارض ومايساوي الخ واختتمها بقولهِ فلا بد للحكومة نائبة الامة ان تراقبهُ اشد مراقبة اهـ وقد تحقق بعض ما اقترح رحمهُ الله باصدار الحكومة لقانون الاسمدة

زراعة القطن

ومن مقالة في زراعة القطن بدأها بذكر قلة محصول القطن في موسم حاضر عن موسم سابق بنحو ٣٠ ٪ او اكثر قال . . . ويظهر لنا ان الاسباب التي تزيد محصول القطن أو تقلله لم يزل اكثرها سراً غامضاً فقد رأينا اطياناً من نوع واحد من التربة او من انواع مختلفة زرعت كلها من نوع واحد من التقاوي المأخوذة من زراعة واحدة فترى عند الزارع الواحد في الحوض الواحد فداناً يقدر محصوله بخمسة قناطير او ستة وفداناً لا يزيد محصوله على قنطارين الاول شجر قطنه قصير كثير الفروع كثير اللوز وقد نضج كله والثاني شجره طويل شديد النمو اخضر الورق غصنه قليل اللوز لم يفتح الا القليل من لوزه . والغيط القصير الشجر الكثير اللوز تكون حواشيه في الغالب طويلة الشجر شديدة الخصب قليلة اللوز حتى أن طول بعضها يبلغ مترين وتفرعات اغصانه تبلغ نحو ثلثي المتر من كل جهة فتشتبك اغصان الاشجار بعضها ببعض اشتباكاً يمنع المرور لجنيها فما هي الاسباب التي دعت الى هذا الاختلاف العظيم مع تساوي الارض والتقاوي والسماد والخدمة

أيحتمل ان يكون السبب في اوقات الري ومقدار المياه . فان اوقات الري لا يمكن ان تكون واحدة في كل الغيطان ولا في الغيط الواحد لان بعضها يروى في الساعة الاولى من النهار وبعضها في الثانية وبعضها في الثالثة وهلمَّ جرًّا . بعضها يروى نهاراً وبعضها يروى ليلاً . بعضها في ساعة الحر الشديد وبعضها قبل شروق الشمس او بعد غيابها . بعضها يروى وقد تشققت ارضهُ من شدة العطش وبعضها يروى قبل ذلك وبعضها يروى والسماء غائمة والظلال كثيرة على الارض وبعضها يروى والسماء صافية واشعة الشمس محرقة

واوقات الزرع لا يحتمل ان تكون واحدة فالفلاح يضطر ان يزرع اطيانه في عدة ايام لا في يوم واحد حسب سعتها وتوفر العمال وماء الري . وقد يجود المبكر اكثر من المتأخر او يجود المتأخر اكثر من المبكر . رأينا غيطين زرع احدهما قبل الآخر بنحو ثلاثة اسابيع لكن برد الهواء بعد ما زرع فتلف بعض زرعه ورقع مرتين وتأخر كثيراً اما المتأخر فنما سريعاً وسبق المتقدم فجني بكيراً . ولكن جاء محصوله ضعيفاً لم يُجْنَ من الفدان اكثر من ثلاثة قناطير ونصف قنطار واما المتقدم فتأخر جنيهُ ويقدر محصولهُ بنحو خمسة قناطير (الى ان يقول) فما هي الفواعل الطبيعية التي جعلت المحصول الحاضر في تلك الاطيان اقل من المحصول السابق بنحو ٣٠ ٪ او اكثر وليس هناك دود ورق ولا دود لوز ولا قلة في ماء الري ولا زيادة فيها ولا اهمال في انتقاء التقاوي او خدمة الارض

« الى ان يقول » هذه امور احق بالدَّرس والبحث من كل ما يتعلق بالوراثة وناموس مندل فعسى أن تلقى من اهتمام الباحثين في هذا الموضوع ما هي حقيقة بهِ » اهـ

فهذا بيان بديع لاحدى مشاهداته الزراعية يدل على دقة الملاحظة وقوة الانتباه وسعة الادراك وخصب الالمعية فانهُ بعد بضع سنين من قولهِ في مشاهدته السابقة « ان الاسباب التي تزيد محصول القطن او تقللهُ لم يزل اكثرها سرًّا غامضاً » اتضح ان لاوقات تشريق الارض وطرائقه اثراً مهماً في زيادة محصول القطن او قلته كما فصل في النشرة الفنية رقم ٤٧ من نشرات وزارة الزراعة المصرية

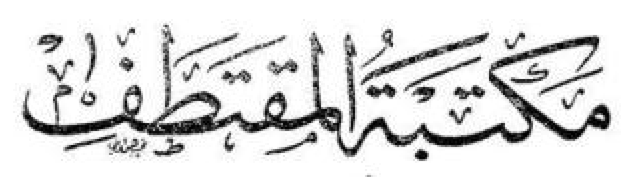
وقد كان اول من وصف النمل الذي يأكل ديدان ورق القطن ولطعها « بيوضاتها » وعنهُ اخذت مجلة وزارة الزراعة هذا الوصف

ولمعرفتهِ بندرة المؤلفات والابحاث الزراعية وضيق انتشارها بين الجمهور حتى كاد يكون عدماً كان حريصاً على الاستفادة من كل ما تصل اليهِ يده منها فبينما تراهُ يقتبس ما يناسب اقتباسه الآن من كتب الفلاحة العربية القديمة تراهُ يترجم لنا افيد التجارب الحديثة عن اللغات الاوربية . كذلك كان حريصاً على افادة الزراع بما يناسب طبقاتهم المختلفة سألتهُ مرة عن كتاب زراعي قديم ومحتوياته وكنت اظن انهُ سيسهل عليهِ تعرفهُ ولكن علمت من مجاوبتهِ لي عنهُ انهُ قضى في سبيل ذلك بضع ساعات في الكتبخانة المصرية وكتبت مرة بحثاً زراعيًّا مبنيًّا على احصاآت دقيقة مشروحة باسهاب فاشار علي باختصاره لتكون نتائجهُ العلمية قريبة من متناول الجمهور

ومن ابحاثهِ الزراعية ابحاث في خصب التربة واتقان وسائل الفلاحة وازكاء المزروع حاصلات كانت او فواكه او خضروات واستجلاب البزور الاجنبية وتوطينها وترقية صناعة الالبان وترقية الطيور ومقاومة الحشرات وتحسين الماشية وتأصيلها وتسمينها حتى يجيء كل نوع منها كما يجب ان يكون — ومن ابحاثهِ الاقتصادية المهمة — ارخاء عام لولا الدين — الملك المستأجر — ربط الايجار عيناً — كيف يحفظ سعر القطن — زراعة القطن وزراعة الحبوب — الخ

فعسى ان يقوم قلم تحرير المقتطف باستخلاص اهم هذه الابحاث لاسيما ما تفرَّد المرحوم بوضعهِ او ترجمتهِ او امتاز بتحقيقهِ واجادة تبيينه — وتنسيقها ونشرها في كتاب مستقل لتسهيل الاستفادة منها على قراء المقتطف وتعميمها بين غيرهم من جمهور القراء بل بين قراء المقتطف المحدثين وفي مثل هذا العمل تجديد لمجهوداته في خدمة الفنون الزراعية بين النشأة الحديثة

احمد الالفي



من الطفولة الى الفتوة

(١) قصص للاطفال — بقلم كامل كيلاني
(٢) اسرار المراهقة بالفتى — تأليف الدكتور شخاشيري

بينما كنت أُجيل النظر في العدد الخاص برسالة « الغفران » من سلسلة « الروائع » الطريفة للاستاذ فؤاد افرام البستاني إذ لفتَ نظري التقديرُ الموجَّهُ إلى طبعتها المهذبة التي وقف على نشرها الاستاذ كامل كيلاني صديق ابي العلاء وابن الرومي وغيرهما من أعلام الأدب العربي فجرى على لساني قول حكيم المعرة :

أولو الفضلِ في أوطانهم غُرَباءُ تشذُّ وتنأى عنهمو القُرَباءُ

وهذا من أصدق ما يُقال عن الأديب الغيور المتَّهم بافساد رسالة « الغفران » جزاء اجتهادهِ وحسن ذوقهِ الأدبي ، كما اتُّهم من قبل الدكتور محمد شرف بك بالجناية على اللغة لاصدارهِ وحيداً ودون مكافأةٍ معجمهُ الطبيّ العلميّ النفيس الذي أبرز فيهِ كنوزها المجهولة بعد عناء وتضحيةِ اثنى عشر عاماً ، حينما اقتصر كثيرون من الهيئات والافراد على إصدار القرارات ونشر الاماني الطيّبة عن اللغة العلمية واحيائها بغير جهدٍ مثمر.... وما يُقال عنهما يُقال عن كثيرين من المجتهدين والمبدعين والمبتكرين بيننا — أولئك الذين لا نعرف تقديرَ فضلهم الا بعد فوات الوقت المناسب لاستغلال مواهبهم ، حتى صحّت كلمة الدكتور أنيس أنسي بك عن الفرق ما بين ثقافتنا وثقافة الغربيين عمليًّا واجتماعيًّا : فاولئك لهم « مجامع » شعارها التعاون الفكري والعملي ، ونحن لنا من مجامعنا « مَفارق » شعارها بثّ الخذلان والأنانية ومحاربة النبوغ ! وأقسم انهُ لولا هذه « الفردية » المتسلطة على الكثيرين منا خاصةً وعامةً في كلّ شيء لما بقيت حالنا حال المستضعف المغلوب

من أجل هذا شكرتُ للاستاذ فؤاد افرام البستاني رُوحَ الانصاف المتجلّية نحو أديب من أدبائنا المجدّدين القديرين الذين يفهمون من التجديد غير التجريد ويحرصون على تراث الماضي الجليل ، واستبشرتُ خيراً بهذا الروح الجميل الذي يُشعّ من عاصمة لبنان متسماً بأبهى ما يتسم بهِ الأدب الغربي

وبينا انا مرتاح الى هذا الشعور قرير به إذا بي أُفاجأ بالجزء الاول من تأليف عظيم النفع للاديب كامل كيلاني وأعني به كتابه (قصص للاطفال) الذي نشرت منهُ قصة « السندباد البحري » وستتبعها قصة « علاء الدين » وكثيرات غيرها . فشكرت للقدر هذه الفرصة السانحة لكتابة هذه الكلمة تنويهاً بفضل هذا الرجل الوديع المتواري ، وانصافاً لجهدهِ القيّم ، وتقديراً لتأليفهِ الخطيرِ الجديد

لقد كان كامل كيلاني مشغوفاً بإفادة المتأدبين الناشئين مهدياً اليهم لزوميات ابي العلاء مشروحةً ، ورسالة الغفران مهذّبةً محلّلةً ، وابن الرومي في تنسيق عصريٍّ مشوّق ، ونظراتهِ المقبولة في تاريخ الأدب الاندلسي وغير ذلك ، واليوم يُهدي الى الألوف من اطفالنا الحلقة الاولى من حلقات سلسلتهِ القصصية البديعة ليروّضهم على القراءة ، ولينمي فيهم ملكة التخيّل ، وليقرن كلَّ ذلك بالتهذيب والعظة المفيدة

تقع قصةُ السندباد البحري في ٨٤ صفحة من القطع المتوسط منسّقةً اجمل تنسيق ومزدانة بالكثير من الصور في مواضعها المناسبة ، ولولا خلوُّها من شكل الحروف ولولا رقةٌ في ورق الطبع لا تناسب الحبر المستعمل لما كان لديَّ مأخذ على طبعها . وقد اختارها الناشر حروفاً كبيرة لا تتعب النظر فأحسن الاختيار وان لم تكن الحروف جديدة . وقد قرأت القصة مستمتعاً ولحظت تدقيق المؤلف في اختيار ألفاظهِ الملائمة وهو تدقيق لا بدَّ منهُ في المؤلفات المدرسية على الاخصّ — وقد جرى قلمي بكلمة « المدرسية » وإن كنت لا اعرف اذا كان مثل هذا الكتاب سيُقبَل عليهِ في المدارس ، ولكنهُ حقيقٌ بذلك من وجوه شتّى

ولن يشقَّ على الناقد المنصف عند مقارنة هذه القصة المستخرجة من (ألف ليلة وليلة) بنظائرها في اللغة الانجليزية أن يعترف للكاتب بمهارة التأليف رتمكّنهُ منهُ تمكناً تامًّا . وقد كان كامل كيلاني والداً قبل أن يكون مؤلفاً قصصاً للأطفال ، ولذلك بثَّ في تأليفهِ رُوحَ الابوّة والشغفَ بتهذيب ولده ، وكان خيرَ مَن يؤلّف في هذا الباب وكلُّ والدٍ منا يقدّر له هذا الجميل ويشعر بأن هذا عملٌ تهذيبي عظيم لا يقلّ في القدر عن اعماله الأدبية الأخرى إن لم يكن اعظم منها

بقي لي ان أؤمل من حضرة المؤلف أن يعتمد في جانب من قصصهِ المقبلة على الأساطير المصرية القديمة ليجمع بين المتعة الروائية والفائدة التهذيبية وتحبيب التاريخ القومي وأساطيره الى أطفالنا الناشئين . ولستُ ادري تماماً أأصاب المؤلّف أم أخطأ بعدم التغيير في بعض مواقف قصتهِ الأولى حيث يظهر حُبٌّ الرغبة في الحياة (عند ما كان

السندباد مدفوناً في الجب) داعياً الى الاجرام نحو كل لاحق بهِ ليستخلص منهُ غذاءه لنفسهِ . صحيحٌ ان هذا هو ماينتظر حدوثهُ في الحياة غالباً تبعاً للطبيعة البشرية الأصلية ولكن الغرض الاسمى من الكتب التهذيبية ليس شرح الحياة وحده بل الدعوة الى مثل أعلى . فهذه إذن مسألة تقديرية لا أريد أن أحكم عليها حكماً جازماً وان كنت أودّ لو ان المؤلف الفاضل جعل نجاة السندباد واطالة حياتهِ متوقفتين على محاسن الاتفاق ولا صلة لها بأي تحايل اجرامي

وصفوة القول ان الاستاذ كامل كيلاني قد أقدم على مشروع تهذيبي عظيم لاطفالنا فوجب علينا شكره قولاً وعملاً . ولعلّ كتبهُ تنال من الذيوع في البيئات المدرسية ما يستحقهُ اخلاصهُ ومجهودهُ حتى يُشجّعهُ ذلك على المضيّ في عمله النافع الذي سدّ بهِ فراغاً محسوساً في مكتبة الاطفال

***

ولكن متى أصبح الطفل فتىً وأشرف على سن المراهقة فنحن لا نستطيع أن نقدم اليهِ بالعربية كتاباً هادياً بكياسة الى أسرار هذا الدّور من حياتهِ المحفوف بالمزالق والأخطار الصحية والأدبية وهذا نقص معيب في المكتبة العربية لفتياننا حاول أن يتلافاه الدكتور شخاشيري بكتابهِ (أسرار المراهقة بالفتى) وهو قرين كتابهِ (اسرار المراهقة في الفتاة) الذي تكلّمتُ عنهُ في « مقتطف » مارس ، فكان الدكتور موفّقاً في وضع كلا الكتابين بأسلوبهِ القصصي السهل . تقرأ هذا الكتاب على الاخص فلا تجد عائقاً فنيّاً يقف في سبيلك وفي كل سطر من سطوره تتجلى روح الاخلاص لشباب الامة والعطف الحار عليهم والرغبة الصادقة في الاخذ بأيديهم وهدايتهم الى طريق الشرف والرجولة الكاملة . وقد أجاد المؤلف بصفة خاصة في الحديثين الخامس والسادس في كلامهِ عن الامراض الزّهرية وكان الفيلسوف الاجتماعيّ كما كان الطبيب الحكيم والوالد المرشد والصديق الحميم . ومما راقني من حواره قوله « ان كثرة التهتك والخلاعة اذا لم تهبّ الحكومات الى ملافاتها وإطفاء جذوتها أحدثت ضرراً مفجعاً في أهم أركانهِ (يعني التمدين البشري) وكانت السبب الاكبر في انحطاطهِ وفنائهِ كما جرى لامم في العصور الخالية كالرومان فانهم سقطوا من أوج عظمتهم ودبّ فيهم الانحلال بسبب انغماسهم في الملذات الحيوانية . كذلك أصاب الكلدانيين والاشوريين وأصاب العرب في الاجيال الوسطى » . وبودي عند ما يعيد حضرة المؤلف طبع هذا الكتاب (ولا بد أن يكون لمثل هذا الكتاب طبعات) أن يتوسع قليلاً في سبك أسلوب الحوار بدل الاقتضاب. وقد

يعد بعض القراء ذلك من اللغو والحشو على حين انهُ من التهذيب الفني للكتابة ليظهر الحوار طبيعيًّا في جملتهِ وتفصيله وليكون له بذلك التأثير النفساني المنشود. فأكرر الشكر للدكتور شخاشيري على ما يتحف بهِ ابناء العربية من زكاة علمه وأدبه ونبله

احمد زكي ابو شادي

المساكين

تأليف مصطفى صادق الرافعي — صفحاته ٢٨٧ — طبع بمطبعة المصور — ثمنه ١٠ غروش صاغ

اذا قرأت الرافعيَّ في « تاريخ آداب العرب » و« اعجاز القرآن » و« شعر البارودي » و« شعر صبري » و« الشعر العربي في خمسين سنة » رأيتهُ فيها مؤرخاً دقيق البحث، وراوية فيَّاضاً لا يكتفي بنقل الروايات بل يعنى بموازنتها وبتحكيم العقل في تمييز صحيحها من فاسدها، وناقداً لهُ من صفاء الحسّ ودقة الشعور ومعرفتهِ بآداب العرب معرفة قلَّ من يجاريهِ فيها ما يجعل لرأيهِ قيمة خاصة هذه المباحث. واذا قرأتهُ في كتاب « المساكين » وما هو مثلهُ « كرسائل الاحزان » و« السحاب الاحمر » رأيتهُ شاعراً يحلّق بخياله وحكيماً بعيد الغور في تأمّلهِ وحكمتهِ. وهو في كلا الحالين كاتب في الطبقة الاولى بين كتاب العربية السابقين والمعاصرين بل بقية من بقايا الادب العربي في ازهى عصورهِ. اذ قد اجتمع لهُ في نثرهِ صفاء الديباجة ومتانة التركيب وجزالة الالفاظ مطبوعة كلها بطابع شخصيّ لا تستطيع الاَّ ان تميز الرافعي في كل تعبير من تعابيرهِ ثم من بعد ذلك مسح الاسلوب بمسحة من موسيقى الالفاظ والتركيب تهز اوتار النفس وتسمو بها

واذا لم يكن لهُ في هذا الكتاب الاَّ وصف « الشيخ علي » الذي اجرى على لسانهِ آراءهُ في شؤون الحياة المختلفة « ووصف الحرب » وفي وحي الروح لكفتهُ آية في الادب. ولكن كلَّ فصل من فصول الكتاب يشتمل على حكمة وادب في بيان صاف وبلاغة نادرة

قال: « وكأنهُ (اي الشيخ علي) جزيرة قائمة في بحر لا يحيط بهِ الماء فلا صلة بينهما في المادة وان كانت هي فيهِ. فالناس كما هم وهو كما هو. يرونهُ من جفوة الزمان اضعف من ان يصاب بأذًى ويرى نفسهُ من دهره اقوى من ان يصيب بأذًى. ويتحاشونهُ رأفة ورحمة ويتحاماهم انفة واستغناء ثم ان مسهُ الاذى من رقيع او سقيط احسن الى الفضيلة بنسيان من اساء اليهِ . . . . وهو والدنيا حكمان في ميدان الحياة غير ان امرهما مختلف جدًّا فلم تقهره الدنيا لانهُ لم يطمح اليها ولم يقع فيها وقهرها هو لانها لم تظفر بهِ . . . . . . وماذا في السعادة اهنأ من ان توقى شرَّ هذه السعادة فلا تتطلع نفسك اليها ولا ينالك الا

ما تحبُّ ان ينالك . فانت بعد وادعٌ قارٌّ آمنٌ في سربك معافى في بدنك، خارج من سلطان ما بينك وبين الناس من خلق مستبد او رغبة ظالمة او صلة عاتية ولا حكم عليك الاَّ لمالك الملك. ولم يفتق الله لك من فنون اللذات ما ينغصهُ عليك ولا ضرب منك مثلاً ولا نصَّ لك عقاباً ولا جعلك مرآة عدوّ يصلح فيها نفسهُ ولا نصبك لمجاراة او مباراة . . . . وانت اذا سطعت لهُ (اي للشيخ علي) بالجوهرة الكريمة النادرة فلا يعدو ان يراها حصاة جميلة تتألق . وان هولت عليها بالوان الخزّ والديباج حسبك مائقاً لا ترَ قط نضارة البرسيم والوان الربيع . . » وهكذا

حبذا الحال لو اتسع امامنا مجال هذا الباب لاثبات العبارات الرائعة في مبناها ومعناها مما تقع عليهِ في كل فصل من فصول الكتاب بل في كل صفحة من صفحاتهِ. ولكن قرّاء المقتطف اطلعوا على ثلاث رسائل منها نشرناها في المقتطف هي : « وحي الروح » في مقتطف دسمبر الماضي ورسالة « امن عصر العقل الى عصر القلب» في مقتطف يناير ٢٩ والثالثة « اؤمن بالدين » في مقتطف فبراير ١٩٢٩ وقد رفع الكتاب الى حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد المعظم في كلمة بليغة اليك بعض ما جاء فيها . « فمن اعمالك عرفنا ان خير ملوكِ النيلِ من أضاف الى خِصْبِ هذه الارض خِصْبَ إنسانيها وخصب تاريخها ، فعرف كيف يحفظ لها الطبعَ المُثمر، وكيف يهيئ لها الشعبَ المثمر، وكيف يخرج فيها الزمن المثمر »

فرنسا وسوريا

تأليف حنا خباز — طبع بمطبعة علم الدين — صفحاته ٢٣١ قطع صغير

ليست السياسة من المباحث التي يتناولها المقتطف . ولكنَّ الكاتب يستطيع ان يتناول الموضوع السياسي ويعالجهُ معالجة تاريخية عمرانية فيكون كتابهُ من الموضوعات التي تعنى بها مجلة كالمقتطف لا تعنى عادة بالمباحث السياسية . ومن هذا القبيل كل الكتب التي كتبت في تاريخ الحرب الكبرى ومذكرات رجال السياسة امثال تشرتشل وهوس ولودندورف وبوانكاري وامثالهم . والكتاب الذي بين ايدينا ليس مذكرات شخصية ولكنهُ مبني على الوثائق والمكاتبات الرسمية التي نُشرت في الصحف . والجزء من هذا الكتاب يتناول الاسباب العامة التي حملت سورية على محاربة فرنسا وفيهِ تفصيل لسياسة فرنسا في الشرق. ورائدهُ في وضعهِ قول ابن المقفع « اذا اردت ان يقبل منك الرأي فلا تشعرنهُ بشيء من الهوى لانك ان جرّدتهُ عن الهوى قبلهُ منك العدو . وان انت اشعرتهُ بشيء من الهوى ردّهُ عليك الوالد »

وقال ان مبادئهُ التي يجري عليها في معالجة هذا الموضوع هي : انصاف الخصوم . تقديس الانظلام . استقلال الحق عن القوة رسميًّا وسرمديًّا. حب اوربا عموماً وفرنسا خصوصاً. احتقار الانتقام وكره سيف النقمة. عدم تحريك القلم لجرّ مغنم ولا لدفع مغرم الاّ ماكان لخير بني الانسانية. فالكتاب حري بان يطالعهُ كل مهتم بشؤون السياسة السورية

دعوة الاطباء

هذه رسالة طبية فلسفية وضعها ابن بطلان الطبيب البغدادي من اطباء القرن الخامس الهجري وجرى فيها مجرى التهكم في تبيين اعمال الدجالين واقوالهم نقلها الى الفرنسية الدكتور محمود صدقي بك طبيب السجون بمصر سابقاً والعضو في جمعية البحث ضد السلّ بباريس. وليست هذه المرة الاولى التي يعنى فيها الدكتور صدقي بموضوع « الطب العربي القديم » فانهُ نشر سنة ١٩٠٩ رسالة في الطب العربي والقواعد الصحية الاسلامية لخص فيها معارف العرب العلمية والطبية واثرها في التاريخ . والرسالة التي نحن بصددها الآن مزدانة بصور كثيرة وقد تفضل صاحبها فاعارنا الصور الاربع المنشورة امام الصفحة ٤٠٥

المناهل

في اللغة العربية فكاهات واساطير وامثال معظمها غير مدوَّن تتناقلها الالسن مستشهدة بها في ايضاح حوادث الايام فيطرب لها خاصة الناس وعامتهم ويعجبون بما تنطوي عليه من حكمٍ وعظات . هذه النكات هي قسم من آداب اللغة العربية تسرَّب اليها من مصادر مختلفة . وقد اشتهر الاستاذ جرجس الخوري المقدسي احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية بجمعها والتفنن في ايرادها وتطبيق مغازيها على احوال الحياة مستخرجاً منها العبر والعظات . ولما رغب اليهِ جهور من مريديهِ والمعجبين بهِ في جمعها وطبعها فعل ذلك في كتاب دعاهُ « المناهل » بين ايدينا الجزء الاول منهُ وهو جدير بان يطالعهُ الكبار والاحداث على السواء وحبذا لو اتسع مجال هذا الباب لايراد بضعة مختارات منهُ

من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام

للاستاذ بندلي جوزي المدرس بجامعة باكو

اخرج الاستاذ خليل سكاكيني الجزء الاول من كتاب جديد في تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام للاستاذ بندلي جوزي من حملة الدكتوراه العربية والاستاذ في جامعة باكو وقد اقتصر فيهِ على تاريخ الحركات الاجتماعية

وقد اراد المؤلف من وضع كتابهِ « ان يثبت ان تاريخ الشرق وحياته الاجتماعية وعقلية شعوبهِ على الاطلاق والشعوب الاسلامية على الاخص تخضع لنفس النواميس والعوامل التي تخضع لها حياة وتاريخ الامم الغربية » . ولكن يظهر ان النزعة التي تسود الجزء الاول من هذا البحث متأثرة جدًّا بالاحوال الاجتماعية في البلاد التي يعيش فيها الاستاذ فقد اهتم ان يثبت في كتابهِ ان الاسلام ليس فكرة دينية محضة وانما هي فكرة سياسية اقتصادية استلزمتها الاحوال الاجتماعية التي كانت سائرة اذ ذاك في جزيرة العرب. فان اختلاف الطبقات وارهاق الفقراء والمساكين ادى الى ظهور الاسلام ليعالج مشكلة الطبقات للتوفيق بين « مصالح الغني والفقير، السري والصعلوك، اصحاب المعامل والاراضي الواسعة والعمال والفلاحين »

حتى الفرق التي نشأت في الاسلام واتي اجمع الباحثون على ان السبب الرئيسي لها والاساسي لكثيرمنها انما هي في نظر الاستاذ بندلي نتيجة الكفاح بين الاغنياء والصعاليك. وتظهر روح الاستاذ جلية في الاهداء فهو يقدم كتابهُ الى « الشبيبة العربية الناهضة الذين حرروا عقولهم من تأثير الخرافات الاجتماعية والدينية والقومية »

على اننا وان كنا لا نوافق الاستاذ على كثير من آرائهِ التي ابداها في المسائل الاسلامية وفي بيان مرامي الآيات القرآنية والتشريع الاسلامي الا اننا ننظر الى مجهودهِ بعين التقدير شاكرين للاستاذ خليل سكاكيني خدماته المستمرة في سبيل لغة العرب مما استحق معهُ تقدير الناطقين بالضاد الذين شرعوا يعدون المعدات للاحتفاء بهِ

فجر الاسلام

الجزء الاول في الحياة العقلية للاستاذ احمد امين المدرس بالجامعة المصرية

من بين الثمرات الناضجة التي انتجها مجهود لجنة التأليف والترجمة والنشر في العام الماضي كتاب فجر الاسلام الذي اشترك في وضعهِ الادباء المجددون الدكتور طه حسين والاستاذ احمد امين والاستاذ عبد الحميد العبادي . اما الجزء الاول من البحث وهو الخاص بدرس الحالة العقلية في صدر الاسلام فقد اختص بهِ الاستاذ احمد امين ولكنهُ قرأ كتابهُ مع زميليهِ واقراهُ عليهِ كما اقرهُ هو فثلاثتهم متضامنون فيهِ تضامنهم في الجزئين الآخرين الذين يبحثان في الحالة السياسية والادبية للعرب واللذين لم ينشرا بعد

***

درس الاستاذ احمد امين الحياة العقلية وتولى « تحليل هذه الحياة تحليلاً ليس اقل

دقة واستقصاء من تحليل صاحب الكيمياء في عمله» كما يقول الدكتور طه حسين احد زملائه وانهُ اخذ يرد هذه الحياة العقلية العربية ما استطاع الى عناصرها المختلفة المكوّنة لها وبان يعرف الى اي حد امتزجت هذه العناصر وتداخلت »

ففي الباب الاول يتكلم على العرب في الجاهلية واتصالهم بمن جاورهم من الامم وحياتهم العقلية واثر البيئة الطبيعية والاجتماعية في تكوينها ومظاهر هذه الحياة ودلالة اللغة العربية والشعر والامثال والقصص على تلك المظاهر

ثم يحدثك في الباب الثاني عن الاسلام ومعناهُ وتأثر العرب بهِ والنزاع بين الاسلام والجاهلية وآثار الفتح الاسلامي والاختلاط الذي نشأ منهُ بين الامم والشعوب

وتتعرف آثار الفرس واليونان والرومان والسبب في تأثر العرب بالادب الفارسي اكثر من غيره وفعل فلسفة اليونان وادبهم وادب الرومان في البابين الثالث والرابع

حتى اذا جئت الى الباب الخامس رأيت وصفاً للحركة العلمية ومراكزها والمؤثرات فيها تنتقل منهُ في الباب السادس الى الكلام على القرآن الكريم وتفسيره والحديث واثر ذلك كله في التشريع فهو يفصل لك الحياة الدينية تفصيلاً ينتهي بك في الفصل الاخير الى الفرق الاسلامية وكيف كانت الخلافة اساس الكثير منها وسبب اختلافها وتعاليمها

مجهود جبار ذلك الذي قام بهِ الاستاذ احمد امين معاونهُ زميلاهُ طه حسين وعبد الحميد العبادي وهو ثمرة شهية ناضجة نرجو ان يكون منها خير كثير

ونحب ان نلفت انظار الكتاب الافاضل الى ان مجهوداً كبيراً كهذا يجب ان يتنزهُ عن عدم الدقة في رواية بعض آيات القرآن الكريم على ان هذا الذي حدث قليل لا يضعف من قيمة هذا المجهود المشكور

تاريخ الحركة القومية

وتطور نظام الحكم في مصر

بقلم عبد الرحمن الرافعي بك

لكل امة صفحة من الحياة القومية تحتوي تاريخ الجهود التي بذلتها والآلام التي عانتها في سبيل حريتها واستقلالها

تلك الصفحة اول ما تعنى كل امة بتدوينهِ ففيها ذكريات لجهاد الماضي وعبر لجهاد الحاضر ، وعظات لجهاد المستقبل ، فيها بيان لنصيب الاجيال المتعاقبة في اداء الامانة القومية ، تلك الامانة المقدسة وديعة السلف للخلف ووصية الآباء للابناء

هذه هي المقدمة التي افتتح بها الاستاذ عبد الرحمن الرافعي بك الجزء الاول من كتابهِ عن تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر وهو سفر جليل اضافهُ الاستاذ عبد الرحمن بك الى سلسلة الكتب الجليلة التي اخرجها لبلاده فجاءت جنباً الى جنب مع مجهوده السياسي في سبيلها دليلاً ناصعاً على ما يمكن الوطني الخاص ان يؤديهِ لبلادهِ من جليل الاعمال

والحركات القومية في الامم تقترن دائماً باسماء اعلام يرجع اليهم كثير من فضل الجهاد في سبيل اممهم ويعرف لهم التاريخ قدرهم . ومصر كغيرها من البلاد لها في المجاهدين في سبيل رفعتها اسوة حسنة ومثل يضربهُ الخالف للسالف ولا نعتقد ان منصفاً يستطيع ان يذكر الحركة الاخيرة دون ان يشير فيها الى امين وعبد الرحمن الرافعي

فمن نشأتهما كانا في طليعة العاملين لخدمة البلاد . عاش امين حياتهُ لبلاده حتى سقط في ساحة الجهاد في ٢٩ دیسمبر ١٩٢٧ ففقدت مصر بهِ ابناً باراً وصديقاً مخلصاً

وما حال الحول على وفاتهِ حتى تقدم اخوه عبد الرحمن الى الامة التي قضى امين في سبيلها بسجل نافع لتاريخ الحركة القومية فكان خير ذكرى لخير مجاهد راحل

في ما ينوف على اربعمائة صفحة تقدم عبد الرحمن للبلاد بيان لدفاعها في سبيل حريتها ابان الثورة الفرنسية وحدها ويكفي في بيان المجهود الذي بذله في سبيل جمها ان ترجع الى الفصل التاسع عشر من الكتاب الذي يبين مراجع البحث والمصادر الأصلية التي بحث فيها المؤلف ليجمع بياناتهِ فيجدها تملأُ ٢٤ صحيفة كاملة

فمن نظام الحكم في عهد المماليك الى نظامهِ في عهد الحملة الفرنسية الى نظم الحكم التي اسسها نابليون في مصر ومجهود مجمع العلماء الفرنسي الى المقاومة الاهلية في عهد الحملة وفي كل بقعة من بقاع القطر منفصلة — كل ذلك يشرحهُ المؤلف مؤيداً بالوثائق التاريخية

فهذا الكتاب النافع خير سجل اخرج لتبيان هذه الوقائع وشرحها والجهود التي بذلتها الامة في سبيل تحرير مصر من النير الاجنبي وفك قيود الاستبداد عنها وتقرير قيود حقوق الشعب السياسية

واذا كان البحث في الحملة الفرنسية استغرق هذا المجهود الكبير من الاستاذ عبد الرحمن بك فانا نرجو ان يوفق الى بذل مجهود مماثل في الادوار التي تلت دورها الى عصرنا الحاضر فان البلاد احوج ما تكون الى معرفة تاريخها القومي وهو ما ينقصنا نقصاً فاحشاً

باب شؤون المرأة

وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الطعام والسن

يقسم عمر الانسان من حيث اعتماده على الطعام الى ثلاثة اقسام سن النمو وهو من الولادة الى السنة الخامسة والعشرين . وسن الثبات وقلما يثبت على حالة واحدة وهو من السنة الخامسة والعشرين الى الخامسة والستين . وسن الانحلال وهو من الخامسة والستين إلى التسعين وقد يطلق على ذلك سن الحداثة وسن الكهولة وسن الشيخوخة

ويقال بنوع عام ان مقدار الطعام يجب ان يكون مناسباً لثقل الانسان وان يقلّ تدريجاً بتقدمهِ في السن فيكون كثيراً في الحداثة ومتوسطاً في الكهولة وقليلا في الشيخوخة. فالحدث من طفوليتهِ الى ان ينتهي سن نموهِ محتاج الى كثير من الطعام ويجب ان يكون طعامهُ جيداً وان يتناولهُ في اوقات معينة . والكهل يجب ان يعتدل في طعامهِ ولا يأكل كل ما تحبب نفسهُ اليهِ اكلهُ ويكتفي بما يغذيهِ ويستطيع هضمهُ بسهولة. وطعام الشيخ يجب ان يكون اقل من طعام الكهل وابسط حتى اذا طعن في السن عاد كطعام الطفل

الطعام في الحداثة

يقسم هذا السن الى ثلاثة اقسام الطفولية والصبوة والشبيبة والطفولية اهمها من حيث تدبير الطعام ولو اغضي عنهُ فيها غالباً ولاسيما في اشهر السنة الاولى بعد الولادة. فان اربعة اخماس الاطفال الذين يموتون في هذا السن سبب موتهم الطعام لان الذين يربونهم يحسبونهم قادرين على هضم الاطعمة النباتية كالخبز والنشا كانها اذا كانت لينة لا تحتاج الى مضغ فلا يبخلون عليهم بها وهذا خطاء فان الطفل لا يستطيع ان يهضم المواد النشوية مهما كان نوعها . والطعام الوحيد الصالح لهُ هو اللبن لبن امهِ ان امكن والا فلبن مرضع مثل امهِ او لبن بقرة صحيحة . واما الاطعمة النشوية فتكون كالسم لهُ لان المادة التي تحوّل النشا الى سكّر وتجعلهُ صالحاً للهضم لا تتكوّن في جسمهِ الاّ بعد ان يبلغ الشهر السادس من عمرهِ

فاذا بلغ هذا السن جاز ان يضاف الى اللبن الذي يرضعهُ قليل من الاطعمة النشوية كالارووروط مطبوخاً بالسكر او بمرق اللحم

ثم ان الطفل كثير الاكل بالنسبة الى جسمهِ فكل الف درهم منهُ تحتاج الى ثلاثة دراهم من الطعام الحيواني الذي في اللبن وكل الف درهم من جسم البالغ تحتاج الى درهم ونصف درهم فقط من الطعام الحيواني. ويُقتصر على اطعام الطفل خبزاً ولبناً وبيضاً وارزاً وخضراً وقليلاً من اللحم والسمك الى ان يصير عمرهُ اربع سنوات

ومن المعلوم ان نمو الطفل بعد ذلك لا يجري على نسق واحد فاحياناً تمضي السنة كلها ولا يظهر انهُ نما شيئاً يذكر واحياناً يزيد جسمهُ في بضعة اشهر ما لا يزيدهُ في بضع سنين فيتعذَّر على الوالدين ان يعرفا مقدار ما يحتاج اليهِ من الطعام ولذلك يترك حتى يأكل كل ما يستطيع اكلهُ ولكن يشترط في طعامهِ ان يكون صحيحاً مغذياً وان يقدم لهُ في اوقات محدودة الساعة السابعة صباحاً والساعة الثانية عشرة ظهراً والرابعة عصراً والسابعة مساء او ما يقرب من ذلك

ففي الصباح يأكل الخبز واللبن والبيض او الخبز والزبدة والمربى وفي الظهر الخضر مطبوخة باللحم مع الخبز والاثمار الناضجة او المطبوخة. وفي العصر الخبز والزبدة والمربى وفي المساء الشوربا والخبز واللبن وما يشبه ذلك من الطعام السخن

ولا يحسن ان يطعم الصغار في هذا السن من طعام البالغين ولا يغصبوا على اكل ما يكرهونهُ. اما الفاكهة فيجب ان تكون ناضجة والاطايب يكتفى منها باسهل الهضم كالنشا المحلى بالسكر. واذا جاع الطفل بين طعام وطعام يعطى كسرة خبز وكأساً من اللبن. ولا بدَّ من تنويع الاكل والا عافهُ الطفل كما يعافهُ البالغ. واصح الاطعمة واجودها يصير سماً قاتلاً اذا تكرر يوماً بعد يوم حتى عافتهُ النفس

واذا كبر الطفل وبلغ سن الصبوَّة يقلل طعام العصر ويزاد طعام المساء حتى يصير عشاء صحيحاً

الطعام في سن الكهولة

ولا يخفى ان الطعام الذي يشبع الانسان جيداً لا يهضم عادة في اقل من ثلاث ساعات او اربع ولا بدَّ من ان تراح المعدة بعد ذلك ساعة او ساعتين قبل ادخال طعام آخر وهذا يجعل الفترة بين طعام وطعام خمس ساعات اوستاً ويجب ان تكون كذلك من سن البلوغ فما فوق لا كما كانت في الطفولة

والناس مختلفون فيما يأكلونهُ صباحاً. ومختلفون في أكل معظم طعامهم ظهراً او مساء

ويجب أن يعتبر في ذلك نوع العمل فاصحاب الاعمال العقلية يحسن بهم ان يكتفوا بالطعام الخفيف اللطيف صباحاً وظهراً ويأكلوا الطعام الكثير المغذي مساء اي ان يخففوا الفطور والغداء ويثقلوا العشاء . واصحاب الاعمال البدنية والذين يرضون اجسامهم رياضة كافية يحسن بهم ان يثقلوا الفطور والغداء ايضاً ويخففوا العشاء ولا بدَّ من الراحة جسداً وعقلاً بعد الطعام الثقيل ولو ساعة من الزمان . وكلما زاد الشغل العقلي بعد الاكل وقل العمل الجسدي وجب ان يكون الطعام خفيفاً فاذا كان لا بدَّ من متابعة الاشغال العقلية بعد الغداء وجب ان يكون خفيفاً لطيفاً ما امكن ومعلوم ان القويَّ البنية الخالي من كل مرض لا يعبأ بهذه القواعد ولا يرى بأساً ثقل طعامهُ او خفَّ ولكن ليس كل الناس على حدّ سوى في قوة الابدان وجودة الصحة ولا هم على حالٍ واحدة دائماً والحكيم من يفرط ولا يفرّط

وقد اشار كثيرون من الاطباء والحكماء بالاقتصار على الاكل مرة واحدة كما قال الشيخ الرئيس

اجعل طعامك كل يوم مرةً واحذرْ طعاماً قبل هضم طعامِ

لكن هذه القاعدة لا تراعى الآن الاَّ نادراً والمرجح انها ليست خيراً من القاعدة المتبعة عموماً وهي تناول الطعام ثلاث دفعات في النهار

فاذا فضل المرء تكثير الاكل صباحاً كما يفعل الانكليز وجب ان يجعل طعامهُ من اللبن والقهوة والشاي والخبز والزبدة والبيض واللحم مع قليل من المربيات والاَّ فحسبهُ القليل من الخبز واللبن والقهوة كما يفعل الفرنسيون . وقد وجد الذين يقدرون قوة الانسان قدرها ان قوة العامل الانكليزي تزيد على قوة العامل الفرنسوي نحو مائة طن قدمية اي ما يرفع مائة طن قدماً واحداً او ما يرفع طناً واحداً مئة قدم وذلك من اكلهِ الطعام الكثير المقوي صباحاً

هذا من حيث طعام الفطور اي طعام الصباح أما الغداء اي طعام الظهر فالاكتفاء بالقليل منهُ كما يفعل اصحاب الاشغال الكثيرة ليس من الحكمة ولو اعتادوا ذلك ولم يروا منهُ ضرراً . ويحسن بالمرء ان يأكل في غدائهِ ما يأكل الصغير في عشائهِ قليلاً من اللحم مع الخبز والجبن . واذا كان الغداء كافياً وجب ان يكون العشاء خفيفاً والاَّ فزاد الوانهُ حسب الطاقة . والعادة المتبعة عند اكثر الاواسط والموسرين وهي اكل الشوربا اولاً في العشاء ثم السمك فاللحم فالحلوى فالجبن والفاكهة عادة دلَّ الاختبار على انها حسنة لمن يستطيع الجري عليها . ولا يحسن بالانسان ان يترك اعمالهُ ويبادر عشاءهُ حالاً بعدها بل يجب عليهِ ان يتمهل ساعة من الزمان يستريح فيها او يروّض جسمهُ رياضة خفيفة بالمشي ونحوه

ومما يجب الانتباه له أن قلال الحركة اقل احتياجاً إلى الطعام اللحمي من غيرهم فاذا اكثروا من اكل اللحم ابتلوا بضعف الهضم واصابهم داء النقرس الاليم . والمشتغلون بالاشغال العقلية اقل حاجة الى الاطعمة اللحمية من جميع الناس ولكنهم يكثرون منها اكثر من غيرهم . اما الذين يعملون الاعمال البدنية الشاقة فهم احوج الى الاطعمة اللحمية منهم الى الاطعمة النباتية

وعلى الكهل ان يجتهد ليبقى وزن جسمهِ على حاله لا يزيد ولا ينقص او لتكن الزيادة او النقصان ضمن حد محدود لا يتجاوز ثلاث اقات. واذا اراد احد ان يسمن قليلاً فليزد من اكل النشا والسكر . ويقال ان اكل عشرة دراهم من السكَّر كل يوم يزيد ثقل الجسم خمس اقات في السنة. واذا اراد الانسان ان يقل سمنهُ وجب عليهِ ان يقلل طعامهُ رويداً رويداً حتى يجعلهُ نصف ماكان فينقطع عن الاطعمة النشوية والسكرية والدهنية ويزيد الاطعمة اللحمية الربع او النصف . وقد زعم البعض ان الاقلال من شرب الماء واكل الاطعمة السائلة ينحف الجسم وليس الامر كذلك ولا الاكثار من شرب الماء يسمّن

الطعام في الشيخوخة

بقي علينا ان نتكلم على طعام الشيوخ وهو موضوع هامٌّ جدًّا ولاسيما لانهُ قلَّ من يلتفت اليهِ بما يستحقهُ من الاهتمام

ولا شبهة ان كثيرين من الناس عمّروا عمراً طويلاً في بلدان مختلفة وعلى انواع وضروب شتى من الطعام من كسر الخبز الجاف والماء القراح الى انواع اللحوم والخمور التي لا تكون الاّ على موائد الملوك والعظماء . لكن من يبحث في هذا الموضوع بحثاً مدققاً ويستقري احوال الناس يجد ان اكثر الشيوخ الذين عمروا طويلاً كانوا يقتصرون في طعامهم على القليل البسيط بالنسبة الى ماكانوا يأكلون وهم شبّان وكهول . وكلما تقدموا في السن زاد طعامهم قلة وبساطة حتى صار كطعام الاطفال

وقد استقرى بعضهم احوال ثمانمائة شيخ ماتوا مناهزين الثمانين فوجد ان ٤٨٠ منهم من المعتدلين في طعامهم وشرابهم و٢٤٠ من قليلي الطعام والشراب و٨٠ فقط من الذين يكثرون الطعام . ومفاد ذلك ان تقليل طعام الشيخ بتقدمهِ في السن هو القاعدة المرعية ولا عبرة بالشذوذ

هذا من جهة مقدار الطعام ويقال في كيفيتهِ مايقال في مقدارهِ فقد يظن في اول وهلة ان طعام الشيخ يجب ان يكون كثير الغذاء فتوضع في فيهِ الاسنان الكاذبة ويطعم اللحوم التي لا تهضمها الاّ المعد القوية وينتظر منهُ ان يهضم طعامهُ كما يهضمهُ الشاب. وهذا خطاء فاحش

فاذا كان الشيخ قوي البنية وكان لم يزل في الستين او السبعين من عمره وجب ان يكون اعتماده على الطعام النشائي والدهني مع قليل من اللحم واذا طعن في السن وجب ان يعود الى طعام الصغار كالخبز واللبن والعسل مع قليل من الزبدة وليتناول طعامهُ في اوقات محدودة ولا تكن الفترة بين طعام وطعام اكثر من اربع ساعات . واذا سمن وزاد ثقلهُ يوماً بعد يوم فليقلل طعامهُ ما لم تكن هذه الزيادة مرضية

ولا بدَّ من ان يكون طعام الشيخ سخناً او فاتراً ويحسن بهِ ان يأكل قليلا في الليل ايضاً فيشرب كاساً من اللبن الفاتر مع قطعة من البسكوت او ما اشبه . واذا زاد تقدُّمهُ في السن حسُن بهِ ان ينام قليلاً بعد الفطور والغداء وقبل العشاء

وجملة القول ان الطعام في سن النمو يجب ان يكون كثيراً غير محدود . وفي سن الكهولة يجب ان يكون محدوداً معتدلاً في مقدارهِ وكيفيتهِ بحيث لا يزيد بهِ ثقل الجسم . وفي سن الشيخوخة يجب ان يكون قليلاً في مقدارهِ بسيطاً في كيفيتهِ

حديث للفتيان

ملك الاتوموبيلات في انكلترا

كان صانع عجلات

وُلِد مورس الصغير صاحب الترجمة ، في بلدة «وستر» من اعمال انجلترا وما عتَّم ان انتقل بهِ والده الى بلدة اكسفورد حيث تلقى مبادىء العلوم وكان مورس الصغير شغوفاً بالميكانيكيات من صغرهِ ، فما انهى دروسه الاولية وكان عمرهُ ١٦ سنة حتى التحق بمعمل صغير للعجلات (بيسكلت) . لم تكن السيارات قد عمّمت حينئذٍ ، اما العجلات كانت تملأ البلد فما كنت تسير من بلدة صغيرة الى اخرى الاَّ وترى مئات الدكاكين الصغيرة حيث يلحم الكاوتشوك وتباع قناديل الزيت الصغيرة والمنافخ وما شاكل

وما مرّت على مورس الصغير تسعة شهور في شغله حتى قرر ان يعمل مستقلاً لا مستخدماً فيكون هو وحده المسؤول عن عمله وعن وقتهِ فلم يقف في سبيلهِ حداثة سنه ولا رأسمالهُ القليل وكان خمسة جنيهات

« العمل الشاق سر النجاح » كان شعاره ولا يزال . وقد قال في احدى خطبهِ ، «اذا وُجدت الارادة وجد كل شيء » ولم تمضِ سوى مدة قصيرة حتى وسّع محل عملهِ ، ثمَّ اخذ يصنع عجلةً تحمل اسم مورس ، وكانت متينة الصنع رخيصة الثمن ، فانتشر البيع انتشاراً لم يكن بالحسبان فشجعهُ ذلك على المضيّ في عملهِ ، فلم يعد يكتفي بالعجلة بل صنع

درّاجة تفوق اي دراجة اخرى صنعت في ذلك الحين

كانت السيارات قليلة العدد غير ان عددها اخذ يزداد في بريطانيا العظمى ابتداء من من سنة ١٩١١ وكان متوسط ازديادها ١٠٠٠٠ سيارة في السنة . على ان اصحاب معامل السيارات كانوا يبذلون جهدهم في صنع سيارات ضخمة كبيرة فاخرة ، ولم تكن قوة اصغر محرك تقل عن قوة ١٥ حصاناً حينئذٍ وكان معدل قوة المحركات الانجليزية من ٢٠ الى ٢٥ حصان . وبالطبع كان اقتناء هذه السيارة صعباً جدًّا لغلاء ثمنها وصعوبة تسييرها وكثرة نفقاتها ، فاتجهت انظار الشعب الى السيارات الاميركية وبالاخص سيارة فورد الرخيصة

هنا نظر مورس نظرة نافذة الى المستقبل ، وعرف ان للسيارة الصغيرة الحجم القوية الصنع والرخيصة الثمن مستقبلاً عظيماً في بلاد الانجليز . واخذ يعمل الفكرة للوصول الى غايته هذه . فاقدم سنة ١٩١٢ على ابتياع مصنع صغير في كولي وبدأ عمله بهدوء وسكينة ، وقد اعترف انهُ كان في بعض الاحيان يصل نهاره العملي بليله دائباً على العمل ٣٦ ساعة متواصلة . وكان في العشرين من عمره حينئذٍ وهو لم يتلقَ دروساً ميكانيكية علمية بل كان كل ما يعرفهُ قد تعلمهُ بالعمل . وفي سنة ١٩١٣ صنع اول سيارة وسماها مورس اكسفورد فجاءت جميلة المنظر قوية المحرك رخيصة الثمن ، ولتعلم متانة سياراته هذه نقول ان معظم سياراته التي صنعها ١٩١٣ — ١٩١٤ ما زالت لمتانتها تستعمل الآن

وجاءت الحرب الكبرى فنزل عدد السيارات الخصوصية في بريطانيا العظمى من ٩٢٠٠٠ الى ٥٠٠٠٠ سيارة فقط ، في اثناء هذه الفترة كانت مصانع مورس قد تحولت الى صنع ادوات ومواد يحتاج اليها الجيش البريطاني ، وبانتهاء الحرب اضطر مورس الى تجديد عمله الاول ولما لم يكن لديه المال الكافي لشراء الماكينات اللازمة لعمله اخذ يعمل الفكرة في استحضار الرأسمال الضروري ولما سئل مرة كيف دبّر امرهُ ونال الدراهم كان جوابه « على كلٍّ احمد الله »

ظهرت سيارة مورس الجديدة التي كانت يترقبها الشعب ، فكان الاقبال عليها ، وعطل ذلك على السيارات الكبيرة الغالية الثمن ، فافلس كثيرون من اصحابها ، وخلا الجو لمورس فزاد عدد ما يصنعه من السيارات ورخّص الثمن ، فازداد البيع وهكذا دواليك ، وصدق حدسهُ فبعد ان كان عدد السيارات الخصوصية سنة ١٩٢٠ — ١٢٢٠٠٠ فقط زاد سنة ١٩٢١ الى ربع مليون سيارة ،فاضطر الى توسيع مصانعه ولما كثر ما يصنعهُ من السيارات صار يشتري مقادير كبيرة من المواد الخام فكان سعرها اقلّ طبعاً ولكنهُ لم ينتهز هذه الفرصة ليضع الفرق في جيبه بل اخذ يرخص ثمن سياراته ،وعدد المبيع يزداد، وفي سنة

١٩٢٦ كان يصنع الف سيارة كل اسبوع ولما عرضت شركة وولزلي مصانعها للبيع تقدم مورس بقدم ثابتة واشتراها كلها بثمن ٧٣٠٠٠٠ جنيه وهو الآن صاحب شركات عدة « كما فورد كذلك مورس » ادفع اجوراً عالية وقلل اوقات العمل

وبالرغم من ان مورس اصبح غنياً كبيراً فهو ما زال يكدح نهاراً وليلاً مكباً على العمل ككل عامل آخر من عماله

وفي سنة ١٩٢٧ ربحت الشركة مليوناً وربع مليون من الجنيهات ورأسمالها خمسة ملايين فقط وكانت حصة مورس منها نحو مليون، رفض ان يتناول مليما واحداً منها بل ترك كل أرباحه في صندوق « المال الاحتياطي » لاستعماله في توسيع العمل واتقانه. هذا هو مورس العصامي الذي انشأ نفسهُ بنفسهِ ورأسماله الوحيد دماغ مفكر وارادة اقوى من الصلب « والعمل الشاق سرُّ النجاح » . وقد اعترف لهُ ملك الانكليز بنجاحهِ وما افاد بهِ الصناعة الانكليزية فرقاهُ الى مصاف الاشراف ومنحهُ اخيراً لقب سر من رتبة بارونت

العناية بالاطفال

فصول صحية في حديث بين طبيب ورجل وزوجته

٢

الدكتور — تقولين انك تحبين ولدك حباً جمّاً . وهذا صحيح وانك احببتهِ قبل ان تراه عيناك وتسمع صوتهُ اذناك وهذا صحيح ايضاً وان قلبك يستمد من نضارتهِ قوة ومن انفاسهِ نشاطاً . وشأنك هذا مع ولدك شأن كل والدة مع ولدها فكانك لم تقولي شيئاً جديداً . فما من والدة الا وتحب ولدها وتعطف عليهِ وهذه المحبة وان تفاوتت في مراتبها واختلفت درجاتها في بعض الوالدات فهي غريزة متأصلة فيهن جميعاً حتى في الحيوانات وسائر المخلوقات وليس من فضل لهن على هذا الحب كما ترين لانهُ اصيل فيهن ، كذلك ليس لوردة فضل على ما ابدتهُ من الحب والعطف على طفلها لان هذا الحب كان فيها وهو ذرة في عالم الاجنة ومسوقة اليهِ من غير ان يكون لها ارادة فيهِ وانما قد يكون لها فضل كبير او صغير على نسبة عنايتها بهِ وتربيتها اياه على القواعد الصحية . واذا كان ممدوح بحاجة الى عطفك فانما هو بحاجة الى من يعنى بتربيتهِ وانماء عوده والى من يدفع عنهُ عوادي الامراض والاسقام

وردة — اشكر لك يادكتور اهتمامك هذا وارجوك ان تضع لي برنامجاً اسير عليهِ في تربية ممدوح وسوف تجدني جد حريصة في تنفيذ ما ترسمهُ من نظم . وتضمهُ من قوانين

ولسوف ابرهن لك ولعزيزي كريم اني جديرة بثقتكما جميعاً

كريم — واني اشكر لك ياصديقي هذه المساعدة الثمينة التي تفضلت بها علينا وسوف اكون لعزيزي اكبر معضد في تحقيق ارشاداتكم . وكان الدكتور قد قطع الحبل السري وربطهُ جيداً واشار بتحضير المغطس وكانت الغرفة مقفلة النوافذ وحرارتها معتدلة وثياب الطفل مهيأة وقبل ان تأتي الخادم بالمغطس قالت وردة ، أليس من خوف يادكتور على صحة حبيبي من تغطيس جسمهِ في الماء ، فاني سمعت خالتي جميانة تقول اوعا تبلي جسمهُ بالماء وانها ربت اولادها من غير حمام وصحتهم مع اولادهم على غاية ما ينبغي ان تكون وهي تنصحني ان اتبع خطتها في تربية ممدوح وامشي على اثرها في تغذيتهِ في جميع ادوار طفولتهِ

الدكتور — وكأنهُ كان منتظراً من وردة مثل هذه الملاحظة على رغم ما اظهرتهُ من استعداد للعمل باقواله واما كريم فكأنهُ قد صدم في صخرة ايمانهِ وطعن في صميم آمله وهم ان يظهر دهشتهُ لملاحظة ام ولده فسبقه الدكتور بقوله وهل تظنين ان خالتك جميانه على صواب في تربية اولادها لدرجة ادخلت الى نفسك الشك في طريقة علمية صحيحة الاساس وبعيدة عن الاوهام يلقيها عليك طبيب صديق لزوجك وقد اختبر صحتها في تربية اولاده واولاد من له من معارف واصدقاء

وردة — وكأنها شعرت بخطأها — ارجو ان تعذرني يا دكتور على صراحتي وتسرعي في نقض ما وعدت بهِ من الاخذ بنصائحك والعمل بارشاداتك ولا ادري حقيقة كيف تأثرت من قول خالتي الى هذا الحد

فقال كريم ارجو ان لا تلوم وردة على ما ابدتهُ من شك في صواب الطريقة التي تريد ان تتبعها في تربية ولدنا وارجو ان يكون ما بدا منها في البداية آخر ما يبدو من نوعهِ حتى النهاية . وكانت الخادمة قد احضرت المغطس وفيه الماء الساخن ، ودخلت الغرفة امرأة في السادسة من عمرها وتقدمت الى الطفل وقالت ها انا يا دكتور اقوم بهذه المهمة ثم اخذت الطفل على يدها وشرعت تدلّ حرارة الماء وهي جالسة بالقرب من المغطس فقال لها الدكتور ان تضع في الماء قليلاً من ملح الطعام واشار عليها ان تغسل الرأس والوجه قبل ان تغمر الجسم في الماء وان تحمل الخادم الطفل على يديها وهي تتولى غسله ، وبعد ما فرغت من غسل الرأس والوجه غسلت الجسم وهو في الماء على يدي الخادم وقبل ان ترفعهُ من الماء صبت على الرأس ماء ساخناً كان معداً في كوز وبسرعة اخذت الطفل من الخادم واحتضنتهُ بشكير كبير ناعم . وبعد ان البستهُ ثيابهُ تقدم الدكتور

ووضع في عيني الطفل ثلاث نقط من محلول البروتوركول . ثم عقم الحبل السري بمحلول حمض البوريك ووضع عليهِ مسحوق البوريك وقطعة من الشاش المعقم والقطن وربطهُ برباط ناعم وبعد ذلك وضعتهُ السيدة في جانب والدتهِ وقالت لوردة ارجو ان يكون من حظه الحياة عظيماً فردت عليها وردة بقولها اني شاكرة لك جميلك هذا ما حييت ارجو الله ان يحفظ لنا ممدوحاً وان يتولى هو مكافئتك وتقدم منها كريم وشكرها ايضاً ثم التفتت الى وردة وقالت لها اني لم اسمح ولا والدك سمح بغسيل جسمك وانت طفلة مثل ما غسلت ممدوح الآن ولا اذكر اني بللت جسمك بالماء قبل بلوغك الخمس سنوات ، ولكني مطمئنة البال على ممدوح وان كان ما فعلناه لهُ جديداً فكوني على ثقة من نصائح الدكتور وارشاداتهِ فهي لا شك افضل من نصائحي او نصائح خالتك فاتبعيها وان ظهرت لك غريبة ولا تخافي من عواقبها فهي ترمي الى ما يعود على ممدوح بالصحة وعليك بالهناء. ولم يسع الدكتور الا ان اظهر استحسانهُ للسيدة دميانة على ما ابدتهُ من المساعدة والتأييد في تنفيذ الآراء العلمية الممحصة في تربية الاولاد والعناية بهم والتغلب على الاوهام والعادات القديمة التي لا تزال محتكمة في نفوس عدد غير قليل من امهات اليوم

ثم تقدم كريم من الدكتور وسألهُ هل نحمم ممدوح غداً وفي مثل هذا الوقت

الدكتور — لا يجوز ذلك قبل ان يلتئم جرح السرة وتسقط الرباطة عنه وعادة لا تسقط هذه قبل مضي بضعة ايام ، ولكن في خلال هذه الايام يغسل وجههُ واطرافهُ

وردة — ومتى ارضعهُ انهُ كثير البكاء الا تراهُ كذلك

الدكتور — اعطيهِ الثدي كل اربع ساعات لمدة اربع وعشرين ساعة سواء اكان في الثدي لبن او لم يكن واعطيهِ قليلا من الماء كل ساعتين

وردة — اعطيهِ ماء صرفاً من اليوم

الدكتور — نعم اعطيهِ ماء صرفاً من اليوم ولا تخافي لا من الماء ولا من خالتك وبعد مضي اربع وعشرين ساعة قد يجود الثدي عليهِ بالغذاء الصالح لهُ ولا اصلح لهُ منهُ واذ ذاك تصبح مواعيد رضاعتهِ مرة كل ساعتين واما الماء فمرة كل اربع ساعات

دميانة — وعند ما تسقط رباطة السرة احممهُ ثانية مثل ما حممتهُ اليوم او بلاش حمام

الدكتور — ان فائدة الحموم للطفل ثابتة لا تحتاج الى برهان ومن الضروري ان يغسل جسمهُ مرة في اليوم وان لا يكون قبل مضي ساعة على رضاعتهِ ولا يلزم ان تضعي ملحاً في الماء كما فعلت اليوم وان تكون حرارة الماء ١٠٠ بميزان فارنهيت لخمسة اسابيع و٩٨ لستة اشهر و ٩٥ للسنة الاولى و ٨٥ الى ٩٠ في السنة الثانية

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم تدرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) الترجمة والتأليف

مصر . ايهما انفع لنهضتنا الحالية الترجمة ام التأليف

ج . كلاهما نافع بل هما في نظرنا لازمان ولكن يجب تعيين منطقة لكل منهما . ففي اي المباحث يجب ان تقدَّم الترجمة على التأليف وفي ايها يجب تقديم التأليف على الترجمة

من الواضح ان منطقة العلوم على اختلافها هي المنطقة التي يجب ان ترجح فيها كفة الترجمة على كفة التأليف لان ابناء الغرب قد سبقونا مراحل عديدة في استنباط وسائل البحث وادواته فكشفوا عن حقائق كثيرة في علوم الحياة والهيئة والكيمياء والطبيعة وما اليها. فاذا حملنا غرورنا على ان نحاول الاستغناء عنها حتى نبلغ مبلغهم من التعمق في البحث والابداع في الاكتشاف قضي علينا ان نبقى ذيلاً في موكب العلم والعمران . فالامر الذي يقضي به العقل والمصلحة ان نأخذ منهم ما كشفوا عنهُ من الحقائق والقواعد والنواميس وان نتعلم اساليبهم في البحث ونحاول مجاراتهم وخصوصاً في المباحث التي تتصل بحياتنا اتصالاً وثيقاً كالامراض الاستوائية وفنون الري والزراعة وما اليها

اما المنطقة التي يجب ان يغلب فيها التأليف على الترجمة فهي منطقة الادب والتاريخ .لان ادب كل امة انما هو تاريخها النفسي ، هو صورة حية لحياتها الحقيقية ، هو تعبير عما يجول في صدور ابنائها وبناتها من الآمال والرغبات. وهذه الصور الحية سواء كانت اشعاراً او روايات او رسائل في النقد لا نستطيع ان نستوردها من انكلترا او فرنسا او ايطاليا كما نستورد الملابس .لان كتاب كلٍ من هذه البلدان انما يكتبون ما يتفق مع عادات امتهم وتقاليدها واحوال المعيشة فيها. ولكن هذا يجب ان لا يصرفنا عن نقل آياتهم في الادب

لنستفيد مما تعيه من صورة صادقة للحياة ومقاييس عالية للفن. وما يصح على الادب يصح على التاريخ العام بوجه عام والتاريخ القومي بنوع خاص. وفي كل الاحوال يجب ان نأخذ عن الاوربيين اساليبهم في البحث ونطبقها على مصادر التاريخ الفنية المطمورة في ارضنا او المطوية في خزائننا

(٢) آثار الحضارة

اولفيرا برازيل. ما هي الآثار التي تخلفها حضارتنا واي عمل يقوى على عوامل الطبيعة بعد كرور قرون يضاهي آثار الفراعنة والبابليين

ج. اشهر الآثار التي خلفتها حضارات العصور القديمة مبان كالاهرام او معابد كهيكل اور الكلدانيين ومعبد الكرنك بالاقصر وهياكل الاكروبليس باثينا او قنوات الماء التي اشتهر الرومان ببنائها. فاذا اردتم من آثار الحضارة الحالية ما يقابلها وجدتم في ناطحات السحاب والسدود العظيمة في مصر والسودان والولايات المتحدة الاميركية والمتاحف الشهيرة في عواصم البلدان المختلفة والتماثيل المنصوبة في الساحات العامة او المحفوظة في دور المتاحف ما يستطيع ان يقاوي انياب الدهر. فان المباني الحديثة التي بنيت في طوكيو عاصمة اليابان على نمط ناطحات السحاب اي بُني هيكلها من عوارض الصلب ومُلئ الفراغ بالسمنت المسلح قاومت فعل الزلازل المدمرة التي تنتاب تلك البلاد ولم تهدم كما تهدم غيرها

واذا اردتم بالآثار غير الآثار الهندسية فالطباعة والصحافة والتصوير الشمسي والصور المتحركة والفونوغراف والمتاحف وسائل لتخليد كل آثار التقدم العقلي الذي اصبناهُ في القرنين الاخيرين وهذه الآثار لشيوعها بين امم الارض لن تندثر لانها اذا احترقت الدور التي تحفظ فيها في بلدٍ من البلدان او دمرت فلا يحتمل ان تدمر او تحترق كل دور الكتب والصور والآثار في انحاء الارض

(٣) تقوية الذاكرة

لبنان. هل هناك من وسيلة فعَّالة لتقوية الذاكرة تبدونها لنا ولكم الشكر

ج. اقرأ كتاباً يلذُّك موضوعهُ وانعم نظرك فيما تقرأ. وكلما اتممتَ قراءة صفحة منهُ اغلق الكتاب وجرّب ان تفكر في ما قرأت. جرّب ان تتذكر الآراء التي قرأتها وان تصوغ تلك الآراء بعبارتك كانك تفسرها لصديق لك. فاذا واظبت على القيام بهذين الامرين اي القراءة بامعان وتذكُّر ما قرأت قويت ذاكرتك عما تخزنهُ فيها من الافكار والحقائق التي تطالعها لانها ترسخ بالتكرار وباشتراك اكثر من حاسة واحدة في حفظها. وبعدئذٍ يسهل عليكم ان تتذكروا كل ما يتعلق بها او يماثلها بقوة تماثل الافكار وتداعيها

ومن اضرّ الامور بالذاكرة القراءة السطحية فيمرّ القارئ على صفحات عديدة دون ان يستوعب فكراً واحداً . ومن هذا القبيل مطالعة الصحف اليومية بالمرور على عناوين مقالاتها وتلغرافاتها كأنّ القارئ استوعب معانيها وهو لم يستوعب معنى واحداً منها

(٤) ارقى المجلات الفرنسية العلمية

ومنهُ . ما هي في نظركم ارقى المجلات الفرنسية التي تماثل المقتطف في نمطها وشكلها ومباحثها المتنوعة وما هو عنوانها كاملاً

لعلّ مجلتي Je Sait Tout و La Science et la Vie اقرب المجلات الفرنسية الى المقتطف في مباحثها. امامنا جزء من الاولى قلّبنا صفحاته فاذا هو يحتوي على المباحث التالية. هل باريس معرّضة للهجوم الجوي. هل تأتينا الصحة من الكواكب . هل يجب ان يكون ستار السنما اهليلجيًّا. الشموس الصناعية . اتصال البحر الشمالي بالبحر الاسود بطريق مائي. الفرنسيون في الخارج وتوسيع التجارة الفرنسية. آن الاوان لتصبح كلنا لاسلكيين. وعنوانها Librairie Hachette 79 Boulevard Saint Germain Paris

وامامنا كذلك عدد من الثانية فاذا هو يحتوي على المباحث التالية : هل الارتقاء العلمي محدود . لا غناء عن الطيارة في الاساطيل الحديثة . المحرك الكهربائي . هل يكون شارع المستقبل معدنيًّا . هل تبنى في نيكارغواى قنال كقنال باناما . اسرار البراكين وافعالها . التصوير في خدمة الصحافة . رحلة غراف زبلين وهلمَّ جرًّا. وعنوانها 13 Rue d'Enghien Paris

وتختلف المجلتان في ان اسلوب الاولى اقرب الى متناول العامة من الثانية وكلٌّ منهما تحتوي على صور كثيرة

(٥) افانجلينا قصيدة لونغفلو

ومنهُ . هل لكم علم ان قصيدة الشاعر الاميركي الشهير لونغفلو تحت عنوان « افانجلينا او نفي الاكاديين » مترجمة الى اللغة العربية او الى اللغة الفرنسية

ج . لم يتصل بنا انها ترجمت الى العربية ونرجح انها لو ترجمت لكنا اطلعنا على نسخة منها . ولدى البحث في المصادر التي بين ايدينا لم نوفق الى معرفة الجواب عن الشق الثاني من سؤالكم . ولعلكم اذا كتبتم الى الاستاذ سمث استاذ الادب الانكليزي في جامعة بيروت الاميركية هداكم الى ضالتكم

(٦) ارجح الصناعات

اوهايو اميركا . ما هي ارجح الصناعات لمن معهُ رأس مال قليل مثل مائتي جنيه

ج . لا يفلح المرء في صناعة ما لم يكن لهُ ميل اليها . فالصناعة التي يميل اليها ويدأب عليها يفلح فيها سواء كان معهُ

ماتتا جنيه او لم يكن كما ترون من مراجعة سير رجال المال والاعمال التي نشرناها تباعاً في اجزاء المقتطف السابقة. ولذلك يتعذر تحديد الصناعة المطلوبة ما لم يعرف ميل طالبها ولا بد كذلك من ان تعرف الصناعات الرائجة في البلاد التي يقطنها طالب الصناعة

(٧) رجحان الدين على العلم

اللاذقية . ان وسائط العلم اكثر من وسائط الدين في ما نرى ولكن لا تزال كفة الدين ارجح من كفة العلم فما سبب ذلك وايهما انفع للهيئة الاجتماعية في الحال والاستقبال

ج . اذا اردتم بالدين معناهُ المجرَّد الذي تشترك فيهِ جميع اديان البشر وهو علاقة الانسان بخالقهِ او بالقوة التي خلقت هذا الكون فهذا الدين تبقى كفتهُ راجحة ولو قوي العلم وتعزَّز واذا اردتم بالدين ما تفترق بهِ الاديان بعضها عن بعض اي ما يميز اليهودية عن المسيحية والمسيحية عن البوذية والبوذية عن الاسلام وما يفرق بين مذاهب الدين الواحد من العقائد والرسوم وما اشبه فهذا كفتهُ راجحة عند العامة وعند غير المتعلمين من الخاصة واما المتعلمون فكفتهُ مرجوحة عندهم غالباً لانهم لا يرون من الادلة ما يكفي لتأييده . والدين بمعناه الاول لازم للهيئة الاجتماعية ولفهم حقيقة الوجود وهو نوع من العلم او من الفلسفة. اما النفع فاذا اريد بهِ حفظ الصحة ودفع المرض وتسهيل الانتقال ومقاومة الحرّ والبرد والالم وما اشبه من المنافع المادية فالعلوم (اي العلوم الطبيعية) انفع واذا اريد بهِ راحة البال وانتظار حياة هنيئة بعد الموت فالدين انفع

(٨) تغلب القوي على الضعيف

بارا برازيل . لماذا نلوم القوي الذي يأكل الضعيف مع ان الخالق قد وضع في الطبيعة ناموس تنازع البقاء وبقاء الانسب

ج . اننا لا نلوم الاسد الذي يأكل الخروف كما لا نلوم الخروف الذي يأكل العشب لان حياة الخرفان متوقفة على اكلها الاعشاب ونحوها وحياة الاسود متوقفة على اكلها الخرفان ونحوها . ولكننا نلوم الانسان اذا اكل اخاهُ او اهتضم حق اخيهِ لان حياتهُ غير متوقفة على اكلهِ اخيهِ واهتضام حقوقهِ بل هو لو راعى حقوق اخيهِ لراعى اخوهُ حقوقهُ ايضاً وتعاونا كلاهما على المعيشة . ففي اهتضامهِ حقوق اخيهِ يضرُّ اخاهُ ويضرُّ نفسهُ . ومثل ذلك الحيوانات التي تعيش بالتعاون كالنمل فان نمل القرية الواحدة يعاون بعضهُ بعضاً على المعيشة فيفلح ولكنهُ اذا تخاذل وتخاصم افنى بعضهُ بعضاً فيكون قد فعل ما يضرهُ ويلام عليهِ



مكافحة الامراض بالاصباغ

يعلم قرّاء المقتطف ان الاصباغ الصناعية على الوانها الكثيرة الزاهية تستخرج كلها من قطران الفحم الحجري الاسود وذلك من عجائب الصناعة. ويعلمون ايضاً ان هذه الاصباغ من اقوى مضادات الفساد وقد استعملت في الحرب الكبرى لمعالجة الجروح فلما وضعت الحرب اوزارها اخذ العلماء ما عُرف في الحرب عن هذه الاصباغ وتوسعوا في درسها للوقوف على ما لها من الشأن في مكافحة الامراض فوفق احدهم وهو من الذين يبحثون في طبائع المكروبات بالمكرسكوب الى الكشف عن حقيقة جديدة في الطب وهي ان اصباغ الانيلين التي تستعمل لصبغ المكروبات تفعل بالمكروبات فتوقفها عن الحركة اولاً ثم عن التناسل ثم عن تغذية نفسها ويتلو ذلك موتها . وجرى بعض الباحثين في اثره مغيّرين انواع المكروبات وانواع الاصباغ فخطر لهم ان الاصباغ تميت المكروبات خارج الجسم فلماذا لا تميتها داخله . وقد اثبتوا فعلا ان بعضاً من الاصباغ الصناعية المشهورة تميت انواعاً مختلفة من مكروبات الستربتوكوكس او توقفها عن النمو

وقد قرأنا الآن في مجلة العلم العام الاميركية ان علماء الكيمياء والطب في جامعة ستانفورد الاميركية يجربون التجارب الآن بحقن انواع مختلفة من الاصباغ في الارانب وخنازير الهند والحمام ليعرفوا فعلها في معالجة الدفتيريا والتسمم البتوميني ولدغ الافاعي وغيرها من الامراض والسموم . ومن تجاربهم انهم اعطوا ارنباً مقداراً من الستركنين كافياً لان يقتل ثوراً ثم حقنوهُ في اوردته بمقدار من الصبغ المعروف « باحمر الكنغو » فمنعوا فعل الستركنين . وحقنت حمائم كثيرة بسم الكوبرا الزعاف وطائفة من خنازير الهند بمكروبات الدفتيريا ثم عولجت بانواع مختلفة من الاصباغ الصناعية فوقيت شرّ هذه السموم . ويظهر ان « احمر الكنغو » هو افعل الاصباغ التي امتحنت حتى الآن

البريليوم : معدن عجيب

البريليوم عنصر من العناصر المعدنية كالحديد والنحاس والالومنيوم والرصاص . وهو اخف من الالومنيوم بنحو ثلاثين

في المائة ولهُ خواص الصلب من متانة وقساوة. ولكن لم يشع استعمالهُ حتى الآن مع مرور اكثر من قرن على اكتشافهِ لان استخراجهُ من تبرهِ على وجه تجاري بقي متعذراً الى عهد قريب

والفخر في اكتشافه يعود الى فوكلان الباحث الفرنسي وذلك سنة ١٧٩٧ ومن ثمَّ اخذ العلماء يحاولون استفرادهُ من تبرهِ فعجزوا عن ذلك حتى جاء وهلر الكيماوي الالماني المشهور سنة ١٨٢٨ وبعد مشقة عظيمة حصل على مقدار قليل منهُ ليستعملهُ في تجاربهِ الكيماوية . وبقي الامر كذلك حتى جاء المستر هيو كوبر احد مهندسي التعدين بكليفلند فاستنبط طريقة لاستخراجهِ من تبرهِ بغير نفقةٍ كبيرة وقد اخذ يعدُّ المعدات مع الممولين الذين يعضدونهُ لبناء المعامل اللازمة لذلك

يظن البعض ان البريليوم من المعادن النادرة وهذا خطأ لان مباحث المهندسين في الولايات المتحدة الاميركية دلت على وفرة وجودهِ في ١٥ ولاية منها ويغلب ان تكون مركباتهُ ممتزجة بمركبات الالومنيوم والسلكون. واما ندرة وجودهِ فسببها يرجع الى تعذُّر استخراجهِ نقيًّا من تبرهِ فاذا صحَّ ما قيل عن طريقة كوبر الاميركي وصار ثمنهُ رخيصاً استعمل حالاً في محركات الطيارات لانهُ يجمع الى خفة الوزن الصلابة والمتانة . ثم اذا رخص بعد ذلك فقد يستعمل في صنع محركات السيارات ثم لا يلبث ارباب الصناعات ان يستنبطوا لهُ الف وجهٍ ووجهاً ليستعملونهُ فيها . فهو من هذا القبيل شبيهٌ بالالومنيوم

البريليوم والالومنيوم

اذ لا يخفى على قرّاء المقتطف وخصوصاً من قرأ منهم بسائط علم الكيمياء وما اليها من المقالات في الكيمياء الصناعية ان عنصر الالومنيوم اكتشف سنة ١٧٠٠ ولكن استفرادهُ نقيًّا من مركباته ظلّ متعذراً حتى جاء وهلر سنة ١٨٢٨ واستفرد مقداراً قليلاً منهُ لتجاربهِ. وجاء بعدهُ من عدَّل طريقتهُ ولكن بقي سعر الرطل من الالومنيوم نحو ٢٣ جنيهاً الى اواسط القرن الماضي وفي سنة ١٨٥٤ استنبط عالم يدعى دفيل طريقة لاستفرادهِ رخصت ثمنهُ فصار ثمن الرطل نحو ١٤٠ قرشاً ثم جاء هول الاميركي واستنبط الطريقة الكهربائية المستعملة الآن فهبط سعر الرطل الى بضعة غروش وينتظر ان يكون تاريخ البريليوم مماثلاً لتاريخ الالومنيوم

خواص البريليوم

والبريليوم معدن رماديّ اللون يكاد يكون رصاصيًّا يمكن صقلهُ كالفولاذ حتى يتعذر على غير العارف لاول وهلة ان يفرق بين قطعتين مصقولتين من البريليوم والفولاذ. فاذا حملت القطعتين في يدك ادركت الفرق حالاً لان الفولاذ ثقيل الوزن والبريليوم اخف من الالومنيوم وهذا اخف من الفولاذ كثيراً. وهو معدن صلب لا يمكن خدشهُ بمبرد من الصلب ولما كان الكيماويون قد وجدوا علاقة مطردة بين الصلابة والمتانة فالمرجح ان يكون هذا المعدن متيناً كالصلب. ولكنهُ في حالتهِ النقية قصمٌ ولذلك يجب مزجهُ بمعادن اخرى كالالومنيوم او النحاس او الحديد. ولكن موضوع الاخلاط المعدنية التي يمكن صنعها منهُ لم يستوف بعدُ لحداثة عهد العلماء بمقادير وافرة منهُ

انباء الطيران

اضخم الطيارات

تبنى الآن في المانيا على بحيرة كونستانس طيارة من طراز دورنيه فيها متسع لثمانين مسافراً. ويكون وزنها متى تمَّ بناؤها نحو خمسين طنًّا وتجهز باثني عشر محركاً يستعمل منها ستة محركات او ثمانية في اثناء الطيران وتبني شركة يونكرز الالمانية طيارة فيها متسع لخمسين راكباً وقد نحت نحواً جديداً في بناء غرف الركاب اذ وضعتها بين طبقتي الجناحين الكثيفين. وقد بُنيت في اميركا طيارة فيها متسع لاثنين وثلاثين مسافراً والمسافة بين طرفي جناحيها ١٠٠ قدم وقد بلغت نفقات بنائها ٣٠ الف جنيه

البقاء في الجو

ذكرنا في مقتطف فبراير الماضي ان طيارة اميركية تدعى «علامة الاستفهام» تمكنت من البقاء محلقة في الجوّ نحو اسبوع وانها كانت تستمدُّ البنزين بانبوب من

طيارة تحلّق فوقها . وقد نشط الانكليز مؤخراً لبناء طيارة من ذوات السطح الواحد من طراز فايري القصد منها ان تبقى في الجوّ اطول مدة ممكنة من غير ان تملأ احواضها بنزيناً كما فعلت الطيارة الاميركية. ثم تطير الى مدينة الكاب ومنها تحاول ان تعود الى لندن من غير ان تحط على الارض والمسافة بينهما نحو ثمانية آلاف ميل

وقد بنيت احواض هذه الطيارة حتى تسع الف جالون من البنزين تكفيها للبقاء في الجوّ ثلاثة ايام بلياليها وفيها جهاز خاص ينبهُ السائق من تلقاء نفسهِ اذا حادت الطيارة عن اتجاهها

الطيران حول الارض

وقد اقترح بعض الاميركيين ان يحاول نفر من طياريهم الطيران حول الارض من غير نزول الى الارض على ان تملا احواض الطيارة التي تحاول ذلك بنزيناً في اماكن معينة كما ملئت احواض «علامة الاستفهام» فاذا حقق هذا الاقتراح طارت الطيارة من باريس الى الهند فالصين فسيبيريا فالاسكا فكندا فالولايات المتحدة

فتاة طيارة بارعة

حلقت المس الينور سمث وهي فتاة اميركية في السابعة عشرة من عمرها بطيارتها فوق نيويورك وبقيت في الجوّ ١٣ ساعة و١٦ دقيقة و٤٥ ثانية فنالت بذلك قصب السبق على كل السيدات في مدة البقاء في الجو . ولكن المس اڤلين تروت من بنات كاليفورنيا طارت بعدها بايام فتفوقت عليها اذ بقيت في الجوّ ١٧ ساعة و٥ دقائق و٣٧ ثانية . ولكن المس سمث لم تقنط من الفوز ثانية وهي تعد العدة لذلك

بدأت تتعلم الطيران وهي في الرابعة عشرة من عمرها ولكن لم تعط رخصة للطيران حتى بلغت السادسة عشرة من عمرها . وقد ارتفعت في الصيف الماضي الى علو ١١٦٦٣ قدماً وهي تفعل كلّ ذلك بطيارتها الخاصة ومن غير ان يصحبها فيها احد

اصوات العظماء

عنيت ادارة المتحف البريطاني بصنع قوالب فونغرافية من النحاس كل قالب منها يحتوي على خطبة او اغنية او حديث لاحد عظماء العصر تخليداً لاصواتهم . ومن هذه القوالب النحاسية يستطاع صنع قوالب عادية . وقد خلّد كذلك صوت الملك جورج في خطبة خطبها عند افتتاح معرض ومبلي وصوت البرنس اوف ويلس في خطبة لهُ موضوعها « الروح الرياضية » ومن الذين خلّدت اصواتهم الملكة ماري واللورد بلفور والمستر ونستن تشرشل والمستر لويد جورج ولورد اكسفرد واسكويث والسر ارنست شكلتُن الرائد والسنيور كاروزو ومدام تترازيني وديم ملبا والمسيو شاليايين وهؤلاء الاربعة اشهر مغني العالم .

على انثانم ز بين اسماء الذين حفظت اصواتهم كذلك اسم عالم من العلماء ولعلّ ذلك ناجم عن ان اظهر صفات العلماء ليست في اصواتهم كرجال السياسة والمغنين !

آلة فوتوغرافية عجيبة

استنبط احد الشبان اليابانين — بارون شيبا — آلة فتوغرافية سريعة يستطيع ان يصور بها عشرين الف صورة في ثانية واحدة ثم اذا عرض بعد ذلك هذه الصور على ستار الصور المتحركة بالسرعة العادية استغرق عرضها ثلث ساعة

تصوّر الصور للسنما بسرعة ١٦ صورة في الثانية عادة ثم تعرض بهذهِ السرعة فترى حركة الاجسام طبيعية . ولكن اذا صوّرنا حصاناً يعدو بسرعة ٢٠٠ صورة في الثانية ثم عرضت صورهُ بسرعة ١٦ صورة في الثانية رأينا حركة الحصان بطيئة جدًّا كان الحصان يسبح في الفضاء . وغاية المستنبط الياباني تصوير الطيور في اثناء طيرانها ثم عرض هذه الصور ١٦ صورة في الثانية حتى ترى حركتها بطيئة لعلّ صانعي الطيارات يستطيعون ان يستفيدوا من ذلك في بناء طيارات تشبهُ الطيور كالسابحات في الهواء . فالطيور تستعين بحركة مجاري الهواء في الصعود والهبوط وعيونها حادّة البصر تستطيع ان ترى بها هذه المجاري الهوائية وتستفيد منها ولكن عين الانسان لا تستطيع ان ترى ذلك . فالانسان لن يستطيع ان يجاري الطير في طيرانهِ الا متى صار قادراً ان يرى مثلهُ هذه المجاري ولعلَّ هذه الآلة الفتوغرافية تمكنهُ من ذلك في المستقبل

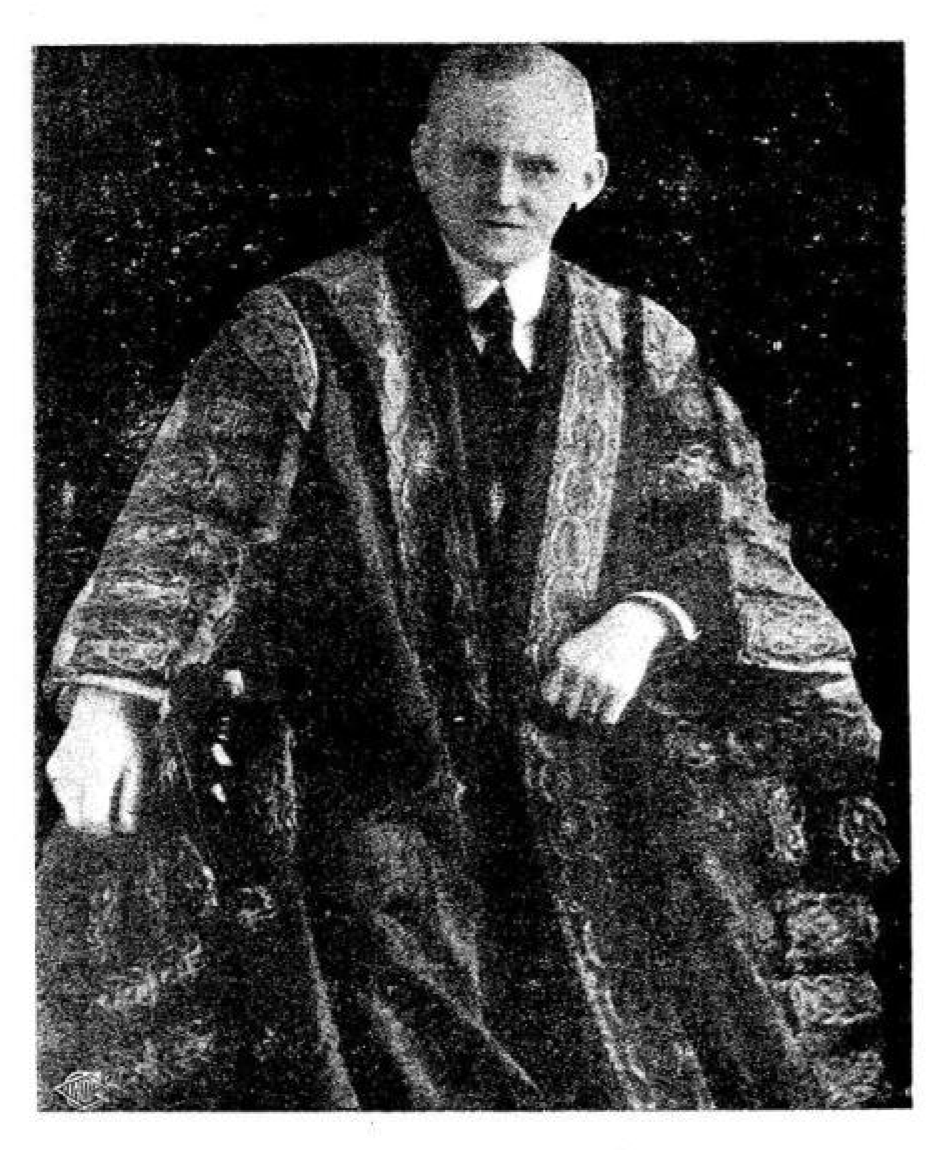
نظام الكون وعظمته

نشرنا في مقتطف مارس الماضي صفحة ٣٥٦ نبذة علمية موضوعها « نظام الكون وعظمتهُ » وقع خطأ في سطرها الثاني صوابهُ مائتا سنة نورية بدلاً من « ١٥٠٠ مليون » وفي سطرها العاشر باسقاط « او لطخاً سحابيــة » قبل « كما في » فاقتضى التنبيه

ولكن يظهر لنا ان الرقم المذكور المنقول عن « العلم العام » اي مائتا سنة نورية هو خطأ كذلك فقد جاء في مقال للاستاذ جرداق استاذ الرياضيات العالية في جامعة بيروت الاميركية ان شابلي اثبت ان قطر المجرة ٣٠٠ الف سنة نورية وسمكها ٤٠٠ سنة نورية وسنشبع هـذا الموضوع بحثاً في عددٍ تالٍ

إصلاح خطأ

جاء خطأ في السطر ٢٣ من الصفحة ٤٤١ من هذا الجزء هو مخطىءٌ في تخطئتي استنتج الخ والصواب في تصويب استنتج الخ



المستر فيليب سنودن

وزير مالية بريطانيا في وزارة العمال ومن أشهر الكتّاب الاقتصاديين المعاصرين
وهو هنا مرتدٍ ملابس وزير المالية الرسمية

مقتطف ابريل ١٩٢٩

امام الصفحة ٣٢٣



صورة مبنية على الخيال تمثل قيام الطيارة المبنية على مبدأ الصاروخة

مقتطف أبريل ١٩٢٩

أمام الصفحة ٣٨١



الاستاذ محمد كرد علي

وزير المعارف السورية ورئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

وقد خص حضرته المقتطف ببعض فصول من كتابه خطط الشام الجزء السادس

مقتطف ابريل ١٩٢٩

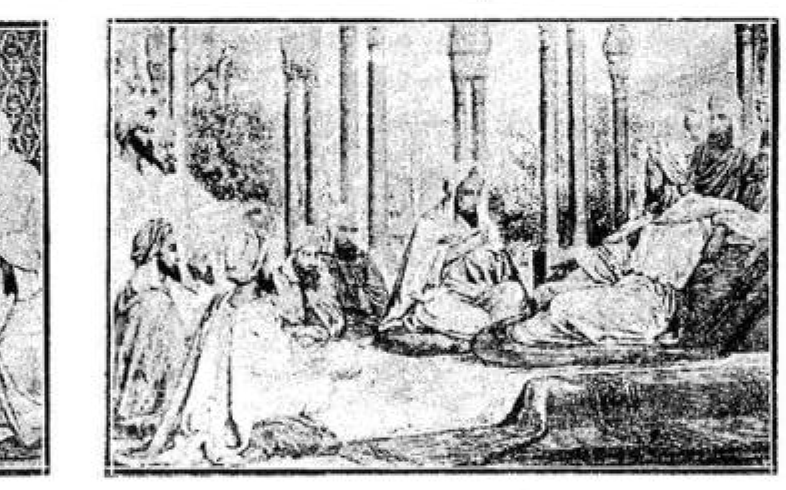
امام الصفحة ٣٨٥



ابو القاسم في مستشفى قرطبة

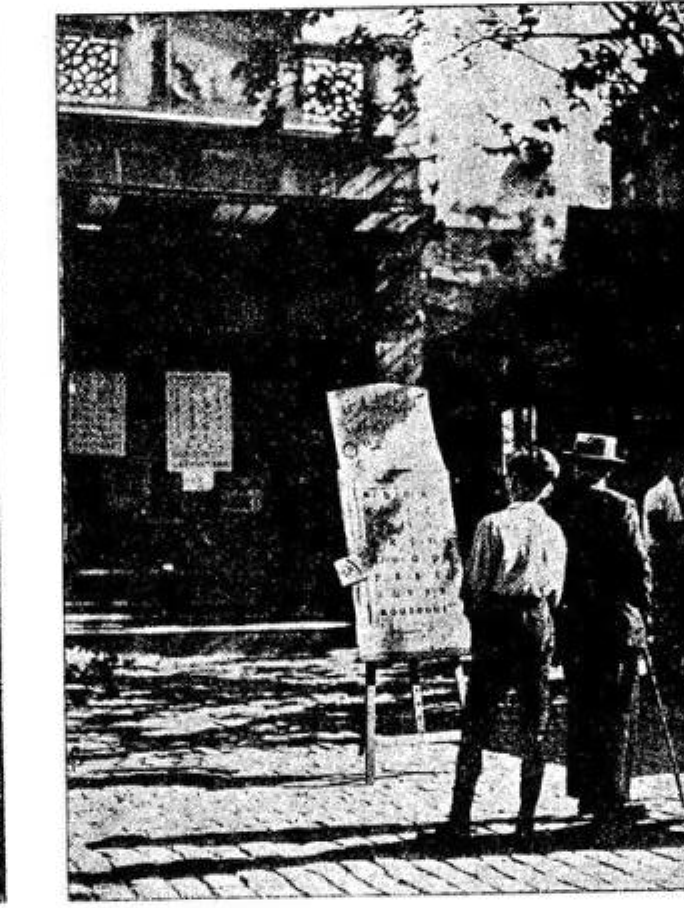


الرازي في معمله



هارون الرشيد يستقبل اطباء بغداد

جابر بن حيان يلقي درساً في الكيمياء



امام ادارة البريد لوحة عليها الحروف الهجائية اللاتينية



صاحب حانوت يتعلم الحروف الجديدة في ساعات فراغه
مقتطف ابريل ١٩٢٩



هذا الرجل الشيخ صناعتهُ صنع الاختام وعليهِ ان يتعلم الحروف الجديدة ليمارس صناعتهُ بها

صاحب حانوت حلاّق يغيّر الاسم على زجاج بابهِ

مقتطف ابريل ١٩٢٩

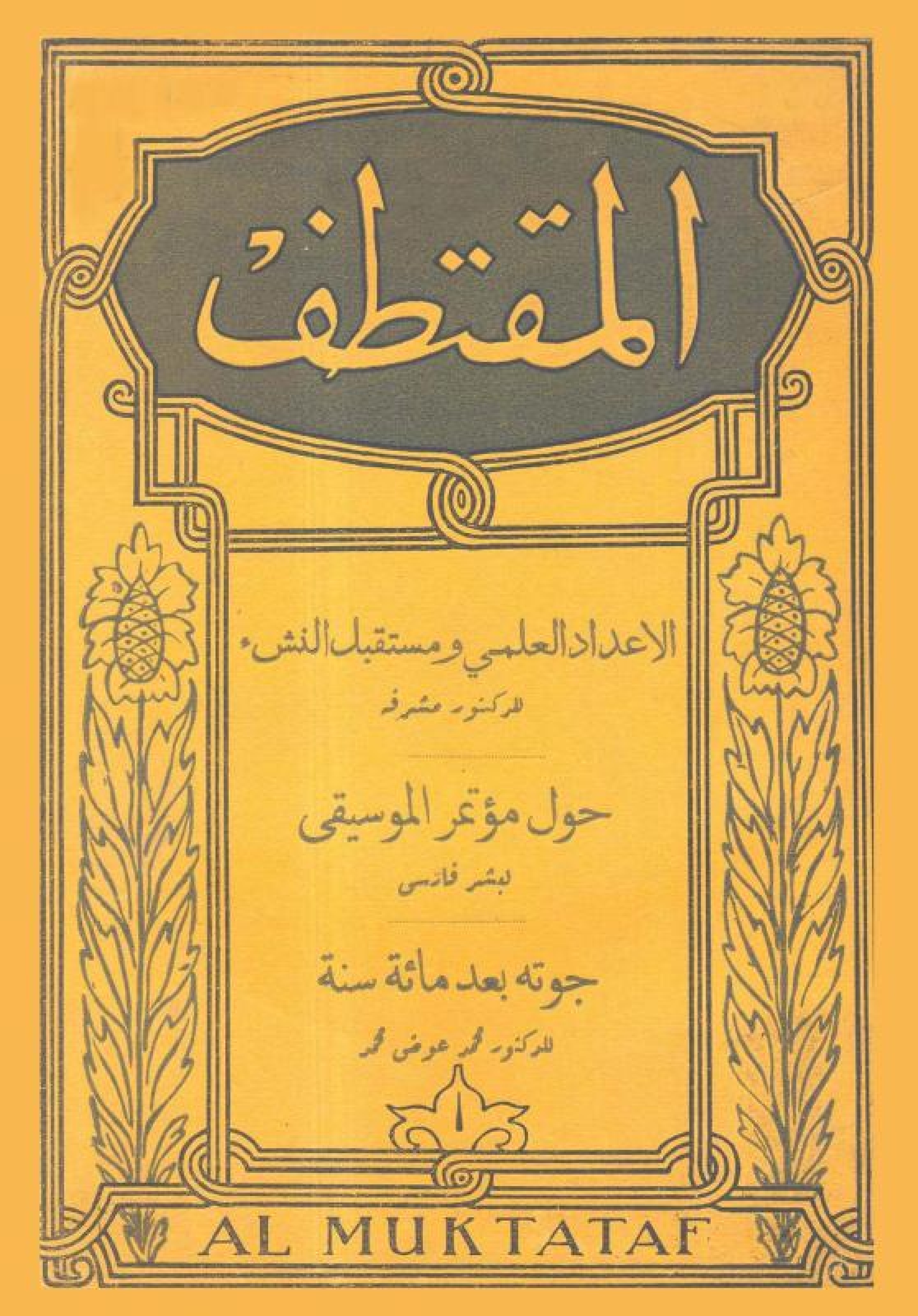
امام الصفحة ٤١٣



السر وليم موريس
صاحب سيارات موريس كولي وموريس اكسفرد المشهورة
وقد رقي الى مصاف الاشراف بعد ما كان صانع عجلات

الجزء الرابع من المجلد الرابع والسبعين

صفحة



المقتطف
الاعداد العلمي ومستقبل النشء
للدكتور . مشرفه
حول مؤتمر الموسيقى
لبشر فارس
جوته بعد مائة سنة
للدكتور . محمد عوض محمد
AL MUKTATAF



المارشال فرديناند فوش

(١٨٥١ — ١٩٢٩)

القائد الذي سار بجيوش الحلفاء الى النصر في الحرب الكبرى

مقتطف مايو ١٩٢٩

امام الصفحة الاولى



كلمات للدكتور صروف

بنك ومصرف

ان كلمة بنك صقلتها الالسنة منذ اكثر من خمسين سنة وهي تقع الآن امام كل احد في مصر والشام والعراق كل يوم ولا نبالغ اذا قلنا انها صارت في شيوعها لا تقل انتشاراً عن كلمة خبز وكلمة ماء. فالبنك الاهلي نشر في الاقطار العربية ملايين كثيرة من اوراقه المالية (بنك نوت) وعلى كل ورقة منها كلمة « البنك » بحروف عربية وافرنجية واضحة في ثلاثة اماكن او اربعة. والبنوك منتشرة في القاهرة والاسكندرية واكثر مدن القطر المصري والسوري والعراقي وكلها مسماة بنوكاً كالبنك العثماني والبنك الاهلي والبنك المصري والبنك الزراعي وبنك لويد وبنك رومية وبنك اثينا وبنك حسن سعيد وبنك موصيري الخ الخ. وكلمة بنك داخلة في اسماء هذه البنوك دخولاً رسميًّا يتعذر تغييره. وكلٌّ الذين يعاملون هذه البنوك يستعملون كلمة بنك كتابةً وتكلماً ولا يستعملون سواها. ولا نرى علةً من العلل تنافي استعمال هذه الكلمة فانها خفيفة لطيفة جارية على الاوزان العربية في مفردها ومثناها وجمعها. واذا اردنا ان ننفي من العربية كل كلمة معرَّبة فقدنا كلمات كثيرة لا يسهل الاستغناء عنها وبعضها معرب من قبل الهجرة

اما كلمة مصرف فسكان مصر ١٤ مليوناً تسعة اعشارهم فلاحون او مشتغلون بالفلاحة وعندهم اكثر من خمسة ملايين فدان ولكل فدان منها ترعة يروى منها وترعة اخرى ينصرف اليها الماء الزائد عن ريهِ او الماء المتحلب منها واسم هذه الترعة مصرف جمعها مصارف فالمصارف في القطر المصري تعدُّ بمئات الالوف او بالملايين وكل مشتغل بالزراعة يستعمل كلمة مصرف ويخصها

بهذه النزعة التي يُصرف بها الماء ولا يسبق الذهن الا اليها . ولا نقول انهُ يستحيل ان نسمي البنك مصرفاً أو مذهباً او جيناً او لبناً وبعد بضع سنوات نصير نفهم اللفظة التي نصطلح عليها معنىً غيرمعناهاالوضعي فيزول الالتباس بالقرينة.ولو لم تشع كلمة بنك وطلب منا ان نضع لهُ كلمة عربية تدل على معناهُ لوضعنا لهُ كلمة مأمن اي مكان وضع الامانات او كلمة مودع اي مكان وضع الودائع اما وقد شاعت كلمة بنك فيستحيل ان نقنع اصحاب البنوك لكي يحرقوا رخصها الرسمية وسجلاتها وسنداتها واسهمها واوراقها المالية ويبدلوها كلها بغيرها لوضع كلمة مصرف او اي كلمة اخرى . ولا ندري ما فائدة عَبدة اللغة من الوقوف في سبيل اتساعها ومجاراتها للغات الذين سبقونا في كل شيء فان هذا الوقوف مناقض على خط مستقيم لسير العربية في كل عصورها السالفة

غرض الحياة

ما هو غرض الحياة وخصوصاً حياة الانسان فانهُ يعمل ويجتهد ثم يموت ويندرس فينهض ابنهُ يعمل مثلهُ . فهل لذلك منفعة حقيقية يرتاح اليها العقل وما النتيجة من كل هذا العناء الدائم ؟ اذا اجبنا عن هذه الاسئلة جواباً دينياً فلسفياً قلنا ان كلَّ نفس تجزى في الآخرة بما عملت في هذه الدنيا خيراً كان او شرًّا .واذا اجبنا عنها جواباً علميًّا قلنا ان العلم اثبت أن الاحياء آخذة في الارتقاء منذ وجدت على وجه هذه البسيطة وارتقاؤها من الادنى الى الاعلى ومن البسيط الى المركب كما يستدلُّ من الاحافير او المتحجرات التي في طبقات الارض ومن آثار الانسان وافعالهِ . فبعض الغاية من وجود الانسان ان يزيد ارتقاءه عصراً بعد عصر . وهذه الغاية حاصلة للنوع كلهِ ولكن فائدة الفرد الواحد من عملهِ وسعيهِ قد تكون قليلة جدًّا فالذي استنبط آلة الخياطة أفاد نوع الانسان فائدة كبيرة أما هو فمات في الفقر المدقع. والذين وضعوا القوانين الادبية لم يستفيدوا منها شيئاً يذكر بالنسبة الى ما استفادهُ منها ابناء نوعهم.واذا تلاشى الانسان او بطل وجدانهُ بموتهِ فالفائدة الحاصلة لهُ من تعبهِ قد لا توازي تعبهُ ولكن إذا كان التلاشي ضرباً من المحال كما يظهر بالاستقراء العلمي وبقيت قوى الانسان العقلية في الكون فلا يبعد أن يصحبها الوجدان ايضاً وحينئذٍ يكون للانسان وجود آخر بعد انحلال جسمهِ المادي فيشعر بنتيجة أعمالهِ التي عملها في هذه الدنيا . والعلم الطبيعي لم يثبت ذلك حتى الآن ولكنهُ سائر في طريق اثباتهِ واذا ثبت ان مناجاة الارواح خالية من الغش ثبت بقاء نفوس الناس عند علماء الطبيعة كما هو ثابت عند الفلاسفة ورجال الدين وحينئذٍ يفهم معنى الحياة

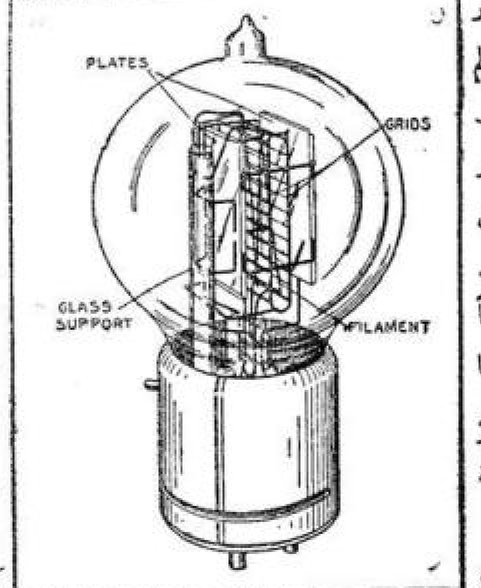


دي فرست: ابو العصر اللاسلكي

انطق الامواج اللاسلكية والصور المتحركة

مهما يتكرر في وصف هذا العصر من الصفات فلا ريب في ان صفة «اللاسلكية» غالبة عليه . قد نستطيع ان نسميهُ عصر «الطيران» او عصر «الانقلاب» في علم الطبيعيات . ولكن التسمية الاولى تنحصر في وجه واحد من وجوه العمران . والثانية تشمل فرعاً من فروع العلم قلما تعنى بهِ العامة لغموضهِ وعدم علاقتهِ المباشرة بالحياة العملية

اما «اللاسلكي» فتغلغل في كل شؤون العمران . الاغاني والموسيقى تذاع باللاسلكي . والمدارس الجامعة تنشر خطب اساتيذها على عامة الناس باللاسلكي . والتجار يتلقون انباء الاسواق ويتخاطبون مع عملائهم على الوف الاميال باللاسلكي . والروّاد يخاطبون ابناء العالم المتمدن باللاسلكي وهم طائرون فوق مفاوز الجليد القطبي . وسائقو الطيارات يكفلون سلامة طياراتهم وسلامة ركابها باللاسلكي . والصور تنقل باللاسلكي والانوار تنار بهِ . وحوادث العالم تشاهد باللاسلكي . والصحف تجمع انباء الامم باللاسلكي تلغرافاً وتلفوناً . والسفن الماخرة عباب اليم تستغيث باللاسلكي اذا احدق بها الخطر . والطيارات المحلقة في الجو من غير سائق كالسفن في البحر من غير بحارة تدار باللاسلكي . ومع ذلك يقول العلماء اننا لا نزال في مفتتح العهد اللاسلكي وينتظرون يوماً ما — وقد يكون قريباً — ان يذيعوا القوة الكهربائية باللاسلكي كما يذيعون الخطب والصور والانغام



افتتح مركوني هذا القرن بنقل الاشارات اللاسلكية التلغرافية بين اوربا

واميركا . فدهش اديصن حين سمع بذلك وارتاب في صحتهِ ولكنهُ صدق ما قيل حين اطلع على وصف التجربة ونتيجتها موقعاً عليهِ من مركوني نفسهِ. وظلَّ التقدم بطيئاً محصوراً في نقل الاشارات التلغرافية ، لان الجهاز الذي استنبطهُ مركوني لالتقاط الامواج اللاسلكية لم يبلغ درجة من دقة الاحساس تمكنهُ من التقاط الامواج اللاسلكية الحاملة لمميزات الصوت الانساني وما بينها من الاختلافات الدقيقة في النبرة والغنَّة . وبقيت الحال كذلك حتى استنبط الانبوب المفرغ واتقن. فجرى العلماء في ميدان المخاطبات اللاسلكية شوطاً بعيداً والفضل في كل ذلك يرجع الى مستنبط الانبوب المفرغ الدكتور لي ده فرست الاميركي

هكذا حكمت المحكمة العليا الاميركية في قضية رفعها ده فرست على الشركات التي استباحت حقوقهُ . فهو في عُرف هذه المحكمة «ابو العصر اللاسلكي». ولكننا مع اجلالنا لحكمها يجب الاَّ نغفل جمهور العلماء والباحثين الذين تقدموا ده فرست وحققوا نواميس الكهربائية وابتدعوا تطبيقاتها الاولى ومهدوا لهُ الطريق مثل فراداي وكلارك مكسول وهرتز والسر اوليفر لدج وبرانلي وماركوني وفلمنغ وغيرهم

***

جرى سباق بحريٌّ بين اليخت الانكليزي شمروك الثاني واليخت الاميركي كولمبيا سنة ١٩٠١ . وبعض الذين حضروا السباق يذكرون مركباً صغيراً لاحقاً باليختين المتباريين وقد اقيم على مقدمهِ ومؤخرهِ صاريان ربطا باسلاك دقيقة . وكان على ظهر المركب طاولة عليها آلة غريبة الشكل وامام الطاولة شاب شاحب الوجه ناحل الجسم يدير الآلات بيديهِ النحيفتين فتولد شرارات كهربائية من حين الى آخر فينير وجههُ وتبرق اسرتهُ

ذلك الشاب هو الدكتور ده فرست . كان قد استنبط آلةً لارسال الاشارات اللاسلكية في الفضاء في غرفة حقيرة بشيكاغو — بعد ما قضى سنتين يعنى باستنباطهِ هذا فينفق عليهِ كل دقيقة من وقتهِ خارج العمل ومعظم راتبهِ الشهري الذي لم يزد على ستة جنيهات . وبلغ منهُ انهُ قتَّر على نفسهِ ليبتاع المواد اللازمة لاتقان استنباطهِ لانهُ كان واثقاً انهُ استنبط آلةً لاسلكية يصح الاعتماد عليها

وخطر لهُ في احد الايام ان يستعمل آلتهُ هذه لارسال اخبار السباق البحري الى جرائد اميركا الكبرى فيشتهر استنباطهُ وباشتهارهِ يستطيع جمع المال اللازم لاتقانهِ . فاستدان اجرة القطار وذهب الى نيويورك فوجد ان ماركوني قد سبقهُ الى ذلك وعقد اتفاقاً مع شركة الاسوشيتد برس لارسال اخبار السباق المذكور اليها من عرض البحر بآلتهِ اللاسلكية .

فذهب ده فرست الى مدير شركة صحافية أخرى وعرض عليهِ موافاة جرائده باخبار السباق من عرض البحر فقبل ذلك وامر باعداد قارب توضع فيهِ الآلة

فاستأجر ده فرست دكاناً صغيراً في نيويورك ليعدَّ فيهِ آلتهُ لكنَّ الفشل كان نصيبهُ في اكثر الاحيان فما من مرة وضع الآلة في القارب وجرَّبها الاَّ وجد انها لا تفي بالغرض فكان يعيدها الى دكانهِ ويصلحها . ولولا اغتيال الرئيس ما كنلي حينئذٍ وتأجيل السباق اسبوعين لما استطاع ان ينجز وعدهُ لمدير الشركة الصحافية . وقبل السباق بيومين مرض ده فرست فاشار عليهِ الاطباءُ بالذهاب الى المستشفى والبقاء فيهِ حتى يتماثل الى الشفاءِ فذهب ولكنهُ لم يستطع البقاء فيهِ لانهُ شعر ان مستقبلهُ رهن النجاح في ارسال اخبار السباق بالآلة التي استنبطها . كان قد قضى سنتين في اعدادها غير مدخرٍ وقتاً ولا مالاً ولا نشاطاً وحينما سنحت لهُ الفرصة لاظهار فائدتها لم يشأ ان تفلت من يدهِ فترك المستشفى رغم نصيحة الاطباء وتوجه الى القارب . لكن المشتغلين باللاسلكي في ذلك الحين لم يعلموا من امر الدوزنة شيئاً فاختلطت الرسائل التي ارسلها ماركوني بالتي ارسلها ده فرست

وحينما انتهى السباق عاد بقاربهِ وعلى وجههِ دلائل الفوز وذهب الى المحطة اللاسلكية فوجد مدير الشركة الصحافية واقفاً في انتظارهِ فسألهُ « هل وصلتكم الاخبار واضحة » فهزَّ المدير رأسهُ عابساً وقال « لم يصلنا شيءٌ مفهوم »

نظر اليهِ ده فرست نظر المستغرب ثم انتفض ووقع مغميًّا عليهِ فان صدمة الفشل زادت فعل المرض في جسمهِ النحيل وكادت تقضي عليهِ . فحُمل الى المستشفى حيث بقي ثلاثة اسابيع يغالب الموت ولكنهُ تغلب عليهِ وما كاد يشفى ويعود اليهِ نشاطهُ حتى رجع الى عزمهِ الاول على اتقان استنباطهِ فمضى في تجاربهِ الى ان انتهت باختراع من اعظم المخترعات العصرية وابعدها اثراً في العمران

***

الحادث المذكور آنفاً يمثل تمثيلاً صحيحاً حياة الدكتور ده فرست مخترع الانبوب المفرغ الذي مهَّد السبيل الى التلفون اللاسلكي الذي تذاع بهِ الاخبار والخطب والاغاني فتقطع الفضاء الفسيح امواجاً كهربائية حتى تصيب محطة او آلة مستقبلة تحوّلها بواسطة الانبوب المفرغ الى اصوات مسموعة او نغمات شجية

كان الاستاذ بيوبن احد اساتذة جامعة كولومبيا قد استنبط ملفاً تأثيريًّا أُستخدم في آلات التلفون السلكي فصار في الامكان ارسال الصوت بهِ مئات من الاميال . ولكن التكلم

بالتلفون اللاسلكي الى مسافات بعيدة لم يكن مستطاعاً قبل ان استنبط الدكتور ده فرست الانبوب المفرغ وقد استعمل لاول مرة في نقل الصوت من نيويورك الى سان فرنسسكو مسافة ثلاثة آلاف ميل سنة ١٩١٥ . بواسطة هذا الانبوب المفرغ حققت كل المستنبطات والاعمال اللاسلكية التي اشرنا اليها في صدر هذا المقال وزد على ذلك ان هذا الانبوب يساعد الصمَّ على السمع ويقوي صوت نبضات القلب ويرسلها في الفضاء حتى يسمعها الاطباء من قارة الى اخرى. وعدا ذلك فهو يولد القوة الكهربائية كما يفعل الدينامو. هذا وكل ما ينسب الى التلفون اللاسلكي في سرعة نقل الاخبار ونشر المعارف وربط الناس بعضهم ببعض يعود الى الانبوب المفرغ الذي استنبطهُ ده فرست

***

ولد هذا الرجل سنة ١٨٧٣ في قرية صغيرة بولاية ايوى من اعمال الولايات المتحدة ووالدهُ قسيس فيها . ودخل المدرسة وهو في السادسة من عمرهِ وكان والدهُ يريدهُ ان يقتفي خطواتهِ فيصير قسيساً مثله ولكنهُ اظهر ميلاً شديداً الى الهندسة الميكانيكية منذ نعومة اظفارهِ. وكان مولعاً بالدرس والبحث فكثيراً ما كان ابوهُ يرغمهُ على ترك الدرس في ساعة متأخرة من الليل . ولما صار لهُ من العمر ١٨ سنة عزم ان يدخل مدرسة عالية ليستمدَّ فيها لدرس الهندسة الميكانيكية في جامعة يايل ولم يكن ابوهُ في سعة من العيش ليستطيع الانفاق عليهِ في تلك المدرسة فلم يثن ذلك عزمهُ بل ذهب اليها وكان يشتغل في ساعات الفراغ بما يوفي نفقات المدرسة

ودخل جامعة يايل سنة ١٨٩٣ في قسم الهندسة ونال شهادتها سنة ١٨٩٦ ولكنهُ اراد التوسع في العلم فقضى ثلاث سنوات اخرى وخرج ومعهُ لقب دكتور في الفلسفة . ثم ذهب الى شيكاغو ليعمل في شركة كهربائية براتب صغير جدًّا لمن كان مثلهُ حائزاً لقباً علميًّا كبيراً

نكاد لانصدق الآن ان التلغراف والتلفون اللاسلكيين كانا في مهدهما منذ ٢٥ سنة ولكن اذا راجعنا تاريخهما وجدنا ان مركوني كان قد استنبط « الرابط » وهو انبوب فيهِ برادة من الفضة والنكل تؤثر فيها التموجات اللاسلكية حال اتصالها بها فتقترب الذرات بعضها من بعض وتنقل المجرى الكهربائي واستطاع ان يتناول بهِ الاشارات اللاسلكية من مسافة قريبة . اما ده فرست فمال الى التجارب اللاسلكية وهو يطلب العلم في جامعة يايل وكان واثقاً انهُ يستطيع استنباط وسيلة لتناول الرسائل اللاسلكية تفضل (رابط) مركوني .

فلما انتقل الى شيكاغو استأجر غرفة كبيرة وجعل يقتصد من راتبهِ ما ينفقهُ على تجاربهِ . وفي احدى ليالي سنة ١٩٠٠ اتفق انهُ وضع المائدة تحت قنديل الغاز وكان في الغرفة خزانة على ثمانية امتار من المائدة وضع على سطحها ملفاً يولّد شراراً وتموجات كهربائية متى اداره بخيط ربطهُ بهِ فيصغي الى صوت التموجات بالآلة المستقبلة التي على المائدة امامهُ . على ان امراً غريباً لفت نظرهُ وهو يجرب تجاربهُ هذه وهو ان نور الغاز كان يضعف ويقوى لغير سبب ظاهر فعزم ان يعرف السبب وبعد بحث طويل عرف ان النور يضعف حينما يدور الملف واتفق انهُ وضع الملف في الخزانة واقفلها ثم ادارهُ فلم يضعف النور فقال ان هنالك علاقة بين صوت الملف والنور لا بين التموجات والنور كما كان يظن. فعاد الى تجاربهِ الاولى متناسياً العلاقة بين النور والملف الدائر ولكن رسخ عندهُ ان قنديل الغاز خير السبل لحلّ المشكلة اللاسلكية الكبرى وهي استنباط آلة حساسة تلتقط التموجات. وظنهُ هذا كان صحيحاً الا انهُ لم يستطع تحقيقهُ الاَّ بعد خمس سنوات قضاها في البحث والامتحان. وكانت النتيجة الانبوب المفرغ المذكور والمصوّر آنفاً

ولما رأى ان انبوبهُ صار على جانب من الاتقان بحيث يستطاع استخدامهُ في نقل الاخبار حدث ما حدث من اختلاط الاصوات في حادثة السباق البحري المشار اليها في صدر هذا المقال . لكنهُ لم يقنط بل مضى في عملهِ وكان أحد رفاقهِ في المدرسة قد وثق من نجاح تجاربهِ فاذانهُ الف ريال مقابل ٣٠ في المائة من اسهم الشركة الجديدة التي تألفت باسم شركة ده فرست اللاسلكية

ثم اتجه بعد ذلك الى استنباط طريقة تمكنهُ من انطاق الصور المتحركة. وكانت الطريقة المستعملة حينئذٍ وضع فونوغراف دوّنت على اقراصهِ الكلمات التي ينطق بها الممثلون . ولما كان الفونوغراف مستقلاً عن آلة الصور المتحركة تعذَّر الجمع بين كلمات الممثلين وحركاتهم جمعاً طبيعيًّا فاذا اسرعت آلة الصور المتحركة في عرضِ الصور سبقت حركاتُ الممثلين كلماتهم وصار المشهد يبعث على الضحك والسخرية بدلاً من ان يدعو الى الاعجاب

فخطر لده فرست ان يستنبط طريقة تمكنهُ من تحويل اصوات الممثلين الى اختلافات نورية تدوّن فوتوغرافيًّا على منطقة ضيقة من الفلم نفسهِ ثم تعاد هذه الاختلافات اصواتاً مسموعة بآلة تلفونية بعد تحويلها الى تيار كهربائي . وقد اتيحت لنا مشاهدة اول فلم صنعهُ في نيويورك سنة ١٩٢٤ ومبدؤُهُ هو الاساس الذي بنيت عليهِ الصور المتحركة الناطقة التي احدثت انقلاباً في صناعة الصور المتحركة كما وصفناها في مقتطف دسمبر الماضي



الشأن الاول لمسألة المياه

لحضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا

رئيس مجلس الوزراء

قال سويفت في كتابه « أسفار جوليفر » ان من استطاع ان ينبت سنبلتين من القمح او ساقين من الحشيش حيث كانت تنبت سنبلة او ساق واحدة فهو اخلق بان يشكره الناس لانهُ يكون قد ادّى لبلاده خدمة اجل من خدمات جميع رجال السياسة كافة

لقد عانت مصر من الاضرار المادية بسبب الحرب العظمى الماضية ما عانت غيرها من البلاد . وليست مصر بلاداً صناعية وهي مضطرة في الوقت الحاضر الى استيراد المقادير الكبيرة من المصنوعات للقيام باعمال التجديد والاصلاح ولمقاومة الهبوط المالي . وقد كان من المتعذر استيراد هذه المصنوعات في خلال سنوات الحرب وظل الحصول عليها عسيراً حتى بعد عقد الهدنة بزمن . وعليهِ تراكمت الاعمال المطلوبة للاصلاح واضطرت الحكومة الى ارجاء خطط الانشاء الجديدة بحيث لم يكن لدى اولياء الامور عند ما عقد الصلح سوى مجموعة من اعمال الاصلاح والتجديد . ولم يكن هذا التجديد يتطلب المواد اللازمة فقط بل كان يحتاج الى جو هادئ ايضاً والى توحيد قوى البلاد كلها تحت قيادة زعمائها. الاَّ ان عناية زعمائها كانت منصرفة الى السياسة الداخلية فكانت النتيجة ان طائفة كبيرة من اعمال التجديد والصيانة ذات الشأن اهملت

وقد بعثت الآن سجلات تلك الاعمال من لحدها وبدئ بانجاز الاعمال بقدر ما تأذن بهِ الاحوال . وليست البلاد في حاجة الى المال لتنفيذ هذه الغاية فانهُ متوافر في خزينة الحكومة بسبب ارجاء الانفاق على اعمال الصيانة و بفضل اطراد الرخاء في خلال الثمانية الاعوام الماضية . وقد بلغ المال الاحتياطي لدى الدولة اكثر من سبعة وثلاثين مليوناً من الجنيهات وهو مبلغ يعادل نفقات الدولة في سنة كاملة

وعزمت الحكومة عزماً صادقاً على تنفيذ الكثير من تلك الاعمال . وقد كان معروفاً منذ عدة سنوات ان حاجة البلاد القصوى هي الى الماء للتمكن من مضاعفة محصولات البلاد في الانحاء التي لا تشغل فيها الارض الاَّ مرة واحدة في السنة . ولتقديم المياه اللازمة للجهات التي تروى فيها التربة على مدار السنة ولكن الماء فيها نكد شحاح . وفوق كل

ذلك لاستغلال الارجاء الفسيحة في شمال الدلتا . وقد قضت الحكومة عشرين عاماً في البحث في هذه الشؤون فوضع لها جارستن وديبوى ومكدونلد وسري باشا الخطط الاجمالية وفي بعض الاحوال وضعوا لها الخطط التفصيلية ايضاً . ولم توضع خطط هذه الاعمال الاجمالية والتفصيلية فقط بل ان بعضها — كسدّ جبل الاولياء مثلاً — بدئ به ثم ارجئ والبعض الآخر — كتعلية سد اصوان — لم يجاوز فيه العمل مرحلته الاولى

وفي الواقع ان هذه اهم اعمال الري التي تحتاج اليها البلاد لان منافعها عاجلة . على انها ليست سوى مقدمة لاعمال الاصلاح التي تتناول انشاء سد على منفذ بحيرة البرت لتحويل ذلك المنفذ الفسيح الى اعظم مخزن (خزان) للماء في العالم ولاصلاح منطقة المستنقعات التي لا بد للماء من اختراقها قبل الوصول الى مصر

فاذا تمت هذه الاعمال الهندسية العظيمة فقد ضمنت مصر ما تحتاج اليه من الماء الى الابد . ولهذا جعلتها الوزارة الحاضرة في رأس برنامج اعمالها

ولقد عهد الى لجنة دولية مؤلفة من اعظم رجال الفن المحايدين في ابداء الرأي في مسألة تعلية «خزان اصوان» . فاشارت اللجنة بامكان تعليته . وشرعت الوزارة في اخذ العدة للقيام بما هو لازم لتنفيذ ذلك . وقد اعترضتها بضع عقبات تتعلق بمسألة انشاء «خزان» جبل الاولياء ولكنها سائرة في سبيل تذليلها سيراً مرضياً لمصر والسودان على السواء

وعليه فقد بدئ بتنفيذ هذه الاعمال اللازمة . وستواصل الحكومة العمل بالتدريج لاصلاح ما مساحته تسعمائة الف ومليون فدان من الاراضي لجعلها صالحة للزراعة . ومتى تمت هذه الاعمال تحصل مصر على مقدار من الماء يزيد ثلاثمائة مليون متر مكعب على ما كانت تحصل عليه قبل الحرب وذلك من المياه المخزونة في

حضارة قديمة في ثوب جديد

نشرت جريدة المانشستر جارديان الانكليزية ملحقاً خاصًا بشؤون مصر باقلام طائفة من وزرائها وكبرائها . وقدمت لهُ مقدمة بالعنوان الآتي الذكر فرأينا ان ننقل لقرائنا بعض ما جاء فيه من الرسائل التي تعالج المسائل العمرانية واخترنا لهذا الجزء مقالتي دولة رئيس الوزراء ومعالي وزير المواصلات . وفي الشهر القادم ان شاء الله ننقل لهم مقالة الدكتور شاهين باشا التي يعالج فيها شؤون الصحة العامة

« خزان » سنار الذي ينفع مصر مع ان الغرض الاولي منهُ هو ري السودان . وستحصل مصر على مقدار اضافي من الماء يبلغ اربعة آلاف وخمسمائة مليون متر مكعب بفضل تعلية « خزان » اصوان وانشاء « خزان » جبل الاولياء . وستحصل ايضاً على ماء من بحيرة البرت يكفي لزرع جميع الاراضي التي ينتظر زرعها صيفيًّا في مصر . اما الاضافي المخزون في « خزاني » اصوان وجبل الاولياء فسيتيح زراعة اربعمائة الف فدان من الاراضي الموات (اي البور) في الدلتا ويفسح مجال العمل لمليون وربع مليون من الفلاحين وهي اسباب التحسين لري نحو اربعمائة الف فدان آخر في الشمال ولري ثلاثمائة الف فدان بالاسلوب المعروف عند الفلاحين بالراحة وخمسين الف فدان آخر في الصعيد بماء « الطلمبات » وبذلك تخف ازمة العمل في مصر العليا — تلك الازمة التي تحدو السكان في الوقت الحاضر الى المهاجرة الى القاهرة والاسكندرية سعياً وراء العمل الذي لا يجدونهُ في بلادهم . ان الوزارة باتباعها الخطة السالفة قد عزمت عزماً باتاً على انجاز هذه الاعمال اللازمة وهو عزم كان ينقص مصر من قبل مع ان الحاجة الى هذه الاعمال قد اعترف بها الجميع والوسائل لتنفيذها متوافرة

وصفوة القول ان الوزارة قد انتهجت مسلكاً يمكن تلخيصهُ بما قد اقتبسناه من اقوال « سويفت » الذي صدرنا بهِ هذه المقالة وليس معنى ذلك ان اغراض الوزارة مقيدة بهذا الجزء المادي من برنامجها فسيبحث غيري من الوزراء في المسائل الخاصة برخاء الفلاح من حيث امداده بالماء الصالح للشرب وازالة ما يشوب صحتهُ وحمله على الاهتمام بحالتهِ وحالة اسرتهِ في وقت المرض ومساعدتهِ في تحسين زراعتهِ وترقية مستوى تعليمهِ لكي يكون عاملاً احسن ووطنيًّا افضل

***

[المقتطف] لا يسعنا الآن ان نختم هذا الفصل بعبارة نقتبسها من مقالة موضوعها « مستقبل القطر المصري : مرتبط بقطنهِ » انشأها المرحوم الدكتور صروف في مقتطف يناير سنة ١٩٢١ قال فيها : « لا نزال نتذكر ما كان يقولهُ لنا لورد كرومر حينما تطلب مصالح الحكومة ان تزاد نفقاتها ولو لعمل نافع جداً كالتعليم العمومي . فانهُ كان يقول يجب ان تنفق الاموال اولاً على الاعمال العمومية التي تزيد ثروة السكان ومتى زادت ثروتهم زاد دخل الحكومة فيسهل عليها حينئذٍ ان تنفق عن سعة على المنافع العمومية . وقد اصابت سياستهُ من هذا القبيل ولولاها لما استطاعت الحكومة المصرية ان تنفق الآن في السنة اكثر من مليون جنيه على التعليم العمومي بعد ان كانت تعجز عن انفاق مائة الف جنيه عليهِ »

المخاطبات اللاسلكية في الرحلات القطبية

اللاسلكي في فاجعة نوبلي القطبية

خاصة للمقتطف بقلم العالم اللاسلكي الذي رافق بعثة نوبلي

الاستاذ بهونك

اذا وُجّه اليَّ سؤال يدور على فائدة اللاسلكي في رحلتنا القطبية على متن البلون ايطاليا قلت ان فائدته ثبتت فوق كل ريب . ولولا آلتنا اللاسلكية التي اتصلنا بها بالعالم المتمدن لقضي علينا ان نموت جوعاً وبرداً على ركامٍ طافٍ من الجليد

لقد اثبتت طائفة الطيارين الحربيين انهُ يتعذر على المراقبين الحربيين في الطيارات رؤية مدفع اتقنت تعميته اي دهنه بالوان تمتزج مع الوان الاشجار او الاعشاب اوالبيوت التي حولهُ فلا يُرى. يضاف الى ذلك ان الاستطلاع من الجوّ فوق مفاوز الجليد التي تحيط باحد القطبين اكثر صعوبة من الاستطلاع الحربي لان النور المنعكس والمنكسر على سطح الجليد يبهر الابصار فلا يستطيع الطيّار من الجوّ ان يرى رجلاً او خيمة مضروبة ولو كان لونها احمر غامقاً. لذلك يجب ان يعمد الى الاشارات اللاسلكية في ارشاد الطيارات والسفن التي تبحث عن بعثةٍ ضائعةٍ الى مكانها . ولولا هذه الاشارات لما تمكنت السفينة الروسية كراسين من الاهتداء الى رجال البعثة ونجدتهم لان الناس كانوا يظنون اننا في مكان ابعد غرباً من المكان الذي كنا فيهِ لذلك اتجهت عناية الباحثين عنا الى البحث في المكان الذي لم نكن فيهِ

تدور مباحثي العلمية على موضوع الاشعاع .فنواميس الاشعاع الاساسية مشهورة وقد كشفتها اولاً مدام كوري التي تشرفتُ بالتتلمذ لها . ولكن النواميس التي تشمل الاشعاع وعلاقتهِ بالظاهرات الجوية لا تزال غير محقّقة لدى العلماء ولا بدّ لهم من ان يقضوا زمناً طويلاً في جمع الحقائق وامتحانها ثم ترتيبها وتنظيمها قبلما يتسنى لهم استنباط النواميس العامة التي يصحُّ الاعتماد عليها

وهذا الفرع من فروع العلم لا يزال بكراً ولذلك اراهُ من اعلق المباحث بالنفس لانهُ يحملها على اجنحة الشوق الى استقصاء المجهول . وقد وقفت حياتي العلمية عليهِ لذلك لما

سنحت لي فرصة الانضمام الى بعثة نوبلي اغتنمتها لانها مهدت امامي ميداناً لجمع الحقائق العلمية المرتبطة بموضوع بحثي . ولم يخطر ببالي قط اني باغتنامها اعرّض نفسي للمخاطر . ألا يعرّض الطيارون حياتهم للخطر حينما يحاولون عبور المحيط مثنى وثلاثاً مع ان غيرهم اثبت امكان هذا العبور قبلهم ؟ ان الانسان لا يستطيع ان يفكر بشخصهِ الضعيف الضئيل حين ينفتح امامهُ فصل حافل بالعجائب من الكتاب الذي يخط فيهِ الانسان تاريخ صراعهِ مع الطبيعة وانتزاعهِ اسرارها . امامنا اسرار محجّبة ! — ما علاقة الامواج اللاسلكية بالهواء؟ كيف يمتصها او يعكسها ؟ كيف تضيع احياناً طلبات الاستغاثة S. O. S. التي تذيعها البواخر حين يحدق بها الخطر ؟ كيف يمكننا الاتصال بالروّاد الذين يضربون في الصحاري القاحلة او على مفاوز الجليد ولا صلة تصلهم بابناء البشر الاّ هذه الامواج الخفية ؟

ثم هناك كل المسائل التي ترتبط باطارة طيارة من غير سائق وادارتها في الجوّ بجهاز لاسلكي على سطح الارض وما يلي ذلك من التحكم بالقوة اللاسلكية واذاعتها واستقبالها . هذا ميدان واسع للبحث والاستنباط يعود بفائدة كبيرة على الحضارة اذا عرفنا كيف نبتدع الحلول العلمية لهذه المسائل وما اليها . لذلك اقول ان المخاطبات اللاسلكية على فائدتها العظيمة في ارشاد اصحاب النجدة الينا وتخليصنا من قبضة الجليد لاتزال تحتاج الى اصلاح واتقان . فقد مضت علينا ايام كانت صلتنا الوحدة مع العالم المتمدن هذه الآلة الصغيرة التي تذيع الانباء وتستقبلها . ولكنها فجأة صمّت عن السماع كما عجزت عن الكلام فانقطعت الصلة التي بنينا عليها كلّ آمالنا وبتنا نشعر حينئذٍ بما تحتاج اليهِ المخاطبات اللاسلكية من وسائل الاصلاح والاتقان حتى تفي بالحاجة اليها وفاء يصحّ الاعتماد عليهِ

***

لما غادرنا ايطاليا على متن البلون «ايطاليا» امتحنا الاجهزة اللاسلكية في دائرة نصف قطرها ١٢٥٠ ميلاً . امتحناها فوق اليابسة وفوق البحر ثم امتحناها بين رومية وميلان اذاعةً واستقبالاً فوفت بالغرض ثم طلبتُ ان يسمح لي ان نمتحنها في المناطق القريبة من القطب لعلّ للاحوال الجوية والعوامل المغنطيسية فعلاً خاصًّا بها فلم يتح لي ذلك لان البعثة تأخرت عن الوصول الى سبتسبرجن في الميعاد المعين لارتياد الاصقاع القطبية ولذلك قيل لنا ان الوقت غير متسع للمباحث النظرية . وكان قد اتيح لي قبلاً ان ارافق بعثة امندصن الى القطب فقمت حينئذٍ بتجارب من هذا القبيل ولكنها لم تكن وافية

لذلك بدأنا رحلتنا ونحن لا نعرف معرفة كافية كيف تتصرف اجهزتنا اللاسلكية في المناطق القطبية . على انا لم نكن ننتظر ان تدهمنا نكبة كالنكبة التي دهمتنا وان تصبح هذه

الاجهزة الدقيقة عمادنا الحيوي الوحيد. فلما حلّت بنا النكبة وانفصلت مركبة البلون عن هيكله الطائر بقيت اكثر الاجهزة في الهيكل ودمّرت بتدميرهِ . لذلك فرحنا فرحاً لا يوصف حين وجدنا انفسنا على الجليد وفي حوزتنا آلة لاسلكية صغيرة للاذاعة والاستقبال بالامواج القصيرة . وكانت الاذاعة بهذه الآلة على ما يرام من القوة والوضوح فتمكنا من ان نتصل بها بمحطات لاسلكية تبعد عنا مئات الكيلومترات فكانوا يسمعوننا وكنا نسمعهم

ولا بدَّ من ان اذكر في هذا المقام ان الاعتماد على الامواج القصيرة آخذ في الذيوع رويداً رويداً لان ما يذاع بها يكون اوضح ويسمع على مسافات ابعد . وقد اخذت محطات الامواج القصيرة تحلُّ محلَّ المحطات التي تعتمد على الامواج الطويلة . ولكننا مع هذا لا يزال ما نعرفهُ عن الامواج القصيرة نزراً وخصوصاً ما يرتبط منها بالظواهر الجوية والافعال الكهربائية والمغناطيسية

***

وكنا ذات ليلة نستعمل آلتنا الصغيرة فاذا هي تبدو لنا فجأة ، صمّاء بكماء ، لا تذيع ما نريد اذاعتهُ ولا تستقبل ما نودُّ الاطلاع عليهِ . وعندي ان سبب ذلك هو انخفاض طبقة الجوِّ الكهربائية التي تدعى طبعة كنلي هيفيسيد . اذ لا يخفى ان استقبال الرسائل اللاسلكية يتوقف على امرين الاول الامواج التي تذيعها الآلة المرسلة وتستقبلها بآلتك رأساً والثاني على الامواج التي تنتشر في الفضاء في كل الانحاء فتعكسها الى سطح الارض طبقةٌ من الهواء كانها مرآة كهربائية صقيلة . وارتفاع هذه الطبقة عن سطح الارض في المناطق المعتدلة يبلغ نحو خمسين ميلاً اما في المناطق المتجمدة القطبية فهي واطئة جدًّا بسبب دوام النهار في الصيف . فينتج عن ذلك في بعض الاحيان ان تصبح الآلات اللاسلكية صمّاء بكماء لا تذيع ولا تستقبل والمرجح ان السفن والطيارات التي كانت تبحث عنا اصيبت اجهزتها اللاسلكية بما اصيبت بهِ آلتنا فتعذر عليهم سماعنا كما تعذر علينا سماعهم

هذا رأيٌ. ولا يمكننا تأييدهُ او نفيهُ الاَّ بعدما نجمع قدراً كبيراً من الحقائق وخصوصاً علاقة الاشعة اللاسلكية بالاشعة الكونية التي كشفها ملكان

ومن الخطأ ان يحسب عجز الآلات اللاسلكية عن الاذاعة والاستقبال عائداً الى اضطراب الجوّ لانهُ قد تثور عاصفة زعزع ولا تؤثر في الامواج اللاسلكية المنتشرة في الفضاء فتلتقطها الآلات المستقبلة من غير عناء كبير . اما السبب في هذا العجز ينجم غالباً عن اضطراب كهربائي مغنطيسي في الجوّ وهذا هو الموضوع الذي لم يوف بحثاً بعدُ مع ان ايلتن وبرنت ووط من الباحثين الانكليز كشفوا حقائق كثيرة مرتبطة بهِ . ولذلك

اقترح ان تكون كل محطات الظواهر الجوية مجهزة بآلات دقيقة لقياس التغيرات المغناطيسية والكهربائية التي تحدث في الجوّ

على انا لم نكن نعلم كل هذه الحقائق ونحن مخيّمين على ركام طافٍ من الجليد لا حولَ لنا ولا طول . والامر الوحيد الذي كنا نعرفهُ هو ان عاملنا اللاسلكي بياجي ومهندسنا تشكيوني عجزا عن اصلاح الخلل الذي طرأ على آلتنا اللاسلكية ليعيدا اتصالنا بها بالعالم الخارجي . وبعد ما فشلنا في محاولتنا اصلاحها اخذنا نفككها الى اجزائها لعلنا نقف على منشإ الخلل فعجزنا مع ان تشكيوني اظهر من البراعة الميكانيكية ما استرعى دهشتنا واعجابنا . ثم خطر لنا ان سبب الخلل قد يكون ناجماً عن الاسلاك الهوائية التي تلتقط الامواج من الفضاء فرفعنا الاسلاك على مزلقتين من المزالق التي معنا ثم اخذنا الآلة نفسها وجعلنا نرفعها آناً ونخفضها اخرى فلم نفلح حتى كاد القنوط ان يستولي علينا . وكان سبب ذلك اضطراب مغناطيسي كهربائي في الجوّ دام اربعة ايام بلياليها من ٧ يونيو الى ١٠ منهُ ولكننا لم نكن نعرف ذلك حينئذٍ . وفي اليوم الحادي عشر من يوليو عادت مياه الآلة اللاسلكية الى مجاريها فتخاطبنا مع السفينة كراسين فاهتدت الى مكاننا

لذلك نقول ان وسائل المخاطبات اللاسلكية لم تفشل في تأدية مهمتها ولكننا مع اننا مدينون لها بنجاتنا لابدَّ من ان نقول من ان الاجهزة لا تزال معقدة التركيب والبطريات اللازمة لها في عملها لا تزال كبيرة ثقيلة . ورغماً عنا لابدَّ من التصريح بان الغراموفون يفوق الموسيقى التي تستقبَل لاسلكيًا لان الاذاعة والاستقبال يتوقفان على عوامل مغنطيسية في الجوّ لا قبل لنا الآن بفهمها والتحكم بها

الارتياد اللاسلكي : الصعوبات

هذا وصف المصاعب اللاسلكية التي اعترضت سبيل نوبلي وصحبهِ في نكبتهم المشهورة بقلم عالمٍ شهدها لم نكد ننتهِ من مطالعتها ونقلها حتى ورد علينا عدد من مجلة السفير الانكليزية وفيهِ وصف مسهب لما تقوم بهِ المخاطبات اللاسلكية من الاعمال الجليلة للعلم والصحافة والارتياد في بعثة برد الى القطب الجنوبي فآثرنا نقل خلاصتها الى القارىء

تحمل بعثة برد الى القارة المتجمدة الجنوبية اثنتين وعشرين آلة لاسلكية للاذاعة واربعاً وثلاثين للاستقبال وفي اثناء فصل الارتياد يبقى خمسة من العمال متصلين بالروّاد المتفرقين في انحاء القطب وبالعالم المتمدن . لان كلَّ فريق من رجال البعثة يطير بالطيارات لاستكشاف المجاهل من الجوّ او يمتطي المزالق لارتيادها على سطح الجليد يجب ان يكون

فيهِ عامل لاسلكي وآلة لاسلكية حتى اذا حدث لهُ مكروهٌ ما في اثناء القيام بعملهِ بلغت اخبارهُ حالاً الى الباخرة الراسية في خليج الحيتان والى الرجال المقيمين في المركز العام فتتخذ الوسائل لارسال النجدة اليهِ. وقد مضت اسابيع الارتياد الاولى كان فيها مقر كلّ رجل من رجال البعثة معروفاً لدى القيادة العامة كلّ نصف ساعة من الزمان

وقد اتفقت جريدة التيمس النيويوركية مع قيادة البعثة على اختصاصها باخبار الرحلة من اولها الى آخرها لقاء مبلغ كبير من المال انفق في اعداد معداتها وارسلت مكاتباً من قبلها يحسن جمع الانباء وكتابتها وارسالها لاسلكياً ليوافيها يومياً بانباء هذه الحملة القطبية التي لم نرَ لها مثيلاً في تاريخ ارتياد القطبين في كمال معداتها وطول بقائها في الاصقاع المتجمدة وشمول اغراضها للبحث الجغرافي والعلمي على اختلاف مناحيهِ

كان ينقضي على روّاد القطبين اولاً شهور قبلما يتسنى لهم ان يعودوا الى البلدان العامرة يذيعون منها انباء مكتشفاتهم . اما الآن فاصبح قراء الصحف اليومية يطلعون على هذه الاخبار يوماً يوماً بل ساعة ساعة . واذا اتيح لبرد وصحبهِ ان يطيروا من مركزهم على الشاطئ الجليدي الى القطب الجنوبي ويعيدون اكتشافهُ فقد لا يعودون من القطب الى مقرهم العام حتى تكون اخبار فوزهم قد سارت الى اجنحة الامواج اللاسلكية الى نيويورك — الى مكتب نيويورك تيمس — ومنها ترسل الى سدني باستراليا وانفرس وبراغ ولندن وميلان واوساكا باليابان وروتردام ومكسيكوستي واوسلوا عاصمة نروج وستوكهلم وهلسنغفور عاصمة فنلندا وبونس ايرس عاصمة الارجنتين ولاپاز عاصمة بوليفيا وكارتاجينا عاصمة كولومبيا وباريس وغيرها من المدن العظيمة التي اتفق اصحاب الصحف الكبيرة فيها على شراء هذه الاخبار من نيويورك تيمس

ترسل هذه الرسائل اللاسلكية بمتوسط ١٢٠٠ كلمة في الساعة وقد يسرع الارسال والاستقبال فيبلغان ١٥٠٠ كلمة في الساعة الى ٢٠٠٠ كلمة اذا لم يعقها اضطراب الجوّ على ما بيّنهُ الاستاذ بهونك . على ان عامل الاستقبال في نيويورك يثبت في مكانهِ حتى يجمع فتات الانباء المرسلة اليهِ مهما اضطربت احوال الجوّ الكهربائية والمغناطيسية . وقد حدث فعلاً ان مكاتب التيمس المذكور لم ينهِ بعض رسائلهِ حتى كانت عباراتها الاولى قد نضدت حروفها واعدت للطبع في نيويورك مع ان المسافة بين المكانين لا تقل عن عشرة آلاف ميل . وفي كل ليلة سبت يجلس رجال البعثة في مقرهم يصغون الى ما تذيعهُ بعض المحطات الاميركية من الاغاني والقطع الموسيقية . أين هذه الحال من تلك الوحدة الرهيبة التي خاضها سكوت وشاكلتن وامندسن الى القطب !

وسائل النقل والتلغرافات والتلفونات

في القطر المصري

لحضرة صاحب المعالي عبد الحميد سليمان باشا وزير المواصلات

(١) النيل

لا بد لكل بيان عن حالة المواصلات في مصر ان يبدأ بالاشارة الى المواصلات عن طريق النيل — ذلك النهر الذي تحسب مصر نفسها مدينة بوجودها لهُ والذي كان سبب غنى اراضيها منذ اقدم الازمنة حتى الآن وكان بمنزلة اعظم طريق سلطاني للشعب المصري. ولهذا السبب كان المصريون من اقدم بناة السفن في العالم . وان الملمين بالنقوش التي تشاهد على جدران المعابد القديمة يذكرون مشاهد بناء السفن وصور المراكب ماخرة عباب النيل . وقد كان المصريون القدماء ينقلون حجارة الغرانيت والحجارة الكلسية من مكان الى مكان بواسطة النيل . ومع ان ماء هذا النهر يجري من الجنوب الى الشمال فان الرياح تهب عليهِ من الشمال الى الجنوب . وهذا مما يسهل الملاحة في النهر

ولا تزال المراكب الكثيرة تمخر عباب النيل . ولاشك ان السياح الذين يزورون مصر في الوقت الحاضر يقفون معجبين بالمراكب الشراعية وهي تنتقل من ميناء الى ميناء منقلة بالشحن وشرعها جميلة المنظر منتفخة بفعل الهواء . ولا يفوتنا ان نذكر الذهبيات والبواخر النيلية . والاخيرة مراكب فخمة تتيح للزائر رؤية نهر النيل العظيم وعلى ضفتيهِ اثنتان وثمانون مدينةوقرية كبيرة ، وهناك شبكة من الترع والقنوات توزع المياه على جميع المناطق الآهلة بالسكان

(٢) ترعة السويس

اما ترعة السويس فقائمة بنفسها وليست من طائفة الترع ذات المياه العذبة ويبلغ طولها مع طول ما يتصل بطرفيها من البحر الملح مائة وثمانية وخمسين كيلو متراً وتمتاز بكونها لا توصد .وقد بدئ بحفر هذه الترعة في سنة ١٨٥٩ وفتحت للتجارة الدولية في سنة ١٨٦٩ . ومنذ افتتاحها لم ينقطع العمل لصيانة مجراها وضفتيها . اما عمقها فقد كان في الاصل ثمانية امتار وعرضها عند سطحها اثنان وعشرون متراً . ويبلغ اقل عمقها الآن عشرة امتار ويختلف عرضها من خمسة واربعين متراً الى ستين متراً . ولا يزال العمل متواصلاً لجعل

اقل عمقها اثني عشر متراً وعرضها في جميع اجزائها ستين متراً

ولهذه الترعة محطات للمراقبة متصلة ببور سعيد والاسماعيلية والسويس بالاسلاك التلغرافية والتلفونية على مدى كل عشرة كيلو مترات على كلتا الضفتين . ومعظم السفن التي تجتاز الترعة هي بريطانية . وقد بلغ مجموع وسق السفن التي مرت بها في السنة الماضية ستة وعشرين مليوناً وسبعمائة واثنين وستين الف طن وبلغ مجموع دخل الترعة في سنة ١٩٢٥ ستمائة وثمانية ملايين وستمائة وسبعة وسبعين الفاً من الفرنكات وبلغ في السنة التي بعدها ٧٤٦٥٤٧٠٠٠ فرنك . اما مجموع النفقات فبلغت مائة واربعة عشر مليون فرنك في سنة ١٩٢٥ ومائة وثمانية عشر مليوناً وسبعمائة الف فرنك في السنة التي عقبتها

(٣) الترع الاخرى والنقل الميكانيكي

وليس بين ترع البلاد الداخلية سوى قليل منها يصلح للملاحة على مدار السنة لان معظم تلك الترع هي للري فهي عرضة لما يطرأ على النيل من ارتفاع وانخفاض في فصول السنة المختلفة . على انها اداة صالحة للنقل . وقد مهدت أغلب الطرق الزراعية على محاذاتها لان اسس تلك الطرق هو التراب المتراكم من حفر الترعة . ويبلغ مجموع طول الطرق الزراعية نحو ستة آلاف كيلو متر تخترق جميعها قلب البلاد

ثم ان بين القاهرة والسويس طريقاً تخترق الصحراء والاوتوموبيلات تجتازها اليوم بكثرة . وفي الصحراء طرق اخرى كثيرة تصلح لسير الاوتوموبيلات ولكن جوب الصحراء يحتاج الى حذر عظيم اذ يجب ان يتم بارشاد مرشدين جديرين بان يعتمد المرء على خبرتهم كما انهُ يجب اخذ العدة والزاد واوتوموبيلين اضافيين على الاقل . وقد اقيمت على محاذاة الطرق علامات يستدل بها المسافر على وجهته

وقد ادت ضروب التسهيل بالطبع الى اتساع نطاق النقل الميكانيكي فاصبحت الاوتوموبيلات ومركبات اللوري تنافس القطرات الحديدية كما في جميع البلدان

اما الطرق والجسور (الكباري)الكبرى في مصر — ما عدا جسور السكك الحديدية وقناطر الري فتقوم بصيانتها « مصلحة الطرق والكباري » التابعة لوزارة المواصلات . وهنالك طرق تخترق النيل والترع في مواضع مختلفة وتصلح سدوداً او قناطر او جسوراً للسكك الحديدية . كما ان على النيل والترع مئات من المراكب والقوارب لنقل الناس من ضفة الى اخرى . وجميع هذه المراكب مسجلة في مصلحة تسجيل المراكب التابعة لوزارة المواصلات . وقد بلغ عددها في سنة ١٩٢٧ اكثر من احد عشر الف مركب . وبلغ مجموع وزن البضائع التي نقلتها المراكب مارة تحت جسر امبابه نحو خمسمائة وتسعة

وستين الف طن في سنة ١٩٢٣ ونحو ثمانمائة وتسعة وعشرين الفاً في سنة ١٩٢٧ ومعظمها من مواد البناء التي يتطلبها اتساع نطاق العمران السريع في القاهرة .وقد كثر استخدام البواخر في المياه الداخلية ومن ضمنها بواخر شركة الخواجات توماس كوك وولده وبواخر شركة الانجلو اميركان النيلية والزوارق المختلفة التي هي في ازدياد مستمر

(٤) السكك الحديدية

على ان السكك الحديدية هي وسيلة المواصلات العظمى . وقد كانت مصر من اقدم البلاد التي انشئت فيها هذه السكك وقررت ان يكون عرضها العرض المتفق عليهِ في جميع انحاء العالم . وفي سنة ١٨٥٢ عهد الخديوي عباس الاول الى المهندس جورج ستيفنسون بانشاء الخط الحديدي بين القاهرة والاسكندرية . ومنذ ذلك الحين اتسع نطاق السكك الحديدية في مصر فزادت سنة بعد اخرى وعمت مكاناً بعد آخر ففي سنة ١٨٧٤ وصلت الى اسيوط وفي سنة ١٨٩٨ وصلت الى الاقصر .وجاءت بعد ذلك الحملة على السودان بقيادة اللورد كتشنر فأدت الى انشاء خط حديدي بين الاقصر واصوان كان عرضهُ ثلاث اقدام وست بوصات ثم ابدلت بهِ مصلحة السكك الحديدية بعد ذلك خطاً عريضاً من المقياس المتفق عليهِ . وعقب ذلك انشأت بعض الشركات خطوطاً ضيقة من مقياس قدمين ونصف قدم ومن مقياس متر واحد وذلك باذن خاص من الحكومة المصرية

ولا تزال الخطوط والمحطات والجسور الجديدة تنشأ وحيثما اقتضت الحاجة جُعل الخط مزدوجاً . والوزارة تعمل الآن بهمة على جعل الخط مزدوجاً بين اسيوط والمنيا

ويبلغ الآن طول الخطوط التي تمتلكها الحكومة ٣٢٨٠ كيلومتراً وطول الخطوط التي للشركات ١٣٧٦ كيلومتراً . ويبلغ عدد الركاب الذين تنقلهم السكك الحديدية الاميرية ثلاثين مليون نفس في العام ومجموع وزن البضائع التي تنقلها سبعة ملايين ونصف مليون طن فضلا عن خمسين الف طن من امتعة الركاب تقريباً وعن خمسمائة وخمسين الف راس من الماشية. وفي محطة القباري بالاسكندرية —وهي الموضع الذي يرسل اليهِ القطن عادة — مائتان وخمسون « مزلقانا » تمرُّ عليها كل يوم نحو الفي وخمس مائة مركبة . ويسير كل يوم خمسمائة قطار للركاب ومائتان وعشرون قطاراً للبضاعة وكلها تابعة لمصلحة السكك الحديدية . وتمرُّ هذه القطارات على ثلاثمائة وعشرين جسراً منها ثمانية جسور فوق نهر النيل . وفي القنطرة ناقل ينقل ركّاب السكك الحديدية فوق ترعة السويس فهو حلقة اتصال لنقل المسافرين والبضائع الى السكك الحديدية الفلسطينية

ولشركة المركبات عربات للاكل والنوم ومركبات من طراز بولمان مردفة بقطرات

« الاكسبرس » بالاتفاق مع مصلحة السكك الحديدية . واهم القطرات مجهزة بمدافئ بخارية وبالنور الكهربائي وبمصابيح خاصة للمطالعة كما انها مجهزة ايضاً « بالفرامل » من الطراز المفرغ من الهواء وفي فصل الشتاء تسير القطرات الفخمة بين القاهرة والاقصر واصوان ومنها القطار الموسوم « باكسبرس الشمس المشرقة » الشبيه بقطار « السهم الذهبي » في انجلترا وقطر « كوكب مصر » الشبيه « بالقطار الازرق » . وقد بدئ حديثاً بتسيير مركبات بخارية لنقل المسافرين والبضائع في انحاء الدلتا . والوزارة تنظر الآن في « مشروع كهربة خط حلوان » ووصل هذا الخط فيما بعد بخط المرج . فاذا وافقت الحكومة على ذلك وجب انشاء خط كهربائي يجتاز القاهرة في نفق تحت الارض وسيخفف ذلك وطأة الزحام التي يعانيها المرء في الانتقال من الاحياء الشرقية الى الاحياء الغربية

وستنشئ الوزارة مصانع (ورشاً) للسكك الحديدية خارج القاهرة اكمل معدات من المصانع الموجودة الآن في بولاق . وقد شرعت ادارة السكك الحديدية في ادارة خط الترام الكهربائي بين الاسكندرية وسان استفانو وهو الخط المعروف بترام الرمل

وتقوم ادارة السكك الحديدية الاميرية على النظام المعروف « بالمصلحي » الا فيما يتعلق بترام الرمل المشار اليه . وميزانيتها هي جزء من ميزانية الدولة . وقد زاد الدخل من ٢٥٣ ١١٨ ١ جنيهاً مصرياً في سنة ١٨٧٧ الى سبعة ملايين جنيه في سنة ١٩٢٧ ويقدر رأس مال السكك الحديدية في الوقت الحاضر بواحد وثلاثين مليوناً من الجنيهات وقد بلغ صافي الربح في سنة ١٩٢٧ — ١٩٢٨ مليونين واربعمائة وستة واربعين الف جنيه اي نحو ٧٦ ، ٧ في المائة من رأس المال . اما العمال فيبلغ عددهم خمسة وثلاثين الفاً

ولشركة سكك الدلتا الضيقة ما طوله ٩٧٨ كيلومتراً من الخطوط التي يبلغ قياس عرضها قدمين ونصف قدم . وهي تتصل بخطوط السكك الحديدية الاميرية في عدة مواضع . وقد بلغ عدد الذين نقلتهم هذه الشركة على خطوطها في سنة ١٩٢٦ — ١٩٢٧ ثمانية ملايين واربعمائة وثلاثة وسبعين الفاً وتسعمائة واثنين وتسعين نفساً

وقد بدئ باستعمال المركبات البخارية ووسائل النقل الميكانيكية لمنافسة الاتوموبيلات في الارياف . وهي تنقل جانباً كبيراً من محصول البلاد الزراعي ومن ادوات البناء والمعادن والسمك . اما خط الوجه البحري (ومقياس عرضه متر واحد) فمقصور على انحاء الدلتا الشمالية الشرقية . وهذا الخط متصل بالسكة الحديدية الاميرية عند المنصورة . وفي مديرية الفيوم خط مفرد ضيق يبلغ عرضه ثلاثة ارباع المتر « لشركة سكة حديد الفيوم الضيقة »

التتمة في الشهر القادم وتتناول التلغراف والتلفون والبريد والموانئ والمواصلات الجوية

أوراق الورد (١)

رسالة الابتسامة

يَتَمَدَّمُ الحُبُّ على قلبِهِ كأنه سيفي نفسِهِ يَنْهَدِمْ
بِرَجفةٍ حامِلُها لم يزَلْ مُمَزَّقاً في القلبِ لا يلتئمْ

***

زَلازِلُ البركانِ لما دعتْ إذ سمعتْ بركانها المحتدِمْ
أجابها اللهُ الطُفي وارجُفي من شفتَيْ محبوبةٍ تبتسمْ

***

لا يمكن القلبَ أن يعانق القلب ، ولكنهما يتوسلان الى ذلك بنظرة تعانق نظرة وابتسامةٍ تضمُّ ابتسامة

كلمة سماوية مخلوقةٌ من الضوء في شفتيكِ الجميلتين تعبِّرُ عن كل شيء بحركة واحدة لا تتغيَّر ولا تختلف ، على حينِ أن معانيها في النفس دائبة في تغيُّرها واختلافها

في عينيكِ الأحلامُ رهيبةً غامضة ، ولكن على شفتيكِ معانيَ الأحلام واضحةً مفسَّرة . فابتسامُكِ هو كلامك الذي لا تتكلمين به . وهو يضيء ليومىء باشارة سماوية الى سر المجهول الذي يتحجَّبُ في جمالك . ولكنه لا يكاد يُومِضُ حتى يطفئه هذا السر ، فيمودُ فيستطير ثم يعود فيختفي ثم يعودُ ثم يعود.

---

(١) « أوراق الورد — رسائلها ورسائله » هي التي نبهنا اليها في آخر كتابنا (رسائل الاحزان في فلسفة الجمال والحب) وهي معانٍ تطارحها شاعر روحاني فيلسوف وشاعرة روحانية فيلسوفة في رسائل جرت بينهما في حالات مختلفة يكتب اليها بما عنده منها وما عند نفسه من نفسه وما يكون من الوجود المحصور بينهما في حدود الحب وكذلك تفعل هي . وقد يكتب هو لنفسه بما في نفسه لا غير . وهذه رسالة الابتسامة واحدة منها

أهنالك نزاعٌ عن حقيقة خفية من الحقائق الجميلة لم تجد لها مخبأً الا ثغرك الجميل؟

أم لك فكرٌ شعريٌ موسيقيٌ فهو يرقص دائماً على وزنٍ من ابتسامك؟

أم في قلبك مادةٌ من النجوم فهي دائماً تلمح لمحها في سماء وجهك النيّرة؟

***

يجد الطفل على كل حالة وفي كل مكان سرورَ نفسه لسبب واحد وهو أن ابتسامه أبداً معه، فهو لم يملك من الوجود شيئاً بعدُ ولكنه أغنى من عليها بهذا الكنز الذي خبأته السماء فيه لينفق منه فيما لا تبيعُ كنوزُ الأرض ولا تشري

لولا هذا الابتسامُ في هؤلاء الأطفال وأنه على أفواههم كالنبض في قلوبهم، لما نفعتهمْ نافعةٌ في تحصيل النموّ للجسم والصبر للطبيعة والاستقرار للعاطفة والهدوء للنفس والسعة للعقل، ولضغطت الحياةُ أجسامَهم ونفوسَهم اللينة في قوالب معانيها المحدودة الضيقة المصبوبة من الضجر والآلام والهموم فما يكبرُ من بعدها على الأرض طفل أبداً. ولكن ابتسامَهم سَراحٌ من كل قيود المادة. هو أشعةُ الهيبة تذيب ما حول القلب الصغير من المعاني الضاغطة عليه ولو كان كلُ معنى رُوحَ جبل صخريّ من الهمّ

لا تزال الجنّةُ مع الطفل حتى اذا كبرَ قيلَ له كما قيلَ لآدمَ أهبطْ منها أكل آدم من الشجرة ولا شيء يضيع في الكون فأين الحلاوة؟ هي في أفواه الأطفال

***

ويتبسّم الطفل ويضحك ونحسبُ ذلك على مقداره. كلاّ إنه وان يكن طفلاً صغيراً في ملء جلده وعلى وزن جملته، ولكن مادة ابتسامه على مقدار

الطبيعة كلها لأن عظمة الكون هي التي ترعاه بهذا الأسلوب الصغير

هو لا يحيا في العالم بل في معاني نفسه . وبذلك هو دائماً فوق الدنيا

ومن حياة الأطفال في معاني أنفسهم ندرك سرّ الحب وسرّ السعادة ، فان كل لذة الحب وإن أروعَ ما في سحره أنه لا يدعنا نحيا فيما حولنا من العالم بل في شخص جميل ليس فيه إلا معاني أنفسنا الجميلة وحدها ومن ثَمّ يصلنا من جمال الحبيب بجمال الكون ، وينشئ لنا في هذا العمر الانسانيّ المحدود ساعاتٍ الهيبةَ خالدةً تُشعِرُ المحبَّ أنّ في نفسه القوة المالئةَ هذا الكونَ على سعته . فَتمرُّ النفس حينئذٍ في سبحاتِ اللذة الروحية من الجميل ، الى الجمال ، الى الطبيعة ، الى الله

***

أما ابتسامتكِ أنتِ ؟

انكِ حين تمنحين نظرتَكِ وتُتبعينها الابتسامةَ التي تفسّرها، أقول عندئذٍ في نفسي لقد عَلِمَ اللهُ علمَهُ في حكمته ورحمته . فلما خلق الحقيقةَ من قوّته عابسةً جافيةً قابلها من رحمته بالحبيبة متبسمةً رقيقة . فلعل المرأة الجميلة أسلوبٌ في الفرع الانساني كأسلوب انشاء الزهرة في ذات القوة الخشنة التي تنبت الشوك

***

المعنى الذي لا يتحولُ بغيره يقابله المعنى الذي لا بد ان يحوّل غيرَه . إنها مشكلةٌ عجيبة كان حلُّها أعجبَ منها

فما توجد امرأةٌ هي جميلةٌ فاتنةٌ في وهم رجل إلا انبعث من شخصها معنى ليس في أحد غيرها كأنّ فيها وحدها ما لا يوجد في آدميّ . وفي هذا السيال المعنويّ يذوب كل شيء ، وترى هذا الرجلَ يصغُر للحب — ولا أقول يصغر"

به — فيرجع كالطفل تتولاه الطبيعة في شكل امرأة، تعمل وحدها فيما يسوء ويسر عملَ الدنيا وأكبرَ من عمل الدنيا

ولكلِّ محبَ مع المخلوقات التي يعيش بينها مخلوقات من خواطره وآماله، وهذا برهان آخر على ان الشخص المحبوبَ أحدُ قوتين متقابلتين في الخلق

***

في ابتسام الحبيب يتنقّل العاشقُ بروحه بين المعاني والخيالات الشعرية السماوية، وفي تلك النظرات يسافر بقلبه الى أحلامه البعيدة كما يسافر الفلكيُّ بعينه الى النجوم في (التلسكوب)

يسمُّونه ابتساماً. ولكن حين يظمأ النباتُ لا يقول للناس أريد الماء، بل يقول للشمس وحدها أريد من شعاعك البارد العذْب يا حبيبتي

والماء حين يبصر تحرُّقَ الأسفنج الجافَ يقول إن كل ثقب من هذه الثقوب نفس ظمآى

كذلك أُوحيَ اليّ أن محباً قبَّل حبيبته في روضة عند شجرات من الورد، فأشارت إحداهن الى شفتي الجميلة المضمومتين وقالت لصواحبها: أسمعتنّ قطُّ أجملَ من صوت هذه الوردة الصغيرة وهي تتفتّح . . .

الزمنُ كلُّه موسيقى عند المحب، ولماذا؟

لصوت حبيبته

والزمن كلُّه ربيع في رأي عينيه، والدليل؟

وردُ خديها وشفتيها

والزمن كلُّه جمالٌ في نفسه، والبرهان؟

كلها. كلها . . .

وهل أبدع اللهُ الفمَ الجميلَ المبتسمَ بهندسته وتقسيمه الا ليُبدعَ هو في إبتساماته فنّ الروح حين لا تستطيع أن تتكلم فترتعش . . . ؟

كلامُ الفكر من اللسان ، وكلامُ القلب من العينين ، أما كلامُ الروح فهو هذه الحركةُ البليغةُ وحدها . وحدها

أليس تألق الماسة هو وحده لغةَ معدنها النفيس ؟

الألفاظ تجيء ومعانيها في نطقها . ولكن ابتسامَ الحبيبة هو يستخرج معناه من محبها

واللغة رابطة بين النفس والمادة، وأما الابتسام فرابطة بين الحسن والقلب

إنها الروحُ تأخذ عن روح أخرى في حالة من الحالات النفسية الخالقة، تحوِّلُ كلَّ شيء الى لغةٍ حتى اللحمَ والدم

***

عند ما تبتسمين أشعر بحرارة أفكارك في دمي

وفي تضرُّج وجنتيك لا أرى احمراراً ولا خجلاً ولا حياء بل أرى قلبَك يتكلم بلون خديك

إن للقلب أربعَ لغاتٍ يتكلم بها : واحدةٌ منهن بالألوان في الوجه ، والثانيةُ بالدلال في الجسم ، والثالثة في النظر بالمعاني . والاخيرة وهي أسهلُهن وأبلغهن : يتكلم بكل ذلك في ابتسامة

***

ومع ابتسامة الحب يأبى فمُ الحبيب أن يلفظَ كلمةً لا يقبلُها فمُ حبيبه يالها فكرةً ملائكيةً معلقةً على فم ......

(طبق الأصل) مصطفى صادق الرافعي

الفرنساوي — هذا صحيح . فانهُ ليس من العدل الذي يفتخر بهِ القوم المتمدينون ان يُفرّقوا بين اهل بلد واحد بحجة الدين. على انني اظن اخواننا بني اسرائيل يكادون لا ينسون انهم يهود قبل كل شيء

المصري — وهل ينسى القوم في قرنٍ ما احتملوهُ في قرون ؟ فليس بالخبز وحدهُ يحيي الانسان . وهم بعد ان منحوا الحرية والمساواة ونالوا ما يطمحون اليهِ من ثروة مادية لا يزالون يشعرون بنقص يمس كرامتهم ان لم يكن عندكم في انكلترا او عندكم في فرنسا ففي بقية انحاء المعمور فرأوا ان يعيدوا ملكاً لهم قديماً لا ليجعلوهُ دولة تناهض الدول بل سنداً يجمع مطمح آمالهم في ركن ينالون بهِ الكرامة التي ينشدونها . فلا تقيسوا الامور على يهود انكلترا او فرنسا بل على يهود روسيا وبولونيا ورومانيا تعلموا ما يريدهُ القوم من الوطن القومي في فلسطين

الوطن القومي الفلسطيني

السيدة الفرنساوية — هذا الوطن القومي رشوة اخرجها اصحابنا الانكليز من غير جيوبهم يدفعونها للبلاشفة اذ ظنوا ان الاصبع اليهودي يحركهم فقالوا اننا نرضي هذا العامل المحرك علهُ يسكت عن مناوأة الامبراطورية البريطانية . او هو هدية التقطوها فقدموها لارباب الاموال في حي السّتي في لندن يستعينون بهم على ارباب الاموال من اليهود في البلاد الاخرى . او هو حيلة سياسية يخلقون بها مملكة مدينة لهم بالوجود يضعونها على شرق قناة السويس بين اقوام لا يعترفون لهم بمثل هذا الدين — والا فما معنى ان تمدوا قوماً بوطنٍ ليس لكم وليس لهم . هذا بلد مقدس عندنا نحن النصارى فيهِ تجسد الهنا وفيهِ دفن وقام. فهل تسلمونهُ لمن لا يعرف لهذه الامور معنى. وهو بلد اكثر سكانه عرب مسلمون فهل تحكمون فيهم اقلية موتورة

الانكليزي — سأجيبك على ما تقولين بحقٍ ومن غير هوى وانا واثق من اقناعك

نحن النصارى — وانت ايتها السيدة الكاثوليكية المتدينة سيدة العارفين — ذوي دين يأخذ بالروح لا بالجسد ويقدس المعنى ولا يعبأ بالحرف — سيّان في عرف المسيحية قام المسيح في القدس او في مجاهل افريقيا او اعالي اوربا وسيّان صاب في هذا البلد او ذاك فالعبرة بالروح المسيحية لا بالعبادة الوثنية

اننا نزعم ان المسيح روح وان تعاليمهُ خالدة بل نزعم اننا نتبع مثلهُ الاعلى اذا نحن تجاوزنا عن التاريخ الحرفي واللفظ الجاف فنسينا محلاً ولد ومات فيهِ واخذنا بما هو ارقى

من ذلك وامحى فكفرنا عن ظلمنا الماضي لاخوان لنا في الانسانية واعدناهم الى وطن كل كيانهم الماضي مرتبط بهِ

امرأته الانكليزية — ولماذا لا ينسون هم هذا فلا يعرف اليهودي الاميركي الاَّ اميركا ولا يهتم اليهودي الافرنسي الاَّ لفرنسا . انهم لو فعلوا ذلك لصاروا مثلنا تماماً ولكنهم يحنُّ امرؤهم الى اخيهِ من اقصى الارض الى اقصاها فجامعتهم يهودية مهما قلت لنا

الانكليزي — لا لا . فدزرايلي انكليزي اولاً ويهودي ثانياً — هذا فيما مضى ومثله الآن اللورد ريدنج الذي وليناهُ الهند فذهب اليها مرتين الاولى يافعاً منذ نيف واربعين سنة على ظهر مركب صغير يسعى الى رزقه والاخرى نائباً عن امبراطور الهند تقصف لهُ المدافع اذ تطأ قدماهُ ارضها

يجب ان يفهم الناس بعضهم بعضاً . ان انت لم تساو اخاك بك فظلمته كان من حقه عليك ان لا يخلص لك . افتح صدرك رحباً . ابذر الحرية والمساواة تجنِ الاخلاص والتضامن على مكافحة الحياة . انا نحن الانكليز عند ما فهمنا هذه الاولية في الحكم امنّا شر اختلاف الاديان والعناصر في بلادنا

ولكني لم انهِ بعد ما بدأت بهِ والذنب ذنب زوجتي التي قطعت كلامي — قلت ان الوطن القومي كفارة عن الماضي يقدمها العالم للشعب اليهودي — فاذا قال قائل ان العالم الآن لا يأخذ بالاوطان على أساس الدين قلت ليس لنا نحن ان نغير ما في عقول الناس وقلوبهم . فاليهود يريدون الامر ويسعون اليهِ ويظنونهُ سبباً يعيد اليهم كرامتهم فلماذا لا نسهل عليهم الامر . واين الشرُّ في هذا

المصري — الشرّ ان هناك اكثرية تسكن البلاد فهل شاورتموهم في الامر قبل البتّ فيهِ

الاكثرية

الانكليزي — اكثرية . اكثرية . وظل يعيد الكلمة ويتململ في موضعه يميناً وشمالاً كأنهُ اضاع شيئاً لا يعلم موضعه واهتدى اليهِ اخيراً اذ مدَّ يدهُ الى جيبهِ فاخرج غليونه وملأهُ واشعلهُ ثم فتح فاهُ وقال اسمع يا بنيّ . اني سأفسر لك امراً غاب عنك وعن الكثيرين فخلطوا كلمة الاكثرية ومعناها في كل امورهم السياسية والاجتماعية فضلوا السبيل

ما هي الاكثرية — وما هو معنى الاخذ بحكم الاكثرية في السياسة والاجتماع

المصري — انت ادرى فانتم وضعتموها في قاموس نظامكم البرلماني وعنكم اخذها الناس

الانكليزي — نعم نحن وضعناها ولذا كنتُ اجدر الناس بتفسيرها لك

اننا عند ما تدرجنا في نظمنا البرلمانية خطوة خطوة كانت كل غايتنا منصرفة الى مراقبة انفاق ما يجبى من الضرائب حتى لا يبذرها الملك ذات اليمين وذات الشمال كما يهوى

فلما استقرَّ الامر وقوي سلطاننا برزت الاحزاب في المجلس فكان حتماً علينا والحكومة البرلمانية حكومة مساومة واخذ وعطاء ان نستقرَّ على رأي بعد تبادل الآراء. فلم يكن هناك الا نظام الاكثرية لتحكمه لاننا ان فوضنا الامر فيما نحن مختلفون فيه الى الملك خفنا ان يستردَّ سلطانه ويستأثر بالامر فلم يكن لنا من ملجأ الا باتباع الاكثرية

يبرر امرنا هذا ان الاكثرية اليوم قد تصبح اقلية غداً فتعدل في الامر او تلغيه ان لاقت هوى في قلوب الناخبين. فانت ترى ان اتباع الاكثرية حلٌّ موقت لرأي عارض ولا مبرر لهُ الا في نظام يستند على الانتخاب

فالاكثرية حتى تصلح قضاة فاصلاً في نزاع يجب ان تكون متحركة غير مستقرة. تراها اليوم في هـذا الحزب وغداً في ذاك والا فلا معنى لها بل ينعكس امرها الى اثرة واستبداد

يعرض اليوم امر على مجلس فتحكم الاكثرية حكمها ثم يدور الزمن دورته فتتغير الاحوال وتذهب المناسبات فيعرض الامر نفسه على المجلس فتحكم اكثرية اخرى حكماً آخر. فنظام الاكثرية ان كان متحولاً متغيراً تمشى مع مقتضيات الزمن لان شريعة مادي وفارس التي لا تنسخ لم يعد لها وجود في عصر الحرية والنور. لذلك كانت «الاكثرية» نظاماً حسناً في كل امور السياسة والاجتماع مما تفصل فيه مجالس الامم

هذا ما فهمناهُ من « الاكثرية » وهذا ما يجب على العامة ان يعرفوهُ

واما ان تأخذ هذا النظام وتنفذهُ فيما سوى ذلك فهذا الخطأ كله. خذ بلداً يسكنهُ قوم يدينون بدينين او يمتّون الى عنصرين مختلفين. فان انت حكّمت اصحاب الاكثرية من هذا العنصر او ذاك الدين ظلمت الفريقين الآخرين واسأت الحكم

ذلك لان الناس لا يتحولون عن دينهم او عن عنصرهم بمثل السهولة التي يتحولون فيها عما يطرأ عليهم من الامور السياسية والاجتماعية. فتحكيمك مصلحة الاكثرية في هذا الصدد خروج عن مبدأ المساواة والاخاء لانك لماذا تحرم على هذه الاقلية ما تحللهُ للاكثرية ابد الدهر. ان القاعدة العادلة هي اطلاق الحقوق كلها على السواء لاهل البلد الواحد الخاضعين لقانون واحد في جميع مرافق الحياة اطلاقاً لا حدَّ لهُ ولا تمييز فيه

ارأيت الينا نهتمّ اذا رأينا كل وزرائنا اسكوتلنديين او رأيناهم كلهم انكليزاً. لا. ولا

يفكر مخلوق منا في ان الاكثرية في الجزائر البريطانية انكليزية لا اسكوتلندية . لذلك تراني — على كرهي للاميركيين — احبذ مبدأهم في قارتهم الواسعة فالكل متساوون في الحقوق وفي الواجبات ولكل رجل احتمال ان يصل الى ابعد مجال في ايّة حلبة في سباق الحياة . ذلك لانهُ ليس من حسن السياسة في شيء ان تحدَّ مطامع فرد واحد في الامة بحد انتسابهِ الى دين دون آخر او الى عنصر دون آخر

ان الذين يأخذون بهذه الروح عرفوا طريق الحياة وصراطها المستقيم

المصري — لم اسمع بعد تفسيراً لكلمة الاكثرية مثل هـذا ولكنهُ يلوح لي انكم جيرة المانش قد جعلتموهُ بضاعة محلية لا تصدرونها كبقية بضائعكم الى الخارج

وانطفأت شعلة الدخان في غليون صاحبنا الانكليزي فانطفأ معها توقد ذهنه فأغمض عينيهِ ورمى برجليهِ الى الامام وصمت

***

وتحول القوم كلٌّ الى جريدة يقرأها الاَّ صاحبنا المصري فخرج يبحث عن صديقهِ ابي اسحاق في غرف الفندق من تحت الى فوق حتى رآهُ داخلاً حجرتهُ فرصدهُ الى ان خرج فهشَّ لهُ وبشَّ وقال تعال نتمشى في ازقة لوسرن

ولم يكن ابو اسحاق يتوقع مثل هذا الظرف ولم يفطن الى سرّهِ فانقاد اليهِ وطاف الرجلان ملاهي لوسرن ومتنزهاتها الى الهزيع الثالث من الليل حتى اذا همَّا بالعودة سأل المصري صديقهُ عن حال السيدة قرينته واين مكانها لا ترى. قال الرجل لقد جاءنا نبأ برقي من امها في جنيف تستدعيها على جناح السرعة فسافرت قبيل العشاء

فكتم المصري غضبه ووجم لحظة ثم قهقه ضاحكاً وسألهُ هل تفهم العربية قال لا قال انهُ كان لنا في سالف العصر شاعر ادعى ان ثلاثة تشرق الدنيا بطلعتها شمس الضحى وابو اسحاق والقمر. فها انا ذا في لوسرن وليس للشمس من اثر والقمر لا نعرف لهُ وجهاً فلم يبقَ لي الاَّ وجهك ابا اسحاق يشرق عليَّ وعلى الدنيا

قال ماذا تقول . ترجم

قال انا نحن الخمسة راحلون غداً في الفجر بالقطار الى باريز ومنها الى بلاد البلجيك. استودعك الله

ابو اسحاق — ولماذا تسرعون في الفرار من سويسرا والحرُّ في باريز يلفح الوجوه ويصهر الاجسام فلم يجبهُ صاحبنا وهرول الى غرفته ودخل سريره يغط في نومه معياً من سهرتهِ مع ابي اسحاق

سامي الجريديني

تاريخ المسكرات عند المصريين

والفرس واليونان والرومان

كانت الباخرة الكندية «ايم آلون» تمخر عباب البحر على مقربة من شواطىء الولايات المتحدة في اواسط شهر مارس الماضي فاغرقتها احدى بواخر خفر السواحل الاميركية لانها حسبتها من البواخر التي تهرب المسكرات الى اميركا. فثارت الحادثة ضجة كبيرة في الدوائر السياسية باميركا وكندا وانكلترا حتى كادت تجر الى مشكلة دولية. فرأينا من باب الفكهة التاريخية ان ننشر في ما يلي مقالة في تاريخ المسكرات عند الامم القديمة ونتبعها باخرى موضوعها تاريخ المسكرات عند العرب

لا امة على وجه البسيطة الا وعندها مسكر من المسكرات أو مخدِّر من المخدِّرات كأن في الانسان ميلاً فطريًّا الى استعمال ما يسكن الحواس ويفرج الكُرَب ولو كانت مضارهُ تربي على منافعهِ فاستعمل المسكرات على انواعها وعمَّ استعمالها طبقات الناس غنيهم وفقيرهم عظيمهم وحقيرهم واكثرهم يقول مع ابي نواس

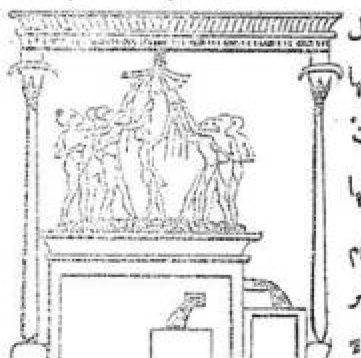
ألا فاسقني خمراً وقل لي هيَ الخمرُ ولا تسقني سرًّا اذ امكن الجهرُ

وقد اجمعت تواريخ الامم القديمة كالصينيين والهنود والعبرانيين والمصريين والفرس على ان المسكرات كانت تستعمل في العصور الغابرة كما تستعمل الآن فكان الصينيون يصنعون الخمر من العنب والمزر من الارز ويشترك في شربهما سوقة الناس وسراتهم حتى الملوك على عروشهم

وجاء في كتب البراهمة الدينية ذكر كثير من المسكرات وطرق شربها وادمانها وتهافت الكهنة والحكام عليها. وذكر فيها نوع من الخمر اسمهُ صوما يصنع من عصارة النبات ويسكب للآلهة سكباً فتشربهُ وتسكر بهِ وتطيب نفوسها ويجوز لساكبيهِ ان يشربوا بعضهُ فاذا طابت بهِ نفوسهم قالوا ان الآلهة رضيت عنهم وانعمت عليهم بما شعروا بهِ من الانبساط وخفَّة الروح

وكثر ذكر الخمر في التوراة ووصف ماينتج عنها من النفع والضرّ فقيل انها « تفرح قلب الانسان » وانها « تلسع كالحية وتلدغ كالافعوان » . ولذلك قال البعض ان الخمر الممدوحة هي السلافة اي عصير العنب غير المختمر والمذمومة العصير المختمر

وعَصر المصريون الخمر من العنب واستخرجوا المزر (البيرة) من الشعير منذ خمسة آلاف عام ورسموا صور الكروم والمعاصر والدنان على جدران هياكلهم ومدافنهم. ويجد اهل النقب دنانهم مختومة بالقار الاَّ ان خمرها استحال بخاراً وتراباً . وقد نظر الندمان ختم انائها وعلموا انها من بقايا قوم نوح ولكن لم يسكرهم ختمها ولا جلتْ ظلمةَ الاحزان والكُرَبِ . وجلُّ ما استفدناهُ منها اننا علمنا مكانها من نفوس المصريين القدماء وعلمنا انهم كانوا يعنون بتعتيقها كما يعنى بهِ اكبر محبيها في هذا العصر



وكانوا يجلسون في مجالس الشراب رجالاً ونساء يطوف عليهم الغلمان والجواري بقلائد الازهار وكؤوس النضار ولسان حالهم يقول

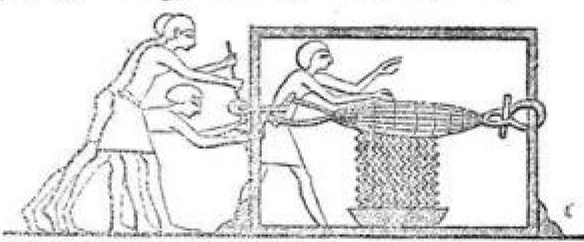
أشرب على زهر الرياض يشوبهُ زهر الخدود وزهرة الصهباء
من قهوة تنسي الهموم وتبعث الـــشوق الذي قد ضلَّ في الاحشاء

والغلمان عراة الابدان لا حلي عليهم ولا حلل الاَّ التبابين تستر عوراتهم والجواري سادلات الشعور مقلدات النحور على رؤوسهنَّ العصائب وفي معاصمهنَّ الاساور وفي آذانهن الاقراط وليس على ابدانهنَّ غير سيور دقيقة يقصد بها التحلي اكثر من الاستتار

وكانوا يسكرون احياناً ويعربدون ويُحمَلون من مجالس الشراب على المناكب والرؤوس ولم تزل صورهم الى يومنا تؤيد ما تقدم كما ترى في هاتين الصورتين فانهما تمثلان معاصر الخمر نقلاً عن كتاب ولكنسن « عادات المصريين القدماء وآدابهم »

***

وفي كتاب الفرس القدماء اشارات كثيرة الى المسكرات ولها فيهِ اسماءُ شتَّى ومنها الحما (اي الحميَّا) والحوراء وكان المادبون اهل سكر وخلاعة فسهل على قورش الفارسي التغلب عليهم برجالهِ الفرس سكان الجبال اهل



النجدة والشدَّة . فلما تمَّ لهم النصر عكفوا على الملاهي وانغمسوا في الملاذ . ونقل عن ملكهم زركسيس خليفة قورش العظيم انهُ كان اقدر على شرب الخمر من كل رجل في

مملكتهِ فلا غرابة اذا تغلب اليونان عليهم بعد ذلك ونخرُ ملوكهم ادمان المسكرات

ولم يكن اليونان يحرمون المسكر ولكنهم كانوا مقتصدين في شربهِ غاية الاقتصاد شأن اكثر الامم التي الخمر من نتاج ارضها فانهم استخرجوه اولاً من الشعير والتين والتمر ثم اشتهرت خمرهم التي كانوا يستخرجونها من العنب وتفننوا في زرع الكرم وحسبوهُ من اكبر الهبات الآلهية لكنهم كانوا يراعون شأن اجسادهم ويهتمون بترويضها وتقويتها ويبتعدون عن كل ما يضعفها فلم يشع السكر بينهم لانهُ مخالف لما كانوا يسعون اليهِ من تقوية الابدان . وكانت خمرهم ضعيفة قليلة الالكحول ولم يشربوها الا ممزوجة بالماء وكانوا يكثرون قتلها بالماء حتى لقد يمزجون الكاس منها بعشرين كاساً منهُ وان قللوا الماء مزجوا الكاس منها باربع او خمس منهُ . واذا اجتمع شبانهم لوليمة وشربوا الخمر ممزوجة الكاس منها بثلاث كؤوس من الماء سمي عملهم اسكثية نسبة الى الاسكثيين البرابرة المتوحشين

ولا يبعد ان بعضهم كان يستحلُّ الشرب ويبالغ فيهِ حتى يسكر لكن كان ذلك نادراً او قليل الشيوع . وغاية ما كانوا يقصدون من شرب الخمر الطرب لا السكر . وصوروا ديونيسوس اله السكر بصورة ولد يضحك ويمزح ثم بصورة شاب جميل الطلعة ثم بصورة رجل طلق المحيَّا محب للعلم والادب

وكانت ايام قطف العنب عندهم ايام سرور وحبور ولعب ومزاح كايَّام القطاف في جبال لبنان . وسميت الالعاب التي كانوا يلعبونها حينئذٍ كومديا نسبة الى كومُس وهو اسم المركبة التي كان اللاعبون يركبون عليها

ونشبت الحرب الاهلية بين اثينا وسبرطة وطيبة فاستنزفت قوى اليونان وحلَّت عزائمهم فامسوا غنيمة باردة لسكان الجبال وهم اقوام خشنو الطباع جمعَ شملهم فيلبس المقدوني ابو الاسكندر وتغلَّب بهم على اليونانيين وكان رؤساؤهم يكثرون من شرب الخمر وجاراهم فيلبس على ذلك فشاعت خلة السكر وضربت في البلاد اعراقها

يروى ان احد الفلاسفة رفع دعواهُ الى الملك فيلبس فحكم عليهِ لا لهُ فقال اني استأنف الحكم . فقال فيلبس الى من تستأنف وانا الذي حكم عليك . فقال اني استأنف منك سكران اليك صاحياً . فكان لكلامهِ وقع عظيم عند فيلبس فسمع دعواهُ في اليوم التالي وحكم لهُ

ويروى ان فيلبس طلَّق زوجتهُ اولمپياس ام الاسكندر وتزوَّج باخرى واولم لذلك وليمة كبيرة وكان عمُّ زوجتهِ الجديدة حاضراً فيها فتكلم كلاماً اغاظ الاسكندر فرفع

الاسكندر كأس الشراب ورماهُ بها فاغتاظ فيلبس من ذلك واستلَّ سيفهُ وهجم على الاسكندر ليقتلهُ وكانت الخمر قد لعبت برأسهِ فعثر وسقط على الارض فقال الاسكندر من فورهِ « انظروا يا رجال مقدونية ان الرجل الذي يريد ان يزحف بكم من اوربا الى اسيا لا يستطيع ان ينتقل من كرسي الى آخر بلا عثار »

ورقي الاسكندر الى عرش الملك في السنة التالية وكان مثالُ ابيهِ لم يزل نصب عينيهِ فبذل جهدهُ في تجنُّب كل ما يضعف ملكهُ او يمنعهُ من بلوغ الغرض الذي طمحت اليهِ عيناهُ ولم يمضِ عليهِ سنتان حتى عبر إلى اسيا فدوَّخ بر الاناضول ومصر والشام والعراق وبلغ بلاد الهند . قهر الممالك لكن الخمر قهرتهُ وصرع الابطال لكن ابنة العنب صرعتهُ فدخل بلاد قرمان في زي ديونيسوس اله الخمر وحولهُ موكب من السكارى ولعبت الحميَّا برأسهِ في سمرقند فقتل صديقهُ كليتوس وكان قد انقذهُ من القتل . وسكر في برسبوليس عاصمة الفرس فامر بحرق قصر الاكاسرة . ثم اولم وليمة عظيمة لكبار قوادهِ ووعد من يقرع غيرهُ في الشرب بتاج من الذهب فتبارى الرجال في هذا المضمار ونال التاج شاب اسمهُ برماخوس بعد ان شرب ثلاثين رطلاً (مصريًّا) من الخمر . وعصفت الريح بليلاً تلك الليلة نخرقت ابدان تلك السكارى الى عظامهم فمات اربعون منهم شهداء السكر ورأى ذلك سائر القواد فتذمروا وتململوا ولكن الخمر

معوَّدةٌ غصب النفوس كأنما لها عند ألباب الرجال ودائعُ

فطأطأ لها الاسكندر رأسهُ وبقي على ولائها حتى اخمدت انفاسهُ . فانهُ اقام مرَّةً في مجلس الشراب يومين وليلتين فاصابتهُ حمى قضت عليهِ وهو في الثانية والثلاثين من عمرهِ

***

وتاريخ الخمر في بلاد الرومان كتاريخها في بلاد اليونان فان الرومانيين كانوا اولاً رجال بأس ونجدة حاربوا دفاعاً عن انفسهم ثم بقصد الغزو والكسب ومرَّت عليهم السنون وهم اهل حرب وجلاد لا يشربون المسكر ولا يتنعمون بالملاذ . وكانت خمرهم رديئة ولم يكن يشربها الاَّ الرجال من سن الثلاثين فصاعداً واذا شربتها امرأة فجزاؤها القتل . وكان يفرض على المرأة ان تحيي زوجها واباها واخوتها تقبيلاً بالفم حتى يشموا نكهة فيها ويكونوا على ثقة انها لم تشرب خمراً . ذكر بلينيوس المؤرخ ان رجلاً رومانيًّا ضرب زوجتهُ حتى ماتت لانها شربت خمراً ولما رفع امرهُ الى رومولوس باني رومية في زعمهم عفا عنهُ حاسباً انهُ لم يرتكب جريمة وكان ذلك سنة ٧٠٠ قبل المسيح



المستر اورڤل رايط

اول من طار بطائرة اثقل من الهواء في ١٧ دسمبر ١٩٠٣

تراه في الوسط والى شماله وزير الحربية الاميركية يعلق على صدره «صليب الطيران الممتاز»

مقتطف مايو ١٩٢٩

امام الصفحة ٥٤٣

المواصلات في كل بلدٍ راقٍ ولا بدَّ ان ترتقي فتصبح وسيلة لا مندوحة عنها من وسائل الرقي الصناعي والاجتماعي

يقسم الطيران التجاري الى فروع ثلاثة هي النقل الجوي وانتظام الاعمال الجوية واقتناء الطيارات الخاصة

فالنقل الجوي يشمل طيران الطيارات فوق خطوط معينة لنقل البريد والركاب . وهذا النقل انتظم انتظاماً حسناً في بلدان اوربا واميركا وخصوصاً المانيا وبريطانيا وفرنسا وهولاندة والولايات المتحدة الاميركية ويشمل الطيران في النهار وفي الليل. [المقتطف: خص الكاتب خطوط الطيران الاميركية بالذكر في مقالهِ . ولما كانت بلدان اوربا اقرب الينا رأينا ان نذكر هنا مبلغ انتشار الطيران التجاري فيها . فقد بلغ عدد الذين سافروا بالطيارات في المانيا سنة ١٩٢٦ نحو ٥٦ الفاً ثم تضاعف عددهم سنة ١٩٢٧ . وبلغ عدد الذين انتقلوا من انجلترا واليها عن طريق الجو نحو خمسين الفاً سنة ١٩٢٧ وعدد الذين استقلوا الطيارات في فرنسا نحو عشرين الفاً سنة ١٩٢٥ ولم نطلع على احصاء مثبت بعد ذلك]

> لابناء الجوّ في كل يومٍ فتح جديد واحدث فتوحاتهِ انشاء البريد الجوّي بين لندن والهند عن طريق الاسكندرية والبصرة وقد افتتحهُ وزير الطيران البريطاني السر صموئيل هور في الاسبوع الاول من شهر ابريل الماضي فصارت الرسائل التي تكتب في لندن يوم الجمعة تصل الهند بعد اسبوع عن طريق الجوّ بدلاً من ان تقضي شهراً او اكثر في البريد البحري . ويسرّنا ان ننشر هذا المقال بقلم رجلٍ متفرغ لشؤون الطيران لنستخرج منهُ العبرة

وانتظام الاعمال الجوية يشتمل على انشاء شركات لصنع طيارات تكون تحت طلب المستأجرين كسيارات الاجرة يضاف الى ذلك استعمالها في مسح الاراضي والتصوير والبحث عن الآثار وهلم جرا .

واقتناء الطيارات الخاصة غايتهُ الاولى الطيران للنزهة او لقضاء الاعمال الخاصة او للتجارة كما يستعملها صاحب سيارة خاصة للاجرة

فكل فرع من فروع الطيران المذكورة آنفاً لهُ مقام خاص في نظام الطيران التجاري ومع انهُ يوجد في الولايات المتحدة نحو ١٤٠ شركة شرعت تبني الطيارات التجارية او

ستشرع قريباً في ذلك يتعذر على طالب طيارة ان يذهب الى السوق ويشتريها جاهزة كما يستطيع أن يشتري سيارة جاهزة لان ما تصنعهُ الشركات من الطيارات لا يكفي الطلب عليها مع انها تصنع نحو ٤٠٠ طيارة كل شهر

هذا وصف موجز لحالة الطيران التجاري الآن بعد انقضاء خمس وعشرين سنة على طيران اورفيل ريط

الطيران والحكومة الاميركية

في سنة ١٩٢٦ سنَّ مجلس الامة الاميركية قوانين خاصة بالطيران والطيارين اعترف فيها بثلاثة انواع من الطيران هي الطيران الحربي وهو تابع لوزارة الحربية والطيران البحري وهو تابع لوزارة البحرية والطيران التجاري وتشرف عليهِ وزارة التجارة . وانشأ في وزارات الحربية والبحرية والتجارة ثلاثة مناصب لوكلاء مساعدين يقتصر عملهم على العناية بشؤون الطيران التابعة لوزاراتهم

والغاية من هذا القانون ترقية الطيران التجاري حتى يصبح في عرف العامة جزءا من وسائل المواصلات التي الفوها كالسيارات وسكك الحديد والبواخر . ولكي تمهد الحكومة الطريق لنمو الطيران التجاري نموًّا صحيحاً اشترطت شروطاً خاصة تتعلق اولاً ببناء الطيارة ومتانتها ومقدرتها على الثبات في الجو وثانياً بالطيارين الذين يسوقونها واستعدادهم لذلك استعداداً وافياً يمكنهم من اجتناب الخطر الذي قد يتعرضون لهُ هم وركاب طياراتهم وسكان المدن التي يمرُّون فوقها وثالثاً انشاء طرق جوية تستطيع الطيارات ان تطير فوقها كانها تطير فوق طريق ممهَّد . ويجب ان تكون هذه الطرق مجهزة بكل ما يلزم من الانوار والميادين العامة لنزول الطيارات حين يحدق بها الخطر اذا لزم الامر ورابعاً وضع قوانين لحركة الطيارات يجري عليها الطيارون كقوانين الحركة في شوارع المدن الكبيرة التي يجب ان يرعاها سائقو السيارات

فوزارة التجارة الاميركية التي تسيطر على الطيران المدني والتجاري في اميركا تعنى الآن بثلاث امور — ١ — هي منح الرخص للطيارات التي ثبت اتقانها ومتانتها وتجهيزها بكل وسائل الطيران اللازمة ، وللطيارين الذين استعدوا لعملهم استعداداً يبعث على الثقة و — ٢ — انشاء الخطوط الجوية والانفاق على حفظها و — ٣ — العناية لكل ما يساعد الطيران المدني والتجاري على الارتقاء والانتشار

لا يزال الطيران التجاري في السنة الثانية من عمره ولكنهُ خطا الى الامام خطوات الجبارة باشتراك الحكومات والشركات في انشاء الخطوط الجوية وحفظها وباقبال الناس على اتخاذها سبيلهم العادي للنقل والانتقال وبابداع العلماء في استنباط الاجهزة التي تجعل الطيارات وافرة الراحة لا تقلُّ فيها سلامة الذهاب والاياب عما هي عليهِ في السكك الحديدية والسفن البخارية واهم هذه المستنبطات هو استعمال الاجهزة اللاسلكية المرسلة والمستقبلة التي تمكن السائق ان يبقى متصلاً في كل دقيقة من دقائق الطيران بانباء الجوّ كما تذاع لاسلكيًّا من المطارات الكبيرة. فاذا غادرت طيارة مدينة من المدن والسماء فيها صافية الاديم وكان الجوُّ في المدينة التي تقصد اليها مكفهرًّا والريح عاصفة والغيوم متلبدة عرف الطيّار ذلك فادار طيارتهُ على وجهٍ يكون اكفل لسلامة الركاب. واذا تعذر النزول الى الارض لكثافة الضباب تمكن مدير الحركة في المطير الذي يقصد اليهِ من ان يواصلهُ بكل ما يحتاج اليهِ من الحقائق حتى يكون نزولهُ الى الارض امين الجانب

ومنها انشاء المنائر الباهرة النور في الخطوط التي تطير فوقها الطيارات ليلاً تبعد المنارة عن الاخرى نحو خمسين ميلاً حتى اذا ارتفع الطيّار الى علو الفي قدم او اكثر ظهرت لهُ هذه المنائر خطًّا من النور يجري فوقهُ فيأمن الضياع في سواد الليل. ومن هذا القبيل المنائر التي علاً مصابيحها بغاز النيون فتضيء ضوءا احمرقانياً يخترق الضباب مهما كثف ويهدي الطيارات الحائرة الى سبيلها

من لندن الى الهند

في سبعة ايام

السبت — القيام من لندن الى بال ٤٨٠ ميلاً ثم ينقل البريد بالاكسبرس الليلي الى جنوى ١٥٠ ميلاً

الاحد — من جنوى الى سيراقوسه بصقلية ٧٠٠ ميل بطيارات بحرية تمر على رومية

الاثنين — سيراقوسه الى طبرق ٧٥٠ ميلاً وتمر على تاقارنتو باليونان

الثلاثاء — طبرق الى الاسكندرية ٣٥٠ ميلاً ثم من الاسكندرية الى غزة ٢٨٠ ميلاً

الاربعاء — غزه الى البصرة ٩١٢ ميلاً تمر على محطة رطبة

الخميس — البصرة الى جاسك ٨٠٠ ميل وتمر على بوشير ولنجه

الجمعة — جاسك الى كراتشي ٦٠٠ ميل وتمر على جوادار

ومنها المنارة اللاسلكية وهي جهاز لاسلكي مرسل يبعث على خطٍّ من خطوط الطيران سلسلة من الاشارات اللاسلكية تبين للسائق سماعاً او عياناً هل هو سائر في الاتجاه الصحيح او هو منحرف عنهُ . وهذا مما يساعد الطيار على ان يطير في جوّ متلبد بالضباب . يضاف الى ذلك الاجهزة التي تدل على سرعة الريح واتجاهها وارتفاع الطيّارة وما الى ذلك

مصر والطيران

هذا ملخّص لمقال المستر ينغ . فما هو نصيبنا من هذه الاعمال وقد اصبحت مصر مركزاً من اهم مراكز الطيران التجاري في العالم وصار مطيراها في هليوبوليس وابو قير ملتقى لاهم الخطوط الجوية وصلة بين الشرق والغرب ؟

لقد كان اهتمام ملوك اوربا وتجارها بالوصول الى الهند وغيرها من بلدان الشرق اكبر البواعث على السير بسفنهم حول افريقية ثم على فتح ترعة السويس . وبعد ما كان الوصول الى الهند برًّا بطريق سورية وبغداد وايران وافغانستان او بحراً حول رأس الرجاء الصالح يقتضي شهوراً ويعرض القوافل والسفن للمخاطر شُقّت ترعة السويس وصار السفر الى الهند لا يستغرق اكثر من اربعة اسابيع . اما اهل هذا العصر فلم يكتفوا بطريق البر والبحر بل عزموا على ان يزاحموا الطيور ويصلوا الى الهند في الهواء . وقد تمَّ لهم ذلك . ولما كان للانكليز الشأن الاكبر في ذلك لاتساع املاكهم الشرقية رسموا خطًّا تسير فيهِ طياراتهم من القاهرة الى قراشي اولاً ثم من لندن الى قراشي وهو الخط الذي افتتح حديثاً وينتظر ان يمدّوا هذه الخطوط حتى تتصل باستراليا من جهة وبجنوب افريقية من جهة اخرى . وغايتهم ان ينظموا شبكةً من المواصلات الجوية تربط اجزاء الامبراطورية بعضها بعض

ثم هنالك الوف من السيّاح يأمون وادي النيل كلَّ شتاء ليشاهدوا آثارهُ الفخمة الرائعة فحبذا لو عنيت الحكومة بانشاء خطٍّ جويّ لحسابها او بالاتفاق مع شركة الطيران الامبراطورية على انشاء هذا الخط فيسير سيراً منتظماً جنوباً الى الاقصر واسوان والخرطوم وغرباً الى الواحات وصحراء ليبيا وشرقاً فشمالاً الى صحراء سينا ففلسطين فسوريا فيشاهد المسافرون هذه الآثار الفخمة من الجوّ كما يرون النيل منساباً في واديها الاخضر الاغنّ .

اننا لا نستطيع ان نجاري دول الطيران العظيمة دفعة واحدة . ولكنَّ هذا عمل يصح الابتداء بهِ فيكون باعثاً يدفع ابناء مصر على مجاراة الاوربيين ومنافستهم ومقدمة ليوم تقبض فيهِ مصر على زمام الطيران في جوّها وبلادها وتحمل عبء هذه المهمة العمرانية الكبيرة

صفحات مطوية: التجسس ومكافحته

في اثناء الحرب الكبرى

يعلم القرّاء ان الحرب الكبرى امتازت عن جميع الحروب التي سبقتها بعدّة امور. منها وفرة المتحاربين واتساع الميادين والساحات وتنوّع المعارك والاسلحة وكثرة عدد القتلى والجرحى. فإنّ الجيوش التي خاضت غمارها لم يقلّ عددها عن خمسين مليوناً. ولم تنحصر معاركها في ما نشب منها في البرّ بل تمدّدتهُ الى مواقع الاساطيل الكبرى في عرض البحار ومكافحات اسراب الطيارات في اعالي الجوّ وغارات الغوّاصات في أعماق اللجج اي انها ثارت في الارض والهواء وعلى الماء وتحت سطح الماء. واستخدموا فيها من العدد والاسلحة كلّ ما استنبطهُ العلم واخترعهُ العقل البشري للتعجيل في التنكيل والتقتيل وتعميم التخريب والتدمير. وبلغ فيها عدد القتلى عشرة ملايين وأربى عدد الجرحى على عشرين مليوناً

ولكن قد لا يخطر ببال القرّاء انها امتازت ايضاً على الخصوص بالتجسس الذي اتسع فيها نطاقهُ وامتدّ رواقهُ واستوفى المتحاربون شروط تنسيقهِ وتنظيمهِ واستكملوا اسباب إحكامهِ وإتقانهِ. فبالتجسُّس توسّل كلٌّ فريق الى تسقط اخبار الفريق الآخر والوقوف على ما خفي من حركاتهِ وسكناتهِ وعليهِ عوّل في معظم خطط الهجوم وطرق الدفاع. وبالتجسُّس تذرّع كلٌّ منهما الى ترصُّد جواسيس عدوّهِ والتفرّغ لاحباط مساعيهم واتّقاء شرورهم. وهكذا كان عند كلّ فريق ادارة شحنة (بوليس) سرية لتنسُّم أنباء الفريق الآخر وإدارةٌ اخرى لمناهضة جواسيس العدوّ وقطع دابرهم

وفي أثناء هذه الحرب كانت اسبانيا، علاوة على هولندا وسويسرا، محطّ رحال جواسيس الحلفاء وقبلة انظار جواسيس المانيا والنمسا. ومن جميع السفارات والقنصليات في مدريد، ولاسيما من مكاتب الملحقين العسكريين وشجت اعراق الاشراك المنصوبة للتجسُّس وانتشرت الشباك المخفاة للرصد والاستطلاع، ممتدّة الى جميع الفنادق الكبرى في مدريد وغيرها من امهات المدن ومتفرّعة حتى الى احقر مساكن الفوضويين الاسبانيين. وهذه المصايد المحكمة الوضع أُلقِيَتْ ايضاً حول الملك الفونس الثالث عشر الذي اعترتهُ دهشة عظيمة عندما علم بعد الحرب انهُ كان اكبر غرض وضعتهُ المانيا وبريطانيا العظمى

وفرنسا نصب اعينهنَّ في تدابيرهنَّ السرية ومساعيهنَّ الخفية

وكانت دول الحلفاء من جهة ودولتا المانيا والنمسا من جهة اخرى تهتم اشد اهتمام لتعلم هل تبقى اسبانيا لازمة جانب الحياد؟ وفي دولةٍ حكومتها ملكية كاسبانيا كان الملك نفسهُ اقدر الناس على الجواب عن هذا السؤال . على ان خفاء هذا الامر على الدول المتحاربة كان اهم ما عنيت اسبانيا بهِ واعتمدت في سياستها عليهِ . وفي الوقت نفسهِ كانت كل من فرنسا وانكلترة والمانيا تتذرع بكل ما عندها من وسائل تسقُّط الاخبار وهتك الاستار عن الاسرار للوقوف على هذا الامر الخفي واستخدامهِ في سبيل مصلحتها .

ومع كل ما توسلت بهِ فرنسا من الوسائط الفعّالة لنشر دعوتها في مدريد واجتذاب قلوب الاسبانيين اليها ظلَّ موقفها من هذا القبيل دون موقف عدوتها المانيا . وكان من رأي الشعب الاسباني ان التفاهم او الاتفاق بين اسبانيا نصيرة الكاثوليك وفرنسا عدوتهم مما يصعب تحققهُ على رغم ما بينهما من صلات القربى الجنسية والادبية والروحية . ويؤيد ذلك ما جاء في كتاب بعث بهِ الدوق دي لاتور الاسباني الى المسيو جورج لويس سفير فرنسا في بتروغراد شهر سبتمبر ١٩١٥ قال فيهِ : — « ان الدوائر ذات الشأن والمكانة في اسبانيا هي مع المانيا وان لم تكن ضدَّ فرنسا . وانصار المانيا في اسبانيا هم النساء والكهنة وميل النساء الى المانيا يفوق كل ميل آخر لان الملكة (١) ماريا كرستينا ام الملك الفونس الثالث عشر من اصل نمسوي ومؤاساتها لالمانيا والنمسا اشهر من ان تذكر واعظم من ان توصف واكراماً لها ترى جميع الاسبانيين ضلعهم مع الالمانيين »

ولكننا من جهة اخرى نرى ان الملك الفونس من كبار المولعين بالاسفار والمعجبين بالرياضة البدنية على اختلاف انواعها . وهذه الحقيقة لم تكن خافية على المانيا . لان بلاسكو ايبانز عدو الملك الاشد كان قد سبق فاعلنها في كتابهِ « كشف القناع عن الفونس الثالث عشر » ومنهُ يتضح ان الملك الفونس كان يكثر التردد الى باريس . فيأتيها متنكراً ويغشى فيها ليلاً ما شاء من الاندية والمجالس والمطاعم والمشارب على اختلافها في الرفعة والضعة وكان الامير لانيبور سفير المانيا في مدريد عالماً بمنازع الملك ومشتهياتهِ . وبناء على طلبهِ بعثت اليهِ الحكومة الالمانية المركرون ليكون ملحقاً عسكريًّا في سفارتهِ وكان هذا الرجل ثقفاً لقفاً (٢) وعلى اكبر جانب من جمال الطلعة واناقة الملبس وحسن التناول وشدة الظرف والكياسة فوجد نعمة في عيني الملك وصار اكبر المقربين اليهِ .

وهذا الملحق العسكري كان منشأ النكبة التي اودت بحياة ماتا هاري الجاسوسة الحسناء

(١) توفيت في ٦ فبراير الماضي عن احدى وسبعين سنة (٢) خفيفاً حاذقاً

التي كان اسمها الحقيقي « مرغريت جرترويد زلاّ » . وهي هولندية المولد ومطلَّقة رجل يدعى مك ليود . وهذه الراقصة الغريبة الاطوار كانت معروفة عند إدارة الشحنة (البوليس) السرية الالمانية برقم « ﻫ ٢١ » وقد حُكم عليها بالموت لارتكابها جريمة التجسُّس وجرى تنفيذ الحكم باطلاق الرصاص في فانسين قرب باريس . فلما كانت في باريس سنة ١٩١٧ بدا منها ما راب ادارة مكافحة التجسُّس فحاولت التنصُّل ودرء الشبهة بأن عرضت على الحكومة الفرنسية الانتظام في سلك ادارة المنابآت (المخابرات) لكنهم رفضوا طلبها لعدم ثقتهم بها. وبسعة الحيلة وفرط الدهاء تمكنت من مغادرة فرنسا والذهاب الى لندن حيث لقيت السر باسيل تمبسن الذي كان حينئذٍ رئيس قلم البحث الجنائي في ادارة سكتلند يارد . فاستنطقها استنطاقاً مدققاً اظهرت فيه ذكاء خارقاً وبراعة نادرة المثال وحملته على ان يعلن كونها جاسوسة تسترق الاخبار لفرنسا لا لالمانيا . ولما أُذن لها في السفر الى اسبانيا قصدت ثغرجيجون غير عالمة ان جاسوساً فرنسيًّا يتعقبها ويترصَّدها وفي مدريد نزلت في افخم فندقٍ وما عتّمت ان اتّصلت بالهركرون الملحق العسكريّ الالماني فتصاحبا وتصادقا . واوعز اليها ان تسعى في نصب حبالة مكرها واغوائها حول الملحق العسكري الفرنسي الذي اتفق انه كان نازلاً معها في الفندق نفسهِ . ولكنَّ سعيها لم يقترن بنجاح يستحق الذكر لان الملحق الفرنسيّ تنبَّه لها بانذار سابق فلم يسهل اخذهُ على غرّة . واثابها الهركرون على سعيها بقرطي جمان غالي الثمن . لكنَّ ما تاهاري لم تأبه للحلى والجواهر والحّت في طلب مبلغ كبير من النقود . ولما رأت ان خدمتها في مدريد كجاسوسة لم تأت بالفائدة المرتجاة عقدت عزمها على الرجوع الى باريس . فبعث الهركرون برسالة لاسلكية الى مدير المنابآت الالمانية في امستردام لكي يحوّل مبلغ ثلثين الف فرنك الى الجاسوسة رقم « ﻫ ٢١» بواسطة السفارة الهولندية في باريس . وهذه الرسالة تلقفتها ادارة اللاسلكي في محطة برج ايفل ومنها عرفت الحكومة الفرنسية ان الجاسوسة ﻫ ٢١ هي ماتاهاري فلم تبطئ ان اعتقلتها في الفندق بعد ما قبضت المبلغ المرسل اليها واودعتها سجن سان لا زار حيث ألقيت قبلاً مدام ستينهيل ومدام كايو . فحكم عليها المجلس العسكري بالموت كجاسوسة وتم تنفيذ الحكم بإطلاق الرصاص في حصن ڤانسين الساعة السادسة من صباح اليوم الخامس عشر من شهر اكتوبر سنة ١٩١٧

وكانت ادارة الشرطة السرية البريطانية قد وقفت بالتفصيل على الصداقة المحكمة بين ملك اسبانيا والملحق العسكري الالماني . وعن هذه الصداقة شاعت عدة روايات في وزارة الخارجية تؤيد صحة حصول المانيا على خير وسيلة تضمن لها تناول ما شاءت من الانباء

السرية والاخبار الخفية وقضت الضرورة بوجوب وضع حدّ لهذا الاسرابية طريقة كانت . ولما كانت الملكة إيناء زوجة الملك الفونس، من أسرة باتنبرغ وشديدة المؤاساة لانكلترة — ارتأت وزارة الخارجية الانكليزية ان تستعين بسلطة هذه الملكة على مناهضة الملحق العسكري الالماني واستئصال شأفة الحظوة التي نالها في قصر ملك اسبانيا . ولإدراك هذا الغرض اوفدت دوق وستمنستر الذي لهُ عقارات كثيرة في ولاية باسك وكان بعضها مجاوراً لضياع الملك الفونس . وهو علاوة على ذلك من امهر لاعبي البولو[1] المولع بها الملك الفونس وكثيراً ما لعبها مع دوق وستمنستر

وبينما كان الملحق العسكري الالماني يتوسّل بالمآدب والمراقص الى ترويج سعاياته ونشر شباك مكايده كان الدوق البريطاني يستخدم الرياضة البدنية لتوثيق عرى الصداقة والمودّة . وقد يودّ القارئ ان يقف على ماكانت ادارة التجسّس البريطانية في اسبانيا، ومنها كان دوق وستمنستر ، تكتبهُ في تقاريرها السرية الى وزارة الخارجية في لندن . قال الكبتن توهي في كتابهِ عن « التجسّس » ما ترجمتهُ : — « اولاً — إنّ الملك مؤاس للحلفاء من صميم فؤاده لكنهُ محاط بحاشية شديدة الحول وضلعها مع المانيا وينقاد الى مشورة اركان حرب قصارى مناهم السعي في انتزاع المغرب الاقصى من فرنسا. ثانياً :— الملكة كرستينا ، ام الملك الفونس ، نمسوية الاصل فتقيم الدنيا وتقعدها في سبيل معونة سليل آل هابسبورغ الجالس على عرش الامبراطورية الكاثوليكية وهي بلا ريب صلة التقرّب وواسطة المفاوضة بين ڤينا والفاتيكان . وهذا ، اي الفاتيكان ، اكبر معين لها في اسبانيا . ثالثاً : — الملك كثير الكلام . ويخشى ان الانباء التي تسرّ الى ملحقي الحلفاء البحريين والعسكريين تبلغ مسامع الاعداء . وقد بعثت حكومة المانيا الى مدريد ملحقاً عسكريًّا هو آية في الظرف والكياسة وسلامة الذوق وحسن التناول . والملك ملازم لهُ وقلما يفارقهُ . رابعاً : — يظهر ان مشكلة الغوّاصات خطيرة جدًّا . فضباط الغواصات الالمانية يفعلون ما يشاؤون في مياه اسبانيا وموانيها »

على ان ترويج الدعوة لمحبة فرنسا وادارة المنابآت (المخابرات) الفرنسية كانا جاريين على ما يرام من النشاط والإحكام . وفي سنة ١٩١٦ ، حين كانت المعركة حول فردون ناشبة بما لا مزيد عليهِ من الشدة والاحتدام وكان موقف فرنسا على غير ما يرام اشتدّ اهتمام الفرنسيين بمسألة حياد اسبانيا وعدُّوها اخطر المسائل شأناً وخافوا ان تنتهز اسبانيا فرصة ارتباكهم وتجدّد مطاليبها القديمة من جهة ما تدعيهِ من الحقوق في المغرب

(١) ضرب من لعب الكرة يأتيه اللاعبون وهم على ظهور الخيل

بها جلدها حتى تنظف ثم تؤخذ الى المعمل البكتيرلوجي حيث يحلق شعر بطنها في غرفة خاصة بذلك بادوات معقمة ومنها تنقل الى غرفة العمليات حيث توضع على مائدة خاصة ويعقَّم المكان الذي حلق الشعر عنهُ ثم تلقح بمكروبات الجدري مراراً

بعد ذلك تنقل الى غرفة خاصة حيث تنال من العناية الطبية ما يناله المريض في احدث المستشفيات ومتى انقضى على تلقيحها خمسة ايام الى سبعة ايام تكون البثرات التي تنمو على بطنها حيث تلقح بالمكروب قد كبرت وامتلأت قيحاً فتكشط ويمزج قيحها المحتوي على سموم المرض بالغلسرين وهذا هو اللقاح الذي يستعمل في تلقيح الناس. على انهُ قبلما يوضع في الانابيب الزجاجية المعقمة يجب امتحانهُ لتثبت نقاوتهُ او عدم امتزاجه بمكروبات معدية فتحقن خنازير الهند بمقادير منهُ تفوق المقدار المستعمل في الانسان عشرين ضعفاً ومتى ثبتت نقاوتهُ يوضع في الانابيب الزجاجية ويباع للاطباء في كل انحاء العالم

ولصنع المصل المضاد للدفثيريا (انتيتكسين) في اجسام الخيل. تؤخذ مكروبات الدفثيريا (وهي من نوع الباشلس) وتزدرع ثم ترشَّح بشمعة باستور تشمبرلين وبعد ترشيحها يحقن سمُّها في اجسام الخيل جرعات متزايدة المقدار. فتحقن جرعة صغيرة اولاً ثم تزيد رويداً رويداً في اوقات معينة، مدة تتراوح بين ثمانية اسابيع وعشرين اسبوعاً. وليست كل الخيل متساوية في مقدرتها على توليد الاجسام المضادة لسم الدفثيريا فبعضها لا يولدهُ مطلقاً وبعضها يولدهُ سنوات متتابعة والبعض الآخر بين بين

ولما كان ثمن الخيل طائلاً وحقنها بسموم الدفثيريا قد يميتها توصل العلماء الى طريقة تضعف فعل المكروبات السام من غير ان تضعف مقدرتها على انتاج الاجسام المضادة لها في اجسام الخيل وذلك بصب قليل من الفورمالين عليها (راجع مقتطف يناير الماضي ص ٨٠)

وبعدما تقوى المناعة ضد سموم الدفثيريا في اجسام الخيل يؤخذ الحصان الى غرفة تعرف بغرفة الفصد حيث يفصد ويؤخذ منهُ نحو ١٨ لتراً من الدم من حبل الوريد. ثم يترك هذا الدم في اناء معقم محكم حتى يجلط وترسب الكريات في قعره فيؤخذ المصل ويركز ويعرف حينئذٍ بالغلوبيولين وبعد ذلك يرشح ويمتحن حتى تثبت نقاوتهُ ثم يمتحن لتعرف قوتهُ ويوضع في انابيب زجاجية ويباع

اما تجارب باستور في اعداد مصل مضاد للكلب فمن اشهر المباحث العلمية في هذا الباب وقد قال فيها الاستاذ هكسلي «ان مكتشفات باستور تساوي المليارات الخمسة التي اعطتها دولة فرنسا لدولة المانيا غرامة» ونحن نقول انها تفوق كلَّ اموال الدنيا لان حياة الناس لا تقاس بالجنيهات

لما بدأ باستور مباحثهُ في الكلب استنتج استنتاجاً فقط ان المكروب مسبب المرض يوجد في الجهاز العصبي واثبت ذلك بالامتحان اذ اخذ مقداراً من سائل العمود الفقاري من كلب كلِبٍ وحقن بهِ كلباً سليماً فظهرت عليهِ اعراض الكلَب. ثم خطا خطوة الى الامام اذ حاول ان يضعف مكروب المرض ليستعملهُ للوقاية من الاصابة بالكلب. ففاز بذلك بعد تجارب وامتحانات استغرقت وقتاً طويلاً وجهداً عظيماً ولما حقن كلباً سليماً بالمكروبات بعد اضعافها حدثت في الكلب المحقون مناعة ضدَّ الكلَب. ثم خطا خطوة الى الامام اذ سأل نفسهُ: هل تفيد المكروبات الضعيفة في شفاء كلب عضهُ كلب كلِب؟ فاذا تمَّ لهُ ذلك تمكن من شفاء الناس الذين تعضهم كلاب كلبة. ذلك ان مدة الحضانة في مرض الكلَب طويلة لا تقلُّ عن ثلاثة اسابيع فاذا تمكَّن الطبيب من ايجاد لقاح يستعملهُ بعيد ما تدخل مكروبات المرض الى الجسم اي قبلما يستفحل امر الداء تمكن من منع المرض قبلما يتغلب على المصاب. وهنا ايضاً ثبت ان براعتهُ في التحليل والتجربة تسيطر على الامراض. فاخذ طائفتين من الكلاب وحقن الطائفة الاولى بمكروبات الكلَب بعد اضعاف فعلها والطائفة الاخرى لم يحقنها. ثم جعل كلاباً كلِبة تعضُّ هاتين الطائفتين من الكلاب. فنجت الاولى من الكلَب واصيبت بهِ الثانية

ولكن من يجرؤ ان يجرّب ذلك في الناس؟ على ان باستور كان راسخ اليقين في صحة رأيهِ فجرّب ونجح في تجربتهِ

ومما يحسن ذكرهُ في هذا الصدد ان ريد الطبيب الاميركي الذي انتدب في لجنة من الاطباء الاميركيين لدرس الحمى الصفراء اراد ان يثبت ان بعوض الستيغوميا هو الذي ينقل مكروبها فجعل هذا البعوض يلسعهُ فاصيب بالحمى الصفراء ومات بها. ولكن موتهُ كان انتصاراً للعلم اذ تمكن العلماء بعد ذلك من ابتكار الطرق لمكافحة هذا البعوض واستئصالهِ. كذلك لما اكتشف الدكتور دك وزوجته مصلاً شافياً من الحمى القرمزية تقدم لهم متبرعون كثيرون لتجربتهِ بهم

وقد توسع الاطباء حديثاً في مكافحة الكلَب فاخذوا يحقنون الكلاب نفسها بالمصل الواقي منهُ. ذلك ان جماعة من الانكليز في الهند ضاقوا ذرعاً بكلاب تدخل المنطقة التي هم فيها فلا يستطاع حصرها واجراء القانون عليها فاخذوا يحقنون كلَّ كلب لا يُعرف صاحبهِ بالمصل الواقي من الكلَب لوقاية الناس بوقاية الكلاب اولاً. ثم استعملت الطريقة نفسها لمكافحة وباء الكلَب الذي فشا في طوكيو عاصمة اليابان. والظاهر ان حقن الكلب نفسه اشدُّ ألماً من حقن الناس

على ان ادعى الاعمال البكتيريولوجية الحديثة الى الاعجاب هو ابتداع طريقة لصنع مصل يقي من سموم الافاعي والعقارب وكذلك استطاع الانسان ان يفوز في النزاع بينهُ وبينها . وقد اخذت المصانع الطبية الآن تصنع مصلاً يدعى انتيفنين يرجع الفخر في اكتشافهِ الى الدكتور كالمت الفرنسي يقي من لدغ الافاعي في اميركا الشمالية وغيرها كالافعى ذات الاجراس والافعى ذات الرأس النحاسي وهو يباع في انابيب يستطيع الصياد او الرحالة او الفلاح او اي شخص آخر معرض للدغ الافعى ان يحملهُ في جيبهِ ويجب ان يستعمل حالاً بعد حصول اللدغ او على الاكثر في اثناء ١٢ ساعة الى ٢٤ ساعة بعد حصولهِ ويبقى فعالاً مدة خمس سنوات بعد تحضيرهِ

ومما يؤخذ على هذه الطريقة ان نوعاً واحداً من المصل لا يستطيع ان يقي من كل انواع السموم التي تفرزها الافاعي السامّة . فالرجل الذي يتعرّض للدغ الافاعي يجب ان يحمل في جرابهِ انواعاً مختلفة من الامصلة الواقية من سمومها وعليهِ ان يجمع حواسهُ حين يلدَغ ليعرف نوع الافعى التي لدغتهُ ويستعمل المصل الخاص الذي يقي من سمّها . فهل وفق الباحثون الى صنع مصل عامٍ واقٍ من جميع انواع السموم التي تفرزها الافاعي ؟ هذا ما يجب ولكننا لم نقرأ بعدُ انهم فازوا بذلك

يؤخذ السم من افعى الموكاسين او ذوات الاجراس بجعلها تعضُّ بانيابها على اناء زجاجي مستطيل تحيط بهِ مادة غروية فيستقطر من كل افعى من ٣٠ قطرة من السم الى ٤٠ قطرة . او يقبض على الافعى وتدلك فوق الغدد التي تحتوي على سمها فيتقطر من نابيها . ثم يحقن هذا السم في حصان حقناً متزايدة المقدار مدة ١٦ شهراً في الغالب وبعدما تنقضي بضعة ايام على الحقنة الاخيرة يفصد الحصان اولاً ثم يعاد فصدهُ ثلاثة اشهر بعد ذلك ويحضر المصل الواقي من السم كما يحضر انتيتوكسين الدفتيريا

هذه اربعة امثلة تبين لنا الخدمات الجليلة التي تقوم بها الحيوانات لوقاية الناس من شرّ الامراض . ولكن الامراض التي دانت لهذا النوع من العلاج كثيرة اشهرها حمى التيفوئيد والكزاز (التتانوس) والطاعون والكوليرا والبثرة الخبيثة وحمى النفاس والحمى القرمزية ولا بدَّ ان تتبعها امراض الحيوانات نفسها كالطاعون البقري وكوليرا الخنازير وغيرها والامل وطيد انهُ لا ينقضي زمن طويل قبلما يسيطر الانسان على كل الامراض بهذه الطريقة او بطريقة اخرى فعّالة مثلها . فاذا حلَّ هذا اليوم وجب ان نقيم في مدننا تماثيل تنطق بفضل هذه الحيوانات الوديعة الصبورة التي تسير الى الموت في سكينة واستسلام لتخلص بني الانسان من اهوالهِ



العوامل الجغرافية في عمران الشرق

صناعة الغرب وصناعة الشرق

٢

تستند نهضة اوربة على وفرة مناجم الفحم الحجري في بلادها . فهو مذيب الحديد ، ومولد البخار الذي نفخ روح الجدّ والحركة المطاردة في صناعتها وتجارتها . رفع البخارُ بقوته هذه الصناعة عن ذراع الانسان واكثر بسرعة جولانه كمية المصنوعات فأرخص ثمنها . وقضى كذلك على صناعة الشرق التي ما برحت تعتمد على ساعد الانسان الضعيف ، وتذعن لحكم البطء والأناة . وقد رقّق البخارُ صفائح الحديد العظيمة ، لبناء القطر والبواخر الجسيمة وسيّرها بسرعة الطير على ظهر الارض وفي جوفها ، وعلى وجه المياه وفي لججها ، فقرّب اطراف البلاد النائية . واحدث انقلاباً جديداً في عالم التجارة لم يسبق لهُ مثيل في التاريخ. فقواعد الصناعة والتجارة الحديثتين، ليست بالامر الذي يسهل فهمهُ على الشرقي المحتفظ بعادته. لاسيما وقد قطع منذ برهة طويلة كل علاقة لهُ باوربة. ولم يتتبع اخبار تطورها ، ولم يطلع على الاسباب الاجتماعية التي طورتها هذا التطور . وهب ان المالك المغولية ، وآخرها الحكومة العثمانية التي ترأست جسم الشرق الأشلّ منذ اربعة اعصر ، جددت افكاره ، وغيرت عقيدتهُ في اصول الصناعة والتجارة ، اتراها تجد من الفحم الحجري والحديد ما يجعل من الشرق بلاداً كانكلترا وبلجيكا والمانيا وفرنسا الشمالية. هنا نجد ايضاً كيف ان العوامل الطبيعية والجغرافية التي جعلت من الشرق بلاداً زراعية فقيرة بمناجمها ، تجعلهُ متأخراً في هذا المضمار . فمن الوهم بعد هذا ان نظن أن الترك كانوا سبب تأخرنا الوحيد . فهم كغيرهم من الامم الشرقية التي كثرت آثارهم المدنية في العصور الخالية قبل التاريخ وبعد التاريخ . فقد كان عهد السلاجقة في العراق وفارس والاناضول عهد امن ورخاء ازدهرت فيه الحضارة الشرقية خاصة في فارس والاناضول. ولم يقم قائم العمارة ، ولم تتقدم الصناعة والشعر والموسيقى في انحاء الهند ، ولم تستتبّ وحدتها الا في عهد المغول . وكذلك حدث عن آثارهم في الصين وانما اكبر ملامة نوجهها الى الترك هي ضنّهم بالحرية او بشيء من الاستقلال الاداري ، على البلاد التي كانت في

حوزتهم ، حين اصبحوا عاجزين عن تدبير شؤونها ، وسوقها برمتها نحو التجدد والفلاح بلاد قامت حضارتها على اساس الزراعة ، وقد انضب الفقر والجهل في نفوس اهليها معين التفكر والابتكار ، يتملون بذكرى عصور زاهرة ، وسؤدد دعامته الرمح والسيف ، وعماده القوافل البطيئة والمراكب الشراعية ، يستحيل عليها أن تنفض عنها غبار البلى نفضة واحدة ، وتعتنق اساليب الرقي الحديث ، وتفهم ما لقوة البخار والحديد والمال المتراكم في ايدي الشركات ، من الاثر في تطور الحياة

انتبه سلاطين بني عثمان سادة الشرق منذ اربعة عصور ، الى رقي اوربة واحسوا بتفوقها عليهم في ساحات الوغى قبل كل شيء ، فقاموا يلتمسون التجدد من بعض وجوهه ساهين عن وجوهه الاخرى . لم يفكروا بتغيير أساليب الزراعة والصناعة ، وتعبيد الطرق ووصل اطراف البلاد بعضها ببعض ، واصلاح انظمة الحكم والادارة البالية : ولكن حاولوا اصلاح جيشهم واسطولهم حرصاً منهم على حفظ ملكهم الواسع فلم يجدهم ذلك فتيلا . فان البلاد كانت مهملة ، وامتيازات اوربة التجارية والاقتصادية كانت تبتز البقية الباقية من ثروتها ، وتعمل على قتل الصناعة القديمة ، لتجد مخرجاً جديداً لصناعتها في اطراف هذا الملك الكبير

كانت تقضي الحكمة في مثل هذا الوقت العصيب ان تتنازل الدولة العثمانية لكل بلد من البلاد النائية التي لا يتكلم سكانها التركية ، عن حق الادارة الداخلية ، في ظل سيادتها العسكرية والخارجية ، كي يلتفت كل بلد الى ادارة مصالحه وتدبير شؤونه . فيسن لنفسه سنة تلائم حاجاته واستعداد اهليه وتوصله باقرب وقت الى مستوى البلاد الراقية . غير ان هذا التساهل الذي لا نجده عند امة من الامم المتمسكة بتقاليدها كان يعرب ايضاً عن اذهان بني عثمان . دع اللامركزية جانباً فانهم ما زالوا يقتنصون شبان هذه البلاد وايديها العاملة ، ليسوقوهم الى الموت في ميادين الحرب التي كان نصيبها الفشل منذ عصرين . فحصول هذه البلاد على ما تطمح من الاستقلال الاداري ، كان يحتاج الى ثورة يمتنع على الدولة العثمانية قمعها . فظهرت باوقات مختلفة ثورات ترمي الى هذا الغرض في الالبان ، وكردستان ، واليمن ، والحجاز ، ولكنها باتت عقيمة ، ولم تأت بفائدة من الفوائد الا ثورة مصر على يد محمد علي باشا الكبير

كان محمد علي باشا الكبير ، ينبوع العزم والذكاء الذي تحتاج اليه بلاد تسرب الى اعضائها الوهن ودنت من الهلاك . فقد ادرك بذكائه ودرايته ، كما ادرك قبله باني الاسكندرية وبطليموس واحمد بن طولون والاخشيد والقاهر الفاطمي ما لمكانة مصر

الجغرافية من المقام الخطير . وتحقق بعد ان درسها عن كثب ، انها من البلاد التي قضت الطبيعة عليها بان تكون مركزاً من مراكز الحركة الصناعية والعلمية والتجارية،ورأساً مدبراً تنقاد لحكمه سائر البلاد المجاورة . فخط خطة حزم جليلة ترمي الى احياء مصر والشرق العربي معاً ، فتأهّب لتحقيقها بما اوتي من عقل وسياسة ودهاء

وجد في مصر من الثروة ما يسهل تنميتها ، ومن الرجال،ما يقوم بأود مشروعه العظيم . فعبأ الجيوش المصرية على النمط الحديث ، وقوّى اسطولهُ دون ان يهمل الزراعة والصناعة والتجارة والعلوم. فكان يرسل الى اوربة التلاميذ ويجلب منها الاساتذة للجامعات، والاطباء للمستشفيات ، والمهندسين لبناء السدود ومصانع المواد والادوات الحربية فخطت مصر في عهده خطوة كبيرة نحو التجدد . واماطت عن وجهها اللثام الذي حجب عن عينيها النور مدة طويلة من الزمان

نبّهت نهضة مصر نظر المستعمرين، لاسيما الانكليز فلما رأوا انتصار محمدعلي باشا على الحكومة العثمانية ، وتقدم جيوشه بقيادة ولده ابراهيم باشا في الشام والاناضول ، جزعوا وجاءوا الى الباب العالي يعدون لهُ يد المعونة ضد كبير مصر ، فحاربوهُ برّاً وبحراً واحرقوا اسطولهُ واجبروهُ على الرجوع الى مصر ، مكتفياً ببعض الامتيازات الادارية والسياسية

خشيت اوربة التي تنتظر ، بفارغ الصبر ، اليوم الذي تتفق فيهِ دولها على تقسيم السلطنة العثمانية ،تلك اللقمة السائغة ، أن تقوم للشرق قائمة على يد محمد علي باشا الكبير . لاسيما في اهم البلاد التي يحرقون عليها اضراسهم طمعاً بغناها ، ونظراً الى وقوعها على الطريق المؤدية الى الهند واسواق الصين ، محشر الملايين من الباعة والمشترين

على انهم وان ردّوا محمداً عليًّا الى عرينهِ ، وضيقوا منطقة مساعيه لم يأمنوا ان تنهض مصر بسرعة توصلها الى درجة من القوة والمناعة ، تكونان عقبة كأداء في طريقهم الى آسية . فتداخلوا في شؤونها واتخذ الانكليز من فتح قناة السويس وسيلة تخولهم حق البقاء في اراضي النيل

حرّك طمع الانكليز واستئثارهم بموارد الثروة في العالم حسد الالمان . فاتجهوا هم ايضاً وجهة آسية ، وقاموا ينشدون اليها طريقاً جديدة ، يتصرفون بها تصرف الانكليز بقناة السويس . ففكروا بانشاء الخط الحديدي الذي يصل اوربة الوسطى ، عن طريق القسطنطينية ، بالبصرة وفرعٌ يمتد منهُ الى اسكندرونة فيصل البحر المتوسط بالخليج

الفارسي . لم تكن غاية الالمان من انشاء هذا الخط موقوفة على مناوءة قناة السويس فحسب . ولكنهم رأوا في العراق بلاداً لا تقل ثروة عن مصر والهند ، اذا عمرت السدود الاشورية والكلدانية ، واصلحت الاقنية والخزانات . فهنا بلاد غنية على مقربة منهم بالنسبة الى الكمرون ، تكفي ما يحتاجون اليه من المواد الابتدائية الضرورية لصناعتهم لاسيما القطن والبترول والصوف إذا بذلت بعض الهمة لاصلاح قطعان بادية الشام والجزيرة وجبال كردستان . لم تخفَ نيات الالمان على جيرانهم الانكليز . فكأنهم انتظروا فرصة الحرب العظمى ليبتدروا الى احتلال سورية والعراق . فيدرأون بذلك خطر كل مراقبة تهدد قناة السويس ، ويضمون الى ممتلكاتهم قطراً جديداً من اغنى الاقطار . هذه كانت خطة الامم الشرقية الكبرى التي حكمت في هذه البلاد ايضاً . فقد كان لطريق البحر الاحمر شأن في التجارة القديمة لا يقل عنهُ شأن خليج البصرة ووادي الفرات ، ولا تسلم طريق من مراقبة الاخرى الاَّ اذا كانت البلاد الثلاثة (مصر وسورية والعراق) في حوزة امة واحدة . ولذلك كانت مصلحة مصر تقضي ببسط نفوذها على سورية والعراق . وكانت مصلحة آشور وبابل حين تخلصا من حكم الفراعنة تقضي بنشر سيادتهما على سورية ومصر

جل ما يهمنا من هذا البحث ان العوامل الجغرافية التي كانت سبب تقدم الشرق وتأخره قديماً لا تزال عاملة الى يومنا هذا . فلو لم يستول الانكليز على العراق وجانب من الشام لكان هذان البلدان يشتان اليوم من جور الالمان . لان طرائق الاستثمار ، ووسائل الضغط والارهاق ، سواء لدى جميع هؤلاء الخلق . فأيًّا كان منهم فهو اشدُّ وطأة علينا واعظمُ خطراً على مستقبلنا من شراذم البدو الذين يسوقهم الينا البؤس والمجاعة ، ويكتفون بالنزر القليل من السرقة والنهب ، في ايام الفوضى والضعف . واما هؤلاء ، فيحملهم الجشع والجبن على تجريدنا من كل سلاح مادي وادبي . يودون لو يجعلون منها بهائم تنقاد باشارتهم وترضى بما يرضونهُ لها من الجهل والمذلة والفقر . يكرمون الدنيء الخائن ، ويحاولون قتل مواهب النفس الشريفة ، ويخنقون كل صوت ينادي بالحق ، ويتهكمون بعاداتنا وتقاليدنا مهما كرمت ، طمعاً لكل عنصر تستند اليها قواعد القومية والحرية والمروءة . هذه سيرتهم في جميع البلاد التي تعنو لحكمهم مع بعض التفاوت . لا تقطعُ انواعُ هذه الفجائع امل الشرقيين بالنجاة . فسينجو الشرقيون يوماً ولا بد من ذلك . وتكون نجاتهم معجزةً لانهم يحاربون في دمهم وفي اخلاقهم

باريس نافذ غنام

باب الزراعة والاقتصاد

منافسة القطن الصناعي للقطن الطبيعي
ماذا نحن فاعلون

أوردنا في مقتطف مارس الماضي في سياق الكلام على الكيمياء الصناعية نبذة بشأن القطن الصناعي حيث قلنا ما يأتي: « ومن غريب ما روي أن عصفوراً غريباً قد علَّم الصناع الانكليز في غويانا البريطانية كيفية الحصول على مادة تستعمل بدل القطن وذلك من نبات عديم النفع إذ كانوا يرون الطائر وهو يبني عشهُ بمواد أشبه بالقطن فثبت بالفحص أن الطائر اخذها من نبات آخر وعالجها طبق المرام. وجاء الباحثون ببذور ذلك النبات وجذوره الى انكلترا منذ ثماني سنين فأصبح الآن ما ينتج منهُ يتراوح بين ثلاثة ملايين واربعة ملايين من الارطال من هذا القطن الصناعي الذي يزرع في ولايتي اسكس وصسكس وهما الولايتان اللتان لم تصلح فيهما زراعة الخضراوات على الاطلاق. ولم يكتف ولاة الامور بالانتفاع بأراضي تينك الولايتين على ذلك الاسلوب بل يقال ان القطن الصناعي الذي يستغَلُّ منهما جيد كالقطن الطبيعي وأرخص منهُ ١٦ مليماً في كل رطل انكليزي»

وقد نشرت مجلة الميكانيكا العامة المقال الآتي ففضلنا ترجمتهُ ليقف منهُ قراؤنا على مبلغ اهتمام الانكليز بالقطن ويتبينوا المدى الذي وصل اليهِ ذلك المحصول الجديد:

ثبت ان النبات المنافس للقطن وهو الذي عثر الباحثون على اليافهِ عرضاً في أحد أوكار الطيور التي تعيش في أمريكا الوسطى قد استثمر في انكلترا بغير جلبةٍ وبلغ من نجاحهِ أن المهتمين بأمرهِ لم يسعهم الا الاعراب عما يخالجهم من حسن نتائجهِ فأزمعوا أن يزرعوا منهُ في العامين القادمين مساحة تكفي لانتاج ما يسد ١٥٪ مما يستنفدهُ العالم من الاقمشة القطنية ومنتجات القطن الطبيعي

كان الدكتور ت. ج. هدلي ثورنطون الخبير اللندني المتخصص في آفات القطن ولاسيما دودة اللوز هو وفريق من صحبهِ العلماءِ يجوسون خلال غويانا البريطانية في امريكا الوسطى بغية البحث العلمي فرأوا بوكر طير خُيِّل اليهم أن ساكنه قد نسجهُ من القطن الطبيعي نفسه. ولكنهم لم يجدوا في تلك الارجاء القصية أي أثر او مصدر للقطن تخذ منهُ ذلك الطائر حاجته لبناء عشه فرقبوا الطائر عن كثب فاذا بهِ يستخرج التيلة التي

نسجها وصنع وكره بها من نبات بري ينمو في هاتيك الاصقاع . وقد كشفوا عن تسعة أنواع مختلفة من ذلك النبات فرأوا كلاً منها قريب الشبه من الآخر ولم يوجد بينها الاّ نبات واحد ذو تيلة تضارع تيلة القطن الطبيعي وهي التي اختارها الطائر لصنع عشه من أليافها فتناولوا فسائل منها وأخذوها معهم الى انكلترا حيث بذلوا الجهد في غرسها . ومع مضادة الجو لنموها فقد أقبلت التربة الانكليزية بها أيما اقبال واخذ الخبراء في انتقاء الاصلح منها على مر السنين واستنبتوهُ حتى غدت سوقه يتراوح طولها بين خمس اقدام وسبع اقدام وتنتج تيلتهُ أنخر بكثير منها في النبات البري الاصلي

ومن شأن ذلك النبات أن ينبت ويترعرع حتى في التربة الضعيفة . ومن غريب أمره انهُ ليس غذاءً سائغاً للحشرات فلم تسطُ عليهِ حتى الآن آفة منها

وقد أنتجت الاطيان الواسعة التي غرس فيها ذلك النبات الجديد بولايتي صسكس واسكس مقادير كبيرة منهُ . وبلغ متوسط حاصل الفدان الواحد منها في الحقبة الماضية بـ ٨٠٠ رطل انكليزي يقدر ثمنها بمائة ريال أي عشرين جنيهاً وبلغ من اتقان القماش المنسوج من تيلته أن عرض على الخبيرين فلم يستطيعوا تمييزه من نسيج القطن الطبيعي . الاّ انهُ لا بدَّ من معالجة تيلته قبل غزلها علاجاً كيماويًّا خاصًّا وما خلا ذلك فطريقة نسجهِ وتحويلهِ الى قماشٍ قطني لا تختلف بتاتاً عن صناعة اقمشة القطن الطبيعي

ومن السهل خلطهُ إما بالحرير الطبيعي وإما بالحرير الصناعي وإما بالصوف لصناعة الانسجة المخلَّطة . ثم يُبيَّض ويطبع ويصبغ بالطرق عينها المتبعة في المنسوجات كافة

ويقال أن هذا القطن الصناعي يفوق القطن الطبيعي في درجة اللمعان بحيث اذا خلطت عشرة في المائة من الحرير الصناعي بتسعين في المائة منهُ صارت الاخلاط قماشاً يفاخر الحرير الطبيعي . ويزعم نساجه أن تشربهُ للاصباغ اسهل جدًّا من تشرُّب القطن الطبيعي لها ولذا لا يقتضي لصبغهِ الاّ ثلث ما يحتاج اليهِ صبغ منسوجات ذلك القطن . ولا تجنى أليافهُ بالايدي في الحقل بل تستخدم الآلات في حصدهِ ثم ينقل المحصول الى الدواليب في المصانع لتستخلص التيلة من الحطب . ومن طبيعتهِ استحالة إنباتهِ من البذور لانها تستعيد مزاياها البرية فلا تصلح للانبات وانما تؤخذ منهُ الفسائل التي تتولد من الجذور القديمة إذ كل جذر عتيق يخلف ثلاثة أفراخ . وقد يتخلف عن حاصل الفدان الواحد منهُ بعد تقليعهِ جذور حديثة تكفي لغرس ثلاثة افدنة في السنة التالية . وبعد استخراج الالياف من سوقها تصنع اوراق النبات ورقاً صالحاً للكتابة ويحول الحطب الى خشب صناعي للبناء . وقيل ايضاً انهم يستخرجون من الجذور صنفاً جديداً من العقاقير

واهل انكلترا ينظرون الى هذه النتائج الباهرة بكل اهتمام لجملة اسباب . منها : إن هذا النبات الغريب يمكن غرسه في موات الاراضي فيأتي بمحصول جيد يدرُّ عليهم ربحاً عظيماً وان رخصهُ ينعش صناعة غزل القطن التي كابدت كثيراً من الكساد في الاعوام الاخيرة. وهم يقولون انهُ يستحيل بيع القطن الامريكي او المصري لمصانع لنكشير باسعار زهيدة تنافس أسعار ذاك القطن الصناعي .وقد اسفرت التجارب الكيماوية والنسجية ان الاقمشة المنسوجة من القطن الصناعي امتن منها اذا نسجت من القطن الطبيعي وأشد منها مرونة . ومع ان كل ما صنع منهُ للآن هو من الاصناف الثخينة فان الدكتور هدلى تورنطون لا يرى ما يحول دون نسج الرقائق منهُ لتنافس أجود أقمشة القطن الطبيعي

هذا وقد شرعت مناسج لنكشير في اعداد المعدات تمهيداً لهذه الغاية متوخية احراز قصب السبق في ميدان نسج هذا القطن . والشركة المحتكرة هذا الضرب من القطن المقلد للقطن الطبيعي تبيع الرطل منهُ باثنى عشر سنتاً ونصف سنت اي بخمسة وعشرين مليماً . وقد اهتمت وزارة خارجيتنا المصرية بهذا الاختراع بناء على التقرير الذي قدمهُ اليها حضرة صاحب العزة قنصل دولتنا في ليفربول كما اشارت الى ذلك الصحف المحلية في حينهِ وحبذا الحال لو اهتمت بهِ وزارة زراعتنا وعينت من يدرس الموضوع درساً علمياً توطئة للعناية باستخدام بعض فسائلهِ وتجربة التجارب بهِ في ارضنا الخصبة

اصلاح الارض وتحسينها

هذا موضوع قل عارفوه ووقف ما كتب فيه على ندرته عند مشاهدات قاصرة او لمحات سريعة وقد تبينت اثناء اشتغالي به في براري الدلتا وشمالي الفيوم كثيراً من قواعده العملية فدونتها لنفسي ثم رأيت لما ينتظر من التوسع في احياء الارض الموات وتحسين ما يجاورها عقب اتمام مشروعات الحكومة ريّاً وصرفاً ان احادث اخواني الزراع بما وقفت عليه فيه راجياً ممن هم ادرى مني به ان يستدركوا ما قد يكون جز علي من الخطأ او فاتني من الصواب

اهم وسائل اصلاح الارض

اولاً انشاء المراوي والمصارف لريها وصرفها — ثانياً . تسوية سطحها لاتقان اجرآت فلاحتها — ثالثاً غسل ملوحة تربتها لتحلو لانماء الزروع — رابعاً زراعتها بالزروع المناسبة لتحسينها لتخصب لسائر الزروع — خامساً انشاء المباني اللازمة لادارتها وفلاحتها

وانشاء المراوي والمصارف يراعى معهُ ان تقسم بها الارض الواسعة الى احواض

وادرع وموارس وان تتكوّن من جسورها واتربتها الطرق للمرور عليها وان يوضع في تقاطعها بعضها ببعض وفي اقام المراوي ومصبّات المصارف ما يلزم من المواسير والكباري لتعدية المياه وتسهيل المرور

ويسبق تسوية الارض استئصال خِرسها واعشابها ان كانت ويليها غسل ملوحتها اما زراعة الزروع فتساير هذا الغسل وتليه . وانشاء المباني بعضهُ يسبق عمليات الاصلاح وبعضهُ يسايرها ويجب ان يكون ما يصلح بقدر ما يمكن تعميره وفلاحته بربح

وتسوية سطح الارض مرتبطة بانشاء المراوي والمصارف فحيث يكون انحدار الارض والتفاوت بين اجزائها قليلاً تكون التسوية بعد الانشاء وحيث يكون العكس تكون التسوية قبله والضابط لذلك ان تصير اجزاء الارض بعد التسوية متقاربة او متماثلة بعضها مع بعض ومع مراويها ومصارفها بدون تفاوت بينها يصعّب ري أحدها او يضر بصرفه وأن تكون انحداراتها مناسبة لتسهيل سيولة ماء الري عليها وجريانه في مراويها ومصارفها

ولذلك يتقدم عمليات الاصلاح ان توزن الارض بعمل ميزانية شبكية تعرف منها ما سبب ارتفاعاتها وانحداراتها ويجب ان يكون المهندس الذي يعمل هذه الميزانية متدرباً ودقيقاً حتى تأتي متقنة محكمة اذ هي الاساس الذي سيبنى عليهِ تحديد الاجزاء العالية التي يلزم جرّ ترابها الزائد والاجزاء الواطية التي تجرُّ اليها هذه الاتربة ونسبتها بعضها الى بعض وتخطيط مراويها ومصارفها الاولى في الجهات العالية والثانية في الجهات الواطية وكلاهما في الاتجاه الذي ينبغي ان يكون لهُ بالنسبة لانحدارات الارض ومصادر ريها ومسالك صرفها ومقدار ما يمكن وما يلزم ريهُ وصرفهُ بالراحة او بالآلات طبقاً لارتفاعات الارض ونسبتها لمناسب الفيضان والتحاريق في الترع والمصارف

ويبدأ بها مسلسلة الى الاطيان من اقرب روبير من روبيرات مصلحة الري ولكن روبير قنطرة الموازنة بالترعة التي تروى منها الاطيان وان لا تزيد المسافة بين نقطة ونقطة من نقط الميزانية داخل الاطيان عن خمسين سنتيمتراً في الارض ذات الكرازيد والانحدارات المختلفة وعن ١٠٠ متر على الاكثر في الارض المبسوطة ذات الانحدارات المتسقة

ووضع خطوط التصميم تصميم المراوي والمصارف على خريطة الميزانية من عمل الزارعي او المهندس الخبير باصول اصلاح الارض وتطبيقاتها العملية في مختلف الظروف بعد معرفة احوال الارض المراد اصلاحها من حيث نوعها ودرجة ملوحتها ورطوبتها والاستعداد الموجود او الممكن لاجراآت الاصلاح وبالجملة سائر الظروف الزراعية العملية وملابساتها

المراوي والمصارف اجمالاً

اما عمومية او خصوصية فالعمومية ما تنشئهُ الحكومة لمنطقة تشمل جملة بلاد او ملاك او آلافاً من الافدنة وعنها تتفرع الخصوصية وهي ما ينشئهُ فرد او افراد متجاورون في بلدة او حوض قاصراً على ارضهِ او اراضيهم وعنها تتفرع مراوي اجزاء الارض ومصارفها

ولذلك فان اول وسائل اصلاح الارض انشاء مرواها ومصرفها الخاصين بها سواء كانا فرعين لترعةٍ ومصرفٍ عموميين او خصوصيين فاذا كان يفصلها عنهما ارض اخرى لمالك آخر فانهُ يمكن بالاتفاق عرفيًّا او بواسطة مصلحة الري اخذ ما يلزم منها لانشاءهما فاذا كان الاخذ ممكناً من ارضين يختار المروى في اعلاها والمصرف في اوطاها ومن اقرب مسافة ممكنة فيهما لتسهيل الري والصرف وتقليل ما يؤخذ وما عسى ان يكون عنهُ من الضرر الواجب التعويض عنهُ وملاقاته

فاذا كانت الترعة (ومثلها المصرف) التي ستنتفع منهُ الارض خصوصيًّا يقصر تصرفه على ري الارض المستجدة مع القديمة وجب توسيعه على نفقة صاحبها لزيادة تصرفه بحسبها

فاذا كانت حالة الترعة العمومية لا يمكن معها اجازة ري ارض مستجدة ريًّا صيفيًّا. فيؤخذ اذا امكن فتحة نيلية الى ان يحين وقت امكان اجازة ريها صيفيًّا

وذا كان يمكن انتفاع الارض من ترعتين احداهما اكبر واعلى من الاخرى فتفضَّل الاولى خصوصاً اذا كانت رئيسية او فرعية لا توزيعية لاسيما وان المراوي الخصوصية الآخذة منهما تكون محررة من قيود المناوبات النيلية وليست كذلك الآخذة من الترع التوزيعية

والماء لا يركب الارض للري بالراحة الا اذا كان منسوبهُ اعلى منها بـ ٢٥ سنتمتراً ولكن لا يتيسر هذا دواماً خصوصاً في فصل التحاريق ولذلك لا بد من وضع آلة رافعة اصلية اي على مروى الارض الاصلي لريها كلها اثناء شح الماء فاذا كان يوجد بالارض اجزاء لا يركبها الماء في بعض فصول السنة الاخرى او بالاحرى لا تكون اوطى من منسوب فيضان ترعتها بـ ٢٥ سنتمتراً توضع آلة رافعة مساعدة على مرواها الخاص بها لريها خاصة واذا كان ما لا يركبهُ الماء في فصل التحاريق عادة هو بعض الارض توضع آلة رافعة مساعدة خاصة بهِ ايضاً حتى لا تدور الآلة الرافعة الاصلية الاّ لاكبر مقدار من الارض

واذا لم يكن اوطا جزء من الارض منخفضاً عن منسوب فيضان مصرفها بـ ٦٠ سنتمتراً على الاقل يصعب صرفها بالراحة واذاً يلزم لها آلة رافعة اصلية لصرفها توضع على مصرفها الاصلي فاذا كان الجزء الاوطى قليلاً ويمكن وضع آلة رافعة مساعدة خاصة بهِ كان ذلك اوفر . ولذلك يجب في مثل هذه الاحوال ان يكيف تخطيط المراوي

والمصارف بحيث تكون مراوي الاجزاء العالية ومصارف الاجزاء الواطية مستقلة او يمكن استقلالها عما يجاورها حتى لا يعطل أحدهما الآخر فيحصل الضرر لري العالي وصرف الواطي اذا اهملت الآلات او تزيد الكلفة اذا استعملت لكليهما معاً

وعادة تنشأ مراوي وقنوات خاصة بروافع الماء ليمكن الانتفاع بالمراوي العادية اذا كان ماؤها يركب بالراحة في جزء من الارض اقل علواً بينما تستعمل تلك للجزء الاعلى الذي لا يركبهُ الماء حينئذٍ

سماد نترات الصودا الطبيعي
ومزاحمة الاسمدة الصناعية

على اثر مقالي السابق في مقتطف فبراير سنة ١٩٢٩ عن سماد نترات الصودا الشيلي الطبيعي نشر المقتطف الاغر مقالاً عن مزاحمة الاسمدة الصناعية للسماد المذكور

واذا كان انتاج نترات الصودا في هذا الموسم بلغ ٣٢٢٥٠٠٠٠ طن يقابل ذلك ٢٢٥٠٧٠٠٠ طن في العام الماضي فان هذا دليل ظاهر على ان المزاحمة المزعومة لم تؤثر في تجارة النترات الطبيعي

على انهُ مهما يكن من امر الحالة العالمية فان نترات الصودا في مصر لا تزال صاحبة المقام الاول بين الاسمدة الكيماوية

وللدلالة على ذلك ننشر فيما يلي بياناً بواردات مصر من الاسمدة المختلفة طبقاً للاحصاءات الصادرة من مصلحة الجمارك منذ عام ١٩٠٦ الى آخر عام ١٩٢٨ ويلاحظ ان الواردات تحت اسم الاسمدة الازوتية الصناعية تشمل جميع الاصناف على اختلاف انواعها التي اشير اليها في مقال المقتطف في شهر مارس الماضي

وما دامت الارقام لا تكذب فان نترات الصودا الشيلي لا تزال كما كانت اهم الاسمدة الكيماوية جميعاً على اختلاف انواعها فهي تقدر بثلثي الوارد لمصر من الاسمدة سواء في ذلك الازوتية وغيرها . واذا قورنت بالوارد من الاسمدة الازوتية الصناعية وجدنا الوارد من نترات الصودا في عام ١٩٢٨ يعادل اربعة أضعاف جملة الاسمدة الازوتية مجتمعة

ونسبة الزيادة في عام ١٩٢٨ عن التي قبلها بلغت ٣٢ في المائة وهذا يكفي . ويلاحظ ان الاسمدة الواردة الى مصر قبل السنة ١٩٠٦ التي يبدأ بها الجدول كانت كلها من نترات الصودا الشيلي الطبيعي

جلال حسين

الأسمدة الكيماوية المستوردة الى مصر من سنة ١٩٠٦ الى سنة ١٩٢٧

(بالطن المتري)

السنة	نترات الصودا الشيلي الطبيعية	الاسمدة الازوتية الصناعية	سوبر فوسفات	اسمدة مختلفة	المجموع
١٩٠٦	—	—	—	—	١٢٧٢٥
١٩٠٧	—	—	—	—	١٣١١٩
١٩٠٨	—	—	—	—	١١٥٢١
١٩٠٩	١٨٥٣٠	٣٥٤	٢٢٥٥	٢٦	٢١١٦٥
١٩١٠	٣٠٥٠٥	١٦٦٠	٣٣١٨	٧٦	٣٥٥٥٩
١٩١١	٤٨٧٧١	١٦٣٩	٩٤٩٧	٥٥	٥٩٩٦٢
١٩١٢	٥٦٠٤٧	٢٣٧٨	١١٤٥٩	٢٠٥	٧٠٠٨٩
١٩١٣	٥٦٤٧٤	١٥٣٢	١٣١٤٨	٥٠٠	٧١٦٥٤
١٩١٤	٥٢٣٢٥	٣٤٠٤	١٥٢٧٨	١٦٠٣	٧٢٦١٠
١٩١٥	٥٣٠٧٦	١٠٤٨	٧٠٥٦	٦٣	٦١٢٤٣
١٩١٦	١٩٣٥٠	٢٨٢١	٣٢٥٠	١١	٢٥٤٣٢
١٩١٧	٣٢٦٦٢	١٦٢٨	٢٥٨٠	٧٠	٣٦٩٤٦
١٩١٨	٢٨٨٨	١٧٣	—	١٠	٣٠٧١
١٩١٩	٥٤٤٦٨	١٢٨٩	١٤٣٥	٥٢٦	٥٧٧١٨
١٩٢٠	٩٨٨٨٩	٣٨٦١	١٧٧٧٢	٣٧٢٤	١٢٠٢٤٦
١٩٢١	٣٥١٥٧	٤٩٢٠	٣٥٧١	١٠٠	٤٣٧٤٧
١٩٢٢	٩٧٣٥٠	١٠٣٨٠	١٠٣٧٨	٩٩	١١٨٢٠٧
١٩٢٣	٧٠٣١٥	٨٨٥٦	٢٢٥١٦	٦٨	١٠١٧٥٥
١٩٢٤	١٢١٨٣٥	١٢٩١١	٤٣١٤٦	١١٩٥	١٧٩٠٨٧
١٩٢٥	١٧٣٧٦٤	٢٥٠٢٦	٥٥٨٠٣	٣٧١٣	٢٥٨٣٠٦
١٩٢٦	١٧٢٨٤٩	٢٩٩٧٠	٣٦٧٩١	٣٤٦٣	٢٤٣٠٧٣
١٩٢٧	١٤٢٢٩٩	٣٧٨٧٧	٤٣٨٣٣	١٤٢١	٢٢٥٤٣٠
١٩٢٨	١٨٨٠٧٧	٤٧٠١٤	٣٩٢٦٦	١٠١٣	٢٧٦٣٧٠

باب شؤون المرأة وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

التربية الجسمانية الحديثة

وأثرها في مصر

تنقسم التربية الجسمانية الى ثلاثة اقسام: الاول يختص بالام، والثاني بالمدرسة، والثالث بالنادي. وكان هذا التقسيم قديماً مهملاً ومحملاً كله على الام واحياناً على الام والمدرسة، لكنهُ على كل حال كان شائعاً لا تنحصر فيه المسئولية في حدود معينة

القارئ ليس بحاجة الى التدليل على ان سلامة الجسم اساس سلامة العقل ما دامت العقول ترضع مما تدرهُ الاجسام من ألبان. كما انهُ ليس بحاجة الى التدليل على ان تربية الجسم جزء لا يتجزأ من تربية العقل ما دام النمو في الاثنين سائراً على نظرية التغذية المعروفة

اذن فتربية العقل لا بد ترتبط في كل اطوار الحياة بتربية الجسم. وان من يتولى الاولى لا بد ان تتوافر فيهِ الثانية ولو على قدر الالمام باصولها

واذن يتحتم على الام، والمدرسة، والنادي ان يلمّوا جميعاً بالتربيتين العقلية والجسمانية حتى لا تتأثر احداها بالثانية تأثيراً عكسيًّا فيفقد التوازن في الانسان الواحد وهو الخطأ الدائم في التربية. على اني لا احتاج الى الاشارة الى ماهية جسم قوي وعقل ناقص، ولا الى ماهية عقل راجح في جسم عليل. فكلتاهما تدل على ابدية التفاعل المعكوس. وعندي ان الانسانية لا تفرق عن الوحشية الاّ بارجحية العقل، وزيادة الاحساس في الاولى

الام وأثرها في التربية الجسمانية

من يقدر دقة مركز الام في التربية الجسمانية، ومن يستطيع ان يغني عنها فيها مهما بالغ وتفنن! ان للام المركز السامي والاول في هذا النوع من التربية لانها تتولاهُ بين جنبيها وعلى يديها وصدرها. وهي أنما تعرض لاخطر المخاطر في الطور الاول

تبدأ تربية الأم الجسمانية من يوم ان تشعر بالحمل فتدعم تلك النطفة بنظم معينة تقيد بها نفسها : فلا تتحرك الاَّ لفائدة ، ولا تسكن الاَّ لفائدة . وهي لا تأكل الاَّ ما يغذي النطفة قبل ان يغذيها بقدر ونسب دقيقة . ثم اذا شربت فلا تشرب ما يضر النطفة ، واذا نامت او قامت فنوم وقيام لا يزعج تلك النطفة

وهي لا تفتأ تنتقل بهذه النطفة الى علقة الى عظام وهكذا حتى تنمو جنيناً يلعب . وهي تظل في هذا العذاب مقيدة بتلك النظم الدقيقة تسعة اشهر كاملة ، ثم تخرج منهُ فتلاقي من الم الولادة الى حد ان تتعرض فيهِ للموت

فاذا ما ولدت هذا الجنين فاصبح طفلاً امست إزاء هذا الطفل مقيدة باسلوب آخر لا يقل عن الاول دقة ومسئولية . وهكذا تبقى امام طفلها الطبيب الماهر ، والميزان الحساس ، والخادم المخلص ، والحارس الامين ، والمربي الوحيد

وانت لا تعرف قيمة الأم وعظم مسئولياتها في التربية الاَّ اذا كنت اباً ، والاَّ اذا كنت عائلاً . ثم انك لا تتصور ما تعانيهِ الام من آلام ومشاق الاَّ اذا كنت في جوار الام ولو يوماً وليلة لترى كيف تقضي يومها ، وكيف تقضي ليلها لا تعرف للحياة لذة غير لذة البنين يرفلون في صحة . ولعلك لا تدرك تلك الابتسامة التي ترتسم على وجه الام حينما تنظر الى طفلها لحظة ان يداعبها او لحظة ان تبدرمنهُ ظاهرة السرور . ثم لعلك لا تدرك تلك النظرة الساحرة التي تنظرها الام لطفلها الباكي المتألم . لا تدرك هذه او تلك ما دمت لا تستطيع ان تمسَّ قلب الام لترى ان كل شعاع في نظرها وكل تغير في اسارير وجهها انما يتصل بهذا القلب الحساس

تظل الام في هذا العذاب خمس سنين وتسعة اشهر بين تربية الجسم والعقل لا تستطيع التخلي لحظة عن واجباتها لتهيء للمدرسة طفلاً نامياً ممهد العقل يحتمل التفكير فيما في هذه الدنيا من جد ولهو ، وقد ظل كبار المفكرين الى الآن عاجزين عن رسم خطط حكيمة او وافية وميسورة لهذا الطور من التربية . وظلت الام الى هذه الساعة حقل التجربة وميراث الماضي لا تتزعزع عن مركزها الدقيق

والام في التربية هي البناء في الاساس يترتب على متانة ما تصنع من مواد وما ترسم من خطط مستقبل البناء . وهل اذا خار الاساس يبقى للبناء من اثر ?

أثر هذا في مصر الآن

انتقل من اجمال وصف مركز الام من التربية الجسمانية الى استطلاع اثر هذا النوع

من التربية في مصر الآن . ومن يستطلع مثل هذا الاثر الدقيق لا بد يحرص كل الحرص على الحقائق بخطوات بطيئة لكنها مؤكدة

هناك في بلاد المدنية الغربية عني الناس كثيراً بامر الامهات فخاطوهنَّ بكثرة من العناصر المساعدة لهنَّ على تأدية واجباتهنَّ. وهناك ايضاً قد تضافروا وتعاونوا على اكتشاف هذه العناصر بحيث تعددت وسهل تناولها في كل آن ولكل طبقة من طبقات الشعب . فلم تعد هناك من صعوبة على اي فرد للحصول على عنصر من تلك مهما عظم قدره وكثرت نفقاته او قيمته

ولعلك تريدني ان اشرح لك اهم هذه العناصر لتعرف ان المدنية الحديثة لم تترك دقيقة او صعوبة الا بحثتها وذللتها لتضمن سعادة المجتمع وهل بعد معونة الام من سعادة وهناء

اما العنصر الاول فهو غذاء الفتاة بمادة علمية تعدها للتفكير والادراك . وهذه المادة تتفرع منها ابواب كثيرة كالتربية المنزلية ، وتربية الطفل ، وعلاقة الام بالعائلة ومركزها فيها

واما العنصر الثاني فهو غذاء الفتاة بمادة عملية تعدُّ فيها جسماً نامياً سليماً يصلح ان يكون مرعى خصباً لعقل مفكر كبير ، ثم تعد جسمها لام نشطة عاملة . وهذا العنصر هو بيت القصيد من التربية الجسمانية

واما العنصر الثالث فهو مد الام بما يعينها على تربية اطفالها من الارشادات والنصائح ومختلف التراكيب الصحيحة لمواد التغذية . ومدها بالخدمة التي تعينها على تأدية واجباتها وهي حامل وهي تلد وهي تربي بانشاء الجمعيات الطبية والخيرية وما الى هذه من عوامل تعين وتساعد . هذا قليل من كثير من العناصر التي تعدها المدنية الحديثة للام . وقد اتت فعلاً بالفوائد المنشودة مع انها ما تزال تنمو وتتزايد الى درجة الكمال

وهناك في تلك البلاد تتولى المدرسة وتتولى الاندية تربية الفتاة وتربية الامهات جسمانيًّا تربية صحيحة تسهل لها سبل الحياة بنجاح حتى تسعد العائلة وتهنأ . فهل اثر هذا ظاهر في مصر اليوم ؟

نعم اجد لهذا اثراً في مصر الآن وان كان لا يذكر بجانب ما هنالك . وما دام الاثر موجوداً فضآلته لا بد ان تنمو مع مرور الزمن رويداً رويداً فتصبح يوماً في مرتبة عالية من الكمال

اجد الحكومة ساهرة على رعاية الامهات في مدارسها وفي مصاحها وفي مستشفياتها . وأجدها ساهرة ايضاً على رعاية الاطفال من ناحية اخرى في مدارسها بانشاء بساتين

الاطفال على احدث اساليب التربية ، وفي مستشفياتها بانشاء العيادات الطبية لعلاج الاطفال وارشاد الامهات الى كيفية تربية الاطفال

واجد الامة لا تسكت يوماً عن مناصرة الحكومة في نهضتها بانشاء ومناصرة الجمعيات الخيرية التي تؤسس لمساعدة الامهات ورعاية الطفل

واجد كذلك الامهات المصريات مقبلات على تعرف ادق اساليب تربية الاطفال بالاقبال على سماع المحاضرات وتقبُّل الارشادات والعمل على الاستفادة من العيادات وغير ذلك

ثم اني اجد بجانب هذا وذاك ما يفرح ويبشر بمستقبل زاهر للتربية الجسمانية ان الأم قد بدأت في مصر تستهجن ماكان يحلو لها من قبل وهو « سمن الجسم » فعملت على تربية اجسامهن بحيث يصبحن ذوات نحف صحيّ مصقول يقوى على الحركة ويحتمل مشقة الحركة بكثير من اللذة

ولست انسى ان اذكر ان تلك البادرة التي بدرت من ناحية امهاتنا وهي تأسيس اندية نسوية انما تدل على طموح امهاتنا المصريات الى ادراك الكمال يوماً ما

الاّ اني مع كل هذا ما زلت ارى نقصاً وخمولاً من ناحية الآباء في تأدية ما عليهم نحو الامهات والفتيات فيما يختص بالتربية الجسمانية . لان مراكز الآباء متصلة بواجبات الامهات اتصالاً مباشراً ثم انهُ يؤثر في واجبات الامهات تأثيراً دقيقاً

ورث الآباء الحاضرون من الماضي ما يعرف القارئ منهُ اكثر مني: ورثوا عادة حرمان الفتاة من التربية المدرسية ، وورثوا عادة حرمان الفتاة من استطلاع الحياة السعيدة ، وورثوا عادة حرمان الفتاة من التربية الجسمانية ، وورثوا عادة تزويج الفتاة ممن لا تحب ولا تهوى ، وورثوا عادة حرمان الزوجة من حرية الحياة في حدود الامومة ، واخيراً ورثوا حرمان الزوجة من التربية الجسمانية

هذا ما ورثوه وكلهُ آفات التربية الحديثة وما دامت توجد في العقائد فهي تسممها وتفسد عليها كل فائدة ترجوها . وبقدر تجمعها في مخيلة الآباء بقدر ضررها على المجتمع. وكما يجب ان نهذب الام ونعدها لتربية الاجسام والعقول يجب ان نحارب في الآباء تلك العقائد الفاسدة حتى لا يحدث تنافر بين الامهات والآباء اذا ما اجتمعوا على رأس العائلة

اذن ففي مصر اليوم حركة نسوية ترمي بصدق الى ايجاد امهات صالحات جسمانيًا لكنها ناقصة من ناحية الآباء ولا بد من مدها اولاً بمطاردة ما في عقائد الرجال من فاسد العادات

[لها بقية] ابرهيم علام

حديث صحي : العناية بالعين

﴿ ضعف البصر ﴾ ان ضعف البصر اكثر انتشاراً الآن مما كان عليه في القرن الماضي وما قبلهُ وما قبله . وسبب ذلك التغيّر في احوال المعيشة وكثرة الاقبال على المطالعة والخياطة والعناية بالاعمال الدقيقة التي تحتاج الى اجهاد العينين لاتمامها . العين السليمة ترى الاجسام على مسافة معينة من غير تعب او اجهاد ولكنها يجب ان تجهد حتى ترى اجساماً دقيقة تكاد لا ترى لدقتها ولذلك تقرّب هذه الاجسام من العين قرباً غير طبيعي، فيحصل تغيير في عضلات العين يؤدي الى توسيع الحدقة وتحديب العدسية وتبقى كذلك ما زال الانسان مكبًا على العمل الدقيق الذي بين يديهِ . فاخراج العين عن حالتها الطبيعية زمناً طويلاً يجهد عضلات العين فينشأ عن ذلك ضعف البصر على اختلاف انواعهِ

﴿ دلائل ضعف البصر ﴾ ما يصيب العين من ضعف البصر لا يصلح من ذاتهِ بل في الغالب يزداد رويداً رويداً ولذلك يجب استشارة طبيب مختصٍ بامراض العين حالما تدلُّ الدلائل على ان البصر آخذ في الاختلال . واشهر هذه الدلائل عدم تميّز المرئيات وسرعة التعب من المطالعة والدرس وتكرُّر الصداع وظهور اعراض تدلُّ على ضعف الاعصاب

﴿ النظر البعيد ﴾ كلما تقدم الناس في العمر قلّت مقدرة العضلات في عيونهم على التكيف حسب مقتضى الاحوال ويصاب اكثرهم بما يعرف ببعد النظر اي انهم لا يستطيعون ان يروا الاجسام القريبة منهم مع انهم يرون الاجسام البعيدة واضحة. وسبب ذلك ان عدسية العين قلّ تحدّبها وكثر تسطحها فاذا وضع جسم قريباً من العين اجتمعت الاشعة المنعكسة عنها وراء الشبكية لقلة تحدب العدسية فيرى الجسم مبهماً فاذا بعد الجسم عن العين صارت الاشعة التي تنعكس عنهُ تجتمع على الشبكية فيرى واضحاً . ولذلك توصف النظارات المحدبة للمتقدمين في السن يستعملونها حين المطالعة لانها تقرّب اشعة النور قبل وصولها الى العدسية فاذا اخترقتها اجتمعت على الشبكية ورؤيت حروف الكتابة واضحة

﴿ قصر النظر ﴾ اما الاحداث من فتيان وفتيات فيصابون عادة بقصر النظر لانهماكهم منذ صغرهم بالدرس والمطالعة فيتعودون تقريب الكتب من اعينهم فتصبح لا ترى المرئيات واضحة الا اذا كانت قريبة منها. اما الاجسام البعيدة فترى غير واضحة لان العدسية كثر تحدُّبها فاذا كان الجسم بعيداً اجتمعت اشعتهُ امام الشبكية فلا تستوضحهُ العين واما اذا كان قريباً اجتمعت اشعتهُ على الشبكية فتراه واضحاً. ولذلك تستعمل النظارات المقعّرة

واهم الامور التي يجب على قصير النظر ان يعنى بممارستها هو ما يأتي : لا تقرأ كتاباً

لا تستطيع ان تستوضح حروفهُ على مدى ذراع من عينيك واطلب مشورة طبيب مختص بامراض العيون ليفحص لك نظرك ويعين درجة نظاراتك

﴿ الماء في العين ﴾ غدد الدموع تفرز من سائلها ما يكفي لترطيب العين فاذا زاد ما تفرزهُ قليلاً عما تحتاج اليهِ العين خرج الى الانف بمسالك خاصة . وفي بعض الاحيان تفرز الغدد الدمعية مقداراً كبيراً من الدموع اذا هاجها الغبار او قوة النور او تأثر العاطفة في فرح او حزن ، فتسيل الدموع على الوجه . فاذا كانت هذه حالة موقتة وجب عدم القلق لها ولكن اذا استمرت وجب استشارة طبيب اذ قد تكون ناجمة عن التهاب غشاء الجفن او عن كثرة المطالعة او العمل في نور ضئيل او نور رجراج او غير ذلك

﴿ العيون الحمراء ﴾ كل عين مغشاة بغشاء مخاطي كالذي يغشى باطن الانف والحلق . وهذا الغشاء — الاَّ في مقدمة العين — يحتوي على اوعية دموية دقيقة وكل احتكاك يسبب احتقان هذه الاوعية فتحمرُّ العين وتدعى هذه الحالة التهاب الملتحمة وقد تنشأُ عن زكام او اي الاسباب التي تسبب الماء في العين . ولو كنا نستطيع ان نؤكد ان الحالة التهاب الملتحمة لكان يسهل وصف غسول مطهر تغسل بهِ العين كلَّ يوم ولكن اكثر الامراض التي تصاب بها العين تبدأُ كذلك ولذلك يجب مراجعة طبيب عيون

﴿ القذى في العين ﴾ اذا دخل قذى في احدى عينيك فلا تفركها لانك اذا فعلت كان الضرر مضاعفاً . ذلك ان اغشية العين اللطيفة تلتهب من الفرك وينتقل القذى من مكان يسهل الوصول اليهِ الى زاوية قد يصبح فيها بعيد المنال . وافضل ما تفعله في هذه الحال هو ان تغمض جفنيك وتعطس بشم احد المساحيق التي لها هذا الفعل فتجري الدمع من ماقيك وينتقل القذى الى مقدم العين فتسهل ازالتهُ حينئذٍ بطرف منديل نظيف . واذا لم تنجح فاغمض عينيك وضع الجفن الاعلى فوق الجفن الاسفل ثم افتح عينيك وحينئذٍ فقد تجد القذى عالقاً باحدى اهداب الجفن الاسفل . واذا لم تنجح في ذلك فأتِ بطست من الماء الفاتر النظيف واغطس وجهك فيهِ ثم افتح عينيك تحت الماء والاَّ فاذهب الى الطبيب . ولا تنس على كل حال ان تضع قطرة من زيت الزيتون النقي فانها تخفف الالم والالتهاب

﴿ وصاية عامة ﴾ مهما تبلغ عيناك من الصحة فهناك امور كثيرة يجب ان تجتنبها لتحتفظ بصحتهما : اجتنب حين المطالعة الحروف الدقيقة والورق اللامع والنور الضئيل والنور الرجراج . لا تقرأ قراءة مستمرة مدة طويلة من غير ان ترفع عينيك وتنظر بهما الى الفضاء لترنحهما . اجلس حين المطالعة حتى يقع النور عليك وعلى الكتاب من اليسار . لا تقرأ وانت مضطجع لان ذلك يجهد العينين فيضعف عضلاتهما وخصوصاً اذا كان الانسان ناقهاً

باب الصناعة

آراء في اختيار

طريقة تحضير النشادر المركب

قد اصبح تحضير النشادر المركب من العناصر المكونة لهُ وصناعة الاسمدة النشادرية من مسائل اليوم اكثر من اي وقت سبق . فالمعدات الجديدة جارٍ انشاؤها ، والانتاج في نمو سريع ، والاساليب الحديثة في الصنع تظهر بلا انقطاع تحمل كل منها مزايا عديدة

فكم طرأ من التغير منذ الوقت الذي قال فيهِ المؤلفون المعدودون، وقد مضى عليهِ على الاقل عشر سنين ، ان الالمان هم وحدهم القادرون على تركيب النشادر الصناعي من العناصر المكونة لهُ نظراً للمصاعب التي تحيط بهِ والآن تلقاء الطرق المتعددة التي امام الصناعة كيف يمكن احسان الاختيار؟ وما هي الاعتبارات النظرية والمقدمات العملية التي لها الاثر الفعال ؟

الاعتبارات النظرية

يمكن تقسيم طرق صناعة النشادر الصناعي الى قسمين رئيسيين : قسم الطرق ذوات الضغط المنخفض المأخوذة عن « هابر » والضغط المنخفض يقصد بهِ هنا ضغط مائتي جو او نحو ذلك . وقسم الطرق ذوات الضغط العالي المساوي لالف جو او نحو ذلك المأخوذة عن «ج . كلود » . فالى اي قسم من هذين القسمين تعطى الافضلية؟ كان المسلم بهِ للآن ان الضغط العالي يناسب المصانع الصغيرة والضغط المنخفض يلائم المصانع الكبيرة . انما دلَّ الفحص الجدي للموضوع على ان هذه العقيدة هي ايضاً ضعيفة الاساس كالعقيدة السابقة باستحالة صناعة النشادر من غير واسطة « البديش انلين »

فقبل كل شيء قد ثبت اليوم صناعيًّا ان الضغط المرتفع في وسعهِ ان يعمل بانتظام كالضغط المنخفض سواء بسواء . وحيث ان الاول سهل المعدات ولا يستدعي نفقات كبيرة فهذه اول ميزة لهُ . والميزة الثانية انهُ يسمح بزيادة القوى القصوى لعناصر التركيب زيادة عظيمة . وتحدد هذه القوة عادة الابعاد الخارجية لانابيب التأثير . ففي حالة تساوي الابعاد يمكن لضغط الف جو ان ينتج ٨٠ في المائة من النشادر زيادة عن ضغط مائتي جو ، مع حساب سمك الجدران . فان كانت الوحدة المحدودة «لمؤثر» يعمل مائتي جو هي ٢٥ طنًا من النشادر يوميًّا ، كانت ٤٥ طنًّا يوميًّا « لمؤثر» يعمل بالف جو . وهذه مسألة هامة

جداً اذ ان المقدرة اليومية للمصانع المشروع فيها تقدر بمئات الاطنان وليست بعشراتها

ولقد عابوا على طرق « الضغط المرتفع » انها تستنفد من القوى لانتاج الكيلوغرام الواحد من النشادر مقداراً يفوق ما تستنفده طرق « الضغط المنخفض » وهذا ليس في محله . لانهُ ان كان المسلك الظاهر من القوى اكثر ارتفاعاً فالمستهلك الحقيقي اقل . والحساب الآتي يبين ذلك : يحتاج ضغط المخلوط الغازي ز + يد ٣ الى قوة ٩٠٠ جو لانتاج ١٠٠ كيلوغرام من النشادر والى ٢٣،٦ كيلوات ساعة زيادة عما اذا كان الضغط يساوي قوة ٢٠٠ جو ، غير انهُ يقابل هذه الزيادة ابواب الاقتصاد الآتية :

(١) ازدياد عامل الاتحاد وبالتالي نقص كمية الغاز الواجب اعادة كبسهِ بواسطة مضخة التحريك وبذا يقتصد ٢٥ ، ١٦ كيلوات في كل مائة كيلوغرام من النشادر

(٢) يجمع النشادر على هيئة سائل غير مخلوط بالماء بدلاً من جمعهِ مذاباً فيهِ وبهذه الطريقة يكون تحت اليد ٣٠٠٠٠ كالوري[1] في كل مائة كيلوغرام من النشادر ومن حيث ان مصانع النشادر والاسمدة محتاجة دائماً الى وحدات الحرارة لذلك يقتصد في كل مائة كيلو من النشادر ٧ ، ١١ كيلوات ساعة

(٣) يجمع النشادر بواسطة الترويق فيستغنى عن الضغط اللازم لارسال الماء لاذابة النشادر وبذا يقتصد ٩٥ ، ٢ كيلوات ساعة في كل مائة كيلوغرام من النشادر

(٤) بالحصول على النشادر سائلاً بدلاً من الحصول عليهِ على هيئة محلول نشادري يستغنى عن عملية التقطير او التركيز وبهذه الطريقة يتحقق تغيير النشادر المركب الى اسمدة نشادرية واقتصاد يعادل ٥ ، ١١ كيلوات ساعة

فمن ذلك يتضح ان النتيجة النهائية ليست صرف قوى زيادة ولكن فيها اقتصاد يعادل .
٢٥، ١٦ + ٧، ١١ + ٩٥، ٢ + ٥، ١١ — ٦، ٢٣ = ٨، ١٨ كيلوات ساعة في كل ١٠٠ كيلوغرام من النشادر المصنوع بالضغط العالي

وهذا الاقتصاد في القوى المصروفة يضاف اليهِ امكان زيادة القدرة القصوى للوحدات واختصار ذي قدر في العمل واقتصاد هام في تكاليف الانشاء (حيث لا لزوم لمغيرات حرارة الغاز تحت الضغط قبل انابيب التأثير ولا لدائرة اذابة النشادر تحت الضغط ولا لجهازات تقطير المحاليل النشادرية)

لهذا كانت طرق الضغط المرتفع مفضلة بغير نزاع على طرق الضغط المنخفض

(١) وحدة لقياس الحرارة الصغيرة تساوي الحرارة اللازمة لرفع حرارة غرام واحد من الماء من درجة صفر مئوية الى درجة واحد

وعند ما اجرينا حساب المزايا السابقة فرضنا كما لا يخفى ان طرق الضغط المرتفع تستخدم عامل الاتحاد بآخر طاقته وهذا ما يستدعي التحقيق الصناعي لمهيء انقشاع الحرارة العظيمة التي تصدر عن وحدة الحجم تحت ضغط يتراوح بين ٩٠٠ الى ١٠٠٠ جو

وللضغط المرتفع طرق انقص فيها عامل الاتحاد بطريقة اصطناعية بدلاً من التغلب على صعوبة استبعاد الحرارة . انما تفقد هذه الطرق جزءاً كبيراً من المزايا التي عددناها. لذلك كان من الواجب الالتجاء اما الى مغيرات الحرارة او الى تسخين الغازات الداخلة .

كذلك تستخدم الطرق المشار اليها « المؤثر » استخداماً سيئاً ينقص من المقدرة العظمى لوحدات التركيب ، وهذه ليست طرق الضغط المرتفع الحقيقية

وفي طرق الضغط العالي يمكن لجهاز المؤثر اتخاذ انبوبة مفردة بمضخة تحريك اجباري او اتخاذ عدة انابيب متسلسلة بمضخة تحريك اختياري لطرد الفضلات الى الانبوبة الاخيرة

والجهاز ذو الانبوبة المفردة يبدو انهُ ابسط في التركيب وفي الاستعمال . انما اذا كانت حركة الانابيب منظمة ، كما يجري ذلك عادة ، بواسطة جهازات ذات حركة ذاتية، فوحدة المؤثر في جملة انابيب لا تستدعي مراقبة اكثر من الوحدة ذات الانبوبة المفردة لان مرور الغاز من الانبوبة الى التي تليها يحدث من غير مراقبة ولا ضبط وانما من تلقاء نفسهِ.ومن جهة بساطة الجهاز وسهولة ادارتهِ فالجهازان من الوجهة العملية سواء تقريباً غير ان للجهاز ذي الانابيب المتسلسلة مزية انقاص ابعاد الانابيب وذلك بتسهيل عمليات تغيير المؤثر فينتج عن ذلك انقاص المستهلك من القوة الذي ولو انهُ لا يستحق الاعتداد بهِ الا انهُ لا يهمل في الوحدات الكبيرة

وتوزيع الانتاج بين جملة انابيب لا تعد فائدتهُ ثانوية بل بالعكس تصبح هامة عند ما يراد الوصول الى وحدات بالغة في العظم : من ٥٠ الى ١٠٠ طن في اليوم مثلاً . ولقد سنحت لنا فرصة الاطلاع على جهاز « ج . كلود » مقدرتهُ ٣٠ طناً في اليوم ذي اربع طبقات من المؤثرات تعمل بضغط ٩٠٠ جو فرأينا ان اكبر انابيب هذا الجهاز لا يزيد قطرها الخارجي على ٧٠ سنتيمتراً وارتفاعها ٣٫٥٠ متر. وعلمنا انهُ بواسطة قطر خارجي مقاسهُ متر يمكن الوصول الى جهاز يعطي ٦٠ طناً يومياً و بواسطة قطر خارجي مقاسهُ ١٫٢٠ متر يمكن الوصول الى جهاز يعطي ١٠٠ طن يومياً

وتدل هذه الارقام على السهولة الفائقة التي يتحقق بها الانتاج العظيم بفضل الجهاز ذي الانابيب المتسلسلة. هذا فضلاً عن ان الانابيب المتسلسلة تجعل الانتاج ينتظم من تلقاء نفسهِ بتقويم مفعول ضعف المؤثر في الانبوبة المفردة حيث يكون المنتج معرضاً للتسمم دفعة

واحـدة او تدريجاً حسب القاذورات التي تبقى في المخلوط زيد ٣ اذ بمجرد ما تضعف انابيب الطبقة الاولى من الجهاز ينقص الثقل النوعي للمزيج وبالتالي يكون لدى الطبقات الاخرى من الانابيب كمية من الغاز اكبر فيحدث التكافؤ على الوجه الكامل تقريباً .
مثال ذلك اننا ان اتخذنا جهازاً « مؤثراً » مكوّناً من اربع طبقات من الانابيب وضعف انتاج الطبقة الاولى بمقدار ٢٥ في المائة ، وهذا مقدار كبير جداً فانتاج الطبقات الاخرى يزيد من تلقاء نفسهِ بحيث لا تبلغ خسارة الانتاج في مجموع الانابيب ٢ في المائة وهذا بدون حاجة لاجراء اي ضبط للضغط . ومن الضروري الحاق انابيب «المؤثر» المتسلسلة بمضخة لطرد الفضلات الى الصف الاخير من الانابيب وبذا يجمع بين مزايا انابيب « المؤثر » المتسلسلة وبين مضخة الطرد وبهذا الوضع ، اذا وقفت المضخة عن العمل فالانتاج لا يقف اذ ان الانابيب يمكن ان تستمر في عملها ولا يقل الانتاج في هذه الحالة عن المتوسط باكثر من ١٠ في المائة وهذا ايضاً لا بأس بهِ .

الاعتبارات العملية

بناء على الاعتبارات النظرية السابقة يمكن تحديد الصفات الواجب توفرها في الطريقة المثلى لاستخراج النشادر . انما من الوجهة العملية يجب ان لا ننسى ان العمل الصناعي المنتظم للجهاز لهُ اهمية كبرى وان نقصاً نظريًّا خفيفاً يمكن ان تعوضهُ واكثر منهُ زيادة في العمل مهما كانت الطريقة المستعملة سواء أكانت بالضغط العالي او المنخفض

وعند فحص تكاليف صنع النشادر المركب يرى ان اهم عوامل النفقة اليوميَّة للمشروع ثابتة (اجور العمال وفوائد رأس المال واستهلاكه والمصاريف العمومية) وان غيرها من العوامل كالغاز والقوة الكهربائية لا تنقص الا قليلاً في اثناء وقت الوقوف العرضي وان عامل الصيانة مهمٌ بحسب ما اذا كان الوقوف العرضي متعدّداً او لمدةٍ طويلةٍ . وبالجملة يمكن اعتبار المصروفات العمومية كانها ثابتة سواء أكان الوقوف عرضيًّا او غير عرضي وان تكاليف الصنع في جهاز ما هي بنسبة عكسية للانتاج الفعلي للجهاز . فاذا لم يبلغ الانتاج الا ثلاثة ارباعهِ على اثر وقوف عرضي او ادارة مختلة زادت تكاليف الصنع على التكاليف المعتادة بمقدار الثلث . ولما كان لضبط السير اهمية كبرى بحثنا عن واسطة سهلة وعملية لقياس هذا العامل فاخترنا « قوة الاستخدام العملي » وحدة للقياس وعرفناها بالكيفية الآتية :

اذا كان (ج ي) هو الانتاج الاقصى لجهاز اثناء سير منتظم صحيح مدى الاربع والعشرين ساعة بلا انقطاع مستعملاً في ذلك انابيب مؤثرة جديدة «فقوة الاستخدام العملي»

للجهاز تكون هي النسبة بين الانتاج المحقق الذي نرمز له بحرفي (ج ق) اثناء ادارة لمدة ١٠٠ يوم متتابعة بدون تغيير في قطع الجهاز وبين اقصى حد نظري ممكن للانتاج اثناء نفس المدة اي ١٠٠ × ج ي :

قوة الاستخدام العملي = ج ق / ١٠٠ ج ي

فلأجل تعيين هذه القوة الدالة على الكمال الصناعي للطريقة المستعملة يجب كما لا يخفى العمل دائماً بنفس القطع من غير التجاء الى تغييرها . وقطع التغيير ليست ضرورية مبدئياً في طريقة انتاج مضبوطة ضبطاً كافياً . ونلفت النظر الى ان سير جهاز التأثير في صناعة النشادر يتأثر غالباً بالقاذورات المحتوي عليها هيدروجين المخلوط ز + يد ٣ لذلك كان من الضروري في تحديد « معين الاستخدام العملي » ضم اجهزة انتاج الهيدروجين والسعي ليكون « معين الاستخدام العملي » مضموناً في مجموع جهاز الانتاج وهذه هي الوسيلة الوحدة التي لا تجعل « معين الاستخدام العملي » وهمياً . والتحليلات التي تجري على الهيدروجين لا تكفي للارشاد عن مقدرة الغاز في انابيب التأثير . ولاجل فهم سلطان « معين الاستخدام العملي » يكفي ملاحظة ان زيادة قدرها ٥ في المائة من هذا العامل تكون نتيجتها انقاص تكاليف صنع النشادر بمقدار ٥ في المائة (ولقد بينا آنفاً ان هذه التكاليف تجري على نسبة مكسبة للانتاج ، بينما معين الاستخدام العملي يجري على نسبة مناسبة له) وبينما « اقتصاد قدره ٥ في المائة من الغاز والقوى المستهلكة واقتصاد قدره ٥ في المائة من اليد العاملة » لا يقلل من تكاليف الصنع الا بمقدار ٢ ونصف في المائة الى ٣ في المائة وحصة « الغاز واليد العاملة » في تكاليف الصنع لا تزيد على ٥٠ في المائة الى ٦٠ في المائة . ومن باب الارشاد نقول ان طريقة صنع النشادر المركب مضبوطاً ضبطاً حقيقياً في وسعها ان تعطي في مجموع « الهيدروجين — نشادر » معيناً للاستخدام العملي قدره ٨٥ في المائة على الاقل

ولقد اتاحت لنا الظروف زيارة مصنع في شمال فرنسا يستعمل طريقة (ج . كلود) مع استخراج الهيدروجين من غازات افران الكوك بواسطة الاذابة فوجدنا ان « قوة الاستخدام العملي » في هذا المصنع لجهاز قائم بالعمل منذ سنتين بدون اي تغيير في قطعه يبلغ ٩٣ في المائة في مجموع « الهيدروجين — نشادر » . فرقم ٨٥ في المائة الذي ذكرناه كحد ادنى لا يكون اذن مبالغاً فيه ومن الواجب ان يعد كانه معتدل للغاية بل ومن الواجب ان تبلغ القدرة في الانتاج في الوقت الحاضر رقماً يفوق ذلك الرقم عند العمل على تنافس مختلف الطرق

« مهندس »



الدليل الامين في الصحة والمرض

تأليف وترجمة الدكتور شكري بوتاجي — صفحاته ٦٣٢ — طبع بالمطبعة العصرية بمصر

لما تناولتُ هذا الكتاب الطبيّ الحافل لاتصفّحهُ شعرتُ بارتياحٍ وافرٍ متعدّد الاسباب، وليس اهون هذه الاسباب شعوري بنشاط زملائي الاطباء في ميدان التأليف، وما سوف يتبع ذلك من خدمةٍ جليلةٍ للعلوم الطبية وللغة العربية وللثقافة العامة ولجمهور القراء معاً

ولعلّ اغتباطي بما يرجى من مثل هذا التأليف لتنوير اذهان القراء هو ابلغ اسباب ارتياحي اليهِ، لانهُ وإن كان تصنيفاً طبيًّا عامًّا غيرَ محدود الفائدة الاّ ان فائدتهُ اعمّ للمتعلمات والمتعلمين جملة دون حصر، فقد جمع فيهِ مؤلفهُ الفاضل على ماذكر في مقدمتهِ « مبادىء العلوم الضرورية التي تتعلّق بهذا الفنّ (فن الطبّ) حتى يكون لكلّ من يطالعهُ المام كافٍ بهذا الموضوع، فيستفيد منهُ ماديًّا وادبيًّا ما لا يقوَّم بمال ولا يقدر بثمن، لان الاهتمام بصحة الابدان امرٌ ضروريٌّ لا يستغني عنهُ انسان » . واشار في ختام تصديرهِ الى ان الكتاب يفيد على وجهِ التخصيص « اولئك القاطنين في اماكن بعيدة عن الاطباء، فيعينهم على التوسل بما يدفع الخطر في اشدّ ساعات المرض، ويخفف وطأة الالم ريثما يحضر الطبيب الذي لا يمكن الاستغناء عنهُ في الحوادث الخطيرة ولا سيما الجراحية » وارى حقًّا ان كتابهُ الجامع هو عند حدّ وصفهِ هذا

يربي الدكتور شكري بوتاجي مصنف هذا الكتاب على السبعين، وهو طبيب المستشفى الانكليزي في حيفا سابقاً، وقد زاول صناعة الطبّ مدة تنيف على سبع واربعين سنة، زار في اثنائها اميركا واوروبا وكثيراً من مدن الشرق، فجاء يضمن كتابهُ زبدة معارفهِ وخبرتهِ ومطالعاتهِ الطبية العامة برًّا باخوانهِ في الانسانية . وفي كلّ صفحة من صفحات كتابهِ دليلٌ ناطقٌ بغزارة علمهِ وبحسن اختياره تأليفاً وترجمةً واقتباساً، فاضاف بانتاجهِ هذا اثراً جديداً قيّماً الى المكتبة الطبية العامة التي خدمها من قبل امثال الدكتور محمد عبد الحميد والدكتور عبد العزيز نظمي والدكتور شخاشيري والدكتور فخري وسواهم

وعنيت المطبعة العصرية بحسن اخراج هذا الكتاب طبعاً وتجليداً حتى لا تكاد تجد

وجهاً للمؤاخذة من هذه الناحية الفنية اللهم الاّ في بعض الاخطاء المطبعية وفي التصاوير التي يعوزها بعض التهذيب واستعمال الاقلام والحروف العربية . ومن الغريب ما لاحظتهُ ان مدير المطبعة المصرية لجأ في انساوين الجانبية الى استعمال الحروف السميكة لتمكين اظهر من الحروف الجديدة ، وهذا ذكاء منهُ . ولكني اشك في اكتساب الكتاب رونقاً وان زانتهُ طائفة من تصاويره التي بلغ عددُها واحداً وعشرين ومائة شكل

اما تنسيق الكتاب فيدلُّ على قدرة الدكتور شكري بوتاجي ككاتب ومؤلف منظم الذهن ، فقد جعلهُ في خمسة اجزاء متناسبة متلاحقة : فكان الجزء الاول خاصًّا بعلم التشريح في ايجازمناسب ،ثم بعلم الفسيولوجيا (وظائف الاعضاء) ، واخيراً بعلم الاقرباذين (وصف العقاقير الطبية وتركيبها).وكان الجزء الثاني وقفاً على تشخيص الامراض وعلاجها مع بعض الجداول الطبية المفيدة . وكان الجزء الثالث بحثاً في امراض النساء والاطفال ، فضلاً عن تناول الولادة وكلّ ما يتعلق بها من الرعاية العامة.وكان الجزء الرابع —وهو من اهم اجزاء الكتاب — بحثاً ضافياً في فني التمريض والاسعاف . وكان الجزء الخامس — وهو ختام الكتاب — من خير ما كتب للجمهور في علم الصحة متناولا فيما تناولهُ طرق الوقاية من الامراض ، والرياضة البدنية ، والطعام واللباس والشراب والاستحمام ، واردفهُ بملحق مفيد في السموم وترياقها

واما لغة الكتاب فسلسلة مقبولة ، وهاك مثالاً منها : « ان البنية الجيدة وحسن تركيب الجسد هما الامران الجوهريان لكمال صحة الجسم . وكان قدماء اليونان يعدّون الجمال معادلاً للفضيلة . قال احد مشاهير المؤلفين : كلما قربنا من العزة الالهية ازداد ادراكنا لجمالها . ولكي يحسن الانسان التعبير عن افكاره يحتاج الى وسائط طبيعية متقنة من لغة ونطق وحركات الخ . ، والعقلُ البشريُّ يسهل تثقيفهُ وتحسينهُ بالتربية والتهذيب ، ولكن حصر هذا التثقيف في العقل دون الجسم اضعف البنية عموماً ، وجعل النسلَ نحيفَ البدن سخيفَ العقل قصير العمر،وهذه الحقيقة اهملت وقتاً طويلا لعدم اهتمام ارباب العلم بها ». بيد ان الكتاب في لغته العلمية لم يسلم من هفوات كثيرة راجعة الى تساهل المؤلف في التعبير تارة والى جهده الفردي المستقل تارة اخرى. فهو يقول مثلا ان حمى مالطة تتولد من طفيليات،وهذا تعبير خطأ من الناحية العلمية فان كلمة«طفيليات» هي ترجمة parasites لا ترجمة Microbes (= ميكروبات) ، وليست حمى مالطة من الامراض الطفيلية . واما اجتهاده الفردي فيظهر في مخالفته للاصطلاحات المستعملة في مصر(وقد نشر بين أهلها كتابهُ)في مناسبات كثيرة سواء لفظاً او هجاء ،مثال الاول انهُ

يسمى الحُبْسة Aphasia « أفاسيا » ، وقد اصطلح تعريبها « بالافازية » كما يقول « سبيروشاتس » بدل « سبيروخيتات » وترجمتها المستعملة « حلزونيات » وهي مقابل spirochetes ، ومثال الثاني كتابتهُ « الروماتزم » هكذا : « الريوماتزم » ، وباسلس « شيجا » : باسلس « شيكاس » ، ، وقس على ذلك . وليس هنا مجال مناقشة الآراء او الارقام او البيانات التي احتواها الكتاب من وجهةٍ طبيةٍ او علمية ، ويكفي ان نقول انها في جملتها تستحقّ الاحترام ،كما ليس لنا ان تتبع هنات النحو او الصرف ما زال الاسلوب في جملتهِ مقبولاً . ولن يشقّ على المؤلف الفاضل تدارك ذلك في الطبعة الآتية

ولكن لنا ان نقول كلمة عامة في الترجمة والتعريب وفي الاسلوب العلمي . لقد اعتمد المترجمون غالباً على (معجم شرف) منذ صدوره في سنة ١٩٢٦ ، وقد عززت ذلك « الجمعية الطبية المصرية » بقرارها المعروف اخيراً وفتحت باب الاقتراحات على مصراعيهِ حتى لا تستأثر لجنتها اللغوية بالامر ، فاصبح لزاماً ان نحترم هذا القرار وان تنفذه رغبة في توحيد المصطلحات الطبية والعلمية ، كما وجب ان يضحي كلٌّ منا بنزعتهِ الخاصة التي لا تقرها الجماعة ، وبذلك يخدم الخير العام . وإني شخصيًّا أرى ان المسميات العلمية التي هي في منزلة الاعلام واجبة الاحترام كما هي حتى لا نقطع صلتنا بحركة الثقافة العالمية ، ولا أُوافق الاَّ على ترجمة الاسماء التي لا تعدُّ في مرتبة علمية صميمة . ولا بأس من ترجمة الاسماء العلمية المخترعات ونحو ذلك كمرادفات تستعمل في الكتابة المعتادة، لا في الكتابة العلمية الجدية التي لها تعابيرها ومصطلحاتها الخاصة . ولكن أقول بالاجمال إنه لا ضيرَ على اللغة من تعريب المفردات تعريباً مصقولاً كما دعت الحاجة الى ذلك ، بل اعد ذلك ثروة للغة فطن اليها حملتها من عصور في زمن العباسيين والاندلسيين ، ولسنا نحن بأحرص منهم عليها . وهذه خطة جميع اللغويين في جميع الامم الحية ، كما ان اللغتين اليونانية واللاتينية ليستا ملكاً للامم الغربية وحدها ، بل هما تراث تاريخي لجميع الشعوب المثقفة ، ولنا ان نشتق منهما ما نشاء من الاصطلاحات العلمية التي نريد ابتكارها تبعاً للقواعد الاممية المتفق عليها والتي ينبغي علينا ان نماشيها ، فنصون كرامة لغتنا ونحفظ لها حيويتها التي طالما اعتددنا بها . واني اهمس في آذان المتعصبين تعصباً اعمى للعربية الصميمة : انكم لن تجدوها مستقلة بمفرداتها حتى ولا في القرآن الشريف نفسهِ ، فتعصبوا للجوهر بدل العرض ، وطوعوا ما تحتاجون اليهِ من مفردات أو تعابير والاَّ قاسيتم ذل العوز والحاجة، وحولوا جهودكم الى ترقية الديباجة وتجميل التعابير وصقل المستحدث من المفردات ، بدل الاقتصار على محاكاة القُدامى ، وبدل التنطع في مخالفة نواميس التطور والحياة

واني الى جانب الملاحظات النقدية المتقدمة ارى ان الدكتور بوناجي معتدل النزعة في مسألة الترجمة والتعريب ، واشعر انهُ متى رسخت قواعد ذلك بين الامم الناطقة بالضاد كان لنا من امثاله خير معوان على حسن التصرف . وهو من اجل ذلك يشكر على موقفهِ كما يشكر على تصنيفهِ

احمد زكي ابو شادي

ساعات بين الكتب

بقلم عباس محمود العقاد — ٢٦٩ صفحة قطع المقتطف (مصورة) — طبع بمطبعة المقتطف والمقطم

الاستاذ العقاد اديب اديب اديب في سعة اطلاعهِ على مذاهب الفلسفة وفنون الادب . اديب في استقلالهِ بنظرة خاصة الى الحياة استقلالهُ بنظرةٍ خاصة الى الشعر والنثر والنقد . اديب باسلوبهِ العربي الرصين الذي تلمح فيهِ العقاد طويل القامة جبّار الملامح قويّ النظر عميق الصوت فياض المعاني . وهو في فصول هذا الكتاب على احسن ما عرفناهُ في كتابٍ مع ان الفصول كتبت في نحوٍ من سنتين مرّت فيهما على مصر عواصف من السياسة لم يتزعزع لها جبل العقاد على شدة صلتهِ بالسياسة وحوادثها

فانت تنتقل فيها من ادبٍ الى فلسفةٍ الى فنٍّ الى تاريخ . وفي كل فصلٍ تجدُ صورة عامة لكتاب او لشخصٍ او لفكرة . خذ مقالتهُ في الغيرة . فانهُ لخص فيها رأي شكسبير كما ظهر في عطيل ورأي اناتول فرانس كما ظهر في الزنبقة الحمراء ورأي الحكيم سليمان كما هو في امثالهِ ورأي روشفكول كما هو في حكمهِ . ثم اضاف الى ذلك رأيهُ الخاص فكانت المقالة في خمس صفحات صورة عامة لموضوع الغيرة

اوخذ مقالتهُ في بيتوفن . فقد تكون جاهلاً بفنون الموسيقى واساليبها ولكنك بعد ان تطلع على هذه المقالة لن تجهل نفس الرجل العظيم الاصمّ الذي خلد في الالحان . على اننا لم نفهم قولهُ صفحة ٨٦ ان طول الرجل يبلغ خمسة امتار وخمسة قراريط . ولعلَّ الصواب خمس اقدام والخطأُ مطبعي

طالعنا بعض هذه الفصول حين صدورها ثم اعدنا قراءتها في هذا الكتاب وقراءة غيرها مما لم تتح لنا مطالعتهُ من قبل فذكّرتنا بكتاب لارنولد بنت احد مشهوري الروائيين والكتاب الانكليز الذي موضوعهُ « كُتُب » وبالرسائل النقدية البليغة التي كان يعقدها السر ادمند غوس على صفحات التيمس الاحدية . ولا نغالي اذا قلنا ان بعض فصول هذا الكتاب يصحُّ ان يوضع مع ابلغ ما كتبهُ بنت في كتابهِ وغوس في رسائلهِ

والكتاب يحتوي على ٥٦ فصلاً تتناول مختلف الشؤون الادبية والفنية من شرقية وغربية

فن الموضوعات الشرقية البحتة التي طرقها موضوع الشعر في مصر في ثمانية فصول وموضوع اعجاز القرآن وآراء لسمد في الادب وغيرها . والموضوعات الغربية تنتقل بك من شكسبير الى هاردي الى مكيافلي الى بيتوفن الى روبنس المصوّر الى جورج رومني الى جوستاف لوبون فالكتاب تحفة ادبية نفيسة . وعسى ان لا يتأخر صاحبهُ في اصدار الجزء الثاني كما وعد

ديوان بدر الدين الحامد

صفحاته ١٩١ قطع كبير . طبع بمطبعة الاصلاح بحماة

« بين دفتي هذا الكتاب قصائد اوحى بعضها الالم وبعضها السرور وقصائد اوحتها فكرة انبعثت عن الحياة او صورة من صور هذا الكون ارتسمت في الذهن او عاطفة من حنان ورحمة الهبت القلب فكان كل ذلك نظماً » هكذا يبدأ الناظم الصفحات التي كتبها في تقدمة ديوانه الى القراء

الشاعر لا يزال في دور الشباب فهو في الثامنة والعشرين من العمر ولكنهُ بلا من الحياة مرّها وحلوها والظاهر مما يقول ان كفة المرارة رجحت كفة الحلاوة لذلك يقول و« لا اعلم ما سيكون معي من انقلاب في الفكر ولكنّ الذي اعلمهُ ان الالم جزء من نفسي فكل ما قلتهُ او سأقولهُ ان كان في الاجل فسحة يصدر عنهُ »

الشاعر حموي وحماه مشهورة بجمالها الخاشع وجلالها المهيب بنيت في وادي العاصي السحيق بين الرياض الجميلة ... ولنواعيرها بنات الصور الخالية نغمات الذكرى وجلالة القدم ... » وقد قال في قصيدة لهُ من غرر الديوان يصف احدى هذه النواعير

الدهر بين يديك دانْ تحيا لشأنك اي شانْ
أفنى الجبال وما لهُ بك يا وليدتهُ يدانْ
أترى أخذت على الزما نِ وصرفهِ عهد الامان
عاصيك يغسل مطرفيـ ـكِ وانت في ظل الحنان
واراك تشكين الغرا م وانت خافقة الجنان
عيناك من قبل المسيـ ـح وامسِ نضاختان
أترغين ترنم الـ ـولهان يقتلهُ الحنان
وترددين صدى العصو ر وسرك الماضي مصان
ما انت يا لدة الخلو د تكلمي فالوقت حان

وللديوان مقدمة ادبية بليغة بقلم الاديب الدمشقي الكبير الاستاذ شفيق جبري

حقوق الدولة العامة

تأليف فوزي الغزي — الطبعة الثانية — صفحات الجزء الاول ٣٦٤ — طبع بمطبعة الشعب بدمشق

كان الجدال على اشده في مسألة اغراق السفينة الكندية « ايم آلون » حين وصلتنا نسخة من هذا الكتاب النفيس ففتحناهُ في الحال عند الفصل الذي يعالج موضوع «البحار الحرَّة » وقرأنا فيهِ تفصيل المسألة من وجهها القانوني الدولي . ثمَّ تذكرنا ما كان من الضجة حول سفر البلون غراف زبلن ومنعهِ بواسطة الحكومة الانكليزية عن الطيران في جوّ القطر المصري ففتحنا كذلك الفصل الرابع وهو الفصل الذي يعالج موضوع « الاملاك الهوائية » فقرأنا ما يقال في هذا الموضوع . ثم وردت علينا مقالة من عالم انكليزي يعالج فيها موضوع المحطات اللاسلكية الدولية ووجوب تنظيمها فرأينا كذلك ان كتاب الاستاذ الغزي يحتوي على بحث في هذا الموضوع

فالقارئ يرى ان الكتاب الذي بين يدينا شامل للمباحث الدولية التي يهمُّ الناس الاطلاع عليها لان التلغرافات العامة والخاصة تأتيهم كل يوم بنبإٍ لابدَّ في فهمهِ من الرجوع الى كتاب في حقوق الدول العامة . فعسى ان يعزز الاستاذ الغزي رغم مشاغله السياسية الخطيرة باصدار الجزء الثاني من كتابهِ حتى يتمَّ المؤلَّف

اشعار ادنا كحلا

The Poems of Edna Kahla

صفحاته ٧٠ قطع صغير — طبع بانكلترا باشراف رابطة محبي الشعر

الآنسة ادنا كحلا فتاة سورية الاصل انكليزية المولد والنشأة نشرت مجموعة من اشعارها باللغة الانكليزية فاذا هي فيها شاعرة الى « اطراف اناملها » كما يقول الانكليز. شاعرة بذلك الاحساس الدقيق الذي يشعر بطيوف الالوان والانغام ، شاعرة ببراعتها في اختيار الالفاظ والقوافي والتركيب الموسيقي ، وهي فوق ذلك شاعرة لانها تعرف ان تخلق « الجوَّ » الذي تريد ان تصفهُ بسطور قليلة ، حتى كأنك معها تتنفسهُ وتراهُ . وقد قدَّم لها احد نقاد الانكليز مقدمة قال فيها بعد ما تكلم عن اسلوبها الشعري ... « هذا هو الثوب . ولكنَّ فيهِ انعكاساً لتيار من النور مصبوب على الحياة . لان الحياة لا تعكس كما تعكس المرآة في برودة وغير احساس ، الحياة تمتص بعض النور ثم تفيضهُ من جديد» وهذا ما تفعلهُ مس كحلا في قصائدها الغنائية البديعة ، امثال « اكس لوبان » و « جراح الارض » و « لن اذهب ثانية . . الى لبنان » . ففي هذه القصيدة الاخيرة تصف في بضعة سطور رأس بيروت عند الغروب وصفاً لم نرَ ما يجاريهِ دقة في التصوير ورنة في الموسيقى

العظماء

عظماء اليونان والرومان والموازنة بينهم

تأليف بلوطرخس — نقله الى العربية ميخائيل بشاره داود — صفحات الجلد الاول ٣٩٤ قطع المقتطف طبع بمطبعة المصور

عظماء بلوطرخس اشهر رسائل السِيَر في الآداب القديمة والحديثة . بل هي المثال الذي يحتذى في هذا النوع من الادب . وقد قالت الانسكلوبيذيا البريطانية فيها ما معناه « ان سير بلوطرخس عمل مبني على علمٍ واسع وبحثٍ دقيق . فانهُ يورد لك قوائم طويلة من المراجع التي اعتمدها في تأليفهِ لذلك يرجح انهُ قضى وقتاً طويلاً في جمعها . ولكن مما توصم بهِ من جهة البحث التاريخي المجرّد ان الغاية الاولى من كتابتها ادبية . كذلك ترى ان ما كتبهُ عن عظماء الرومان لا تظهر عليهِ دلائل البحث الدقيق كما تظهر في ما كتبهُ من سير عظماء اليونان » . ولكن مهما يقال في اغلاط بلوطرخس التاريخية فلا ريب ان الكتاب كتاب ادب قلّت الكتب التي تجاريهِ في بلاغتهِ . وظهورهُ مترجماً الى اللغة العربية من الحوادث الكبيرة التي يشار اليها . فنحن نثني على ناقلهِ وطابعهِ ثناء جمًا ونتمنى للكتاب ما هو جدير بهِ من سعة الانتشار

مطبوعات جديدة

« العدل الالهي واين اثرهُ في المخلوقات » كتاب علمي فلسفي وضعهُ الاستاذ حسن حسين وسنعود اليهِ في عددٍ تالٍ لانهُ صدر وهذا الجزء من المقتطف ماثل للطبع

« المجمل في تاريخ الادب العربي » وضع هذا الكتاب الاستاذ محمد بهجة الاثري العراقي وتناول فيهِ ادب العصر الحاضر وصدر الاسلام والعصر الاموي . وسيليهِ الجزء الثاني . صفحاتهُ ٣٠٦ قطع المقتطف وقد طبع بمطبعة العراق ببغداد . وسنعود اليهِ

« الجامعة العربية » او مذكرة دعوتي العربية في الجمهورية الفضية تأليف الخواجه انطونيوس جمل منشىء مجلة العواطف وقد طبع في سانتياغو عاصمة تشيلي صفحاتهُ ١٦٠ قطع صغير

« الشعراء والكاتبون » يحتوي على دروس في الشريف الرضي . ابن حمديس . البهاء زهير . محمد عبده . ونصوص ادبية لطلبة السنة الخامسة الثانوية بقلم الاستاذ محمد مختار يونس صفحاتهُ ٨٥ قطع صغير وقد طبع بمطبعة الاعتماد

﴿ محمد والمرأة ﴾ ومحاضرتان اخريان موضوع الاولى ابن خلدون في المدرسة العادلية وموضوع الثانية محاكمة وزيرين في امرين خطرين بقلم الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي نشرتها مجلة الكشاف البيروتية. صفحاتها ٨٣ قطع وسط وقد طبعت بمطابع قوزما بيروت

﴿ الكلمات ﴾ الكلمة الاولى في احوال العرب زمن جاهليتها واسلامها والثانية في احوال امير المؤمنين علي ابن ابي طالب والثالثة في احوال معاوية وبني امية وضعهُ العلاَّمة السيد عبد الحسين نور الدين. صفحات الجزء الاول ١٥٦ وقد طبع بمطبعة العرفان بصيدا

﴿ فن القراءة والكلام والالقاء ﴾ لواضعهِ مصطفى الدمياطي بك وقد بسط فيهِ القواعد الاساسية التي تقوم عليها هذه الفنون الثلاثة وهي لدقتها تكاد تكون من الفنون الجميلة . واردف ذلك بقطع شعرية ونثرية مختارة من آداب العرب لتمرين الطالب . صفحات الكتاب ١٥٣ من القطع الصغير وقد طبع بمطبعة دار الكتب المصرية

﴿ المؤتمر النسائي في بيروت ﴾ في سنة ١٩٢٨ عقدت جمعية سوريا ولبنان النسائية مؤتمراً عامًّا للبحث في شؤون المرأة وقد اشتركت فيهِ رسميًّا خمس وعشرون جمعية. وهذا الكتاب يحتوي على بيان وافٍ لاعمال المؤتمر واخطر قراراتهِ واهم الخطب التي تليت فيهِ صفحاتهُ ١٢٨ قطع وسط وقد طبع بمطبعة صادر بيروت

﴿ نماذج الانشاء ﴾ لطلاب الشهادة الابتدائية ومدارس المعلمين والمعلمات والمدارس الثانوية . تأليف الاستاذ محمد احمد سالم المتخرج في دار العلوم والمدرس بالمدارس الاميرية. صفحاتهُ ١٦٠ قطع صغير وطبع بمطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر

﴿ علم الاخلاق ﴾ علم الاخلاق للمدارس الثانوية وفق المنهاج الحديث الذي وضعتهُ وزارة المعارف تأليف الاستاذ محمود البشبيشي ناظر مدرسة المعلمين بطنطا والاستاذ عبد الغفار طنطاوي استاذ علم الاخلاق بها صفحاتهُ ١٢٠ قطع صغير وقد طبع بمطبعة جريدة الحرية بطنطا

﴿ رسالة السلام ﴾ مجلة شهرية ادبية انتقادية اجتماعية انشأها الخوري انطون عقل رئيس كهنة كاتدرائية مارجرجس المارونية بيروت ويرأس تحريرها يوسف افندي سعاده . . طالعنا عدديها الاولين فوجدناهما يحتويان على طائفة حسنة من المقالات العلمية والادبية لاغنى لابن العصر عن مطالعتها . وهي تطبع بمطبعة جدعون بيروت

باب الاخبار العلمية

مذهب اينشتين والكسوف المقبل

لا يصدر هذا الجزء من المقتطف وتتداوله ايدي قرائهِ حتى يكون علماء الهيئة من كل انحاء الارض منهمكين برصد الكسوف الكلي المقبل الذي يقع في ٩ مايو ١٩٢٩. ويشاهد هذا الكسوف في منطقة تمتد فوق شبه جزيرة ملقا وجزائر الهند الشرقية وجزائر الفيلبين. وقد اقتسمت الامم التي ارسلت علماءها لهذا الغرض البلدان المذكورة فنزل العلماء الانكليز في ملقا والهولنديون في سومطرى والالمان في سيام والفرنسيون في الهند الصينية والاميركيون في الفيلبين. وينتظر ان يستغرق الكسوف الكلي مدة تتراوح بين اربع دقائق وخمس دقائق وهي من اطول المدد التي يستغرقها كسوف كلي. اذ المعروف لدى علماء الهيئة ان متوسط الكسوف الكلي يتراوح بين دقيقة واربع دقائق واطول مدة عرفت لكسوف كلي بلغت سبع دقائق وثماني وخمسين ثانية

وقد اخذ العلماء يستعدون لرصد هذا الكسوف وتصويره منذ ستة اشهر ونيف لان النتائج العلمية التي تترتب عليه خطيرة وفي مقدمتها امتحان مذهب اينشتين في النسبية العامة. ففي سنة ١٩١٥ نشر اينشتين مذهبهُ العام في النسبية الذي عالج بهِ موضوع الجاذبية ومن مذاهبهِ فيهِ ان الفضاء في جوار جرم من الاجرام متحدب وان اشعة النور لذلك حين تمرُّ في جوار هذا الجرم تنحرف عن سيرها المستقيم. وقد حسب اينشتين مقدار ذلك الانحراف وقال للعلماء دونكم الارصاد اذا أيدت حسابي فهو صحيح. وقد اشتغل العلماء منذ سنة ١٩١٩ برصد كل كسوف كلي للشمس ليحققوا هذه المسألة. ذلك انهم يرصدون موقع نجم تمرُّ اشعتهُ في جوار الشمس ملامسة لقرصها حين كسوفها الكلي ثم يرصد موقعهُ بعد انتقال الشمس من ذلك المكان في قبة الفلك ثم يحسب مقدار التغير في موقع النجم ويقابل على حساب اينشتين. والظاهر ان علماء الفلك يجمعون على ان الارصاد الدقيقة تؤيد حساب اينشتين مع قليل من الاختلاف في حسابات العلماء سببهُ اختلاف الاحوال الجوية وخطأٌ الآلات المستعملة. لذلك ينتظر العلماء بفارغ الصبر الكسوف المقبل الذي يستغرق نحو خمس دقائق ليبنى على نتائجهِ القول الفصل في هذا الموضوع

عيد كرستيان هوجنس
Huygens

لا نجد بين رجال العلم الذين نبغوا في القرن السابع عشر عالماً ابقى اثراً واخلد ذكراً من العالم الرياضي والفيلسوف الطبيعي والمستنبط الهولندي كرستيان هوجنس . وُلد في ١٤ ابريل سنة ١٦٢٩ في مدينة لاهاي اي منذ ثلاثمائة سنة في زمن كانت فيهِ مباحث كپلر وغليليو وغلبرت وهارفي آخذة في الذيوع وعاش حتى اتيحت لهُ قراءة « مبادىء » نيوتن التي نشرت سنة ١٦٨٦ ثم اختلف معهُ على مذهبهِ في طبيعة النور

درس القانون اولاً ولكن ميلهُ الى الرياضيات كان قد ظهر فيهِ منذ نعومة اظفارهِ ويقال انهُ لما اطلع ديكارت على بعض نظرياتهِ الرياضية ادرك تفوق عقلهِ وتنبأ لهُ بمستقبل علمي باهر

ومن اشهر آثارهِ العلمية اتقان التلسكوب باكتشاف طريقة جديدة لصنع العدسة وكان اول ما كشف عنهُ بتلسكوبهِ الجديد قمر زحل السادس . ثم علل حلقات زحل التعليل العلمي المعروف . وقادتهُ مباحثهُ الفلكية الى استنباط الساعة ذات الرقاص في يونيو سنة ١٦٥٧

وكانت شهرتهُ قد اخذت تذيع فمنحتهُ جامعة انجر سنة ١٦٥٥ اي وهو في السادسة والعشرين من عمرهِ لقب دكتور في الشرائع وسنة ١٦٦٣ انتخب رفيقاً في الجمعية الملكية بلندن

وكان السياسي المشهور كارنو قد عرض عليهِ سنة ١٦٦٥ بالنيابة عن لويس الرابع عشر ان يتخذ مقامهُ في فرنسا فقبل وجعل مقرهُ « خزانة الملك » مدة ١٦ سنة لم يتركها الاَّ ليزور وطنهُ مرتين ثمَّ غادر فرنسا سنة ١٦٨١ وعاد الى وطنهِ

على ان مباحثهُ في طبيعة النور هي اعظم الاعمال العلمية التي قام بها ذلك انهُ اقام « مذهب التموُّج » على اساس علمي ثابت وكشف عن ظاهرة الاستقطاب ونشر سنة ١٦٩٠ « رسالة في النور » كان قد الفها في فرنسا سنة ١٦٧٨ ضمنها كلَّ آرائهِ هذه . ومات في مدينة لاهاي مسقط رأسهِ في يونيو سنة ١٦٩٥ مخلفاً رسائلهُ المخطوطة لجامعة ليدن

الجذام في مصر

ارسل الينا الدكتور يوسف غبريل صورة رجل مجذوم من ناحية الزاوية مركز ومديرية الفيوم كان لهُ عمٌّ توفي بهذا الداء . وقد عالجهُ الدكتور غبريل بزيت الشولمجرا من الظاهر والباطن وتحسنت حالتهُ وبعد ما كانت اصابع يده متقرحة ظهرت في الصورة كأنها سليمة

ويقول الدكتور غبريل ان العلاج

بزيت الشولجرا قديم جداً وانهُ استعملهُ منذ ثلاثين سنة لهذا الغرض وليس هو بالعلاج الجديد كما يظن بعض الذين كتبوا اخيراً في الموضوع

والحقيقة ان استعمال زيت الشولجرا في علاج الجذام قديم جداً. ففي بعض الخرافات الهندية ان ملكاً من ملوك برما اصيب بالجذام فحكم على نفسهِ بالنفي وفي منفاهُ علق حبَّ فتاةٍ مصابة بالجذامِ مثلهُ ثم اتصل بهِ فعل زيت الشولجرا في شفاء هذا الداء فتعالج بهِ هو وحبيبتهُ فشفيا وعاد الى بلاده وتزوج من الفتاة واسس دولة

وقد عني الدكتور بَوَر من معهد ولكم بلندن سنة ١٩٠٢ بتحليل هذا الزيت ومعرفة المواد التي يتركب منها فكشف في تجاربهِ هذه عن سلسلة جديدة من الحوامض تتركب من عناصر الكربون والهدروجين والاكسجين ومن خواصها ان شعاعة من النور المستقطب لا تخترقها بل تنحرف عن سيرها المستقيم في زاوية مقدار انفراجها ٦٢ درجة. ثم حلت هذه سنة ١٩١٩ الى مركبات آلية تدعى « اثل استر » وهذه المركبات لزجة كالزيوت لالون لها وهي المواد المستعملة الآن في معالجة الجذام حقناً في عضلات المصاب

فزيت الشولوجرا قديم وكان يستعمل شرباً ولا يفيد الفائدة الناجعة ولكن المواد المذكورة التي اشتقت منهُ حديثة وهي تعطى حقناً وقد جربت بضع سنوات متتابعة وعولج بها كثيرون من المصابين بالجذام في هنولولو بجزائر هواي فشفوا

عجائب العين اللاسلكية

وصفنا العين اللاسلكية في مقتطف مارس صفحة ٢٨٣ وبسطنا المبادىء العلمية التي تبنى عليها وقلنا انها تستعمل في الصناعة لشؤون شتى. فتنبهُ الحراسَ الى اللصوص بقرع جرس او تلفت مدير معمل الى ان الدخان في معملهِ تعدّت كثافتهُ الحدَّ المعين او تقيس الحرارة الضئيلة التي تصلنا من السيارات والنجوم وهلمَّ جرًّا

وقد اطلعنا الآن على بعض اعمال جديدة لها في منتهى الغرابة . ذلك ان المستنبط جون بريسكي من مهندسي شركة وستنهوس الكهربائية صنع آلة مبنيَّة على هذه العين اللاسلكية تستطيع ان تفرز في معمل من المعامل رزماً لم يتقن لفُّها عن الرزم متقنة اللف . وقد جرَّب آلتهُ هذهِ امام جماعة من العلماء والمستنبطين والصحافيين فاخذ رزماً كثيرة بعضها لصق عليهِ ورقة صفراء عليها اسم المحل وماركتهُ المسجلة والبعض الآخر لم تلصق بهِ هذه الورقة ثم وضعها كلها في صندوق واخذت تسير منهُ على سيرٍ متحركٍ وتمرُّ تحت العين اللاسلكية . فمرّت الرزمة الاولى والثانية والثالثة وكانت الورقة الصفراء ملصقة على

كلٌّ منها ولما جاء دور الرزمة الرابعة ولم تكن الورقة الصفراء ملصقة عليها ارتفعت يد حديدية من تلقاء ذاتها ورمت هـذه الرزمة في صندوق خاص بذلك ثم استأنفت الآلة عملها كالاول تقذف بالرزم الصحيحة في صندوق والرزم الناقصة في صـندوق آخر . وعلى هذا المبدإ تفرز لفائف التبغ وانواع الفاكهة واصناف الاقمشة المصبوغة

واستعملت آلة من هذا القبيل لاحصاء المدعوين الى مأدبة عشاء في احد فنادق نيويورك ذلك ان الآلة وضعت في احد جانبي الباب في مكان مخفي وصوّبت اليها شعاعة دقيقة من النور. فكلما دخل مدعوّ من الباب حال بين مصدر الشعاعة والآلة فيتحرك العدّاد المتصل بها . والمهندسون الآن مهتمون ببناء آلة دقيقة من هـذا القبيل لاحصاء السيارات التي تمرُّ في النفق الذي حُفِر تحت نهر الهدسن بين مدينتي نيويورك ونيوجرزي

اصل الانسان

في آخر يناير الماضي كانت طائفة من عمال الطرق تشقُّ طريقاً في بلدة بجنوب افريقية تدعى سبرنغ بُك فلاتس على ثمانين ميلاً الى شمال بريتوريا فعثرت في ارضٍ حجرية على هيكل انسان وعظام نوعٍ منقرضٍ من الجاموس . فما شاع خبر هذا الاكتشاف حتى امتلأت الجرائد والمجلات في اوربا واميركا بوصفها وتصويرها والتكهن بما كان عليهِ شكل صاحبها . فرأينا ان نغتنم هذه الفرصة لنعدَّ لمقتطف يونيو القادم فصلاً نلخص فيهِ مباحث العلماء في اصل الانسان واشهر الجماجم التي عثروا عليها

تكريم الرافعي

احتفلت طرابلس الشام في ابريل الماضي بتكريم الشاعر المجيد الاستاذ عبد الحميد الرافعي . ورأس الحفلة الشيخ محمد الجسر رئيس مجلس لبنان النيابي وحضرهُ الدكتور ابو الروس وزير المعارف والصحة فقلّد المحتفى بهِ وسام الاستحقاق اللبناني بالنيابة عن رئيس الجمهورية اللبنانية ، كما حضرهُ جمهور كبير من الفضلاء والادباء وتبارى فيهِ الشعراء والخطباء في وصف مناقب المحتفى بهِ . فنهنئ الاستاذ الرافعي ونتمنى لهُ عمراً طويلاً حافلاً بالمآثر

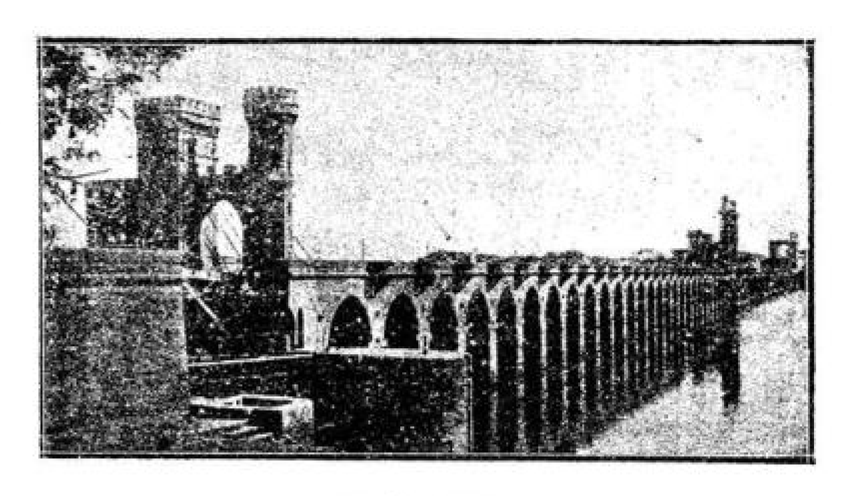
السيانوجن في المذنبات

اكتشف الدكتور بيروفيكوف احد علماء مرصد لِك ان في رؤوس المذنبات سيانوجيناً وهو من اشد السموم المعروفة فتكاً . ووجد ان اذناب هذه المذنبات مسممة كذلك لان فيها مقداراً كبيراً من اكسيد الكربون الاول وهو غاز خانق لانهُ شديد الالفة مع الاكسجين فاذا تنفسهُ الانسان اتحد باكسجين الهواء فيموت من يتنفسهُ اختناقاً

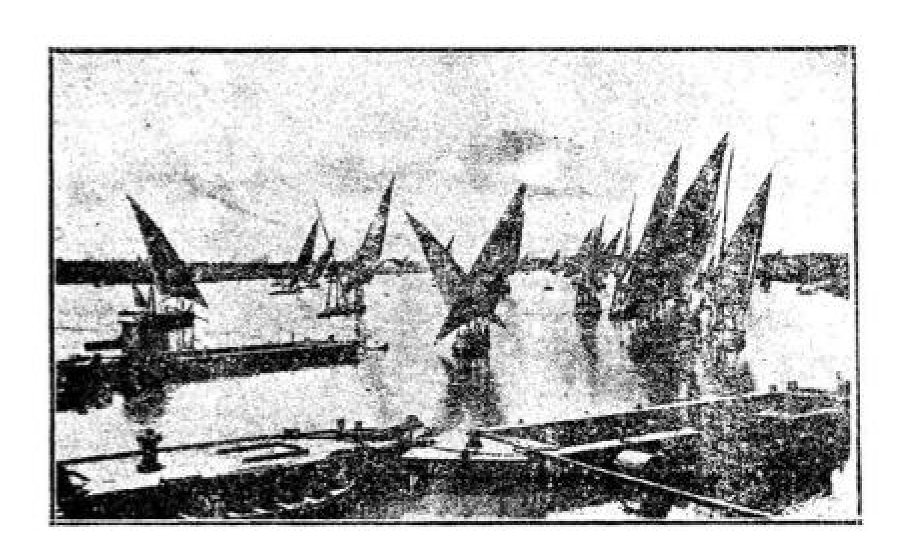


الدكتور لي ده فرست
منطِق الامواج اللاسلكية والصور المتحركة

مقتطف مايو ١٩٢٩
امام الصفحة ٤٨٥



القناطر الخيرية



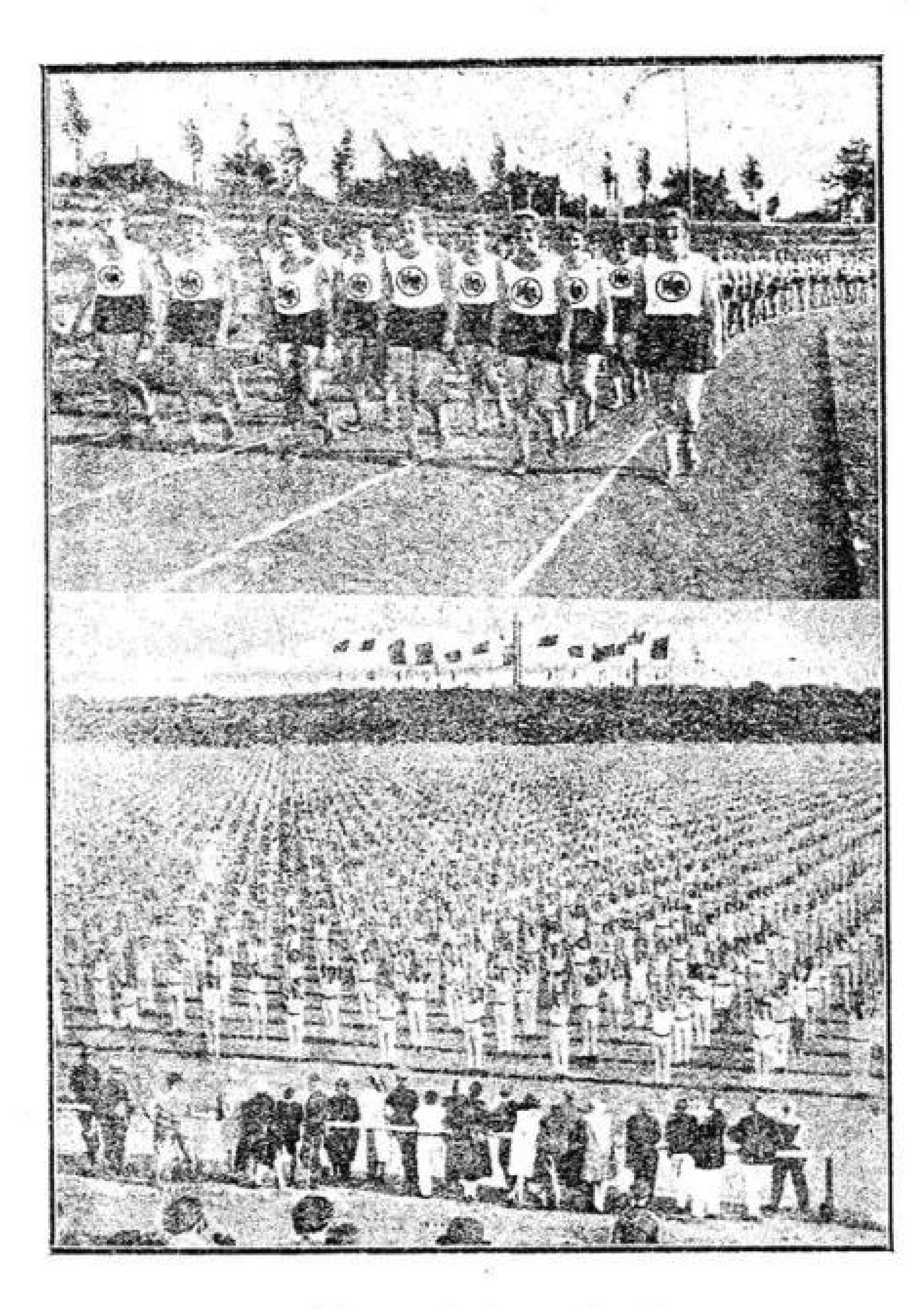
المراكب الشراعية على النيل

مقتطف مايو ١٩٢٩
امام الصفحة ٤٩٧

افتتاح خط البريد الجوي بين لندن والهند

مقتطف مايو ١٩٢٩

امام الصفحة ٥٤٥



شيوع الرياضة البدنية في المانيا بعد الحرب

مقتطف مايو ١٩٢٩

امام الصفحة ٥٦٩

الجزء الخامس من المجلد الرابع والسبعين

صفحة


المقتطف
البرلمان المصري
AL-MUKTATAF



كلمات للدكتور صروف

الاعصاب وفلسفة الجمال

انظر الى ازياء النساء من الطبقة العليا والوسطى التي تتغير الآن كل سنة او كل فصل في تفصيل الثياب وعقص الشعور وشكل البرانيط ونوع الاحذية والجوارب . فكلما ظهر زي جديد بعيدٌ عن المألوف كالتنير الواسع من اسفلهِ . والاكمام المنفوخة فوق الاكتاف . والقبات العالية الى الاذنين . والتنانير الضيقة التي تكاد تمنع لابسها من المشي . والثخينة التي عقبت الحصور الضيقة . والثياب القصيرة التي عقبت الثياب الطويلة الاذيال . واشكال البرانيط التي بعد ان كانت حوافها منحنية الانحناء الهندسي الجميل يغطيها ريش النعام مما فيهِ من العلاقة بالظرف والجمال صارت قففاً من الخوص تكبُّ على الرأس حتى تغطيهُ وتغطي اكثر الوجه . فان كل زي من هذه الازياء كان الاكثرون يرونهُ قبيحاً عند اول ظهورهِ ثم تألفهُ العين رويداً رويداً ثم تستحسنهُ ولاسيما اذا رأت الحسان يتبعنهُ فتعلق منظرهُ بمنظرهن فتستنبط لهُ حسنات تشفع بهِ . او اعتبر ما نشعر بهِ حينما نأكل طعاماً مخالفاً في طعمهِ كل المخالفة لما اعتدنا اكلهُ . فالسوريون الذين نزلوا هذا القطر استبشعوا طعم الملوخية حينما اكلوها اول مرة وكرهوا طعم الجرجير وحسبوهُ من انتن البقول . ثم لما رأوا كل احد يستطيب طعمها وكرروا الاكل منها الفوها وصاروا يستطيبونهما كاطيب المآكل . والانكليز والاميركيون الذين اتوا المشرق وذاقوا الزيتون اول مرة تأففوا

كارهين ثم الفوهُ رويداً رويداً وصاروا يستطيبونهُ. وكذا مدخن التبغ فانهُ يكرههُ في اول الامر ويشعر بالدوار والغثيان ثم يألفهُ حتى يصير التدخين من لوازم معيشته. وقارىء اشعار النابغة وابي تمام والمتنبي وامثالهم من ارباب القريض قد لا يفهم لها معنى في اول الامر فيستثقلها وينبو عنها ثم اذا كرر قراءتها وتفهّم معانيها بمساعدة الشروح والقواميس وسمع الناس يمدحونها ويشيرون الى ما فيها من ضروب البلاغة الفها وصار يرى فيها ما يراهُ غيرهُ فيستحسن ما كان يستهجنهُ ويرتاح الى تلاوتهِ ويطرب. ومن هذا القبيل اختلاف الامم في تأثير الانغام. سمعنا بالامس بربريًّا يقرع طبالتهُ قرعتين متكررتين لا ثالثة لهما وهو يهزُّ رأسهُ طرباً واخوانهُ البرابرة يطربون لهذا القرع المتوالي ونحن كادت آذاننا تتمزق. كنا في صبانا نتردد على عائلة اميركية اتت حديثاً الى سورية وكان جلوسنا في غرفة لها كوة تجاهها مأذنة يؤذن فيها رجل مشهور برخامة صوتهِ وحسن تأذينهِ فكان كلما ابتدأ بأذانهِ الظهر او العصر تنهض صاحبة البيت وتقفل الكوة قائلة ان صوتهُ يخدش اذنيها مع انها موسيقية وكنا نحن نخرج الى شرفة امام الغرفة نسمع الآذان لشدَّة ما نسرُّ بهِ

***

والامثلة التي من هذا القبيل لا تحصى مما يدلُّ على ان سبب الاستحسان والاستهجان ليس شيئاً ثابتاً قائماً في الشيء المستحسن او المستهجن بل هو شيء متغير قائم في نفس المستحسِن او المستهجِن. ونحن نرى ان هذا الشيء قائم في الدقائق العصبية التي تتأثر بالمؤثرات الخارجية من منظور ومسموع ومشموم وملموس ومذوق وايضاحاً لذلك نقول

اذا قامت امرأة تمشط شعرها بعد ان خرجت من الحمام وشعرها منفوش معركس مشتبك بعضهُ ببعض فانها تتألم في اول الامر لان المشط يقتلع بعض الشعر ويجذب بعضهُ جذباً عنيفاً مؤلماً. واذا استمرَّت حتى سُرّح شعرها كلهُ زال الألم وصارت تشعر بشيء من اللذة. ويظهر من بعض المباحث الفسيولوجية ان دقائق الدماغ التي تتأثر بالمؤثرات الخارجية وتنقلها الى مراكز الشعور تقاوم هذا التأثير اولاً كما يقاوم الجسم الساكن كل حركة تحاول تحريكهُ. وهذه المقاومة تؤلم او لا تسرُّ لانها تزيل بعض القوة وازالتها من قبيل الشعور بالألم ولكن المؤثر الذي يؤثر فيها يحركها في جهة المراكز العصبية التي تشعر بذلك التأثير. فاذا تكرَّر حدوثهُ قلَّت مقاومة الدقائق العصبية لهُ رويداً رويداً لانهُ يجدها قد صارت منتظمة مستعدة لقبولهِ كما ينتظم الشعر المسرح امام المشط وهناك الارتياح والانبساط



رجال العلم والعمل

سكورسكي يثبت على تقلبات الدهر

من الملعقة الذهبية الى استنباط طيارة تطير باكثر من محرك واحد الى الفقر المدقع الى مركز الزعامة في صناعة الطيارات التجارية قصة اغرب من الروايات الخيالية تنفخ في الشباب روح العزم والاقدام

ايغر سكورسكي من النوابغ القلائل الذين ولدوا وفي افواههم ملعقة ذهبية . نشأ في سعةٍ من العيش وتلقى العلوم العالية في المعاهد العالية . فلم يتجاوز الحادية والعشرين حتى كان قد فاز باستنباط طيارة تطير على حدة بعد محاولات كثيرة . ولما بلغ الرابعة والعشرين كانت روسيا كلها تعدهُ على حداثته اباً للطيران الروسي ورائد هذا الفن الجديد وخاصة بعد ما بنى اول طيارة في التاريخ تطير باكثر من محركٍ واحد . فلما اوفى على الخامسة والعشرين نشبت الحرب الكبرى فأخذت بها روسيا ، من جهة الطيران على غرة ، فالتفتت اليهِ حكومتها ليخرجها من مأزقها الحرج وعهدت اليهِ في صنع طياراتها الحربية . ثم عصفت بروسيا عواصف الثورة فدكت العرش الصناعي الذي تسنمهُ وصودرت املاكهُ وامواله حتى ورسومهُ الهندسية التي اودعها علمهُ وخبرتهُ ففرَّ الى فرنسا ثم سافر الى الولايات المتحدة حيث ظلَّ بضع سنوات يعاني مرارة الفقر لا يكسب الاَّ ما يسدُّ بهِ رمقهُ

ولم تلبث ان تلت سنينَ الجوع سنينُ الشبع وهو الآن وقد بلغ الاربعين في المقام الاول بين مهندسي الطيارات وصانعيها وينتظر ان يبني في معملهِ هذه السنة مائة طيارة برَّمية كل منها متعددة المحركات لانهُ راسخ الاعتقاد ان مستقبل الطيران التجاري لا يقوم الاَّ عليها

وُلد في مدينة كيف من اعمال روسيا سنة ١٨٨٩ من ابوين يعيشان في بسطةٍ ورخاء . وكان ابوهُ استاذاً للفلسفة العقلية في جامعة كيف متفوقاً في مقدرتهِ على فهم ميول الاحداث وتهذيبهم فكان لابنهِ اباً وصديقاً في آنٍ واحد يرشدهُ

ولا يتعرض لصد الميول والرغبات التي تبدو لهُ ، على غرابتها وخروجها عن المألوف في ذلك الزمان

وكان الفتى سيكورسكي مولعاً منذ نعومة اظفاره بالمسائل الميكانيكية والعجلات والفرامل وما اليها من الادوات التي تخفف عبء العمل اليدوي عن كاهل الانسان. وفي احد الايام كان جالساً امام نافذة في بيته فحانت منهُ التفاتة الى الخارج فرأى الثياب المغسولة معلقة على الحبل خارج الدار والريح تنفخ في قميص مكويّ من قمصان والده وتتقاذفها فخطرت للفتى وهو في الثامنة عشرة من عمره خواطر جعلتهُ في شبابه وكهولته من روّاد الطيران التجاري والحربيّ معاً . قال الفتى لنفسه اذا كان الهواء يستطيع ان يرفع قميص الاستاذ فماذا يمنعهُ من ان يرفع سطوحاً اخرى . وللحال انشأ يمتحن آراءه بصنع طيارات من الورق والكرتون . فلم تسفر تجاربهُ حينئذٍ عن شيء من النجاح الاَّ ان الخاطر ظلَّ يتردد في ذهنه وهو يتلقى علومهُ العالية في الاكادمية البحرية ومعاهد باريس ومعهد كيف الصناعي حيث توفر على العلوم الرياضية والهندسية . ولما اتمَّ علومهُ سنة ١٩٠٧ كانت شعوب الارض قاطبة مهتمة كلَّ الاهتمام بشؤون الطيران على اثر طيران الاخوين ربط الاميركيين سنة ١٩٠٣ واعادة تجاربهما ونجاحها في اميركا واوربا

قال سكورسكي : « ولما قرأت عنهما عزمت في الحال عزماً قاطعاً على ان ابني طيارة . وكنت اتوق الى الاطلاع على رسومها الهندسية اقتداء للوقت . ومع شدة شوقي الى بناء طيارة كنت اتردد واحجم عند ما افكر فيما ينبغي لي بذلهُ من الجهد في عمل فرغا منهُ . على ان امراً واحداً شجعني وحملني على الاقدام ذلك اني كنت اعلم حينئذٍ ان الطيران في الامكان » . فذهب الى ابيه وطلب اليه ان يمدّهُ بالمال لاستئجار العمال وابتياع المواد ففعل

وبالتفاؤل المأثور عن اكثر النوابغ اخذ سكورسكي يبني نوعاً من الطيارات يحسبهُ المهندسون الآن اعلى ما تبلغهُ في ارتقائها واتقانها — نعني طيارة الاوتوجيرو التي تصعد الى الجوّ عموديًّا وتحط على الارض عموديًّا كالطيارة التي بناها ده لاشيرفا الاسباني في السنة الماضية بعد ما افنى المستنبطون حياتهم عبثاً في محاولة استنباطها

قال سكورسكي : كانت الفكرة خيالية حين انظر اليها الآن . ولكنها كانت فكرة المعية تستهوي العقول . ذلك اني كنت قد ادركت حينئذٍ ان اعظم عوائق الطيران قلة الميادين التي تستطيع الطيارات ان تنزل فيها فقلت لنفسي اذا استطعت ان ابني طيارة ترتفع في خطّ عمودي وتحطُّ في خطّ عمودي ذللت هذا العائق العظيم

وفي سنة ١٩٠٨ اعدَّ طيارتهُ الاولى المبنية على هذا المبدإ واجتمع جمهور كبير ليشاهدوا

الطيارة التي ينتظر ان تحدث انقلاباً في عالم الطيران ! فتقدَّم اليها سكورسكي وهو فتى لم يناهز العشرين وعلى وجههِ امارات الفوز فامتحن الاجنحة والعجلات ثم صعد الى مقعده وادار المحرك فتحركت الاجنحة ولكن الطيارة لبثت في مكانها. فسرت بسمة السخرية على شفاهِ اصدقائهِ الاَّ انهُ وجم مقطباً وقال في تؤدة وحزم « لقد اخطأت ولكنها تطير في المرة المقبلة »

وعاد الى دارهِ وطلب الى ابيهِ ان يمدَّهُ بالمال ثانية . فلم يسألهُ ابوهُ وهو العالم السيكولوجي العاقل في اي سبيل ذهبت النقود الاولى . وفي ربيع سنة ١٩١٠ حينما اجتاز بلريو الفرنسي بحر المانش كانت طيارة سكورسكي الثانية وهي من نوع الاوتوجيرو ايضاً مستعدة لامتحانها . فلما جلس في مقعدهِ وادار المحرك اهتزت الطيارة وارتجفت وارتفعت نحو خمس اقدام ثم هبطت وتحطم هيكلها على كتفي بانيها وسائقها . فأُفحم النقاد الذين جاءوا لينتقدوا ويهزأوا لان الطيارة طارت فعلاً طالت مسافة طيرانها ام قصرت . ومع نجاحهِ في تجربتهِ هذه الى حدٍّ ما قرَّر ان اوان هـذا النوع من الطيارات لم يأن بعد وحوَّل جهدهُ لصنع طيارة من نوع الطيارات المعروفة الآن . وقبل ختام تلك السنة كان قد وضع الرسوم الهندسية لثلاث طيارات كان ابوهُ عمدتهُ المالية في بنائها . ورقمها S,3 S,2 S,1 وتمكن من ان يطير بثالثتها مدة ٥٩ ثانية

اننا نستغرب في هذا العصر ، وقد بلغت فيهِ اقصى سرعة الطيارات ٣١٨ ميلاً في الساعة ولبثت احداها في الجو اسبوعاً كاملاً ، كيف بذل هؤلاء الزعماء الروَّاد الجهد الفكري والمالي سنةً تلو الاخرى ليحصلوا في ثلاث سنوات على طيارة لا تلبث في الجوّ اكثر من دقيقة واحدة ! ولكن يجب الاَّ نستصغر الاخطار التي كانوا يتعرضون لها في ايام الطيران الاولى. فالطيارون الذين يجتازون البحار ويطيرون فوق الجبال لا يتعرضون لمخاطر كالمخاطر التي تعرض لها سكورسكي مثلاً وهو جالس بين جناحي طيارتهِ لا يدري ماذا يخبئهُ لهُ القدر من خير او شر

قال سكورسكي : « لا شك ان الخوف كان يتملكني وانا طائر لاني كنت قد اعددت على الورق حركات مختلفة لادارة الطيارة وتغيير وجهتها ولكني لم اكن واثقاً اني اتمكن من تطبيق هذه الحركات تطبيقاً عمليًّا . وفي الغالب كنت لا استطيع ذلك » . وفي السنة التالية بنى طيارتين حلق بثانيتهما الى علو ٢٠٠٠ قدم وبقي ساعة في الجوّ يصعد وينخفض ويدور بالطيارة كما يشاء

ثم حدثت احدى تلك الحوادث التي يسوقها القدر لتغيير مجرى التاريخ ذلك انهُ كان يوماً محلقاً بطيارتهِ فوق مدينة كيف فاذا بالمحرك وهو على ارتفاع عظيم قد وقف عن الدوران فهبطت الطيارة كجلمود صخر ووقعت في شارع بين جدار وصف من عربات النقل فخرج من الحادثة سالماً ولكنهُ خرج بخاطر جديد — لماذا لا نبني طيارة لها اكثر من محرك واحد حتى اذا وقف محركٌ عن العمل وتعرضت الطيارة للسقوط استعمل المحرك الآخر لحفظ الطيارة في الجوّ؟ لماذا لا نبني طيارة بمحركين او ثلاثة محركات او اربعة محركات . فكثرة المحركات في طيارة تزيد فيها عامل السلامة والثقة

وكان مديرو احدى الشركات الميكانيكية الروسية يراقبون تجارب سكورسكي عن كثب معجبين ببراعتهِ فدعوه الى ان ينضم الى شركتهم ووعدوهُ ان يوفروا لهُ وسائل التجربة والامتحان فلبى دعوتهم وصنع سنة ١٩١٢ طيارتين كل منها بمحرك واحد فازت اولاها بالجائزة الاولى في معرض الطيران بموسكو ونالت الثانية الجائزة الاولى في مباراة بترغراد الحربية ومقدارها ٣٠ الف روبل (نحو ٣ آلاف جنيه) وكان عمرهُ يومئذٍ ثلاثاً وعشرين سنة

ومع فرحهِ العظيم بالحصول على الجائزة والارتفاع على اجنحة ذكرها الى اعلى مقام بين مهندسي الطيران في العالم كان فرحهُ اعظم واقرب الى متمناهُ يوم دعتهُ الشركة المذكورة الى الشروع في بناء طيارة جبارة تسير بقوة محركات كثيرة وهي الطيارة التي مازالت آمالهُ معقودة على بنائها من يوم الحادثة المذكورة . فبناها وبلغت نفقاتها الوفاً من الجنيهات وظن بعض مديري الشركة وغيرهم انها لا تحقق الآمال المعقودة عليها وظن البعض الآخر ان محاولة بنائها مضيعة للقلق والعمل والمال . على ان الذين وثقوا بمقدرة سكورسكي ونبوغهِ خرجوا من معمعة الجدال باكليل الغار . لأنهُ بنى في السنة نفسها طيارتين من هذا النوع كانت اولى الطيارات المتعددة المحركات التي صنعت وطارت في التاريخ

ومن ذلك الحين تحوّل الفتى الطامح المعني بشؤون الطيران ايَّما كانت الى رائد عصر جديد من عصور العمران هو العصر الذي صوَّرهُ تنسن الانكليزي في شعرهِ سنة ١٨٦٥ حيث يقول ما معناهُ « ونظرتُ الى المستقبل الى ابعد ما ترى العين البشرية فرأيت ... الفضاء حافلاً بالتجارة واساطيل الاشرعة السحرية بعجّ بروّاد الشفق القرمزي يرمون الى الارض بالاتهم الثمينة »

ثم بنى سكورسكي طيارة كبيرة متعددة المحرّكات طار بها من بتروغراد الى كيف مسافة ١٦٠٠ ميل من غير ان ينزل الى الارض في زمن كان عبور المانش او الطيران فوق انكلترا من غربها الى شرقها يعدُّ عجيبة العجائب . وهكذا اخذ هذا الفتى — وهو في الرابعة

والعشرين — يتفنن صنع هذا النوع من الطيارات حتى بنى في السنة التي سبقت الحرب طيارة لها اربعة محركات مجموع قوتها نحو الف حصان وتستطيع ان ترفع حملاً مقداره ١٢ طناً

هنا وقف الفتى ينظر كالشاعر الانكليزي الى اليوم الذي تتشعب فيهِ من بتروغراد طرق المواصلات الجوية تربطها بعواصم الدنيا وحسب ان هذا اليوم على قيد انملة منهُ وانهُ هو رائدهُ العظيم . لكنهُ لم يحسب حساباً للحرب الكبرى التي نثرت احلامهُ كاوراق الخريف . ففي صيف سنة ١٩١٤ دعا الفراندوق اسكندر المشرف على شؤون الطيران في روسيا هذا الفتى وهو في الخامسة والعشرين ، وقال « لهُ نريد طيارات لالقاء القنابل من الجو فلا تدع حائلاً يقف في وجهك لك المال والعمال والسلطة الكاملة ولكننا نريد الطيارات . فالنجاح الى حدٍ بعيد معلق بين يديك »

عاد الفتى الى المعمل ليفكر في الامر . ها هي ذي روسيا امة لم تبلغ في الصناعة شأو عدوتيها التوتونيتين وهي لا تملك سوى بضعة مصانع حديثة حولت كلها الى معامل ذخيرة . وليس في البلاد معامل لصنع المحركات التي كان يشتريها من فرنسا وغيرها قبيل الحرب . وليس لها بين ابنائها طيارون مجربون . العقبات تثني عزماً من الحديد . ولكن عزم الفتى اصلب من الصلب فالتفت الى عماله وقال

« لنبدأ العمل ! »

بدأ في ذلك اليوم نفسهِ وظلّ يعمل ثلاث سنين متوالية . وما حلّ ربيع سنة ١٩١٥ حتى كانت طليعة اسطولهِ الجوي تمطر العدو بوابل من قنابلها . ولم يحلّ ربيع سنة ١٩١٧ حتى كان قد بنى ٧٢ طيارة اخرى بمعداتها . ومن الطيارات التي صنعها لم تسقط الا واحدة فقط في صفوف الاعداء وذلك لان طيارات الالمان الصغيرة الخفيفة صبّت عليها رصاصاً مصهوراً حتى اثقلتها فوقعت الى الارض . اما الطيارات الاخرى فكانت تقضي مهمتها وتعود الى صفوف الروس مهما لاقت من المحن . فقد عادت احدى طياراتهِ ، وقد اوقف رصاص الاعداء ازيز محركين من محركاتها وعادت طيارات اخرى بعدما مزقت قنابل الاعداء نسيج جوانحها ولكنها كلها عادت لانها كلها بنيت على مبدإ تعدُّد المحركات

ولما استولى الالمان على فرسوفيا عاصمة بولونيا ظلت طياراتهُ تبلي احسن البلاء في حين كان انكسار الجيش الروسي يتحول انهزاماً

ثم ثارت الثورة الروسية فجرفتهُ في تيارها وكان ساخطاً على النظام الجديد فاستصحب رئيس عمالهِ وذهب الى فرنسا . على ان البولشفيك حبسوا عنهُ رسومهُ الهندسية فاستعادتها ذاكرتهُ العجيبة بكل تفاصيلها . ولما وصل الى فرنسا عهدت اليهِ الحكومة الفرنسية

في صنع الطيارات الحربية المشهورة التي استعملها الطيارون الفرنسيون في الميدان الغربي. واذ هو منهمك في عمله هذاوضعت الحرب اوزارها وعقدت الهدنة فتنفس الصعداء وجمع ما لهُ من عقار قليل وذهب الى الولايات المتحدة لانهُ شعر ان فيها يستطيع ان يبني الطيارة المثلى طيارة المستقبل كما يتصورها

على ان المصائب لا تأتي فرادى وحتى رجال الصناعة في الولايات المتحدة لم يفسحوا مجال العمل امامهذا النابغ الاَّ بعد خمس سنوات من هبوطهِ ارضهم. خمس سنوات قضاها في نكد وبؤس لا يكسب الاَّ ما يسدُّ بهِ رمقهُ . ولبث ينتظر مع مدير عمالهِ يوماً تنقشع فيهِ الغيوم عن عصر الطيران فلما بدأت هذه الغيوم تنقشع قليلاً قامت في وجههِ مصاعب اخرى كان الفقر اهونها . فلما جمع مبلغاً قليلاً من المال وطائفة من المهندسين الروسيين وشرع في بناء طيارتهِ الاولى في اميركا اخذت الجرائد تهزأ منهُ وتثير عليهِ وعلى رفاقهِ عواصف الرأي العام. ولما تحطمت هذه الطيارة اشارت الصحف « الى تبدُّد شمل الملكيين الروسيين » ولكنهُ ظلَّ رابط الجأش شديد الثقة يقول لاصدقائهِ « اياكم والحقد . فالريادة عمل محفوف بالمكاره . النقد سهل ولكن الشجاعة تقضي بالمثابرة »

ولما عهد اليهِ سنة ١٩٢٦ في بناء طيارة لفونك الطيارالفرنسي المشهور صنعها لهُ مثلثة المحركات تحمل في احواضها ثمانية اطنان من البنزين فبلغت نفقاتها ٢٠ الف جنيه ولما اخرجها الطيار الجرىء ليحاول الطيران بها من اميركا الى فرنسا جرت بهِ في منحدر الميدان ولم ترتفع فاصطدمت وانقلبت وتحولت لهيباً .كان تحطمها واحتراقها ضربة قاضية ولكنها لم تقض على ثقة سكورسكي بنفسهِ وفكرتهِ فمضى في عملهِ غير هياب وصنع لفونك طيارة اخرى . ثم بنى سنة ١٩٢٧ اول طيارة برمية متعددة المحركات وطار بها وهذه الطيارة كما يستدل من اسمها تستطيع النزول على سطح الارض وسطح الماء على السواء

ان معامل سكورسكي التي كانت اشباح الخمول مخيمة عليها لقلة العمل اصبحت تعجُّ الآن بالعمال ودورها الفسيحة تدوي بدمدمة الآلات المتحركة وينتظر ان يبنى فيها في سنة ١٩٢٩ مائة طيارة برمية متعددة المحركات ثلاثون منها لوزارة البحرية الاميركية لانهُ اثبت ان هذه الطيارات التجارية تتحول الى طيارات حربية بادخال تغيير طفيف على بعض اجزائها. لقد دارت الايام دورتها فوجدت سكورسكي مستعداً لان يأخذ الفرص من ناصيتها شديد الثقة بالنفس وبفائدة العمل الذي وقف عليهِ حياتهُ فحملتهُ على صدر امواجها الى الذروة



للسر اوليفر لدج — خاصة للمقتطف

هل قوّض العلم اركان الفلسفة ؟

قيود المذهب المادي

هل يستطاع التوفيق بين طرق العلم ومذاهب الفلسفة

لقد بذلت مساعٍ كثيرة للتوفيق بين الفلسفة والمكتشفات العلمية الحديثة . فرجال العلم الذين يحاولون الكشف عن اسرار الوجود حملتهم مباحثهم على ان ينظروا اليهِ نظراً ميكانيكيًّا ماديًّا لظنّهم ان الرأي الميكانيكي قد يكون كاملاً في ذاتهِ او قريباً من الكمال. ومع انهم تقدموا تقدماً كبيراً في هذه الناحية من البحث تراهم خففوا قليلاً من سرعتهم عند ما بدت لهم ظاهرات الوجدان والادراك والعقل تتطلب تعليلا . فساق ذلك طائفة منهم الى الريب في مكنة الاختبار من تفسير الكون تفسيراً صحيحاً متسائلين هل مذاهبنا العلمية الاَّ اساليب سهلة لترتيب الحقائق المعروفة وتنظيمها ؟ غير انهُ صعُب عليهم ان يوفقوا بين النظر الفلسفي الكمالي المبني على التأمل العقلي وبين مقرَّرات العلم المعينة قياساً وقيمة. كذلك وجدوا صعوبة كبيرة في التأليف بين النظر الفلسفي والرأي القائل ان الكون آلة اوتوماتيكية متصلة الاجزاء منتظمتها تكفي نفسها بنفسها وان الظاهرات العقلية مظهر وهمي خارجي لا تعدو انها نتيجة للتفاعل المعقد بين الدقائق المادية . ان زمن «العلة والمعلول» قد انقضى في نظرهم ويجب ان يحلّ محلهُ نظر مجرَّد الى تتابع الافعال الطبيعية . وان تكيف الغاية للوسيلة والجسم لبيئتهِ انما هو نتيجة لاحوال الحياة والوراثة ولا يدلُّ دلالة ثابتة على وجود غاية او نظام . لانهُ وان اعترف المفكرون بحقيقة النشوء امكن توفير الادلة على ان كلّ ما نراهُ انما هو تغير او تكيّف لا مندوحة عنهُ يقع وفقاً لمقتضيات البيئة من غير ان يفيد زيادة في قيمة النشوء توصلاً الى غاية معيَّنة

ويقولون كذلك ان ما ندرسهُ بالعلم هو اشياء يستطاع قياسها ووزنها وفي امكاننا ان نضع لها نواميس كميَّة دقيقة . ورجاؤنا انهُ كلما تقدم العلم تمكن من ان نحوّل كل شيء ، رويداً رويداً ، الى تتابع ميكانيكي محتوم يمثل فعل جسم مادي في آخر ، على طريقة نظام نيوتن الفلكي

هذا من جهة. ومن جهة اخرى نجد فريق المفكرين الذين يستوقفهم اساس الكون العقلي الكمالي قبل كل شيء . انهُ يتعذر عليهم ان يدركوا تفاعل الحياة والعقل مع المادة وان يفهموا معنى النظام الميكانيكي المادي من الوجهة العقلية الصحيحة . فكأن هناك اختلافاً بين ضدّين متنافرين لا يمكن حلهُ . والقول بان النشوء فعل اوتوماتيكي لا معنى لهُ ولا نظام تنبو عنهُ معتقدات جمهور كبير من الناس السذّج الذين يصغون لوحي بديهتهم . فاذا تعذّر التوفيق بين المذهبين تعرض هؤلاء خطأ منهم الى ان يخلوا عن حقيقة النشوء ذاتها مع توافر الادلة على ثبوتها

وهذا الموقف الاخير ، كيفما قلّبتهُ موقف عقيم

غير ان هذه الصعوبة دعت البعض الى الشك في شهادة الاختبار ، وحملتهم على اعتناق فلسفة دينية صوفية تترك كل المظاهر الطبيعية من غير تعليل. كأن حقائق الطبيعة وروح الانسان على طرفي نقيض . فلذلك ترى دعاة الرأي الواحد يتجاهلون دعاة الرأي المناقض

فالذين يرون ان « العلة والمعلول » ليسا سوى تتابع زمني ولا يجدون في النشوء سوى تغيُّر مستمرّ يقفون في جهة واحدة . انهم تقدموا تقدماً عظيماً في ميدان بحثهم ولكنهم ميالون في الغالب الى ان يحسبوا النظر الكمالي نظراً خاطئاً غير جدير بالعلم وبالطرق العلمية. فالعلم قياسٌ في رأيهم وكل ما لا يستطاع تحويله (او لا يبدو عليه امكان هذا التحويل) الى قواعد رياضية مبنية على القياس غير جدير بالنظر

هذا المذهب الذي يعتنقهُ اكثر علماء الطبيعة والرياضيات هو ثمرة طبيعية للانتصارات العلمية الباهرة التي احرزوها في هذا الميدان من ميادين المعرفة الانسانية . وقد بدأ يتصل اثرهُ بعلماء الحياة ، فيما يطمحون اليهِ من الغايات . وفي بعض رسائل نيوتن التي بسط فيها ان غاية العلم العليا هي اسناد الظاهرات الكونية الى تفاعل القوى بين الدقائق ما يدعم هذا الرأي . ولكن يجب ان نذكر انهُ مهما يكن الرأي الذي يعتنقهُ علماء الرياضيات في هذا العصر فمبتدعوهُ العظام من عصر نيوتن الى الآن لم يكونوا قانعين بهِ لانهم شعروا فطرةً انهُ لم يكن كاملاً وان هنالك طرقاً اخرى ابعد غوراً واسمى حكمة للنظر الى الكون. فقد حاولوا ان ينظروا الى الكون في جملتهِ واجزائهِ واعتمدوا على المشاهدة والاختبار ليقودا هم الى الغاية التي يتوخونها وهي الحق المجرّد الخالد

والظاهر ان هنالك شيئاً من العلاقة والاتصال بين عقل الانسان وحقائق الطبيعة بل لقد ذهب بعض المفكرين الى ان نظرنا الى الكون وتعليلنا للنظام الطبيعي ليسا الاّ من مبتدعات العقل البشري وان حقيقة الوجود على ما هي — من غير نظر الى رأي

العقل فيها — يجب ان تبقى سرًّا مغلقاً. ففريق منهم يرتاب في النظام الميكانيكي وفريق آخر يرتاب في الغاية التي وجد من اجلها

ان التوفيق بين هذين الاتجاهين المتناقضين والتوحيد بينهما ثم ادغام الرأي الجديد في قانون عام شامل يجب ان يكون غاية الفلسفة الحديثة وغاية العلم الحديث

مهما تظاهر علماء النشوء بعدم اهتمامهم بالاسباب الاولى ووحدة الكون وفائدة النشوء لا يستطيعون ان ينكروا ان النشوء ليس تغيُّراً فقط بل هو تغيُّر يصحبهُ ارتقاءٌ والانواع ترتقي من أشكالٍ دنيا الى اشكال عليا . هذا الاقرار يوجب القول بان « الكل » سائرٌ في سبيل التقدم الى كمالٍ نهائي وان مراحل هذا السير لا يمكن ان تخلو من القصد والمعنى

ولكن اصل الانواع لا يزال سرًّا غامضاً . فالمذهب القديم القائل بالخلق المستقلّ ايّ ان كل نوع من انواع الحياة خلق على حدة — ليس حلاًّ لهذه المشكلة الفلسفية لان طريقة خلقِ هذه الانواع يجب ان تدخل في دائرة البحث العلمي . وسواءٌ كان النشوء العضوي عملاً متصلاً مستمرًّا بادت فيهِ انواع وانقرضت (فصار في سلسلة النشوء كلها حلقات مفقودة كثيرة) او كان هذا النشوء يتمُّ بحدوث تحوّل فجائي يورّث للاجيال المقبلة اذا كان مناسباً للبيئة مساعداً على البقاء (وعلى ذلك فليس في سلسلة النشوء حلقات مفقودة) كل هذه مسائل لا تزال مثاراً للجدال بين الباحثين

فالبحث والاختبار يدلان على ان التغيُّر والوراثة والتكيف وفق مقتضيات البيئة وتنازع البقاء وبقاء الانسب هي اسباب النشوء الحقيقية. ولكن كيف نشأت وجوه التغيُّر في انواع الاحياء وهل التكيف لمقتضيات البيئة يتم بسعي الفرد او بالتحوّل الفجائي الذي لا حكم لهُ عليهِ، وهل هناك مبدأ اساسي وغاية لعمل النشوء — كل هذه مسائل لا تزال من غير جواب

فلكي نتقدم ، ونخلص من التصوف العقيم ، لا بدَّ لنا ، ونحن لا نملك علماً راسخاً بهذه الموضوعات ، شيء من الايمان — ايمان في ازدياد قيمة الوجود وفي مقدرة العقل البشري على تفهم الحق المجرد وفي فائدة الاختبار كرائد لنا في الوصول الى الحقيقة

ولا اريد ان اقصر لفظ « الاختبار » على كل الادلة التي تقع في دائرة الحواس فقط بل على ما نستطيع استنتاجهُ بوحي البديهة وبالنظريات التي تستنبط لتلغى بعد ما تساعدنا في الكشف عن حقيقة جديدة . فاننا نستطيع ان ندرك الاجسام المادية بالاختبار كما نستطيع ان ندرك الحالات العقلية . وعلينا ان لا نهمل اي جانب من قوى الادراك اذا اردنا ان نفهم « الكلّ » فهماً كاملاً

اوراق الورد

رسالة الغضبى (١)

تحيَّرَ قلبي وهوَ ممتلئٌ بها كما يملأُ المرآةَ ناظرُها ظِلّا
بأيِّ مكانٍ فيهِ قد حلَّ شخصُها وايُّ مكانٍ شخصُها فيهِ ما حلّا ؟

لقد غَضِبتْ وكرَّ هجرُها على وصلها وانشقَّ الزمنُ زمنين أحدُهما مثلُها غضبانُ مبتعِدٌ وكأنما كان لها خاصّةً فلما ذهبتْ لحق بها

إنهُ الحبُّ يخلُقُ بها خَلقاً فيَّ ويزمنها خلقاً في زمني ليُشعِرَنا بهذا التغير الخالق المتصرف أننا لا نتحابُّ في ذاتِ نفسينا بل في الجلال الاعظم الذي منهُ نفسها ونفسي ، فاذا تغاضبنا وقسمتْنا أهواؤنا رجعنا قطعتين من المادة ليس في كلتيهما الا قانونُ الثقل . . . . وزادت عواطفنا وزناً جديداً من الغيظ

أين زمنها ؟ لقد فرغ وقتي منهُ حتى يخيَّلَ اليَّ أن اليوم الذي هو أربعٌ وعشرون ساعة لا يكملُ لي بعدها عشرين واربعاً . وأنظرُ في ساعتي ، فاذا كانت السابعة مساءً والتي اليها والتاسعة التي معهما(٢) شُبّهَ لي وغُمَّ عليَّ وحسبتُ أن في هذه الساعة منطِقةً خارجة عن الزمن تخطاها العقرب ولا يشير اليها

أهي ألقت غضبها فيَّ أنا أم في حياتي وأيامي ؟

***

كلاّ كلاّ . لقد غضبتْ لتزيدَ في أسرار حبها سرَّ الماضي ، ولتمرَّ على أيامها اللينة بمسحةٍ من القسوة تخلق فيها الى جمال الحقيقة جمالَ الذكرى

وكانت .... وتريد ان تأتيَ في الحب من وراء ما كانت فذهبت. وهذا في فلسفتها هو المجيء من وراء ما كان

الفرحُ بالجمال لذة تقتل نفسها . ولا يمسك على الجمال روحَ النعمة خالدةً في القلب الاّ الحزنُ بهِ احياناً ، كيوم الغيمْ ترى في سمائهِ قِطعاً كأنها الهاربة من الليلِ تختبئُ الشمس فيها ثم تسطع من بعدُ سطوعاً يخيل اليك انها ما توارت في خيمة الغمام الاّ لتنضُوَ غلائلها الشفافة وتتعرى

(١) لما تغاضبا كتب هذه الرسالة فيما كتب لنفسه (٢) كانت ساعات اللقاء على ما يظهر ....

يريد الجمال المعشوقُ أن يثبت فينا فيغيبَ عنا إذ كان بذلهُ يُفني منهُ على قدر ما يعطي . فاذا هو امتنع وعزَّ منالهُ كان جمالاً في نفسهِ بمعانيهِ وجمالاً فينا بالمعاني التي هي فينا ، وكان لهُ من اجتماع الحالتين حالةُ جمالٍ ثالث هي في ألم الرغبة المستمرة او ألم الغيظ المجنون . ومتى خلق لنا الجمال من قصرِ الزمن طولَ الزمن ، ومن المتاع بالحسن العذابَ بتمنّيه ، ومن الحبيبة الراضية حبيبةً هاجرة ، ومن الحاضرة غائبة ، فقد ارتفع عن انسانيتنا وجاءنا من ناحية سرّه الالهي

***

كلاَّ كلاَّ . لقد غضبتْ لأُحبها صورةً مبهمة ليس فيها انسانةٌ بل حبٌّ إنسانة ، وانتزعتْ نفسها مني بعد ان انتزعتُ لنفسي كلَّ معانيها التي جعلتها ماهي . ألا يا ثمرةً افرغت في قلبي عصيرها الحلو ! لئن بقيتِ ثمرة في لغة نفسكِ فانكِ القشرة في لغتي أنا . . . .

إنهُ ليس معي الا ظلالها ولكنها ظلالٌ حية تروح وتجيء في ذاكرتي . وكل ما كان ومضى هو في هذه الظلال الحية كأنْ لا يفنى . وكما يرى الشاعر الملهَمُ كلام الطبيعة بكلّه مترجماً الى لغة عينيهِ ، أصبحتُ أراها في هجرها طبيعة حسن فاتن مترجمة بجملتها الى لغة فكري . كان لها في نفسي مظهرُ الجمال ومعهُ حماقة الرجاء وجنونهُ ثم خضوعي لها خضوعاً لا ينفعني . . . . فبدَّلني الهجرُ منها مظهر الجلال ومعهُ وقارُ اليأس وعقلهُ ثم خضوعُها لخيالي خضوعاً لا يضرُّها . . . . . .

كلما ابتعدت في صدها خطوتين رجع اليَّ صوابي خطوة . . . .

***

كلاَّ كلاَّ . فلا صواب مع مادة الفتنة ، وهل يفتتن الانسان الاَّ حين يظهر مجنوناً بأسمى ما فيهِ من العقل ؟

أنا عاشق أضمُّ الطبيعة في مهجتي مُصغَّرةً فأنا الأكبر . . . . ان هـذا لجنونٌ ولكنهُ عقل . وأنا عاشق أفسّر الطبيعة في هذه الحبيبة الجميلة فهي الأجمل . . . . ان هذا لعقلٌ ولكنهُ جنون

وقد كانت لهذه الحبيبة نظرةٌ معنوية هي مفتاحها في قلبي . وها هي ذي غضبَى نافرةٌ لأراها ولا تراني ولكن المفتاح لا يزال يدور في قفله . . . أجنون هذا أم عقل ؟ وهي الحبيبة ولكنها كالعدوّ صورة من أقسى ما في الطبيعة جاءت تمضي فيَّ قانوناً من عقوباتها . أعقلٌ هذا أم جنون ؟

لن يقال في الذي تحمله عاصفة وتطير بهِ إنهُ مسافر في طيارة . . . .

ولا في الذي رأى صورة دينار في مرآة فحطم المرآة ليأخذ الدينار إنهُ وجد شيئاً . .
ولكن يقال في الذي دلّهه الجمال إنهُ في نعيم الهوى
وفي الحب الذي يحطم قلبهُ على امرأة إنهُ وجد الحب

***

كلاَّ كلاَّ ياقلبي. إن الغضب يجمع جنون الحب من شخصين في شخص واحد . ها نذا يحوطني الآن هدوء الأشياء وابتسام الجمال الأزلي المفترّ عن نور الدنيا . أنا في كل ذلك ولست في هدأة ولا ابتسامة ، غريق في البحر ولا يبتلّ . . . .

لعمري لو غضب قاع الأقيانوس غضبة حب لانتفخ بهِ الغيظ حتى يعلوَ فوق الماء جزيرة جافة فلا يتندّى ولا يرق ولا يعود الا خِلقَةَ غيظ

فليكن ما طاوعَ مني هو الذي يأبى وما أحبّ هو الذي يبغض ولتأت على الحب غابرة الدهر وآخرةُ الليالي

لقد اصبحتُ أرى ألينَ العطف في اقسى الهجر ولن أرضى بالأمر الذي ليس بالرضا ولن يحسُنَ عندي ما لا يحسن ولن اطلب الحب الاَّ في عصيان الحب . أريدها غضبي فهذا جمال يلائمُ طبيعتي الشديدة وحبٌّ يناسب كبريائي . ودع جرحي يَرشَشُ دماً فهذه قوة الجسم الذي ينبت ثمرَ العَضَل وشوكَ المِخلَب

أريدها لا تعرفني ولا أعرفها لامن شيء إلاَّ لانها تعرفني واعرفها . . . تتكلم ساكنةً واردٌ عليها بسكوتي. صمتٌ ضائعٌ كالعبث ولكنَّ له في القلبين عمل كلام طويل . . . .

أما والله ما أدري أحاجتي في حبها كانت الى عزيمة أم الى صبر أم نسيان أم خضوع؟ ياواجف صدري ! كل ذلك ليست منهُ فائدة ترجي فان حاجتي ان لا اكون عرفتها من قبل وياقلب ! ما هي المعجزة التي يمكن أن تمنع الامر الذي وقع بعد ما وقع؟

***

كلاَّ كلاَّ .ماذهب الحب وان الذي يكذّب حبهُ باظهار غيظهِ من الحبيب ليكذبهُ الغيظ. واذا انتهى أمرٌ من الامر وبقي في نفسك حيًّا فما انتهى!

كلاَّ كلاَّ .ما استوفيتك يارسالة الهجر فما أكثرَكِ عندي فنوناً وما اوسعكِ معانيَ في نفسي كلاَّ كلاَّ . فلو اني كتبتك ملء ليل مظلم طال على محموم ، ثم اطلعت هي عليك فأغضبتها ثم جاءت . . . . جاءت تسألني . . . . تسألني أكتبت هذه ؟

آه تالله إن اجبتها إلاَّ « كلاَّ كلاَّ » . . . . (نسخة طبق الاصل)

مصطفى صادق الرافعي

شعر التصوير

الرُّوَاق : في معبد ادفو

الصورة للاستاذ الفنان شعبان زكي

نَظْرَةٌ منكَ للرُّوَاقِ برسمٍ … سَجَّلَ الفَنُّ فوقَ نظرةِ رائي
إنمَّا الفنُّ خالقٌ وإليهِ … تتناهى روائعُ الأشياء
هـذه لَوْحَةُ الجمالِ فراقبْ … هذه العُمْدَ في حُلى من رُوَاء
تجدِ الدَّانيَ المَهيبَ بظلَ … جامعَ النَّقْشِ من عجيبِ الأداء
يتلاقى الظَّلامُ فيهِ وأصبا … غُ كسيرٍ من الضِّياء النَّائي
وخُطُوطٌ طلاسمٌ هُنَّ للأُخْـ … ـرَى وعهدٌ حوى ضَميِنَ الفِدَاء
واذا السَّقْفُ في الضخامة والمجـ … ـدِ عزيزٌ ، والعُمْدُ عُمْدُ السَّماء
وترى النُّورَ وهو ينصبُّ ما بَيْـ … ـنَ فناء لها عديمَ الفَنَاء
سال في صفرةِ النُّضار أو الورْ … سِ مسيلَ الشُّعاعِ في الصهْباء
وكأنَّ الضخْمَ العمودَ يُراعيـ … ـها يصونُ من خشيَةِ الاعداء
يحرس النُّورَ مثل كنزٍ حوته … حينما كلُّها كنوزُ البَقَاء
وترى هذه السَّبائك تفترُّ … م بوحْيٍ كمعجزِ الانبياء
وترى النُّورَ من بَعيدٍ كَسَهمٍ … يتناهى في شقِّ ذاك الفضاء
وتطيلُ التَّأمُّلَ الحرَّ حتى … تغتدي كالأسيرِ للقُدَماء
فاذا انت بني مختلف الاضوا … ء والظـلِّ عابدُ الاضواء
واذا انت رهنُ (معبد إدفو) … قرب (هوراس) خاشع في احتفاء

ابو شادي



اينشتين المفهوم

وهناك اينشتين غير المفهوم ، وهو صاحب الفروض الرياضية التي قيل عنها انها ألغاز مغلقة لا يفهمها الا اثنى عشر عالماً من كبار علماء الرياضيات في العالم كله ، وقيل بل لا يفهمها الا واحد فرد لا ثاني لهُ وهو اينشتين صاحب تلك الفروض . ونقول نحن ولا ذرة من الريب عندنا فيما نقول : بل لا يفهمها أحد على الاطلاق لا اينشتين ولا غير اينشتين لانها غير قابلة للفهم بطبيعتها فلن يحيط بعلمها أحد من بني الانسان . نعم لن يحيط بعلمها أحد من بني الانسان منذ كانت تتعلق بالبعد الرابع وحدود الكون وحقيقة الزمان والمكان وكلها اشياء لا يتناولها العقل الاّ بالفرض على طريقة الرياضين او بالايمان على طريقة المتعبدين ولا فرق بين الطريقتين في اساس الفهم لان الفرض الرياضي والايمان الديني كلاهما اساسهُ التسليم

من ظن ان اينشتين حين يتكلم عن البعد الرابع يفهم ما هو هذا البعد الرابع أو يتخيله او يستطيع ان يتوهم لهُ شكلا قريباً منهُ فخير لهُ ألا يجهد نفسه بقراءة شيء عن مذهب الرجل المفهوم او غير المفهوم لانهُ بعيد جداً عن طبيعة هذه المباحث منصرف جداً عن الناحية التي يتجه اليها هذا الضرب من التفكير . فالفهم الرياضي شيء والفهم العلمي شيء آخر مختلف اشد الاختلاف . الفهم الرياضي فرض يريحك من المسألة المجهولة بعلامة واحدة فاذا هي داخلة في حساب المدركات الرياضية تبنى عليها النتائج وتقام عليها القضايا وتقيد عندك كأنها كمٌّ محصور وان لم تكن هي بالكم المحصور ، اما الفهم العلمي فشيء آخر كما قلنا لانهُ توضيح لامر محصور فعلا متمثل للذهن والحواس فعلا فلا سبيل الى البحث فيه الاّ بعد الاحاطة بهِ من جميع جوانب الادراك التي يعرفها بنو الانسان

ان كتابة شيء بالعلامات الرياضية ليس معناها العلم بذلك الشيء والنفاذ اليهِ اذ كثيراً ما يكون معناها الجهل بهِ والعجز عن تصورهِ والرغبة في اقصائهِ جانباً ريثما تتسنى الرجعة اليهِ . ومن هذا القبيل البعد الرابع الذي يتحدث بهِ اينشتين وتلاميذه . فقصارى الامر فيهِ انهُ علامة موضوعة لكمٍّ مجهول سيظل مجهولاً الى ابد الآبدين ، وقد يلوح الآن انهُ أصعب فهماً من مذهب الجاذبية الذي ينقضهُ ويفسر الحركات السماوية بتفسير غير تفسيره — اما الحقيقة فهي ان فهم الجاذبية ليس باسهل من فهم البعد الرابع لاننا

ان نفهم الواسطة التي يتحتم بها الجذب ولن تغنينا هذه الكلمة عن افتراض المجهولات التي لا تقلُّ في غموضها عن مجهولات اينشتين ،وغاية ما هنالك ان الناس ما برحوا يسمعون من عهد نيوتن — وقبل نيوتن — ان الارض تجذب الاجسام اليها فألفوا ذلك وكفوا عن البحث فيهِ وانهم لم يألفوا البعد الرابع بعدُ فهم لهذا يبحثون فيهِ ليدركوهُ وما هو من الادراك بسبيل

قال برتراند رسل الرياضي الفيلسوف : ان الرياضيات علم لا يعرف القائل فيهِ ما يقول ولا يدري أصحيح ما يقول ام غير صحيح[1]

وهذه قولة جد في ثوب من المزاح ، فكل فرض تفرضهُ ويسير معك الى نهاية المسألة في هوادة وسهولة فهو صحيح اوكالصحيح ، واكبر ما عدوهُ من دلائل الصحة لمذهب النسبية انهُ فرض استطاعوا بهِ ان يفسروا انحراف السيار عطارد على وجه اكمل من تفسير القائلين بمذهب الجاذبية. فما القول اذن وقد اخبرنا الاستاذ استيفان كرستسكو ان نتيجة اينشتين مطابقة تمام المطابقة للتعليل الذي ارتآهُ فون سولدنر احد الفلكيين الخاملين من علماء الالمان في سنة ١٨٠١ بغير التجاء منهُ الى البعد الرابع ولا اعتماد منهُ على هندسة غير هندسة الابعاد الثلاثة ؟ [2]

فسواء صح مذهب اينشتين أو لم يصح فالأمر المحقق الذي لا شبهة فيهِ هو انهُ مجرد تعليل لايخرج ولن يخرج من دائرة الفروض ولا يتعدى بنا ولن يتعدى نطاق المفهومات الانسانية التي قد تسعفنا في مجال التعليل ولكنها لن تنفذ بنا الى حقائق الاشياء ودخائل الأسرار

كان اسكندر مزكفسكي يحادث اينشتين في طبائع الاشياء والمدى الذي يستطاع البلوغ اليهِ في بحث تلك الطبائع فسألهُ : وهب انهُ كان من المستطاع ان تكشف عن جميع الطبائع التي في حبة الرمل فهل يتأدى بنا ذلك الى معرفة كاملة بالكون كلهِ ؟ الا يبقى اذن اي لغز غير محلول من الغاز الوجود ؟ فكان جواب اينشتين ان هذا السؤال يجاب بتوكيد لا تحفظ فيهِ « لاننا اذا عرفنا معرفة علمية كاملة كل ما يجري في حبة الرمل فلن يتأتى لنا ذلك الا على اعتبار واحد وهو اننا قد احطنا بجميع القوانين والحركات التي يشتمل عليها الزمان والمكان »

وهذا معنى يتفق فيهِ حكم العلم والهام الشعر ونسمع تنيسون يقول في مثله مخاطباً

---

(١) صفحة ٣٣ من كتاب حياة المكان لموريس مترلنك وصفحة ١٦٥ من كتاب خلاصة المعارف الانسانية لمؤلفه كلنت وود طبعة ريشارد

(٢) ص ٨٠ من كتاب حياة المكان لموريس مترلنك في الترجمة الانكليزية طبعة اوين

الزهرة قبل اينشتين باكثر من جيل : ايه اينها الزهرة في الجدار المصدوع ! انني اقطفك من تلك الثقوب واضمك هنا كلك بجملتك وتفصيلك في راحة يدي ، وما انت كلك الاّ زهيرة صغيرة . ولكني لو أتيح لي ان اعرف ما كنهك وما انت بجملتك وتفصيلك لكنت حقيقاً ان اعرف ما الله وما الانسان »

ذلك هو في الحق أقصى مدى المعرفة الانسانية . فنحن لا ندرك البعد الرابع الذي لا نراهُ ولا ندرك حبة الرمل ولا الزهرة المحصورة في ايدينا من جميع الجهات . والاّ فقد عدونا طور الانسان وادركنا كل شيء في الوجود وهذا هو المطلب الذي لا يرام . هذا هو المستحيل

***

سلامٌ اذن على اينشتين الذي لا يفهمهُ الاّ اثنى عشر على اكثر تقدير او الذي لا يفهمهُ أحد على اقل تقدير . وحسبنا الآن اينشتين الذي يعيش معنا في ابعادنا الثلاثة ولا يروغ منا بين الارقام الكثيرة في بعدٍ رابع بعيد القرار !

عاش مزكفسكي الذي سبقت الاشارة اليهِ زمناً وجيزاً مع اينشتين في عزلة عن الناس فسمع منهُ واخذ عنهُ وراقب احواله وحفظ كلماتهِ ثم جمع ذلك في كتاب سماه « اينشتين الباحث[1] » فكان من احسن الكتب التي عرَّفت القرَّاء باينشتين الصميم . وهذا هو الرجل الذي نعنيهِ باينشتين المفهوم ونود ان ننقل بعض احاديثهُ الى قراء المقتطف الذين سمعوا كثيراً عن اخيهِ « غير المفهوم » وسيسمعون عنهُ كثيراً بعد ما سيكتبهُ الكاتبون عن رصد الكسوف الاخير عند جزيرة ملقا وجزائر الهند الشرقية وجزائر الفيلبين

ما رأى صاحب النسبية في اللغة ؟ انهُ رأيٌ أقرب الى التعميم منهُ الى النسبية ، فهو يقول « في رأيي ان قيمة اللغات التعليمية مبالغ فيها كثيراً »

قال مزكفسكي . فسمحت لنفسي ان أستشهد بكلمة لا تزال مسلَّمة عند بعض الاساتذة وتلك هي كلمة شارل الخامس الذي قال : ان كل لغة جديدة تكتسبها انما هي شخصية جديدة » . . . . وقال باللاتينية ما ترجمهُ الالمان في مثلهم المشهور « اللغة المضافة حاسة مضافة »

فقال اينشتين : اشكُّ في صدق هذا المثل واعتقد انهُ لم يثبت قط على التمحيص . فالتجارب جميعها تنقضهُ . والاّ وجب علينا ان نخول المكانة العليا بين المفكرين اناساً من

(١) طبعة مثيون Methuen

جبابرة اللغويين متريدانس ومتسوفانتي ، في حين اننا نستطيع ان نقيم البرهان على نقيض ذلك وهو أن امثال اصحاب الشخصيات العظيمة والذين كان لهم اوفى نصيب في حركة التقدم لم تكن مضاعفة احساسهم متوقفة على علم واسع باللغات بل أحرى ان يقال انهم كانوا يخاشون ان يثقلوا اذهانهم بما يرهق الذاكرة

واستطرد الى التعليم فقال ان الانسان ينبغي ان يتعلم ليربي له عضلات ذهنية وان التمرينات اللغوية فائدتها في هذا الباب اقل بكثير من فائدة التمرينات التي تعنى عناية خاصة بشحذ ملكات التفكير. وانتقل الحديث الى صعوبات التعليم فقال اينشتين : « لا ادري هل الصعوبات قائمة على نقص الاستعداد في التلميذ او على غير ذلك .فانني اميل الى القول بانها آتية من نقص الاستعداد في المعلم ، اذ يغلب بين المعلمين ان يضيعوا الوقت في اسئلة يراد بها اظهار ما يجهلهُ التلميذ وكان الأصحّ ان يراد بالاسئلة اظهار ما يعرفهُ او هو قادر على معرفتهِ »

ودار الحديث مراراً على الادب فكان الذي استخلصهُ مزكفسكي من كلام العلامة في هذا الباب انهُ على رأي عمر بن الخطاب الذي يروى عنهُ انهُ أمر باحراق مكتبة الاسكندرية لانها اما ان تحتوي ما احتواهُ القرآن فلا حاجة اليها واما ان تحتوي ما ليس يحتويهِ فالخير في احراقها . . . وهكذا ينظر اينشتين الى مكتبة الادب بحذافيره على ما استخلصهُ مزكفسكي من مجمل كلامهِ . الا انهُ يعجب بشكسبير وجيتي ويذكر اسميهما بنغمة تخالطها التجلة والمحبة ، ويطرب للفنون طرباً لا يجدهُ في سواها . وقد قرأ « الاخوان كرمازوف » لمؤلفها دستويفسكي ففتن بها وسألهُ صاحبهُ عن طربه للفنون هل يعني بها غير الموسيقى ؟ فقال : انني في هذه اللحظة كنت افكر في الادب بصفة خاصة فعاد صاحبه يسألهُ : هل تعني الادب على الجملة او لديك كاتب بعينه تفكر فيه حين ذكرت ما تحسهُ من السعادة في مطالعة آيات الفنون ؟ فقال : انني عنيت الادب على الجملة ولكنك اذا سألتني عن الكاتب الذي آنق لهُ في هذه الساعة قلت لك انهُ هو دستويفسكي وكرر اسمه مرات يزداد فيها التوكيد مرة بعد مرة

قال مزكسفكي : « وكأنما اراد ان يعرب عن اعجابه اعراباً يقضي على كل اعتراض محتمل فقال ان دستويفسكي اعطاني اكثر مما اعطانيه اي عالم ، اعطاني اكثر مما اعطانيه جوس وهو عالم رياضي كبير

« قلت بعد سكوت يسهل تعليله : يا استاذ ! انك بذكرك هذين الاسمين العظيمين

في نفس واحد على ما بينهما من الاختلاف في طبيعة المواهب الفكرية أنما تفتح المجال لبحث لا يتيسر الفصل فيه بكلمة . . . . . وكأنك حين تقول ان دستويفسكي اعطاك اكثر مما اعطاكه جوس تشعر بانك ما كنت لتجد «الاخوان كرمازوف» بغير وجود دستويفسكي ومن ثم تخسر ثمرة من ثمرات الحياة لا تعوض . اما جوس فانهُ لو كان اخفق في كشف بعض نظرياته في علم الجبر لكان من الجائز ان يظهر جوس آخر يتولى كشف هذه النظريات ، ولهذا تزداد قيمة الآيات الفنية في روعنا لاننا نشعر باننا معتمدون في خلقها على فرد واحد لا سواه . قال الاستاذ : نعم ولكن بشيء من التحفظ فان احسن ما استنبط جوس كان من ثمراته التي لا يشارك فيها بحيث لو لم يخلق لنا هندسة السطوح التي اتخذها ريمان اساساً لهُ لشق علينا ان نتخيل كيف يخلقها سواهُ . وأُصرح لك — ولا اتردد — ان سروراً كهذا السرور من بعض الوجوه قد يتولانا حين نستغرق في بعض المسائل الهندسية »

ولعمري ان اعجاب اينشتين بالاخوان كرمازوف ليدل على ذات نفسه اضعاف ما تدل عليهِ جميع نظرياته وفروضه وارصاده . فقد يكون الرجل رياضيًّا عظيماً وليس فيهِ الاَّ آلة فكرية او بداهة لونية ، ولكنهُ لا يقرأ دستويفسكي ويأنس بعبقريتهِ الاَّ وهو انسان حق الانسان واسع العاطفة بعيد الغور يتلقى وحي النفس الانسانية من جميع مهابطهِ ويتسع قلبهُ لآلام المعذبين وعيوب المنبوذين وضروب الخلائق التي تعيش في عالم الشهادة وكأنها تعيش في عالم الخفاء وتمت الى الحياة بسبب وثيق من قرابة الاحياء وللاحياء

***

يقول فيثاغوراس ومريدوه ان للكواكب السيارة في دورانها انغاماً كانغام العيدان وان العدد هو اساس الرياضة وهو اساس الالحان وكل ما في هذه الاكوان — وهو قول عميق الصدق مهما يظهر عليهِ من المجاز الشعري والتصوف الفلسفي فهو في اعتقادنا بيّن الصحة من ناحية واحدة على الاقل وهي ناحيـة الاتصال الحميم بين الملكة الرياضية والملكة الموسيقية ثم الاتصال الحميم بين هاتين الملكتين معاً وبين سليقة التصوف والايمان . فللبداهة في جميع هذه الملكات دخل كبير وللرياضي والموسيقي مدد من وحي البصيرة والهام السريرة اكبر من المدد الذي يأتيهما من تجارب الحس وحقائق المشاهدة . وليس بالنادر بين الاطفال من ينبغ في العزف

على الآلات الموسيقية او ينبغ في اجراء العمليات الحسابية لان بداهة الطفولة في هذا المعرض لا تحتاج الى التجربة والمعلومات ، وليس بالنادر بين الموسيقيين والرياضيين من يؤمن بالغيب ايمان التسليم والاتكال لان كنز البداهة عندهم زاخر بالاطياف والاصداء التي يعبرون عنها بالانغام والارقام .وصاحب النسبية مصداق لما نقول ودليل على ان الالهام الرياضي والالهام الموسيقي قريب من قريب ان لم نقل انهما ينبوعان يفيضان من متفجر واحد .فانهُ شبَّ من طفولته الاولى كلفاً بالالحان ينظم الاناشيد في الثناء على الله ويلحنها ويرتلها في خلواته وصلواته . وهو الى اليوم مشغول بالموسيقي يجيد العزف على القيثار ومشغول بالحركة الصهيونية يقوم لابناء دينه في بعض المواقف مقام أحبارهم الاقدمين . وليس في ذلك كله غرابة عندنا لاننا نعتقد كما قلنا في غير هذا المقال ان الالهام صاحب الفضل الاول في الرياضة وفي الموسيقى وفي الدين او بعبارة أصح واشمل في «حاسة الدين» لان المرء قد يكون مطبوعاً على التدين وهو لا يأخذ بالظواهر التي تجري عليها بعض شعائر الاديان

***

واينشتين — وهو احد ابطال العالم الكبار — يحب البطولة العلمية ويعرف تقديس الابطال وتأليههم على منهاجهِ في التقديس والتأليه . ولكنهُ لا يحب ذلك الاعجاب الذي يزين لاكثر الناس ان يخلوا ابطالهم ما ليس لهم من المآثر والمعجزات . وهو على حق في هذه الخصلة لان الاكثار من اسناد الفضائل الى الابطال الذين نعجب بهم نقص في تقدير الابطال ونقص في تقدير الفضائل . كاننا لا نرى في فضائلهم الحقيقية الكفاية التي يستحقون بها ما نزيده لهم من الاعجاب والحب والتقدير

ذكر له مزكفسكي ما يذاع عن معجزات ليناردو دافنشي وكوبرنيكس وغيرهما من كبار المفكرين وما يقال عن سبقهم الى تقرير الفروض العلمية وانفرادهم بالاعمال التي يعجز عنها الكثيرون ،فكان رأي اينشتين ان انصار هؤلاء المفكرين يبالغون في تقديرهم وينسون ان بعض المآثر المنسوبة اليهم قد ترجع الى واحد قبل واحد من السابقين حتى تؤول في النهاية الى القدماء الأولين . فيصح ان يقال مثلاً ان كوبرنيكس الحقيقي هو هيباركس النيقي ، واذا رجعنا مائة سنة الى الوراء — اي الى ما قبل الفي سنة من هذا التاريخ — الفينا ان ارستاركس الساسي كان يقول بدوران الارض حول محورها ودورانها حول الشمس في تلك الايام .وليس هناك من ضرورة تدعونا الى الوقوف هنا في رأي اينشتين

فان الاحتمال لا يمنع ان يكون ارستاركس مستمد من المصادر المصرية التي سبقتهُ

***

على ان اغرب الاتفاقات التي رويت في حياة اينشتين وكان لها معنى كمعنى النبوءة الالهية تلك القصة التي جاءت عرضاً في احاديث اينشتين وذكرها مزكفسكي في مستهلِّ كلامهِ على ترجمة الرياضي العظيم صاحب الآراء الطريفة في الكهربائية والمغنطيس. وذلك حيث يقول: « وحري بالتنبيه ان اول شيء استرعى التفات الطفل كان اداة من ادوات العلوم الطبيعية. اراه ابوهُ وهو في مهده ابرة مغنطيسية لغير غرض الا ان يلاعبهُ ويسليهُ فكانت الابرة المعدنية المترجحة أول ما استيقظ لهُ ضمير الطفل ابن الخامسة ليدهشهُ من غرائب المجهول. وكانت دهشتهُ تلك كأنما هي شاخص يومئ الى روح البحث التي ما برحت مستكنة في اعماق خلده. ولتذكر هذه الواقعة النفسية دلالة فيما صار اليهِ اينشتين اليوم، فهو على تيقظه للمشاهدات التي مرت بهِ في طفولتهِ لم يذكر انهُ القى بالاً لسقوط الاجسام التي لا تمتد على عمد، وانما كان التفاتهُ الى الابرة المغنطيسية والى الابرة دون غيرها. فكأنما كانت هذه الآلة تخاطبهُ بلحن الغيب وتومئ لهُ الى ميدان الكهربائية والمغناطيسية الذي اهتدى فيهِ بعد ذلك الى نتائج بحثه المفيد»

ونقول ان هذه الحادثة من اغرب الاتفاقات التي رويت في حياة اينشتين لانها تشير الى علاقة المزاج بالافكار التي تعلل بها اسرار الوجود. فلا ريب ان التفات الطفل اينشتين الى الابرة المغنطيسية وقلة التفاته الى سقوط الاجسام مسألة من مسائل المزاج لامن مسائل التفكير. ولكنها انتهت الى ان تجعل اينشتين الكبير معرضاً عن تفسير حركات السماء بمذهب الجاذبية ومقبلاً على تفسيرها بما بدا لهُ من القوانين في ميدان النور والكهرباء

وحياة اينشتين بعدُ قليلة الغرائب لا يستخرج منها امهر الروائيين المشوقين قصة مقروءة في فصل صغير. وكذلك حياة معظم المفكرين الذين يعيشون في عالم الافكار ولا يعيشون في عالم الحوادث. وكأنما بالغت الطبيعة في اختصار رواية اينشتين فقيل عنهُ ان حياتهُ المدرسية كانت خلواً من كل ما يلفت النظر وانه كان تلميذاً وسطاً في جميع الدروس الاَّ في المحفوظات اللغوية فكان دون الوسط وكانت آفتهُ الملازمة انهُ قلما يحفظ الكلمات. ولعل هذا سر ذلك الرأي الاول الذي ارتآهُ في اللغات. فلا يقل الناظرون في الكلام « انظر الى ما قيل لا الى من قال » فانك لن تفقه ما قيل ولن تعطيه حقهُ ومعناهُ الا حين تعرف من قالهُ وتعرف لم قال ما قال؟

عباس محمود العقاد

اشهر الجمعيات العلمية المصرية

ونصيب جلالة الملك في انشائها واحيائها

على ذكر سفر جلالته الى اوربا

يضيق بنا المقام هنا لو حاولنا بسط النتائج التي اسفرت عنها الجهود الخالصة التي بذلها جلالة الملك وهو امير في سبيل تعميم الجمعيات والهيئات العلمية والانسانية النافعة وفي مقدمتها مساعيه التي كللت بالنجاح وادت الى تأسيس الجامعة المصرية فنقول انهُ ماكاد جلالتهُ يرتقي العرش حتى وجه عنايتهُ الى تنظيم اعمال الجمعية الملكية الجغرافية التي انشأها ساكن الجنان والده وما فتئ سموه يرعاها باهتمامه لما كان اميراً . فعادت الى اذاعة نشراتها الدورية العلمية وطبعت مطبوعات شتى وزعت على الجمعيات الجغرافية في البلدان الاجنبية ، واستطاعت بمعونة جلالته ومعاضدته ان تطبع عدة مؤلفات قيمة كالسفر الذي اعدهُ المسيو جونديه عن ميناء السويس ، والمؤلف الذي وضعهُ عن ميناء الاسكندرية ، والاطلس التاريخي الذي عني برسمه لاظهار الادوار المختلفة التي تقلب عليها ميناء الاسكندرية منذ القدم ، وقد اهديت هذه المطبوعات الى كبار علماء الجغرافيا في الاحتفال الذي اقيم في باريس في سنة ١٩٢١ للاحتفاء بانقضاء مائة عام على تأسيس الجمعية الجغرافية الفرنسية فاثنوا على الجمعية الجغرافية المصرية ووضعوها في المنزلة الاولى بين الجمعيات الجغرافية الدولية . واشتغل المسيو ديلارونسير — وهو من كبار علماء الجغرافيا في العالم — ثلاث سنوات كاملة في وضع مؤلف يتضمن حالة القارة الافريقية من الوجهة الجغرافية في العصور الوسطى وذلك باقتراح من جلالة الملك وبتشجيع متواصل منهُ فجاء المؤلف من انفس المؤلفات وقد عرض على المؤتمر الجغرافي الدولي حين التأم في القاهرة في سنة ١٩٢٥ فنال استحساناً عاماً لم يقلَّ عنهُ الاستحسان الذي ناله كتاب المسيو جورج دوان الموظف بشركة قناة السويس وهو الكتاب الذي سماهُ « اسطول بونابرت عند شواطئ مصر » .

ولم يقصر جلالة الملك عنايتهُ على الجمعية الجغرافية بل شمل بها ايضاً معهد الاحياء المائية وهو المعهد الذي كانت فكرة انشائه قد خطرت لجلالته في سنة ١٩١٢ ولم يستطع يومئذٍ اخراجها الى حيز التنفيذ لصعاب شتى اعترضت لهُ فعكف على تذليلها واحدة فواحدة الى ان اتيح لهُ في سنة ١٩١٥ الشروع في تحقيق هذه الفكرة بصفة جدية فما حلت سنة ١٩١٧ حتى كانت جميع الاعمال التمهيدية لانشاء المعهد قد تمت فانتهز جلالتهُ

فرصة اعتلائهِ العرش في اواخر تلك السنة واصدر مرسوماً ملكيًّا في ٢٨ يناير سنة ١٩١٨ اعلن فيهِ انشاء معهد الاحياء المائية رسميًّا وشمله بالرعاية الملكية السامية

وفي سنة ١٩٢١ اضاف اليهِ جلالته بناية جديدة لتستعمل كمكتبة ومتحف للمعهد ولكي يبثّ جلالته حبّ المباحث المائية في نفوس ضباط البحرية المصرية الحق بهِ ضابطين من ضباط اليخت الملكي « المحروسة » ليشتركا في دروسهِ ومباحثهِ ويكونا صلة الاتصال بينهُ وبين زملائهما من ضباط البحرية . واخيراً عهد جلالتهُ الى البروفسور سانز الايطالي في وضع رسوم دار جديدة تشيد لهذا المعهد

وكان بديهيًّا ايضاً ان يهتم جلالة الملك برفع مستوى جمعية الاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع فهو الذي اقترح تأليفها ، وهو الذي عمل بنفسهِ على انشائها ، وهو الذي وضع اهم مبادئ البرنامج الذي تضمن الاغراض التي بعثت على تأسيسها ، فكان من نتيجة هذا الاهتمام الذي ما انقطع جلالته عن ابدائهِ نحو هذه الجمعية بعد اعتلائهِ الاريكة الملكية ان عدد اعضائها والمنتسبين اليها ما برح يزداد كل سنة . وتعنى ادارة الجمعية على الدوام باعداد محاضرات نفيسة في مختلف المسائل المتعلقة بالاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع ثم تعمد الى نشر هذه المحاضرات في مجلتها الدورية التي تصدر بانتظام باللغة الفرنسية باسم l'Egypte Contemporame وقد استطاعت في السنوات الاخيرة ان تبني لمكاتبها داراً فخمة في شارع الملكة نازلي معتمدة على هبات جلالة الملك الذي حرص على ان تعقد لجان مؤتمر الملاحة جلساتها في غرفها تعزيزاً لمنزلتها وتنويهاً بمكانتها

وليس في مصر بين المثقفين من يجهل قيمة الفائدة العلمية الجليلة التي يجنيها طلاّب العلم بوجود جمعية علمية نافعة كالجمعية الطبية المصرية التي انشئت في سنة ١٩٠٨ واستطاعت بعد زمن قصير من انشائها ان تضم اليها عدداً كبيراً من الاطباء المصريين . فلما جاءت الحرب العظمى اضطرت الجمعية ان توقف اعمالها في اثنائها ولكنها ما لبثت ان عادت الى استئناف نشاطها بعد عقد الصلح على منوال نال ارتياح جلالة الملك فتفضل في سنة ١٩٢٤ وشملها برعايتهِ واصدر مرسوماً ملكيًّا اجاز لها فيهِ ان تطلق على نفسها اسم « الجمعية الملكية الطبية المصرية » وهو نفس المسلك الذي سلكه جلالته تجاه جمعية الحشرات ، فانهُ غداة تربعهِ في دست الملك شمل هذه الجمعية برعايتهِ وعكف على تشجيعها وتعزيز مواردها وفي شهر مايو سنة ١٩٢٣ اصدر جلالتهُ مرسوماً ملكيًّا وضع فيهِ جمعية الحشرات الملكية تحت رعاية الحكومة المصرية وفحها من الهبات ما ساعدها على تشييد دار كبيرة خاصة بها الى جانب الدار التي شيدتها جمعية الاقتصاد السياسي في شارع الملكة نازلي بالعاصمة



اصل الانسان ومنشؤهُ

تاريخ اشهر الجماجم التي وجدت ودلالتها

العلاقة بين الانسان والقردة

يقف الانسان على قمة « الحاضر » ينظر منها الى الوراء والى الامام ، ليتعرف اصلهُ ومنشأهُ وليتكهن بمستقبلهِ ومصيرهِ . على ان العلوم تتفاضل في فائدتها المادية . فمنها ما لا يمكن الاستغناء عنهُ كالعلوم الطبية التي بها حفظ الصحة ودفع المرض . والعلوم الزراعية التي بها احياء الارض وتكثير غلتها. والعلوم الآلية التي بها تسهيل الاعمال وتقليل المشاق. ومنها ما فائدتهُ ادبية ترتاح لها النفس في الغالب وان كانت لا تخلو من فائدة فلسفية عملية كالبحث عن اصل الانسان وكيف وجد وفي اي زمن وهل طوائفهُ كلها من اصل واحد. واهتمام الغربيين بهذه المباحث عظيم جدًّا يجمعون لها النقود وينشئون المتاحف ويرسلون البعثات الى اقاصي الارض للبحث والتنقيب . فهل يتاح لنا يوماً ما ان ينشأ بيننا من يعنى بهذه المباحث بعض عنايتهم بها ؟

دلالة الاعضاء الأثرية

في جسم الانسان اعضاء كثيرة لا وظيفة لها الآن . ولا يستطاع تعليل وجودها تعليلاً معقولاً الاَّ اذا حسبنا ان الانسان منحدرٌ او بالحري مرتقٍ من حيوانات كانت تأوي الى اغصان الاشجار . ولكثرة هذه الاعضاء وضع الاستاذ وودورد جونز كتاباً خاصًّا بها سمَّاهُ « الانسان الشجري » حتى لقد قيل انهُ لو لم توجد الاشجار لما وجد الانسان على حالتهِ الراهنة

فاذا كان هذا الاستنتاج صحيحاً تطلعنا بحكم الطبع الى القردة العائشة الآن لنفهم حالة الاحياء المنقرضة التي تسلسلنا منها . فالعلاقة التي بين الناس والقردة لها اساس علمي ولا تعتمد على خيال بعض المفكرين فقط . على ان العلم لا يعترف قط بان القردة الحية الآن هي سلالة القردة التي نشأ منها الانسان من غير ان يطرأ عليها تغيير ما . لانهُ كما ارتقى الانسان على مرّ العصور حتى اصبح منتصب القامة هكذا ارتقت القردة فصارت اعظم براعة في تسلّق الاشجار . والاصل الحيواني العام الذي نشأ منهُ فرعا القردة والانسان لم يكن

منتصب القامة كالانسان ولا بارعاً في تسلّق الاشجار كالقردة الآن . وما يقال في هذه الصفة يقال في صفات كثيرة اخرى امتاز بها الانسان او امتازت بها القردة بعد انفصال فرعيها من اصل عام . فالعلم اذاً يشير الى اصل حيواني عام متغلغلٍ في التاريخ نشأ منهُ الانسان والقرد في خطين منفرجين يزيدان انفراجاً كلما نشأت صفات جديدة في ابناء كل فريق منهما تختلف عن صفات الفريق الآخر. والمرجح ان هذا السلف العام كان يسمى قرداً لو كان حيًّا الآن الاَّ ان تسميتهُ كذلك ليست الاَّ على سبيل التجوز لانهُ يختلف كل الاختلاف عن القردة المعاصرة

على ان الحيوانات التي انقرضت في العصور الغابرة لم يحفظ منها في طبقات الارض سوى الاجزاء الصلبة من اعضائها التي تقاوي انياب الدهر وتقاوم فعل الانحلال . لذلك يتعذر علينا ان نجد من آثار اسلاف الانسان والقردة شيئاً سوى بعض العظام والاسنان. ومن هذه الآثار يستطيع العلماء ان يستنتجوا وصف الاعضاء التي انحلّت وفنيت وان يتصوروا شكلاً عامًّا للقرد او للانسان التي وجدت آثاره

اسلاف القردة والانسان

ان ما يعرف عن القردة التي نشأ منها فرعا الانسان والقردة المعاصرة نزرٌ واقدم الآثار المعروفة بعض فكوك سفلى صغيرة وبعض انياب ضعيفة وجدت في مصر . ويليها في القدم فكوك واسنان لنوع من القردة يدعى الجيبون وسعادين حجمها قدر حجم الشمبانزي وجدت في اوربا الوسطى وفرنسا واسبانيا . ولم يوجد من هياكل هذه الحيوانات سوى عظمة واحدة هي عظمة فخذ . ثمَّ عثر على فكوك واسنان كثيرة في الهند ولكنها خاصة بانواع مختلفة من القردة . وقد وجدت حديثاً جمجمة غير تامة لحيوان حديث السن في بلدة توُنغز بجنوب افريقية . وصفات هذه الجمجمة لا تختلف اختلافاً كبيراً عن صفات قرد معاصر حديث السن . الاَّ انَّ فراغها في حالة لا تمكن الباحث من موازنة علمية دقيقة

ان مميزات الهيكل العظمي في طائفتي القردة والناس خاصة بكل نوع منها لذلك يسهل تمييز هيكل الواحد عن هيكل الآخر . ففراغ الجمجمة في القرد حيث يستقرُّ دماغهُ أصغر من فراغها في جمجمة الانسان . وعظام الوجه بالنسبة اليها اكبر في القرد منها في الانسان واكثر بروزاً . أما جمجمة الانسان فاكبر وجبهته عالية عريضة . ثانياً ترى عظم الحجاج فوق العينين في جماجم القردة اكثر بروزاً وتكاد لا ترى لبروزهِ اثراً في جبهة انسانٍ معاصر كما ترى في الصورة العليا . ثالثاً ترى عظم الذقن في القردة مرتدًّا الى الوراء والانياب كبيرة متراكبة كما تراها في فم كلب او قطة . اما في جمجمة انسان حديث فترى عظم

الذقن بارزاً والانياب غير كبيرة وتنتظم مع باقي الاسنان كأنها حبات في سمط . رابعاً في كل انواع القردة حتى نوع الجيبون تجد السلسلة الفقارية مستقيمة. اما في الانسان الحديث فهي شبيهة بحرف S وذلك لتمكن الانسان من الانتصاب . خامساً في كل انواع القردة الحيّة تجد الذراعين اطول منهما في الانسان اذا حسبت النسبة بين طول الذراعين وطول بقية الاعضاء .والابهام الاكبر في رجل القرد معدّ للمسك كالابهام في يد الانسان. سادساً ان عظمة الفخذ في القرد مقوّسة قليلاً على الغالب وعظم القصبة قصير وثخين وفقاً لمقتضيات القامة المقرفصة . أما عظمة الفخذ في الانسان الحديث فمستقيمة لانهُ منتصب القامة

فاذا كان الرأي القائل بان اصل الانسان والقرد يرجع الى اصل قردي سابق لكليهما وجب ان تكون اقدم الهياكل العظمية الانسانية التي يعثر عليها اكثر مشابهة لهياكل القردة في الامور المتقدم ذكرها من هيكل الانسان المعاصر . اي انهُ لا بدَّ لنا من ان نجد بين الاحافير حلقات مفقودة . ولكن درس آثار الحيوانات المتحجرة تدل دلالة واضحة على اننا لن نستطيع العثور على سلسلة مطردة الارتقاء من الهياكل العظمية تصل بين القرد القديم والانسان . وما ينتظر العثور عليهِ انما هو اشكال مختلفة يقترب فيها الانسان القديم في صفات مختلفة من مميزات القردة . والخلاصة ان نوع الانسان الذي يملك الارض الآن انما هو نتيجة محاولات مختلفة حاولتها الطبيعة لتخلق نوعاً من الاحياء يستطيع بدماغهِ الكبير المعقد التركيب ان يقوى ويسيطر على سائر اشكال الحياة

انسان جاوى

والصعوبة في البحث عن اصل الانسان قلة الآثار التي وجدت والتي يرجع تاريخها الى زمن قبل الزمن الذي تعلم فيهِ الناس دفن موتاهم . قبل ذلك الوقت لم يتيسر لآثار انسان ما ان تحفظ الاَّ اذا اتفق لها ان تقع في ثقب من الارض او قعر نهر او بحيرة حيث يتراكم عليها الطمي والرمل والحصى فتحفظ كذلك . وقد عثر حتى الآن على آثار عظمية لاربعة او خمسة من هؤلاء الناس الذين اتيح لهم ان تحفظ عظامهم اتفاقاً

واول هذه المكتشفات تمَّ على يد الاستاذ اوجين ديبوى سنة ١٨٩٢ في قعر نهر قديم بجزيرة جاوى ووجد معها وبقربها في طبقة الارض ذاتها آثار انواع منقرضة من الفيل ووحيد القرن وغيرهما من الحيوانات المماثلة لها التي تمتُّ بصلة القربى الى بعض الحيوانات التي لا تزال حيَّة الآن في جزائر الهند الشرقية . وأعظم قطعة عظمية وجدها الاستاذ ديبوى كانت القطعة العليا من جمجمة حجمها حجم جمجمة رجل صغير ولكن

عظم حجاجيها فوق العينين كبير شديد البروز يشبهُ حجاج القرود على انَّ آثار الدماغ في باطن الجمجمة تدل على ان صاحبها كان بشريًّا في صفتهِ الاساسية . ووجد سنَّان ليسا مثل الاسنان البشرية ولكنهما شبيهان باسنان الحيون الذي يقطن بعض غابات جاوى الآن . أما عظمة الفخذ التي وجدت فستقيمة كعظمة الفخذ في انسان معاصر ولكنها مصابة بداء من طرفها الاعلى وقد يكون صاحبها منتصب القامة. فاذا كانت كل هذه الآثار العظمية تخص شخصاً واحداً ، وهذا مرجح ، فهي تمثل نوعاً من اسلاف الانسان كان قريباً من القردة بحجاجيهِ البارزين واسنانهِ او هو يمثل جيوناً كان لهُ دماغ اكبر من ادمغة الحيون في الغالب . لذلك دعي صاحب هذه الآثار « پِتاكانثروپوس » اي « القرد الانساني » والآثار محفوظة الآن في متحف تايلر بهارلم من اعمال هولاندة

انسان هيدلبرج

وقد تمَّ الاكتشاف الثاني لآثار انسانية مطمورة في طبقات الارض يرجع تاريخها الى قبل العهد الذي تعلم فيهِ الانسان ان يدفن موتاهُ ، على ايدي الاستاذ اوتو شوتنساك الالماني سنة ١٩٠٧ في طبقة كثيفة من الرمل رسبت في قعر نهر بلدة مور قرب هيدلبرج ومن ثمَّ نسب صاحبها الى هيدلبرج . والاثر المهم الذي وجد كان فكًّا اسفل مع عظام واسنان يرجَّح انها لفيل ووحيد القرن وفرس النهر وغيرها من الحيوانات التي كانت تقطن اوربا في عصر البلستوسين . والفك كبير ضخم ومع انهُ يماثل الفكوك البشرية في اكثر مميزاتهِ الاَّ انهُ يختلف عنها في ارتداد ذقنهِ الى الوراء فيماثل في ذلك فكَّ القرد . ولكن وجدت في الفك اسنان مثل اسنان الانسان منتظمة انتظاماً حسناً وانيابها متناسبة في حجمها مع باقي الاسنان . فهذا الاثر يمثل نوعاً من الناس دعي هومو هيدلبرجنسس اي انسان هيدلبرج ولكنهُ لم يكن قد ارتقى كلَّ الارتقاء بعدُ بدليل ارتداد عظمة ذقنهِ. وهذا الفك محفوظ الآن في المتحف الجيولوجي بجامعة هيدلبرج

انسان بلتدون

ثم كشف الاستاذ تشارلس دوصن سنة ١٩١٢ عن آثار في قعر نهر قديم في بلدة بلتدون من مقاطعة صسكس الانكليزية ويعود عهدها الى عصر البلستوسين في مفتتحه . وكانت الآثار مؤلفة من قطعة من جمجمة انسان ونحو نصف فك اسفل فيهِ ضرسان وناب واحد ومعها آثار فيل وفرس نهر . اما الجمجمة فتشبه جماجم بعض الاقوام المنحطة الحية في ان عظمها كثيف ولكنها فريدة في ان بناء العظم خلوي يمكنهُ من مقاومة اللطم وتحملهِ . وهي كذلك خالية من ارتفاع عظمي الحجاجين فوق العينين فتشبه من هذا القبيل

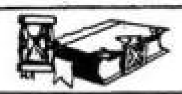
جمجمة انسان حديث وجبهتها عالية ولكن اعلى الرأس واطئ. وكذلك عظمة القفا عريضة وواطئة اما الدماغ فالمرجح انهُ كان بشريًا في مميزاتهِ واكبر من اصغر دماغ بشري معروف الآن في مقدارهِ. على ان الجمجمة على العموم غريبة والمرجح ان صاحبها كان انسانًا يختلف كلَّ الاختلاف عن الانسان الحديث. اما الفك الاسفل فضعيف ولكنهُ مستطيل يستدل منهُ على ان وجه صاحبهِ كان كبيراً وعظمة الذقن مرتدة الى الوراء تماثل تقريباً ذقن القرود كل المماثلة فهو اقرب الى القرود من ذقن انسان هيدلبرج

اما الضرس فشبيه بالاضراس البشرية ولكنهُ يفوق المعتاد في حجمها وطولها. ويستدل من مكان الناب انهُ يطبق على الناب الذي في الفك الاعلى وهذا من مميزات القرود لانهُ يساعدها على عزيق الفريسة الا انهُ يختلف شكلاً عن انياب القردة المعروفة ويشبه على الاكثر انياب الابن في الانسان الحديث. والحق يقال ان انسان بلتدون يرجع عهدهُ الى فجر الجنس الانساني ولذلك دعي ايوانثروپس اي «انسان الفجر» وهذه الآثار محفوظة في قسم الجيولوجيا بالمتحف البريطاني

جمجمتا روديسيا والجليل

وفي سنة ١٩٢٢ وجد المعدنون في روديسيا بجنوب افريقية كهفاً فيهِ كثيرٌ من عظام الحيوانات ومعها ادوات صوّانية تدلُّ على ان ذلك الكهف كان مسكناً للانسان منذ عهد غير بعيد لان الحيوانات التي وجدت عظامها هناك من انواع الحيوانات العائشة الآن او تفرق عنها قليلاً. في هذا الكهف وجدت جمجمة بشرية تكاد تكون كاملة وهي تمثل سكان افريقية الاقدمين المماثلين للذين وجدت جماجمهم في اوربا وكانوا فيها في العصر الجليدي الاخير الذي يرجح علماء الجيولوجيا انهُ كان فيها منذ خمسين الف سنة الى ثلاثين الفاً وهم المعروفون بالجنس النيندرتالي نسبة الى وادٍ ببروسيا حيث وجدت اول جمجمة وصفت من هذه الجماجم. الا ان المكان الذي وجدت فيهِ جمجمة روديسيا يبعد نحو اربعة آلاف ميل عند جنوب اوربا حيث وجدت جماجم النيندرتال. وشكلها يدلُّ على ان سكان روديسيا الاقدمين كانوا احط في السلسلة البشرية من الذين وصلوا الى اوربا لما كانت متصلة بافريقيا. الا ان الاستاذ ودورد الجيولوجي يرى ان الجنسين مختلفان كثيراً والروديسي ارقاهما

ثم وجد في رواسب منضدة في كهف تبغة قرب طبرية بالجليل القسم الامامي من جمجمة بشرية قديمة جدًا ومن مزاياها بروز حجاجي العينين وغور الجبهة كما في الشمبانزي هذا وهو يطابق طراز جماجم نيندرتل الاوربية التي لم يعثر على ما يماثلها من قبل في قارة اسيا. والمرجح ان تاريخها يرجع الى العصر الحجري القديم



السلطان محمود ومحمد علي الكبير

موازنة تاريخية بينهما

ربما عرت القارئ الدهشة لاول وهلة لاقدام تابع يحكم ولاية واحدة على مناجزة متبوع عظيم يتولى امر سلطنة مترامية الاطراف تمتد من خليج العجم شرقاً الى البحر الادرياتيك غرباً ولهُ فوق شرف الانتساب الى سلالة قامت باعباء الملك اجيالاً طوالاً عظمة الخلافة التي تنحني امامها رؤوس المسلمين في الخافقين اكباراً واجلالاً. على ان كثيرين من الاحياء يذكرون ان مثل هذه الدهشة عرت فريقاً كبيراً من الناس في اواخر القرن الماضي عند ما اقدمت اليابان على محاربة الصين وعدد اليابانيين حينئذٍ لم يتجاوز عشر عدد الصينيين. وجرى ما يقرب من ذلك في اوائل جيلنا الحاضر عند وقوع الحرب بين روسيا واليابان وقد كانت روسيا الى ذلك العهد غول اوروبا لها الموقع المنيع والجيش الذي لا يقهر. ومع هـذا فان اليابان الصغيرة فازت على جارتيها العظيمتين وكان لمزايا القوّاد وميزات الانظمة القول الفصل في تقرير مصير المتحاربين. فهذه العوامل نفسها رجحت كفة الميزان الى جانب محمد علي في نزاعهِ مع السلطان محمود

ان كلاً من التابع والمتبوع المتنافسين بذل ما في وسعهِ في سبيل الاصلاح واراد لبلاده مجاراة البلدان الغربية في نظاماتها ومباراتها في مضمار الرقي والعمران غير ان محمد علي كان امضى عزيمة من مولاه واوسع منهُ حيلة واكثر خبرة واقتداراً على تصريف الامور كما ان المصاعب التي قامت في وجه السلطان محمود لم يقم مثلها في وجه محمد علي

فالمماليك كانوا اعظم العقبات المحلية التي كان على محمد علي ان يتغلب عليها وهؤلاء المماليك كان قد هلك اكثرهم وانهكت قواهم في وقائعهم مع جيش بونابرت وبعد ذلك دبّ دبيب الشقاق بين زعمائهم وانحاز فريق منهم الى جانب محمد علي ثم مات زعيما الحزبين وانتشرت الفوضى في صفوفهما فهان امرهم على محمد علي. وحيث رأى ان لا امان عليهِ من مكايدهم عزم على البطش بهم والقضاء عليهم جميعاً دفعة واحدة. فدعاهم الى حضور حفلة في قلعة الجبل في اول اذار (مارس) سنة ١٨١١ ودبر من اغتيالهم كما هو مشهور ولم تبقَ بازائهِ في مصر قوة يخشى معارضتها لان الشعب المصري لين العريكة مطواع لحكامهِ كما انهُ كان قد استعدَّ بعض الاستعداد لتبدُّل الاحكام في اثناء اقامة الحملة الفرنساوية في مصر

ووجد في حكومة محمد علي من الانتظام مالم يجد مثله في عهد المماليك . ثم ان البلاد المصرية ضيقة النطاق منبسطة الارض سهلة المسالك ولها من النيل خير وسيلة لتقريب المواصلات بين عاصمة البلاد وقواعد اقاليمها كما ان الارتباط بين ولي الامر وحكام الاقاليم كان وثيقاً واوامره نافذة وفي كل ذلك ما يحول دون نشوب الثورات ويسهل قمع اي انتقاض على سلطة الحكومة قبل استفحال امره

تولى محمد علي الحكم في مصر سنة ١٨٠٥ فلما عوَّل على غزو سوريا في سنة ١٨٣١ كان قد وطد اركان الامن والاصلاح في بلاده فنظم الادارات الملكية والعسكرية وانشأ المدارس والمصانع وكانت جيوشهُ قد خاضت حروب الفتح والتأديب في بلاد العرب والسودان وابلت احسن بلاء في مقاتلة ثوار اليونان في المورة وكريت ونالت في جميع هذه الحروب انتصارات باهرة فبعد صيت محمد علي وزادت شهرة قواد جيشهِ وثبت ما للجنود المنظمة من المزايا على الجنود غير المنظمة

اما السلطان محمود فارتقى الى عرش السلطنة في سنة ١٨٠٨ وادارة البلاد وجنديتها في حالة فوضى وسلطتهُ اسمية في الاقاليم البعيدة لانتشار النظام الاقطاعي وتغلب حكام الولايات القاصية كمصر وسوريا وبغداد والبانيا وغيرها ونمو الروح القومية ما بين الرعايا المسيحيين في اليونان وولايات البلقان الذين كانوا يلاقون معاونة وتشجيعاً من الدول والشعوب الاوروبية فهذه الاحوال القلقة في مختلف انحاء السلطنة مع الاخطار الدائمة التي كانت تهدده من جهة الروسية جعلت مهمتهُ الاولى تقوية السلطنة المركزية باخضاع العناصر المشاغبة . فنجح في قهر كثيرين من الولاة العصاة وارباب الاقطاعات واستعصى عليهِ اخضاع الباقين كثوار اليونان ومحمد علي فكان لهُ في كل ذلك وفي حروبهِ مع الروسية ما يحول دون

هذا فصل من كتاب نفيس موضوعه «ابرهيم باشا في سورية» وهو يدل على موضوعه اي فتح سوريا على يد ابرهيم باشا وقيام حكومة محمد علي فيها . وفيه فصول خاصة وبحث مستفيض في ترجمة محمد علي . وطموحه الى التوسع والاستيلاء على سوريا . والتمهيد لغزوة سوريا . واسباب الحملة عليها وحالة تركيا وسوريا عند حصول الغزوة . وتفاصيل وافية عن الوقائع من حصار عكا الى معركة قونية ثم موقعة نزب الشهيرة وبيان عن حكومة محمد علي في سوريا وترتيباتها الادارية والقضائية والمالية — والثورات التي عقبتها . وتتخلل الكتاب فصول سياسية عن تدخل الدول الاوروبية في اثناء النزاع بين السلطان محمود ومحمد علي واظهار رأي كل واحدة منها . ثم تدخلها عسكرياً وانسحاب ابرهيم باشا من سوريا الخ وهو تحت الطبع

الاصلاح الذي كان ينشدهُ ويستنزف اموال الدولة ويضعف جنديتها. على ان ذلك لم يزده اقتناعاً بوجوب الاسراع في اصلاح طرق الحكم وادخال الانظمة الاوربية في الادارات الملكية والعسكرية لكن كان له من مصاف الانكشارية خصم عنيد وخصومة الانكشارية حينئذٍ كانت شديدة الخطر لانهم بعد ان كانوا في ما مضى جيش الدولة الدائم ومصدر قوتها وحاملي رايات النصر من قطر الى قطر كثر عدد الرعاع في صفوفهم وضعفت فيهم الروح العسكرية وارتخت روابط النظام فصاروا ثورة فساد ومصدر اضطراب وخطراً دائماً على السلطان ووزرائهِ ورعاياه يتدخلون في مختلف شؤون المملكة ويقاومون كل اصلاح بقوة السلاح وكانوا يسومون الاهلين صنوف العذاب وليس في الدولة قوة تردعهم فاصبحوا ولهم الامر المطاع حتى اذا ما قاموا بمظاهرة ضد الحكومة نفسها شاركهم الاهلون في ذلك مكرهين بدون ان يعرفوا سبب التظاهر . ومن غرائب اعمالهم انهم حاولوا مرة ان يرفعوا الى كرسي الحكم على احدى الولايات حلاقاً من عامة الناس لمجرد كونهِ صديقاً لهم . فجندية هذا شأنها لم تبق ذات قيمة حربية بازاء الجندية الاوربية التي كانت تتقدم في التنظيم العسكري تقدماً سريعاً . وكان السلطان سليم الثالث قد شرع في تنظيم جيش جديد على النمط الاوروبي فاسخط الانكشارية عمله فثاروا عليهِ وخلعوه ثم قتلوه وبقيت هذه حالتهم من التمرد والاستبداد الى عهد ابن عمهِ السلطان محمود فصمم على التخلص منهم لكنهُ تريث الى ان ضج العلماء والوزراء وعامة الشعب من طغيانهم والتفوا حوله للانتقام منهم . وكان قد اتم تدريب وتسليح فرق من رجال المدفعية على الطراز الجديد فتألبت جميع الطبقات على الانكشارية وبطشوا بهم في سنة ١٨٢٦ . وكانت ثورة اليونان حينئذٍ حامية الوطيس وتخللها تدخل الدول الاوربية تدخلاً عسكريًّا وتلتها الحرب مع الروسية فاودت بالبقية الباقية لدى السلطان من المال والرجال فحق لهُ ان يقول عندئذٍ

ولو كان همٌّ واحدٌ لاحتملتهُ ولكنهُ همٌّ وثانٍ وثالثُ

بل واكثر من ذلك لان العقبات السابق ذكرها على خطورتها لم تقم وحدها في سبيل الاصلاح . بل ان العلماء وهم حفظة الدين والمتسلطون على عقول جموع العامة الساذجة كانوا يقاومون الاصلاح لاعتقادهم ان كل جديد بدعة وجاراهم في ذلك جيش الموظفين الجرَّار وبينهم اكثر الوزراء وحكام الاقاليم وكبار القوَّاد فهؤلاء كانوا يحسبون ان في ادخال الانظمة الاوربية ضرراً بمصالحهم الشخصية وانقادت عامة الشعب اليهم والى

العلماء فاعتبرت التجدد كفراً وقاومته أشد المقاومة . نعم ان السلطان محمود قام ببعض الاصلاحات لكن لم يظهر منها للعيان الاّ ما كان سطحيًّا كتغيير ازياء الموظفين ورجال الجيش اما غير ذلك فنظراً الى اتساع نطاق السلطنة وصعوبة مواصلاتها ذهب كقطرة في بحر . كما ان قيادة الجيش العليا والمناصب الرفيعة في الولايات بقيت في ايدي رجال العهد القديم الذين لو شاءوا تنفيذ الاصلاح لما استطاعوا ذلك لجهلهم طرقه وعدم وجود مأمورين في دوائر حكمهم عارفين بالنظام الجديد . وكانت الحكومة المركزية ضعيفة بازاء الشعب ورجال الدين ومن الامثلة على ذلك أن حكومة الاستانة شاءت تسمية شوارع العاصمة ووضع الارقام على منازلها لكنها احجمت عن اجراء ذلك خوفاً من ثورة الاهالي عليها وشاء السلطان محمود ان يستخدم لتعليم ولي العهد استاذاً فرنسويًّا واسع الاطلاع على اللغات الشرقية غير ان المفتي رأى عدم جواز ذلك فاضطر السلطان الى الرجوع عن عزمهِ ولزيادة ايضاح رأي عامة العثمانيين في السلطان محمود واصلاحاتهِ نورد خلاصة حديث لرحالة اوربي مع احد اغاوات الاناضول . قال صاحب الحديث ما خلاصته : ساقني الحديث مع آغا « دركلاداغ » الى الكلام عن ملابس السلطان محمود فسألني هل كنت متأكداً من ان السلطان يرتدي ملابس الكفار فاجبتهُ بالايجاب وقلت لهُ ان ذلك غير محصور في السلطان وحدهُ بل ان رجال جيشه وجميع المسلمين الداخلين في خدمة حكومتهِ يرتدون الملابس الافرنجية . فقال الاغا : « ان محمود الثاني مجنون لا يفكّر في مستقبل امتهِ . ان رجوع مياه قيزل إيرمق (النهر الاحمر) صعوداً الى منبعها لايسر من حمل العثمانيين على احتذاء مثال الغربيين — انهُ يريد تجديد السلطنة العثمانية لكن ألم ترَ انهُ منذ شروعهِ في التجديد المزعوم لم يكن نصيب السلطنة سوى الضعف والفشل ؟ ان تركيا الجديدة تركيا ذات الاصلاح قد غلبها على امرها ثائر من رعاياها ! ففي اي زمان من تاريخنا بلغ السلطان من الضعف مبلغاً اعجزه عن تأديب تابع ثائر ؟ ان محموداً سليل عثمان ووارث الخلفاء سلطان السلاطين وخاقان الخواقين مانح التيجان المسيطر على البحرين الابيض والاسود ومالك بر آسيا والبلاد العربية وافريقيا واوربا اخا الشمس وابا النجوم وابن عم القمر وظل الله الظليل على الارض . ان محموداً هذا خاف ان يسحقهُ ذلك الباشا المقدام الجالس على ضفاف النيل فاستغاث بالروسية لتحميهِ من محمد علي . وما ادراك ماذا ستجرّ هذه الحماية من الويل على البلاد ؟ فمن ذا الذي يجهل مطامع المسكوب في سلطنة آل عثمان ؟ فوا أسفي على هذه السلطنة التاعسة الجد . ان المصائب تهددها بينما حكامها لا يدركون الخطر

المحدق بها . وقد روى صاحب هذا الحديث انهُ سمع مراراً عديدة في اثناء تجواله في الاناضول مثل الآراء التي ابداها آغا درّكلا داغ

***

ولا بد من ذكر عامل آخر كان من اشد العوامل في نجاح محمد علي واخفاق السلطان محمود وهو اعوان كل منهما . فقد كان اكبر اعوان محمد علي اولاده واحفاده وانسباؤه وابناء جلدتهِ او غيرهم من الذين نشأوا تحت حكمهِ او ممن احسن اختيارهم من الافرنج والارمن والسوريين . فكل واحد من هؤلاء عرف ما فُطر عليهِ محمد علي من حب التوفيق في العمل والسهر على تنفيذ الاوامر والاحكام وتحقق ايضاً ان في البلاد ارادة واحدة طاعتها غنم ومخالفتها غرم وهذه الارادة هي ارادة محمد علي فعمل كل في دائرتهِ على تنفيذ مشيئة مولاه بدون تردد ولا ابطاء ووجدوا بالاختبار ان في إنجاح مشروعات مولاهم سعادة لهم لانهُ كان يغمر رجاله المصلحين بانعامهِ فكثيرون منهم صاروا من اصحاب المقامات الرفيعة والثروات الطائلة بما نالوه من المكافآت على اخلاصهم في الخدمة والنجاح في الاعمال التي قاموا بها . ففي هذا التضافر على تنفيذ مشيئة محمد علي في الاصلاح كان السر الاعظم في تكلل مساعيهِ بالنجاح . اما السلطان محمود فلم يسعده الحظ باعوان كاعوان محمد علي مع انهُ لم يكن اقل منهُ حباً بالاصلاح واهتماماً بهِ ورغبة في رفع مقام شعبهِ الى مستوى الشعوب الراقية . لكن حب الاصلاح شيء وتنفيذه شيء آخر . وانّى للسلطان محمود ان ينفذ مشيئتهُ وهو عاجز عن اختيار استاذ قدير لتعليم ابنهِ في وسط قصره . او كيف يستطيع القيام بتجديد واسع النطاق في سلطنتهِ مادامت حكومتهُ في حالة من الضعف تمنعها من تسمية شوارع العاصمة وتمييز منازلها خوفاً من ثورة الاهالي عليها . وقد قال اللورد بونسونبي (Ponsonby) سفير انكلترا في الاستانة عن السلطان محمود انهُ كان حسن القصد شديد الرغبة في اصلاح بلاده لكنهُ لم يجد حوله من يستعين بهِ على انجاز الاعمال الاصلاحية التي كان راغباً في القيام بها

ان هذه الامور وامثالها كانت معروفة لدى محمد علي معرفة تامة لانهُ كان واقفاً على احوال السلطنة العثمانية مطلعاً على ما اصابها من التضعضع والاختلال ولهذا اقدم على محاربتها وهو غير هياب ولا وجِل

بيروت سليمان ابو عز الدين

تاريخ المسكرات عند العرب

واقوال شعرائهم فيها

من تصفح كتب متن العربية رآها اغنى اللغات باسماء الخمور واوصافها واستدلَّ من ذلك على ان العرب كانوا من اشد الناس معاقرة للخمر ومن امهرهم تفنُّناً في استخراجها وتعليلها فانهم كانوا يستخرجونها من العنب والشعير والذرة والقمح والزبيب والتمر والبسر والكشوث والاثمار على انواعها اي من كل ما يختمر كأنَّهم كانوا يستخرجون السوائل من هذه المواد ويغلونها ويبقونها الى حين الحاجة اليها فاذا حفظت من الاختمار شربوها شراباً حلواً والاَّ شربوها خمراً. وكانوا يطيبون الخمر بالافاويه ويعتقونها ويبردونها ويغلونها حتى يذهب نصفها او ثلثاها . والادلة قاطعة على ذلك كلهِ في كلمات اللغة وهي اثبت تاريخ وادلُّ دليل فنها قولهم الصهباء وتفسيرهم اياها « بالخمر المعصور من العنب الابيض » وقولهم ابنة الكرم وابنة العنب ونحو ذلك مما يدلُّ دلالة واضحة على انهم كانوا يعصرونها من العنب ولعلهُ كان كثيراً في البلاد التي احتلوها من العراق الى البتراء وهي الآن قفار جرداء

ومنها قولهم الغبيراء وتفسيرهم اياها بخمر الشعير والذرة ومنهُ قول الحريري

وزارعاً ذرة حتى اذا حصدت   صارت غبيراء يهواها اخو الطرب

وقولهم الكسيس وتفسيرهم اياهُ بنبيذ التمر وفي ذلك يقول العباس ابن مرداس

فان تسقَ من اعناب وجّ فاننا   لنا العين تجري من كسيس ومن خمر

وقال ابو حنيفة الكسيس شراب يتخذ من الذرة والشعير

وقولهم البتع وتفسيرهم اياهُ بنبيذ العسل . وفي الحديث سئل النبي عن البتع فقال كلُّ شراب اسكر فهو حرام. وعن ابي موسى الاشعري انهُ خطب فقال خمر المدينة من البسر والتمر. وخمر اهل فارس من العنب. وخمر اهل اليمن البتع وهو من العسل. وخمر الحبش السكركة

وقولهم السكَر وتفسيرهم اياهُ بالشراب المتخذ من التمر والكشوث . قال ابو حنيفة السكر يتخذ من التمر والكشوث يطرحان سافاً سافاً ويصب عليهِ الماء

ونقل صاحب التاج ان عمر فسر الانبذة فقال البتع نبيذ العسل والجعة نبيذ الشعير والمزر من الذرة والسكر من التمر والخمر من العنب . ويسمون الشراب المطيب بالافاويه

مطيباً او مفوهاً والذي ذهب ثلثاه مثلثاً والذي ذهب نصفهُ نصفاً

وكانوا يصفون الخمر بالمروقة والصافية ومنهُ قول ابي نواس

قامت بابريقها والليل معتكر فلاح من وجهها في البيت لألاءُ
وارسلت من فم الابريق صافية كأنما اخذها للعقل إغفاءُ
رقت عن الماء حتى ما يلائمها لطافةً وخفى عن شكلها الماءُ

ويجلبونها من بابل وقرطبل وغيرها من شاسع الاقطار قال ابن سناء الملك

شهدتُ بان الشهد والمسك ريقهُ وما كنت لو لم اختبرهُ لاشهدا
وان السلاف البابلية لحظهُ والاَّ سلوا انسانهُ كيف عربدا

وقال المتنبي

سقتني بها القُطْرُبُّليُّ مليحة على كاذب من وعدها ضوءِ صادقِ

ويديمونها في دنانها حتى تصفو وتعتق ومن ذلك سميت بالمدام قال ابن المعتز

اهلاً بفطر قد انار هلالهُ فالآن فاغدُ الى المدام وبكّرِ

وبالمدامة قال عنترة العبسي

ولقد شربت من المدامة بعد ما ركد الهواجر بالمشوف المعلَمِ
بزجاجة صفراء ذات اسرَّة قُرنت بازهر في الشمال مفدَّمِ

وبالمعتقة وهي التي عتقت دهراً طويلاً ومنهُ قول ابي نواس

معتقة صاغ المزاج لرأسها اكاليل درّ ما لناظمها سلكُ
جرت حركات الدهر فوق سكونها فذابت كذوب التبر اصلحهُ السبكُ

وروَّقوها حتى تصفو ويزول عكرها ومنهُ قول العمري

يدير محياهُ على كل ناظر باقداح احداق مداماً مروَّقا

ولا نطيل الكلام في هذا المعنى لان ما ذكرناهُ منهُ كافٍ للدلالة على ما قدمناهُ وهو ان العرب كانوا يعرفون انواعاً مختلفة من الانبذة وكانوا يعللونها ويشربونها قبل الاسلام وبعدهُ. ولما جاء الشرع الاسلامي حرَّم الخمر مطلقاً وقال انها والازلام والميسر رجس من عمل الشيطان لكن العلماء اختلفوا في اطلاق تحريمها قال ابن الرومي

اباح العراقيُّ النبيذ وشربهُ وقال حرامان المدامة والسكرُ
وقال الحجازيُّ الشرابان واحد فحلت لنا بين اختلافهما الخمرُ
سآخذ من قوليهما طرفيهما واشربها لا فارق الوازرَ الوزرُ

وجاء في كتاب المحاضرات للراغب الاصفهاني ان الحسين بن موسى استحضر ابن

عياش ابن ادريس فسألهما عن النبيذ فقال ابن عياش حلال وقال ابن ادريس حرام فقال ابن عياش ادركنا ابناء الصحابة والتابعين بهذه المدة يشربونها في الولائم حلا كانت او حراماً وبكاؤنا على الدين اشدُّ من بكائنا على النبيذ

وليس من غرضنا الخوض في هذا الموضوع وانما نقول ان تاريخ الخلفاء من بني اميَّة وبني العباس واكثر الذين جاءوا بعدهم يدل على ان الناس عامتهم وخاصتهم لم يرتدعوا عن المسكر . فقد جاء في المحاضرات ان الوليد كان يشرب يوماً ويدع يوماً وسليمان يشرب في كل ليلة وهشاماً يسكر في كل جمعة ويزيد بن الوليد يدمن الشرب فكان دهرهُ بين سكر وخمار . وكان المنصور يشرب عشيَّة الثلاثاوات والمأمون يشرب الثلاثاء والمعتصم لا يشرب الخميس ولا الجمعة . وكان ابن المعتز لا يشرب الاَّ قليلا ويقول الليل امتع لا يطرقك فيهِ خبر قاطع ولا سبب مانع والنهار ابرص لا يتم فيهِ سرور . وقال بشار

ما نام واشٍ وغاب ذو حسدٍ فاشرب هنيئاً خلا لك الجو

واكثر ابن المعتز من ذكر الشراب في اشعارهِ ومن قولهِ فيهِ

اشرب عقاراً كانها قبسٌ قد سبك الدهر تبرها فصفا
يدي لثام الابريق من دمها كأنهُ راعف وما رعفا

ومنهُ

أيا عاذلي هلاَّ اشتغلت بسامعٍ كما انا مشغول بكاسٍ عن العذلِ

وكان العلماء والفضلاء ينهون عنها ويشددون الملامة على شاربها وذلك يدل على تهافت الناس عليها والاَّ لم يكن الى اللوم سبيل . قيل حضر نصيب عند عبد الملك ابن مروان فدعاهُ الى الشراب فقال اني لم اصل اليك بنفسي ولا بحسن صورتي وانما قربت منك بعقلي فان رأى الامير ان لا يحول بيني وبينهُ فعل وقيل للعباس ابن مرداس لو شربت النبيذ لازددت جرأة فقال ما كنت لاصبح سيد قومي وامسي سفيههم وادخل جوفي ما يحول بيني وبين عقلي

وقال الوليد للحجاج هل لك في الشراب فقال « لا يا امير المؤمنين وليس بحرام ما احللتَهُ ولكني امنع اهل عملي منهُ واخاف ان اخالف قول العبد الصالح وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنهُ » . وسأل الخليفة المنصور ابا بكر الهذلي عن النبيذ فقال تمادت فيهِ السفهاء حتى كرهتهُ العلماء . وقال الخليفة المأمون اشرب النبيذ ما استبشعتهُ فاذا استطبتهُ فدعهُ . ولما وقع الخلاف بين الامين والمأمون كان المأمون يخطب بخراسان بمساوىء الامين ويقول في مساوئهِ وما ظنكم بخليفة يقتني شاعراً ينشد بحضرتهِ جهاراً نهاراً في مجلسهِ هذا القول

ألا فاسقني خمراً وقلْ لي هي الخمرُ ولا تسقني سرًّا اذا امكن الجهرُ

ولقد فتحنا كتاب حلبة الكيت لشمس الدين محمد بن الحسن النواجي عند كتابة هذه السطور فاذا هو مشحون بما تحمرُّ منهُ وجنة الادب ويندى لهُ جبين الفضل. من ذلك ما روي عن حمَّاد الراوية قال «كنت محبًّا للوليد بن عبد الملك فلما تولى اخوهُ يزيد الخلافة هربت الى الكوفة فبينما انا في المسجد الاعظم اذ اتاني رسول محمد بن يوسف الثقفي وقال اجب الامير فدخلت عليهِ فقال ورد كتاب امير المؤمنين بحملك اليهِ وبالباب نجيبان فاركب احدهما ودفع اليَّ كيساً فيهِ الف دينار وقال هذه نفقة لمنزلك فدخلت دمشق في اليوم الثامن ودخلت عليهِ فاذا هو جالس في دار مبلطة بالرخام الاحمر وفيها سرادق خز احمر في وسطهِ قبة حمراء من خز وفرشها وكلا فيها من خز احمر وعلى رأسهِ جاريتان عليهما ثياب حمر بيد كل واحدة ابريق وفي يد واحدة نبيذ احمر والاخرى نبيذ ابيض فلما واجهتهُ سلمت عليهِ بالخلافة فرد عليَّ وقال ادنُ يا حماد اندري فيمَ بعثت اليك قلت لا قال في بيت شعر ذهب عني اولهُ فقلت من اي عروض وقافية قال لا ادري الاَّ انهُ بيت فيهِ ابريق فقلت في نفسي ان نفعتني الرواية يوماً فالآن وفكرت ساعة ثم قلت نعم يا امير المؤمنين لعلهُ في قول تبع اليماني

بكر العاذلون في وضح الصبح يقولون لي اما تستفيقُ
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موثوقُ
لست ادري اذ كثروا العذل فيها اعدوٌّ يلومني ام صديقُ
ثم نادوا الى الصبوح فقامت قينة في يمينها ابريق

فصاح يزيد وقال هو والله الشعر بعينهِ وشرب وقال يا جارية اسقهِ فسقتني كاساً اذهب ثلث عقلي ثم استعاد الشعر وشرب وقال اسقهِ فسقتني الكاس الثانية ولما شربت ذهب ثلث عقلي الثاني ثم استعاد مني الشعر وشرب وقال يا جارية اسقهِ فقلت قد ذهب ثلثا عقلي يا امير المؤمنين فقال سل حاجتك قبل ان يذهب الثلث الآخر فقلت احدى الجاريتين قال هما لك وما عليهما ومائة الف درهم يحسن بها سيرك ثم ناولتني الجارية كاساً فشربتها ونهضت وقد ذهب عقلي فعدت الى دار الضيافة فانتبهت آخر الليل واذ بشمع يوقد والجاريتان ترصان الامتعة والبغال تحمل مالهما من اثاث وغيرهِ واصبحت وقد قبضت المال وانصرفت وانا ايسر اهل الكوفة

ومنهُ ان الخليفة هرون الرشيد قال للفضل بن يحيى بلغني انهُ قدم اسمعيل بن صالح وانا اريد ان اراهُ قال يا سيدي اخوهُ عبد الملك في حبسك وقد نهاهُ ان يمضي الى احد قال

فاني اتعال حتى يأتيني عائداً فقال الفضل لاسمعيل الا تعود امير المؤمنين قال بلى فمضى بهِ اليهِ وكان اخوهُ قد وجه اليهِ انهم انما يريدونك لتشرب معهم وتغني لهم فان فعلت فما انت اخي فلما دخل على الرشيد رفعهُ واكرمهُ وقال اني وجدت بك راحة واشتهيت الطعام فقدمت المائدة فاكلوا ووصف الطبيب اقداح الشرب فقال الرشيد والله ما شربنا حتى يشرب اسمعيل فقال لهُ اتقِ الله يا سيدي فان عليَّ يميناً ان لا افعل شيئاً من ذلك فقال لا بدَّ من الشرب فشرب ثلاثة اقداح وسقاهُ مثلها ثم مدت ستارة وخرج بعض الجواري يضربن وبعض يغنين فطرب الرشيد واسمعيل وتناول الرشيد عوداً ووضعهُ في حجر اسمعيل وكان في يد الرشيد سبحة فيها عشر قطع اشتراها بثلاثين الف دينار فوضع السبحة في عنق العود وقال غنِّ وكفر عن يمينك بثمن هذه السبحة فاندفع اسمعيل يغني ويقول

لعمرك ما اهويت كفي لريبة ولا حملتني نحو فاحشة رجلي

ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي

واعلم اني لم تصبني مصيبة من الدهر الا قد اصابت فتى قبلي

فطرب الرشيد وقال الرع يا غلام فعقد لهُ لواءه على مصر قال اسمعيل فوليتها سنتين واوسعتها عدلاً وانصرفت منها بخمسمائة الف دينار

وفي ذلك كلهِ ادلة قاطعة على ان الامراء والعظماء كانوا يشربون الخمر ولا ينتهون بنهي الشرع

وتواريخ العرب مشحونة بوصف الشراب ومجالسهِ وندمانهِ ودواوينهم مملوءة بالاشعار الخمرية مما ابدع فيهِ الشعراء بوصف الخمر وآنيتها الى ما ارتكبوا فيهِ مما لا تقدم عليهِ امة مؤدبة بآداب شرع شريف كالامة العربية. ولا يختص ذلك بالمتهتكين من الشعراء كابي نواس بل هو شامل لسراة القوم كعبدالله بن جدعان وحسّان بن ثابت (قبل الاسلام) وامير المؤمنين ابن المعتز وصفي الدين الحلي وابن السماك وغيرهم

ولم تكن معاقرة الخمرة قاصرة على اهل المشرق بل شاعت عند اهل المغرب ايضاً ويظهر لنا ان هؤلاء اقبلوا عليها اكثر من اقبال اهل المشرق

اخذنا كتاب نفح الطيب لنذكر منهُ بعض الشواهد على ما تقدم فوقع في يدنا الجزء الثاني منهُ ففتحناهُ فانفتح عند الصفحة ١٦٥ وفيها ابيات يقول ناظمها

افدي اسماء من نديم ملازم للكؤوس راتبْ

قد عجبوا في السهاد منها وهي لعمري من العجائبْ

قالوا الرقاد عنها فقلت لا ترقد الكواكبْ

وقصة هذه الابيات على ما في نفح الطيب ان اباعامر ابن شهيد حضر ليلة عند الحاجب ابي عامر بن المظفر بقرطبة فقامت تسقيهم وصيفة صغيرة ولم تزل تسهر في خدمتهم الى ان همَّ جند الليل بالانهزام وكانت تسمى اسماء فعجب الحاضرون من مكابدتها السهر طول ليلتها على صغر سنها فسأله المظفر وصفها فصنع هذه الابيات ارتجالاً . ويتضح من ذلك انهم كانوا يشربون الراح من المساء الى الصباح . غفر الله لهم

وفي الصفحة التالية ان الوزير ابا العلاء دخل على الامير عبد الملك رزين في مجلس انس وبين يديهِ ساقٍ يسقي خمرين من كاسهِ ولحظهِ ويبدي درين من حبابهِ ولفظهِ

وفي الصفحة التالية ان عبد الله بن عاصم صاحب الشرطة بقرطبة دخل على الامير محمد ابن عبد الرحمن الاموي ملك الاندلس وبين يديهِ غلام حسن المحاسن فقال الامير يا ابن عاصم ما يصلح في يومنا هذا فقال عقار ينقد الدنان ويؤنس الغزلان فاستضحك الامير ثم امر بمراتب الغناء وآلات الصهباء

فقلبنا صفحات قليلة فاذا نحن بنونية ذي الوزارتين بن زيدون في ولاّدة بنت المستكفي الاموي وقد ابدى فيها من الوجد والحنين ما يعذرهُ عليهِ الشعراء الى ان قال

نأسى عليكِ اذا حثت مشعشعة فينا الشمولُ وغنانا مغنينا
لا اكؤس الراح تبدي من شمائلنا سيما ارتياح ولا الاوتار تلهينا

فوقفنا عند هذا الحد ولم نزد خوف الاطالة على غير طائل ورجعنا عن كتب اللغة والادب واثقين ان الذين كانت بيوتهم عامرة بالجواري والوصائف لم يكونوا يمتنعون عن الراح وان ذوي السعة منهم كانوا يشربونها ويقولون فيها ما قالهُ عبد الله بن جدعان

شربت الخمر حتى قال صحبي الستَ عن السفاه بمستفيقِ
وحتى ما اوسد في مبيت انام بهِ سوى الترب السحيق
وحتى أُغلقَ الحانوت دوني وآنست الهوان من الصديق

ويصفونها لاخوانهم كما وصفها الصفي الحلي بقولهِ

خذ فرصة اللذات قبل فواتها واذا دعتك الى المدام فواتها
واذا ذكرت التائبين عن الطلى لا تنسَ حسرتهم على اوقاتها

لكن جمهور العمال والمسترزقين لم يكونوا على دين ملوكهم من هذا القبيل ويقيننا ان العلماء الفضلاء كانوا يتجنبونها ولذلك لم يبلغ الناس من معاقرة الخمرة في ممالك العرب ما بلغوهُ في ممالك الروم ولا في ممالك الافرنج

وسائل النقل والتلغرافات والتلفونات

في القطر المصري

لحضرة صاحب المعالي عبد الحميد سليمان باشا وزير المواصلات

٢

(٥) التلغراف والتلفون

اما مصلحة التلغراف والتلفون (وفيها قسم للتلغراف « اللاسلكي ») فهي جزء من ادارة السكك الحديدية الاميرية ويشرف عليها « مفتش عام » هو مسؤول عن الادارة كلها الى المدير العام . ولقد كانت مصلحة التلغرافات في مصر مرتبطة دائماً ارتباطاً وثيقاً بالسكك الحديدية الاميرية . فاقسام السكك الحديدية المختلفة تقوم باعمال شتى لمصلحة التلغراف تتعلق بالشؤون القضائية والطبية والحسابية وغيرها . ومصلحة التلغراف تقوم بدورها بارسال جميع التلغرافات التي تحتاج اليها ادارة السكك الحديدية . وتتم تصفية الحساب المتبادل بين هاتين المصلحتين بتعيين مبالغ (اعتمادات) خاصة في الميزانية السنوية اما في المحطات الصغرى فيقوم عمال مصلحة السكك الحديدية باعمال مكاتب التلغراف

واجور التلغراف في مصر معتدلة جداً واقلّ اجرة تتقاضاها المصلحة هي قرشان اميريان عن الكلمات الست الاولى مع اضافة نصف قرش عن كل كلمة اضافية تزيد على ذلك اما فيما يتعلق بالتلغرافات الخارجية فالبلاد مقسومة الى منطقتين وفي كل منطقة تجبى ضريبة تعادل خمسة عشر سنتيما ذهباً عن كل كلمة اعتيادية . وجميع خطوط التلغرافات الاميرية تستعمل لنقل التلغرافات باللغة العربية واللغات الاوربية وهي تستعمل رموز مورس مع بعض التوسع فيها باستعمال رموز للحروف العربية التي لا يوجد ما يماثلها في اللغات الاوربية واذا استثنينا جهاز هويتستون السريع وجدنا ان مصر لا تستطيع ان تستخدم في الوقت الحاضر نظام التلغراف الاوتوماتيكي المعروف بالخماسي وهنالك اجهزة مزدوجة لارسال التلغرافات البعيدة المدى وهي تتصل بالخرطوم ويافا والقدس وبيروت

وقد عقدت مصر مع شركة تلغرافات الايسترن طائفة من الاتفاقات منحت بموجبها حق امتلاك الخطوط التلغرافية التي تصل مصر بالخارج للشركة المذكورة . وتأخذ الحكومة

مقابل ذلك جعلاً معيناً عن جميع التلغرافات التي تنقلها الشركة على خطوطها الخاصة وعن التلغرافات التي تنقلها بالاشتراك. وقد منحت الحكومة شركة ماركوني اذناً بانشاء المواصلات اللاسلكية مع البلاد الاجنبية بشروط شبيهة بشروط الامتياز الممنوح لشركة الايسترن. ولشركة ماركوني هذه محطة في ابي زعبل للتلغرافات الصادرة واخرى في المعادي للتلغرافات الواردة

واذا نظرنا الى نظام التلغراف الدولي وجدنا مركز مصر على اعظم ما يكون من الشأن لان مصر نقطة الاتصال بين الشرق والغرب وقد افادت الاجهزة التي انشأتها شركة تلغرافات الايسترن في مصر وفي غير مصر في تسهيل نقل التلغرافات والاسراع بها . ولا حاجة الى شرح ما لمحطة تلغرافات الاسكندرية من الشأن للملاحة . على ان هذه المحطة ليست مقصورة على الشؤون البحرية فقط بل تتناول البر ايضاً. وامام الحكومة الآن عدة مهام (مشروعات) خاصة باستخدام النظام اللاسلكي في داخلية البلاد

اما في مصلحة التلفون فان الهمة تبذل لادخال احدث وجوه التحسين واستعمال افضل العدد والآلات . من ذلك تشييد ابنية جديدة في عدة مواضع . ولن تمرَّ مدة طويلة حتى يعم التلفون الاوتوماتيكي مدن القاهرة والاسكندرية وبور سعيد والسويس والمنصورة . وقد طلب من بعض الشركات الاجنبية تقديم بعض الآلات المطلوبة . اما طنطا وغيرها من المدن الكبرى فستجهز بتلفون من النوع المعروف « بذي البطارية المركزية » . وسيمدُّ خط تحت الارض للمخاطبات التلفونية بين مصر والاسكندرية ويكون هذا الخط تسعة وستين فرعاً . وقد انشئت الصلات التلفونية بين مصر وبعض مدن فلسطين . والوزارة تبحث الآن جديًّا في وصل مصر باوربا بالتلفون اللاسلكي . ولا يخفى ان تنفيذ برنامج كهذا يقتضي نفقات عظيمة جدًّا . وقد انفق في سنة ١٩٢٧ — ١٩٢٨ مبلغ ٩٩٧٠٠ جنيه مصري على ان هذا المبلغ سيزيد في السنين المقبلة الى ان تنجز اهم اجزاء هذا البرنامج

(٦) ادارة البريد

اما ادارة البريد فهي جزء من وزارة المواصلات ويرجع الفضل في انشائها الى محمد علي الكبير فانهُ انشأ في اول الامر مصلحة لنقل الرسائل الاميرية ثم انشأت احدى الشركات الخاصة فيها بعد مصلحة صغيرة لنقل الرسائل الخاصة . وفي يناير سنة ١٨٦٥ ابتاعت الحكومة هذه المصلحة واخذت توسع نطاقها بالتدريج الى ان اصبح عدد مكاتب

البريد في القطر المصري في الوقت الحاضر ثلاثة آلاف وثلثمائة وثلاثة مكاتب تقوم باعمال البريد على اختلاف انواعها كنقل الرسائل الاعتيادية والرسائل المسجلة والمؤمنة والرزم « والحوالات » المالية بالبريد وبالتلغراف وتبادل صكوك (اذونات) البريد البريطانية وترويج الادخار (صناديق التوفير) وهلم جرّا . وهنالك مركبات للبريد مردفة بالقطارات الكبرى التي تسير بين انحاء القطر

(٧) ادارة الموانئ والمنائر

تشرف هذه الادارة على جميع المنائر المقامة في الموانئ وعلى السواحل المصرية وهي ايضاً جزء من وزارة المواصلات . ويبلغ عدد المنائر على السواحل المصرية عشرين منارة منها خمس من الطراز الاول . وفي ميناء الاسكندرية سبع منائر من جملتها منارة في رأس التين يبلغ ارتفاعها مائة وثمانين قدماً ويرى نورها عن بعد عشرين ميلاً . اما منارة بورسعيد المعروفة عند الكثيرين والتي تمكن رؤيتها عند الدنو من ترعة السويس او الخروج منها فيبلغ ارتفاعها مائة وخمساً وثمانين قدماً ويرى نورها عن بعد اربعة وعشرين ميلاً

واقصى منارة في سواحل مصر الجنوبية هي منارة سنجنيب على سواحل البحر الاحمر وهذه المنارة ايضاً من الطراز الاول

(٨) الملاحة

ان اقبال السياح على مصر ورواج التجارة في القطر ووقوع البلاد عند ملتقى الشرق والغرب — كل ذلك قد ادى الى اتساع نطاق الملاحة في الموانئ المصرية ويبلغ عدد شركات الملاحة الكبرى التي تسير سفنها بين مصر والبلاد الاجنبية عشرين شركة على الاقل معظمها بريطانية . وقد بلغ عدد السفن التي دخلت الموانئ المصرية في سنة ١٩٢٦ ثمانية آلاف سفينة كان مجموع وسقها سبعة وعشرين مليوناً ونصف مليون طن . والوزارة تبحث الآن في تحسين ميناء الاسكندرية من عدة وجوه . وقد شرعت منذ مدة في انشاء ميناء جديد للسويس

(٩) وسائل النقل والانتقال

وقد اعدت شركة مركبات النوم قطاراً للسفر من مصر الى اوربا بطريق البر وهذا القطار يسير الآن مرتين في الاسبوع من القاهرة الى القنطرة فحيفا فالاستانة ومنها الى نفق سمبلون . وسيجعل سفر هذا القطار من القاهرة في المستقبل يومياً

ولا يخفى ان وسائل النقل الجوي تتقدم اليوم بسرعة في جميع انحاء العالم . ولا شك ان مصر ستكون بفضل موقعها الجغرافي نقطة اتصال عظيمة الشأن للخطوط الجوية الدولية

وقد عزمت الحكومة المصرية على انشاء ميناء جوي في الاسكندرية وعلى تسهيل كل ما تحتاج اليهِ الطيارات الجوية والمائية لكي تكون الاسكندرية محطة للطيارات التي تجتاز البحر الابيض المتوسط وللطيارات التي تذهب الى الهند والشرق الاقصى والتي ستطير في المستقبل الى جنوبي افريقيا . وقد بدئ بالعمل التمهيدي لانشاء هذا الميناء الجوي وسيبدأ بتشييد المباني اللازمة حالما يتم انشاء الميناء

وقد وقع الخيار على ميدان في القاهرة لجعله ميناء جويًّا للطيارات ولكن هذا الميناء لن ينشأ حتى يدل نشوء نظام النقل الجوي على الحاجات التي يجب الاحتياط لها وفضلاً عن ذلك ستنشأ مراسٍ للطيارات المائية على النيل اذا دعت الحاجة الى ذلك . وقد ارسل بعض الشبان المصريين الى انكلترا ليدرسوا فن الطيران المدني من الوجهين الاداري والفني ليتمكنوا في المستقبل من شغل المناصب التي ستنشأ في مصلحة الطيران المدني بوزارة المواصلات

وفي شهر ديسمبر سنة ١٩٢٦ اجازت الحكومة المصرية لشركة المواصلات الجوية الامبراطورية انشاء خط جوي بين مصر والهند على ان تستخدم موقتاً مطار الجيش الانجليزي بهليوبوليس . وستقام المحطة النهائية لهذا الخط في المستقبل في مدينة الاسكندرية لتتصل بالخط الجوي الذي يمر فوق البحر الابيض المتوسط الى اوربا وطيارات هذه المصلحة تطير اليوم مرة في الاسبوع من القاهرة الى البصرة وبالعكس والعمل سائر منذ انشاء الخط في شهر يناير سنة ١٩٢٧ بانتظام تام من دون ان يلحق اي ضرر او خطر بالمسافرين او بالبضائع

وامام الوزارة الآن اقتراحات تبحث فيها لانشاء مصلحة للنقل الجوي بين الاسكندرية وايطاليا . ومن المحتمل ان يبدأ في القريب العاجل بالجزء الشمالي من الخط الجوي الذي سيخترق افريقيا من الشمال الى اقصى الجنوب

فترى من جميع ما تقدم ان الحكومة قد سارت على خطة من شأنها ان تجعل نظام المواصلات في مصر كفيلا بسد حاجات الشعب المصري وحاجات الذين يفدون على مصر وجديراً بنظام المواصلات الدولي المتشعب المناحي والذي تتوقف عليهِ حياة العمران



نقم القتال نعم السلام

التوسل بالغازات الحربية الفتاكة الى مقاتلة الاشرار في زمن السلم . طريقة استخدام الكيماويين في الولايات المتحدة سموم الخنادق لقمع اللصوص وابادة الحشرات واخماد النيران والمعاونة على استتباب الامن العام

حدث منذ بضعة أشهر ان قصدت سيارة ذات قوة كبيرة الى بنكٍ بمدينة في اقليم متوسطٍ من أقاليم غرب الولايات المتحدة — وكان وصولها الى هناك في الغداة بُعَيد ميعاد فتح البنك . فوثب من السيارة ثلاثة شبان حسنو البزّة وظلّ رابعهم فيها قابضاً على زمام دولاب تسييرها — وما لبث اولئك الشبان الثلاثة أن اقتحموا ابواب ذلك البنك الدوّارة . وكان صراف البنك الماليّ وقتئذٍ يُنسّق رزماً مرتبة من الصكوك الخضراء المذهبة الظهور — وفيما هو دائبٌ على عمله ذلك إذ رأى شبحاً يخيم على نوافذ سياج حظيرته النحاسيّ ، فشخص ببصره ليستطلع من ذا المقبل عليه لعلهُ عميل أمين فرأى شاباً واقفاً تجاه النوافذ فسألهُ الصراف حاجتهُ كعادته قائلاً — « عفواً سيدي ! أتريد أداء أي واجب لك ؟ » فبادره ذلك القادم المجهول بأن صوَّب غدارتهُ الاوتوماتيكية » اي العاملة بنفسها نحو صدر مخاطبه الصراف قائلاً لهُ بصيغة الآمر الناهي : — « ألا فلتغض الطرف عن هذه الصكوك ، واتركها وشأنها »

فوجم الصراف هنيهة ولم يسعهُ في أثنائها الاَّ ان عمد في الحال الى زر كهربائي كامنٍ تحت الطبقة الرخامية لنافذة المعدّ فضغطهُ بقدمه ضغطاً شديداً ، لم يحدث صوتاً ولا صياحاً ولا صفيراً ولا جلبة كالتي تحدث من الادوات والاجراس المنبهة وانما نجم عنهُ تواً غمامة قاتمة خيّمت في سماء المصرف كأنها ضبابة دخان التبغ — فسعل اللص في الحال واغرورقت عيناهُ بالدموع وحينئذٍ ألقى بغدارته على الارض صاغراً وأخذ يمسح عبراته بيديه كلتيهما . وما عتم ذلك الشرير أن ولول واستغاث برفيقيه الوغدين قائلاً « ويحكما لقد أُصبتُ بالعمى » فلم يسمعا نجدتهُ لانهما شغلا عنهُ بمسح عيونهما المتألمة أيضاً وعندئذٍ أخذ اللصوص الثلاثة في التسكع حتى وصلوا الى باب المصرف إذ كانوا طوراً يصطدمون بالمنضدات ، وتارة بالاثاث الثابت بالردهة ، مستمرين على مسح عيونهم وتلمس طريقهم حتى وافاهم الشرطة حيث اقتحموا أبواب المصرف وكبّلوا اللصوص الثلاثة بالاغلال

فسلموا أنفسهم طائعين. وما أفاقوا واستعادوا أبصارهم بعد نصف ساعة في مركز الشرطة حتى شعروا بالتهاب طفيف في عيونهم وعرفوا أنهُ لم يصبهم غير ذلك من الاذى. فتساءلوا قائلين ماذا حداكم على المجيء بنا الى هنا؟ «فاجابهم ضابط برتبة جاويش. وهو يستشيط غضباً — « أيها الارذال لقد دهمكم بعض الغاز المسيل للدموع فجئتمونا مولولين كالاطفال »

اذن كان إخفاق مشروع هذا السلب من ذلك المصرف دليلاً على فلاح خبراء مصلحة (الكفاح الكيماوي) التابعة لجيش الولايات المتحدة في استخدام الغاز الحربي السام لنفع الانام في أزمان السلام. ويرأس المصلحة المشار اليها القائم مقام آموس ا. فرايز وقد نجحت تلتهُ نجاحاً باهراً في أعمالها إذ سخَّرت الابخرة السامة ومرشات الغاز التي خلَّفتها الحرب العظمى في عشراتٍ من وجوه الخير العام

***

ومما قالهُ الجنرال فرايز لكاتب هذا المقال الاميركي في فوائد الغازات السامة : —

« لقد شرعت البنوك وجماعة الجوهريين في اميركا تعد المعدات سرًّا لتركيب أجهزة الغاز المثير للدموع في عماراتها بحيث يكاد يستحيل على الرائي ، وان يكن نقاداً الاهتداء الى فوهات الانابيب التي ينساب منها ذلك الغاز لانها مستكنّة بحذق كي تتوارى عن العيان باختلاطها بنضائد الحجر التي تودع فيها . ويمكنك ان ترى في بضع ثوان ذلك الغاز منتشراً في المكان المراد وقايتهُ من المهاجمين فيخفق بانتشارهِ كل مشروع يقصد بهِ السلب والنهب ، وقد أخذت جماعتنا على عاتقها ارشاد البنوك والاندية الى أجود أصناف الغاز الذي يستعمل لهذا الغرض وايضاح أمثل الطرق لاستعمالهِ »

بيد أن الاجهزة التي يتذرع بها لوقاية العائلات تختلف كل الاختلاف عن غيرها . فان كانت الدار مثلاً واقعة في أحد الاقاليم الغربية بالولايات المتحدة أو بقرب نبع غاز يسهل على ربة الدار استعمال الغاز الطبيعي في طهو طعامها بموقد الطبخ الغازي في مطبخها من غير ان تتعرض لخطر استنشاقهِ لان رائحة الغاز الطبيعي الفالت لا تخفى على أحد. ولكن أنواع الغاز الصناعي الكثيرة الاستعمال في أيامنا هذه هي نفسها غازٌ سام وهذا كلما قلَّ فوح رائحتهُ تفاقمت أخطاره . وكم من حوادث ثابتة تدل على أن السيدات اللواتي أصبن بالغيبوبة في أثناء قيامهن باعداد الطعام كنَّ يجهلن أنَّ ريحاً هوجاء هبت فاطفأت اللهيب المتولد من فوهة أنبوب الغاز فانتشر الغاز في المطبخ واستنشقتهُ السيدة وهي لا تدري. وهذا هو الخطر المقيم الذي تكفلت مصلحة الكفاح الكيماوي بالقضاء عليهِ

أما الغاز الذي يثير العطاس فركب يهيج اغشية الانف ، أُستنبط في غضون الحرب الكونية واتجهت اليه أنظار الجماعة الكيماوية الآنفة الذكر. وهذا اذ استعملت منهُ مقادير طفيفة فلا ضرر منهُ . وعملاً بارشاد مصلحة الكفاح الكيماوي قد شرعت شركات الغاز الصناعي في اضافة مقادير ضئيلة من الغاز المعطس الى كل الف قدم مكعبة من الغاز الصناعي المستعمل وقوداً . وبناء على ذلك يقول الجنرال فرايز « ومن الآن فصاعداً اذا تُركتْ فوهة أنبوب غاز مفتوحة خطأ من غير ان تكون مشعلة احدث الغاز المعطس المضاف الى غاز الوقود ، عطاساً حاداً ينذر العاطس بالخطر الذي يتهددهُ . وعلاوة على ذلك قد ينبه من تأثيره الاشخاص النيام فتتضاعف منافعه بهذه الطريقة وسبب ذلك أن الغاز المعطس اذا احترق لا تفوح منهُ رائحة الغاز

واستنبطت جماعة الكفاح الكيماوي غازاً آخر اسمهُ الغاز الظرباني نسبة الى الحيوان المنتن المسمى بالظربان فاخذت شركات الغاز في استخدامه كنبه ينبه على النضح الذي يحدث في الانابيب . وهذا لاخطر منهُ البتة . ورائحتهُ خبيثة ولكنهُ اذا احترق زالت تلك الريح الكريهة منهُ . وبناء على ذلك يعتبر من الوسائل التي تثبط عزائم الشارعين في الانتحار بفتح انابيب الغاز الصناعي واستنشاقه منها فتحملهم الرائحة الخبيثة عن المضي في تنفيذ عزمهم الا اذا كان متعمد الانتحار من اشد الناس يأساً من بؤس الحياة فينتحر باستنشاق الغاز السام غير مهتم بالرائحة الخبيثة التي تفوح منهُ

ووقع من عهد قريب ان شنت الارانب البرية الغارة على الضياع في الاقاليم الغربية من الولايات المتحدة فهبَّ اصحابها لمقاومتها وقاية لمزروعاتهم من غائلتها فباءوا بالخسران وحينئذٍ تجلت فائدة جديدة للغاز السام — إذ شاهد اولئك الفلاحون غلات اراضيهم تلتهمها الارانب فاستغاثوا من شرها برجال الحكومة المتخصصين لدرء الآفات الزراعية فأصاخ هؤلاء لشكواهم واتفق وقتئذٍ أن كان لدى جماعة الخبراء الكيماويين مقدار يسير من غاز الخردل . وهو الغاز الرهيب الذي استخدم في الحرب الكبرى حيث كان يحرق رئات الذين ينتابهم من جنود الاعداء بتجفيفها . وباشر الزرَّاع بكل حذر رش الحقول حيث توجد آثار اقدام الارانب بمرشات مملوءة بغاز الخردل تحت اشراف اولئك الخبراء. وما سقط ذلك الغاز على الارض حتى تحوَّل نقطاً صغيرة كانها قطرات الندى . وجاءت الارانب كعادتها للانتجاع سائرة في سبلها المطروقة من قبل التي رُشَّ عليها الغاز الخردلي فلصقت قطراته بقوائمها فلعقتها كدأبها فهلكت . فزالت بهلاكها « غائلة الارانب »

ولما وضعت الحرب اوزارها خلفت من معداتها مقادير كبيرة من غاز الهيدروسيانيك

أي البروسيك «غاز سام مركب من الهيدروجين والكربون والنيتروجين بنسب متساوية» فرأى الخبراء الكيماويون الاستفادة بها في زمن السلام — وهذا الغاز ذو خاصيات مهلكة تبيّنت في القنابل الفرنسية في خلال الحرب العالمية وهي احداث شلل في الجهاز العصبي يتبعهُ الموت الزؤام — وهاتيك الخصائص نفسها هي التي جعلت ذلك الغاز مطهراً عظيما لتطهير بواطن البواخر بطريقة التبخير — تطهيراً مفيداً من كل الوجوه الا وجهاً واحداً — لانهُ يقتل الفيران وما يعلق بفرائها من البراغيث التي تنقل جراثيم الطاعون والحمى التيفوسية ولكن وا أسفاه قد حدث منهُ ذات مرة ما لم يكن في الحسبان — واليك البيان :

قدمت من اوستراليا في يوم ما باخرة فرضةَ سان فرانسسكو في الولايات المتحدة وعند وصولها صعد اليها أحد مفتشي مصلحة الصحة العمومية ليستوثق من العمل بالقوانين الموضوعة لتطهير البواخر بالبخار — وما انقضت بضع ساعات على قيامهِ بمهمتهِ وتحققه من نفاذ الانظمة الصحية كالمراد حتى عثر عليهِ ميتاً واأسفاه في جوف الباخرة وظهر ان سبب الوفاة وجود آثار من غاز الهيدروسيانك — وهذا ليس لهُ خصائص تنمُّ على وجوده في المكان الذي يطلق فيهِ فتسمم المفتش وقضى ضحية للواجب

وحدثت عدة وفيات من هذا السبب فلم يسع الجنرال فرايز الاَّ مزج غاز الهيدروسيانك القتال بأحد انواع الغاز المثير للدموع وهو كلورور السيانوجين ثم جرّب تجارب شتى في مراكز الجيش ومخازنه حتى ايقنوا من فائدتهِ للغرض المقصود فمهدوا الى مصلحة الصحة العامة استعماله في السفن فصار استعمال الغاز الهدروسيانيك مأمون العواقب اذ انهُ يدل على وجوده بنفسهِ في حينه باثارة الدموع وهذه نذير للنجاة. هذا فضلاً عن استخدام غازات القتال السامة لابادة الحشرات التي تلتهم المزروعات . ومما يروى في هذا الصدد : ان جنديًا محنكاً يسمى جونسون تهيأت لهُ فرصة تمكن فيها من الاعراب عما يخالجهُ من الاطناب في مدح ذلك الغاز اللعين وهو عينهُ الذي كان يتأوه منهُ في ميدان الحرب . وتفصيل الخبر ان هذا الجندي اصيب باحتقان رئوي فاستصوب ديوان الجنود القدماء مكافأتهُ على بلائهِ في الخدمة الحربية الطويلة فمهّد لهُ سبيل الفلاح بالسفر الى جزائر هواي حيث يباشر استغلال اشجار الاناناس ففعل . وحدث انهُ لما بلغ تلك الجزيرة وطفق يعمل في الزراعة ناء بعشاقها لان رأس ماله كان زهيداً وجاءت حاصلاتها مخيبة لآمالهِ وكابد زملاؤه ما كابده من الشقاء فجأروا بالشكوى الى كيماويي الحكومة مسترشدين بهم الى انتهاج اقوم المناهج لاستغلال اراضيهم ففحص الخبراء الشكاوى فاستدلوا منها على مكامن الداء فاذا هي طفيليات سماها الكيماويون (نيماتود) تغشى جذور

اشجار الاناناس فتمتص عصاراتها الحيوية فتذوى ثم تموت

فاستورد الكيماويون من واشنطون طائفة من الاسطوانات المحتوية على غاز الكلوروبيكرين المضغوط وهو صنف سريع التبخر من الغاز المثير للدموع وهو الغاز الذي طالما تألمت منهُ عينا صاحبنا جونسون في القتال بالميدان الغربي فأرشدوا الزراع الى رش بعض قطيرات منهُ حول جذور كل شجرة اناناس فما كادت النوامي الجذرية أن تترعرع حتى هلك ماكان فيها من الطفيليات. وعقب هذه العملية ان جاد محصول الاناناس

وقال الجنرال فرايز « وانا نحو هـذا النحو في استخدام المواد الكيماوية لابادة دودة القطن التي تلتهم اللوز وكذلك الحشرات التي تغتال الفاكهة من البساتين ، متوسلين الى بغيتنا هذه بالطيارات فتقوم برش مساحات واسعة من الاراضي المصابة بمرشات من الطراز الذي استخدم في زمن الحرب لاحداث غمامات الدخان

« ولدينا اختراع آخر وهو الغاز السام المستعمل لوقاية دعائم احواض السفن من نخر الديدان البحرية . وهـذا يتركب من الكريوزوت والغاز الحربي السام المسمى (دفيني — لاميني — كلورارسين) ونحوهما من المواد الكيماوية المتعددة

واسفرت التجارب التي قمنا بها في الدعائم التي عولجت بهذا السائل عن كونها تبقى سليمة من ان تنخرها الديدان مدة ثلاثة اعوام اي من عهد اجراء التجربة الى حين كتابة هذه السطور — وقد استنبطت مصلحة الكفاح الكيماوي حديثاً دهاناً ساماً آخر لصيانة قعور البواخر من الدويبات البحرية التي تعيش لاصقة بها

واستطرد كاتب المقال الانكليزي فقال : — ومن اغرب ما ابانني إياهُ الجنرال فرايز قوله « إنا على اهبة استخدام الطيارات لرش الغاز السام من الجو لاطفاء الحرائق »

وقد حملهُ على ذلك انهُ لما طاف في الصيف الماضي في الاقاليم الغربية بالولايات المتحدة وشاهد الدمار التي تحدثهُ الحرائق في الآجام والحراج هنالك وظهر لهُ أن الاجهزة الحالية المستعملة لمقاومتها غير كافية بالمرام — تذكر في الحال أنهُ في نهاية زمن الحرب قامت مصلحة الكفاح الكيماوي باختراع مرشة غازية تعلق بالطيارات لرش جنود الاعداء بغاز الخردل بمقادير كبيرة فجاءت الهدنة مانعةً لاستعمالها في الميدان الغربي كما كان ينتظر فظلت تلك المرشات الحديثة الصنع لدى المصلحة بلا جدوى . قال الجنرال فرايز « ونرى الآن الاستفادة منها بأن نشحنها بسائل مطفىء للحرائق مثل تيترا كلورور الكربون وهو السائل المنزلي المألوف المستعمل لاذابة الادران — وهذا عند ما يتبخر تكوّن منهُ غمامة غازية لا تؤثر فيهـا النار فتخمد اللهيب ، فاذا ما تسنى لمصلحة الغابات تجهيز

اثنتي عشرة طيارة برشات من هذا الطراز استطاعت تقليل عدد الحرائق الى ادنى حدّ.
ولقد تبين لي من البحث ان الطيارة التي تحمل مضخة اطفاء الحريق قد تكون عند ابلاغها نبأ شبوب الحريق طارئة على بعد مائة ميل او مائتي ميل مثلاً فتقصد في الحال الى مكانه وتحلق على ارتفاع ملائم كي لا تندلع اليها ألسنة اللهيب فيتاح لها اخماد الحريق بالمضخة بما ينهمر منها من القطرات الكبيرة التي لا يستطيع الهواء تجزئتها فتطفئ النار اطفاء تاماً في بضع ساعات على حين ان الوسائط الحالية لا تمكّن من اخمادها الاَّ في بضعة ايام. آه منقولاً عن مجلة العلم العام الاميركية

***

وكان الكلور اول الغازات السامة التي استعملها الالمان في ميادين القتال ثم جعل بعدئذٍ اساساً بنيت عليهِ انواع مختلفة من الغازات السامة الاخرى . والكلور غاز ثقيل اخضر ضارب الى الصفرة لهُ رائحة خانقة فاذا استنشق في مقادير قليلة اضرّ بانسجة الحلق والرئتين وشعابهما واذا استنشقت منهُ مقادير كبيرة كان سبباً للموت . ولذلك استعمل في القتال لابادة جنود الاعداء

على ان لهُ صفات اخرى تجعلهُ من افيد العناصر في الصناعة . فهو من اقوى المطهرات اذا اضيف الى الماء قتل ما فيهِ من مكروبات الامراض واذا اضيف قليل منهُ الى الماء الذي ترش بهِ الشوارع قتل ما يكون فيها من المكروبات ايضاً . وهذه الصفة جعلت الاقبال عليهِ عظيماً لاستعمالهِ في تطهير مياه المدن من المكروبات .ففي اميركا الآن ٢٥٢٥ مدينة وبلدة مجموع سكانها يزيد على اربعين مليوناً يستعملون الكلور لتطهير الماء الذي يشربونهُ وكان من أثر ذلك ان قلّت وفيات التيفوئيد فيها نحو ٧٠ في المائة عما كانت عليهِ قبيل الحرب الكبرى . واما في الارياف حيث لم يستعمل الكلور لما استعمل لهُ في البلدان المشار اليها فتوسط الوفيات بالتيفوئيد لم يقلّ الاَّ نحو ١٠ في المائة . وكان كلوريد الجير يستعمل قبلاً في تطهير المياه فيفلت منهُ الكلور ويفتك بالمكروبات اما الآن فيستعمل الكلور السائل . ومما يستعمل لهُ ايضاً تطهير مجاري العواصم الكبيرة قبل اطلاقها في بحر او نهر فتؤمن كذلك مغبتها . كذلك يستعملهُ اصحاب المدابغ في ازالة الروائح الخبيثة والقاعون على صحة الفرض البحرية لتطهير مياه الشواطئ حيث يستحمّ الناس. وكل مستشفى حديث يجب ان تكون فيهِ اسطوانة من غاز الكلور تستعمل في صنع سائل خاص لتطهير الجروح. وغاية احدى التجارب التي تجرب الآن استعمالهُ لحفظ اللحوم والاثمار من الفساد



اركان التفكير الصحيح

اساليبهُ وعيوبهُ

ليس اليق بالانسان ، على ما اعتقد ، من نعتهِ بنعت الحيوان المفكّر . فليس هنالك، على التحقيق ، من صفة مفردة تجعل الانسان يقف هذا الموقف المنعزل وتميّزهُ هـذا التمييز الواضح المعالم ، في عالم الحيوان ، كهذه الصفة -- صفة التفكير . واختلافهُ فيها عن الحيوان هو اختلاف كيف لا اختلاف كم ، على ضدّ باقي الصفات التي يشترك فيها والحيوان على درجات من التفاوت . فالانسان ليس بالحيوانِ الاجتماعي الفذ ، كما يريد البعض ، وهو ليس بالحيوان الناطق الوحيد ، كما يريد البعض الآخر ، فان كثيراً من الحيوانات لهُ ، على وجه التعميم ، شيء من احدى هاتين الصفتين او من كلتيهما قلّ او كثر هذا الشيء . اما ان الانسان هو الحيوان المفكر الوحيد فهذا لا شك فيهِ . على ان هذا لا يعني ان كل انسان ، بحكم الضرورة ، يفضل الحيوان من هذا القبيل . فان كثيرين ممن سقمت افهامهم واعتلّت مداركهم يقفون مع الحيوان عند درجة الادراك الحسّي، فلا يفضلونهُ في شيء، ويفضلهم في اشياء . وثم فئة اخرى لا تحب ان تجشّم نفسها مشقة التفكير الصحيح فتسير في ادمث الطرق والين المسالك ، وهو ضعف شائع في كثير من الافراد والطبقات . ولكن بالرغم من هذا كلهِ فان الانسان يظل ، بما اختُص بهِ من مواهب التفكير ، كائناً منعزل النظير. فالبحث في التفكير بحث في اسمى الصفات الانسانية واجلّها خطراً

اسلوبان للتفكير

التفكير من حيث الاسلوب ، على نوعين : التجريبي والعلمي . اما الاسلوب التجريبي فهو الاسلوب الذي سار عليهِ علماء الشرق القديم عصوراً طويلة . وهو علة البطء في تقدم العلوم طيلة هـذه العصور بالقياس الى اتساع المدة . ان علماء الشرق استطاعوا التنبُّؤ عن اوقات الخسوف والكسوف ، ولكن دون ان يدركوا العلة الطبيعية لذلك ، وقدروا ان يضبطوا الى حدّ كبير من الدقة ، حركات القمر والشمس والسيارات ، ولكن دون ان يفقهوا ذلك النظام الشامل الذي يهيمن على حركات هـذه الاجرام . وقد اهتدى هؤلاء العلماء الى هذه الحقائق من الملاحظات المتكرّرة بتكرُّر هذه الظواهر. فالراجح الذي يهدي اليهِ الاستقراء انهم لم يتمكنوا من تعيين اوقات الخسوف

والكسوف الا بعد ان تكرّرت هذه عشرات المرات ، ولذا فلم تكن معرفتهم في هذا الشأن نتيجة للدرس المنظم والتنقيب العلمي ، بل نتيجة للمصادفة والمشاهدة المجرّدة عن التفكير المبني على مقومات اذا اجتمعت لا بد ان تؤدي الى نتيجة معينة كما هو معلوم وكان علم الطب يسير على هذه الطريقة فقد علم الاختبار وطول الممارسة اطباء هذه الطريقة ماذا تكون النتيجة لبعض الامراض دون ان يفقهوا لذلك سبباً تركن اليهِ النفس

هذه هي الطريقة التجريبية وهي وان صدقت في كثير من الاحيان لها عيوب كثيرة. فهي توجب ان يكون كل ما يتكرّر حدوثهُ بعد حدوث امر آخر نتيجة لازمة لهُ ، وناشئاً عنهُ مباشرة ، في حين قد يكون السبب الحقيقي غير ما يظن انهُ السبب مثال ذلك أنهُ لعهد قريب كان الاعتقاد السائد ان حمّى الملاريا ناشئة عن هواء المستنقعات ، وذلك لما كان يرى من شديد الصلة بين وجود المستنقعات في قطر ما وتفشي هـذا الداء فيهِ . والامثلة من هذا النوع كثيرة في عالم الطب وغيره . ومن عيوب هذه الطريقة انها تقود الى الكسل والخمول . وتأثيرها السيء في الدماغ يفوق خطورة تأثير النتائج المغلوطة التي قد يتوصل اليها العقل عن طريقها . وذلك ان التفكير بحسب هذه الطريقة يسير في جادة واحدة في جميع الاحوال المتشابهة ، مما ينتهي بزوال المشقة التي كانت ترافق التفكير في ادواره الاولى، على نحو ما يفعل النهر في تكوّنهِ اذ يكون في بدء تكوينه محتاجاً الى العنف والقوة حتى يشق له طريقاً في الأودية والسهول ثم يأخذ يسير سيراً هادئاً بطيئاً. ومما يرافق هذه الطريقة البطء . فاننا اذا كنا لا نود تقرير قواعد الخسوف والكسوف الا بعد ان تكرّر هذه عشرات المرات فاننا نحتاج الى وقت كثير وصبر طويل للوصول الى النتيجة التي يحصل عليها الفلكي في هذه الايام في بضع دقائق باستعمال حساباتهِ الدقيقة وقواعده الشاملة

﴿الاسلوب العلمي﴾ ما هي اركانهُ وما هي مقوماتهُ ؟ هذان سؤالان اذا اجبنا عنهما نكون قد رسمنا صورة مجملة لهذا الاسلوب الذي يصح ان يطلق عليهِ اسلوب العلم الحديث

كالأسلوب التجريبي ، يبدأ هذا الأسلوب بحاجة تلمس ، او وضع يرغب في تغييره او ظاهرة يراد اجتلاؤها ، او هدف يسعى اليهِ . ثم يتلو هذا سلسلة من الجهود تصرف في الدرس والتنقيب وجمع الحقائق التي يرجى ان تمد الطريق للوصول الى هذه الرغائب ومن ثم يرى هل فيما جمع وما درس ما يصح ان يكون اساساً لفرض او تعميم او نظرية او غير ذلك من ضروب الاستنتاج . فاذا وفق الى شيء من ذلك ، فاننا ننتقل الى دور التطبيق وهو ان يؤتى بالاستنتاج ، ويرى ماذا يمكن ان يحدث اذا طبق تطبيقاً فعلياً على احوال محسوسة فاذا اختبر هذا الاستنتاج وكانت نتائج الاختبار كالمتوقع فيحكم بصحة

الاستنتاج او أنهُ اكثر تعقيداً مما كان يظن ، او ان الاستنتاج كان خاطئاً في ذاته
ولكي تؤمن مغبّة الزلل في التفكير على هذا الأسلوب يجب ان تخذ جملة احتياطات منها ان يعيد النظر في الاستنتاج اشخاص غير الذين توصلوا اليهِ لأول مرة ، فيرى مقدار ما بين النتائج التي توصل اليها الباحثون جميعاً من التشابه ويكون ذلك مقياساً لصدق الاستنتاج

ومن هذه الاحتياطات ما يدعى بالاختبار المقيد وذلك ان يجتهد ، لدى اجراء الاختبار لقياس صحة الاستنتاج ، في ابقاء جميع العوامل التي يتكوّن منها هذا الاستنتاج ثابتة ما عدا واحداً ، فتلاحظ عندئذٍ نتيجة التغير في العامل الواحد بوضوح اتم مما لو كان الاختبار تتغير فيهِ جميع العوامل في وقت واحد . ومما يحتاط بهِ ايضاً ان يعيد الاختبار شخص غير المختبر الأول ، فينظر في النتائج التي وصل اليها كما انهُ يجب الأ تهمل ما يظهر لنا من شذوذ في طبيعة الاختبار ، مهما يكن نوعهُ ومهما يكن طفيفاً فقد يكون هذا الشذوذ ناجماً عن عامل غير الذي يظن انهُ سبب للنتيجة الاجمالية

مما تقدَّم يتضح لنا ان الاختبار هو اهم دعامة في الاسلوب العلمي ، بل هو على الحصر الاسلوب العلمي بذاتهِ . واهميتهُ تظهر جلية من ان كثيراً من النظريات التي كانت تظن انها خالدة قد دكت دكاً لدى عرضها عليهِ . مما يحكى عن اديصن انهُ كانت لهُ ثلاثة آلاف نظرية مختلفة في الضوء الكهربائي ، وكل من هذه النظريات كان يبدو معقولاً بحد ذاتهِ ولكن حينما كان يسلط على احدى هذه النظريات نار الاختبار كانت تذوب كما يذوب الثلج في وهج النهار ولم يثبت على الامتحان الأ نظريتان من كل هذه النظريات فتأمل

عوائق التفكير الصحيح

اذا شئنا تعداد هذه العوائق واحداً واحداً يضيق بنا المقام ، ولذا فاننا سنقتصر على ذكر ما نظنهُ الاهم منها . من هذه العوائق خطأ القضية المراد بحثها خطأ اساسياً فقد يطلب منك تعليل ظاهرة لا اساس لها او حل معضلة مبنية على خطإٍ في المشاهدة ، فتنشأ تمحل من التفاسير لايضاح هذه الظاهرة ، وتجرب من الحلول لحل هذه المعضلة ما يستغرقك وقتاً طويلاً ، ويستنفد منك جهوداً كثيرة على غير طائل وكثيرون يذكرون قصة الملك شارل مع الجمعية الملكية حينما سأل اعضاءها في السبيل الذي من اجله لايزيد ثقل السمكة المائتة في ثقل الدلو العائمة فيهِ فشرع اعضاء الجمعية من حينهم يبحثون عن السبب لهذه الظاهرة العجيبة بكل جد ورصانة

والعائق الآخر هو التصلّب في الرأي . وضرر هذا العيب الفكري لا يقف عند حد . ان المصاب بهِ يصمُّ اذنيهِ عما لا يوافقهُ من آراء ومعتقدات ، وان تكن صحيحة ، بل هو يعدو ذلك الى ان المصاب بهِ يصعب عليهِ ادراك تلك الآراء والمعتقدات ادراكاً صحيحاً .

ذلك ان المتصلّب في آرائهِ يصعب عليهِ ادراك مواطن الضعف في هذه الآراء — على حد قولهم: عين المحب عمياء — كما انهُ لا يمكنهُ ان يدرك مواطن الاجادة في آراء غيره. ومما يصحب هذا العيب انهُ يتملكنا غير شاعرين بهِ، فقد يتوهم أحدنا انهُ من اكثر الناس تساهلاً في آرائهِ، ومن أنزلهم على حكم العقل، وهو مع ذلك تجدهُ من اشد المحافظين ومن اكثرهم تصلباً في آرائه. ومن هنا، على ما اعتقد، ما نراهُ في قوم يدعون الى التجديد، وهم من اشد الناس محافظة واكثرهم جمود فكر. والتصلّب في الرأي يُفسَّر من وجهة بسيكولوجية في ان رد الفعل الواحد اذا طال تكرُّره يتمركز أثره في ذهن الانسان بما يحدثهُ من تغيير في خلايا الدماغ. فتتعذر ازالة هذا الاثر. ولعلَّ هذا هو سر المحافظة والرجعية في المتقدمين في السن

ومن عوائق التفكير الصحيح ايضاً عدم المقدرة على تأجيل الحكم في شأنٍ من الشؤون قبل ان يغدو تام الجلاء. وخطورة هذا الشرط تبدو واضحة من ان كثيراً من الاخطاء الفظيعة، في مختلف العلوم والفنون، كان ناشئاً من عدم المقدرة على تأجيل الحكم. وتلك طبيعة مركوزة في الانسان لا يطيق عليها صبراً. ففي الانسان شهوة عنيفة ورغبة مُلحَّة في تفسير ظواهر الطبيعة على الشكل الذي يتلاءم ومعتقداته وتركن اليهِ نفسه وليست هذه صفة الانسان الحديث فقط، بل هي احدى صفات اجداده في اقدم اطوار حياتهم، حينما نسبوا البرق والرعد الى غضب الآلهة، والمطر والخصب الى رضاها

وثمت مصدر آخر للخطأ في التفكير وهو الجري مع الاهواء، فقد تكون من الرزانة وحصافة الرأي على شيء كثير، لكنَّ حكم العاطفة قد يصدُّك في مواقف كثيرة عن استثمار مواهبك في الطريقة المثلى وعلى الوجه الأصح

والتعويل على ارباب الشهرة مصدر آخر للخطاءِ في التفكير! فقد ترفض رأياً صائباً لاحد الاوساط لا لعلةٍ الاَّ ان احد الفصحاء قال ما يخالفهُ. وما نقرأهُ في كتب التاريخ عمّن لاقوا من الاضطهاد اشدّه، ومن التعذيب آلمه، بسبب جهرهم بما يخالف ما قالهُ ارسطو وغيره من قدماء الفلاسفة والمعلمين، شيء كثير

وعيب آخر هو الميل لتقدير قيمة الفكرة بنتيجتها. يحكى عن ڤولتير انهُ عند ما وُجدت بعض الاسماك المتحجرة في جبال الالب هاج هائجه، لظنه ان ذلك قد يكون اثباتاً لما جاء في العهد القديم بشأن الطوفان، مما الجأهُ الى تفسير السبب في وجود هذه الاسماك في ذلك المكان تفسيراً مضحكاً، وذلك بقوله: ان السياح قد اتوا بها الى هنالك

ولأحوال الشخص الصحية اثرٌ ايُّ اثرٍ في توجيه تفكيره. فالسقيم لا يمكنهُ ان يرى

الاشياء في وضعها الاصلي ونسبتها الطبيعية. وهذا مشاهد جليًّا في المستشفيات والمارستانات ودور العجزة . ومما يذكر في هذا المقام هو ان اكثر المتشاعين لم يكونوا في صحة جيدة وان طائفة كبيرة منهم كان مصاباً بعاهات خلقية كالعرج والكتع والعمى وغير ذلك

ومن العيوب الشائعة في طرائق التفكير — على الاخص في هذا العصر — الحكم على الكتاب بمقدار ما يحويهِ من حقائق — ايًّا كان نوعها . وعلى هذا فكتاب يؤلف في فن السباحة او فن الطبخ يستحق من عنايتنا أضعاف ما تستحقهُ الياذة هوميروس وروايات شكسبير وأشعار المعري !! كلا ! ليس الامر كذلك ، بل ان افضل ما يفيدهُ المرء من قراءة المؤلفين ليس اختزانه مواد كتبهم في الذاكرة للمباهاة بها ، كما يفعل عدد ليس بالقليل من مطالعي الكتب ، بل ان يتعوَّد أساليبهم في التفكير وكيفية معالجتهم لموضوعات درسهم — هذا إذا كانوا ممن يصح الاقتداء بهم. فاذا كنت تقرأ لا ليقال عنك انك انسكلوبيديا متحركة ، وكان من تطالعهم بعيدي الغور ، نافذي البصائر ، فأحر بك ان تكتسب هذه الصفات منهم ، لكن بالتأثير وليس بالانتقال ، كما لو أدنيت قضيباً ممغنطاً من آخر لا مغنطيسية فيهِ ، دون ان تلمسهُ بهِ ، فتصبح طريقتهم في معالجة الموضوعات طريقتك ، وتطبع أساليبهم في ذهنك ، وقوتهم ، الى حد ما ، تضحي قوتك فكما انك اذا حاولت ان تترسَّم جباراً في مشيه فتتعود الخطو خطواً واسعاً ، كذلك القارئ الذي يتتبع المؤلف الفذ يجد نفسهُ أوسع خطواً في عالم الفكر

وآخر ما نذكرهُ من عيوب التفكير هو ان كثيرين لا يضعون لتفكيرهم هدفاً جليًّا ، بحيث يكون كل جهد يأتونهُ مما يساعدهم على بلوغ هذا الهدف ، بل تراهم يندفعون هنا تارة وتارة هنالك كالسفينة تتقاذفها هوج الرياح. فقد يعن على بال أحدنا ان يكتب شيئاً، ولكن لا يدري حول اي شيء يكتب هذا الشيء ، فيذهب يكدُّ الذهن ويقلِّب الكتب على خلاف طائل . على ان جلاء الهدف وحده لا يكفي لكي ينتفع المرء باقصى ما لديهِ من جهد ، فان تقدير المدى لهذا الهدف امر آخر يستحق ان يعطى من عنايتنا اكبر قسط . فالواقع ان هناك اناس لا يحسنون تقدير ملكاتهم بدقة : فهم بين ان يرفعوا اهدافهم الى حد لا يكون بطوقهم ان يصلوا اليهِ مهما جهدوا ، أو ان ينزلوها إلى حد لا يستفزُّ اقصى قواهم ، ويلوح لي ان التمرين المتواصل هو خير ضامن لايقاف المرء على سعة الحيز الذي يمكنهُ ان يشغلهُ في أي شأن من شؤون الحياة . وقد يؤخر التمرين الزمن الذي تستوفي فيهِ الكفاءة حظها من النضوج ولكنهُ لا بد بالغٌ بها حدًّا معيَّناً لا يكون لها مضطرب الاَّ فيما هو دونه ، فلا تتخطاهُ ابداً

اديب عباسي

هل للنبات احساس نابض ؟

مسألة علمية خطيرة

بين بوز العالم الهندي وبرسن العالم الاميركي

الاستاذ السر جاغادس بوز الهندي مدير معهد البحث العلمي المنسوب اليهِ في كلكتا من اشهر علماء العصر واكثرهم استرعاء للانظار لانهُ استنتج بالامتحان ان في النباتات اعصاباً تتأثر بالمؤثرات كاعصاب الحيوان . فقد وجد مثلاً ان السنط الحساس يشعر بالكهربائية ولو كانت عشر ما يلزم لشعور الانسان بها . وتختلف سرعة شعوره باختلاف الاحوال فاذا برد قلَّ تأثرهُ واذا اصابتهُ مادة مخدرة انقطع تأثرهُ الى ان يزول المخدّر فيعود كما كان. وعندهُ ان هذا يدلُّ على ان الشعور عصبي لا ميكانيكي . وقد تمكن من تحقيق ذلك بواسطة الآلة الدقيقة التي استنبطها للبحث في حركات النبات. فقد وجد بها ان المدة التي تنقضي بين وقوع المؤثر على هذا النبات والشعور بهِ لا تزيد على جزء من ثمانية جزء من الثانية ولكن هذه المدة تطول اذا تعب النبات من توالي المؤثرات . ثم اذا تكرَّر وقوع المؤثرات بطل تأثيرهُ بها ولكنهُ يستردُّ قوتهُ اذا استراح نصف ساعة . وتختلف سرعة التأثر حسب كون الغصن دقيقاً او غليظاً فالدقيق اسرع تأثراً من الغليظ . وقد تبلغ سرعة الحركة في الدقيق اربعين سنتمتراً في الثانية من الزمان فهي اشدُّ منهُ في الحيوانات الدنيا . ووجد ايضاً ان السنط الحساس يتأثر بالمجرى الكهربائي ولو كانت قوتهُ عشر القوة الكافية لشعور الانسان بهِ . وانهُ يتأثر من اعلى الى اسفل كما يتأثر من اسفل الى اعلى اي سواء فعل المؤثر في طرف الورقة او عند متصلها بغصنها . وان هذا التأثر او الشعور طبيعي لاميكانيكي فالبرد يضعفهُ او يبطئهُ والمخدرات توقف فعلهُ والسموم تبطلهُ تماماً . وعليهِ ففي السنط الحساس اعصاب مثل اعصاب الحيوان . وقد عرف الاستاذ بوز محل هذه الاعصاب وفروعها بالكهربائية وباستعمال الاصباغ ووجد ان كل عصب منها مؤلف من خلايا انبوبية طويلة تصل بينها اغشية كما في اعصاب الحيوانات . ووجد في زند كل ورقة اربعة اعصاب تتصل بزنيدات الوريقات المنتظمة على جانبي الورقة . ولكل عصب من هذه الاعصاب الاربعة فعل خاص بهِ في تحريك الورقة اما الى فوق او الى تحت او الى اليمين او الى اليسار

ولد السر جاغادس تشندر بوز في ٣٠ نوفبر سنة ١٨٥٨ وبعد ما تخرج من كلية سانت زافيه بكلكتا التحق بكلية كريدت في جامعة كمبردج ففاز بشهادة الامتياز العليا سنة ١٨٨٤ وعين سنة ١٨٨٥ استاذاً للطبيعيات في كلية الرآسة بكلكتا واشتغل اولا بالمباحث الطبيعية كانعكاس الامواج الكهربائية وانكسارها واستقطابها ثم انتقل الى البحث في تأثر الجماد والنبات بانواع مختلفة من المهيجات سواء كانت كهربائية او ميكانيكية فادى به ذلك الى مباحثه البديعة في اعصاب النبات وهو اول هندي فاز بلقب «عضو الجمعية الملكية بلندن» ونال لقب «سر» سنة ١٩١٧

وقد اثارت بعض آرائهِ المتطرفة هذه وما هو من قبيلها جدالاً بين العلماء قالت فيهِ السينتفك اميركان «انهُ لا يكتفي بان يذهب الى ان في النبات نبضاً من قبيل نبض القلب بل يعدو ذلك الى قوله بانهُ يرى دلائل الحياة في المعادن وغيرها من المواد غير العضوية. هذه الآراء الخيالية نالت رواجاً عظيماً على يد الصحافة الاميركية فوصلت الى جمهور كبير ولكننا لا نعرف عالماً اميركيًا واحداً من علماء النبات الممتازين يؤيدها مع انها فازت ببعض التأييد في انجلترا واقل من ذلك في بلدان اوربا» ونشرت المجلة المذكورة مباحث عالم اميركي يدعى الاستاذ پرسن Persson اخذ تجارب بوز واتقن وسائلها وادواتها واعادها مراراً وخاص منها الى نتيجة تختلف عن آراء بوز كل الاختلاف والى القارىء خلاصتها على لسان الاستاذ المذكور: —

السر جاغادس بوز عالم هندي مشهور تعلم في جامعة كمبردج بانكلترا وانشأ معهد بوز بكلكتا والف كتباً عديدة وصف فيها مباحثهُ في اسرار حياة النبات وهي المباحث التي نال من اجلها لقب «سر» والقاباً علمية اخرى. هذا العالم يذهب في كتابهِ الاخير [١] الى ان للنباتات دورة كدورتنا الدموية ويؤيد مذهبهُ بصور كثيرة تبين ان في اصناف كثيرة من النباتات والازهار نبضاً كنبض القلب البشري

هذا اكتشاف خطير. ولكنَّ كاتب هذه السطور يجب ان يعلن انهُ، مع احترامهِ للسر جاغادس بوز، وفق الى اكتشاف اكثر غرابة وابعد خطراً فقد تمكن مراراً من ان يحصل على نبض شبيهٍ بنبض القلب البشري انتظاماً في فتيلةٍ مغموسة بعصارة الكرنب! واصرّح ان الدلائل التي أُخذت على انها دلائل نبضٍ قلبي لم يكن سببها الا عدم الدقة في وسائل الامتحان وادواتهِ. فلما احترست من الوقوع في الخطإِ لم احصل على شيء من الدلائل المذكورة. واذا سئلت ان الخص رأيي في هذا الموضوع قلت ان السر جاغادس بوز وجد في النبات نبضاً قلبيًا لانهُ كان يودُّ ان يجدهُ فيها

(١) Plant Autographs and their Revelations

ان موقفي ازاء العالم الهندي الممتاز موقف احترام واعجاب . اني اجلُّ ما بذلهُ من الجهد العظيم في اثناء ثلاثين سنة لكشف الستار عن كثير من مجاهل الحياة النباتية. ولكني ارى انهُ في النتائج التي وصل اليها في كتابهِ الاخير لم يكبح جماح هواه بضابط من عقلهِ

فلقد اثبت هذا العالم بتجاربهِ المتعددة — كما قدمنا في طليعة هذا المقال — ان في النبات اعصاباً تتأثر بالمؤثرات ويختلف تأثرها باختلاف الاحوال من برد وحرّ وتنفعل بفعل المخدرات والسموم وهلمَّ جرًّا . كل هذه الحقائق الجديدة التي اضافها الى ما نعرفهُ عن حياة النبات ، رغماً عن شيء من الحماسة الشعرية يمزج أحياناً بكتاباتهِ العلمية ، لها قيمة كبيرة وقد احرزت للكاشف عنها مقاماً ممتازاً بين العلماء

اما في كتابهِ الاخير « اسماء النباتات بخطها وما تنبئ عنهُ » فيصف السر بوز « درة مباحثهِ » على ما يصفها احد النقاد الانكليز وهو « ان عصير النباتات يُدفع في عروقها بجهاز ميكانيكي يشبهُ في اصولهِ جهاز الدورة الدموية في الجسم البشري » . ويأتي بعد ذلك على كثير من تجاربهِ التي تؤيد في رأيهِ هذا الزعم ويدعمها بصور بيانية تمثل في خطوط مكسَّرة التغيُّر المنتظم في قوة مجرى كهربائي دقيق متصل بنبات من النباتات

لا سبيل الى انكار الشبه الكبير بين هذه الصور التي تبين النبض في النبات والصور الكهربائية التي تبين نبض القلب . ولكن هل التشابهُ سطحيٌّ فقط او هو اعمق من ذلك واصولهُ في الحالتين متشابهة ايضاً ؟ هذا ما اردت معرفتهُ فجربت طائفة من التجارب في معملي بمعونة كلنز من اعمال ولاية مشيغن للاهتداء الى الجواب عن هذا السؤال الخطير

***

يصف العالم الهندي في كتابهِ الادوات العلمية الدقيقة التي استعملها في تجاربهِ . واحدى هذه الادوات مسبار كهربائي مؤلف من سلك معدني دقيق محدَّد الرأس مستطيلهُ متصل بعدَّاد كهربائي . فكان يغرز هذا المسبار في النبات مقدار قطر شعرة حتى يعثر على الطبقة الحساسة في انسجة النباتات . وبواسطة هذا المسبار وهذا الغرز المتدرج حصل على آثار مجرى كهربائي متَّزنة دلَّت على وجود نبض قلبي او ما يقابلهُ في الازهار والنباتات التي جرَّبت تجاربهُ فيها. ثم جعل يحقن هذه النباتات بمقادير صغيرة جدًّا من السموم كالستركنين مثلاً فوجد ان الستركنين زاد النبض قوة فلما زاد مقدار الجرعة وقف النبض تماماً

اما وقد لخصت رأي العالم الهندي وطريقتهُ في تجاربهِ فلاصف للقارئ كيف اتصل موضوع بحثهِ بي وكيف حُملت على اعادة تجاربهِ . ذلك انهُ يهمني في عملي طائفة من

الامراض تنشأ عن سموم في الجسم تولدها بعض انواع المكروبات ، واقوم مع مساعديّ بتجارب كثيرة نجربها في الارانب والجرذان وخنازير الهند لندرس فعل هذه السموم في اجسامها ولنحاول الكشف عن دواء لها فاتصلت بي مباحث السر جاغادس بوز الاخيرة فلمحت حالاً امكان استعمال طريقته لتجربة فعل السموم في النباتات على نحو ما كنا نجرب فعلها في الحيوانات فعزمت مع مساعديّ الدكتور ولرد بنت والمستر ولتر كريج ان نعيد التجارب التي استنبطت في معهد بوز بكلكتا لكي نتعلم من ذلك وسائلها واساليبها

فصنعنا اولاً المسبار الكهربائي الذي وصفهُ السر جاغادس بوز في كتابهِ وكان هذا المسبار مؤلفاً من انبوب شعري مستطيل الرأس محدّدهُ وفيهِ ادخلنا سلكاً من البلاتين قطرهُ جزء من ٢٥٠ جزءًا من البوصة وجعلنا كل السلك الاَّ رأسهُ معزولاً بالانبوب الزجاجي الذي يحيط بهِ . ثم وصلنا هذا المسبار بآلة دقيقة تستطيع ان تقيس حركة هذا المسبار مهما دقَّت ولو بلغت جزءًا من ٢٥٠٠ جزء من البوصة . وقد عنينا كلَّ العناية حتى نمنع كلَّ اتصال كهربائي الاَّ بين رأس المسبار ونسيج النبات

ثم جئنا بمقياس للكهربائية (غلفانومتر) واقمناهُ على قاعدة ضخمة من الطوب واقمناها هي بدورها على ثمانية اركان من الستك لنمنع اهتزاز المقياس وارتجاجهُ . ثم وضعنا امام المقياس آلة فوتغرافية تستطيع ان تصوّر على فلم كلَّ انحراف في ابرة المقياس

فلما تمَّ بناء الادوات اللازمة للتجربة اجتمعت لدينا وسيلة علمية دقيقة نستطيع ان نصوّر بها كل نبض يظهر في النباتات اذا كان ثمت نبض ما . ذلك ان نبضاً كهربائيًّا منتظماً في النبات لا بدَّ ان يحرك رأس المسبار حركة منتظمة فتسري الكهربائية في السلك الى المقياس الكهربائي فتنحرف ابرتهُ الى اليمين او الى اليسار حسب قوة الكهربائية وضعفها وانحرافها هذا يصوّر فوتغرافيًّا على فلم . فاذا لم يكن في النبات نبض منتظم لم تنحرف ابرة المقياس الكهربائي وظهر الخط على الفلم مستقيماً ولكن اذا وجد في النبات قوة تؤثر في مقدار القوة الكهربائية التي في المقياس انحرفت الابرة وظهر الخط على الفلم مكسراً كانهُ خط الحرارة لمريض بالحمى التيفوئيدية

وقد ذكر السر جاغادس بوز اسماء النباتات التي جرَّب تجاربهُ فيها فاذا هي من الفصيلة الصليبية التي تضم الكرنب واللفت والقرنبيط والجرجير فاخترنا اللفت وجربنا اكثر تجاربنا بهِ لان لورقتهِ زنداً وجربنا ايضاً تجارب في نباتات اخرى استعملها الدكتور بوز في تجاربهِ وذكرها في كتابهِ فوصلنا فيها كلها الى النتيجة عينها

بدأنا التجارب وغايتنا منها تدوين آثار النبض التي وصفها الدكتور بوز كما تشاهد في جذوع النبات ناجمة عن حركة عصارتها وقياس التغييرات التي تحدث في هذا النبض اذا عولجت الجذوع بانواع مختلفة من المخدرات

ولثقتنا العظيمة بمباحث العالم الهندي كنا ننتظر ان نرى نتائجها مكررة في معملنا . ولكن مع كل الدقة والعناية التي توخيناها في وسائل التجارب وادواتها على ما هي موصوفة في كتاب السر بوز عجزنا عن الحصول على شيء من قبيل نبض منتظم في انسجة النباتات الحية . واعدنا التجارب مراراً متوخين في الادوات المستعملة درجة من الدقة تفوق دقة الادوات التي استعملها السر بوز ولكن من غير ان نحصل على شبه دليل على وجود نبض صحيح . جربنا التجارب في اوراق مفصولة عن نباتات حية وفي اوراق لا تزال متصلة بنباتات نامية في اصص . كذلك جربناها في المعمل وفي الهواء الطلق ليلاً ونهاراً وفي احوال مختلفة من الحر والبرد والنور والظل . وفي النهاية رأينا الواجب يقضي علينا ان نذيع نتائج مباحثنا على الجمهور

ثم اورد الاستاذ تفاصيل هذه التجارب مما لا مجال للتبسط فيه في هذا المقام ولكن نتيجتها كانت انهُ كلما اتقنت وسائل العمل ومنعت الاسباب التي تهز الادوات المستعملة وترجها اقتربت الخطوط المرسومة على الفلم الفوتغرافي من ان تكون خطوطاً هندسية مستقيمة اي انهُ لم يكن في النباتات الممتحنة تغيُّر ما يحرف ابرة المقياس الكهربائي حتى يظهر اثر انحرافها خطًّا منكسراً . ومن هذا يستنتج ان ما في خطوط السر بوز من التكسر سببهُ اهتزاز الآلة المستعملة اهتزازاً خارجيًّا ناجماً عن عدم ضبط التجربة ضبطاً علميًّا دقيقاً

ثم اراد الاستاذ برسن ان يضبط النتائج التي وصل اليها فاخذ فتيلة مصباح عادي وغمسها في وعاء ممتلىء بعصارة ورق الكرنب وهي في خواصها وقوامها مماثلة للعصارة التي تجري في عروق النبات . ووصل الفتيلة بالمسبار والعدّاد الكهربائيين فاحدثت حركة العصارة في اثناء امتصاص الفتيلة لها انحرافاً منتظماً كل الانتظام تقريباً في ابرة العدّاد الكهربائي فرُسم هذا الانحراف على الفلم خطًّا منكسراً انكساراً منتظماً يشبهُ من وجوه كثيرة « الكارديوغرام » اي الرسم البياني لنبض القلب . فحبذا الحال لو عني قسم المباحث الفنية بوزارة الزراعة باعادة هذه التجارب واتحافنا بنتائجها



مطالعات الصبا ومؤلفات الشباب

كنت وقد نضجتْ مني سن ونجذتني ايام وادبني دهر ، اتحدث الى نفسي في ما قد طالعتُ ازمان الصبا من كتب لو كان الكتاب منها جنيهاً مصريًا لكنت اليوم من ذوي اليسار املك الاطيان ووافر العقار ، وكيف اني لم أُفد منها شيئاً مذكوراً ولم اع منها الا قليلا ، بل حاق بي مرة من طائفة منها اذى كبير تخلفتْ لي عنهُ في رجولتي آثار بالغة وتبعات غلاظ

وكنت ارجع البصر كرة وكرتين في ما الفت من كتب وترجمت ايام الغرارة وطراوة السن فكنت اجدني كارهاً متندماً على ما أعجلت من عمل كان يتوفر لهُ التمام والاتقان لو تركتهُ الى سن التجارب المنضجة والتحصيل الذي ربا ليبلغ باذن الله اشدَّهُ

وكنت من قريب اقرأ كتاب (الاسلام خواطر وسوانح) للكونت هنري دي كاستري ترجمة المغفور لهُ فتحي باشا زغلول . وكان الكونت دي كاستري مؤلف الكتاب قد شاهد في ريعان شبابهِ صلاة المسلمين في صحارى بلاد المغرب وقد اذن المؤذن بحيَّ على الصلاة فنزلوا من على صهوات خيولهم يقيمونها خُشَّعاً ساجدين فاكبر الكونت ما قد رأى وراعه جلال هذا القنوت لله وأُشرب بحب هذا الدين قلبهُ ، فهمَّ يكتب يومئذٍ ما جاشت بهِ نفسه في ثورة العاطفة ، ولكنهُ اتأد ولم يكتب الا بعد ان مضى بهِ حين طويل . وفي ذلك يقول في ص ٣ : « كنت في سن يستسهل العقل فيها حلَّ المشكلات ويأخذ الاشياء من ظواهرها ويحل الخيال فيها محلَّ النقد والتنقيب ويعتقد المرء في الامور بغير قيد. وهي سن لو انصف اهلوها لما كتبوا وألفوا وكنت ارى ان جمال الدين اصدق شاهد على انهُ الدين الحق وصرت اكتب في الاسلام غير شاعر بما يخطهُ القلم طوع الفؤاد

« ولو اني اتبعت مجرد الظواهر وقضيت على الامور بغير تأمل وتدقيق لجاء كتابي مذموماً ورماني المستشرقون بالخفة والطيش كما يرمون بحق بعض مؤلفي الجزائر من الاوروباويين »

اما حين تناهى شباب الكونت وامسى رجلاً مستوياً نضيجاً مستتم التجارب ثقيل النظر في الامور خبير الرأي والمعرفة فقد كتب في الاسلام كتاباً يرضي المسلمين والمستشرقين والعقلاء المنصفين

قرأت سطور هذا الكاتب في مطالعات الشباب ومؤلفاته فطاب عندي مذاقها وطربت لهذا الاتفاق في الخواطر بين كاتب وكاتب ، فقلت فلا كتبنَّ في هذا رأيي واختباري فاني احسب ان فيه لنشئنا وفتياتنا عظة وان لهم منهُ درساً نافعاً .

***

نشأت مولعاً باصناف من الكتب ثلاثة : كتب اللغة والادب ، وكتب الحكمة والفلسفة ، وكتب الاقاصيص والروايات . وكان للروايات عندي في سن المراهقة منزلة الصدر . فما ابقت مطالعتي منها على شيء وجدتهُ في خزانة ابي او في خزانة رفاق التلمذة مما كانوا يعيرونني اياهُ منها . فاما جانب التفكير منها والافادة فشيء يسير الفيتهُ في بعض روايات الفرنسويين من نسّاج الحقائق والمقررات العلمية والفلسفية من طائفتي الناتوراليست (naturalistes) والرياليست (réalistes) واحتاج اليوم الى مراجعته لاذكرهُ ذكراً تامّاً ولافيد منهُ فائدة بينة مثل روايات ستندال وبلزاك وزولا وموپاسان

اما الجانب النفسي والاخلاقي فجانب وأسفاه خراب كلهُ خرجت من قراءته بالمضرة البالغة فان في طبيعتي ، وانا رجل عصبي المزاج ، ميلا الى لذات الاحلام وتخدير الخيالات وما اليهما من افراط التأثر وغلبة العواطف التي هي جميلة في النساء ومكروهة اذا افرطت في الرجال . فلقد قلبتْ الرواية في عيني الحياة — وحسبُ الشباب جهلاً بالحياة ! — وجعلتني أريد ارادة المتعنت القاسي تطبيق الذي اقرأهُ في الرواية على ما انا صانع بالناس والناس صانعون بي متعامياً عن حقائق الامور ووقائع الدهور فاوذيت من الناس بالخديعة واوذيت من الحوادث بمطاعنتي لها في مجراها ومجالدتي لها في قضائها الذي سُنّ لها وكتب ، فلم افق الا يوم شارفتُ السادسة والثلاثين وقد كدت أهن والضعضع ويذهب جسمي وكلي ، وليس بيدي من الوف الفرص الحسان التي عرضت لي واغرتني بحلاوتها شيء

اما كتب اللغة والادب وكتب الحكمة والفلسفة فما افدتهُ منها على كثرة الغوص وامعان التقب كان كرؤيا الاحلام تُذكر منها اشياء وتنسى اشياء لا لحام بينها ولا صلة . وكان عليَّ ان استعيد قراءتها مرات وكان خير هذه المرات مرة النضوج واكتمال التجربة والتفكير

واضرب لك مثلاً بكتاب « فقه اللغة » للثعالبي الذي حفظتهُ في الصبا غير مرة وكتاب « اميل » في التربية لروسو وكتاب « التربية الاستقلالية » لالفونس اسكيروس وكتاب « سر تقدم الانجليز السكسونيين » كل اولئك وما اليها من نفائس المصنفات لم افهم

كنهها واقتبس فوائدها واستخرج منافعها الاّ حين ارجعتُ البصر فيها كرة اخرى هي كرة السن الناضجة المبصرة

واحب ان اخص لك بالذكر من بين هذه الكنوز وافرده ُ بالتنويه كتاب «سر النجاح» للعالم الفاضل صموئيل صميلز وترجمة طيب الذكر فقيد العلم والفلسفة العلامة الدكتور صروف . فانهُ خير كتاب وقع في يدي ، تعلمت منه ُ كثيراً وغنمت . فاني قرأتهُ ثلاث مرات آخرهن في هذه الايام . أفأنبئك بعجيب ، هو اني قد اهتديت في هذه الاخيرة من مطالعاتي الثلاث لهذا الكتاب ، الى اشياء جمة عظيمة الفائدة لم اكن قد اهتديت اليها من قبل ولا افدت منها ما افدتهُ اليوم من فائدة هي خير من كنز ؟

اما مؤلفاتي ومعرباتي فما انا عنها ، على ما بي من حرص وترجيح لوزن الاتقان في ما صنعت يداي على وزن التجارة وشهوة الكسب منذ ان امسكتْ يميني بقلم ، ما انا عنها براض كل الرضا واجدها بحاجة الى ان اكتبها من جديد بقلم السن التي هذبها صقال الدهر . وما احسن ما كتب في ذلك الجاحظ اذ يقول :

« وينبغي لمن كتب كتاباً الاّ يكتبهُ الاّ على ان الناس كلهم لهُ اعداء وكلهم عالم بالامور وكلهم متفرغ لهُ ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه يغبّ ويختمر ولا يثق بالرأي الفطير فان لابتداء الكتاب فتنة وعجباً فاذا سكنت الطبيعة وهدأت الحركة وتراجعت الاخلاط وعادت النفس وافرة ، اعاد النظر فيه وتوقف عند فصوله توقف من يكون وزن طمعه في السلامة انقص من وزن خوفه من العيب » ثم هل تراك وجدت كتاباً قيماً مخلداً الاّ وقد اخرجهُ صاحبهُ وهو في الرجال مكتمل نضيج ؟ كل عمل جليل وصنع عظيم وبدع بديع كانوا نتاج سن الاربعين او حواليها ، وسير الاولين والحاضرين فيها مصداق ما نقول .

فهذا ابن رشد فيلسوف الاندلس كان اعظم مؤلفاته واشهرها شرحهُ الكبير لمؤلفات ارسطو اخرجهُ للناس وهو في الخامسة والاربعين . وزولا الروائي الفرنسوي المشهور فقد اخذت تطير في الناس شهرته يوم اخرج لهم وهو في الثانية والثلاثين رواياته المعلمة المعروفة بروجون ماكار (Rougon-Macquart) وهي تقع في عشرين جزءا واتمها وهو في الثالثة والخمسين . واديسون المخترع الاميركي العظيم بدأ يتحف الانسانية بمعجزات اختراعاته وهو في سن الثلاثين . وموباسان القصصي الفرنسوي المشهور بدأ الناس ينتفعون باطيب قصصه وهو في الخامسة والثلاثين. وولتر سكوت الروائي الانجليزي

الذائع الصيت اخرج اشهر مؤلفاته وهو في سن الاربعين . ودريدن الشاعر الانجليزي المعروف نضج شعره وجاد ، وهو في سن الثانية والاربعين ولدينا من ذلك امثلة كثيرة على ان الصبا قلما يجيد او يبدع وإنما هوسن الإعداد وتهيئة المجوّدات والجلائل والبدائع التي هي مواليد الرجولة المحنكة والكهولة المختمرة الناضجة وما اردنا بهذا ان يجعل الشباب يدهُ مغلولة الى عنقهِ يمضي في سكون ويمرح في غير ما عمل فليقرأ الشبان ولكن ماكان اليق بهم واجدى عليهم ، وليؤلفوا ولكن فليعلموا انهُ ليس بالتأليف الذي تقربهِ اعينهم وتثلج بهِ انفسهم ،ولكنهُ جسرهم لابد عابروهُ ليصلوا الى ما سيجدون بهِ بَرْد السرور وينالون بهِ مرضاة الناس وثناءهم الحق

ومن العبث والجنف ان تطمع من الحداثة والشباب ان يتمقلا ما يطالعانه من كتب تعقل النضج والاكتمال فان علوم البشر وآدابهم تداولتها عصور وتعاقبت في تكوينها وانضاجها اجيال والعقل البشري خاضع لهذه السنة ولا يجد عن سلوك هذه الجادة مصرفاً ولا وسيلة فان لهُ حدوداً معينة وازماناً محددة يبلغ فيها تمامه ويمسى اهلاً للكسب متهيأً للاستفادة وجودة الاستغلال . ولا بد لهُ من توفية مدة صقاله وغاية تهذيبه وزمن تقلقله وتقلبه واضطرابه حتى يصير الى حد الاتزان والارتكاز . لهذا كانت استفادة الشباب بمطالعاته سقيمة عرجاء . ولكتاب واحد يطالع في سن النضج خير من عشرين كتاباً تلتهم في سن الحداثة والشباب

والذي اراهُ للشباب ان لا يقرأ الاَّ ما لهُ بعلومهِ مدة الدراسة ، صلة وعلاقة متينة فيطبقهُ حين يفرغ من الدرس الى العمل ليجود بهِ عمله ويشتهر ، وليجتنب الاحداث والشبان مطالعة الروايات والاقاصيص ايَّا كانت وما اليها من معارض السينما فانها لهم لمشغلة ومضلة واذى بالغٌ . ذلك ان هذه الروايات انما تغتذي من الخيال وتهيم في وديانه وتريك صوراً من الحياة هي في الغالب غير ما أنت ترى وتصطدم بهِ كل يوم . والذي يعيش بين الناس ويبغي في الحياة النجاح وجب عليهِ ان يستبضع الحقائق وُسعه وان لا يستجلب من هذا الخيال الاَّ بالقدر اللازم لهُ في صنعته او عمله حسب ما يحتاج منهُ لتكمل وتجود . اما السلوك والمعاملة فما لهما بهذا الخيال علم ولا هما يقيمان لهُ اي وزن . وليس بناجح في الحياة مهتدي المسالك الاَّ الذي ينظر الى الامور كما هيَ والى الناس كما فطرهم الله او كونتهم عاداتهم وامزجتهم

حتى اذا ما ولج الشاب باب العمل وبلغ زمانه فليكن كما تريدهُ حاله الجديدة مكبًا

على صنعته تجويداً لها واذاعة لشهرته بها مُحدّقاً بعينيهِ في ما يرى ويسمع من الاشياء والناس مستخرجاً مما رأى وسمع العبرة والعظة ، كاسباً لنفسه الدرس والفائدة . من اجل هذا أرى لهُ ان يجعل المطالعة في الكتب العشر وتسعة الاعشار الأُخر مطالعة في كتاب الطبيعة . وما تحوي من ناس وحيوان متعرفاً سنتها متتبعاً لمجاريهما ، متعقباً للامور ، متقصياً لحركات الناس وسكناتهم ، ليفيد علماً واختباراً ونظراً وهدايةً وصواباً . واولئك جميعاً وسائل النجاح وادوات التوفيق والتيسير . وهو اذا تكوّن من عصير الاختبار وتجمل، وبلغ ما شاء ان يبلغ من النضوج والكمال كان ما يقرأهُ من الكتب منهُ مفهوماً جليًّا قريب التناول ، ولا يغمض عليهِ ثمت شيء مما يسنهُ لهُ كاتب في كتاب يقرأهُ او قاعدة من قواعد السلوك يقررها لهُ ، او خطة من خطط النجاح يرشدهُ اليها ، او قانوناً من قوانين الحياة يعرفهُ اياهُ . وانما هو يقرأ في الكتب حكمة الغير عن معالجتهِ لامور الحياة ، ويطلع على اختبار مختبر ودرس دارس . فالسبيل التي سلكها فليسلكها هو كذلك وليعالج ما عالجهُ ذاك . والناس انما يتفاضلون بالاجتهاد والاختبار

وليجعل الشاب الى جانب ما يطالعهُ من هذا العشر من كتب تغزرُ بها معرفتهُ في قواعد صنعتهِ او عملهِ واسرارهما ، ويبلغ بها الى الاجادة والنبوغ فيهما ، تلك الكتب المتضمنة للحقائق والمعارف وماديات الحياة التي يقوى بها عقله ويستحكم بها تفكيره ، ويسلم بها حكمه مثل كتب العلوم والمعارف ، والكتب التي تذكي عزيمتهُ وتشحذ همتهُ ، وتغريهِ بالمعالي وتفتنهُ بالكدح وجميل الجهاد فيكون في الحياة ما قالهُ الشاعر :

وتحقر عندي همتي كل مطلب ويقصر في عيني المدى المتطاول

امثال كتب السير التي تُعدّهُ للاستفادة من الحياة وتكسبهُ المعرفة والاختبار ما يأمن من الزلل والعثار ، وتفطّنهُ الى اغتنام الفرص وشدة الحرص على عدم اضاعتها . وأحسن كتاب في نظرنا وانفسهُ ، يقتنيهِ الشاب منها ويجعلهُ في رأس ما تحتوي خزانتهُ من كتب ، كتاب « سر النجاح » الذي اوردنا لك ذكرهُ في صدر مقالتنا واؤكد لشباننا انهُ ما من كتاب يهديهم الى مسالك النجاح وموالج العظمة مثل هذا الكتاب الذي صح في مؤلفهِ الفاضل صموئيل صميلز ومُهديهِ الى شباب مصر والمشرق المأسوف عليهِ علامتنا الدكتور صروف ، ما أثبتهُ المؤلف في ص ٢٧٣ من كلام فرنسيس هُرنر الذي كان يُثبت في مذكراتهِ اسماء الكتب التي طالعها فغنم منها غنماً عظيماً فقال في ذلك : « واني اعد الرجل الذي يُظهر للعالم كيفية البلوغ الى العظمة من احكم الناس »

كذلك وجدنا مؤلف الكتاب ومعربهُ المأسوف عليهِ . وشبابنا اذا طالعوا هذا الكتاب مطالعة الامعان والتروية والاستفادة فانا ضامن لهم في حياتهم النجاح الاوفر

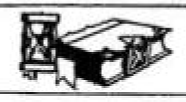
وليجعل شبابنا هذا العشر مما يقرأون قليلاً مختاراً ، مضموناً نفعه ، غير منكورة قيمتهُ ، فيعاودوا قراءته كل حين من دهرهم مثنى وثلاث ورباع فان الافادة في الاعادة ، وفي التكرار الاجادة . وفي ذلك يقول اللورد ددلي نقلاً عن كتاب « سر النجاح » : « اني مغرم بالاقتصار على الكتب المفيدة التي طالعتها وعرفت فائدتها واشهد ان قراءة كتاب عتيق مرة ثانية افضل من قراءة كتاب جديد لم يُقرأ قبلاً وان لم تكن الذ منهُ »

أما حين يخلع الرجل بُرد الشباب ليرتدي ثوب الكهولة واستواء السن فليفرغ للمطالعة ما شاء لهُ الهوى ان يتفرغ وليجعل لها بعد ان يكون جال في الحياة مجاله ، واستوفى علماً وتجربة ، وكدحاً وخبرة ، واستيثاقاً لحاضره ومُقبله ، واعداداً لنفسه ولاهله ، وتوطيداً لمعاشه وحاله ، وادراكاً لمبغاته ونجاحه ، ليجعل لها تسعة الاعشار او عشرة الاعشار فما وجدت في مثل هذه الحال مثل المطالعة خديناً مواتياً ، وسميراً ملاطفاً وأليفاً وفيًّا وناصحاً نصوحاً ومعلماً مجزلاً للفوائد . وحكيماً يهوّن من اذى الناس وشرورهم ويلطّف من تنكّر الايام وغدرها فان الكتاب كما قال الجاحظ :

« هو المعلم الذي ان افتقرت لم يحقرك وان قطعت عنهُ المادة لم يقطع تلك الفائدة وان عُزِلت لم يدع طاعتك ، وان هبت ريح اعاديك لم ينقلب عليك ومتى كنت منهُ متعلقاً بسبب او معتصماً بادنى حبل لم تضطرك معهُ وحشة الوحدة الى جليس السوء . ولولم يكن من فضله عليك واحسانه اليك الا منعه لك من الجلوس على بابك والنظر الى المارة بك مع ما في ذلك من التعرض للحقوق التي تلزم ومن فضول النظر ومن عادة الخوض في ما لا يعنيك ومن ملابسة صغار الناس ومن حضور الفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة واخلاقهم الردية وجهالاتهم المذمومة لكان في ذلك السلامة ثم الغنيمة واحراز الاصل مع استفادة الفرع ولولم يكن في ذلك الا ان يشغلك عن سُخف المنى وعن اعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما اشبه اللعب لقد كان في ذلك على صاحبهِ اسبغ النعمة واعظم المنة »

هذا ما احسب اني كسبتهُ بعد تجربة طويلة وإطالة اختبار عسى ان اكون في مساقه لشبابنا قد افدت وفي نصحهم احسنت وبلغت

احمد ابو الخضر منسي



وانا بقربك كل يوم عيدي

بِكَ يا كتابُ أهيمُ لا بالغيدِ ... واللهُ يَعلمُ والانامُ شهُودِي

إيّاكَ أشتاقُ اشتياقَ متيَّمٍ ... وإليكَ ألتاحُ التياحَ عميدِ

هوَايَ مَقصُورٌ عليكَ لأنّ لي ... عوَزاً إليكَ كما الى المَدُودِ

أشدُو وأنشِدُ في جَمالكَ أنّهُ ... مِدعاةُ شَدْوي بل مَدار نَشيدِي

وإذا نَثَرتُ ففي امتداحكَ ساجعٌ ... واذا نظمتُ فأنتَ بيتُ قصيدِي

يا مؤنسي في وحشتي ومحدّثي ... عن كلّ أمرٍ نافعٍ ومفيدِ

وجليسَ خيرٍ لا يخافُ جليسُهُ ... من نزغ نمّامٍ وشرّ حَسُودِ

وصديق أمن ليس مع إخلاصهِ ... خطرٌ يهدّدُني بنكثِ عهودِ

فإذا سكتَّ فأنت أبلغ ناطقٍ ... كلماتهُ تقصارةٌ في جيدِي

وإذا عبستَ فمَنْ وقارٍ شائقٍ ... منكَ العبُوسُ وليس عن تهديدِ

***

يا قبلتي حيثُ اتجهتُ فمقلتي ... ترنُو اليك بشوقها المعهودِ

في العام أعيادُ الورى معدودةٌ ... وأنا بقربك كلَّ يوم عيدِي

الشمسُ يهديني نهاراً نورُها ... والبدرُ في جنح الظّلام رَشيدي

ودمي يجدِّدهُ الغذاء فيتّقي ... جسدي الدثور بذلك التجديدِ

وضياءُ عقلي عنك يصدرُ مظفراً نفسي بنيل غذائها المنشودِ
ولديَّ طعم جناك أطيب من جنى نحل ومن رشف ابنة العنقودِ
فيكَ العُلُومُ جميعُها مَذْخُورَةٌ فيفوزُ مَنْ يَقْنُوكَ بالمقصُودِ
تُغْنِيهِ عَنْ أُسْتاذِهِ فيقُولُ إذْ يَمْلُوكَ مالي حاجةٌ لمزيدِ
هذا عَلِمْتُ بالاخْتِبارِ فَقُلْتُهُ أفبَعْدَهُ أخْشى مِنَ التفنيـدِ

***

أخلقْتَ جدَّةَ هذهِ الدُّنيا ومَا تنفكُّ مُدَّخراً لكُلِّ جديدِ
وطَوَيْتَ في الأرْضِ العصور ولم يزل لك في الورَى ذكرٌ كنشرِ العودِ
وعليْكَ كانَ تقدُّم الإنسانِ منْ عهْدٍ كما عَلِمَ الجميعُ بعيدِ
فلأنتَ مِرْآةُ الحضارةِ معرضُ الـ عمْرانِ والتأسيسِ والتشييدِ
وبكَ ابنُ هذا اليوم يحيا إنْ يشا في عصرِ آباءٍ لهُ وجدُودِ
منكَ اجتلى الانسانُ أصل وجوده ودرَى نهايةَ عمرهِ المحدُودِ
بلْ منكَ سرُّ الوحيِ ذاعَ مبلغاً للخلقِ أمْرَ الخالقِ المعبُودِ
لوْ أنصفَ القرَّاءُ كانُوا كلُّهمْ منْ مذهبي وجرَوا على تقليدي
فبكَ الهيامُ لكلِّ ذي لبٍّ هدَى يحيا سعيداً فيكَ أيَّ سعيدِ

القاهرة اسعد خليل داغر



اشعة اكس في خدمة الفن

الاساليب الكيماوية والفنية

في تمييز الصور الاصلية القديمة من الجديدة المزيفة

تبقى المسائل العلمية مطوية في سجلات الاساتذة والباحثين حتى تقع حادثة تسترعي انتباه الجمهور وعنايتهُ فتهبُّ الصحف اليومية اولاً وتليها الصحف العلمية تفصل المسألة العلمية المرتبطة بتلك الحادثة على تفاوت بينها في الايجاز والاسهاب والصحة والخطاءِ

ومن هذا القبيل البحث في الاساليب العلمية المستعملة الآن لمعرفة الصور القديمة الصحيحة من المزيفة . ذلك ان ثمن الصور القديمة التي خلفها ائمة التصوير الزيتي كرفائيل ودهفنشي وروبنس ورمبرانت وتِشَن وميكل انجلو واضرابهم قد بلغت اثمانها مبلغاً لا يصدَّق. فقد بيعت في السنة الماضية صورة لرفائيل بمائة وسبعين الف جنيه. وقد اصبح ابتياع صورة مشهورة بمائة الف جنيه امراً مألوفاً . فالمثري الذي يقدم على دفع مائة الف جنيه او اكثر من ذلك ثمناً لصورة منسوبة لمصوّر مشهور يريد ان يتحقق هل الصورة صحيحة او مزيفة. وخطورة ذلك ظاهرة في قول فاه بهِ الدكتور وليم بود مدير متحف القيصر وليم ببرلين. قال معبراً عن حقيقة تاريخية في قالب من التهكم: لقد صوَّر « رمبرانت » نحو ٧٢٥ صورة عرف منها حتى الآن نحو ثلاثة آلاف ! اي ان ٢٣٠٠ صورة من الصور المنسوبة اليهِ مزيفة او صوَّرها تلاميذهُ المتأثرون باسلوبهِ الفني

وفي اوائل الربيع الماضي رفعت سيدة اميركية مثرية تدعى مسز اندره هان قضية على الخبير الفني المشهور السر جوزف دوفين تطالبهُ بتعويض قدرهُ مائة الف جنيه لانهُ قال ان صورة في مجموعتها تنسب الى ده فنشي وتدعى « الفرونية الحسناء» ليست الا نسخة مزيفة غير متقنة التزييف للصورة الاصلية المعلقة في متحف اللوفر

فعهدت المحكمة الى طائفة كبيرة من رجال الفن ورجال العلم في الاعراب عن رأيهم في صحة ما ادعاه السر جوزف دوفين. وكان للمسألة دوي في المحافل وطنطنت بها الجرائد وخصوصاً لما اتفق اعضاء المحكمة على ان لا يتفقوا فكتبت اربع من المجلات العلمية التي تصلنا مباحث في هذا الموضوع فرأينا ان نلخصها في هذا المقال ونزينهُ بالصور لتوضيح المراد

يظن عامة الناس ان الصور الزيتية اما اصلية واما مزيفة وقد غاب عنهم أن هنالك صنوفاً اخرى من الصور كل صنف منها لاهو هذا ولا هو ذاك . فهناك صور قد تكون صوّرت في معمل المصوّر الذي تنسب اليهِ بريشة احد تلاميذه فلما تمَّ تصويرها اخذ المعلم ريشتهُ ومسح الصورة بمسحةٍ من فنهِ . وهناك صور قد تكون نقلت عن صور قديمة في عهد المصور الذي نسبت اليهِ فظهرت عليها آثار طريقتهِ . وهناك صور قديمة تلف جانب منها فعمد اليها احد المصورين في العصور الحديثة فرممها واعادها بريشتهِ الى ما كانت عليهِ حسب ظنهِ ! فاذا عهد الى خبير في النظر في صورة قديمة منسوبة الى مصوّر مشهور وجب عليهِ أن يعيّن الطبقة الخاصة التي توضع فيها الصورة المعروضة وهذا من اشق الامور لولم يجد العلم الى ذلك وسائل جديدة تجعل الحكم اقرب الى الصواب

***

انقسم الخبراء الذين لهم حق الحكم في هذه الامور الى فريقين الفريق الاول يذهب الى ان الخبير يستطيع ، اذا كان واسع الاطلاع دقيق الحس ان يحكم على صورة من الصور من مجرد رؤيتها والنظر الى اسلوبها . فهو في الغالب يحفظ في ذاكرتهِ ما تحتوي عليهِ المتاحف من الصور المشهورة وما تضمهُ المجموعات الخاصة في مدن الدنيا ويكون قد توفر على درس مصوّر خاص وتعرّف طريقتهُ في الرسم والتصوير وضرب الريشة على القماش . فابناء هذا الفريق يكتفون بعرض الصورة التي يدور عليها الجدال على خبير او خبيرين من الذين اختصوا بدرس المصوّر الذي تنسب اليهِ ويؤخذ قولهُ او قولها حجة

اما الفريق الثاني فيعمد الى المادة يستنطقها ، يفحص الخشب او القماش الذي رسمت عليهِ الصورة بالمكرسكوب ، ويحلّل الادهان الزيتية التي دهنت بها . ثم هو من بعد ذلك يعرّضها لاشعة اكس والاشعة التي فوق البنفسجي ليرى هل حدث فيها تغيير بعد ما صوّرها صاحبها . الهوّة بين اسلوب الفريقين واسعة يتعذّر سدُّها الاَّ بالتعاون فدعاة الفريق الاول يقولون ان قطعة من الفن يخرجها متفنن كبير لا بدَّ ان تكون مطبوعة بطابع من شخصيتهِ وروحهِ ولا بدَّ ان تظهر فيها اساليبهُ الخاصة . يقولون اذا صوّرت صورة حديثة تقليداً لصورة قديمة امكن الكشف عنها بتحليل اصباغها ولكن كيف تستطيع ان تكشف عن صورة غير اصلية صوّرت في عهد الصورة الاصلية مقلدة لها واستعملت فيها الاصباغ نفسها التي كانت شائعة في ذلك العصر — ان صورة كهذه لا يستطيع ان يكشف عنها الاَّ الخبير الذي درس اسلوب الرجل الفني وميزاتهِ الروحية وعرف كيف يستدلُّ بها على آثار شخصيته

فيجيبهم ابناء الفريق الثاني كل صورة في اساسها جسم ماديّ — اصباغ وادهان على خشب او قماش. فكل حساب يحسب لمسألة الاسلوب الفني انما هو تكهن لا يثبت حتى تؤيده الادلة المستخرجة من تاريخ الادهان والخشب الذي استعمله المصوّر. فنحن نستطيع ان نقول لهم ما هي هذه الصورة ومتى صوّرت وهل الادهان التي فيها قديمة او حديثة وهل الصورة كلها قديمة او هل جانب منها قديم والجانب الآخر حديث. فاذا اتممنا عملنا تمهّد السبيل لكم حينئذٍ لمعرفة من مصوّر الصورة ولكن ضمن دائرة عيّنها البحث العلمي

***

لقد شطّ الكلام عن موضوع المقال الاصلي وهو الاساليب العلمية في خدمة الفن. وهذا الاستطراد كان لا بدَّ منهُ لبيان خطورة الموضوع والاركان التي يقوم عليها

خذ الاصباغ التي استعملها المصورون في قديم الزمان وحديثهِ. كان الاستاذ لوري الاسكتلندي اول العلماء الذين عنوا بدرس الاصباغ القديمة والاصباغ الحديثة وتاريخها فوجد ان الصباغ الازرق المعروف بالازرق الملكي وهو مركب من السلكون واكسيد الكوبلت استعملهُ المصورون اولاً في القرن السادس عشر وان الازرق اللازوردي Azurite شاع في اواخر القرن الخامس عشر (١٤٨٠) ثم اغفلهُ المصورون الى ان عادوا اليهِ ثانية في اواسط القرن السابع عشر

ومنذ مدة طُلب الى الاستاذ لوري ان يحكم في صورةٍ تدعى «الزهرة» لفلاسكز المصوّر الاسباني المشهور في اوائل القرن السابع عشر فتخطى اقوال الخبيرين فيما يتعلق باسلوب الصورة واخذ ذرة دقيقة من الصبغ الازرق المستعمل لتصوير جانب من صورة كيوبد اله الحب فيها واثبت انها مزيج من ازرق الملك والازرق اللازوردي فدحض بذلك اقوال بعض الخبراء الذين ذهبوا الى ان صورة كيوبد في هذه الصورة ترجع الى القرن الثامن عشر فقط

وفي الجدال الذي اثير حول صورة «الفرونية الحسناء» وقف الاستاذ لوري في جانب السر دوڤين لانهُ ثبت لهُ من امتحان بعض الاصباغ التي في صورة اللوڤر انها الاصباغ التي يؤثرها ليوناردو ده ڤنشي التي نسبت الصورة اليهِ كما جاء في صورهِ وكتبهِ وحكم انها الصورة الاصلية وما عداها نسخ منقولة عنها

واستعملت طرق الاستاذ لوري في الحكم على صورة نسبت الى المصور الهولندي رويزدايل من مصوري القرن السابع عشر. فاخذ الخبير الكيماوي الذي دعي للحكم فيها ثلاث ذرات دقيقة من ادهانها وامتحنها فحكم ان الصورة حديثة لا يرجع عهدها الى ابعد

من اواسط القرن التاسع عشر وبني حكمهُ على ان الدهان الابيض الذي فيها هو اكسيد الزنك وهو مركب لم يكن معروفاً من ثلاثمائة سنة اي العصر الذي نسبت اليهِ الصورة. ومصورو المدرسة الفلمنكية استعملوا صبغاً ابيض غير ابيض الزنك. فقد اثبت الاستاذ لوري ان ابيض الزنك لم يستعمل في التصوير قبل سنة ١٧٨١. ثم وجد الخبير ان القار المستعمل فيها لا يزال شفافاً ولو كان قديماً كما ادعي لكان فعل النور حوَّلهُ الى كربون صلد لا يذوب ولا يخترقهُ النور. ولدى البحث في الخشب الذي صورت عليهِ الصورة وجد ان البروتوبلازما في خلايا الخشب لم يجف كلَّ الجفاف كما ينتظر في خشب مضى عليهِ ثلاثة قرون

وقد اضاف الاستاذ لوري الى بحثهِ في تاريخ الاصباغ وتحليلها طريقة اخرى هي تكبير الصورة بالفوتغراف من ضعفين الى خمسة اضعاف ثم يبحث عن مواضع التزييف فيها. فمنذ بضع سنوات ذهبت طائفة من النقاد الى ان صورة رمبرانت التي عنوانها «السامري الصالح» ليست اصلية فأفحم الاستاذ لوري اولئك النقاد حين اخذ جانباً من هذه الصورة وكبرهُ بالفوتغراف ثم اخذ جانباً من صورة ثبتت نسبتها الى رمبرانت وكبَّرها كذلك ووازن بين الاثنتين مثبتاً ان اسلوب التصوير واستعمال الفرشة واحد في الصورتين

***

نجيء الآن الى استعمال اشعة اكس في الكشف عن حقائق الصور الاصلية والمقلَّدة وهو احدث الوسائل العلمية في هذا العمل الفني الدقيق. ذلك ان الدكتور اسكندر فابر الالماني وجد منذ بضع سنوات ان اشعة اكس تخترق بعض الاصباغ اكثر مما تخترق غيرها. فاذا كان على قطعة من القماش صورة مصوَّرة باصباغ كثيفة وتلف جانب منها فجاء مصوّر آخر واصلح ما تلف بصبغ لا يوازي في كثافته الصبغ الاصلي كشفت اشعة اكس عن ذلك من غير ان تدع مجالاً للريب. واخذ بعض علماء فرنسا وهولاندة واميركا هذا المبدإ عن الدكتور فابر وتوسعوا في تطبيقهِ. وقد عني الاستاذ آلن بروز الاميركي في اثناء السنتين الماضيتين بتصوير كل الصور المحفوظة في متحف فُغ بكامبردج ماس. وقد جمع حتى الآن الف صورة تمثل فيها الصفات الاساسية التي امتاز بها المصورون. تؤخذ اولاً كل الاصباغ المعروفة المستعملة في التصوير سواءٌ كانت نقية او ممزوجة وتصوَّب اشعة اكس الى كلٍّ منها وتعيَّن درجة شفوفها. فالاصباغ البيضاء تكون كثيفة عادة لان اكثرها مركب من الزنك او الرصاص. والغريب ان احمر الزئبق ليس على درجة عالية من الكثافة. اما الاصباغ المستخرجة من مواد نباتية والاصباغ الكيماوية المستحدثة فشافة في الغالب ولا يميز بين شفوف الواحد والآخر الا اذا استعملت اشعة ضعيفة لانهُ اذا

استعملت اشعة قوية نفذتها كلها على السواء . وقد ثبت ان الاصباغ الكثيفة كان لا مندوحة عنها لمشهوري المصورين القدماء فكانوا يستعملون ابيض الرصاص والاصباغ الارضية . فاذا اخذت صورة قديمة ورممت باصباغ مستحدثة ثم صورت باشعة اكس ظهرت معالم الصورة القديمة واضحة لان اشعة اكس لدى التحكم فيها تخترق الاصباغ الحديثة ولا تنفذ الاصباغ القديمة

***

يظن الناس ان كلَّ صورة مشققة صورة قديمة والواقع ان هذا خطأ بل نقيضهُ هو الصواب . نعم ان سطوح الصور القديمة تكون دائماً مغطاة بشقوق كثيرة ولكنها شقوق تبلغ درجة من الدقة لا تستطيع النظرة العجلى ان تميزها . واما الصور الحديثة اي المصوَّرة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فتظهر على سطوحها شقوق عريضة متقاطعة تبدو للعيان من غير تحديق النظر . فشقوق من هذا القبيل تشاهد في صور رينلدز واضرابهِ

وتظهر الشقوق العريضة في صورة حديثة اذا استعمل مصورها مادة سريعة الجفاف لاذابة اصباغهِ فتمتص هذه المادة زيت الاصباغ فتتقلص المادة الملونة وتحدث الشقوق

ويجب ان نذكر القارىء في ختام هذا المقال انهُ قلما توجد صورة قديمة لم تصب بشيء من التلف او لحق بها نصيب من الاذى في الثورات والحروب والبيع والشراء . فصورة تِشَن المنونة «الزهرة وادونس» ظلت تحسب نسخة عن صورة في البرادو بمدريد حتى ازيل ما علاها من الاقذار فظهرت فيها آثار يد تشن وثبت انها من درر الفن التي لا تقدَّر بمال . وصورة مسز غراهام التي تعدُّ من ابدع ما اخرجتهُ ريشة غينزبورو ظلت ملقاة في غرفة قذرة في بيت تجاري بلندن نحواً من ستين سنة لان صاحبتها توفيت بعد تصويرها فلم يطق زوجها ان يحفظ الصورة في بيتهِ

***

فالنتيجة العامة التي يخلص اليها الباحث هي وجوب التعاون بين اصحاب المذهب الفني في تحقيق الصور القديمة ودعاة الرأي العلمي في تحليل الاصباغ والاخشاب والاقمشة وتصوير الصور باشعة اكس وغيرها . فالباحث العلمي يستطيع ان يقول هل الصورة قديمة او حديثة او هل هي قديمة وحديثة معاً وما هو قديمها وما هو حديثها فيمهد بذلك السبيل لصاحب العين النقادة والحس الدقيق الذي يستطيع ان يتبين الروح الفنية التي تتجلى في كل صورة وان يعيّن صاحبها — وقد بلغ احد هؤلاء من الدقة انهُ يستطيع ان يميّز بين اساليب تلاميذ كثيرين درسوا على معلم واحد فتأمل



سوريا ولبنان في نظر الغرب

خلاصة لاشهر الكتب الفرنسية

جبلة تحت ظلال الارز — رواد الشرق — في جبل الدروز
على طريق تدمر — اللايدي ستانهوب في الشرق

١

كانت سوريا ولبنان ، منذ عهدهما الاول ، غاية الفاتحين والتجار والرّواد . وما ان ظهرت المسيحية حتى اصبحا معبراً للحج . فزاد اشتياق عامة الناس اليهما وهرع اليهما جمهور من ابناء الغرب والملوك والامراء والقوّاد والابطال وخصوصاً ابّان الحرب الصليبية ، كريكاردس قلب الاسد وجود فروى دي بوبون ورينو دي شاتيون وفردريك بربروسا ولويس ملك فرنسا وجوانڤيل وسواهم . ثم زارهما من عهد قريب ، الكتّاب الافذاذ من ابناء فرنسا ، كشاتو بريان ولامارتين وميشو وغليوم ري ورينان ورينه بازان وبول بورجيه ولويس برتران وموريس بارس وامثالهم . هؤلاء جميعهم قدموهما في القرن المنصرم والحاضر الى قبيل الحرب العظمى . ثم تلاهم بعيدها ، هنري بوردو ، تصحبهُ كريمتهُ الباسلة ، والاخوَان تارو وبيير بنوى وغيرهم كثير . ومن المحال البحث عمن اجتاز سوريا من ملوك وامراء وكتّاب مشهورين فعددهم لا يحصى وتعدادهم متعذر . والروابط التي تربط سوريا بالغرب كثيرة واهمها الدينية والتاريخية وهي التي حملت كثيرين من ابناء الغرب على ارتيادها

وكما يتعذر ان نعرف من اجتاز سوريا من مشهوري الافرنج كذلك يصعب علينا ان نستقصي ما كتبوه عنها . فمن فجر النصرانية كتب الرّواد والزوار المذكرات والرحلات عنها وكفانا استقصاءه وعلماً ان فروض الحج كانت لحين الحروب الصليبية تحتم على الحاج ان يدوّن ما يشاهدهُ في الاراضي المقدسة [1] في رحلتهِ اليها وذلك لاجل بث الدعوة للحج . وقليل عدد الذين ذهبوا ولم يكتبوا شيئاً وانما كان من الفرض عليهم ان يحدثوا القوم بما رأوهُ للسبب عينهِ . وان ما يوجد من المدوّنات في العالم يكفي لان تغصّ بهِ خزائن الكتب العظيمة

Henry Bordeaux—Voyageurs d'Orient—Vol. I
H. Lammens S.J.—La Syrie—Vol. I.

اذن ، فالاستقصاء عما كتب عن سوريا ضرب من العبث واضاعة للوقت سدى وانّى للمرء ان يحصي الكاتبين وما كتبوه ! . . . لكن يمكننا ان نأتي على ذكر من احسنوا الكتابة عنها في القرنين المنصرم والحاضر . واولهم شاتوبريان فقد نشر كتاب رحلته الشهيرة وهذا اغرى لامرتين عميد الرومانتيزم فاتاها ونفح الغرب بقصيدته الخالدة « ارز لبنان » التي تناقلتها الالسن وترنمت بها كثيراً . ثم تلاهما ميشو فافاد تاريخ سوريا فائدة جلى وكان الباعث الاول بل الاهم على الاهتمام بعهد الصليبية ذلك العهد الذي هو مع خطورته واثره العظيم في تاريخنا الغابر قلما نجد في الشرق من يعيره اقل اهتمام فكأنه حادثة بسيطة حدثت وسدلت عليها ستر النسيان . فكتابه وان يكن ينقصه بعض القيمة العلمية فهو للآن اجل ما خط في موضوعه . ثم زار سوريا قبل ان تقذف الحرب وبلاتها عليها وعلى العالم كاتب من اعظم كتاب الفرنسيس هو موريس بارس صاحب الكتب الوطنية القيمة فسار فيها طولاً وعرضاً ونقّب وبحث وما ان وضع شيطان الحرب سلاحه حتى اظهر كتابه الشهير الذي اودعه اهم وادق الملاحظات عن سوريا عموماً وبلاد العلويين خصوصاً وشيخ الجبل ايضاً وقد نال هذا الكتاب صيتاً بعيداً في اوربا جمعاء ثم حازت بعد ذلك روايته التي انشأها عن سوريا ابان الحروب الصليبية شهرة ذائعة وسمى كتابه Une Enquête aux Pays du Levant (استقصاء في بلاد الشرق) وروايته Un Jardin sur l'Oronte (حديقة على العاصي)

هؤلاء هم اهم من كتب عن سوريا الى قبيل الحرب وانتشرت كتبهم بين ايدي جمهور الغربيين فنشرت صيتاً حسناً للشرق . وما افل نجم الحرب وغاب شبحها المخيف حتى نهد من فرنسا وبرز الى ميدان الشرق كاتب من اكبر كتابها واعز روائيها صيتاً واحد اعضاء الاكاديمية الافرنسية فاخترق البحار عام ١٩٢٢ م الى ميناء سوريا وحط رحاله في بيروت. هذا الكاتب هو هنري بوردو لكنه لم يأت وحده بل صحبته كريمته الباسلة وما عادا الى الغرب حتى ابرزا عدة كتب هي بالحقيقة اجل وابلغ ما كتب عن بلادنا العزيزة. وان ما قاما به لتعجز عنه الفطاحل لما اودعاها من معلومات قيمة ولا يغرب عن البال انهما اقاما في سوريا مدة قصيرة جدًا فلذا يذكر لهما ما اتياه مقترناً بالشكر

طالما قرأنا كتباً كثيرة عن سوريا ولبنان ولكننا لا نذكر اننا عثرنا في طريقنا على ما نؤثره على كتب المسيو بوردو وكريمته او تضاهيه بها ولذا وددنا ان نأتي بكلمة عنها وآثرنا التحدث بهما وكلنا امل ان نرى من القراء الكرام حسن الالتفات والعناية

بامثال هذه الكتب المفيدة العظيمة وقدرها حق قدرها وعسانا ان نصيب الهدف ، بما نبسطهُ « وان لنا في نية الاخلاص عذراً »

HENRY BORDEAUX

هنري بوردو

في ربيع عام ١٩٢٢ م ، استقبلت سوريا ، احد اعاظم كتاب فرنسا . وطيء الشاطيء ، وقد أُخذ وهو في عرض البحر بمنظر صنين الشيخ ، المكلل بالبياض ، المتوّج بالثلج . قطع سوريا عرضاً وطولاً فلم يترك فيها موضعاً يستزار . ثم عاد الى بلادهِ العزيزة يحمل لسوريا ، اجمل التذكارات ، واطيب الثناء . وما لبث ان نفحنا ، باول كتاب هو رواية جميلة الخالدة . ثم بثانٍ عن رواد الشرق ، ثم بآخر عن جبل الدروز ، وبث في كتابه الاخير فينا الامل بقرب ظهور كتاب آخر، يبسط فيهِ رحلتهُ بعد ان يضمنهُ اوفر المعلومات، ليأتي كتاباً حاوياً لادق التفاصيل ، واعم الفوائد ، فعسى ان نرى عاجلاً هذا الكتاب فيملأ ما تبقـى من فراغ ، ويسد ما لا يزال من ثلم . وهلمَّ بنا الآن ، ولنتناول كتبهُ

***

جميلة في ظلال الارز Yamilé sous les Cédres : هـذه الرواية الخالدة — اجل خالدة ! — هي اول ما اطرفتنا بهِ قريحة بوردو عن سوريا ، بعد رجوعهِ منها . فهي ثمرتهُ الاولى . هي تلك الثمرة التي صوَّر بها ، الحياة اللبنانية القديمة الصحيحة . صورة حية لا غشاء عليها . هي خالية من عمل الخيال وليس بها رائحة للتكلف . واغلب ظننا ان المسيو بوردو هو الوحيد بين الغربيين، الذين استطاعوا ان يصوروا ويرسموا تلك الحياة بذات الوانها المبهجة والكئيبة . . . دعاها Yamilé. واستعاض بها عن جميلة . ليخفف وقعها على الآذان ، اذ لا يخفى عنا ان من اهم دعائم الادب الفرنسي : موسيقى الالفاظ

ان روايتهُ هذه ، فاقت جميع ما كتب من روايات بالفرنسية ، عن بلادنا ، فاميرة بيير بنوى (Pierre Benoit : La Châteluine du Liban) هي ابعد كثير عن ان تفي الحياة اللبنانية الحديثة ، حقها . وجميلة بوردو ، تفوقها كثيراً ، بما تظهرهُ من عادات واخلاق لبنانية كما هي على فطرتها . في حين ان تلك لا تظهر سوى ما يبعد في كثير من الاحايين عن الحقيقة . فهي وان كانت تعد من احسن ما كتب من روايات لبنانية ، الا انها لا تقارب « جميلة » على كل حال

موضوع الرواية ، ليس الاول من نوعهِ . ولكنهُ اكبر عظة ، واشد عبرة ... فتاة

مارونية تعشق فتىً كريماً مسلماً. فالفرار ، فالمطاردة .... فأساة !! حدثت هذه الرواية بعد حوادث جرت فيها الدماء انهارا ، ولذا كانت نتيجتها مؤلمة محزنة ! حدثت بعد مجازر ١٨٦٠ المؤلمة ولم تكن حوادثها قد غابت عن الاذهان،ولا تزال رائحة الدماء تملأ الجو. لذا كان العقاب حقًا صارماً . وكانت الخاتمة فاجعة !

تحامل كثيرون على بوردو وروايتهِ ، وزعموا — وزعمهم باطل — انها تظهر اللبنانيين بغير مظهرهم الحقيقي وانها تبعث التعصب الذميم . ولكنهم لو فكروا لحظة . ونظروا الى الخلف نظرة ، لعلموا ان بها لنا عبرة وذكرى عمنا عن التعصّب ، وان ما جاء بها لا يخرج عما كان يحدث في غابر الاجيال . غير ان هذه اكبرها عظة وامرّها نتيجة . وذلك لقربها من عهد الدماء ! ومما يؤلمنا ، ويعز علينا ان اسعد داغر ، احد مترجميها (ونظنها ترجمت مرة اخرى.وانما فاتنا الاطلاع عليها) قد قال في مقدمتهِ لها انهُ (اي المترجم) « جنح الى اغفال فكرة ، تمثلها ضارة في مجتمعه ،أو مخالفة لمصلحةقومهِ». وهذا مما لا يحسن باديب — فضلا عن كاتب معروف — ان ينهجهُ ، اذا ترجم شيئاً .فما يشين المرء ان يحذف امرأً، توخاهُ وقصدهُ الكاتب .وان للترجمة آداباً لا يجب ان تغفل قط . ومن الواجب المحتم على المرء ان يترجم ويظهر كل فكرة المؤلف ، واما ان يرفع يدهُ عنها . ولهُ الخيار قبل البدء ، وهذا ما كنا نودّ من معربها الفاضل والله يتدارك ذلك في طبعة تالية

قرأت هذه الرواية اولاً بالعربية . ومع اني لست من عشاق الروايات .فقد شاقتني جدًّا ، اذ هي نعم الصورة ، لحياة لبنان . ثم قرأتها بالافرنسية مثنى وثلاث ، ولا ازال اعلل النفس بقراءتها ، عند سنوح الفرص

ومما يذكر لبوردو بالشكر ، انهُ اتى للشرق خالي البال من مأرب في تأليف قصة . ولكن اراد حسن الحظ ، ان تصادفهُ هذه القصة الحقيقية . فرواها كما بلغتهُ على علاتها . كما فعل في روايتيهِ « (البيت المائت) (وخيال شارع ميكلانجلو) . فهي تاريخ حقيقي ، وليس هو مخترع لها »

من عرض البحر والباخرة تمخر العباب تقترب من بيروت ،اضطربت عيناهُ ،اذ وقعتا على اجمل منظر حواهُ لبنان . الثلج يتوّج هامة قمة الشماء . تساءل عنهُ ، فكان الجواب انهُ قمة صنين « التي يمكن الوصول اليها بطريق طرابلس والارز » . اخذ المنظر بمجامع قلبهِ — ومثل بوردو من يقدر الجبال ، فهو من السافوى واحد عشاق جبال الالب الشهيرة ، وروادها المتيمين . فاذا ما اتى على لبنان الشيخ المجلل بالبياض ، علمنا اي قيمة

اعطاها له — عزم على الذهاب اليه .فاستقل السيارة الى بشري . حيث نزل ضيفاً كريماً، على احدى عائلاتهـا الكريمة . وهناك تقدم اليه احد ابطال الرواية ، خليل الخوري (كما دعاه) ليأخذه الى الارز

في اليوم التالي صعدا الى الارز . وهناك تحت اشجاره ، المقدسة بالقرب من وادي القديسين ، سقط خليل على الارض وانتحب .. ما بال الرجل ينتحب ؟ بكى اذ تذكر حبيبته جميلة التي رآها لآخر مرة ، وهي صريعة تسبح في دمها الزكي ، منذ نصف قرن . سأله بوردو عن سبب انتحابه ولوعته .... وكان الجواب .. هذه القصة المحزنة ! .. روى له عشقه في صباه فتاة ، هي البدر بتمامه ، جميلة ابنة رشيد رحمة احد اشراف بشري وسراتها . خطبها من ابيها . وبينما الحب ينمو ويغزو قلبيهما اذ بالدهر الخؤون ، يعمل على الكيد ، ويصب بوارق غضبه ....ذهبوا جماعة الى الارز. ورقصت جميلة تحت ظلاله الوارفة وهناك لاول مرة ،وقع نظرها على عمر بك الحسين، بطل حياتها وموتها .وكان قد اتى الى الارز ، وبصحبته احد اصدقائه عبد الرازق بك العثمان . تلاقى النظران ،تخفق القلبان :

علق القلب بها لما رنت أي قلب ، بالهوى ما علقا ؟
وتصباها ، فامست صبة وتصبته ، فأمسى شيقا !

لاحظ ذلك خليل فأحس بما وراء الاكمة وعلم بما يطويه الزمان الغادر من مصائب

قلوب العاشقين ، لها عيون ترى ما لا يراه الناظرونا !

اظهر ذلك لبطرس ، شقيق جميلة ، فتحرش بفرسان المسلمين . ولكن لم ينجح . فتعارف الفريقان . ثم سافر اشراف عكار الى بلادهم ولكن ما هي الا ايام قلائل حتى عادوا وفي صحبتهم فرس وعد بها عمر رشيداً في الارز واذا بالبيت مقفر من جميلة والفرسان المسلمين . ها قد هربت الفتاة التاعسة ! دوى الصوت والعويل ! اجتمع خوري القرية برشيد رحمة وبعض قرباه وقرروا احضار جميلة حية او مصروعة وانتدبوا للمهمة بطرس وخليلا فامتطيا جواديهما ، وتسلحا بندقيتهما ، وطارا لتنفيذ الحكم العادل الصارم ! ويح العاشق المسكين ! ويحه ! انتدب لينفذ العدالة في شقيقة الفؤاد ! وصلا شرار ونزلا على احد موارنتها. وهناك علما ان عمر سيتخذ جميلة زوجة له. كمنا لها واستعدا. ولكن حين مرت ارتخت يد العاشق المسكين. ياله من عاشق تعس ! هكذا زفت جميلة الى عمر ورجعا (بطرس وخليل) الى بشري والفشل في ركابهما. ولكنهما بعد مضي شهور ، بعد موت والدة جميلة التي ماتت قهراً طارا الى طرابلس حيث مسكن عمر والعدالة بين ايديهما وهناك احتالا على جميلة فاخرجتها الخادمة المغرورة الى المقبرة بجوار القلعة عشية

يوم لم يكن عمر فيه في طرابلس. وهناك هجما عليها وقبض بطرس شقيقها عليها . اما العاشق البائس فتردد واخيراً حملاها الى بشري. وهنا تبتدئ الفاجعة. الفت المحكمة العائلية فمثلت فلم تجب لأن عمراً ملأ فراغ قلبها ، فلم يعد فيه مكان للاجابة . ايتها الحسناء اما من جواب ؟ . . . صدر الحكم باعدامها . وسلم تنفيذه لبطرس . حاول الخليل انقاذها باللتي واللتيا . كذب على القضاة العتاة ولكنها اشارت بكذبه . فعرض ان يتزوجها وحاول ان يهديها سواء السبيل فانتحى بها غرفة اراها ما يكن قلبهُ لها من الحب والاخلاص ، حاول عبثاً ردّها ولكنها كانت عنيدة فرددت له انها لا تهوى غير عمر فهي لعمر وهو لها. خرجت من الغرفة واوصد عليه الباب وترك يملأ فضاءها بصراخه . حاول تحطيم الباب وهيهات ! استغاث وليس من مجيب . بعد زمن فتحت منتهى — شقيقة جميلة — الباب فخرج منهُ كقنبلة قذفها مدفع ضخم سائلا اياها عن اختها : . . . في الارز ! . . هذا هو الجواب

حمل بندقيتهُ عازماً على قتال جلاديها . ولكن فات الاوان ! واذ بالجلاديْن قادمان من الارز . لقد نفذ الحكم وانتهى تمثيل الفاجعة ! هب يسابق الرياح سقط وقام وتعثر ولا يزال للامل بقية في فؤاده المنسحق رحمة له ! وصل الى الارز حيث الفاجعة الاولى قد مثلت هناك وتحت ظلاله القدسية الذكية سقطت جميلة قتيلة الرصاص كما سقط قلبها تحتهُ قبلا قتيل الحب والغرام ! نظر خليل الى جثتها الطاهرة فاذا عمر قد وصل ايضاً بعد فوات الاوان . اراد خليل ان يردي من سلبهُ حبيبتهُ اولاً ثم سلبهُ آخر نظرة اليها . ولكن يده ارتجت ايضاً كما ارتجت قبلاً في شرار حين صوب بندقيتهُ الى صدر الحبيب !

هذا ما رواه خليل للمسيو بوردو . وهما تحت الارز ثم ذهبا معاً الى منتهى شقيقة جميلة وهناك اظهر خليل ان قتل جميلة كان جوراً وظلماً ولكن منتهى اصرّت انهُ كان في منتهى العدل والحق !

هذا ما يعرفهُ خليل ، ولكن بوردو توصل لمعرفة ، اكثر من ذلك . توصل لمعرفة الخاتمة المفجعة . فقد عاد الى طرابلس ، وهناك قابل رفيق عمر ، عبد الرزاق بك العثمان وكان لا يزال حيًّا يرزق – وسألهُ عن حبيب جميلة . فأخبرهُ انهُ حاول بعد رجوعه بجميلة من الارز ، وهي جثة هامدة ، ان يثير المسلمين ، على الموارنة ، ولكن العقلاء الكرام رفضوا ذلك ولما خاب رجاؤهُ بالانتقام ذهب الى قبر جميلة في سفح القلمة وغمد خنجره في فؤاده فانفجرت الدماء على قبر الحبيبة وبل ثراها فدفنوه معها . . وهذه هي الفاجعة الثانية . . . اسدل الستار وانتهت المأساة ! !

السودان ميشيل سليم كميد

الجزية والخراج في اوائل الاسلام

سياسة الخلفاء الاقتصادية

٢

الجزية والخراج

ظهر العرب من جزيرتهم واخذوا يزحفون الى البلاد المجاورة ويدوّخونها وهم على جانب قليل من الحضارة والعلم بادارة البلاد وليس لهم دواوين مدوّنة ولا نظام معلوم للضرائب الّا نظام الاعشار او الزكاة او الصدقة [1] الذي ورثوهُ عن اجدادهم او اخذوهُ عن جيرانهم وبعض احاديث عن سُنَّة النبي في ما يتعلق بالضرائب التي وضعها على اراضي اليهود والمشركين والنصارى كالتخميس والتنصيف. وكل هذا قليل قد يصلح لبلاد كبلاد العرب في اوائل القرن السابع والقرن العشرين لكنهُ لا يصلح لبلاد قطعت من الحضارة شأواً بعيداً كدولة بني ساسان وولايات بزنطية الجنوبية ومصر حيث كانت الحضارة والتجارة والفلاحة في ارقى درجة. ولهذا لم تكد الجيوش العربية تحتل البلاد المذكورة حتى اخذ عمر منظّم الدولة العربية وواضع دستورها يبحث عن نظام للضرائب جديد يضمن لبيت المال مصلحته ولا يكون مجحفاً بحقوق الاهالي الذين دخلوا في ذمة المسلمين فكان لهُ أما ان يتبع سنة النبي في الجزيرة واما ان يسير في طريق آخر اقتضتهُ الاحوال وسنة التطور. فرأى بعد التحري والتفكير ان يقرّ الاراضي في ايدي اصحابها السابقين ويأخذ منهم الجزية التي كانوا يؤدونها لاصحاب السلطة قبله فكان من ذلك ان اتبع في السواد وبلاد فارس وتوابعها النظام الفارسي او نظام بني ساسان وفي سوريا ومصر وشمال افريقا النظام البزنطي وهو ما يؤيدهُ البحث التاريخي ولا ينكرهُ كتبة

---

(١) العشر والصدقة والزكاة واحد قال ابو يوسف (ص ٧٥) « الصدقة على المسلمين والجزية على اهل الذمة » وقال في موضع آخر ان اهل الصدقة هم اهل الفيء ويغلب على ظني ان كلمة زكاة مترجمة عن اليونانية déka (عشرة — déka) او عن diki (diky) بمعنى العادة. العرف. العدل الحكم. البراءة. الرخصة (الجواز) الجزاء. الغرامة وربما الضريبة ايضاً ومنها زكى اي ادى ما على ارضه او بضاعته من الضرائب (خلصها) ثم استعملت لمعان اخرى ادبية ودينية. وقال ايضاً « العشر زكاة » (ص ٦٩ و ١٧) وذكر البلاذري ان الصدقة والعشر واحد (فتوح البلدان ٣٦٨)

المسلمين. قال الماوردي في « الاحكام السلطانية » (ص ١٣٢ — ١٣٣) « ان عمر حين وضع الخراج [١] على سواد العراق ضرب في بعض نواحيهِ على كل جريب قفيزاً ودرهماً وجرى في ذلك على ما استوفقهُ من رأي كسرى بن قباذ » وقال القاضي ابو يوسف في كتاب الخراج (ص ٣١) ان عمر بن الخطاب « لما اراد ان يمسح السواد ارسل الى حذيفة ان ابعث الي بدهقان من جوخى وبعث الى عثمان بن حنيف ان ابعث الي بدهقان من قبل العراق فبعث اليهِ كل واحد منهما بواحد ومعهُ ترجمان من اهل الحيرة فلما قدموا على عمر قال كيف كنتم تؤدون الى الاعاجم في ارضهم ؟ » وهكذا فعل في الشام ومصر وسائر البلاد المنسلخة عن دولة البزنطيين. وهذا ولا شك اهم اسباب الاختلاف بين احكام الجزية او الخراج في العراق وبلاد العجم ومثلها في سوريا ومصر كما سنبينهُ في محله. ولعلّ عمر اضطر ان يتبع هذه الخطة اولاً لان دواوين الاراضي المفتوحة لم تكن بعد نقلت الى العربية وثانياً لان الفتوحات العظيمة التي تمت في ايامهِ شغلتهُ واصحابه عن الانصراف الى هذا العمل فتركهُ الى خلفائه [٢] وانصرف الى ما هو اهمّ في ذلك الوقت. على ان هذا لم يمنعهُ ان ينظر احياناً في الانظمة التي اتبعها ويدقق في امر الضرائب وموارد الخلافة كما يستفاد من اقوال بعض المؤرخين والفقهاء. فقد ذكر ابو يوسف ان عمر قال للدهاقين الذين دعاهم ليستفسر منهم عن مقدار الضرائب التي كانوا يؤدونها الى الاعاجم وعن طريقها « لا ارضى منكم بهذا ووضع على كل جريب عامر او غامر يناله الماء قفيزاً من حنطة وقفيزاً من شعير ودرهماً » (ص ٢١) وقال في موضع آخر (ص ٢٢) ان عمر قال لما رُفع اليهِ ما فعلهُ عثمان بن حنيف في السواد « انهم يطيقون اكثر من ذلك » فاذا صحت هذه الاخبار يكون عمر قد ادخل شيئاً من عنده على انظمة الضرائب التي وجدها في البلاد المفتوحة. الاَّ انهُ يغلب على ظني ان هذه الاخبار وضعت بعد وفاة عمر بمدة طويلة وهي تنبئ عن امور جرت في غير خلافة عمر ثم نسبت اليهِ والاَّ صعب علينا ان نوفق بينها وبين ما جاء عن الخليفة المذكور من حبّهِ للعدل والرفق باهل الذمة وانهُ كان يتبع في ذلك سُنَّة النبي الذي جاء عنهُ في الحديث انهُ قال « من ظلم معاهداً او كلفهُ فوق طاقته فانا حجيجه » وانهُ تكلم يوم حضرتهُ الوفاة وقال « اوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله ان يوفي لهم (لاهل الذمة) بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم » [٣] زد الى ذلك ان عمر كان يطلب من عمالهِ في الامصار وجباة

---

(١) الخراج هنا بمعنى الجزية (٢) معلوم ان ديوان الرومية وديوان الفارسية لم ينقلا الى العربية الا في ايام عبد الملك والحجاج (فتوح البلدان ١٩٣ و ٣٠٠ — ٣٠١) (٣) كتاب الخراج لابي يوسف ص ٧١

المال « ان يقصدوا العدل فيما بين اهل الارض وبين اهل الفيء من غير زيادة تجحف باهل الخراج ولا نقصان يضرّ باهل الفيء » [١] . ولا ريب في انّ مَن يدقّق في اقوال مؤرخي العرب عن سياسة عمر الاقتصادية واقواله في وجوب مراعاة العدل ويدرس احوال البلاد المغلوبة درساً منزهاً عن الغرض لا يسعهُ الاّ ان يقرّ بان الجزية التي كان يؤديها اهل الذمة في خلافتهِ لم تكن باهظة ولا مجحفة بحقوقهم وهو ما يقول بهِ مستشرقو اوربا ايضاً [٢] . فقد أجمع اصحاب التاريخ وكتب الخراج او كادوا يجمعون انّ جزية مصر كانت في خلافة عمر دينارين على الحالم ما عدا النساء والصبيان والشيوخ وكانت جزية اهل السواد درهماً وقفيزاً على كل جريب وثمانية واربعين درهماً على رأس الموسر واربعة وعشرين على الوسط واثني عشر على الفقير او العامل بيده او الصانع [٣] فاذا صح ذلك كان ما اقرّهُ عمر على اهل الذمة من الجزية يتراوح بين دينارين ودينار اي نحو جنيه ونصف جنيه مصري على رأس الحالم كان يؤديها ورقاً وذهباً او عرضاً كالدواب والمتاع وخراج الارض كما كانت الحال في ايام الاكاسرة والرومان والبزنطيين . وهي جزية معتدلة اذا قابلناها بما يؤديهِ الفلاح اليوم في سوريا ومصر والعراق . واذا اعتبرنا ان اهل الذمة لم يكونوا في ذلك العهد يؤدون غيرها من الضرائب لا على بيوتهم ولا على تجارتهم الخ وذلك لان الجزية كانت وقتئذ ضريبة واحدة تشمل كل ما وضع على رقاب أهل الذمة وعلى اراضيهم معاً اذ انهم لم يكونوا في اول الامر يفرقون بين رقاب الناس ورقاب الارض وكانت الجزية تؤخذ من رقاب او عدد سكان القرية او الرستاق بالتخمين لا عن مساحة الارض [٤] وقد بقوا متبعين هذا النظام الى اوائل حكم بني امية — كما ارجح — حين بدأوا يفرقون بين ضريبة الرؤوس او الرقاب وبين ضريبة الاراضي او بالاحرى خراج الاراضي او ايجارها فسمّوا الضريبة الاولى جزية واطلقوا على الثانية كلمة خراج وهي كلمة يونانية [٥] كانت دارجة في مصر وسوريا قبل ان يفتحهما العرب وكانت تستعمل للدلالة على ما كان المزارع يؤديه عيناً لصاحب الارض اي للحكومة او البلدية [٦] او الدير او المالك الذي يؤجرهُ ارضه على شروط معروفة وهم في كل ذلك يتبعون نظام الضرائب البزنطي او الفارسي الذي كان يفرق بين ضريبة الرؤوس Epikep hâleon (رأسية)

---

(١) الاحكام السلطانية للماوردي ١٣٣ (٢) انظر Becker H. Islamstudien ص ٢٣٥ — (٣) ابو يوسف . . — ٦٩ (٤) انظر كلمة « جزية » الـ Encycl. Musulmane (٥) يجد القارىء تفصيل هذا الرأي في باب الاخبار العلمية (٦) Metropoleis (امهات القرى)

او « andrismos (رجولية)[١] وبين ضريبة الاراضي او الخراج. الا ان العرب لاسباب سوف نذكرها لم تقف عند هذا التعريف البيّن بل اخذت تخلط بين الكلمتين فكانت تارة تسمي الجزية خراجاً وطوراً تطلق كلمة خراج على الجزية والخراج الى غير ذلك مما استدرج بعض الكتبة المتأخرين الى الخطأ وجعلهم يعدّون الجزية والخراج من الكلمات المترادفة وهو ما يجب الانتباه له حذراً من اللبس وسوء الفهم . وقد شاع هذا الاستعمال في ايام بني العباس حتى ان ابا يوسف معاصر هارون الرشيد لم يكن يفرق بين الجزية والخراج كما يؤخذ من عباراته الآتية : « والجزية بمنزلة مال الخراج »[٢] و« اول من فرض الخراج رسول الله فرضهُ على اهل هجر على كل حالم ذكراً وانثى فلما كان عمر فرض على اهل السواد »[٣] وهذا خطأ بيّن لان الرسول لم يكن يستعمل كلمة خراج بمعناها الاصطلاحي وكل ما ينسب اليهِ من هذا القبيل تجوُّز في استعماله كان يكون الكاتب اراد بكلمة جزية في العبارة المذكورة آنفاً الخراج كما يظهر من عبارة اخرى جاء فيها « ان رسول الله اخذ الجزية من مجوس هجر »[٤] وعبارة ثالثة قيل فيها « ان رسول الله اخذ منهم الخراج لاجل كتابهم » وذكر عن الشعبي انهُ سئل عن مسلم اعتق عبداً نصرانيًّا فقال ليس عليهِ خراج ولا يترك ذمي في دار الاسلام بغير خراج رأسه »[٥]

فانت ترى من الامثال التي ذكرناها ان ابا يوسف لم يكن يفرق بين الخراج والجزية فهو يستعمل كلمة خراج للدلالة على الجزية وبالعكس ومثلهُ البلاذري[٦] والماوردي[٧] وغيرهم من كتبة العصور العباسية. ومن اسباب هذا الخلط ان العرب المسلمين لم يكونوا يعرفون في بادىء الامر معنى الخراج الحقيقي فكانوا يستعملونها بمعنى الخرج او الدخل على الاطلاق كما يظهر من عبارة الماوردي التي ذكرناها سابقاً ظنًّا منهم ان الكلمة مشتقة من مادة عربية وهو غلط كما رأينا . ثم ان كلمة جزية بمعنى الضريبة على الرقاب او الرؤوس فقط لا على الرؤوس والاراضي معاً كما كانت في اوائل الفتح لم تستعمل على ما يظهر لي الا بعد ان عرف الفاتحون معنى الخراج الحقيقي وفهموا ان العجم والبزنطيين كانوا يأخذون من رعاياهم ضريبتين مختلفتين ضريبة على الاراضي وهي الخراج بمعناه الحقيقي وضريبة على الرؤوس كان يؤديها الحالم مرة في السنة نقداً وهي الجزية بمعناها الضيق المتأخر. وهناك سبب آخر

---

(١) طالع مقالة C. H. Becker عن العشر والخراج في كتابه المعنون Islamstudien (ابحاث في الاسلام) (٢) ص ٧٠ (٣) ص ٧٤ (٤) ابو يوسف كتاب الخراج ص ٧٤
(٥) ابو يوسف ص ٧٥ (٦) فتوح البلدان ص ١٣١ و١٣٣ وكتاب المغازي ص ٤٠٣
(٧) الاحكام السلطانية ص ١٣١

لعلهُ اهم اسباب هذا الخلط وهو انهُ لما كان الخراج اعظم الضرائب واهمها وكانت تتوقف عليه حياة المملكة وسعادتها [١] تغلبت هذه الضريبة واسمها على سائر الضرائب واسمائها حتى كادت كلمة جزية تهمل ويستعاض عنها — هربا من اللبس — بكلمة اخرى كجالية (ج جوالي) فصاروا يطلقون كلمة خراج على جميع الضرائب وبينها الجزية كما اشرنا الى ذلك سابقاً .

واقوى من كل ذلك ان المسلمين بعد ان كانوا يؤدون في بلادهم العشر اصبحوا بعد ان انتقلت اليهم اكثر الاراضي المفتوحة بطريق الاقطاع او الاشتراء او الاغتصاب او احياء الموات وبعد ان اعتنق الاسلام اكثر سكان البلاد المذكورة — يؤدّون عن اراضيهم الخراج كاهل الذمة الذين ظلوا محافظين على دين اجدادهم فادّى ذلك الى انتشار كلمة خراج لان اكثر الاراضي صارت خراجية وإهملت كلتا عشر وجزية وقد ساعد على ذلك ان اهل الذمة وهم الاقلون في البلاد الاسلامية لم يعودوا يؤدون الجزية — ضريبة الرؤوس — او صاروا يؤدونها نادراً جدًّا لان الدول الاسلامية لم تعد تكترث لها لقلتها

وانهُ لغريب ان المتقدمين من كتبة المسلمين كابي يوسف ويحيى بن ادم والبلاذري واليعقوبي والماوردي وغيرهم ظلوا يستعملون كلمة خراج بالمعنى الاصلي للجزية حتى بعد ان وقفوا على معنى الكلمة الحقيقي وحددوهُ بعبارات تكاد تكون مترجمة حرفيًّا عن اللاتينية او اليونانية كما يؤخذ مثلاً من عبارة الماوردي وهي « ان الخراج في لغة العرب (؟) اسم الكراء والغلّة » [٢] وهو في الحقيقة معناهُ الاصلي لان Chorigio في اليونانية كانت تستعمل في الولايات البزنطية الجنوبية والغربية للدلالة فقط على مقدار ما كان يؤديه عيناً او نقداً — الفلاح المستأجر او المستغلّ من الاجار لصاحب الارض الذي كان يؤجر اراضيه على شروط مختلفة تكاد تكون هي هي ان في ايام الفراعنة المتأخرين والبطالسة والرومان والبزنطيين او في ايام العرب [٣] حتى اوائل حكم بني امية وقد اشرنا في ما سبق الى ان هذه الشروط لم تكن في الدور المذكور باهظة ولا مجحفة بحقوق الاهالي وهو ما حبّب اهالي البلاد الى العرب وحملهم على مساعدتهم على ما جاء في كتاب الخراج لابن آدم وفتوح البلدان للبلاذري الا ان هذه الحالة الرضية لم تطل كثيراً للاسباب التي سنأتي على ذكرها في مقالتنا الآتية

باكو بندلي جوزي

(١) قال جعفر بن يحيى البرمكي « الخراج عماد الملك » (انظر عيون الاخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٣٠ من الطبعة الاوربية (٢) الاحكام السلطانية ص ١٣١ (٣) قال يحيى بن آدم (كتاب الخراج ٨) «فلما ظهر المسلمون على اهل فارس تركوا السواد ومن يقاتلهم من النبط والدهاقين على حالهم» وهكذا فعلوا في الشام ومصر

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

هل أصاب الدكتور الجوزي ؟

نشر الاستاذ بندلي الجوزي في مقتطف مايو سنة ١٩٢٩ مقالاً عنوانهُ « الجزية والخراج » في اوائل الاسلام — سياسة الخلفاء الاقتصادية ؟ وقد مهد لمقاله بمقدمة قال فيها ان اعظم اسباب سقوط الدول العربية هو سوء سياستها الاقتصادية ، فلم نستغرب منهُ ذلك ، لان هذه ليست المرة الاولى التي يقف فيها الاستاذ مدافعاً عن التفسير الاقتصادي للتاريخ ، ونحن نعرفهُ جدَّ ميَّال الى هذه النزعة متطرفاً بتطبيقها قسراً على مختلف نواحي تاريخ العرب منذ نشر كتابهُ في الفكر الاسلامي

وليس غرضنا من الاعتراض أن نناقش هـذا الزعم كما ليس من غرضنا ان نتحدى الاستاذ بقولنا كيف يُتوصل الى معرفة الاسباب في العلوم الطبيعية والاجتماعية — أو بالحري هل يمكن التوصل الى معرفتها ؟ وذلك لأ ننا على يقين انهُ لا يمكن الوصول الى نتيجة حاسمة. وليس من غرضنا ايضاً ان نعترض على قول الاستاذ « ان القرآن — الاَّ بضع سور منهُ — هو كتاب أُصول عامة بل هو كتاب ادبي ديني قبل كل شيء لا مجلة احكام او مجموعة ابحاث في علوم مختلفة (؟) فهو يبين او بالاحرى يذكر بعض المبادىء العامة ويترك لأصحاب الاجتهاد ان يستنتجوا ما شاءوا . . . » الى ان يقول « بناء على ذلك لا يجب (كذا !) ان نستغرب خلو القرآن او تقريباً خلوه (؟) من التفاصيل العملية والاحكام القابلة للتغيير بتغيير الزمان والمكان » — نقول ليس من غرضنا الاعتراض على هذا القول لأن شطره الأول ليس بالجديد عند الواقفين على آراء المستشرقين ولأن الشطر الثاني فيه من الغلو والبعد عن البحث العلمي المدعوم بالبراهين ما يجعله غير جدير بالمناقشة

انما اعتراضنا على الاستاذ مقصور على قوله « ان النبي العربي لم يفكر قط (؟ !) في بناء مملكة ضخمة كاحدى الممالك التي ذكرناها — مملكة اسكندر وامبراطورية الرومان

وممالك المغول والترك — بل جل ما كان يرمي اليهِ ان تنتشر دعوتهُ بين العرب »

ولسنا ندري كيف توصل الاستاذ الى هذا الاستنتاج ، ولسنا ندري كيف جوَّز لنفسهِ ان يجزم جزماً باتاً في معضلة خطيرة مثل هذه دون بحث او مناقشة. ولعلهُ تابع في ذلك السير وليم ميوَر Sir, William Muir والبرنس كايتاني Prince Leone Caetane اذ يقول الاول ان الفكرة القائلة بوجوب اخضاع العالم لسلطة الاسلام جاءت متأخرة في تاريخ العرب . ويقول الثاني ان محمداً لم يطمع الى ما وراء حدود الجزيرة العربية ، بل ان دائرة آماله في هذه الرقعة لم تتعد نطاقاً ضيقاً . فاذا كان الاستاذ قد جاراهما في هذا الزعم او انهُ توصل الى النتيجة ذاتها بنفسهِ ، فمن الواجب العلمي أن يذكر ازاء هذا الرأي عدة آراء تناقضهُ : نذكر على سبيل المثال منها آراء الدكتور غولدتسهير Goldziher والسير أرنولد Sir T.W. Arnold

وماكان للاستاذ أن يتناسى ، فوق كل ذلك ، سلطة القرآن والحديث والاصول العربية ، عند ما قرر رأيهُ في هذا الامر المهم . فنحن وان كنا لا نستطيع ان نتغلغل في صدور الرجال ، لنحس دبيب آمالهم ، ونلمس كوامن نفوسهم ، حتى نحكم على دوافعهم وأمانيهم — فان الباب مع ذلك مفتوح على مصراعيه لمن يود ان يدرس بانصاف وتجرد عن كل غرض. هذا الباب هو الشواهد التاريخية والنصوص التي لا شك في أصالتها وصحة روايتها .

وليس اصدق من القرآن والحديث والاصول العربية في تفسير ما غمض من حياة النبي

وفي معتقدنا ان القرآن اصدق نص تاريخي يمكن الاعتماد عليه كل الاعتماد عند البحث في حياة الرسول . وكان القرآن ، كما هو مشهور ، ينزل بحسب الظروف والاحوال . ففي بدء الدعوة الاسلامية ، يوم لم يكن عدد المسلمين يتجاوز عدد الاصابع ، هتف الوحي (سورة الشعراء آية ٢١٤) ان « انذر عشيرتك الاقربين » . ولكن سرعان ما اتسع هذا الافق الضيق بانتشار الاسلام ، فاضحى من واجب النبي ان ينذر ، ليس فقط عشيرته الاقربين ، بل ايضاً « أم القرى (مكة) ومن حولها » (سورة الانعام آية ٩٢) — وهكذا الى ان اعتزَّ الاسلام ، وصار بامكان الرسول ان يناضل عن الدين بلا خوف ولا وجل عندها جاء الوحي (سورة سبأ آية ٢٨) مُعلناً « وما ارسلناك الاَّ كافة للناس بشيراً ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون » « وما ارسلناك الاَّ رحمة للعالمين » (سورة الانبياء آية ١٠٧)

هنا بات من واجب النبي أن يدعو جميع الناس من عرب وعجم الى « دين الله » . ولو اردنا إبراز جميع الشواهد القرآنية المتعلقة بهذا البحث لضاق دونها المقام ، على اننا نود ان نلفت النظر ، فوق كل ما ذكرناهُ ، الى ان الله الذي كان محمد يدعو الناس في سبيله هو

« رب العالمين — ربكم ورب آبائكم الاولين » . ولم يرد ذكره كاله خاص بالعرب قط . فالاسلام اذاً جاء للناس كافة ، لا للعرب وحدهم . ومحمد ، كنبي أمين ، لا يمكن قط (هنا نستطيع استعمال هذه الكلمة) ان يتقاعد عن تنفيذ أوامر الله ، ونشر دينه في كل الارض . كيف ؟ بالموعظة الحسنة وبالجهاد ، وبغيرهما من ضروب الدعوة

أما الاحاديث فتدلُّ على ما يدل عليه القرآن أيضاً : قال فِلْهَوْزن Wellhausen المستشرق الالماني الشهير ، نقلاً عن الواقدي الصحابي المؤرخ ، ان النبي قال ما معناهُ « ارسل الله جميع الانبياء قبلي كل الى أمته ، واما أنا فقد ارسلت كافة للناس ». ويروى أن الرسول قال لبلال على طريق تبوك ما معناهُ « وعدني الله خزائنَ الفرس والروم »

وأما التاريخ فيثبت ما جاء بالقرآن والحديث . فالاصول العربية تُجمع على ان النبي أنفذ جيشاً تحت قيادة زيد بن حارثة الى مؤتة . وهي تجمع كذلك على أن النبي قاد بنفسه جيشاً الى تبوك . والظاهر أن الرسول كان يمهد السبيل لفتح عام لولا أن قبضهُ الله الى جواره ، فأهاب بالصحابة وهو على فراش الموت أن سيروا الى سوريا ولا تتوانوا ! ! ويحدثنا التاريخ بشيء أهم من ذلك ، وهو أن النبي ارسل الى كسرى وقيصر والمقوقس والحارث أمير غسان — ملوك العالم المعهود آنئذٍ وحكامه — يدعوهم فيها الى الاسلام . ويقول الطبري ،شيخ ثقات مؤرخي العرب ، أن محمداً لم يتنازل عن شيء من اجزاء هذا العالم فهو ولاشك كان يرغب في التسيطر عليهِ (تاريخ الرسل والملوك للطبري — مطبوعة الاستاذ دي غويه — المجلد الاول ص ١٧٤٩)

قلنا اننا لا نستطيع ان نتغلغل في صدور الرجال لتعرف دوافعهم ومع ذلك فلا نستطيع « تفسير » جميع هذه الشواهد والحوادث الراهنة الا بشيء واحد ، وهو ان النبي كان يرمي الى نشر دينهِ، ليس فقط بين العرب في شبه الجزيرة، بل كان يرى من الواجب عليهِ كرسول امين لله أن يجاهد في سبيله لنشر الدين بين جميع الناس قال الاستاذ دي غويه De Goeje ان وصية النبي كانت من اهم اسباب فتح سوريا .وكان نشر الدين هذا بالجهاد في سبيل الله فتحاً و تغلباً كان يتلوه ُعادة مُسلكٌ سياسي لا صلة مباشرة لهُ بالدين.وكانت الحروب التي ما كاد محمد يلفظ أنفاسه الاخيرة حتى هب الخلفاء الى اثارتها على الامبراطوريتين القديمتين من مظاهر هذه الدعوة ،ومن وسائط تحقيق تلك الغاية.وكان محمد الذي ائتمنهُ الله على نشر دينهِ ، وحباهُ من لدنه سلطة ليقاتل اعداءهُ ، اظهر تلك المظاهر، لا بل رمزها وروحها

هذه ملاحظاتنا على رأي الاستاذ الجوزي ، لم يدفعنا الى كتابتها سوى نصرة الحق

جامعة بيروت الامريكية عبد اللطيف الطيباوي

الوردة الذابلة

يا وردة فوق الهضاب ابكيك ام ابكي الشباب ؟!
آنست هذا الكون حيناً ثم آب بك المآب .!
يا ربما ابتسم الصباح فكنت آيتهُ العجاب
قبلت منهُ وجههُ فضى أريجاً يستطاب
وسرى بِرَيَّاك النسيم وشاق رؤيتك الصحاب
ولطالما حنَّ النديـــــم اليك من بسط الشراب
الحسن انت وان رآ هُ القوم في خود كعاب!!
ضلّوا فبات غرامهم في حسن زينب والرباب
يا حلة قد صاغها فوق الثرى كف السحاب
ماذا بجنبك من جوى حتى تشقق ذي الثياب ?!?!
والله شجوك مسَّني والحزن يعلمهُ المصاب!
طوت الليالي دَفَّتَيـ ـك كما طوى المرء الكتاب!
واستعجلتك يد المنو ن فهمَّ حسنك بالذهاب
وبدا الغضون بجانبيـ ـك كأنها رقم الحساب
عاتبتُ هذا الدهر فيـ ـك وشأنهُ رفض العتاب
أيدوم بعدك جندلٌ ويزول حسنك في التراب ?
يا كوكباً وافى فلما أن رأتهُ العين غاب
ابكي شبابك ام صبا ي كلاهما مثل السراب
لا تجزعي فالكل في هذي الحياة إلى تباب

المحمودية عبد الغني الكتبي

ترجمة « افانجلين » لو نغفلو

طالعت اليوم في المقتطف سؤال مستفيد لبناني — هل ترجمت « افانجلين »لو نغفلو الى لغة العرب ? فاسمحوا لي ان اجيب السائل بان المعلمة جنفياف طعمه قد ترجمتها نثراً الى لغتنا العربية وهي احدى بنات الشوير ، تلميذة مدرسة الاميركان في طرابلس التي نالت شهادتها سنة ١٨٩٢ . ونشرتها في جريدة لبنان عام ١٨٩٨ وطبعتها على حدة في المطبعة العثمانية في بعبدا مركز المتصرفية ، في ٢٥ صفحة

بيروت جرجي باز

باب شؤون المرأة
وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

المرأة في الشعر العربي

اكثر مايدور الشعر العربي القديم على ثلاثة اغراض هي المرأة ، والحرب ، والخمر ، فاذا انت جردته من هذه الثلاثة فقد ذهبت به كله

واذا علمنا ان العربي لم يحارب الا دفاعاً عن المرأة ، او الحمى الذي فيه المرأة ولم يشرب الخمر الا ليذكر المرأة او ينساها . ثبت لدينا ان المرأة هي انسان عين الشعر العربي وبيت قصيده منذ كانت بدوية تمخض الزق وتلبس العباءة وتأوي الى خيمتها في الصحراء الى ان صارت حضرية تلبس الوشي وتسكن القصر وتمشي تتكسر في مشيتها لرخاء العيش

لم يتمرس واحد بالشعر في ايام الجاهلية وبعدها الا وصف المرأة ، وشبب بالمرأة ولكن على كثرة الشعراء ووفرة ما حاكوا من القوافي حولها يدهشك ان تبحث عنها في قصائدهم فلا تجد غير دمية منحوتة مصقولة قد تكون على كثير او قليل من الجمال ولكنها ليست على كثير من الحس والشعور الا في بعض مواقف الحب حيث تظهر المرأة على المسرح خائفة مضطربة كانما خلقت لتكون سراً مضمراً في خاطر الدهر

تقرأهم وهم الشعراء الذين دقت افهامهم وصفت ارواحهم فاذا المرأة عندهم اما طرف كحيل وخد اسيل وشعر طويل وخصر نحيل واما بدر يضحك عن لؤلؤ او غصن يرفل في الخز ويمشي ويتكلم او ظبية تفترس الاسود وتشق بألحاظها القلوب قبل الجلود !

ثم تقرأهم وهم العشاق الذين لطفت مشاعرهم وانار الحب قلوبهم فيشجيك منهم انهم لا يرون في المرأة غير ما يراه منها شاب جاهل ينظر اليها من نافذة الهوى الفاني فهي اما هاجرة تتجنى ولا شيء فيها غير انها هاجرة تتجنى يجب استعطافها واسترحامها واما ممنوعة دونها الرقباء فيجب ذم الرقباء والشكوى منهم واما انها دانية مطاوعة ولا شيء غير انها دانية مطاوعة

اما قلب المرأة وما فيهِ من الاحاجي والاسرار
واما وجدان المرأة وما فيهِ من الاشواك والازهار والآصال والاسحار
واما عواطف المرأة وهي تيار لا يكشف الا عن تيار
وأما نفس المرأة وما فيها من نور ونار
وأما المرأة نفسها وهي ذلك الكائن العجيب الجبار

فليس لها أثر بيّن في الشعر العربي منذ كان حداءً وخبباً ورجزاً الى ان صار قصائد وموشحات على كل وزن ولحن

ولا غرابة في انصراف الشعراء قديماً عن كل ما في المرأة من المعاني الى ما تناله ابصارهم منها فقد جاء عليهم دهر لم تكن المرأة فيهِ اعلى منزلة من بقرة الوحش التي شبهت بها من بعد . ثم كان عهد كانت فيهِ عاراً يجب ان يطمس ولو برماد الجريمة . وتلاه زمن قضي فيهِ على المرأة ان تكون احدى اثنتين اما قنية تختزن ، أو قينة تشرى وتباع

ويستطاع القول ان المرأة التي عُرفت في الشعر العربي هي التي كان يمكن ان يقال عنها انها جميلة ، أما المرأة في أدوارها الاخرى ، في طفولتها وكهولتها وأما البنت والاخت والزوجة فقد خلا الشعر منها الاّ قليلاً لا ينقع غليلا . حتى ان حظ الناقة العجماء كان من هذا الوجه اكبر من حظها . وتلك خطة لم ينفرد بها الشعراء الاقدمون وحدهم بل كان الرجال كلهم كالشعراء من حيث تجاهل وجود المرأة والجهل باسرار نفسها . وربما كانت المرأة نفسها تجهل ما فيها من قوة ولا تفهم ما لها من حق. ولعل ذلك منشؤهُ ان «البيت» بمعناهُ المعروف اليوم لم يكن لهُ أثر في تلك الازمان وانما كان للمرأة مجرّد اخباء تستتر بهِ عن الرجال . أما الرجل فكان يأوي اليهِ في آخر النهار بعد سفر او معركة او مساجلة ليخفف عن نفسه عناءها كما يذهب الرجل اليوم الى المقهى أو النادي للتلهي

وكيفما عللنا هذا الامر فاننا نرى في الشعر العربي القديم صورة صادقة للزمان الذي قيل فيهِ . ولا يعاب شعرهم على ما فيهِ من الفراغ الهائل من هذه الناحية . فالمرأة لم تكن الاّ كما صوروها . واذا كانوا قد اقتصروا على ناحية واحدة منها فلأن النواحي الاخرى لم تسفر لهم عن وجوهها . واما الذين يحق لنا ان نلومهم فهم الشعراء العصريون الذين ما برحوا يصورون المرأة في شعرهم على ما بلغت وبلغوا هم من الحضارة — كما كان يصورها شعراء الجاهلية وغيرهم ممن جروا على آثارهم وركضوا في ميادينهم فانها لا تزال عندهم تلك الدمية الحسناء . ووجهها قمر وقدها غصن بلا ثمر . واسنانها درر . الخ !

ويحزنك ان تجد من الناس من يطرب لوصف وجه المرأة بالقمر ، وتشبيه قدها

بالخيزرانة ، وجبينها بالفجر. وان يردد عند سماعه هذه الاوصاف في دهشة واكبار القول المأثور « ان من البيان لسحراً ! »

ان المرأة اكثر من وجهها وشعرها، وخدها وثغرها وجيدها ونحرها وقامتها وخصرها فوراء هذه كلها الوف من الصور الجميلة التي لا عذر للشاعر اذا هو لم يتبينها ، ولا فضل لهُ اذا هو رآها ولم يصورها لمن لا يراها . فليس احق من الشعراء بالتنقيب عما في نفس المرأة وقلبها من الكنوز الثمينة . فاذا لم يفعلوا وهم الامراء في مملكة الارواح . حق للناس ان يثوروا عليهم ثورة هوجاء تدحرجهم عن عروشهم . لانهم لم يحسنوا سياسة مملكتهم . « وكل من لا يسوس الملك يخلعهُ » كما قال ابن زريق البغدادي

ولعمر الحق . اي خيال هذا ؟ ان يقول شاعر تقدمك بالف سنة ، ان وجه المرأة كالقمر فتقول انت ان وجهها هو القمر ! وان يزعم انها تضحك عن برد نظيم . فتردد انت هذه الاستعارة كانك الصدى !

اليس من الغبن على المرأة ان تبقى حقيقتها مجهولة في الشعر العربي الذي وسع كل شيء ؟ اليس من الفضاضة على الشعر العربي ان لا يشتمل من المرأة الا على ظاهرها ؟ لقد تبوأت المرأة مكانها في الشمس فيجب ان تتبوأ مكانها في الشعر

« السمير » ايليا ابو ماضي

مدام كوري — حياتي وعملي

فازت بجائزة نوبل مرتين : مرة بجائزة الطبيعيات والثانية بجائزة الكيمياء ولعلها الانسان الوحيد الذي فاز بذلك

ولدت في ڤارسوڤيا سنة ١٨٦٧ حيث كان ابي استاذاً في احدى كليات المدينة . وتلقيت العلوم في مسقط رأسي ثم علّمت بضع سنوات وكنت منذ نعومة اظفاري شديدة الميل الى العلم وادرك ابي ذلك فساعدني على تقوية هذا الميل وتدريبي على اساليب البحث العلمي . وفي كلية العلوم بباريس تلمذت ثلاث سنوات فاكملت دروسي العلمية وفزت بشهادة في العلوم الرياضية والعلمية . هناك التقيت بالاستاذ بيركوري فتزوجنا سنة ١٨٩٥ ولكني كنت قد تعلقت على البحث العلمي في المواد المشعة فكان زواجنا كان عقداً معنوياً على اشتراكنا في متابعة عملنا العلمي

وقف زوجي حياتهُ على البحث العلمي واشتركت انا معهُ في ذلك لذلك بقيت في فرنسا وطني الثاني من غير ان افقد الصلة التي تربطني ببولونيا وطني الاول

بقيت سنوات كثيرة اجري مباحثي وتجاربي في مدرسة الطبيعيات والكيمياء فدرست اولاً علم المغناطيس وكان من نتيجة درسي ان جمعية ترقية الصناعة الوطنية نشرت كتابي الاول وموضوعهُ « العناصر المعالجة كيماويًّا وصفاتها المغناطيسية ». فكان لهُ وقع حسن في الاندية العلمية مما شجعني على الاستمرار في البحث فاخذت اعالج اشعاع الاورانيوم ومركباتهِ وكان هذا الاشعاع من الظواهر الطبيعية التي كشفت حديثاً فاكتشفت مع زوجي ان هناك عناصر مشعّة في بعض المعادن ووالينا التجربة والامتحان حتى كشفنا عن عنصري البولونيوم والراديوم . واستخراج هذين العنصرين من المعادن التي يوجدان فيها امر صعب حتى على الباحث العلمي في هذا العصر فاحر بهِ ان يكون شاقاً منذ ثلاثين سنة او ازيد حين كان هذا الفرع من فروع الطبيعيات لا يزال في مهدهِ

وبعد تجارب دقيقة ومعقدة نجحت في استفراد بعض ذرات دقيقة من عنصر الراديوم وتعيين بعض صفاتهِ الجوهرية. وكان لا بدَّ للقيام بهذا العمل من الصبر والمثابرة لان الادوات التي كنا نشتغل بها كانت لا تزال غير وافية بالغرض ومقدار الاملاح كان ضئيلاً . ثم درست مع زوجي خواص البولونيوم والراديوم وكشفنا عن ظاهرات طبيعية جديدة تسبب فيها الانارة او الاشعاع . ودرست كذلك الشحنات الكهربائية السلبية في بعض الاشعة فاعترف العالم العلمي لنا بما بذلناهُ من الجهد وكافأنا بالاشتراك مع الاستاذ بكرل الفرنسي بجائزة نوبل للطبيعيات عن سنة ١٩٠٣ وكان من اثر اكتشاف الراديوم في العالم العلمي انهُ حدث انقلاب عظيم في نظرنا الى طبيعة الاشياء وبنائها

وعينت سنة ١٩٠٠ استاذاً بالمدرسة النورمال للبنات في سِفر فبقيت في هذا المنصب ثماني سنوات . ونلت شهادة دكتور في العلوم سنة ١٩٠٤ من كلية العلوم بباريز وفي السنة ذاتها عينت مديرة الاعمال المتصلة بكرسي الطبيعيات الذي اوجد ليشغلهُ زوجي . فلما توفي دعيت لاشغل محلهُ أولاً كمديرة للمحاضرات ثم استاذاً فخريًّا . وكانت الدروس التي القيها تدور على موضوع الاشعاع وما يتصل بهِ . وقد بسطتهُ بسطاً وافياً في رسالة نشرت سنة ١٩١٠ . ثم تفرغت للبحث في معملي فمنحت جائزة نوبل للكيمياء سنة ١٩١١ لاكتشاف البولونيوم والراديوم وعندي ان استفراد الراديوم كان من أشقّ الاعمال العلمية

وقبيل الحرب انشأت جامعة باريز معهداً للراديوم ووقفت جهود علمائهِ على البحث في ظاهرات الاشعاع . وفي هذا المعهد معملان — معمل كوري وغايتهُ البحث في الاشعاع من جهتيهِ الكيماوية والطبيعية والثاني معهد باستور وغايتهُ تطبيق حقائق الاشعاع

على مقتضيات الطب . وأهم هذه التطبيقات ما يتعلق بعلاج السرطان . فاشتغلت في اعداد المعدات لانشاء هذا المعهد وافتتاحه . وافتتح في اثناء الحرب

وقد شجعتني الجمعيات العلمية المختلفة باختياري لعضويتها والجامعات بمنحي الدرجات العلمية الفخرية منها ودعيت للخطابة في مختلف بلدان اوربا واميركا كما اني اشتركت اشتراكا فعالا في تجهيز معمل الاشعاع بفارسوفيا . وقد وقفت حياتي البيتية على تربية بنتيّ ايرين وايف واولاهما تشتغل معي الآن في معهد الراديوم

التربية الجسمانية	٢	اثرها في مصر

في المدرسة

قديماً كانت المدرسة تتولى التربية الجسمانية كنوع من اللهو والمرح لا كجزء من عملها وواجباتها . وكان الآباء هم المسئولون عن تربية اجسام ابنائهم . الا ان الحال قد تطوّرت فادركت المدرسة ان في ترك هذا للآباء خطورة كثيراً ما عرضت التربية العقلية للفشل كما قصر الآباء في واجباتهم نحو ابنائهم . وادرك الآباء ايضاً ان في اهمالهم تربية اجسام ابنائهم افساداً للتربية العقلية فتركوا للمدرسة امرها

توسعت المدرسة الحديثة في واجباتها وحدودها فباتت مسئولة امام المجتمع عن تربية الانسان تربية كاملة (العقل والجسم) بحيث تورد لهُ شباناً اصحاء الاجسام مثقفي العقول على اتم استعداد لتولي اعمال الفكر والجسم . وتنازل الآباء عن حقوقهم في تربية اجسام ابنائهم الا على قدر ما يوجد لديهم من وسائل المسكن والملبس واكل الصباح والمساء

ثم توسعت المدرسة الحديثة في واجباتها وحدودها فباتت علاوة على ما تقدم مسئولة عن تربية العقول والاجسام في سن الطفولة ايضاً فتسلمت من المنزل الاطفال في سن الخامسة لتمهدهم الى الحياة المدرسية بعد ما كانت تستلمهم في سن السابعة او الثامنة واحياناً العاشرة . وهي في هذا قد اصابت كل الصواب لانها اصبحت تضمن اجساماً وعقولاً من جنس ما تهوى ومن روح ما تحب فازالت بهذا التنافر والفضاضة التي كانت تعاني محاربتها في النشء عند ما كانت تتولاهُ في سنّ متقدم . ولا غرو فان في هذا العمل توحيداً لسبل التربية وتجنيساً لانواعها

وماذا تفعل المدرسة في الاطفال ؟ سؤال تجيب عن نفس الاجابة التي تجيبها عن السؤال الاول وهو : وماذا كانت تفعل الام الرشيدة في الاطفال ؟ . بل زاد على هذا

ان المدرسة وحدت فعال الامهات في اطفالهنَّ في هذا الدور من الطفولة . فمن كان في حضانة ام قاسية ، ومن كان في حضانة ام مهملة ،ومن كان في حضانة ام جاهلة ، ومن كان في حضانة ام لا تعرف في الحياة الاَّ نفسها ، يتساوى ومن كان في حضانة الام المهذبة المطلعة العالمة . لان في اجتماع الاطفال في حضانة بستان واحد بين ايدي مربية واحدة يتغذى ويلعب ويتثقف على اسلوب واحد توحيداً للعادات والاخلاق والطبائع والمرامي، وفيه ايضاً تسهيل لغاية المدرسة الاولى يوم تتولى تغذية هؤلاء بالعلوم والمعارف

هذه هي فوائد بساتين الاطفال في التربية العقلية ، اما فوائدها في التربية الجسمانية فواضح في اعطاء كل طفل من الحركة والغذاء واللهو بقدر ما يستحق من العناية والدقة. فاذا كانت الام لا تدرك كل هذه التحفظات فهي لا تصلح كالبستان في تلقينها وتطبيقها نظراً للفارق بين الام والمربية في الحنان والعواطف والشفقة ناهيك بالرقابة الشديدةالتي تخشاها المربية ولا تخطر على بال الام . كل هذه تخلق في الطفل طواعية لتلقي ما عليهِمن الواجبات ، وهي تدرجهُ الى تصور الحياة بصورة حقيقية تخالف كل المخالفة تلك التي كان يتصورها وهو بين احضان امهِ

الى هنا استطيع ان انتقل الى المدرسة الاولى بشارة اعجاب لما لبستان الاطفال من فضل على التربية الجسمانية فاقول ان هذهالمدرسة هي من اسعد المدارس حظًا بعد التطور الحديث . فهي تستلم اطفالاً في صور نامية تدرك تعهدتهم الام بتربية صحيحة ، وتعهدتهم بساتين الاطفال بتربية صحيحة ايضاً . لكن مع هذه السعادة تجدها مضطرة الى السمو بمداركها الاولى الى حيث تدير دفة نوع جديد من التربية بني على انظمة ادق بكثير من الاولى علاوة على ما اصبح تواجههُ من صعوبة في ادارة قوات نامية وسائرة في سبيل النمو . فما كانت تتطلبهُ من المجهودات تجاه الاطفال الاولين امست تحتاج الى اضعاف اضعافهِ تجاه اطفالنا الحاليين

فالمدرسة الاولية تتعهد الاطفال جسمانيًا تعهداً اجتماعيًا تجابهُ نحوهُ مسئوليات اقل ما فيها انشغالها بتلقين الاولاد تلك التمارين الدقيقة والتعليمات الادق في علم الصحة بقدر ما يدرك هؤلاء وكما قال الرياضيون ان اقدر الممرنين يجب ان يخصص للمبتدئين واقول انا ان المدرسة الاولى يجب ان تتوفر فيها قدرة فن التربية الحديثة خصوصاً وان اجسام هؤلاء سريعة التأثر كثيرة التقلب . وخصوصاً ان الحركة الرياضية اصبحت مع المدنية الحديثة كثيرة القيود . وما تتولاهُ المدرسة الاولية من التربية يعود على مستقبل الاولاد ويؤثر في فعال المدرسة الثانية والمدرسة الثالثة ويمتد طبعاً الى الاندية .لذلك كانت فوائدهُ

ومضاره ذات خطورة كبيرة على سابق انواع التربية ولاحقها

واما المدرسة الثانية والمدرسة الثالثة فكل اعمالها ، في دائرة لا تستطيع ان تتعداها وهي تمهد ما ترثه من الاجسام بما يحفظها ويزيد من نموها بنسبة نمو العقل والادراك

اثر هذا في مصر حالاً

اما اثر هذا كله في مصر فواضح فيما نراه من عناية الحكومة والجمعيات العلمية من المجهودات . الا انه اثر ضئيل اذا بحثنا عنه في دائرة التعليم الحرة التي مع تمتعها باشراف الحكومة علمياً ما تزال محرومة منه جسمانياً

لا ادري لماذا تبيح الحكومة لنفسها الاشراف على التعليم في المدارس الحرة ثم هي تنقص هذا الاشراف وتجعله قاصراً على التعليم مستثنية منه التربية الجسمانية مع انها قد اشتركت في المبدأ المدني الحديث وهو عدم تجزئة النوعين وضرورة تمشي تربية الجسم مع تربية العقل خطوة بخطوة . ولا ادري لماذا يحرم طالب بالمدارس الحرة من نعمة يتمتع بها مواطن له في المدارس الاميرية مع ان المفروض انهما مصريان ابناء وطن واحد تظلهما حكومة واحدة .خصوصاًوان المسلم به ان مدارس الحكومة لاتتسع لكل طلاب العلم في مصر

اما ان نرجع بهذا النقص الى المدارس الحرة نفسها فامر فيه ارهاق للقائمين بامر هذه المدارس نظراً لان هذه التربية تكلفهم ما لاطاقة لهم به من ايجاد المكان والممرنين والمراجع وغير ذلك مما هو موفور لدى المدارس الاميرية

اعود الى التربية الجسمانية في مدارس الحكومة نفسها فاقول انها ما تزال على منوال ناقص وانها على كثرة تطورها وعلى نشاط الحكومة في اكمالها ستظل ناقصة ما دامت الاساليب المتبعة تتناول عدداً معيناً من الطلبة . وما دامت هذه الاساليب لا تشمل طلبة المدرسة الواحدة على حد سواء . وما دام الطلبة محرومين من الثقافة الفنية بابتعادهم عن المحاضرات العلمية في الفن الذي يتلقونه عملياً . وليس المجال مجال تفصيل واسهاب حتى كنت احلل النقص واستجلي القارئ مواطن ضعفه . اذن فالتربية الجسمانية في مصر المدارس المصرية على وجه عام ضعيفة ، وعلى وجه خاص ناقصة في مدارس الحكومة ومعدومة في المدارس الحرة

الاندية

ما خلقت فكرة تأسيس الاندية بادئ ذي بدء الا لتكون الحلقة الاخيرة في سلسلة التربية الجسمانية . والا لتكون مهد التخصص الرياضي في مختلف فنون الرياضة . لكنها

مع النقص الحادث في التربية المدرسية ومع النقص الحادث من انعدام التربية الجسمانية في غير اوساط المدارس كالمعامل والمصانع والمتاجر والمزارع اصبحت احدى الحلقات الهامة والاساسية في هذا النوع من التربية. أما في بلاد المدنية فبلغت كثرة الاندية درجة كبيرة تكاد تصل في بعض الاحايين الى عدد المدارس الثانوية. وما هذه الكثرة الاً علامة حاجة الشعوب اليها في التربية، ولا ابالغ انها تتناول التربية الجسمانية ونشر الاجتماع الصحيح وهو جزء من التربية العقلية الاساسية

النادي في العرف الرياضي هو المكان المهيأ بالمستلزمات الرياضية والصحية الذي تديره هيئة منهُ تكون على علم تام بانواع التربية الجسمانية، على مقتضى نصوص قانون محكم التشريع وتبعاً للقوانين الفنية المصطلح عليها دوليًّا. هذا هو التعريف الصحيح للنادي في التربية الحديثة واما مكانتهُ في عالم التربية الجسمانية فرئيسي لانهُ يتولى حضانة اجسام بعضها خريج الام والبستان والمدارس وبعضها لم يعرف غير الام وقد تكون امًّا جاهلة. ثم هو يتولى ادارة كل هذه الاجسام بحنكة فيجمع بين الناقص والمعدوم والكامل وشبيه الكامل ثم هو في مدة وجيزة يحول كل هؤلاء الى اجسام كاملة التكوين قوية المظهر والباطن

وعلاوة على ان النادي يتولى تربية الاجسام بهذه الحنكة والمقدرة فهو يهذب الاجتماع لانهُ يستمد من قوانين الرياضة ما يقضي بهِ على العروق المختلفة. وهو الذي يصف الكبير والصغير في صف واحد، ويلبس الغني والفقير لباساً واحداً، ويخرج العقائد الدينية المختلفة عن حد النزاع والجدل الى حد الاحتفاظ بها في الرؤوس والمنازل، وينسي الاجناس المختلفة حدة الجدل والتنافر ثم يلبسها جميعاً حلة الرياضي

ويكفي الاندية شرفاً انها تعوّد الانسان الاطاعة للقانون والحاكم وتعوده عدم التعرض للضعيف او الاقوى مناهضة الند في حدود المباح والقانون، ثم انها تزيل من نفوس الناس شيئاً يسمى الشر او الاذى او الاضرار بالغير

وللاندية في اساليب التربية الجسمانية الحديثة تصانيف عديدة ما تزال تتكاثر وتصدر كل يوم بجديد، وما تزال لبان الصحة وغذاء العافية. فهي تكوّن الاجسام تكويناً تاماً وتجعل منها ما تحتاج اليهِ البلاد في قضاء ما عليها من الواجبات لسعادة المجتمع. ولكم اخرجت الاندية للانكليز وللاميركان وللفرنسيين وللالمان وللاستراليين وغيرهم من رجال فطاحل قاموا باعباء الادارة والعمل والحكم بعقول راجحة واجسام تحملت جبابرة العقول فغذتها واشبعتها

اثر هذه الاندية في مصر

اما اثر هذه الاندية في مصر فقد بدأ يظهر منذ ربع قرن ، لكنهُ اثر ما يزال ناقصاً لان هذه الاندية يقوم بها في غير مصر الشعب نفسهُ فيقيمها بسخاء ويستعين على انشائها بتأسيس الشركات حتى تكون كاملة غير منقوصة . اما في مصر فما تزال من هبات القدر ومن فعل الخيرات التي تدرها الحكومة المصرية على الشعب . ولذلك فهي ما تزال في مهد الهبات والعطايا يجود بها الخيرون على قدر استطاعتهم . وغير معقول ان الحكومة ملزومة بانشاء عدد من الاندية الرياضية يسد حاجة الشعب باكمله . ثم انهُ غير مسلم بهِ ان تقوم حكومة بادارة او بسن قوانين ورسم خطط الاندية الرياضية

اذن ستظل الاندية في مصر قليلة العدد وفقيرة الاستعداد ما دامت في عداد الهبات والعطايا ولم تخرج الى حيز العمل الجدي الذي يجري مع كل عمل جدي مجرى واحداً فكما يساهم الانسان في المصارف والشركات يساهم في الاندية . وكما يربح من هذه يربح من تلك بل ويربح اكثر من الاخيرة . ولعل هذا هو الذي أخر مصر في فنون التربية الجسمانية فجعلها محرومة من الاندية الرياضية المستعدة

هذه هي التربية الجسمانية الحديثة ، وهذه هي مواردها ومساقيها جئنا بها للقارئ الكريم ليكون على علم بما هنالك وبما هنا من مواطن القوى والضعف . والتفصيل يدل على ما لا يدل عليهِ الاقتضاب والاجمال ؟ ابراهيم علام

العناية بالاطفال ٣ نظافة الطفل



الدكتور — لا يحمم الطفل اذا ظهر على جسمهِ بثور الاكزيما وغير الاكزيما لان الماء والصابون يهيجانها ويزيدان في ازعاجهِ منها . وكذلك لا يغسل جسمه في احوال توعك بسيط او زكام خفيف او ضعف شديد اذ قد يحول هذا الزكام الخفيف والتوعك البسيط الى اشد الامراض خطراً على حياتهِ

وردة — لن احمم ممدوحاً اذا لحظت عليهِ توعكاً او ظهر على جسمهِ بثرة ولكن هل امتنع في هذه الاحوال عن تنظيف عينيهِ ووجهه وفمهِ ولاسيما ما بين فخذيهِ ام اغسل هذه الاعضاء في جميع الاحوال ومن غير حذر

الدكتور — ليس من حالة مرضية تحظر عليك تنظيف هذه الاعضاء. ولقد سررت من سؤالك هذا لان معظم الوالدات يخفن في بعض الاحوال ان يغسلن عيون اولادهن فيهدمن اهم ركن من اركان الصحة. لذلك ترى امراض العيون متفشية بين الاطفال تفشياً ذريعاً. وكذلك ترى امراض الاسهال والهزال والكساح وغيرها منتشرة انتشاراً غير قليل واسباب هذه الامراض كما تعلمين هو الجهل بالقواعد الصحية او اهمال فيها واهم هذا القواعد النظافة. فالام التي تنظف عيني طفلها اكثر من مرة في اليوم وتعتني بنظافة فمهِ ويديهِ واعضائهِ الجنسية يسعد قلبها بسلامة عينيهِ وجسمهُ من امراض وبيله العاقبة

وردة — كيف انظف عيني ممدوح

الدكتور — تنظفان بالقطن المغموس بمحلول خفيف من حامض البوريك مرة في الصباح واخرى في المساء

كريم — واذا ظهر في العين صديد

الدكتور — تنظف العين في هذه الحالة مرة في الساعة ويستمر الغسيل والتنظيف على هذا المنوال الى ان يزول الصديد. ولئلا يلتصق الجفنان نضع على الجفن في المساء مرهم البوريك او الفازلين النقي. واذا استمرَّ الصديد على رغم هذه الاجراءات فالافضل دعوة الطبيب المتوفر على امراض العيون. وطريقة تحضير محلول الحامض البوريك هي ان تضع في لتر من الماء المغلي ملعقتين من مسحوق الحامض البوريك فيتم لك بذلك الحصول على سلاح تدفعين بهِ عن العين امراضها

كريم — كثيراً ما اشاهد على فم بعض الاطفال قلاعا او طفحا فطريًّا فكيف ندفع هذه العلة التي لابد ان يكون لها علة وعلاج

الدكتور — بالنظافة والمحافظة على نظام الرضاعة والتغذية فالفم ينظف مرتين في اليوم بمسواك ليّن على طرفهِ قليل من القطن ينشف بهِ فم الطفل وينظف مما يكون عالقاً بهِ من فضلات واقذار ويعالج القلاع بالجلسرين والبورق الدكتور شخاشيري

بياض الاسنان امر نسبي

في مجلة هيجيا الاميركية انهُ ثبت لطائفة من الباحثين ان بياض اسنان الزنوج سببهُ سواد وجوههم على حدّ قول الشاعر « وبضدها تتميز الاشياء » فانك اذا اخذت سن زنجي ووضعتهُ قرب سن رجلٍ ابيض وجدت الاول قاتماً ضارباً الى الصفر ازاء الثاني وانما يظهر ابيض في فم صاحبهِ لان سواد الوجه يكشف عن بياض السن

باب الزراعة والاقتصاد

تحلية الخيل العراب[1]

٢

فصائلها — للعراب عدة فصائل اشتهر منها في بلاد الشام الكحيلات والعبيّات والمنقيات والسقلاويات والحمدانيات وامهات عرقوب والشويمات والكبيشات والجلفات والدهم والمليحات والطوقانيات (سعدى الطوقان) وغيرها . ويتفرع عنها فروع كثيرة في بعضها وقليلة في بعض . واشهر الخيل هي لدى القبائل الرحل شرقي الشام كالصخور والرولا والعنزة والموالي والحديديين وشمر وغيرهم . ولا يزال كثير من الأسر الشامية في المدن وكبار ارباب الفلاحة يقتنون جياد الخيل العربية للركوب او السباق ولم تستطع السيارات مع انتشارها وازدياد الطرق المعبدة ان تأتي على تربية الفرس العربي ومع هذا فهي قد قللت استعماله في كثير من الاماكن

العراب في مواطنها الاصلية — قلت ان الخيل العراب هي اليوم منتشرة في بلاد واقاليم مختلفة فاجودها الخيل النجدية وهي جميلة الاعضاء رقيقة الحس زائدة القناعة لا يشوبها سوى انها صغيرة الجسم . وهذه الصفات التي تتحلى بهـا نشأت من هواء البلاد النجدية الجاف ومن قلة انواع الاغذية فيها . وتنقل النجديات الى الشام والى خليج البصرة حيث يشتريها التجار ويبيعونها من بعض اغنياء الفرس المولعين بها

وخيل الشام على ثلاثة اصناف البراذين او الاكاديش . والمولدة وهي التي تولد من ام عربية واب اعجمي او على العكس . ثم العراب . فالبراذين تجلب من الاناضول خاصة وعددها يبلغ نحو سبعين في المائة من مجموع خيل الشام اما الخيل المولدة فبين بين وهي تستعمل في جر العجلات في المدن ونسبتها للمجموع نحو ٢٠ في المئة . فيتضح من ذلك ان الخيل العراب في حواضر الشام لا تزيد على ١٠ في المائة من المجموع لكن هـذه الخيل هي من اجمل العراب التي استفاضت شهرتها لدى الاوربيين وتعرف بقدودها المتوسطة والوانها الحسنة واحداقها الكبيرة وقوائمها الدقيقة . وتكثر فيها الشهب الحديدية

(١) تتمة ما نشر في الصفحة ٥٥٤ من المجلد ٦٦

واشتهرت لدى الانكليز خيل عمَّان الكبيرة الجثة القوية العضل وهي تنقل من مسقط ومنها ما ينقل من المحمرة او البصرة الى مدينة بمباي في الهند

وقد جمعت خيل اليمن الرشاقة وارتفاع القامة وكبر الجثة وسرعة العدو وتحمل الاتعاب . وتكثر فيها الشقر المذهبة ومنها ما تكون جبهتها وقصبة انفها مقعرتين قليلاً كما في بعض خيل العراق . اما خيل الحجاز فقاماتها قصيرة وهي مرغوب فيها

العراب في البلاد الاوربية — ادخل الخيل العربية البلاد الاوروبية منذ امتلاك العرب بلاد الاندلس ثم نقلت الى بعض الممالك الاوروبية في اثناء الحروب الصليبية . وبعد ان نهض الاوربيون في العصور الاخيرة وادركوا مزايا هذا العرق اخذوا يبتاعون من جياده لتحسين الخيل في بلادهم . فالمانيا ابتاعت عدداً من العراب منذ سنة ١٧٣٢ ميلادية ووضعتها في مركز السفاد الملوكي في تراكهنن Trakehnen من اعمال بروسية الشرقية حيث كانت تستعملها في اصلاح الخيل البلدية . ثم استعملت معها الخيل الانكليزية منذ نحو نصف قرن حتى صار عرق الخيل البلدي في بروسية الشرقية عرقاً انكليزياً عربياً اشقر اوكميتاً . واستعملت العراب والانكليزية في مركز نوشتاد Neustadt ووايل Wiel وغيرها

ونقل المجر الى بلادهم عدداً لا يستهان بهِ من الخيل العراب ابتاعوها من الشام لاصلاح الخيل المجرية . وهذه الخيل هي في الواقع منحدرة من اصل عربي ولهذا يسهل اصلاحها بالخيل العربية واشتهر مركز بابولنا Babolna بتربية جيادنا ويقول احد المؤلفين ان هذا المركز قد ابتاع من الشام كثيراً من الجياد على ست مرات سني ١٨٣٦ و ١٩٠١ ويقول ايضاً ان في بلاد المجر ٣٢ مركزاً تربى فيها العراب

وقد كانت الخيل العربية وبعض عروق شرقية واسطة لايجاد خيل السباق الانكليزية التي استفاضت شهرتها . وليست العراب كثيرة العدد في بلاد الانكليز اليوم لكن لبعض اغنيائهم كلفاً بها وقد ذكر استاذنا دوشامبر في كتاب الخيل الذي طبعهُ سنة ١٩١٢ ان احد هؤلاء يملك وحده سبعين رأساً عربياً ذكوراً وإناثاً كلها صالحة للسفاد وكلها منقولة من الشرق مباشرة

وفي مراكز السفاد في فرنسا نحو مائة رأس من الجياد العربية اهمها تارب وبو Pau وبومبادور Pompadour . وبلغ عدد الاناث من الخيل العراب المقيدة سنة ١٩١٢ في دفتر انسال الخيل في تلك البلاد ٢٥٥ فرساً

وفي الروسية مركز شهير في ستراسك Stréletzk أسس سنة ١٨٠٥ ونقلت اليه

الخيل العربية من الشام فربيت وتناسلت وصارت في تلك البيئة اكبر جثة من خيول البلاد الشامية. ويذكرون رحلات قام بها احد الامراء الروسيين في بادية الشام والجزيرة لشراء الجياد العربية من العشائر المعروفة كالرولا وشمر وولد علي والسبعة

يتضح من هذه الخلاصة ان الاوربيين الذين ادركوا ما للعراب من المزايا قد ابتاعوها باغلى الأثمان ليضيفوا الى خيولهم رشاقة الفرس العربي وجماله وقوته وصبره

بعض ما ورد في ذكرها — وردت العراب في القرآن باسم الصافنات الجياد (١) . وأقسم بها في الآية « والعاديات ضبحاً فالموريات قدحاً فالمغيرات صبحاً فأثرن به نقعاً فوسطن به جمعاً » . وروي عن النبي « الخير معقود في نواصي الخيل الى يوم القيامة » و « المنفق على الخيل كالباسط يده بالصدقة لا يقبضها » و « ما من رجل مسلم الا حق عليه ان يربط فرساً اذا اطاق ذلك » و « اكرموا الخيل وجللوها » و « لا تقودوا الخيل بنواصيها فتذلوها » و « ان الشيطان لا يدخل داراً فيها فرس عتيق » الخ

وما من امة تحب الخيل كالامة العربية وقد كان اجدادنا لا يرون العز الا على متونها ولهم في حبها احاديث واشعار لا تحصى . قيل لاحدهم لماذا يتضاغى اولادك جوعاً فقال « لانا نبدأ بالخيل قبل العيال » . وقال آخر

احبوا الخيل واصطبروا عليها فان العز فيها والجمالا
اذا ما الخيل ضيعها اناس ربطناها فأشركت العيالا
نقاسمها المعيشة كل يوم ونكسوها البراقع والجلالا

وقال المقنع الكندي

وفي فرس نهد عتيق جعلته حجاباً لبيتي ثم اخدمته عبدا

وقال شداد بن معاوية العبسي وكانت فرسه تسمى جروة

فمن يك سائلاً عني فاني وجروة كالشجى فوق الوريد
اقوتها بقوتي ان شتونا وألحفها ردائي في الجليد

ولا شك في ان اهم الاسباب التي تحمل العرب على حب الخيل شدة حاجتهم اليها في قطع المسافات الشاسعة والغزو والحروب والبدو هم اشد احتياجاً اليها من الحضر لاسيما في ايامنا هذه التي صارت السيارات فيها قادرة على بلوغ معظم القرى والدساكر.

ما يستحب وما يكره منها — قال الاصمعي في « كتاب الخيل » يستحب من الفرس

(١) الصافنات من صفن الفرس اي قام على ثلاث قوائم وثنى الرابعة وهو من الصفات المستملحة ويكون في العراب الكريمة . اما الجياد فجمع جواد اي السريع في جريه

صفاء الأديم وصفاء الحدقة وصفاء الحافر وقصر الشعرة وقصر اوظفة اليدين وقصر الساقين وقصر الظهر وقصر العسيب وطول الذراعين وحدبهما وطول الوظيفين في الرجلين وطول البطن وطول العنق وقلة لحمه واضطراب جرانه وحدة الفؤاد والطرف والكعب والمنكب والعرقوب وعرض الجبهة والورك والكتف والجنب والقطاة وسعة البركة اي متسع صدر الفرس مما يستقبلك وسعة النحر وسعة الشدق وعرض القوائم (قلة لحمها) ومشقها وعرق الوجه والمتن ورهل المنكب (كثرة اللحم في استرخاء) وموج جلده عليه ولين الناصية والعرف ورقته وان يشرف منسجه وتشرف حجبتاه ويكثر لعابه ويشتد صهيله وترق جحفلتاه ويكثر عصبه وتمكن ارساغه ويطول سبيمه ويدق مذبحه وتقصر طفطفته (شاكلته) ويتسع منخره

وقال يكره من الفرس القنا (ارتفاع مقدم الخيشوم) والخذا (استرخاء الاذنين) والسفا (قلة الشعر في الناصية) والبلق وارتفاع التحجيل الى الفخذين وضفوف الحافر وقلة الدماغ وضعف الضرس واضطراب المتن وكثرة لحمه واضطراب الأذن وعظم الزور وطول الشعر وقصر الاضلع وطول العسيب وضيق الجلد على الكتف والعضد وغلظ الجحفلة وكثرة لحم الوجه واستدارة القوائم ودنو الصدر من الارض وتنكيس الجاعرة وطمأنينة القطاة وضيق الشدق وموج الربلة وطول النسا والفحج الفاحش والعَزَل (ميل الذنب في احد الشقين) وتطامن الظهر والهَنَع (تطامن اصل العنق)

بعض نعوتها — المُعرِب من الخيل الذي ليس فيه عرق هجين والانثى معربة والجمع عراب. واعرب الفرس خلصت عربيته. والعتيق من الخيل الكريم وكذا الصريح والشرجب والسرحوب وهي نعوت لا تنعت بها الا العراب

والمطهَّمة هي الحسنة التامة كل شيء. والصِلْدِمة الشديدة. والفرس النهد الجسيم. والسلجم الطويل ومثله السلهب. والسُرْحوب والقيدود الطوال من الإناث ولا توصف بهما الذكور. والصصام الصلب الشديد وكذا العلندي قال الشاعر

اعددت للحدثان سابقة وعداء عَلَنْدي

والهيكل الضخم العبل اللين. والمسومة التي لها سمة اي علامة. والجواد الذي يجود في جريه يقال جاد الفرس في عدوه وجَوُد وعدا عدواً جواداً. والغَمر الجواد الكثير العدو وكذا البحر والفيض والسَّكْب. والسبوح الذي يسبح بيديه في سيره. وقيد الاوابد هو الفرس الجواد اللاحق سمي كذلك لانهُ اذا رأى وحشاً لحقهُ كانهُ مقيد

والخَذِم والعَدَوان السريع . والذُهلول الجواد الدقيق والاجرد السريع المنجود من الحلبة السابق لها . وعكسهُ الخيل التوابع وهي المسبوقة انشد احدهم

يثابر حتى يترك الخيل خلفه   توابع في غمّى عجاج وعثير

واول الخيل في الحلبة هو المجلي او السابق والثاني المصلي وذلك لان رأسهُ عند صلا السابق (وسط ظهره) ويليهِ الثالث فالرابع الى التاسع . والعاشر هو السُكَيْت والفِسكل الذي يجيء آخر الخيل في الحلبة   دمشق   مصطفى الشهابي

الاسمدة الكيماوية الصناعية

ومقامها في الزراعة العالمية

ان من يرجع الى تاريخ استعمال الاسمدة الكيماوية قبل الحرب العظمى يجد ان المقطوعية منها كانت تزداد سنة فسنة بمعدل ستة الى سبعة في المائة وقد تقدرت هذه المقطوعية في سنة ١٩٠٠ بنحو ثلاثمائة الف طن من الازوت النقي وبقيت تزداد حتى بلغت في سنة ١٩١٣ اكثر من مضاعف ذلك اي سبعمائة وخمسين الف طن وهذا المعدّل يعادل خمسة ملايين طن من نترات الجير الالماني او نترات الصودا كما هو معلوم عن محتويات كل منهما من الازوت (النتروجين) بواقع $\frac{15}{16}$ في المئة

الاَّ ان المقطوعية العالمية المذكورة للزراعة توقفت عن نموها في زمن الحرب بل قلت عنها في غضونها وهذا لحاجة المتحاربين الى الازوت في صنع البارود والمفرقعات الحربية التي كانت تفتك بالنفوس وتدمر العمران بدلاً من استفادة البشر منها في زيادة الخصب. فآل ذلك الى افتقار العالم اليها عند ما لم يجد منها في مزارعهِ ما يسمد بهِ زراعاتهِ فلم تضع الحرب اوزارها حتى استغنى المتحاربون عنها وعاد اقبال المزارعين عليها اضعافاً مضاعفة في مدة وجيزة بعد الحرب لان مقطوعية الزراعة منها بلغ في سنة ١٩٢٢ نحو من تسعمائة الف طن من الازوت النقي وهي مضطردة في الزيادة حتى بلغت في سنة ١٩٢٧ نحو الف وخمسمائة الف طن من الازوت النقي اي ما يعادل عشرة ملايين من الاطنان على نسبة محتويات نترات الجير الالماني او نترات الصودا في نترات صودا شيلي كما قدمنا والمنتظر ان يكون الاستهلاك سنة ١٩٢٨ قد فاق ذلك كثيراً

اما الدافع الى زيادة انتاج الاسمدة الكيماوية الصناعية والى زيادة استعمالها فذلك كما اوضحناهُ اولاً يرجع الى زيادة سكان الارض وازدياد الحاجة الى الطعام على نسبة تلك الزيادة ثم الى دافع آخر ذي اهمية ألا وهو رغبة كل امة في الاستقلال واستغنائها قدر

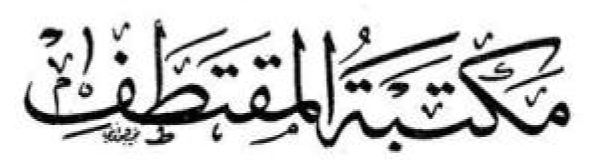
الامكان عن حاصلات البلدان الاخرى فعمدت الى الاسمدة الكيماوية الصناعية تستخدمها اداة في انماء موارد البلاد الزراعية فنالت باستعمالها وفرة في الحاصلات الزراعية اذ قد ثبت بعد التجربة والاختبار ان الكيلو الواحد من الازوت التي يعطي انتاجاً قدَّرتهُ مصالح الاحصاء الالمانية بعشرين كيلو من القمح بشرط ان تكون الارض المزروعة تحتوي على كفايتها من الحامض الفصفوريك والبوتاس. فاذا قدرنا ثمن الكيلو الواحد من الازوت على ما هو في ملح (سلفات) النوشادر مثلا بستة غروش صاغ او على ما هو في نترات الجير الالماني والكيلو منهُ يساوي تقريباً سبعة غروش صاغ امكنا تقدير ما ينالنا من استعمال الازوت في زراعاتنا لو قدرنا مقدار انتاجها على النحو المذكور من القمح بخلاف ما تحصل عليهِ من تبنها والمخلفات الاخرى . لان ثمن هذه وحدها يزيد عن ثمن الازوت المستهلك في تغذية الحنطة وانمائها . والى القارئ جدولاً يتبين منهُ اطّراد الزيادة في المستهلك من الاسمدة الازوتية الصناعية بالطن المتري من الازوت (النتروجين) التي

١٩٠٥	٤٠٠٠٠٠	١٩٢٣	٨٦٥٠٠٠
١٩٠٧	٤٨٠٠٠٠	١٩٢٤	٩٨٠٠٠٠
١٩١٠	٥٤٠٠٠٠	١٩٢٥	١١٨٠٠٠٠
١٩١٣	٧٤٠٠٠٠	١٩٢٦	١٣٤٠٠٠٠
١٩٢٢	٨٥٠٠٠٠	١٩٢٧	١٤٤٠٠٠٠

ثابت ثابت

السر هنري رو

توفي السر هنري رو العالم الزراعي الانكليزي في ٧ ابريل الماضي عن سبعين سنة قضاها في البحث والتنقيب واشغال المناصب العالية في حكومة بلادهِ حتى صار يحسب اكبر ثقة في فنون الزراعة من وجهتها الاقتصادية . شغل اولاً منصب مدير لفرع الاحصاء بوزارة الزراعة البريطانية ثم رقي سنة ١٩٠٦ الى منصب سكرتير مساعد فحصر عنايتهُ بالتقارير السنوية التي كانت ترد على الوزارة وما فيها من الاحصاءات ودلالتها على تقدم الزراعة البريطانية . ومن آرائهِ في خطبة خطبها وهو رئيس لجمعية الاحصاء الملكية ان مقدار الطعام الذي ينتج الآن اكبر مما كان عليهِ قبيل الحرب وهذا رغماً عن قلة المساحة المزروعة الآن اذا قيست بالمساحة التي كانت تزرع قبل الحرب



تاريخ الموسيقى العربية

الى القرن الثالث عشر المسيحي

تأليف الاستاذ هنري جورج فارمر طبع عند لوزاك وشركاهم لندن

اهدى الينا الاستاذ فارمر هذا الكتاب النفيس في تاريخ الموسيقى العربية فجاء دليلاً جديداً على ما لجماعة المستشرقين من العناية الكبيرة باصول تاريخنا السياسي والادبي والفني . والاستاذ فارمر ليس حديث العهد بموضوع الموسيقى العربية اذ له في ذلك ثلاثة مؤلفات قيمة تشهد لهُ بطول الباع اليك موضوعاتها . اثر العرب في الموسيقى النظرية . المخطوطات الموسيقية العربية في المكتبة البُدلية . اثر الموسيقى من المصادر العربية

الكتاب الذي بين ايدينا سبعة فصول الاول يتناول الموسيقى العربية في ايام الجاهلية والثاني موضوعهُ الموسيقى والاسلام والثالث يتناول حالتها في ايام الخلفاء الراشدين والرابع في ايام الامويين والخامس في ايام العباسيين في عصر ازدهارهم والسادس في ايام العباسيين في عصر ضعفهم وانحطاطهم والثامن في ايام العباسيين في عصر سقوطهم

وقد اشار في مقدمتهِ الى ان اصول حضارة العرب ترجع الى الالف الثالثة قبل المسيح قال ما ملخصه : ان كل مَن كتب في موضوع الموسيقى عند العرب بحث عن اصولها عند اليونان والفرس . ولهُ في ذلك عذره لاننا لم نكن نعرف الى عهد حديث شيئاً عن حالة بلاد العرب قبل الاسلام الاَّ ما كنا نجمعهُ من المصادر اليونانية واللاتينية ، او من الخرافات والقصص التي تناقلها الكتَّاب العرب .فكان ذلك باعثاً على حسبان اصول الحضارة العربية في فارس واليونان . والواقع ان حضارة بلاد العرب لم تنشأ في ايام الجاهلية حين كانت شموس اليونان والرومان والبزنطيين والفرس في اوجها ولا نشأت في صدر الاسلام ولكنها ترجع الى عهد اقدم منهما كليهما

ان المباحث الاثرية التي اجريت في مواقع الحضارات الساميَّة القديمة قد قلبت كثيراً من آرائنا في تاريخ الثقافة العالمية واول ذكر لبلاد العرب يعود بنا الى الالف الثالثة

The History of Arabian Music by Henry G. Farmer,
Published by Luzac Co. 46 Great Russell Street London W.C.

قبل المسيح. ففي بعض الالواح المنقوشة بكتابة مسمارية اشارة الى بلدان ثبت بعدئذٍ انها واقعة في بلاد العرب . . . . . وشكراً لما بذلهُ المنقبون والباحثون من الجهود نستطيع ان نعرف ان ممالك العرب القديمة كانت على جانب من الحضارة يضاهي من نواح كثيرة حضارة بابل واشور . قال الدكتور فرتز همل: «في جنوب بلاد العرب تقع على آثار حضارة زاهرة في عهد قديم جدًّا». وقد دلتهُ مباحثهُ التي تلت قولهُ هذا على ان الحضارة في جنوب بلاد العرب بآلهتها وبخور مذابحها وكتاباتها وحصونها وقلاعها كانت زاهرة في اوائل الالف الاولى قبل المسيح . . . . وقد اشار الاستاذ المذكور الى ان عظمة الحضارة العربية القديمة اظهر ما تكون في الثقافة والدين . .

ولكننا نكاد لانجد اثراً واحداً عن الموسيقى عند العرب القدماء . على ان كتابة من عهد اشوربانيبال (القرن السابع ق . م) تدل على ان موسيقاهم كانت موضع طرب وتقدير وخلاصة هذه الكتابة ان طائفة من الاسرى العرب في قبضة الاشوريين كانوا يقضون ساعات عملهم بالنشيد والموسيقى فكان اسيادهم الاشوريون يطربون لها ويطلبون المزيد

وهكذا نرى الاستاذ فارمر يسوق الدليل اثر الدليل على قدم الموسيقى عن العرب ثم يفصل تقدمها الى آخر عصر العباسيين في الفصول التي اشرنا اليها سابقاً

الشعر النسائي العصري

وشهيرات نجومه

جمع ونشر مكتبة الوفد — صفحاته ٥٦ — طبع بمطبعة الترقي — الثمن ٣ قروش

أصدرت هـذا الكتاب المدرسي المفيد (مكتبة الوفد) بباب اللوق فسدَّت به فراغاً محسوساً في مكتبة البنت المدرسيَّة . واذا كانت قيمة الكتاب بموضوعهِ ومراميهِ قبل ايّ اعتبار آخر ، فعندنا ان هذا التأليف الصغير من خير التآليف النافعة التي أُخرجت للناس في هذا العام بل في الاعوام الأخيرة . وآية ذلك ان الذين سوف ينتفعون وينتفعن بهِ في عدِّ الآلاف ، والاغلبية من طالبات المدارس الابتدائية والثانوية .وهو الى جانب ذلك يشيد اشادة خاصة بشواعر العصر ،ويفتح باب الدّراسة للشعر النسائي العصري على مِصْراعيه بعد ان كان المألوف انصراف الطالبات غالباً عن شعر بنات جنسهن ، وان بلغ غاية الجودة الفنية ! فكأن هذا الكتاب شهادة بالنبوغ النسائي الفني ومرشد الى تقديرهن ، ودليل أمين الى درس مختارات من روائع آثارهن وبعبارة اخرى هو تأليف مدرسي قيم كما انهُ عونٌ صادقٌ للنهضة النسائية الأدبيَّة وحاثٌّ على اطّرادها

وقد اختارت (مكتبة الوفد) أن تضمّن الكتابَ سِيَرَ نُخبةٍ من مشهورات شواعرنا: هنَّ وردة اليازجي وعائشة عصمت تيمور وأمينة نجيب وملك حفني ناصف، وأتحفتنا بنماذج عديدة من أشعارهن، بحيث جاءت هذه المجموعة مثالاً صادقاً لتطوُّر الشعر النسائي العصري تُقرأ بفائدة ولذّة وافرة

والكتاب مطبوعٌ طبعاً جيداً ومنَسَّقٌ تنسيقاً حسناً كما ان قسمهُ الشعري مشكولٌ، وقد تجرّد من الاخطاء المطبعية المشوّهة لكثيرٍ من المطبوعات العربية. وفي ذيل الكتاب فصلٌ عن نقدِ الشّعر وأقسامهِ للعلامة ابن قُتيبة، إتماماً لفائدتهِ الدراسية. فنشكر (لمكتبة الوفد) هديتها، ونرجو أن ينال هذا الكتاب الاقبال العظيم الذي يستحقهُ من جميع مدارس البنات في مصر والعالم العربي

تقرير المعهد السمثصوني

لسنتي ١٩٢٦ و ١٩٢٧

Report of the Smithsonian Institution

جيمس سمثصن رجل انكليزي توفي سنة ١٨٢٦ فاوصى بكل ثروتهِ لحكومة الولايات المتحدة الاميركية لتنشئ معهداً في وشنطن يعرف بالمعهد السمثصوني غايتهُ ترقية العلوم ونشرها بين الناس. فقبل الكنغرس الاميركي هذه الهبة وقضى بان تتولى الحكومة الاميركية ادارة هذا المعهد فيكون رئيس الولايات المتحدة رئيسهُ ورئيس المحكمة العليا وكيلهُ ووضع قانوناً لذلك سنة ١٨٤٦ بعد معارضة شديدة قادها كلهون الخطيب الاميركي المشهور زاعماً فيها ان الكنغرس لا حق لهُ حسب نصوص الدستور على قبول هدية من هذا القبيل

والمعهد الآن من اشهر المنشآت العلمية ولرجاله آثار مفيدة في العلوم المختلفة كالفلك والطبيعيات والظواهر الطبيعية والحيوان وآثار الانسان وما الى ذلك. وهو ينشر كلَّ سنة مجلداً ضخماً يحتوي على تقرير سكرتيرهِ وعلى اشهر الرسائل العلمية التي ظهرت في انكلترا واميركا في السنة السابقة. وقد اهدى الينا في شهر واحد تقريريهِ عن سنتي ١٩٢٦ و١٩٢٧ وفي كلٍّ منها نحو ٣٠ مقالة علمية لاعظم علماء العصر نذكر منها: النظر الجديد الى الكون للاستاذ جينز سكرتير الجمعية الفلكية الملكية بلندن. الاشعة الكونية للاستاذ روبرت ملكان. تاريخ النشوء العضوي للاستاذ كولتر. نشوء الكواكب للاستاذ ابت سكرتير المعهد السمثصوني. النور البارد للاستاذ نيوتن هارفي. هذا بعض ما في المجلد الواحد. وفي الآخر: نشوء الطبيعيات في القرن العشرين للاستاذ ملكن. اسحق نيوتن لالبرت اينشتين.

قلب الجوهر الفرد للاستاذ كروذر. اطالة الحياة للاستاذ فشر. عصر الفحم الجديد للمستر ادون سلوسن وهلمَّ جرًّا . وسنعود الى بعض هذه الرسائل فنلخصها للقراء على صعوبتها

ديوان سليمان سلامة

الجزء الثاني

«...الشاعر هو الذي يرسل نفسهُ على سجيتها فلا يشكو الا من الم يحسُّ بهِ ولا يضحك الاَّ من غبطة تفيض بها نفسهُ فيفيض بها لسانهُ . اما الذين « يقولون ما لا يفعلون » فاهم بالشعراء الاَّ في العرف القديم». هكذا يختم الاديب مراد ابو ماضي المقدمة التي قدمها لهذا الديوان الذي يحتوي على ادلة كثيرة على ان نفس صاحبهِ تلتهب شوقاً الى الوطن الذي يملأ حبهُ جوانبها . . . «فهو شاعر سمح القريحة فياض الخاطر صريح العبارة . . يخاطبك في غير تكلف ولا تصنع ويأتيك بالالفاظ كما تعرض لهُ ولا يبالي وسعت المعنى او ضاقت عنهُ حتى انهُ لا يبالي ان يصقلها . والسرُّ في ذلك انهُ نشأ في محيط طبيعي بعيد عن البهرجة الخارجية التي تشوّههُ اكثر مما تجمل وعاش في محيط يكره التبرقع ويحب السفور والصراحة . . . »

اجاد في وصفهِ قرى البقاع التي تحيط ببعلبك حيث يقول

قراها كالكواكب كلَّ ليلٍ تشعشع في السهول وفي الجبال

فمن رأى قرى البقاع او قرى لبنان من مرتفع يشرف عليها ولا يرى في هذا البيت وصفاً دقيقاً بل صورة واضحة في تسع كلمات على خلوها من الزخرف الذي ينتظر عادة في وصف بيت بليغ وقال في قصيدة صفحة ١٧

انا والطير شاعران كلانا	ذو شعور وذو حواشٍ رقاقِ
هو يشدو لكنهُ بسرورٍ	في قصور الازهار والاوراقِ
يصف الحسن في الطبيعة وصفاً	اين منهُ تغزّل العشاقِ
كلما هبَّ في الغصون نسيمٌ	يتغنى بقدرة الخلاّقِ
غير شاكٍ جوى التغرُّب مثلي	من فؤاد معذَّب بالفراقِ
أتمنى لو كنت كالطير حرًّا	في بلادٍ قد طال عنها افتراقي
لست ادري متى اعود اليها	طال اسري متى يكون انعتاقي
اترى يسمح الزمان فاروي	ظمأي من معينها الرقراق

والديوان مطبوع طبعاً متقناً على ورق من نوع ورق المقتطف ويطلب من صاحبهِ بواسطة المطبعة التجارية السورية الاميركية ١٠٤ شارع غرينتش نيويورك

معجم المطبوعات العربية والمعربة

هذا معجم نفيس لا يستغني عنهُ باحث في آداب اللغة العربية شامل لاسماء الكتب المطبوعة في الاقطار الشرقية والغربية مع ذكر اسماء مؤلفيها ولمعة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة الى نهاية ١٣٣٩ هـ ١٩١٩ م عني بجمعهِ وترتيبهِ وطبعهِ يوسف افندي الياس سركيس صاحب مطبعة ومكتبة سركيس بمصر . واصدر منهُ حتى الآن سبعة اجزاء كلٌّ منها في نحو ١٨٠ صفحة كبيرة قطع ٣٣×٢٥ سنتيمتراً مرتبة حسب اسماء المؤلفين وتحت اسم كلٍّ منهم عناوين المؤلفات المنسوبة اليهِ ومكان طبعها وتاريخهُ

فتحنا اتفاقاً صفحة ٤٩ فوقع نظرنا على اسم ابن البيطار تلاهُ ترجمة موجز لهُ ثم ذكر كتابهِ المشهور بمفردات ابن البيطار قال : الجامع لمفردات الادوية والاغذية ويعرف بجامع الادوية المفردة او مفردات ابن البيطار امرهُ بجمعهِ الملك الصالح وهو اجل كتب المفردات واجمعها جزء ٤ بولاق ١٢٩١ . ثم فتحنا صفحة ١٢٤١ فوجدنا اسم الطغرائي وترجمتهُ وذكر ديوانهِ ولاميتهِ . وفي الصفحة نفسها ايضاً وجدنا اسم طلعت حرب بك وذكر مؤلفاتهِ ورسائلهِ . والخلاصة ان الكتاب كنز لا تنفد دررهُ

مطبوعات الحكومة المصرية

يضيق بنا هذا الباب اذا اردنا ان نتوسع في ذكر المطبوعات التي تخرجها دوائر الحكومة المصرية لذلك نكتفي بذكرها وذكر بعض الحقائق عنها

(١) التقرير السنوي عن اعمال تفتيش صحة القاهرة لسنتي ١٩٢٥ و ١٩٢٦ صفحاتهُ الاول ٤٦ والثاني ٦١ من قطع ٣٣ × ٢٢ سنتمتراً وقد الحقت بكل منها خرائط بيانية كثيرة

(٢) النشرة الفنية رقم ٧٧ موضوعها تجارب تمهيدية لمقاومة حشرات القطن بالتعفير والرش . وضعها ابرهيم افندي بشاره الاختصاصي الثاني في قسم وقاية النباتات بوزارة الزراعة

(٣) لجنة مقاومة الملاريا . التقرير الاول يشتمل على اعمال اللجنة من سنة ١٩١٩ الى ١٩٢٥ والثاني على اعمالها من سنة ١٩٢٥ الى ١٩٢٦ وفيهِ المشروعات والطرق التي وضعتها اللجنة لمقاومة الملاريا في القطر المصري

(٤) جدول عام يحتوي على مطبوعات الحكومة المصرية الموجودة في مخازن وزاراتها ومصالحها المختلفة

(٥) النشرة الشهرية للشؤون البيطرية يصدرها شهريًّا قسم الطب البيطري بوزارة الزراعة

(٦) الملخص الشهري للتجارة الخارجية (يناير ١٩٢٩) اصدرتهُ مصلحة عموم الاحصاء بوزارة المالية . صفحاتهُ ٥٦٨ صفحة وثمنهُ ١٠ غروش

السمير

تصدر مرتين في الشهر — ٨٥ شارع وشنطن نيويورك — صفحات الجزء ٤٦

كان الاستاذ ايليا ابو ماضي الشاعر المشهور قد عزم على تطليق الصحافة ليخوض ميدان الاعمال التجارية فاستقال من منصبهِ في جريدة مرآة الغرب النيويوركية العربية ولكن رائحة حبر المطابع ما زالت في انفهِ تغريهِ بالرجوع الى ميدان الصحافة . فلما تقدم اليهِ اصدقاؤهُ ومريدوهُ في ذلك انشأ مجلة «السمير» وصار يصدرها مرتين في الشهر في ٤٦ صفحة . وصلنا العدد الثاني منها فاذا هو مفتتح بمقال ادبي بليغ موضوعهُ « المرأة في الشعر العربي » نقلناهُ في باب شؤون المرأة من هذا الجزء . ومن مباحثهِ مقالة في اسباب ضعف التجارة السورية في اميركا والسبيل الى تقويتها . واخرى موضوعها قرصان البورصة . والامل ان لا يخلو كلُّ عدد منها من قصيدة بقلم صاحبها ورئيس تحريرها

العدل الالهي

تأليف حسن حسين — طبع بمطبعة المقتطف والمقطم — صفحاته ٨٨

تتلخص فكرة هذا الكتاب في قول مؤلفهِ صفحة ٦ « لا نبالغ اذا قلنا اننا نعيش في عصر المادة وقد ملك المذهب المادي على الناس جماع حواسهم ومشاعرهم فصاروا ماديين في كل شيء ، في كل مظهر من مظاهر حياتهم لا يهتمون الاَّ بالمادة ، ولا يأنسون الا لها ولا يفكرون الاَّ فيها — فانتصر المذهب المادي على المذهب الادبي ولكن الى حين. اما المذهب الروحاني — فالرأي عندنا انهُ — مذهب المستقبل ولقد مل الناس هذه المادية بعد ان قطعوا فيها من عامة عمرهم شطراً كبيراً — وما في هذا المذهب (المادي) من فضل الا في تكييف وتسهيل سبل الحياة الدنيا» وهذا رأي يوافقهُ عليهِ طائفة كبيرة من فلاسفة العصر كما يرى القارئ في مقالة للسر اولفر لدج نشرناها في هذا الجزء ص ٨ على انَّ الاستاذ حسن حسين يعتقد اعتقاداً راسخاً بصحة مناجاة الارواح. ولكن اساس اعتقاده ضعيف اذا كان كلهُ من قبيل القصة التي اوردها صفحة ٤٣ وقال انها « تذهب بمذاهب هؤلاء وبكل شكٍ في الارواح واعمالها ووجودها » نقول ولو كانت هذه الحادثة كافية لان « تذهب بكل شك » بهذه السهولة لما رأينا المؤمنين بالارواح بين رجال العلم والفكر اقلية صغرى . والواقع ان المسألة تحتاج الى كثير من البحث والتنقيب قبلما يتمُّ فيها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم تدرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) العلم والسعادة

القاهرة . أ . ز . هل تقدم العلوم يؤدي حتماً الى سعادة الانسان

ج . قال شوبنهور « سعي الناس الى الثروة يفوق الف ضعف سعيهم الى احراز الثقافة مع انهُ من المؤكد تقريباً ان « ماهية » الانسان لها في سعادته اثر اعظم من اثر ممتلكاته » . فالرجل الذي لا يشعر بحاجات عقلية يجب اكفاؤها لا يمكن ان يكون رجلاً سعيداً . انهُ يبحث بجشع عن شهوات يريد قضاءها وفي آخر الامر يقضي عليهِ الضجر الذي لا يكون الاَّ نصيب الغني الخامل او المنغمس في الشهوات . وفولتر فضَّل حكمة البرهمي مع شقائهِ على جهل الفلاحة مع سعادتها لان في طبيعة الانسان دافعاً يدفعهُ الى سبر اغوار الحياة ولو كان نصيبهُ الالم والخيبة . وفرجيل الذي ذاق انواع المسرات ورتع في عناية الامبراطرة تعب في نهاية الامر من كل شيء الاَّ من مسرات الفهم . فاذا كلّت الحواس الزائغة عن السعي وراء الشهوة لا يجد الانسان شيئاً اعظم من ان يتصافى مع الشعراء والفلاسفة والعلماء ورجال الفن الذين انجبتهم عصور التاريخ

فتقدُّم العلوم وما يبنى عليهِ من المخترعات والمستنبطات يستطيع ان يوفر للجسم الراحة والرفاهة فيتحرَّر من الهم والالم الى حدّ بعيد ويوسّع امام العقل والنفس آفاق الفكر والمعرفة . فالعلوم الطبية والصحية جعلت الانسان اقوى صحة واطول عمراً والعلوم الطبيعية وما بني عليها من وسائل المخاطبات والمواصلات وانجاز الاعمال وفرت لهُ اوقات الفراغ فاذا عرف كيف يقضيها سعياً وراء ما يحسبهُ الفلاسفة غاية السعادة كان تقدم العلوم سبيلهُ اليها . ولكنهُ اذا ترك وقت فراغهِ فراغاً اوشغل وقت فراغهِ بالسعي وراء المادة او وراء الشهوات كان الضجر والسآمة نصيبهُ على

ما قال شوبنهور . على ان المعرفة تأتي بسرعة ولكن الحكمة بطيئة كما انشد تنسن. وما لم يبلغ الناس درجة من الحكمة تعلمهم كيف يقضون اوقات الفراغ التي توفرها لهم المستنبطات الحديثة وما لم يتعلموا ان يستفيدوا من طرق نشر العلم التي كثرت جدًّا في هذا العصر فالخوف عليهم كلّ الخوف من ان تجرفهم الحضارة في تيارها المزبد وحينئذٍ يكون تقدم العلوم سبيلهم الى الشقاء

(٢) الوأد في الجاهلية

البصرة . ما رأيكم في وأد البنات في الجاهلية ءأحقيقة لم يكن وذلك نظراً لعدم ذكره في شعر الشعراء الجاهليين وهل سمعتم شعراً جاهليًّا ذكر فيهِ قائله الوأد فان لم يكن شيءٌ من ذلك فعلى اي اساس بنى القرآن ما ذكر وهل يجوز وجوده عند قبيلة واحدة دون الاخرى

ج . عهدنا الى استاذ فاضل في كتابة مقالٍ وافرٍ ردًّا على سؤالكم وموعدنا بهِ الجزء القادم من المقتطف

(٣) الاختزال العربي

القاهرة . ما هي الكتب التي وضعت في الاختزال العربي وهل اتى احدها بالفائدة المقصودة

ج : وضع عبد الرزاق افندي عوض رسالة موضوعها اختزال الكتابة لمجاراة الخطابة طبعها سنة ١٩١١ ووضع المرحوم سليمان البستاني مترجم الالياذة رسالة عنوانها الاختزال او الاستنوغرافية طبعتها مكتبة العرب بمطبعة الهلال سنة ١٩٢٠ ولم يتصل بنا ان احد الاسلوبين انتشر انتشاراً واسعاً والسبب في ذلك يعود الى عدم الحاجة الى هذا الضرب من الكتابة العربية الآن حاجةً تجعلهُ من الامور التي لا يستغنى عنها . واكبر حافز لترقيتهِ هو ضيق الوقت عن انجاز المراسلات التجارية والعناية بما يلقى من الخطب الخطيرة في المجالس النيابية او الحفلات العامة . وعندنا انهُ متى مسّت الحاجة اليهِ فانهُ ولا شك يرتقي ارتقاء سريعاً حتى يبلغ درجة عالية من الاحكام والاتقان

(٤) فائدة السرعة

الاسكندرية . قرأنا في الصحف اليومية ان احد الانكليز بلغ سرعة ٢٣١ ميلا في الساعة بسيارتهِ . فما هي الفائدة التي تنجم عن مغامرة من هذا القبيل

ج . الرجل الذي يشتري سيارة رشيقة ثم يركبها واثقاً انها لن تنقلب بهِ وان القضبان المعدنية لن تلتوي وتنكسر وهو يسير بسرعة خمسين ميلاً او ستين لا يدري ان صانعي السيارات ما كانوا يستطيعون ان يتقنوا صنعها ويوفروا لهُ اسباب السرعة والراحة والسلامة على المنوال الذي وفروهُ لولا جرأة الرجل الذي يغامر بنفسهِ في سيارة تنطلق كقذيفة المدفع.

لسباق السيارات اثبت لصانعيها مثلاً ان مركز الثقل فيها يجب ان يكون واطئاً حتى يصبح انقلابها صعباً او متعذراً. وعلمهم كذلك اموراً كثيرة عن قوة المعادن المستعملة في بنائها وعن شكل السيارة الامثل حتى يكون ضغط الريح ومقاومتهُ لها على اقلها. ولا يزال امامهم امور كثيرة لا بدَّ من ايضاحها قبلما تبنى السيَّارة المثلى. فالسباق السريع تجربة علمية عملية تتقدم كل اتقان في صناعة السيارات

ثم هنالك وجه آخر للمسألة وهو وجه تجاري بحت. ذلك ان اصحاب المصانع الكبرى يحرصون على ان تفوز سيارة مصنوعة في مصانعهم بقصب السبق في السرعة لان فوزها بمثابة اعلان عالمي عن متانة مصنوعاتهم وتفوقها تنشرهُ الصحف في كل انحاء العالم مجاناً لانهُ من الانباء التي يتلهف الجمهور الى مطالعتها

(٥) المصايف البحرية والمصايف الجبلية

بور سعيد. هجم فصل الصيف وابتدأ سكان مصر يقصدون الى المصايف البحرية والجبليـة. فايهما اكثر فائدة لصحة الانسان — هواء المصايف البحرية او هواء المصايف الجبلية

ج. هواء الجبال مفيد لغير المصابين بتصلب في الشرايين او امراض القلب والكلى. وهواء البحر لا يوافق المصابين بالروماتزم وسائر الامراض العصبية. اما الاصحاء فسواء عندهم هذا وذاك كلاهما مفيد لان الراحة والرياضة في الهواء الطلق اهم ما يطلب في الاصطياف وهذان متوافران في المصايف الجبلية والبحرية على السواء

(٦) سبب السرطان

عاليه لبنان. ما هو سبب داء السرطان وهل اكتشف له دواء شاف

ج. لا يعرف سبب السرطان بعد معرفة علمية يقينية كما يعرف سبب الملاريا والتيفوئيد وغيرهما من الامراض المعدية. ولم يكشف عن علاج شافٍ لهُ حتى الآن. ولكن العلاج بالراديوم واشعة رنتجن ينجع في بعض الاحوال والعلاج بمركبات الرصاص الآلية ينجع في احوال اخرى. وفي غير ذلك لا يفيد الاَّ مبضع الجراح باستئصال النمو السرطاني. وفائدة هذه العلاجات محدودة باحوال الحادثة التي تحت النظر. فقد يستأصل سرطان من مصاب بهِ فيعاودهُ بعد زمن قصير او طويل في المكان الذي استؤصل منهُ او في مكان آخر من جسمهِ وقد يستأصل من آخر فلا يعاودهُ مطلقاً

(٧) مقياس العظمة

ومنهُ. ما هو مقياس العظمة في رأيكم

ج. خُلُق الرجل وما يفيد بهِ الناس فباستور في رأينا من اعظم العظماء كان وديعاً صبوراً بعيداً عن الدعوي يخضع للحق. كذلك كان المعيَّا في فكرهِ وما افاد

بهِ العمران لا يقدَّر بمال . قال هكسلي « ان مكتشفات باستور تساوي المليارات الخمسة التي اعطتها دولة فرنسا لدولة المانيا غرامة » ونحن نقول انها تفوق كل اموال الدنيا لان حياة الناس لا تقاس بالجنيهات. وداروين كان من اعظم العظماء في خلقهِ وفي اثرهِ الفكري مع انهُ يتعذر قياس اثره في العمران على نحو ما يقاس بهِ اثر باستور

(٨) الاعتقاد فلسفياً

ومنهُ . ما هو الاعتقاد فلسفيًّا

ج . راجعوا مقالة السر اولفر لدج المنشورة في الصفحة التاسعة من هذا الجزء وخصّوا نهايتها بعنايتكم ففيها جواب عن سؤالكم

(٩) المقتطف والسحر

ومنهُ . ما هو رأي المقتطف في السحر وهل السحر الذي يقوم بهِ الاعجام والهنود حقيقة

ج . كل الاعمال الغريبة التي تنسب الى قوى خارقة ويطلق عليها لفظ السحر انما هي شعوذة وخداع على ما ثبت بالبحث العلمي حتى الآن . واما الاعمال النفسية التي يدعيها بعض الوسطاء ويؤيدهم في صحتها بعض العلماء فلم تثبت بعدُ امام البحث العلمي بل ظهر انها في الغالب اما خداع او انخداع ولكن نفيها نفياً باتاً لا يتفق مع روح العلم واسلوبهِ ولذلك نقف مع جمهور كبير من العلماء موقف المنتظر لما يكشف عنهُ البحث والتنقيب من الحقائق التي تشع النور في جوانب هذا البحث المعقد

(١٠) المجلة الزراعية المصرية

المنيا . ما هي ارقى المجلات الزراعية باللغة العربية

ج . نظنكم تريدون مجلة زراعية تختص بشؤون الزراعة المصرية فنشير عليكم اذاً بمطالعة المجلة الزراعية الملكيـة التي تصدرها وزارة الزراعة وتطبع بالمطبعة الاميرية بالقاهرة

(١١) العنبر وفائدته

ريوده جنيرو . من اين يؤتى بالعنبر. وما هي فوائدهُ الطبية والصحية

ج . هو مادة دهنية تفرز من امعاء نوع من الحيتان وتوجد طافية على وجه الماء وملقاة على شاطىء البحر في برازيل ومدغسكر وافريقية وبلاد العرب والهند الشرقية والصين واليابان وهو يستعمل الآن طيبًا لا غير وكان الاقدمون يكثرون من استعمالهِ طبيًّا كمنبهٍ للاعصاب

(١٢) الرشيدي

اسيوط . من هو الرشيدي صاحب كتاب المادة الطبية

ج . هو احد الاطباء المصريين الذين اتموا دروسهم الطبية في فرنسا في عهد اسمعيل باشا وبعد عودتهِ جعل يدرّس في مدرسة قصر العيني الطبية وكانت وفاتهُ سنة ١٢٨٢هـ وكتابهُ في المادة الطبية من اوسع الكتب التي وضعت في موضوعهِ الى عهدهِ

باب الاخبار العلمية

السرعة

على غلاف المقتطف هذا الشهر يرى القارىء صورة للسيارة المدعوة « بالسهم الذهبي » على رمال شاطىء ديتونا حيث قادها الماجر سيجريف الانكليزي وفاز بقصب السبق في سرعة السيارات فبلغ متوسط سرعته على ميل واحد ٢٣١ ميلاً في الساعة . وهذه سرعة لا تكاد تصدق . فلو اتيح للماجر سيجريف ان يسير بهذه السرعة على سطح مائل طوله ميل وزاوية انفراجه عن مستوى الارض نحو ٤٥ درجة لتمكن في نهاية السطح المائل من ان يقفز فوق نهر عرضه كيلو متر. واذا زيد انفراج الزاوية الى ٥٥ درجة تمكن من ان يقفز بسيارته الى ارتفاع الف قدم او اكثر

والهواء الذي يصيب السيارة وهي سائرة بهذه السرعة يلطمها لطماً شديداً كانهُ جسم صلب ولو تجرَّأ سيجريف واخرج رأسه من مكنه وهو سائر بهذه السرعة للطمتهُ الريح لطمة دقت عنقهُ

على ان سرعة هذه السيارة تقصر نحو مائة ميل عن سرعة الطيارة المائية الانكليزية التي طار بها الملازم دارسي كريج فبلغت سرعته ٣١٩ ميلاً في الساعة وينتظر ان تبلغ سرعة الطيارات التي تستعد لمباراة كأس شنيدر بكاوز من اعمال بلاد الانكليز في سبتمبر القادم ٣٥٠ ميلاً او اكثر ويقول الكابتن ارفنغ وهو المهندس الانكليزي الذي وضع تصميم « السهم الذهبي » انهُ لا يستحيل ان تبلغ سرعة السيارات يوماً ما ٤٠٠ ميل في الساعة

ان سرعة القاطرات الكبيرة ازاء السيارات والطيارات تكاد تكون كالسلحفاة مع الارنب . فهل من فائدة تجنى من العناية بزيادة السرعة الى هذا الحد الفائق؟ هل يستطيع الجسم البشري ان يحمل مشقة السفر بسيارات تنطلق كالقذيفة ؟ هل يمكن ان تعبَّد الطرق وتنتظم حركة المرور حتى يسمح لسيارة ان تسرع هذه السرعة في المدن والارياف؟ لا نظن ان الفائدة في زيادة السرعة تجنى من هذه الناحية ولكنها تجنى من جعل المسابقات لاحراز قصب السرعة بمثابة تجارب علمية عملية لا بدَّ ان تتقدم كل اتقان في صناعة السيارات . وقد سألنا سائل في ذلك فابدينا رأينا فيهِ في باب المسائل صفحة ١١٣ من هذا الجزء

استنباط لاسلكي جديد

اعلن الجنرال سكويرالاميركي لاكادمية العلوم الوطنية في ١٩ ابريل الماضي انهُ استنبط جهازاً جديداً دعاهُ المونوفون يمكنهُ من نقل الاذاعة اللاسلكية في الاثير وعلى الاسلاك التلفونية في وقت واحد من غير ان تتعارض مع المخاطبات التلفونية العادية. فالاثير في اميركا مزدحم بالامواج اللاسلكية من مختلف الشركات والمحطات وهي تتعارض احياناً فتختلط الرسائل وتتشوش . وفضلاً عن ذلك تتمكن الشركة التي تتولى صنع جهاز المونوفون من حصر الاعضاء الذين يصغون الى ما تذيعهُ من الموسيقى والاغاني والخطب والقصص وغيرها اذ على كلّ منهم ان يشتري هذا الجهاز فتستغني عن اضطرارها الى الاعلانات للقيام بنفقاتها . والقوة المستعملة في الآلة المرسلة قليلة جدًّا فالقوة الكهربائية اللازمة لانارة مصباح كهربائي عادي تكفي لان تبعث بالرسائل اللاسلكية السلكية الى نحو خمسة الآف تلفون . وصاحب التلفون الذي يشترك في هذا النظام يستغني عن كل تعبٍ في دوزنة آلته ولا يعبأ بتقلب احوال الجوّ وكلُّ ما عليه هو ان يدير زرًّا كهربائيًّا كما ينير مصباحاً فاذا الموسيقى والانغام تملأ فضاء البيت طرباً

نظام البريد الدولي

اجتمع مؤتمر البريد الدولي في الاسبوع الثاني من شهر مايو الماضي بلندن فرأينا ان نذكر فيما يلي نبذة عن البريد الدولي مقتطفة من تقرير وضع في مصلحة البريد المصري

كانت مسألة تبادل المراسلات بين اقطار العالم في القرن التاسع عشر من المسائل المعقدة بسبب التشدد الذي كانت تبديهِ حكومة كل بلد في وجوب استعمال طوابع البريد الخاصة بها داخل حدود بلادها . فكان اصحاب الرسائل يضطرون ان يلصقوا على مراسلاتهم طوابع البلدان المصدّرة والمصدَّر اليها معاً والاَّ اضطر المرسَل اليهِ ان يدفع غرامة عن المراسلات باعتبار انها بغير طوابع لعدم رغبة هذه الدول في ان تعترف الاَّ بالطوابع التي تصدرها هي

ولم يكن من السهل ان يجد الجمهور في كل بلد طوابع كلّ البلدان الاجنبية لاستعمالها ولهذا كان يضطرُّ الى تأخير مراسلاته حتى يحصل على هذه الطوابع او يكتفي بوضع طوابع مملكتهِ تاركا للمرسَل اليهِ دفع الغرامة التي تفرضها بلاده

ازاء هذه الحالة وما كان يلاقيهِ الجمهور من المتاعب اخذت البلدان تنشىء بينها علاقات خاصة باتفاقات من شأنها تسهيل

امر التراسل بينها . وكان من اثر هذه الاتفاقات ان الرسائل اصبحت تعتبر مستكملة الرسم متى كان مخلصاً عليها بطوابع بريد البلد الذي تصدر منهُ اذا كانت مرسلة الى بلد آخر بينهُ وبين الاول اتفاق

على ان هذه الاتفاقات الخاصة لم تكن الاَّ تخفيفاً لحالة كثيرة الارتباك ولم تكن علاجاً حاسماً . ولهذا فكر في عقد مؤتمر عام يحضرهُ ممثلون من كل البلدان النظامية لتقرير قواعد عامة تسير عليها البلدان كافة

وقد عقد هذا المؤتمر في مدينة برن في عام ١٨٧٤ واهم القرارات التي اتخذت في هذا المؤتمر هي ما يأتي

(١) انشاء اتحاد البريد الدولي العام

(٢) رصد رسوم المراسلات للبلد الذي تصدر منهُ لا للبلد الذي تصدر اليهِ

(٣) تقرير رسم واحد يعمل بهِ في كل البلدان المنتظمة في عضوية هذا الاتحاد

وكان اتخاذ هذه القرارات الخطوة الاولى في تسهيل اتصال الشعوب وتوثيق العلائق ونموها وتنظيم تبادل المراسلات. وتوالى انعقاد مؤتمرات البريد الدولية للاتفاق على تبادل الحوالات والطرود على انواعها . وكانت مصر ممثلة فيها دائماً

وعقد سنة ١٩٢٧ مؤتمر البريد الجوي في لاهاي فوضع المؤتمر نصوصاً مؤقتة للبريد الجوي الدولي تنفذ على سبيل التجربة اعتباراً من اول يناير سنة ١٩٢٨ على ان يعاد النظر فيها في مؤتمر سنة ١٩٢٩ وهذه القرارات تتعلق بالتعريفة وتدوين احصاءات يومية لوزن الرسائل المنقولة وعددها

فيتامين ج في الشاي الاخضر

يظهر ان زراع الشاي اليابانيين يدّعون ان نوعاً من الشاي يعرف بالشاي الاخضر يحتوي على فيتامين (ج) وهو الفيتامين الذي يكثر في عصير البرتقال والطماطم وبعض الخضراوات . ويقولون انهُ في اثناء اعدادهم للشاي العادي الاسود اللون يحصل اختمار حين تجفيف الاوراق فيزول ما فيها من الفيتامين المذكور. واما في اعداد الشاي الاخضر فيمنع هذا الاختمار ويحفظ الفيتامين فيها وجعلوا يعلنون اعلانات ضافية عن ذلك في اميركا وغيرها

فعمد طبيبان اميركيان من اطباء جامعة روتشستر بنيويورك الى امتحان هذا الشاي في خنازير الهند فثبت لهما ان في الشاي الاخضر قليلاً من فيتامين (ج) ولكن فائدتهُ لا تكاد تذكر في منع الاسكربوط الذي ينجم عن قلة الفيتامين المذكور في الطعام . وعليهِ يجب ان لا يستعمل مطلقاً ليحلَّ محلَّ الاطعمة العادية التي تحتوي على عناصر الغذاء كاملة سواء كان ذلك في طعام الصغار او طعام المتقدمين في السن

النار كوزان وادمان المخدرات

منذ سنتين دهش العالم الطبي لنشرة صدرت من مستشفى جزيرة بلاكول بنيويورك مؤداها ان طائفة من الباحثين فيها كشفوا عن علاج يشفي من ادمان المخدرات وهو مزيج من المواد البروتينية اطلقوا عليه اسم النار كوزان . فكتبت في ذلك مجلة الجمعية الطبية الاميركية مشيرة الى ان الادلة على صحة هذه الدعوى لا تزال تفتقر الى التأييد وان اسم الرجل الذي تولى صناعة الدواء وبيعه لا يبعث على الثقة

فعينت لجنة خاصة بنيويورك برأسها الدكتور الكسندر لمبرت للبحث في فائدة هذا العلاج. وجرّبت التجارب في مستشفى بلفيو بنيويورك من شهر مايو الماضي فعولج ٦٨ شخصاً بالنار كوزان وروقبت حركاتهم وسكناتهم وقوبلت بحركات المدمنين الذين لم يعالجوا به فثبت ان ليس للنار كوزان فائدة ما في شفاء مدمني المخدرات

اصل لفظة خراج

يرى الاستاذ بندلي جوزي الاستاذ بجامعة باكو وصاحب مقالة الجزية والخراج في اوائل الاسلام ان اصل لفظة خراج هو اللفظة اليونانية Chorigia التي كانت دارجة في مصر وسوريا قبل ان يفتحها العرب وكانت تستعمل للدلالة على ما كان يؤديه المزارع عيناً لصاحب الارض. قال : قد وهم كتبة العرب ومن اخذ عنهم من كتبة الغرب في اشتقاقهم كلة خراج بمعناها الاصطلاحي من فعل خرج وقد استدرجهم الى هذا الخطأ ورود هذه الكلمة في القرآن (المؤمنون ٧٤) وظاهرُ القرابة بين خرج وخراج . ولولا استعمال « خراج » في الدواوين البزنطية في مصر قبل الاسلام لترددنا في اصل الكلمة ولصدق الماوردي في قوله « والفرق بين الخرج والخراج ان الخرج من الرقاب والخراج من الارض »(ص ١٣١). انظر La propriété territoriale M. van Berchem : (ص ٢٠) : « والخراج كلة عربية قديمة كانت تدل في الاصل على الخرج وبالاخص على خرج الارض » . ولهذا ارجح ان الكلمة كانت شائعة بين سكان سوريا ومصر قبل الاسلام وعنهم اخذها العرب

امتياز اليابان في البحث الطبي

في تاريخ ارتقاء العلوم الطبية نجد العلماء اليابانيين يشغلون مقاماً عالياً . وهذا المقام يعود الى مباحث نغوشي الذي قضى ضحية للبحث في اسباب الحمى الصفراء والى غيره من الباحثين الذين اضافوا بمباحثهم حقائق اساسية في علمي المكروبات ووظائف الاعضاء . وقد عمدت الحكومة

اليابانية مؤخراً الى انشاء وسام اورتبة دعتها رتبة الامتياز في الثقافة (بنكوشو باليابانية) تمنح للذين يتفوّقون في فن من الفنون او يمتازون بخدمة يؤدونها للاجتماع او للثقافة

وقد منحت هذه الرتبة للمرة الاولى في نوفمبر الماضي حين توج امبراطور اليابان الجديد فكان بين الذين فازوا بها عالمان من علماء الطب الاول الدكتور شيجا الذي كشف مع سيمون فلكسنر باشلس الدوسنطاريا والثاني الدكتور اينادا الذي ينسب اليه الكشف عن الباشلس المسبب للبرقان المعدي وهو من السبيروشيتا

الاحتفال بغوستاف ايفل وبرجه

احتفل باريس في ٢ مايو الماضي بانقضاء اربعين سنة على بناء برج ايفل المشهور وبازاحة الستار عن تمثال نصفي لبانيه غوستاف ايفل اقيم عند قاعدة البرج ورأس الحفلة المسيو مارتن وزير البوستة والتلغراف

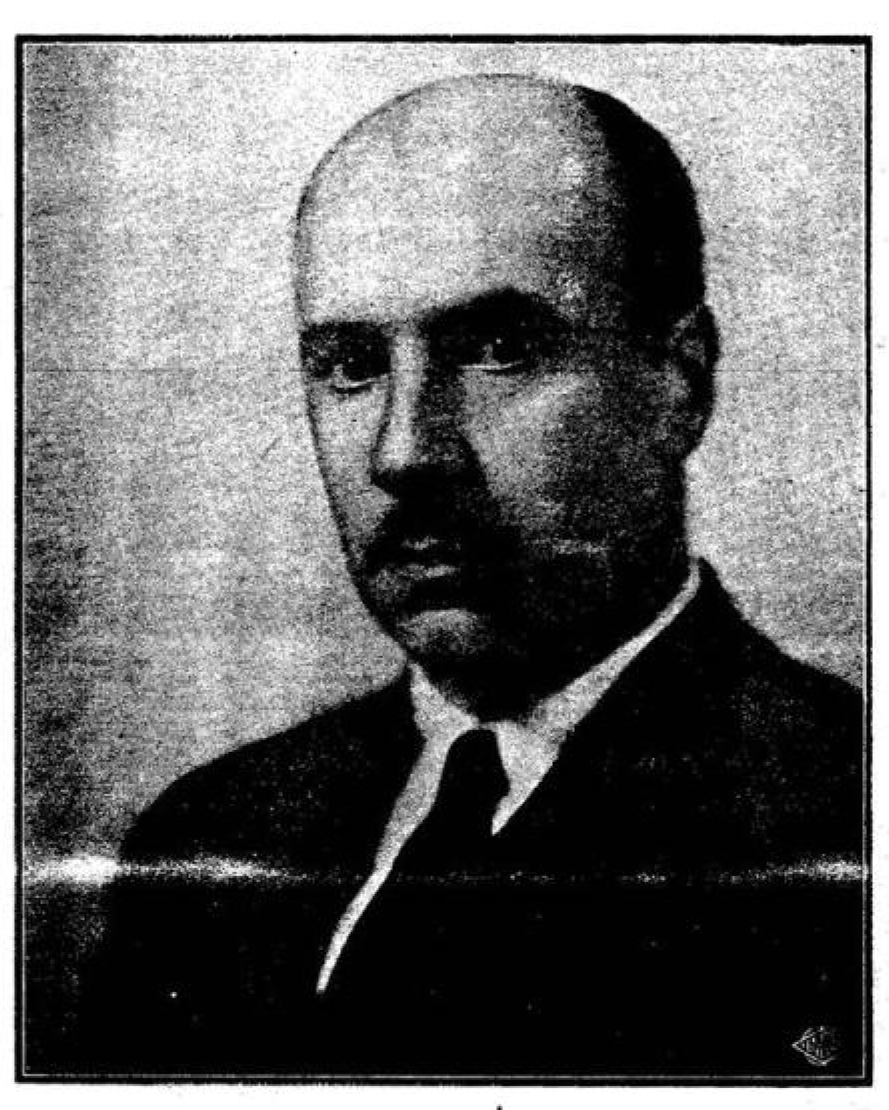
ولد ايفل في ١٥ دسمبر سنة ١٨٣٢ ومات في باريس في ٢٨ دسمبر سنة ١٩٢٣ وبعدما تعلم في مدرسة السنترال الشهيرة تمرّس بالاعمال الهندسية الكبيرة وسنة ١٨٨٧ بدأ يبني برجهُ المشهور الذي يبلغ علوهُ ٩٨٤ قدماً فاتمهُ سنة ١٨٨٩ وما يزال الى الآن اعلى بناء على سطح الارض. وهو يستعمل الآن محطة للمخاطبات اللاسلكية وللبحث في الظاهرات الجوية ويزورهُ الوف من السيّاح كلَّ سنة لينظروا الى باريس من اعاليه . وقد قدر عدد الذين صعدوا اليه منذ تمَّ بناؤه الى اليوم باربعة عشر مليوناً

من لندن الى قراشي

في ٢٤ ابريل الماضي قام الطياران الانكليزيان جونز-ولمز وجنكنز على متن طيارة من مطار كرانول بغرب بلاد الانكليز قاصدين ان يطيرا بها الى الهند من غير ان ينزلا الى الارض فتحققت امنيتهما حين نزلا في قراشي يوم ٢٦ ابريل بعد ما اجتازوا ٤١٣٠ ميلاً في نحو ٤٨ ساعة . وكانت الطيارة مجهزة بمحرك واحد قوتهُ ٥٣٠ حصاناً وبلغ متوسط سرعتها في نصف الرحلة الاول ٩٦ ميلا في الساعة ثم هبط الى ٧٠ ميلاً على شواطئ الخليج الفارسي لان الرياح على علو ١٠ آلاف قدم اعاقتها عن التقدم ولو هبطت الى علو ٦ آلاف قدم لصادفت ريحاً تهب في الجهة التي تقصد عليها

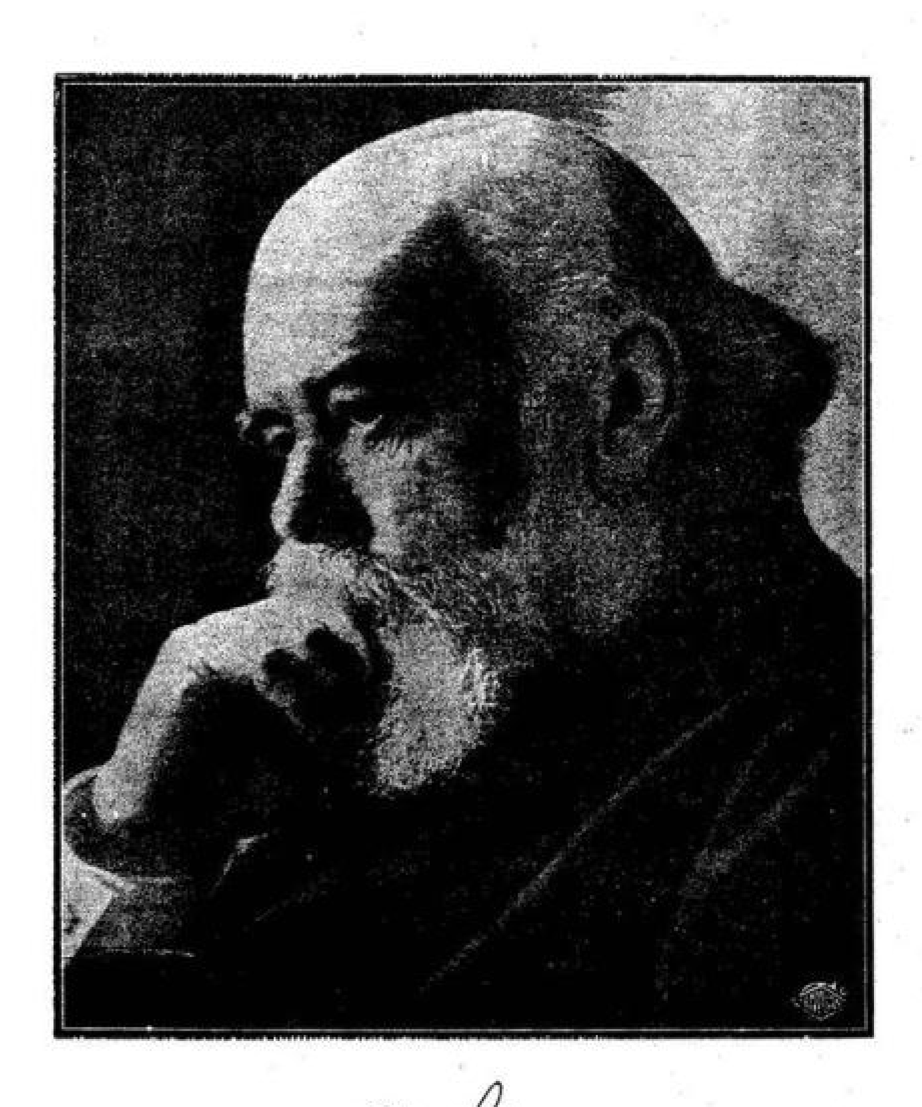
الطيران في الليل

بلغ طول المسافة التي طارتها الطيارات الاميركية ليلا في السنة الماضية ١٥ الف ميل وكانت في اكثر الاحيان تحمل بريداً وركّاباً



ايغُر سكورسكي
مستنبط الطيارات متعددة المحركات

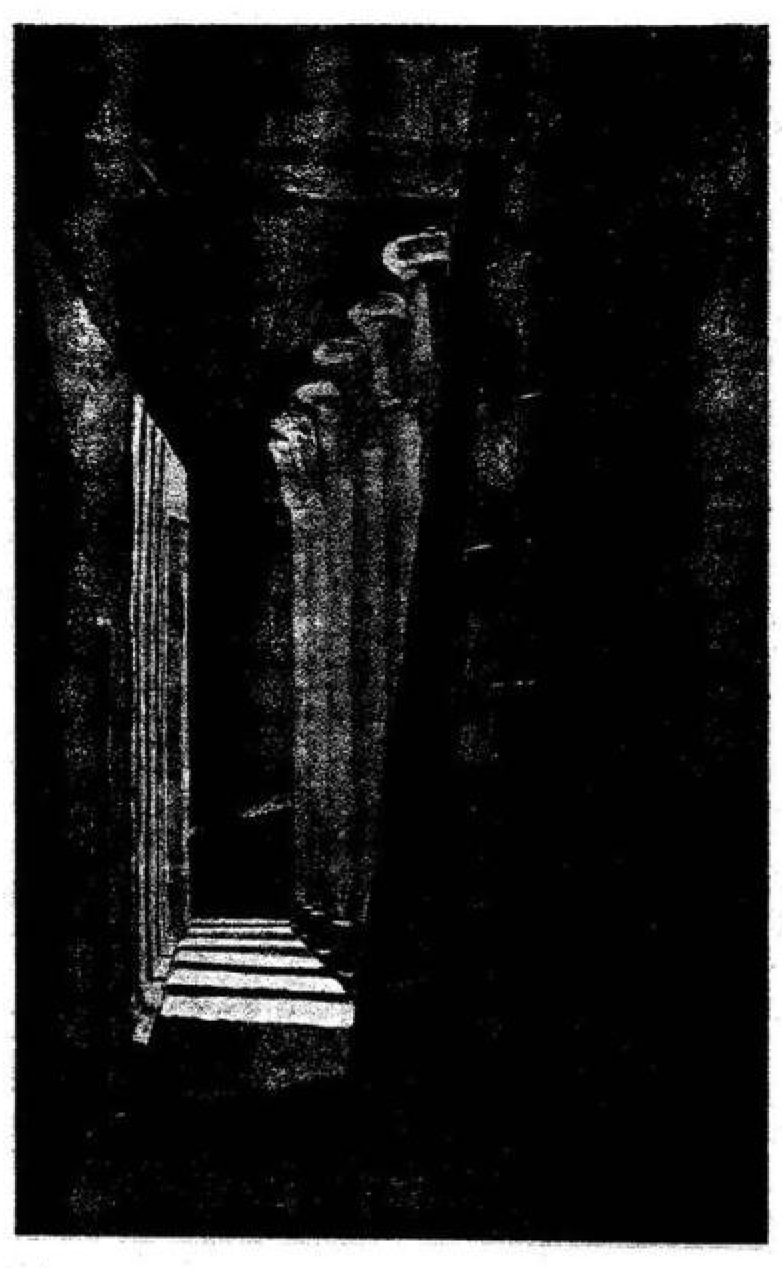
مقتطف يونيو ١٩٢٩
امام الصفحة ٥



السر اولفر لدج شيخ العلماء المعاصرين

مقتطف يونيو ١٩٢٩

امام الصفحة ٩

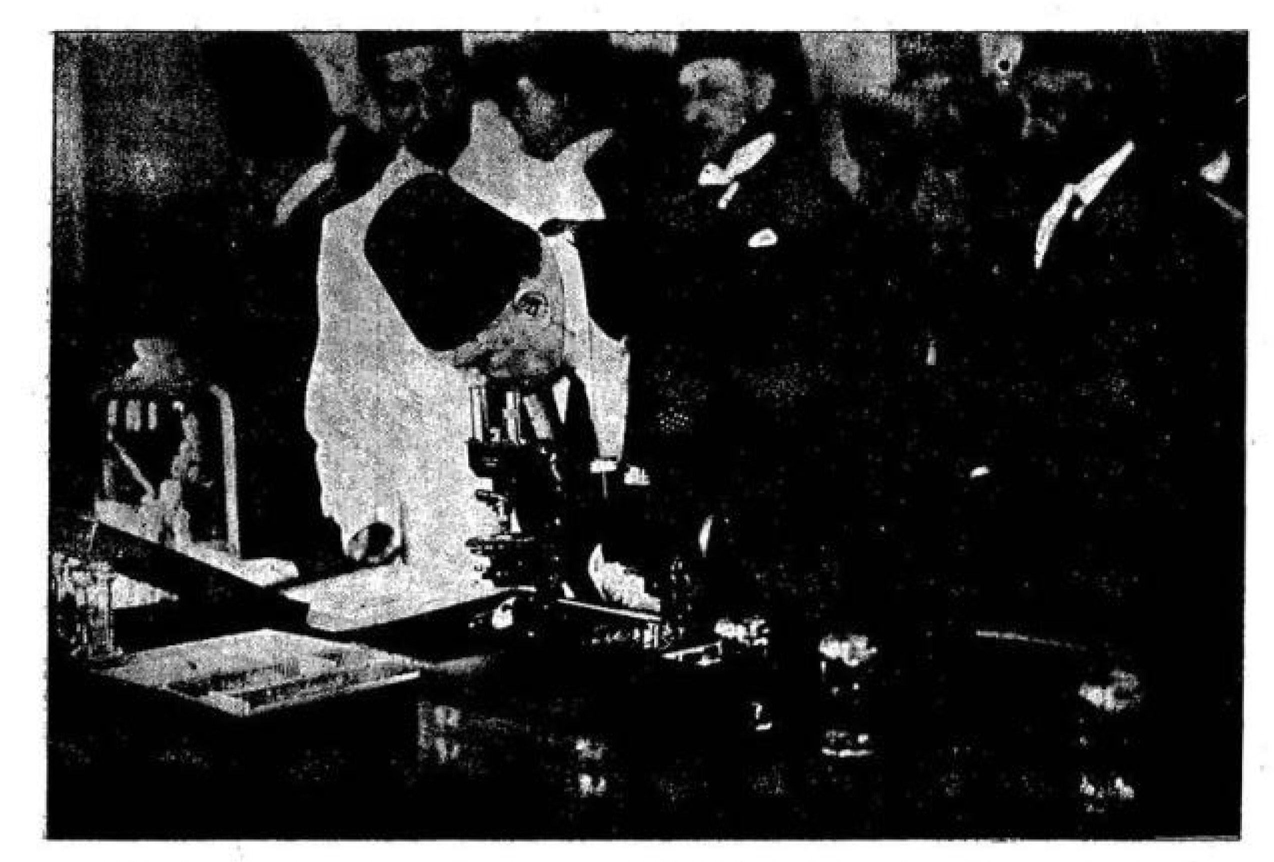


الرواق في معبد ادفو

نقلاً عن صورة زيتية للاستاذ زكي شعبان

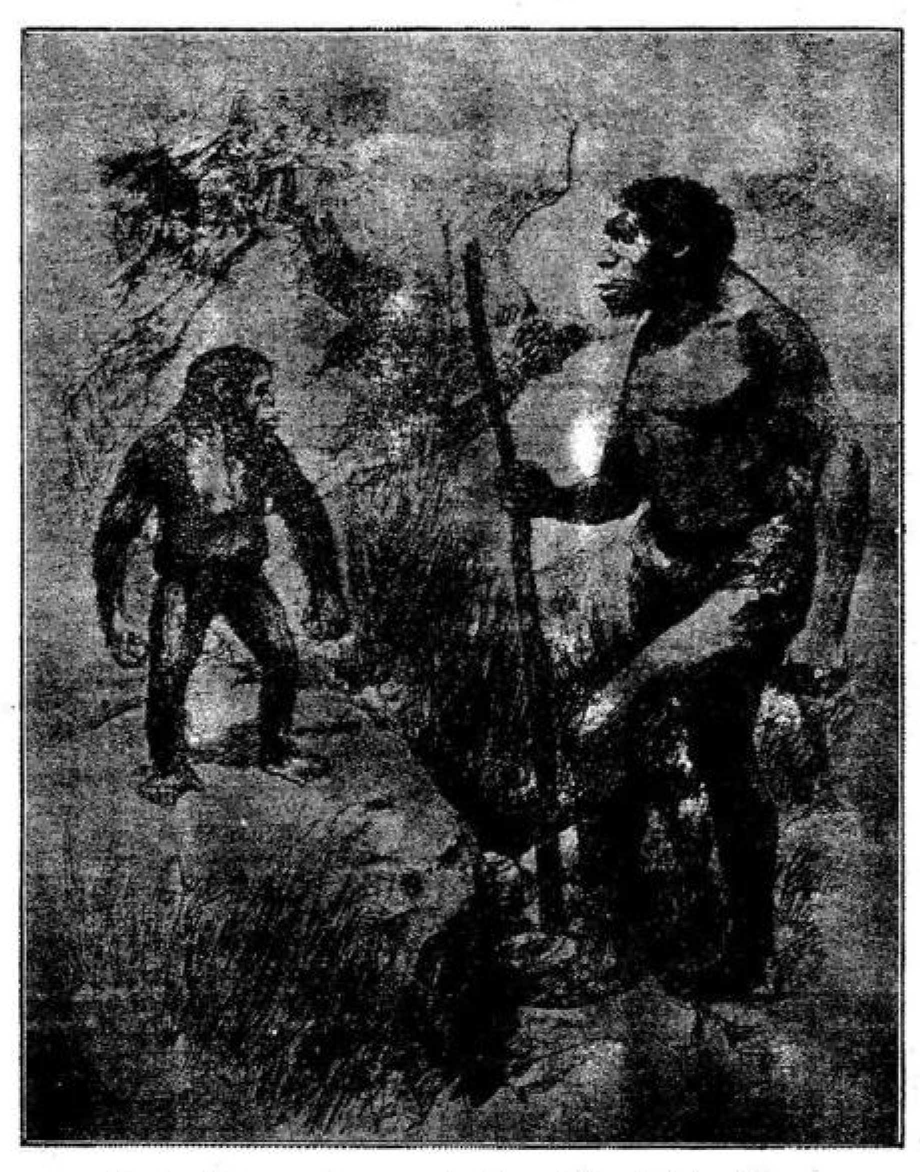
مقتطف يونيو ١٩٢٩

انظر صفحة ١٥



حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد ينظر بالمكرسكوب في زيارته الحديثة الى قسم الحشرات بوزارة الزراعة

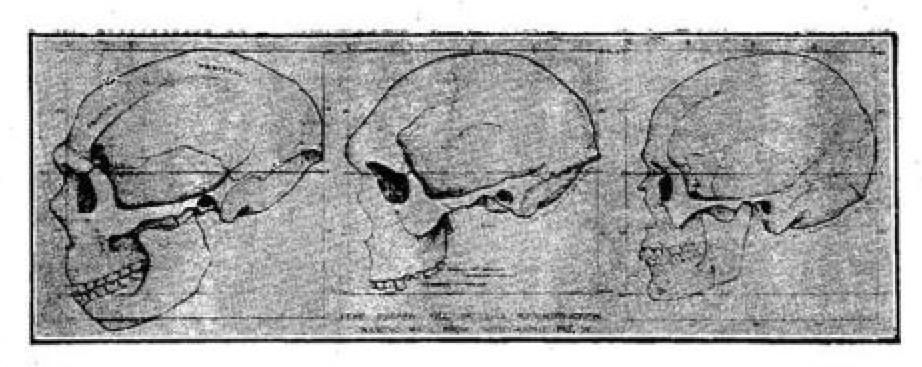
تصوير ميشيل أنظر لمجلة « كل شيء والعالم »



رسم تخيلي فالشخص الكبير يمثل صاحب جمجمة روديسيا (١٩٢٢)
والصغير صاحب جمجمة تونغز بجنوب افريقية (١٩٢٥)

مقتطف يونيو ١٩٢٩

امام الصفحة ٢٥

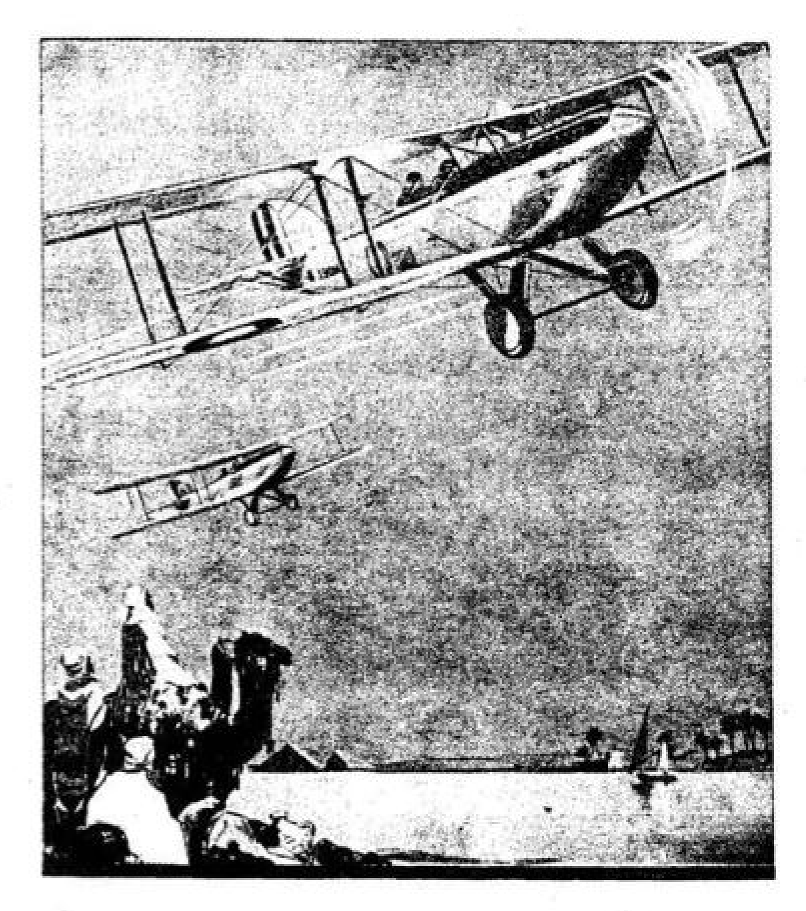


جمجمة انكليزي معاصر   جمجمة روديسيا (١٩٢٠)   جمجمة لاشابل (١٩٠٧)

صورة مبنية على الخيال والعلم للانسان الافريقي

مقتطف يونيو ١٩٢٩

امام الصفحة ٢٩



متى تُرى الطيارات المصرية محلقة فوق وادي النيل ؟

مقتطف يونيو ١٩٢٩

امام الصفحة ٤٤



الصورة بعد تعريضها لاشعة اكس وقد ظهرت فيها آثار التلف في الصورة الاصلية وكيف اصلحها مصور حديث

الصورة كما تظهر للعين المجردة



الفرونية الحسناء



صورة مسز جراهام



صورة « فينس وادونس » ظلت تحسب نسخة لصورة في البرادو بمدريد حتى ازيلت الاقذار عنها فاذا هي لتشن احد عظماء المصورين



جزيرة أنس الوجود وعليها هياكلها المشهورة مصوّرة من الجو وقد نقلناها عن مجلة القدم الانكليزية
أنظر باب الاخبار العلمية

الجزء الاول من المجلد الخامس والسبعين


المقتطف
البرلمان المصري
AL·MUKTATAF


المقتطف
مجلة علمية صناعية زراعية
الجزء الثاني من المجلد الخامس والسبعين
١ يوليو سنة ١٩٢٩ — ٢٤ محرم سنة ١٣٤٨

خطبة مطوية للدكتور صروف

الله والعالم

ان في العالم او بالحري في الارض وما بلغ اليهِ الانسان من الاجرام السماوية كائنات لا يحصيها العدّ ولا تقع تحت الحصر . ولكن العلماء قد فحصوا كل ما وصلوا اليهِ منها وتدبَّروهُ جيداً فرأوهُ يندرج كلهُ في ثلاثة اقسام قسمٌ يحيا ويتحرك حركة ارادية كالانسان والطير والسمك وهو المسمَّى بالحيوان . وقسمٌ يحيا ولا يتحرك حركة ارادية كالارز والورد والبقل وهو المسمَّى بالنبات . وقسمٌ لا يحيا ولا يتحرك حركة ارادية كالتراب والماء والهواء وهو المسمَّى بالجماد . وقد وجدوا لدى الفحص الكيماوي المدقق ان اجسام الحيوان والنبات والجماد تشترك في كونها مركبة من مواد جامدة لا تحيا ولا تتحرك لذاتها ولا يمكن حلها بالوسائط الكيماوية المعروفة الى الآن وهي ما يسمَّى بالعناصر وهذا لا يناقض قولي الآن ان النبات يحيا ولا يتحرك حركة ارادية لان الحياة والحركة الارادية ليستا خاصة لازمة للعناصر بل عرَض مفارق يطرأ عليها ويفارقها فان في حياة الحنطة مثلاً اصلاً حيًّا فحين تزرع في الارض وتناسبها الاحوال ينتبه هذا الاصل الحيّ ويمتص بعض العناصر من التراب والماء والهواء وتستطرق حياتهُ الى كل الحبة فتنمو وتصير فرخاً ثم سنبلاً الخ . واما اذا سُلِقت فمات اصلها الحيّ ثم زُرِعت في الارض وامتصَّت منها شيئاً بالقوة التي نسميها بالجاذبية الشعرية فلا تكسب ما تمتصهُ حياة لانهُ

لا حياةَ فيها . وكذا اذا ادفئت البيضة الجديدة مدةً معلومةً نمت الجرثومة الحية التي فيها واشركتِ المح والبياض معها في الحياة فيصير الكل فرخاً حيًّا متحركاً ذا لحم وعظم وريش ولا يلبث طويلا حتى يخرج من حبسهِ ويقفو اثر والديهِ. لكن اذا سلقت البيضة وماتت هذه الجرثومة الحية لم تصر فرخاً مهما استعمل لها من الوسائط . فما هو سرّ هذه الحياة وكيف يستطيع الجسم الحيّ ان يشرك الجماد معهُ في الحياة ؟

سرُّ الحياة

هنا مسألة اشكل حلها . هنا يقف العقل مندهشاً وهو يراجع مقدماتهِ العقلية ومعارفهُ النقلية فيراها عقيمة لا تنتج لهُ نتيجة ولا تأتي بهِ الى حقيقة فيرجع القهقرى ويستغيث بالادوات العلمية والوسائط العملية لعلَّ هنالك ما يوصلهُ الى هذه الغاية ويكشف عن محياها ستار الاستتار فيأتي بالوسائط الكيماوية ويحلّل بها الاجسام الحية فتنحلّ كلها الى عناصرها البسيطة ولكنها تمسي خاليةً من الحياة . واذا اراد تركيبها ثانية كما كانت تعذّر عليهِ ذلك بل استحال. اما الحياة التي كانت فيها وفقدت حال حلّها فلا يشعر لها برائحة ولا طعم ولا وزن ولا يرى لها عيناً ولا اثراً ولا يعلم كيف كانت قائمةً في الجسم ولا الى اين ذهبت فيطرح الوسائط الكيماوية ويلتجئ الى غيرها فلا يرى امامهُ افضل من المكرسكوب اي الآلة المكبرة المفتاح الذي فتح بهِ المتأخرون مغاليق الطبيعة واطلعوا على شيءٍ من اسرارها وغوامضها وهو آلة بصرية ترى بها الاجسام الصغيرة كبيرة . ومن هذه الآلة ما هو متقن جدًّا حتى انك ترى بهِ الجسم اكبر مما هو بأكثر من الف الف الف مرة . فلا بدَّ للحكماء من ان يلتجئوا الى هذه الآلة عساها ان تكشف لهم اسرار الحياة وقد فعلوا ولكن غاية ما توصلوا اليهِ بواسطة الآلة المكبرة ان في الاجسام الحية جراثيم صغيرة شفافة لزجة خالية من اللون قوامها كقوام البيض النيء

وقد راقبها العلماء طويلاً وفحصوها باقوى ما عندهم من المكبرات فلم يروا لها اعضاء ولا آلات ولا وجدوا شكلها واحداً في كل انواع النبات والحيوان من الفطر الدنيء الى دماغ الانسان ووجدوا انها تتحرك دائماً بحيث لا تبقى على حالة واحدة ولو لحظةً من الزمان ولا تزال تتناول المواد غير الحية مما جاورها وتحييها حالاً بطريقة عجيبة لم يكشفها العلم ثم تكوّن منها خيوطاً عصبية او شريانية او عظمية او عضلية او نحو ذلك. وتنسج هذه الخيوط اعصاباً وشرايين وعظاماً وعضلات . فان كانت مما يكوّن عظماً لا يمكن ان تكوّن عصباً مهما استعمل لها من الوسائط . وكذا ما يكوّن منها ورقاً لا يمكن ان يكوّن ثمراً ، وما

يكوّن زهراً لا يكوّن خشباً وقس على ذلك . هذا مع ان جراثيم الورق والزهر والثمر واللحم والعظم والشرايين والاوردة هي بحسب ما يُعلم واحدة ابداً ودائماً في كل انواع النبات والحيوان وفي كل ادوار الحياة وكثيراً ما تكون مواد غذائها واحدة ايضاً ولكنها لا تغلط ولا تخل في عملها . ثم انها اذا كوّنت هذه الاعضاء لا تتركها بل هي نفسها تكون قد تجزأت اجزاء كثيرة وانتشرت في ما كوّنته لحماً اوعظماً او ورقاً او ثمراً الخ حتى انك تراها منتشرة في كل انسجة الجسد بحيث لا تجد فسحة قطرها جزء من خمسمائة جزء من البوصة خالية من هذه الجراثيم . ومقدارها في الجسد الحي نحو خمسة جرماً.

كان الاستاذ ملكان العالم الاميركي المشهور يلقي خطبة في موضوع علمي طبيعي فاستعمل فيها لفظة « روح » مراراً فقام احد الحاضرين وطلب الى المحاضر في جفاء تحديد ما يريده بلفظة « روح » فبدهه الخطيب اذ رد عليه قائلاً حدد لنا ما يراد بلفظة « مادة » اولا . وقد القى حديثاً الاستاذ ادنتون استاذ الفلك في جامعة كمبردج خطبة موضوعها « المعرفة والايمان » بسط فيها الادلة على الانجاه الجديد في العلم فقال ان العلماء يعترفون الآن بوجود اسرار محجبة لا يقوون على ازاحة الستار عن محياها فحادوا بذلك عن السبيل الذي سلكه هيكل اذ قال انه يستطيع ان يعلل كل شيء . وعنده ان هذه الدعة التي يتصف بها العلماء المحدثون في البحث عن الحق والكشف عن اسرار الوجود انما هي خطوة خطاها العلم الى الامام وليست خذلاناً كما يريد البعض . لذلك يسرنا ان ننشر على قراء المقتطف هذه الخطبة الفريدة في بابها التي انشأها المرحوم الدكتور صروف لتتلى في مجتمع علمي ادبي بسوريا . ولا نعلم هل تليت فيه او لا . ولكنها على كل حال لم تنشر قبلا . وقد بعث الينا بها الاستاذ ديمتري قندلفت نقلا عن النسخة الاصلية المحفوظة عنده

ومن المؤكد ان هذه الجراثيم لا تتكوّن الاّ من جراثيم حيّة فان قيل انى اتت حياة الجرثومة الاولى وكيف تأتى ان تعطي الحياة لما جاورها من المواد غير الحية ؟وكيف تستطيع ان تنقسم الى اقسام كثيرة جدًّا ولكل قسم خواص الجرثومة الاولى تماماً ؟ وكيف تتمّم اعمالها دائماً على غاية الدقة ؟ قلنا : هنا طأطأ كل العلماء رؤوسهم وقالوا لا نعلم ولم يكشف لنا عمّا هي الحياة ولا يمكن ان تكون خاصة من خواص المادة للتناقض الظاهر بينها وبين الاستمرار بل هي عرض خارجي يؤتى به اليها ويذهب به عنها والآتي بها الى هذه الجراثيم شخص قدير قدرته بالغة الى كل الموجودات الحية وقابضة على زمام الطبيعة

ألا يبين من هـذا ان الحياة محور دولاب الكون وروح العالم الحيّ تصرّح بوجود الهٍ محيٍ قدير حكيم جرياً على القول الحق ان لكل معلول علة ولكل عمل عامل

موازنة

الذين ذهبوا الى معرض باريس رأوا هنالك آلات مختلفة الاشكال والصفات . رأوا آلة تطحن القمح وتعجنهُ وتخبزهُ وأخرى تبلُّ التبغ وتفرمهُ وتسقهُ وأخرى تطبع الورق وتطويه وتخيطهُ الى غير ذلك فذهلوا عن انفسهم وقالوا ما احكم الانسان وما اعجب ما وصل اليهِ . ولو حاولت اقناعهم بان هـذه الآلات وجدت من نفسها اي ان دقائق الحديد ودقائق الخشب تجمَّعت وتركبت فصار بعضها عوارض وبعضها مخارز وبعضها دواليب وبعضها اساطين الى غير ذلك من الاجزاء المختلفة الاقدار والهيآت ثم تركبت على اوضاع خاصة فتألفت منها تلك الآلات العجيبة ، ثم ان هـذه الآلات جذبت اليها الفحم من طبقات الارض واضرمت فيهِ النار وملأت جوفها من مياه الينابيع فسخن الماء بحرارة النار فصار بخاراً ورفع الاساطين التي فوقهُ فارتفعت وادارت الدواليب الكثيرة وحركت الادوات المختلفة فتسبب عنها طحن القمح وعجن الطحين وخبز العجين وطبع الورق وبلّ التبغ الخ وقد جرى كل ذلك ولم تدخل فيهِ يد الانسان — لو صرحت لهم بهذه النتيجة — لعدُّوك مجنوناً اوهاذراً . بل من تراهُ يسلم بذلك وايُّ عقل يعتقد بهِ سخيفاً كان او ثقيفاً . أيمكن ان توجد هذه الآلات من نفسها ؟ أيمكن ان تختار هـذه الاوضاع بلا صانع قادر على صنعها ؟ كذلك العقل والنقل لا يسلمان بذلك . العقل والنقل يرفضانهِ واني لأرى التصديق انّ واحداً وواحداً سبعة أيسر من ان المطبعة وجدت من نشء الطبيعة والتصديق انواحداً وواحداً سبعون اقرب من التصديق بأن الآلة البخارية التي تسيّر السفن الكبيرة وتقضي اكثر مصالح الانسان وجدت من نفسها

لكن ما هذه الآلات بالنسبة الى اصغر الحيوانات التي لصغرها لا تراها العين التي لو جمع الف حيوان منها معاً ما بلغ جرمها كلها جرم الخردلة الصغيرة ؟ . ما هـذه الآلات بالنسبة الى العفن الذي تراهُ مذروراً كالرماد الاخضر ؟ واذا نظرنا اليهِ بالمكرسكوب رأيناهُ غابات من الاشجار وكلها تحيا وتنمو على صورة قصرت عقول البشر عن ادراك كنهها؟ من يتجاسر فيقول ان هـذه الحيوانات وهذه النباتات وجدت هكذا من نشء الطبيعة ؟ لكن ما هذا بالنسبة الى الحيوانات الكبيرة ذات الايدي والارجل والعيون والآذان ؟ اين آلات البشر من جسد الانسان ؟ من عينيهِ ذات الطبقات المديدة والتراكيب العجيبة

فلو جمعت كل آلات البشر شرقاً وغرباً ما ساوت كلها عيناً واحدة في الاتقان والغرابة . ولو اجتمع كل علماء الارض وصنّاعها وارادوا ان يصنعوا عيناً باصرة كعين البعوضة وصرفوا عمرهم كلهُ في هذا العمل الى ان حانت منيتهم لجنّهم في آخر حياتهم وقد رموا آلاتهم في النار وقالوا كلهم عجزنا عجزنا

ايها السادة والسيّدات : ليس في ذلك شيء من المبالغة لان سبيل الحياة والنمو لم يخطُ فيهِ الانسان في ما مضى ولا يؤمل انهُ سيخطو فيهِ في ما يأتي . وايسر على الانسان ان يصدّق باقامة سلم تصل من الارض الى الشمس من ان يصدق بامكان عمل عين باصرة او اذنٍ سامعة او جرثومة نامية وان كان لا يمكن للآلات البسيطة التي يعملها الانسان ان تتكوَّن من نفسها بل لا بدَّ لها من صنع قادر على عملها وهي دون الآلات الموجودة الحية بما لا يقدَّر فمن يصدق ان هذا العالم العظيم مع ما فيهِ من الاجسام الحية التي لا تقع تحت الحصر وجد من نفسهِ ؟

قال الكتاب العزيز « العلم ينفخ » وما اصدق هذا القول على بعض علماء هذا الزمان. قلت البعض لان جمهور العلماء المدققين كاون ودانا وسيفارت وكراي ودوصن وكربنتر واكثر مشاهير العلماء الجرمانيين والفرنساويين والانكليز والاميركانيين متفقون على ان الحياة من الخالق القدير سبحانهُ وتعالى والذين يزعمون انها فعل ميكانيكي في عناصر الجراثيم هم شرذمة صغيرة ولا يجزمون بذلك بل يجعلونهُ من باب الاحتمال وحيث وجد الاحتمال بطل الاستدلال كما لا يخفى

وخلاصة ما تقدم ان الكائنات الحية بأسرها تصرح بوجود خالقٍ قدير خلقها واحياها . وليس هذا قولاً جرى على لسان الخلق كما يزعم بعض المتفلسفين بل هو حقيقة وقف العلماء عندها وحكم اذعن لهُ مشاهير الباحثين . وهذا ليس كل ما اريد تقريرهُ امامكم أيها السادة لاني اظنهُ مقرراً في عقول الاكثرين حتى ان زيادة تفصيلهِ من باب تحصيل الحاصل بل مرادي ان اقرر امراً آخر ربما لم يكن المرتابون فيهِ قلائل . وهو ان هذا الخالق الحكيم ما خلق هذه الخلائق وتركها بل يعتني بها كل لحظةٍ من الزمان في كل ادوار حياتها . ولو اهملها يوماً واحداً لخرب نظام الكون ومات كل حيّ وتبدَّدت العناصر بداداً بداداً. وهذا لا بدَّ من تقريرهِ بالبرهان فارجوكم ان تسمعوني بالتأني

قلتُ سابقاً ان جميع الاجسام الحية مؤلفة من جراثيم زلالية شفافة وان تركيبها واحد في جميع انواع النبات والحيوان. اما هذه الجراثيم فركبة كيماويًّا من اربعة عناصر بسيطة وهي الاكسجين والهيدروجين والنيتروجين والكربون . وقد سمعتم ذكر هذه

العناصر مراراً كثيرة ولكني لا اظن انكم رأيتموها وعرفتم كل خواصها فلا بدَّ لي من شرحها قليلاً قبل ان ابين لحضرتكم عظم العناية في المحافظة عليها

الحياة والكيمياء

الكربون عنصر بسيط لهُ اشكال كثيرة ومن أشهرها الفحم الاعتياديّ وهو معروف وكلهُ يحترق في الاكسجين ويصير واياهُ غازاً سامًّا . وهذه قطعة فحم وهي جامدة سوداء كما لا يخفى (قال الخطيب هذا ماسكاً قطعة فحم كانت امامهُ) . والاكسجين غاز شفاف كالهواء . وهذه زجاجة مملوءة بالاكسجين وهي لا تفرق عن هذه الزجاجة المملوءة هواء حسب الظاهر (قال هذا ماسكاً بيده زجاجتين) ولكن خواص الاكسجين هي غير خواص الهواء كما سترون من هذه الامتحانات (هنا اشعل الخطيب شمعةً ووضعها على سلك دقيقٍ وادخلها في الزجاجة المملوءة هواء فقلَّ ضوءها ثم انطفأت وشرح ذلك شرحاً وجيزاً ثم اضاء الشمعة وادخلها في الزجاجة المملوءة اكسجيناً فاشتدَّ التهابها وسطع نورها كثيراً . ثم حاول اشعال قطعة الفحم من مصباحٍ امامهُ فاشتعل طرفها قليلاً ولما ابعدها عن المصباح كادت تنطفىء فوضعها حينئذٍ في لفافةٍ من حديد وادخلها في زجاجة اخرى ملآنة اكسجيناً فزاد اشتعالها كثيراً واضاءت بنورٍ باهر . ثم وضع قطعة فصفور صغيرة في هذه متصلة بقضيب معدنيّ واشعلها قليلاً وادخلها في زجاجة ثالثة ملآنة اكسجيناً فسطع نورها كثيراً حتى كاد يذهب بالبصر ثم وضع قشة مشتعلة في طرف سلك من حديد ملتف على نفسهِ وادخلهُ في زجاجة اكسجين رابعة فاشتعل بنورٍ باهر وبعد ان شرح هذه الاعمال شرحاً وجيزاً قال :

فيتضح من هذه الاعمال ان في الاكسجين خاصة لتقوية اشتعال الاجسام المشتعلة ولو سمح لي المقام لابنت لكم انهُ يشعل اكثر الاجسام وان كانت باردة . والهيدروجين غاز شفاف كالاكسجين ولكنهُ اخف منهُ كثيراً واخف من كل العناصر المعروفة ومن جملة خواصهِ انهُ يتحد بالاكسجين فيتكوَّن منهما ماء . وكل المياه التي على الارض وفي البحر وفي السحاب مركبة من الاكسجين والهيدروجين . والنيتروجين غازٌ شفاف كالاكسجين ولكن خواصهُ تخالف خواص الاكسجين والهيدروجين وهو يتحد بالاكسجين فيتكوَّن من اتحادهما حوامض شديدة الفعل اهمها الحامض النتريك اي ماء الفضة الذي يذيب الفضة واكثر المعادن ويميت الانسجة الحيوانية والنباتية كما لا يخفى

قلت ان الجراثيم الحية مركبة من هذه العناصر الاربعة فلو اتحد الاكسجين

بالهيدروجين عند اول اتصالها لحدث من ذلك ماء فقط وبقي النتروجين والكربون معلقان ولو اتحد الاكسجين بالكربون لتكوّن من ذلك غاز سامّ. ولو اتحد الاكسجين بالنتروجين لتكوّن منهما حامضٌ اكّال . ولو اتحد الهيدروجين بالكربون لتكوّن منهما غاز قابل الاشتعال . ولو جمعت هذه العناصر الاربعة وركّبت ما أمكن ان يتركب منها الا هذه المركبات وكلها غير حيّة واكثرها مضرّة بالحياة . فمن يخالف نواميس العالم ويركّب هذه العناصر ويجعل منها اصلاً حيًّا ويعتني بهـا دائماً حتى لا تحلّ ولا تتركّب بخلاف ذلك ؟ ومن يعطي لهذه الجراثيم قوة حتى تكوّن في النبات نباتاً وفي السمك سمكاً وفي الطير طيراً وفي الانسان انساناً ويحكم عليها ويعتني بها في كل ادوار حياتها حتى لا تغلط أبداً ؟ . لانهُ لا يُعهد عن جرثومة نبات كوّنت حيواناً ولا عن جرثومة سمك كوّنت انساناً مع ان الجراثيم واحدة دائماً وتركيبها غير متغير في كل انواع النبات والحيوان وفي كل ادوار الحياة . قل لنا من يرتاب في العناية الالهية ؟ لو بطلت العناية حقيقة اما كان اكسجين الهواء يحرق جسدك كما حرق الحديد ؟ .أما كان اكسجين جسدك يتحد بهيدروجينه فيصير ثلاثة ارباعك ماء ؟ . اما كان اكسجين جسدك يتحد بنتروجينه فيصيرا حامضاً اكّالاً ويأكل بدنك ؟ . قل لنا يا من تنكر العناية — لو انتفت العناية كما تزعم فمن كان يمنع جراثيم جسدك عن ان تكوّن لحماً فقط فتصير كلك لحماً لاعظم فيه او ان تكون عظماً فقط فتصير كلّك قطعة من عظم او ان تكون دماً فقط فتصير بركة دم تنتن عما قليل وتهب رائحتك الخبيثة في الاقطار ؟

عناية الله شاملة

ومن الناس من يقولون ان الله معتنٍ بالامور الكبيرة ولكنهُ لا يلتفت الى الصغيرة فلو صحّ زعمهم بترك صغار الاشياء لترك الجراثيم نفسها لانهـا من اصغر ما يوجد . ولو تركها سنة واحدة لخرب نظام العالم وصار الانسان يزرع ارضهُ قمحاً فتنبت له عقارب وينصب كرمهُ عنباً فيخرج لهُ حيات ويتزوج بامرأة فتلد لهُ جنادب ويركب على فرس فيستحيل تحتهُ ضفدعاً . ولا تظنوا ايها السادة اني خرجت من معرض الجد الى معرض الهزل حاشا لي ان اقرر لديكم الا الحق فانهُ لو بطلت العناية لحظة من الزمان لتعذّر علينا ان نعرف مصير هذه الجراثيم . اما الذين ارادوا ان ينكروا العناية فقد بذلوا جهدهم في جمع شواذ الكون لاثبات دعواهم . ولما وجدوها شيئاً لا يذكر بالنسبة الى امورهم القياسية اخذوا يبحثون عن سبب في المادة يجعلها تسير على سنن واحد والى الآن ما وجدوا .

انكروا العناية الالهية ونزّلوا الله (تعالى الله علوًّا كبيراً) عن عرش العالم واخذوا يفتشون عن غيره والى الآن ما وجدوا — ولن يجدوا حداً لملكه الدائم الاعلى فندعهم في خوضهم الى ان يعلن الله ذاته ويثنيهم عن غيّهم . اما ما تقدم فكافٍ لاقناع غير المكابر بان حياة الاجسام الحية تستلزم وجود اله محيٍ واتمامها وظائفها بلا خلل يستلزم كون هذا الاله ناظراً اليها ومعتنياً بها

الى هنا اطلقت الكلام على النبات والحيوان . اما الآن فأريد ان احصر كلامي في الانسان فاقول : قد ظهر من الابحاث المدققة ان الانسان قد اعتقد في كل اين وآن بوجود اله وبوجوب العبادة له ولا يخلو هذا الاعتقاد ان يكون غريزةً في فطرة البشر او استنتاجاً اتصلوا اليه بالدليل او اعلاناً جاءهم بوحيٍ من هذا الاله . فان كان غريزة في فطرتهم فالذي فطرهم عليه هو خالقهم وهو خيرُ شاهدٍ لنفسه وان كان استنتاجاً فلا بدَّ من انهم استنتجوهُ مما في الطبيعة من الشواهد على وجود الله وعنايته كما قدرأينا هذه الليلة ونعمّ ما فعلوا وان كان الله سبحانهُ قد اعلن لهم ذاتهُ بطريقة ما فاعتقادهم في محله وهو عين الصواب. وعلى كلّ فوجود هذا الاعتقاد بين كل البشر دليل على ان آداب الانسان تثبت وجود الله وعنايتهُ . فالعالم الادبيّ يعلن وجود الله ويثبت كونهُ معتنياً بخلائقه دائماً مثل العالم الماديّ

ويترتب على ذلك امر جوهريٌّ جدًّا . وهو ان الله ناظر الى كل فرد من افراد البشر دائماً وابداً فاذا كان الله ناظراً الينا دائماً فايّ اناس يجب ان نكون ؟

يا دعاة الحق يا من يغارون على خير بلادهم يا من يقصدون اصلاح العالم يا من يضحون بمصالحهم في خدمة وطنهم يا من يسفكون دمهم في طلب الراحة والحرية وانقاذ المظلومين ورفع لواء العدل والانصاف انا اريكم طريقاً لبلوغ امانيكم . اذهبوا وعلّموا الناس ان الله ناظر اليهم دائماً اذهبوا واطبعوا في عقول الناس ان عيني الله عليهم دائماً . اطبعوا في عقل القاضي ان عيني الله عليه ينتفِ كل ظلم من حكمه .اطبعوا في عقل التاجر ان عيني الله عليه ينتف كل خداع من متاجرته .اطبعوا في عقل العامل ان عيني الله عليه ينتف كل غش من عمله. اطبعوا في عقول الجميع ان عيني الله عليهم يرتع الناس في بحبوحة الامن والراحة والحرية والسعادة . يا رجال سوريا — ويا رجال الشرق كافة — فتشوا عن كل الوسائط التي يمكن استخدامها لترقية شأن بلادكم تجدوا ان هذه هي الواسطة الفضلى وان لم يمكننا ان نغير عقول كل اهل الجيل الحاضر فلنسعَ في تغيير عقول الجيل المقبل . وفقنا الله الى الصواب



لا تزال الاحياء تتحوّل وتتنوّع

هل نستطيع مشاهدة النشوء

يتلخص مذهب النشوء والارتقاء في ان الحيوانات والنباتات تتحوّل وتتطوّر فينشأ من تحوّلها وتطوّرها انواع جديدة من الحيوان والنبات . حدث ذلك في العصور الماضية ولا يزال يحدث الآن . فهو مذهب يتناول مسائل واقعة كجري جدول او نموّ شجرة لا اموراً من وراء العقل والطبيعة . فالنشوء العضوي اذاً فعل فسيولوجي كفعل الهضم . وهو فعل لا يحدّهُ زمن من الازمنة كان يجري في الماضي وهو جارٍ الآن وينتظر ان يظلّ جارياً الى ما شاء الله . فاذا كان في امكانك ايها القارئ ان تعيش زمناً طويلاً اتيح لك ان ترى الاحياء تبدأ حياتها بسيطة التركيب قليلة الانواع فتتغير اشكالها وتتحول صفاتها على مرّ الزمن حتى تصير معقدة التركيب كثيرة الانواع — اي انك تستطيع ان تشاهد الاميبا وهي ابسط الحيوانات وادناها في سلّم النشوء تتحول الى احياء اخرى أثبت شكلاً واعقد تركيباً. وان تشاهد الهباريون يصبح فرساً. وحيواناً شبيهاً بالقرد يصير انساناً

بطء النشوء

ولكن ما من احد يطمع في ان يعمّر حتى تتاح لهُ مشاهدة هذه الاشياء . لان فعل التطور بطيء كلّ البطء . وما يحدث منهُ في مدى حياة رجل او حياة عدة رجال يتبع احدهم الآخر سوى نزر قليل . على ان الباحثين والعلماء تمكنوا من ان يكشفوا عن افعال طبيعية بطيئة وان يقيسوها . فكلٌّ من قطبي الارض يدور في دائرة صغيرة من الفضاء دورة بطيئة تستغرق خمساً وعشرين سنة حتى يتمها مرّة . ولكن العلماء كشفوا عن هذه الحقيقة وقاسوا سرعة هذا الدوران. والنجوم الثوابت ليست ثابتة حقًّا فاذا نُظر اليها في مجموعها وجد انّ تغيراً طفيفاً يحدث في مواقعها قد لا يستطاع الكشف عنهُ لدقته الاّ في قرن او قرنين. ولكن علماء الهيئة كشفوا عن ذلك وقاسوهُ .وهناك عناصر تعرف بالعناصر المشعّة تنحلُّ بانطلاق ذرات دقيقة منها في شكل امواج فاذا انقضى عليها الوف من السنين وهي تنحلُّ كذلك تحوّلت من عنصر الى عنصر آخر . فالراديوم يصبح بعد انحلالهِ على هذا المنوال رصاصاً ولكن تحولهُ على هذا النمط يستغرق الوف الالوف من

السنين . ومع ذلك تمكن علماء الطبيعة من الكشف عن حقيقة هذا الانحلال والتحول وقاسوا سرعتهما قياساً دقيقاً

فاذا كان العلماء قد تمكنوا من قياس هذه الافعال الطبيعية البطيئة جداً البطء افلا يستطيعون ان يشهدوا افعال النشوء والارتقاء ويقيسوا سرعتها. أولا يستطيعون ان يشهدوا التغير الذي يطرأ على جسم من الاجسام او نوع من الانواع فيجعله اعقد تركيباً واعلى مقاماً في سلم النشوء ويفضي به الى توليد انواع جديدة ؟

اننا لا نستطيع ان نشهد مباشرة نمو شجرة من الاشجار ولكننا اذا صوّرنا نبتة صغيرة صورة شمسية مرة كل اثنتي عشرة ساعة مثلاً مدى شهر ثم عرضنا هذه الصور بالتتابع كما يعرض فلم من الصور المتحركة استطعنا ان نشهد الشجرة تنمو وعرفنا كيف يكون نموها. افلا نستطيع ان نحصل على صورة من هذا القبيل لفعل من افعال النشوء ؟

العمل محفوف بالمصاعب . ففعل النشوء بطبيعته فعل معقد لان نشوء الانواع قد يحدث في نواح مختلفة من تركيب الاحياء ووظائف اعضائها .وبعض الانواع قد ينحط حتى ينقرض والبعض الآخر قد ينمو اكثر تعقيداً ويتطور في صفاته ومميزاته حتى يتكيف للاحوال المتغيرة التي تحيط به . وهناك طائفة اخرى قلما تظهر عليها آثار التغير على الاطلاق . لذلك لا يمكن ان يكون فعل النشوء فعلاً مطرداً لان غايته تكثير الانواع لا تقليلها وتعقيد التركيب لا تبسيطهُ .فما هي اوصاف التغيرات التي ننتظر مشاهدتها في اثناء حياة انسان اذا اتيح لنا ان نشهد فعل النشوء ونتائجهُ في بعض الاحياء

علينا اولاً ان نتناول في بحثنا حيًّا من الاحياء التي تتصف بسرعة التناسل حتى يتاح لنا ان نرقب اثر النشوء في اجيال كثيرة متعاقبة من نسلها . وهذه الاحياء كثيرة ومنها ما ينتج جيلاً جديداً كلَّ يوم او كلَّ بضعة ايام . وعلينا كذلك ان نتخذ اساساً لدرسنا فرداً من النوع الذي يقع عليه اختيارنا وان نتناول كل نسله بالمراقبة والتحليل .فبحسب مذهب النشوء لا بدَّ من وقوع شيء من التغير جيلاً بعد جيل واكثر وجوه التغير التي تشاهد يكون سحابة صيف وتنقشع يظهر في جيل ولا يظهر في الذي يليه ولكن منهُ ما يبقى لهُ اثر في الاجيال التالية اي انهُ يورَّث لها . وهكذا نرى ان نسل الفرد الذي حصرنا درسنا فيه قد اخذ يتغير بظهور صفات تنتقل من جيل الى جيل بالوراثة فتظهر افراد جديدة تختلف عن الفرد الاصلي ويختلف بعضها عن بعض . والنوع الواحد منها يمهد الطريق كذلك لظهور انواع جديدة يختلف احدها عن الآخر اختلافاً وراثيًّا

ولا يحق لنا ان ننتظر ان يكون هذا التغير كبيراً في مدى حياة رجل او عدة رجال

متتابعين . فالزمن الجيولوجي طويل طويل وعمل النشوء بطيءٌ بطيءٌ . ومذهب النشوء نفسهُ لا يقضي بوجوب نشوء انواع جديدة يختلف احدها عن الآخر اختلافاً بيناً في زمن قصير كحياة الانسان . وما يطلبهُ عامة المتفقين من مشاهدة قطة او نسل قطة يتحول الى نوع من الكلاب او حيواناً رخواً كالاميبا يصير حيواناً فقاريًّا لا يتفق مع الاركانِ التي يقوم عليها مذهب النشوء . اننا لا ننتظر ان نرى نوعاً جديداً من الاحياء مستقلاً بصفاتهِ ومميزاتهِ قد خلق واستتمَّ تكوينهُ في مدى حياة احد منا . وكل ما يقضي بهِ مذهب النشوء هو ظهور تغيرات وراثية طفيفة حتى اذا تكاثرت وتجمعت نشأ من نوع واحد من الاحياء انواع كثيرة يختلف احدها عن الآخر اختلافاً وراثيًّا طفيفاً وهكذا

فهل نستطيع ان نشاهد هذه التغيرات التي يقضي بها مذهب النشوء ? لقد بحث الباحثون في طائفة من الحيوانات سريعة التناسل مباحث تقوم على هذه الاركان . والى القارئ خلاصة التجارب التي قام بها الاستاذ جننغز استاذ علم الحيوان في جامعة جونز هبكنز الاميركية

التجارب في الاميبا

من الاقوال التي تتناقلها عامة المتعلمين ان الاميبا هي الحيوان الاصلي الذي تسلسلت منهُ كل الحيوانات . فلنفحص الاميبا اذاً لنرى هل هي لا تزال تتحول وتتغير فينشأ منها بتحولها وتغيرها اصناف جديدة . بعض انواع الاميبا رخو لا غطاء يغطيهِ وليس لهُ قوام او شكل خاص ولذلك يتعذر او يستحيل ان نشاهد فيهِ بعض التغيرات الوراثية التي تطرأ عليهِ . وبعض انواعها الاخرى لهُ صدف يحيط بجسمهِ الرخو ليحفظهُ من الطوارئ وفيهِ يسهل البحث عن التغيرات الوراثية ومراقبتها . ومع ان انواع الاميبا الصدفية تشبه الاميبا الرخوة في اكثر صفاتها الاَّ ان كلاًّ منها يطلق عليهِ اسم خاص . والنوع الخاص الذي انتخب لهذه التجارب يعرف « بالدفلوجيا كورونا » وهو حييوين مكرسكوبيٌّ قطرهُ نحو ١ من ١٥٠ جزءا من البوصة يتكاثر من غير تناسل اي ان كلَّ فرد ينشطر الى شطرين ثم ينمو كل من هذين الشطرين نموًّا طبيعيًّا كاملاً فاذا بلغ درجة معينة انشطر هو بدورهِ الى شطرين فكل فردٍ من هذا النوع اذاً لهُ والد واحد لا والدان كما هي الحال في الحيوانات التي تتناسل. وهو سريع التكاثر يظهر نسل جديد منهُ كلَّ يومين الى اربعة ايام. ففي اثناء سنةٍ واحدة يستطيع الباحث ان يراقب اجيالاً كثيرة متعاقبة من نسلهِ. فهل تبقى هذه الاجيال الكثيرة وافرادها متماثلة في صفاتها الوراثية ? وهل تتغير وتختلف كما يقضي مذهب النشوء

اخذ الاستاذ جننغز اميبا واحدة من هذا النوع وتركها تتكاثر على طريقتها حتى صار

لها الوف من الابناء والاحفاد ورابقها في اثناء ذلك. ففي افراد الاجيال الاولى لم يكن في الامكان الكشف عن تغيرات وراثية. نعم كان الخلف يختلف عن السلف في صفات معينة ولكن هذه الصفات لم تكن تورث للجيل الذي يليهِ. على انهُ لما تعاقبت الانسال وكثرت وزاد عدد افرادها رأى ان بعض هذه التغيرات تتجمع وتصبح وراثية. ففي بعض الافراد كان يرى شوك صدفها اطول منهُ في اسلافها وفي بعضها اقصر منهُ في اسلافها. كذلك بدأ يرى اختلافات كثيرة في الحجم والشكل وهذه الاختلافات كانت تورث للاجيال التالية. ولما انقضى الوقت الكافي وجد ان الحيوان الاول الذي بدأ تجاربهُ بهِ قد اخلف انواعاً مختلفة هي اشبه شيء بفروع شجرة نشأت كلها من جذع واحد. وهي كثيرة يختلف احدها عن الآخر اختلافاً وراثياً وكل فرع او نوع يشتمل على عدد كبير من الافراد وتظهر في كل منها الصفات الخاصة بالنوع الذي تنتمي اليهِ

فما يقضي بهِ مذهب النشوء ينطبق كل الانطباق على حيوان « الدفلوجيا كورونا » واذا كان ظهور هذه الصفات والاختلافات الوراثية وتنوُّع النسل هو النشوء فالعلماء قد شهدوا النشوء في اثناء حدوثهِ. وقد تناول الباحثون حيوانات اخرى من قبيل الدفلوجيا فاسفرت مباحثهم كلها عن مطابقتها لمقتضيات مذهب النشوء. اي ان الحيوانات التي درست لم تبق على ما هي من غير ان يطرأ عليها تغيير ما. ومع انَّ عمل النشوء عمل بطيء كلَّ البطء تمكن هؤلاء الباحثون من ان يروا الانواع الجديدة التي تختلف وراثياً بعضها عن بعض تنشأ وتتكاثر من اصل عام واحد وهذه هي خلاصة مذهب النشوء

في الاحياء العليا

على ان مراقبة هذا التحوُّل والتغيُّر في الحيوانات العليا والنباتات العليا صعب كلَّ الصعوبة. بل يكاد يكون متعذراً. اولاً لان التناسل بطيء فيها فالانسان لا يستطيع ان يشاهد في اثناء حياتهِ سوى بضعة اجيال من الحيوان الذي خصهُ بالبحث والامتحان. ثم هنالك عقبة اخرى وهي ان التناسل في الحيوانات العليا عمل يشترك فيهِ اثنان والدٌ ووالدة. والوالد يختلف دائماً عن الوالدة في بنيتهِ وصفاتهِ الوراثية فينشأ الولد جامعاً في كيانهِ مزيجاً للصفات الوراثية التي يمتاز بها اصلان مختلفان كل الاختلاف. فتعيين كلّ اتجاه جديد في صفات الابن يحتم مقابلتهُ على الصفات التي ورثها من امهِ او من ابيهِ وهذه متعذر تعينها او هو غاية في الصعوبة

على ان العلماء الذين يقفون حياتهم وقوتهم للبحث عن الحقيقة لا يحجمون امام

العقبات . لذلك اكبوا سنين طوالاً على درس الصفات الوراثية في طائفة من الحيوانات العليا ثم راقبوا نسلها مراقبة دقيقة حتى يروا ما يستجدُّ فيها من الصفات التي تورَّث للاجيال التي تليها. وقد عني احدهم — الاستاذ مورغان وتلاميذهُ — بدرس حشرةٍ تعرف بذبابة الفاكهة (الدروسوفيلا) وبلغ درسهم درجة من الدقة مكَّنتهم من تدوين مئات من الصفات الوراثية الدقيقة . وفي التجارب التي جربوها نشأ من « الدروسوفيلا » مئات من الانواع الجديدة التي تختلف عن النوع الاصلي اختلافاً وراثيًّا . والصفات الوراثية الجديدة في بعض هذه الانواع ظاهرة كلَّ الظهور كنشوء نوع جديد ابيض العيون من نوع احمر العيون او حين يخلِّف نوعٌ طويلِ الاجنحة نوعاً قصيرها او معدومها . والعلماء الذين راقبوا هذه التغيرات الظاهرة اولاً ظلوا مدة يذهبون الى ان كل تغيُّر نشوئي جديد يحدث فجأة . ولكنهم لما تبطنوا موضوع بحثهم وعرفوا مخارجهُ ومداخلهُ وجدوا ان هناك تغيرات طفيفة لا تكاد ترى لدقتها تتوسط الانتقال من صفةٍ الى صفةٍ اخرى تختلف عنها. فقد وجدوا مثلاً ان بين العيون الحمر والعيون البيض ظهرت عشرات من العيون المتعاقبة تتباين طيوف الوانها بين الاحمر والابيض . ومن قبيل العيون وجدوا تغيرات فسيولوجية كثيرة لم يستطيعوا تبينها الاَّ بعد جهد كبير بذل في البحث . وكذلك ثبت لهم ان التحوُّل الوراثي المتدرج تطرق الى كل اعضاء الحيوان . فنشأ من نوع الدروسوفيلا الاصلي مئات من الانواع المختلفة . وقد كشف حديثاً الاستاذ ملر الاميركي انهُ اذا استعمل اشعة اكس استعجل ظهور هذه التحولات التي تحسب اساساً للارتقاء العضوي في الاحياء

***

لا يزال العلماء يجهلون الاسباب التي تبعث على هذه التحولات واساليب حدوثها. على ان الجهل بهذه الامور يجب ان لا يقف حائلاً دون الاعتراف بحقيقة النشوء — بحقيقة التغير الذي يحدث في اعضاء الاحياء وصفاتها. ولنذكر ان امامنا مذهبين متناقضين. الاول يقول ان بناء الاجسام ثابت لا يتغير وانَّ الاحياء ولدت كما هي لم تتغير ولن تتغير. واصحاب المذهب الآخر — مذهب النشوء والتطور — يقولون ان بنية الاحياء تتغير تغيراً وراثيًّا على مرّ الاجيال والعصور . وان من نوع واحد تنشأ انواع عديدة مختلفة بفعل التحول الوراثي في الافراد . وقد ايدت المباحث الدقيقة التي قام بها العلماء في الحيوانات التي في اسفل سلم النشوء هذا المذهب . اذ قد ثبت لهم ان هذه الحيوانات تتغير فعلاً وتنشأ منها انواع جديدة يختلف احدها عن الآخر . فالحقائق التي اثبتها الباحثون تؤيد مذهب النشوء والتطور وتدحض المذهب المناقض لهُ

كيف نكافئ العلماء

بالمعاشات او بالهبات او بالاوسمة او بالتماثيل

كنا في انكلترا في الصيف الماضي حين اعلن السر رونلد روس رغبته في بيع مدوناته العلمية ليكفي نفسه واسرته مؤونة القلق على اسباب العيش . فدهشنا ان نجد في بلاد كبلاد الانكليز عالماً معوزاً وخصوصاً اذا كان من مقام السر رونلد روس او امثاله . وقد سررنا حين قرأنا في الصحف في شهر مايو الماضي ان الامة الانكليزية عنيت بجمع خمسين الف جنيه واهدائها الى هذا العالم الممتاز . فاثارنا الخبر الى نشر هذا المقال

من الامور المعروفة ان جانباً كبيراً من ثروة الامم في هذا العصر ناجم عن المباحث العلمية التي طبّقت على الصناعة والزراعة والمواصلات والمخاطبات وغيرها ولذلك يرى كثيرون من المفكرين ان الانصاف يقضي بمكافأة العلماء بجانب من هذه الثروة التي يتقاسمها العمال واصحاب الاموال . ومن اشهر الداعين الى هذا العمل السر رونلد روس مكتشف اسباب نقل الملاريا فهو يذهب الى ان العلماء الذين اكتشفوا مكتشفات علمية ذات شأن يجب ان ينالوا من خزينة حكومتهم معاشات تكون على الاقل معادلة لمعاشات القواد

اذا اكتفينا بنظرة عجلى الى الرأي القائل بوجوب مكافأة العلماء اقتنعنا بصحتهِ حالاً . فكثيرون من اصحاب الاعمال العقلية والفنية كالمؤلفين والموسيقيين والمصورين والنقاشين يتمتع الواحد منهم بدخل كبير متى بلغ درجة عالية في الفن الذي يعالجهُ . اما العالم فلا امل لهُ في ان ينال اكثر من الفي جنيه في السنة وفي الغالب يحسب نفسهُ موفّقاً اذا ظفر بمنصب مرتبهُ الف جنيه . واما العلماء الذين لا ينالون سوى ٣٠٠ جنيه في السنة فغير قلال واذا شاء احدهم ان يزيد دخلهُ السنوي تحتم عليهِ ان يخرج عن جادة البحث العلمي الصميم فيستخدم مواهبهُ ومعارفهُ في الامور الصناعية او في تأليف الكتب العلمية بسيطة التناول او في غير ذلك من الاعمال التي يكثر عليها الطلب وتعود عليهِ بالكسب الوفير . وفي تلك الحال يفقد العلم ما كان هذا الرجل قادراً ان يكشفهُ لو استمر في بحثهِ . ولا يخفى ان العلماء لا يكسبون شيئاً من تسجيل مكتشفاتهم لان كثيراً منها لا يسجل . فالعالم بالحيوان لا يستطيع ان يسجل نوعاً جديداً من السمك كشفهُ ولا الفلكي كوكباً عثر عليهِ . والآداب الطبية تحظر على الباحثين في الامراض واسبابها ووسائل علاجها ان يسجلوا اساليب

العلاج الجديدة واحتكارها . كذلك لا يستطيع الكيماويُّ ولا العالم الطبيعي ان يسجل مكتشفاته الكبيرة لسببين اولهما انهُ لا يعلم متى يستفاد من هذا الاكتشاف او ذاك فائدة عملية . فلما كشف رتشردصن عن القوانين التي يجري عليها انطلاق الكهارب من المعادن الحامية لم يخطر لهُ انهُ كشف وسيلة تُبنى عليها المخاطبات التلفونية اللاسلكية فيما بعد فلم يكن في امكانهِ ان يسجل اكتشافهُ تسجيلاً يمنع تطبيقهُ في المستقبل . ولقد كُشفت حقائق كثيرة متعلقة بالكهارب المنطلقة من المواد المشعة لم تطبق حتى الآن تطبيقاً عمليًّا ولكنها لم تسجَّل تسجيلاً يمنع احداً من استخدامها في المستقبل . ثانياً اذا عظم الاكتشاف طال الزمان الذي ينقضي قبل الانتفاع بهِ فقد انقضى زمن طويل على اكتشاف فراداي لمبادئ المحرك الكهربائي قبلما بدىء بالتوسع في صنعهِ صنعاً تجاريًّا . مع ذلك لم يكسب فراداي مليماً واحداً من اكتشافهِ هذا وورثتهُ الشرعيون لا ينالون ربحاً عليهِ مثلما ينال ورثة الاميرال نلسن لانتصارهِ في معركة طرف الغار

واذا نظرنا الى الفرنسويين وجدنا انهم لا يكافئون رجال العلم عندهم بما يكفي لمعيشتهم . ولكنهم يقيمون لهم تماثيل فخمة حينما يموتون ويدعون الشوارع باسمائهم . ولعلَّ التمثال او تسمية الشارع باسم عالم راحل اقوى باعثاً على شحذ الهمم من زيادة المرتب او دفع المعاش للورثة

ولا ريب في ان وضع نظام لمكافأة العلماء يصطدم بعقبة كؤود هي الصعوبة في تقدير قيمة اكتشاف علمي في الوقت الذي يكون العالم قادراً ان يتمتع بنتائج هذا التقدير . وقد يجيء اعتراف الامة باكتشافهِ بعد موتهِ او بعد ما يبلغ من السن ما لا يفيد معهُ جمع المال . والمرجح ان اللجان التي قد تعيَّن لمكافأة العلماء تهتمُّ بما يكشف من الحقائق الجديدة اكثر مما تهتم باسلوب جديد للبحث . نضرب مثلاً على ذلك منح جائزة نوبل الطبية لبانتنغ ومكلود لكشفهما الانسولين — المادة التي اذا حقنت في الدم ازالت اعراض البول السكري . فان كل المواد التي حُضّرت قبل الانسولين كانت تجرَّب في كلاب حتى يعرفَ ما لها من الاثر في مقدار السكر في الدم . ومن المعروف ان تحليل الدم تحليلاً دقيقاً حتى يُعرَف ما فيهِ من السكر عمل دقيق جدًّا وخصوصاً متى كان الباحث يشتغل بقطرتين فقط من الدم . هذا التحليل لم يبلغ الدرجة من الدقة التي بلغها الآن الا بعد ٦٠ سنة من البحث الدقيق في مئات المعامل الطبية والفسيولوجية وقد استغرق ارتقاؤه وقتاً اطول واقتضى دقة ومهارة اعظم مما اقتضاهُ كشف الانسولين فاعطيت الجائزة لمكتشفي الانسولين لا للذين مهدوا بعض السبيل لاكتشافهِ

فاذا وضع نظام لمكافأة العلماء حسب قيمة مكتشفاتهم بقي كثير من المكتشفات العلمية مجهولاً ولم ينل اصحابه المكافأة الجديرة بهِ . ما من نظام مهما كان محكماً يمكن اصحابهُ من التنبؤ بما يكون حكم المستقبل على مكتشف من المكتشفات . وفوق ذلك فانهُ يحول العلماء عن البحث العلمي المحض الى البحث عن امور تسترعي الانظار حتى يفوزوا بالمكافآت . ولو وهب احد الاغنياء من خمسين سنة مكافأة مالية تعطى لمن يكشف مادة اذا حقنت في الدم ازالت اعراض البول السكري لتحول كثيرون من الباحثين الذين وضعوا الاسلوب الدقيق لتحليل الدم عن بحثهم هذا الى البحث عن الانسولين ولعجزوا عن الاثنين

ثم لننظر الى امر آخر . ما من اكتشاف كيماوي احرى بالمكافأة من اكتشاف عنصر جديد . ولقد كشف في السنوات الاخيرة اربعة عناصر جديدة . ولكن هذه العناصر لم تكشف الا بتطبيق قانون موزلي الذي يعين علاقة محدودة بين طيف اشعة اكس وعدد العنصر الجوهري . ولم يتوصل موزلي الى وضع هذا القانون الا بعد مباحث جمة وقياسات دقيقة نجم عنها شبهُ اداة يستعملها الكيماوي في كشف العناصر الجديدة . مع ذلك ارجح ان قانون موزلي لم يذكر في الصحف على الاطلاق حين كشف وأرتاب كل الارتياب في هل يرضى الشعب عن توزيع اموال الدولة على امثال موزلي مكافأة على اكتشاف لا يدرك قيمتهُ

وقد ارتأى الاستاذ هلداين — منشىء هذا المقال ان انشاء نظام يكافأ بهِ العلماء حسب قيمة مكتشفاتهم لا يفي بالغرض ولذلك اقترح انهُ يضمن للاساتذة والباحثين في الجامعات والجمعيات العلمية مرتبات تكفيهم ليكونوا في بسطة من العيش. وعندهُ انهُ يجب الاهتمام بنوع خاص بالمباحث العلمية المحضة ، وان يُفصل اذا امكن ، بين رجال البحث العلمي المحض ورجال التعليم . اذ قد يكون احد الباحثين من اقدر الناس على المباحث العلمية ولكنهُ قد يكون من اضعفهم في سرد الحقائق على جمهور المتعلمين ثم قال :

لقد مضى الوقت الذي نستطيع فيهِ ان نكافئ فراداي وهرتز وباستور ولكننا نستطيع ان نكفل لخلفائهم ما يمكن كلاً منهم من تربية عائلة صغيرة وتعليم اولادهم تعليماً راقياً والحصول على بعض الكماليات كاتوموبيل صغير . انني لا استطيع ان اذكر الآن منصب استاذ واحد في بلاد الانكليز او فرنسا يضمن هذه الشروط . فعلى رجال البحث العلمي ان يختاروا بين ترك البحث الذي تفرغوا لهُ او عدم الاقبال على الزواج او تحديد العائلة . واني اعرف كثيرين من اكبر رجال العلم الذين تركوا البحث العلمي فصاروا صحافيين او تجاراً فكسبوا اموالاً طائلة ولكن ماذا كسب العالم — بل كم خسر ! وبعضهم يكتفي بولد او ولدين وفي هذا خسارة ايضاً لان جانباً كبيراً من المقدرة العلمية يورَّث وراثة طبيعية واجتماعية

رجال العلم والعمل

سيرة الباحث عن منشإ الاحياء

ماذا تقول ايها القارىء اذا عهد اليك في قيادة بعثة علمية الى صحراء غوبي لتبحث في ارجائها المترامية الاطراف عن آثار الاحياء المطمورة في طبقات ارضها ؟ ماذا تفعل اذا حاول الثوار احباط عملك بالحرب تارة وقطع الطريق عليك آونة اخرى ؟ هل تحملك محبة العلم والعمل على الاستهانة بجرح بليغ يصيبك او كأس الموت ترده ظمأ او جوعاً او لدغاً او تحت كثيب من الرمل تطمرك به العاصفة الهوجاء ؟ اجب عن هذه الاسئلة ثم اقرأ هذا المقال

صدر الصحراء الصينية مضطرب تقيمه وتقعده عاصفة هوجاء . والريح صرصر تسفي الرمل كثباناً وتقذفه رشاشاً فيلطم الرؤوس والارجل والافخاذ وينخس الوجوه كالابر . حر النهار شديد يزهق النفوس وبرد الليل قارس يحز العظم ويقض المضجع الدفئ . وفي خيمة مضروبة في ذلك الفضاء المترامي الاطراف رقد على سرير الضنى رجل جريح في مقتبل العمر احمر العينين ضيق النفس يئن من وطأة الحمى . دخل عليه اثنان من صحبه لتفقد حاله وما لبث ان همس احدهما في اذن الآخر « لا بدّ من نقله » فانتبه الجريح من سباته وسألهما عن حال العاصفة فاجيب انها لا تزال على ما كانت عليه من شدة الهبوب . فسأله الاول « كيف حال ساقك » فاجاب « لا بأس انما الالم ينبض نبضاً » . فقال الثاني ودلائل العزم والحزم تبدو في كلامه — لقد قررنا ان ننقلك من هنا حالما تسكن هذه العاصفة الثائرة . فلما سمع الجريح كلام رفيقه رفع رأسه واتكأ على ذراعه وقال غاضباً « لن تفعلوا شيئاً من هذا » فقال احد الصديقين ولكن اذا تركناك هنا فقد يلتهب الجرح ويفضي التهابه الى ما لا تحمد عقباه . فاعترض الجريح قائلاً « لن يلتهب » . فتركاه عند هذا الجواب ليظهر له انه فاز في الجدال خوفاً من هياج اعصابه الضعيفة ظناً منهما انهما يستطيعان استئناف المناقشة صباح اليوم التالي فيقنعانه بصحة رأيهما . فلما فعلا ذلك وجداه على ما كان صلباً لا يلين

هذه حادثة صغيرة تمثل حياة الدكتور روي تشابمن اندروز قائد البعثة الاميركية الاسيوية الى « صحراء غوبي » سنة ١٩٢٨ . فانه رغماً عن جرحه البليغ واصابته بالحمى

على اثرهِ واشتداد العاصفة رفض وهو القائد ان يتقهقر وان يوقف عمل البعثة العلمية مدى فصلٍ كاملٍ. هذا هو الرجل الذي صوَّب مصباح العلم الحديث الى صحاري اسيا المتوسطة فاعادها تنبض بالحياة ولكن بالحياة كما كانت فيها منذ عشرة ملايين من السنين

خطر لهُ وهو شاب ان الكرة الارضية كانت غير مستقرة على حال في بدءِ تكوينها وان قاراتها كانت ترتفع وتنخفض فكانت مياهُ البحار تنحسر عنها آناً وتغمرها اخرى. وظلت كذلك عصوراً طوالاً قبلما استقرت يابستها وبحارها. وتراءى لهُ ان اسيا كانت اول قارة استقرت كذلك وذهب الى انها يجب ان تكون منشأ الحيوانات الاول ووطن الحيوانات اللبونة الاولى والانسان القديم. فاذا تمكن من ان يعثر على آثار متحجرة لبعض انواع من هذه الحيوانات في طبقات ارضٍ استقرت على ما هي قبلما استقرت طبقات الارض في القارات الاخرى — اوربا واميركا مثلاً — فتلك الحيوانات هي الاصل التي نشأت منهُ انواع الحيوانات في سائر انحاء العالم

مذهب جريءٌ ولكنهُ يحتاج الى ادلة علمية تؤيدهُ قبلما يسلّم بهِ العلماء. وكان اندروز يومئذٍ شابًّا على جانبٍ كبيرٍ من الذكاء ولكنهُ على غير جانب كبير من المكانة العلمية تنفح كلماتهِ قوة تسترعي الاسماع؟ اذاً اين الادلة يجمعها ويذيعها! ومن يبحث عن اثار متحجرة في طبقات قارة مساحة سطحها يبلغ نحو ١٧ مليوناً من الاميال المربعة!

اما كيف بحث اندروز عن الادلة التي تؤيد مذهبهُ وكيف وجدها، وكيف تمكن من تعيين «جنة عدنٍ» في اواسط اسيا فقصة من اعجب القصص في تاريخ الارتياد الحديث

***

ولد اندروز في ٢٦ يناير سنة ١٨٨٦ في بلدة بولاية وسكنصن الاميركية فهو في الثالثة والاربعين من عمرهِ الآن. وكان والداهُ متوسطي الحال على جانب من العلم والتهذيب لكنَّ وسطهما لم يكن فيهِ ما يدلُّ اقلَّ دلالة على ان ابنهما سيكون يوماً ما رجلاً تتناقل الاسلاك البرقية انباءهُ في القارات الست. والظاهر ان الفتى اندروز اظهر منذ نعومة اظفارهِ الصفة التي اشتهر بها في كبرهِ وهي العناية بالحيوانات والطيور وجمع نماذج من جلودها ورؤوسها والاعتماد على البحث عنها في الحقول بدلاً من الاكتفاء بما كتب عنها في الكتب. فان امهُ تروي عنهُ انهُ كان يذهب مع اترابهِ لاصطياد الطيور ولكنهُ لم يكن يكتفي بان يعود بها الى البيت لتشوى او تطبخ بل كان يعنى اولاً بزيادة المجموعة التي جمعها من جلود الطيور ورؤوسها. وكان ينفق ساعات متتابعة في العناية بهذه المجموعة.

ثمَّ قالت : واني موقنة انهُ لو انفق هذه الساعات في درس الكتب لكان افاد منها شيئاً كثيراً ولكنهُ كان يسرُّ دائماً في التنقيب عن الحقائق بنفسهِ

« التنقيب عن الحقائق » ! ما اصدق نبوءتها . ان لم يكن اندروز قد نبش الحقائق من طي التراب فانهُ لم يفعل شيئاً !

ولما نال شهادتهُ من كلية بلويت كتب كتاباً الى مدير متحف التاريخ الطبيعي بنيويورك يطلب فيهِ ان ينتظم في سلك رجالهِ لانهُ كان قد سمع ان في المتحف كثيراً من الحيوانات التي تجب ان تصبَّر . ولكن لم يخطر على بالهِ حينئذٍ ان الجامعات الاميركية في الولايات الشرقية كهارفرد وبايل وبرنستن وغيرها كانت تخرج كل سنة الوفاً من الشبان الذين توفروا على هذا العمل مع ان المتحف لم يكن يتسع لاكثر من ستة او سبعة منهم كل سنة

على ان المدير وجد في كتاب اندروز ما حملهُ على الاهتمام بهِ فنادى سكرتيره وقال لهُ اكتب الى أندروز هذا ان يأتي نيويورك على حسابهِ. فجاءها على جناح الطير ولما سألهُ مدير المتحف قائلاً «هل تريد ان تشتغل في المتحف فعلا »؟ اجاب الفتى « نعم . جربوني»

وقد جاء في مجلة التاريخ الطبيعي ان عملهُ في المتحف ظلَّ مدة يدور على غسل ارض الغرف وتنظيفها ولكن ذلك لم يثبط عزمهُ « لانهُ كان يشتغل في مكان ينظر الى رجالهِ نظرهُ الى الانبياء »

وفي احد الايام ورد نبأ على المتحف بان الامواج قذفت حوتاً ضخماً على شواطئ لونغ ايلند بنيويورك . وان جسمهُ غارز في الرمل . وكان الجوُّ بارداً والثلج يسقط سقوطاً متواصلاً والبحر على شواطئ لونغ ايلند ثائراً ورائحة الحوت منتنة . فالتفت المدير الى اندروز وقال لهُ دونك وهذا الحوت اعدَّهُ ليرسل الى المتحف . فغاب الشاب اسبوعاً لم يظهر لهُ في اثنائهِ عين ولا اثر . وفي آخر الاسبوع كان المدير يكلم سكرتيرهُ فقال لقد طال غياب اندروز . ولعلهُ وجد العمل صعباً فعاد الى امهِ . وقرع جرس التلفون حينئذٍ وجاء على اسلاكهِ صوت الفتى تهزهُ غبطة الانتصار . فانهُ ظلَّ يعالج العمل الصعب الذي عهد اليهِ فيهِ رغم خمس عواصف متعاقبة من الثلج في سبعة ايام حتى فاز بالنجاح . ولما عاد قابلهُ المدير وقال الم يهزك البرد كيف استطعت العمل في هذه العواصف الثلجية . فابتسم الفتى ابتسامة الظفر وقال : برد مدينتكم لا يكاد يكون شيئاً ازاء البرد في بلادنا

كان نجاحهُ في اعداد الحوت وشحنهِ مقدمة لانتصارات باهرة في ميدان البحث العلمي . اذ ما لبث مدير المتحف ان عهد اليهِ سنة ١٩٠٨ في انهُ يسافر الى شواطئ

الاسكا لدرس الحيتان التي تكثر هناك ثم ندبهُ ليرافق بعثة علمية الى جزائر الهند الشرقية وبورنيو وارخبيل السلبيز وفي السنة التالية دعي الى قضاء سنةٍ في الاصقاع المتجمدة الجنوبية للبحث في حيتانها وسنة ١٩١٢ ندبهُ المتحف للذهاب الى شواطىء كوريا واليابان لدرس الحيتان هناك ثم رافق بعثة بوردن الى الاسكا سنة ١٩١٣ للغرض نفسهِ . فوضع بعد ذلك كتابهُ في « الحيتان » الذي يحسب المرجع الاكبر في هذا الموضوع

***

كان رحلتهُ الى كوريا لدرس الحيتان في بحارها مقدمة للعمل العلمي العظيم الذي وقف حياتهُ عليهِ وهو البحث في صحاري آسيا عن آثار الحيوانات الاولى والانسان الاول . ذلك انهُ لما كان في كوريا سمع من شيوخها خرافات عن صحراء منغوليا استهوت فؤادهُ وحملتهُ على اعداد المعدات للرحلة اليها . فرحل اولاً سنة ١٩١٦ الى تيبت وغرب الصين ثم عاد ثانية سنة ١٩١٩ فقضى سنة يرتاد البلاد التي على حدود منغوليا ليضع خطة يجري عليها. وعاد الى اميركا ليمد معدات الرحلة فوقفت في سبيله عقبات كأداء اهمها جمع المال فذللها بصبرهِ ونشاطهِ وعاد الى صحراء غوبي وهي البقعة المتوسطة في صحاري منغوليا اربعاً سنة ١٩٢١ وسنة ١٩٢٣ و ١٩٢٦ و ١٩٢٨ يرتادها بالسيارات بدلاً من الجمال فكشف عن آثار متحجرة تعدُّ في الطبقة اولى بين مكتشفات العصر لانها مكنت العلماء من تنقيح آرائهم في احياء العصور البائدة وصفاتها . وبلغ ما عرضهُ احد الاغنياء ثمناً لبيضة متحجرة واحدة من بيوض الدينوسوروس التي عثر عليها عشرين الفاً من الجنيهات

ولا يخفى عليك ان البحث عن المتحجرات كالبحث عن الذهب لا يعرف الباحث متى يصيب غنيمتهُ ويعثر على ضالتهِ . بل لقد ينقضي زمن طويل يعاني فيهِ اشد المصاعب ويتكبد اكبر المشاق ولا يعثر على ما يوازي تعبهُ او جزءاً منهُ . وقد يصيب من النجاح بضربة معول واحدة ما يكشف للعالم العلمي اموراً تدهشهُ وتحيرهُ

وقد كان نصيب اندروز وصحبهِ في رحلاتهِ الاربع مزيجاً من الفشل والنجاح . فان عثورهُ على بيوض الدينوسوروس هبط عليهم منحة من السماء . فانهم كانوا يستريحون في بلدة صغيرة فذهب احدهم يجوّل في جوارها ليرى اثار التاثير الترابية فدهش حين رأى نفسهُ واقفاً على طرفٍ مرتفع من الارض ينحدر فجأة الى منخفض متسع فدفعهُ حب الاستطلاع الى البحث هناك فعثر في الحال على جمجمة صغيرة بيضاء ملقاة على صخر رملي فظنها الدكتور غرانجر جمجمة نوع منقرضٍ من الزحافات . فكان ذلك باعثاً للبعثة

على ان تحطّ رحالها هناك لقضاء بضعة ايام في التنقيب والاستكشاف فكشفوا عن بيوض الدينوسوروس المشهورة . وهو من الزحافات المنقرضة التي كانت تعيش منذ عشرة ملايين من السنين . وكان العلماء يفرضون بقياس التمثيل انها كانت بيوضة. الا ان بعثة اندروز وفقت الى البرهان المادي الاول على صحة هذا الفرض . وهو وجود البيض نفسهِ

وازاء ذلك قضى اندروز ورجاله ما يزيد عن شهر في رحلتهم الاخيرة سنة (١٩٢٨) يضربون في غربي منغوليا وهي ارض قاحلة من غير ان يعثروا على شيء يذكر واخيراً عزموا ان يرجعوا من حيث جاءوا وذلك بعد ما لبثوا ستة اسابيع في مكان واحد لان اندروز جرح في فخذه من جهة ولان الزوابع الرملية كانت تتلو بعضها بعضاً فتمنعهم عن التقدم

***

عاد اندروز وصحبهُ سنة ١٩٢٣ بخمس وعشرين بيضة من بيوض الدينوسوروس بعضها كان على سطح الارض وبعضها كان لا يزال في الصخر الذي تحجر فيهِ ورؤوسهُ بارزة . وعدا البيوض كشفوا عن آثار متحجرة اخرى رتبت ونظمت فتكونت منها سلسلة تامة لحياة الدينوسوروس

قد يسأل البعض الا يجوز ان تكون هذه البيوض بيوض طائر . والجواب على ذلك نفياً لان الطيور لم توجد في عصر يقابلهُ في طبقات الارض الدور الطباشيري الاسفل وهي الطبقة التي وجدت فيها بيوض الدينوسوروس . اما الطيور التي كانت تعيش في الدورين الجوري والطباشيري الاعلى فكانت صغيرة لا تستطيع ان تبيض بيضاً كبيراً كالبيض الذي وجدوهُ (طول البيضة ثماني بوصات ومحيطها سبع) وزد على ذلك ان شكل البيض المتحجر الذي وجد مستطيل وهو من مميزات بيض الزحافات . ومن الادلة على ان هذه البيوض بيوض دينوسوروس ان الناحية التي وجدت فيها حافلة بعظام الدينوسورس المتحجرة ولم يعثر فيها على آثار حيوان آخر

اشرنا قبلا الى الجمجمة الصغيرة التي عثر عليها اتفاقاً احد مساعدي الدكتور اندروز وحسبها الدكتور غرانجر جمجمة زحافة منقرضة . فلما نقلت هـذه الجمجمة الى نيويورك رآها الدكتور متيوز امين المتحجرات في متحف التاريخ الطبيعي بنيويورك واثبت انها من آثار الحيوانات اللبونة لا من آثار الزحافات بل ذهب الى انها قد تكون من آثار اقدم الحيوانات اللبونة فكتب الى اندروز ومساعديهِ لبذل الجهد في الكشف

عن كل ما يستطاع كشفهُ من هذا القبيل وذلك لان المعروف لدى علماء النشوء والمتحجرات والجيولوجيا ان الحيوانات اللبونة التي دمها حارٌّ وترضع اطفالها نشأت من الزحافات البيوضة باردة الدم . وكان العلماء حتى سنة ١٩٢٣ لم يعثروا الاَّ على جمجمة واحدة من جماجم الحيوانات اللبونة الاولى، عُثر عليها في جنوب افريقية في طبقة من طبقات الترياسيك التي يرجع تاريخها الى ١٦ مليون سنة وتحسب من الكنوز الاثرية التي لا تقوَّم بمال

فعنيت بعثة اندروز التي ذهبت الى صحراء غوبي سنة ١٩٢٥ بالنقب عن آثار الحيوانات اللبونة وكان الحظ يسير في ركابها فما حطت رحالها في المكان الذي وجدت فيهِ الجمجمة الاولى حتى عثرت على جمجمة متحجرة لحيوان لبون متوغل في القدم . ثم جمعت ست جماجم اخرى من هذا القبيل كلها صغيرة لا يزيد طول الجمجمة منها على بوصة ونصف بوصة . قال الدكتور اندروز . . . «وقد كنت احرص على هذه الجماجم كما احرص على ولدي» ويستدلُّ منها على ان اصحابها لم يكونوا اكبر من الجرذان حجماً وعهدها يرجع الى عشرة ملايين سنة ويجب ان ينظر اليها كاول محاولة حاولتها الطبيعة في توليد حيوانات لبونة فلما انقرضت الزحافات البرية والبحرية الضخمة كانت الحيوانات اللبونة قد اخذت تتنوع وترتقي «وما زالت كذلك حتى تسلطت على البر والبحر»

ولم يكن نصيب الرحلة الاخيرة من التوفيق نصيب سابقاتها بسبب الجرح الذي اصاب الدكتور اندروز فاخرهم ستة اسابيع عن التقدم وبعدما ساروا شهراً في صحراء قاحلة لم يعثروا فيها على شيء عادوا ادراجهم وفي اثناء عودتهم عثروا على كنز من الآثار المتحجرة لعلهُ اغنى الكنوز الاثرية في صحراء منغوليا على الاطلاق وعلى آثار بشرية من العصر الحجري المتوسط والجديد . وفي مكانٍ آخر عثروا على آثار تكاد تكون كاملة لبعض الحيوانات اللبونة اهمها حيوان من جبابرة العصور الماضية . ولم يستطيعوا استخراج كل الآثار التي وجدوها هناك لقصر الوقت وقلة الزاد ولذلك ينتظر ان يعودوا اليها قريباً

***

لما بلغ الدكتور اندروز مدينة بكين في بدء رحلتهِ الاولى الى صحراء غوبي كانت العواصف ثائرة فقال لهُ حكماء الصين «هذه علامة تنذر بالويل لانها تشير الى الجوع والحرب والمرض والموت . فعملك مقضيٌّ عليهِ بالفشل وانك لن تجد ما تبحث عنهُ» الاَّ ان عزمهُ وصبرهُ وحنكتهُ وتفانيهُ في خدمة العلم صفات مكنتهُ من الفوز في تحقيق ما يصبو اليهِ واذاعت اسمهُ في الخافقين رجلاً من اكبر رجال العلم والعمل فمنحتهُ الجمعية الجغرافية الاميركية اعلى وسام في حوزتها جزاء لهُ على ما تيهِ

شعر التصوير

البوهيمية

La Bohémienne

تصوير فرانز هالز الهولندي (١٥٨٠م — ١٦٦٦م) ومحفوظة في متحف اللوفر

لم تعبئي من هذه الدنيا بما شغلتْ مفاتنها وهام الناسُ
فعلى محيّاكِ البساطةُ كلها ومن البساطةِ قد يكون الباسُ
وحرمتِ زخرفَ عيشةٍ ما شئتِها يوماً، فعزّ شعورُكِ الحسّاسُ
فكستكِ أحلامُ القناعةِ ثوبها إن لم يصنكِ من الحياةِ لباسُ
وألفتِ حرَّ العيشِ غيرَ طريدةٍ حتى تحرّرَ جسمكِ الميّاسُ
وتحرّرتْ قسماتُ وجهكِ عندما شغلَ الأنامَ بعرفهم مقياسُ
الحسنُ عندكِ في انطلاقكِ وحدهُ وسواهُ ليس له لديكِ قياسُ
لم تحجبي نهديكِ خشيةَ ناظرٍ حين اعتدادُكِ كلّهُ أحراسُ
أو تحذري من بسمةٍ ممزوجةٍ بالسخرِ وهي بسخرِها إيناسُ
أو تحفلي برشاقةٍ وتحايلٍ حين التحايلُ صنوُهُ الإفلاسُ
إنّ الأنوثةَ ملءُ زهدكِ هكذا والزهدُ في ملكوتهِ إحساسُ
فعلى جمالكِ مسحةٌ علويّةٌ هي للضميرِ وإن أبتها الكاسُ
وإذا نظرتِ الى الغوايةِ نظرةً عرفَ الغوايةَ من حلالكِ الناسُ

ابو شادي

بحث في الصحة والزواج

ربط الزوجية واسباب الهناء والشقاء

ليس من العدل ان تمنع شخصين متحابين من الزواج بحجة ضعفهما وعدم اكتمال قواها . فقد ثبت ان الكثيرين ممن لم يسبغ الله عليهم ثوب الصحة تزوجوا فكانوا من اسعد الناس واهنأهم . بيد ان الاطباء قد اجمعوا على وجوب منع المصابين بالامراض الزهرية المزمنة من الزواج . ويجب ان ينص القانون بالصراحة على عزل المصاب بها كما يعزل المصاب بالجدري او غيره من العلل المعدية

الصراحة شرط لازم

ان فتك الزهري والسيلان المزمن بالمتزوجين لما يقصر دونهُ الوصف . فهما اعظم اللعنات التي تنتاب الازواج وتذهب بهنائهم . وكثيراً ما تضيع بهجة الحياة وتزول مسرات الزواج — ليس لما قد ينشئانهِ من الاثر في صحة الزوجين ونسلهما بل ولما قد يحدثانهِ من الاثر السيء في القوى العقلية ايضاً ولما قد يورثانه من الندم والحسرات

فسلامة الزوجين من هذين المرضين شرط لازم . وعلى الذين يقدمون على الزواج ان يلزموا جانب الصراحة ويعترفوا بحقيقة حالتهم الصحية على وجه الاجمال وسلامتهم من كل محظور ومحذور . ومن المستحسن تأييد هذا الاعتراف بشهادة حكيم الاسرة او من يقوم مقامهُ .وفي الواقع ان قانون بعض الولايات الاميركية ينصُّ على وجوب فحص طالبي الزواج لاثبات لياقتهم للزواج . ومثل هذا القانون يجب نشره في جميع البلاد المتمدنة بحيث لا يباح لمن كان مصاباً بعاهة جسمية طارئة او وراثية او بداء السل او ضعف القلب او ما اشبه ان يتزوج من دون ان ينذر زوجهُ .والا عدَّ خادعاً وكان زواجهُ عرضة للالغاء. فاذا اعترف كل من طالبي الزواج للآخر بحقيقة حاله ولم يكتم عنهُ شيئاً ثم اتضح انهما مع ذلك لا يحجمان عن الزواج فذلك شأنهما وليس لاحد ان يتعرض لهما برأي او انتقاد لانهما يحملان تبعة عملهما ولو كان بعض اليوجنيين يذهبون الى ان هذا من شأن الامة ويجب ان تمنعهُ لتمنع تكاثر المرضى والمصابين بالعاهات

ومن دواعي الغبطة ان الامراض التي ثبت انها وراثية ليست كثيرة . ومن فساد الرأي ان يحجم المرء عن الزواج خيفة ان يورث نسله الديابيطس او حسر النظر او

ضعف الاعصاب او ما الى ذلك . فان هذه الامراض ليست وراثية . ولكنَّ عدد الامراض الجسمية والعقلية كثير جداً ومن المستحسن ان يستشير المقبل على الزواج طبيباً في امرها وان يبحث عن مصدرها وهل هي موروثة او طارئة وقد يكون من الحكمة في بعض الحالات تعمُّد احداث العقم والامتناع عن النسل بحيث يكتفي اذ ذاك كل من الزوجين بان يعيش مع زوجهِ محروماً لذة النسل ومعتاضاً عنها ببهجة العيشة المنزلية الراضية

اساليب العيشة الصحية

تقوم الحياة السعيدة في الزواج على اعتبارات عدة اولها واهمها ان يجري الزوجان في معيشتهما على نظام منطبق على شروط الصحة والحكمة . ولا يخفى اننا نعلم اليوم عن حقيقة الامراض وكيفية الوقاية منها اكثر مما كان اسلافنا يعلمون . واننا نحسب مقصرين اذا نحن لم نلازم جادة الحكمة في امورنا . ومن الواجب علينا ان نطبق العلم على العمل في كل ما لهُ علاقة بالغذاء والماء والنظافة والثياب والرياضة والهواء الطلق وغيرها

ومما يدعو الى الارتياح اننا قد وقفنا على اسرار كثيرة خاصة بالامراض العقلية وعلاقتها بناموس الوراثة وتربية النسل ولاسيما ما يصيب الجسم من الضعف بسبب الخوف والتوهم واضطراب الفكر . كما ان العلم قد اماط اللثام ايضاً عن علاقة الغذاء بالقوى العقلية وحدد المبادئ التي يجدر السير بحسبها والاستعانة بها على اجتناب المحن التي قد تصيب الزوجين او يصاب بها نسلهما . وليس يكفي أن يعيش المرء عيشة صحية فقط بل يجب ان يعنى ايضاً باساليب الوقاية من المرض ومن جملتها «التطعيم» بما يقي من الجدري والدفتيريا واستشارة الحكيم وطبيب الاسنان عند كل عارض . ومن الناس من يعتقد ان الافراط في الاهتمام بالشؤون الصحية مجلبة للمرض وهو خطأ لا يبررهُ الواقع

وهنالك امر آخر ذو شأن تجب مراعاته عند المرض وهو الحالة العقلية او النفسية في الشخص العليل . فكثرة التفكير في المرض قد تورث اعراضاً لا تختلف كثيراً عن المرض نفسه الاَّ في كون مصدرها العقل . ومن الاوجاع الطفيفة ما يصبح خطيراً اذا كثر الاهتمام بهِ . والغريب ان بعض الناس يفرطون في التفكير في اوجاعهم حتى ليخيل اليك انهم يشعرون بلذة في ذلك التفكير . وامثال هؤلاء يكبرون توافه الامور فيحسبون الخدش جرحاً والبثر الصغير خراجاً والرعاف نزيفاً والشامة سرطاناً والالم الطفيف كارثة وهم يشعرون بلذة باطنة كلما كثر اهتمام الناس بهم والتفاتهم اليهم فكأنهم يتمتعون بآلامهم ويجدون فيها سبباً من اسباب الغبطة

ان الصحة ليست غاية الحياة بل هي واسطة لبلوغ الغاية . والمرء لا يشعر عادة بقيام

اعضاء جسمه بوظائفها المختلفة . فالقلب ينبض والمعدة تنقبض والرئتان تتمددان والاعصاب تنقل الحواس والجهاز الهضمي يقوم بعمله—كل ذلك والمرء غير متنبه الى ما يجري في باطنه غير شاعر بما تحتاج اليهِ الاعضاء من تصليح وترميم

والرجل الذي يستلذ التفكير فيما يتوهمهُ من اوجاع يجد نفسه فريسة للافكار والخيالات المرعبة . فاذا طال بهِ الزمن اصبح ما يتوهمهُ من الامراض امراً اعتيادياً ونقص اهتمام الناس بهِ . وفي هذه الحالة تشتدُّ بهِ السوداء ويخيل اليهِ ان الناس لا يكترثون لامره ولا يهمهم ما يعانيهِ . وفي ذلك ما يستفزُّ حقده على الاجتماع وما يزيد في اوجاعه الموهومة . ومثله في ذلك مثل مدمن المخدرات لا بدَّ له من تقوية الجرعة التي يتناولها باستمرار حتى تفعل الفعل المرغوب . لانهُ اذا لزم مقداراً معيناً منها فلا يلبث حتى لا يشعر بفعلهِ

عناية الطبيب قد تزيل الهموم

على انهُ اذا كانت الحكمة تقضي بعدم المغالاة في التفكير في الامراض فانها تقضي ايضاً من الجهة الاخرى بعدم تجاهل الاعراض الحقيقية . وان صحة كل من الزوجين لذات شأن عظيم في نظر الآخر . ومن العدل ان يعترف كل منهما بما قد يهدد صحة الاسرة كلها لكي يتاح تلافي الضرر قبل وقوعه . ان طائفة كبيرة من مساوئ الزواج واسباب الشقاء ترجع الى علة أو عاهة في الجسم . فشدة الانفعال وسرعة الغضب وقلة الصبر ونقص الرزانة هي اعراض قد لا تدل على فشل الزواج او انقطاع حبل المودة بين الزوجين بل على ان احدهما يعاني مرضاً حقيقياً كالتهاب الزائدة او تقرح المعدة او عن خلل طارئ على احدى الغدد او . . او . . ففي هذه الحالة لا تعيد السعادة الى نصابها الا مديةُ الجراح

المرض امتحان خطير

والمرض امتحان عظيم يكشف مواطن الضعف او القوة في العقد الزوجي . فاذا كان الحب الذي يربط الزوجين حقيقياً فالمرض يقويه ويزيل جميع عوامل الخلاف والشحناء واذا لم يكن كذلك — أي كان مؤسساً على الشهوة وحب الذات — فان المرض يبرزهُ بحالته الحقيقية . ومن الازواج من قد لا يكون الحب عندهم كثير الظهور وفي هذه الحالة يكون مرض احد الزوجين بركة لانهُ يعين على اظهار ذلك الحب الكامن . وليس غريباً ان يكون الحب كامناً وان لا يقوى صاحبهُ على التعبير عنهُ فكأنهُ يقيم حول عواطفه اسواراً تحول دون الوصول اليها . وهذه الحال توهم المراقب عن كثب ان الحب ميت بين الزوجين فينشأ عن ذلك شيء من النفور الذي يسميهِ الافرنجة « سوء تفاهم » . فاذا اصيب احد الزوجين بمرض وقام الآخر بالعناية

به واظهار الحنان عليه ازال ذلك ما بين الزوجين من نفور وفتور

وليس ذلك فقط بل ان الاشخاص الممتازين بالافراط في اظهار العواطف والذين يغالون في الاعراب عما تكنهُ قلوبهم من الحب قد يوثق المرض اواصر حبهم ويزيد كلاً منهما تعلقاً بالآخر . ولقد يتفق ان تتوالى الامراض والمحن على اسرة من دون ان يكون ثمت سبب ظاهر . فينشأ عن ذلك شيء من الضيق قد يزيد في سوء حالة الاسرة ومصائبها . فمثل هذه الحالة قد تزيد في ارتباط الزوجين واشتداد اواصر الحب بينهما اذ عند الشدائد تعرف الاخوان . واذا مرض الاولاد واحتاجوا الى العناية في الليل والنهار واشتد الخطر ولاح ان حبل الرجاء ضعيف فحينئذٍ يبرز الحب من مكمنه وتظهر العواطف على أجلها . ثم ان الجهود التي تبذل في سبيل تربية الولد الوارث علة او عاهة من احد والديه تقوّي ربط المحبة بين الوالدين . فكأنَّ ذلك الولد هو صلة الموصول بينهما وهما يشعران بما عليهما من تبعة تربيته

والاهتمام بالولد العليل يجب ان لا ينقلب الى ما يشبه الشفقة . وكذلك العطف ايضاً يجب الفصل بينهُ وبين الشفقة . وكثيراً ما تكون المواساة رباطاً قويًّا بين الزوجين واما الشفقة فانها تفصل احدهما عن الآخر لانها تشعر بوجود تفاوت بين المشفق والمشفَق عليه . وليس أشقّ عليك من ان تكسب ودّ من اشفقت عليه

على ان المرض لا يقوّي بالضرورة الرابطة الزوجية بل قد يضعفها احياناً ولاسيما اذا كان ذلك المرض مزمناً يقضي بعزل المصاب وخدمته خدمة خاصة. وقد تكون هذه الخدمة عبئاً ماليًّا ثقيلاً على الاسرة يستنزف كل قواها . فضلاً عن ان مرض احد الزوجين مرضاً مزمناً قد يحول دون اشتراك كليهما في الاعمال والزيارات والحفلات التي تقتضيها الحياة الزوجية وهذه الحيلولة توسع شقة الفصل بين الزوجين فيستسلم المريض منهما الى مرضه ويلتمس الصحيح منهما مباهج الحياة عن غير طريقة الزوجية . وقد يقودهُ هذا الى ادمان المسكر والتماس اللذة الكاذبة عن طريق المخدرات وما قد يلي ذلك من العواقب

المشاكل الخاصة بالزوجة

ومن الاخطار التي تهدد سعادة الزوجين ما يرجع الى الخلاف الطبيعي بين الجنسين . فالرجل الذي قد كفتهُ الطبيعة عناء الحيض الشهري يجب ان لا ينسى تأثير ذلك الحيض في المرأة وما يكبدها من الجهد الجسدي والعقلي . فلقد ينشأ فيها شيئاً من الخمول او سرعة التأثر . وللحمل ايضاً — او للخوف من الحمل اثر عظيم في المرأة . ومن النساء من يكرهن الحمل وينظرن اليه نظرة الهلع كلما فكرن فيما يسمعنهُ عنهُ من غيرهن . وفي وسع

الرجل الحكيم ان يزيل ذلك الخوف من نفس زوجتهِ بان يفهمها ان الطبيعة التي نظامت الحمل لا يمكن ان تكون قد قصدت منهُ ايذاء المرأة . وان ما قد ينشأ عن الولادة من الحوادث التي تدعو الى الاسف انما هي بسبب خطإٍ في امكان كل حكيم عاقل ان يتلافاهُ

ومن دواعي الغبطة ان الحملِ هو سبب سرور عظيم لطائفة كبيرة من النساء اللواتي يرينَ في هذا النظام الطبيعي دليلاً على ما فيهن من قوة الخلق . اما غيرهن فيرين في الحمل عناء تسعة اشهر ويعانين من جرائهِ اضطرابات جسمية وعقلية ويستدقُّ احساسهن حتى يصبحن شديدات الانفعال لاتفه الاسباب . وفي الواقع ان طباع المرأة تتغير في اثناء الحملِ فيكثر اهتمامها بنفسها ويقلُّ اهتمامها بزوجها حتى لقد يخيَّل الى هذا انهُ اصبح نسياً مهملاً — على ان التبعة التي تقع على عاتق الرجل في اثناء هذه المدة عظيمة جدًّا . فاما ان يستعمل الحكمة فتقوى الرابطة الزوجية بينهُ وبين امرأتهِ . او ان ينكب عن جادتها فيؤدي ذلك الى اضطراب حبل الزوجية

ومن دواعي الاسف ان بعض النساء لا يتاح لهن ان يلدن لسبب من الاسباب مع شدة رغبتهن في النسل . وفي هذه الحالة قد يعمد بعض الاباء الى تبني طفل اجنبي . على ان الطفل المتبنَّى لا يمكن باية حالٍ ان يقوم مقام الطفل الحقيقي . والواجب يقضي على كلا الزوجين ان يستقصي اسباب العقم فقد يكون العقم لعلةٍ في الرجل او في المرأة او في كليهما معاً . بل لقد يسبب الرجلُ عقمَ المرأة

للرجل ايضاً ادوار

ان الانقلابات النفسية والجسمية التي تطرأ على المرء في الكهولة وتؤدي الى توسيع الشقة بين الرجل والمرأة ليست مقصورة على احد الجنسين فقط بل هي عامة في كليهما ولعمر الحق ان هذه هي مراحل الحياة الحاسمة . فالمرأة التي تجاوز سن الاربعين وتصبح سريعة الانفعال عليها ان تستشير طبيب الاسرة أو اي طبيب اخصائي اذ ليس من الحكمة ان تستسلم الى المؤثرات الناشئة عن ادوار الحياة المختلفة . ولقد توصل العلم الى معرفة الكثير من اسرار الغدد ومفرزاتها وما يتوقف عليها من النتائج التي تؤثر في كلا النفس والجسم . وقد يفلح الطبيب في ازالة عوامل الشقاء المخيمة على حياة الاسرة

ولعل اسوأ حالات النفس ما يعرف بالنورستانيا او انخفاض القوى والعصبانية (اضطراب وظائف الاعصاب) التي تنشأ عن الخوف والقلق . ومثل هذه الحالات تنشأ في الغالب عن المشادة التي تقع بين الزوجين او هي نتيجة الخلاف بين الحياة كما هي والحياة كما يريدها الزوجان — او بين الاماني الخيالية والحقائق . وقد تنشأ ايضاً عن

الحية في الزوج او النسل او المال . او عن الجهاد بين الاخلاص والواجب من جهة ودواعي الغرام من جهة اخرى. وهذا الجهاد عقلي يشتدّ بالنفس الى حدّ بعث على اليأس

جهاد النفس

والنفس في هذا الجهاد تبحث عن حلّ يسدّ رغباتها ويحتفظ بكرامتها ويبعد عنها ما يشين . وكثيراً ما يتفق في اثناء ذلك الجهاد ان ينشىء الفكر خللاً بدنيًا او علة تبرر مسلكاً معيناً . من ذلك ما يعرف عند الافرنجة « بصداع يوم الاثنين » الذي يدعيه التلميذ اذا اراد الانقطاع عن المدرسة يوم الاثنين الذي يلي عطلة الاحد . وكذلك ما يشعر بهِ أحد الزوجين من الجهد والاعياء اذا لم يرد الذهاب مع زوجهِ لزيارة اسرة معينة

فالشخص الذي ينتحل مثل هذه الاعذار هو عادة سريع التهيج دقيق الاحساس . وكثيراً ما يصاب بعسر الهضم او الارق او الصداع او ما اشبه من العلل . والطبيب الاخصائي في معالجة الامراض العقلية والنفسية يستطيع في مثل هذه الحالات ان يؤدي للمصاب خدمة جليلة

أما المصابون بالعصبانية (ارتباك وظيفة الاعصاب) فكأنهم يغتبطون بالمرض لانهُ يوجه اليهم الابصار ويحمل الذين حولهم على توجيه العناية اليهم — سواء أكانوا في حاجة الى تلك العناية ام لم يكونوا . والعصبانية تصيب الزوجة عادة ولكنها قد تصيب الزوج ايضاً . وهي تقتضي المعالجة وليس من الحكمة اهمالها بحجة انها ناشئة عن تهيج الاعصاب فان الشخص المصاب باعراضها لفي اشد الحاجة الى نصح الطبيب الاخصائي

ولا شك ان ادعى العلل الى الاسف هي العلل العقلية . فقد تصوّر الاوهام لاحد الزوجين اشباحاً غير حقيقية وتلقي في وهمهِ اموراً تقضى على هنائهِ وسعادة اسرتهِ . وقد ينقلب فجأة من طبع الى طبع كأنْ ينتقل من البخل الى التبذير ومن الرقة الى القساوة ومن الهدوء الى الاضطراب . ومثل هذا الانتقال كثيراً ما يكون نذير جنون مقبل ولذلك يجب توجيه العناية اليهِ

ومن دواعي الاسف ان القوانين الحالية في اكثر البلدان لا تبيح الطلاق في حالة جنون احد الزوجين . والعقل يقضي باباحتهِ اذا كان الجنون غير قابل للشفاء بشرط مرور زمن يكفي للحكم بانهُ كذلك . اذ ليس من العدل اذ يظلّ سليم العقل مرتبطاً مدى العمر برفيق حياة مجنون . وقد يكون ضعف الصحة سبب شقاء الاسرة في حالات كثيرة . وفي الواقع ان الصحة هي اساس سعادة الاسرة وهي مرتبطة بمعضلة الزواج ارتباطاً وثيقاً وتجد آثارها جلية في الوفاق بين الزوجين

أوراق الورد

رسالة الجاذبية [1]

آهِ لو أستطيعُ أن أُخرجَها   من زماني ، إنني لا أستطيعْ
آهِ لو أستطيعُ أن أُدخِلَها   في حياتي ، إنني لا أستطيعْ
قَدَرَتْ قُدرتَها فيَّ فلا   أستطيع قُدرةً ، لا أستطيعْ

***

كلُّ من يكذبُ في الحب قَدَرْ   إن أطاق الحبُّ واللهِ غَدَرْ
وصحيحُ الحبِّ حبُّهُ هَدَرْ   كلُّما يَستطيعُ أن لا يَستطيعْ

***

في عينيكِ يا حبيبتي سحرٌ ظاهرٌ بمعانيهِ يُلقي الحبَّ على من ينظر اليهِ
أهو سرُّ الضرورةِ الذي يُشعرنا من معانيكِ الرحيمةِ بمعانيك القاسية ؟
أم هو روحُ اضطرابٍ مجهولٍ أودعتكِ القدرةُ إياه ليخلق حولكِ العواصفَ القلبية؟
أم هو استبدادُ الجمالِ الذي خُصِصْتِ بهِ ليكونَ قلبُكِ وحدَهُ في قوة القلوب كلها ؟
أم هو ذلك المعنى الخالق الذي يُفيضُ على جمالتِكِ تميزَ جماتِكِ في شيء شيء وفي حُسْنٍ حسن ؟
أم أنتِ أنتِ وذلك السرُّ في عينيكِ معنى أنتِ ؟

***

دائماً يضيفُ وجهُكِ الى كلامكِ بلاغةَ الهية ،ولو نطقتِ بألفاظ القوة التي تُشبه أجراسُها صَلْصَلَةَ السلاح لخرجتْ من شفتيكِ متنهدة ، ولو تكلمتِ بأشد ألفاظ القسوة لذابت في حلاوة شفتيك ، ومتى نطقتِ باسمي خرج من فمك سكران . . .
أيُّ سرٍّ هذا الذي يجعلكِ على كل أحوالكِ تَفيضين بالقوة كأنما بُنِيتِ على شكل

---

(1) هذه الرسالة مما كتبه اليها وقد ردت هي عليها بكتاب غاية في الجمال سيراه قراء المقتطف في كتاب (أوراق الورد) الذي نقدمه للطبع ان شاء الله في اواخر هذا الصيف

لا يزال يجمعُها في نفسه ويبثُّها من نفسه ؟ إنهُ طابَعُ الجاذبية على القوة

وايُّ ابداع هذا الذي يُظهرك في محاسنك مَظهرَ كونٍ خُلق كلُّه من الزَّهر، وهو جميلٌ في مجموعهِ باجزائهِ وفي اجزائهِ بمجموعهِ ؟ إنهُ طابعُ الالوهية على المعجزة

***

حولكِ ما نحسُّهُ ولا نعرفُ منهُ الاَّ انهُ حولكِ وحسْبُ . والجوُّ الذي انتِ فيهِ ينعكس عن جمالكِ في صورة سحريةٍ فلو أنني طُفتُ العالمَ كلّهُ لرأيتهُ حولي أينما كنتُ وأبصرتُ وجهكِ دائماً أمام عينيَّ كأني محدودٌ بكِ في حدود مسحورة تَدَعُكِ حيث أنتِ وتَمضي معي حيث اكون

وما الوجودُ الاَّ انسيابُ قوى المادة بعضها في بعض .وفي هواكِ تنسابُ القوى من روحكِ في روحي ، فالاصلُ الذي بُني عليهِ الكونُ في منافعهِ بُنيتِ أنتِ عليهِ في محاسنك . كأنما يعرض قوانينهُ التي تحسُّ ولا تُرى في صورة منكِ تحسُّ وتُرى ، وتزيد على الرؤية أنها آخر حدود العشق ، وعلى العشق أنها اول حدود العبادة

أما والله لو ناديتك بغير اسمك يا حبيبتي لما وضعتُ لك الاَّ اسماً من معانيك ، ولو سميتكِ بهذه المعاني لما ناديتكِ الاَّ بهذا الاسم العظيم : يا نِسويَّةَ العالم . . . .

***

ناريةٌ في غير نار. آه من يفهم هذا ؟ ولكني أُحسهُ منك. حتى لا ارى جسمكِ الاَّ مضيئاً بالشباب والجمال . وتالله اني لاحسبكِ في بعض سُبُحَاتي ناراً مُدمّرة تُقذفين على قلبي منفجرةً فيهِ . ويشتدُّ بي الوجدُ وأضيقُ فما اظن الحبَّ الاَّ عداوةً ساخرةً تهزأ بالناس فتجيئهم متلطفةً في غير اسلوبها وعلى غير طريقتها ومن غير اهلها ، من الحبيب. من الحبيب على انها عداوة . . . .

أتلك تلك يا قلبي نارٌ وتدميرٌ وعداوة ؟ أم انت ترتجف من جاذبيتها على زلزلة لا تهدأ ولا تقرُّ ولابدَّ لها ان تتم عملها بطريقتها العنيفة ؟ إن فيها حركةَ الجذب وإن فيَّ حركةَ المقاومة فأنا المتألمُ بطبيعتي لأن انجذابي اليها إن هو الاَّ اصطدامُ معانيَّ بمعانيها واندفاع ما يَحطم الى ما يحطمهُ . ولكن يا لها من عجيبة ! ان هذه هي بعينها هي لذة الحب اذ كان تحطيمهُ فينا هو تغييرهُ فينا . وبذلك يجدّد الحياة أيامها واشياءها ومعانيها ويضع في كل امرٍ غراماً ويجعلُ لكل شيءٍ عيناً كحيلة . . . .

وراءك يا حبيبتي فكرة مختفية كأنك انت عَمَلُها على حين تظهر كأنما هي من عملك . أيكما يا ترى الخطر المستور بجماله ؟

مع جاذبية الالوان والعطور في ثيابك وحِلاك جاذبية اعطرُ وأزهى في مَلبَس معانيكِ من العواطف وفي ملبس روحك من الدلال . ولا يَعدِلك في هذه الفتنة الكاسية الا السماء في فتنتها للرجال الالهيين حين تلبس حرائقها من شفق الصبح

يا للجلال ! إذ تفسّرُ الطبيعة نفسها الغامضة بامرأة جميلة لتحقق بها في النفس العاشقة وهمَ الكمال الانساني المستحيل الذي يخيّل لها اندماجَ الكون بجلاله المظيم في ذاتية انسانية . ذاتية المحبوب المخلوقة على مساواة وتقدير من محبها لتجذبهُ وتفتنه فتخرج بهِ من حكم عقله فتنفذ اقدارها في اقداره فتعقد على اطراف حياته بعقدة عاطفة واحدة تستطيع بها المرأة ان تهزهُ من كل نواحيهِ بأيسر لمسة

***

انما الكون كهربائية ولا بدّ في الكهربائية من سلب وإيجاب ، فمن يدري لعل كلّ متحابين هما مظهرٌ كهربائي لا يحوطهما الا جوٌّ النفس المحترقة تشتعلُ بالضحكات كما تلتهبُ بالدموع ، لأن هذه وهذه مادةُ حب ساطعة في مظهرين . كاللهب تكون فيهِ مرة شدةُ الانبعاث فكأنما يضحك ، ومرة فترةُ الانطفاء فكأنما يبكي . ويقع الايجاب في السلب فيحدث الحب ، ويحدث فتكون الجاذبية ، وتكون فاذا انسانٌ بمعانيهِ قد احتلّ انساناً في مادتهِ فتتفاعل اجزاؤهما فان يكون الحبُّ والبغضُ منهما الاّ فوق الاعتدال ففي واحد تهارب اجزاء من اجزاء وفي الآخر يفنى بعضها في بعضها

انما هي قوة تلبَّست الصورة لتعمل بها عملاً في نفسها وتدلّ بها دلالةً في غيرها . ففي المخلص الشديد معناهُ فيكِ انتِ الحسنُ الخالص الفاتن . وتفكيري في محاسنكِ معناهُ فيَّ أنا خلق لغة الاشياء الجميلة ليتصلَ عقلي بحقيقتها

وإحساسي بكِ وحدكِ معناهُ في الوجود إحساسي بجمالهِ كلهِ

والآن وانا أكتب اليك تمثلين لي فأرى تقاسيم الحسن فيكِ فأقول : وما هذه التقاسيم البديعة ؟

ألا رِفقاً بالقلب الذي اجابني إنها تركيب المغناطيس الغرامي وتوزيعهُ في اماكنه على هندسة الجاذبية . رفقاً بالقلب الذي تحسبينهُ من جاذبيتك بالنظرة والكلمة والفكرة كأنهُ حولك لانك حوله . . . بالوحي ، والخيال ، والحسن

من اجل الابداع ، والسموّ ، والحب . انت في نفسك ، انت في معانيك ، وانتِ فيَّ

(طبق الاصل) مصطفى صادق الرافعي



اغرب الحقائق الطبيعية

الطبيعيات الجديدة تقلب الآراء القديمة

اذا اغليت لتراً من الماء زاد وزنهُ قليلاً عما يكون عليهِ حين تكون حرارتهُ على درجة الجليد وهذه الزيادة تبلغ خمسة اجزاء من مليون مليون جزء من اللتر. واذا جمد لترٌ من الماء قلَّ وزنهُ ثلاثة اجزاء من مليون مليون جزء مع ان حجمهُ يزداد. واذا اتحد مقداران من غازي الاكسجين والهدروجين لتوليد مقدار معين من الماء كان وزن الغازين اللذين اتحدا كذلك اكثر من وزن الماء الذي يتولد منهما والفرق يبلغ جزءا من ستة آلاف مليون جزء. والسبب في ذلك انهُ اذا برد الماء فقد شيئاً من حرارتهِ واذا اتحد الاكسجين بالهدروجين انطلقت حرارة عظيمة حين اتحادهما. ففي كلا الحالين ينطلق شيء من القوة من الجسم وللقوة جرم يفقدهُ الجسم بانطلاقها فيخفُّ وزنهُ

***

نحن نعلم الآن ان ٧٧٨ قدم — ليبرة من العمل (اي العمل اللازم لنقل ٧٧٨ ليبرة قدماً واحدة او لنقل ليبرة واحدة ٧٧٨ قدماً) تتحول مقداراً معيناً من الحرارة. ولكن العلماء منذ سبعين سنة وجدوا صعوبة في قبول هذا الرأي القائل بتحوّل العمل الى حرارة. كذلك يجد علماء اليوم صعوبة في قبول الرأي القائل بتحول الجُرْم الى قوة

***

تدلُّ الحسابات الرياضية الدقيقة ان الشمس تفقد من مادتها بالاشعاع اربعة ملايين طن كلَّ ثانية. وقياس ما تفقدهُ قياساً عمليًّا صعب جدَّ الصعوبة لاننا لا نستطيع ان نقيس النقص في جرم الشمس الاَّ بقياس النقص في قوة جذبها للارض وغيرها من السيارات. وقياس قوة الجذب يدلُّ على ان جرم الشمس اكبر من ان تدركهُ عقولنا فاذا استمرت تفقد من وزنها اربعة ملايين طنٍ كل ثانية مدة عشرة ملايين من السنين نقص جرمها بعد ذلك — او ضعف جذبها — جزءا من مليون جزء فقط

***

يلخص اينشتين الموضوع بقولهِ: اما ان نعترف بامكان تحول المادة الى قوة واما ان نخلى عن نظام الميكانيكيات الذي وضعهُ كپلر ونيوتن وكلارك مكسول وغيرهم

ورجال العلم لا يحجمون عن التخلي عن مذهب علمي اذا توافرت لديهم الاسباب التي تحملهم على ذلك . ولكنهم يرون ان نظام الميكانيكيات القديم مؤيَّد بالادلة العلمية والعملية . ولذلك تراهم مرغمين على قبول القول بتحول المادة الى قوة . وهذا الرأي من آراء اينشتين مستقلٌ عن النسبية . واذا كانت النسبية تؤيدهُ فذلك مما يدعمها

***

لقد مرَّ معنا انهُ اذا انطلقت القوةِ من جسم خفَّ وزنهُ . فاذا صحَّ ذلك فيجب ان يزيد وزنهُ متى اتتهُ قوة من الخارج . اي اذا كان الماء البارد اقل وزناً من الماء الساخن فالماء الساخن اثقل وزناً من الماء البارد. فاذا وضعت ابريق ماء على الموقد واشعلت النار تحتهُ فانت بفعلك تضيف القوة — الحرارة — الى الماء وبالتالي انك تزيد وزنهُ . واذا امررت تياراً كهربائيًّا في مقدار معيَّن من الماء وحللتهُ الى عنصريهِ الاكسجين والهدروجين فامرار التيار—أي اضافة القوة الى الماء — زادت وزنهُ لان وزن الغازين اللذين يتألف منهما مقدار من الماء اكبر من وزن الماء نفسهِ

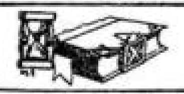
***

كنا نقول قبلاً انهُ اذا رفعنا جسماً من الاجسام مسافة مترٍ زادت قوتهُ الكامنة بسبب العمل الذي انفق في رفعهِ. اما علماء اليوم فيقولون ان الجسم المرفوع اكبر جرماً من الجسم نفسهِ وهو على سطح الارض اي ان بعض القوة التي انفقت في رفعهِ زادت جرمهُ. وكذا تخلى العلماء عن آرائهم المبهمة في ماهية القوة الكامنة واحلّوا محلها شيئاً يقاس ويوزن

فالمذهب القائل بان المادة لا تخلق ولا تتلاشى قد انقضى عهدهُ لان المادة تصير قوة ثم تعود القوة فتصير مادة .فالمادة لم تتلاشَ في الاول ولم تخلَق في الثاني ولكنها تحولت

***

ان توحيد آرائنا ومذاهبنا الطبيعية قائم على قدم وساق . وقد تكرر هـذا العمل في القرن التاسع عشر وما انقضى من القرن العشرين . ففي اوائل القرن التاسع عشر كان العلماء ينظرون الى كلٍّ من النور والحرارة والنور الفوتغرافي نظرهم الى وحدة مستقلة عن الاخرى . على ان كل الاشعة صارت في نظرنا الآن شيئاً واحداً والاختلاف بينها ناشئ عن طول الموجة فقط . وقد اضيف عليها من الطرف الواحد الامواج اللاسلكية ومن الطرف الآخر اشعة اكس والاشعة الكونية .فاز مكسول اولاً بتوحيد النور والكهربائية وتلاهُ اوهم وفراداي فوحّدا بين المغناطيسية والكهربائية ثم جاء اينشتين الذي وحّد اولاً بين الجاذبية وقوة الاستمرار ثم بيّن ان المادة والقوة وجها لوحةٍ واحدة



صور جديدة للأدب العربي

مناظرة الهمذاني والخوارزمي

«اذا أرت الدنيا نباهة خامل فلا ترتقب الا خمول نبيه»

—o:o—

« وأعان الهمذاني عليه قوم من الوجوه ، كانوا مستوحشين منه جداً ، فلاق ما لم يكن في حسابه» « الثعالبي »

أما أثر هذه المناظرة في الهمذاني فقد اوجزهُ الثعالبي في قولهِ : —

« فلما تصدى الهمذاني لمساجلتهِ ، وتعرض للتحكيك بهِ ، وغلب هذا قوم وذاك آخرون ، طار ذكر الهمذاني في الآفاق ، وارتفع مقداره عند الملوك والرؤساء ، وظهرت أمارات الاقبال على أموره ، ودرّت له أخلاف الرزق ، وأجاب الخوارزمي داعي ربه ، فخلا الجو للهمذاني »

وأما أثرها في الخوارزمي فكان كما يقول الثعالبي نفسه : —

« أنف من تلك الحال ، وانخذل انخذالاً شديداً ، وكسف باله ، وانخفض طرفهُ ، ولم يَحُلْ عليهِ الحول حتى خانه عمره ونفذ قضاء الله فيهِ ! »

والحق ان هذه المناظرة كانت أشبه بمبايعة قهرية من الخوارزمي للهمذاني ، فقد انتهت المعركة بمثل ما تنتهي اليهِ هزيمة الملوك ، وانتقل تاج الشهرة من رأس الى رأس !

ولعل أصدق مثل ينطبق على ما حدث بين الهمذاني والخوارزمي هو مثل السلحفاة والأرنب المشهور ، حين تراهنا على السباق إلى غاية ، فتهاون الارنب اعتماداً على سرعته وجدّت السلحفاة لتعوض ما فات من قوتها

فقد كان الخوارزمي حينئذٍ شيخاً قضى عمره بين حلّ وترحال ، ومضى على غلوائه في الاضطراب والاغتراب — كما يقولون — وشرّق بعد ان غرّب وخبر الدهر وأهليهِ ، وتعرض لكيد الرؤساء وغضب الزعماء . فلما تصدى الهمذاني لمناظرتهِ ، وهو حينئذٍ في سن الشباب — استخفّ بهِ ولم يعدّ العدة لمناضلتهِ ، وكأنما كان يتمثل قول القائل : —

« عذرت البزل إن هي غالبتني فما بالي وبال ابني لبون ! »

ولم يكن زهد الخوارزمي في مساجلتهِ بأقل من ولوع الهمذاني بها وتحرقهِ اليها ، لانهُ كان يرى فيها اكبر فرصة للظهور

ألا ترى إلى الهمذاني يبدأ بالتجني على الخوارزمي وتقريعه واتهامه بالجفاء والكبر [١] فيرد عليهِ الخوارزمي ردًّا كريماً يختمهُ بإظهار خطإِ الهمذاني فيما ذهب اليهِ من توهم الجفوة [٢] فلا يكون للهمذاني شاغل الاَّ استثارة الخوارزمي وتنقصه وعيبه في كل نادٍ ومحفل ، مرتقباً الفرص لمناضلتهِ وقهرهِ ، ليصل بذلك الى الشهرة من أقرب طريق. فاذا بدا لهُ أمل في الاجتماع بهِ ، حرص الهمذاني على تعجل الفرصة وسعى الى تحقيقها جاهداً خشية ان تفلت من يده . كما ينم على ذلك قوله : —

« واتفق أن السيد أبا علي نشط للجمع بيني وبينهُ ، فدعاني فأجبت ، ثم عرض عليّ حضور أبي بكر الخوارزمي فطلبت ذلك وقلت : « هذه عدة كنت أستنجزها . وفرصة لا أزال أنتهزها ». فتجشم السيد أبو الحسين وكاتبه يستدعيهِ ، فاعتذر أبو بكر في التأخر فقلت : « لا ، ولا كرامة للدهر أن نقعد تحت حكمه أو نقبل خسف ظلمه ، ولا عزازة للمواثق أن تضيعنا ولا نضيعها وتعينا ولا ندفعها ».وكاتبتهُ أنا أشحذ عزيمته على البدار، وألوي رأيه عن الاعتذار ، واعرفهُ ما في ذلك من ظنون تشتبه ، وتهم تتجه »

وهنا يقول الهمذاني :

« وقدنا اليهِ مركوباً لتكون قد الزمناهُ الحج وأعطيناهُ الراحلة ، فجاءنا في طبقة أفّ، وعدد تف

« كل بغيض قده اصبع وأنفه خمسة أشبار ! » الخ

ولم يكد يستقرُّ بهِ الجلوس حتى بدأ يستثيره الهمذاني ويتحرش بهِ إلى ان زجَّ بهِ في ميدان المساجلة . وانشدهُ الهمذاني ابياتاً كلها تهكم بهِ وزراية عليهِ وتنقص لأدبهِ

وقد اجاز الخوارزمي بيتاً للمتنبي كما اجازهُ الهمذاني ، وعاب عليهِ الهمذاني ما في نظمه من قافات مكروهة . فلما بدأ الخوارزمي يعيب عليهِ قوله :

« يا أحمقا ! وكفاك ذلك خزية جرَّبت نار معرتي هل تحرق ! »

ونعى عليهِ صرف كلمة « أحمق » أمطرهُ الهمذاني بسيل من السباب ، فقال :

« وأما أحمق فلا يزال يصفعك لتصفعه ، حتى ينصرف وتنصرف معهُ ! »

ومن العجيب أن الهمذاني يسبّه ما شاء أن يسبّهُ ،دون أن يقف في سفاهتهِ عند حدٍّ، ومن غير أن يراعى فضل الرجل أو شيخوخته ، ثم لا يخجل أن يقول لهُ بعد ذلك :

(١) ارجع الى (ص ١٥) من رسائل الهمذاني (٢) ارجع الى (ص ١٥) من رسائل الهمذاني

« يا هذا إن الادب غير سوء الأدب ، وللمناظرة حضرنا لا للمنافرة ، فإن نفضت عن هذا السخف يدك ، وثنيت عن هذا السفه قصدك ، وإلا تركت مكالمتك الخ »

فاذا انفضَّ المجلس طفق الهمذاني يروّج في كل مكان انهُ انتصر على الخوارزمي أيما انتصار وخذله أيما خذلان، ويرسل اليهِ في نفس الوقت رسائل الشوق والمجاملة والتحرق الى اللقاء ، ويوفد اليهِ رسلا يصلحونهُ واياهُ :

ولكن الخوارزمي يبعث اليهِ من يقول لهُ :

« قد تواترت الأخبار ، وتظاهرت الآثار في أنك قهرت وانى قُهرت ، ولا أشك في أن هذا التواتر عنك صدرت اوائلهُ ، والخبر اذا تواتر بهِ النقل قبلهُ العقل ، ولا بدَّ أن نجتمع في مجلس بعض الرؤساء نتناظر بمشهد الخاصة والعامة الخ »

واذن فقد بلغ الهمذاني إربتهُ ، واهتاج الخوارزمي فاندفع الى طلب المناظرة بلا تدبر ولا روية فبعث اليهِ الهمذاني بكلام ظاهره اعتذار وباطنهُ احتثاث على المناظرة واستنفار اليها

***

ومرت الايام ، ثم جاء اليوم المشهود ، وعقدت المناظرة في دار الشيخ أبي القاسم المستوفى الوزير ، بمشهد من القضاة والفقهاء والاشراف وغيرهم من سائر الناس

وهنا يبكر الهمذاني في الحضور ليتملق من حضر ويتودد الى الشهود بكل ما في وسعهِ ويدبر خطط الدفاع والهجوم تدبير الحاذق الذكي

قال . « وكنت أول من حضر ، وانتظرت مليًّا حضور من ينظر الخ »

فاذا رأى من بعض الحاضرين شيئاً من الانحراف عنهُ، تقرب اليهِ متملقاً ، كما فعل مع الشريف السيد أبي الحسين ، حين رأى منهُ جانب الاعراض فقال لهُ من كلام طويل :

« فإن كنت أبلغت غير الواجب فلا يحملنك على ترك الواجب ، ثم إن لي في أهل الرسول (ص .) قصائد سارت في البلاد ، وطارت في الآفاق ، ولكني أتسوق بها لديكم ، ولا أتنفق بها عليكم ، وللآخرة قلتها لا للحاضرة ، وللدين ادخرتها لا للدنيا ! »

فقال للهمذاني : — « أنشدني بعضها »

فأنشدهُ الهمذاني شيئاً مما قالهُ . فماذا حدث ؟ نترك للهمذاني نفسهِ روايتهُ ، قال :

« فلما أنشدت ما أنشدت انحلت لهُ العقدة ، وصار سِلماً ، يوسعنا حلماً الخ » وبذلك أصبح الشريف من أنصار الهمذاني ومؤيديهِ

وجاء الخوارزمي بعد أن تكامل العدد ، وتمت المؤامرة ، فقوبل بفتور ولم يكد يجلس

مكانهُ الجدير بهِ حتى طلب اليهِ الهمذاني أن يتخلى عنهُ الى غيرهِ . ووافقهُ الحاضرون على سفسطتهِ الفارغة . ولقد اخطأ الخوارزمي أشنع الخطأ حين رضي بالبقاء والمناظرة في مجلس مشبع بروح الخصومة واللدد. وليتهُ اتبع قول ابن المقفع في وصف صديق حازم: « وكان لا يدلي بحجتهِ حتى يجد قاضياً فهماً وشهوداً عدلاً » إذن لأَمن عواقب هذا الاندفاع والتسرع . ولكن

ألا يا قوم للعجب العجيب وللغفلات تعرض للأَريب

***

ولكن كيف انهزم الخوارزمي في المناظرة ؟

ليس لدينا غير مصدر واحد نعتمد عليهِ في ذلك غير رواية الهمذاني نفسهِ ، وهي رواية خصم عن خصمهِ لا تقابل بغير الحذر والانتباه ، وقد تعمد الهمذاني — بلا شك — أن يسجل فيها انتصارهُ مضاعفاً ، بأسلوب جديد من اقوى أساليب الدعاية ، ولو كان لدينا مصدرٍ آخر لتكشفت لنا جوانب كثيرة تعمد الهمذاني اخفاءها عنا ، ليزعم لنفسهِ الفوز كاملاً والانتصار حاسماً !

على أننا نلمح في كلام الهمذاني نفسهُ ، أنهُ قد انتصر على الخوارزمي انتصاراً ، الهزيمة خير منهُ ، وقد ذكرنا للقارئ طرفاً من تلك الأساليب العجيبة التي سلكها الهمذاني للتغلب على خصمهِ « الخوارزمي » الاديب الكبير وابن اخت الطبري المؤرخ الكبير

وهي أساليب نعدها دروساً قاسية في التهافت المستنكر على الشهرة وعواقبهِ ، فقد رأيتَ أنهُ لم يدع وسيلة من وسائل التهويش وتملق الحاضرين وارضائهم إلا أتاها

فلما انتهت المناظرة وأراد تسجيل ما حدث فيها كما شاء لهُ الهوى ، طفق يكيل المدح كيلاً لكل من لهُ خطر من الحاضرين حتى يأمن أن يكذبوهُ في شيء مما رواهُ . وطفق الهمذاني وأنصاره وخصوم الخوارزمي يذيعون في كل مكان أن الخوارزمي قد انهزم شر انهزام

***

ولكن ، هل كانت الهزيمة حاسمة !

ذلك ما نرتاب فيهِ رغم ما يؤكدهُ لنا الهمذاني ، ويصورهُ لنا في روايته التي ليس لدينا مصدر سواها . ونحن نعتقد أن الهزيمة — إن كان ثمة هزيمة — لم تكن شريفة ، وليست تنقص من فضل الخوارزمي . فقد كانت كل كلمة يقولها الهمذاني تقابل بالاستحسان

ويعرب الحاضرون عن رضاهم عنها بالقول والاشارة وانبساط الأسارير . وقد أحسن الخوارزمي في وصف خصمه بالشعبذة فلم يعن أحد بقوله . مع انهُ وصف صادق لادب الهمذاني في ذلك الحين . فقد طلب من مناظره مثلاً : ان يكتب كتاباً « خالياً من الحروف العواطل » وآخر « اوائل سطوره كلها ميم وآخرها كلها جيم » الى آخر هذه الأمور التي لا نرى أصدق في وصفها من كلة الشعبذة !

***

لقد كان الخوارزمي في سن الشيخوخة ، وقد احرز اقصى ما يتطلع اليهِ من شهرة ومجد ووصل الى ارقى منزلة تتسامى اليها نفس اديب ، وهي منزلة الزعامة ، وهو حينئذٍ قد اجتاز مرحلة الجدال والمهاترة والمباهاة بالخفف الى آخر هذه الاشياء التي يكثر منها الأديب الناشىء الطامح الى الشهرة ، وأصبح يأنف بطبعهِ من ذلك ، ولو حاوله — وقد فعل — لأخفق كل الاخفاق . ومثل لنفسك شابًا ذكيًا يواصل ليله بنهاره في الدرس والتحصيل وتطمح نفسه الى عظائم الامور ، يأتي الى زعيم من زعماء الادب في عصره فيناقشهُ في تلك القواعد التي تركها منذ زمن بعيد وانصرف عنها الى ما هو اسمى منها من الاهتمام بفلسفة الحياة ومثلها العليا ، فماذا تكون النتيجة ؟ !

فاذا سلمنا بانهزام الخوارزمي فليست هذه الهزيمة مما ينقص من مكانتهِ العالية عندنا ، فقد يكبو الجواد . وكثيراً ما صاحبَ التوفيق من ليس لهُ اهلاً ، وخذلت الظروف من هو أجدر الناس بالفوز . وربما أجبلت القريحة الوقادة كما حدث للحريري في موقفه المشهور . ومن الناس من يصلح للكتابة ولا يصلح للخطابة ، ومنهم من يلائمه الجو الهادئ ويؤذيهِ الصخب . ولقد تلعثم مثلاً أبو علي القالي — الاديب الكبير — وارتج عليهِ حين اراد الترحيب برسل ملك الروم في الاندلس واظهار مجد الاسلام امامهم [1] فهل دل ذلك على شيء اكثر من ان لكل مقام ناساً لا يصلحون الاَّ لهُ ، فلابي علي القالي التفكير الهادئ والبحث الأدبي المطمئن ، وتمحيص الروايات والاسانيد ، ولغيره الثرثرة والتأثير الخطابي على نفس العامة ، وليس في استطاعة احدهما ان يقوم مقام الآخر . وللهمذاني كذلك

(١) لما امره الناصر بالكلام حمد الله وصلى على النبي ثم ارتج عليه لهول المحفل وابهة الخلافة ، قالوا : « وانقطع وبهت ، فما وصل الا قطع ، فوقف ساكتاً مفكراً ، فلما رأى منذر بن سعيد البلوطي ذلك قام قائماً بدرجة من مرقاة ابي علي ، ووصل افتتاحه وخطب خطبة ضافية ». (ارجع الى نظرات في تاريخ الادب الاندلسي ص ٢٠٦) وقد كانت هذه الخطبة سبباً في رفع شأنه بعد ذلك كما رفعت المناظرة من شأن الهمذاني !

دولة الالفاظ يلعب بها لعب الماهر الحاذق بالشطرنج ، وللخوارزمي التوفق في التعبير عما يدور بنفسه من أدق المعاني وأخفى الخوالج ، وعرضها على الناس في أجمل معرض !

***

وجماع القول أن الخوارزمي كان يعتد بنفسه اكبر اعتداد ويحتقر الهمذاني ، ولا يرى فيه كفئاً جديراً بالاستعداد لمساجلته . بينما كان الهمذاني يعدُّ كل عدته في سبيل الانتصار عليه لأنه كان يرى في هذا الفوز ادراك اقصى غايات الشهرة ، وكان شهود المناظرة ممن يكرهون الخوارزمي ويميلون الى الزراية عليه والحط من شأنه كما قلنا . وقد بكر الهمذاني في الحضور واعد أركان الدفاع ورسم الخطط الهجومية ، واستمال الحاضرين بدعابته وظرفه ومدائحه ، وهيأ لنفسه كل اسباب الانتصار وقد كان الهمذاني قوي العارضة حاضر البديهة سريع الخاطر وهذه اقوى عدة يعتدُّ بها كل من يتصدى للمناظرة والجدل

***

بقي علينا أن نقول ، انصافاً للحقيقة

اننا نتكلم الآن عن الهمذاني وهو في زمن المناظرة ايام كان يطمح الى اغتصاب الشهرة اغتصاباً من أديب عصره الفذ « ابي بكر الخوارزمي » على اننا جديرون ان نقرر أن الهمذاني قد وصل بعد ذلك حين خلا له الجو — عقب موت الخوارزمي — الى منزلة إن لم تصل الى منزلة الخوارزمي فهي ليست جد بعيدة عنها ، ولا جرم انهُ لم يبلغ هذه المرتبة إلا بعد أن وجه همتهُ الى الادب الخالص والتعبير الصادق عن احساسه ،ولو عاش الى مثل سن الخوارزمي لما قصر عن شأوه . وربما مثل معهُ أحد الناشئين نفس هذه الرواية التي مثلها مع الخوارزمي — على أن كلا الاديبين — في التقصير والنبوغ على السواء متفق في العناية بالسجع والمحسنات اللفظية التي لا يرضاها عصرنا . وإن كان السجع قد أصبح لكليهما سجية ، وكان لا يجيء منهما إلا عفو الخاطر فلا تكاد تشعر بتكلف في صياغته ، لاسيما في كلام الخوارزمي المملوء حكمة وتعقلا

فإذا تعنت ناقد فعرض علينا شيئاً من سخافاتهما محاولاً اسقاط قيمتهما ، عرضنا لهُ أضعاف ذلك من حسناتهما ، وقلنا له : إن كائناً من كان ، لا يخلو من سقط

على أنهما كانا متأثرين بعصرهما في ذلك ،وقد حملا لواء الزعامة متعاقبين وكانا قدوة للناشئين من الأدباء كما كانا محل تبجيل اساطين الادب في ذلك العصر الحافل بالادباء

القاهرة　　كامل كيلاني



مشاهد مصر وفلسطين من الجو

اعظم الرحلات الجوية الحديثة

للسر الان كوبهام الطيار الانكليزي المشهور

كانت الحلقتان الاوليان في هذه السلسلة لاثنين من اشهر طياري العصر اولهما الجنرال نوبلي زميل امندصن في رحلة البلون نورج (مقتطف يناير وفبراير ١٩٢٨). والثاني الكومندر برد اول من بلغ القطب الشمالي عن طريق الجو واحد ابطال الطيران في اميركا (مقتطف مارس وابريل ١٩٢٨). وهذه الحلقة الثالثة لاشهر طياري الانكليز السر الان كوبهام لخصناها عن المجلة الجغرافية الاميركية الاهلية

١

اتيح لي في السنوات السبع الاخيرة من حياتي ان ازور كل عاصمة من عواصم الممالك الاوربية وان اخترق القارة الافريقية من شمالها الى جنوبها ومن شرقها الى غربها وان اجتاز البادية السورية الى العراق فالهند فبرما ومنها الى استراليا عن طريق رانغون وسنقافوره وجزائر الهند الشرقية. ومع ذلك لم امتط سفينة بخارية في اثناء تلك الرحلات الاَّ في اواخر سنة ١٩٢٧ حين زرت الولايات المتحدة الاميركية. لان كل رحلة رحلتها في السنوات المذكورة كانت على متن الطيارات . واشعر الآن ان ما احفظهُ من ذكريات الاماكن التي زرتها او طرت فوقها اكثر وضوحاً من ذكريات مسافر عادي يمتطي باخرة اوقطاراً او سيارة

في اوائل سنة ١٩٢٣ رحلت رحلة طويلة قطعت في اثنائها نحو ١٢ الف ميل على سبيل النزهة فزرت كثيراً من بلدان اوربا ومصر وفلسطين والجزائر ومراكش . وكان رفيقي فيها صديق قديم اولع بالسفر الجوي لانهُ يحسبهُ من اجلّ الوسائل لدرس الحضارات القديمة وآثارها

قمنا من لندن الى باريس ثم اخترقنا فرنسا الى شاطئها الفيروزي Cote d'Azur فطرنا فوقهُ الى ايطاليا ومنها الى بلاد اليونان فتسنى لصديقي ان يشاهد معاهد الخرافات اليونانية والرومانية ونحن سائرون فوقها من برندزي الى كورفو الى خليجي بتراس وكورنثوس الى اثينا . من اثينا اجتزنا البحر المتوسط الى الشاطئ الافريقي الى مصر ولما

كنا في مصر عزمنا ان نطير من شرق افريقيا الى غربها فقمنا من مصر الى مراكش في مراحل كثيرة كما يجيء ثم اجتزنا بوغاز جبل طارق الى اسبانيا ومنها عدنا الى فرنسا فانكلترا

رأينا اكمة الاكروبيلس اولاً من الجو فكان منظرها رائعاً. ولبثنا في العاصمة اليونانية بضعة ايام شاهدنا في اثنائها البارثنون والستاديوم الجديد وهو الملعب الذي بني على انقاض الستاديوم القديم حيث كانت تقام الالعاب الاولمبية . ولما اكملنا عدتنا للطيران من بلاد اليونان الى افريقية اصبحنا في اليوم التالي والجو صافٍ كعين الديك فطرنا فوق جزائر بحر ايجه وهي كالجواهر ترصّع سهلاً من الفيروز ثم مررنا فوق جزيرة كريت حيث ولد اول الطيارين في التاريخ

ففي الخرافات القديمة ان طائرين يدعيان ديدالس وايكارس صنعا اجنحة من الريش وحلقا في الجو فوصل ديدالس الى جزيرة صقلية طائراً واما ايكارُس فهزه الفوز بالطيران فحلّق في الجو حتى اقترب من الشمس فذاب الشمع الذي شُدَّ بهِ الريش الى الجناح وهبط الطيّار في البحر . ولحسن الحظ لم نصب بما اصيب بهِ ايكارس

فاننا غادرنا جزيرة كريت وراءنا حين اتجهنا الى السلّوم معتمدين على البوصلة المغنطيسية وبقينا طائرين ثلاث ساعات لا نرى الاّ الازرقين السماء والماء حتى تراءى لنا الشاطئ الافريقي عند الافق فالتزمنا السير في خط مستقيم حتى بلغناهُ فاذا نحن على ميل واحد من السلوم التي سدّدنا مقدم طيارتنا اليها .وهي مركز من مراكز الحدود المصرية على حدود الصحراء الليبية فرحب بنا مأمور المركز ودعانا الى العشاء فاجتمعنا عندهُ بمحافظ الصحراء الغربية وفي السهرة دار الحديث على مشاقّ الرحلة في الصحراء وذكر الحاكم انهُ مقبل في الغد على رحلة مضنية الى واحة سيوه تستغرق مسيرة يومين بالاتوموبيل

فراجعت الخريطة التي كانت في حقيبتي ووجدت ان سيوه واحة على مائتي ميل الى الجنوب من السلّوم في صحراء ليبيا . فاقترحت على المدير ان اطير بهِ الى سيوه فنصلها في ساعتين فقبل الدعوة شاكراً

نزلنا في سيوه او على مقربة منها على سطح ملحيّ متسع مستوٍ كل الاستواء حتى كأنهُ سطح مائدة من موائد البلياردو والظاهر انهُ كان قبلاً قعر بحيرة من الملح. ولما وقفت الطيارة رأينا قافلة من الجمال مستعدة لاستقبالنا والذهاب بنا الى البلدة وقد علمت بعدئذٍ ان الاوامر صدرت الى سيوه من السلوم بالتلفون لارسال هذه القافلة الى استقبالنا

وقد كانت سيوه الى زمن قريب ملوثة بجراثيم الملاريا ولكن العناية ببرك المياه الراكدة

واصدار الاوامر بتجفيفها او تحريكها مرتين على الاقل كل يوم او صبّ زيت النفط عليها منعت البعوض من التكاثر فيها فزالت الملاريا منها

الصحراء حول سيوه ليست كثباناً من الرمل الناعم بل تراب متحجر وفي كثير من الاماكن ترى الارض مستوية استواء صحن المسجد . وفي اليوم الثاني قبيل رجوعنا نقشت الحرف T في الساحة التي نزلنا فيها للدلالة على ان المكان صالح لنزول الطيارات . وقد قيل لي ان هذا الحرف لا يزول قبل انقضاء ٢٠ سنة لجفاف الهواء وعدم وقوع المطر الذي قد يطمس آثاره

شاهدنا في مرسى مطروح بحيرة ضحضاحة الماء جميلة المنظر . وقد قيل لي ان في بعض التواريخ ما يؤخذ منهُ ان كليوبطرة ومرقص انطونيوس كان لهما قصر في هذه الناحية . وبعدما طرنا من مرسى مطروح نحو ٣٠٠ ميل وصلنا فجأة الى الحد الفاصل بين الصحراء والدلتا الممرعة ولم نسر بضع دقائق حتى رأينا الارض تحتنا خميلة خضراء . ثم رأينا عند الافق قمتين علمنا من شكلهما انهما قمتا هرمي الجيزة الكبيرين فاتجهنا اليهما ولما وصلنا اليهما شاهدنا ايضاً على مقربة منهما الى شرقيهما الجنوبي اهرامات اخرى

من يطر فوق البلاد المصرية يدرك الى اي حدّ مصر ارض النيل وانها لولا هذا النهر العظيم لما كانت مصر على الاطلاق وقديماً قال هيرودوتوس « مصر هبة النيل ». وحين تشاهد النيل من الجوّ تحسبهُ نهراً من الخضرة النضرة يسيل في الصحراء القاحلة وفي وسط هذه الخضرة تلمع مياه النيل الفضية كالسيف المصقول

سرنا من القاهرة محاذين النيل الى الاقصر وقبل النزول الى الارض طرنا فوق وادي الملوك وطيبة وهيكل الكرنك وبعد نزولنا الى الارض قضينا اياماً نجول في الاماكن التي شاهدناها من الجوّ فكانت مشاهدتها الاولى مما ساعدنا على ادراك نسبتها بعضها الى بعض

الرحلة من القاهرة الى الاقصر بسكة الحديد تستغرق نهاراً كاملاً او ليلة كاملة ولكننا اجتزنا المسافة بطيارتنا في اقل من اربع ساعات . ومن الاقصر استأنفنا رحلتنا جنوباً فشاهدنا آثار اسنا وادفو حتى بلغنا جزيرة انس الوجود عند الشلال الاول وشاهدنا خزان اسوان العظيم وفي البحيرة التي تكونت وراء الخزان من خزن المياه رأينا هياكل «انس الوجود» مغموراً اكثرها بالمياه وقد كانت حتى بناء الخزان على اليابسة فوق حدّ مياه النيل

كان الصيف قد اقبل بحرّهِ فلم نشأ ان نعرض لهُ فيحمى محرك الطيارة ونضطر الى النزول في الصحراء على منأى من العمران فقررنا ان نستأنف سفرنا الى حلفا قبل فجر اليوم التالي فشاهدنا الآثار المصرية على ضفاف النيل واشهرها هيكل ابو سمبل المنقوش

في الصخر الحيّ وقد قام أمام مدخله تمثالان ضخمان لحراسته

ولما بلغنا حلفا عند الشلال الثاني حوّمنا حولها ثلاثاً ورجعنا الى اسوان فبلغناها بعد ما بقينا في الجوّ نحو خمس ساعات فتناولنا طعام الفطور في ساعة متأخرة ولو شاء السائح ان يسافر من اسوان الى حلفا ويعود اليها بالباخرة لاستغرق ذلك نحو اسبوع كامل

وفي عودتنا الى القاهرة طرنا فوق آثار ايدوس واذ نحن طائرون نمتع بمشاهدة الآثار الضخمة التي تحتنا شعرت بان محرك الطيارة غير منتظم الدوران فادركت في الحال ضرورة النزول الى الارض لاصلاح الخلل وكانت الارض تحتنا حمائل غنّاء تخترقها ترع الري فالنزول بالطيارة فيها محفوف بالخطر ولذلك اتجهت الى الصحراء فنزلنا على اطرافها سالمين ولم يمض على نزولنا دقيقتان حتى التفّ حولنا جمهور كبير من السكان فخفت على الطيارة ان تصاب بعطل ما من ازدحامهم حولها. ولحسن الحظ لم يلبث شيخ القرية ان جاء ليعرف ما الخبر فطلبت اليه ان يمنع الجمهور عن الازدحام حول الطيارة ففعل وللحال اكببت على اصلاح الخلل ولكننا لم نتمكن من استئناف الطيران الى القاهرة فبتنا في قرية قريبة من المكان الذي نزلنا فيه واستأنفنا الطيران صباح اليوم التالي فبلغنا القاهرة حوالي الظهر

ولما كنا في القاهرة عزمنا ان نزور فلسطين فقمنا من مطار هليوبوليس واتجهنا الى البحر الابيض المتوسط على حدود الصحراء الشرقية . وبعدما طرنا نحو ساعة ونصف ساعة دهشت لما رأيت باخرة تسير في الصحراء وتخترق الرمال فهبطت قليلاً واقتربت من الباخرة فاذا هي تسير في ترعة السويس التي لم ارها لاني نظرت اليها من مكان منحرف فخفيت مياهها وراء كثبان الرمال

وكانت هذه الرحلة الاولى التي رحلتها الى فلسطين فخطرت على بالي اقوال اسفار التوراة التي يؤخذ منها ان اسباط بني اسرائيل قضوا اربعين سنة في صحراء سينا قبلما جاءوا فلسطين التي تفيض لبناً وعسلاً فجعلت اراقب البلاد التي تحتنا كيف تحول الصحراء القاحلة الى ارض قليلة الخصب فيها بعض العشب والشجر ثم الى جنائن فلسطين الفيحاء . وطرنا فوق القدس الشريف يوم الجمعة الحزينة وفي يدنا توراة نستدل منها على الاماكن المشهورة وبعد ما حومنا فوق المدينة اتجهنا الى قرية بيت لحم ومنها الى وادي البحر الميت الذي يبلغ انخفاض قعره عن سطح البحر ١٣٠٠ قدم . ثم استأنفنا الطيران الى وادي الاردن فبحر الجليل ثم اجتزنا الاكام الى الناصرة ومنها الى الرملة حيث حططنا رحالنا لنزور الاماكن التي طرنا فوقها فلما زرناها رسخ في اذهاننا ان الطيران فوق بلاد قبل التجول فيها يمكن السائح من فهم جغرافيتها وتاريخها فهماً صحيحاً

مسألة اليوم

في سبيل العربية

ما بين الجمود والاصلاح

استعراضٌ نقديٌّ بقلم الدكتور احمد زكي ابي شادي

١ — تمهيد

بالامس القريب ثارت ثائرة الادباء في فلسطين لانّ صحيفة انجليزيةً أنشأت قسماً عربيًّا لها مكتوباً بالحروف اللاتينية . وأحسب انّ كل اديب عربي بعيد النظر لن يتردّد لحظةً في مشاركة اولئك الساخطين في شعورهم واحتجاجهم ، لان هذه هي الخطوة الاولى للقضاء على العربية ، وفي القضاء عليها قضاء على ما يتبعها من مقوّمات اجتماعيةٍ وادبيةٍ وسياسيةٍ نلوذ بها ونعتزّ ، ونتّخذها عماداً لنهضاتنا المتتابعة

لعلّ من خير الانسانية ان تكون لها لغة واحدة ، ولعلّ اللغة العالمية التي سوف تكون لها الغلبة هي الانجليزية — لسان العالم الجديد : مقرّ أسمى حضارة عرفها البشر ، ولسان الامبراطورية الانجليزية ، ولسان التجارة الدولية ، ولسان الثقافة والتعامل في شعوب ناهضة كثيرة كاليابان والصين والهند . بَيْدَ انهُ من خيال الخيال أن تتصوّر إمكان القضاء البات ّ على اللغات القومية ما دامت هذه اللغات وليدة معارف وحضارات وعقائد مبجّلة .وغاية ما يسوّغ لنا العقلُ تصوُّرَهُ إمكان ذيوع لغة ظاهرة ذيوعاً كافياً لتكون اللسان الاول للحضارة العالمية ، فيصبح تعلمها فرضاً على جميع الشعوب المتحضرة، دون ان يتعارض ذلك وواجبات تلك الشعوب نحو لغاتها الخاصة بها . وقد ذكرتُ آنفاً ان اللغة الانجليزية مرشحة قبل سواها (ولا استثني الفرنسية) لتبوُّء هذه المكانة ، وربما نالتها قبل شروق القرن التالي . وقد اصبحت الانجليزية بما تستوعبهُ من شتى العلوم والفنون والآداب كنزاً وفيراً لأنفس معارف الامم ، وصار التبحرُ فيها مغنياً في معظم الاحوال عن الألسنة الاوروبية الاخرى . ولكنهُ برغم ذلك لم يعرف قديماً ولا حديثاً عن امة من الامم التابعة للتاج البريطاني انها استغنت بهذه اللغة السهلة المرنة الزاخرة بالعلوم

والفنون والآداب عن لسانها القومي الرؤوم ، ذلك لانها تحسُّ انهُ وحده مستودع اسرارها واحلامها وآلامها

هذا مثلٌ نسوقه لنسوّغ بهِ تعلقنا (لا من جانب العاطفة وحدها ، بل من جانب المنطق ايضاً) بلساننا القومي ، دون ان تكون في هذا التعلق مسكة من التعصب المشين ولا ايّة مضادة لنزعتنا العالمية . وما من شكّ في ان اللغة العربية — وريثة الكثير من المدنيات القديمة — قد برهنت على استطاعتها ان تتكيف في اقطار شتى بلهجاتها وتعابيرها ذلك التكيف العجيب الذي يجعل حتى من صورتها الفصحى ألسنة قومية متعددة لافارق بينها الاّ في ما يسبغهُ عليها الذوقُ المحليُّ من الوان التعبير وما يكسبها من جرس خاص ترتاح اليهِ كل امة تتخذها لسانها القومي

فما تقدم يتجلى لنا ان محاولة القضاء على الخط العربي مثلاً لا تجدينا شيئاً لانها تجعلنا نفقد صلاتنا بالماضي وهو تراث ثمين لنا ، ولا تكسب الانسانية خيراً لانها لا تساعد على تعزيز اللغة العالمية المرتقبة فهذه بالغة منزلتها لامحالة بحكم الحاجة الماسة وبدافع الروح العالمية التي اخذت تسيطر على الفكر الانساني ، وكل ما سينشأ عن هذا العبث او عن هذه الثورة الناشئة لو نجحت هو افساد اصول العربية وتكوين لغة خلاسية جديدة لاثقافة لها تدعمها ، وهكذا نخسر خسراناً مبيناً من ضلالة الهوى

فاذا كانت هناك مسألة جديرة باتفاق المحافظين والمجددين على السواء فهي صيانة حرمة لغتنا وشخصيتها ، واذا كان الاختلاف بينهم مبعثهُ غيرة كل فريق منهم على كرامة هذه اللغة فأكرم بهذا الاختلاف واجمل بهِ

ومن رأيي انهُ لا يمكننا التهاون آمنين في ما يُدعَى بصغريات المسائل الخاصة بكيان اللغة وحياتها لان هذا التهاون — سواء كان في صورة الجمود او الاستهتار — متى بدأ بهذه المسائل الصغيرة تدرّج الى الكبريات وجنى على اللغة تدريجيًّا . فكلُّ عنايةٍ باللغة وان حُسبت صغيرةً ذات أثر في حفظ صحتها وترجيح حياتها . ومن اجل هذا تفرحني كلُّ عنايةٍ بها في المطبعة وفي الصحافة وفي التأليف شكلاً وروحاً ، عَرَضاً وجوهراً . لذلك لم تفتني الاشارة النقدية الى استعمال إحدى مطابعنا الشهيرة حروفاً قديمة للعناوين الجانبية لتكون بارزة الى جانب الحروف الجديدة (المقتطف م ٧٤ ص ٥٨٩) ، ومن أجل ذلك رحّبتُ بالمجهود الذي تبذلهُ الآن بعض مطابعنا الكبرى لاتقان صناعة آلات الصفّ الفردي (monotype) والصفّ السّطري (linotype) العربية ، ولهذا السبب سُررتُ بالعناية المطّردة الى تحسين الطباعة العربية كتابةً وترقيماً واخراجاً . وما اشك

في ان كثيرين من رجال القلم — فضلاً عن جمهرة القراء — يشعرون بمثل هذا الارتياح. فالعناية باللغة يجب ان تكون عناية عملية تطبيقية ، لاشقشقة لسانٍ رفيقة للجمود، ويجب أن تشمل جميع مظاهر الحياة للغة حتى يكون لها الاثر الاتم

٢ — سعة العربية

سمعنا تكراراً أنّ كلام العرب « لا يحيط بهِ الاَّ نبيٌّ » ، وأنّ ابنية اللغة العربية تتجاوز الاثنى عشر مليوناً من الكلمات على ما ذكر الخليل بن احمد ، وانّ الزّبيدي قدر أن عدّة مستعمل الكلمات العربية الكائنة فعلاً ومُهمَلها يربي على ستة ملايين ونصف المليون من الكلمات . وكلُّ هذا من قبيل المباهاة التي لا جدوى منها ، لاننا في غنى عن كلّ هذه الملايين من الالفاظ التي يمكن نحتها بغير اصول فنية ،والتي تستطيع اية لغة ان تجارينا فيها متى تطرّقنا الى باب النحت الصناعي الصوتي على غير اساس معقول سوى تركيب الحروف في صور كلمات ثنائية وثلاثية الخ . ! ولعلّ في معجم وبستر الاممي (Webster's International Dictionary) بكلماته التي لا تبلغ المليون عدًّا من الثروة اللغوية والذهنية ما يفوق في قدره دعاوى تلك الملايين الوهمية من الكلمات العربية ، وما هو أدعى حقًّا الى الفخر بهِ لدى اصحابهِ

فاذا شئنا ان نفتخر بسعة العربية فلنفتخر بثروة مترادفاتها ، وبمفرداتها الجمة الكفيلة بالتعبير عن عواطف النفس وخلجاتها ،وعن صنوف المعاني العامة كيفما كانت ومهما تعدّدت واستدقت،وعن تعابيرها المتنوعة الطيّعة لكلِّ مَنْ تذوّق بلاغتها وتعرّف روحها . ولكن هذا الفخر عمليًّا ، اي مقروناً بمواصلة الدرس لها وباستخراج كنوزها الى عالم النور . اما التشدق النظري بسعة العربية — ذلك الذي يقود الى الجمود ثم الى التعصب ضدّ التعريب كلما دعت الحاجة اليهِ — فليس من البرّ باللغة في شيء . ومن العبث التمثل بالجرمانيين ، فتلك نعرة اخذت تتضاءل امام روح الثقافة العالمية المتسلطة في هذا الوقت خاصة على الممتازين من اهل العلم والادب في جميع الشعوب الحية

لنؤمنْ اذن بسعة العربية الى حدٍّ ما ، عاملين على تداول الجميل من الفاظها المنسية وجمع المتفرّق الضائع منها ، مجدّدين ما شاء العصر في تعابيرها ، نازعين على الاخصّ الى ما يصح لنا ان نسميهُ بالاسلوب المتعادل (Neutral Style) — ذلك الاسلوب الذي يعبّر تعبيراً مستقيماً عن افكارنا وعواطفنا ومعارفنا بغير لغو او اسراف ، بحيث لا يشق نقلهُ في مجمله سواء اكان نثراً او نظماً ، تقريراً او شعراً ، من اية لغة الى اخرى دون ان يفقد بهاءه ما دامت القدرة على النقل موفورة

ومن العجيب انهُ لا يزال بيننا من يتحدث عن المفردات والاساليب الفصيحة الاولى حينما لا تعرف لهذه الاساليب القديمة الصرفة حياة صافية اكثر من قرن بعد ظهور الاسلام ، وهذه سنة النماء والتطور الطبيعية التي لا غضاضة فيها ولا ضير منها على اللغة ما دامت غذاءً لحياتها ، لا داءً متسرّباً الى كيانها. والفصاحة على أيّ حال مسألة نسبية في شتّى العصور، ولا يمكن ان يصونها الاستقرار والاغفاء حينما التطور العالمي ينادي بحاجات جديدة في كل شيء.

ولسنا الآن بحمد الله في عصر جهل وانحطاط كعصر المغول والتتر، بل نحن في عصر بعث اكيد، بل نهضة للغة العربية في معظم البلاد التي تعتبرها ألسنتها القومية، وما ذلك الاَّ بفضل التجدّد القوي والرغبة الصحيحة في نشر العلوم والآداب العصرية وإحياء القيّم العزيز من الآداب العربية الاصلية. وما دامت هذه النهضة يمدّها الاخلاص وحب الحق والتسامي بروح المعونة فهي متواصلة لا محالة، وسيعمّ خيرُها نسبةً مطردة النموّ — إن عاجلاً او آجلاً — من السبعين مليوناً بل يزيدون من الناطقين بالضاد. ولن تعرقل ذلك الاَّ نزعة الجمود والرجعية العمياء التي تحسب إعزاز اللغة في المباهاة بماضيها، حينما سعتها بل حياتها لا تتجلى بغير الاستعمال، ولا يكون الاستعمال بالاقتصار على تكرار القديم المعاد وانما يكون بخدمة الثقافة العصرية قبل سواها، لان اللغة اساسيًّا وسيلةٌ لا غايةٌ وإن تكن موضع تقديرنا ومحبتنا. ومن هذا نستخلص ان كل من يتعاون على جعل اللغة تستوعب معارفَ العصر وآدابهِ في غير جمود ولا استهتارٍ هو الذي يبرهن على سعتها بل يزيدها رحابةً، وهو اولى من سواه بالفخر، واجدر بان يُصغَى اليهِ في عطف ومؤازرة. كذلك نستخلص مما تقدّم ان كل حركةٍ تعادي الابتداع في النقل والتعريب — متى كان ذلك بايدي القادرين عليهِ — انما هي حركةٌ غاشمة تعتز بثروة مبهمة مدفونة لا يمكن الانتفاع بها، لان اللغة ليست معاجم ميتة بل هي ثقافة حية ذائعة الاثر تحملها المفردات والتعابير ولا يمكن ان تعيش الاخيرة بغير الاولى. وبهذا التطبيق وحده آمنّا بسعة العربية وليونتها وقابليتها للتجديد حينما دوّنت بها نفائس مدنيات شتى في غابر العصور شرقاً وغرباً، وحينما كانت أهلاً لإنجاب اعلام الفلاسفة وكبار العلماء وفحول الكتاب والشعراء المتصرفين اقدر تصرّف في اوضاعها استعمالاً واستحداثاً، اشتقاقاً وتعريباً. واذا كان الماضي في أحايين كثيرة مرآة الحاضر فنحن لا نغالي اذا اعتقدنا ان هذه الحرية المعقولة في التعبير وفي تطويع اللغة لحاجات الزمان والمكان والثقافة هي التي زادت العربية في الماضي سعة على سعة وحققت انها كائن حيٌّ، وهي الكفيلة في زمننا هذا بابلاغها كل ما نتمنى لها من مكانة وسؤدد

٣ — المجامع اللغوية

اذا تتبعنا تاريخ تكوين مجامعنا اللغوية على حداثتها وجدنا أن أقوى البواعث على تأليفها هو روح الغيرة على كيان اللغة ، ولكنها غيرة تتسم بنزعة المحافظة والرجوع بنا الى منابعها الاولى والتخلي عن الصلات العالمية ! والدليل على ذلك ان اكثر اعضاء هـذه المجامع هم من فقهاء اللغة التقليين الذين قد يعجزون عجزاً تاماً عن تطبيقها في مناحي العلوم والآداب، وبرغم ذلك تتصور الحكومات التي تقيم امثال هذه المجامع انها تكون خطيرة الاثر في الحياة الأدبية ، وانها سوف تجد من الادباء الذين يحترمون أنفسهم من يمكنهُ ان يستسيغ فيستعمل معظم بَلْـهَ كلّ المصطلحات التي تنشط الى وضعها هذه المجامع. ولن يشقّ عليّ ضربُ الامثلة الصريحة تبياناً لهـذه الضلالة ، ولكن ربما كان التلميح أكرم من التصريح في هذا الموقف . واذا صحّ ان نيّة الحكومة المصرية متجهة الى اتباع هذه الخطة العقيمة فان هذه الغلطة الجديدة سوف تستثير أسفنا المجدَّد على ضياع الوقت والجهد والمال . على ان ما اعتقدهُ في حصافة معالي لطفي بك السيد وحكمتهِ وترحيبهِ بكل ملاحظة وجيهة أيّاً كان مصدرُها يشجعني على بسط هذا البيان ، راجياً في الوقت ذاتهِ ان يكون ذا أثر خارج مصر وإن يكنْ ضئيلاً في أوله "

إذا اردنا أن نكون عمليّين جديين دون افتتان بالتّقليد فعلينا ان نذكر ان حاجتنا من المحافل أو المجامع اللغوية في العالم العربي إنما هي تجديد شباب اللغة بحالة دائمة مع مجاراة تطور الزمن ، ثم هي الى جانب ذلك قيمة على توحيد المصطلحات الفنية المستعملة في الامم العربية . فلها إذاً وظيفة مزدوجة ذات صلة وثيقة ببيئات أدبية وعلمية شتى ، دعْ عنك صلاتها بشعوب متعددة . ومن اجل كل هذا أُخالف من عملوا على ان تكون هذه المجامع هيئات معينة من قبل الحكومات ، وأرى ان تكون هيئات نيابية تمثل بيئات فكرية مختلفة تكون فيها عناصر الادب والعلم ممثلة خير تمثيل ، إذْ ما من تعيين الاّ ويكون غالباً موضع اعتراض وربما وُجد ما هو افضل منهُ . وبعبارة اخرى لا فائدة من مجامع تتسلط على بيئات الثقافة في شعوبها وتحكم فيها ، وانما الخير كلُّ الخير في هذه المحافل اذا مثلت تلك البيئات ، وكانت غايتها تضافر جهودها وتوحيدها ، ثم عملت من جهة اخرى على التعاون مع من تمثلهم

ولدينا في اللجنة اللغوية الطبية التي ألفتها (الجمعية الطبية المصرية) مثال جدير بالاحتذاء من البيئات العلمية والادبية الاخرى . فمن الخير لنا ان توجد لجنة لغوية هندسية ، واخرى زراعية ، وغيرها صناعية الخ . ومن الفائدة المحققة ان توجد جمعية قوية لخدمة

فقه اللغة وأدبها العام . ومن هذه الهيئات القوية التمثيلية تستطيع الحكومة المصرية أن تطلب ارسال مندوبيها أعضاء في المجمع اللغوي العام، على أن يُجدَّد انتخاب هؤلاء المندوبين أو سواهم في مدد معينة . فاذا تحقق ذلك كان لمثل هذا المجمع كلمتهُ المسموعة في جميع دوائر العلم والأدب التي يُعتَدُّ بها ، لانهُ يمثل روحها الناهضة ولا يتحداها باملاء ارادتهِ العمياء عليها

إن مجمعاً لغويّاً يؤلف بهذه الصورة يكون حقاً ذا قوة معنوية عظيمة ، لانهُ بمثابةِ هيئة تمثيلية لخير الكفايات اللغوية بين اهل العلم والادب ، وبهذه الخاصية يكون اهلاً للاحترام الكلي من كل جانب ، فبناه خادم جميع هذه الهيئات إذاء ممثلها المبجّل لانهُ رمز تضامنها وتعاونها ووحدتها المعنوية والفعلية . عليهِ ان يكون ذا صلة مستمرة بالهيئات التي عاونت الحكومة على تأليفهِ ليعبر عن آرائها وينفذ مقترحاتها ويعمل على التوفيق بينها بقدر الاستطاعة ، وعلى هذه الهيئات ان تمدَّ المجمع بنتائج بحوثها الخاصة وثمار جهودها ، وأن تضنَّ بتنفيذ مقترحاتهِ ايضاً ، وان تحترم قراراتهِ ، وبذلك يكون التعاون متبادلاً معقولاً ونتائجهُ محترمة مكفولاً لها التنفيذ والحياة كما هو شأن النُّظم التمثيلية القوية البعيدة عن ثائرة الاهواء الوقتية . وعندي ان مثل هذا المجمع هو الحلُّ الوحيد المعقول لمشاكلنا اللغوية الموزَّعة بين شتى الهيئات التي لم يجمع بينها حتى الآن روح التعاون. وقد مضى ربع قرن بل يزيد في التحدث عن المجامع اللغوية فلم نظفر في الماضي ولا في الحاضر في اي قطر من الاقطار العربية بمجمع شامل قوي الاساس قوامه التمثيل الصحيح لنواحي الثقافة لا الرغبة الشخصية لحاكم او وزير. وهكذا ما يزال العالم العربي محروماً تأليفَ الأكاديمية النيابية التي تستطيع وحدها ان تكون بعيدة الاثر في جميع فروع العلم والادب سواء مباشرة او غير مباشرة .وفي مقدمة الدوافع التي تحفزني الى كتابة هذه السطور ان اتوسل الى ذوي الرأي والنفوذ في الاقطار العربية أن ينظروا نظرة حرة جديدة في تهذيب المجامع الكائنة وذلك على اساس تمثيل الكفايات اللغوية بين اهل العلم والادب ، وأن لا يقدموا على تأليف سواها على غير هذا الاساس

٤ — مشكلة الترجمة والتعريب

ننتقل الآن الى مشكلة الترجمة والتعريب المرتبطة أشد الارتباط بالمجامع اللغوية فنقول إن الوهم الشائع هو أنَّ حلَّ هذه المشكلة مفتاحهُ تأليفُ مجمع لغوي في كل قطر عربي يقوم بوضع المصطلحات، وما على المعربين والمترجمين بعد ذلك الَّا متابعة قراراتهِ وارشاده ! وبغض النظر عن استحالة تنفيذ ذلك جهداً وزمناً بواسطة هيئة معينة اعضاؤها محصور

عددهم وكفاياتهم فما لاشك فيه اننا نبني هنا على غير اساس صحيح، ونخلق للترجمة والتعريب مشكلة حيث لا توجد في الواقع مشكلة الا من جراء اضطرابنا وعدم نظرنا الى الامور نظراً مسدّداً حتى التبس علينا الامر فغابت عنا الحقائق . إن عقدة المشكلة محصورة في تعوُّد شيوخنا التقاليد غير النيابية ، وافتتانهم باصدار المراسيم واملاء رغباتهم ، ولو انهم بدأوا بالاساس المتواضع السليم لما تعقّد البناء ولما شقّ الاستمرار فيه . وبرغمي ان التفت ثانياً الى الوراء فأقول مكرراً ومفسّراً إن عماد الترجمة والتعريب والتأليف جملة هم المترجمون والمعربون والمؤلفون لا فقهاء اللغة النظريون . فلو اننا عنينا بتكوين الهيئات العلمية الادبية التي اشرت اليها سابقاً من الرجال الاكفاء الضليعين الذين يعملون للعلم والادب لا لذواتهم ، والذين يعتبرون من الواجب عليهم الاتصال الكلي ببيئاتهم ليستمدوا منها دائماً روحَ التجديد — لو اننا عُنينا حقّ العناية بهذا الاساس لسهل علينا بعد ذلك حل مشكلة الترجمة والتعريب لانها في الواقع جزء من كل ، وهي مترتبة حتماً على تكوين ذلك الاساس . ستكون تلك الهيئات بمثابة لجان خارجية عاملة وسيكون المجمع المستمدُّ منها واسطةَ عقدها ، في حين ان ما خالف ذلك من نظام امرٌ غير طبيعيٍّ ولا يناسب احوالنا وحاجتنا على اقل تقدير : اذ ما معنى تعيين اعضاء المجمع اللغوي تعييناً ثم تقسيم اعضائه الى لجان داخلية ومطالبتهم بتكاليف لا قبل لهم باحتمالها الاّ مكابرةً ، وارتقاب جولاتهم في مصطلحات العلوم والآداب وهم مهما عظموا ضعاف بمفردهم ، مقطوعو الصلة بهيئات او بيئات محترمة لا يمتون اليها برابطة من التمثيل المباشر ، وبذلك يستهدفون للتقصير والتحدي ايضاً ؟! لو اننا عُنينا خير عناية بتكوين ذلك الاساس وبُنيت عليه المجامع القوية لما بقي علينا سوى ربط هذه المجامع (التي تمثل اقطار العالم العربي) بعضها ببعض عن طريق المراسلة وعن طريق المؤتمرات السنوية . ويسرني ان اقول ان اساس هذه الفكرة التي عرضتُها من قبل على لجنة توحيد المصطلحات العلمية في الطب والعلوم المتصلة به قد لاقت تعضيداً اجماعيًا بحيث عُهد الى شاعر القطرين الاستاذ خليل بك مطران بالترويج لها والدعوة الى قبولها في اثناء تجواله بلبنان وسورية في هذا الصيف

هذه هيئةٌ محترمة تجعل اساس نشاطها المبارك احترام آراء المتخصصين من اهل العلم خارجها برغم كونها في جملتها مؤلفة من ادباء متخصصين في فروع علوم الطب ، فتريد ان تعبر عن آرائهم وأن توفق بينها لا ان تكون آمرة مطاعة فيهم : وتوافق من جهة أخرى على الاتصال الوثيق بنظيراتها من الهيئات المتخصصة في الاقطار العربية الاخرى ، حتى تضمن

بذلك التوحيد الاتم لجميع جهودها المشتركة فتتضامن الفائدة وتهون الصعاب وتحل بذلك في جملة ما يحل مشكلة الترجمة والتعريب

***

ترجع هذه المشكلة المصطنعة إذن الى النزعة الفردية التي لا تحترم غيرها وتعيش مع الغابر اكثر من مصاحبة الحاضر ، فتنسى اننا في زمن تسود فيه النزعة العالمية والاتفاقات الدولية في اهم مرافق الحياة والفكر والعلم معاً ، بحيث اصبح من السخف ان ننهج منهج الاسلاف في شؤون كثيرة مهما بلغ احترامنا لجهودهم العظيمة بالنسبة لازمانهم

فاما عن الترجمة الادبية فلا غبار على ترسّمنا نهج السلف وتنكبنا عن الاوضاع الشاذة أو المبتذلة ،ولا حاجة بنا الى التعريب الاَّ حينما دعت الضرورة الى ذلك، بيد أن للادباء الناثرين والناظمين قبل سواهم حقّ تقرير هذه الحاجة ، وليس لمن يتصدَّرون للامامة اللغوية حقّ الامر — وان كان لهم حقّ الافتراح — ما داموا هم ابعد الناس عن تعرف هذه الحاجة بدليل انقطاعهم عن استعمال اللغة استعمالاً تطبيقيًّا واسعاً ، واقتصارهم على الفتاوى في اسرارها ، وليس هذا وحده كافياً للمعونة على اختيار النهج الاسد في الترجمة الادبية دع عنك صياغة التعابير العصرية المناسبة في فنون الادب . وهنا لا بدَّ لي من الاشارة الي التهاون الشائع في الترجمة اذ اصبح كثيرون يعدون الترجمة والتضمين العام شيئاً واحداً ، وهـذا يقضي على روح الامانة في النقل خصوصاً في ترجمة الشعر ونفائس الآداب الغربية ، ولم تسلم من هذا التشويه والعبث حتى آثار شكسبير !

واما عن الترجمة العلمية فأرى انهُ لا بدَّ من تقسيمها الى قسمين :

(١) الترجمة المقصود بها تنوير الجمهور المتعلّم الذي يطلب العرفانَ لذاته ويريد ان يلمّ بالجديد في العلم إلماماً عامًّا ، وهذه ينبغي ان تكون جامعة للكثير من مترجمات الاصطلاحات بلغة سهلة ، دون التشبث بالاصطلاحات العلمية الدولية الا عند الحاجة القصوى . وفي هذا المجال قد نستفيد من معارف فقهاء اللغة في المجامع الرسمية وفي الهيئات الخارجية ايضاً ، وان كان العلماء المتخصّصون انفسهم لم يفتهم الالتفات الى خدمة اللغة من هذه الناحية ، وجاؤوا بمرادفات مترجمة قيمة جديرة باحترام فقهاء اللغة في عصرنا كما كان اسلافهم من قبل يحترمون نظائرها في عصورهم . واحسب انهُ لولا هذا الاحترام للاصطلاحات التي يجيزها المتخصصون ويستعملونها لماكان لابن سيده مثلاً ان ينجح في تأليف موسوعته (المخصص) .فعلينا إذن ان نرحّب بجهود الكرملي والسكندري وتيمور وجبر ضومط ومعلوف والمقدسي وغيرهم من ائمة اللغة في هذا المجال الرحب كما قدرنا من

قبل جهود دار العلوم ، ولنا اسوة في ذلك أساليب المجلات العلمية الذائعة بين جمهرة القراء مثل مجلة (Popular Science) ومجلة (Armchair Science) وغيرهما ، دعْ عنك المصنفات العلمية العديدة المكتوبة بلغة الشعب المتعلم لجمهور المطلعين. واني اخالف الذين يحسبون من الحذلقة الكاذبة الاهتمام بوضع كلّ ما يُستطاع من مرادفات العديد من الالفاظ العلمية سواء ترجمة او تعريباً على القواعد المألوفة ، لأنّ لكلّ هذا فائدتهُ في تربية الجمهور فضلاً عن خدمة اللغة ذاتها ، واعدُّ من الخيانة لكرامة اللغة وتراثها العظيم التهاون في هذا الباب ، بل الأولى بائمة اللغة ان يتواروا خجلاً اذا هم قصّروا في هذا الواجب وتركونا عالةً على ألسنة الغرب في غير ما حاجةٍ الى ذلك ، فنصبح عاجزين عن نشر المعارف ببيان فصيح بين الآلاف المتشوقين الى اغناء معارفهم .وقد كان رجال اللغة من المقصّرين فعلاً في مواقف كثيرة بحيث ان اكبر الفضل في خدمتها يرجع الى مجلاتنا المحترمة قبل رجوعه إليهم نظراً لتقاعد معظمهم وتهاونهم السابق، بينما هم لا يعترفون بفضل هذه المجلات العميم في خدمة اللغة ، وهكذا كان موقفهم — للاسف — سلبيًّا ، وتبرّعاً لا حدّ لهُ بالنقد الهادم !

(٢) الترجمة العلمية الصميمة ، وهذه ينبغي أن تكون بأيدي العلماء المتخصّصين البصيرين باللغة ، بحيث يعَدُّ من التطفّل غالباً تدخّلُ فقهاء اللغة بالحكم الجازم فيها. ولقد كانت للمجتهدين من علماء السلف طرائق شتى في الترجمة والتعريب وفي وضع المصطلحات، ولكنّ كلّ هذا انقضى زمنهُ وأصبحنا ازاء الترجمة العلمية الصميمة مقيدين بقيود من الثقافة الدولية أقرّها العلماء في كلِّ امةٍ متقدّمةٍ فأصبح من الفضول على العلم أن يعيها ويتعرض بالاستهزاء لتفاصيلها من ليس من أهل العلم الصميم

ولا تعني الترجمة العلمية الصميمة الانتصار للعامية في الديباجة كما يتوهم بعض النقاد ، — وان كانت العامية في ذاتها موضع تقدير حتى في الادب الصرف كاساس لانواع من الاشتقاق والتعابير المستحدثة في الغرب ، وفي مقدمة أنصارها الكاتب العصري المشهور المستر كومبتون ماكنزي — فان فصاحة الديباجة السلسة مما يجب أن يُتوخى في العلميات والادبيات على حدٍّ سواء ، ولكنها تعني الانتصار المحتّم لنظام الاصطلاحات الدولي الذي يقضي بتضحية النزعات الاقليمية الخاصة فضلاً عن النزعات الفردية في سبيل توحيد المصطلحات العلمية في جميع البلاد ، بحيث أنّ من يتبع ذلك النظام تكون اصطلاحاته مفهومةً في جميع الدوائر العلمية في العالم. وقد كانت الفوضى ضاربة أطنابها في التسمية حتى في نفس اوربا في علم الحيوان مثلاً حيث توجد آلافٌ من العائلات والاجناس

والانواع الحيوانية حتى جاء لينيوس Linnaeus واقترح لنا سنة ١٥٧٨ م اساسَ القانون الدولي المتبع الآن في وضع اسمائها ، وأهمُّ ما يعنينا منهُ أن العائلات الحيوانية (famlies) يجب تحديدها ، وان هذه العائلات تقسَّم الى أجناس (genuses) وأنواع (species) الخ . ، وأننا اذا ما وضعنا اسماً لحيوان مكتشف حديثاً فيجب بعد تعرُّف عائلتهِ ان لا نكتفي بوضع اسم مفرد اللفظ لهُ ، بل يجب ان يكون اسمهُ مؤلفاً من اسم جنسهِ + اسم نوعهِ + اسم مكتشفهِ + تاريخ الاكتشاف . وبهذه الطريقة امتنعت الفوضى بتاتاً في هذا المجال . ولدينا الى جانب ذلك اتفاقات دولية حديثة نسبيًّا للاصطلاحات في علم التشريح وعلم البكتريولوجيا وغيرها ، وكلها تعتمد على اللغتين اللاتينية والاغريقية في الاشتقاق باعتبار ان هاتين اللغتين أصبحتا ملكاً للعالم وتراثاً من ثقافتهِ القديمة ، وليستا خاصتين بشعب من الشعوب او بفريق منها . فاذا كنا ننظر الى مهجور اللغة العربية كتراثٍ للاشتقاقات الادبية فلا يمكننا ان نعيش بمعزل عن العالم العلمي في التنكب عن قواعدهِ للاشتقاق العلمي ، والاَّ كنا أشدَّ الخاسرين . واحسب ان هذا موضوع مفروغ منهُ في نظر كل مشتغل بالعلم اشتغالاً صحيحاً وإن كابرَ في ذلك مَنْ ليسوا من أهله ، ولا بدَّ من مراعاتهِ في وضع المعاجم المستقبلة وما اكثر حاجتنا اليها والى تنوعها وتعدُّدِها في جميع فروع العلم والادب

ولا تقتصر الحاجة في مجاراة العالم العلمي على اتّباع صيغ التسمية المتفق عليها ، بل تشمل حتماً تعريب طائفة من النكرات التي هي بمثابة اسماء جنس وهذه لا يمكن ترجمتها بل لا بدَّ من الحرص على اصولها ثم الاشتقاق منها . وكذلك بعض صيغ جديدة معرّبة للنسبة (وقد استُعملت هذه الصيغ سابقاً في علم الكيمياء ، وآن استعمال نظائرها في علم البكتيريا وفي علوم اخرى) لانها تساعد على تحديد صفات المركبات او منزلة المسميات . ففي كلّ هذا يكون الجمود اللغوي خيانة للعلم ، كما انَّ تهيُّبَ استحداث المرادفات في اللغة الادبية للعلم العام خيانة للغة . وكما انهُ لا يحق للعالم أن يعترض على الادباء اللغويين لتصرّفهم هذا في مجالهم ، فكذلك لا يحقّ للاخيرين أن يعترضوا على ما لا يعنيهم في مجال العلم الصرف ما دامت أساليب لغة التعبير العامة مرعية محترمة

ومتى كانت هذه القواعد الاساسية ملحوظة مقدسةً لم يبق الاَّ الاتفاقُ على التفاصيل وعلى تنظيم مناحي النشاط الادبي والعلمي ، وهكذا تستطيع أن تتضافر الهيئات النيابية المتخصصة والمجامع اللغوية الممثلة لها ، فتخدم بذلك اللغة والعلم والأدب في آن اجلَّ خدمة وأبقاها

الى الفرد ده موسه

صاحب الليالي

يا شاعر الليل والآلام والسقمِ هاجت لياليك ما اخفيهِ من ألمِ
تغلغلت في دماغي روحها وسرت منهُ الى القلب فاحتلت عروق دمي
انا نظيرك رهن البؤس من صغري ومنهل الحزن والاسقام والنقمِ
لهف النفوس على الآهات ترسلها وويلها يوم تطويها يد العدمِ
هذي الليالي ليالي الدهر مظلمة اما « لياليك » فالمشكاة في الظلمِ
لم الفِ قبلك محزوناً على فمهِ في معمعان الشقا سيماهُ مبتسمِ
ولا سجيناً ظلام السجن يطربهُ ولا جريحاً يغني اطيب النغمِ

***

يا شاعر الحب والاحلام والاملِ جنت عليك لحاظ الاعين النجلِ
طوحت بالنفس مدفوعاً بشهوتها وغصت في لجج الآثام والخطلِ
سئمت دنياك فاستأنفت مرتحلا يا ويح نفسك في حلٍّ ومرتحلِ
طلبت من نزوات الحب آلمها وعدت ترقب عقباها على مهلِ
ورحت تطلب بالآلام مرحمةً فلم تعد بسوى الخذلان والفشلِ
شفت لياليك عن روح معذبةٍ تعالج اليأس بالآلام والاملِ
يا اسعدَ الخلقِ في يأسٍ يكابدهُ لي من عذابك سلوى اليائس الجذلِ

***

يا شاعر الاملِ الممزوج باليأسِ ضاعت حياتك بين الطاس والكاسِ
يا لهف قلبي على نفسٍ مسهدةٍ اذابها فرط ايلامٍ واحساسِ
هذي « لياليك » شعر الكون تجمعهُ وان تكن تلتظي من حكمهِ القاسي
نظمتها وسط آلامٍ مبرحةٍ وهي التي تبعث الآمال في الناسِ
شكوت في الارض بؤساها ومحنتها أتشتكي في ديار الخلد من باسِ
يا ثورةً من جيوش الياس دامية فلّت جيوشك طاقاتٌ من الآسِ
يا نسمةً من رياح الحب وادعةً لقد تلاشيتِ انفاساً بانفاسِ

الكلية الوطنية في الشويفات — سمعان الدبس

آلة العيش صحة وشباب

الغدد واعادة الشباب

واذا الشيخ قال افٍّ فما ملَّ حياةً وانما الضعف ملاّ
آلة العيش صحة وشباب فاذا ولَّيا عن المرء ولّى

الا ليت الشباب يعود يوماً فاخبرهُ بما فعل المشيب

هكذا يتغنى الشعراء ! ما ابلغ ما يتغنون بهِ وما اوقعهُ في النفس !

على ان العلماء لا يكتفون بذلك فيبحثون عن اسباب الشيخوخة والضعف والموت ووسائل اتقائها او منعها . وقد اطلقوا على هذا النوع من البحث كلمة اعادة الشباب rejuvenation مع انها لا تؤدي المعنى العلمي المقصود كلَّ التأدية لانها تبعث في الذهن صورةً خلاَّبة غير صحيحة لانقلاب عظيم في جسم الانسان ووظائف اعضائهِ وخصوصاً في اعادة النشاط الى اعضاء التناسل . ولكنهم لم يهتدوا الى كلمة ادق منها في التعبير عمَّا يريدون فرأينا ان نستعمل ترجمتها هنا

والعناية بمسألة الشباب وعودهِ تدور في الغالب حول اسمين الاول هو الدكتور فورونوف الروسي المعروف في هذا القطر . والثاني الدكتور شتيناخ النمسوي استاذ علم وظائف الاعضاء في جامعة ڤينا الذي وقف السنين الاخيرة من حياتهِ على درس فسيولوجية التناسل. وقد جرَّبت تجارب شتيناخ اولاً في الجرذان . ومراقبة التغيرفي قوة الجرذان التناسلية اسهل من مراقبة التغير في بعض وظائفها الاخرى . لذلك ظن الناس وهم يقرأون اخبار شتيناخ ، ان المقصود من عملية اعادة الشباب انما هو تجديد النشاط في اعضاء التناسل لاغير . ولكن ذلك يجب ان لا يوهم القارئين بان تجديد النشاط التناسلي هو الغرض الاول من مباحث العلماء في هذا الصدد وان كان هذا التجديد من اجلى مظاهرهِ في الحيوانات . على انهُ لا شك في ان بعض التجديد في قوة التناسل يعقب في الغالب التقدم العام في الصحة . وعلى كل حال لا يمكن تجديد قوة التناسل الاَّ اذا تجدَّد نشاط الجسم بوجهٍ عام على اثر العملية

على انهُ لا بدَّ من كلمة تحذير للقارئ مؤداها ان عملية « اعادة الشباب » ليست دواء ناجعاً لكل علل الجسم . فانها لا تستطيع ان تشفي عضواً مصاباً بالتلف في احد نواحيه ولا تمكن الانسان من ان يعيش الى الابد حتى ولا ان يعيش مائتي سنة كما يدعي فورونوف او كما تدعي الصحف على فورونوف

ولكنها تؤدي في بعض الحوادث الى ازالة آثار الشيخوخة وتأخير الضعف والانحطاط. وقد كان من اثرها في الجرذان ان زادت عمر الجرذان في بعض الاحوال ٢٥ في المائة . ولا يعلم حتى الآن هل يستطاع اطالة عمر الانسان هذا المقدار . ولكن المعروف المقرَّر ان الوفاً من الرجال عولجوا بهذه العملية على ايدي جراحين مهرة فلم تترك المعالجة في احدهم اثراً ضارًّا بل حسَّنت صحة المتعالجين في اكثر الاحوال

لقد لاحظ القارئ اننا نستعمل الحذر العلمي في تأدية معاني هذا المقال لاننا لا نريد ان نفهم القراء ان عملية اعادة الشباب تشفي مصاباً بحمى خرقتهُ التيفوئيد او عظماً كسرهُ الرصاص او تطيل حياة رجل هدَّهُ السكر والافراط الى مائة وخمسين سنة او مائتين. وهذا لا بدَّ منهُ في بحث لا يزال العلماء يتلمسون طريقهم في نواحيه تلمُّساً

***

يستدل من الاحصاءات الصحية العامة ان متوسط عمر الانسان تضاعف في القرنين الاخيرين وهذه الزيادة ترجع في المقام الاول الى السيطرة على الامراض المعدية كالجدري والطاعون وحمى التيفوس والكوليرا التي كانت تتفشى فتجرف ملايين الناس امامها . وفي المقام الثاني الى اصلاح المعامل الذي ادَّى الى تقليل امراض العمال كالسلّ وغيره . وفي المقام الثالث الى التقدم في طرق العلاج واساليب الجراحة وتطبيق مبادئ علم الصحة على المدن بوجهٍ خاص والارياف بوجه عام . ويؤخذ من احصاءات شركات التأمين الاميركية ان متوسط عمر الانسان زاد ١٢ سنة من اوائل هذا القرن الى الآن

ولا ريب في ان زيادة متوسط عمر الانسان سببها تقليل الوفيات بين الاطفال. ولكن الباحثين يؤكدون انهُ بعد حساب ذلك تبقى زيادة في متوسط العمر البشري لا بأس بها . وعدد الرجال والنساء الذين يجتازون سن الخمسين او الخامسة والاربعين اكثر الآن مما كان قبلاً . وهذا يعلل لنا ازدياد انتشار السرطان . فالسرطان داء يصيب في الغالب المتقدمين في السن. فاذا كان الناس يموتون في شرخ الشباب فالمرجح انهم لا يعيشون الى السن التي يتعرضون فيها للاصابة بالسرطان. اما عدد الناس الذين يبلغون هذه السن فيزداد

بارتقاء الطب والجراحة وعلم الصحة العامة والخاصة فاحتمال حدوث السرطان يزداد وفقاً لازدياد متوسط العمر البشري

ولكن مما يشك فيهِ ان تكون هذه الزيادة في متوسط العمر البشري مقرونة بزيادة في فترة النشاط العقلي والجسماني التي يتمتع بها الانسان. بل يذهب البعض الى ان الناس في هذا العصر يهرمون باكراً لكثرة مشاق الحياة في هذا الزمن المزدحم بالاعمال والمسؤوليات. لذلك يتساءل الاذكياء من الناس: ما الفائدة من اطالة الحياة اذا كان لا يصحبها اطالة في فترة النشاط الجسدي والعقلي — « والجنسي » ايضاً!

واهم امارات الضعف الناجم عن التقدم في السن هو قلة النشاط الجسدي والعقلي وضعف السمع والنظر والشيب وتغضّن الجلد وغيرها. وهذه الدلائل التي يراها الناس وغيرها مما لا يراهُ الا الطبيب ناشئة عن تغيرات عضوية سببها تغيُّر في افعال الجسم الحيوية

فصحة كل عضو من حيث بناؤهُ ووظيفتهُ تتوقف مثلاً على مقدار الدم الذي يدور فيهِ ونوعهِ. ومقدار الدم يتوقف على حالة الاوعية الدموية كسعتها ومرونتها. وحالة الاوعية الدموية متصلة اتصالاً وثيقاً بالغدد الصماء. اما نوع الدم فيتوقف على صحة اعضاء الجسم لانهُ لا يخفى ان الدم يجب ان يحتوي على كل المواد الكيماوية التي تحتاج اليها اعضاء الجسم للغذاء والنمو وفوق ذلك يجب ان تكون النسبة بين مقادير هذه المواد في الجسم نسبة معينة حتى تكفل اقصى درجة من انتظام العمل. وبين هذه المواد الكيماوية بل واهمها مواد تعرف « بالهرمون » وهي المفرزات الداخلية التي تفرزها بعض الغدد الداخلية مباشرة الى الدم

الغاية من هذا المقال الاشارة الى اهم النقط في هذا البحث لان التبسط فيهِ يستغرق مجالاً لا يتسع لهُ هذا المقام ولكن الفكرة التي نحاول رسمها هي هذه: — الجسم مجموع منتظم من الاعضاء التي يعتمد احدها على الآخر في القيام بوظائفها فاذا كان الدم الذي يرد على احدها ناقصاً في مقداره او محتوياتهِ الحيوية لم يقم العضو بوظيفتهِ قياماً كاملا فيؤثر ذلك في بنائهِ. والخللُ في عضوٍ ينجم عنهُ خلل في عضو آخر لان كل الاعضاء مترابطة متلازمة من هذا القبيل. وهكذا يدبُّ دبيب الضعف والهرم في الجسم ويأخذ في الازدياد. فالرأي الاساسي الذي تقوم عليهِ حركة « اعادة الشباب » بل وجانب كبير من الطب الحديث هو ان الصحة تقوم على قاعدةٍ ركنُها الغدد الصماء

***

والغدة عضوٌ يصنع من المواد التي يوصلها اليهِ الدم مادةً كيماوية خاصة ثم يفرزها.

فبعض الغدد له قناة تمرُّ فيها مفرزات الغدة الى خارج الجسم كما هي الحال في « غدد العرق » او الى بعض تجاويف الجسم كغدد اللعاب التي تفرز مفرزاتها في تجويف الفم وغدد الدمع في تجويف العين وغدد العصارة الهضمية في تجويف المعدة والكليتين وهما غدتان كبيرتان تفرزان في المثانة. هذه الغدد تعرف بالغدد المقناة ولكل منها مفرز خارجي

وهناك طائفة اخرى من الغدد لا قناة لها لنقل مفرزاتها تعرف بالغدد الاندوكرين وقد ترجمت الى اللغة العربية بالغدد الصماء ولم تعرف وظيفة هذه الغدد واثرها في الصحة والمرض الآ من عهد قريب. فالمفرزات التي تفرزها هذه الغدد وتعرف بالمفرزات الداخلية او « الهرمون » لا تنتقل الى الجسم في قنوات خاصة لذلك ولكن الدم يمتزج بها حين يمرُّ في الاوعية الدموية التي تخترقها ثم ينقلها الى اعضاء الجسم وانسجته فيختار كلٌّ منها ما يناسبهُ عن طريق الاوعية الدموية التي تمرُّ فيه. فيتضح لدينا اذاً ان اثر « الهرمون » او مفرزات الغدد الصماء واسع الانتشار وقد يصيب الاعضاء القريبة والبعيدة عن الغدة التي تفرزها على السواء. واشهر هذه الغدد الصماء الغدة النخمية والغدة الصنوبرية وكلتاهما في الدماغ والغدة الدرقية في العنق والغدد التى فوق الكليتين ومكانهما يعرف من اسمهما

هذه الغدد صغيرة الحجم ولكن اثرها في الصحة خطير جداً فاذا اختلت احداها اضطربت الصحة اضطراباً عظيماً. فان اختل عمل الغدة النخمية فقد يصاب صاحبها بالسمنة او بما يجعلهُ قزماً كالاقزام او مارداً بين المردة. واذا اختلَّ عمل الغدة الدرقية فقد يصاب صاحبها بالبله او بخلل او بلادة في العقل من جهة او قد تجعلهُ دقيق الاحساس سريع التأثر والاضطراب معرضاً لمرض القلب او اضطراب البصر من جهة اخرى. ولا يتسع مجال هذا المقال الموجز لبسط العلل التي تنشأ عما يصيب كل الغدد الصماء من الخلل

ومن الغدد ما لهُ مفرزات داخلية واخرى خارجية في آنٍ واحد. والبنكرياس اشهرها فمفرزاتهُ الخارجية تنقل في قناة الى الامعاء وتفعل فعلها في عمل الهضم. اما مفرزاتهُ الداخلية فتتصل بالدم مباشرة وتمكنهُ من تمثيل السكر والنشاء اللذين يمتصهما من الجهاز الهضمي. فاذا اختلَّ عمل البنكرياس ووقف عند افراز مفرزاته الداخلية اختلت عملية تمثيل السكر والنشاء واصيب الرجل بداء البول السكري. وقد وفق العلماء والاطباء منذ عهد قريب الى استخلاص مفرزات البنكرياس الداخلية من الثيران وحقنها في دم المصابين بالبول السكري فتخفف اعراضهُ لانهُ تمكن الدم من تمثيل السكر والنشاء. وهذا هو الانسولين

***

اما الغدد التي تهمنا بنوع خاص في موضوع « اعادة الشباب » فهي الغدد الجنسية

وهي الخصيتان في الرجل والمبيضان في المرأة .ومع ان الغدد الجنسية لها مفرزات داخلية وخارجية في آنٍ واحد تراها تختلف عن هذا النوع من الغدد في ان مفرزاتها الخارجية تحتوي على احياء دقيقة هي الخيوط المنوية في الرجل والبيض في المرأة . واما المفرزات الداخلية فشبيهة بمفرزات اية غدة صماء

قلنا ان مفرزات الخصيتين تحتوي على الخيوط المنوية اي النطف التي تتحد بالبيضة التي يفرزها مبيضا المرأة كلَّ شهرٍ ثم يدخلها الغذاء فتكبر وتنقسم وكل قسم منها يدخلهُ الغذاء ويكبر وينقسم ثم تتنوع الاقسام حتى يتكوَّن منها الانسان بيديهِ ورجليهِ ورأسهِ وجلدهِ وعضلهِ وغضروفهِ ودمهِ وعصبهِ

اما مفرزات الخصيتين الداخلية فيظن انها العامل الاقوى في تعيين صفات الذكر الجسدية والنفسية واتجاه ميلهِ الجنسي نحو الانثى . والمرجح ان فعلها ليس مباشراً اي انها لا تفعل مباشرة في تعيين هذه الصفات بل تثير الغدد الصماء الاخرى او تمنعها عن افرازها مادتها الخاصة وهذه بدورها تعيّن الصفات المذكورة

فعلماء الطب يحسبون الغدد الجنسية زعيمة لجماعة الغدد الصماء تنظم عملها وتضبطهُ حسب مقتضيات الجسم الحي . فاذا كانت مفرزاتها ناقصة ظهر خلل في الجسم قد يكون جسديًّا صرفاً او نفسيًّا صرفاً او جامعاً للاثنين.ومن وجوه هذا الخلل تأخر النمو الجنسي في فرد من الافراد او التخنث او الميل الى اللواط او الضعف الجنسي (العنانة) او الميل الى السمنة او القَزَم او ضخامة الجثة وعتوّها . والمظنون ان مفرزات هذه الغدد ترتبط ارتباطاً دقيقاً بقوة الجسم ونشاطهِ

لقد عرف الناس من ازمان بعيدة ان الخصيتين مرتبطتان ارتباطاً دقيقاً بالتناسل.وخطر ذات يوم على بال رجل ذكيٍ ان يجرد عدوه من قوة التناسل بخصيهِ فنجم عن الخصي آثار لم تكن منتظرة . ذلك ان حيوية الخصيّ ضعفت ونشاطهُ خمد واخذ يسمن ويخمل ومال شعره الى السقوط وارتفعت نغمة صوتهِ وفقد ميله الى الانثى .ونتائج الخصي في الحيوانات تقابل نتائجهُ في الانسان فالديك يفقد عرفهُ والايل قرونهُ التي تميزه . وان عملية الخصي في الانسان تختلف باختلاف السن فاذا اجريت في فتى قبل بلوغهِ سن المراهقة نشأ الخصي طويل القامة نحيف البنية مستدق الاطراف . واذا اجريت بعد بلوغهِ سن المراهقة نشأ الخصي قصير القامة سميناً

اما افراز المبيضين الداخلي فله اثر في جسم الانثى شبيه باثر افراز الخصيتين في جسم

الرجل . فالميضان زعيما طائفة الغدد الصماء في جسم المرأة ويسيطران بواسطتها على صفاتها الجسدية والعقلية . فاذا ازيل الميضان فقدت الانثى مقدرتها على التوليد وضمر ثدياها . اما انثى الحيوانات التي يستأصل ميضاها فتسمن وتميل الى الخمول وتبدو عليها بعض مظاهر الذكر لكن التغير في المرأة من هذا القبيل لا يلاحظ في الغالب

ومما لا ريب فيهِ ان ذكور كل نوع من الاحياء تختلف عن اناثهِ فوق ما بينهما من الاختلاف في الاعضاء الجنسية . وما على المتردد في الامر الا ان يذكر عرف الديك ولُبدة الاسد وذيل الطاووس حتى تتجلى لهُ هذه الفوارق . وعلاوة على هذا وذاك توجد فوارق في بناء الجسم — في طول الجسم ووزنهِ وقوة العظام وشكلها ، في الثديين والقصبة والصوت ونمو العضلات ونسبة عظام الكتف الى عظام الحوض . كل هذه الفوارق لا تظهر في سن الطفولة ولا في سن الشيخوخة وتعرف بالصفات الجنسية الثانوية . فاذا خصي الطفل بجبّ خصيتي الذكر او استئصال ميضي الفتاة لم تظهر هذه الفوارق بمظهرها الكامل

***

على ان الصفات الجنسية بنوع خاص اي اعضاء التناسل ووظائفها مرتبطة ارتباطاً لا انفصام لهُ بالخصيتين والميضين فاذا استؤصلت ضعفت هذه الصفات . وقد عرف الناس ذلك من اقدم الازمان فقالوا اذا كان خصي الفتى يضعف فيهِ قوتهُ الجنسية فلماذا لا تقوى فيهِ هذه القوة اذا اكل خصى الحيوانات . على انهُ يظهر ان عملية الهضم تتلف المواد الخاصة التي تفعل هذا الفعل العجيب. وفي سنة ١٨٤٩ اخذ برتولد ديكاً وخصاهُ ثم غرس احدى خصيتيهِ في جدار معدتهِ فنعهُ كذلك عن ان يفقد كل صفات الذكر كما كان يفقدها لو خصي ولم تغرس احدى خصيتيهِ فيهِ. فثبت بالتجربة ارتباط صفات الذكر الجنسية بالخصيتين. وسنة ١٨٨٩ جرب برون سيكار تجاربهُ بباريس في خلاصة استخلصها من خصى كلب وحقنها في جسمهِ (برون سيكار) واجسام بعض الشيوخ وصرّح بعد الحقن ان قوتهُ الجسدية والعقلية والجنسية زادت وابتدع حينئذٍ لفظ rejeunissement اي «تجديد الشباب» فضحك منهُ كثيرون ولكن طائفة من الباحثين اقتفت خطواتهِ فاختلفت النتائج التي حصلوا عليها باختلاف طرق تحضير خلاصة الغدد فعادوا يعنون بغرس الغدد

هذا هو الاساس العلمي الذي بنيت عليهِ مباحث تجديد الشباب . وفي الجزء القادم ان شاء الله نبسط للقراء ما بلغهُ الباحثون المعاصرون من النجاح في هذا البحث

هل تحل الحروف محل الحركات العربية

حديث خطير مع المستشرق الالماني الدكتور مورتز مستشار
وزارة الخارجية الالمانية في تعويض الحركات بحروف عربية

كانت الساعة ٨ مساء لما قابلت الدكتور مورتز المستشرق الالماني المشهور (الذي يعرفهُ المصريون منذ كان في دار الكتب الخديوية) في ردهة الاستقبال في هوسبيس النمسا في القدس. جلسنا نحادث عن الآثار العربية الاسلامية بالحرم وأنواع الخط الكوفي المكتوب على جدران قبة الصخرة والمسجد الاقصى ثم سرد تاريخ الخط العربي منذ نشأته الى الآن كما ذكرهُ عطوفة الامير شكيب ارسلان في الجامعة العربية. فقلت لهُ إن جميع ما تفضلتم به منشور بالجامعة وقدمت لهُ المقالتين فسرَّ بهما كثيراً. ثم دخل الخادم بالقهوة وبدأنا نشربها فقلت لهُ أحب أن اطلعكم على مشروع لإبدال حروف عربية بالحركات لتكون الكتابة كاملة كما نتكلم والقراءة أسهل وأضبط فيسهل نشر اللغة الفصحى بين الامم عامة والعرب خاصة

فما كدت انتهي من كلامي حتى شرب فنجان القهوة جرعة واحدة وقال بلهف وشوق عظيمين أرني كيف ذلك! فعرضت عليهِ صفحة فيها الحروف العربية المقترحة بدل الحركات وما يقرب من خمسين كلمة مكتوبة بالطريقة العادية ثم مكتوبة على اسلوب حلّت فيهِ الحروف محلّ الحركات وقلت لهُ ان الاقتراح مبني على الشروط الآتية :

١ — أن تكون جميع حروف الابجدية عربية سواء منها الحروف الاصلية والحروف النائبة عن الحركات ليبقى الاتصال موجوداً بين الكتابة العصرية والكتابة القديمة

٢ — أن تكون الحروف العربية بشكل واحد سواء في اول الكلمة أم في وسطها أم في آخرها فلا يكون سوى ابجدية عربية واحدة

٣ — أن تكون الابجدية العربية بشكل واحد للطبع والكتابة فلا تتغير

٤ — أن تكون الابجدية العربية بصورة يسهل معها كتابة الحروف منفصلة أم متصلة حسب الرغبة بدون تغيير في شكلها

٥ — أن تكون الحروف النائبة عن الحركات عربية الشكل قابلة الاتصال بما قبلها وما بعدها تسهيلاً للكتابة

٦ — أن تكتب الكلمة كاملة كما هو لفظها الفصيح فلا تحذف حرفاً ولا تزيد آخر تخلصاً من الالتباس والتشويش

وبعد بيان هذا الاقتراح وشروطهِ وفوائدهِ طلبت منهُ ان يحفظ شكل الحروف الاربعة النائبة عن الحركات بضع دقائق لتسهل عليهِ قراءة الكلمات المكتوبة حسب الاقتراح فما وصلنا الى الكلمة الثالثة حتى وجدتهُ يقرأ بسرعة عادية كأنهُ تعود هـذه الكتابة منذ القديم فسرَّ لذلك كثيراً وقال انني مسرور جدًّا لما أراهُ في هذا الشرق العربي من النشاط والتجديد الصحيح ولا أحبذ التطرف في التجديد كإبدال الحروف الافرنجية بالعربية لانهُ خطأ محض فأيدت كلامهُ بأن الحروف الافرنجية تقطع علاقتنا بماضينا المجيد فضلاً عن انها ناقصة لا تؤدي جميع الاصوات العربية فنحتاج في اصلاحها إلى مجهود أعظم جدًّا مما نحتاج اليهِ في إصلاح حروفنا العربية وهذا الذي جعلني اشتغل فيما عرضتهُ عليكم خدمة للغة العربية وغيرة عليها وإن لم اكن من فرسان هذه الحلبة. على اني بدأت اشتغل بهذا الموضوع منذ ٩ سنوات حينما كنت أعلم التهجئة للاطفال في بدء حياتي التعليمية فوجدت أن التلاميذ يلاقون مصاعب جمة من تعدد صور الحروف لاربعة اشكال (الشكل الاصلي، اول الـكلمة ، وسطها، آخرها) فضلاً عن انهم يدرسون أبجديتين معاً ، أبجدية النسخ ليقرأوا في الكتب وأبجدية الرقعة ليكتبوا ما يملى عليهم أي انهُ يجب على الطفل الذي لا يتجاوز عمرهُ ٦ سنوات أن يدرس : ٤ (٢٨ نسخ + ٢٨ رقعة) = ٢٢٤ شكلاً للحروف ثم ٣ أشكال للحركات ومثلها للتنوين أي ٢٣٠ شكلاً للحروف والحركات ؟ !! . . لعمر الحق إن هذا من أصعب الامور على الرجل الكبير فكيف بالطفل الصغير ؟ !!

ولـكن بهذه الطريقة لا يحتاج إلاَّ الى دراسة ٣٢ شكلاً للحروف فيكتب ويقرأ كلَّ حرف منها بشكل واحد بسهولة واتقان وبذلك نكون قد وفرنا على الطالب ⅞ الوقت (تقريباً) الذي يصرفهُ لتعلم اشكال الحروف المتعددة من غير ان يتقن القراءة والكتابة ولا ينكر أن في هذه الطريقة اقتصاداً عظيماً إذ يقتصد ⅞ المجهود والوقت اللذين يصرفهما المعلم والتلميذ فيستثمر ذلك المجهود المقتصد والوقت في الحصول على تقدم آخر

وقد وجدت كذلك أن التلاميذ بعد ما كانوا يقرأون بسهولة حينما كانت الكتابة مشكولة بفضل أساليب التربية الحديثة أصبحوا لا يضبطون إلاَّ قراءة كلمة او كلمتين فقط من السطر في الـكتابة غير المشكولة . فقال عجيب ذلك ؟ ! فقلت لهُ لا تعجب من حال

هؤلاء الاطفال الموقرة عقولهم بما لا تطيق وكلٌّ منا قد جرب بنفسه أنهُ كثيراً ما يحتاج لضبط لفظكلة جديدة تمر عليه الى مراجعة القاموس (ولا يخفى ما في ذلك من ضياع الوقت والمشقة) وليس ذلك لتقصيرنا في التحصيل او لقلة عنايتنا . بل لاننا نكتب نصف او ثلث الكلمة التي نتكلمها وليس عندنا سليقة نعتمد عليها في ضبط ما نريد قراءته كما هي الحال عند الامم الاخرى. هذه حالنا مع لغتنا فكيف حال الاعجمي الذي يريد ان يتعلم لغتنا أو الاعجمي الذي من مصلحتنا ان نعلمهُ إياها ؟! فقد جربت ذلك مع عدة أشخاص أجانب علمتهم القراءة والكتابة العربية فكانوا يتعلمون بنجاح ما داموا يدرسون مشكولاً ولكنهم حينما يبدأون بقراءة الكتابة غير المشكولة يتركون تعلم اللغة العربية متذمرين شديدي الاستغراب لاهمال العرب اصلاح الكتابة العربية

وما فائدتهم من المثابرة على القراءة المشكولة ما داموا مضطرين للقراءة في الجرائد والكتب والرسائل وكلها غير مشكولة ؟! فقال ولماذا لا تكتبون بالحروف المشكولة ؟ . فقلت لهُ ان الكتابة المشكولة تقتضي نفقات عظيمة منها :

(١) أن كتابة كل سطر تعني كتابة ٣ سطور في آن واحد (نفس الكلمة ثم النقط والحركات التي فوقها ثم التي تحتها . (٢) لان الحركات تحتاج لرفع اليد حين الكتابة بعدد حروف الكلمة او اكثر . (٣) لان القارئ والكاتب يضطران لقراءة وكتابة ٣ سطور في آن واحد ولا يخفى ما في ذلك من الصعوبة وضياع الوقت . (٤) صعوبة طبع الحروف المشكولة من وجهة مطبعية فنية . على ان الكتابة بالاقتراح المعروض عليكم خلو من هذه الصعوبات كلها فضلاً عن محسناتها الاخرى التي منها :

١ — كفاية تعلم ٣٢ شكلاً بدل ٢٣٠ ؟؟!! .. (١) قابلية هذه الحروف للكتابة المتصلة او المنفصلة حسب الارادة سواء في الطبع او الرسائل (٣) كتابة الكلمات كاملة معبرة عن اصوات جميع حروفها فلا خوف من خطأ القراءة او الكتابة (٤) ان الكلمة تكتب دون احتياج لرفع القلم باكثر من ربع المرات التي يحتاج اليها في الكتابة المشكولة (٥) نقرأ ونكتب سطراً واحداً لا ثلاثة كما هو الحال بالخط المشكول (٦) ان الكتابة بحسب هذا الاقتراح لا تبعدنا عن ماضينا لانها نسيجه وليست غريبة عنهُ (٧) القراءة والكتابة بحسب هذا الاقتراح تزيل صعوبة الهمزة في اول الكلمة ووسطها وآخرها (٨) تتخلص من عدم مطابقة صوت التنوين للاشكال التي يكتب بها (٩) إن هذه الطريقة تسهل نشر اللغة الفصحى بضبط اللفظ الصحيح واتقانه بين اهل البلاد العربية وبين من يتعلمها من الاجانب (١٠) التخلص من صعوبة تميز الالف المقصورة عن الالف العادية

ولو لم يكن لهذا الاقتراح من حسنات سوى اجتناب نفقات الكتابة الحاضرة لكفى فكيف بهِ ولهُ حسنات اخرى عدا اجتناب تلك المراقيل والقيود المانعة لانتشار اللغة الفصحى حتى بين اهلها !

فابتسم وقال إذن انت تتكلم عن تجربة قلت ولولا ذلك ولولا غيرتي على اللغة العربية لما كلفت نفسي عناء البحث في هذا الموضوع الخطير ٩ سنوات على اني سأعرضهُ على المجامع العلمية في البلاد العربية بعد مراجعتهِ للمرة الاخيرة واحضار النماذج الكافية فقال أحسنت اقرأ لي ماذا كُتب في الجامعة عن تاريخ الحروف فبدأت بقراءة مقدمة المقالة وشرع يقرأ معي وبعد قليل توقف عن القراءة ممعناً النظر في المقالة فنظرت اليهِ لأرى ما سبب توقفهِ عن القراءة إذ قرأ كلمة على غير لفظها الصحيح فقلت لهُ عفوكم يادكتور إن مثل هذا السبب دعاني لهذا الاقتراح فاذا كنتم وانتم من أعلام اللغة العربية تضطرون لتضييع الوقت بامعان النظر حتى تقرأوا كلمة بصورة صحيحة فكيف بالآخرين الذين لم يصرفوا لتعلم العربية ما صرفتم من الجهد والمثابرة وبديهيٌّ ان سبب ذلك ليس تقصيراً منكم استغفر الله ان يكون ذلك بل هو نقص في طريقة الكتابة فقد قال الرصافي شاعر العراق في النشرة الثالثة لجمعية « تعميم معارف واصلاح حروف جمعيتي » في الامبراطورية العثمانية ص ٢٨ ما نصهُ :

« درست العربية زهاء عشر سنين على اعلم رجل بها ومارستها طول حياتي وحفظت كثيراً من شعر الاوائل فاستعنت بهِ على ضبط مفردات اللغة وقلت الشعر حتى زعم بعض الناس اني اجيده كل ذلك وأنا اليوم اذا قرأت كتاباً او قصيدة من الشعر فلا آمن الخطأ عند قراءتها اللهم الاَّ في الكلمات التي كان لي سابق معرفة بها . هبني اعتصمت من الخطأ في اعراب اواخر الكلمات بما اعرفهُ من قواعد علم النحو ولكن بماذا اعتصم من الخطأ في اوائلها او اواسطها سواء اكانت من الاسماء او من الافعال الثلاثية ومصادرها فان امر هذه الكلمات كلها راجع الى السماع وما نعرفهُ من قواعد الصرف لا يجدي نفعاً ولا يغني من الرجوع فيها الى السماع شيئاً . فيجب اولاً أن أعرف كل كلمة على حدة بمراجعة معاجم اللغة واحفظها في ذاكرتي حتى يتسنى لي أن أقرأها على وجه الصحة عند ما اصادفها في كتاب او في قصيدة وذلك مالا استطيعهُ أنا ولا غيري من الناس إذ لا شك ان الاحاطة بكل مفردات العربية مع ضبط الحركات متعذر على اقوى ذاكرة في الانسان . أجل إن ذلك متعذر إلا على السليقة التي كان العرب الخُلَّص بها يعرفون لغتهم وتلك السليقة معدومة

اليوم البتة . ولو كنت وحدي مخطئاً في القراءة لحملت ذلك على جهلي بالعربية وفرط غباوتي عنها ولكني حضرت مجالس علمائها الكبار وجالست منهم من يعد ابن بجدتها فرأيتهم يخطئون مثلي حذو القذة بالقذة

« فعرفت ان هذا الخطأ لم يكن من جهل وادركت ان هنالك ثلمة يجب سدها وأن الأوائل قد أدركوا هذه الثلمة وفطنوا لها إذ حاولوا سد خللها بالشكل وجعل الكتابة مشكولة غير ان عملهم هـذا كان خداعاً وسعيهم عاد مخفقاً لأن في الشكل من الصعوبة وخصوصاً على المؤلفين والمترسلين ما دعا الى تركه إلا في القرآن الذي قد يؤول الخطأ في قراءة الفاظهِ الى الكفر . ومن اجل تلك الصعوبة ترى كتب القوم غير مشكولة على ان هذه الصعوبة قد اصبحت متضاعفة في المطبوعات فإن علامات الشكل تستلزم مشاكل ومتاعب جمة في الطباعة كما هو معلوم لدى اهل هذه الحرفة

« وقصارى القول ان فن القراءة عندنا من أصعب الفنون لتوقفهِ على الفهم المتوقف على القراءة. وبهذا يظهر الفرق في هذه المسألة بيننا وبين غيرنا من الامم الراقية في العصر الحاضر وذلك أننا نفهم لنقرأ وغيرنا يقرأ ليفهم ؟ . . . . » معروف الرصافي

***

قد تركت بقية مقال شاعر العراق الاكبر لأن الاستشهاد بهِ قد تمَّ والمقام قد ضاق وان كان في بقيتها استشهاد اعظم على أنها من جهة اخرى توضح السبب الذي يعوق نشر اللغة الفصحى بين العامة حتى المتعلمين من ابنائها إذ ما الفائدة من قراءة الكتب والجرائد والمجلات العربية قراءة غير صحيحة ؟ !

ثم ترك الجريدة من يده وقال كل ذلك حسن فإذا توفقت في نشر هذه الكتابة في القدس . فكيف يكتب أهل بغداد ودمشق والقاهرة فقلت له تعلمون ياحضرة الدكتور ان هذا الاقتراح يمس الامة العربية بل ام العالم الاسلامي بأسرها فلا بد من عرضهِ على المجامع العربية كما ذكرت لكم سابقاً وهذه الهيئات صاحبة الاختصاص في الموضوع تأخذ على عاتقها النظر في هـذا الاصلاح من جميع وجوههِ وطرق تنفيذه فقال أوتعتمد على المجامع ؟ ماذ تفعل المجامع ؟ أنا أعرف المجامع ودرجة تأثيرها . عندنا مثل الالماني يقول «من المستحيل أن تجمع الناس تحت برنيطة واحدة » (كناية عن ان الناس لايجتمعون على رأي واحد)

فقلت حسن ما تقول فهل كان الخط معجماً في صدر الاسلام فقال كلا واول ما اعجم

من الحروف هو الباء. فقلت وما الدافع الذي جعلهم يعجمون الحروف فيما بعد ؟ قال ضبطاً لالفاظ القرآن الكريم خاصة واللغة العربية عامة . فسألته وهل كان الخط مشكولاً ؟ قال كلاً بل شكل فيما بعد والدافع لذلك ايضاً هو الدافع السابق نفسهُ

فقلت وكيف اجتمع العرب والمسلمون تحت « برنيطة » التنقيط (على حد المثل الالماني) ثم الشكل ولا يجتمعون تحت « برنيطة » الحروف العربية النائبة عن الحركات والدافع لهذا هو نفس الدافع للتنقيط والشكل والنية حسنة والعمل حسن

فسكت سكوت من لزمتهُ الحجة برهة ثم قال هل تفكر بأن اصحاب الجرائد والمجلات سيكتبون بهذه الحروف الاربعة النائبة عن الحركات فقلت لهُ متى اقتنعوا بفائدتها وسهولتها للطبع والقراءة اتبعوها لان سهولة القراءة في الكتابة الجديدة سوف تكثر من قراء الجرائد والمجلات والكتب وطريقة الكتابة هذه لا تكلف اصحاب المطابع شراء حروف جديدة أو دراسة أبجدية جديدة كما حدث في تركيا لان الحروف موجودة من الاصل

ثم قال وكيف نكتب القرآن الكريم ونقرؤهُ فقلت لهُ بهذه الحروف لانها عربية كالحروف الاخرى . ثم قال تظن ان رجال الدين يقبلون كتابة القرآن الكريم وقراءتهُ بهذه الحروف ؟ فقلت وما المانع من ذلك أليست هذه الحروف هي نفس الحروف المطبوع بها القرآن الكريم الموجود الآن في جميع انحاء العالم وهل حينما نزل الوحي كتب بهذه الحروف ؟ . فقال كلا بل بالكوفي. قلت وهل كان القرآن معجماً كما هو الآن ؟ قال كلا بل اعجموه وشكلوهُ حينما اختلط العرب بالاعاجم وخيف ان يغلق فهم القرآن الكريم على المسلمين . فقلت ونحن نفعل مثلما فعل آباؤنا في صدر الاسلام لضبط الفاظ القرآن بصورة صحيحة وعدم الاشتباه بقراءتها . فقال انك ستلاقي صعوبات جمة في هذا السبيل وان كانت النية حسنة والعمل حسن فقلت لهُ « لا بد دون الشهد من ابر النحل » ثم استأذنتهُ بنشر الحديث باحدى المجلات العربية خدمة للغة العربية فاذن بكل لطف ورغبة في ذلك وكان العقرب يعانق الدقيقة العاشرة بعد الساعة التاسعة مساء فاستأذنتهُ بالانصراف شاكراً لطفه وخدمتهُ اللغة العربية بجد وثبات فقال لقد صرت ممنوناً جداً لهذه المقابلة وللبحث في اهم موضوع يلذ لي البحث فيهِ وارجو ان توافيني بالحالات التي يمر بها هذا الاقتراح بعنواني هذا وقدم لي بطاقة باسمهِ وعنوانهِ فشكرت لهُ ذلك جزيل الشكر وقمت مودعاً

القدس ابن ابي سلمى

القرآن والبحر [1]

لقد اشار الاستاذ هـ . باور (H. Bauer) في مقالة نشرها في احد اجزاء الانسكلويذيا الاسلامية عن كلمة « فُلْك » الواردة في القرآن بمعنى السفينة او القارب الى ما كان لجريان الافلاك في البحر من قوة التأثير على محمد وقال هناك انهُ يظهر من بعض مواضع في القرآن [2] ان النبي العربي كان يرى في تسخير امواج البحر للناس وحملها لسفنهم المصنوعة بايديهم آيات شاهدات على رحمة الله . وقد كان في وسع الاستاذ باور ان يزيد على ذلك ان تصورات القرآن عن البحر وعواصفهِ تمتاز بشدة جلائها وقوة وصفها وان محمداً الذي لم يعرف بسعة تخيلاتهِ في وصف الطبيعة حتى في وصف جنات النعيم صور لنا تصوراً جليًّا ذا حياة جريان الافلاك في البحر (النحل ١٤) وتسيير الله للناس فيهِ ويصف فرحهم وهم في الفلك « تجري بهم بريح طيبة » وشدة خوفهم « اذا جاءتهم ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان » (يونس ٢٢) ويشبه حياة الكفار « بسراب بقيعة » او « بظلمات في بحر لجيّ يغشاهُ موج من فوقهِ موج من فوقهِ سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها » (النور ٤٠)

انا لسوء الحظ لا نجد في السيرة النبوية التي لا تزال الابحاث الحديثة تزعزع ثقتنا بها مواداً كافية نقدر معها ان نجيب عن السؤال الآتي وهو كيف ومتى تحصّلت لدى محمد تصوراتهُ الجلية عن البحر وعواصفهِ وهذا السؤال في نظري على جانب عظيم من الاهمية لان وصف البحر وما له علاقة بالبحر من الموضوعات التي لم يطرقها الشعر العربي وعلى الاخص الجاهلي منهُ

من المعلوم ان اصحاب السيرة النبوية لا يذكرون عن رحلات النبي البحرية او رحلاتهِ الى احد شواطئ البحر شيئاً بل هم لا يذكرون شيئاً عن زيارتهِ المرافئ القريبة من مكة كجدة وشعيب (يذكر الطبري ١ : ١١٣٥ المرفأ الاول في حديثهِ عن السفينة اليونانية التي القتها الامواج على ساحل البحر واستفادت منها قريش يوم جددت بناء الكعبة ويذكر المرفأ الثاني في حديثه عن هجرة المسلمين الاولى الى بلاد الحبش وهذا المرفأ كان الى جنوب جدة [3]) نعم ان السيرة تحدث عن رحلة النبي الى سوريا في قافلة لعمهِ ابي طالب ثم في قافلة

---

(١) للاستاذ العلامة ڤسيلي بارتولد (W. Barthold) عضو اكادمية بطرسبرج العلمية نقلها الى العربية الاستاذ بندلي الجوزي (٢) وذكر منها : ابرهيم ٣٢ والنحل ١٤ والاسراء ٦٩ ولقمان ٣١ وفاطر ١٢ (٣) ج ٦ ص ١٤٨ و ١٩٣ (من طبعة ليدن)

اخرى لخديجة التي تزوجها بعد ذلك الا انها لا تذكر شيئاً عن مجيء النبي الى غزة مثلاً وهي اقرب مدن سوريا البحرية الى بلاد العرب حيث صاروا بعد الاسلام يزورون قبر هاشم جد محمد الا ان رحلة النبي الى سوريا هي من التفاصيل التي يشك في صحتها العلماء المتأخرون ومنهم الاب Lammens [١] الذي حار كيف يوفق بين ضآلة التخيلات التي ابداها النبي في وصف جنات عدن وقوتها في تصوير البحر وعواصفه Comment consilier cette indigence descriptive avec l'hypothèse de ses voyages en Syrie? لا نكر ان هرشفلد [٢] احد المستشرقين المعاصرين يظن ان الآية القرآنية (الصافات ١٣٧ و١٣٨) الذي يقول فيها محمد للقريشيين — بعد ان وصف لهم هلاك اصحاب لوط — « وانكم لتمرّون عليهم مصبحين وبالليل » تدل على معرفة النبي لاحد شواطئ البحر الميت . الا ان هذا الرأي ضعيف وغير مقنع ومثله الحديث الذي ورد ذكره في السيرة ورواه ابن سعد والواقدي عن الزهري وهو ان محمداً صحب قافلة لخديجة الى سوق حباشة في تهامة (وتهامة عند العرب [٣] هي الارض الحارّة المسايرة للبحر يُضمّ اليها احياناً بعض القرى البعيدة قليلاً عن البحر كمكة مثلاً) الا ان سوق حباشة لم يذكر بين المواقع البحرية بل لم يحددوا مكانه فهذا ياقوت الحموي لا يعرف عن حباشة الا ما جاء في الحديث المذكور آنفاً والمرفوع الى الزهري. وفي كتاب لابي عبيدة حيث دعيت سوق حباشة بسوق قينقاع اي قبيلة بني قينقاع اليهودية التي كانت نازلة في المدينة والتي طردها النبي بعد ذلك منها . على انه لم يقم حتى الآن دليل على ان اولئك اليهود ، وهم سكان المدينة ومحترفوها الذين لم تكن لهم اراض، كانوا يسكنون شواطئ البحر او انهم كانوا على الاقل يتاجرون هناك

ان كلمة بحر العربية (ومثلها كلمة دريا الفارسية) تدل على البحر والنهر الكبير كما يظهر ذلك جليًّا من الآية « وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا مِلح أُجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً » (الفرقان ٥٣) ومن الآية « وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابهُ وهذا مِلح اجاج ومن كلّ تأكلون لحماً طريًّا وتستخرجون حِلية تلبسونها وترى الفلك فيهِ مواخر... » (فاطر ١٢) ثم من اقوال المفسرين وقد قيل في الآية الاولى « ان الله جعل بين البحرين برزخاً وحجراً محجوراً » ووردت فيهما كلمة فُرات بمعنى عذب وفرات كما هو معلوم اسم النهر المعروف فاذا اعتبرنا كل ذلك جاز

(١) « مهد الاسلام » (في الفرنساوية) ج ١ ص ٩٠

(٢) انظر كتابه : New researches into the composition and exegeris of the Qoran, 28:

(٣) اطلبها في معجم البلدان لياقوت الحموي ج ١ ك ١ ص ٩٠١ — ٩٠٣ م

لنا ان نقول ان الجناس المذكور (فُرات — الفرات) لم يجيء هنا عفواً وان محمداً اراد من الآية الثانية التي ذكر فيها ان الناس يستخرجون من البحرين — العذب والمالح — ما يحتاجون اليهِ من الحلي الافلاك التي كانت تمخر في بحر الهند او في خليج العجم وفي الفرات فاذا صحّ هذا الافتراض كان البرزخ الذي اقامهُ الله بين البحرين هي تلك الرمال التي كانت تفصل الفرات عن خليج العجم يؤيد ذلك ان اكبر شعبة للفرات كانت وتنتشر الشعبة الغربية وهي التي كانت تجري امام الحيرة وتدور في البطائح وان الشعب الصغيرة فقط كانت تبلغ دجلة وتتحد معهُ قبل ان يصب في البحر. ومعلوم ايضاً ان كتبة العرب كانوا حتى في العصرين التاسع والعاشر يعتقدون خطأ ان المسافة بين الحيرة والبحر حديثة العهد وان الحيرة كانت في الاعصر السابقة مرفأ على شاطئ البحر وعليهِ وبما ان محمداً كان يعرف بعض القرى الواقعة على شاطئ الفرات وقد ذكر منها (البقرة ٩٦) مدينة بابل وهي المدينة الوحيدة بعد مصر التي ورد ذكرها في القرآن من المدن الواقعة خارج جزيرة العرب يجوز لنا ان نفترض ان محمداً اراد بالبحرين في الآيتين المذكورتين سابقاً نهر الفرات وبحر الهند

وانها لجديرة بالاعتبار تلك الرابطة المعنوية التي جعلها القرآن بين الملاحة وبين عبادة الله الاحد وقد سبق الاستاذ مكدونلد Mocdonald فنبّه في مقالة عن « الله » نشرها في الانسكلوبيذيا الاسلامية ان سكان مكة كانوا يلجأون الى الله وهم في اشد حالات الخطر وقد استشهد على ذلك ببعض الآيات ومنها. «ثم اذا مسكم الضرّ فاليهِ تجأرون* ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون» (النحل ٥٣و٥٤) الاَّ انهُ يؤخذ من اربع آيات اخرى (يونس ٢٢ الاسرى او بنو اسرائيل ٦٩ الفرقان ٦٥ ولقمان ٣١) ان استغاثة الناس بالله واعطائهم الوعود بان لا يعبدوا الاَّ الله وحدهُ كانا يكونان في ساعات الخطر من العواصف البحرية وان عودهم الى الشرك كان يحدث بعد وصولهم الى البرّ يؤيد ذلك ويستظهرهُ حكاية رواها الطبري في تاريخه (١ : ١٦٤) عن ابن اسحاق ولم يذكرها ابن هشام ولهذا لم يستفد منها A. Sprenger [1] ولا تداولتها ايدي علماء اوربا. وخلاصة هذه الحكاية ان عكرمة ابن ابي جهل احد اعداء محمد الالداء [2] الذين لم

(١) مؤلف كتاب « حياة محمد وتعاليمه » واحد مشهوري المستشرقين . م

(٢) وهو الذي عناه حسان بن ثابت في بيته :

فلا تأمننا يا ابن أم مجالد اذا لقحت حرب واعصل نابها

(انظر ديوانه طبع H. Hirchfeld ص ٦٤) ورواه ابن هشام (٣ : ٢٣١)

فلا تأمننا يا ابن ام مجالد اذا احتلبت صرفاً واعصل نابها

يشملهم العفو يوم الفتح اراد ان يذهب الى البحر ليلحق بالحبشة قال « فلما اقتربت من السفينة لاركبها قال لي صاحبها لا تركب السفينة يا عبد الله حتى تقر بوحدة الله وتكفر بجميع الآلهة فاني اخاف ان انت لم تفعل هذا ان نهلك في السفينة فقلت له هل لا يركب احد البحر الا اذا اعترف بوحدة الله وجحد كل اله دونه [1] فقال نعم لا احد يركب البحر الا اذا كان له ايمان صادق فقلت اذن مالي افارق محمداً وقد جاءنا بذات الشيء ان الهنا في البحر هو والله نفس الهنا في البر وعندها عرفت الاسلام ودخل قلبي »

ولا حاجة لان نبين للقارىء ان هذه الحكاية التي يعزونها الى عكرمة لا تستند على ادلة ثابتة والاصح انها مفتعلة او محرفة وذلك لان عكرمة كما هو معلوم قد ناله العفو يوم الفتح بواسطة امرأته ام حكيم التي اعتنقت الاسلام قبله وقد جاء في رواية اخرى انها ذهبت تطلب زوجها الذي فر الى اليمن واتت به الى النبي وجاءت في رواية ثالثة مأخوذة عن كتاب لموسى بن عقبة احد اسلاف ابن اسحاق حكاية عن الواقدي تفاصيل تختلف عما سبق قيل فيها ان ام حكيم بعد ان نالت العفو لزوجها من النبي ذهبت تطلبه فوجدته في احدى قرى تهامة الواقعة على شاطىء البحر وقد ركب السفينة فاخذت تلوح بيدها وتقول «يا بن عمي اني اتيتك من ارحم الناس ومن ابر الناس ومن خير الناس فلا تهلك نفسك وقد طلبت لك العفو منه فعفا عنك » . فقال لها عكرمة هل فعلت هذا ؟ فقالت « نعم فعلت وحدثته عنك فعفا عنك » فعاد عكرمة معها ولما اقترب من مكة قال رسول الله لاصحابه « لقد جاءكم عكرمة ابن ابي جهل مؤمناً ومهاجراً فلا تشتموا اباه لان شتم الميت يهين الحي ولا يصيب الميت » ثم ذكر بعد ذلك مقابلة عكرمة لمحمد

الا انه يؤخذ من كلام اليعقوبي المؤرخ الشيعي (٣ : ٦٣) ان عكرمة لم يهرب من مكة بل لم تحوجه الظروف الى ذلك فقد ذكر المؤرخ المذكور ان النبي امر بعد فتح مكة بلالاً ان يصعد الى سطح الكعبة ويؤذن فلما سمع القريشيون الاذان اكبروه وقال عكرمة ابن ابي جهل وخالد ابن اسيد « بلال يجأر فوق الكعبة » وقال غيرهم مثل ذلك فارسل رسول الله اليهم رجلا فقالوا له « نعم قد قلنا هذا وانا نستغفر الله على ذلك » فقال محمد اني والله لا اعلم ماذا اقول لكم . قد حان وقت الصلاة فمن اقامها منكم فليس عليه من حرج ومن لم يقمها فاني لمقدمه وقاطع رأسه » فيستنتج من هذا الحديث ان عكرمة

---

(١) انظر ايضاً كتاب المغازي للواقدي ج ٥ ص ٤١٥

حضر اول صلاة اقامها النبي في الكعبة [١]

ويقرب من هذا الحديث — حتى في عباراته — حديث آخر عن هرب عكرمة لابن اسحاق ذكر فيه هرب رجل آخر من القريشيين وهو صفوان بن امية لسيب النبي (كانت ام محمد بنت جدّ صفوان) قال ابن اسحاق « ان صفوان بن امية خرج يريد جدة ليركب منها (بحراً) الى اليمن فطلب عمير بن وهب (احد اقرباء صفوان وخال النبي) الى محمد ان يؤمنهُ فأمنهُ فخرج عمير يطلب صفوان حتى ادركهُ وهو يريد ان يركب في البحر فقال « يا صفوان فداك ابي وامي الله الله في نفسك ان تهلكها» واخبرهُ انهُ جاء « من ابن عمهِ محمد افضل الناس وابرّ الناس واحلم الناس وخير الناس عزّه عزّك وشرفه شرفك وملكهُ ملكك » فاقتنع صفوان — بعد ان تردّد قليلاً — بصحة كلام عمير وعاد معهُ الى محمد [٢] »

فلو عرضنا هذه الاحاديث بعضها على بعض لتبين لنا منها مقدار عنصر «الاختلاق الادبي » الذي ادخلهُ الكتبة المتأخرون حتى على الاخبار المتعلقة بسني حياة النبي الاخيرة ناهيك عن التي لها علاقة بالدور المكي من حياتهِ ومع ذلك فاننا نجد بين الحكاية المنسوبة الى عكرمة وبين الآيات القرآنية التي اوردناها سابقاً عن استغاثة العرب بالله تعالى في البحر وعودهم الى الشرك في البر مقارنة ظاهرة حتى لو عددنا الحكاية المذكورة من مبتكرات الخيال . وقد يجوز ان نقل الركاب من جزيرة العرب الى الشاطىء المقابل لها في البحر الاحمر كان وقتئذٍ في ايدي الحبش المسيحيين وان هؤلاء كانوا يخافون ان يصيبهم غضب الله ان وجد في قاربهم رجل مشرك. فان صحّ هذا الافتراض كان لنا في الآيات المذكورة دليل جديد على ان تصورات محمد عن الله تكوَّنت تحت تأثير الفكرة المسيحية عن وحدة الله لا الفكرة اليهودية وهو ما تؤيدهُ كل يوم الابحاث العلمية عن منشأ الاسلام وتاريخ الدور الاول منهُ

---

(١) انظر ابن هشام — السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٤٩ — ٢٥٠ من الطبعة المصرية والطبري ١ : ١٦٤٤ — (٢) ومما نعرفه عن عكرمة بعد اسلامه انه اشترك في قتال اهالي عمان حين ارتدوا في خلافة ابي بكر واصاب منهم مغنماً وقتل بشراً ثم اشترك بعد انصرافه من عمان في قتال بني وليعة والاشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية الكندي وقاتل الروم يوم اجنادين فقتل هناك مع من قتل من المسلمين اما امرأته ام حكيم فانها تزوجت بعده خالد بن سعيد بن العاصي بن امية فقتل في معركة يوم الصفر (سنة ٦٣٦) فلما بلغها مصابه انتزعت عمود الفسطاط فقاتلت به « فيقال انها قتلت يومئذ سبعة نفر وان بها لردع الخلوق » (فتوح البلدان ص ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ١٠٢ ، ١١٤ ، ١١٨) م



سوريا ولبنان في نظر الغرب

خلاصة لاشهر الكتب الفرنسية

رواد الشرق

هذا هو كتاب بوردو الثاني في مجلدين ضخمين . رائع قيم . لم يقم قبله بمثله أحد . لقد اودعهُ ذكر اهم الاهم من الذين زاروا سوريا منذ عهد الصليبية الى يومنا هذا . ففي المجلد الاول يحدثنا عن الحجاج الى الاراضي المقدسة قبيل الصليبية كوالد وليم النورماندي، الملقب بالفاتح . والذي مات وهو في طريق رجوعهِ . يحدثنا عن كبار افراد الصليبيين . عن بوهيمند الثاني .عن ريمون دا كتان، ورينو دي شاتيلون ، وجود فروى دي بويون وغيرهم من كبار وعظماء . ولا يحدثنا فقط عنهم بل عن صلاح الدين ايضاً .عن اشياء يجهلها اكثرنا اتم الجهل . يحدثنا عن استيلاء الصليبيين على اكثر انحاء سوريا ثم انسحابهم منها. ولا يقف عند ذلك . بل يتلوه بحث مستفيض مملوء لذة وفائدة . عمن تلاهم من العظماء ، كنابليون وشاتوبريان ووليم ري ، ودي فوجيه . والبرنسيس دي بلجيوزو ، واللادي استر ستانهوب، ورينان وغليوم الثاني ورينه بازان وسواهم . وفي مجلده الثاني عن ثلاثة فقط اتخذهم موضوعاً لبحث طريف هم لامرتين .وميشو، ومورس بارس . . . . ولكن هيهات ! انىي لي ان اصف ما فيهِ ! ماذا انقل بل ماذا اهمل ! كلهُ مفيد وكلهُ جميل لذيذ ! لقد ملأ بوردو كتابهُ هذا بمستندات، ومعلومات ثمينة .وبحث في كتب تفيد تاريخ سوريا فائدة جلى . خصوصاً في عهد الصليبيين الذي قلما نعرف عنهُ في الشرق شيئاً إلاَّ ما قرأناهُ في امثال ابن جبير وصالح بن يحيي وامثالها . جميع هذه سبكها في قالب بليغ يستهوي القلوب. وكتابهُ ايضاً ليس كتلك الكتب التي يشحنها ويكدسها اصحابها بالمستندات ، وباسلوب جاف خشن يدعو الى السآمة والملل . فما يقرأ الانسان صفحة منها حتى يلقيها في زاوية النسيان فهي لهُ درس عنيف يستلزم جهداً وعناءوبذل فكر . لا ! فكتاب بوردو كلهُ حياة وبهجة. ان قارئهُ لا يملُّ قط . فبينما هو يتنقل في حدائقهِ الغناء، ويجني فواكه اللذة والابتهاج اذ هو يقطف ازهار الفائدة والاطلاع دانيات حيث شاء وكيف قلبهُ . فالاسلوب مسلٍ ومفيد ومغرٍ . . ورب قائل يقول: انهُ يفيد سوى ابناء الغرب ولكن

رويدك يا صاح ! في قولك ما هو بعيد عن الحقيقة. ان فيه فائدة لكل سوري ولبناني . ولذا يجب ان يقرأهُ كل سوري . واردد ايضاً انهُ يجب ان يقرأهُ كل سوري صميم ولبناني صميم ويطلع على محتوياته . مهلاً ! على رسلك ما بالي اراك ترمقني بطرفك ثم تغضيه بتهكم وازدراء دع عنك العجب والخيلاء فلست اقول عبثاً . فان فيهِ من المعلومات القيمة ما ليس يعرفهُ جل ابناء الشام . وما لا اصفهُ ولا اقدر ان اصفهُ في هذه السطور القليلة ولا تظن اني ابالغ اذا دعوتهُ « معلمة سورية ولبنانية » فهو للسوريين كنز ادبي عظيم ومعين لا ينضب يرشدهم عما خفي عنهم ويجلي عن اعينهم غشاوة طالما عاقتهم واخفت عنهم اشياء

اننا لا نقدر ان نأتي بشيء منهُ هنا . ولا ان نقتطف منهُ شيئاً فانا لا ندري ماذا نقتطف وماذا نترك ! وماهو برحلة ننشر ملخصها ورواية نكتفي بكلمة عنها . بل هو مجموعة ملاحظات وبحوث عن سوريا وكتب عنها وحسبنا ان نقدر سعة جهد المسيو بوردو وبراعة نقده وحذاقتهِ الخارقة في التاريخ التي مكنتهُ من اخراج هذا الكتاب الباهر الجليل والذي هو ملجأ مفيد نافع وجليس لا يملّ وحسبنا ان نقول عنهُ انهُ اراد في عمله هذا ان يلقي النور على اشياء مخفية ومظلمة واشياء موجودة ولكنها مهملة واحب ارشادنا اليها وتشويقنا وقد ظهر فيهِ بمظهر الباحث والتاريخي والاثري

في جبل الدروز

حينما كانت الثورة الدرزية على اشدها . برز هذا الكتاب الى الوجود ولم يكن بوردو يود نشره لولا حصولها اذ كان يود نشره ضمن تاريخ رحلتهِ الذي يعدنا في مقدمة هذا الكتاب بنشره بعد حين

يحدثنا في كتابهِ هذا اولاً عن غليوم ري Guillaume Rey اكبر رحالة اثرى دخل حوران في القرن المنصرم ويحدثنا عن كتابيهِ الثمينين اللذين نالا شهرة عظيمة في اوربا جماء ولدى المستشرقين الاثريين ونظنهما اهم ما كتب عن اثار الافرنج في سوريا وعنوانهما «درس في العمارة الحربية الصليبية في سورية وجزيرة قبرص » و« المستعمرات الافرنجية في سوريا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر » ثم بمقتطفات من « رحلتهِ في حوران وشواطئ البحر الميت »

ثم يحدثنا كيف تمكن من زيارة حوران . فقد كان في حفلة اقامها الجنرال غورو ، في قصر الصنوبر « الذي يشبه قصر علاء الدين » حيث اجتمع رؤساء طوائف سوريا وعشائرها اجمع . فهناك كانت فتيات بيروت ودمشق تمر بجانب عقلاء الدروز واشرافهم. هناك حيث كانت الملابس الرسمية السوداء تتماوج مع العباءات الحريرية ، والكوفيات

الموشاة بالذهب . في وسط هذا المشهد الباهر وقف بوردو يتحادث مع الجنرال غورو الطيب والقومندان دينان Denain ، قائد القوات الجوية ، في جيش الشرق ، وقد اشار عليهِ غوزو بزيارة حوران . لكنهُ اعتذر ان ليس امامهُ غير يومين . اذ بعد يومين سيودع سوريا . وقد نظم برنامج اعمالهِ . ولكن غورو قال لهُ انهُ سيصحبهُ الى غبطة بطريرك الموارنة . فاجاب بوردو « اذن لم يبق سوى يوم » ولكن القومندان دينان سألهُ « ألك جلد على عشرين ساعة ؟ »

— لا شك ألم احارب ؟

— ولكنهُ جلدٌ على كل معدات النقل ؟ سأذهب غداً في الساعة الرابعة ، لاتفقد فرق البقاع ، واذا سمح الجنرال (غورو) آخذك معي ، وتطير الى جبل الدروز وفي نصف الليل تكون في بيروت . وعليهِ فبعد غد تذهب ، مع الجنرال الى لبنان

فاتى غورو بحركة سرور ، البستهُ حلة الشباب . وقال : من المحال ان يزار جبل الدروز من بيروت في اربع وعشرين ساعة

ولكن القومندان دينان اعترض : اهذا ما تقوله ايها الجنرال ؟

— « لكنهُ صعب ! »

وافترق عنهما غورو . واختفى في وسط الامواج الانسانية . وبقي بوردو مع دينان، الذي قال لهُ : انك ستبصر كل شيء ، فالطيارة سيدة البسيطة وفي السويداء سيقابلك الترجمان ترنجا Trenga وهو يعرف كل شيء ، عن دين الدروز وعاداتهم ، وسيحدثك عنها .وسيقدمك ايضاً الى « بابا الدروز » وستزور معهُ اثار قنوات الرومانية

ثم تفارقا وما لبث ان قابل بيير ليوتي(ابن اخي المرشال ليوتي) مع الاخوين تارو Tharaud . وتحادثوا معاً عن الدروز ومعتقداتهم وعاداتهم وعن سوريا والخ . ثم ترك القصر ، وذهب ليأخذ قسطهُ من الراحة ، قبل ان يأتي دينان . لكنهُ احب ان يعرف ، من هم هؤلاء الذين سيزورهم ، ويجول في بلادهم في الغد ، فتناول كتباً على طاولتهِ ، اعاره اياها بيير ليوتي المذكور ، وابتدأ يقلبها

انها لعادة حميدة ، ان يعرف المرء شيئاً عن بلاد سيزورها ، وهي عادة ، امتاز بها الافرنج ، وبالاخص الفرنسيس ، ولكن من منا نحن ابناء الشرق يقرأ كتاباً واحداً ، عن بلاد المغرب، أو فارس ، او اي بلدة يبغي ارتيادها ، لترويح النفس وقضاء عطلتهِ ؟ لا اظن احداً يفعلها ! ان الحكمة تقضي على المرء ، ان يعرف البلاد التي يسافر اليها والشعوب التي تقطنها. وهذه من اسرار تقدم الاوربيين.واستيلائهم على مستعمرات كثيرة

جلس يطالع، ويختار ملحوظات من حوادث ١٨٦٠ المشؤومة وعن الدروز وديهم، وبا اليها ، واورد جملة منها في كتابهِ هذا نضرب عنها صفحاً لضيق المقام ، ولشهرتها عند اكثر القراء الكرام . وعند ما انتهى اذا بوقت الرحيل قد ازف . فارتدى لباس ركوب الخيل، واستعدَّ وكانت الساعة الرابعة صباحاً ،فاذا برفيق السفر، قد وافى .فذهبا معاً الى قصر غورو ، فتناولا طعام الفطور في تلك الساعة المتأخرة من الليل او المبكرة من الصباح ، وكانت افواج الراقصين لا تزال تموج في قاعاته

استقلا سيارة . وحيث ان بوردو لم يكن قد ذاق طعم الكرى بعد، لاشتغالهِ بالمطالعة انتهز الفرصة ونام هنيهة . فلما وصلا رياق امتطيا طيارة لدى انبثاق اشعة الشمس الذهبية ، وتكسرها على ثلج جبل الشيخ. يا لهُ من منظر بهيج من الجو ! لبنان باوديتهِ ، وجباله ، وحزونهِ ، وسهوله ، كالكف المبسوطة تحت بصره !

ها كهما اخيراً مع الترجمان زنجا . ركبوا الخيل وقال لهُ زنجا انهُ سيأخذهُ الى قنوات حيث يسكن زعيم الدروز الروحي فساروا اليها ورأى بوردو كثيراً من آثارها البديعة ووصفها وصفاً شيقاً . ثم انتهى بهم السير الى قصر هذا الرئيس المحترم . واذن لهم بالدخول . فقابلوهُ . وبعدئذٍ قابلوا سليمان الاطرش امير الدروز حينئذٍ

هذا ملخص هذا الكتيب. وقد أودعهُ ملاحظات شتى مفيدة عن الدروز وحوران وتبسط قليلاً في كلامهِ عن مقابلتهِ لرئيسهم الروحي . وما سألهُ هو . وما اجابهُ ذاك . مما نكتفي بالاشارة اليها . ونحيل القارئ عليهِ في مكانهِ

هذا الكتيب ،وان لم يكن ذا شأن كبير كغير كتبهِ عن سوريا — واهمها روّاد الشرق علاَّنا املاً . وحسبنا انهُ يعلمنا عن عزم بوردو على نشر رحلتهِ الى سوريا ، بعد أن يستوفي جمع المعلومات الكثيرة القيمة . فهو يريد ان يظهر للغرب والمدنية ، ان الشرق « الذي لا يتغير »قد بدأ بالتغير. وها هو يتماوج ويتقلب ويندفع مع تيار التقدم ، بعد ان ركد القرون ففي بدء كتابهِ يحدثنا بقوله : —

« اني اجمع مذكرات رحلتي في سوريا ، وقد تأخرت عن نشرها ،حيث اردت حين رجوعي ان اكملها باسنادات اكثر قيمة . ان زائر البلاد ليخمد نشاطهُ امام ما كتب عنها طائفة من الرواد المشهورين. لكن الشرق القديم التغير هو اليوم في تقدم وكما تسري الرعشة في ابدان الجياد العربية اذ تشمر بالفضاء الطلق كذلك تسري فيهِ رعشات طويلة فمن عام لآخر تتكيف الوثائق تبعاً لسير الوقائع وسأتي بوثائقي لاني اسمع من الشرق اصواتاً تدعوني وها اني اقطع من مذكراتي نبأ جولتي الوجيزة في جبل الدروز »

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذ للاذهان. ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيما كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

بين العلامتين ضومط والكرملي

١ — أعربيَّات ؟ للعلامة الاب انستاس الكرملي

إني من الذين يقولون : « ان المرء اذا كتب في موضوع ، فلا حاجة لهُ الى ان يعود اليهِ ليجادل من يخالفهُ فيهِ » اذ لكلّ باحث رأيٌ خاصّ بهِ ، وقلما يحول عنهُ ، ولاسيما اذا كان ذلك الرأي مستنداً الى ادلة علمية في نظره

وقد كنتُ قد قلتُ بأن « الاديب » و « الخليفة » و « قريش » من الحروف غير العربية النِجار . وهناك ألفاظ اخرى تشبهها بثوبها العربي لكنها دخيلة الجوهر او المادة

فقام غير واحد من ارباب اليراع وحاولوا نقض ما بَنَيْتُ ، إلاَّ إني لم اقفْ على مقالاتهم لاني قلتُ في نفسي : إنَّ الكاتب اما ان يذهب الى مذهبي واما ان يخالفهُ . فان كان يصوِّبُ ما ارتأيتهُ فلا حاجة لي إلى مطالعته ، وان كان ممن يخالفني ، فلقد قرأت مثل هذه المخالفة في مصنّفات اللغويين الاقدمين شيئاً كثيراً . إذن فالضنُّ بالوقت احسن . وهكذا لم اطالع ما كتبهُ حضرة الاستاذ الكبير جبر ضومط ، ولا ما أتى بهِ حضرة الكاتب المبدع السيد مصطفى صادق الرافعي . ولما اشرتُ في مقالي الآخر الى أنَّ بعضهم اقاموا القيامة عليَّ ، فكان تلميحاً الى ما نفثتهُ اقلام جماعة من ابناء وطني العراق ، إذ قابلوا فكرتي في أصل تلك الالفاظ بالشتم والسبّ والاهانة ، بل هدَّدني بعضهم بالقتل اغتيالاً على ما سمعت وعلى ما جاء مسطوراً في رقعة أُنفِذت إليَّ بالبريد

اما هذه المرة فان اخصّ اصدقائي واخلصهم وُدّاً كتب اليَّ ليوجّه نظري الى ما

يأتي في هلال (مايو) من هذه السنة ، فليتُ طلبه وطالعتهُ من الاول الى الآخر فلم اجد فيهِ شيئاً طريفاً ولا مقنعاً وعلمت ان من نشأ على فكر يعزُّ عليه ان يتركهُ . ودونك الاسباب التي لا تحملني على ان اوافق الاستاذ ضومط في رأيهِ ، وضومط ذاك الرجل العظيم الذي اجلّه اعظم الاجلال

قريش

لما قلت ان لفظة « قريش » غير عربية الاصل ، كان ذلك رأيي الخاص بي ولا أعلم أسبقني اليهِ سابق ام لا

اما الدليل الذي اعتمدتُ عليهِ فهو ان في الالفاظ القديمة العربية من اعلام ونكرات حروفاً دخيلة في العربية. ففي نسب قريش مثلاً الياس، والياس صورة يونانية «لايِلِيّا» الارَمِيَّة او « إِلِياهو » العبرية . فترك السلف لغة الساميين وتمسكوا بلغة اليونانيين . وما ذلك الا لقرب مادتها من المادة العربية وخفة وزنها . والقائل بانها عربية كالقائل بان الترك والكرد وجميع امم الارض عرب . وهناك غير الياس من الاعلام التي اتخذها العدنانيون كإِدْرِيس ، وابراهيم ، واسحق ، ويعقوب ، وعليّ ، ويونس ، الى غيرها

واما وجود النكرات في لساننا فهذا أشهر من ان يذكر وقد صرَّح بهِ حتى من كان اشدَّ الناس تعصباً للعروبة. وهل من عجب ان تسمَّى قريش باسم من اصل أعجمي وقريش تنتمي الى أبيها النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن «الياس» ابن مضر. و« الياس» كما رأينا اعجمي، ثم ان الذي يزيدني ثبوتاً في هذا القول ان بعضهم حكى في تسميتها عشرين قولاً (التاج) فلو كان سبب التسمية عربياً محضاً لما نشأت كل هذه الآراء. ومن جملة هذه الاقوال انها سميت قريشاً بمصغر القِرْش وهي دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها (القاموس)

ووزن القِرْش، ومادتها، واشتقاق الفاظ منها، كل ذلك لا يمنع ان تكون اعجمية ، واعجمية يونانية . وذلك لان اليونانيين من ديار تحيط بها البحار من كل جانب، فهم بحارون وعارفون بما في البحار اكثر من سواهم، واللفظة ترى في لسانهم من قديم العهد، فقد ذكرها صفرون السرقسطي الصقلي [وكان عائشاً في نحو سنة ٤٢٠ قبل المسيح] وصرح بكلامهِ عن القرش آثينيا النقراطسي (في ٧ : ٣٠٦ وفي مواطن اخرى) . ومعنى اصل القرش في اليونانية الحادُّ الاسنان وهو يوافق هذا الوحش البحري. اما القرشي فيصعب توجيهها في لغتنا الى مادة توافقهُ

اما اذا لم يرض حضرة الاستاذ بنسبة هذه القبيلة الى السمك المذكور ويذهب الى

انها سميت بالقرش بمعنى الجمع من ههنا وههنا ،والكسب والتجر قلنا : وهذا يناسب ان يكون من الرومانية (اللاتينية) قُمرْشِ Commercium بميم بين القاف والراء ومعناه ما يريد. وكانت قريش تتجر يومئذٍ مع الشام ولغة الشأميين يومئذ اليونانية والرومانية . ثم نقلت «قُمرْش» الى «قرش» تخفيفاً. وسبب اصرارنا على القول بعجمتها ان سائر اللغات السامية لا تعرف القرش بالمعاني التي اوردها حضرتهُ وغيره من اللغويين الاقدمين . فالقرش من هذا القبيل تشبه « الفيل » في عجمتها وحالتها ووزنها ومادتها والمشتقات منها، اذ كلها على مثالها وان اختلفت حروفها .وقد سمَّوا بالفيل رجالاً ، كابي الفيل و«فيل» مولى زياد، والفيل اليشكري . الى غيرهم، مع انهم كانوا في مندوحة عن اتخاذ هذا اللفظ الاعجمي ، لما عندهم من مرادفاتهِ الكثيرة،ومع ذلك لم يفعلوا إذ وجدوا في هذه الكلمة الاعجمية خفة ورشاقة ومشابهة لما عندهم ما حَبَّبَتها لهم . وكذلك القول عن القِرش

اما ان وجود الشيء في بلاد السلف يمنعهم من ان يلجأوا الى اتخاذ الفاظ ليست في لسانهم، او يمنعهم من اتخاذ الفاظ اعجمية ، فليس ذلك دليلا قويًّا ،اذ السلف قد جمع بين الدخيل والفصيح لاسباب كثيرة لا محل لاستقصائها هنا.وكفى نسفاً لهذا الدليل ان تعرف ان ليس من شيء اشهر من الشمس والقمر ومع ذلك فان الاقدمين منا اتخذوا الالفاظ اليونانية للدلالة عليهما . قال صاحب « لسان العرب » في كتابهِ « نثار الازهار » حين يذكر اسماء القمر ما هذا نصهُ : « . . . والسَلِيني وهو اسمهُ باليونانية وقد تكلموا بهِ »اه. وقال في ذكر اسماء الشمس : « . . . وايليوس وهو اسمها باليونانية وقد تكلموا بهِ » : فنسأل الاستاذ الجليل: ما معنى ان السلف نطقوا باليونانيتين وعندهم عشرات من الالفاظ الدالة على النيرين المذكورين ؟ إذن وجود الشيء عند آبائنا لا يدل على انهم لا يقتبسون من مجاوريهم شيئاً من حروفهم ولغاتهم، كما انهُ لا يكرههم على وضع الفاظ صرفة لها،وعلى عدم استعمال الدخيل في كلامهم . فاتخاذ هذا الاعجمي كان مرضاً في عقول بعضهم ،على حد ما يرى من امثالهم في هذا العهد. وهناك داء آخر ولع فريق من الكتبة باتخاذ الحوشي في ترسلهم ، وطائفة اخرى منهم باستعمال العامي المبتذل في حين انهم في غنى عنهُ

إذن : قد تجتمع صحة العربية وداؤها ، والالفاظ المحضة والدخيل في زمن واحد ، لكن لا في شخص واحد ، بل ربما وقع هذا الامر أيضاً لعلة في دماغ الكاتب ، لايمكنني ان اعرفها ، ولعل الاطباء يعرفونها . وهذه سنة الله في خلقهِ ولن تجد لسنة الله تبديلا

اطلنا الكلام في هذه الكلمة لان امثالها كثيرة ، ولان الادلة على نقض ما يعن في الخاطر هي على هذا الغرار . جئنا الآن الى لفظ

الخليفة

مادة هذه الكلمة عربية، والاشتقاق عربي مقيس، والوزن عربي محض، ومع ذلك نقول: ان الكلمة غير اصلية في لغتنا، لان نظام قوة « الخليفة » بمعنى رئيس القوم في الدين وغيره والقائم بالامور مقام الرئيس الاصيل النائب عنه، من الامور التي اختص بها الاغريق والرومان. ولهذا نرى الفاظاً عديدة تدل على الرئاسة وهي مأخوذة من الاقوام غير العربية المجاورة لاجدادنا. ولما نقول « ألفاظاً » نجمع فيها ما يتعلق بالدين والدنيا على السواء. فأمثال الدّيْنِيّات: الجاثليق، والبطريك والاسقف، والمطران، والجَعْفَلِين والساعود، والمسطوس، والابيل، والحبر، والصير، والرباني الى غيرها. واما الدُّنيويات فاشباه: الدقس، والدقوس، والدعوس، والعطوس، والقدوس، والداقوس، والسرسور والزرزور، والزرزار، والزردار، والزروار، والسفسير، والسفسار، والقسطار، والاطربون، الى غيرها وتعدّ بالعشرات. فهذه كلها ليست من العربية في شيء وان وجّه لها اللغويون وجوهاً عربية

اذن الخليفة من هذا القبيل. ا.ا ان الامام الثعالبي كان قد سبقني الى هذا المقال فكنت اجهله. واظن ان جعله الخليفة بين الالفاظ الفارسية لا يدل على انها فارسية الاصل حقيقة بل اعجمية. مهما كانت تلك المعجمة فارسية النسب صريحة الايرانية أم غير ايرانية كاليونانية او الرومانية أو العبرية او الارمية، اذ رأيتُ بين تلك الكلم التي اوردها الامام الثعالبي ما يرجع بعضها الى لغة وبعضها الى لغة اخرى اعجمية من اللغات التي ذكرناها

وهنا نعيد بعض الادلة التي ذكرناها في لفظة « قريش » في ان وجود الشيء عند سلفنا العرب لا يمنعهم من اتخاذ الفاظ اعجمية للدلالة عليها

بلغنا الآن الى اللفظة التي قام لها وقعد حضرة الاستاذ الكبير وهي:

الاديب

واول كل شيء اني لا اجيب على كلمات او عبارات الهزء والسخرية التي جاءت على قلم حضرة الاستاذ فهي وان كان لها محل ومفيدة في بعض الاحوال فليس الآن محلها هنا ولهذا اغضّ الطرف عما وجهه اليّ من الالفاظ القارصة. بل اذهب توّاً الى موضوعي واقول: ان سيدي الاستاذ ينقاد للانخداع بسهولة لا مزيد عليها لانهُ لا يحكم الا على الظواهر، وقلما عدّ نظرهُ الى بواطن الامور. ان « الاديب » في نظره عربي

لان منهُ « الادب والمتأدب وادّبهُ وتأدب » الى غيرها . ونسي ان الكلمة اذا عربت حق تصرف لنا ان تتصرف فيها اللفظة العربية المحضة

هذه كلمة « المسك » بمعنى المشموم المشهور فاننا نشق منهُ مسَّكهُ تمسيكاً ودواء ممسَّك وتمسَّك الرجل الى غيرها من الاشتقاقات . فهل يُقال يا ترى انها عربية وقد اجمع اللغويون على انها اعجمية صرفة ؟ نعم ، حينما لم يَبدُ لهم وجه التعريب ، لم يقولوا بعجمتها لكن اليوم ذهب مدّعى البعض من المخرقين وقام النقدُ مقام النقل ولا يفيدنا بعد الآن : قال شيخي ، ونص فلان . إن النقل يذوب امام النقد كما يذوب الشمع بين يدي النار . فيا استاذي ان «الاديب» غير عربي مهما كان وزنهُ واشتقاقهُ ومادتهُ . والسبب : ان معناهُ يدل على امعان في الحضارة لم تتهيأ يومئذٍ للسلف . ومن «الاديب» ولدت سائر المشتقات على حدّ ما تُرى اشباهه في المسك وغيره من الحروف التي لا تحصى كالكيّس (الذي منهُ الكياسة) والترف ، والظرف ، ونحوهما وان لم يذهب الى القول بعجمتها بعضهم او كلهم . فكل ذلك لا يغير من اجنبيتها بشيء

واغرب ما جاء في رد حضرة استاذي انهُ يحيلني على مطالعة بعض اسفار التوراة لورود « الادب والاديب » فيها . وانما يفعل مثل هذا إذا كان النصُّ اصليًّا صحيحاً ، والحال ان الاصل عبريّ العبارة ولا ورود للادب بالمعاني التي يشير اليها ومتفرعاته في تلك المنزلات . فكيف ساغ لهُ ان يحيلني عليها ؟ ولو نقل لي احد ان الاستاذ جبر ضومط يقول ذلك القول لما صدقتهُ ، لاني أُجلّهُ عن ان يتوسل بهذه الوسيلة إلى اثبات مدعاهُ لكن اسمهُ الصريح في ذيل المقالة يؤيد لي ان الناطق بتلكم العبارات حضرة استاذي حفظهُ الله . فلا اعلم كيف اجمع بين علمه الغزير وبين هذا الرأي الفطير الذي انزههُ عنهُ ؟

نعم ان كلمة الادب وردت في نصّ التوراة العبرية (راجع سفر الملوك الاول ١ : ٣٣) لكن بمعنى الذوب والذوب من الاسى . وورد في سفر الخلق (٢٥ : ١٣) وسفر الايام (١ : ٢٩) اسم ولد من وُلد إسمعيل يعرف بأدبئيل والمفسرون قالوا في معناهُ انهُ مشتق من الأَدْب (بفتح فسكون) اي العجب فيكون مؤداهُ أعجوبة الله . هـذا اقدم ما جاء عندنا من النصوص التي تذكر لنا الادب ، اي انهُ بمعنى العجب . وعندنا ان العجب تصحيف الادب من باب تفخيم الحروف فانهم جعلوا الهمزة عيناً من باب العنعنة ثم لفظوا الدال جيماً على لغة اخرى كما قالوا في الابلد : ابلج ، وفي دنىٌ : جنىٌ ، وفي السدفة : السجفة ، وفي دهوره : جهوره ، الى غيرها . وهنا لا اتعرض للتأويل التي أتى بها لتأييد مدعاهُ ان الادب مشتق من معنى الدعوة . اني لا اظن انهُ يقبل رأيهُ هذا اذا ما خلا إلى شيطانهِ

ألا يرى القارئ ان تلك الادلة التي ابتدعها حضرة استاذي لا تماسك ولا تناصر، فكيف يريد ان يقنع بها ابناء هذا العصر، ابناء النقد والتعليل والتحليل ؟

أم يقرأ ما كتبهُ الاستاذ الدكتور طه حسين في كتابهِ «في الادب الجاهلي» ص١٩ من الطبعة الثانية اذ يقول : «فليس لنا من النصوص او القرائن العلمية الواضحة ما يبين لنا ان لفظ «الادب» قد اشتق من الادب» بمعنى الدعوة الى الولائم، او قد اشتق من الآداب جمع دأب . ولكن الشيء الذي لا شك فيهِ هو اننا لا نعرف نصًّا عربيًّا جاهليًّا صحيحاً ورد فيهِ لفظ الادب والشيء الذي لا شك فيهِ ايضاً هو اننا لا نعرف ان لفظ الادب قد ورد في القرآن . وكل ما نعرفهُ هو ان هذه المادة قد وردت في حديث مهما يكن رأي المحدثين فيهِ فليس هو بالحجة القاطعة على ان النبيَّ قد استعمل هذه المادة وهذا الحديث هو قوله صلى الله عليهِ وسلم: «ادبني ربي فاحسن تأديبي» هذا الحديث لا يثبت حكماً لغويًّا الاَّ اذا ثبت ثبوتاً لا يقبل الشك اوكان من الراجح على اقل تقدير انهُ صحَّ بلفظهِ عن النبي . ولكننا بعيدون عن هذا كلهِ . فنستطيع اذن ان نقول في غير تردّد : ان ليس لدينا نص صحيح قاطع يثبت ان لفظ «الادب» وما يتصرف منهُ من الافعال والاسماء قد كان معروفاً او مستعملاً قبل الاسلام او ابان ظهوره» . اهـ بحرفهِ

اذن : «لا نرضى لك بما ذهبت اليهِ فيهِ ، ولكنها كبوة ، هيهات ان يخلو جواد من مثلها وان سلك الجدد»

٢ — اداة التعريف في التاريخ للعلامة الاستاذ ضومط

يسرُّنا في مقالة العلاَّمة الاب انستاس الكرملي في مقتطف فبراير (شباط) المارّ انهُ يختمها بقولهِ — كما ذكرناهُ خواطر مرَّت في سماء الفكر ونحن لا نجزم بها ومَنْ احبَّ ان يدحضنا او يردُّنا فليأتنا ببيناتهِ وادلتهِ على ما فعلنا . ونحن اوَّل من يتَّهم نفسهُ اذا ما رأى شعاع الحقّ بادياً في كلام الخصم انتهى : — ونحن لا ننكر على الاب عباراته هذه من جهة ما فيها من المخلاَّت بالبلاغة . ولكننا ننكر عليهِ ان يحسب مَنْ يناقشهُ آراءهُ خصماً لهُ . نعم انَّ بعض مَنْ يردُّون علينا اقوالنا يردُّونها لانهم اخصامنا ولكنْ بعضهم قد يكونون من احبّ احبائنا واخلص اصدقائنا . ولو انَّ الاب المحترم عدَّل من حدَّتهِ فيمن تصورهُ يردُّ عليهِ بعض ماجاء في مقالتهِ هذه النفيسة في موضوعها لكان اجدر بعلمهِ وفضلهِ ومكانتهِ الادبية الرفيعة بل كان اجدر بفضلهِ لو استغنى عن هذه

الخاتمة بما جاء بهِ في مقدَّمة المقالة مما يقع في اسماعنا وقلوبنا موقعاً خليقاً بعلم الاب وفضلهِ

ايها الاب المحترم نحن لا نوافقك على اغلب ما ارتأيتهُ في اداة التعريف ولكننا لسنا من اخصامك وما كنا الاَّ من المخلصين لك ولا نزال . لكن كان يسوءنا منك ظهورك مظهر المعتدّ بعلمهِ وفضلهِ ظهوراً ما كان يخفى على معظم قرّاء مقالاتك وفي الوقت نفسهِ كانت كأنما يشوبها اظلالٌ من الاستخفاف بكل رأي يخالف رأيك كانك من الذين خصوا بالعصمة

ايها المحترم نوافقك في أنَّ همزة « ال » محوَّلة عن الهاء لانها اخفّ على النطق ولكننا لا نوافقك في انها مقتطعة من فعل لا وجود لهُ الآن وهو فعل الوجود العبراني . واما قولك انهُ كان عندنا في سابق الازمان فيجوز ايضاً

كل هذا لا نعارضك فيهِ لانهُ من الجائز الممكن . واما ما أقمتَهُ دليلاً على انَّ هذا الفعل كان عندنا في سابق الزمان وأنَّ « ها » التعريف مقتطعة منهُ فلا نوافقك فيهِ ولا نظنُّ احداً من علماء الفيلولوجيا يوافقك عليهِ ولعلك لا تخاف معارضةً من احدٍ في كل ما تغرب بهِ من مسائلها ولو كان اشدّ من اغرابك في « الكاَنيّ » وردّهِ الى الاصل العربي « لاح » واليك ما قلتَ بالحرف الواحد تحت رقم (٢)

ولكن من اين اتت تلك الهاء في اللغتين الساميتين . الذي عندنا انها مقطوعة من فعل لا وجود لهُ الآن في العربية وهو هَوَه يَهْوَه[1] او هيه يهيا ومعناهُ وُجد يُوجَد (بصيغة المجهول) ولا جرم ان هذا الفعل كان عندنا في سابق الازمان والدليل ما بقي من اثرهِ وهو الضمير الغائب في المفرد والمثنى والجمع في المذكر والمؤنث اي هو ، هما ، هم ، هي ، هنَّ ، ومعناهُ في اصل وضعهِ موجود ، موجودان ، موجودون وقد صارت هذه الضمائر الى حرف واحد في قولك هذا ، هذان ، هولا . . . وهذا الحرف سماهُ نحاتنا هاء التنبيه كما سموا تلك الهاء هاء الضمير . اما الحقيقة فان لكليهما اصلاً واحداً هو الفعل المات المذكور انتهى ما قاله الاب

ايها الاب العلاَّمة يُفهَم من القطعة التي نقلناها عنك ان الفعل هوه يَهْوَه او هَيَه يَهْيَه (الفعل الدال على الوجود) متقدّمٌ على الضمير لان الضمير مقتطع منهُ ثم تقول ان « الهاء » في هذا ، هذين ، هؤلاء مقتطعة ايضاً من ضمير الغائب اذن هي مقتطعة من الفعل المات المذكور وان نحاتنا سموا هذا الحرف هاء التنبيه جهلا منهم للحقيقة التي اكتشفتها انت . ونحن نقول يا ليتك صبرت حتى اعدت النظر فيما خطر لك وروَّيت في فكرتك هذه قبل ان اذعتها فان سماء الفكر كالسماء التي فوق رؤوسنا والخواطر التي تمرُّ

(١) والهاء العبرانية المتطرفة هي الالف المقصورة في العربية

في هذه كالغيوم ذات الالوان الجميلة التي تمرُّ في تلك لا تلبث احياناً كثيرة أن تنقشع وهيهات ان ترجع كما كانت اولاً

وقبل ان اذكرك بما لا اظنه يخفى على علمك عند تروّيك اسألك هل وجدت احداً من المشتغلين بمثل بحثك بين علماء الفرنساويين او الانكليز او الالمان او الايطاليان يقول بقولك هذا اي يردّ ضمير الغيبة وادوات التعريف في العربية وغيرها الى فعل الوجود العبراني اصلاً لها جميعها . انا اشكُّ في انَّ احداً يقوى على هذا القول او يقدم عليه غيرك

ايها المحترم انت تعلم من غير ان اذكرك أن ثمَّ مذهبين في اللغة مذهب التوقيف ومذهب النشوء والارتقاء . اما مذهب التوقيف فقد جاء عنهُ في كتابنا نحن المسيحيين ما يأتي :

وجبل الربُّ الإلهُ من الارض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فاحضرها الى آدم ليرى ماذا يدعوها وكل ما دعا بهِ آدم فهو اسمها فدعا آدم باسم جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية . واوضح من ذلك ما جاء في كتاب اخواننا المسلمين . (وعلم آدم الاسماء كلها . . .) « ٣١ البقرة » . . .) . الواضح من هذين الاقتباسين انَّ الذين يأخذون بمذهب التوقيف يرون ان الاسماء قبل الافعال . والضمير من الاسماء ومن اقدمها واخصها . وهذا عند التمعُّن ينافي ما زعمتهُ اي ان ضمير الغيبة مقتطع من هوه اوهيَه « الفعل المات في العربية والدال على الوجود المطلق »

واما اذا ذهبت مذهب النشوء والارتقاء فما اظنهُ يخفى على علمك ان هذا المذهب يقدّم الاصوات الطبيعية الدالة على الانفعالات والأعراض النفسانية على الاسماء والافعال والحروف ولا تزال لغة العجماوات مقصورة على هذه الاصوات . ثم اضيف اليها الاشارة ولا تزال الاصوات والاشارات اهم جزء في لغات بعض منحطّي الشعوب الهمجيَّة لحد هذه الساعة وقلَّ ما عندهم من المجرّدات العقلية . ولعلَّ معظم افعالهم ما اخذوهُ عن الاصوات الطبيعية او ما اشتقوهُ عنها واقرب ما يُمَثّل بهِ قاقَت الدجاجة وزقزق العصفور

واكثر الاصوات دلالات هو هذا الصوت « ها » فانهُ للتنبيه وما يترتب على التنبيه بدلالة القرائن . ومن ادوات التنبيه ادوات النداء وهي آ . وأيا . وهَا . وهَيَا . واي . والهمزة وكلها تحوُّلات من « ها » والنداء بواسطة القرائن الطبيعية والعقليَّة ينقلب الى اغراء او استغاثة او تعجُّب . او تحيُّر . او تدلُّه . او توجُّع وتحسُّر . او ندبة . وكل هذه الاغراض وفوقها اغراض اخرى ومن جملتها التعريف مما يُدلُّ عليهِ بهاء التنبيه . واي شيء ادل على التعريف من هذا الصوت المنبّه والاشارة . قل اعطني . ها كتاباً واشر اليهِ . قل ها واشر الى زيد فتفهم من الجملة الاولى مقصود القائل باسرع

واقل كلفة مما لو قلت اعطني الكتاب ولم تشر . بل وبما لو اشرت لكن أخرت اسم الاشارة . وتفهم من « ها زيد » مع الاشارة ما تفهمهُ من هذا زيدٌ والصورة الاولى أسهل على الذهن من الصورة الثانية اذا لم تشر بيدك او برأسك او بعينك

فالها اذن هي حرف التعريف ومع الايام انقلبت الى همزة للتخفيف وذلك من عهدٍ غير بعيدٍ كما بين ذلك العلامة جويدي في محاضراتهِ لطلبة الجامعة المصرية وجُمعت في كتاب أُرجّح انهُ وصلك واطّلعتَ عليهِ في حينهِ . على انها لا تزال على الالسنة بصورة « هل » على الاصل ولا نفطن لذلك

اذا كانت « ها » هي الاصل في اداة التعريف فمن اين او كيف جاءت اللام في لغة مضر والميم في لغة حمير ؟

انا لا اشكُّ أن قدكنا نحن واخواننا العبرانيون نستعمل نفس الاداة الواحدة اعني « ها » مدّات متطاولة غير أنّ العبران دوّنوها في اقدس الكتب واقدمها فثبتت على الالسنة كما هي واما عندنا فكانت تخفّف او تبقى على لفظها

وكانت « الها » وحدها او مخففها عندنا وعندهم على السواء ولا يزال الحال على ذلك الى الآن مع الحروف المسمّاة بالشمسيّة . فانهم كما يقولون « هشّمايم »ونقول نحن أشّماوات واما مع الحروف القمريّة فهم يقولون هَا « آرِص » ونحن نقول أل « أرض » اي هم يقفون على حرف المد واما نحن فنقف على حرف الغنّة . وحروف الغنّة ثلاثة اللام والميم والنون ومعنى الوقف عليها انا نقلب حرف المدّ الى حرف غنّة

والحسّ يَشهَد أن الوقوف على حرف الغنّة بدلاً من الوقوف على حركة الاشباع مع الحروف القمرية هو اسهل على النطق واشهى في السمع فليراجع كلٌّ شعورهُ في لفظ «هَابحر وهاكتاب» ولفظ «هَلْ بحر وهَلِ كتاب» او «ألْ بحر» و «ألـ كتاب».

انّ العبران مَنَعَهُم التدوين في كتاب مقدّسٍ مفروضٍ عليهم أن يقرأوا كل يوم آيات كثيرة منهُ فتحجّرت الاداة عندهم دوننا فانها بقيت حية فتغيّرت الى ما يوافق بداهة الفطرة اي الى ما هو اسهل نطقاً واحسن او اشهى في السمع وقعاً كما ذكرنا . فوقف المضريّون على اللام ووقفتْ حمير على الميم وخُفّفت الهاء الى الهمزة ولكنها بقيت على الالسنة لحد هذه الساعة عندكثيرين ومن جملتهم فيما ارجح الاب انسطاس وإنْ لم يفطن لذلك. مَنْ لم يقل منا « أعطني هَلِ كتاب » . لان في الهاء ظلاً من المعنى لا يؤدّى بمحوٌ لها اعني بالهمزة . ولهذا الظلّ عاشت هل ايضاً لكن على الالسنة وهم يحسبونها من قبيل استعمال العامة المرفوض عند محبي العربية والمحافظين على فصاحتها

الهمزة اداة تعريف بعد الهاء

أيها الاب المحترم . رأيناك في هذا الجزء من المقالة ربطت ضمير الغيبة بفعل الوجود العبراني هَوَه يَهْوَه[1] او هَيَه يهيه الذي قلت انهُ كان مشتركاً بيننا وبين اخواتنا العبرانيين وزعمتَ انَّ هذا الضمير مقتطع منهُ . وعذرك في ذلك ظاهرٌ لامكان هذا الاقتطاع بسهولة. ثمَّ زعمت أنَّ « ها التعريف المشتركة كانت بيننا وبينهم ،مقتطعة من هذا الضمير المقتطع من الفعل وهذا هو السبب في دلالتها على التعريف وقد رددنا عليك هذا واعذرني اذا قلت هذا التخبط الذي توصلت بهِ الى اكتشافك الغريب الذي صرَّحت انهُ لم يسبقك اليهِ احد ونحن نسلم لك بحق هذه السابقيَّة ونعتقد انك ستبقى فيها سابقاً ومبتكراً معاً ولك عذرك فيهِ لانك رأيتَ رابطاً لفظيًّا يربط هذه الهاء وضمير الغيبة بفعل الوجود هذا ولكن ما هو الرابط بين ما كنت فيهِ وبين ما وثبت اليهِ في هذه الترويسة واليك ما قلتهُ بالحرف الواحد :وهكذا فعل اسلافنا فانهم حوَّلوا الهاء همزةَ واخذوا ينطقون بها عوضاً عن الهاء .وقد شاع ذلك في نحو المئة الثالثة قبل المسيح — وقد وصل الينا من ذلك قول المؤرخين الاقدمين « اطورية » اي الجبلية بتقدير البلاد فالاطوريون « جبليُّون » واسمهم مشتقّ من الطور بمعنى الجبل نعم انَّ هناك رجلاً انتسبوا اليهِ وهو يطُور او إطُور من إبناء اسمعيل (راجع سفر اخبار الايام الاوَّل) الاَّ انك تعلم انَّ اسماء الاقدمين كانت تتخذ بالنظر الى ما سيكونون عن امرهم طالع معنى « قاشين وهابيل وشيث ويوسف الى غيرها وتعدّ بالعشرات بل بالمئات » انتهى قولك بحرفهِ

فما دَخْل هذه القطعة هنا وعلى هذه الصورة ايضاً بالموضوع الذي كنت فيهِ ؟ واغرب منهُ ما جاء لك بعد ذلك من شرح اداة التعريف عند اليونان وصلتَ فيهِ من الهمزة الى « التاء مضافة الى حرف مصوّت هو « O » فنشأ من اجتماعها « تو To » اما الحقيقة فاداة التعريف هنا هي التاء لاغير . اه »

ثمَّ سألت نفسك من الآخذ عن صاحبهِ نحن ام اليونان ؟ ورجّحت جانب اليونان. الاَّ انك عدت فختمت سؤالك بقولك « اما انَّ الناطقين بالضاد اتخذوا التاء اداة للتعريف في زمن من الازمان . فهذا مالا نرتاب فيهِ كما نشرحهُ لك الآن . اه »

التاء او الثاء اداة تعريف في العربية القديمة

راجعت شرحك كما هو تحت هذا العنوان عدَّة مرَّات وبكل اسف اقول لك انهُ يصعب عليَّ ان اصارحك بما شعرت بهِ بعد تلك المراجعات ولكني اكرّر هنا ما قلتهُ

(١) الهاء العبرانية المتطرفة هي الالف المقصورة عندنا

قبلاً وهو ياليتك لم تُولَع بردّ المفردات اليونانية واللاتينية الاحادية الهجاء او الثنائية الى اصول عربية ولا وضعت مبدأك الذي اوصلك من Volpes الى عُلْب الى تَعْلب او ثُعْلب الى انّ التاء او الثاء حرفا تعريف : ثم دعمت برهانك او ايضاحك على صحة ما زعمت فجاء هذا على شاكلة كل ما سبقهُ او تأخر عنهُ في مقالتك. والى القارئ الصابر ما قلت : « وتاء التعريف بالمثناة او ثاءهُ (بالمثلثة) باقية في الفاظ كثيرة عربيّة لا يكاد يفطن لها المتكلم لتعوُّدهِ النطق بها بلا فكرة فامثلة التاء المثناة التَّتفل ومعناهُ الثعلب او كما صحّحها كثيرون : جرو الثعلب واصلهُ « الطفل » وهو الولد الصغير من الانسان والحيوان : فلا جرم ان اصل الكلمة « تطفل » او الطفل طفل الحيوان ثم غيروا شيئاً من التركيب وقالوا تتفل وخصُّوهُ بجرو الثعلب . ثم جئتَ في آخر هذه العبارات بما قالهُ التاج : (واللسان ايضاً) قال شيخنا اتفق ائمّة اللغة والصرف قاطبة ان التاء الاولى في اوله زائدة على ما عرف في الأوزان الصرفية اه . فهذه شهادة واضحة على ان التاء زائدة لكنهم لم يعلموا انها كانت للتعريف واخذنا اليوم نقول : التتفل « اي ال الطفل » باداتين للتعريف اداة قديمة (التا) واداة حديثة (ال) كما يقول الفرنسويون اليوم : La Al Coran . انتهى النقل عنك بالحرف الواحد

فمن يقوى غيرك ان يستنتج كما استنتجت ويمثّل كما مثلت. أإذا كانت التاء في تتفل زائدة افيكون ذلك برهاناً على انها للتعريف ؟ واذا كان الفرنساويون يدخلون « La » على الاعلام والمعارف بلغة غيرهم افيقوم هذا دليلاً عندك على ان (ال) عندنا تدخل على المعرّفات (بأل) في لغتنا ؟ ولم تكتف بالتتفل وهو لفظ قلما يدور على الالسنة وقلما قرأه اديب في كتاب ادب ايضاً فزعمت ان (تاء) تمساح . وترمس . وتنضب . وتذرح وترنموت . وتذنوب هي ادوات تعريف ولم تبالِ بروح العربية الساري فيها منذ القدم الى الآن اي انها لا تدخل ادوات التعريف لا على ما فيهِ « أل » التعريف فقط بل على المعارف اجمالاً . ولم تكتفِ بذلك بل زعمت ان الثاء محوَّلة عن التاء تكون حرف تعريف بعد ان كنت تجعلها اسوة بالتاء في اصالتها كما هو ظاهر مما ذكرتهُ في (الرقم ٤)

واغرب ما في هذا الرقم ما ختمتهُ بهِ مما لا يمكن لي ولا لغيري فيما اظن ان يُغيّرهُ عما اتيت انت بهِ واليك هو بحرفهِ: « بقي علينا ان نذكر معنى الثعلب فان الباحثين عن اسرار اللغة لم يصلوا الى حقيقة سبب هذه التسمية فلو علموا انها عربية الوضع لعللوا انها مشتقة من العَلْب وهو الرجل الذي لا يطمع فيما عنده وذلك لدهائهِ والعَلْب هنا كالغَلْب في الغلب لكل من يناوئهُ والثعلب هو كذلك فانهُ معروف بدهائهِ حتى انهُ ليضرب بهِ

المثل : فانظر كيف ان اللغة العربية تهتك لك استار الاسرار وتفتح لك معضلات المعاني. انتهى

لا ايها الاب العلاّمة ليس العربية هي التي هتكت استار هذه الاسرار بل انت الذي هتكتها . وهنا اقول اني استغربت منك انك اكتشفت ان التاءات الزائدة في تمساح وترمس وتنضب وتذرح وترنموت هي اداة التعريف وغفلت عن ان تحسب الياءات الزائدة في يربوع ويعفور ويعبوب ويرقود ويسسوب الخ اداة تعريف مع ان ردّها جميعها الى تلك الاداة اسهل على الذهن واقرب الى القبول من ردّ تاء تمساح وترمس وتاء ترملة

اللام اداة اخرى للتعريف

قلت ايها السيد تحت هذا العنوان ان سلفنا « كانوا يستعملون الهاء ما داموا مخالطين للعبرانيين . ثم نطقوا بالهمزة والتاء حينما كثر اختلاطهم باليونان ذلك لان هذين الحرفين اهون في اللفظ من الهاء فاما ان يكون السلف نفسهُ احدث هذا التغيير واما انهم تلقوه عن اليونان . لكن بعد ذلك تغلب الرومان على الشرق الادنى فاتخذوا لهم اداة اخرى لمثل تلك الغاية . وتلك الاداة هي اللام التي لم تظهر الاّ بعد اختلاط بني يعرب ببني الاصفر (الرومان) وانت تعلم ان ليس في اللغة اللاتينية اداة تعريف بل يستعملون اداة الاشارة Ille باختلاف صيغها اذا اضطروا الى مزيد في التعريف والتحقيق فيقولون مثلاً Ille Homo اي هذا الرجل اذا ارادوا تعريفهُ . فاستعمل السلف نفسهُ اللام التي هي الحرف البارز في الكلمة اداةً لهذه الغاية فقالوه لرجل انتهى النقل عن الاب . وبيان خطإِ الاب هنا مما يطيل نقدنا لحد لا يطيقهُ صبر اكثر القراء ولكني اقول ان من يتروَّى مقالة الاب هذه ومقالتهُ التي ادرجها في الهلال ورددنا على بعض ما فيها لا يعجب من غرابة مكتشفاتهِ فقط بل يعجب من مقدرتهِ على عدم توخي الصراحة كانما هو قد درس فن التوجيه البياني درساً خاصًّا فيختار من ثمَّ العبارات التي يدفع بها اعتراضات الناقد مهما كانت ويظهرهُ بمظهر مَن لا يُحسِن فهم فحوى الكلام ولا اقول هـذا افتراء على علامتنا العامل الفاضل فانظر كيف بدا كلامهُ في هذا العنوان بما يوهمك ان العرب اخذوا التعريف بالالف والتاء عن اليونان فلما وصل الى آخر ما جاء بهِ ليحدث هذا الايهام عاد فقال إمَّا ان يكون السلف نفسهُ احدث هذا التغيير واما انهم تلقوهُ عن اليونانيين

وهكذا فعل ايضاً لما اراد ان يقول ان العرب اخذوا التعريف باللام عن الرومان فانهُ عاد في آخر عباراتهِ فقال « فاستعمل السلف نفسهُ اللام التي هي الحرف البارز في الكلمة اداةً لهذه الغاية . ولو استمرَّ على صراحتهِ لكان ينبغي ان يقول (هذه اللام)لا « اللام » وفي « كلمتهم » او لغتهم لا في « الكلمة »

واخيراً ادعى الاب ان هذا الحرف (ولكن من يعرف اي حرف يريد الاب هنا؟) « قد وصل الينا في الرقم التي وجدها الاثريون في ديار العرب » . من ذلك الرقيم الذي وجده المنقبون عن امرئ القيس البده واظن الاب يشير الى ما ذكره عن هذا الرقيم العلامة الاستاذ جويدي في محاضراته للجامعة المصرية المطبوعة في مجلة تلك الجامعة منذ ما ينيف عن خمس عشرة سنة

ايها المحترم ان العلامة جويدي يقول — وفي عصرنا عثر المسافرون على كتابات وجيزة خطت على الصخور في النواحي التي بين دمشق والعلى ولغة هـذه الكتابات هي العربية القديمة وتجانسها كتابة خطت على قبر ملك اسمهُ امرئ القيس الذي مات سنة ٣٢٨ ب . م ويقول ايضاً ان التعريف في كتابات العلى هو بحرف الهاء لا بالالف واللام وتاريخ هذه الكتابة سنة حرب نبط اي في اوائل القرن الثاني المسيحي كما اشرت انت الى ذلك نقلاً عنهُ في الراجح. وبنو الاصفر كانوا في ذلك الحين قد مرَّ عليهم في مخالطتهم بني يعرب مئة وخمسون سنة ونيف ومع ذلك كانت اداة التعريف فيها الهاء واما الكتابة على قبر امرئ القيس البده فيختلف ما ذكرتهُ انت عنها عما ذكره العلامة جويدي . أنت قرأت او نقلت

تي نفس مر القيس بر عمر ملك العرب ذو اسر التاج وملك الشموب وو كلهُ لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغهُ. واما العلامة جويدي فيقول عنها انها مكتوبة بالاحرف النبطية ولكنهُ يكتبها بالعربية وقد كتبها هكذا

في نفس امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهُ ذواسر التاج (أسَر . لَبس) وملك الاسدين ونزار وملوكهم وهرب مذحج — وملك ابنهُ (وهنا اسمان لا يقرآن) الشعوب وكلهم فراس للروم (وكلهم جعلهم) فلم يبلغ ملك مبلغهُ هلك سنة ٣٢٨

يظهر ايها الاب ان قراءة جويدي لا تتفق مع قراءتك في ادخال اللام على (فرس) وتكتبها (فراس) ومن الفعل وكلهم اي جعلهم قبلها يظهر ان اللام في (للروم) هي حرف الجر المعروف لا اداة التعريف والذي اراه انا ايها الاب (١) ان قراءة العلامة جويدي اتم من قراءتك واخلص من شائبة الغرض الظاهرة اظلالهُ في قراءتك او نقلك (٢) لي رأيي الخاص في قراءة اللفظة التي صوَّرها العلامة جويدي هكذا (فراس) واليك هو

ان في الخطّ النبطي المكتوب فيه هذا الاثر صورة واحدة للقاف والفاء ومثل ذلك للسين والشين وهو خلوٌ ايضاً من علامة التشديد . وبناء على ذلك يصح في هذه الصورة اي « فراس » ان تقرأ فراس . وفراش وقراس وقراش وكلها بالتشديد او بدونه وبفتح

الحرف الاول او ضمه او كسره . وعندي اقتضاه للمعنى الذي يناسب الفعل ، وجعلهم ، يجب ان نقرأها قُرَّاش للروم. وقُرَّاش جمع قارش اسم فاعل من قرش لاهله اي كسب او تجر ويكون معنى الرقيم ان ابن امرء القيس الذي ملك الاسدَيْن ونزار جعلهم اي الاسدين ونزار وملوكهم تجاراً للروم كما كانت قريش قبل الرسالة بل قبل زمان هاشم جدّ الرسول تجاراً للروم فانهم اخذوا من الروم الايلاف اي الاذن بالتجارة: فكانوا وهم تجار الحجاز بل العربية في ذلك الوقت يحملون تجارة اليمن وحضرموت ونجد وارض البحرين الى سوريا وفلسطين كما كان التدمريون من قبلهم . ولا شك ان ملوك الحيرة من اللخميين كانوا وكلاء على تجارة الروم يحملون العرب على نقل رقائق الهند واطياب حضرموت وذهب اوفير (ارض وبار) وارض بني عقيل ولؤلؤ البحرين من فُرَض خليج فارس الى تدمر ومن هناك الى الروم وربما كان عملاؤهم يسيّرون اليهم هذه الواردات واخصّها رقائق الهند واطياب حضرموت وخيرات اليمن عن طريق عدن الى العقبة ومنها الى سالع او البتراء

(٣) واخيراً اختم مقالتي هذه التي قد طالت جدًّا بفضل مدّعيات علامتنا الاب انستاس وذكره الآراء المتضاربة جنباً الى جنب على طريقة لا بضارعهُ فيها احد كما اشرنا الى ذلك .ومع انتقادي الشديد هذا على مدّعيات الاب في مقالته هذه لا ازال من العارفين مقدار علمه وادبه وفضله

جبر ضومط

عن الجامعة الاميركانية في بيروت

في سبيل العربية

نشرنا في غير هذا المكان من (المقتطف) مقالاً ضافياً للدكتور ابي شادي استعرض فيه اهمّ المباحث الشاغلة للاذهان في هذا الوقت عن نهضة اللغة العربية ، وقد عقب عليه بنقط تمثّل خلاصة بحثه رأينا ان ننشرها مستقلة في هذا الباب لتكون اساساً للمناظرة او المناقشة لدى من يشاء من الباحثين والكتّاب. وهذه هي خلاصة البحث كما دوّنها:—

(١) يُرتقب ان تنشأ لغةٌ عالميةٌ بين اللغات الذائعة ، والراجح انها سوف تكون اللغةَ الانجليزية ، بيد انّ هذا لن يحول دون استمرار اللغات القومية ، كما انّ حبّ اللغة الوطنية لا يعني التجرُّدَ من الروح العالمية او ضعفها

(٢) اللغة العربية لسانٌ حيٌّ عظيمٌ ، ولها قدرةٌ مدهشةٌ على التوطُّن وعلى التكيُّف الاقليمي، فكونها لسانَ الامم العربية جمعاء لا ينافي اتخاذَها لساناً وطنيًّا لكل

أمةٍ من تلك الامم، مصطبغةً في كلٍّ منها بالصبغة الوطنيّة التي تلائمها، كما هو شأنُ تكيف اللغة الانجليزية في بريطانيا وفي اميركا مع ان الاصل واحد

(٣) الجمودُ نحو انعاش اللغة الوطنية والاستهتارُ سيّان في اضعافها، دون ان تكون من وراء ذلك ادنى فائدة للثقافة العالمية ولا لخير الانسانية، لانّ الطبيعة البشرية لن تكتفي بلسانٍ مشتركٍ بل لن ترى مُغنياً عن الالسنة القوميّة لتكون مستودع اسرار الامم وملجأ احلامها وهمومها وامانيها، فالخيرُ كلُّ الخير في تفهُّم هذه الحقيقة حتى لا نضيّعَ جهودَنا عبثاً، فنصون كرامة اللغة وكرامتنا

(٤) العنايةُ الحقّةُ باللغة تُحتّم ان تشمل جزئيّاتها وكليّاتها على السّواء في جميع المظاهر، لان التهاون في المسائل الجزئية قد يؤدّي تدريجيًّا الى افساد الكليات. ومن اجل ذلك تكون اصابةُ الرأي والرجاحة في ان نحفل بكلّ ذي مساس باللغة من خطٍ وترقيمٍ وطبعٍ وانشاء وتأليف الخ. لان كلّ هذا من المظاهر التي لها اثر في مكانتها بين اللغات بل وفي حياتها

(٥) لا فائدة من المباهاة بسعة العربية ومن التعلّق بذلك إذْ لا جدوى من هذه السّمة النظريّة، وانما الفائدةُ الصحيحةُ والفخرُ المعقول يتّصلان بنشاطنا في تطويع اللغة وحسن استعمالها وسعة تطبيقها في غير تنطُّعٍ او جمودٍ. ولغتنا رحبةٌ طيّعة، جديرةٌ بالثقة بها، وقادرةٌ على مجاراة العصور كما يدلّ ماضيها الباهر في مدنيّات شتى. فان كان ثمّتَ قصورٌ فهو في طباعنا واذهاننا، وليس التعلّق بالفخر الكاذب الاّ نوع من القصور. وليست مجاراةُ الزمن عيباً، ولا حرج منها على اللغة، ولا مساس بكرامتها، وحسب مَنْ يشكّون في ذلك ان يتأملوا جهودَ جمعية فقه اللغة الانجليزية للتوفيق مابين المجاثين الانجليزيّ والاميركيّ لاجل مصلحة اللغة ذاتها، دون ان يُعَدَّ ذلك ماسًّا بكرامتها في شيء

(٦) تأليفُ المجامع اللغوية امرٌ ضروريٌّ لبثّ الحياة الدائمة في اللغة، وانما يتحقّق ذلك متى كانت هذه المجامعُ نيابيةً تمثّل بيئات الثقافة المتنوعة وتعبر عن آرائها وتحقق رغباتها، لا ان تكون محافل تعيينية لا صلة لها مباشرة ببيئات العلم والادب الفعالة وكل ميزاتها أنها صورة ما تقضي بهِ رغبات الحكام وحدهم!

(٧) القاعدة التقليدية في انشاء المجامع اللغوية ثم تقسيم هيئاتها الى لجانٍ اختصاصية صوريةٍ يُنافي طبيعة حاجتنا الملحة، إذ الواجبُ أن تكون هذه اللجان هي الاساس في صورة هيئات خارجية محترمة كلٌّ منها متخصصةٌ بعلمٍ او فنّ او ادبٍ، ثم يختار منها

المندوبون لتأليف المجمع اللغوي الذي يكون بهذه الكيفية مجمعاً نيابيًّا مسموع الكلمة قويّ النفوذ شديد الصلة بثقافة عصره عظيم الاثر فيها، وللمجمع بعد ذلك أن ينظم كيانه وان يوزّع جهوده كما يشاء، ما دام الاساس النيابي الصالح محققاً

(٨) في الامكان عمليًّا توحيدُ جهود المجامع اللغوية في العالم العربي عن طريق المؤتمرات فضلاً عن المراسلة، وقد خطت فعلا لجنة الاصطلاحات العلمية (للجمعية الطبية المصرية) الخطوة الاولى في هذا السبيل. وتدلُّ الظواهر على وجود رغبة عامة صحيحة في تحقيق ذلك، وهذا ما يؤيدهُ اختباري الشخصي

(٩) لم تنشأ مشكلة الترجمة والتعريب وما يحفُّ بها من عقبات ومثبطات للعاملين الاّ من تدخل غير المتخصصين في ما لا يعنيهم من شؤون اللغة، وبذلك يسيئون الى اللغة التي يدّعون الغيرة عليها كما يسيئون الى النهضة الفكرية. ولو اننا عنينا بتأليف الهيئات الاختصاصية المتنوعة وبتدعيمها وحفظنا لها وحدها الكلمة العليا في ما يخصها من ذلك لَحُلَّتْ المشكلة ووفر الانتاج واستفادت اللغة وشقّ العلوم والآداب ولهانت بعد ذلك اعباء المجامع اللغوية، إذ سيكون جُلُّ العمل موكولاً الى تلك الهيئات وفي مقدمة ذلك تأليف المعاجم العلمية والفنية والادبية المتنوعة، ولا تكون وظيفة المعاجم سوى توحيد الجهود، والهيمنة اي الاشراف الاعلى عليها، والتنظيم والاقتراح، والحكم بينها في مواضع الاختلاف، وتنفيذ رغباتها الناضجة في غير تعثر او إبطاء

(١٠) آن الأوان لخير اللغة والعلم معاً بأن نعترف (أسوةً بجميع الأمم المثقّفة) بوجوب استعمال لغتين علميتين: الاولى ذات مَسْحَةٍ أدبية قومية لتستفيد منها جمهرةُ المتعلمين من الحركة العلميّة المتواصلة، والثانية ذات مسحة دولية قوامها التعابير والمصطلحات العلمية الصميمة المتعارف عليها بين جميع الامم الراقية لاجل خدمة المتخصصين بهذه العلوم ولاجل خدمة اللغة العربية العلمية ذاتها. وبناءً على ذلك تكون الترجمة العلمية الادبية لنشر العرفان العام غير اللغة العلميّة الصميمة لخدمة اصول العلم ودقائقه في غير ما التباس. وعلى هذا النحو جرت جميع الامم القوية في عصرنا الحاضر، وكلها تعتز بلغاتها كما نعتز بعربيتنا، ولم ترَ في ذلك الاّ خير العلم والادب والانسانية. واما الاستشهاد بأساليب القدامى فينافي بتاتاً ما تحتمهُ نهضة هذا العصر التي تثب وثوباً فوق كل خيال، بحيث اتسعت دوائر البحوث العلمية اتساعاً هائلاً جعل قانون الاصطلاحات الدولية العلمية امراً لا مفرّ منهُ توحيداً للجهود وحرصاً على نفائس العلم، فان أبينا ذلك فنحن وحدنا الخاسرون

باب شؤون المرأة
وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مقام العلم في تهذيب المرأة

خلاصة الخطبة الانكليزية النفيسة التي القتها الآنسة اليس مرشاق في الحفلة التي اقامتها كلية البنات الاميركية بالقاهرة لتوزيع الشهادات على مستحقاتها في آخر مايو الماضي

في خلال حديث دار بين مدام كامپان والامبراطور نبوليون قال الامبراطور : ان طرق التعليم القديمة لا تجدي نفعاً . فماذا يلزمنا لكي نعلم الشعب تعليماً وافياً ؟

فاجابت مدام كامپان : « امهات » !

فوقع الجواب موقعاً حسناً لدى الامبراطور فقال : هـذا نظام كامل للتعليم في كلمة واحدة . فلتوجَّهْ عنايتك لتدريب الامهات حتى يعرفن كيف يعلمن اولادهنَّ

***

ايها السادة : ليست الغاية من حياة المرأة ان تكون زينة لحياة الرجل في ساعات فراغهِ ولا ان تكون خادمة خاملة خالية من قوى الشعور والتفكير . انها تحيا لنفسها كما تحيا لغيرها. والتبعات الكبيرة التي تلقى على عاتقها في ميدان الحياة تحتاج في القيام بها الى العقل المثقف والقلب العطوف. انها لا تستطيع ان تحقق الغرض الاسمى من كيانها بالمزينات التي تمرُّ مر السحاب مهما عظم ما تنفقهُ المرأة في سبيلها من الوقت والمال. لان هذه المزينات وان حبَّبت جمالها وشبابها روعة ورشاقة لا تغني فتيلاً في شؤون الحياة العملية . وما اكثرها في البيت والمجتمع !

واذا نظرنا الى الموضوع نظرة اجمالية وجدنا ان اساليب التعليم التي توافق احد الجنسين توافق الجنس الآخر كذلك . والثقافة التي يتثقف بها عقل الرجل تصقل عقل المرأة وتهذب نفسها . وكلما ارتقت قوى الاثنين — العقلية والنفسية — ارتقاء متناسباً انتظمت اعمال الاجتماع وتمهد السبيل الى الرقي العام

البيت — مملكة المرأة . وهو الركن الذي تقوم عليهِ الحضارة الحديثة . اذ فيهِ يتلقى كل مولود ، فتى كان او فتاة اعلى مبادئ الخلق والادب او اسفلها . انهُ يتأدب هناك بادب يلازمهُ في حداثتهِ وشبابهِ وكهولتهِ ولا يفارقهُ الاَّ عند مفارقة الدنيا

***

ان العناية الالهية تعهد بصحة النشء الجديد الى المرأة . فمهما تبلغ من اسمى درجات المحبة والتفاني والعطف لا تستطيع ان تكون ذات اثر مفيد فعال في هذه الناحية من نواحي الحياة البيتية والقومية الاَّ اذا استعدت استعداداً علميًّا وعمليًّا للاضطلاع بعملها الخطير . انها لا تستطيع ان تجعل بيتها مقراً لنعم الصحة — صحة الجسد وصحة العقل وصحة الادب — اذا لم تجرِ على مقتضى الشرائع والنواميس الطبيعية التي حققها العلم واثبتها . ان الجهل بهذه الشرائع والنواميس — الجهل بالحقائق الاساسية عن تركيب الجسم البشري ووظائف اعضائهِ — الجهل بفوائد الهواء الطلق والماء النقي وقواعد الطعام المغذي — كل اولئك اسباب ترجع اليها وفيات الاطفال المروّعة في انحاء العالم ، مع ان التقدم الحديث في فرعي الطب المنعي والعلاجي قد مهّد امام الاطفال الذين يولدون في هذا العصر سبيل الحياة الطويلة المفعمة بنعم الصحة . فيجب على كل امرأة ان تفهم فهماً صحيحاً تلك العلوم التي تعلمنا كيف نحفظ اجسامنا وعقولنا — واجسام الذين يعهد الينا بهم وعقولهم — في اكمل حالات الصحة والنشاط . هذه العلوم تحسب الآن ركناً اساسيًّا من اركان التعليم الحديث في مدارس الاولاد والبنات على السواء

***

على ان الانسان لا يحيا بالخبز وحدهُ . وفي البيت عناصر اخرى تؤول الى توفير اسباب البهجة والسعادة لا يمكن ان يوفرها الاَّ عقل امرأة قد تثقف باساليب الثقافة العلمية . فدرس الطبيعة مثلاً ، يكشف للمرأة ولاولادها بواسطتها عن عجائب السموات والارض من جهة ، وعن غرائب الحياة في انواع النبات والحيوان من جهة اخرى . وهذه الحقائق هي الركن الذي تقوم عليهِ اصول التربية الفنية التي لا يستغني عنها في هذا العصر انسان مثقف . وعلاوة على ذلك ان درس الطبيعة يشيع في نواحي البيت نور البهجة والحبور الذي لا يستمدُّ الاَّ من فهم صحيح لطرق الباري في خلقهِ

***

ولا تنحصر فائدة العلوم للمرأة في البيت والرجل والاولاد بل تتعداهم الى قومها .

ففي كل ميدان من ميادين الحياة العامة تستطيع المرأة ان تتولى زعامة الاصلاح الاجتماعي في كثير من اخطر نواحيه. لقد قيل حقاً ان الفضل في سن قانون منع المسكرات في اميركا وتطبيقه الى حدٍ بعيد يعود الى جمعية نسوية تدعى جمعية الاعتدال النسوية المسيحية

ان مقام المرأة الخاص في البيت، وسيطرتها على تهذيب اولادها وتعليمهم، وحرصها في تناول نفقاته وحفظ ميزانيته تمكنها من ان تدرك — كما لا يستطيع غيرها — ان البيت الهنيّ يجب ان يكون بيتاً خالياً من شرور السكر. هذه الصفات تؤهلها بصفة خاصة لمقام الزعامة في مكافحة شر المسكرات وهو من اعظم الشرور التي مُني بها العمران

وزد على ذلك ان اصلاح السجون وانشاء مراكز العناية بالاطفال والملاعب الخاصة بهم للعب والنزهة ووقف الاموال على المستشفيات الخاصة لتوليد الامهات الفقيرات وتأسيس الجمعيات الدولية للتعاون على مكافحة الشرور الاجتماعية وانشاء جمعية الصليب الاحمر التي قدستها المرأة باستعدادها للبذل والخدمة — كل هذه وجوهٌ من وجوه الاصلاح لا تبعث فيها معاني الحياة والنشاط الاّ اذا عنيت بها نساء تفهم فهماً علميًّا صحيحاً خطر الشرور المختلفة التي يجب القضاء عليها. هذه طائفة من اعمال الاصلاح في كل مجتمع حديث تفسح امام المرأة المتعلمة ميدان الزعامة والخدمة

***

ويكفيني القول في هذا المقام ان العمران الحديث انما هو نتيجة من نتائج التفكير العلمي. فالماء الذي نشربهُ والطعام الذي نغتذي بهِ والدور التي نأوي اليها وكل وسائل المواصلات والمخاطبات التي تربط الافراد والشعوب، بل وكل الوسائل المتبعة في تعليم الصغار وتهذيبهم واعدادهم لميدان الحياة والعمل — كل هذه الاركان وكثير غيرها من وسائل الحضارة انما هي نتيجة التقدم الحديث في المكتشفات والمخترعات وللمرأة في كلٍّ منها مكانة خاصة وأثر خطير

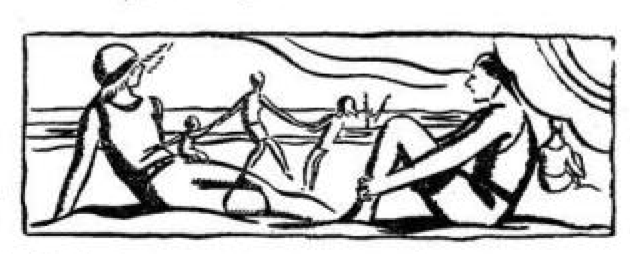
هذا هو النداء الذي يوجههُ العمران الى المرأة

لحالتها الخاصة اكبر اثر في حالة قومها العامة. بل ان حالتها عنوان لحالة قومها. فحيث تراها جاهلة ترى الشعب جاهلا بوجهٍ عام. وحيث تراها متنورة متعلمة ترى المجتمع راقياً. اذ لا يستطيع قوم ان يرتفعوا عن مرتبة وضعوا فيها نساءهم

لذلك اذا علّمتَ المرأة فقد علمت الرجل. واذا وسعت امامها آفاق الحرية العقلية فقد مهدت سبيل الحرية العقلية لشعبها. فالبيت وحدة الامة. والشعب نسيج الامهات

الاجازة الصيفية : سر الصحة والجمال

الرياضة والنوم



جاء فصل الصيف واخذ سكان القاهرة وغيرها من مدن الشرق يهجرونها الى المصايف زرافات ووحداناً . فمنهم من يقصد الى اوربا ليمكث في مدن المياه المشهورة فيها او في المصايف البحرية ليستفيد من الرياضة في الهواء الطلق او الاستحمام في ماء البحر . ومنهم من يقصد الى الجبال جبال لبنان او جبال سويسرا او غيرها من جبال اوربا . ومنهم من يكتفي بالذهاب الى شواطئ الاسكندرية او بورسعيد او رأس البر . فكيف تنوي ان تقضي اجازتك يا سيدي الكريم ؟ هل تنتقل من مقرّ عملك حيث تتقيد بقيوده الكثيرة الى مصيف تتقيد فيه من جديد بقيود اخرى من الزيارات والسهر وحضور الحفلات المختلفة. اذاً فالاجازة لا تجدي نفعاً سواء كانت في الاسكندرية او في صوفر او في شاموني اذ لا يجب ان ينظر الناس الى الاجازة نظرهم الى مدة يكسبون فيها صحة بالكيلو . ان الصحة لا تقاس ولا توزن فهي انتظام في وظائف الاعضاء واستجمام للقوى وهذا الانتظام لا يجيء الاّ عن طريق الحرية تطلق للاعضاء فتنام حين تشعر بالكرى اخذاً بمعاقد الاجفان وتستيقظ حين تشعر انها اخذت كفايتها من الراحة وتتروض على رمال الشاطئ او في الاودية والجبال وصاحبها باسم ضاحك خالٍ من هموم الدنيا . فاذا انت فعلت ذلك فاجازة اسبوعين تقضيها على ما تقدم اكثر فائدة لك من اجازة شهرين تقضيها في بلدة يؤمها الكبراء فيقضى عليك ان تعيش فيها عيشاً احكم قيوداً واثقل ظلاً من عيش المدينة والعمل الذي فررت منهُ

وما يصحُّ على الرجال يصحُّ على النساء كذلك . فليس شيء كالطبيعة يزيد الجمال . والتروض في الهواء المطلق يكسب الوجه لوناً وبهاءً يغنيانهِ عن المساحيق والادهان ويعدّل القد حتى يصير اجمل مما يصيرهُ المشد . ومن اراد ان يكون طلق المحيا يتدفق البشر من وجههِ فعليهِ ان ينظر في امر جسمهِ ويجعلهُ نشيطاً بالرياضة . واليق رياضة بالمرأة المشي الذي يكسبها الرشاقة وخفة الحركة وحسن التثني فضلاً عن تورُّد الوجنتين . على انهُ يجب ان يجُعل للمشي نظام مخصوص لكي ينفع النفع المطلوب . واللباقة والخفة في

المشي والحركة من مقوّمات الجمال المهمة ورب حسناء ذهبت قباحة مشيها وثقل حركتها برونق حسنها ورب امرأة يقرّبها لين تثنيها ولباقتها من القلوب مع انك اذا نظرت الى صورتها الفوتوغرافية لم ترَ فيها شيئاً يجعلها من الجميلات. ففي الجمال شيء غير اللون وحسن التكوين . وكثيراً ما تسحرك راقصة على المرسح بخفة حركتها ولباقتها فاذا رأيت صورتها لم تجدها فتانة كما تصورت. فعلى المرأة ان تعرف كيف تحرك يديها وتدير رأسها وكيف تقعد وتقوم . ولا شيء يكسب الرشاقة واللباقة والخفة في الحركة مثل الرياضة البدنية المعتدلة في الهواء المطلق اما الافراط في التروض فيضر بالجمال . فاذا ذهبت سيدتي لقضاء الاجازة الصيفية في بلد من البلدان فلا تهملي ترويض جسمك بما يتاح لك فيه من اسباب الرياضة ووسائلها. ولكن الرياضة معتدلة ولكن اقبالك عليها اقبالك على عمل سارّ. فاذا اصبحت تنظرين الى الرياضة نظرك الى واجب يجب قضاؤه فقدت اهم مزايا الرياضة واهم فوائد الاصطياف

والنوم الكافي ضروري لبهاء الطلعة ورونق العينين. وما من احد الاّ ويعرف ضرورة النوم واهميتهُ ومع ذلك يخسر كثير من الفتيات عافيتهنّ وجمالهن بقلة نومهن. فمن كان عليهِ ان ينهض باكراً وجب عليهِ ان لا يطيل السهر ومن كان عليهِ ان يطيل السهر كالممثلات فعليهِ ان لا ينهض باكراً . ومن يقضي يوماً كاملاً من كل اسبوع في النوم تحسن صحتهُ ويزداد مظهرهُ رونقاً . وتسهل الاشارة بالنوم ولكن كيف السبيل الى ذلك اذا كان الانسان يقضي وقتاً طويلاً مستلقياً ولا يغفي. في مثل هذه الحال قد تفيد اشارة الدكتور الكسندر بريس وهي « اجعل جسمك في الوضع الذي ترتاح اليهِ اكثر من غيرهِ وهو عادة الاستلقاء على الجانب الايمن مع انحناء قليل في الركبتين. ثم اطبق فمك من غير ان تضغط شفتيك وارخ فكك الاسفل ولسانك واغمض عينيك غمضاً غير عنيف واجعل غطاءك الى ما فوق اذنك اليسرى وبذلك يمتنع احساسك بالنور والصوت وترخي بعض عضلاتك . ثم ابدأ بارخاء عضلاتك الاخرى بادئاً بعضلات القدمين فعضلات الرجلين فعضلات الفخذين فعضلات الذراعين وذلك بتصورك العضو الذي تريد ارخاء عضلاته جماداً ملقى في الفراش ثم تخيّل ان عينيك تنظران الى بُعد . فتتجهُ افكارك باجمها الى ارخاء العضلات ولا تلبث ان يبطل عملها وتسكن مخيلتك فتغفي »

ان الاجازة الصيفية حيثما تقضى يجب ان تمكن الانسان من ان ينام نوماً كافياً لا يتخللهُ اضطراب او انزعاج . فبالرياضة المعتدلة في الهواء الطلق ونور الشمس المنعش والنوم الكافي الخالي من القلق تستجمُّ القوى وتنتظم وظائف الاعضاء ويكسب الانسان قوة ونشاطاً فيعود بهما الى عمله شاعراً انهُ السيد الذي تنقاد لهُ الامور

مصل جديد

اخترع في فرنسا مصل جديد حلَّ محل الدم الذي يلقنهُ الاطباء للمرضى في معالجة كثير من الادواء — فقد أُعلن حديثاً في اجتماع عقدهُ المجمع العلمي الفرنسي أن الدكتور (ليون نورمه) الجراح بالجيش استنبط مصلاً يضاعف عاجلاً عدد كريات الدم الحمراء في جسم مريض. ويقال ان قاعدة المصل المشار اليهِ بعض أملاح من حامض الليمون. ذلك ان الاطباء أدركوا بالاختبار ان عملية نقل الدم من شريان شخص سليم الى شريان سقيم لا تنجح اذا كانت كرياته في دم المعطي تختلف عنها في دم المعطى فاذا لم يحقق الطبيب من نجاح العملية قبل اجرائها استعمل هذا المصل مكان دم المعطي

ويتوقع الخبراء ان هذا المصل لا يستغنى بهِ عن النقل الدموي حيث يتفق دم الواهب مع دم الموهوب لهُ في نوعهِ. الا انهم موقنون بنجاحهِ في انقاذ حياة بعض المرضى الذين لا يجدون مانحاً يمنحهم دماً نقيًّا من ادران الاوصاب وكذا حين يكون القيام بعملية التلقين الدموي في الحال من المحال. وقد اختبر هذا المصل في مائة كلب فقدت مقادير كبيرة من دمائها فابلَّ ٩٥ كلباً منها. ويزعم المطلعون ان تجربته في الخلائق البشرية قد اسفرت عن النجاح. وقد أخذت تستعملهُ طائفة من مستشفيات باريس

حديث صحي — العناية بالاطفال

لباس الطفل



كريم — ارجوك ايها الصديق ان تقول كلمة في ثياب الطفل وانواعها وما يلائمهُ منها في فصل الصيف والشتاء فالآراء فيها متباينة

الدكتور — فائدة الثياب للطفل تكون على قدر مناسبتها لجسمهِ تمام المناسبة فالضيقة تزعجهُ وتقيّد حركات صدرهِ واعضائهِ في حالتي التنفس والحركة وتضغط على معدتهِ واحياناً تكون السبب في اثارة القيء بعد الرضاعة وامتلاء المعدة. والواسعة تزعجهُ ايضاً لانها تتجعد وتنطوي طيات غير متناسقة تحت جسمهِ وهذا التجعد يحدث في الجلد ما يشبهُ القروح

واذا استعملت الدبابيس في بعض ثيابهِ فالحذار لئلا تسبب له المأمن خدش تحدثهُ في الجسم

وفي سائر الاحوال يجب ان يكون قميصهُ من الفانلا الناعمة وكذلك رباط بطنهِ ويجب ان تغطى قدماهُ ولكن من غير ان تتقيّد حركاتهما بهذا الغطاء. وفي الصيف يجب ان تكون ملابسهُ قطنية ناعمة رقيقة اما في الشتاء فصوفية ناعمة ويشترط ان يلبس الطفل وهو ملقى على فراشهِ او في حجر والدتهِ

كريم — اية فائدة من حزام البطن

الدكتور — انهُ يسند جدار البطن ويقويهِ ويمنع حدوث فتاق وحتى تضمن هذه الفائدة يجب احكام وضعهِ على البطن فتشبكهُ بالقميص من فوق وبالرفادة من اسفل وتجعله عريضاً بمقدار البطن

كريم — كم تقدر مدة استعمال الحزام

الدكتور — يستبدل بهذا الحزام القطني آخر كتاني اضيق منهُ قليلاً في نهاية الشهر الثالث ومدة استعمال هذا تطول الى ١٨ شهراً

كريم — كثيراً ما يقع نظري على سيّدة تحمل طفلها وكانها تحمل رزمة ملفوفة من البفتة السمراء ومربوطة باقمطة مزركشة الالوان ولولا بروز قدمي الطفل من طرفها الاسفل لما كان يتبين لاحد انها تحتوي على طفلها فهل من تعرية قدمي الطفل فائدة صحية

الدكتور — ليس من فائدة صحية في تعرية قدمي الطفل سواء كان ذلك في الصيف او في الشتاء وهي عادة متأصلة في الام المصرية اجهل تاريخ اتصالها بها وانكر فائدتها ان كان احد يظن ان لها فائدة بل اقول انها مضرة ينشأ عنها الزكام والمغص المعوي والاسهال وغير ذلك من الامراض المزعجة الخطرة . كذلك ليس من فائدة صحية في لف الجسم وتطويقه بكثير من الثياب الغليظة بل في هذه العادة ايضاً ضرر جسيم والغريب ان معظم الاطفال في مصر وغير مصر يرتدون ثياباً تزيد اضعافاً على ما تحتاج اليهِ اجسامهم منها

دميانة — كيف نعتني بالفوط

الدكتور — يجب استبدال الفوط او الروافد حال اتساخها او بلها والروافد المبلولة تحفظ في وعاء محكم الغطاء وتغسل في اول فرصة تسنح

دميانة — هل نستعمل فوطة مبلولة مرة ثانية قبل ان نغسلها

الدكتور — لا شك ان استعمال الفوطة مرتين قبل غسلها يسبب تسميطاً وطفحاً مزعجاً فتغييرها عند ما تبتل او تتسخ احفظ لسلامة الطفل واضمن لراحتهِ

دميانة — هل من شروط تذكر هنا في غسيل الفوط

الدكتور — اهم شروط يجب السير عليها في غسيل الفوط هي ان لا تترك حتى تنشف باوساخها بل يجب ان تغسل في الحال غسيلاً يزيل عنها القذارة ثم تحفظ في المكان المعد لها الى ان يتسنى للمربية او الوالدة غسيلها وتنظيفها كما يجب وفي جميع الاحوال يجب ان لا تستعمل الفوط الرطبة

الدكتور شخاشيري

باب الزراعة والاقتصاد

انضاج الثمار بالغاز

كان اهل الصين في العصور القديمة ينضجون الفواكه ومنها الكمثرى الفجّة بوضعها في غرفة محكمة ثم حرق البخور حولها . فاقتبس علماء هذا العصر ذلك الفن فاخذوا ينضجون الاثمار المختلفة الأنواع بطرق صناعية شتى تقوم بقطف الفاكهة من أشجارها قبيل نضجها ثم اتمام الانضاج بالوسائل الصناعية العاجلة لتكتسب الفاكهة رونقاً وجودة من الطعم فينتفع الزراع ببيعها مبكراً

ومما استخدم لهذه الغاية غاز الإثيلين فنجح نجاحاً باهراً — وقد قام بتجاربهِ الاستاذ ور . ب . هارفي من أساتذة مدرسة مِنَسوتا الجامعة وغيره من العلماء متوخين تسهيل الطريقة ما أمكن كي يستطيع غير العلماء مباشرتها بنفقات قليلة وقد اشرنا الى تجاربهِ ونتائجها في مقتطف اغسطس ١٩٢٧ صفحة ٢٣٧

وقد تسنى انضاج الموز والطماطم والكرفس والاناناس والسنطاوي والبرتقال والليمون البنزهير والليمون الاضاليا والليمون الهندي بهِ فجاءت من اشهى ما يؤكل

اصلاح الارض وتحسينها

٢

قد وضعت وزارة الاشغال جدولاً باقطار مواسير الفتحات التي تجيز للملاك وضعها على نفقتهم بالترع والمصارف العمومية اقفاماً ومصبات للمراوي والمصارف الخصوصية — محررة بنسبة الاطيان المنتفعة منها في الوجه البحري ومصر الوسطى عدا الفيوم وستذكر بعد. وقد اثبت الجدول فيما يلي وبازائه القطاعات المناسبة للمراوي بالجهات الشمالية والجهات الجنوبية ومثلها مصر الوسطى محررة بمعرفة محمد بك الالفي من كبار مهندسي وزارة الاشغال بعد تعديلات اجريتها فيها لتتقارب ومشاهداتي الخاصة — هذا عدا ما يجب ان تكون عليه تلك القطاعات مع سائر الظروف التي ستذكر عقب الجدول

قطاعات المراوي

قطر الماسورة بالسنتمتر	مقدار الاطيان بالفدان	في الجهات الجنوبية العمق	القاع	القمة	في الجهات الشمالية العمق	القاع	القمة	الميل
		بالسنتمتر						
١٠	١٠	٣٠	٣٠	٦٠	٣٠	٣٠	٦٠	الميل ½ الى واحد
١٢ر٥	٢٠							
١٥	٣٠	٣٥	٣٥	٦٠	٤٠	٤٠	٨٠	
١٧ر٥	٤٥							
٢٠	٦٥	٤٠	٤٠	٨٠	٥٠	٥٠	١٠٠	
٢٢ر٥	٨٥							
٢٥	١١٠	٤٠	٤٠	١٠٠	٥٠	٦٠	١٣٥	الميل ¾ الى واحد
٢٧ر٥	١٣٥							
٣٠	١٦٥	٥٠	٥٠	١٢٥	٦٠	٧٠	١٦٠	
٣٥	٢٣٥							
٤٠	٣١٥	٥٠	٥٠	١٥٠	٦٠	٨٠	٢٠٠	الميل ١—١
٤٥	٤٠٥	٦٠	٦٠	١٨٠	٧٠	٨٠	٢٢٠	
٥٠	٥١٠	٦٠	٨٠	٢٠٠	٧٠	١٠٠	٢٤٠	
٥٥	٦٢٥	٧٠	٨٠	٢٢٠	٨٠	١١٠	٢٧٠	
٦٠	٧٦٠	٨٠	٩٠	٢٥٠	٩٠	١٢٠	٣٠٠	
٦٥	٩٠٠	٩٠	١٠٠	١٨٠	٩٠	١٦٠	٣٤٠	
٧٠	١٠٦٠	١٠٠	١١٠	٣١٠	١٠٠	١٦٠	٣٦٠	
٧٥	١٢٢٠	١١٠	١٢٠	٣٤٠	١٠٠	٢٠٠	٤٠٠	
٨٠	١٤٠٠	١٢٠	١٢٠	٣٦٠	١١٠	٢٠٠	٤٢٠	
٨٥	١٥٩٠	١٢٠	١٤٠	٣٨٠	١١٠	٢٣٠	٤٥٠	
٩٠	١٧٩٠	١٣٠	١٥٠	٤١٠	١٢٠	٢٥٠	٤٩٠	
٩٥	٢٠٠٠	١٣٠	١٦٠	٤٢٠	١٢٥	٢٨٠	٥٣٠	
١٠٠	٢٢٣٠	١٤٠	١٧٠	٤٥٠	١٣٠	٣٠٠	٥٦٠	

العادة ان لا ينقص عمق اصغر مروى عن ٣٠ سنتمتراً حتى لا يفسد بالطوارىء والمرض طها بالغيط

هذه الميول في الارض السوداء . اما في الارض الرملية فيجب ان تكون اكثر كما سيذكر في فصل آت

ملحوظة — كلما كان الانحدار اقل كما في الجهات الشمالية لزم ان يكون قطاع المروى اكثر وكذلك نسبة عرض القاع الى العمق لتسهيل جري الماء . اهـ

هذا عدا ان عمق المروى الخصوصي يتعلق (١) بعمق الترعة العمومية فان فرش ماسورته يصمم غالباً على ان لا يعلو عن قاعها الا بما يساوي ربع عمقها تقريباً او حسب منسوب التحاريق ليمكن الانتفاع من اوطى منسوب للمياه فيها ان لم يكن بالراحة فبالروافع — فاذا كان عمق الترعة متراً فان قاع المروى لا يعلو عن قاعها الا ٥٠ سنتمتراً واذاً يجب ان يكون عمق المروى عن الفتحة ١٫٥٠ م وهذا بفرض ان منسوب سطح الارض بجوار الترعة اوطى من منسوب فيضانها بـ ٢٥ سنتمتراً فقط فاذا كان اوطى من ذلك قل عمقه بحسبه واذا كان اعلى زاد عمقه بحسب زيادة علوه (٢) بمنسوب الارض التي يمر فيها وحساب انحدار القاع فمثلاً اذا اريد انشاؤه بعمق متر في ارض متناسبة الارتفاع مع الانحدار المناسب لتسهيل سيولة الماء فيحفر بهذا العمق ولكن اذا كان بعض اجزاؤه اعلى عما قبله ومما يليه بـ ٥٠ سنتمتراً مثلاً وجب زيادة العمق فيه بهذا القدر حتى يمكن توصيل المياه الى ما يليه ووجب قبل ذلك تعلية جسور الجزء الذي قبله حتى يمكن ان يحمل المياه اليه كما ينبغي

ملحوظات

(١) اقطار المواسير موضوعة بحيث تصمم الترع على ان يمكن ان تعطي للفدان اولاً في مناطق القطن ٣٥٠ متراً مكعباً من الماء في كل اسبوع من اسبوعين في فصل الفيضان (اي رية واحدة كل ١٤ يوماً) حيث لا تقفل الترع العمومية عادة بل يكون الماء فيها اسبوعاً عالياً واسبوعاً واطياً . اما في سائر الفصول فالمياه محدودة بالمناوبات . ثانياً في مناطق الارز ان يكون الري لمدة اربعة ايام من ثمانية اي رية واحدة كل ثمانية ايام اربعة منها دور عالي واربعة منها دور واطي — وفي احوال استثنائية يزاد القطاع لمناطق الارز حيث يجعل التصرف ٦٥ متراً مكعباً بدلاً من ٥٠

(٢) حينما تكون الارض واقعة على ترعة رئيسية ذات عمق كبير تعطى لها عادة فتحة صيفية تستعمل في الصيف يعمل فرشها كما ذكر قبلاً اما في فصل النيل حيث يعلو الماء كثيراً فتستعمل فتحة نيلية اعلى من الفتحة الصيفية وتقفل هذه

(٣) اذا استعملت سحارات بدل المواسير لتعدية ماء الري او الصرف تزاد سعة السحارات نحو ٢٠ ٪ في الاقطار الكبيرة واكثر من ٤٠ ٪ في الاقطار الصغيرة

(٤) يحمل المروى من الماء اكثر من سعته المحفورة في الارض بقدر ما تحتمله جسوره فوقها حيث يلزم للري بالراحة ان يعلو الماء فوق سطح الارض نحو ٢٥ سنتمتراً او حيث

يلزم تعلية جسوره في بعض اجزائهِ الواطية لتحمل الماء الى الاجزاء العالية التي تليها كما ذكر قبل

(٥) ومما تفيد ملاحظتهُ ان تكون فتحة المروى الخصوصي في اقرب موضع متصل او ممكن اتصاله باول الاطيان حتى يمكن ان تستفيد هذه من اول موضع ممكن من الترعة العمومية فلا يتقدم عليها ما يمكن ان تتقدم هي عليهِ من فتحات الاطيان الاخرى واهم ما يلزم ذلك اذا كانت الترعة العمومية صغيرة (توزيعية) أو عليها دوافع كثيرة تؤثر فيما يجاورها

***

جدول عن تصرف المواسير في الثانية بالمتر المكعب ريًّا وصرفاً وعن قطاعات المصارف

بقلم محمد بك الالفي

قطر الماسوره	مقدار الاطيان	التصرف في الري	في الصرف	القطاع عمق	قاع	القطاع لحد ١٦٥ فداناً كقطاع مسقى صغيرة
				بالسنتمتر		
٣٥	٢٣٥	٠ر١٣				
٤٠	٣١٥	٠ر١٨				
٤٥	٤٠٥	٠ر٢٣	٠ر ٧	٥٥	٥٥	هذه هي القطاعات التي يعلوها ماء
٥٠	٥١٠	٠ر٣٠	٠ر ٩	٦٥	٦٥	الصرف ولكن يجب ان يكون اصغر
٥٥	٦٢٥	٠ر٣٦	٠ر١١	٦٥	٦٥	مصرف (زاروق) لاصغر قطعة من
٦٠	٧٦٠	٠ر٤٤	٠ر١٣	٧٠	٧٠	الارض خالياً من الماء بعمق نحو
٦٥	٩٠٠	٠ر٥٢	٠ر١٥	٧٥	٧٥	٦٠ سنتمتراً على الاقل ليمكن تجفيف
٧٠	١٠٦٠	٠ر٦٠	٠ر١٨	٨٠	٨٠	التربة واحلالها للزراعة او اكثر
٧٥	١٢٢٠	٠ر٧٠	٠ر٢١	٨٥	٨٥	بحسبما تسمح به حالة المصرف
٨٠	١٤٠٠	٠ر٨٠	٠ر٢٤	٩٠	٩٠	العمومي او اذا كان الصرف
٨٥	١٥٩٠	٠ر٨٦	٠ر٢٥	٩٥	٩٥	بالآلة واذاً يلزم ان يزداد العمق
٩٠	١٧٩٠	١ر٠٣	٠ر٣٠	١٠٠	١٠٠	٦٠ سنتمتراً فاكثر عما هو وارد
٩٥	٢٠٠٠	١ر٢٠	٠ر٣٦	١٠٥	١٠٥	بالجدول اما عرض القمة فحسب
١٠٠	٢٢٣٠	١ر٣٠	٠ر٣٩	١١٠	١١٠	الميل

ملحوظات

(١) لاجل معرفة التصرف في الثانية نورد المثال الآتي : ٢٢٣٠ فداناً × ٥٠ مم للفدان يومياً = ١١١٥٠٠ مم ÷ ٨٦٤٠٠ ثانية الموجودة في ٢٤ ساعة = ١٫٣٠ م م في الثانية هذا في الري

(٢) اما في الصرف فانما يصرفهُ الفدان= ٣٠ ٪ من ماء الري او ١٥ مم ومثلها تتشربه التربة ومثلها يذهب في التبخر و ٥ مم فقد وحساب ١٥ مم لصرف الفدان هو في المصارف العمومية الصغيرة اما في المصارف الخصوصية فاكثر من ذلك وفي المصارف العمومية الكبيرة اقل

(٣) كلما كثرت الفتحات من المروى للري كان تصرفه اتم فالمروى الذي فتحت منهُ (٥) مطلق في الارض لري زرعها يكون تصرفهُ اكثر من الذي فتحت منهُ (٣) مطلق

***

جدول المياه اللازمة يوميًّا لكل فدان وهو الذي تحسب على موجبهِ رخص الآلات او روافع الماء

	نوع الزراعة	في مصر العليا	في مصر الوسطى	في الوجه البحري
صيفي	قطن	٣٦	٣٠	٢٤
	قصب	٤٠	٣٦	٠٠
	ذره	٤٠	٣٦	٠٠
	ارز	٠٠	٠٠	٦٠
نيلي	ذره	٣٦	٣٠	٢٤
شتوي	قمح وشعير وبرسيم وفول الخ	١٦	١٤	١٢

تبنى المناوبات الصيفية على ان زراعة الصيف لا تزيد عن نصف الزمام وان يروى القطن رية واحدة كل ١٥ او ١٨ او ٢١ او ٢٤ يوماً وان يروى الارز رية واحدة كل ٨ او ١٢ يوماً حسب حالة المياه

***

جدول قطاعات الترع في الفيوم بقلم محمد بك الالفي وتصرفها باعتبار ان يعطى للفدان الواحد ٣٠ م من المياه يوميًّا

قطاع الترعة

مقدار الأطيان	التصرف في الثانية بالمتر المكعب	العمق	القاع	
		بالسـ	ـنتمتر	
٤٠٥	١٤ر.	٦٥	٨٥	القطاع اللازم قبل ال ٤٠٥ فدادين
٥١٠	١٨ر.	٦٨	٩٥	يكون كقطاع مسقى صغيرة
٦٢٥	٢١ر.	٧٠	١٠٠	في الفيوم لا توجد فتحات
٧٦٠	٢٦ر.	٧٥	١١٥	بمواسير يطبق عليها الجدول السابق
٩٠٠	٣١ر.	٧٨	١٣٠	بل توجد فتحات ذات اعتاب
١٠٦٠	٣٦ر.	٨٢	١٤٠	عرضها بنسبة الزمام لكل ٢٠٠٠
١٢٢٠	٤٢ر.	٨٧	١٥٠	فدان متر واحد او لكل ٢٠ فداناً
١٤٠٠	٤٨ر.	٩٠	١٧٠	سنتمتر واحد ويرتفع الماء فوق
١٥٩٠	٥١ر.	٩٠	١٧٥	العتب ٥٠ سنتمتراً في فصل
١٧٩٠	٦١ر.	٩٧	١٩٢	الفيضان اما في غيره فحسب
٢٠٠٠	٧٢ر.	١٠٢	٢١٠	حالة المياه
٢٢٣٠	٧٨ر.	١٠٣	٢١٥	

وتروى ارض الفيوم (الا قليلاً) بالراحة في كل فصول السنة وفي المناوبات تتساوى ايام الادارة وايام البطالة وايام الدور العالي وايام الدور الواطي فيكون كل منها ٧ او ٨ او ١٠ حسب حالة المياه ولا يزرع فيها ارز صيفي وتعطى مواسير مساعدة لزراعة الارز النيلي وغسيل الارض الملحية في فصل النيل

احمد الالفي

تعتيق الخمر بالكهرباء في ساعتين

ظل الكرّامون من الاوربيون مئات من السنين لا يعرفون وسيلة لتعتيق الخمر غير نقلها من برميل الى آخر بالطريقة المعروفة باسم التقطير . وقد اعلن كيماوي فرنسي خبير في صناعة النبيذ استنباطهُ طريقة جديدة لتعتيق الخمر تدور على تعريض الخمر الحديثة الرخيصة لتيار كهربائي متناوب من قوة ١٢٠٠٠٠ فولط فتعتق الخمر وتكتسب في ساعتين فقط طعماً ولوناً كخمر انقضى عليها قرن كامل من الزمان وكل ما تقتضيه هذه العملية وجوب استعمال خمر جيدة لان التعتيق السريع انما هو نتيجة التغييرات الكيماوية التي تحدث في الزيوت المطية لها وغيرها من العناصر الداخلة في تكوينها

مكتبة المقتطف

ابراهيم باشا في سوريا

تأليف سليمان بك ابو عز الدين — صفحاته ٣٤٤ مصورة — طبع بالمطبعة العلمية بيروت

لقد اسدى سليمان بك ابو عز الدين خدمة جليلة لتاريخ الشرق الادنى في الحقبة التي وقعت فيها غزوة جيوش محمد علي لسوريا . وجعل الذين يقرأون صفحاته يشعرون انهم يطالعون تاريخاً ممحصاً ملخصاً من مئات الروايات والمؤلفات تتبع فصولهُ بعضها بعضاً كأنها الحلقات المترابطة في سلسلة تامة التكوين. وقد جعلهُ «تاريخ بدء النهضة الحديثة في الشرق الادنى واحوال سوريا في عهد محمد علي وثورات السوريين ودروز حوران على حكومتهِ وصفحة من تاريخ المسألة الشرقية ومطامع دول اوربا في البلاد العثمانية »

***

وقف المؤلف الفصول الاولى من كتابهِ على ترجمة محمد علي باشا وطموحهِ الى التوسع والاستيلاء على سورية . وبيان اسباب الحملة على سوريا — كطموحهِ لتوسيع دائرة حكمهِ وتوطيد اركانهِ باستخدام ما في سوريا من خيرات ورجال وبابعاد عاصمة بلادهِ عن الحدود العثمانية واقامة حاجز حصين بينهما .. (ص ٥١) وكيف توثقت الرابطة بينهُ وبين الامير بشير الشهابي ويلي ذلك فصلان احدهما يشتمل على وصف لحالة سوريا بوجه خاص والسلطنة العثمانية بوجه عام حين بدأ عزيز مصر في تنفيذ عزمهِ والآخر على موازنة بينهُ وبين السلطان محمود الثاني والعوامل السياسية والاجتماعية التي نصرت الاول وخذلت الثاني . وقد نشرنا هذا الفصل برمتهِ في مقتطف يونيو الماضي ص ٣٠ ومنهُ يتضح للقارىء اسلوب المؤلف في استنباط الحقائق التاريخية وسوقها في بلاغة قوامها سهولة التعبير ووضوح المعنى

ثم عرض للمعارك المختلفة التي خاضتها جيوش محمد علي واساطيلهُ من حصار عكا وفتحها الى معركة الزرّاعة التي كانت على صغرها — معركة فاصلة لان انتصار ابراهيم باشا فيها شدّد عزائم جنودهِ ومحالفيهِ ونزع الشكوك من نفوس المتربثين الذين كانوا يرتقبون رجحان احدى كفتي الميزان . . (ص ٨٣) ثم الى فتح دمشق في ١٦ يوليو سنة ١٨٣٢ الى موقعة حمص الى احتلال حلب في ١٥ يوليو سنة ١٨٣٢ الى معركة بيلان

٢٩ يوليو سنة ١٨٣٢ (وبيلان مضيق واقع على طريق القوافل بين حلب والاسكندرونة) الى معركة قونية في ٢١ دسمبر ١٨٣٢ التي اسر فيها رشيد باشا الصدر الاعظم وقائد الجيوش العثمانية العام واصبح بعدها ابراهيم باشا وكأنهُ على ابواب الاستانة

هذا الجزء من الكتاب يصح ان يدعى الجزء الحربي وفيهِ وصف المعارك المذكورة وغيرها وصفاً حربيًّا دقيقاً يطالعهُ القارئ متشوقاً لمعرفة ما تكشف عنهُ المعركة من مصير الجيشين المتحاربين وضلعهُ في الغالب مع ابراهيم باشا لما يبديهِ من الحنكة والبسالة

ولما توغل ابراهيم باشا في الاناضول بلغ النزاع بين السلطان محمود ومحمد علي درجة دقيقة جدًّا جملتهُ ذا صبغة سياسية عامة واصبحت تسويتهُ خاضعة لمقتضيات السياسة الاوربية. هنا يتم الجزء الاول من الكتاب وهو يشتمل كما تقدم معنا على ترجمة محمد علي واستعدادهِ لغزوة سوريا وتفاصيل هذه الغزوة

اما فصول الجزء الثاني فتشتمل على وصف مسهب لحكومة محمد علي في سوريا وترتيباتها الادارية والقضائية والمالية والثورات التي عقبتها التي نشأت عن اوامر محمد علي القاضية باحتكار تجارة الحرير وتحصيل الفرده اي فريضة الرؤوس ونزع السلاح واجراء التجنيد بزيادة الضرائب واهمها ثورة فلسطين والاضطراب في الشام — في طرابلس وعكاء وصافيتا والحصن — وثورة النصيرية (وقد وقعت كلها سنة ١٨٣٤) ثم ثورة دروز حوران (سنة ١٨٣٨) وقد تلا ذلك حوادث سياسية ووقائع حربية خطيرة لا مكان لذكرها

وبالجملة فان كتاب ابو عز الدين بك تاريخ نفيس تقرأهُ فيأخذ بمجامع قلبك كالرواية الشائقة وتتعهد معانيهُ بالتمحيص والتدقيق فتجدها مستمدة من مؤرخي العرب والفرنجة بعد احكام العقل في رواياتهم واستنباط الحقائق بالقياس والموازنة

طرابلس الفيحاء

تراجم علمائها وادبائها

تأليف عبد الله حبيب نوفل — صفحاته ٣٠٠ قطع المقتطف — طبع بمطبعة الحضارة بطرابلس الشام

تراجم الراحلين من العلماء والفضلاء نبراسٌ يهتدي بهِ الناشئون. اذ ليس اوقع في نفس الناشيء من الاطلاع على ما في سير الرجال من الفضائل والمناقب فيدرك ان العلى لا تنال الا بالكد والمثابرة وسهر الليالي. وهذه الحقيقة اصبحت من الاركان التي تقوم عليها نزعة خطيرة من نزعات التربية الحديثة. فدرسو العلوم يرون ان التلميذ المبتدىء لا يستطيع ان يدرك مبادىء العلوم مجرَّدة فيعتمدون الى تجسيمها وضرب الامثلة عليها.

وهم يريدون ان يغروهُ كذلك بالاكباب على درسها فيسردون له سير العلماء الذين كشفوا مبادئها وما لاقوهُ في حياتهم من المشاق — كضعف الصحة وقلة المال وتنديد المزاحمين بعملهم — وكيف تغلبوا على كل ذلك . فيشغف التلميذ بما في الترجمة من عناصر الرواية الاخاذة فيقبل عليها اقبال الظمآن على الماء لانها فملأ تروي ظماءهُ النفسي فتحبب اليهِ العلم الذي اشتغل بهِ ذلك الرجل وتغريهِ بدرسهِ

وطرابلس من اشهر مدن الشام بعلمائها وادبائها ووفرة المتعلمين فيها من قديم الزمان « وحسبك ان عالماً كاني العلاء تلقى العلم فيها » . وقد قال الدكتور كرنيليوس ڤانديك « ان طرابلس بلدة العلم والعلماء » . لذلك نرحب بهذا الكتاب النفيس الذي يحتوي على تراجم نحو مائة وخمسين عالماً واديباً من علماء الفيحاء وادبائها . وقد احسن المؤلف في اختيار الذين لبّوا دعوة ربهم لان ترجمة الاحياء محفوفة بالمصاعب اهمها تعذُّر التجرّد في التقدير والنقد لصداقة اونفار بين الكاتب والمترجَم

والكتاب اقرب ان يكون معجماً للادباء والعلماء الطرابلسيين المترجين منهُ الى كتاب سِيَر "Biograpby" تغلب عليهِ الصبغة المدرسية التهذيبية التي قدمنا ذكرها في هذا الكلام . وحبذا الحال لو اختار المؤلف عشرة او عشرين من المترجين في هذا الكتاب وتوسع في كتابة سيرهم حتى تشمل السيرة ٢٠ صفحة مثلاً لكي يتسع امامهُ مجال التحليل والتصوير — تحليل الصفات والمناقب التي امتازوا بها وتصوير اثرهم في ميدان الفكر الذي جالوا فيهِ . اننا لا نغمط المعاجم قيمتها وفائدتها ولكنها تخلو من شعلة الحياة تتلظى في سطورها . وهذا ما يطلب لاغراء النشء بالمطالعة . فاذا كان القصد من الكتاب جعلهُ مرجعاً يرجع اليهِ. فمؤلف الاستاذ نوفل من خيرة المؤلفات في موضوعهِ واذا اردنا بهِ ان نبثَّ في نفوس اولادنا واخوتنا حب التاريخ القومي والاتعاظ بسير رجالهِ فيجب ان يعاد النظر في بعض السير المقتضبة التي نشرت فيهِ . وللكتاب مقدمة حسنة في تاريخ الفيحاء من اقدم الازمنة الى الآن

خطط الشام

دائرة معارف تاريخية — بقلم الاستاذ كرد علي — الجزء السادس — صفحاته ٤٢٨
قطع كبير ثمنه ٣٠ قرشاً — طبع بمطبعة المفيد بدمشق — يباع في المكتبة السلفية بمصر

اطلع قراء المقتطف على طائفة مختارة من مباحث هذا الجزء وكونوا لانفسهم فكرة صادقة عن موضوعاتهِ واسلوبهِ وبهِ انتهت اللجنة التي أُلفت لنشر الخطط من عملها واعلنت عن عزمها على نشر معجم الخطط في وصف البلدان والقرى والجبال والاودية

والانهر والبحيرات وغير ذلك وهي مؤلفة من حضرات السادة بدر الداغستاني وخليل مردم بك وسامي العظم وفخر البارودي وفوزي الغزي ولطفي الحفار فنرجو ان توفق في نشر المعجم كما وفقت في نشر الخطط

ولقد تيسر لحضرة الاستاذ الكبير محمد كرد علي بك وزير معارف سورية ورئيس المجمع العلمي العربي ما لا يتيسر لغيره من وفرة المراجع فضلاً عما يؤثر عنهُ من دقة في البحث وانصاف في الحكم وتحري الحقائق وسعة في المعلومات والمعارف مما جعل خططهُ في مقدمة الموسوعات التاريخية الموثوق بها

ومباحث هذا الجزء خاصة بالتاريخ المدني ففيهِ وصف مسهب للبيع والكنائس والديرة ومنشئها واعظمها واقدمها ووصف اشهرها في البلاد الشامية وعمل الرهبان والراهبات. والمساجد والجوامع في اول الفتح واشهرها في البلاد الشامية. والمدارس ودور القرآن والحديث ومدارس المذاهب الاربعة والمدارس الحديثة والطبية وغيرها والخوانق والربط والزوايا والمستشفيات والبيمارستانات ودور الآثار والمتاحف. ودور الكتب والاديان والمذاهب واديان القدماء. والاخلاق والعادات عند الدمشقيين والحلبيين واللبنانيين وغيرهم. وفي نهاية الجزء سيرة مؤلفه الفاضل بقلمهِ وحسب القارئ هذه المباحث وما تفرع عليها ليدرك قيمة الكتاب مما لا يتيسر للباحث الوقوف عليها الاَّ في كتب متفرقة

وللاستاذ كرد علي كلمة تلهف فيها على العبث بالمدارس وغيرها. فبعد ما القى اللوم على الحكومات والامة الذين سهلوا للعابثين والسارقين والمقوضين لتلك المدارس والعاملين على انتهاك حرماتها عملهم قال:

« اضاع الخلف ما ابقاه السلف معموراً زاهراً من المدارس التي كانت في العصور الغابرة غاية ما وصل اليهِ العقل البشري ظرفاً ومظروفاً وبها اثبت اجدادنا قبل القرون الوسطى انهم كانوا شيئاً مذكوراً في اتقان الهندسة والبناء وانهم على جانب من سلامة الذوق وانهم حراص على مجد امتهم وان الاعمال العظيمة لم تقم بنفسها لو لم تفكر فيها عقول كبيرة وما كانت تلك المدارس تعمر لو لم يدرس فيها نوابغ من رجال العلم والآداب ولو لم تكن ذات قانون معقول. نعم لم نعرف سر هذه الصناعة التي مثلتها لنا هذه المدارس ولعلهُ يقوم في الجيل المقبل من ابنائنا علماء بالآثار والبحث يكشفون سر اعمال الاجداد كما توفر علماء الآثار في اوربا مائة سنة حتى كشفوا لامهم اسرار البيع العظمى التي قامت في قارتهم خلال القرون الوسطى، وعسى ان يبرهن الباحثون منا انهُ لم يقم في الارض

شيء من العظمة الا كان الى جانبه عظماء يتعهدونهُ ويغذونهُ بمادة عقولهم ، ويفيضون عليهِ من معين قرائحهم »

هذا ونود ان نلفت نظر اعضاء اللجنة التي وقفت على نشر الخطط ومؤلفها الفاضل الى انهُ كان يحسن عمل فهرس عام للخطط كلها ليسهل على الباحث الوصول الى غرضهِ في اقرب وقت وعسى ان ينشروا هذا الفهرس في كراس خاص قريباً ليتم عملهم المفيد فهذا امر لا غنية عنهُ اذا اريد استكمال الفائدة والله الموفق م . ر

جغرافية مصر في العهد العربي

ظهر القسم الثاني من الجزء الاول سنة ١٩٢٨ من كتاب جغرافية الوجه البحري المعروف عند جغرافيي العرب باسم اسفل الارض اخرجهُ الامير الجليل عمر طوسون للناس كتاباً علمياً حافلاً جديراً بان يحمل اسمهُ الكريم

يبدأ هذا القسم الثاني بالفصل الثالث متكلماً عن عصر المديريات الكبرى بعد ما قدم له بمقدمة عن التغيير الاخير الذي حدث من الوجهة الادارية في التقسيم الجغرافي بالوجه البحري اثناء حكم العرب . وفي الحق ان هذا القسم ظل معمولاً بهِ لغاية الوقت الحاضر الاَّ في اختلاف قليل ضئيل. يقول سمو الامير ، نعرف تاريخين حصل فيهما هذا التغيير :—

الاول — الروك الحسامي الذي تم في مدة تملك السلطان المنصور حسام الدين لاجين سنة ٦٩٧ هـ (١٢٩٨ م) وقد تكلم عنهُ المقريزي في الجزء الاول صحفة ٨٨ حيث قال ان المنصور امر بمساحة اراضي مصر . كذلك قال ابن اياس (جزء اول ص ١٣٧) انهُ في سنة ٦٩٧هـ أمر بمساحة الاراضي وهو المعروف بالروك الحسامي حيث بدئ بهِ في ٦ جمادى الاولى سنة ٦٩٧ (٢٠ فبراير سنة ١٢٩٨) وكان الرئيس المدعو التاج الطويل الذي شرع بعمل الكشوف المبين بها مسافة اقسام البلاد المختلفة واسماؤها

الثاني — الروك الناصري الذي أمر بعمله السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٥هـ (١٣١٥ م) وقد ذكره المقريزي في الجزء الاول ص ٨٨ واشار اليهِ ابن اياس (اول: ١٥٩) في حوادث سنة ٧١٥ للهجرة و ١٣١٥ م

ومن المهم ان يذكر عدد الاقاليم وتقسيم المديريات حسب الترتيب الهجائي اخذاً عن كتاب التحفة السنية باسماء البلاد المصرية للشيخ الامام شرف الدين يحيي بن المقرّ بن الجيعان مستوفي ديوان الجيش المتوفى في جمادى الثانية سنة ٨٨٥ (اغسطس سنة ١٤٨٠م) وهي:

١ — البحيرة — ٢ — الدقهلية — ٣ — ضواحي ثغر دمياط — ٤ — ضواحي

ثغر الاسكندرية — ٥ — ضواحي القاهرة — ٦ — الغربية — ٧ — جزيرة بني نصر — ٨ — القليوبية — ٩ — المنوفية — ١٠ — فوة والمزاحمتين — ١١ — نستراوه — ١٢ — الشرقية . وهكذا اصبحت الاقاليم الصغرى التي كان عددها ٢٢ مجتمعة في ١٢ اقليماً

(١) فالبحيرة كان بندرها دمنهور (٢) والدقهلية مع المرتاحية مجتمعتين بندرهما اشمون طناح او اشمون الرمان (وكان مركز ميت غمر الحالي وجزء من مركز السنبلاوين تابعاً للشرقية) (٣) ضواحي ثغر دمياط بندرها دمياط (٤) ضواحي ثغر الاسكندرية مع رشيد وشاطئ البحر الى ادكو شرقاً وغرباً لوبيا وبوق وسنتريا (بواحة سيوة) بندرها الاسكندرية (٥) ضواحي مصر بما جاورها شمالاً وعاصمتها القاهرة (٦) الغربية كانت مكونة حسب التحديد الوارد في الجزء الخامس من كتاب الانتصار لابن دقماق من جزيرة قوبسنا والسخاوية والتمريسية والطنطيدتوية والسمنودية والدنجوية والسنهورية (وقال القلقشندي في صبح الاعشى بمحو نستراوه) وبندر المديرية المحلة الكبرى (٧) جزيرة بني نصر دخلت في زمام المنوفية كما قال القلقشندي وكان بندرها ابيار (٨) القليوبية كما هي الى اليوم وبندرها قليوب (٩) المنوفية كما هي واضيف اليها بعد سنوات جزيرة بني نصر وبقي بندرها منوفية كما كان في العصر الذي قبله

(١٠) فوة والمزاحمتين كما هي (والحد الفاصل كما يقول القلقشندي بينها والبحيرة ترعة الاسكندرية) بندرها فوة (١١) نستراوه كما كانت في العصر السابق ولكن اقليم رشيد ضم الى نستراوه التي اختفت والحقت بعد ذلك بالغربية وكان بندرها نستراوه (١٢) الشرقية كما كانت وانضمت اليها الفاقوسية وبقي بندرها بلبيس

بعد ذلك اتى سمو الامير بجداول مفيدة عن المساحات المزروعة واموالها بلغ ١٦٤٠ ناحية لم يجهل مربوط المال في غير ٢٩ ناحية منها وفي نهاية الكتاب خرائط ملونة بديعة لاسفل الارض حسب الروك الناصري وخريطة للمديريات واخرى للمراكز مما يزيد في قيمة المؤلف الجامع المانع بارك الله في همة سموه وكل عامل مجتهد توفيق اسكاروس

الشيخ محمد عبده

تأليف الاستاذ احمد الشايب — صفحاته ٦٤ من القطع المتوسط — طبع بمطبعة الاسكندرية بالعطارين

يعدُّ الاستاذ احمد افندي الشايب — استاذ الادب العربي بالمدرسة العباسية الثانوية — من خيرة كتاب مصر المتذوقين لجمال الادب العربي الى جانب شغفه بالادب الاوربي مما

ساعدهُ في دراساتهِ المتنوّعة المنشورة في الكتب والمجلات على ان يتحفنا بالشائق من الاسلوب الصافي ، وبالممتع من نظراتهِ الادبيـة الحرّة . ومن انفس ما قرأناه لهُ من الدراسات الادبية مقالاتهِ النقدية للغزل في تاريخ الادب العربي للبهاء زهير وابن حمديس والشريف الرضي فضلاً عن الشعراء المعاصرين . وقد اتحف الادباء اخيراً بدراستهِ للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وهي دراسة تاريخية ادبية صرفة لعلها الاولى من نوعها من مشربها ومنهجها ، باسلوب سلس رائق جدير بفضل الاستاذ المؤلف ومنزلة المترجم لهُ . وما نشك في ان كتابهُ سيقرأ باهتمام وتقدير في البيئات الادبية كما يُعنى بدراستهِ في معاهد العلم . وهو مطبوع طبعاً فاخراً ومصدّر بصورة الاستاذ الامام

عوائد العرب

تأليف المرحوم الخوري بولس سيور البولسي — صفحاته ١٦٩ — طبع بمطبعة القديس بولس بحريصا لبنان

يشتمل هذا الكتاب النفيس على دروس اخلاقية وكتابية نفيسة ، حوت في تضاعيف سطورها ايضاحات دقيقة وفوائد جمة في عادات العرب ووجوه التشابه التي بينها وبين عادات الشعب الاسرائيلي قديماً . وهو مما لا يستغنى عنهُ كل من اكبّ على مطالعة الكتب المقدسة او احب الاطلاع على اخلاق فريق من ابناء البلاد السورية وعاداتها

ومن الموضوعات التي طرقها المؤلف عادات العرب في الطعام والمسكن واللباس والزواج والمرأة والقبائل والقضاء والحماية وما يقابل ذلك عند اليهود معززاً بالشواهد والاسانيد من الكتب المقدسة . ومن الغرائب التي ذكرها المؤلف قولهُ صفحة ١٠٢ تحت موضوع الولادة عند العرب « وقد حكى لي احدهم ان امرأة بدوية كانت تحصد ذات يوم مع الحصادين واذ شعرت بدنو ساعتها وانفردت الى ناحية هناك ووضعت ابنها وخبأتهُ في كومة تبن . ورجعت الى شغلها من الحصيد كأنها لم تجر شيئاً . وعند المساء حملت وليدها بطاقة التبن الى بيتها »

الخرسانة المسلحة

اهدى الينا المهندس المعماري المشهور عزيز بك خلاط كتاباً هندسيًّا نفيساً في الخرسانة المسلحة عرض فيهِ لوجوه الموضوع النظرية والعملية وضمنهُ جداول مفيدة جدًّا مبنية على العلم الراسخ والاختبار الواسع لا بدَّ ان تصير مرجعاً للمهندسين وغيرهم من الذين يباشرون اعمال البناء بما تحتوي عليهِ من الفوائد الجزيلة

التربية بالقصص

تأليف حامد القصبي المهندس — صفحاته ٦٤ قطع صغير — طبع بمطبعة بنك مصر

الغاية من هذا الكتاب تهذيب الاطفال بمطالعة قصص تتضمن المبادىء الادبية العالية مجسمة فيفهمونها بدلاً من ان تساق اليهم مجردة في خطبة او عظة فلا يدركون ما يريده الخطيب او الواعظ . وقد اشار المؤلف الى ذلك حيث يقول « . . . ذلك لاني في مطالعاتي في الكتب الانجليزية عثرت على عدد كبير من القصص التهذيبية التي تتضمن الحكمة والموعظة الحسنة في اسلوب شائق وعبارات خلابة يقصد بها الى تربية الناشئين تربية خلقية سهلة . فعوَّلت على ترجمتها لاعطي منها صورة واضحة لطالبات مدارسنا وطلابها . . . الخ »

ولما كانت الغاية من هذا الكتاب وما هو من قبيلهِ وضعهُ بين ايدي الاطفال لمطالعتهِ والاستفادة منهُ فيستحسن ان تكون محتوياتهُ خالية من كل لفظ خارج عن المألوف. واكثر القصص انكليزية والمانية وحبذا الحال لو اضاف اليها المؤلف بعض القصص المستقاة من مصادر عربية فللخلفاء وغيرهم من افاضل العرب قصص ونوادر توازي على الاقل نوادر « فردريك الكبير » و« سوفيت » و« جورج الثالث »

محاورات رينان الفلسفية

تأليف الفيلسوف ارنست رينان — ترجمة الاستاذ علي ادهم — صفحاتها ١٦٢ مطبعة المصور

الاستاذ علي ادهم كاتب بليغ جزل الالفاظ صافي الديباجة حسن الاطلاع على المذاهب الفلسفية يسوق اليك مبادئها في غير كلفة او عناء . لذلك تفتح كتابهُ هذا لتقرأ جانباً من مقدمتهِ في سيرة رينان وفلسفتهِ — وانت تحسبها الجزء الذي لا يقرأ من الكتاب — فتسترسل في قراءتها لما تحتوي عليهِ من المعاني البديعة في اسلوب بليغ . ففي الصفحات التي يوازن فيها بين كارليل ورينان تقع على نموذج من كتابتهِ بلغ فيهِ حدَّ الاجادة معنىً ولفظاً

اما محاورات رينان فغنية عن الوصف لشهرتها ، وهي تحتوي على موجز لمعتقداتهِ الفلسفية في شكل محاورات لان المحاورة تسمح للانسان ان يتناول الوجوه المختلفة للمسألة دون ان تضطرهُ الى حكم جازم في الموضوع . وقد عني المترجم جهدهُ في تحري الامانة في النقل « لاني لم استطع ان اسيغ فكرة التصرف في الترجمة » . فالكتاب تحفة فلسفية ثمينة وعسى ان يكون لهُ بين الادباء والمفكرين المكانة التي يستحقها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم تدرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) الشبان والشيوخ

مصر . هل من مصلحة الامم ان تكل اعمالها الى شيوخها اوالى شبانها

ج . يتعذر تعيين الحد الفاصل بين الشباب والشيخوخة . فقد كان اللورد كرزون يحسب شابًّا حين تقلد منصب حاكم الهند مع انهُ كان في الاربعين من عمرهِ . وحسب الناس الرئيس روزفلت شابًّا حين تسلم مقاليد الرآسة في الولايات المتحدة بعد وفاة رئيسهِ مكنلي مع انهُ كان حينئذٍ في الثالثة والاربعين من عمرهِ . والولد البالغ الثامنة من عمرهِ ينظر الى الرجل البالغ الثلاثين ويحسبهُ شيخاً طاعناً في السن ولكنهُ حين يبلغ هو سن الثلاثين يعتذر بصغر سنهِ عمَّا يبدو منهُ من الطيش ونزق الشباب . لذلك تتعذر الاجابة عن سؤالكم جواباً دقيقاً . انما يقال بوجه الاجمال ان الشبان يتصفون بالقوة والهمة والنزق والشيوخ بالحكمة والحنكة ووزن الامور بموازينها . فالامنية المثلى التي تنشدها كل امة هي طائفة من الشبان في حكمة الشيوخ ورزانتهم او طائفة من الشيوخ في همة الشبان ونشاطهم . والمرجح ان سنّ الحداثة يتقدم بتقدم الحضارة حتى لقّب بعض الناس هذا العصر بعصر الشبان مع اننا لم نرَ فيهِ من الشبان النوابغ مَن اتى من الاعمال المجيدة ما هو خليق بان يقابل باعمال داود والاسكندر وبونابرت وشلي وكيتس وموزار وفوكس وبت وغيرهم . ولكننا نرجح انهُ اذا احصيت اعمار الرجال المتولين اكبر مناصب الادارة والسياسة والمال والتعلم في اوربا واميركا وجد متوسطها اقلَّ من متوسط اعمار الذين كانوا يتولونها منذ قرنين . واشهر مثل على ذلك المستر باركر غلبرت الذي تولى تنفيذ مشروع دوز فانهُ كان في الحادية والثلاثين من عمرهِ حين تقلد

هذا المنصب مع ان مستقبل اوربا الاقتصادي — او بالحري مستقبل العالم — كان متوقفاً على احكامه وقراراته حتى دعاه بعضهم قيصر اوربا الاقتصادي . وبالامس قرأنا ان الاميركيين ولّوا فتى يدعى هتشنز في الثلاثين من عمره رآسة جامعة من اكبر جامعاتهم هي جامعة شيكاغو وقد كان قبيل ذلك عميداً لكلية الحقوق بجامعة يايل . فمصلحة الامة تقضي بان تقلّد شيوخها المناصب التي يحتاج تقلدها الى خبرة وحنكة وتعقّل وان تجعل مساعديهم من الشبان المتفوقين في قوة العقل وقوة الخلق فيأخذون عن رؤسائهم اساليبهم في معالجة الامور حتى اذا انفسح امامهم ميدان العمل ساروا فيه جامعين بين حكمة الشيوخ وهمة الشبان . والبلاد التي تغلغلت الروح الدمقراطية في طبقاتها تفسح مجال الظهور للشبان النوابغ لان الترقي فيها نصيب الجدارة لا نتيجة الاسبقية

(٢) النائبات الانكليزيات

طنطا . ما هو عدد النساء اللواتي فزن بالانتخاب لعضوية مجلس النواب البريطاني في الانتخاب الاخير والى اي الاحزاب ينتمين

ج . في مجلس النواب البريطاني الذي انتخب في ٣٠ مايو الماضي ثلاث عشرة سيدة تسع منهن ينتمين الى حزب العمال وثلاث الى حزب المحافظين وواحدة الى حزب الاحرار . واشهر هذه السيدات دوقة انول وقد كانت سكرتيرة برلمانية لمجلس التعليم في وزارة المحافظين الاخيرة . واللايدي استور وهي اميركية الاصل واول امرأة انتخبت لمجلس النواب البريطاني (١٩١٩) واللايدي ايفيا Iveagh واللايدي سنثيا موزلي ابنة اللورد كرزون والمس ميجان لويدجورج ابنة زعيم الاحرار وعمرها ٢٧ سنة والمس مرغريت بندفيلد التي تقلدت وزارة العمل في وزارة العمال الجديدة وقد كانت وكيلة لها في وزارة العمال السابقة . وهي اول سيدة انكليزية تقلّدت منصب وزير

(٣) كتاب تربية الدواجن

الاسكندرية . اين يوجد كتاب تربية الدواجن او اي كتاب لعلم تربية الدواجن

ج . نظنكم تشيرون الى كتاب تربية الدواجن الذي وضعهُ الامير مصطفى الشهابي مدير املاك الدولة بدمشق الشام وقد سبق للمقتطف فنشر فصولاً منهُ . هذا الكتاب لم يظهر بعدُ ولا نعرف كتاباً عربيًّا غيرهُ في الموضوع

(٤) زراعة البن

شوشتر ايران . كيف يزرع البن وكيف يروى واي ارض اصلح لزراعتهِ وما هو ميعاد زراعتهِ وما هو تاريخهُ

ج . المقام لا يحتمل التبسط ولكن

اليكم اهم الحقائق عن البن وقد نشرنا مقالة مسهبة في جزء سابق سنعود الى نشرها في الجزء القادم اتماماً للفائدة

البن العربي وجد اولاً في بلاد الحبشة ونقل منها الى بلاد العرب ثمَّ الى غيرها من البلدان الحارَّة . واكتشف البن بريًّا في غرب افريقية ثم نقل منها الى جزائر الهند الغربية . ولنباتهِ جذور طويلة لذلك يطلب الارض العميقة التربة

يؤخذ بزر البن الذي لا يزال في قشرهِ البراني ويزرع في مساكب مثل مساكب التوت وبعد مضي سنة يقلع بطينهِ وينقل الى حيث يراد زرعهُ وفي السنوات الثلاث الاولى تكون غلتهُ طفيفة وبعد ذلك تكثر . وشجر البن يشبه شجر البرتقال ولكنهُ لا يكبر مثلهُ فلا يزيد علو الشجرة الى اربعة امتار وورقهُ مثل ورق البرتقال وزهرهُ زكي الرائحة كزهرهِ

(٥) عمر الارض

انديانا بوليس بالولايات المتحدة . بماذا يقدر عمر الارض الآن ؟

ج . احدث تقديرله ٣٤٠٠٠٠٠٠٠٠ سنة وهو للسر ارنست رذرفورد العالم الطبيعي الطائر الصيت صاحب المباحث المشهورة في بناء المادة الكهربائي

(٦) الاسبان والطيران

باهيا البرازيل . هل للاسبان اثر يذكر في ترقية الطيران كالاميركيين والانكليز والفرنسيين والالمان والطليان . وهل انجبوا طيارين مثل بلريو ولندبرغ وبرد وكوبهام وده بنيدو وهنكار وغيرهم من الذين جابوا انحاء الجوّ

ج . لا نظن ان للاسبان اثراً يذكر في ترقية الطيران من وجهتيهِ العلمية والصناعية فاننا لم نسمع ان عالماً اومستنبطاً منهم اشتهر بين زعماء هذا الاسلوب الجديد من اساليب النقل والانتقال . ولكننا قرأنا مؤخراً ان اثنين من طياريهما وهما فرانسكو جمنز واغناتشيو ايغليسياس طارا من اشبيلية باسبانيا الى باهيا بالبرازيل . ولا بدَّ انكم قرأتم عنهما او رأيتموهما . وقد كان غرضهما ان يطيرا الى ريوده جانيرو فنفد بنزين الطيارة فنزلا في باهيا

(٧) السبرمان

بغداد . هل ترجمت رواية برنارد شو التي عنوانها « مان آند سوبرمان »

ج . لم نسمع انها ترجمت . ولكن برنارد شو يقدم لكل رواية من رواياتهِ بمقدمة مسهبة يتناول فيها الاغراض العلمية والفلسفية التي تنطوي عليها الرواية . وقد ترجم مقدمة هذه الرواية او لخصها الاستاذ سلامه موسى منذ نحو عشرين سنة . اما لفظة السبرمان فقد وضعها برنارد شو ليدل فيها على الانسان المنتظر نشوؤهُ من الانسان الحالي وتكون نسبتهُ الينا كنسبتنا الى القرود

باب الاخبار العلمية

احلام وحقائق



هذه صورة فنية بديعة نشرتها احدى المجلات الاميركية مصورةً بها مدينة المستقبل — وهي لا تختلف كثيراً عن نيويورك الآن — رامزةً الى الحضارة العلمية الصناعية وفوزها في مختلف ميادين العمران . فانت ترى ان مباني المدينة صروح ممردة وطرق المواصلات بينها طيارات كبيرة وصغيرة وبلونات مسيّرة ضخمة وجسور معلقة وبواخر كانها البروج السائرة تؤم مرفأ المدينة وتقلع منهُ . اما عجائب العلم والاستنباط التي كانت احلاماً بالامس واصبحت اليوم حقائق لا يلتفت لها الناس لانهم الفوها فلا يمكن ان تظهر في هذا الرسم المصغر . والواقع ان ارتقاء العمران منذ قامت اركانهُ على العلم والصناعة متآخيين متآزرين كان ارتقاء سريعاً يتعذر معهُ التنبؤ بما يكنهُ الغد في ثناياهُ . قد كنا نحسب قبل بضع سنوات ان مخاطبة صديق لنا يفصل بيننا وبينهُ بحرٌ خضم حلمٌ يصحُّ لو صحت الاحلام . فاذا نحن اليوم نخاطبهُ ونراهُ في آن واحد . واذا رائد مقدام يحلق بطيارته فوق القطب الجنوبي ويتخاطب منها مع مدينة نيويورك التي تبعد عنهُ نحو عشرة آلاف من الاميال . وكلٌّ هذا قد تمَّ في السنوات العشر الاخيرة بل في الخمس الاخيرة منها . وهذه المدة اذا قيست بتاريخ الارض منذ تكونها الى الآن كانت اقلَّ من ثانية في قرن . ولما كان هذا النوع من البحث يغري العقول بالمطالعة والاستقصاء لما يثيرهُ فيها من الدهشة والاعجاب رأينا ان نذكر من حين الى آخر بعض عجائب المستنبطات والمكتشفات تحت هذا العنوان

عصر الانسان او عصر الحشرات

يودُّ كل من الناس ان يتصور ان الانسان سيد المخلوقات وان الوفاً من السنين قد انقضت عليهِ وهو كذلك . ولكن العلماء يهزأون من دعواه . فان احدهم يذهب الى اننا لا نزال في عصر الحشرات

واذا كنت في ريبة مما نقول فوجه السؤال الى الدكتور هورد احد علماء قسم الحشرات بوزارة الزراعة الاميركية . انهُ يسرد لك الدليل اثر الدليل — وكل ادلته مؤيدة بالتجارب والارقام — ان الانسان لم يتغلب على الحشرات بعدُ في النزاع بينهما للسيطرة على الارض . (القطر المصري وحدهُ يخسر ما قيمتهُ اكثر من سبعة ملايين من الجنيهات بسبب الحشرات التي تفتك بزروعاته رغم الوسائل العلمية التي تتخذ لمكافحتها) فالحشرات تفتك بخشب بيوتنا وتسطو على مزروعاتنا فتتلفها وعلينا وعلى حيواناتنا فتفشو فيها الامراض الخبيثة فاذا شئنا ان نتغلب على جماهيرها وجب ان ننفق على ذلك اكثر مما ننفقهُ على كل اساطيلنا . ومتى فزنا عليها في هذا الكفاح اصبنا بلداناً وكنوزاً تفوق كلَّ ما افتتحهُ وغنمهُ القواد العظام امثال الاسكندر وقيصر ونبوليون . واذا لم نفز بشيء الاَّ باسترداد المناطق الاستوائية والسيطرة عليها فكفانا غنيمة

هذا حلم من احلام العلماء اليوم . ولا بد ان نفوز بتحقيقهِ في المستقبل القريب «ان غداً لناظرهِ قريب» . ان جنود العلم معبأة الآن لمكافحة المكروبات وغصن النصر كاد يلتوي بين ايديهم . واليك احدث الانباء من ميادين المعركة : لقد فاز الدكتور كرمس Kremse المهندس الالماني باستنباط مادة كيماوية لتنقية مقادير كبيرة جدًّا من الماء بنفقة قليلة . وجامعة خرايفسولد تؤيد ما يدَّعيهِ . فاذا وضعنا ما وزنهُ غرام ونصف غرام من هذه المادة في ١٢ الف مليون لتر من الماء نقتها من المكروبات وطهرتها من سمومها . انك اذا اخذت هذا المقدار من الماء وصنعت منهُ بحيرة لبلغ طولها ميلاً وعرضها الفي قدم وعمقها ٣٥ قدماً . فسلام على الحمى التيفودية ! وسلام على كل الامراض التي تنقل مكروباتها بالماء !

اننا ننتظر عالماً يفعل بالحشرات المضرة ما فعلهُ هذا العالم بمكروبات الماء

نزهة الى فندق نبتون

نبتون في خرافات اليونانيين الهُ البحر . ويؤخذ من انباء اميركا انهم شرعوا يبنون مطيراً في المحيط الاتلنتيكي على ٣٠٠ ميل الى الجنوب الشرقي من مدينة نيويورك طولهُ ١٢٠٠ قدم وعرضهُ ٤٠٠ قدم وعلوهُ عن سطح البحر ١٠٠ قدم . وعلى هذا المطير ينتظر ان يبنى فندق فخم يحتوي على مطعم تستطيع ان تتناول فيهِ اشهى المآكل . هذا هو مطير ارمسترنغ الذي وصفناهُ وصفاً مسهباً في مقتطف فبراير الماضي وصورناهُ . وهو حُلُم كان يجول في عقول الروَّاد الشجعان من الطيارين الذين يحلمون بجعل الطيران بين اميركا واوربا امراً مألوفاً . انهم يبنون

الآن مطيراً واحداً . والمرجح انهُ لا تنقضي بضع سنوات حتى ترى المحيط الزاخر بين اميركا واوربا مرصعاً بهذه الجزائر الصناعية الضخمة تسهيلا للسفر الجوي بين القارتين. لقد كتب بعض كتاب الصحف ان العمل مقضيٌّ عليهِ بالفشل لانك لن تجد اناساً يتبرعون بالمعيشة على هذه الجزائر النائية المنقطعة عن كل اسباب الحياة. ما اجهل هؤلاء الكتاب بنزعة العصر! من يقول ان الموظفين في مطير من هذا القبيل نائون عن اسباب العمران ؟!! انهم اذا استقلوا طيارة بحرية منهُ بلغوا نيويورك قبلما يبلغ كاتب هذه السطور الاسكندرية بالقطار السريع

ولا بدَّ ان نسمع قريباً ان مباني من هذا القبيل اقيمت في مناطق القطبين بل في الادغال الكثة المترامية الاطراف كبلاد الكنغو وسقي الامازون والصحاري القاحلة كالصحراء الكبيرة وصحراء تركستان. ان كلَّ آتٍ قريب

اللغة الصينية والتلغراف

هل بلغك انهُ يستحيل على الصينيين ان يرسلوا رسائل تلغرافية بلغتهم ؟ ذلك لان اللغة الصينية هي لغة تصويرية فلا يستطاع تحويل الفاظها الى شفرة مورس الدولية المستعملة في التلغراف الدولي. ولكن انقلاباً حديثاً في وسائل الابراق مكَّن الصينيين فجأةً من استعمال احدث وسائل المخاطبات اللاسلكية . ذلك ان اتقان نقل الصور بالتلغراف اللاسلكي يمكن الصيني الذي يريد ان يرسل تلغرافاً بلغتهِ من ان يرسلهُ كما ترسل صورة فوتوغرافية بدلاً من ان ترسل الفاظهُ لفظاً لفظاً

جزيرة انس الوجود

انس الوجود جزيرة صغيرة بجانب شلال اصوان طولها نحو اربعمائة متر وعرضها نحو ١٣٠ متراً وهي مغطاة بالخرائب والانقاض اشهرها خرائب هيكل ايسس الذي شرع في بنائهِ بطليموس فيلادلفس (٢٨٦ ق م) واتمهُ الملوك الذين خلفوهُ وبذل الصناع اقصى مهارتهم والملوك غاية كرمهم ولذلك جاء من ابدع الهياكل المصرية الباقية بعد هياكل طيبة وادفو . ويوصل اليهِ برواقين من الجهة الجنوبية ولهُ برجان على بابهِ الاول طولها ١٢٠ قدماً وارتفاعهما ستون قدماً وعليهما صورة بطليموس فيلو متر وقد رفع فأس الحرب وهمَّ بضرب عدد من الاسرى بعد ما امسك بنواصيهم . وفي الباب كتابة صغيرة تشير الى وصول الجنود الفرنسية الى ذلك المكان حينما غزوا القطر المصري. وداخل الباب دار فسيحة فيها عند اليمين صف من العمد المزخرفة ووراءها صف من الغرف وعند اليسار هيكل صغير وفي صدرها باب آخر يدخل منهُ الى دار الهيكل ثمَّ الى الهيكل نفسهِ . ويقال ان

هذا الهيكل جعل كنيسة في القرن السادس عشر لذلك يرى رسم الصليب على بعض حجارتهِ

هذا الهيكل الفخم ترددذكرهُ مؤخراً في الصحف العربية والافرنجية بعدما اقرت الحكومة المصرية مشروع تعلية خزان اسوان . ولا يخفى انهُ حينما بني خزان اصوان اولاً تكونت بحيرة من الماء المخزون فيه غطت مياهها قرى النوبيين ووصلت الى رؤوس نخيلهم وعلت على جزيرة انس الوجود حتى بلغت ارض هيكلها فوقف فيها كانهُ نابت من الماء. فاذا عُلّي خزان اسوان الآن غمر الماء الهيكل كلهُ وفقد القطر المصري اثراً من افخم اثارهِ التاريخية. ولكن بعض العلماء يذهب الى ان تغطية الماء لهُ تذيب الاملاح العالقة بالبناء وهي التي تفتت الحجر فيكون الهيكل مغموراً بالماء اسلم منهُ وهو نصف مغمور بهِ فقط. ونحن نقول اية فائدة تجنى من كنز في قعر البحر ! على ان مصلحة الملايين من سكان مصر مقدمة على مصلحة الافراد من العلماء والسياح . فاذا كان من اثر تعلية الخزان وغمر هذه الهياكل بمائهِ درُّ الخيرات على مصر وزيادة راحة اهلها ورفاهتهم فالعلم لا يخسر شيئاً كبيراً اذا غمر هيكل انس الوجود فان الهياكل المصرية الباقية في انحاء القطر تفوقهُ فناً وصناعة وقيمة تاريخية. وترى صورة هذه الجزيرة في اول هذا الجزء

ثياب من الاسبستوس

الاسبستوس اي الكتان الصخري او حجر الفتيلة فلزٌّ ليفيٌّ لا يحترق من نوع الرخام المعرق رخو النسيج يؤلف من خيوط دقيقة تشبه الياف الكتان. وقد اعلن الاستاذ بولكارد الكيماوي في دائرة الكيمياء الصناعية بمدرسة فيلادلفيا الكلية للصيدلة والعلوم انهُ ينتظر احداث زي جديد للثياب تصنع من الياف الاسبستوس وهي كالحرير في رونقه ولا يضيرها الحامض من المواد اذا سقط عليها ولا تؤثر فيها النار اذا اشتبت فيها

قال : وقد سبقنا قدماء الرومان في غزل الكتان الصخري ونسجهِ ثياباً فكانوا اول امة خلطت خيوطهُ المعدنية اللينة بالكتان الطبيعي لصناعة اكفان الموتى لتودع فيها رفاتهم عقب حرق جثثهم على اكوام الحطب التي تضرم فيها النار لذلك الغرض. والعالم المشار اليهِ موقن ان هذه الصناعة لا تستعصى على الخبراء فيتاح لهم نسج اقمشة كالحرير طلاوة ولكنها تفوقهُ في المتانة والبقاء وسهولة التنظيف اما بقطعة مبللة من الاسفنج واما بخرقة مرطبة بالماء البارد . هذا فضلاً عن رخص ثمنها بالنسبة للمواد الاخرى التي تنسج منها الاقمشة في هذه الايام . ومما يروى في هذا الصدد ان شرلمان كان عنده غطاء مائدة مصنوع من الاسبستوس إذا اتسخ القي هنيهة في

النيران فينظف مما يعلق بهِ من الادران . وكان تجار الصين في القرن السابع عشر يتجرون بمناديل من الاسبستوس . وقد الفت طائفة الاسكيمو القاطنة في بلاد لبرادور منذ عدة اعوام صناعة فتائل المصابيح من نسيج حجر الفتيلة

العين الكهربائية واستخدامها

إذا مالت الشمس للمغيب وعمّ ضوؤها في الشفق لم يستطع امرؤ القراءة اذا رغب فيها الاّ باجهاد عينيهِ — ولا يخفى ما في اجهادها من الضرر ولاسيما لطالبات المدارس العليا وطلابها وغيرهم ولذلك رأت مديرات المدارس العالية للبنات في الولايات المتحدة تلافي هذا الضرر باستخدام البصاصة اي العين الكهربائية وهي كما قلنا في الاعداد السابقة بطارية كهربائية نورية تلتقط النور الطبيعي وتحوّلهُ الى تيار كهربائي يضعف او يقوى بضعف النور او قوتهِ

وتودع العين الكهربائية في صندوق صغير فتراها كأنها جهاز للمحادثات اللاسلكية بجوار نافذة غرفة الدرس حيث توصل بمركز التيار الكهربائي فاذا مرَّ الضوء من النافذة انعكس على البطارية وما دام الضوء الطبيعي كافياً للمطالعة براحة تبقى العين الكهربائية ساكنة حتى اذا بلغت ضؤولتهُ حدًّا معيناً تؤذي معهُ عيون التلميذات اذا طالعن وقتئذٍ رددت العين الكهربائية تأثيره في اداة مثبتة فيها تتمم الدورة الكهربائية فتنير الغرفة حالاً بالنور الكهربائي — ويرى المهندسون الكهربائيون انهُ سينجم عن استخدام هذا الجهاز فوائد عديدة ومنها انهُ إذا ترك استعمال الانوار الكهربائية تحت تصرف مديرة المدرسة وحدها ربما نتج منهُ ضرر لفريق من التلميذات اللواتي يحرمن من الضوء الطبيعي الكافي لجلوسهن في زوايا الحجرة التي لا يصل اليها الضوء كافياً للمطالعة فيضطررن الى اجهاد ابصارهن والمعلمة لا تدري بما يقاسينهُ. ولما كان التنوير المبكر مضيعة للمال كان استخدام العين الكهربائية في تلك المدارس سبباً في اقتصاد مبالغ لا يستهان بها

أحدث وظائف الراديوم

يستعمل الراديوم ، وهو اثمن المواد المعدنية المستخدمة في علاج الامراض وغيرها — في مصنع من مصانع الصمغ المرن بمدينة لنينغراد عاصمة روسيا لوقاية المنسوجات من النار . والسر في ذلك ان للراديوم خاصية عجيبة واقية من النار إذ يجعل الهواء المحيط بهِ اكثر توصيلاً للتيار الكهربائي مما هو عادة. تحقق هذه الميزة مديرو المصنع ورأوا الشرر يتولد من الكهرباء الاحتكاكية فينتاب الانسجة التي تصنع من الصمغ المرن وذلك عند مرورها

بالاساطين فتضطرم النار في المصنع حيث تكون الحجرة مملوءة بالبخار السخن المخصص لتجفيف تلك المنسوجات وهو قابل للاحتراق — فعمدوا الى الاستعانة بالراديوم . وبفضل دقيقة من الراديوم غدا المصنع المشار اليه في نجوة من السعير لان ذرة من ذلك العنصر العجيب ترشح الكهربائية من الاسطوانات الى الهواء ترشيحاً بطيئاً لا يؤذي شيئاً بدلاً من تجمعها وصيرورتها مصدراً لتوليد طلقة كافية لانتاج شرارة كبيرة

ولما كان المقدار المستعمل من الراديوم ملغراماً واحداً كانت نفقات هذه الطريقة الحديثة لا تربى على بضعة ريالات ولا تستلزم الحال تجديد الراديوم لأنهُ يظل قائماً بعمله خير قيام قروناً متوالية

أحدث الآراء في الأميبا

الأميبا حييون دنيٌّ ذو خلية واحدة يتركب من نواة وبرتوبلاسم محبب وشكلها يتغيَّر تغيُّراً مستمرًّا باخراج زوائد من جسمها . هذا هو المعروف عند العلماء منذ كشفها روزل فون روزنهون العالم الالماني المتخصص في علم الاحياء الدقيقة اي المكروسكوبية إذ وصفها في عام ١٧٥٥ بأنها كائن حي ذو خلية واحدة وهي ادنى اشكال الحياة الحيوانية

والعلماء في حيرة من ذلك العهد اذ استعصى عليهم تعليل تحرك ذلك الكائن الحي الدقيق بلا سيقان وبغير زعانف وما شاكلها من وسائل التنقل العادية أو الظاهرة . وكان الرأي المرجح عند معظم علماء الحيوان ان الاميبا تدفع بذاتها الى الامام وتتقبض من الخلف بيد أن الدكتور . س ماست الاستاذ بمدرسة جونس هوبكنس الجامعة في مدينة بلتيمور قد قلب الرأي المتقدم ذكره رأساً على عقب إذ تحقق من فحص الاميبا انها تعوم في الغدران والجداول التي تعيش فيها باذابة جانب من جسمها من الخلف ناقلة المادة المذابة الى الامام فتتجمد عند رأسها مكررة هذا العمل مراراً كي تستطيع التحرك حركة وافية بحاجتها

أما : كيف تتصرف الاميبا هذا التصرف العجيب ؟ ومن أين تستمد القوة اللازمة لذلك ؟ فهذا بحسب رأي الاستاذ ماست ما زال سرًّا غامضاً

سطح عوام لانقاذ الغرقى

احدث الوسائل للنجاة من غوائل البحار عند غرق البواخر سطح عوَّام اخترعهُ المستر دنكان كامبل الانكليزي كي يفلت من الباخرة الغارقة فيسبح على حدته حالاً محل قارب كبير للانقاذ . ويرى مخترعهُ انهُ لو اتيح استعماله في النكبات الملاحية الحديثة

الكثيرة العدد لانقذ الوفاً من ضحاياها

يثبت هذا القارب على دكة الباخرة تثبيتاً وثيقاً في مهد ذي اصلاب حديدية حيث تنطبق قواطعهُ تمام الانطباق على حدود الباخرة فيلتحم بها ولا يعترض هذا الالتحام الاَّ ما تقتضيهِ سهولة انفصال القارب عنها ووقايتها من احتكاكه بها فتوقى بادوات من الصمغ المرن او غيره من المواد . وتلافياً لانزلاق القارب نحو جانب الباخرة باهتزازها قد صنعت قاعدتهُ على شكل يتفق مع تجويف المهد الحديدي فيها — وفي قاعدة القارب اسنان تدخل في تجاويف ملائمة لها صنعت في صلب الباخرة فتمنع تحرك القارب تحركاً جانبيًّا ولا تعوقهُ عن الانفصال والعوم مستقلاً بذاتهِ عند اشرافها على الغرق. ومتى بدت اية علامة من علامات الخطر قصد الركاب الى حُجَر الزورق فاذا ضاقت بهم هم ومن يصحبهم من الملاحين صعد هؤلاء على سقفهِ فوق الحُجَر . ويركب ايضاً في القارب جهاز للتلغراف اللاسلكي ليدل البواخر الماخرة عباب البحار على مكانهِ . ويكون مزوَّداً بالمؤن في كل وقت استعداداً للطوارىء

ولما كان اختراع هذا الزورق مبطلاً لعمل قوارب الانقاذ المألوفة فالمخترع يظن انهُ سيفوز عليها جميعاً لقلة ثمنهِ والوثوق بفائدتهِ في انقاذ الركاب والبحارة من اية سفينة تجهز بهِ قبل قيامها من فرضتها

شجر الحليب اي اللبن النباتي

وفق حديثاً الاستاذ صموئيل ج . ريكورد (احد معلمي مدرسة يال الجامعة باميركا) الخبير في فن غرس الغاب — لاكتشاف اشجار عجيبة تسمى اشجار الحليب اي اللبن النباتي — تنبت في اقليم بيورتو باريوس في بلاد جواتيمالا باميركا الوسطى حيث تدرُّ سائلاً مثل حليب البقر واشبه بطعمهِ ويقال انهُ مغذٍّ جدًّا كاللبن الحيواني . وسكان هاتيك الاصقاع يستدرُّون ذلك اللبن بحز اشجاره حزًّا غائراً ويشربون اللبن النباتي ممزوجاً بالقهوة ويستعملونهُ في صنع الحلوى وهو قابل للحموضة كلبن الحيوان . والاستاذ الذي كشف عن هذا النوع الغريب من الشجر هو احد اعضاء البعث الذي اوفد لارتياد تلك الجهات والوقوف على مجاهل نباتها لموافاة متحف التاريخ الطبيعي الاميركي بما يقف عليهِ من المعلومات النفيسة

صورة الغلاف

صورة الغلاف هذا الشهر تمثل شبح حيوان منقرض من جبابرة العصور الغابرة وامامهُ رجال البعثة الاسيوية يبحثون في صحراء غوبي عن آثارها . نقلناهُ عن مجلة التاريخ الطبيعي الاميركية مع الصور التي نشرناها في مقالة رجال العلم والعمل صفحة ١٣٧



السر رونلد رُس

الطبيب الانكليزي المشهور مكتشف طريقة انتقال الملاريا ونائل جائزة نوبل الطبية سنة ١٩٠٢

مقتطف يوليو ١٩٢٩
امام الصفحة ١٣٥

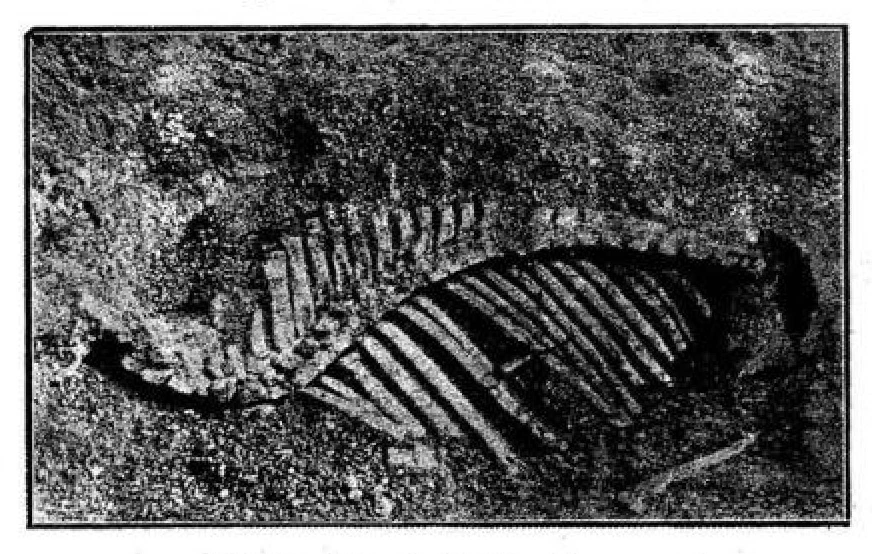


صورة خيالية مبنية على حقائق علمية للحيوان اللبون الضخم الذي وجدت آثارهُ في منغوليا . وفي الزاوية صورة الدكتور اندروز موضوع هذا المقال

مقتطف يوليو ١٩٢٩

أمام الصفحة ١٣٧

بيوض الدينوسورس المتحجرة كما عثر عليها



هيكل متحجر لاحد الحيوانات اللبونة المتوغلة في القدم

مقتطف يوليو ١٩٢٩
امام الصفحة ١٤١



البوهيمية

من تصوير فرانز هالز المصور الهولندي (١٥٨٠م — ١٦٦٦م)

مقتطف يوليو ١٩٢٩

امام الصفحة ١٤٣



ثلاث مدن سورية كما ترى من طيارة محلقة (من أعلى الى اسفل) مرفأ يافا فدمشق الشام فنابلس

مقتطف يوليو ١٩٢٩ أمام الصفحة ١٦١

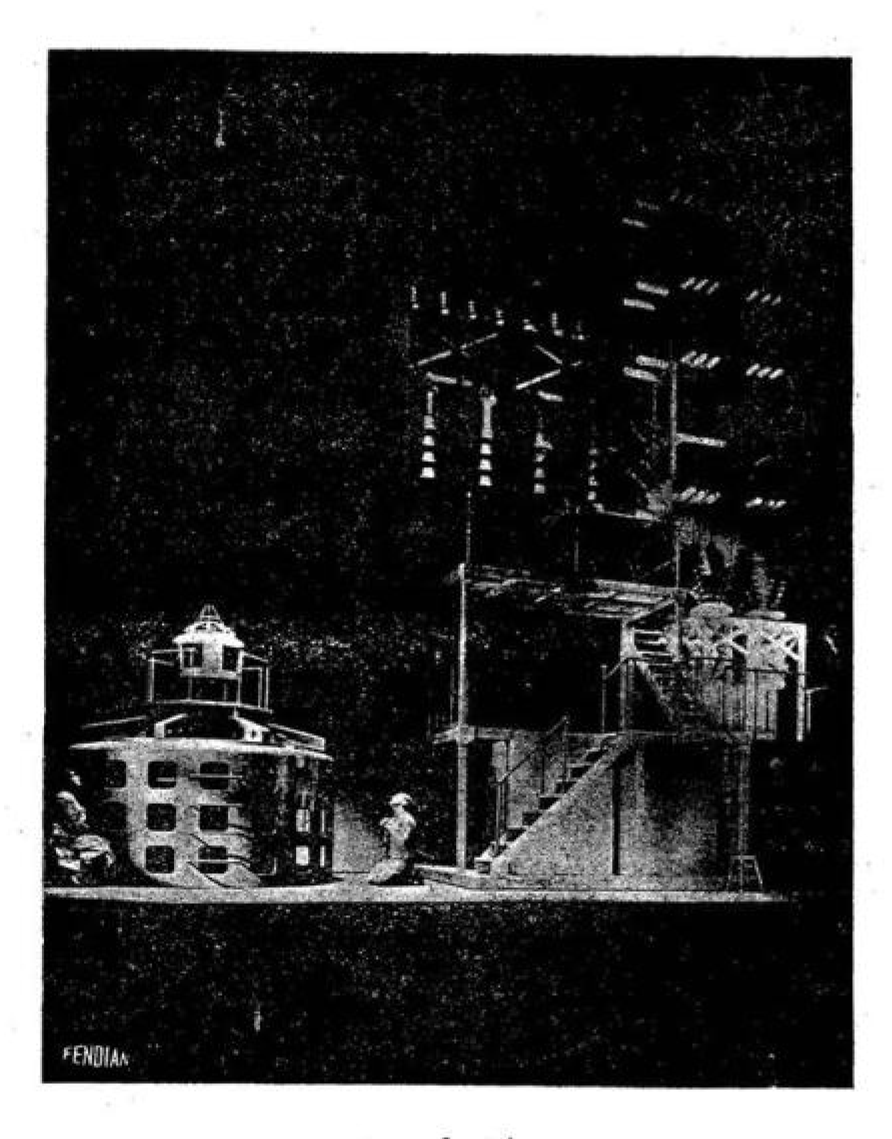
الهرمان الكبيران وما يجاورهما كما يريان من طيارة محلقة

دور العريش كما ترى من طيارة محلقة فوقها . والمربعات التي ترى في الصورة هي أسوار تحيط بالدور وفي الزاوية اليمنى صورة السر آلان كوبهام صاحب هذا المقال — مقتطف يوليو ١٩٢٩ : أمام الصفحة ١٦٣



الدكتور فورونوف

مقتطف يوليو ١٩٢٩
أمام الصفحة ١٧٧



رمز الحضارة الصناعية

ابتهال يرفع الى المولّد الكهربائي (الدينامو) كما ظهر
في تمثيل رواية لاوجين اونيل المؤلف المسرحي الاميركي

مقتطف اكتوبر ١٩٢٩

انظر الصفحة ٣٢٢

الجزء الثاني من المجلد الخامس والسبعين

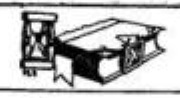

المقتطف
البرلمان المصري
AL-MUKTATAF



كلمات للدكتور صروف

الزمان وقدر الرجال

من الرجال مَن لهم قيمة ذاتية تظهر بكتاباتهم وتعاليمهم وقلما تتغيَّر بتغيُّر الازمنة والامكنة سواءٌ عرف معاصروهم قدرهم او جهلوهُ وسواءٌ كانت بلادهم محتاجة اليهم او مستغنية عنهم مثل سقراط وافلاطون وده كارت وباستور وسبنسر. ومنهم مَن قيمتهم قائمة بحاجة بلادهم اليهم او بالنفع الذي ينالها منهم وتظهر بما يأتونهُ من الافعال مثل بونابرت ووشنطون ومحمد علي. ومنهم مَن تكون لهم قيمة ذاتية ولكن لا يمدُّ لهم الاجل حتى تظهر مزاياهم او لا يوفقون الى نشر آرائهم وافكارهم او تكون بلادهم في خمول فلا تعرف قدرهم او لا تستفيد منهم ككثيرين من اذكياء العقول الذين قضوا في سن الشباب او وُجدوا في بلاد اهاليها سكارى بخمرة الجهل او نيام في ظلمات الإهمال. ومنهم مَن قواهم عادية ولهم امتياز قليل على اترابهم ولكنهم يظهرون زمن شدة التنبه فيكبر شأنهم وينمو قدرهم كأنهم بزور القيت في ارض خصيبة. ومنهم يُتاجَر باكرامهم ويُبالَغ في اعلاء قدرهم لغرض سياسي او ديني او لمصلحة اخرى فيعطون فوق ما يستحقون. وكيفما كانت الحال فقدر الرجال الحقيقي لا يعلم الا بعد مرور الازمان وتمحيص الاقوال والافعال بنار الامتحان. وقد تبقى الحقيقة طامسة طيَّ الخفاء فكم من عالم حكيم تضمُّ هذه الغبراء وقد نسي اسمهُ ولا يعلم شيء من امرهِ وكم من مزار بني على رفات احمق متنطع والناس يزورونهُ صباح مساء ويتبركون بهِ. وكم في ميزان هذا الدهر من خفيف مرتفع وثقيل منخفض ولعلَّ الحقائق المجهولة اكثر من المعلومة



الفردوس الأرضي

تحليل لجمهورية افلاطون[1]

افلاطون: عن افلاطون تصدر كل المسائل التي مازال المفكرون والكتّاب الى يومنا هذا يكتبونها ويتناقشون فيها . . . ان كتبهُ هي توراة المتعلمين منذ اثنين وعشرين قرناً . . . فسانت اغسطين وكوبرنيكس ونيوتن وبهمن وسويدنبرغ وغوته هم كذلك مدينون لهُ . هو الرائد وهم التابعون . لانهُ من الانصاف ان ننسب الى هذا « المعلّم » العظيم كل التفاصيل التي تستخرج من فلسفتهِ . . . افلاطون هو الفلسفة . والفلسفة هي افلاطون . . انهُ لمن مجد البشر ومن هوانهم ان لا يستطيع سكسوني ولا روماني زيادة فكر واحد على مقرّراتهِ . لم يكن لهُ زوجة ولا اولاد ولكن المفكرين في كل العالم المتمدن هم وارثوهُ المتسمون بسيماء عقلهِ . . . لقد طبعت كتابات افلاطون كلَّ مدرسة من مدارس التعليم وكل محبّ من محبي الفكر ، وكل كنيسة وكلّ شاعر . . . وأكثر ما يثير اعجابي « العصرية » الواضحة في روحهِ وأسلوبهِ . ان فيهِ جرثومة اوربا التي نعرفها ، بتاريخها — تاريخ اسلحتها وفنونها — انك تستطيع ان تتبيّن كلّ لغاتها ومميزاتها في عقل افلاطون — ولا تستطيع ان تتبينها في احد قبلهُ . لقد تفرّعت هذه العناصر ونزلت في مئات من مجلدات التاريخ لكنّ عنصراً واحداً جديداً لم يضفْ اليها . ان هذه العصرية المتجدّدة هي مقياس العظمة في كل فن لانها تدل على ان صاحبها لم يغترّ بشيء محلّي زائل بل عُني بالصفات الحقيقية الخالدة . . . ما اكثر العصور التي كرّت وهو لا يزال جالساً على عرشهِ لا يقاربهُ احد !

عن امرسن
في خطبته التي موضوعها « افلاطون الفيلسوف »

---

(١) هذا نص المقدمة التي وضعها رئيس تحرير هذه المجلة لترجمة « جمهورية افلاطون » العربية التي طبعناها واهديناها الى مشتركي المقتطف . وقد نشرناها هنا لفائدة قراء المقتطف غير المشتركين

الجمهورية : من يداخله اقل ريبة في اثر افلاطون ؟ انظر الى الاكاديمية التي انشأها .
اول الجامعات في التاريخ وأطولها عمراً . انظر الى الاهتمام العام والتجديد المتكرر الذي كان من نصيب فلسفته . انظر الى المقام الذي احرزه في ثقافة القرون الوسطى وما لفكره من الاثر في المباحث اللاهوتية الحديثة . واذكر ان مائة الف تلميذ او اكثر في كل انحاء العالم المتمدن مكبون الى اليوم على «جمهوريته» و «محاوراته» . انها لمن أثمن الآثار التي يقتنيها البشر . ففيها اتخذت الفلسفة اولاً شكلاً معيناً . ولما افاض عليها افلاطون من عواطف شبابه الزاخرة المتنوعة بلغ بها قمة الابداع العليا . والجمهورية ! فيها تجد مباحث ما وراء الطبيعة والآداب وفلسفة النفس واللاهوت والسياسة والفن . فيها تجد المبادىء التي تنشدها طالبات التحرر من النساء . وفيها تقع على القواعد التي يدعو اليها علماء الحياة لتحديد النسل . فيها تطالع مبادىء الاشتراكية (بل والشيوعية) واليوجنية والارستقراطية والدمقراطية والتحليل النفسي والمذهب القائل بأن الحياة مظهر من مظاهر التفاعل الكيماوي . فلا عجب ان يقول امرسن في هذا الكتاب « احرقوا كل الكتب ففي هذا الكتاب غنى عنها »

ول دورانت في المجلة الاميركية
مؤلف « قصة الفلسفة » و « قصور الفلسفة »

سقراط

لا يذكر افلاطون الاَّ ويذكر سقراط . فأفلاطون تلميذ سقراط وعلى لسانه اجرى المحاورات التي ترفعهُ الى اعلى طبقة بين الفلاسفة والشعراء . ولا بدَّ من فهم سقراط لفهم افلاطون بوجهٍ عام ولفهم الجمهورية بوجهٍ خاص . لذلك نبدأ تحليل الجمهورية بمحاولة تحليل الرجل الذي جرت على لسانه

اذا صحَّ لنا ان نحكم على سقراط من تمثاله النصفي الذي عثر عليه في ركام بيت قديم قلنا ان وجهه لم تبدُ عليه ملامح الجمال الذي يتصف بهِ الفلاسفة في اكثر الاحيان . رأس اصلع ووجه كبير مستدير وعيون عميقة المستقر محلقة البصر وأنف كبير عريض — يؤيد ما قيل — من ان هذا التمثال يمثل رأس حمّال لا رأس اشهر الفلاسفة

ولكن اذا اعدنا النظر الى هذا التمثال الصامت شهدنا في ملامح صاحبه من آثار السذاجة واللطف والعطف ، صفات جعلت هذا المفكر الهادىء معلماً لنخبة شبان اثينا . اننا لا نكاد نعرف عنهُ شيئاً ولكننا نعرف عنهُ اكثر مما نعرفهُ عن تلميذه افلاطون

وتلميذ تلميذه ارسطوطاليس . اننا نستطيع ان ننظر اليهِ الآن — فوق جسر من الزمن يعبر ثلاثة وعشرين قرناً — فنراهُ بجسمهِ الخالي من الرشاقة والجمال متشحاً رثَّ الثياب ، يمشي في تؤدة ووقار لا تثيره عواصف السياسة ولا تقلقهُ ثم لا يلبث ان يجتمع حولهُ نفر من الشباب والمتعلمين فيسير بهم الى زاوية ظليلة من زوايا رواق في احد الهياكل ، وهناك يقف في وجههم ويقول لهم في بساطة ودعة وحزم : « حددوا الالفاظ التي تستعملونها »

كان في هذا الجمهور من التلاميذ — شبان اغنياء كافلاطون والسيبيادز الذين كانوا يسرّهم تحليلهُ الهادم للدمقراطية الاثينية . وكان بينهم اشترا كيون كانتيثينيس الذين كانوا يعجبون بفقرهِ الوديع حتى يدينوا بهِ . وكان بينهم فوضويّ او فوضويان مثل ارستبّس الذي كان يرنو الى عالم لا اسياد فيهِ ولا عبيد. كل المسائل التي تثير المجتمع الانساني اليوم كانت تثير تلك الطائفة الصغيرة من المفكرين ، الذين كانوا يرون مع معلمهم ان الحياة من غير بحث ليست حياة خليقة بالانسان . كل مدرسة من مدارس الفكر كان لها ممثل هناك بل عند التدقيق ترى انها هناك نشأت

كيف كان يعيش ؟ لا نعلم . انهُ لم يشتغل مطلقاً ولا كان يهتم بالغد . كان يأكل حين يدعوه تلاميذه ليشرّف موائدهم . ولكنهُ لم ينل ترحيباً مثل ترحيبهم بهِ حين كان يؤوب الى بيتهِ ، لانهُ كان يهمل زوجتهُ زانتيب فكانت تقول فيهِ انهُ رجل لا يفيد شيئاً . وانهُ جلب لاسرتهِ شهرة اكثر مما جلب لها خبزاً . ولكنها كانت تحبهُ ولم تطق ان تراه يرتشف كأس الردى مع انهُ كان قد اوفى على السبعين

ولماذا اجلّهُ تلاميذه واكرموهُ ؟ لعلّ السرّ في ذلك انهُ كان رجلاً (بكل معاني الرجولة) وفيلسوفاً في آنٍ واحد . فمن المأثور عنهُ انهُ غامر بحياتهِ ليخلص السيبيادز في احدى المعارك . وكان يستطيع ان يشرب (خمراً) شرب رجلٍ سريّ لا يتعدى فيهِ حدود الاعتدال . ولكن مما لا ريب فيهِ ان احبّ صفاتهِ اليهم كانت صفة الوداعة في حكمتهِ . فانهُ لم يدَّعِ يوماً انهُ قبض على زمام الحكمة ولكنهُ كان يفاخر بانهُ يسعى الى الحصول عليها سعيَ من يحبّها . فقد كان من هواةِ الحكمة لا من محترفيها — اذا صحّ اطلاق هذا التعبير المستحدث . ويقال ان الآلهة في هيكل دلفي قالت فيهِ « انهُ احكم اليونان قاطبة » فحمل ذلك على محمل موافقتها لهُ في تجاهلهِ (لاادريتهِ) والتجاهل في رأيهِ لا بدَّ ان يكون مرتبة الفلسفة الاولى . فقد كان يقول — اني اعلم شيئاً واحداً وهو اني لا اعلم شيئاً. والفلسفة تنشأ حين يداخل الانسان الريب — الريب خصوصاً في المعتقدات والاحكام والاوليات التي ورثها. كيف صارت هذه المعتقدات بمثابة حقائق ؟ الم تنشأ في اول نشأتها عن رغبة خاصة فاسبغت

عليها الرغبة فيها ثوباً من الفكر فصارت معتقداً محترماً لا يقبل النقض ! ان الباحث لا يصل الى صميم الفلسفة الا حين يتَّجهُ عقلهُ الى درس نفسهِ — او حين يقول مع سقراط — اعرف نفسك

اثره الفلسفي

كان قد سبقهُ جمهور من الفلاسفة امثال طاليس وهيراقليطس — بارمنيدس وزينو الايلياني — فيثاغوراس وامبدوقليس. ولكنهم كانوا في الغالب فلاسفة الطبيعة وظواهرها. كانت مباحثهم في صميمها تدور على طبيعة الاشياء — النواميس والمقاييس التي تجري بموجبها الاشياء، والعناصر التي تتألف منها. وهذا عمل جليل — في رأي سقراط. ولكن هناك موضوعاً اجلُّ خطراً في نظر الفلاسفة، يسمو على كل هذه الاشجار والحجارة — حتى وعلى هذه الكواكب — هناك عقل الانسان. ما الانسان وما مصيرهُ ؟

وهكذا مضى سقراط يبحث في نفس الانسان هاتكاً السُتُر عن المسلمات متسائلاً عن صحتها وكان اذا اجتمع جمع من تلاميذهِ ودار حديثهم على العدالة تراهُ يسألهم في هدوء — ما هي العدالة ؟ ماذا تعنون بهذه الالفاظ المجردة التي تحكمون بها حكماً فاصلاً في مسائل الحياة والموت؟ ماذا تعنون بالفاظ «الشرف» و«الفضيلة» و« الادب » و«الوطنية». ماذا تعنون حين يقول واحدكم «انا» ؟ وعلى هذا النمط ترى ان سقراط كان يعالج هذه المسائل الادبية السيكولوجية. وبعض الذين كانوا يفضحون بطريقتهِ السقراطية التي توجب التحديد المدقق، والتفكير الصافي، والتحليل الجليّ، كانوا يعترضون عليهِ ويقولون انهُ يسأل اكثر مما يجيب وانهُ بعد توجيه اسئلتهِ كان يترك عقول سامعيهِ اكثر اختلاطاً وتشويشاً مما كانت عليهِ قبلهُ. ومع ذلك تجد انهُ خلف في تاريخ الفلسفة حدين محدودين الاول حد« الفضيلة ». والثاني حد « الدولة المثلى »

كانت هذه المسائل اهم ما تحوم حولهُ افكار الشبيبة الاثينية في ذلك العصر. وكان فلاسفة السفسطائيين قد نزعوا من صدور الشبيبة ايمانهم بآلهة اولمبوس وإلاهاتهِ، وبالنظام الادبي الذي نال حرمتهُ من الخوف الذي كان يخالج الناس من الآلهة الكائنة في كل مكان. وعلى ذلك أطلق لهؤلاء الشبان العنان ليفعلوا ما يشاؤون، ما داموا لا يخرجون عن حدود القانون. هذا من جهة. ومن جهة اخرى كانت عوامل الضعف قد أخذت تنخر في الخلق الاثيني، مما جعل المدينة العظيمة مرتعاً لابناء سبارطة الاشداء. اما الدولة — او الحكومة فكانت قد انحطت حتى اصبحت دمقراطية يسيّرها الرعاع تسيّرهم الشهوات. وندوتها كانت قد صارت دار جدال لا غير. فصار القواد ينتخبون او يطردون او يقتلون

لاقل ريح من الشهوة تعصف بعقول الجمهور. وصار الفلاحون السذج ينتخبون ليكونوا اعضاء في المجلس الاعلى لان دورهم جاء حسب ترتيب اسمائهم الهجائي!

فالمسألتان الكبريان كانتا — كيف يستطاع وضع نظام ادبي جديد، وكيف يستطاع خلاص الدولة؟

سبب موته وخلوده

ان اجوبة سقراط عن هاتين المسألتين منحتهُ موتهُ وخلودهُ في آن واحد. فانهُ لو حاول ان يعيد النظام الديني القديم القائم على تعدد الآلهة، ولو انهُ سار باتباعهِ الى الهياكل وامرهم ان يذبحوا الذبائح لآلهة آبائهم لوجد شيوخ الامة ملتفين حوله، ينصرونهُ ويؤيدونهُ ويجعلونهُ في المقام الاعلى. ولكنهُ ادرك ان ذلك خطة خير منها الانتحار، لانها خطة ترجع بمتبعيها القهقرى الى القبور

وقد كان راسخ الايمان بمعتقدهِ الديني — القائم على الايمان بالهٍ واحد — وكان يأمل ان لا يفنى في التراب متى شرب كاس الرَّدى (اي كان يؤمن بالخلود). ولكنهُ كان يعلم حق العلم انهُ لا يستطيع ان يبني نظاماً ادبيًّا على اساس معتقدٍ واهٍ كهذا الاساس. فقال لنفسهِ اذا كنا نستطيع ان نبني نظاماً ادبيًّا غير مرتبطٍ بالمعتقدات الدينية، يخضع لهُ الملحد والمؤمن على السواء من غير ان يمسَّ عقيدتهما فعندئذ نكون قد فعلنا شيئاً لا يزول. تأتي المعتقدات الدينية وتذهب، وهذا النظام باقٍ على الدهر يجعل ابناء كل دولة اعضاء حية في جسمها الحيّ

فاذا عني «بالصلاح» «المعرفة» و«بالفضيلة» «الحكمة»، واذا استطعنا ان نعلم الناس حتى يدركوا ما هي مصالحهم الحقيقية وان يكونوا بعيدي النظر يرون النتائج التي تنجم عن اعمالهم قبل وقوعها، اذا هذبناهم حتى يضبطوا شهواتهم ويؤلفوا بينها — اذا استطعنا ذلك خلقنا من الفوضى نظاماً ومن الضوضاء ايقاعاً

هذا هو الاساس الذي يجب ان يقوم عليهِ النظام الادبي

للرجل الجاهل شهوات ورغبات تثيرهُ كالشهوات التي تثير الرجل الكامل التهذيب. ولكن المهذب يعرف كيف يضبطها ويمتنع جهد الطاقة عن مجاراة الوحوش في ثوراتها. وفي دولة بني نظام ادارتها على اركان من المعرفة والحكمة — في دولة تميد الى الفرد من القوى الواسعة اكثر مما تسلبهُ من الحرية بتقييدها — تقضي مصلحة كل رجل ان يتصرف تصرفاً اجتماعيًّا رائدهُ الحكمة والاخلاص. ولا يبقى الا ان يكون الحكام بعيدي النظر حتى يستتبَّ للدولة سلام ونظام ووئام

ولكن اذا كانت الحكومة فوضى، تحكم من غير ان تمدّ يدَ المساعد الى رعيتها، وتأمر من غير ان تتولى القيادة، فكيف يستطيع الحكام ان يقنعوا الفرد، في دولة من هذا القبيل، بان يطيع القوانين ويحصر مساعيهُ في دائرة «الخير الكامل»؟ فلا عجب اذاً ان يشيح السيبيادز بوجههِ عن دولة لا تطمئن الى الرجال اصحاب المواهب وتحترم العدد اكثر من احترامها المعرفة. ولا عجب ان تجد فوضى حيث لا تجد فكراً، حيث يحكم الجمهور في تعجل وجهل ثمَّ لا يلبث ان يندم حين لا ينفع الندم. اليست الخرافة القائلة بان الكثرة تولد الحكمة خرافة فاسدة؟ وعلى الضد من ذلك الا نرى ان الرجال حين يجتمعون جماهير يصبحون اكثر جنوناً واشد فساداً واعظم عنفاً منهم وهم افراد؟ اليس من السخف ان يحكم الناسَ خطباء يستثيرون شعورهم بخطب طنّانة كالاوعية النحاسية الجوفاء اذا ضربت عليها طنّت وظلت تطنُّ حتى تمسَّها يدٌ؟ حقًا ان ادارة الدولة مسألة لا يستطيع الرجال ان يبلغوا في استعدادهم لها حدود المعرفة والحكمة. انها مسألة تتطلب التفكير الحرّ في اقوى العقول. فكيف نستطيع ان نخلص مجتمعاً ما او ان نحكمهُ الاَّ اذا كان حكامُهُ زعماءهُ

موقف الدمقراطيين

تصوَّر الشعور الذي سرى في صدور الحزب الشعبي حين اطلعوا على مبادئ هذه الدعوة الارستقراطية، في زمن كانت الحرب تستدعي كمَّ افواهُ الناقدين والمعترضين، وكانت الاقلية المتعلمة السريّة تعدّ المعدات للقيام بثورة على النظام السائد. تصوَّر ما شعر بهِ انيتس احد زعماء الدمقراطيين حين رأى ابنهُ وقد صار تلميذاً لسقراط، منقلباً على الآلهة وعلى ابيهِ ضاحكاً في وجههِ

وجاءت الثورة تخاضها رجال الفريقين عالمين انها معركة الحياة والموت. فلما فازت الدمقراطية تقرَّر مصير سقراط. لقد كان الزعيم الفكري لحزب الثورة مهما يكن مسالماً في اعماله وتصرفهِ. لقد كان منبع هذه الفلسفة الارستقراطية الممقوتة. هو افسد الشبان السكارى بسحر الجدال والمناقشة. فالافضل ان يموت. هكذا قال انيتس ومليتس

وباقي القصة اشهر من ان يعاد لان افلاطون كتبهُ في «ابولوجيتهِ» نثراً يفوق الشعر رواء وبلاغة. ففيها يصف موت اول شهداء الفلسفة، الذي اعلن حق الانسان في حرية الفكر مؤيداً فائدتهُ للدولة، رافضاً ان يطلب الرحمة من الجمهور الذي كان يحتقرهُ، مع ان ذلك الجمهور كان يملك العفو عنهُ واطلاق سراحهِ. انهُ رأى في موتهِ، وفي حكم القضاة عليهِ بالموت، حين كان الجمهور الصاخب يطلب ذلك، تأييداً لتعاليمهِ. فتقدم الى الموت بقلب ثابت وقدم راسخة. ويلٌ لمن يحاول ان يعلم الناس أسرع مما يستطيعون ان يتعلموا!

افلاطون

كان اجتماع افلاطون بسقراط مرحلة انقلاب في حياته . ذلك ان افلاطون كان قد نشأ في مهد الرفاهة والرخاء — والبعض يقولون في مهد الثروة ايضاً . كان شابًّا بهيَّ الطلعة مفتول العضل دعي افلاطون لعرض منكبيهِ . وكان قد برع واشتهر جنديًّا وكان قد فاز مرتين في الالعاب الكورنثية . فلا ينتظر ان ينشأ الفلاسفة من طائفة من هذا القبيل . ولكن روح افلاطون الدقيقة الاحساس كانت قد وجدت جذلاً لا يحدُّ في طريقة سقراط الجدلية . ما كان اشدَّ سروره وهو يصغي الى « المعلم » يمزق المعتقدات التحكية بمسائله الجارحة . فدخل افلاطون حومة هذه الرياضة كما خاض قبلاً ميدان الالعاب الرياضية . وبعناية سقراط اخذ ينتقل من الجدل والمناقشة الى التحليل الدقيق والمباحث المجدية . فصار مشغوفاً بالحكمة وبمعلمهِ . قال : اشكر الله اني ولدت يونانيًّا لا بربريًّا . حرًّا لا عبداً . رجلاً لا امرأة . ولكن علاوة على كل ذلك اشكرهُ لاني ولدتُ في عهد سقراط » !

استعداد افلاطون

كان في الثامنة والعشرين لمَّا مات معلمهُ . وموتهُ المفجع ترك في نفسهِ اثراً لا يمحى . وملأ نفسهُ باحتقار الدمقراطية، ومقت الرعاع على منوال ما ينتظر منهُ وهو ابن اسرة ارستقراطية . وقادهُ تأملهُ الى وجوب القضاء على الدمقراطية واحلال حكم الاحكم والافضل محلها — هذا هو ركن الجمهورية . واضحى اكبر همهِ في الحياة ان يبتدع طريقة يستطيع ان يكشف بها عن احكم الناس وأفضلهم ثم يقنعهم ان يتقلدوا زمام الحكم

على ان محاولتهُ ان يخلص سقراط جعلتهُ موضعاً لريب الدمقراطيين . فأشار عليهِ اصحابهُ بان اثينا ليست داراً امانٍ لهُ، وان العناية الالهية قد تكون هيأت لهُ هذه الفرصة ليرى العالم فليغتنمها . وهكذا كان . فانهُ اعدَّ عدتهُ للرحيل وغادر اثينا سنة ٣٩٩ ق.م. اين ذهب ؟ لا نعلم . فالثقات مختلفون كما تقدم معنا . ولكن يظهر انهُ ذهب اولاً الى مصر فصدمهُ ما سمعهُ فيها من الكهان ان اليونان دولة لا تزال في المهد، لا تقاليد تنزل فيها من مركز الثقل وانها خالية من الثقافة . ولكن الصدمة تفتح العيون فجعل يتأمل . ثم ذهب من مصر الى صقلية فايطاليا وهناك اتصل مدة بالمدرسة التي انشأها فيثاغورس . فتأثر عقلهُ الحساس بصورة طائفة من الرجال لا شأن لهم الا الاكباب على البحث والحكم، ورغم تقلدهم مناصب الحكم كانوا يعيشون عيشة السذاجة الطبيعية . فكانت هذه الصورة المثال الذي بني عليهِ نظام طبقة الحكام في جمهوريتهِ

وهكذا قضى اثنتي عشرة سنة يتلقى الحكمة من كل مصادرها ، جالساً في كل هيكل، متذوقاً كل معتقد . فبعضهم يقول انهُ ذهب الى اليهودية فاقتبس هناك تقاليد الانبياء الذين كادوا يكونون اشتراكيين في نزعتهم . وبعضهم يقول انهُ وصل الى ضفاف الكنج وتعلم اساليب التأمل الصوفي من الهنود . كلُّ هذا لا نعلمهُ على حقيقتهِ

عاد الى اثينا سنة ٣٧٨ ق. م. رجلاً في الاربعين وقد انضجتهُ الايام والاسفار وهذَّبهُ تعدُّد الشعوب التي لقيها والمذاهب التي اتصل بها .كان قد فقد شيئاً من الحماسة التي اتصف بها في شبابهِ . ولكنهُ اكتسب مكانها قدرة على النظر الى الامور من كل وجهاتها نظراً متزناً وهو اساس الحكمة . فقد كان من جهة واسع المعرفة ومن جهة اخرى ذا نفس لا يملكها الاَّ رجل الفن العظيم . في نفس هذا الرجل الفذّ اجتمع الفيلسوف والشاعر في حيّز واحد . فابتدع لنفسهِ اسلوباً جديداً من اساليب الكلام — تتجلى فيهِ الحكمة والجمال— نعني بهِ اسلوب الحوار . ان الفلسفة لم ترتدِ ثوباً يفوق الثوب بهجة ورونقاً — لا قبل افلاطون ولا بعده . قال شلي ان افلاطون يعرض لك ذلك الائتلاف النادر بين المنطق الدقيق والحماسة الشعرية ذائبين في فيضٍ واحدٍ من الاتزان الى سيل عرمٍ من التأثرات الموسيقية

الصعوبة في فهمه

هنا كل الصعوبة في فهم افلاطون . انهُ يمزج الشعر بالفلسفة بالعلم بالفن مزجاً يسكر. وانك اذا تأملت محاوراتهِ لم تعرف بلسان اي المتحاورين يتكلم افلاطون ، وهل هو يتكلم استعارة او يعني ما يقولهُ بحرفهِ . وهل هو يجدُّ او هو يهذر.ان محبتهُ للتهكم والهزل وللخرافة تحيّر اللب . حتى لنستطيع ان نقول انهُ لم يتكلم الا بالامثال

ويقـال انهُ كتب هذه المحاورات لقراء عصرهِ . فان الاخذ والردّ فيهما واعادة بعض البراهين لتحكيمها في نفوس المستمعين كان يقصد بها كلها جمهور القراء والمستمعين في ذلك العصر ، لذلك نرى ان كثيراً منها لا نستطيع ان ندركهُ لبعد الشأو بين حياتنا وحياتهم وأساليب معيشتنا وتفكيرنا وأساليب معيشتهم وتفكيرهم . فلا يحزننَّ القارئ اذا لقي في الجمهورية كثيراً مما لا يستطيع الى ادراكهِ سبيلاً لما كني بهِ من الاستعارات التي لا تدركها عقولنا في هذا العصر

وليذكر كذلك ان في افلاطون صفات كثيرة كالصفات التي كان يحمل عليها في محاوراتهِ . انهُ يحمل على الشعراء وخرافاتهم ثم يضيف اسمهُ الى مئاتٍ من اسمائهم وخرافاتهِ الى الوفٍ من خرافاتهم . انهُ يتذمر من الكهان ولكنهُ هو كاهن ولاهوتي وواعظ . يحمل على

الفن حملات صادقة ويرمي بكل الاساطير الى النار ولكنهُ يعمد الى بعض الاساطير لتأييد اقوالهِ بل يعمد الى بعضها فيجعله اساساً لنظام التعليم في دولتهِ . انهُ يعترف على منوال شكسبير ان المشابهات تحمل على الزلق ولكنهُ لايخرج من مشابهة حتى يدخل في اخرى. انهُ يحتقر السفسطائيين لتلاعبهم بالكلام في سبيل اثبات ما يريدون اثباتهُ. ولكنهُ لايترفع عن ان يفعل فعلهم كالمبتدىء بعلم المنطق . ان اميل فاجيه الفرنسي يقلدهُ ليسخرمنهُ فيقول على منوالهِ : «الكل اكبر من الجزء — لا بدَّ — والجزء اقل من الكل — نعم — لذلك يتضح ان الفلاسفة يجب ان يحكموا الدولة — ماذا تقول ؟ انهُ امر واضح — فلنعد الكرة عليهِ »

مقام الجمهورية

على ان هذه النقائص هي اكبر ما يرمى بهِ . وبعد ما نقول كل ما يمكن ان يقال فيهِ من هذا القبيل تبقى محاوراتهُ كنزاً من أثمن كنوز العالم . وأهمها الجمهورية وهي رسالة كاملة بذاتها فيها تجد فلسفتهُ فيما وراء الطبيعة — لاهوتهُ — نظامهُ الادبي —فلسفتهُ النفسية— فلسفتهُ التعليمية — فلسفتهُ السياسية — ومذهبهُ في الفن. فيها نعثر على المسائل التي نحسبها الآن من مبتكرات عصرنا — الشيوعية — الاشتراكية — تحرير النساء — تحديد النسل — اليوجنية — والمسائل التي اثارها نيتشه فيما يتعلق بالآداب . الارستقراطية والعود الى الطبيعة ، على ما قال بهِ روسو ، والتعليم الحر — الدافع الحيوي الذي ذهب اليهِ برغسن — والتحليل النفسي الذي ابتدعهُ فرويد — كل شيء نجده في الجمهورية — انها مأدبة المختارين يقدمها مضيف كريم

افلاطون هو الفلسفة والفلسفة هي افلاطون — هكذا قال امرسن : ثم قال : احرقوا المكاتب فكلها في هذا الكتاب

تحليل الجمهورية

١ ـ تقسيمها

الجمهورية عشرة كتب تقسم بطبيعتها الى خمسة اقسام (١) القسم الاول يشتمل على الكتاب الاول وهو مقدمة للبحث فيهِ يثير سقراط المسألة الآتية : ما هي العدالة ؟ (٢) والقسم الثاني يشتمل على الكتاب الثاني والثالث والرابع وهي تحتوي على اركان الدولة المثلى وخصوصاً تعليم طبقة الحكام فيقوده ذلك الى تحديد المقصود بالعدالة، في الدولة اولاً ثم في الفرد (٣) والقسم الثالث يشتمل على الكتاب الخامس والسادس والسابع وهي في

رأي بعض النقاد والثقاة استطراد وتوسع في موضوع الكتاب الاساسي . وهذا القسم يشتمل على بحث في الشيوعية خاصة بطبقة الحكام وعلى وجوب تقليد زمام الاحكام للفلاسفة وعلى نظام لتعليم الملوك الفلاسفة تعليماً عالياً . وتعليم الفلاسفة يستغرق كتابين السادس والسابع وهما في عرف المؤرخين استطراد من الكتاب الرابع (٤) القسم الرابع يشتمل على الكتابين الثامن والتاسع وفيهما يقف البحث على انحطاط الحكومة المثلى (والفرد الامثل) والصور التي تتخذها في انحطاطها هذا فيرى انها تتخذ اربعة اشكال تنتهي بالاستبداد وهو صورة التعدي التام تقابله العدالة الكاملة في الدولة المثلى (٥) والقسم الخامس يشتمل على الكتاب العاشر فتعرض امام المقررات التي سبق وأدى اليها البحث في الفصول السابقة ويختم بحث في خلود النفس وجزاء الفضيلة ووصف ليوم الدينونة

٢ ـ غرضها وفكرتها العامة

نشأت الجمهورية عن مناقشة في حقيقة العدالة فذكر بعض المتناقشين حدوداً للعدالة لم يلقَ سقراط صعوبة ما في تفنيدها . ولكن اثنين من اتباع سقراط ذهبا الى ان الانسان لا يميل بفطرته الى العدالة اكثر من ميله الى التعدي وانهُ لا يطلب العدالة لذاتها ولكنهُ يطلبها لانهُ يدرك النتائج التي تحلّ بالمجتمع اذا اطلق كلٌّ عنانهُ في اعمال التعدي . فكأنهما شبّها المجتمع البشري — كما شبههُ شوبنهوَر — بجماعة من القنافذ اقتربت بعضها من بعض طلباً للدفء فكان لا بدّ ان تخز اشواك القنفذ الواحد جسم جاره . ولكن اذا جعلتَ لكل شوكة غمداً من اللبّاد امكنها ان تقترب بعضها من بعض من غير ان يخز احدها الآخر . فغمد اللبّاد هذا هو بمثابة القوانين التي نظن ان العدالة مستقرة فيها وانما هي استنبطت لتمنع الاحتكاك الذي يحدثهُ اجتماع الناس وانطلاقهم في اكفاء رغباتهم وشهواتهم من غير ما رادع او وازع

الادلة التي يدليان بها قوية وطويلة. تنتهي الى السؤال التالي: هل تستطيع يا سقراط ان تبين لنا ان العدالة بطبيعتها اسمى من التعدي . وان الادب اصلح من فساد الادب . اذا كان ذلك في طاقتك فبرهن عليه يا سقراط اذا اردت . هكذا قال غلوكون وأديمنتس

هذا هو الفصل الاول. اما باقي الجمهورية فهو ردّ سقراط على هذا التحدّي الموجّه اليه. ولكي يحدّد معنى العدالة ويثبت انها افضل من التعدي قال ان اقوم الطرق للوقوف على حقيقتها هو البحث عنها حيث تبدو مظاهرها كبيرة واضحة للعيان — اي في المبادىء التي تجري بموجبها المجتمعات البشرية — اي في الدولة . ولا بدّ انها تكون على اوضح ما تكون في الدولة المثلى

فما هي الدولة المثلى ? هي الدولة التي تنتظم امورها باعتبار ما هو «خير» اعتباراً معقولاً . هكذا يقول سقراط

والدولة المثلى في نظره يجب ان تكون ارستقراطية تحكمها طبقة من الحكام يتعلمون تعليماً عالياً وافياً ثم يختارون لمنصبهم بفضل مقدرتهم على ادراك المبادىء التي تقوم عليها الدولة وجدارتهم في تطبيقها وحفظها . وهؤلاء يعيشون عيشة شيوعية لكي لا تغريهم المطامع بالحياد عن الصراط المستقيم . ويلي طبقة الحكام طبقة الجيش للدفاع عن الدولة، وطبقة العمال والصناع لاستغلال مواردها . فدولة افلاطون قائمة على مبدإ الاختصاص . وهذا معارض كل المعارضة للدمقراطية — بمعناها الاصطلاحي — حيث يحسب كلُّ انسان بارعاً في كل عمل وحيث يدعي رجل الشارع انهُ يستطيع ان يدرك ادارة الشؤون على اختلافها ويصدر فيها حكماً يجب احترامهُ

ويقابل تقسيم الدولة الى طبقات ثلاث تقسيم نفس الانسان الى مناطق ثلاث . فنفس الانسان لها ثلاثة اقسام بحسب رأي افلاطون في جمهوريتهِ: القسم العقلي — والقسم الحماسي او الغضبي — والقسم الشهوي . فالحكمة فضيلة الاول . والشجاعة فضيلة الثاني والاعتدال فضيلة الثالث . ويقابل كل قسم من اقسام النفس صنف خاص من الرجال . فحاكم الدولة وهو رجل فيلسوف يمثل الرجل العاقل ويقابل في نفس الانسان القسم العقلي . والجندي يمثل الرجل الحماسي وهو يقابل القسم الحماسي في نفس الانسان . والصانع يمثل الرجل الشهوي الذي تتنازعهُ الرغبات المختلفة وهو يقابل القسم الشهوي في نفس الانسان

وكما ان العدالة في الدولة تقوم بقيام كل فرد بالعمل الخاص بطبيعتهِ — فالحاكم يحكم والجندي يحمي الذمار والعامل يستغل موارد الارض — هكذا العدالة في النفس تقوم بقيام كل قسم منها بعملهِ الخاص بهِ — فالعقل يضبط الشهوات حاكماً في المدى الذي يطلقهُ للرغبات . و « العواطف » تساعد العقل في عمله بتجنيد « العواطف الشريفة » لتأييدهِ كالغضب من الحطة والخجل من الكذب . فالعدالة الاجتماعية هي مظهر خارجي لهذه العدالة الداخلية عدالة النفس . ولما سئل كيف يستطيع ان يحقق هذا الحلم الجميل اجاب «ملّكوا الفلاسفة» والفيلسوف في رأيهِ هو الرجل الذي يعرف الحقيقة . والحقيقة في نظره هي « صورة الخير » التي منها تستمد الاشياء الصالحة صلاحها

٣ — المشكلات التي تثيرها

المسائل التي يثيرها افلاطون في الجمهورية على لسان سقراط هي هي المسائل التي ما زال ابناء العصر يثيرونها في كل مجتمع وكل نادٍ . والحلول التي يقترحها لهذه المسائل لم تفقد

جدتها على قدم العهد بها . لانها متسمة بميسم ذلك العقل الجبار ومطبوعة بطابع تلك النفس التي تحررت من قيود الزمان والمكان كما قال امرسن فضمنت الخلود . فما هي هذه المسائل؟

﴿ اولاً : المسألة الادبية ﴾ الحديث يجري في بيت سيفالس الارستقراطي الثري. بين المجتمعين ترى غلوكون وادعنتس اخوي افلاطون وثراسياخس وهو سفسطائي متعنت يثور لاقل بارقة

« ماذا تحسب يا سيفالس اعظم بركة جنيتها من ثروتك » هذا هو سؤال سقراط — بل هو سؤال افلاطون على لسان سقراط

فيجيبهُ سيفالس انهُ يحسب الثروة بركة عليهِ لانها تمكنهُ من ان يكون كريماً واميناً وعادلاً . فيسألهُ سقراط على طريقتهِ في توجيهِ الاسئلة ، ماذا تريد «بالعدالة» . حدّدها . فتثور حرب الجدال وتنطلق شياطينها . لان اصعب ما في العلم والفلسفة هو وضع تحديد . ولا شيء اشق على الذهن من التفكير تفكيراً صافياً خالصاً من الشوائب . على ان سقراط لم يلقَ صعوبة ما في تفنيد الحدود المقترحة حتى يدخل المعمعة ثراسياخس وكأنهُ جنديها الكمي فيتكلم كما يزأر الاسد قائلاً :—

« اي كلام فارغ يشغلكما يا سقراط وبوليمارخس . ولماذا تخدعان الناس بتأنقكما المتبادل . فاذا كنت حقيقة تريد تحديد العدالة فلا تقتصر على توجيه الاسئلة ، وتتسلى بافساد الاجوبة الواردة عليها . لانك عالم ان توجيه الاسئلة اسهل من اجابتها فاجب انت وقل ما تدعوهُ عدالة (٣٣٦)

على ان هذا الزئير لا يخيف سقراط . فيمضي في طريقهِ في تؤدة ولطف يوجّه الاسئلة اكثر مما يجيب عنها . وبعد جدال قصير يحمل ثراسياخس على اقتراح حدّ للعدالة. فيقول: «فاسمع اذاً، تعليمي هو ان العدالة انما هي «فائدة الاقوى» . . . . فمعناي يا سيدي انهُ في كل بلد منفعة الحكومة هي العدالة . . . . فنتيجة البحث الحق هي ان منفعة الاقوى هي العدالة في كل مكان . . . . فيؤوب العادل صفر اليدين ويطمع الظالم بالكل . . . . ولانهُ عادل تمنعهُ عدالتهُ من ان يمدَّ يدهُ الى اموال الدولة . ثم انهُ يصير مكروهاً من خدمهِ وصحبهِ كلما ابى ان يؤثر مصالحهم على العدالة . . . وحين ينبذ الناس المنكرات فلا يكرهونها لذاتها بل مخافة تبعتها ٣٣٨ — ٣٤٤

ان هذا المذهب مرتبط في عصرنا باسم نيتشه حيث يقول في مكان من كتابهِ «هكذا تكلم زرادشترا » : حقاً اني ضحكت مراراً على الضعفاء الذين يحسبون انفسهم صالحين لان

ليس لهم برانٌ . وباسم مكيافلي حيث يقول: الفضيلة هي الذكاء مع القوة. واذا افرغنا المسألة في قالب عصري قلنا « ان قبضة قوة اعظم من قنطار حق » . وقد اشار افلاطون الى هذا الموضوع في مكان آخر من محاوراته (جورجياس) فحمل بلسان الصوفي كليكيس قائلاً : « انهُ ادب استنبطهُ الضعفاء ليعدّلوا به قوة الاقوياء »

فهل نطلب القوة او نطلب الحق ؟ وهل خير لنا ان نكون صالحين او ان نكون اقوياء؟ كيف يجيب سقراط — او بالحري افلاطون — انهُ في البدء لايجيب . بل يمضي في توجيه الاسئلة يبين بها ان العدالة انما هي علاقة بين الافراد لذا يجب ان ندرسها حيث ترى مظاهرها واضحة مكتوبة بالخط العريض — اي انهُ يقترح ان يدرسها في المجتمع . فتحليلها حينئذٍ يكون اقرب منالاً .ولكن يجب ان لا نخطئ فافلاطون يجمع في الجمهورية بين كتابين— لانهُ ينتقل من مسألة ادب النفس، كما هي مرتبطة بحياة الفرد، الى ما مرتبطة بحياة المجتمع . وهذا الاستطراد وهبنا « الجمهورية » على انها صورة العدالة المثلى

﴿ ثانياً : المسألة السياسية ﴾ تكون العدالة مستطاعة اذا عاش الناس على فطرتهم . ولو ان فوضوياً اراد ان يفسر كلام افلاطون لقال انهُ يقصد بذلك الشيوعية . ولكن لافلاطون شيوعية خاصة سيأتي ذكرها . اصغِ اليه يصف هذه المعيشة الفطرية وصفَ شاعر

« انهم يجنون ذرة وخمراً ويصنعون ثياباً واحذية ويشيدون لانفسهم بيوتاً ويمكنهم العمل صيفاً اكثر الوقت بدون احذية ولا اردية .اما في الشتاء فيجهزون بما يلزمهم منها. ويقتاتون بالقمح والشعير ويصنعون خبزاً وكعكاً وينشرون الخبز الجيد والكعك اللذيذ على حصر محبوكة من القش . او على اوراق الاشجار النظيفة . ويجلسون على اسرة مصنوعة من اغصان السرو والآس . ويتمتعون بصفاء العيش مع اولادهم ، راشفين الخمور ، مكللين بالغار، مسبحين الآلهة—معاشرين بعضهم بعضاً بسلام .ولا يلدون اكثر مما يستطيعون ان يعولوا خوفاً من الفاقة والحرب (٣٧٢)

لاحظ ايها القارئ الكريم اشارتهُ الى تحديد النسل والى مذهب الاكتفاء بأكل الخضراوات والى الرجوع الى الطبيعة . ولكنهُ لا يقبل ان تقودهُ تصوراتهُ الشعرية الى الحيدة عن نهج التدقيق الذي انتهجهُ فيسأل نفسهُ « ولماذا يستحيل علينا تحقيق هذا الفردوس على الارض ! » ثم يجيب: هو الطمع من جهة والترف من جهة اخرى! فالناس لا يكتفون ان يعيشوا المعيشة الفطرية الساذجة. فانهم لايلبثون حتى يتشوفوا الى غيرها فيطلبوا ما ليس في حيازتهم. ويندر ان يطلبوا شيئاً الاَّ اذا كان في حيازة آخرين . فينتج عن ذلك التعدي على ارض

الجار وممتلكاته والزحام بين الافراد والجماعات على الارض ونتاجها فيفضي ذلك الى الحرب وتنشأ التجارة وترتقي فتفضي الى تقسيم جديد بين الناس . « فكل مدينة » قال افلاطون « هي في الواقع مدينتان :ـ مدينة الاغنياء ومدينة الفقراء وكل منهما في حرب مع الاخرى وفي كلٍّ من هذه الطبقات طبقات اخرى صغيرة — انك لتخطئ خطأً كبيراً اذا نظرت اليها على انها دولة واحدة » : (٤٢٣) وتنشأ طبقة التجار العامة التي يحاول افرادها الوصول الى المراتب الاجتماعية السامية عن طريق المال — « وينفقون مبالغ طائلة من المال على نسائهم » (٥٤٨). وهذا التغير في توزيع الثروة يصحبهُ او يعقبهُ انقلاب في الاحوال السياسية . فاذا امتدت اصابع التاجر الغني الى الارض أخذت الارستقراطية تندحر امام الاوليغاركية فيحكم الدولة التجار واصحاب البنوك فتهبط السياسة — وهي تعاون القوى الاجتماعية وتطبيق الخطط لنمو البلدان — الى درك اسفل وتحلُّ محلها الالاعيب السياسية وفي مقدمتها فائدة الحزب وشهوة المناصب . وهكذا يميل كل شكل من اشكال الحكومة الى الانحطاط والاندثار اذا عادى في المبدإ الاساسي الذي يقوم عليهِ . فالارستقراطية تتلاشى اذا حدّدت الدائرة والطبقة الارستقراطية التي يحق لها ان تتولى الاحكام تحديداً ضيقاً والاوليغاركية تميل الى الهدم متى قوي الميل الى جمع المال جمعاً عاجلاً من غير اي اعتبار آخر . وفي كلا الحالين يفضي التصدع الى الثورة . ومتى جاءت الثورة ظهر ان الباعث عليها سبب طفيف او شهوة زائلة . ولكنها في الواقع تكون نتيجة لعوامل خطيرة تعمل مدى دهر طويل كالجسم اذا اضعفتهُ العلل انزل بهِ اقلُّ تعرض للمرض افتكَ الادواء (٥٥٦)

ثم تجيء الدمقراطية فيفوز الفقراء على خصومهم يذبحون بعضهم وينفون البعض الآخر ويمنحون الناس اقساطاً متساوية من الحرية والسلطان (٢٥٧)

ولكن الدمقراطية قد تتصدع وتندثر بكثرة دمقراطيتها . فان مبدأها الاساسي تساوي كل الناس في حق المنصب وتعيين الخطة السياسية العامة . هذه لمحة خلابة من نظام يستهوي العقول والنفوس ولكن الواقع ان الناس ليسوا اكفاء معرفة وتهذيباً ليتساووا في اختيار الحكام وتعيين افضل الخطط . وهذا منشأ الخطر (٥٨٨) ان حكم الرعاع بحر مصطخبٌ اذا امتطتهُ سفينة السياسة تقاذفتها كل ريح تهبُّ فينشأ من الدمقراطية الاستبداد . لان الجمهور يحبُّ المديح والاطراء فاذا جاءهُ زعيم يطرئهُ ليحقق مقاصده الخاصة داعياً نفسه حامي حمى الشعب ولاّهُ الشعب السلطة العليا فيستبدّ بهِ (٥٦٥)

وكلما فكّر افلاطون في الامر تراهُ وقد تولاه العجب من هذا الجنون الذي يسمى دمقراطية — اي ان تعهد الى شهوات الجمهور واهوائه في اختيار الموظفين السياسيين . وحجتهُ في ذلك :

اذا كنا في المسائل الصغيرة كصنع الاحذية مثلاً لا نعهد في صنع احذيتنا الا الى اسكاف ماهر فكيف نحسب كل من يفوز باصوات كثيرة قادراً على ادارة احكام المدينة . فاذا مرضنا — يقول — ندعو طبيباً بارعاً في طبه ولا نبحث عن اجمل طبيب او افصح طبيب . واذا كانت الدولة معتلة يجب ان نبحث عن اصلح الناس واحكمهم لمناصب الحكم . فغرض الفلسفة السياسية هو استنباط طريقة تمكننا من ذلك

﴿ المسألة السيكولوجية ﴾ ولكن وراء مشاكل السياسة طبيعة الانسان . ولكي نفهم السياسة يجب ان نفهم الفلسفة النفسية . « الرجل كالدولة » ٥٧٥ . و« الحكومات تختلف كما تختلف اخلاق الناس . . . والدول مكونة من الطبائع البشرية » ... ٥٤٤ . فالدولة تكون ما تكون لان ابناءها هم ما هم . فلا نطمع في ترقية الدولة الا بترقية افرادها (٤٢٥)

فلنفحص قليلاً هذه المادة البشرية التي تتكون منها الدول . ان تصرف الانسان ينشأ عن ثلاثة مصادر : العقل : الشهوة : العاطفة

انك تجد هذه القوى في كل النفوس ولكن على درجات متفاوتة . ففي بعض الرجال ترى الشهوات مجسمة — لا يستقرون على حال من القلق في طلاب المال والرفاهة والظهور والنزاع . فلا يحققون غرضاً حتى تقوم في نفوسهم اغراض . هؤلاء هم الرجال الذين يسيطرون على الصناعة . وفي طائفة اخرى ترى الشعور مجسماً والشجاعة ظاهرة . هؤلاء لا يهتمون بالباعث لهم على خوض غمار حرب وغرضهم منها وانما يهتمون اولاً بالنصر . وعظمتهم تتجلى في ابهة السلطان تساقاليهم لا في الممتلكات واحراز الثروة . واعظم جذلهم في ميدان الحرب لا في سوق المال . من هؤلاء تتألف جيوش البر والبحر . ثم هنالك طائفة هي اقلية صغرى تهتم بالتأمل والفهم ، تدع جانباً السوق والميدان ، لتنسى الدنيا وما فيها في ملكوت الفكر . ارادة هؤلاء نور لا نار . وغرضهم الحقيقة لا السلطان . هؤلاء هم رجال الحكمة الذين لا تفسدهم الدنيا

ولما كان عمل الانسان الفرد على اتمه اذا كانت تمليه الشهوة تذكيها العاطفة ويقودها العقل ويكبح جماحها فهو كذلك في الدولة المثلى : رجال الصناعة ينتجون ولا يحكمون . ورجال الحرب يحمون حمى الدولة من غير ان تلقى اليهم مقاليد الحكم . ورجال المعرفة والعلم والفلسفة يُقاتون ويكسَوْن ويحمون ليحكموا . لان الناس اذا لم يهدهم العلم كانوا جمهوراً من الرعاع من غير نظام — كالشهوات وقد اطلق لها العنان . فالناس في حاجة الى هدي الفلسفة والحكمة ، كما تحتاج الشهوات الى انارة العقل . ان الدمار يحلُّ بالدولة حين يحاول التاجر ، الذي نشأت نفسهُ في الثروة ان يصبح حاكماً (٤٣٤) او حين يستعمل القائد جيشهُ

لفرض دكتاتورية حربية . المنتج على اصلحهِ في ميدان الاقتصاد والجندي على اصلحهِ في ميدان الحرب . وكلاهما يكونان على افسدهما في المنصب العام ، وفي ايديهم غير المثقفة تغرق الاعيبُ السياسة حكمتَها . لان السياسة علم وفن والرجل السياسي يجب ان يقف نفسهُ عليها ويستعدّ لها والملك الفيلسوف هو الرجل الوحيد الجدير بقيادة امة

وما لم يصبح الفلاسفة ملوكاً ويصبح الملوك والامراء حائزين لروح الفلسفة وقوتها ، وما لم تجتمع الحكمة والزعامة السياسية في رجل واحد ، لا تستطيع الدول ان تشفى من ادوائها . . . ولا الجنس البشري (٤٧٣)

هذا هو ركن الدولة المثلى في جمهورية افلاطون . وهذا هو مفتاح فلسفتهِ

٤ — الحلول التي تقترحها

« الحلُّ السيكولوجي — نظام التهذيب » فما هو السبيل الى تحقيق هذا الغرض الاسمى ؟ نشرع بالاستيلاء على كل الاطفال الذين دون العاشرة (٥٤٠) اذ ليس في الطاقة انشاء الفردوس الارضي ما زال الصغار يفسدون كلَّ ساعة باقتفاء آثار كبارهم . يجب ان نفسح امام كل طفل ميدان المساواة في الحصول على التهذيب لاننا لا نستطيع ان نقرّر في اي سنّ يلمع مصباح العبقرية في نفوسهم وعقولهم . فعلينا ان نبحث عنهُ في كل طبقة من الطبقات وكل عمر من الاعمار . والخطوة الاولى على طريقنا هي « التعليم العام »

ثم قسّم مراحل التعليم . فجعلهُ تعليماً بدنيًّا محضاً في السنوات العشر الاولى وقضى ان يكون في كل مدرسة دار وميدان للالعاب الرياضية على اختلافها (الجمناستك). وهكذا نخزن في اجسامهم صحة تجعل الطبَّ فنًّا يستغنى عنهُ . اننا لا نستطيع ان نكوّن جمهوريتنا من افراد معتلي الابدان . ففردوسنا الارضي يجب ان يبدأ في جسم الانسان

ولكنَّ التمرين الرياضيَّ ينمي الانسان في جهة واحدة « فما هي السبيل الى الحصول على طبيعة لطيفة تدعمها شجاعة عظيمة — لانهُ يظهر ان الاثنين لا يجتمعان » ٣٧٥ . لعلَّ الموسيقى تحلُّ هذا المشكل المعقد . فبالموسيقى تتعلم النفس الايقاع والاتساق وينشأ فيها ميل الى العدل لانهُ « ايستطيع من كان ذا نفس متسقة ان يكون متعدياً » . ان الموسيقى تهذّب الاخلاق ولذلك تجد لها اثراً كبيراً في تعيين الاحوال الاجتماعية والسياسية. ثم يتناول افلاطون اثر الموسيقى في الصحة على منوال مذهب القائلين « بالشفاء بالاستهواء » وينتقل الى تعليل الاحلام على منوال فلسفة فرويد — اي ان مصدرها هو رغبات النفس المكبوتة . ففي كلٍّ منا حتى في الرجال الصالحين تكمن طبيعة الوحش البريّ وتظهر في اثناء النوم (٥٧٢)

فالموسيقى والايقاع يحبوان النفس والجسد صحة واتساقاً . ولكن التمادي في الموسيقى كالتمادي في الالعاب الرياضية يفسد النفس . لان هذا يجعل الرياضي كالوحش وذاك (اي الموسيقى) يُلينهُ ويضعفهُ (٤١٠) فيجب الجمع بين الاثنين ولذلك متى تجاوز الفتى السادسة عشرة يجب ان يقلع عن انفاق وقته في تعلم الموسيقى

وهو لا يقصد بالموسيقى الانغام فقط بل عرض الموضوعات التي لا يفهمها الفتى في قالب يستهوي كالقالب الشعري مثلا . وحتى هذه « القوالب » يجب ان لا يرغم على حفظها لان افلاطون يرى ما يراه ديوي وغيره من فلاسفة هذا العصر في طرق التعليم . انهُ يقول : «فيجب تلقين تلاميذنا. . . . مع الاعتناء بتلقينهم العلم بطريقة غير اجبارية. . . لانهُ لا يجوز ان يمزج تهذيب الحرّ بشيء من ملابسات الاستعباد : ان ارغام الجسد على الاعمال الجسدية لا يحدث تأثيراً في الجسد . اما في امر العقل فلا يتأصل علم في الذاكرة اذا اتاها بطريق الارغام. فيجب اعطاء الدروس للاحداث باسلوب الالعاب والتسلية ... ٥٣٦

هذه العقول الناشئة المتفتحة عن ازهار الفكر تفتحاً حرًّا ، وهذه الاجسام القوية المتسقة في جمالها وقوتها هي اساس الدولة النفسي والفسيولوجي. ولكن يجب ان نضيف الى هذين الاساسين اساساً ادبيًّا لان اعضاء المجتمع يجب ان يعيشوا عيشة وئام . على ان نفس الانسان تتنازعها الشهوات والرغبات . فكيف نقنع اصحابها بان لا يطلقوا العنان لشهواتهم . بنبا بيت يتقلدها المحافظون على الامن العام ؟ انها طريقة وحشية تثير النزاع وتستدعي نفقات طائلة . فماذا تفعل — يقول افلاطون : يجب ان نمدَّ القوانين الادبية بسلطة من وراء الطبيعة : — اي يجب ان يكون لنا دين

وهو يعتقد كل الاعتقاد ان الامة لا تكون امة قوية الاّ اذا كانت تؤمن بإله — ليكن قوة كونية ، او سبباً اوليًّا ، او اندفاعاً حيويًّا ، ولكنهُ اذا لم يكن مجسماً في شخص فلا يستطيع ان يثير في صدور الناس رجاء او عطفاً او تضحية . انهُ لا يستطيع ان يعزي القلوب الجريحة ولا ان يشجع النفوس الحائرة . وهكذا ترى افلاطون يسير بأدلته على منوال ادلة بسكال . مع انهُ سبقهُ بنحو الفي سنة

بعد هذا يقدَّم احداثنا للامتحان ، في الامور النظرية والعمومية . ويجعل الامتحان على طريقة تمكن كل ذي موهبة من اظهار موهبته ، وكل ذي ضعف ضعفهُ على وضح النهار . فالذين يسقطون في هذا الامتحان الاول يعين لهم عمل الدولة الصناعي — الكتاب وعمال المصانع والفلاحون . والذين يجتازون هذا الامتحان الاول يقضون عشر سنوات اخرى في التعليم والتمرن . ثم يتقدمون لامتحان آخر اصعب من الاول اضعافاً مضاعفة .

فالذين يسقطون فيه يعينون لمناصب مساعدي الحكام (التنفيذ) وضباط الجيش

وهنا — هنا يتعرض العمل لاعظم المخاطر . اذ كيف نقنع هؤلاء بوجوب قبول مصيرهم والاخلاد الى السكينة . ماذا يمنعهم من ان يجتمعوا مع العمال فيؤلفون دولة مصدر سلطتها الاكبر كثرة العدد ؟ هنا نعمد الى الدين فنقنع هؤلاء الشبان أن تقسيم الدولة الى هذه الاقسام منزل لا يتغير — ونقصُّ عليهم خرافة المعادن :

« كلكم اخوان في الوطنية . ولكنَّ الاله الذي جبلكم وضع في طينة بعضكم ذهباً يمكنهم من ان يكونوا حكاماً . فهؤلاء هم الاكثر احتراماً . ووضع في جبلة المساعدين فضة . وفي العتيدين ان يكونوا زراعاً وعمالاً وضع نحاساً وحديداً . ولما كنتم متسلسلين بعضكم من بعض فالاولاد يمثلون والديهم . على انهُ قد يلد الذهب فضة . والفضة ذهباً . . . . . . فاذا ولد الحاكم ولداً ممزوجاً معدنهُ بنحاس او حديد فلا يشفق والدهُ عليهِ بل يولونهُ المقام الذي يتفق مع جبلتهِ . فيقصونهُ الى ما هو دونهم من الطبقات . فيكون زارعاً او عاملاً . واذا ولد العمال اولاداً ، ثبت بعد الحك ان فيهم ذهباً او فضة ، وجب رفعهم الى منصة الحكم . . . . (٤١٥)

بقي لدينا عدد ضئيل من الناس اجتاز افراده الامتحان الاول والثاني . هؤلاء نعلمهم الفلسفة . والفلسفة تقوم على عمادين . الاول التفكير الصافي الصحيح — وهو علم ما وراء الطبيعة . والثاني الحكمة في الحكم—وهو السياسة . ولتحقيق الفرضين يجب ان يتعلموا مذهب افلاطون في الصور والحقائق وهذا المذهب الذي يفيض عليهِ افلاطون انواراً من شعره وحكمتهِ ، كاتيهِ لابن هذا العصر يدخل فيهِ ولا يعرف ان يخرج منهُ . ولا بدَّ انهُ كان كوراً يمتحن فيهِ الطامحون الى مناصب الاحكام

وبعد ما يقضون خمس سنوات يدرسون هذه الفلسفة ، يتعلمون كيف يميزون الحقائق وراء الصور وبعد ما يقضون خمس سنوات اخرى يتعلمون تطبيق هذا المذهب على شؤون الناس ، اي بعد ان يقضوا خمساً وثلاثين سنة يستعدون هذا الاستعداد العظيم نقول ولا شك انهم صاروا جديرين بأن يكونوا الملوك الفلاسفة الذين نطمع بهم

ولكن افلاطون لا يكتفي بذلك . ان تعليمهم في نظرهِ لم يكمل بعدُ . لان تعليمهم كانت تغلب عليهِ حتى الآن الصبغة النظرية . فلينزلوا من قمم الفلسفة الى ظلمات الكهف — الى عالم الناس والاشياء . فان النظريات والمذاهب العامة لا تجدي نفعاً اذا لم تمتحن في عالم « الواقع » فيجب ان يخوضوا معمعة الحياة يتنافسون مع التجار والصناع ، ويصطدمون برجال الحيلة والدهاء — وفي ميدان هذا النزاع يتعلمون من كتاب الحياة المفتوح امامهم . قد يؤذي

الكفاح اصابعهم، وقد تجرح حقائق الحياة بعض مذاهبهم الفلسفية . ولكن لا بدّ ان يتعلموا ان يكسبوا خبزهم بعرق جبينهم . هنا يقضون خمس عشرة سنة ، هي المحكّ الاخير فيفشل بعضهم ويفوز البعض الآخر . فالفائزون يكونون قد بلغوا الخمسين — وقد هذبهم السن والاختبار وخفض من كبريائهم النظرية خوضُ معمعة الحياة فيخرجون وقد تحلّوا بالحكمة الناشئة عن التقاليد والخبرة والتهذيب والتأمل والنزاع في ميدان الحياة — هؤلاء هم غايتنا المنشودة — حكام الدولة المثلى

﴿ الحل السياسي او نظام الجمهورية ﴾ ومن غير ان نعمد الى الخدعة السياسية التي يسمونها « انتخاب » يصبح هؤلاء الرجال حكام الدولة . فكل ابن من ابنائها انفسح امامهُ الميدان ليبلغ القمة العليا . فالذين خاضوا المعمان وخرجوا منهُ سالمين يحقّ لهم ان يتقلدوا زمام السلطان من غير ان يكون لاخوانهم في طبقات الشعب الاخرى رأي في ذلك

فهل هذه هي الارستقراطية ؟ ولماذا نخاف التلفظ بهذه اللفظة ، اذا كانت الحقيقة التي تم عليها صالحة ومفيدة ؟ اننا نريد ان يحكمنا افضل الافاضل . وهذا هو معنى الارستقراطية . على انها في عرف العصر الحاضر وراثية وهذا ما نخافهُ فيها . فليعلم القارئ ان ارستقراطية افلاطون ليست كذلك . حتى ليصح ان ندعوها ارستقراطية دمقراطية . لان الشعب في جمهوريته لا يختار — كما يحدث في بعض البلدان الآن — اهون الشرّين من رجلين مرشحين للرآسة مثلاً — بل يكون كل منهم مرشحاً والزمن هو الذي يختار . فالانتخاب هو انتخاب التهذيب . ومن يجري في نظام افلاطون التهذيبي الى غايته من غير ان يسقط في الطريق يصبح بحكم الطبع حاكماً وفيلسوفاً في آنٍ واحد . انك لست تجد في هذا النظام طبقة تمتاز على طبقة من هذا القبيل فلا المنصب ولا الثروة ولا الامتيازات تغني في هذا الميدان . وصاحب الموهبة لا يطمس موهبتَهُ الفقرُ ولا ضعفُ النفوذ . فابن الحاكم يبدأ حيث يبدأ ابن الجندي وابن التاجر وابن الفلاح وابن الاسكاف . ومجال التقدم مفتوح امام الموهبة التي هي اسمى المواهب كائناً صاحبها من كان . هذه هي ديموقراطية المدارس . ديموقراطية التعليم والتهذيب . وهي الف ضعف افعل وأحكم من دمقراطية صناديق الانتخاب

يصرف هؤلاء الحكام نظرهم عن كل عمل الا عمل الحكم ، ويقفون نفوسهم على محافظة حرية الدولة فتكون هذه صناعتهم ويصدون عن كل صناعة اخرى لا علاقة لها بها . فيكونون الشارعين والمنفذين والقضاة في آنٍ واحد . حتى القوانين المسنونة لا تربطهم بحكم من الاحكام اذا رأوا ان تغيُّر الاحوال يقضي بتغيير القوانين . وركن حكمهم هو « المعرفة المرنة » ، ورغم تقدمهم في السن يفوزون بهذه الصفة لانهم من محبي الفلسفة

وبالفلسفة يعني افلاطون الثقافة الفعالة — الحكمة تدعمها معرفة مقتضيات الحياة العملية — ولا يقصد بالفيلسوف من يقتصر على درس ما وراء الطبيعة في عزلة عن سمع الجمهور وبصره ، وما يتنازع حياة هذا الجمهور من بواعث ورغبات وانفعالات

[اشتراكية الملك] ولكن ألا يحمل هؤلاء الحكام تيار القوة والسلطان على السطو على املاك غيرهم حين تحدثهم النفس بتوفير الثروة وتوسيع الملك ؟ ان افلاطون احترز من الوقوع في هذا فجعل الحياة اشتراكية في طبقة الحكام . واليك ما يقول :

« ١ : ان لا يمتلك احدهم عقاراً خاصاً ما دام ذلك في الامكان »

« ٢ : ولا يكون لاحدهم مخزن . . . . . ويجب ان يتقاضوا من الاهلين دفعات قانونية اجرة خدمتهم ، بحيث لا يحتاجون في آخر العام ولا يستفضلون . ولتكن لهم موائد مشتركة كما في ثكنات الجنود . وان يخبروا ان الآلهة ذخرت في نفوسهم ذهباً وفضة سماويين فلا حاجة بهم الى الركاز الترابي . . . . ان نقود العامة فيها دخل كثير وهي مجلبة لكثير من الشرور ولكن ذهب الحكام السموي عديم الفساد . فهم وحدهم من بين كل رجال المدينة مستثنون من مس الفضة والذهب . فلا يدخلونهما تحت سقفهم ولا يحملونهما ولا يشربون بكؤوس صيغت منهما . وبذلك يصونون انفسهم ودولتهم . ولكنهم اذا امتلكوا اراضي وبيوتاً ومالاً وملكاً خاصاً صاروا مالكين وزراعاً عوض كونهم حكاماً . فيصبحون سادة مكروهين لا حلفاء محبوبين . . . يكاد لهم ويكيدون . فيقضون الجانب الاكبر من حياتهم في هذا العراك . . . . »

[شيوعية النساء] ولكن ماذا تفعل نساؤهم ؟ هل يكتفين بالصد عن اسباب الرفاهية والترف ؟ فيجيبك افلاطون «لا يكون للحكام لنساء» . فاشتراكيتهم — او شيوعيتهم — يجب ان تتناول النساء ايضاً . لانهُ يجب ان يتحرروا من حب الذات ومن حب الاسرة . ويجب ان لا تنحصر مطالبهم في تحصيل الرزق كما يفعل رب البيت ويجب ان يقفوا حياتهم على المجتمع لا على المرأة . «يجب ان تكون النساء بلا استثناء ازواجاً مشاعاً لاولئك الحكام . فلا يخص احدهم نفسهُ باحداهن . وكذلك اولادهم يكونون مشاعاً فلا يعرف والد ولدهُ ولا ولد والده ...» وحال ولادة الاطفال يتسلمهم موظفون مختصون بهذا الغرض . فيحمل الموظفون اولاد الوالدين الممتازين « الى المراضع العامة .. » وتعنى نساء كل الحكام باولاد كل الحكام من غير فرق . وهكذا ينشأ الاولاد اخوة بالحق . فيكون كل ولد اخاً لكل ولد آخر . وهذه الشيوعية خاصة بطبقة الحكام فقط

[مساواة النساء بالرجال] ولكن من اين نأتي بهؤلاء النساء ؟ لاشك ان بعض

الحكام يخطبون ودَّ بعض النساء من طبقات العمال ولكن غيرهنَّ يصبحن من طبقة الحكام لانهنَّ يجتزن الامتحانات التي تقدم ذكرها مع الرجال، اذاً لا يغرب عن بالنا ان ميدان التعليم في جمهورية افلاطون مفتوح للجميع — لابناء الجنسين ولابناء كل الطبقات على السواء — على مصراعيهِ وحين يعترض غلوكون قائلاً ان قبول النساء في المناصب العامة (بعد اجتيازهنَّ الامتحانات) يناقض مبدأ توزيع الاعمال الذي سبق لافلاطون فبسطهُ، يجيبهُ هذا ان تقسيم الاعمال يجب ان يبنى « على الميل الطبيعي والمقدرة الخاصة لا على الجنس » . فاذا ابدت المرأة مقدرة في الادارة السياسية فلتحكم واذا اثبت الرجل انهُ لا يستطيع ان يعمل عملاً افضل من غسل الصحون فليمنع عن كل عملٍ الاَّ غسل الصحون !

على ان افلاطون احكم من ان يرضى بان تكون المزاوجة عملاً لا رقابة عليهِ . لانهُ يعرف من درس الحيوانات ان التأصيل لهُ اكبر اثر في انتاج الصفات العالية التي يتوخاها اصحابها . لذلك يقول بتطبيق هذا المبدأ على الناس . وهذا هو مذهب اليوجينية لان التعليم في رأيهِ لا يكفي بل يجب ان يكون الفتى من اصل اصيل . وان يكون من ارومة متينة العقل والجسم . فالتعليم يجب ان يبدأ قبل الولادة — اي بانتخاب الزوجين ولذلك لا يسمح لرجل ولامرأة ان يُعقبا الا اذا كانا متمتعين بصحة جيدة . وكل امرأة يجب ان تبرز شهادة قبل زواجها . ما اقل الحكومات التي تحتم ذلك الا ن ! والرجال لا يحق لهم ان يُعقبوا الا اذا كانت اعمارهم تتراوح بين الثلاثين والخامسة والخمسين والنساء متى كنَّ بين العشرين والاربعين . والمزاوجة قبل هذين الحدين وبعدها في الرجال وفي النساء يجب ان تكون من غير عقب . واذا حملت المرأة فيجب ان تجهض او ان لا يرى وليدها النور (٤٦١) كذلك يمنع الزواج بين الاقارب ويجب ان « نكثر من تزويج افضل الرجال بافضل النساء وان نقلَّ من تزويج ادنياء الرجال بمثيلاتهم من النساء (٤٦٠)

ويعهد في الذبّ عن حياض الدولة الى طبقة متوسطة بين العمال والحكام هي طبقة الجند . ولكن يجب ان نحترز من الاسباب التي تؤدي الى الحرب واهمها زيادة السكان (تحديد النسل). وثانيها التجارة الخارجية والمنازعات التي تثيرها (كأن افلاطون ابن القرن التاسع عشر او ابن القرن العشرين). وهكذا نرى ان بناء الدولة السياسي هرميّ الشكل أعلاهُ طبقة قليلة من الرجال والنساء، هي طبقة الحكام يحميها ويدافع عنها فريق الجند . والقاعدة هي طبقة العمال والصناع والتجار. وافرادها يحق لهم ان يمتلكوا املاكاً خاصًّا وان يكون لهم ازواجٌ وأسرٌ. ولكن الحكام يضبطون سير الصناعة والتجارة حتى يمنعوا التمادي في الثروة والتمادي في الفاقة وقد يمنعون الربا كما ابان افلاطون في غير مكان من محاوراتهِ

﴿ الحلّ الادبي ﴾ اما وقد اتينا على تحليل الاستطراد السياسي فلنرجع الى المسألة الادبية التي بني عليها الكتاب : ما هي العدالة ؟

يرى افلاطون ان العدالة في الدولة هي ان يلزم كل فرد العمل الذي يجيده وان يتناول منها قدر ما يعطيها . فالرجل العادل في الدولة هو الرجل الذي ينزل في منصبه المعدّ له ، وفيه يبذل وسعهُ ليعطي الدولة قدر ما يأخذ منها . ان دولة كهذه هي بالحق جماعة متسقة اتساقاً موسيقيًّا لان كل عنصر من عناصرها يجب ان يكون في مكانه يقوم بعمله كما يقوم الموسيقي بعمله في الجوق اما اذا خرج الناس كلٌّ من مكانه الخاص به ، فاصبح الجندي حاكماً والعامل جنديًّا تصدَّعت اركان الدولة وتفككت عراها وفسد قوامها وانحلَّت وقضي عليها . فالعدالة هي التعاون الفعَّال

والعدالة في الفرد هي التعاون الفعال — على المنوال المتقدم — بين العناصر المختلفة التي تتألف منها طبيعة الانسان — فكل انسان عالم من الرغبات والشهوات والآراء والعواطف . فاذا اتسقت هذه الظاهرات النفسية وتعاونت ظهر صاحبها رجلاً حكيماً عادلاً . واذا اختلَّ التوازن بينها وسيطرت العاطفة على سائر القوى او نزل منها العقل مجرداً منزل الملك المستبدّ تصدَّعت اركان الشخصية وسرى اليها الفساد . فالعدالة هي النظام والجمال في النفس . انها للنفس بمقام الصحة للجسد

وهكذا يردُّ افلاطون ردًّا ابديًّا على ثراسياخس ونيتشه واتباعهما . العدالة ليست القوة مجردة . وانما هي القوة المتسقة . العدالة ليست حق الاقوى ولكنها تعاون كل الاجزاء تعاوناً فعالاً متسقاً على ما فيه خير الكل

***

الجمهورية — كما اثبت التاريخ — هي اولى المحاولات التي حاولها عقل بشري ليخلق دولة مثلى ، توضع في عالم الفكر والسياسة ، مع البارثنون في عالم الفن . فالكتاب كلهُ أبلغ مثل على معنى العدالة حسب مذهب افلاطون — انهُ قطعة من الفن متسقة الاجزاء كأنها لحن موسيقي خرج من ايدي اربابه — فمن مقدمتها الى آخر سطر فيها يتبع الرأيُ الرأيَ ويأخذ الدليل السابق بعنق الدليل اللاحق ، وذلك في دقة واتقان ومنطق وجمال انك لا تستطيع ان تحذف جزءاً منها من غير ان تفقدها جانباً من كامل روعتها . لان افلاطون يكاد يكون الوحيد بين الفلاسفة الذي جمع بين الفلسفة والفن وهذا هو سرُّ عظمتهُ الخالدة المتجددة على كرّ الايام

فؤاد صروف

القاهرة ٧ اغسطس ١٩٢٩



السر ادون راي لانكستر

(١٨٤٧ — ١٩٢٩)

خليفة هكسلي — بطل المذهب الداروني — رسول : العلم قوة

توفي في الاسبوع الثالث من شهر اغسطس الماضي عالم انكليزي من اعظم علماء الحيوان في هذا العصر وندٌّ من انداد العلماء العظام الذي ظهروا في الثلث الاخير من القرن الماضي كالسر تشارلس ليل والسر دافيد بروستر وهكسلي وتندل واون وفرنكلند وستوكس وغيرهم. عالم اتخذ مملكة الحيوان ميداناً لبحثهِ فلم يصوّب اشعة فكرهِ الى موضوع من موضوعاتها الاَّ غمرهُ بالنور وكشف فيهِ عن حقائق لم تتجلَ لغيرهِ من قبل. ان مكتشفاتهِ في عالمي البكتيريا والبروتوزوى (ادنى انواع الاحياء من نبات وحيوان) جعلت اساساً بني عليهِ جانب من الصرح العلمي المجيد . ومباحثهُ في علم الاجنة وبراعتهُ في وصف الحيوانات وتعيين مراتبها كانت مرحلة ارتقاء صحيح في تاريخ هذين العلمين . اضف الى ذلك انهُ قد انقضى عليه نصف قرن وهو اشد انصار المذهب الداروني شكيمة وارسخهم حجة كما انهُ كان رسولاً بليغ البيان يذيع بين الناس ان العلم قوة لا غنى عنهُ لامة في هذا العصر

وُلد المترجم في لندن في ١٥ مايو سنة ١٨٤٧ وكان ابوه الدكتور ادوين لانكستر كاتباً مجيداً اشتهر بكتاباتهِ العلمية . فنشأ الفتى في بيت علم وفضل . وتلقى العلم في مدرسة سانت بول ثمَّ في كلية دوننغ بكمبردج فني كلية كرَيْست بأكسفرد . فأظهر ميلاً الى العلوم البيولوجية ونبوغاً فيها . وكانت باكورة مكتشفاته العثور على اول حيوان طفيلي عُثر عليه في الكريات الحمراء في دم الانسان . كان ذلك سنة ١٨٧١ وهو في الرابعة والعشرين من عمره . فبني على هذا الاكتشاف البديع كثير من المباحث الطبية النظرية والعملية . وأشهر الامثلة على ذلك الكشف عن الحيوينات التي تسبب الحمى الملارية . فهي طفيليات تتصل بكريات الدم الحمراء وتتكاثر فيها . فذاعت شهرته العلمية في الخافقين ودعتهُ الكليات والجامعات للتدريس فيها فشغل مناصب تعليمية مختلفة في لندن وادنبرج واكسفرد . وظل استاذاً للحيوان وتشريح المقابلة في كلية الجامعة بلندن من سنة ١٨٧٤ الى ١٨٩٠ ثم شغل منصب استاذ تشريح المقابلة في جامعة اكسفرد سنة ١٨٩١ — ١٨٩٨ وبعدها عيّن مديراً لمتحف التاريخ الطبيعي بسوث كنسنجتون بلندن وظل متقلداً ادارتهُ الى سنة

١٩٠٧ فازدهر المتحف في عهده واتسع نطاقهُ حتى صار يحسب من امجاد المعاهد العلمية في انكلترا . كذلك ظل سنتين استاذاً للفسيولوجيا وتشريح المقابلة في المعهد الملكي بلندن (١٨٩٨ — ١٩٠٠) . وانتخب سنة ١٩٠٦ رئيساً لمجمع تقدم العلوم البريطاني الذي اجتمع في يورك فخطب فيه خطبة الرآسة واختار موضوعاً لها « العلم في ربع قرن بسط في مطلعها ما يمكن ان نحسبهُ خلاصة فلسفته العلمية . قال :

« اذا اردنا ان نراجع مقدار تقدم العلوم في الخمس والعشرين السنة الماضية وجب علينا على ما اظن ان نميز بين نوعين من التقدم . وهذان النوعان كانا نصب عيون الذين انشأوا هذا المجمع . لقد الف فرنسس باكون كتاباً سمَّاه تقدم العلم بحث فيه عن الاساليب التي تتقدَّم بها المعارف وعن كيفية جعل المعارف مفيدة لنوع الانسان ولارتقاء العمران حتى يهتمَّ بها جمهور الناس كما يهتم بها رجال العلم انفسهم . . . ولذلك اذا اردنا ان نراجع مقدار تقدُّم العلوم في الخمس والعشرين السنة الماضية وجب ان لا نقتصر على ذكر الحقائق التي كشفت حديثاً والآراء والتصورات التي شاعت بل ان نسأل ايضاً عن التقدم الذي تقدَّمهُ العلم في كونه صار من المواضيع التي يشتغل بها الناس بنوع عام . فهل عندنا ما يدلُّ على زيادة تأثير العلم في معيشة السكان وفي سياسة البلاد . وهل نحن مهتمون بما يلزم لترقية العلوم حسبما تستدعيه احوال الزمان وباستخدام الرجال الاكفاء الذين تمرَّنوا على المباحث العلمية لكي تنتفع بهم البلاد ؟ »

ولم تحُل اعمالهُ الرسمية ومباحثهُ العلمية الكثيرة بينهُ وبين القلم . فقد كان كاتباً علميًّا مجيداً يصف الحقائق العلمية وصفاً يقرّبها الى الاذهان من غير ان يتهاون في دقة التعبير او يحيد عن النهج العلمي الصحيح . انشأ سنة ١٨٦٩ اي لما كان في الثانية والعشرين من عمره « مجلة العلم المكرسكوبي » وقام باعباء تحريرها . وظلَّ يكتب الى اواخر ايامه فصلاً علميًّا اسبوعيًّا في جريدة الديلي تلغراف موضوعهُ العام « العلم من كرسي مريح » وقد جمعت اكثر هذه الفصول في كتابين بهذا العنوان وفيهما يقع الطالب على رسائل طريفة في موضوعات علمية لا يحيط بها ولا يفيها حقها الا المتفرغ للعلم المتعمق في نواحيه المختلفة . هذا الى صفاء في الفكر وبلاغة في التعبير . وقد عني عناية خاصة بالوقوف على مذكرات هكسلي وطبعها ونشرها وبتفصيل آراء صديقه متشنيكوف . ومن اشهر كتبه « العلم والتعليم » . « كبار الاشياء وصغارها » . « اسرار الارض والبحر » . « تسليات طبيعي » : وغيرها . وقد اشتهر خطيباً علميًّا بسلسلة من المحاضرات القاها على جمهور من الاحداث موضوعها « الحيوانات المنقرضة »



كيف تتصل لندن بأكبر
مدن العالم اتصالاً تلفونياً

المشهد الاول

في مكتب تحرير التيمس بلندن في يوم الجمعة ٧ يناير ١٩٢٧

جلس محرر التيمس في مكتبه بلندن واذا جرس التلفون يقرع في نحو الساعة الاولى بعد الظهر والدقيقة الخمسين . فرفع السمّاعة فسمع صوتاً يقول : انا ادولف اوكس صاحب جريدة التيمس النيويوركية. وكان المستر اوكس جالساً في مكتبه بنيويورك على نحو ثلاثة آلاف من الاميال وامامهُ صورة محرر التيمس اللندنية لكي يرى الشخص الذي يخاطبهُ. وبعد ما تبادلا عبارات التحية والمجاملة المألوفة وصف صاحب التيمس النيويوركية ما في الولايات المتحدة الاميركية من ميل في الرأي العام الى اعادة النظر في مسألة ديون الحلفاء لاميركا . ثم وصف استنباطاً جديداً دعي بالصور المتحركة الناطقة فكانت هذه الرسالة وعدد كلماتها الانكليزية ٢٣٠ كلمة احدى الرسائل الصحافية الاولى التي ارسلت بالتلفون اللاسلكي بين لندن ونيويورك . وقد ردَّ عليها محرر التيمس اللندنية بكلمة تناسب المقام

وكانت ادارة التيمس اللندنية قد ابرقت الى مكاتبها النيويوركي لكي يعدَّ رسالة تحتوي على نحو ٦٠٠ كلمة يمليها على احدى الكاتبات بالتلفون اللاسلكي لتنشر في الجريدة وفي الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والاربعين قرع جرس التلفون في ادارة التيمس اللندنية فاذا مراسلها في نيويورك يخاطبها فاملى على احدى كاتباتها رسالتين مجموع كلماتهما ٥٦٧ كلمة في ست دقائق وهو الوقت المحدَّد للمخاطبة . وبعد ما اتمَّ املاء الرسالتين سأل رؤساءهُ في لندن هل سمعوا كل كلمة فاه بها ودوَّنوها او يلزم ان يرسل الرسالتين بالتلغراف حتى تصححا فقالوا « سمعنا كل كلمة على ما يرام » وانتهت المخاطبة . وفي اليوم نفسهِ جرت محادثة تلفونية بين صاحب جريدة « الورلد » النيويوركية ومحرر « الديلي اكسبرس » الانكليزية. وبين مدير شركة التلغرافات والتلفونات الاميركية ومدير مصلحة البريد الانكليزية



ارتقاء المخاطبات اللاسلكية
بين عواصم الدنيا وغرائبها

المشهد الثاني

في مرسى ليكهرست بالولايات المتحدة في ١٥ اكتوبر ١٩٢٨

البلون غراف زبلين محوّم فوق مرسى ليكهرست بعد ما اجتاز المسافة بين المانيا والولايات المتحدة في احوال تسترعي الانظار والاسماع وبعد ما لقي في طريقه من العواصف والمخاطر ما القى في النفوس القلق والروع وبعد ما ابدى ربّانهُ وابن ربانه وملاحوه من البراعة والجرأة ما ينزل من تاريخ الطيران في صفحة المجد . وعلى الارض جمهور من المتفرجين يحصى بعشرات الالوف انقضى عليهم ساعات وهم ينتظرون قدوم ملك الفضاء وقد عيل صبرهم فجعلوا يتدافعون حتى تخطوا الحدود التي عينها البوليس الاميركي. ولما اقترب البلون من الارض اندفع الجمهور كالتيار الجارف حتى كاد رجال الحفظ يعجزون عن صدّه عن اذية البلون . واذ الجمهور كذلك انسلّ منهُ شابٌ وعدا الى دكان قريب من المطير . لان الثانية في نظره كانت بمثابة دهر وهو مكاتب صحافي ديدنهُ السبق في نقل الانباء .ودخل الى غرفة من غرف التلفون العمومي يشرف من كوّتها على المطير. وطلب باللغة الانكليزية شاكراً لربه المامهُ بها ،ان يتصل في الحال بمكتب المخاطبات الطويلة المدى. فلما اتصل به طلب ان يخاطب رقم S.N. ٦٨ برلين . وما انقضت عليه دقائق ست حتى سمع صوت زميل قديم له يخاطبهُ من مكتب جرائد اولشتاين في برلين فهزهُ الدهش والاعجاب حتى كاد ينسى غرض المحادثة .ولما افاق من حيرته ودهشه املى على زميله وصفاً مسهباً لوصول الغراف زبلين الى ليكهرست ونزوله فيها سالماً والاستقبال العظيم الذي كان معدّاً له . ومن مكتب شركة اولشتاين في برلين وزعت هذه الاخبار على اشهر مدن المانيا ولم تلبث ان ظهرت طبعات خاصة من صحفها تصف باسهاب حادثاً تمّ في اميركا قبل ربع ساعة وصفاً نُقلت كل كلمة من كلماته شفاهاً وكان الحديث ينقل والبلون لا يزال آخذاً في النزول الى الارض

ومن يدري فقد يتاح لنا في يوم من ايام السنة القادمة او التي تليها ان نجلس في مكتبنا في دار المقتطف والمقطم ونمسك سماعة التلفون فنطلب لندن ومنها منشستر او ادنبرج او نيويورك ونتحدث الى من نريد التحدث اليه فيها كاننا نخاطب القدس او الاسكندرية او الزيتون. ذلك لان الحكومة المصرية قد اتفقت مع شركة مركوني والشركات المتحدة بها ان تنشىء محطة لاسلكية في مصر تمكننا من مخاطبة لندن بالتلفون . لذلك رأينا ان نبسط للقراء مبادىء التلفون اللاسلكي المستعمل الآن بين اميركا واوربا بل قل بين كل بلدان العالم. لانهُ ما كاد يجف المداد الذي نكتب بهِ هذه الكلمات حتى جاءتنا الانباء البرقية ان المحادثات التلفونية اللاسلكية قد فتحت بين لندن واستراليا فصار الرجل الجالس في دارهِ في اية بلدة من بلدان انكلترا يستطيع ان يخاطب ابنهُ او ابن عمهِ او صديقهُ او زميله في سدني او ملبورن على بعد عشرة آلاف ميل او اكثر. هذا هو سحر العلم والاستنباط !

بين اميركا واوربا

افتتح الخط التلفوني اللاسلكي بين لندن ونيويورك في ٧ يناير سنة ١٩٢٧ وكان الناس لا يزالون في ريبة من صدق مايدعيهِ المستنبطون حاسبين أن المخاطبات التلفونية اللاسلكية سحر الآلهة لا يكشف عن سرّهِ لابناء الارض. أما القائمون بالامر من رؤساء شركة التلغراف والتلفون الاميركية ومديري مصلحة البريد الانكليزي فكانوا يثقون كل الثقة بالنتائج التي اسفرت عنها مباحث العلماء والمهندسين وحسبوا ان غرابة الامر لا بدَّ أن تبعث الناس على الدهش اولاً ثم على الاقبال على استعمال هذه الوسيلة الجديدة من وسائل المخاطبات

وقد صحَّ فألهم . فان ٢٩٠٠ شخص في اميركا استعملوا هذا التلفون فى السنة الاولى من انشائهِ. ثم اخذ العدد يزداد ازدياداً مطرداً حمل القائمين بامرهِ على تخفيض الاجور. فقد كان اجرة المخاطبة التي تستغرق ثلاث دقائق ١٥ جنيهاً مصريًّا في البدء نخفضت الى تسعة جنيهات. كذلك كان النجاح الذي صادفوهُ في هذا الضرب من التخاطب باعثاً لهم على توسيع نطاقهِ . فبعد ما كانت المخاطبات تجري بين نيويورك ولندن فقط اتسع نطاقها حتى صارت تشمل كل مدن الولايات المتحدة الاميركية وكندا والمكسيك وكوبا من جهة وكل مدن انكلترا الكبيرة وعواصم اوربا من جهة اخرى . وصار التخاطب بين شيكاغو وبرلين او كوبنهاغن او فينا أو باريس أمراً مألوفاً . وقراء المقتطف يذكرون أن الطيار لندبرغ تخاطب مع امهِ بعيد وصوله الى باريس طائراً من نيويورك وكانت هي في دترويت مدينة تبعد عن نيويورك نحو الف ميل . وقد وصف مدير التلفون اللاسلكي في

شركة التلفون والتلغراف الاميركية هذا الاتساع فقال : ان في الولايات المتحدة الاميركية نحو تسعة عشر مليوناً من التلفونات وكلُّ واحد منها صار يستطيع ان يتصل بأي تلفون من تلفونات العالم القديم وعددها نحو ثمانية وعشرين مليوناً !

وقد اتسع هذا النطاق حديثاً حتى شمل القسم الغربي من شمال افريقية وقريباً يشمل مصر ومدن اميركا الجنوبية كما عمَّ منذ عهد قريب مدن استراليا

ايدرك القارىء ما يعني كلُّ هذا التقدم ؟ انك تستطيع ان تتخاطب وانت جالس في مكتبك أو دارك أو ناديك مع من شئت سواء كان في لندن بانكلترا أو بونس ايرس في الارجنتين أو فينا بالنمسا او استوكهلم باسوج أو سدني باستراليا أو تونس بالجزائر . وكل هذه المخاطبات على جانب عظيم من الكتمان لان التلفون اللاسلكي والسلكي يشتركان في ارسالها واذاعتها واستقبالها . فاذا التقطت الامواج الاثيرية سارت على سلك خاص يوصل الكلام الى سماعتك الخاصة وللكتمان جهاز خاص لا يزال امرهُ سرًّا مكتوماً

كيف تجرى المخاطبات

هبك في شيكاغو وتريد ان تخاطب صديقاً أو عميلاً لك في فندق سافوي بلندن . فتتناول سماعة تلفونك العادي وتطلب من عاملة التلفون التي تجيبك ان تصلك بالمكتب الخاص بالمخاطبات البعيدة فتقول للعاملة في هذا المكتب أريد أن اخاطب فلاناً في فندق سافوي بلندن . فتفتح الطريق التلفوني أمامك الى نيويورك كما تفتح الطريق امامك عاملة التلفون بمصر حين تخاطب الاسكندرية أو بيت المقدس . وحالما تعلم عاملة التلفون في نيويورك أنك تودّ أن تخاطب لندن تحول صوتك الى القسم المختص بذلك في مكتب نيويورك ومنهُ ينتقل صوتك على اسلاك التلفون السلكي مسافة ٧٢ ميلاً الى المحطة اللاسلكية القائمة في مكان يدعى « رُكي پوينت » على مقربة من مدينة نيويورك . في هذه المحطة يقوَّى الصوت ويتحوَّل الى أمواج لاسلكية قوية بواسطة أنابيب مفرغة معدَّة لذلك . ثم يبعث في الاسلاك الهوائية التي يبلغ طولها ميلان ومنها يذاع في الجوّ امواجاً لاسلكية تجتاز الفضاء بسرعة النور . أي بسرعة ١٨٦ الف ميل في الساعة . على ان هذه الامواج تضعف كثيراً في اجتيازها الفضاء بين اميركا وانكلترا ولكن ما يبقى منها تلتقطهُ الاسلاك الهوائية في محطة الاستقبال الانكليزية القائمة في بلدة كوپار بشمال اسكتلندا وهناك تقوَّى وتحوَّل الامواج اللاسلكية الى تيار تلفوني سلكي عادي وترسل على الاسلاك العادية الى لندن . ومثل كل محادثة تلفونية عادية ينتقل الصوت الى صديقك في فندق سافوي

ولكن حين يردّ عليك صديقك لايتبع صوتهُ الطريق التي جاء عليها صوتك. ذلك انهُ متى ردَّ عليك ينتقل صوتهُ الى السنترال اللندني ومنهُ لا يرجع الى كوپار حيث التقط صوتك بل يذهب على سلك تلفوني عادي الى محطة قريبة من لندن تدعى محطة رجبي ومنها يذاع امواجاً لاسلكية كما اذيع صوت صديقك من محطة « ركي بوينت » وحين يصل صوتك الى اميركا لا تلتقطهُ محطة « ركي بوينت » بل تلتقطهُ محطة أخرى في بلدة هولتن بولاية مِان وهناك تقوّى امواجهُ وتبعث الى نيويورك على سلك تلفوني طولهُ نحو ٦٠٠ ميل ومن نيويورك تنقل الى شيكاغو مثل كل محادثة تلفونية بعيدة المدى

فلدينا اذاً أربع محطات لا سلكية الاولى محطة ركي بوينت ومنها يرسل كلام الاميركي ومحطة كوپار باسكتلندا التي تلتقط هذا الكلام . ثم هناك محطة رجبي قرب لندن التي ترسل كلام المحدّث من فندق سافوي الى اميركا فتلتقطهُ المحطة الاميركية التي في هولتن بمِاين

والغريب العجيب في أمر هذه المحطات كلها انها بلغت من الدقة والانتظام والسرعة في اذاعة الكلام واستقباله حتى لتشعر وأنت تحدث شخصاً يبعد عنك الوف الاميال وتفصلهُ عنك بحار وقارات كأنهُ على مقربة منك يحدثك من غرفة مجاورة

غرائب المحادثات

كان عدد الذين استعملوا التلفون اللاسلكي بين لندن ونيويورك يوم افتتاحهِ الاول ٣٥ شخصاً . ولكن هذا العدد قد تضاعف الآن منذ اتسع نطاق المخاطبات حتى صار يشمل اشهر مدن اوربا واميركا ومنذ خفضت اجورها واستنبطت طريقة لكتمانها. فتوسط عدد الذين يستعملون هذه الطريقة من طرق المخاطبات كل يوم سبعون شخصاً ستون في المائة منهم يستعملونها لاغراض تجارية ومالية واربعون في المائة لاغراض اجتماعية . واول صفقة تجارية عقدت بالتلفون اللاسلكي كانت بين شركة انكليزية وشركة اميركية فاشترت الاولى من الثانية مقداراً كبيراً من الخشب

ولما ثبت ان هذه الوسيلة الجديدة من الوسائل التي يصح الاعتماد عليها اقبل الناس عليها اقبالاً عظيماً . فعقد مجلس الادارة في احدى الشركات البريطانية جلسة اصغى فيها الى خطبة خطبها رئيسهُ وهو جالس بمكتب في نيويورك . وعقدت احدى شركات البترول قرضاً قدرهُ خمسة ملايين لاحد فروعها وكانت الرسائل قد عجزت عن ازالة سوء التفاهم الذي نشأ فازالهُ حديث استغرق بضع دقائق. وعرف رجل بنيويورك ان صديقة لهُ عملت لها عملية في لندن فتكلم مع احد بائعي الازهار وطلب اليهِ ان يرسل اليها طاقة من الورد.

واشترك المستر روزنباخ الاميركي المشهور بجمع الكتب النادرة بواسطة احد عملائه في مزاد للكتب اقيم في لندن فكان هو يكلم عميلهُ من سريره بنيويورك وعميلهُ يزيد على المعروض ثمناً لكتاب قديم واخيراً دفع ثلاثة آلاف جنيه وفاز بهِ. وتكلم احد ناظمي الاغاني الذائعة مع مغنٍ فاملى عليهِ اغنية جديدة نظمها ولحّنها فدفع أجرة المحادثة مائة وخمسين من الجنيهات. ولما شاع ان المس هلن ولز لاعبة التنس المشهورة قد عقدت خطبتها حادثها احد مكاتبي الجرائد الانكليزية من لندن وكانت هي في سان فرنسسكو فأيدت الخبر

واطول محادثة تلفونية جرت بين لندن ونيويورك استغرقت خمساً وتسعين دقيقة بلغت أجرتها ٢٨٥ جنيهاً ويقال ان المستر دورانت أحد كبار المثرين الاميركيين ومن اكبر المساهمين في شركة جنرال موترز دفع في اسبوع واحد وهو مصطاف بانكلترا خمسة آلاف من الجنيهات اجرة لمحادثاته التلفونية مع نيويورك · وقد كان الغرض من هذه المحادثات الوقوف على حال السوق المالية في وول ستريت . وفي احد الايام ابتاع وهو جالس بسريره في فندق بلندن ما قيمته مليون ومائتي الف جنيه من الاسهم

***

وتدبير هذه المحادثات عمل شاق . هب ان رجلاً في نيويورك يريد أن يحدث سيدة في لندن في الساعة السادسة مساء بحسب وقت لندن. فعاملة التلفون في نيويورك تحادث عاملة مكتب لندن اولاً وتطلب اليها ان تتثبت ان هذه السيدة مستعدة لمخاطبة هذا الرجل في الساعة المعينة فتكلم العاملة السيدة بالتلفون وتخبرها بذلك. فاذا قبلت فبه. واذا تعذر عليها ذلك طلبت اليها ان تعين ميعاداً آخر وتخبر بهِ عاملة نيويورك لترى هل هذا الميعاد يوافق المتكلم من نيويورك وهكذا . اذ لا يخفى ان نجاح هذه المحادثات لايتم الا اذا خاطب الانسان من يريد مخاطبتهُ . فيقع على مكتبيّ التلفون عناء الجمع بين المتخاطبين على بعد الدار واختلاف الساعة بسبب اختلاف خطوط الطول

وكثيراً ما تضطر عاملات التلفون ان تتعقب الشخص المطلوب تعقب رجال البوليس السري وفي ذلك تحتاج الى اوفر نصيب من طول الاناة وسرعة الخاطر

فقد حدث مرة ان طُلبت سيدة اميركية في لندن للتحدث مع سيدة اخرى من نيويورك فبحثت عاملة التلفون في الفندق الذي تقيم فيهِ هذه السيدة فقيل لها انها ذهبت تبتاع ما يلزم لها من شارع ريجنت . فاتصلت بكل مخزن من مخازن ريجنت ستريت المشهورة تسأل عنها حتى عثرت عليها وكانت تهم بدفع النقود ثمناً لما ابتاعتهُ فانتزعتها من مكانها وجعلتها تكلم نيويورك من غرفة تلفون في المحل عينهِ

وتعقبت عاملة اخرى رجلاً من باريس الى انفرس الى مونت كارلو الى برلين . ولما عثرت على الفندق الذي قيل لها انهُ يقيم فيهِ في برلين طلبت ان تحدثهُ فقيل لها انهُ ذهب الى مطعم كذا لتناول العشاء فعثرت عليهِ هناك ودعتهُ الى التحدث مع رجل طلبهُ من فيلادلفيا . وطُلب مرة اخرى رجل ظهر لدى البحث عنهُ في دارهِ انهُ ذهب الى دار الاوبرا بكوفنت جاردن بلندن فبحثت عاملة التلفون عن رقم كرسيهِ ودعتهُ الى غرفة التلفون في دار الاوبرا نفسها فتكلم مع شيكاغو . وطُلب مرة رجل آخر فبحث عنهُ في داره فلم يعثر عليهِ وبعد البحث عنهُ تعقبتهُ عاملة التلفون الى فوكستون وهو على وشك الابحار منها الى فرنسا فتكلم مع نيويورك وما كاد ينتهي حتى كانت السفينة قد اخذت تقلع من المرفإِ فعدا حتى بلغها

***

منذ نحو سبعين سنة نقل سلك التلغراف الذي مدَّ في الاقيانوس الاتلنتيكي اول رسالة تلغرافيــة ارسلت من اوربا الى اميركا . وكانت من الملكة فكتوريا الى الرئيس بوكنان الاميركي وكانت كلماتها تسعين كلمة استغرق ارسالها نحو ساعة ونصف ساعة فصرَّح بريطاحد زعماء الاحرار البريطانيين في ذلك العهد « ان السلك التلغرافي قد قرَّب العالم الجديد الى العالم القديم » . وانقضى على تلك الرسالة ١٨ سنة فاقيم معرض فلادلفيا سنة ١٨٧٨ فعرض فيهِ الكسندر غراهام بل تلفونهُ الاول وتكلم بهِ مع السر وليم طمسن (لورد كلفن بعدئذٍ) على مسافة قصيرة فدهش السر وليم لهـذا الاستنباط العجيب بعد ما مرَّ بهِ اولاً مرَّ الكرام. ولكن السلك التلغرافي والتلفون العادي اجسام ترى وتلمس فما اعظم الدهشة التي تتولى الناس الآن وهم يخاطبون على مسافة آلاف من الاميال من غير اسلاك في البحر او على اعمدة في الهواء . بل وفي الامكان الآن ان يتحدث الرجل المسافر على باخرة في عرض البحر او الممتطي منطاداً محلقاً في الفضاء الى رجل آخر جالس في مكتبه في احدى المدن. وأدهى من ذلك ان الكومندر برد الرائد القطبي تمكن من ان يحلق بطيارتهِ فوق الاصقاع القطبية وفيما هو محلق بها تمكن من مخاطبة نيويورك مخاطبة تليفونية وهي على نحو ١٠ آلاف ميل منهُ. كل ذلك والاصوات تسمع واضحة ونبراتها جلية كلَّ الجلاء . لقد اصبح انتقال الصوت سريعاً كانتقال النور وتفوَّقت الحقيقة على بنات الخيال . كنا بالامس نستعمل الاشارات للتفاهم وها نحن اليوم نخاطب وغداً تنظر بعضنا بعضاً وجهاً لوجه . فاذا يفصل بين الناس بعدئذٍ وعجائب المواصلات والمخاطبات قد جعلتهم امة واحدة !



آلة العيش صحة وشباب

العمليّات الغريبة لاعادة الشباب

ذكور الجرذان تصير اناثاً — والاناث ذكوراً — والشيوخ شباناً — والصفات الجنسية تتحول بنقل الغدد وزرعها

٢

اشهر العلماء في عملية نقل الغدد من جسم الى جسم للانتفاع بمفرزاتها في الجسم الذي تنقل اليه وتزرع فيه هو الدكتور اوجن شتيناخ النمسوي استاذ الفسيولوجيا في جامعة فينا. فقد بدأ مباحثهُ في صفات الحيوانات الجنسية سنة ١٨٩٤ ولا يزال الى الآن في الطليعة. وبدأ تجاربهُ في مفرزات الخصيتين والمبيضين سنة ١٩٠٦ ونشر كثيراً من آرائهِ والنتائج التي اسفرت عنها تجاربهُ في رسائل مختلفة، فأثارت دهشة وعناية في مختلف البلدان وحثّت طائفة من الباحثين لاقتفاء خطواتهِ في هذا الميدان

على ان مباحثهُ في البدء لقيت مقاومة شديدة مبنية على الاغراض الادبية اكثر من ابتنائها على البحث العلمي. ولقد يعجب القارىء ان يرى المعتقدات الادبية تقحم في المباحث العلمية ولكن الذين اشتغلوا بالبحث في مسائل «الجنس» و «النسل» يؤيدون القول بأنها لم تنل تعضيداً — ان لم نقل انها لقيت مقاومة — من جانب الذين لا يرضون ان يروا الحقائق العلمية تزعزع مذاهبهم الادبية ومعتقداتهم الدينية

ولكن لما اجتمع المؤتمر الدولي الاول للباحثين في مسائل النسل سنة ١٩٢٦ في برلين وقف الاستاذ بندا — وقد كان من قبل اشد مقاومي شتيناخ شكيمة وابلغهم حجة — فصرّح امام اعضاء المؤتمر قائلاً ان مباحثهُ المستقلة قد اقنعتهُ بوجوب تغيير آرائهِ وموقفهِ وانهُ متفق كل الاتفاق مع الدكتور شتيناخ فيما يتعلق بالمبادىء الاساسية التي يذهب اليها

وتتلخص مباحث شتيناخ في ان المراهقة في مظهريها الجسدي والنفسي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعناصر المفرزات الداخلية التي تفرزها الغدد الجنسية. وقد اثبتت المباحث ان من هذه العناصر ما يوجد في مفرزات غدد اخرى. على ان مفرزات الغدد الجنسية هي في المقام الاول من هذا القبيل والى القارىء وصف بعض التجارب التي تؤيد قول شتيناخ

اخذ شتيناخ ذكور جرذان صغيرة السن وخصاها ثم زرع فيها غدد الاناث الجنسية فلم تظهر في الذكور الصفات الجنسية الثانوية الخاصة بالذكور وظهرت بدلاً منها الصفات الجنسية الثانوية الخاصة بالاناث . فبدا شكل هذه الذكور قريباً من شكل الاناث. وتغير تصرفها الجنسي فصارت تميل الى الذكور بدلاً من ان تميل الى الاناث. وفقدت جذبها للاناث فصارت الاناث تصدف عنها وتميل الى غيرها من الذكور التي لم تعالج هذه المعالجة ومن اغرب ما حدث لها انها ارضعت صغار اناث اخرى

وجرَّب شتيناخ تجارب في الاناث على هذا النمط فازال غددها الجنسية وزرع مكانها خصى الذكور فتحوَّلت صفاتها الجنسية الثانوية وصارت شبيهة بصفات الذكور . فاصبحت تجذب الاناث بدلاً من ان تجذب الذكور وتميل الى الاناث بدلاً من ان تميل الى الذكور

ثم خطا خطوة اخرى فاخذ جرذاناً ذكوراً واناثاً وازال غددها الجنسية فلم تظهر فيها الصفات الجنسية الثانوية . ثم اخذ الغدد الجنسية من جرذان صحيحة الجسم قوية البنية وزرعها في الجرذان الخصاة — الخصى في الذكور والمبائض في الاناث — فظهرت مظاهر النشاط الجنسي فيها كلها وبدت الصفات الجنسية الثانوية

بعد ذلك عدَّل طريقة بحثهِ فقال في نفسهِ اذا كان الهرم والضعف الناشىء عن الشيخوخة يحدثان جنباً الى جنب مع ضعف القوة الجنسية افلا يمكننا ان نزرع خصية منقولة من جرذ فتي قوي في جرذ هرم ضعيف فنعيد الى هذا نشاطهُ الجسدي والعقلي والجنسي ؟ وجرَّب تجارب كثيرة في الجرذان لكي يصل الى حكم فاصل في هذا الموضوع. وقد وقع اختيارهُ على الجرذان لانهُ عرف طبائعها ولان مدى حياتها قصير لا تزيد عادة على ثلاثين شهراً فيمكنهُ ذلك من درس نتائج التجارب والعمليات التي يجربها في اجيال متوالية منها وفضلاً عن ذلك ان نفقات حفظها قليلة

فكانت النتائج التي اسفرت عنها هذه التجارب مما يبعث على الدهش والعجب. اخذ انثى جرذ في الشهر السادس والعشرين من عمرها اي انها كانت قد اشرفت على الحد الطبيعي لحياة الجرذان . وكان قد انقضى عليها عشرة اشهر وهي تولد جرذاناً ففقدت كل ما تمتاز بهِ الاناث من جذب الذكور اليهنَّ وبدت عليها كل مظاهر الهرم الطبيعية. اخذها شتيناخ وزرع فيها مبيضين من انثى فتية قوية وانتظر احد عشر يوماً فاذا الذكور يقبلون عليها اقبالاً غير مألوف ويخصونها بعنايتهم وبعد شهرين حملت . وفي اثناء ذلك كان مظهرها الطبيعي قد اصابهُ تغيُّر كبير فزالت مظاهر الشيخوخة وحلَّت محلها دلائل القوة والنشاط. وبعد ما انقضت ثلاثة اشهر على هذه العملية اي وهي في السن الذي تموت فيه الجرذان

عادةً ولدت بضعة جرذان وهذه الولادة ظاهرة تبعث على الدهش . وزد على ذلك انها ارضعتها ونمت كلها نموًّا طبيعيًّا . وعاشت الام التي جدّد شبابها حتى بلغت الشهر السادس والثلاثين من العمر مع ان اختها في الولادة والرضاع التي لم يجدّد شبابها ماتت في الشهر الثامن والعشرين . وأعيدت التجربة في طائفة من اناث الجرذان وذكورها فأسفرت عن مثل هذه النتائج الغريبة . وبعض الذكور الذين عولجوا كذلك عاش حتى بلغ الشهر السابع والثلاثين من العمر اي ان عمره زاد ٢٥ في المائة عن متوسط عمر الجرذان من نوعه

***

بعد ذلك استنبط شتيناخ طريقة اخرى تمكنهُ من استحداث هذا التجديد في قوى الذكور من الجرذان من غير ان يزرع في الهرِم منها خصيتيْ ذكر فتيّ قويّ . ذلك انهُ وجد انهُ اذا ربط قناة الخيوط المنوية التي تفرزها الخصيتان ضعف القسم الخاص بتوليد هذه الخيوط في الخصيتين وضمُر ونشط القسم الآخر الذي يفرز المفرزات الداخلية ونما. وقد رؤي هذا بالمكرسكوب . وصحب الضعفَ في الاول والنشاطَ في الثاني ظهورُ بوادر النشاط في القوى الجسدية والعقلية والجنسية . وبعد انقضاء بضعة اشهر ثبت بالبحث المكرسكوبي ان الخصية عادت الى حالتها الطبيعية من غير ان تخبو آثار النشاط التي اسفرت عنها العملية . وهو يرى انهُ متى خبت هذه الآثار امكن اعادة العملية من جديد مثنى وثلاث . واذا صارت عملية ربط القناة لا تفيد من هذا القبيل لجأ الى عملية زرع الخصى المنتزعة من جرذان قوية. وهذه العملية يمكن اعادتها — من الوجهة النظرية — مرة بعد اخرى الى ما شاء . ولكن الجرذ لا بد ان يموت في اثناء ذلك من مرض او مصاب يحلُّ بهِ ان لم يمت موتاً طبيعيًّا ناشئاً عن الضعف والهرم

وقد جربت هذه التجارب في كثير من الجرذان وغيرها من الحيوانات العليا كالكلاب والماشية والخيل فأسفرت كلها عن نتائج مماثلة في اساسها لنتائج التجارب المذكورة آنفاً

***

ونشبت الحرب الكبرى فاغتنم الجراحون هذه الفرصة السانحة لتجربة تجارب شتيناخ في الناس . ففي سنة ١٩١٥ عالج لختنشترن — وهو اشهر جراحي فينا في جراحة الاعضاء التناسلية — جنديًّا بالغاً من العمر تسعاً وعشرين سنة كان قد فقد كلتا خصيتيهِ بشظية قنبلة اصابتهُ . فضعفت قواه الجسدية والعقلية على اثر ذلك ضعفاً بادياً فكان بليد العقل خاملهُ وأصبح عنّيناً (اي فقد قوتهُ التناسلية) وبدت آثار ذلك في شعر عارضيهِ وشاربيهِ فقلّ ولان. وسمن جسمه وتهدل . فأخذه لختنشترن وزرع فيه خصية بشرية من شاب فلم تنقض

عليهِ ستة اسابيع حتى عاد اليهِ نشاطهُ العقلي والجسدي وصارت تخالجهُ عواطف الرجال في التقرب من النساء وفاز بقدرتهم الجنسية ولكنهُ ظل غير قادر على اخلاف عقب لانهُ فقد خصيتيهِ — والخصية المزروعة تفرز كثيراً من المفرزات الداخلية ولكنها لا تفرز خيوطاً منوية وهي الاصل في التلقيح . واتبع لخنشترن عمليتهُ هذه وهي الاولى من نوعها بست وعشرين عملية مماثلة لها فنجح في ٢٢ عملية منها كل النجاح . وقد دامت آثار العمليات الى الآن مع ان اقدمها تم منذ ١٤ سنة

وقد فاز بمعالجة رجل يميل الى اللواط فشفاهُ بأخذه خصية رجل لا يميل اليهِ وزرعها فيهِ . ومع ان هذه الطريقة في معالجة اللواط لم تسفر في كل العمليات التي عملها عن النجاح ولكنها لابد ان تسترعى انظار الباحثين من العلماء والاطباء ، بما اصابته من النجاح لانها تفوق على الاقل الطريقة المستعملة في اكثر بلدان اوربا وهي سجن المصابين بهذا الداء . فالسجن لايشفي المصاب وكثيراً ما يفضي الى افساد المسجونين والحراس

ولخنشترن يؤثر زرع الخصية في عضلات البطن لا في مكانها الطبيعي . على ان الجراحين مختلفون في اختيار مكان زرعها ومع ذلك فالنتائج التي اسفرت عنها عمليات الزرع هذه متماثلة في اساسها

***

قد يستطيع الجرّاح الحصول على خصية بشرية فتية قوية ليزرعها في رجل فقد خصيتيهِ من اخ او ابن عمّ يجود بها ليخاص اخاه او ابن عمهِ . ولكن هذا نادر . على ان الكاتب الذي لخصنا عنهُ ما تقدم — وهو من الثقات في هذا الموضوع — لا يرى صعوبة ما في الحصول على كمية من الخصى البشرية التي تصلح لعمليات عود الشباب من المصادر الآتية (١) هناك رجال يصابون بمرض يدعى « الخصية المرتفعة » ويستلزم ازالة الخصية فبدلاً من ان تطرح الخصية التي تزال يمكن استعمالها في العمليات المذكورة (٢) ثم هنالك مجرمون يعاقبون كلَّ يوم قتلاً او شنقاً فلتزل خصاهم لتستعمل فيما يفيد الناس (٣) ولتزل كذلك خصى الشبان الذين يصابون باصابات تقضي عليهم في سيارة او معمل (٤) وحبّ الناس لاستتباب السلم لا يمنعهم عن التفكير باستعمال خصى الجنود الاقوياء الذين يسقطون في ساحة الوغى لتجديد شباب الشيوخ

***

وفي كل ذلك يجب ان يفحص واهب الخصية كواهب الدم في عملية نقل الدم، فحصاً دقيقاً ليثبت

انهُ غير مصاب بالسل او الزهري او غيرهما من الامراض الفتاكة التي قد تنتقل الى من يزرع فيهِ فيضرُّ من حيث اراد النفع

ولا ريب في ان الناس في اجتماع كاجتماعنا البشري قائم على العاطفة يتقززون من عمل كهذا. فقد كاد الكاتب يرجَم مرة في مؤتمر عقد لرفع احتجاج على نقل الغدد الجنسية وزرعها اذ رفع صوتهُ بالاحتجاج على الاحتجاج

والاحتكام الى العاطفة من هذا القبيل خطأ فاضح ما زلنا لا نجد اعتراضاً من الوجهة البيولوجية. ذلك انهُ اذا اصيبت يد السر الفرلدج بحرق خطير ووجبت معالجتهُ بزرع قطعة من جلد رجل قوي نشيط وتقدم لذلك المستر ادغار ولس فاننا لا نخاف ان يفعل ذلك بالسر الفرلدج ويصرفهُ عن مباحثهِ العلمية والفلسفية النفيسة الى كتابة القصص البوليسية التي برع فيها وُلِس. واذا تقدم كشاف الى مستشفى وجاد برطل من دمهِ لاعادة الحياة والنشاط الى سيدة اصيبت بالانيميا على اثر نزيف حاد فلا ننتظر ان تصبح المرأة العجوزة ميالة الى الكشافة ميل الفتى. واذا شربنا اللبن او اكلنا الزبدة او لحم الضأن او البقر فلا نخاف ان نصبح شبيهين بالضأن او البقر. وعلاوة على ذلك فالعمل الذي يقوم بهِ ادغار ولس والكشاف عمل ممدح من الهيئة الاجتماعية. فلماذا لا يكون نقل الغدد او الانسجة الاخرى كذلك والقول بان زرع الغدد الجنسية ينقل الى الرجل الذي زرعت فيهِ صفات الرجل الذي جاد بها كلام لا يقوم على سند علمي

***

ولما كان الحصول على خصى الناس الذين في ريعان القوة والشباب متعذراً او هو صعب عمد الدكتور فورونوف المعروف في هذا القطر الى استئصال الغدد الجنسية من القردة واستعمالها لهذا الغرض. فجرّب تجاربهُ في الغنم والماعز فأسفرت عن نتائج شبيهة بالنتائج التي اسفرت عنها تجارب شتيناخ في الجرذان مع ان الاول يعللها بغير تعليل الثاني

ثم اخذ فورنوف يستأصل خصى القردة العليا ويزرعها في الناس الذين يتقدمون للعملية ويدعي ان النتيجة شبيهة بالنتيجة التي حصل عليها لختنشترن في فينا بزرع خصى الشبان في غيرهم. ولكن الادلة المؤيِّدة تشير الى ان آثار هذا الزرع لا تستمرُّ طويلا متى كان الكائن الذي تستأصل منهُ الغدة والكائن الذي تزرع فيهِ من نوعين مختلفين. وكلما بعد المدى بينهما ضعف اثر العملية. اما المستحضرات الطبية التي تباع في السوق ويقال انها تحتوي على المفرزات الداخلية التي تفرزها الغدد الجنسية فلم تبلغ بعدُ — في الغالب — درجة تجعلها صالحة للاستعمال في نوع الانسان مع انها نجحت بعض النجاح في الحيوانات

المعادن والحرب والعمران

ملخص خطبة الرآسة في مجمع تقدم العلوم البريطاني

الملتئم في جوهانسبرغ بجنوب افريقية

للسر توماس هُلَند

جرت العادة ان يلخص رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني في خطبته الارتقاء الذي تم في العلم الذي يشتغل به . واذا كان من اصحاب النظر الشامل والفكر المحيط بأبواب العلوم لخص تقدم العلوم في ربع قرن او نصف قرن كما فعل السر ميخائيل فوستر سنة ١٨٩٩ والسر ادون راي لنكستر سنة ١٩٠٦ على ان تشعب العلوم الحديثة وغموض فروعها يجعل الخطبة الشاملة الآن متعذرة الى حد ما كما يجعل الخطبة في موضوع خاص غامض التفاصيل مما لا يهم جمهور الاعضاء ويخرج بها عن غرض المجمع الاصلي وهو بسط الحقائق العلمية وبيان علاقتها بالعمران والحياة. لذلك خرج السر توماس هلند في خطبته هذه السنة عن الطريقين المتبعين . فلم يعد خطبة يبسط فيها التقدم الذي اصاب فروع العلم بعد الحرب الكبرى مثلا ولا القى محاضرة في موضوع بحثه الخاص الذي يدور على علم المعادن المكرسكوبي (ميكربترولوجيا) لكنه نظر الى المعادن وعلاقتها بالسلم والحرب وهو نظر جديد على ما نعلم يجدر برجال السياسة ان يتأملوه اذا كان ما يقترحه العالم يؤيد ما يعقده السياسي من العهود والمواثيق

ابان الخطيب اولاً ان البشر استعملوا المعادن لصنع ادواتهم وأسلحتهم من اقدم الازمنة . ولكنهم لم يكثروا من استعمالها الاّ بعد الثورة الصناعية التي حدثت في انكلترا وما عقبها من التوسع في استعمال الآلات في معامل الغزل والنسج وبناء السفن والقاطرات ومناجم الفحم والحديد . ولا ريب في ان نجاح هذه الثورة الصناعية في انكلترا انما يعود في المقام الاول الى وجود المعادن الضرورية فيها كالحديد والفحم جنباً الى جنب. ولما استنبط بسمر طريقة جديدة لصنع الصلب بعث في الصناعة الانكليزية حياة ما كان يستطيع ان يبعثها لولا وجود المعادن غير الفصفورية في مناجمها .كذلك لما استنبط توماس وجلكرست طريقة لصنع الحديد الزهر من المعادن الفصفورية وقع استنباطهما في انكلترا بزوراً حية في ارض مجدبة . على ان هذا الاسلوب الصناعي الجديد ازهر وأثمر في بلاد اخرى في اميركا من جهة والمانيا من جهة اخرى. فان رجال الصناعة الالمان رأوا في هذا الاسلوب الصناعي الجديد وسيلة تمكنهم من تثمير مناجم الالزاس واللورين الغنية بالمعادن الفصفورية. وهكذا توافر لرجال السياسة والحرب من الالمان الحديد الذي شجعهم على خوض غمار حرب

يبغون من ورائها السيطرة على العالم . وقد ظلت انكلترا قادرة مدة نصف قرن بعد الثورة الصناعية ، ان تستخرج من مناجمها المقادير الصغيرة التي كانت تحتاج اليها معاملها من حديد ونحاس وزنك ورصاص وقصدير. على ان اتساع صناعة الحديد بعد استنباط طريقة بسمر حتم على رجال الصناعة في انكلترا ان يبحثوا عمّا يكفيهم من هذه المعادن وغيرها في بلدانٍ اخرى

ثم ارتقت صناعة المعادن واتسع نطاقها بعد ما استنبط السر روبرت هدفيلد حديد المنغنيس سنة ١٨٨٨ فنشأ عن ذلك استنباط انواع مختلفة من الاخلاط الحديدية كل منها لهُ صفات خاصة تختلف باختلاف المعدن الذي يختلط بالحديد . وهكذا صار رجال الصناعة يحتاجون الى الفناديوم والتنغستن والمولبدنوم والالومنيوم والكروم والكوبلت والنيكل بعد ما كان استعمال هذه المعادن محصوراً في المختبرات العلمية . فاعتماد الصناعات المختلفة على الاخلاط الحديدية المنوَّعة كان فاتحة عهد معدني جديد في تاريخ البشر لانهُ كان باعثاً للدول الصناعية على البحث عن معادن كانت تحسب حتى ذلك الوقت نادرة لا قيمة لها

وهكذا ترى ان البلاد التي نشأت فيها الثورة الصناعية وترعرعت بوجود المعادن الاساسية في ترابها جنباً الى جنب اصبحت وهي لا تستطيع ان تكتفي بذلك ولن تستطيع بعد الآن. حتى في زمن السلم تستهلك بريطانيا كل الرصاص ومضاعف مقدار النحاس الذي تخرجهُ الامبراطورية كلها . وكانت الصناعة قد اخذت تخطو خطوات واسعة في الولايات المتحدة والمانيا فلم يذرَّ قرن القرن العشرين حتى كانت الصفة الغالبة على صناعات العالم الكبرى هي الحاجة الى المعادن المختلفة النادرة وغيرها لصنع ما يحتاج اليه الناس في ابان السلم

وعليه لم يعد في طاقة امة من الامم ان تستقلَّ عن غيرها استقلالاً معدنيًا . اي انك لن تجد امة واحدة حتى ولا الامبراطورية البريطانية تستطيع ان تستخرج من ارضها كل ما تحتاج اليه من المعادن. على ان هذا التغيُّر لم يتضح لرجال الدول الا سنة ١٩١٤ حين ادركوا ان ارتقاء الصناعة في ابان السلم قد غير ما تحتاج اليه الامم في زمن الحرب . حتى قواد الجيش الالماني المشهورين بدقتهم وضبطهم في اعمالهم لم يدركوا الحالة قبل وقوعها

خذ مثلاً على ذلك مناجم الولفرام (تبر التنغستن) في جنوب برما. فقد كانت تديرها شركات انكليزية ولكن المانيا كانت تشتري الجانب الاكبر مما يستخرج منها لتستعمله في صنع التنغستن وهو عنصر معدني لا مندوحة عنهُ لصنع صلب التنغستن — امتن انواع الصلب المعروفة . ومع ان شفيلد كانت لا تزال الى ذلك الحين متفوقة في صنع هذا النوع من الصلب كانت معاملها تستورد التنغستن من المانيا والالمان كانوا يستوردون تبره من

شركات انكليزية ببرما . فلما نشبت الحرب الكبرى عجزت معامل الانكليز عن صنع صلب التنغستن قبل سنة ١٩١٥ حين تمكن علماؤهم من استنباط طريقة لصنعهِ من تبرهِ المستورد من برما . اما الالمان فحاروا في امرهم فاستعملوا كل ما لديهم من التنغستن وتبرهِ مما استوردوهُ قبيل الحرب وخزنوهُ ولما عجزوا عن الفوز في الحرب في شهورها الاولى عمدوا الى المولبدنوم النروجي يستعملونهُ بدلاً من التنغستن فقطع الانكليز عليهم هذا المورد وابتاعوا كل ما يستخرج في نروج من المولبدنوم

ثم رأت المانيا انها تحتاج في صنع ادوات الحرب الى مقدار من النيكل يفوق ما يستخرَج في المانيا والنمسا عشرة اضعاف فاخذت تستوردهُ من البلدان السكندناوية وهذه كانت تستوردهُ من غيرها واكثرهُ كان من مناجم كندا وهي اغنى مناجم العالم نكلاً . وهكذا ادرك الانكليز في نهاية الامر ان اهمالهم الصناعات المعدنية حملتهم على مواجهة اسلحة وقنابل فتاكة مصنوعة من معادن تستخرج من مناجمهم

كانت حدود البلدان في العصور الغابرة تعيَّن وفق مقتضيات الزراعة ولكنها لم ترتبط ارتباطاً ما بتوزيع الثروة المعدنية فيها . وهذه الثروة المعدنية اصبحت في هذا العصر لا مندوحة عنها لنجاح الصناعات في اثناء السلم ولتجهيز الامم بادوات الحرب في اثناء الحرب. ولهذه المسألة العلمية الصناعية علاقة وثيقة بالعهود الدولية التي قطعت حديثاً في اوربا واميركا لحفظ السلم . ان هذه العهود لن تنجح في تحقيق الغاية المنشودة الاَّ اذا نظر رجال السياسة الى توزيع المعادن كاداة من الادوات الفعَّالة في ضبط المعاملات الدولية في المستقبل . لانهُ اذا كانت المعادن ضرورية لحضارتنا الصناعية الجديدة فهي جديرة بان تخوض الشعوب الحربَ لاجل الاستئثار بها . واذا كانت باعثاً من بواعث الحرب فالسيطرة عليها يجب ان تجعَل اداة من ادوات السلم. وربط توزيع المعادن بشؤون السياسة العامة لا يحملنا على اقحام مسائل جدلية في الموضوع . فكلنا نتفق على امرين الاول رغبتنا في توطيد السلام العام . وثانياً وضع بيان علمي عام للمعادن المطمورة في مختلف البلدان ثم ينقح هذا البيان من حين الى آخر كلما تغيَّر نوع المعادنِ المسيطرة على الصناعة

ثم استطرد الخطيب الى الكلام على توزيع المعادن مدللاً على انهُ اذا اجتمعت الولايات المتحدة الاميركية والامبراطورية البريطانية امكنهما ان تستخرجا كلَّ ما تحتاجان اليهِ من المعادن وثلثي ما يستهلك كل سنة في كل انحاء العالم وبعض ما تحتاج اليهِ الامم الاخرى ولا تجدهُ في غيرهما . ولذلك اقترح ان تتفق الامتان على منع المعادن عن كل امة تخلُّ بميثاق كلوج الذي تعهدت فيهِ الدول الموقعة عليهِ بتحريم الحرب



نظرة في مصرع كليوباتره

بحث انتقادي في الرواية الشعرية التي اخرجها حديثاً احمد شوقي بك

للاستاذ انيس المقدسي

استاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

لما تلقينا نسخة من مصرع كليوباتره بعثنا بها الى صديقنا الاستاذ المقدسي وعهدنا اليه في كتابة فصل انتقادي في تحليلها فلبى طلب المقتطف بهذا المقال النفيس. ولا يفوتنا ان نذكر في هذا المقام ما للمرحوم نجيب الحداد وخليل بك مطران والدكتور احمد زكي ابو شادي من الفضل والاثر في الرواية الشعرية العربية . ولعلنا نعود الى هذا البحث في حين آخر

ميزات الشعر العربي

مهما بلغ العرب في ميدان القريض ومهما بلغ بنا الحب لما خلفوه من آثارهم الشعرية الخالدة فانهُ لا مندوحة عن الاعتراف ان السلف الصالح لم يتفننوا في الشعر تفننهم في سائر العلوم . تلك قضية لا اتطرَّف الى القول انها حقيقة لا تقبل النزاع والجدل ولكن النظر في تاريخ الشعر نظراً مجرداً عن الهوى يميل بنا الى اثباتها . فقد كانت نزعات العرب الشعرية ولا تزال مندفعة في مجرى واحد لم تتحول كثيراً الى سواه. هو الشعر الوجداني (subjective) او الغنائي (lyric) الذي يدور حول نفس الشاعر كما تدور الارض على محورها وينحصر في تأثراته الخاصة كأَنما الطبيعة انما خلقت لافراحهِ او اتراحهِ وكأَنَّ الحياة كلها ما يختص بذاتهِ او ذويهِ . فاذا رأى مشهداً فتاناً من مشاهد الطبيعة هاجت عواطفه فشكى او بكى او وصف ما يراه وصف المذكر المتذكّر . واذا ما خاض غمار الحياة اثار ذلك فيهِ غضباً على عدوٍّ يناوئه او فخراً بقبيل ينتسب اليهِ او مدحاً لعظيم ينيله

***

لا جرم يحق للعرب ان يفاخروا بشعرهم الوجداني فقد بلغ عندهم في كل فنونه اسمى الدرجات وما تاريخ الشعر العربي لدى التحقيق الاَّ وصف لهذا النوع من القريض في اختلاف احواله وبيئاته . نعم لا يخلو تاريخ ادبنا من بعض الشعر الموضوعي او الكوني (Objective) وهو الشعر الذي يمثل احوال الحياة والعمران كما هي ولكنهُ قليل جداً.

وأكثره اذا حللناه يعود الى النوع الاول الذي تبرز فيه شخصية الشاعر وتغشى كل شيء سوى مشاعره ونزعاته . وقد عني الغربيون قديماً وحديثاً بالشعر الموضوعي وافتنوا في ضروبه المختلفة من ملاحم فروسية ووقائع قصصية وروايات تمثيلية وقلما اكترث له الساميون. ولا ادري لذلك سبباً الا ان يقال ان تلك طبيعة الامم فقد امتاز الساميون عموماً بالاناشيد الشجية الناشئة عن انفعالات النفس لدى حادث مؤثر فجاءت حكمتهم كما قال الشهرستاني عن العرب «فلتات الطبع وخطرات الفكر» . هم يلمحون الاشياء واحداً واحداً ويتأثرون بما يشاهدونهُ تأثراً شديداً فيعبرون عن تأثرهم بشعر بليغ ولكنهم لا يهتمون بان يقارنوا الامور بسواها او ينظروا الى الحياة والكون نظراً شاملاً . وعلى عكس ذلك الآريون فانهم لا يلمحون الا جزءاً فقط ولكنهم يرون العلائق والروابط التي تجعل الحياة او الطبيعة «كلاً» متناسباً . نجد ذلك في موسيقانا التي تضرب على وتر واحد لا تتعداه وفي موسيقاهم التي تميل الى تآلف الالحان وتناسق النغمات . ونجده في دواوين شعرائهم الحافلة بالروايات والملاحم يصفون بها عواطف البشر ومنازع الحياة الاجتماعية

قد نجاري الغربيين او نفوقهم في شرح تأثرنا من حادثة او مشهد ولكننا دونهم في محاولتنا ان نفكر ونتروى فيما حولنا من روائع الكائنات وسنن الحياة والاجتماع . ذلك التأمل الهادىء الذي يمكن الانسان من فهم عواطف الآخرين والنطق بلسانهم وتفهم عبر التاريخ والطبيعة والعمران ليس له اثر كبير في تاريخ الشعر العربي . وليس في انتقادات المعرّي وحكم المتنبي وتأملات الفارض ما يناقض قولنا هذا

على انهُ من الخطل ان يقال ان هذا النقص في الشعر العربي قضاء سرمدي لا مهرب منه وان العرب انما وجدوا ليبقوا على ما وجدوا عليه . ذلك مخالف لسنة الارتقاء . فقد تنبه شعراؤهم المتأخرون الى هذا الامر وقاموا في الاونة الاخيرة بحركة جديدة ترمي الى تجديد الشعر ودفعه في مجارٍ جديدة . فهم يحاولون ان يفكروا ويتأملوا ويخرجوا عن منطقة الذات المحدودة الى رحاب الحياة الواسعة

***

وقد كنت منذ صباي من الذي أعجبوا بشاعرية شوقي ورأوا فيها اناقة ممتازة . على اني كنت ولا ازال من الذين يرمون الى توسيع نطاق الشعر العربي وقد بسطت ما اختبرته من ذلك في رسالة مسهبة نشرها المقتطف لما أُحتفل بيوبيل شوقي وموضوعها «الشعر ومراميه العالية» . ولشد ما كان اغتباطي عند ما تناولت مؤخراً «مصرع كليوباترة» ووجدت ان شاعرية شوقي الممتازة قد تحولت عن مجرى الشعر الوجداني المألوف الى رواية تمثيلية هي تحفة

فنية في معانيها ومبانيها. ولا ابالغ اذا قلت انها تكاد تقابل بأجمل ما قرأت للغربيين في هذا النوع ففيها النكات المستملحة والاوصاف الشائقة والحكم البليغة مع خلو من السفسفة والركاكة

مدار الرواية

تدور هذه الرواية على مصرع الملكة الفتانة كليوباترة وعلى مصرع محبها القائد الروماني الكبير مرقس انطونيوس . والناظر في الرواية يراها تضرب على وتر واحد لكنه خلاب هو تمجيد كليوباتره وبالتالي تمجيد عرش مصر . ولعله اذا انعم النظر وقرأ ماوراء السطور رأى في حوادث الرواية وأشخاصها ما يكاد يكون مماثلاً لحالة مصر اليوم ومن يدري ما في اعماق نفس الشاعر من نزعات سياسية او وطنية — استميحه العذر على هذا الظن — بل قد يكون في جو مصر اليوم ما اوحى الى الشاعر دون ان يدري فكرة كليوباترة اليونانية المتمصرة « والسلطة » الرومانية الطاغية والكاهن المصري المتعصب لوطنه وحزبه و« حابي » الوطني الناقم وغيرهم من اشخاص الرواية . وهل نفس الشاعر القومي الا لوحة حسَّاسة ترتسم عليها العواطف والاميال القومية . وهنا تتجلى روح شوقي — انظر الى شعره منذ قرض الشعر الى الآن واترك بعض ما لا يروقك من مدحه وتزلفه أفلا ترى فيه تلك النزعة القومية التي تتقد من آن الى آخر في بعض قصائده الطنَّانة اتقاداً تهتز له جوارح الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً وتصبح على الالسن كما قال المتنبي في نفسه « اذا قلت شعراً اصبح الدهر منشدا »

وفي هذا اليوم وقلوب المصريين متجهة الى توطيد استقلال بلادهم والى تعظيم قوميتهم ورفع شأنها نرى شوقي يقوم فيذكرهم بما كان لهم ايام ملكتهم الشهيرة من عظمة ومجد ويريهم كيف ضاعت بعدئذ آمال العرش والامة . وقد سلك الشاعر في ذلك مسلكاً لم يُتح للمؤرخ . فان التاريخ ينسب كليوباتره الى اليونان ويرجع مجدها (ان كان لها من مجد) الى البطالسة خلفاء الاسكندر . اما شاعرنا فقد تخطى ذلك بحذق وسكينة الى منطقة العلوم النفسية ليرينا كيف تتطبع النفوس وتصطبغ المشاعر. حوَّل جنسية الملكة تحويل الفنان الماهر وقلب طباعها فجعل لها عصبية مصرية تغار عليها وتتفانى في سبيلها. وكأني بشوقي هنا يلمح العرش المصري الحالي ويقابله مقابلة خفية بعرش كليوباتره. كلاهما من اصل غير مصري وكلاهما اصبحا مصريين صميمين. هوذا العصبية القديمة تموت في الوطن الجديد ! فكر شعري جميل لا ادري اذا كان شاعرنا قصد اليه . ولكن هل اولى من شوقي ان يجسمه بساحر الالفاظ والعبارات . أوَ ليس الشاعر الحقيقي هو الذي يوحي الينا شعره مختلف الآمال والاماني ؟

اما موقفه لدى شخصية الملكة فجريء جدًّا . يحابه الحقيقة المعروفة لاجل غرضه . فيحاول ان يبرِّئها من كل تهمة وصمها التاريخ بها . الا ترى كيف يصفها وصفاً يحملك على الاعتقاد ان المؤرخين تحاملوا على تلك الحسناء التاعسة الحظ ؟ تلك مقدرة الشاعر . بسحر الفاظه يغيِّر اعتقادك ويكسب رضاك . فكأن شوقي هنا ابو نواس في خمرياته يحبّب اليك الخمر وانت تكرهها وتمجها او عمر بن ابي ربيعة في بعض مباذله يثير شعورك وشفقتك وانت تكره عمله وتنفر منهُ

استغفر الله ليس شوقي هذا ولا ذاك . بل هو ابعد نظراً واسدُّ رأياً . هو يبني نظريتهُ في الملكة على اجتهاد عقلي قد لا يكون بعيداً عن الحقيقة . ولكنَّ في النظرية وهناً وشيئاً من التناقض . فهي عنده وفيَّة للغرام اذا لم تعترضها المطامع السياسية . وهي طاهرة نقية النفس ولكنها تبذل جمالها لاجل المجد . وهي بعيدة النظر في الامور ولكنها في احرج المواقف تقول اليوم خمر وغداً امر . وهي حازمة ولكنها تتصرَّف امام قادة الرومان تصرُّفاً يدلُّ على طيش وغرور . ان شوقي « الشاعر » يتطوع لنصرة كليوباترا مستقلاً كما يقول عن كل « نفوذ اجنبي » او تأثير تاريخي . فهو يرى « ان البحث العلمي يكشف بين الحين والحين في هذا التاريخ المتَّهم عن حلقات ضائعة او اوهام انزلت فيه منزلة الحقائق فلا بدَّ من انصاف هذه المصرية المضطهدة والا تحرم على الاقلّ من سمو الغاية ونبالة القصد »

ولا يعنينا نحن هنا ان نحقق او نجرِّح ما ذكرهُ التاريخ عن كليوباترا فذلك ليس لنا ولكن لنا ان نقول ان الشاعر سلك في التاريخ مسلكاً دقيقاً وخطراً فهو يتّهم التاريخ ويتمسك بالاجتهاد العقلي اتكالاً على ان البحث الحديث يكشف عن حقائق ضائعة وان الذين كتبوا تاريخ تلك الملكة هم اعداؤها . ونحن اذا اعتبرنا الغرض من الرواية رأينا ان الشاعر وفِّق كلَّ التوفيق في الدفاع عن مليكته . والى القارى بعض اوصافه فيها—

سعة الصدر : قالت تعاتب حابي احد « الموظفين » في مكتبتها وكان من الناقين عليها

وترسل في العرش هجر الكلام وتخفي الحفيظة لي والقلى
ولكن لنفسَ الذي قد مضى فتلك تاب ومثلي عفا
دع الذود عن مصر لي انني انا السيف والآخرون العصا

الاباء والانفة : قالت تخاطب انوبيس الكاهن وقد خشيت ان يأسرها الرومان

ابي لا العزلَ خفتُ ولا المنايا ولكن ان يسيروا بي سبيًّا
ايوطأ بالمناسم عرش مصرٍ وتمت شعرة في مفرقيَّا

الطموح : من كلام الكاهن وقد وقف لدى جثتها

ان تصبحي جسداً فنفسك حرة   وعلاك سالمةٌ وعرضك ناجي
سيقول بعدك كل جيل منصفٍ   ذهبت ولكن في سبيل التاجِ

ولعلّ ابلغ دفاع عنها ما وضعهُ الشاعر على لسانها قبيل انتحارها صفحة ٩٤

اما سائر اشخاص الرواية فليسوا مما ينازع فيهم وقد كفانا ذيل الرواية النثري عناء نقدهم . بقي علينا كلمة في شعر الرواية وسبكها مع امثلة من اطايب الكلام فيها

شعر الرواية وشاعريتها

الحق اني لم ار في شعر شوقي ما هو ادلُّ على قوة شاعريته من هذه الرواية. قد تخالفني في ذلك وتشير الى بعض قصائده الرائعة المشهورة التي اصبحت ملء الافواه والآذان . فاقول ان تلك القصائد على بلاغتها هبّات نفسية تثيرها حادثة وقتية شديدة التأثير فلا غرابة اذا بلغت اوج البلاغة الشعرية . اما اناشيد هذه الرواية فشعرٌ هادىء مفكر مقرون ببلاغة وجمال . هي معرض لتحف شعرية نادرة . فيها المدح والفخر والعتاب والهجاء والحكم والسياسة والحب والخمر والظرف . وهذه التحف في غاية ما يكون من حسن التناسق والتآلف فليست هي خاطراً ناشئاً عن مؤثر خاص كحج الخديوي مثلاً او كنوز توت عنخ امون او سقوط عبد الحميد او موت بطرس غالي او زيارة الشام . في مثل هذه الخواطر قد يجد الشاعر الكبير من يجاريهِ من اقرانهِ او يتأثر تأثرهُ ولكن الشاعر يمتاز اذا استطاعَ ان يبدع وهو في جو هادىء يتأمل وينظر . يمتاز اذا استطاع ان يخرج عن نفسهِ قليلاً الى الكون فيريك جماله ومعانيه والى الحياة فيوقفك على منازعها واحوالها . وذلك ما فعلهُ شوقي في هذه الرواية . ينطق الملك والكاهن والخادم والعاشق والقائد والماجن وسواهم نطقاً ترتاح اليهِ النفس ويحدثك عن علاقات الناس وخوالج نفوسهم حديثاً صحيحاً يهزّ الجوارح . وقد كنت اجد احياناً في بعض منظومات شوقي ما يحدوني الى الشك في تفوقهِ او في سمو خياله وكنت اجدني على غير انتباه بين من ينعى عليهِ القوة على التجدد والتطور حتى قرأت روايتهُ هذه فقلت شوقي شاعر يحق لنا ان نفتخر به . واليك بعض الامثلة من شعره في « مصرع كليوباترا »

١ — انطونيو قبيل انتحاره يخاطب روما وقد هزمتهُ جيوش اوكتافيوس وجاءه الخبر ان كليوباترا قد انتحرت . وهو موقف دقيق يحاول فيهِ الشاعر ان يجمع في هذا القائد الروماني العظيم الوفاء للوطن والوفاء للحب فيغلب غرامهُ حبّهُ لوطنهِ ويعتذر عن

ذلك اعتذاراً رقيقاً يثير في نفس القارىء الشفقة عليه . قال من قصيدة صفحة ٥٦

روما حنانك واغفري لفتاكِ اوَّاهُ منكِ وآهِ ما اقساكِ
روما سلامٌ من طريدٍ شاردٍ في الارض وطَّن نفسه لهلاكِ
اليوم يلقى الموت لم يهتف بهِ ناعٍ ولا ضجت عليهِ بواكي
ان الذي اعطاكِ سلطان الثرى لم تنعمي لرفاتهِ بثراكِ
يا رب تاج في جبينك زاهرٍ عطّلتْ منهُ مفارق الاملاك
الامهات قلوبهنَّ رقيقةٌ ما بال قلبك لم يلن لفتاك
ان كان موتي كل ما تبغينهُ فهناكِ . هأنذا اموت هناكِ
يا امُّ عذرك في اتهام بنوّتي بادٍ وعذري في العقوق كذاكِ
لولا الجمالُ وفتنةٌ من سحرهِ ماحل في قلبي هوًى لسواكِ
صفحاً كلوباترا فربّت زلّةٍ قد كنت تغتفرين حين اراكِ
لمّا لقيتكِ في الجمال وعزّه قهرتْ قواي الظافراتِ قُواكِ
فنسيتُ في ناديك ذكر وقائعي وسلوت ايامي يوم لقاكِ الخ

ومن المواقف الرائعة في الرواية حديث الملكة وانوبيس الكاهن وهو يصف لها سمَّ الافاعي ويحاول ان يستهويها لتقدم على الانتحار حفظاً لشرف العرش المصري . ولا احاول ان انقل هنا ما دار من الحديث الرقيق بينهما ولكني احيل القارىء الى صفحة ٦٩ الى ٧٠ من الكتاب فقراءتهُ هناك اولى واحفظ لجماله . ويشجيني جدًّا خطاب الملكة للزنبقة صفحة ٨٩ . وكانت الملكة بحسب الرواية اسيرة في قصرها وقد اقام اوكتافيوس عليها الحرّاس والرقباء فالتفتت الى زنبقة عندها في اصيص وقالت تقابل حالها بحالها

زنبقة في الآنيهْ ضحية الانانيهْ
جنتْ عليكِ غربةَ الاسرِ الأكفُّ الجانيهْ
وبدّلتْ من سعةِ الرّبوة ضيق الباطيهْ
يسقونها من جرّةٍ بعد العيون الجاريهْ
يا جارتا شأنك لا يشبهُ الاّ شانيهْ
لم يبق من ملكي العريض غير دارٍ خاويهْ
وكلّنا ذابلةٌ عمّا قليلٍ ذاويهْ
زال النعيمُ وفرغنا من حياةٍ فانيهْ

ولعلّ ابدع مواقف الرواية الشعرية خطاب الملكة الى ايزيس صفحة ٩٩ وقد

صممت على الانتحار فركعت امام تمثال الالاهة واخذت تحدثها بحديث حياتها وتقابل نفسها بالدنيا ثم تعطف على الموت وتطلب منهُ ان ينقلها برفق الى حيث حبيبها انطونيو

اليوم أقصر باطلي وضلالي   وخلتْ كاحلام الكرى آمالي
وصحوتُ من لعب الحياة ولهوها   فوجدتُ للدنيا خمارَ زوالِ
وتلفتت عيني فلا بعواكبي   بَصُرتْ ولا بكتائبي ورجالي
ايزيس يُنبوع الحنان تعطفي   وتلفتي لضراعتي وسؤالي
اني وقفتُ على رحابك فارحمي   ذلَّ الملوك لمجدك المتعالي
هل تأذنين بأن اعجّل نقلتي   واحثَّ عن دار الشقاء رحالي
وعُلاكِ ما ادع الحياة جبانة   او ضيق ذرع او قطيعة قالِ
اني انتفعت بعبقريّ جمالها   وتمتعتْ من عبقريّ جمالي
وجمعت بين شعورها وعواطفي   وقرنت رحب خيالها بخيالي
ووجدتها قد خلدت ابطالها   فبسطتُ سلطاني على الابطالِ
بنتُ الحياة انا وتشهد سيرتي   ما كنت من امّي سوى تمثالِ
منها تناولتُ الرياء ورائة   واخذتُ كلَّ خديعةٍ ومحالِ
وقسوتُ قسوتها ولنت كلينها   واقتستُ في صدي لها ووصالي
ولربما رشدتْ فسرتُ برشدها   وغوتْ فاغوتني وضلَّ ضلالي
ووجدتها حبًّا يفيض ولذّةً   فجملتُ لذّات الهوى اشغالي
يومي بايام لكثرة ما مشت   فيهِ الحياة وليلتي بليالي
يا موتُ هل حرجٌ على مستنجدٍ   بك ان يسابق واقع الآجالِ
يومي اعجّلهُ ولو لم انتحرْ   للقيتُ يوماً ما لهُ من تالِ
يا موت انت احبُّ اسراً فاسبني   لا تعط روما والشيوخ عقالي
يا موت لا تطفيء بشاشة هيكلي   واحفظ جواهر لمحتي وجلالي
يا موت طف بالروح واسرقها كما   سرق الكرى عين الخليّ السالي
حتى اموت كما حييتُ كانني   بيت الخيال ودمية التمثالِ
وكأن اغماض الجفون تناعس   وكأنَّ رقدتي اضطجاع دلالِ
سرْ بي الى انطونيو في نضرتي   ورواء جلبابي وزينة حالي

ثم تقوم الى احدى السلال فتكشف عن افعى وتحدثها ذاكرة حالها وما صارت اليه من هوان الاسر وفي هذا الحديث ما فيهِ من جمال وسحر . انقل هنا للقارىء بعض ابياتهِ — قالت :

هلمَّ الآن منقذني هلمَّ واهلاً بالخلاص وقد سعى لي
على نابيك من زرق المنايا شفاء النفس من سودِ الليالي
وبعض السمّ ترياق لبعضٍ وقد يشفي العضال من العضالِ
هلمّ عانقي افعى قصورٍ بها شوق الى افعى التلالِ
سَطَتْ روما على ملكي ولصّتْ جواهرَ اسرتي وحليَّ آلي
فرمت الموت لم اجبن ولكنْ لعلّ جلالهُ يحمي جلالي
أأدخل في ثياب الذلِ روما وأعرضُ كالسبيَّ على الرجالِ
يراني في الحبائل مترفوها وقدكان القياصر في حبالي
اذن غير الملوك ابي وجدي وغير طرازهم عمي وخالي
أموتُ كما حييتُ لعرش مصرٍ وابذلُ دونهُ عرش الجمالِ
حياةُ الذلِ تدفع بالمنايا تعالي حية الوادي تعالي

هذه امثلة قليلة من اطايب هذه الرواية ولو اردت الاسهاب لارجعت القارىء الى حديث انوبيس الى الافاعي صفحة ٦١ والى الوصف ص ١٥ والى خطاب انطونيو لأوروس ص ٥٨ والى حديث انوبيس وحابي ص ٢٣ والى الحكم التي رصّع بها الشاعر اناشيد الرواية: كقوله

الرأي ليس نافعاً اذا اوانهُ مضى

يقيد القلب وراء مرصده فيحرس الدارَ على مقيده

الا يا رب خدّاعٍ من الناس تلاقيهِ
يعيب السمَّ في الافعى وكلُّ السم في فيهِ

هداك الله من شعب بريء يصرفهُ المضلّل كيف شاء

ارى راكب الشك ملء المجال طويل العنان بعيد المدى
ولو شككت في السرج الفراش لكان سلاماً عليها السّنا

وتحسب في الكتب علم الحياة وما منهُ في الكتب الاّ شدا

لسان ابن آدم او نابكن كلا السائلين لعابُ القدره

وان التماوت فعل الثعا لب ليس التماوت فعل السباع
وما جنة الليث الاّ لقيّ اذا الناب طاحت او الظفر ضاع

انيس الخوري المقدسي



هل طعام اليابانيين سبب قصرهم ؟

هل نحتاج الى طعام دولي

لتعميم الصفات الجسدية والعقلية المرغوب فيها ؟

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

تقدم العلماء تقدماً كبيراً في مباحث الغذاء واثره في الصحة والنمو . وقام حديثاً فريق منهم يربط هذه المباحث بنشوء الانسان وتاريخ ارتقائه وتفرقه شعوباً واجناساً فقال اذا كان لنوع الطعام هذا الاثر العظيم في نمو الجسم وصحته أفلا يجوز ان يكون الصينيون واليابانيون والكوريون وغيرهم من شعوب الشرق الاقصى قصار القامة لان اكثر طعامهم من الارز ؟ اولا يجوز ان يكون بعض سكان افريقيا واوربا طوال القامة ضخام الجثث ازاء الصينيين لأنهم وقعوا على طعام من شأنه ان يزيد نموَّ الجسم وقوته ؟ اولا يجوز ان يكون الانسان نفسهُ قد بلغ ما بلغهُ الآن من حيث شكلهُ وقامتهُ لانهُ اصاب في فجر نشوئه طعاماً معيَّناً ؟ وانهُ لو اصاب طعاماً مختلفاً وزاول تناولهُ لكان نشأ وشكل جسمه من حيث الطول والقصر والضخامة والنحافة غير ما هو الآن ؟ هذه مسائل خطيرة لها اثرها في حلّ المشكلات الاجتماعية والدولية علاوة على ما فيها من الفكاهة ولذة البحث العلمي . وقد بسطها الدكتور شهبندر في المقال التالي بسطاً وافياً

قال (هنري بكل) وهو من علماء القرن الماضي البارزين في الاستقراء والتتبع «ان تاريخ اعلى الامم كعباً في الحضارة يمكن تعليله بالعناصر الكيماوية التي يتألف منها طعامها» وسبق المشارقة هذا الباحث الغربي بما عرفوه من تأثير الاطعمة الخفيفة في صفاء النفس وما تحدثه التخمة من البلادة والاضطراب . وعرفنا عدداً من المتصوفة يقضون فصلاً من فصول السنة على التمر واللبن «للرياضة» «والحب والاستزادة من الحيرة» وفهم «التجليات» وادراك « وحدة الوجود »

وقال (المجمل في علم الاجتماع) « ان كثيراً من الناس اصيبوا بالفاقة بسبب الاطعمة

الناقصة التي تغذوا بها وان كثيرين غيرهم ينسبون فشلهم في مضمار الحياة الى ما يعانون من سوء الهضم او غير ذلك من الامراض الناشئة عن فقد الغذاء الصحيح»

ويتجنب الصائم في رمضان من وقت العصر الى وقت الغروب الموضوعات المرتبكة والمصالح المعقدة خشية ما يحدثهُ الجوع في نفسهِ من الحدة . وتتبع استاذنا المرحوم الشيخ طاهر الجزائري التطورات الاجتماعية في دمشق فوجدها اشد ما يكون في شهر الصيام . وقد يكون للمجالس التي تعقد فيها ليلاً وللسهرات الطويلة التي تدوم حتى السحور شأن ايضاً في احداث هذه التطورات علاوة على ما لنوع الطعام في رمضان واختلاف اوقاته من التأثير الواضح . وهكذا فالامثلة على تأثير الاكل في العقل لا تكاد تحصى. وقد لاحظها المتقدمون كما عرفها المتأخرون ولكن هناك باباً جديداً في علم الحياة — البيولوجيا — لم يفتح لاحد سوى لاهل الاخصاء من ارباب الطريقة العلمية التجريبية في العصر الحاضر. وهذا الباب هو التأثير الخاص لبعض الاغذية في تكوين بعض الانسجة الجسدية وظهور بعض العاهات لفقد بعض العناصر

***

زرت مدينة (بوسطن) في الولايات المتحدة سنة ١٩٢٤ فأتيح لي ان اجتمع فيها بأستاذ من الاساتذة المعروفين لدى طائفة كبيرة من خريجي جامعة بيروت الاميركية وهو الاستاذ الفرد باتش الكيماوي فدعاني الى زيارة مخبره ومما رأيت فيهِ واستوقف نظري كثيراً بعض تجارب حيوية كان يجربها في الجرذان لاثبات بعض الخصائص التي في زيت كبد الحوت (زيت السمك)

والجرذان تفضَّل على غيرها في مثل هذه التجارب لاسباب متعددة منها رخصها وسهولة الحصول عليها وقلة نفقاتها وأهم من ذلك كله ان الجرذان تعيش على الطعام المشترك مثل الانسان يعني انها تأكل الخضراوات واللحم وهي وان كان معدل اعمارها ثلاث سنوات الا أن طريقة تحويل الاطعمة في اجسادها الى انسجة او حرارة تشابهُ في كثير من الوجوه هذه الطريقة في الانسان

قسم الاستاذ باتش جرذانه الى اقسام وضعها في اقفاص خاصَّة وعين لها جراية يومية متماثلة في تركيبها خالية من مادة جوهرية تعرف بآثارها اسمها « ڤيتامين د » كان تكون هذه الجراية مؤلفة من لبن مغلى الى درجة التعقيم مع الخبز الابيض الناصع وزيت الكتان فكانت علائم الكساح تظهر عليها جميعاً بعد فترة من الزمن فاذا استمرَّ على هذه الجراية الناقصة كانت هذه الجرذان تموت اما اذا اضاف الى بعضها زيت السمك فان اعراض

الكساح كانت تزول رويداً رويداً من آكلها بحسب مقدار الزيت ومدة استعماله . وقد رأينا الفروق عظيمة بين الجرذان التي بقيت على الجراية الاصلية وبين الجرذان التي اضيف الى جرايتها زيت السمك فكان جمود العين وأحديداب الظهر ونتوء الصدر وتقوس الأطراف في الاولى من العلامات القاطعة على فعل زيت السمك في ازالتها من الثانية . وقد دعا الاطباء المادة الفعّالة الموجودة في زيت السمك « فيتامين د » وعرفوها من بعض خصائصها الطبيعية وعرفوا ايضاً ان نور الشمس اوالاشعة التي وراء البنفسجي تفعل فعل هذا الفيتامين بل ان البقرة التي تعيش في الظلمة ولا تتعرض لنور الشمس لا يقوى لبنها مهما درّ على مقاومة الكساح

لم تعد قضية الفيتامين من المسائل النظرية في علم الحياة بل ان الطب اثبت انواعاً اخرى منها تحدث امراضاً خاصّة واستعان بها لشفاء هذه الامراض . مثال ذلك ماحدث في غضون الثورة السورية في جبل الدروز فقد رأيت عدداً من الاهلين المحليين اصيبوا في الشتاء بمرض الاسكربوط بفقد الفواكه والخضر فلما ظهر الربيع بحلته السندسية على السهول زال هذا المرض من نفسه لدى ظهور النبات النضر الحافل بهذا الفيتامين الحيوي عما كان يتناوله الناس في طعامهم

***

وفي الشرق الاقصى مرض يودي بحياة نحو مائة الف نسمة سنويًّا اسمه «البري بري» وهو ينشأ عن فيتامين آخر يوجد في غلاف الارز فاذا بيّض التجار ارزهم وأخلوه من هذا الغلاف ليكون لونه ناصعاً اصاب الذين يقتصرون على اكله من اهل تلك البلاد هذا المرض العضال . فسواد هذا الارز في ظاهره خير من البياض في باطنه

وشاهدت في غضون الحرب العظمى في مصر امراً خطيراً يسترعى الاسماع فان الوف من الالمانيين والعثمانيين كان مقرهم في ضاحية «المعادي» الى الغرب من القاهرة وكان طعام الاسرى الاوربيين مختلفاً عن طعام الاسرى الاسيويين بحجة ان الغربي غير الشرقي فكان طعام ذاك حاوياً العناصر الغذائية الكافية من خضروات ولحم ولبن وبيض وأما طعام هذا فكان ناقصاً ولا سيما في المواد الزلالية الحيوانية وقد زاد في الطين بلة ان الاسرى العرب اضربوا عن تناول اللحم الذي كان يوزع عليهم لما بلغهم عنهُ انهُ لحم الحمير فكانت خشونتهُ وجفافهِ مصداقاً لهذه الاشاعة . ثم ما عتمنا ان لحظنا مرضاً جديداً تفشى بينهم اسمهُ مرض (البلاغرا) اصاب نحو خمسين في المائة منهم . وهو مرض عضال لا يرجى برؤه متى تجاوز حلولهُ بالجسم فترة من الزمن معينة . ولم اجد لهذا المرض اثراً في

الجرمانيين لما كانوا يحصلون عليه من الغذاء الكافي. وهكذا سجل هؤلاء الاسرى العثمانيون في سجل العلم مرة اخرى ان الفروق الوهمية التي وضعتها السياسة بين الشرق والغرب لا يعترف بها علم الحياة بل يذهب العلم معنا الى ابعد من ذلك فيقول أن الشرقي الذي مرض جسمه في المعادي لنقص (الفيتامين) الذي حفظ صحة الجرماني يذبل مجتمعهُ اليوم لفقده السيادة القومية التي هي جوهر النشاط في بلاد الغرب . ومهما يكن نوع هذه المادّة التي سبب فقدها مرض البلاغرا في الاسرى العثمانيين فارجح كل الترجيح انها موجودة في المواد الزلالية وفي مقدمتها اللحوم الطرية ، وكان الرأي السائد ان الذرة هي سبب هذا البلاء

***

هذا بشأن « الفيتامين » وما لهُ من الاثر الفعال في حفظ ميزانية الجسم ومنع بعض الامراض الفاتكة . ولكن هناك تجارب اخرى احدث عهداً دلّت على ما للطعام من المكانة في تكوين البنية وتوليد الخصائص النوعية. ولا يدري احد ما سيكون من امرها في اجراء التعديلات في الاقوام . وقد قام الاستاذ (مكّولم) من مدرسة (جونس هوبكنس) الجامعة الطبية في الولايات المتحدة بتجارب في هذا الباب تعد من الطراز الاول فجمع ثمانية من الجرذان قسمها الى قسمين وضعهما في قفصين فاجرى على القسم الاول منهما جراية مؤلفة من الماء المقطر والخبز الاسمر وعلى الثاني هذه الجراية نفسها مع اضافة بضع اوراق من اللفت — الشلجم — او البنجر ، فكان حجم الجرذ في القسم الاول لا يتجاوز حجم الفار واما في الثاني فكان يبلغ ضعفيهِ وفيما عدا ذلك كان الجميع متشابهين وفي حالة طبيعية

ومن المعلوم ان اليابانيين قصيرو القامة وكان يعلل قصرهم بانهُ صفة قومية ملازمة ولكن علماء طوكيو ارتأوا ان يطبقوا التجارب التي جربت في المخابر على ابنائهم في المدارس ليروا هل في الامكان تعديل قاماتهم . فاضافوا بضعة اطعمة الى غذاء بعض التلاميذ المعتاد فكان من نتيجة هذه التجارب العديدة ان التلاميذ الذين عاشوا على الطعام الممزوج بطعام الاقوام الطويلي القامة كانوا اطول من رفقائهم واثقل منهم

ومما لفت انظار الزعيم (مكّريسون) في دائرة الصحة العسكرية في الهند ان متوسط طول السيخ والباتانيين اكثر من متوسط طول المدراسيين وغيرهم من سكان الهند وان كانوا جميعاً سواسية من حيث الفاقة والشقاء. وقد دلّ الاستقراء على ان طعام السيخ والباتانيين معادل في قلة مقدارهِ لغيرهِ من طعام الهنود الأ انهُ يختلف كثيراً من حيث العناصر التي يتألف منها فهو يحتوي على اللبن وما يخرج منهُ من قشدة وجبن وعلى الخضراوات مع شيء قليل من اللحم وهذا كلهُ مفقود في طعام الهنود تقريباً . ولكي يثبت (مكريسون) علاقة هذا

الطعام بطول القامة اجرى تجربةً على جماعة من الجرذان ايضاً فاطعم قسماً منها طعام السيخ والباتانيين واطعم القسم الآخر طعام المدراسيين فنما القسم الاول نمواً بليغاً وبقي القسم الثاني قزماً ثم توسع في تجربته فادخل فيها اطعمة اخرى تمثل انواع الامم فاطعم جماعة من الجرذان طعام العمال الانكليز الفقراء وجماعة اخرى طعام اليابانيين والفليبينيين والجاويين فكانت الجرذان التي عاشت على طعام السيخ والباتانيين عظيمة الحجم ناعمة الفراء لطيفة السلوك والتي عاشت على طعام العمال الانكليز الفقراء غليظة الحجم خشنة الملمس ميالة الى العراك. واما اليابانية والفليبينية والجاوية فكانت قصيرة القامة تبدو عليها خصائص هذه الاقوام اجمالاً

***

وغني عن البيان ان كلمة (قوم) هي عبارة عن صفات مادية تظهر في الجسم في البنية والتقاطيع والملامح واللون والشعر والاطراف والطول والعرض والجماجم، ومعنوية تظهر في العقل في التصور والخيال والادراك والذاكرة والاخلاق والعاطفة الدينية وفي غير ذلك مما يجوز ان يفسر بقاعدة حيوية عامة خلاصتها « الوراثة المتسلسلة في البيئة المتغيرة » ومعنى ذلك ان القوم هو النتيجة الحاصلة من تصادم الوراثة بالمحيط . فاذا كان للاطعمة من الشأن ما اثبتتهُ هذه التجارب في المخابر والمدارس وصحّ ان طول السيخ والباتانيين ودماثة اخلاقهم وخشونة الفقراء من العمال الانكليز واستعدادهم للعراك وقصر اليابانيين والفليبينيين والجاويين كل ذلك ينتقل بواسطة الطعام الخاص من حي الى حي آخر فلا يدل ذلك على ان الوراثة اضمحل شأنها وان القومية زالت من الوجود بل سيبقى ابن السمين اكثر استعداداً للسمن ولو امتنع عن اكل الادهان والزيوت وابن الاسرائيلي اسرائيليًا ولو جلس مع الاميركيين في الولايات المتحدة على مائدة واحدة واكل اللحم مطبوخاً بالزبدة

وغاية ما هنالك ان الاتفاق على طعام دولي او أممي فيهِ العناصر التي تولد بعض المميزات القومية الخاصة يعدل الفوارق بين الناس. وان (فيكتور هيزر) كان على حقٍّ لما قال ان مثل هذه التجارب « تجيز للباحث ان يستنتج ان للغذاء دخلاً في تكوين الاقوام والمحافظة على صحتها وان المعرفة المتعلقة بتأثير الطعام في الانسان كلما ازدادت ترجح ان الاقوام التي تنتهز فرصة الاستفادة من قيمة الاغذية الجديدة قبل غيرها تقلل من عقبات امراضها وتطيل معدل اعمارها وهكذا تكون الزعيمة في مستقبل الايام »





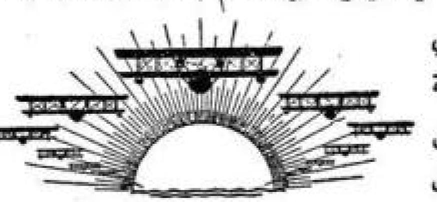
الطيران من الاسكندرية الى جنوى

صحافي يصف رحلته الجوية

للمستر سرلي مرتن
مكاتب التيمس اللندنية في القاهرة

جنوى في ٦ يوليو — لما عزمت على السفر الى انكلترا وقطع جانب من الطريق على متن طيارة طلب الي رئيس تحرير المقطم ان اوافيه بوصف رحلتي هذه ووصف الطيارة التي اطير بها، وهي من طيارات «شركة الطرق الجوية الامبراطورية» التي تنقل البريد بين انكلترا والهند. وقد شرع في تسييرها في اواخر مارس الماضي. فقبلت بسرور تأدية هذه المهمة وخصوصاً لان هذه الرحلة كانت رحلتي الجوية الاولى فقد يعلق بذهني فيها امور يستخف بها الذين الفوا الطيران وجربوه فلا يدونونها

وأول ما لاحظته ان الطيران من الاسكندرية الى جنوى عن طريق طبروق في برقة غاية في الراحة. فان الطيارة تقضي الليلة الاولى في برقة ثم تستأنف الطيران الى خليج سودا في جزيرة كريت فتقف قليلا فيه ليتناول الركاب طعام الغداء ثم تصل الى اثينا حيث تبيت الليلة الثانية. وفي اليوم الثالث يتناول المسافرون الغداء في جزيرة كورفو ويقضون الليلة في نابولي ويصلون الى جنوى بعد ظهر اليوم الرابع.



فينتقل الركاب المسافرون الى لندن وتنقل أكياس البريد الى القطار الليلي الذاهب الى بال ومنها تستأنف الرحلة بطيارة الى لندن عن طريق لوبورجه وكرويدن. وهكذا يصل المسافر الى لندن بعد اربعة ايام من سفره من الاسكندرية وبعد اسبوع من سفره من الهند

ويجدر بي اولا ان اصف كيف يسافر البريد الهندي الجوي. فهو يرسل على طيارة برية الى ابوقير ثم ينقل بسيارة الى مرفأ الاسكندرية فيوضع في المكان المعد له في الطيارة المائية المسافرة الى جنوى. ومتى تم انشاء المطير في الدخيلة (غرب المكس) يستغني عن نقل البريد بالسيارة لان المطير

يكون بريًّا مائيًّا اي يجمع بين ميدان تنزل فيه الطيارات البرية ومرفأ تحط عليه الطيارات البحرية فتنقل أكياس البريد من الطيارات البرية الى الطيارات البحرية مباشرة من غير ان يصيبها التأخير الذي يقع الآن في النقل بين ابو قير والترسانة

ومقدار ما يرسل من البريد الجوي الآن من الهند وسيلان والعراق والسودان ومصر واليها آخذ في الازدياد ازدياداً مطرداً . ولما كانت الاماكن التي ترسل اليها رسائل البريد الجوية متعددة فيلزم ان تراقب هذه الرسائل مراقبة دقيقة في الاماكن التي تنقل فيها من طيارة الى اخرى كالاسكندرية وجنوى وبال حتى لا يضيع شيء منها

واقبال الناس على استعمال هذا البريد الجوي لا بدَّ ان يحمل شركة الطرق الجوية الامبراطورية في القريب العاجل على جعله مرتين في الاسبوع بدلاً من مرة واحدة كما هو الآن

***

كان ميعاد قيامنا من الاسكندرية في الساعة الاولى والدقيقة الثلاثين من يوم الاربعاء ٣ يوليو . فلما وصلت الى رصيف الترسانة مع امتعتي في الساعة الاولى بعد الظهر ، وجدت ان قيام الطيارة في ميعادها متعذر بسبب تأخر بريد الهند والعراق لهبوب رياح المواسم. ولكي تكون الطيارة على اهبة القيام حال وصول البريد المذكور قمت بكل ما يجب القيام بهِ من المعاملات الرسمية فاشر مأمور الجوازات على جوازي وتأكد غيره ان لدي تأشيراً يأذن لي بالدخول الى خليج سودا بكريت واثينا وكرفو لان الحكومة اليونانية — على الضد من حكومة فرنسا وايطاليا وبلجيكا والمانيا — تصر على تقاضي مبلغ من المال من المسافرين الذين يمرون في بلادها مرَّ السحاب

وبعد ذلك وُزنت وامتعتي . فكل تذكرة تخول صاحبها مائة كيلوغرام من حمل الطيارة ويدخل في ذلك وزنهُ هو وكل ما يحمل معهُ . وكل ما يزيد على مائة كيلو غرام يدفع عنهُ اجرة خاصة . ولا بدَّ من ابين هنا ان هذه السفينة الطائرة مسموح لها ان تحمل عدا البنزين والسائق ومساعديهِ والادوات واجزاء الطيارة التي قد تلزم في اثناء الرحلة حملاً لا يزيد عن طنين . وهذا الحمل يشمل اكياس البريد والركاب وامتعتهم . ولذلك يجب ان يوزن كل ما يدخل في هذا الحمل وزناً دقيقاً حتى لا يزيد حمل الطيارة عن المقدار المعين

وملاحو هذه السفينة الطائرة ثلاثة : السائق والمهندس وعامل الآلة اللاسلكية — وكلا المهندس والعامل اللاسلكي مارسا سوق الطيارة لمساعدة السائق في الاحوال الاستثنائية اما العامل اللاسلكي فهو ربان السفينة والمشرف على كل شؤون البريد والمسافرين وامتعتهم وفي كل سفينة طائرة تجد قائمة تحتوي على أسماء المسافرين والاماكن التي يقصدون

اليها وغير ذلك من الاوراق الرسمية التي لا بدَّ منها في كل سفينة تمخر البحر وخصوصاً فيما يتعلق بحمل الطيارة وصحة ركابها والاوراق التي تخولها دخول المرفأ الذي يقصد اليهِ والمرمى الذي تستقر فيهِ. وبعد ما قمت بهذه المعاملات الرسمية قصدت الى النادي البحري الذي على مقربة من مرسى الطيارة لانتظر قدوم البريد الهندي العراقي . ومن شرفة هذا النادي كنت استطيع ان ارى الطيارة فاعلم متى تكون على اهبة للرحيل. ولما كانت الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين وصل البريد الهندي ومعهُ يابانيان من كوبي فقصدنا الى الطيارة وهي من ذوات السطحين . (واما الطيارات الايطالية التي تقطع المسافة بين الاسكندرية وجنوى فمن ذوات السطح الواحد) وجسمها يشبه قارباً فوقهُ سطحان احدهما فوق الآخر وهي مجهزة بثلاثة محركات قائمة بين السطحين ويستطيع السائق ان يديرها كما يدير اجزاء الذيل الذي يستعمَل كدفة ، من مقره في مقدمة الطيارة الاعلى . وانت اذا نظرت اليها مرفرفة فوق المرفأ الذي تنوي النزول فيهِ ظننت انها نوع من انواع السمك الطيار فيعجبك جمال شكلها وتناسق خطوطها . وعلى كل من جانبي الجسم طوف في شكل سمكة يمكنان الطيارة من الاحتفاظ باتزانها حين تنزل على سطح الماء او حين تحاول النهوض والطيران

وهي في الداخل رحبة تتسع لعشرة ركاب ومقاعدهم مرتبة في صفين الاول من اربعة مقاعد مفردة الواحد امام الآخر والثاني مؤلف من ثلاثة مقاعد مزدوجة وبينهما ممر يصل بين مقرّ السائق ومكان البريد والامتعة والمرحاض والبار الذي يحتوي على ماء يكفي المسافرين ثلاثة ايام وغيره من المشروبات الروحية وما اليها . ولما كانت الطيارة تعنى اولاً بنقل البريد فان الفراغ في داخلها معد لاكياسه الآن ومقاعد الركاب فيها قليلة

***

صعدنا الى الطيارة فجلست في المقعد الامامي المفرد حيث تسنى لي ان أمد ساقيَّ الطويلتين وكنت على مقربة من مقر السائق فكان يشير اليَّ من حين الى آخر بيديهِ ليفهمني اشياء عن الاماكن التي نمرُّ فوقها . ولم يكن الكلام مستطاعاً لان هدير المحركات يصم الآذان . وهو يتخاطب عادة مع مساعديهِ اما بالاشارات او بصفارة او بما يخطهُ على سابورة او ورق . وأكثر التخاطب مع الركاب يكون كتابة

وبعد ما استقر الجميع في اماكنهم استوى السائق في مقعده وحلَّت الحبال التي تربط الطيارة الى اعمدة مرساها وكانت الساعة الخامسة بعد الظهر تماماً فسارت الطيارة على سطح الماء نحو ثلاثة دقائق ثم أخذت ترتفع رويداً رويداً فاخذتني نشوة كنشوة الراح ولم تلبث ان بلغت ارتفاع الف قدم فنظرنا الى الاسكندرية فرأيناها مدينة صغيرة تحتنا وضؤلت في

نظرنا المراكب الضخمة التي في المينا وسراي رأس التين وفندق سان استفانو ومحطة سكة الحديد الجديدة حتى لم نعد نتبينها

وسارت الطيارة بسرعة مائة ميل وعشرة اميال في الساعة، لا ترتج ولا تهتز، فاختفت الاسكندرية عند الافق الشرقي وراءنا وبدت امامنا والى يسارنا الصحراء الغربية لاننا كنا نطير فوق البحر على مسافة ميل من الشاطىء. اذ لا يخفى ان الطيارة مائية فاذا اصيبت بعطل ما تمكنت من ان تنزل على سطح الماء سالمة واما اذا اضطرت ان تنزل على اليابسة فانها تحطم. وكان البحر تحتنا رهواً كانهُ بركة من الياقوت الازرق السائل. وفيما انا اتمتع بهذا المنظر البديع اخذ الكرى بمعاقد الاجفان فغفوت نحواً من ثلث ساعة ولما استيقظت وجدت رفاقي نائمين كذلك

***

وقفنا اولاً في مرسى مطروح لنبيت ليلتنا بها لان تأخرنا في القيام من الاسكندرية بسبب البريد الهندي منعنا عن مواصلة السير الى طبروق والوصول اليها قبل انسدال ستار الليل. والظاهر ان الاتفاق الذي عقد بين الحكومة الايطالية وشركة الطرق الجوية يخوّلا لطياراتها الحق في استعمال المرافىء الايطالية كجنوى واوستيا ونابولي واترنتو وبرندزي وغيرها ينص على وجوب جعل طبروق محطاً رسمياً من المحاط التي تقف بها الطيارات السائرة بين الاسكندرية وجنوى. وهذا النص يطيل مدة السفر نصف يوم لان الوصول الى طبروق يحيد بالطيارات عن التزام خط مستقيم من الاسكندرية الى خليج سودا بجزيرة كريت. ولكن اذا تأخر البريد الهندي كثيراً ولم تستطع الطيارات ان تقوم من الاسكندرية بعد ظهر الاربعاء كما هو مقرَّر وقامت منها صباح الخميس فحينئذ فقط يؤذن لها في ان تطير رأساً من الاسكندرية الى كريت

وصلنا الى مرسى مطروح في الساعة السابعة مساء أي بعد مسيرة ساعتين من الاسكندرية قطعنا في اثنائهما ٢٤٠ كيلومتراً. فحمنا فوقها مرتين ونزلنا في مرفئها الداخلي وهو في موقع ممتاز يجعله مرفأً طبيعياً جميلاً. وبعد ما سرنا قليلاً على سطح الماء وصلنا الى مرسى الطيارة فاقبل علينا قارب يقلُّ ضابطاً من ضباط البوليس برتبة قائمقام ليسألنا هل نحن في حاجة الى معونته فلما نزلنا الى البر استقبلنا الطبيب وأشَّر على اوراقنا الصحية. فبتنا ليلتنا في بيت يديرهُ رجل يدعى المستر هيلير كان قبلاً وكيل مفتش بوزارة الزراعة المصرية

واستأنفنا سفرنا الجوي في الساعة السابعة من صباح اليوم التالي فوصلنا الى طبروق في الساعة التاسعة والنصف صباحاً. وقد طرنا في جانب من هذه المرحلة فوق الغيوم فكنا

والغيوم تحتنا كانتا الملائكة في صور القديسين صاعدين الى السماء

استولى الايطاليون على طبروق قبيل الحرب الكبرى وهي ليست بلدة كبيرة ولكن بناء المباني الحديثة جار فيها على قدم وساق. وامامها خليج كبير عميق يحيط بهِ رأس مستطيل من اليابسة جاءت رؤيتهُ مصداقاً لما قيل عن التجاء الاسطول الفرنسي اليهِ حين فرَّ من الاسطول البريطاني سنة ١٧٩٨ . وبعد ما قضينا ساعة ونصف ساعة في طبروق استأنفنا طيراننا في الساعة الحادية عشرة صباحاً لنجتاز البحر الابيض من طبروق بشمال افريقيا الى خليج سودا بجزيرة كريت وكان اكثر طيراننا (او كله) على علو الف قدم وسرعة الطيارة تتفاوت بين ٩٠ ميلا في الساعة ومائة ميل

ومضت علينا ساعة ونصف ساعة لم نر فيها شيئاً سوى الازرقين السماء والماء — وكان البحر تحتنا رهواً والهواء عليلاً والسفر في هذه المرحلة كان على اتم ما يرام من الراحة والمتعة. وقبلما اقتربنا من جزيرة كافدو رأينا تحتنا باخرة فرنسوية كانت قد اقلعت من الاسكندرية قبيل خروجنا منها ورغماً عن تأخرنا في مرسى مطروح وطبروق ادركناها قبل تخطيها كريت وقد بانت لنا كحشرة صغيرة مع ان حمولها نحو ١٥ الف طن

وفي الساعة الاولى والدقيقة الثلاثين بعد الظهر اجتزنا جزيرة كافدو فرأينا جزيرة كريت تبدو وراءها. واخذت الطيارة تستعدُّ لاجتياز كريت فامتحن السائق المحركات اولا ثم اخذ يزيد ارتفاع الطيارة حتى بلغ اربعة آلاف قدم فوق سطح البحر ثم اطلق للمحركات العنان ليجتاز الجزيرة من جنوبها الى شمالها . وفيما نحن سائرون على ما يرام اذ الطيارة اهتزت هزة فجائية وهبطت ،كجلمود صخر ، نحو ٤٠٠ قدم فادارها السائق الرابط الجأش حتى أعاد لها اتزانها وسار بها محاذياً لطول الجزيرة بدلاً من ان يحاول اجتيازها فوق سلسلة جبالها. وسبب ذلك ان المحرك الاوسط توقف عن الدوران فجأة لثقب في انبوب البنزين فلم يبق في استطاعة الطيارة ان تسير فوق الجبال — وهي طيارة مائية — بقوة محركين فقط . فراعنا ما وقع وظلَّ الذعر مستولياً علينا حتى نزلنا في خليج سودا لان الطيارة ظلت تميد بنا في الفترة التي انقضت بين الحادثين وهي ساعة ونصف ساعة

فاستقبلنا في خليج سودا يخت بخاري تابع لشركة الطيران وكان قد تلقى رسالة لاسلكية من ربان الطيارة تطلع ربانهُ على ما وقع لنا ليكون على أهبة السفر لنجدتنا اذا اصبنا بمكروه . فتناولنا طعام الغداء فيهِ حيث لقينا السر ارثر افانس العالم الاثري المشهور بما كشف عنهُ في كنوسس من آثار الحضارة المينوية

لما وصلنا الى خليج سودا لم نكن متيقنين من اننا نستطيع استئناف الطيران الى اثينا

ذلك المساء حتى نصلها في الوقت المعين ولكن المهندسين اكبّوا في الحال على اصلاح المحرك المعطل ونحن اشتغلنا بتناول طعام الغداء لانهُ كان قد انقضى علينا نحو تسع ساعات منذ تناولنا طعام الفطور . وفي الساعة الخامسة والربع قمنا بطيارتنا متجهين الى اثينا فوصلناها في الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين ومررنا في اثناء طيراننا فوق طائفة من الجزائر اليونانية التي ترصع البحر . وكانت الشمس قد قاربت المغيب فافاضت على كورنثوس واثينا وما يجاورهما من الآكام عسجداً ونضاراً لم ارَ ما يماثلهما الاّ على آكام طيبة بالاقصر

وفي الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة عشرة من صباح اليوم الثاني طرنا من اثينا فررنا اولاً فوق ترعة كورنثوس الواسعة ثم فوق خليج كورنثوس ثم فوق المدينة نفسها ثم فوق لبنتو حيث انتصر حنا ملك النمسا على الاتراك ودمر اسطولهم ثم فوق ميسالونجي حيث ترقد رفات بيرون الشاعر ثم فوق بتراس ومنها الى البحر الادرياتيكي فوق الجزائر الايونية التي ترصّع شواطئ اليونان الغربية الى جزيرة كورفو . ولما مررنا فوق جزائر التين رأينا الاسطول البريطاني في البحر الابيض راسياً هناك ومن وحداته الطراد «ايغل» الذي ابلى رجاله بلاء حسناً في انقاذ الطيارة الاسبانية نومنشا . فلما رآنا الاميرال ارسل طيارتين صغيرتين من طراز « موث » لترافقانا الى كورفو

***

أما كورفو فلم نلبث فيها سوى ساعة تناولنا في اثنائها الغداء ولم يتسنَّ لنا ان نزور مكاناً من اماكنها التاريخية الجميلة . وفي الساعة الثانية بعد الظهر استأنفنا الطيران من كورفو فوصلنا بعد مسير ساعة وربع ساعة الى شاطئ ايطاليا الشرقي وفي اقل من نصف ساعة اجتزنا ايطاليا من شرقها الى غربها . ولما اقتربنا من نابولي رأينا مشهد بركان بزوف من الجو وهو يقذف حممهُ فكان مشهداً لن ننساه . ووصلنا نابولي في الساعة الخامسة والدقيقة الاربعين بعد الظهر

ولما كان نهر الطيبر على اقصى جزره الآن طرنا في صباح اليوم التالي من نابولي الى جنوى رأساً من غير ان نقف في اوستيا على مقربة من روما لتناول طعام الغداء ولكننا اخذنا معنا اكلاً تناولناه في الطيارة وهي محلقة فوق ليفورنو . ولما وصلنا الى جنوى كنا متقدمين ثلاثة ارباع الساعة عن الميعاد المعين لوصولنا رغم ما اصابنا من التأخير مرتين . فكاننا قطعنا المسافة بين الاسكندرية وجنوى في ثلاثة ايام وساعتين منها ٢٣ ساعة من الطيران الفعلي

وقد تركت هذه الرحلة في نفسي احسن أثر ولا اتردد مطلقاً في المستقبل في ان اسافر الى اوربا طائراً

بحث في التبغ وضرائبه (1)

للامير مصطفى الشهابي
مدير املاك الدولة بدمشق

﴿ تاريخه ﴾ التبغ لفظة عربت بها كلمة Tabac الأعجمية . ويقول بعض المؤلفين ان هذه الكلمة التي عم استعمالها في اللغات الاجنبية للدلالة على النبات المذكور هي مشتقة من لفظة تاباكو (Tabacco او Tabago) وهو اسم يطلق على جزيرة صغيرة من جزائر الأنتيل في اميركا يظهر ان الروّاد عثروا على التبغ فيها اولاً . ويقول آخرون انها مشتقة من كلمة تاباسكو (Tabasco) وهي جزيرة أخرى واقعة في خليج المكسيك . ويزعم غيرهم انها لفظة كان يستعملها سكان اميركا الأصليون لورقة ناشفة يحاط بها نبات التبغ فاقتبسها عنهم الرواد الاولون . ولقد كان للتبغ اسماء كثيرة زال استعمالها فالبرتغاليون كانوا يسمونهُ العشبة المقدسة والفرنسيون العشبة العجيبة وام الاوجاع وعشبة الملكة وغيرها

وليس لهذا النبات لفظة عربية لانهُ ما كان معروفاً في بلاد العرب قبل كشف اميركا وهو لم ينقل الى بلادنا (بلاد الشام) الأ في اوائل القرن السابع عشر من الميلاد . واشهر لفظة يسميه العرب بها هي الدخان والتتن وكلاهما لا يدلان على ان النبات كان معروفاً قديماً وكذا لفظة التنباك للنوع الآخر المعروف . وذكر العلامة النباتي بوست التبغ Nicotiana tabacum والتنباك N. rustica في كتابهِ الشهير « نباتات سورية وفلسطين ومصر وبواديها » فقال انهما يزرعان ولم يقل انهما ينبتان طبيعيًّا في تلك البلاد . والذي عليهِ معظم العلماء لاسيما العالم النباتي دوكاندول صاحب كتاب « اصل النباتات الزراعية » هو ان مهد التبغ الاصلي في اميركا وانهُ انتقل منها فصار يزرع او صارت تنبتهُ الطبيعة في كثير من الاقطار كالصين وفارس واوستراليا وغيرها . وعند ما كشفت اميركا كانت عادة تدخين التبغ ومضغهِ والعطس بهِ متفشية في معظم اقاليمها . ولم يكن الاميركيون الاصليون حديثي العهد بتلك العادة بل ان الآثار القديمة التي وجدت تدلُّ على انهم كانوا يزاولونها منذ عصور عديدة . ومع ذلك فان نبات التبغ الذي كان هنود اميركا يستعملونهُ إبان دخول خريستوفوروس كولومبوس تلك الديار كان نباتاً بريًّا تنبتهُ الطبيعة في اماكن عدة

(1) وهو موضوع محاضرة القيت في ردهة المجمع العلمي بدمشق وخص المقتطف بنشرها

دون ان يكون له حظ من تعهد السكان اياه بعناية من العنايات . وكان الهنود المذكورون يحبونهُ حبًّا جمًّا ويحترمونهُ كل الاحترام ويجعلونهُ مصدراً لكثير من الفضائل ويذهبون الى ان روحاً قدسية تحلُّ بهم اذا ما استنشقوا دخانهُ اللذيذ ولهذا كانوا يحرقونهُ كالبخور في صلاتهم وتعبدهم حتى اذا سكر كهانهم ذلك السكر الخفيف الذي يتولَّد منهُ صحَّ اعتقادهم بأن الروح التي تحمي حماهم وتدرأ عنهم عوادي الايام والليالي قد حلَّت فيهم وآتتهم برحمة من الآلهة . وكانوا يعتقدون ايضاً ان التبغ يشفي كثيراً من العلل وانهُ قتال للاعداء ولذا كانوا يستخرجون منهُ سمًّا يسقون بهِ نصال رماحهم وسهامهم . وكان دخان التبغ ينتشر في جو البيوت كلما اجتمع رؤساؤهم لامر هام كالمداولة في صلح او قتال بين القبائل واغرب من هـذا انهم كانوا يلفون ورق التبغ لفافات صغيرة يشدونها الى اعناقهم او الى اوساطهم فتكون عوذاً يتقون بها صروف الدهر كالحجب في ايامنا هذه

واختلف الرواة فيمن نقل نبات التبغ وبزوره الى اوربة قبل غيره فقال بعض المؤرخين ان هرمندز الطليطلي [١] هو الذي نقله من المكسيك الى اسبانية في اوائل القرن السادس عشر من الميلاد وقال آخرون ان الفضل في ذلك يرجع الى امير الماء الانكليزي المسمى درايك Drake ومهما يكن فان استعمال التبغ في اوربة ظل مقتصراً على قليل من الناس الى اواسط القرن السادس عشر ولم يعمَّ استعماله الاَّ بعد ذلك التاريخ

ويقص المؤرخون عن نقل هذا النبات الى فرنسا قصة غريبة وهو انهُ كان للملكة كاترينا دومديسي [٢] سفير في لشبونة يدعى حنا نيكو [٣] ففي يوم من سنة ١٥٦٠ اتاه احد التجار بقليل من بزور التبغ فزرعها في حديقتهِ وصار يعالجها خبيراً . ولما كانوا يعتقدون في تلك الايام ان هذا النبات ينقي الدم ويزيل الصفراء من الدماغ وكانت الملكة المشار اليها مبتلاة مع ابنها بالسويداء والاخلاط الدماغية فقد ورد الى خاطر السفير ان يبعث الى ملكته بشيء من مسحوق التبغ لعله يشفيها . فاهتمت الملكة لهذه الهدية واذاعت امرها على الشعب ففشى استعمال العاطوس في انحاء فرنسة وساد معه الاعتقاد بأنهُ شفاء لجميع العلل وقد كادوا يؤلهونهُ شأن هنود اميركا الاقدمين . ونقل التبغ من فرنسة الى سائر انحاء اوربا والجميع يبجلون هذه المنحة الالهية ولكنهم ما عتموا ان ادركوا انهم في خطإٍ مبين وان التبغ لا يشفي شيئاً من العلل بل يولد كثيراً منها فأخذ بعض ملوك اوربا يضطهدون المدخنين ويُرهقونهم بالغرامات والسجن ويتوعدونهم بالقتل واحتذى الباباوات وبطارقة الروم حذوهم وكذا بعض ملوك الشرق كالسلطان مراد الرابع العثماني

(1) Hermandez de Tolède (2) Cathérine de Médicis (3) Jean Nicot

فانهُ اصدر ارادة سنية بأن التبغ مسكر يحرمه الدين ولهذا حق على كل مدخن ان يشرم شفتاه وعلى كل من يستعمل العاطوس ان يجدع انفه واذا لم يرتدع كل منهما فجزاؤه القتل . ويروى ان السلطان محمد الرابع كان يتجسَّس بنفسهِ امور المدخنين ويتسقط اخبارهم فاذا عثر على احدهم قلَّده في عنقهِ طوقاً من ورق التبغ وأدخل في انفهِ (شبقاً) وصلبهُ وهو في هذه الحال . ويظهر ان الشاه عباس في فارس ما كان اقل قسوة من سلاطين آل عثمان. اما في الروسيا فان احد دوقاتها كان يجلد المدخن فاذا لم يرتدع جدع انفه حتى اذا لم يكن هذا العقاب كافياً وأخذ مجدوع الانف وهو يدخن فجزاؤه القتل. ولكن الاضطهاد لم يُجد نفعاً وظلت عادة التدخين تنتشر حتى رأت الحكومات في اواسط القرن السابع عشر وأواخره ان لا قبل لها باستئصال هذه العادة وان اهون الشرين ترك المدخنين وشأنهم على ان تستوفي عن زراعة التبغ وتجارته ضريبة فادحة تكون مورداً مهماً لبيت المال وهكذا احتكرت الحكومات زراعة هذا النبات وتجارته إما مباشرة او بواسطة شركات حصر الدخان

﴿ تحليتهُ وخواصه ﴾ هو من الفصيلة الباذنجانية التي تشتمل على نباتات مهمة كالبنادوري (الطماطم) والباذنجان والبطاطس والفليفلة وغيرها ومن بعض نباتات هذه الفصيلة تستخرج في الطب سموم قتالة كالستركنين والاتروبين والنيكوتين والتبغ الذي يزرع في الشام لهُ ساق عشبية لزجة منتصبة تبلغ متراً واوراق بسيطة مستطيلة كاملة وَبِرة تحت العصب الاوسط وازهار عنقودية مرتكزة على رأس الساق وفروعها . وللزهرة كأس جرسية وتويج قمعي الشكل وردي اللون وبزور التبغ دقاق عظيمة العدد وذكر العالم النباتي « لينيوس » انهُ عدَّ ٤٠٠٠٠ بزرة في ثمرة واحدة

والمادة الاساسية او العنصر الفعال في التبغ هو النيكوتين . وهو يستعمل لوجود هذه المادة فيهِ لانها هي التي تحدث شبه سكر او تخدير طفيف يسلي المدخن المكدود ويذهب بشيء من قلقهِ . وهي رِقليٌ عضوي زيتي مائع يذوب في الماء لا لون لهُ ذو طعم حريف محرق ورائحة هي رائحة التبغ بنفسها . وهي سم ناقع الاَّ انها لا تكون في اوراق التبغ مطلقة بل تكون ممزوجة بحوامض عضوية ولهذا اذا شممنا ورقة تبغ طرية فاننا لا نسترُوح النيكوتين فيها لكننا اذا يبسنا الاوراق وجعلناها تختمر فادة النيكوتين تنفصل عن الحوامض المذكورة فتسطع رائحتها وهي رائحة التبغ الخاصة . وكلما طال زمن تيبيس الاوراق واختمارها نقص مقدار النيكوتين فيها وعد التبغ خفيفاً . ويختلف مقدار النيكوتين في الاوراق اليابسة من ١،٥٠ الى ٧ في المائة من وزنها وقلما يزيد على ٢ في المائة في التبغ الذي تدخنهُ

﴿ مضاره ومنافعه ﴾ : للتبغ اعداء واصدقاء فاعداؤه يزعمون انهُ يسبب أدواء شتى

اما اصدقاؤه فيرون ان فوائده تفوق مضاره ولذا لا يجوز منع استعماله . ومن اقوال بعض الاطباء اعداء التبغ ان استعماله عاطوساً يؤدي الى فقد حاسة الشم . وفقد هذه الحاسة يفسد هيئة الوجه فيصبح عبوساً مكمداً . ثم ان الذي يفرط في استعمال العاطوس يضطر الى استنشاق الهواء من فمه فتتباعد شفتاه وينتفخ فكاه وتتدلى ذقنهُ حتى يصير منظره شبيهاً بمنظر رجل مسكين او احمق . اما صوتهُ فانهُ يختنق ويبح ويسد انفهُ فيكون له في الليل شخير مزعج . وربما حصلت قروح في انفهِ فيصير نفسهُ كريهاً كنفس اشد الناس بخراً فيتحاشاه جلساؤه وتسوء حاله في عزلة عن الخلق . ويمتد الضرر الى العين فتحمر ويلتهب غشاؤها الداخلي فتسيل الدموع على الخد كما يسيل مخاط اسود من الانف يوسخ الالبسة

والافراط بالتدخين لا يقل ضرراً برأي هؤلاء الاطباء عن الافراط باستعمال العاطوس فهو يهيج غشاء الفم واللثة ويضر بالاسنان ويفسد رائحة الفم ويسيء الهضم ويقلل شهوة الطعام ويصيب الطحال ويهيج الحنجرة ويولد في الرئة امراضاً شتى وفي القلب خفقاناً وفي الكلى البومينا وسكراً وهو ايضاً يضعف الذاكرة والذكاء وقوة العمل كما يزيد الجنون تدريجيًّا . وللتدخين في نظرهم ضرر اعظم من كل ما ذكر وهو انهُ يفسد الاخلاق . ذلك ان مدمني التدخين تضطرب اعصابهم ويذوي شبابهم ويسوء خلقهم فينقلب الحب في نفوسهم بغضاً والرأفة حقداً والخير شرًّا واضاف تولستوي الحكيم الروسي الشهير على ذلك ان المدخنين لا يلجئون الى التدخين الاَّ بقصد الابتعاد عن ضمائرهم وتخفيف وطئة تبكيتها عند ما يقدمون على اعمال سيئة او شريرة وضرب على ذلك امثالاً في شخصهِ فقال انهُ عند ما كان يشعر بحاجة ماسة الى العمل ويرى ان العمل متعب كانت تثور في نفسهِ معركة بين واجب الكدح وبين حب الراحة والدعة حتى اذا اخذ سيكارة واشعلها رجحت لديهِ كفة البطالة . واذا تشاجر مع احد رفاقهِ فاغلظ له الكلام وهو عالم بانهُ لا يستحق ذلك فالسيكارة كانت السلاح الذي تجعله يتمادى في ايذاء صديقهِ عن غير رغبة منهُ

وعند ما كان يقامر ويخسر فبالسيكارة كان يداوي نفسهُ اي يجعلها اقوى على احتمال الخسارة واشجع في المخاطرة على المبالغ الكبيرة . وكلما كان يخطيء او يأتي امراً إدًّا دون ان يود الاعتراف بخطئهِ فالسيكارة كانت خير معوان لهُ على التمادي في غيّهِ والاصرار على انكار خطر ما اقترفهُ واسناد العمل الى آخرين . وهكذا يضرب تولستوي امثالاً كثيرة على اضرار التدخين لكنهُ لا يذكر بعد ان ابطل هذه العادة هل اصبح اقل كسلاً في عمله واوسع صدراً مع رفاقهِ وهل زال تعلقهُ بالمقامرة وصار اقل ايذاء واكثر صدقاً ؟ هذا ما يشك فيهِ . والحقيقة ان اعداء التبغ جدُّ مبالغين في اقوالهم لان كثيراً من الاضرار التي

ذكرناها لم يقم عليها دليل حسي . ويجب ان نفرق بين الاعتدال في التدخين والافراط فيهِ . فالاول لا يرى جمهرة الاطباء فيهِ بأساً يذكر اما الثاني فيرون فيهِ بعض اضرار ثابتة كسوء الهضم والتهاب في الصدر وضعف الذاكرة والبصر واضطراب النبض . فالتبغ اذن ليس ذلك السم القتال الذي يجب اجتنابهُ دائماً بل ربما تساوت حسناتهُ وسيئاتهُ اذا دخن باعتدال وهذه الحسنات هي كونهُ يسلي المرء عن هموم الحياة ومصائبها بالسكر الخفيف الذي يحدثهُ ويخفف سآمة العطالة في العاطلين ويزيد حب الخير ويزيل شيئاً من وطئة الحياة عن عاتق الذين انهكتهم الاعمال . ولكم كان سلوى الشيخ الهرم الذي لا يزال عالقاً بالحياة وبشرى المريض اذ يرى في لذة دخانهِ عودة الصحة اليهِ . وهو يشحذ الذهن ويسهل الاعمال العقلية ولذا ترى معظم الكتاب العلماء يدخنون حتى ان بعضهم كان يفرط في استعماله . فمن المشهورين الذين كانوا يدخنون باكون وكانت ونيوتن وملتون وموسه وبيرون وغوتيه وكثيرون غيرهم. اما فيكتور هوغو وكوته واسكندر دوماس فما كانوا يدخنون. وكان تولستوي يدخن في شبابهِ ثم ترك التبغ وصار عدوًّا لهُ . ولقد اجمع معظم اطباء الاسنان على ان دخان التبغ يفيد اسنان المدخنين لانهُ يقتل بعض جراثيم تعيش في افواههم . وهم لا يبتلون بسوس الاضراس الا بعد غيرهم وذكر بعض الاطباء ان القليل منهُ يزيد الشهوة الى الطعام كما يسكن بعض ما يصيب جهاز الهضم من التهيج

ومما لا مرية فيهِ ان ترك التدخين بتاتاً هو انفع الحالات لاسيما اذا كان المدخن ضعيف الارادة لا يكتفي بتدخين عدد معتدل من السيكارات في اليوم . لكنهُ اذا كان لا بدَّ للانسان من شيء يخدر بهِ اعصابهُ فالتبغ اقل الاشياء المخدرة ضرراً فشتان بينهُ وبين المشروبات الكحولية المختلفة — الحشيش والافيون والمورفين والكوكائين واضرابها من السموم القتالة . ومن القواعد الصحية التي يجب اتباعها اجتناب التدخين على الريق او في غرفة مغلقة ابوابها ونوافذها لاسيما عند ما يكون عدد المدخنين فيها كبيراً. ويجب اجتناب بلع الدخان فلا يبلغ الرئة ولا يتجاوز الحنجرة . ويفيد استعمال « فم السيكارة » واجودها اطولها لانها تحمل مقداراً من النيكوتين اكبر . وعلى الذين يدخنون السيكارة ان يرموا بها قبل ان يبلغ الاحتراق منتهاها لان النيكوتين يجتمع رويداً رويداً في عقبها اثناء تدخينها فيكون الدخان هنالك اغنى بتلك المادة منهُ في رأسها ويختلف عدد السيكارات التي يجوز تدخينها في اليوم باختلاف امزجة المدخنين ويرى كثير من الاطباء ان ١٢—١٥ سيكارة هي منتهى حد الاعتدال في الاحوال العادية . ومهما يكن فان على الاولاد والشبان والنساء ان يجتنبوا التبغ وكذا المبتلون بامراض في عيونهم او افواههم او حناجرهم (لها بقية)

شعر التصوير

الشاريفاري

CHARIVARI

(من نقش لورا نايت — Laura Knight ، وقد عرضت حديثاً في الاكاديمية الملكية بلندن)

في صفحة تجدُ الغرائبَ جُمِّعتْ للاّعبين المُبْدِعين فُنُونا
نُقِشتْ بريشةِ مَنْ تناهتْ دِقّةً واستوعبتْ ما حيّرَ المفتونا
عشَرَاتُ أمثلةٍ لِدُنيا صُوِّرَتْ رَأساً على عقِبٍ ، فكنّ جنُونا!
مِنْ راقصاتٍ في الهواءِ بخِفّةٍ فوقَ الحِبالِ وما اتّقينَ منُونا
ومُصعِّدَاتٍ دُونَ خشْيةِ سَقْطةٍ وجَهِلْنَ مِن بين الحِبالِ خؤُونا
ومِن الخيولِ الجامحاتِ وما اعتدتْ الواثباتِ القاحماتِ حُصُونا
ومن افتنانِ الواقفين على شفَا موْتٍ ، وكان بحذقِهِمْ مأمونا
السّاكنين على الكُرَاتِ تَدحرَجتْ والجاعلين مِنَ المسيرِ سُكُونا
ومِنَ القُرُودِ مع الكلابِ يزِينُها فِيلٌ تفرّدَ بالغُرُورِ مُجُونا
وبَدَتْ عُجولُ البحرِ في لَعِبٍ لها تحت الصوالجِ كالرجالِ فُتُونا
وغدا أُلوفُ الناظرين كأنّهمْ أُخِذُوا بما جعلَ الرؤوسَ بُطُونا
تتَوزّعُ الأضواءُ حوْلهُمو كما يتوزّعون تَطلُّماً وكُمُونا
ويُتابعون بغير نُجْحٍ ما سَبَا هِمَماً ، وآذاناً لهم ، وعيُونا
وكأنّ هذا النّقشَ جاء مُسجِّلاً في رُوحِ إعجازٍ رُؤًى وظنُونا

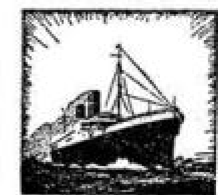
ابو شادي



عودة الالمان الى ميدان التنافس البحري : التجاري والحربي

الباخرة « برمن » والطراد « ارساتس پرسن »

السباق البحري



نشرت احدى الصحف الانكليزية سنة ١٨٢٩ مقالة قالت فيها ان باخرة انكليزية فازت بعبور المحيط الاتلنتيكي من لفربول الى نيويورك في ١٦ يوماً والمسافة بينهما نحو ٣٢٠٠ ميل . فهللت لهذا الفتح العظيم في ميدان المواصلات البحرية وكبّرت لان متوسط سرعة الباخرة في اليوم الواحد بلغ مائتي ميل وميلاً واحداً اي ان متوسط سرعتها في الساعة كان نحو ثمانية اميال بحرية ونصف ميل . وفي سنة ١٨٣١ اقلعت سفينة بخارية من مرفإ بورتسموث محمولها ١٨٠٠ طن وطولها ٢٩٥ قدماً فوصلت نيويورك بعد مسيرة خمسة عشر يوماً وبلغ اقصى سرعتها ثمانية اميال بحرية في الساعة . مع ذلك اطلق عليها ابناء ذلك العصر لقب « جبّارة البحار » وأعربوا عن اعجابهم العظيم بسرعتها الفائقة

اما الآن وقد انقضى نحو قرن على هاتين الحادثتين فانك ترى في اسطول بريطانيا التجاري باخرة طولها ٩٥٦ قدماً وعرضها مائة قدم وتفريغها ٥٦ الف طن وقوة آلاتها ٦٧ الف حصان ومتوسط سرعتها ٢٣ ميلا بحريًّا في الساعة . هذه هي المتجستك التي تمخر المحيط بين سوثمتن ونيويورك في نحو خمسة ايام . ويزاحم المتجستك على المقام الاول بين بواخر العالم الباخرة الاميركية المدعوة «لوياثان» . وفي الاسطول الانكليزي عدا المتجستك باخرة اخرى محمولها ٥٢ الف طن هي «البرنجاريا» وباخرتان اخريان محمول كل منهما يربي على ٤٦ الف طن هما «الاولمبك» و«الاكويتانيا» والاخيرة من افخم البواخر التي تشق عباب اليم . والغريب ان البواخر الثلاثة الكبرى — متجستك ولوياثان وبرنجاريا — هي بواخر المانية استولى عليها الحلفاء بعد الحرب الكبرى وعوضوا بها شركات الملاحة الكبرى لقاء ما فقدته في حرب الغواصات من سفنها

على ان شركة كونارد الانكليزية تملك باخرة انكليزية قلباً وقالباً تدعى الموريتانيا هي اصغر قليلاً من السفن المذكورة آنفاً فلا يزيد محمولها على ٣٢ الف طن ولكن شهرتها قائمة على سرعتها. فلقد انقضى عليها عشرون سنة وهي مالكة لقصب السبق في السرعة بين السفن التي تجتاز المحيط الاتلنتيكي . فازت به اولاً سنة ١٩٠٩ اذ بلغ متوسط سرعتها في يوم كامل ٢٧ ميلاً بحريًّا في الساعة . ويقال انها دعيت مرة باللاسلكي لاغاثة احدى البواخر المريعة الى نجدتها فبلغت سرعتها ٢٩ ميلاً بحريًّا في الساعة . ولكن العبرة بمتوسط السرعة في الساعة في اثناء الرحلة كلها لا في ساعة او ساعتين منها . وقد ظلت الموريتانيا سيدة البواخر المريعة الى ان انتزعت « البرمن » الالمانية هذا الفخر منها في شهر يوليو الماضي اذ بلغ متوسط سرعتها من مرفإ نيويورك الى مرفإ شوبورغ ٢٧،٨٣ الميل البحري في الساعة ، وبلغ متوسط سرعتها في اثناء يوم واحد من رحلتها الاولى ٢٩ ميلاً بحريًّا في الساعة وينتظر ان يزيد متى زالت آثار الجدة من آلاتها واستقرت على حالها الطبيعي فيبلغ ٢٩ ميلاً بحريًّا للرحلة كلها

الباخرة الالمانية « برمن »

يبلغ طول الباخرة « برمن » ٩٣٨ قدماً واذا حسب طولها بين اقصى نقطتين في مقدمها ومؤخرها بلغ ٩٦٠ قدماً فتكون بذلك اطول البواخر وتفوق المتجستك بأربع اقدام . ومحمولها نحو ٥٠ الف طن وقوة آلتها ١٣٠ الف حصان . يقابل ذلك ٧٦ الف حصان في البرنجاريا و٧٥ الف حصان في الموريتانيا و ٦٦ الف حصان في المتجستك ولا يفوقها في قوة آلاتها بين السفن التجارية والحربية الاّ الطرّاد هود الانكليزي اذ تبلغ قوة آلاته ١٤٤ الف حصان وحاملتا الطيارات الاميركيتان سراتوغا ولكسنغتون اذ تبلغ قوة الآلات في كلّ منهما ١٨٠ الف حصان . وفيها متسع لألفي مسافر و٩٥٠ من البحارة. اما ما تحمله من المؤونة والطعام لركابها وبحارتها فيكاد يكفي مدينة متوسطة . فقد اخذت في رحلتها الاولى مائة الف رطل من اللحم وثلاثين الف رطل من السمك وخمسة وثلاثين الف رطل من لحم الطير وعشرة آلاف رطل من الخبز وخمسة وأربعين الف رطل من الدقيق وأربعة آلاف وثلاثمائة رطل من البن وثلاثمائة رطل من الشاي وستمائة رطل من الشوكولاته وسبعة عشر الف ونحو خمسمائة لتر من اللبن ونحو الفي لتر من « الكريمة » و ١٥ الف رطل من الزبدة والفي رطل من الشحم

ومما تمتاز به سطحٌ بني على دكتها العليا تستطيع الطيارات ان تحط عليهِ وتطير منهُ.

فاذا قاربت الباخرة مدينة نيويورك مثلاً اي متى صارت على نحو ٦٠٠ ميل منها وضعت في الطيارة اكياس البريد المستعجل فتطير الى نيويورك في نحو خمس ساعات بدلاً من يوم كامل او اكثر تقضيه الباخرة في اجتياز هذه المسافة

وقد جهزت بأشهر اساليب الرياضة الحديثة ومعداتها . منها بركة من الماء مبنية بالاجر المطلي فيها ماء يطهر تطهيراً كيماويًّا وتحفظ حرارتهُ على درجة معينة . وفيها ايضاً حمامات للعلاج الطبي مما لا يوجد عادة الا في مدن المياه المعدنية . وفيها ردهة كبيرة للجمناستك وميدان للجولف وصالة تدار مرقصاً ليليًّا (كاباره) وغير ذلك من اسباب السلوى والرياضة البدنية

هذا غير ما تجده فيها من دكاكين الحلاقين والخياطين والادوية ومستشفى صغير مجهز بأحدث ادوات الجراحة والعلاج . وعدا ما في غرفها من اسباب الراحة والرفاه . فمائة وثمانون من غرفها مجهزة بغرف خاصة للحمام

عودة المانيا الى الميدان

وفوز « البرمن » ليس امراً خطيراً بذاته مع ان كل شركة كبيرة من شركات الملاحة تتزاحم عليهِ لانهُ بمثابة اعلان عالمي عن بواخرها . ولكنهُ خطير بما يدلُّ عليهِ . ذلك ان اسطول المانيا التجاري كان في المقام الثاني بين اساطيل الامم التجارية لما شبت الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ وكان مجموع حمولة سفنهِ خمسة ملايين من الاطنان . ومنها اشهر البواخر في العالم واضخمها . وكانت شركة همبورغ اميركا تملك من السفن ما حموله مليون طن واربعمائة الف من الاطنان . وشركة نور دويتشر لويد تملك ما حمولهُ مليون طن . وكانت هذه السفن تشقُّ البحار رافعة العلم الالماني الى مرافىء اقصى البلدان وادناها تحمل اليها البضائع الالمانية

ولكن الحرب الكبرى وفوز الحلفاء فيها قضى على كل ذلك . فجرّدت المانيا من هذا الاسطول العظيم الاّ السفن التي يحمول السفينة منها الف طن او اقل ونصف السفن التي يحمول السفينة منها ١٨٠٠ طن . وكان كل ما ترك لا يزيد محمولهُ على نصف مليون من الاطنان . فاقفرت بعد ذلك مرافىء برمن وهمبرغ وكانت تنبض بالحياة وخيّم السكون على ارصفتها البحرية ودور صنعتها . وانزلت الراية الالمانية من اعلى افخم البواخر وافخرها فصارت الباخرتان « بسمارك » و« امبراطور » انكليزيتين تدعى الاولى « الماجستك » والثانية « برنجاريا » واستولى الاميركيون على الباخرة « فاترلند » وسموها « لوياثان » واقتسم الحلفاء سائر السفن بينهم . وصار الانكليز اذا مرّوا في لندن امام مكاتب « همبورغ اميركا »

او «نور دويتشر لويد» يشيرون اليها بقولهم : هذه مكاتب الشركات التي كانت تدعى كذا وكذا
وهكذا ترى ان الالمان اجالوا النظر سنة ١٩٢٠ في اسطولهم التجاري فوجدوه عُشر ماكان عليهِ قبل الحرب وتفقدوا سفنهم فرأوا ان اكبر سفينة عندهم لا يزيد محمولها على الفٍ من الاطنان. فهبطت بذلك المانيا من المقام الثاني بين الدول التجارية البحرية الى دون المقام السادس . وبعد ماكانوا لا يعترفون الاَّ بتفوق انكلترا عليهم في هذا الميدان صار لابدَّ لهم من الاعتراف بتفوق انكلترا والولايات المتحدة وفرنسا وايطاليا واليابان
عندئذٍ ، والقنوط مستحكم من النفوس، شمّر الالمان عن سواعدهم لاعادة ما كان. والناظر اليهم حينئذٍ ، وحال السياسة في بلادهم مضطرب كل الاضطراب ، واسعار النقد تتدهور يوماً يوماً الى حضيض الافلاس ، ماكان يستطيع ان يرى بارقة امل في فوزهم بما يطمحون اليهِ وعودتهم الى المكان الذي كانوا ينزلون فيهِ قبيل الحرب
ولكن لفظ « مستحيل » لا يوجد الاَّ في قاموس الجبان . فلم تنقض الآن الاَّ سبع سنوات منذ شرع الالمان يحاولون بناء اسطولهم التجاري ومع ذلك تراهم وقد بنوا ما محموله اربعة ملايين من الاطنان اي اصبحوا يملكون الآن اسطولاً هو اربعة اخماس اسطولهم قبل الحرب . فسبقوا بذلك اليابان وفرنسا وايطاليا وصار مقامهم بين الدول البحرية التجارية بعد بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية . ولماكانت الولايات المتحدة غير معتنية بتجديد اسطولها التجاري واستبدال البواخر القديمة ببواخر جديدة للاحتفاظ بمكانتها فالمرجح ان تسبقها المانيا قريباً في هذا الميدان. والى القارىء محمول السفن التي بناها الالمان بعد الحرب

	محمول الاسطول التجاري		
١٩١٤	٢٠٠٠٠٠	٥	طن
١٩٢٠	٥٠٠٠٠٠	—	»
١٩٢١	٦٥٥٠٠٠	—	»
١٩٢٢	٧٨٥٠٠٠	١	»
١٩٢٣	٥١٠٠٠٠	٢	»
١٩٢٤	٦٧٠٠٠	٢	»

	محمول الاسطول التجاري		
١٩٢٥	٨٣٠٠٠٠	٢	طن
١٩٢٦	٩٠٠٠٠٠	٢	»
١٩٢٧	١٢٥٠٠٠	٣	»
١٩٢٨	٥٠٠٠٠٠	٣	»
١٩٢٩ (تقدير)	٢٠٠٠٠٠	٤	»

وزهرة هذا الاسطول الجديد الذي اودعهُ المهندسون الالمان زبدة علمهم واختبارهم هي « البرمن». لذلك قلنا ان فوزها خطير لما يدلُّ عليهِ. وهو يدلُّ على ان الالمان قد عادوا الى ميدان التنافس التجاري البحري وهم الامة المغلوبة ، فتخطوا اكثر الحلفاء المنتصرين

الطراد « ارساتس بروبسن »

غلبت المانيا على امرها في الحرب الكبرى فجرّدت من اسطولها الحربي كما جرّدت من اسطولها التجاري وقضت معاهدة فرساي بان لا يسمح لها ببناء بارجة يزيد تفريغها على عشرة آلاف طن ولا يعدو قطر مدافعها احدى عشرة بوصة. قضوا بذلك وهم يعلمون ان استعمال مدافع هذا قطرها في بارجة من هذا التفريغ متعذر لقوة المدافع وصغر البارجة

ثم عقدت معاهدة وشنطن البحرية فاتفقت فيها الدول البحرية — بريطانيا والولايات المتحدة واليابان وفرنسا وايطاليا — على الكفّ عن بناء طرادات تفريغ الطراد منها اكثر من عشرة آلاف طن وقطر مدافعه اكثر من ثماني بوصات . على ان المانيا لم تدع للاشتراك في هذا المؤتمر ولا هي وقّعت على المعاهدة فهي والحالة هذه في حل من قيودها

ولذلك اكبَّ مهندسوها على بناء بارجة تكون اقوى ما يمكن بناءه ضمن الحدود المعينة في معاهدة فرساي . فكانت البارجة « ارساتس بروبسن ». ويقال ان بناءها لا بدَّ ان يغير وجهة المسألة البحرية ويقلبها رأساً على عقب اذا لم تسرع الدول البحرية الى دعوة المانيا للاتفاق معها على خطةٍ واحدة

ذلك ان هذا الطرّاد اذا قيس بالطرادات التي بناها الحلفاء بحسب مقتضيات معاهدة وشنطن كان متفوقاً عليها لان دروعهُ امتن من دروعها واصلب ومدافعهُ اضخم من مدافعها وابعد مدى فاذا اشتبك معها في معركة حربية تمكن من ان يصيبها بمدافعهِ قبلما تقترب اليهِ . واذا تمكنت هذه الطرادات من اللحاق بهِ لانها اسرع منهُ فدرعهُ السميك المتين يقيهِ من فعل قنابلها حتى لقد قدَّر الكابتن بروكتر احد مهندسي البحرية الاميركية ان هذا الطراد يستطيع ان يشتبك في القتال مع ثلاثة من الطرادات التي بنيت بحسب شروط معاهدة وشنطن ويخرج من المعركة ظافراً

فهو مجهز بستة مدافع قطر كل منها ١١ بوصة وهي قائمة في ثلاث طوابير ومدى كل منها ١٧ ميلاً والطوابي عالية تمكن المدفعيين من استعمال هذه المدافع ولو كان البحر ثائراً والموج يتلاطم ويتدافع جبالاً . وقد ثبت في اثناء الحرب الكبرى ان المدفعيين الالمان اتقنوا الرماية حتى تفوقوا فيها على الانكليز . فاذا اعتبرت ذلك واذا اعتبرت ان قنبلتين او ثلاث قنابل من مدفع قطرهُ ١١ بوصة تستطيع ان تدمر طراداً من طرادات معاهدة وشنطن اذا اصابتهُ في المقتل ، ادركت قوة هذا الطراد الالماني الجديد

على ان قوتهُ الحربية لا تهمنا في هذا المقام قدر ما يهمنا ما ادخل فيهِ من المبادىء الجديدة في الهندسة البحرية وهي ثلاثة :

اولاً . اتقن الالمان صنع آلة ديزل وهي آلة الاحتراق الداخلي التي تحرق البترول وقوداً. ولكن ما استعمل منها في البواخر ثقيل اذا قيس بما يولده من القوة . فطراد كالارساتس برويسن يحتاج الى قوة ٥٠ الف حصان لكي تسيره بسرعة ٢٦ ميلاً بحرياً في الساعة. ولكن اشهر البواخر المبنية على هذا النمط لم تستعمل آلات تزيد قوتها على ٢٠ الف حصان ومع ذلك فان متوسط وزن الآلات لكل حصان تولده يتراوح بين ٦٥ رطلاً و ٢٠٠ رطل للحصان الواحد. فاذا اعتبرنا متوسط ذلك وجب ان يبلغ وزن آلات ديزل في طراد كهذا ٣٣٠٠ طن اي ثلث تفريغ الطراد كله . وهذا مستحيل . لذلك عني المهندسون الالمان باتقان آلة ديزل حتى يقل وزنها بزيادة قوتها فتمكنوا من ان يصنعوا لهذا الطراد آلات لا يزيد متوسط وزنها عن ١٧ رطل ونصف رطل لكل حصان تولده . وهذا تقدم عجيب دهش له المهندسون في مختلف البلدان

ثانياً ان صغر حجم الآلات وخفة وزنها مكَّن المهندسين من توسيع الاحواض التي يحمل فيها الوقود اللازم للآلات . وزيادة هذا الوقود يمكن الطراد من ان يسير مسافة طويلة جداً من غير ان يلجأ الى المرافئ لملء احواضه. فالطراد ارساتس برويسن يستطيع ان يسير مسافة ١٠ آلاف ميل بسرعة ٢٠ ميلاً في الساعة. وهذا ما لا تستطيعه باخرة او بارجة اخرى. فيتمكن بذلك من العبث بالبواخر التجارية في اثناء الحرب من غير ان يضطر الى كثرة الالتجاء الى الموانئ طلباً للوقود. ومن يعرف قصص الطراد امدن الالماني وما اغرقه من البواخر يستطيع تقدير الضرر العظيم الذي يلحقه طراد من هذا الطراز بتجارة البلدان المتحاربة

ثالثاً ان دروعه كلها من الصلب المتين وخصوصاً ما يحيط منها بالآلات التي تسيّره فتقيها من قنابل الطيارات التي قد تقع على دكته . اما جسم الطراد المغمور بالماء فقسّم الى غرف صغيرة لا ينفذها الماء . فاذا رمي بطوربيد لم يتعرض للغرق لان الماء لا ينفذ الا الى الغرف التي خرقها الطوربيد

***

بعد النظر في كل هذه الامور كتب المستر هاي بايووتر الخبير البحري المشهور ما مؤداه : اني لا اتردد في القول بان هذه الطرادات الالمانية هي اعجب السفن الحربية التي بنيت في العشرين السنة الاخيرة . والامر الذي لا ريبة فيه اني لا اعرف اسطولاً مبنياً وفقاً لشروط معاهدة وشنطن يستطيع ان يكافح طرادات من طراز الارساتس برويسن اذا انطلقت تعبث بالسفن التجارية في عرض البحار

صور جديدة من الأدب العربي

مناظرة الكسائي وسيبويه

مسألة العقرب والزنبور

« وليس يخلو امرؤ من حاسد أضم * لولا التنافس في الدنيا لما أضما
والغبن في العلم اشجى محنة علمت * وأبرح الناس شجواً عالم هضما »
« حازم القرطاجني »

كان من أثر المناظرة التي قامت بين الهمذاني والخوارزمي [1] ان الخوارزمي مات بعد قليل من الزمن ولم تحتمل شيخوخته تلك الصدمة العنيفة. وكان من أثر المناظرة التي قامت بين الكسائي وسيبويه ان سيبويه مات كمداً وهو في ريعان شبابه وجن نشاطه — كما يقولون — ولم يحتمل شبابه تلك الهزيمة القاتلة. وليست الطرق التي لجأ اليها الكسائي لينتصر بها على منافسه سيبويه — أو على الاصح ليهدم بها شهرته — بأقل شناعة وقسوة من تلك الطرق التي سلكها الهمذاني للتغلب على الخوارزمي والانتصار عليه

ولقد قلنا في المناظرة السابقة إن الهمذاني قد أعدّ عدته وهيأ لنفسه كل اسباب الانتصار والفوز على خصمه وزجّ به في مجلس كله خصومة ولدد، ونقول في هذه المناظرة إن الكسائي لم يقصر في اعداد كل الوسائل لهدم سيبويه ولم يتعفف عن شيء في سبيل الانتصار عليه. [2] واذا كان الهمذاني قد لجأ الى تملق شهود المناظرة لينصروه على الخوارزمي واشترى ذممهم بهذه الحيلة فان الكسائي قد لجأ ايضاً الى نفوذه وجاهه وماله واتخذ من صداقته للبرامكة وكونه مؤدب اولاد امير المؤمنين وسيلة للتغلب على سيبويه

ولئن شكونا في المناظرة السابقة قلة المصادر التي نرجع اليها في تحقيقها ولم نجد غير رواية الهمذاني نفسه — وهي رواية خصم عن خصمه — فان ما نشكوه في هذه المناظرة هو تعدد المصادر وكثرتها وتباين رواياتها وأثر التعصب فيها وتعمد التشويه

على ان هذه الروايات — رغم اضطراب بعضها واختلافه في التفاصيل — متفقة في

---

(١) راجع مقتطف يوليو سنة ١٩٢٩ ص ٥٥ (٢) قالوا: « وقد ارشى الكسائي العرب — وكانوا جماعة من المسترزقة الذين كان يعولهم — على ترجيح جانبه »

الاساس والجوهر — فهي من اية ناحية رأيت وبأية رواية اخذت — تدل على ان سيبويه قد ظُلِم وان الحق كان في جانبه ، فقد اجمع علماء النحو واللغة — في زمن سيبويه وبعد زمنه — على ان الصواب ما قال وأن الكسائي كان في الجانب الخاطىء . ولم يشذَّ عن هذا الاجماع الا شيعة الكسائي والطامعون في مالهِ او جاههِ والمحسوبون عليهِ وذوو الحاجات وطلاب المآرب الذاتية

وليست هذه المناظرة على الحقيقة — إن صح أن نسميها مناظرة — إلا نضالاً بين مذهبين وحرباً بين مدرستين ، مدرسة الكوفيين ومدرسة البصريين اساتذهم ، ممثلتين في شخصي الكسائي زعيم علماء النحو في الكوفه وشيخ مدينة السلام ، وسيبويه زعيم علماء النحو في البصرة وتلميذ الخليل بن احمد سيد اهل الادب — كما كانوا يلقبونهُ — وقد لعبت الاهواء من سياسية وغيرها في تغليب رأي الكسائي على رأي سيبويه [1]

على ان فضل سيبويه دائم — رغم انتصار الكسائي عليه — وكتابه الذي الفه في النحو لم تبل جدته الى اليوم ولا يزال كتاب نحو وأدب معاً وأسلوبه في اعلى طبقات البلاغة ، وقد كان المبرد يقول لمن يريد ان يقرأ عليه كتاب سيبويه : «هل ركبت البحر ؟» تعظيماً لشأنه ، وكان الزجاج [2] يقول: «اذا تأملت الامثلة من كتاب سيبويه تبينت انهُ اعلم الناس باللغة»

وقال الجرمي [3] : « انا منذ ثلاثين سنة افتي الناس في الفقه من كتب سيبويه » [4]

وقال المازني: « من اراد ان يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحِ »

وقد كتب سيبويه هذا الكتاب الخالد في الوقت الذي كان فيه الكسائي منصرفاً الى المناصب والاتصال بالخليفة والدعاية لنفسه بأنهُ العالم الفذ الذي استنفد خمس عشرة قنينة حبراً في الكتابة عن العرب وأن هذا زيادة على ما حفظه ، الى آخر هذه الدعاوى الفارغة التي لا يعنى بها المنصرفون الى العلم حقاً والتي هي اشبه بالاعلانات التجارية ، وهذا اسلوب فذ في الدعاية لجأ اليه الكسائي — في جملة ما لجأ — للوصول الى الشهرة

واذا رأينا علماء اللغة وأئمة النحو يحترمون سيبويه ويقرون مذهبه ، رأيناهم — على العكس من ذلك — ينفرون من مذهب الكسائي ويرون فيه افساداً للغة واضاعة للنحو

قال ابن درستويه : «كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله اصلاً يقيس عليه حتى افسد بذلك النحو »

---

(١) كان العباسيون يقربون منهم الكوفيين لانهم نصروهم في دعوتهم وكان لهذا الاعتبار اكبر الاثر في اتصالهم بالخلفاء (٢) ابو اسحق الزجاج (٣) ابو عمر الجرمي (٤) يريد بذلك انه تعلم منه النظر وطريقة البحث الدقيق

وقال الاصمعي : «اخذ الكسائي اللغة عن اعراب من الحطمة ينزلون بقطربل ، فلما ناظر سيبويه استشهد بلغتهم عليه » . وقال محمد اليزيدي :

كنا نقيس النحو فيما مضى على لسان العرب الاول
فجاء اقوام يقيسونهُ على لغى اشياخ قطربل
فكلهم يعمل في نقض ما به يصاب الحق لا يأتلي
إن الكسائي وأصحابه يرقون في النحو الى اسفل

وقال الزجاج : « أي انصاف في الرجوع الى اعراب وفدوا لحاجتهم ، وسيبويه رجل غريب وأخصامه اهل البلد والدولة ، وانما الحكم العارف بالفصيح وغيره ، وقد لا يعرف الاعرابي إلا لغته الشاذة» الى آخر هذه الآراء

وقد اشار المعري الى تحامل الكسائي على سيبويه — في رسالة الغفران — وألمع الى بعض المناظرات التي قامت في ذلك العصر الحافل بالمناقشات والمناظرات بين علمائه، فقال في معرض الكلام على تناسي الحسائك والاحقاد في الجنة بين ألد الخصوم : —

« فصدر احمد بن يحيى [1] هنالك قد غسل من الحقد على محمد بن يزيد [2] فصارا يتصافيان ويتوافيان

« وأبو بشر عمرو بن عثمان « سيبويه » قد رحضت سويداء قلبه من الضغن على « علي ابن حمزة الكسائي » وأصحابه لما فعلوا به في مجلس البرامكة وأبو عبيدة صافي الطوية لعبد الملك ابن قريب [3]، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار»

كيف كانت المناظرة

لم يكد يرد سيبويه الى العراق حتى شعر الكسائي أن مكانتهُ العلمية في خطر وأن منافساً جديداً يحاول ان يغتصب منهُ مقام الزعامة . قالوا : وشق امرهُ على الكسائي فأتى يحيى وجعفر بن برمك وقال : « أنا وليكما وصاحبكما ، وهذا الرجل انما قدم الى العراق ليذهب محلي » . قالا : « فاحتل لنفسك فإنا سنجمع بينكما »

وهكذا دبرت المؤامرة في بيت البرامكة لهدم سيبويه ، فلما حان الموعد حضر سيبويه وحده وجاء الكسائي ومعهُ الفراء والاحمر وغيرهما من اصحابه،فسألهُ الفراء عن مسألة فلم يكد يجيبهُ عنها حتى قال لهُ : « اخطأت » وسألهُ عن ثانية فاجابهُ فقال لهُ « اخطأت » ثم سألهُ عن ثالثة وقال لهُ — : « اخطأت »

فقال لهُ سيبويه — : « هذا سوء ادب منك »

---

(١) ثعلب (٢) المبرد (٣) الاصمعي

فقال الفراء لصاحبه —: « يظهر ان في هذا الرجل عجلة ، وحدة »

وسألهُ الاحمر عن عدة مسائل فكان يخطئهُ في كل جواب يفوه به . قالوا — : فلم ير سيبويه إلاّ ان يكفَّ عن مناقشتها .وهنا يقول لهُ الكسائي—ولعلك تلمح في جملتهِ معنى التحقير والاستصغار—« يا بصري كيف تقول :—

« كنت اظن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي ، او فاذا هو إياها ؟ »

قال — : « أقول فإذا هو هي» . فأقبل عليهِ الجمع فقالوا اخطأت ولحنت

وفي هذا مثال من التهويش والتحامل على سيبويه

وهنا يقول يحيي بن خالد بن برمك :«هذا موضع مشكل فمن يحكم بينكم» .فقال الكسائي:

« هؤلاء الاعراب على الباب »

فادخل ابو الجراح ومن وجد معهُ ممن كان يأخذ منهُ . فقال لهم الكسائي : كيف تقولون : «قد كنت احسب ان العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا الزنبور اياها بعينها »

فقالت طائفة — : «فاذا الزنبور هي »

وقالت اخرى — : « فاذا الزنبور اياها بعينها »

فقال الكسائي : — « هذا خلاف ما تقول يابصري »

وهنا يقبل يحيي رب الدار على سيبويه—وهو الغريب المستوحش—فيقول له ما يشعره بأن صاحب الدار من رأي الكسائي وشيعتهِ : « قد تسمع أيها الرجل »

فلا يكاد يسمع سيبويه هذه الجملة حتى يستكين . ويسرع الكسائي الى يحيي فيقول له حتى يطمئن على أن المناظرة قد انتهت وأن الغلبة قد تمت له : « أصلح الله الوزير لقد وفد عليك من بلده مؤملاً فان رأيت ألا ترده خائباً ؟ » فيأمر له يحيي بعشرة آلاف درهم

وكأنما الف الكسائي أن يصطنع الناس بالمال ليضمن لنفسهِ اقرارهم بزعامتهِ العلمية التي يسعى الى الانفراد بها عند الخليفة ، ولعلهُ حسب أن هذه المنحة تنسي سيبويه تلك الصدمة العنيفة التي سببها له، على ان الكسائي طالما اشترى بالمال ألسناً وذمماً

ألا ترى الى الاخفش يذهب الى الكسائي غاضباً— بعد ان أخبره سيبويه بما حدث له معهُ—فيسأل الكسائي وهو بين تلاميذه ويخطئهُ في كل جواب يقوله . فيهمُّ تلاميذ الكسائي بضربهِ فيمنعهم من ذلك— خوفاً من ذيوع امره — ويقبل عليهِ يعانقهُ متحبياً اليهِ ويعهد اليهِ بتعليم اولاده ويرشوه بالمال فينسيهِ بذلك ثأر صديقهِ سيبويه

وقد كان من بين تلاميذ الكسائي من هو أعلم منهُ واجدر بالزعامة كالفراء مثلاً ،وما كان مثل الفراء ليقبل أن يكون تلميذاً للكسائي لولا طمعهُ في جاههِ ومالهِ وامله في أن

يتصل بالخليفة بفضل صحبتهِ لهُ ، وقد تمَّ له ما أراد بعد ذلك

وربما استشهد لنا احد الادباء الناقدين بقول الفراء نفسهِ للتدليل على فضل الكسائي :—

قال لي رجل : « ما اختلافك الى الكسائي وأنت مثله في النحو ؟ » فأعجبتني نفسي فأتيتهُ فناظرتهُ مناظرة الاكفاء ، فكأنني كنت طائراً يغرف بمنقاره من البحر »

فان امثال هذه المدائح يجب ان تفهم على وجهها الصحيح ، فهي نوع من تملق ذوي النفوذ طمعاً في جاههم وتقرباً اليهم

الا ترى الى ابن الرومي نفسهِ — وهو الشاعر الفحل — يلجئهُ العوز والفاقة ونكد الدنيا الى امتداح بيت سخيف لابن المعتز ، حين سألوه :— « لم لا تشبه مثل تشبيه ابن المعتز في قوله:

وبدا الهلال كزورق من فضة قد اثقلتهُ حمولة من عنبر

فتظاهر لهم باكبار معنى هذا البيت التافه واعجابهُ بما فيهِ من تشبيه متكلف وعجزه عن محاكاتهِ تملقاً لقائله لرفعتهِ وسمو منزلتهِ. ولقد سئل الفراء نفسهُ عن الكسائي بعد موتهِ فقال:

« مات الكسائي وهو لا يحسن حد نعم وبئس وأن المفتوحة[1] »

ولا نظننا متحاملين على الكسائي حين نثبت هنا ما يرويهِ بعض المؤرخين عنهُ من انهُ كان متهتكاً فاجراً . ونحن نروي ذلك بشيء من التحفظ فلا نصححهُ ولا ننفيهِ فلعله من دسائس البصريين، على اننا لا نستبعده ، فليس اتصاله بالخليفة وتعهده ابناءه بالتربية مما يعصمهُ عن اقتراف الدنايا والآثام ولو سرًّا

وقد تعلم الكسائي وهو كبير وانصرف سيبويه الى العلم منذ حداثة نشأتهِ واعجب الخليل ابن احمد بذكائهِ وكان يرحب بهِ[2] وقد شهد له اكبر علماء النحو بالتفوق والفضل ، ولقد استعان بكتابه خصومه أنفسهم فقرأ الكسائي على الاخفش كتاب سيبويه واعطاه سبعين ديناراً اجراً على ذلك ، وقد وجد بعضهُ تحت وسادة الفراء التي كان يجلس عليها. كما قال النحاس

رأى النحاة فى هذه المسألة

قالوا : « وأما سؤال الكسائي فجوابهُ ما قال سيبويه وهو « فاذا هو هي » هذا هو وجه الكلام مثل : « فاذا هي بيضاء » ، « فاذا هي حية » وأما « فاذا هو اياها » — ان ثبت — فخارج عن القياس واستعمال الفصحاء ، ولا يعتدُّ بهِ ، كالجزم بلن والنصب بلم والجر بلعل ، وسيبويه واصحابهُ لا يلتفتون لمثل ذلك وان تكلم بهِ بعض العرب

(١) ومن العجيب أن احدهم قال في الفراء نفسه بعد موته — : « مات الفراء وفي نفسه شيء من حتى » وان كان الفرق بين العبارتين واضحاً (٢) كان الخليل يقول له : « اهلاً بزائر لا يمل مجالسه » ولم يكن لغيره يقولها

وقد حدث لابي عثمان المازني ما حدث لسيبويه . قال : « دخلت بغداد فألقيت عليَّ مسائل فكنت اجيب فيها على مذهبي ويخطئونني على مذاهبهم. قالوا : « وهكذا اتفق لسيبويه »

وجماع القول أن سيبويه هزم رغم فضله وعلمه وكونه في جانب الحق ، ولم يكن له بد من السكوت والهزيمة في هذا المجلس الحاشد

ومثل لنفسك ايها القارىء مجلساً حافلاً باعيان الدولة وقادة الرأي فيها يجمع مثلاً على ان « لم » تنصب ولا تجزم وانت وحدك تقول « انها تجزم ولا تنصب وان العرب لا تعرف غير ذلك » وهم لا يسمعون لك قولاً . فأية حجة تستطيع ان تدلي بها في مثل هذا المجلس المتحامل الذي ينكر عليك ما لا سبيل الى انكاره ؟

كذلك كان موقف سيبويه ، يقرر قاعدة اجمع علماء النحو على صحتها وعلى ان خلافها شاذ لا يؤخذ به ، فلا يقبل منهُ قول

ولقد كان في لسان سيبويه حبسة — كما يقولون — ولكنها لم تكن السر في هزيمته[1] فهو لم يقصر في الكلام ، ولم يكن ذلك المجلس المتحامل عليه في حاجة الى خطيب لسن ، بل كان في حاجة الى آذان واعية وقلوب لم يفسدها الهوى والغرض

وهكذا تمت الهزيمة ، فذهب سيبويه الى فارس ، ولم تطل مدته بعد ذلك . قالوا : ولما اعتلَّ سيبويه وضع رأسهُ في حجر أخيه فبكى اخوهُ لما رآهُ ، لما بهِ ، فقطرت من دمعهِ قطرة على وجههِ ، فرفع سيبويه رأسهُ اليهِ فرآهُ يبكي فقال — :

« أُخيَّين كنا ، فرق الدهر بيننا الى الامد الاقصى، ومن يأمن الدهرا ؟

ولقد قضى سيبويه جل حياته في الدرس على خير اساتيذ عصره لاسيما الخليل ويونس ومات بعد ان الَّف كتابهُ الخالد وان كان لم يدرّسهُ . وختمت حياة هذا العالم الجليل دون أن يجني ثمر جهاده . رحمة الله عليهِ وعلى شيخيهِ الجليلين الخليل ويونس

« تولى سيبويه ، وجاش سيب من الايام فاختـل الخليل[2]
ويونس أوحشت منهُ المغاني وغير مصابهِ النبأ الجليل
أتت علل المنون ، فما بكاهم من اللفظ الصحيح ولا العليل
ولو ان الكلام يحس شيئاً لكان لهُ وراءهم أليل »

القاهرة كامل كيلاني

(١) فقد ناظر سيبويه بعض العلماء ولم تمنعه حبسة لسانه عن الانتصار عليه قال عمرو بن مرزوق : رأيت سيبويه والاصمعي يتناظران ويقول يونس بن حبيب — : « الحق مع سيبويه وقد غلب ذا — يعني الاصمعي؟ — بلسانه » (٢) الشعر لابي العلاء



الصناعة الآلية والعمران

هل نحن اسعد حالاً في هذا العصر الميكانيكي

حسنات الحضارة الصناعية ومساويها

[ملخصة عن التاريخ الجاري لستيورات تشايس]

لقد غمرنا عصر الآلات بسيل من البضائع والادوات المستحدثة . فهل نحن اسعد حالا بها ؟ ان في الولايات المتحدة الاميركية من الآلات ما قوته الف الف حصان . فهل وسعت امام الاميركيين نطاق الراحة وأفق الثقافة وميدان الرخاء ؟

لقد قامت حضارات كثيرة غابرة على اركان من الزراعة او التجارة او العبودية او القوة او قضبان الذهب او قوة الادارة او النهب او الفتح او الاستعمار . وقد بلغ بعض هذه الحضارات شأواً بعيداً من الرقي قبلما طاف عليه طائف النسيان. اما حضارتنا فقائمة على متون الف الف من الاحصنة البخارية والكهربائية . ولكن الناس مختلفون في هل نتج عن ذلك ما هو نبيل او خالد ؟ فاذا وقف هنري فورد ينادي اننا على عتبة العصر الذي كان يجول في احلام الفلاسفة والشعراء انبرى له المؤرخ سبنغلر الالماني قائلاً ان الحضارة الغربية آخذة في الانحطاط وانها دين على التاريخ لا ينتظر ايفاؤه. واذا كتب الاستاذ بيرد حاسباً ان الحضارة الحالية انما هي فجر وردي لامع يتقدم وضح النهار تصدى له أستن فريمن قائلاً انه لا يرى الا ليلاً مدلهمًا

العلم والصناعة يقبضان على أزمة القوة

والحق ان هنالك ما يقال لتأييد الرأيين المتناقضين. فأنت اذا اجلت طرفك ورأيت

محراثاً يوفر عمل خمسين من الزراع ، او آلة بخارية للحفر تغني العمال عن رفوشهم وما يحل بهم من الم في ظهورهم، او طيارة فضية جميلة محلقة في جو ازرق كالياقوت ، او آلة للتنفس تعيد الحياة الى رئتي رجل كاد يفقدها — اذا رأيت كل ذلك هللت وكبرت للفوائد العملية والعقلية التي يجنيها الانسان من الآلات. ولكنك حين تتحقق ان اسطولاً مؤلفاً من خمسمائة طيارة من هذه الاجنحة الفضية الجميلة المجهزة بالقنابل تستطيع ان تدمر حضارة كحضارة الامة الانكليزية في ساعتين من الزمان ، وحين تشاهد ما في المناطق الصناعية كمنطقة بتسبرغ بأميركا ولنكشير بانكلترا من القبح والقتام، وحين تقرأ عن فتيات اصابهنّ الآلات فسلخت رؤوسهن وهنّ يشتغلن ليلاً في مصانع القطن الصينية — حين ترى كل ذلك ينغصُ حلقك بصلاة الشكران التي شرعت ترددها

وتقدير حسنات هذه الحضارة الصناعية ومساويها وموازنة فوائدها بخسائرها عمل كبير يجب الاَّ يقدم عليه إلاَّ مجلس مؤلف من اكبر المفكرين في هذا العصر تدعمهم مجلدات ضخمة من الاحصاءات والمباحث والتقارير محتوية على حقائق لا نزاع فيها تبين عدد العاطلين في كل امة بياناً مفصلاً واتجاه الامراض العقلية في الامم الصناعية ومقدرة الجسم البشري على تحمل العمل المتكرر وما الى ذلك. ومما يؤسف لهُ ان هذه الاحصاءات والبيانات لم تجمع حتى يرجع اليها . ولكني اقدم على هذا العمل وحدي رغماً عن افتقاري الى ما تقدم لما لقيت من الذم المطلق والمدح المطلق يوجهان الى هذه الحضارة التي نعيش في اكنافها

الحسنات

١ — ان متوسط الحياة في اكثر الشعوب الحديثة قد زاد . فالطفل الذي يولد الآن ينتظر ان يعيش حياة تزيد ثلاثين في المائة عن حياة الطفل في العصور الغابرة وذلك ناجم عن التقدم في سيطرة الطب والآلات على الحياة . ولعلَّ النوع البشري الآن اصحّ جسماً واجود صحة مما كان عليهِ في اي زمن سالف

٢ — ارتفاع مستوى المعيشة اذا قيس هذا الارتفاع بزيادة الضروريات واتساع انتشارها بين الناس بدلاً من انحصارها في طائفة قليلة العدد

٣ — سهولة المواصلات والمخاطبات باستنباط سكك الحديد والبواخر والسيّارات والطيارات والتلفونات والتلغرافات ووسائل المخاطبات اللاسلكية على اختلافها ومن شأن هذه السهولة ترسيخ الاعتقاد في نفوس الناس ان الارض وحدة اقتصادية واجتماعية لا تتجزأ وهذا هو السبيل الى تحكيم العقل في الشؤون العامة وتوطيد اركان السلام

٤ — تقليل ساعات العمل

٥ — ضعف سلطان الخرافات على عقول الناس . فالرجل المتوسط الحال يسأل الآن ما هو سبب هذا وما هي علة ذاك بدلاً من ان يخني خوفاً امام الاسرار المحجبة عنهُ

٦— لقد كان من شأن بعض الآلات بوجهٍ عام والسيارات بوجه خاص ان مكنت في نفوس الافراد والطبقات الشعور بالقوة والاعتماد على النفس

٧ — ان ادارة الصناعات الميكانيكية قد حملت علماء الفسيولوجيا والسيكولوجيا على استنباط نظام من الفحص والامتحان يمكنهم من معرفة المدى الذي يستطيع العامل ان يزاول عملهُ في اثنائهِ قبل ان تقعدهُ سموم التعب عن الانتاج المفيد . ولم يذكر في التاريخ ان حضارة سابقة لهذه الحضارة حاولت مثل هذا من قبل

٨ — لقد ازالت الآلات الفوارق بين الطبقات التي كانت ناشئة عن ملكية الاراضي وامتيازات الاشراف

٩ — لا ريب في ان العلم النظري ابو العلم العملي . ولكن مما لا يشك فيهِ على الاطلاق ان مطالب الصناعة كانت من البواعث القوية على توسيع نطاق البحث وترقية العلوم النظرية وخصوصاً في الطبيعيات والكيمياء ، فاتسعت بذلك كنوز المعرفة الانسانية

١٠ — زوال القساوة كمظهر من مظاهر الاجتماع وحلول الرأفة واللطف محلها. من كان يبكي لحدوث مجاعة في الصين ! . على ان التلغراف والآلة المصورة والراديو تحرك فينا عوامل الشفقة لحادث من هـذا القبيل فتغرورق العين بالدمع من جهة وتمدُّ اليد من جهة اخرى للبذل والاحسان

هذه الحسنات ليست وليدة الآلات وحدها ولكنها ظهرت وعظم شأنها في الزمن الذي اتسع فيهِ نطاق القوة الآلية وعظم شأنها والاثنان مرتبطان ارتباطاً وثيقاً

المساوى

١ — ازدياد الخطر من الحروب الآلية وهذا شر يزداد يوماً فيوماً

٢ — ازدياد التوتر في العلاقة بين العناصر التي تتألف من النظام الصناعي . فاذا اضرب فريق من العمال سرى الاضطراب الى النظام الصناعي سريان الحمى في الجسم . ان الارتقاء الصناعي وجهل الناس بنتائجهِ الاجتماعية يميلان الى التباعد كلما تقدما فاذا اتسعت الهوة بينهما حتى يتعذر عبورها اصيب العمران بتصدع في كيانهِ

٣ — استخراج كنوز الارض المعدنية بسرعة تبعث على القلق من غير ان يراعى فيهِ الاقتصاد والتوفير

٤ — ما يحلُّ بالعمال من السآمة والضجر وهم يرددون عملاً بسيطاً يوماً بعد يوم وسنة بعد اخرى من غير ان يحتاجوا في القيام بهِ الى استعمال الذكاء والفكر

٥ — التخصص في الاعمال يمزّق الثالوث المقدّس — ثالوث العمل والرياضة والفن — الذي قد لا توجد مندوحة عنهُ من وجهة بيولوجية

٦ — ان آلات الراديو والفونغراف والصور المتحركة قد مالت بالناس الى طلب السرور والطرب في ادوات مقلدة بدلاً من ان يطلبوها في مصدرها . فالصور المتحركة تقلد التمثيل وآلات الراديو والفونغراف تقلد الحفلات الموسيقية ولكنها لا تغني عنها والناس يكتفون بتلك عن هذه من غير ان يمارسوا الفنون الجميلة التي تبعث على الغبطة حقيقة

٧ — لقد زاد التخصص قيمة المال فغدا الناس يخلطون بين الثروة الحقيقية والثروة الفانية

٨ :— ان استنباط الآلات الجديدة واستعمالها سريع جدًّا يسدُّ باب العمل في وجهِ عدد كبير من العمال قبلما يتسع النظام الاجتماعي لهم في اعمال اخرى . فيكثر كذلك عدد العمال العاطلين وما يتصل بذلك من الشرور

١ — ان طرق الصناعة الحديثة تستنفد من العمال مقداراً من الحيوية والنشاط اكثر مما كانت تستنفدهُ طرق الصناعة القديمة . ولذلك يبلغ العامل في هذا العصر دور العجز عن العمل باكراً . فينشأ عن ذلك مشاكل اقتصادية واجتماعية تدور حول العناية بمعيشة هؤلاء العمال العاجزين

١٠ — ان كثرة الآلات وصنعها مقداراً من البضائع يفيض على حاجات الناس يؤدي الى ابتكار وسائل غريبة للتأثير في عقول العامة لبيع هذه البضائع فيختلط الامر على الجمهور . فشركات التبغ مثلاً تعلن بكل وسيلة ممكنة وجوب الاقلاع عن اكل الحلويات كالشكولاته وما اليها وشركات الحلويات تحذره من التبغ واضراره وهكذا

١١ — ان ازدياد الآلات والتوسع في استعمالها زاد متوسط الاصابات التي تنشأ عنها

١٢ — انتشار الاعتقاد بين الناس ان قيمة الصناعة تفوق قيمة الزراعة

١٣ — ازدحام المدن وكثرة الضجة والغبار والدخان فيها واثر ذلك الضار في الصحة

الحسنات الممزوجة بالمساوي

ثم هناك نتائج ترى فيها الحسنات الى جنب المساوي ولا استطيع ان ارجح احدى الكفتين

١ — ازدياد السكان واتساع نطاق مهاجرتهم . فعدد سكان الارض قد تضاعف والهجرة الى المدن على اعظم جانب من الوضوح

٢ — ان عصر الآلات قضى على البلدة التي يمكن ان تكفي ذاتها بذاتها . فانك لست تجد في اميركا الآن بلدة تستطيع ان تموّل سكانها وتكسوهم وتسقيهم وتأويهم . بما يصنعهُ ابناؤها فقط . وهذا يجعل نظام الانتاج الحديث نعمة اذا كان سائراً سيراً قويماً ويجعله شرّاً كبيراً اذا اختلّ بعض الاختلال

٣ — لقد قضت الآلات على وجوه البراعة في الاعمال القديمة واحلت محلها براعة من نوع جديد — كبراعة السائقين : سائق الطيارة او السيارة او سكة الحديد — فهل هذه البراعة اجدى على العمران ؟

٤ — لقد جرّدت الآلات ربة البيت من مهارتها في العناية بالبيت واحلّت محلها براعتها في لعبة البردج واشتراء الاثواب والبرانيط والاختلاف الى الاندية — وهذه خسارة كبيرة . الاَّ انها وضعت الاساس لاستقلال المرأة الاقتصادي ومساواة النساء بالرجال — وهذا في رأيي ربح كبير

٥ — ان عصر القوة قد حطَّم الى حدٍّ بعيد القواعد الخلقية التي بنى عليها نظام العائلة ككل ما يتعلق بالزواج وعلاقات الجنسين والدين . والمفكرون مختلفون في فائدة ذلك وضرره

٦ — قد قضت الآلات على عصر الفن القديم . ولكنها اخذت تنشىء عصراً فنيًّا جديداً ظهرت فيهِ حتى الآن آيات ممتازة

٧ — لقد حطت الآلات من قيمة بعض المصنوعات كما انها اتقنت صنع غيرها . وقد اصبحت طائفة كبيرة من المصنوعات مما يتعذر صنعهُ الاَّ بالآلات كالادوات اللازمة في باخرة من البواخر الحديثة مثلاً

٨ — الميل في هذا العصر الى الاعتماد على ما هو مكتوب كاساس للعلم بدلاً من الاعتماد على الاختبار شأن الصانع في العصور الوسطى . وهذا يبعدنا عن الحقيقة ولكنهُ يوسع امامنا ميدان العمل

٩ — حين يترك العامل كوخهُ لينتظم في سلك مصنع يفقد استقلالهُ . انهُ يتخلى عن ادواتهِ ليعمل بادوات رجل آخر . فاذا كان صاحب المصنع لا يعنى بشأن عمالهِ فالعامل في عملهِ الجديد اسوأ حالاً منهُ لما كان مستقلاً . اما اذا كان صاحب المعمل يعنى عناية خاصة بعمالهِ فحالة العامل تتحسن والصناعة ترتقي

الطبيب والمعمل[1]

نظر نقدي

بقلم الدكتور انيس انسى بك
رئيس القسم الباثولوجي بمعامل الصحة الفنية بالقاهرة
وأستاذ علم الباثولوجيا بكلية الطب المصرية سابقاً

تاريخ اتصال المعمل بالطبيب أو الجراح حديث العهد جداً وخصوصاً في هذا البلد، وقد اخذ أطباؤنا الاهتمام بالابحاث المعملية والتحاليل عن الامم الغربية، كما هو الحال في كل شيء جديد. وعلى ما أذكر — الى عهد قريب جداً — اقتصر هذا الاهتمام على تحليل البول مدة من الزمن، ثم تبع ذلك الاهتمام بفحص البراز وخصوصاً للديدان (وفي مقدمتها الانكلستوما)، ولاسيما بعد التجارب العديدة التي قام بها الاستاذ لوس (Prof. Looss) لمعرفة طريقة العدوى بهذا الوباء الخطر — وليسمح لي بان أسميه وباء وأن أضم اليه مرض البلهارزيا، فان من راجع التاريخ يجد ان سكان هذا القطر السعيد كانوا عرضة بل طعمة للطاعون والكوليرا، إذ كان يموت مئات الالوف من السكان في بضعة شهور من آن الى آخر الى ان اتخذت الاحتياطات الصحية وغيرها فزاد التعداد، ولكن للاسف الشديد ما الفائدة من زيادة العدد لاناس مصابين بمرضين وبيلين (الانكلستوما والبلهارزيا) يقعدان بالمصابين عن العمل حتى ان أغلبهم لا يمكنهُ أن يقوم باشغاله اليومية الضرورية الا بكل مشقة. ونتائج هذا في بلد زراعي يحتاج الى اليد العاملة ماثلة امامنا، خصوصاً إذا قارناها بحالة الاقطار الزراعية الاخرى التي لم ينكب اهلها بهذه الامراض. وتبع الاهتمام بفحص البراز العناية بفحص الدم، وهذا على ما اذكر ابتدأ في مصر حوالي سنة ١٩١٠م واتذكر ان اولى حالات الفازرمان عملت حوالي تلك السنة: ثم ازدادت أهمية ذلك سنة فسنة حتى نرى الآن أن هذا الامتحان (امتحان تثبيت المكمل) ليس قاصراً على تشخيص السفلس بل صار يطبق في امراض أخرى، كما انهُ لم يقتصر على مصل الدم بل تناول السائل المخي الشوكي وغيره من سوائل الجسم أيضاً

---

[1] عنوان كتاب طبي كلينيكي ظهر حديثاً للدكتور احمد زكي ابو شادي في نحو الف صفحة ويشتمل على ثلثمائة وستين صورة وهو يطلب من مطبعة المصور وثمنه ١٥ قرشاً

وبعد فأزاء كل هذا لن يفوت مثلي الانتباه الى كل ما له صلة بالابحاث المعملية في مجال الدراسة والارشاد لتقدير هـذه الابحاث والانتفاع الواجب منها . وامامي الآن فصول كتاب (الطيب والمعمل) لزميلي الفاضل الدكتور ابو شادي شاملة خطبتين جامعتين القاهما أمام (الجمعية الطبية) بالاسكندرية وتناول فيهما بطريقة الاستعراض العملي أهم المباحث البكتريولوجية والبيولوجية والمكرسكوبية الخاصة بتسهيل التشخيص الطبي ، وقد اردفهما بفوائد شتى متنوعة جليلة القيمة سواء كانت تأليفاً أو اقتباساً او تلخيصاً او تفصيلاً وأبت روحهُ التعاونية المحمودة الا أن يشرك في عمله القيم من شاء التعاون من زملائه القديرين ، كل في دائرة اختصاصه وذلك زيادة في نفع تأليفه ، دون ان يفرط في ربط هذه المباحث العديدة بعضها ببعض ربطاً محكماً مع عرض صنوف المختار من المفردات والاساليب العلمية الطبية ، وهكذا كان موفقاً كل التوفيق فيما شاءه من خدمة العلم الصرف والادب العلمي معاً . لذلك يسرني الترحيب بظهور هذا الكتاب العملي الهام في اوانه ، خصوصاً وأن مؤلفهُ ذو مطامح علمية واسعة ، ويودُّ أن يتبعهُ بما هو اهم من رسائل وكتب في اختصاصه الطبي

وأظن أن خير تعليق على مواد هذا الكتاب يكون بتتبع مباحثه الاصلية مع الالتفات الخاص الى ما تعلق بخبرته الخاصة، وما اشار اليه من أثر ذلك في نتائج بحثه وفي تشخيص الحالات المبهمة . ويحول المجال الذي أمامي دون الاسهاب او تناول العديد من الفوائد التي ذيلت بها خطبتا الكتاب ، سواء كانت من قلم المؤلف أو من أقلام زملائه الافاضل ولا يفوتني هنا ان احمد للمؤلف نشره قائمة المراجع التي ختم بها الكتاب تبرئة لذمته وارشاداً لمن يريد زيادة الاطلاع والتوسُّع . وأرجو أن يعدَّ مقالي هذا بمثابة استعراض نقدي على سبيل المثال ، اذ بديهي انهُ ليس في الامكان التعليق الضافي على كل شيء في هذا التأليف الحاشد دون أن يتضخم حجمهُ ودون الاستهداف للتكرار وان كنت لا انكر للاستعراض النقدي قيمتهُ العلمية والادبية معاً ولكن مالا يدرك جله لا يترك كله

***

بدأ الخطيب المؤلف محاضرتهُ الاولى بالحث على الاهتمام العام بأبحاث المعمل حتى يكون الطبيب الكلينيكي عارفاً لاحدث طرق التشخيص قادراً على الانتفاع الاتم ونعى على المتنطعين تقدمهم لكل من لا يقتصر على علم خاص ولا يكتفي بضيق معلوماته ، وكان رأي المؤلف أننا برغم الحاجة الى التخصص اصبحنا في زمن يحتاج اليه الطبيب — كيفما كان تخصصهُ — الى الالمام العام حتى يستطيع ان يطبق تخصصهُ أحسن تطبيق بالاشتراك مع زملائه الاطباء

الآخرين حين تقتضي الاحوال. وكما أن العرفان العام امر واجب على كل رجل منقف في هذا العصر وعلى كل امرأة منقفة أيضاً ، فكذلك الالمام الطبي العام من أمس الواجبات على كل طبيب عصري يعرف واجباته الفنية : هذا الشعور هو ما شجع المؤلف على القاء محاضرتيهِ التين نحن بصددها . أما ملاحظتي الخاصة على ذلك فهي أني أرى الى جانب أهمية الالمام العام والاعتماد على المعمل في التشخيص خطر الاتكال الكلي على المعمل بحيث يصبح الطبيب الكلينيكي مهملاً في واجبات التشخيص المتعلقة بهِ ذاتياً ، والاسراف في كلتا الناحيتين ضرر يجدر بنا التنبيه اليهِ لتلافيهِ

وقد استهل المؤلف محاضرتهِ الاولى بالكلام على الامراض الطفيلية بادئاً بمرض البلهارزيا ، ومن النقط الاصلية في محاضرتهِ التي وجه اليها انظار الاطباء : —

(١) اعطاء حقنة طرطير منبهة في الحالات المبكرة المشتبه فيها (حينما لا توجد بويضات البلهارزيا في البول أو البراز) أسوة بحقنة الـ ٦٠٦ أو الـ ٩١٤ المستثيرة في مرض السفلس

(٢) تفضيله استعمال زجاجة الساعة بدل الشريحة مما يمكنهُ من فحص كل رواسب البول دفعة واحدة . وربما لم يجد سوى بويضة أو اثنتين برغم كل هذه الحيطة في العينة وهذا مما يؤيد أن النتيجة السلبية لا يعول عليها ما لم يكرر الفحص وخصوصاً بعد إعطاء حقنة منبهة

(٣) إشارتهُ باستعمال حامض الخليك التي مضافاً الى الراسب لاذابة كريات الدم الحمراء في العينات الشديدة التشحط بالدم حتى يسهل بعد ذلك فحصها

(٤) إشارتهُ إلى تعريق البراز بالصفراء في كثير من احوال البلهارزيا المانسونية (بلهارزيا الامعاء) ، وذكرهُ أن أكثر أسباب الاسهال الاخضر عند البالغين في مصر يرجع إلى البلهارزيا

(٥) إشارتهُ إلى أن صورة الخلايا غير الطبيعية (الخلايا الصديدية والخلايا البشرية من غشاء الامعاء المخاطي) مما كان ينسب سابقاً إلى الديسنطاريا الميكروبية ليس في الواقع قاصراً عليها خصوصاً في المناطق الحارة . بل انهُ مما يشاهد كثيراً في مصر في حالات البلهارزيا المعوية وفي بعض حالات العدوى الطفيلية

وبودي أن أضيف إلى هذه الملاحظات ما يأتي : —

(١) في حالات البول الدموي (لا سيما في الاحوال الخاصة إذ لا توجد عجلة في إعطاء النتيجة ، على ضد احوال المستشفى) يشار على المريض — إذا ما كانت النتيجة سلبية ، كما هو الغالب في هذه الحالات — إن ينتظر حتى تزول نوبة البول الدموي لانهُ

في اثناء النوبة تكون عضلات المثانة مرتخية ويقل طرد البويضات من الانسجة المثانية بينما البويضات التي تخرج من الاوعية الشعرية في الحالات المبكرة جداً قليلة للغاية. ويلاحظ أن النزف البولي هو عادة ناشيء عن انفجار الاورام الحلمية (البابلومات : papillomata) المسببة عن التغيرات المزمنة الناشئة تحت الغشاء المخاطي من تهييج بويضات البلهارزيا لهذه الانسجة العميقة

(٢) في بعض الحالات المشتبه في عدواها بالبلهارزيا يلاحظ في فحص الراسب البولي فحصاً ميكرسكوبيًّا وجود كثير من الخلايا البشرية للمثانة اغلبها متجمع في طوائف تحتوي كل منها ما لا يقلُّ عن العشرين خلية فما اكثر ، ويكون البول عادة حمضيًّا الاَّ في حالات التقيح والاحتباس . وهذه الحالة تنم غالباً على وجود سرطان بالمثانة سواء كان السبب الاصلي بلهارزيا (وهو الغالب في مصر) او ثانويًّا عن سرطان في البروستاتة ، وهذا الاخير يكون مصحوباً عادة بصديد كثير ويكون البول عادة قلويًّا

وليست عندي ملاحظات إضافية على ما ذكرهُ المؤلف عن تشخيص الانكلستوما حيث قد وفى الموضوع حقهُ من كل نواحيهِ العملية . ويجب أن لا ننسى أن عدد الكريات الحمراء الطبيعي عند المصريين البالغين هو سبعة ملايين كرية فأكثر ، يقابلها خمسة ملايين كرية عند الاوربيين ، وبناء على ذلك لا يستغرب انخفاض العدد عن ٣ ملايين كرية (بدل مليون عند الاوربيين) في حالات الانكلستوما بين المصريين

وأما عن الاتميبا : فقد ارتحت الى التدقيق الكلي وإلى التحذير الذي وجههُ المؤلف إلى أطباء المعامل وإلى الاطباء الكلينيكيين على السواء . وليس يُنكر أن بعض الجهات تستوطنها الاتميبا ، ولكن الغالب ان هناك مجازفات كثيرة في تشخيصها الايجابي .واذكر في خلال الحرب العالمية أن كثيراً من حالات الاسهال المرضية كانت تشخص ايجابية للاتميبا ، ولكني عند فحص ماكان يعرض عليَّ منها (وكان ذلك كثيراً في تلك الايام) ما كنت استطيع العثور لا على الاتميبا ولا على اكياسها . وقد شكوت ذلك مرة الى احد اعلام رجال البحث المختصين فأمن على شكواي وقال لي : ثق يا عزيزي بأن عدد القادرين على تشخيص الاتميبا تشخيصاً لا يعتوره الشك محدود جداً . وأنا اوافقك كل الموافقة على ان كل هذه التشخيصات الخاطئة مبنية على تخيلات نظرية

وأما عن الطفيليات الاخرى : فقد همني العثور على اللامبليا في حالات كثيرة من الاسهال الشبيه بالدبسنطاريا في الاسكندرية ، ولا يمد مع التدقيق العثور عليها في جهات اخرى من القطر ،وقد عثرت شخصيًّا عليها في احوال اسهال شديد في القاهرة في بعض

الاحيان ، وعلى ذلك اوافق المؤلف على اعتبار اللامبليا سبباً من اسباب الاسهال المرضي في مصر على الاقل

وأما عن الديسنطاريا الميكروبية : فقد كانت العادة قديماً اعتبارها قليلة الحدوث بالنسبة الى الديسنطاريا الاميبية اللهم إلاّ في السجون والبيمارستانات ، وبين الجموع المحتشدة كالجيوش والحجاج ، ولكن تقدم الابحاث العلمية الحديثة اثبت نقيض ذلك اي انها موجودة بكثرة وبحالات انفرادية . بيد انهُ يخشى ان تحدث مغالاة في تقدير وقوع هذا النوع من الديسنطاريا ، خصوصاً اذا اعتمد في التشخيص على الفحص الميكرسكوبي فقط : اي على تمييز انواع الخلايا الموجودة في البراز . وهذا ما حذرنا منهُ المؤلف، لان الصورة الميكرسكوبية ليست قاصرة على الديسنطاريا الميكروبية في مصر على الاقل حيث تكثر الطفيليات وتشتد وطأتها

وأما عن الحمى المعوية : فالى جانب اشارة المؤلف الى خطورة التبكير بالفحص عن طريق زرع الدم يهمنا ان نذكر الحقيقة التاريخية الآتية : وهي ان الحمى التيفودية كانت منتشرة في القطر المصري في الماضي اي قبل تقدم الصحة العامة بحيث أنها كانت من امراض الاطفال المعدودة ، وكانت تحصد ارواحاً كثيرة كل عام لم يقدرها اي احصاء. وفي ذلك الوقت لم يكن تفاعل فيدال ولا غيره معروفاً ، وكان التشخيص قاصراً على العلامات الكلينيكية . وهذه — كما نرى الآن — لا يمكن التعويل عليها لتشخيص المرض. من اجل ذلك صار تفاعل فيدال ايجابيًا بكثرة في الوطنيين (المصريين) وصارت وطأة المرض خفيفة عليهم اذا قيست بوطأتهِ في الاجانب. وهذا سبب المناعة النوعية في المصريين. ولذلك صار من المحتم علينا ان لا نعتمد على تفاعل فيدال وحده في تشخيص الحمى التيفودية والباراتيفودية ، ولا بد اذن من الاهتمام بزرع الدم والبراز والبول

ولا ملاحظة عندي على ما ذكره المؤلف عن التيفوس والدفتيريا والسيلان ، فان ما ذكره فيهِ الفنية الكافية . وأما عن السفلس فقد اصاب المؤلف حقـاً بما ذكره عن تفسير تفاعل فازرمان . وكل طبيب بكتريولوجي لا بد ان يكون قد وجد في هذه المآزق التي يسببها جهل المرضى او تقصير الاطباء الذين لا يعرفون تقلبات هذا التفاعل في احوال مختلفة حسب سير المرض والعلاج وطبيعة الدم

واني شخصيًا اؤثر تفاعل فازرمان (حسب الطرق الحديثة المهذبة) على ما سواه من انواع التفاعل البيولوجي لتشخيص هذا الداء . ويجب ان لا ننسى ان بعض الشعوب (كالشعب السوداني) يثبت دمه مكمل المصل بدرجة عالية ، وفي هذه الحالة ينبغي عمل

ضابط مصل (serum control) بالنسبة للمكمل في كل حالة . فربما امتص مصل الرجل السوداني من المكمل عشرة اضعاف القدر المعتاد طبيعيًّا ، فلو اهمل التدقيق في هذا الضابط المصلي لظهرت الحالة إيجابية بدل ان تكون سلبية . ويصح اعتبار الشعوب الافريقية مجالاً بكراً للسفلس كما حدث في وباء سنة ١٩٠٥ ، في يوغاندة وما جاورها من اختلاط حاملي العدوى البيض بالاهالي السود ، اذ كان يفتك السفلس بهم فتك الطاعون في اسابيع قليلة منتهياً غالباً بالموت. وعلى الضد من ذلك حالة اي شعب ذي مدنية قديمة كالمصريين حين يصابون بالسفلس كمرض عادي جدًّا من ابتدائي وثانوي وثلاثي . وخبرني هنا ما لاحظته من ندرة الاصابات الموازية للسفلس (parasyphilitic lesions) في مصر، اذ ما وازناها بنظيرتها في اوربا وفي الشعوب الاخرى الحديثة المدنية . ويزيد هذا الاعتقاد اذا ما لاحظنا ان اغلب مرضانا لا يعالجون الا علاجاً اوليًّا . ويجب ان نذكر هنا أتماماً للفائدة ان تثبيت المكمل بدرجة قوية لا يدل على قوة المناعة الطبيعية لانه صفة ذاتية للدم personal character of the blood) ولا يعرف سببه الحقيقي ، كما قد يلاحظ ازدياد عدد الكريات الحمراء في اغلب الشعوب الملونة دون ان يدل ذلك على الصحة ، فقد يكون العدد مثلاً ٣ ملايين كرية بدل مليون كرية في حالات الانكلستوما

وأما عن الدرن : فمن المستحسن في حالات النزف الصدري الانتظار حتى يزول النزف قبل امتحان البصاق ميكرسكوبيًّا اذ الغالب ان تكون النتيجة سلبية حينئذٍ وهذه بطبيعة الحال لا قيمة لها . ولا بد من اعادة الفحص بعد زوال النزف ، ويجب ان لا ننسى ان درن الاطفال كثيراً ما يكون محتبساً بحيث يستحيل ظهور الباسلس في البصاق، ولا مفرّ حينئذ من الاعتماد على تفاعل فون بيركت او على تفاعل كليت . هذا والمعروف ان السائل البلوراوي في حالات الدرن يكون سلبيًّا عادة للباسلس ، اللهم الا في حالات الالتهاب الرئوي البلوراوي الدرني (T. B. Pleuro-pneumonia) فقد وجدته شخصيًّا بكثرة في السائل البلوراوي . ومن اجل ذلك اشير بضرورة امتحان السائل البلوراوي امتحاناً بكتريولوجيًّا في جميع الاحوال . وأذكر حالة من سنوات عديدة لاحد اغنياء المصريين شخصت تيفوداً اعتماداً على سير الحرارة وعلى تفاعل فيدال (وقد ذكرت سابقاً عدم اهمية هذا التفاعل في الوطنيين) ثم ظهرت علامات تجمع السائل البلوراوي ، فاعتبر هذا بطبيعة الحال من مضاعفات التيفود ، وأرسلت اليَّ عينة لفحصها بكتريولوجيًّا خوفاً من وجود ميكروبات صديدية مسببة ديلة (امبيما : empyema) فلاحظت ان الخلايا الغالبة هي اللمفاوية ، ولذلك خطر لي ان اصبغ العينة لباسلس كوخ (باسلس

الدرن) ، ولعجبي كان الباسلس موجوداً فعلاً بكثرة ، كأنما العينة محضرة من البصاق!
ومنذ ذاك الحين واصلت اهتمامي بفحص كل عينة سائل بلوراوي لاجل الدرن ، وكانت
النتيجة العامة في السنين العديدة التي اشتغلت فيها مما لا يستهان بها

وأما عن الملاريا والراجعة : فأرى ان التشخيص يستحق عناية وخبرة ، فقد تؤدي عدوى الملاريا الى اصابات خطيرة : فبعضها لا يظهر فيه بتاتاً مرض الملاريا من الوجهة الكلينيكية مثل الشلل الناشىء عن اصابة المخ بالملاريا وخصوصاً الحينئة منها

واما عن الفيلاريا : فتاريخها الكلينيكي وامتحان البول مما يدلنا على وجودها دلالة قوية ، وإن أدى امتحان الدم الى نتيجة سلبية بسبب انحباس الاجنة

واما عن الالتهاب السحائي : فما يجدر بنا تذكره أن هناك حالات شديدة ووثابة فيها المنتجوكوك بدون تفاعل : اي بدون وجود خلايا صديدية ، وإن تكن هذه الحالات نادرة جداً

واما عن القرحة الرخوة : فيجب أن لا يكون التشخيص كلينيكياً فقط لان السفلس غير مأمون في مظاهره الاولى ، وقد يتخذ شكل القرحة الرخوة . وكم من خدش بسيط انتهى بظهور العلامات الثانية للسفلس : مثال ذلك وجود خدش بسيط في حالات السيلان ، فيعالج المريض من عدوى السيلان بدون اهتمام بذلك الخدش الذي قد يزول ايضاً حينما هو في الواقع عدوى سفلسية متخفية

***

هذه ملاحظات وتعليقات عنت على سبيل المثال لا على سبيل الاستقصاء عند اطلاعي على هذا الكتاب المفيد الحاشد الذي قرأته باستمتاع واف ، فقد يطول بي الحديث عن كثير من المسائل والمباحث العملية التي أشار اليها المؤلف ، وخصوصاً امراض الدم وتشخيص الحمى التيفودية ، وما ذيل به الكتاب من الفوائد العملية والعلمية المتنوعة

***

ولي كلمة اخيرة عن صلاحية اللغة العربية لاستيعاب العلوم العصرية الطبية : فاقول ان هذا الكتاب برهان آخر على اهلية لغتنا العدنانية للقيام بهذه المهمة حينما وجدت العناية بها والرغبة الصحيحة في استعمالها . وأرجو أن تستقبل العربية ومعاهدنا الدراسية العالية في هذا العهد — كما نالت في الماضي ايام نهضتنا التعليمية الاولى — الكثير من المؤلفات القيمة في شتى العلوم والفنون ؟

باب شؤون المرأة وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

العناية بالاطفال

حجرة الطفل

بعد بضعة عشر يوماً قصد كريم الى عيادة صديقهِ الدكتور فوجد غرفة الانتظار غاصة بسيدات واطفال وسمع الدكتور يتحدث الى سيدة في غرفة الكشف وعلى صدرها طفل عمرهُ سنة او دون السنة بقليل هزيل الجسم شاحب اللون منتفخ البطن بارز الوجنتين مجعَّد الوجه غائر العينين وهو يقول لها :

ان ما يشكو منهُ ولدك هو داء الكساح وهذا الداء كثير الشيوع في الاطفال ومن اهم اسبابهِ سوء التغذية . فلو كانت الوالدة تدرك نتيجة اهمالها تغذية طفلها وانهُ يؤدي بهِ الى هذا المرض لكانت ولا شك تجنبتهُ وحرصت اشد الحرص على تغذيتهِ وتنمية عوده على خير نظام وضعهُ العلماء المتوفرون

ثم التفت الى كريم وقال لهُ الا ترى انهُ قد حان للحكومات وللجماعات الراقية في كل امة ان تنهض لمعالجة هذا الضعف في جزء كبير من جسم الامة بل في اهم جزء منهُ والنظر الى هؤلاء الاطفال والى ما بهم من مرض. وانت تعلم ان اسباب ما يشكون منهُ الجهل اولاً والاهمال ثانياً فلو قدر لهم ان ينشأوا على قواعد صحية لكان حظهم من الحياة اوفر وشقاؤهم فيها اقل

كريم — اني قدمت اليك لاقف على رأيك في الحجرة التي نخصصها لممدوح والشروط التي يجب ان تتوافر في تأثيثها ولم يكن يدور في خلدي ان الاقي مثل هذا الجمع الكبير من الاطفال اسيء اليهم في تربيتهم وانماء عودهم من غير ذنب اقترفوه سوى انهم ابناء الطبقة الفقيرة في الامة

الدكتور — ان اهم الشروط الصحية في غرفة الطفل ان تكون واسعة حتى يسهل تجديد هوائها ودخول اشعة الشمس المطهرة اليها لان الطفل يقضي معظم السنة الاولى ضمن جدرانها وان يكون اثاثها قليلاً وبسيطاً مريحاً وان تكون خالية من الستائر وما الى الستائر والسجوف من الكماليات التي لا حاجة ماسة اليها ويجب ان يبقى هواؤها طلقاً وان لا تطهى المآكل فيها وان تضاء في الليل بشمعة كهربائية صغيرة الحجم كي لا تؤثر الاضواء الكبيرة في حرارة جوها . كذلك لا يستحسن ان يترك في القرب من سرير الطفل ثياب او روافد مبلولة

كريم — ماذا يجب ان تكون درجة الحرارة فيها في النهار وفي الليل

الدكتور — في النهار بين ٦٤ و٦٨ بميزان فارنهيت والاَّ تزيد عن ٧٠ الاَّ في احوال خاصة مثل ضعف في بنية الطفل او مرض . وفي الليل ٦٥ في مدة الثلاثة الاشهر الاولى من حياة الطفل واما بعد هذه المدة فتنزل الى ٥٥ في العام الاول وثم الى ٥٠ او ٤٥ بعده. وللاستدلال على درجة الحرارة يستعمل الميزان المعروف ويعلق على ارتفاع ثلاثة اقدام من الارض

كريم — هل يستحسن فتح النوافذ في الليل ؟

الدكتور — متى بلغ الطفل ثلاثة اشهر من العمر لا يخشى عليهِ من فتح النوافذ وتجديد هواء الغرفة وابقاء نافذة صغيرة مفتوحة في الليل

كريم — كم مرة يجب تجديد هواء الغرفة

الدكتور — مرتين على الاقل في اليوم فبعد ان يستحمَّ الطفل في الصباح وقبل ان ينام عند المساء ويجب ان يتجدد هواؤها تجديداً تامًّا والاَّ يبقى الطفل فيها في اثناء تهويتها

كريم — ما هي الاعراض التي تظهر على الطفل اذا كان يعيش في غرفة دافئة اي اذا كانت درجة الحرارة فوق المعتاد

الدكتور — يظهر عليهِ الهزال وعدم الاكتراث للغذاء فيفقد كثيراً من وزن جسمهِ ويشحب لونهُ ويسوء هضمهُ ويتقيأ كثيراً ويتصبب جسمهُ بالعرق ويصاب بالزكام ولا يشفى من زكام الا ليصاب بزكام آخر وسبب ذلك ان حرارة الغرفة في الداخل اعلى من حرارة الجو في الخارج وقد يشتبه انهُ مصاب بمرض معوي او رئوي

تعرض الطفل للهواء الداخلي

كريم — متى يبدأ بتعريض ممدوح للهواء وكم من الوقت تستغرق مدتهُ ؟

الدكتور — يبدأ بتعريض الطفل للهواء عند ما يتم الشهر الاول ولا يمنع ذلك اذا

كان الطقس بارداً الاَّ اذا كان الطفل مريضاً او ضعيف البنية . ومدة التعرض يجب الا تتجاوز في البدء خمس عشرة دقيقة على ان تزاد كلَّ يوم قليلاً الى ان يصبح الوقت الذي يعرض فيهِ الطفل للهواء كل يوم ٤ ساعات ويجب المحافظة على هـذا النظام من غير خوف ولا اعتبار لمختلف احوال الجو

كريم — الا يخشى على الطفل ان يصاب بالزكام اذا تعرض للهواء كما ذكرت

الدكتور — كلا لا ضرر ولا خوف عليهِ اذا كانت مدة التعرض قصيرة في البداية ثم تزاد بالتدرج الى ان يتعودها جسم الطفل ويألف ما فيها من تغيير سواء كان هـذا التغيير في الاحوال الجوية او في الزمن الذي يستغرقهُ التعرض . وهذا التعرُّض التدريجي يكسب جسمهُ المناعة ويقيه من مرض الزكام ومضاعفاتهِ التي تنشأ عنهُ وهي كثيرة ومعظمها خطير

كريم — كيف تعرض ممدوح للهواء ارجو أن تصف لي ذلك تماماً

الدكتور — يغطي رأس الطفل ويلبس ثياباً خفيفة ثم يوضع في سريره على مسافة غير قصيرة من الباب ثم تفتح نوافذ الغرفة . ويجب ان نحترس من ان نضع الطفل في مجرى الهواء

تعرض الطفل للهواء الخارجي

كريم — في اي سن يمكن ان يخرج بالطفل الى الفضاء

الدكتور — يعرض الطفل للهواء الخارجي في زمن الصيف وهو في الاسبوع الاول اما في الربيع والخريف فالافضل ان يبقى في البيت الى ان يبلغ من العمر ثلاثة اسابيع على الاقل

وأما في فصل الشتاء فخروجه يتوقف على جو الاقليم الذي يعيش فيهِ . ففي المدن الكبرى يخرج بهِ في الايام غير الممطرة وهو في الثلاثة الاشهر الاولى من العمر ويستحسن ايضاً بقاؤه في البيت وقاية له من الغبار وما يحمله من الجراثيم وتعريضه للهواء الداخلي على الطريقة المار ذكرها الى ان يصير عمره ستة اشهر

كريم — ما هي افضل الاوقات التي يخرج بها الطفل الى الفضاء

الدكتور — في الايام الحارَّة يفضل خروجه في الصباح والمساء على وقت الظهر وأما في ايام البرد فلتكن نزهته بين العاشرة صباحاً والثالثة بعد الظهر ويتوقف تعيين هذا الوقت على اقليم البلد الذي يكون الطفل مقيماً فيه

كريم — ما هي الاوقات التي يجب ان لا يخرج الطفل فيها للنزهة

الدكتور — يوم تشتدُّ الرياح وتزداد برودة الهواء وتغطى الارض بالثلج ولا يخرج بالطفل في اي الاحوال الجوية الرديئة قبل ان يصير عمره ثلاثة اشهر ولا تنطبق هذه القواعد على الاطفال الضعفاء فهؤلاء يحتاجون الى الهواء الطلق كثيراً بقدر ما هم في حاجة الى وقايتهم من البرد او الزكام

ثم التفت الى السيدة الجالسة في القرب منه وقال لها : كم عمر طفلك ؟

قالت — تولد في العيد الصغير اللي فات

قال — ومتى مرض ؟

قالت — انه مريض من زمان قوي

قال — من شهرين او ثلاثة اشهر

قالت — زي كده

قال — اتتذكرين كيف ابتدأ مرضه

قالت—تولد حلو وسمين وبعد شويّ ابتدأ يخس وصار يسهل ويقح ويتقيَّأ وماعدش ينام في الليل زي عادتو وكان بيوقف و يقعد وحدو

قال — كيف كنت تغذينه ؟

قالت — كنت اعطيه البزّ (اي الثدي) كلما سمعتو يبكي وعند النوم اترك البز في بقو (فمه) وكان ياكل شيء ولما صار معو اسهال قالوا اعطيه لبن دكر ولبن بقر فصرت اعطيه لبن بقر ووكاو كل شيء مناكلو .وكان الطفل نائماً في حجر والدته وقدماه عاريتان وثيابه رثة وقذرة

فقال الدكتور — الا تغيرين ثيابه

قالت — بقالي حبه كبيرة ماغيرتش ثيابو ولا غسلت عينيه ولا وشُّو وبتقول نينتي حتى بلوش ابداً

فقال الدكتور موجهاً كلامه الى كريم — هذا الطفل له امثال يعدون بالمئات بل بالآلاف والامراض تنتابهم وتحصدهم من غير شفقة ولا حنان

الدكتور شخاشيري



باب الزراعة والاقتصاد

الاقتصاد الريفي

نشوء هذا العلم الجديد — غرضه ووسائله
وجوب العناية بهِ في مصر

اخذ علم الاقتصاد الريفي يتكون وينفصل رويداً رويداً عن علم الاقتصاد العمراني . وليس المقصود من العلم الجديد ما نعرفهُ باسم الاقتصاد الزراعي . فمدار بحث العلم الجديد هو الانسان ممثلاً في (العمل). وبمعنى آخر يحاول الدعاة الى هذا العلم ان يفسروا موارد الثروة الثلاثة رأس المال والارض والعمل بغير التفسير المعروف . ففي نظرهم ان العمل ايجابي في الانتاج في حين ان الموردين الآخرين سلبيين وان الانتاج يحصل من اجل العمل او (العامل)

ان قصة نشوء هذا العلم مدعاة للعجب فقد لاحظ المشتغلون بالامور الاقتصادية كما لاحظ السياسيون ايضاً اندفاع سيل المهاجرة من الريف الى المدن فحاولوا صده بكل ما توصلت اليهِ افهامهم من الوسائل ولكنهم اخفقوا. واخيراً في فجر القرن الحالي سأل احد مفكري الاميركيين السؤال الآتي : « لم يَغمط الفلاح حقهُ في متابعة الروح العصرية باهمال وسط الحياة الريفية حيث يبدو العمل على اقبح صورة فيزهد ذوو المطامع واهل المواهب في الاقامة بين الحقول بينا يتمتع اخوهم العامل المدني بقسط وافر من الثقافة واللهو ؟ » وحقيقة شاهد الناس ان اوساط المدن مستكملة وسائل التقدم المادي والمعنوي ففيها المدارس والمستشفيات وكل ما يسبب الغبطة في حين ان الريف محروم من كل ذلك

اذن كان اول ما خطر ببال الاقتصاديين ان هذا هو الدافع الى هجرة الفلاح الى المدن تاركاً وراءهُ الايراد المضمون متوجهاً الى حيث هو مجبر على الكفاح ومزاحمة جيش العاطلين. وكان اول ما خطر ببال الاجتماعيين ان صرح العائلة اخذ يتقوض في المدن فاذا ما انهد انهار على اثره نظامنا الاجتماعي ووجدوا ان الريف هو حصن العائلة المنيع ففيهِ يجب تثبيت

هذا النظام لان الريف هو المورد الذي تستمدُّ منهُ الامم الافراد الذين يشيّدون عظمتها بقوة عقولهم واذرعهم والريف انسب بيئة لنمو المدن

فقامت فئة من الاميركيين لتعمل على رتق الخرق قبل اتساعهِ فانضم اليها الرئيس روزفلت بعد عام من انشائها اي سنة ١٩٠٨ واخذت تدعو الى العمل على رفع المستوى الحيوي والفكري للريفيين وبالفعل قدمت الاقتراحات تلو الاقتراحات لدار الندوة فلم تعرها اذناً صاغية فلم يفلَّ هذا الاهمال من ساعد الجماعة بل جمعوا شملهم وهبوا لنشر الفكرة في كل صقع عن طريق الجرائد والمجلات والاجتماعات والنشرات واخيراً نجحوا في اكتساب احدى الجامعات الى صفهم عام ١٩١١ فانشأت من تلاميذها فرقة لمساعدة الحركة الجديدة ولم تأتِ سنة ١٩٢٢ حتى آزر الحركة اربعون جامعة من ثمانية واربعين جامعة عامة في الولايات المتحدة وانشأت لها فرقاً ليس للمساعدة فقط بل لدرس الحياة الريفية الامر الذي اضطرت معهُ بعض الجامعات الى انشاء كراسي (للاقتصاد الريفي) تعمل على درس العامل بصفته انساناً لهُ غايات وآمال ورغبات وامثلة عليا. وقد اصبح رواد هذا العلم في الوقت الحاضر اساتذة الجامعات يحيط بهم تلاميذهم المستعدون للقيام بكل ما يطلب منهم عملهُ . ففي اوقات الدراسة يتلو الاستاذ على طلبتهِ ما توصل اليهِ من المعلومات ويلقي عليهم الارشادات اللازمة حتى اذا حلّت العطلة المدرسية انتشر الشبان والشابات في القرى لتنفيذ امرين اولهما جمع البيانات اللازمة وارسالها الى اساتذتهم لتمحيصها وتبويبها وثانيهما نشر حياة الجامعات الاجتماعية في انحاء الريف

يقولون ان جامعات اميركا ليست مدارس قدر ما هي مصانع همها تحويل كل من يلجها من ابناء البلاد او من المهاجرين الى بضاعة اميركية صرفة فهناك يتشرب الطلبة روح النظام الذي يمدهُ الاخصائيون المثل الاعلى للحياة التي يجب ان تكون عليها الولايات المتحدة . فالطلبة الذين يتلقون عن اساتذتهم اسمى الآراء الاجتماعية هم الذين يجعلون من انفسهم امثلة حية في الاوساط التي ينزلون فيها في اجازتهم الصيفية

اما البيانات التي يجمعونها فتدور على حالة المنطقة التي ينزلون فيها مثل عدد المنازل وعدد السكان وكم منهم ارباب عائلات وماهو عدد المتزوجين والارامل والذين لم يتزوجوا وعدد المعتمدين على كل رب العائلة ومقدار دخل العائلة وماهو عدد المتوطنين والمستوطنين وكم تنفق كل عائلة وعلى اي الانواع تنفق اكثر دخلها وكم يتوفر لها منهُ ومن اين تستورد ما تحتاج اليهِ المنطقة والى اين تصدر ما يزيد لديها من المصنوعات والحاصيل وما الذي يقرأونهُ وماهو عدد المتعلمين ودرجات تعليمهم ومن يكلف رب العائلة اكثر من غيرهِ الزوجة

او الام او البنت او الابن الخ، وكم من اهالي المنطقة ينزحون عنها كل سنة والى اين ولماذا ومن يأتيها وماذا يفعل فيها وكم عدد المالكين والمستأجرين والعمال وما هي الامراض المنتشرة وما هي روابط المصاهرة وكم كنيسة في الناحية ومتوسط عدد المترددين عليها، وكم حانوت، وكم بنك وبمَ يشتغل المتعلمون في المنطقة وحالة البيع والرهن الخ مما يطول شرحهُ من الدقائق مثل ذكر متوسط عدد النوافذ والابواب والاسرّة والحمامات ودور المياه في كل منزل ووسائل اللهو في الناحية. كل هذا يطلب من التلامذة ذكرهُ مع ابداء ملاحظاتهم الشخصية عنهُ فمثلاً يقول التلميذ ان في الناحية كذا عائلة منها — عائلة مشتركة في اكثر من جريدة يومية وكذا عائلة مشتركة في جريدة واحدة وكذا مشتركة في جرائد اسبوعية وكذا عائلة مشتركة في المجلات العامة الخ والمقصود من هذا البيان بسط وجهة عن الحالة الفكرية في الناحية التي هي موضوع البحث. هذا هو الدرس النظري للموضوع

اما العملي فميدانه اوسع اذ ينتهز الطلبة فرصة العطلة المدرسية فيكوّنون بعضهم مع بعض مدارس لتعليم الاميين وينشئون اندية الزراعة والخطابة والغناء والموسيقى والتمثيل ويقيمون المعارض وينظمون فرق الكشافة والاسعاف واطفاء الحريق وفي هذه المنشئات كلها يبثون روح الجامعة في الوقت الذي يسلون فيه الاهلين ويرفعون مستوى قدرتهم على الانتاج

ولموظفي الحكومة المحليين كما لاصحاب الاعمال الحرة في المنطقة شأن مهم في هذه الاعمال فهم ايضاً من خريجي الجامعات ولذلك نجدهم يقومون بنصيب وافٍ من الواجبات فالطبيب يلقي المحاضرات ويمرن الامهات والبنات على طرق الاسعاف الاولي. ومهندس الزراعة يخطب عن الآفات وطرق انتخاب الاصلح من انواع المزروعات ويراقب حقول التجارب. والبيطري يمرن الاولاد على انشاء اندية لتربية الخنازير مثلاً ويدربهم على الاعتناء بها. ومهندس الجهة يشير الى احسن الطرق لبناء منازل صحية وهلمَّ جرًّا وهم يقومون بهذه الخدمات لمصلحة الجماعة ولمصلحتهم هم ايضاً لان الجماعة تكون اكثر حاجة اليهم عند ما ترتقي افهامها فتحاول ان تعيش عيشة راقية بعيدة عن الاهمال والاستسلام

هذا موجز لما تقوم بهِ الجامعات ولم تعد وحدها المهتمة بالموضوع فان المدارس الثانوية اخذت تهتم ايضاً بخدمة هذه الحركة وبعد ان كان الاساتذة بعيدين عنها اخذوا ينضمون اليها فيقضون اجازاتهم متنقلين مع زوجاتهم وأولادهم في سيارات تشبه المساكن الصغيرة لالقاء المحاضرات على المزارعين كل في فنهِ ويساعدون التلامذة بما يحتاجون اليهم فيه. وهنالك جمعيات خيرية دخلت ميدان العمل ايضاً فأرسلت اعضاءها لتعليم الاهلين كيف يفعلون هذا الشيء او ذاك والنساء منهم يلقين المحاضرات في الطبخ والتطريز وتدبير

المنزل وحتى المصانع فانها ترسل موظفيها لتعليم الريفيين كيفية تشغيل الآلات التي يصنعونها لكي يروج سوقها . هذه لمحة تبين الاتجاه الذي يسير نحوه علم الاقتصاد الريفي ومما تسهل ملاحظته ان الجانب العملي منه اهم بكثير من الجانب النظري الذي يقتصر في الوقت الحاضر على نشرات تحوي ما امكن العثور عليه من البيانات بعد تبويبها وتنسيقها وهذه خطوة اولى يليها وضع المبادىء والقوانين

ان المقصود من نشر هذا المقال هو توجيه نظر اولي الشأن في مصر الى وجوب التفكير جديًا في رفع مستوى الفلاح الحيوي لانهُ لسوء الحظ منحط انحطاطاً مؤلماً ومن العبث نشر فكرة التعاون في وسط خالي الذهن تماماً من معنى الحياة الراقية التي تستحق النضال من اجل الوصول اليها . ان تلامذة المدارس يقضون شهوراً طويلة بلا عمل فلمَ لا نستعين بهم على الاقل لنشر التعليم الاولي في الارياف وفي الوقت نفسهِ ندربهم على الاصلاح الاجتماعي وهم في المدرسة فتكوّن منهم نواة صالحة لامة ارقى

بدأت الجامعة الاميركية في القاهرة بشيء من هذا الجهد بواسطة تلاميذها وغيرهم ممن ينضم الى فرعها الاجتماعي ولكن جهادها يكاد لا يذكر لانهُ في مبدئه اولاً وثانياً لانها لا تجد مشجعاً لها من اصحاب الرأي والحكومة

عمر عنايت

جلالة الملك فى معامل لونا

اهتمام جلالتهِ بالصناعة والزراعة

يمتاز جلالة الملك فؤاد الاول بصفات احلّتهُ اعلى مقام في نظر العالم المتمدن . فالغربيون يحترمونهُ ويجلونهُ لا بصفتهِ ملكاً ملك فحسب ولا لانهُ من نسل محمد علي فحسب بل لانهُ وعى في صدره من علم غزير وحكمة فائقة دهش لها كلُّ من اتصل بهِ او نال حظ المثول بين يديهِ

يدلك على هذا ميلهُ الشديد الى الاطلاع والتنقيب عن كلّ ما لهُ علاقة ببلاده ، زراعيًا كان او صناعيًا او اجتماعيًا . وقد كان في تجولهِ في مدن اوربا لا يرضى بالاكتفاء بالزيارات الرسمية الى عواصمها ومقابلة اهل الادارة والسياسة وحضور الحفلات والمآدب بل كان يتعدى كل هذا الى غاية اخرى هي زيارة مصانعها وحقول تجاربها الزراعية مدققاً في فهم كل ما يراه منقباً عن كل مستحدث طريف مفيد . وقد تجلت لنا هذه النية الملكية السامية لما تفضّل جلالتهُ وزار حقلاً من حقول التجارب الزراعية فشاهد نوعاً جديداً من العلف فسأل عن اصله وكيفية انتخابه ولما لم يرَ الجواب سديداً التفت الى الحاضرين وقال

«لم تكن غايتي رؤية المروج فعندنا منها شيء كثير انما كانت للاطلاع على كل جديد ينفع بلادي» وكانت عبارتهُ هذه تعرب عما يكنهُ في صدره من الحب لمصر والعناية بترقيتها

وقد كان هذا شأن جلالتهِ في زيارتهِ الى معمل لونا الذي يصنع نترات الجير الالماني. فقد شرَّف جلالتهُ هذا المصنع بزيارتهِ في يوم ٢١ يونيو الماضي فقضى فيه من الساعة العاشرة صباحاً الى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر متنقلاً بالسيارة آناً ومشياً على الاقدام آناً آخر بين مختلف دوائره الصناعية والاجتماعية وكان يظهر من الاهتمام بكل ما يراه ما ادهش الرجال الذين ساروا في ركاب جلالتهِ من وطنيين واوربيين

اما الارض التي اقيم فيها مصنع لونا الآنف الذكر فطولها نحو خمسة كيلو مترات وعرضها كيلومتر والمعمل مسطحهُ نحو من ستة كيلو مترات وربع وقد اقيم فيهِ معمل للغاز يحتاج يومياً الى ثلاثة آلاف طن من فحم كوك

يشاهد القادم عليهِ من بعيد مداخنهُ الثلاث التي يتراوح علوُّها بين ١١٠ امتار و١١٣ متراً. وفيهِ يستعمل ما يبلغ ثمانية عشرة الف لتراً بالساعة . وهذا المقدار يكفي ما تحتاج اليهِ برلين وضواحيها مع ان سكانها يربون على خمسة ملايين من الناس. ثم فيهِ مستودعات الاسمدة الهائلة وهي خلاقين ضخمة من الحديد تشغل مكاناً طولهُ ٣٤٥ متراً وعرضهُ ٥٥ متراً وتسع ربع مليون طن من الاسمدة . اما عدد عمال مصنع لونا فينيف على تسعة عشر الفاً يرأسهم مائتا كيماوي ومهندس وثلاثة آلاف من الموظفين الفنيين والتجاريين . واما انتاج هذا المصنع في العام فقد بلغ خمسمائة وخمسين الف طن من الازوت النقي الذي يعادل ثلاثة ملايين وخمسمائة الف طنّ من نترات الجير المستعمل في مصر

فهذا المصنع الذي هو عالم في حدّ نفسهِ يرجع كل افضل في ارتقائهِ واتساعهِ الى البحث المتواصل الذي قام بهِ عدد عديد من العلماء المختصين فلا يستغرب ان يتلو الاكتشاف فيهِ الاكتشاف ويعقب ذلك تطبيقها عملياً على تحسين مصنوعاتهِ وتعميم فوائدها

ان زيارة جلالة الملك الى العواصم والمصانع والمزارع في اوربا كانت بحقّ اعظم ما يقوم بهِ ملك من حسن الصنيع نحو امتهِ. وقد كانت الرحلة موفقة من نواحيها التي لا يتعرض المقتطف لتفصيلها لانها خارجة عن موضوع بحثهِ ولكن هذا لا يمنعهُ من التلميح اليها

فعسى ان تكون زيارة جلالتهِ الى اوربا واهتمامهِ بوسائل الرقي الصحيحة . وتمييزه اللباب المدنية عن قشورها فيما عُني بهِ من الامور ، قدوة حسنة لابناء شعبهِ تحملهم على اقتفاء خطواتهِ في الطموح الى العلم والعمل على اخراج هذا الطموح من حيّز الفكر الى حيز العمل

ثابت ثابت



كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ (١)

نقله الى الانكليزية الدكتور فيليب حتي — وكيل الدائرة الشرقية بجامعة برنستن —
طبع بمطبعة جامعة كولومبيا بنيويورك

أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني كاتب ومؤلف مشهور ترجمهُ ابن خلكان فقال انهُ من اكابر بني منقذ اصحاب قلعة شيزر وعلمائهم وشجعانهم لهُ تصانيف عديدة في فنون الادب ذكرهُ ابو البركات المستوفي في تاريخ اربل وأثنى عليهِ. وذكرهُ العماد الكاتب في الخريدة فقال بعد الثناء عليهِ انهُ سكن دمشق ثم نبت بهِ كما تنبو الدار بالكريم فانتقل الى مصر فبقي فيها مؤمراً مشاراً اليهِ بالتعظيم الى ايام الصالح بن رزيك ثم عاد وسكن دمشق ثم رماهُ الدهر الى حصن كيف فأقام بهِ حتى ملك السلطان صلاح الدين دمشق فاستدعاه اليهِ وهو شيخ قد جاوز الثمانين . وقال العماد «وكنت أتمنى ابداً لقياهُ . . . حتى لقيتهُ في صفر سنة احدى وسبعين وخمسمائة وسألتهُ عن مولده فقال في السابع والعشرين من جمادى الآخر سنة ٤٨٨ بقلعة شيزر . وتوفي في الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٨٤ بدمشق ودفن شرقي جبل قاسيون

ولأسامة كتب كثيرة احصى منها درنبورغ اثني عشر كتاباً ولهُ «ايادٍ بيضاء في النثر والشعر» على ما ذكر تلميذهُ ابن عساكر . وقد كشف الدكتور صروف منشىء هذه المجلة كتاباً آخر عنوانهُ « لباب الآداب » ووصفهُ في المقتطف في آخر سنة ١٩٠٧ وسنة ١٩٠٨ والنسخة التي كشفها هي النسخة الاصلية التي كتبت المؤلف سنة ٥٧٩ للهجرة اي قبيل وفاة أسامة وقد وهبها لابنهِ وكتب ابنهُ عليها بيده يقول ان اباه وهبهُ اياها. فهي من اقدم الكتب المخطوطة المعروفة المحفوظة الى الآن . وهذه النسخة محفوظة في خزانة الدكتور صروف بمنزله بقصر الدوباره

(1) An Arab Syrian Gentleman and Warrior in the Period of the Crusades. Memoirs of Usamah ibn Munqidh translated by Philip K. Hitti of Princeton University. Published by Columbia University Press.

وفي مكتبة الاسكوريال نسخة مفردة لكتاب آخر لهُ اسمهُ «كتاب الاعتبار» ترجمهُ المستشرق درنبورغ . فلما اطلع الدكتور فيليب حتّي على صفحات من هذه الترجمة عني بمراجعة نسخة فتوغرافية من الاصل العربي لما رآه في الترجمة من الهنات . والنسخة الفتوغرافية التي حصل عليها ترجمها بحذافيرها على ما هو مشهور بهِ من الدقة والاطلاع ومعرفتهِ بأسرار اللغة العربية ومغامزها فجاءت ترجمتهُ كتاباً في ٢٥٣ صفحة انكليزية كبيرة وقدم لهُ مقدمة مسهبة ترجم فيها أسامة وحلل حياتهُ تحليلاً تاريخيًّا وعقليًّا بليغاً. وقد نعود الى المقدمة فننقلها الى قراء المقتطف

وهذه المذكرات كما يقول الدكتور حتي في مقدمتهِ « قطعة نادرة من الادب العربي لانها تفتح امام عيوننا باباً نطلّ منهُ على العصور الوسطى وتوسع نطاق معرفتنا بالثقافة العربية . وعلاوة على ذلك انها قطعة من الادب غريبة في معناها ومبناها »

فنشكر للدكتور حتي خدمتهُ هذه الجليلة للآداب العربية ونتمنى لو كان في امكانهِ ان يتفق مع احدى المطابع العربية لاخراج هذا السفر النفيس مطبوعاً بلغتهِ الاصلية فتتم الخدمة وتعمّ

تاريخ التجارة السورية

في المهاجر الاميركية

بقلم سلوم مكرزل — طبع بالمطبعة التجارية السورية بنيويورك
صفحاته ١٦٦ قطع الطائف المصورة — مزدان بصور كثيرة

من غرائب الاتفاق انّا امسكنا هذا الكتاب لنكتب عنهُ كلمة في المقتطف فطالعنا مقدمة مؤلفهِ في نشأة التجارة السورية في اميركا الشمالية ومقدمة الدكتور حتي في المهاجرة بوجهٍ عام ومهاجرة السوريين بوجه خاص . ثم عرض لنا ما اوقفنا عن المطالعة . وجئنا المكتب فلم نلبث فيهِ ساعة حتى مثل امامنا رجل اسمر اللون متوسط العمر تلوح عليهِ امارات الذكاء والهمة وقال « انا سلوم مكرزل » فدهشنا لهذا الاتفاق لانّا لم نكن ندري انهُ في هذه الاقطار . وقضينا معهُ اياماً في القاهرة نستزيدهُ من اخبار السوريين في اميركا في مختلف ميادين العمل . فاذا محتويات كتابهِ تنضب والحقائق التي يسردها لك عن كل ما يتعلق بشؤون الجالية السورية في نيويورك وغيرها من مدن اميركا لا تنضب

والحق يقال ان سلوم افندي مكرزل قد اسدى الى المهاجرين السوريين يداً لا تنسى فقد كان اول من انشأ مجلة تجارية مالية في اللغة العربية . وكانت مجلتهُ هذه في رتبة ارقى المجلات التي من نوعها تقع فيها على المقالات الاقتصادية والبيانات المالية التي يوثق بها واخبار

التجارة السورية في انحاء المعمور . وظلت تصدر سنين حتى رأى ان يحجبها لكي يصدر مكانها مجلة انكليزية دعاها « العالم السوري » وغرضهُ منها ان تكون صلة بين النشء السوري الاميركي الجديد الذي يجهل اللغة العربية والوطن الذي نشأ فيهِ آباؤه واجداده . وقد انضمَّ اليهِ في هذا العمل المجيد اعيان الادباء السوريين في المهجر كالدكتور حتي وجبران خليل جبران وامين الريحاني وميخائيل نعيمة والدكتور كاتبه وغيرهم

زد على ذلك انهُ قضى ٢٩ سنة في المهجر يعالج فيها شؤون الطباعة والصحافة فكان له في ذلك فرصة سانحة للاطلاع على احوال التجار السوريين ونشوء متاجرهم وتنوعها . فعني بجمع المواد لهذا الكتاب

فصَّل في صدرهِ الادوار التي مرَّت فيها التجارة السورية من استيراد البضائع من البلاد المقدسة وبيعها ورجوع اصحابها الى الوطن بما كسبوه الى المحلات الفخمة القائمة الآن في الافنيو الخامس وقد امتدت فروعها الى ايطاليا ومدريا والصين والفيليبين واصبح اصحابها اميركيين متجنسين واولادهم اميركيّي المولد والنشأة والتهذيب . وبعد ما فصَّل هذه الادوار اختار اشهر المؤسسات التجارية في فروع التجارة المختلفة التي اشتهر بها السوريون وذكر طرفاً من سير اصحابها واتساع اعمالهم وما لهم من المكانة في بيئتهم الخاصة . وحديث هذا القسم من الكتاب هو حديث « العصامية » من كل نواحيها . فما من تاجر من هؤلاء التجار الذي تراه يسكن قصراً فخماً ويعمل في مكتب على أحدث طراز هاجر الى اميركا ومعهُ رأس مال يبدأ بهِ العمل الاّ عزيمتهُ وطموحهُ الى العلى . فصح فيهِ قول حافظ :

اسطولهم امل في البحر مرتحل وجيشهم عمل في البرّ مغترب

فنشكر للمؤلف هذا الكتاب النفيس ونتمنى ان يتحفنا قريباً بالجزء الثاني منهُ

مؤلفات الاستاذ جبر ضومط

اجتمع لدينا في شهري الصيف ثلاثة كتب نفيسة للاستاذ ضومط اثنان جديدان والآخر طبعة جديدة لكتاب مدرسي قديم مشهور فرأينا ان نشير الى كلٍّ منهما على حدة

١ — فلسفة اللغة العربية وتطورها

للعلامة الاستاذ جبر ضومط — استاذ اللغة العربية وآدابها في جامعة بيروت الاميركية سابقاً — نظرات خاصة في التاريخ والعمران واللغة . وقد بسط هذه النظرات في خطب تلاها في مجامع علمية او رسائل نشرها في المجلات المشهورة . وقد اختار الآن معظم ما نشر

من هذه الخطب والرسائل في مجلتي المقتطف والهلال وطبعها في كتاب على حدة فجاء الكتاب تحفة من تحف الادب النادرة

ففيهِ تقع آناً على نظرات عمرانية حكيمة في «الدستور العثماني» او مكانة «المال» الذي دعاهُ «خاتم المارد وبساط الريح» او انتقاد رواية فتاة مصر. وآناً آخر تقع على مباحث طريفة في التاريخ الشرقي لم يسبق اليها جمع فيها الى البحث العلمي والجغرافي الدقيق النظر في الكتب المنزلة واستنباط الحقائق من آياتها كما ترى في مقالتهِ التي عنوانها «ممالك قيدار وحاصور» و«الحثيون» و«اصل النبط في البتراء» و «مهد الجنس السامي»

ثم هناك طائفة ثالثة من المقالات بسط فيها الاستاذ رأيهُ في اللغة العربية: ما اخذت وما اعطت: كيف نشأت وتطورت: وما هو السبيل الذي يجب ان يسلكهُ ابناؤها ليبلغوا بها الرتبة العليا بين اللغات الحية. في هذه الرسائل صبَّ الاستاذ ضومط روحهُ وخبرتهُ التي كسبها في اثناء خمسين سنة قضاها في التعليم والتدريس والبحث والتنقيب. ويضيق بنا المقام لو اردنا الاستشهاد ببعض آياتها ولكننا نحيل القارىء على الفصول التالية: «اللغة العربية ما اخذت وما أعطت» «ارتقاء اللغة العربية» «اللغة العربية واللغات الاوربية»

وللكتاب مقدمة من قلم المرحوم الدكتور صروف كان قد اعدها قبيل وفاتهِ لتتلى في يوبيل الاستاذ ضومط الذي اقيم في ابريل سنة ١٩٢٨. ومما قاله فيها «ان ما اثبتهُ صديقي الاستاذ ضومط في كتاب «الخواطر في اللغة» شبيه بما كشفهُ مندل في الوراثة. فان مباحث هذا الراهب النمسوي التي نشرها سنة ١٨٦٦ طرحت في زوايا المنسيات مع انهُ كشف بها اهم الحقائق البيولوجية الى ان كشفت ثانية سنة ١٩٠٠. فهل يقوم من تلاميذ الاستاذ ضومط من يعود الى هذا البحث . . .» الخ

والكتاب مطبوع في مطبعة المقتطف في ٢١٥ صفحة كبيرة وثمنهُ ١٥ غرشاً صاغاً

٢ — الخواطر العراب

هذا كتاب مدرسيّ وضعهُ الاستاذ ضومط لتدريس قواعد النحو والاعراب وقد نحا فيهِ نحواً جديداً يتفق ونزعات الفلسفة التعليمية الحديثة. لانهُ ادرك بالمرانة ان «علم النحو اذا اقتصر فيهِ على مجرَّد الحفظ من غير اشراف على فهم او تمييز كان مصيبة وايّما مصيبة على المعلم والمتعلم معاً. اما اذا صحبهُ الفهم وبعبارة اخرى اذا اقترن بالاعراب فهو من اجلّ العلوم التي تعلم في المدارس لغاية ترويض العقل وتنبيه قوتي القياس والاستنتاج لا يفضلهُ في ذلك علم من العلوم بل هو من هذا القبيل يكاد يفضَّل على الرياضيات والمنطق

والفلسفة العقلية معاً » . على ان الحفظ لا بد منهُ في النحو . وهذا امر يقره الاستاذ ضومط ويعطيهِ نصيبهُ من العناية لانهُ يدري ان التلميذ لا يستطيع ان يقرأ قراءة عربية مضبوطة الاّ اذا عرف المرفوعات وبما ترفع والمنصوبات وبما تنصب الخ

لذلك تراهُ في كل فصل من فصول الكتاب وقد اكثر من ايراد الامثلة والشواهد لكي تتجسم المبادىء النحوية في عقل التلميذ قبلما يقبل على القواعد المجرّدة يستظهرها وبذلك يرسخ في عقلهِ « ان علوم اللغة ومن بينها النحو هي علوم خاضعة لاحكام العقل يتصرّف فيها بما يناسب المصلحة والغاية لا مستعصية عليهِ مستبدة بهِ » . وحبذا الحال لو كان في هذا الباب متسع لنقل الكلمة التي وجهها المؤلف الى الاستاذ باسطاً فيها الغاية من وضع هذا الكتاب والاسلوب الذي جرى عليهِ في تأليفهِ لانها من أبلغ ما صُدّرت به كتب التدريس

ومن ادلّ الدلائل على وفاء الكتاب بالغرض الذي وضع لهُ ان النسخة التي امامنا هي من نسخ الطبعة الثالثة . وهو مقدم الى المرحوم الدكتور جورج بوست ومطبوع بالمطبعة الادبية ببيروت ويقع في ٣٤٨ صفحة من قطع المقتطف

٣ — سفر التكوين

وهو بحث نظري فلسفي تشريحي لبيان من هو كاتب هذا السفر والغاية من كتابتهِ. جاء في مقدمة الكتاب : كان العلماء قبلاً ولا يزال كثيرون منهم الى الآن يظنون ان كاتبهُ هو موسى النبي كليم الله . على ان بعض العلماء الاعلام من المتأخرين نسبوهُ الى ثلاثة (حبذا الامر لو ذكر الاستاذ ضومط هؤلاء الاعلام لبيان مكانتهم وقيمة آرائهم) على ان العلامة « برستد » يظن ان الكاتب عاش في ايام آخاب ملك اسرائيل او فيما بعدهُ بقليل. ولكن الآراء المستجدة ... حملتني على درس اسفار العهد القديم ... درساً استغرق ما ينيف عن عشرين سنة قبل ان وجدت نفسي مقتنعاً بما وصلت اليهِ مما اظنهُ يستحق ان يعرض على انظار اهل العلم والفضل . وعند الاستاذ ان كاتب هذا السفر هو يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابرهيم . وغايتهُ من كتابتهِ ان يعلم مناظروهُ ومنافسوهُ في المنزلة التي حازها عند فرعون انهُ ابن بيت ليس هو دون بيت من بيوتهم ووارث رياسة كهنوت ليست في منزلتها دون رياسة لكهنوت فوطي فارع كاهن اون حيرم » . فنأمل ان ينظر المستشرقون والمشتغلون بالمباحث التاريخية الفلسفية في هذا الكتاب نظر عناية وتقدير لان موضوعه الفلسفي ومكانة مؤلفه يقتضيان ذلك

النقد التحليلي

لكتاب « في الادب الجاهلي »

تأليف محمد احمد الغمراوي — وله مقدمة مسهبة بقلم العلامة الامير شكيب ارسلان
طبع بالمطبعة السلفية صفحاته ٣٢٥ قطع المقتطف

في الكتاب الاول الذي نشره الدكتور طه حسين في موضوع الادب الجاهلي عقد فصلاً بعنوان منهج البحث يلخص بقولهِ : يجب حين نستقبل ابحث عن الادب العربي وتاريخهِ ان ننسى قوميتنا وكلَّ مشخصاتها وان ننسى ديننا وكلَّ ما يتصل بهِ وان ننسى ما يضاد هذه القومية وما يضاد هذا الدين . يجب ان لا نتقيد بشيءٍ الأ منهاج البحث العلمي الصحيح . ذلك انَّا اذا لم ننسَ قوميتنا وديننا وما يتصل بهما نضطرُّ الى المحاباة وارضاء العواطف وتغلُّ عقولنا بما يلائم هذه القومية وهذا الدين

وكان من شأن الكتاب الاول ان احدث في البلاد المصرية حركةً نقد عنيفة اتصلت بمنبر البرلمان واسفرت عن جمع نسخ الكتاب من المكاتب التي يباع فيها

ومن الذين تصدَّوا لنقدهِ حينئذٍ الاستاذ محمد احمد الغمراوي فنشر سلسلة من المقالات في جريدة البلاغ عرض فيها لطريقة الكتاب العلمية واسانيدهِ متوخيًا تبيين نجاح المؤلف في التزام الجادة التي بسطها في فصل « منهج البحث » الذي اشرنا اليهِ سابقاً

ثم اعاد الدكتور طه حسين النظر في كتابهِ الاول فحذف فصولاً او بعض فصولٍ وتوسع في فصولهِ الاخرى واضاف اليهِ فصولاً جديدة . فعمد الاستاذ الغمراوي الى رسائل النقد التي كتبها في البلاغ مستبقياً منها ما يتفق وفصول الكتاب الجديد متوسعاً في بعضها حتى يشمل الفصول الجديدة . ثم جمعها كلها فكان هذا الكتاب الادبي الممتع الذي يشتمل على خواطر ومباحث في الادب تدلُّ على سعة الاطلاع واختمار الرأي وصفاء الذوق الادبي . ومما يسرنا ان المؤلف تربى تربية علمية فهو مدرس للكيمياء التحليلية ورئيس الجمعية الكيماوية المصرية . والعقل المثقف باساليب البحث العلمي يصعب عليهِ الاخلاد الى ما لا يقنعهُ بالبيّنة الثابتة او الدليل المرجح. يدلك على ذلك وصفهُ « للنظرية في العلم » صفحة ١٣٥ . وفي الكتاب استطرادات ادبية وتاريخية جليلة الفائدة كبحثهِ فيما يتعلق بالذوق والنقد الادبي ومقاييس التاريخ الادبي من صفحة (٦٠ — ٩٧) واسباب انحال الشعر ص (٢١٤ — ٢٧٦) . و«هل شكه علمي» ١٠٠ — ١٣٢

ومما يزيد في فائدة الكتاب ومكانته المقدمة البليغة التي قدمها لهُ الامير شكيب ارسلان ففيها من فنون الادب العالي واساليب البلاغة العربية ما يجعلها اطاراً جميلاً لصورة جميلة

مختار القصص

بقلم كامل كيلاني — صفحاته ١٩٨ صفحة قطع المقتطف — طبع بمطبعة العصور
وفيه صور كثيرة : ثمنه ٥ غروش ويطلب من مكتبة الوفد

لم يكتفِ كامل كيلاني افندي بتضلعهِ من آداب العرب وتاريخها تضلعاً يحسده ويغبطهُ عليهِ كثيرون من المتأدبين . بل عمد الى الادب الحديث من غربي وشرقي يستخرج من الاول دررهُ وينسج في الثاني على منوال الاول . فاختار اشهر القصص القصيرة التي وضعها بوكاتشو وهي تصور حالة المدن الايطالية المشهورة كالبندقية وفلورنسا وغيرها في العصور الوسطى تصويراً قصصيًّا يأخذ بمجامع القلوب ويستهوي عقول القراء بما فيهِ من النكات المستملحة والحكم المطوية في تضاعيف الحوادث والسطور والمفاجئات الغريبة — اختار بعض هذه القصص ونسجها في برد عربي قشيب . اذ لا يخفى على قرّاء المقتطف ان اسلوب الاستاذ الكيلاني من الاساليب العربية المتينة التي يراعى فيها سهولة البيان ودقة التعبير بحيث لا يضفو الكلام على المعنى المقصود

واضاف الى هذه القصص حكايات اخرى اختارها من روايات الصور المتحركة وغيرها او وضعها حتى تلائم البيئة المصرية ونشرها في مختلف المجلات العربية جمعها في هذا الكتاب

ولقد اجاد الدكتور ابو شادي في وصفهِ في قصيدة نشرت في اول الكتاب قال :

يختار من قصص الورى مختارها   كالنحل تعشق زهرها العسّالا
فاذا اقلَّ فما تراك مخيَّراً   واذا اطال فما تقول اطالا

صندوق الدنيا

بقلم الاستاذ ابرهيم عبد القادر المازني — صفحاته ٣٢٠ قطع صغير
طبع بمطبعة الترقي بمصر

« حصاد الهشيم » « قبض الريح » « صندوق الدنيا » ثلاثة عناوين لثلاثة كتب وضعها الاستاذ عبد القادر المازني اذا استعرضتها اشجتك عناوينها بما يبدو في الفاظها ومعانيها من دعة وتواضع واحتقار للدنيا ونقمة عليها وسخرية منها

وكذلك هي في كثير من فصولها رغم ما يطالعك في سطورها من حكم ، يصح ان تضرب امثالاً ، لبراعتها في جمع المعاني الكبيرة في الفاظٍ قليلة . والسرُّ في ذلك ان الاستاذ المازني يستمد مادة كتابتهِ من مادة الحياة نفسها ويطيل فيها التأمل فاذا اختمر الرأي في عقله خرج كأنهُ بلورة صافية متلألئة

ومقالة « خواطر في مرقص » مثل من اسلوبهِ في هذا النوع الذي يجدر بنا ان نحسبهُ جديداً في الادب العربي . يرى الكاتب الشيء العاديّ الذي مرَّ بهِ غيرهُ مرَّ الكرام فيلفت نظرهُ ويستثير فكرهُ فيخرج من وصف الى تعليل الى فلسفة عقلية الى فكاهة بارعة الى شعر يروى او ينظم من غير ان يغيب عنك المشهد الذي كان سبباً في كل هذا

ومشاهد الحياة تتغير كما تتغير مشاهد صندوق الدنيا وكلما تغيرت المشاهد جاءك المازني بشيء جديد يطربك او يغيظك وفي كلا الحالين يحملك على التفكير

وقد اجاد في مقدمتهِ موازنة كتابتهِ بمشاهد صندوق الدنيا قال:

« كنت اجلس الى الصندوق وأنظر الى ما فيهِ ، فصرت أحملهُ على ظهري وأجوب بهِ الدنيا ، أجمع مناظرها وصور العيش فيها عسى ان يستوقفني نفر من اطفال الحياة الكبار فأحط الدكة وأضع الصندوق على قوائمهِ وأدعوهم أن ينظروا ويعجبوا ويتسلوا ساعة بملاليم قليلة يجودون بها على هـذا الاشعث الاغبر الذي يشبر فيافي الزمان وما له منقلب سوى آماله وهي لوافح ، أو نجم سوى ذكرى نورها خافت

« لهذا سميتهُ « صندوق الدنيا » . . .

« ولا أزال أجمع له واحشد . وما فتئ السؤال الابدي عندي مذ حملت صندوقي على ظهري : « ماذا أصوّر ؟ » هذه هي المسألة كما يقول هملت في روايتهِ الخالدة »

مطبوعات اخرى

نذكر فيما يلي المطبوعات الجديدة التي اهديت الينا شاكرين لاصحابها تفضلهم باهدائها معتذرين عن تعذّر ذكرها كلها بالتفصيل آملين ان نعود الى بعضها لنذكرهُ بما يستحقهُ في نظرنا

« عقد الايجار » مجلد قانوني ضخم في ٧٠٠ صفحة من قطع المقتطف لواضعهِ الدكتور عبد الرزاق احمد السنهوري مدرس القانون المدني بكلية الحقوق وقد عنيت بنشره لجنة التأليف والترجمة والنشر وطبع بمطبعة دار الكتب المصرية

« الطبيب والمعمل » كتاب طبي اكلينيكي صحي وضعهُ الدكتور ابو شادي وطبعتهُ مطبعة العصور يبحث في علاقة الطبيب بالمعمل من جميع وجوهها واشترك معه في وضعه نخبة من اطباء مصر. ويحتوي على فصول لم يسبق الى نشرها عن امراض المناطق الحارة . صفحاتهُ نحو ٩٢٠ صفحة من القطع الصغير ويحتوي على نحو ٣٦٠ رسماً . راجع مقالة « الطبيب والمعمل » في باب المقالات من هذا الجزء في تحليلهِ وتقديره

﴿ مار يعقوب الرهاوي ﴾ رسالة فلسفية تاريخية بليغة في ترجمة هذا الفيلسوف السرياني الشهير الذي عاش في القرن السابع المسيحي . وضعها الاستاذ مراد فؤاد حتي رئيس تحرير مجلة الحكمة ومدير مدرسة السريان الارثوذكس الثانوية بالقدس . صفحاتها ١٨ صفحة قطع المقتطف وقد طبعت بمطبعة دير ماري مرقس للسريان بالقدس الشريف

﴿ جزيرة رودس ﴾ لقد اصبحت جزيرة رودس من المصايف التي يقصد اليها المصريون بفضل العناية التي تبذلها ايطاليا في اعداد كل ما يلزم فيها لراحة المصطافين ورفاهيتهم . لذلك نرحب بكتاب الاستاذ غزاله بك وكيل مصلحة الصحة سابقاً وعضو الجمعية الجغرافية المصرية الملكية . فقد بسط فيه جغرافية هذه الجزيرة وتاريخها وآثارها واتبعها بخلاصة تاريخية طلية عن اشهر جزائر بحر ايجه وامتع فصول الكتاب الفصل الذي بسط فيه تاريخ رودس القديم

﴿ في مسؤلية الدولة ﴾ عن اعمال السلطات العامة من الناحيتين الفقهية والقضائية . تأليف الدكتور عبد السلام ذهني بك وكيل محكمة طنطا الابتدائية الاهلية . صفحاته ٤٨٤ قطع المقتطف وقد طبع بمطبعة الاعتماد بمصر

﴿ النجوم الزاهرة ﴾ في ملوك مصر والقاهرة . الكتاب مشهورٌ وهو تأليف جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردى الاتابكي وقد عني باعادة طبعهِ القسم الادبي في دار الكتب المصرية. وأهدى الينا الجزء الاول منهُ في ٤٣٢ صفحة كبيرة متقنة الطبع ككل ما تخرجهُ مطبعة دار الكتب المصرية . وثمنهُ عشرة غروش للجمهور و ٨ غروش لباعة الكتب ولمن يشتري عشر نسخ فاكثر منهُ

﴿ شخصية محمد النبي ﴾ موضوع خطبة انكليزية تقع في ٢٣ صفحة متوسطة القاها الاستاذ يوسف علي في لندن في حفلة عيد الاضحى في مايو سنة ١٩٢٩ ونشرتها دار لوزاك وشركاهم بلندن وهذا عنوانهم

Luzac & Co.
46, Great Russell Square,
London

﴿ الرسائل النادرة ﴾ عنوان تنشر تحتهُ مكتبة الخانجي بعض الرسائل الأدبية المشهورة في الأدب العربي . والرسالة التي بين ايدينا عنوانها « ادب الوزير الماوردي المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك » والماوردي من اشهر ادباء العرب وكتابهم ويكفيهِ ان يكون صاحب « ادب الدنيا والدين » حتى يقبل القراء على كتاباتهِ الاخرى . وهذه الرسالة تقع في ٥٨ صفحة متوسطة وقد طبعت بمطبعة العصور

﴿ السمير المهذّب ﴾ وهو مجموعة قصص تهذيبية وحكايات خلقية وأمثال أدبية غربية وشرقية اختارها ونظم عقدها الاستاذ علي افندي فكري الامين الاول بدار الكتب المصرية. والكتاب الذي في يدنا وهو الجزء الاول ويليه ثلاثة اجزاء اخرى

﴿ قصص روسية ﴾ لكتاب الروس القصصيين اعلى مكانة في آداب الامم الغربية. وأشهرهم من غير جدال بوشكين وتولستوي ودوستيوفسكي ومكسيم غوركي وغيرهم. فقد احسن الاستاذ سليم قبعين صاحب مجلة الاخاء صنعاً بترجمة قصتين من القصص الروسية الاولى لبوشكين والثانية لمكسيم غوركي. واتبعهما بثالثة لكاتب يدعى بتروشفسكي. وتقع في ٩١ صفحة من القطع الصغير وقد جعلت ملحق لمجلة الاخاء

﴿ ثورة عواطف ﴾ رواية حب بعلم الادب وضعها الروائي المشهور والكاتب الاجتماعي المتفوق الاستاذ نقولا افندي حداد محرر مجلة « السيدات والرجال » صفحاتها ١٤٥ صفحة قطع المقتطف

﴿ آثار جرش ﴾ رسالة اثرية تاريخية وضعها الدكتور الاثري ح . و . كرافون رئيس مدرسة الآثار البريطانية في القدس وترجمها سيف الدين افندي البرغوثي خريج الكلية الانكليزية القدسية . وحبذا لو بذلت العناية في طبع رسالة نفيسة كهذه لتخرج متقنة متناً وصوراً لانها تستحق ذلك

﴿ في سبيل الاتحاد ﴾ عنوان لمحاضرات القاها حضرة الاب الياس اندراوس البولسي في اسبوع الاتحاد المقام في كاتدرائية الروم الكاثوليك في مصر القاهرة في سنة ١٩٢٧ فموضوع المحاضرتين الاولى والثانية : « ضرورة الاتحاد » وموضوع الثالثة والرابعة والخامسة : « هل الاتحاد ممكن » وموضوع السادسة والسابعة : « وسائل الاتحاد » وختمت المحاضرات بخطاب نفيس لسيادة المطران انطونيوس فرج عنوانهُ « تحريض على الاتحاد » وليس في هذه المحاضرات مباحث او مجادلات لاهوتية في العقائد التي اختلف المسيحيون عليها لان وقتها لم يحن بعد وانما اقتصر في تمهيد السبيل للوحدة الدينية ببث روح المحبة والالفة بين المسيحيين وهو هدية من مجلة المسرة الى مشتركيها

﴿ نداء سوريا ﴾ مجموعة نفيسة من القصائد والازجال الوطنية بقلم الشاعر والزجال المشهور ابو الوفا محمود رمزي نظيم . وقد عني بنشرها الشيخ يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة. صفحاتها ٣٢ قطع المقتطف

« الاجتماعيات » مجموعة مقالات وابحاث وحكم بقلم الاستاذ كامل افندي صموئيل مسيحة وكانت قد نشرت تباعاً في جريدة قارون بالفيوم فرأى حضرة المؤلف ان يجمعها الآن في كتاب يقع في ٥٦ صفحة في حجم المقتطف

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) صنع المرايا

بتسبرج بنسلفانيا . ما هو تركيب المزيج المستعمل لتحويل الزجاج الى مرايا

ج . كانت المرايا تصنع بيسط ملغم (خليط) من الزئبق والقصدير على لوح الزجاج. وسنة ١٨٤٠ اشار بعضهم بترسيب الفضة من املاحها بدل ملغم القصدير وكانت ترسب اولاً بواسطة الحامض الطرطريك. ومن الطرق المستعملة لذلك ان يذاب ١٢ قمحة من طرطرات الصودا والبوتاسا (ملح روشل) في ١٢ اوقية من الماء ويغلى المذوّب ويضاف اليهِ وهو يغلى ١٦ قمحة من نترات الفضة مذابة في اوقية من الماء النقي . ويستمر الاغلاء عشر دقائق ثم يضاف الى المزيج ماء حتى يصير ١٢ اوقية

ويصنع مذوّب آخر باذابة اوقية من نترات الفضة في عشر اواق من الماء ويضاف اليهِ من ماء الامونيا حتى يذوب اكثر الراسب الاسمر . ثم يضاف الى ذلك اوقية من الالكحول وما يكفي من الماء لجعل المزيج ١٢ اوقية

وحينما يراد عمل المرايا تؤخذ مقادير متساوية من المذوّب الاول والثاني ويمزجان معاً جيداً ويبسط لوح الزجاج على مائدة افقية وينظف جيداً بالصودا ويغسل بالماء النقي ويصب المزيج عليهِ وهو لا يزال رطباً فترسب الفضة منهُ على لوح الزجاج ويسرع رسوبها اذا كان الهواء حارًّا او كان تحت اللوح رمل حار . ويغسل لوح الزجاج بعد ذلك ويصب عليهِ فرنيش يقي الفضة من الاحتكاك

ولا بدّ من استعمال الماء المقطر في كل ما تقدم . كذلك لا غنى عن مزاولة هذه الصناعة في معمل من معامل المرايا قبل اتقانها اتقاناً عملياً

(٢) ارخميدس والتاج

الموصل . جاء في الكتب التاريخية والطبيعية ان هيرو السيراقوسي كلف ارخميدس العالم الصقلي فحص تاج لمعرفة تركيبه : هل هو مصوغ من الذهب الخالص او مخلوط بالفضة وان ارخميدس دخل الحمام ذات يوم ولما غطس في المغطس رأى الماء قد خرج منهُ فأرشدهُ ذلك الى حل المسألة. والمشهور ان هذه الحادثة هدت ارخميدس الى الكشف عن قانونهِ المشهور الذي يفيد ان كل جسم غمر في الماء يفقد من وزنه مقدار وزن الماء الذي حل محله . فكيف ارشدت هذه الحادثة ارخميدس الى حل مسألة التاج

ج . لا بدَّ ان الصائغ جعل وزن التاج كوزن الذهب الذي اعطاهُ اياهُ الملك وقد كان ارخميدس يعلم كما يعلم كل احد ان الذهب اثقل من الفضة . اي ان العقدة المكعبة من الذهب اثقل من العقدة المكعبة من الفضة وأثقل ايضاً من العقدة المكعبة من مزيج من الذهب والفضة

ولو كان التاج جسماً منتظماً يسهل قياس مساحته المكعبة لامكن الاستدلال من ثقلهِ ومساحتهِ على ما فيهِ من الذهب والفضة . لانهُ اذا كانت مساحتهُ مثلاً خمس عقد مكعبة فيجب ان يوازي خمس عقد مكعبة من الذهب واذا كان اخف منها فيجب ان يكون الذهب قد مزج بمعدن اخف منهُ. ولكن التاج غير منتظم فلا تعلم مساحتهُ بالتحقيق . فلما غطس ارخميدس في المغطس وارتفع الماء منهُ انتبه الى ان الماء الذي دفق من المغطس يعادل حجم الجسم الذي غطس فيهِ . فسهلت عليهِ معرفة حجم التاج وبالتالي وزنهُ ذهباً صرفاً او فضة صرفاً . فصارت المسألة هكذا . ان وزن التاج الف غرام مثلاً فلو كان من الذهب الخالص لرفع الماء في الاناء ٥٢ سنتمتراً مكعباً اذا غطّس فيهِ . ولو كان من الفضة الخالصة لرفع الماء ٧٧ سنتمتراً مكعباً . ولكنهُ رفعهُ مقداراً متوسطاً ولنفرض انهُ ٦٥ سنتمتراً فليس هو ذهباً خالصاً ولا فضة خالصة. بل هو مزيج منهما . وبالحساب يعرف اي وزن من الذهب واي وزن من الفضة اذا مزجا يكون ثقلهما الف غرام وحجمهما ٦٥ سنتمتراً مكعباً

(٣) اسنان الغنم الذهبية

كليفلند اوهايو . بلغني ان اسنان الغنم تكون احياناً مكسوّة بطلاء ذهبي وقد فتّش كثيرون عن العشبة التي تحوّل سطح الاسنان الى مادة ذهبية او يرسب منها مادة ذهبية فلم يجدوها . فهل ذلك صحيح وما هو النبات الذي يتولد منهُ الذهب على الاسنان

ج: ان ذلك صحيح وقد شاهدنا الاسنان الذهبية في الغنم ولكن الطلاء الذهبي الذي عليها ليس ذهباً ولا نحاساً بل هو فصفات الكلس ممزوج بمادة آلية . اي انهُ مادة

ترابية تلمع كالذهب والظاهر انهُ يتكوَّن في البلدان التي مياهها قلوية فتكثر المادة الرمادية في نباتها . وطالما خدعت هذه الاسنان الناس فظنوا انها تدل على نبات يتولد الذهب منهُ

(٤) شفاء الحول

ومنهُ . هل يمكن ارجاع العين الحولاء الى اصلها بعملية جراحية

ج : طبيب العيون الماهر الذي مارس جراحة العين وبرع بها يستطيع ان يزيل الحوَل بعملية جراحية . ولكن ليس كل انواع الحوَل تصلح بعملية جراحية او تقتضيها

(٥) السيارات السبعة

البصرة . قال القدماء ان السيارات سبعة وقد جمعها بعضهم بقولهِ

تلك الدراري زحل فالمشتري

وبعدها مريخها في الاثر

شمس فزهرة عطارد قمرْ

وكلها سائرة على اثر

فهل يوافق علماء الهيئة الحديثون على ذلك

ج : كلاَّ فان القدماء الذين قال الشاعر قولهم حسبوا ان الارض ثابتة والشمس والقمر وعطارد والزهرة والمشتري وزحل نجوم سيارة تدور حولها . أما المتأخرون فقد وجدوا ان الشمس ثابتة بالنسبة الى سياراتها وان الارض من جملة السيارات التي تدور حولها والقمر تابع للارض يدور حولها . واكتشفوا سيارين كبيرين وراء زحل وهما اورانوس ونبتون فصارت هذه السيارات تسعة عدا النجيمات الكثيرة التي تدور في فلك متوسط بين الارض والمريخ

هذا وقد تغير علم الهيئة تغيراً عظيماً في المائة السنة الاخيرة بفعل التلسكوبات العظيمة التي صنعت واكتشاف الحل الطيفي واستعمال التصوير الفوتوغرافي وغير ذلك من الوسائل العلمية

(٦) الشعر في وجه المرأة والرجل

بغداد . لماذا ينبت الشعر في وجه الرجل ولا ينبت في وجه المرأة ولماذا لا ينبت في وجوه الخصيان . وما علاقتهُ بسن البلوغ

ج . اذا صحَّ رأي دارون وهو ان النساء نتفنَ الشعر من ابدانهن للزينة اي تحبباً للرجال لم يبعد ان تنشأ من ذلك علاقة بين الشعر والبلوغ وقد تصبح الصفة المكتسبة — ازالة الشعر — وراثية على مرّ الاجيال لانها مفيدة للنوع — اي للنساء — ولا تزال كل المسائل المتعلقة بالشعر على جانب كبير من الغموض

باب الأخبار العلمية

التليفون اللاسلكي في القطار والبواخر

من احدث الكماليات في السفر ان يستطيع المرء في كندا التحادث بالتليفون اللاسلكي من القطارات السريعة الى المدن القصية . وقد تحقق ذاك العمل من زمن قريب على خطوط سكة حديد كندا الوطنية والواقع ان هذا الاختراع في حد ذاته تحسين ممتاز لجهاز المحادثة من جهة واحدة الذي اخترع في المانيا اولاً ثم استخدم في بلادها زمناً ما . فاذا ثبتت فيما بعد صلاحية هذا الجهاز في الخدمة العامة ، اتيح لركاب القطارات في اي مكان محادثة اصدقائهم من مركبات القطار الذي يقلهم وتلقي الردود بسهولة كما هي الحال في المحادثات التليفونية من نقطة الى اخرى في الاماكن الثابتة

وقد اعرب المهندسون ان الاتقان المنتظر في هذا الاختراع سيفضي الى المحادثة من قطار سائر الى قطار مثله وتفصيل التجربة التي حدثت في كندا كما يأتي :—

ان الصوت الصادر من آلة التليفون المركبة في القطار السائر يجتاز عموداً منصوباً على ظهر مركبة القطار ثم « يثب » من ذلك العمود اما الى اسلاك التلغراف واما الى اسلاك التليفون العادية الممتدة بجانب الخط الحديدي السائر عليه القطار نفسهُ ومن ثم يصل الصوت الى احدى محطات الاستقبال حيث توجد المواصلات المباشرة التي توصل الصوت الوارد الى آلة التليفون بمكتب الشخص المقصود بواسطة اسلاك التليفون العادية . والواقع ان الاسلاك الممتدة بموازاة السكة الحديدية قد تكون مشغولة وقتئذٍ بنقل رسائل تلغرافية ولكن هذا لا يؤثر مطلقاً في مقدرتها على نقل الرسائل التليفونية في الوقت ذاتهِ كما انهُ لا يحدث اي تعطيل في نقل الاشارات التلغرافية وهناك ميزة اخرى وهي ان الاسلاك الثلاثة التي تنقل التيارات الكهربائية القوية الى محطة الاستقبال تقاطع بعضها بعضاً هناك ولكنها لا تتصادم تصادماً شديداً

وكذلك ركاب البواخر التي تشق عباب المحيطات سيتسنى لهم في القريب العاجل وهم في عرض اليم محادثة عائلاتهم في بيوتهم وزملائهم بمحال اعمالهم على البر . وقد تم تركيب جهاز للتليفون اللاسلكي في الباخرة (ليفياثان) احدى بواخر خط الملاحة الامريكية وجرب في نقل الحديث من

الباخرة الى البر فنجح . ونجم عن ذلك ان وعد موظفو شركة التليفون والتلغراف الامريكية بانشاء دائرة تليفون بحري رسمية وسيكون جهاز التراسل الجديد فيها مؤلفاً من الراديو والتليفون مندمجين ، فتقوم آلة تليفون لاسلكي بنقل الاخبار عن ظهر الباخرة وهي في عرض البحر الى اقرب محطة على البر حيث تتولى تلك المحطة ارسالها الى الاماكن المرغوبة بواسطة الاسلاك التليفونية

زد على ذلك ان قد جربت في السفينة الفرنسية (إيل دفرانس) طريقة جديدة لارسال تحيات ركابها الى عائلاتهم واصدقائهم كما تصدر من شفاههم بالضبط وذلك بواسطة اسطوانات الفونوغراف التي علؤها المسافرون انفسهم وهي اساطين قطر الواحدة منها سبع بوصات ومدة دورانها دقيقتان وتلتقط نحو ٣٠٠ كلمة . ويتسنى نقلها الى البر وتركيبها على اي فونوغراف في وطن المسافر ولا تستهدف للتلف لانها تنقل في البريد مغلفة باسطوانات معدنية صنعت لاجلها خاصة

البحر الميت وكنوزه

لا يحتاج المستحم من الاحداث في البحر الميت الى اية اداة من ادوات الوقاية من الغرق لان ماء ذلك البحر العجيب (الذي تحيط به الارض من كل جهة ويصب فيه نهر الاردن) محتوٍ على كثير من الاملاح الذائبة . حتى ان من يسبح فيه يرى نفسهُ طافياً على الماء كانهُ كيس منفوخ بالهواء . والواقع انهُ من الصعب على الاطلاق الغطس في الماء غطساً كافياً لان ماءهُ يشتمل على نحو ٢٤ في المائة من الاملاح المختلفة . ويسمى هذا البحر علميًّا « بحيرة الاسفلت » وهو واقع في وادٍ عميق بفلسطين وطولهُ ٤٦ ميلا وعرضهُ يتراوح بين ٨ اميال و١٠ اميال ولما كان ذلك البحر تحدق بهِ الجبال ، فانهُ يمتاز ميزة غريبة وهي كون الجداول تصب فيهِ من الشرق والغرب والجنوب ، ونهر الاردن المشهور جدًّا في الكتاب المقدس يصبُّ فيهِ ايضاً من الشمال . وليس للبحر الميت منفذ . ومن المحال أن يتفرع منهُ أي نهر . وهذا امر بديهي ، لانهُ منخفض عن سطح البحر الابيض المتوسط نحو ١٣٠٠ قدم ويبعد عنهُ نحو ٥٠ ميلا واقصى عمقهُ ١٣٠٠ قدم

وسبب تسميتهِ بالبحر الميت ، انهُ محوط من كل جهة باراضٍ جدباء ولا تعيش فيهِ الاَّ قلائل من المخلوقات المائية لشدة ملوحة مائه. ومن الاقوال المأثورة بشأنهِ انهُ واقع فوق اطلال مدينتي سدوم وعمورة المذكورتين بسفر التكوين من التوراة .وهما تانك المدينتان اللتان دمرهما

الله تعالى لتفاقم شرور سكانهما — ولكن العلماء يستبعدون ذلك القول

وفي البحر الميت ثروة معدنية وكيماوية لا تقدر بمال . وقد كشفت عنها جماعة من الكيماويين البريطانيين الذين نالوا حديثاً امتياز استغلال تلك الدقائق الثمينة من حكومة فلسطين . وقد قدرت محتوياته (البحر) من البوتاسا النقية واملاح البروم والجبس وكلورور المغنيزيوم وغيرها من الفلزات المفيدة للزراعة والصناعة ، بما يعادل ثلاثة امثال دين الحكومة البريطانية للولايات المتحدة في الحرب الكبرى

ومما يروى في هذا الصدد ان الدكتور جورج كلود العلامة الفرنسي المشهور ابلغ حكومته بان البحر الميت ، علاوة على ثروته الكيماوية ، يحتوي على ذهب يقوَّم بخمسين بليوناً من الريالات . وان ثلث هذا الذهب الابريز ، كما يعتقد الدكتور كلود ، سيستنبط بالوسائل العلمية الجديدة في خلال ١٥ سنة تقريباً

هراوة للشرطة تنير الطرق

اخترعت في الولايات المتحدة باميركا هراوى للشرطة تستعمل ليلاً فتقوم مقام العصى والمصابيح الكهربائية في آن واحد. فتراها هراوة ، في احد طرفيها ، ومصباحاً كهربائياً ، في الطرف الآخر، ينير لضابط البوليس طريقه في الازقة المظلمة . وهي مصنوعة من انبوب فولاذي ينتهي بخيوط معدنية في طرف المقبض يركب فيها مصباح كهربائي صغير بلولب « قلاووز ». ويقول المخترع ان هذا الجهاز يتيح لضابط الشرطة حين يؤدي مهمته ليلاً ان يلقي شعاعاً من النور توًّا بغير انتظار جذب المصباح الكهربائي من جيبه . وفي الوقت نفسه يجعله يحتفظ بالهراوة في يده معدة للاستعمال. وهذه الهراوة المضيئة تدسُّ تحت ذراع مستعملها بحيث لا تتقيد بها اليدان فيتسنى لحاملها . القبض بيديه على كراسته الصغيرة التي يدون فيها ملاحظاته، وتوجيه نور مصباح الهراوة نحو الكراسة حين الكتابة . والبطارية التي ينبعث منها نور الهراوة تودع في مقبضها . واذا اريد اطفاؤها نزعت زجاجتها البصلية الشكل

الزئبق مصدر رخيص للقوة

يتوقع العلماء عاجلاً جعل الزئبق مصدراً من مصادر القوة فيسيرون به القاطرات والبواخر كما هم يملئون به مقاييس الحرارة . وقد اتيح فعلاً للمهندسين في احدى الشركات الخاصة بتوليد القوة الكهربائية بولاية من الولايات الواقعة في شرق جمهورية الولايات المتحدة الاميركية استخدام ذاك السائل المعدني في مراجل الآلات البخارية حيث جعلوه يولد قوة ١٣٠٠٠ حصان من الكهرباء

ومرجل الزئبق يولد ضغطاً كهربائياً شديداً يفوق قوة الآلة البخارية اذا قيس بها ، ولذا يرجح العلماء ان الزئبق سيحدث انقلاباً في الوسائل الحالية المولدة للقوة

هذا ما يراه المستر (الفريد دوفلين) مدير الدائرة الهندسية في مدينة نيويورك بأميريكا في تقرير قدَّمهُ الى ولاة الامر من وقت قريب يدور على الوجهة التجارية العملية الخاصة بتوليد الكهرباء بالتربين الزئبقي كما ظهر لشركة النور الكهربائي بمدينة هارتفرد في ولاية كونكتيكوت باميركا . فقد حذت تلك الشركة في الانتفاع بالزئبق حذو الذين يستعملون التربين البخاري المألوف فجعلت تستخدم بخار الزئبق بدلاً من بخار الماء لتدوير مقاذيف التربين الدوارة فاسفرت التجربة عن توفير كبير في الوقود واقتصاد في النفقات

وكل من رأى ذلك التربين (البخاري المجرد من البخار) في عمارة شركة هارتفورد بجهة (سوث مدو) حيث تولد القوة الكهربائية ، خالهُ مرجلاً من المراجل العادية التي تولد البخار للتربين ولكن يختلف عنهُ كل الاختلاف بحيث تجد داخل الغلاف المغلف له اسطوانة تربين تدور ، دورة كل ثانية ومع ذلك قلما تحدث صوتاً او رجة . واذا ما دنا منها امرؤ لا يكاد يفطن لدورانها . وبواسطة المقاذيف الدوارة التي في التربين يسري بخار الزئبق (وهو كضباب سام يسخن لدرجة ٨٨٤ فرنهيت من المراجل التي تستعمل بالفحم الحجري المسحوق الذي يوضع تحتها على الارض) حيث يدير التربين

ويوجد خلف التربين والمولد الكهربائي المتصل فنطاس كبير اسطواني الشكل وهو كناية عن مكثف « جهاز تكثيف الابخرة والغازات » يسترد الزئبق بعد ان يدوّر التربين . وفي هذه تكون وظيفة ذلك المعدن النفيس لم تنته بعد لانهُ يستنفد الباقي من حرارته في تحويل الماء الى بخار ثم ما يبقى فيهِ بعد ذلك من القوة الكامنة فيهِ يكفي لتدوير تربين بخاري عادي وبتلك الاعمال كلها تتجلى مزايا التربين الزئبقي . لان بخار الزئبق اشد سخونة من بخار الماء العادي فيمكن استخدام قوته مراراً متعاقبة قبل ان يبرد برودة تامة تبطل عمله

وفي معهد (سوث مدو) المتقدم ذكره يقدر المهندسون الوفر الذي سيحدث في الوقود بهذه الوسيلة بمبلغ ٢٠٠٠٠ جنيه في السنة . والفضل في اختراع الآلة البخارية الزئبقية يرجع الى المستر (وليام لي روي إيمت) مهندس المباحث في شركة الكهرباء العامة في الولايات المتحدة ، ذاك الذي اقترح في سنة ١٩١٤ ان الزئبق يتسنى استخدامهُ في تدوير طارة التربين ثم ما لبث ان انشأ آلة للتجربة في معهد الشركة بجهة شينكتادي وفي سنة ١٩٢٣ انشىء

اول معهد لتوليد قوة بخار الزئبق في العالم وذلك في نقطة (دتش بيونت) التابعة لشركة هارتفورد للنور الكهربائي

وكان ذلك الجهاز جهازاً اختيارياً تقل قوتهُ عن ٥٠٠٠ حصان ويولد نصف قوتهِ تقريباً من تربين زئبقي ذي طارة واحدة والباقي من المحصول البخاري الاضافي المستعمل في التربين البخاري

ثم قامت طائفة من المهندسين بالتجارب الخاصة بالوفر الذي ينتج من ذلك الجهاز الغريب المولد للقوة وكان في اثناء ذلك المستر إمت يقوم بتجاربهِ الخاصة في شركة الكهرباء العامة ، مستخدماً في ذلك طرزاً محسَّناً من التربين الذي اخترعهُ . وكان القليلون من العلماء مهتمين باختراعهِ فقالوا حينئذٍ « انهُ اذا نجح جهازهُ هذا فقد لايجد في العالم من الزئبق ما يكفي لتدوير تربيناته »

وكان خير جواب عن ذلك ان شركة هارتفورد طلبت صنع تربين كبير من تربينات الزئبق من قوة ١٣٠٠٠ حصان للخدمة التجارية لا غير في محطتها بمدينة (سوث مدو) فتم صنعهُ في شهر نوفمبر من العام الماضي ونصب في تلك الجهة فقام بالعمل قياماً متواصلا حتى عطل من عهد قريب قصد احداث بعض تحسينات هندسية فيهِ

ويحتاج الجهاز المشار اليهِ الى زهاء ٧٠ طناً من الزئبق لتدويره اي اكثر من الف جالون . ولما كان السعر الحالي للزئبق في امريكا نحو ٤٠ جنيهاً للجالون الواحد كان ما تحتويه أنابيب المرجل وحدها ثروة طائلة من المعدن السائل فاذا ثُقب انبوب واحد منها ضاع هدراً من الزئبق مايقوَّم بمبلغ ٤٠٠٠٠ جنيه. ولهذا السبب يقوم ارباب المصانع (محافظة على ذلك السائل النفيس) بلحم انابيبهِ بالكهرباءِ لكيلا تنفك بعضها من بعض بالاستعمال (بدلا من وصلها بالطرق المألوفة) وحتى لا تفلت منها أبخرة الزئبق السامة

وللآن لم يجرب تربين الزئبق الاَّ في محطات توليد القوة الكهربائية . بيد أنَّ المخترع لا يرى مانعاً من استخدامهِ أيضاً في الآلات البخارية والبواخر

رقيب كيماوي لتطهير مياه الشرب

اخترع احد علماء سويسرا جهازاً كيماوياً يعمل من تلقاء نفسهِ عملاً متواصلا في تنظيم تنقية مياه الشرب بغاز الكلور . ولما كان ذلك الجهاز مصنوعاً على نمط الآلات التي شاع استعمالها في ايامنا هذه إذ تقوم مقام العمال البشريين فيما كانوا يؤدونهُ من الاعمال المختلفة ، اطلق عليهِ اسم الكيماوي الاتوماتيكي كما سميت الآلات المشار اليها الخدم الصناعيين . ويقوم الجهاز بوظيفتهِ آناء الليل واطراف النهار حيث يرقب عن كثب نقاء الماء في كل هنيهة ويدوّن ذلك في

سجل خاص من تلقاء نفسهِ . وقد تتجلى فوائده بالاخص في المدن الصغيرة حيث يعنى ذوو الشأن بتحليل مياه الشرب في فترات متباعدة بعضها عن بعض وحيث يحتمل تفشي أحد الامراض المعدية في ساعة واحدة من ينبوع ماء ملوث بالجراثيم دون ان يفطن له احد

ويجدر بنا ان نزيد القارىء بياناً بشأن الكلور فنقول : — الكلور عدو ازرق ذميم للانسان كما هو صديق له حميم . وهو في حال نقائهِ غاز ذو لون ضارب الى الخضرة وهو بطبيعتهِ شديد التأثير ، سام ، ولذلك استخدمتهُ الدول المتحاربة في معارك الحرب الكونية لفتك الجيوش بعضها ببعض ، تلك الجيوش الجرارة التي سيقت ايامئذ الى ميادين الوغى المختلفة . ولما كان هذا الغاز يتحد بمعدن الصوديوم «النطرون» فانهُ يكوّن مادة من اكثر المواد ضرورة في الغذاء ونعني بها ملح الطعام اي كلوريد الصوديوم . وفضلاً عما يحدثهُ هذا الغاز من الضرر بالمتقاتلين فانهُ يساعد الحياة مساعدة جوهرية كما قلنا ، وله فوائد كثيرة تجعله في مصاف افيد المواد الكيماوية ومنها ان الصنف النقي منهُ ذاك الذي يصير سائلاً بالضغط فيتسنى نقله بالبواخر مودعاً في القناطيس وقد يمزج منهُ مقادير ضئيلة بالماء الغير الذي يشربهُ سكان المدن ليقتل ما قد يوجد فيهِ من جراثيم كما اوضحنا قبلاً .

وكثيراً ما يستعمل كمادة لتبييض القماش على شكل كلوريد الجير وفي غير ذلك من وجوه الاستعمال . وقد استعمل لتطهير مياه مدينة نيويورك في المستودع المسمى بخزان كروتون الذي يسع ٣٠ بليوناً من الجالونات . وذلك الخزان قائم على بعد ٣٠ ميلاً من مدينة نيويورك ويخزن فيهِ ماء يكفي لسكان تلك المدينة التي هي اكبر مدن العالم بأسره مدة تزيد على شهر — ولكن كل يوم قبل ان يتم توزيع ذلك الماء على الملايين من شاربيه تمزج بهِ مقادير كبيرة من ذلك الغاز لاجل قتل الحيوينات والمكروبات الدقيقة التي تسبب الامراض . وطريقة تطهير الماء بذلك الغاز ان ينتقل الى الخزان بجهاز من الانابيب فيتدفق في الماء فيبيد ما يحتويه من الجراثيم . ومن المفروض على العمال المشرفين على العمل وقاية انفسهم من ذلك الغاز الخبيث بكمامات يلبسونها حينما يجولون حول تلك الانابيب والا اصابهم ماكان يصيب الالوف من الجنود في خلال الحرب العالمية الاخيرة واذا أجنت المياه المدخرة في تلك الخزانات او خبثت رائحتها من نباتات معينة تنمو فيها وتحدث ذلك التغيير في طعمها ، فهذه لا تعالج بغاز الكلور بل بكبريتات النحاس ولذلك تصب هذه المادة على المياه عند اندفاعها في الانابيب لان كبريتات النحاس تبيد تلك النباتات الدقيقة فينتقي الماء الذي يشربهُ الاهالي من حنفيات دورهم بتلك

الوسيلة نقالا تامًّا . وان القارىء ليدرك نتيجة ترك الماء الراكد في زجاجة مسدودة عدة ايام فهذه تشبه ما يحدث في الماء المخزون ولذلك ترى ذوي الشأن يقذفون بالماء من الفسقيات الكبيرة الى الهواء ويعالجونهُ بالاكسجين كي يجددهُ وفي خزان كرتون ١٨٠٠ جهاز للتهوئة من ذلك النوع تساعد على جعل الماء فراتاً كانهُ نابع من عين معيونة

بارجتان غريبتا الشكل

لنقل الطيارات الحربية

افادت الانباء الاخيرة الواردة من اليابان أنهُ قد الحق بالبحرية اليابانية مدرعتان جديدتان غريبتا الشكل لكل منهما مداخن ضخمة ملتوية الى الاسفل نحو الماء كانها خراطيم الافيال. وهما احدث البوارج المخصصة لنقل الطيارات . واسم احداهما (كاجي) والاخرى (أكاجي) وقد حلت باختراعها معضلة استعصى حلها على الخبراء احقاباً طويلة . ونعني بها منع الدخان والابخرة التي تتصاعد من القاطرات من السقوط على الافريز الخاص بنزول الطيارات على ظهر المدرعة العلوي .وذلك باستعمال الخراطيم المعقوفة بدلاً من المداخن المستقيمة

وتمتد تلك المداخن الغريبة الشكل على كل من جانبي البارجة (كاجي) الى ما يقرب من نصف طولها ثم تنعطف نحو الخارج بقرب مؤخر المدرعة كي تقذف بعيداً سحباً سوداء من الدخان الذي يزيد كثافة حجب الدخان الفصفوري التي تطلق حولها لاخفائها في زمن الحرب . وتمتاز المدرعة أكاجي بكون مدخنتيها ممتدتين عن يمينها وان احداهما منحنية نحو الخارج ثم الى الاسفل اما الاخرى فمعتدلة

وعند ما يندفع الدخان من المدخنة المستقيمة يحتم على البارجة التي تقل الطيارات القيام بالحركات الحربية «المناورات» لتتمكن من جعل الريح تحمل سحب الدخان بعيداً عن ظهرها والاَّ تعذر على قواد الطيارات الحربية مشاهدة الظهر الذي ينزلون عليه

وبناء على ذلك كانت المداخن المتقدم وصفها معواناً لاحدث نوع من البوارج المقلة للطيارات حتى تسرع في سيرها الى الامام غير مكترثة لاتجاه الريح

وقوة المدرعة كاجي ٩١٠٠٠ حصان وفي وسعها نقل ٦٠ طيارة حربية بسرعة تزيد على ٢٥ ميلا في الساعة . اما البارجة اكاجي فاطول منها قليلا واضيق وتستعمل مدختنها المستقيمة في حال سيرها العادي ومدختنها الخرطومية الشكل في حالة طيران الطيارات التي تطلقها

ادوات الجراحة منذ الفي سنة

استخدم الجراحون منذ الفي عام آلات تشبه في اشكالها الآلات الحديثة . وقد استدل على هذه الحقيقة بالمسابر والكلابات التي اميط عنها اللثام في مدينتي بومبي الدفينة في ايطاليا ، وهي الادوات التي عرضت حديثاً في لندن . واذا قابلنا العدد الكبير من المسابر في تلك المجموعة بسائر الآلات اتضح لنا ان الشق كان ركناً ركيناً في فن الجراحة قبل سنة ٧٩ للميلاد حينما خسف بركان فيزوف تلك المدينة الايطالية القديمة

ومع ان اشكال الآلات القديمة في بعض الاحوال تكاد تشبه اشكال الآلات الجراحية الحديثة الاَّ انها مصنوعة من فولاذ اقل مرونة كما أن خلو المجموعة الآنفة الذكر من المناشير دليل على أن عمليات البتر لم يكن يقدم عليها جراحو ذلك العهد الاَّ في النادر . ويعزى معظم سبب ذلك الى جهلهم وقتئذٍ بالدورة الدموية

والمعروف أن الجراحة مورست من قبل ذلك التاريخ بدليل ان الاسكندر الاكبر لما غزا الاقاليم الواقعة في شرق بحر الروم في سنة ٣٠٠ قبل الميلاد ، شاهد أهاليها يباشرونها ببراعة رائعة كما هو ثابت ايضاً ان قدماء المصريين حذقوا الجراحة قبل ميلاد السيد المسيح بزمن يتراوح بين ٥٠٠٠ عام و٦٠٠٠ عام

رصد عطارد

كان السيار عطارد كوكب مساء في مايو الماضي وكان على ابعد بعد من الشمس في اواسط الشهر والمسافة بينهما ٢٢ درجة من القوس وظلَّ يغيب نحو ساعتين بعد غروب الشمس بضعة ايام هذه مسألة خطيرة في نظر علماء الفلك لان قرب عطارد من الشمس وملازمته لها يجعل رصده متعذراً

كثرة الرجم والنيازك

يذهب الدكتور هنري نورس رسل احد اساتيذ علم الفلك في جامعة برنستن الى ان الف مليون نيزك تصيب الارض كلَّ يوم ولكن اكثرها صغيرجدًّا لا يزيد وزن النيزك منها على جزء من ٤٥٠ الف جزء من الرطل الانكليزي. ويذهب كذلك الى ان رجماً وزنها ستون طنًّا تقع على الشمس كلَّ ثانية من الزمان . فكأننا ندور في فضاء يعجُّ بهذه الاجرام

زورق كبير للنجاة لا يغرق

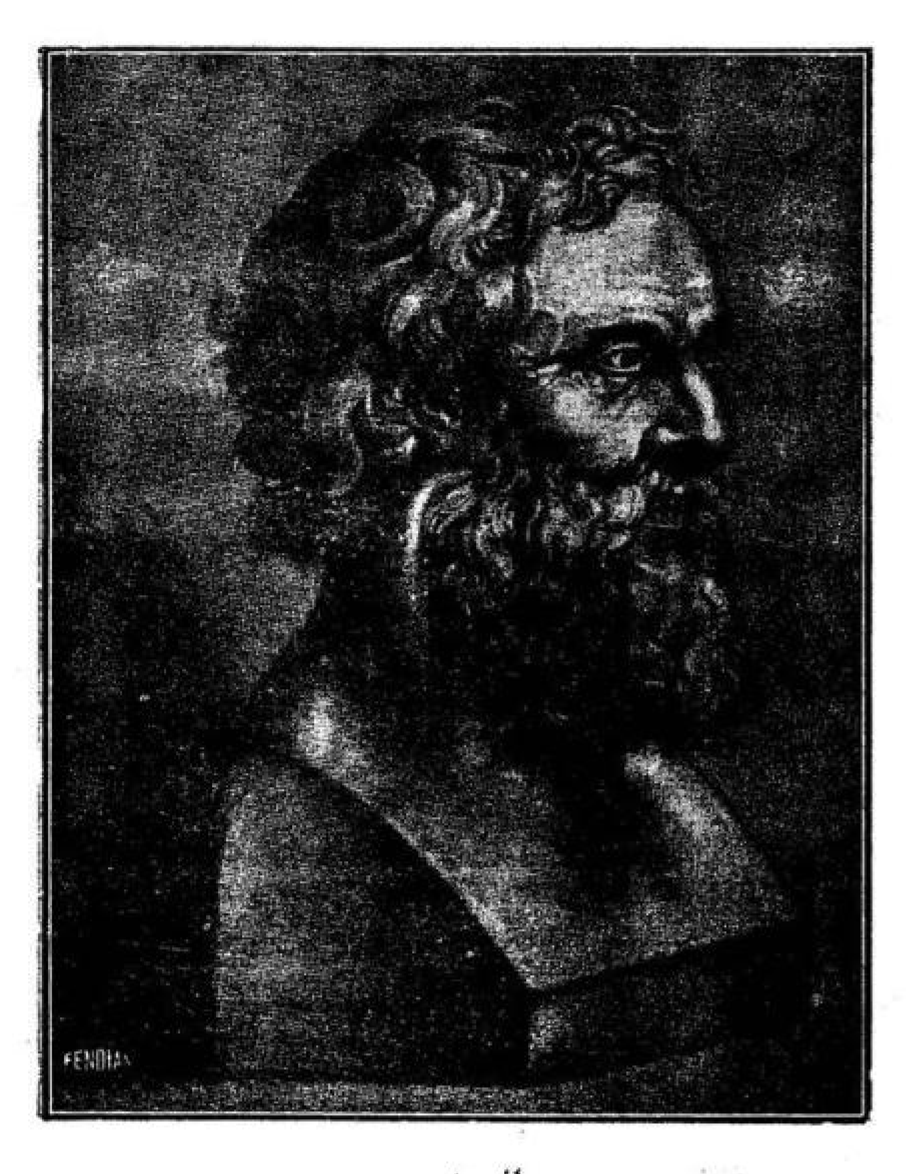
عرض في انكلترا مؤخراً زورق لنجاة ركاب البواخر من الغرق عند انكسارها مؤلف من ثماني حجر لا يستطيع الماء تخللها ويسع ١٥٠ شخصاً . وقد جرب عند سواحل انكلترا فاسفرت التجربة عن النجاح



سقراط الذي جرت على لسانه جمهورية افلاطون

مقتطف اكتوبر ١٩٢٩

امام الصفحة ٢٤٨



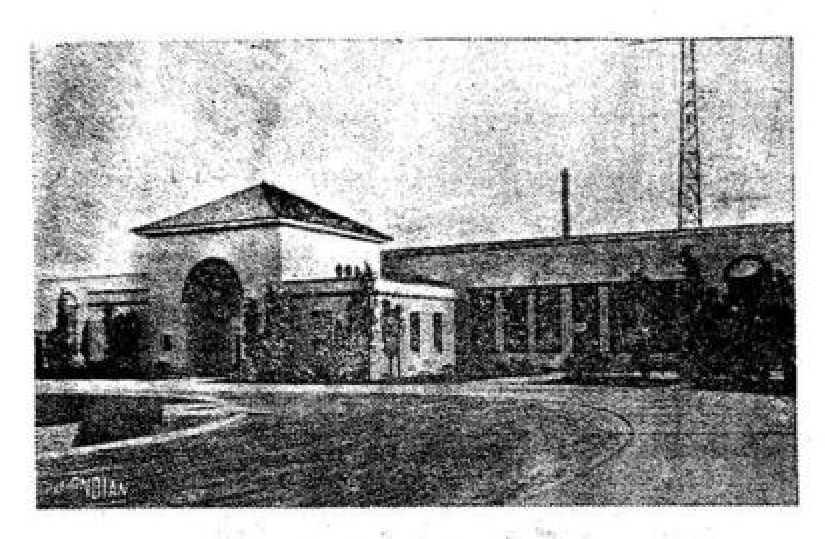
أفلاطون

نقلاً عن كتاب « قصة الفلسفة » تأليف الدكتور ول دورانت

السر ادون راي لانكستر

١٨٤٧—١٩٢٩

مقتطف اكتوبر ١٩٢٩
امام الصفحة ٢٦٩



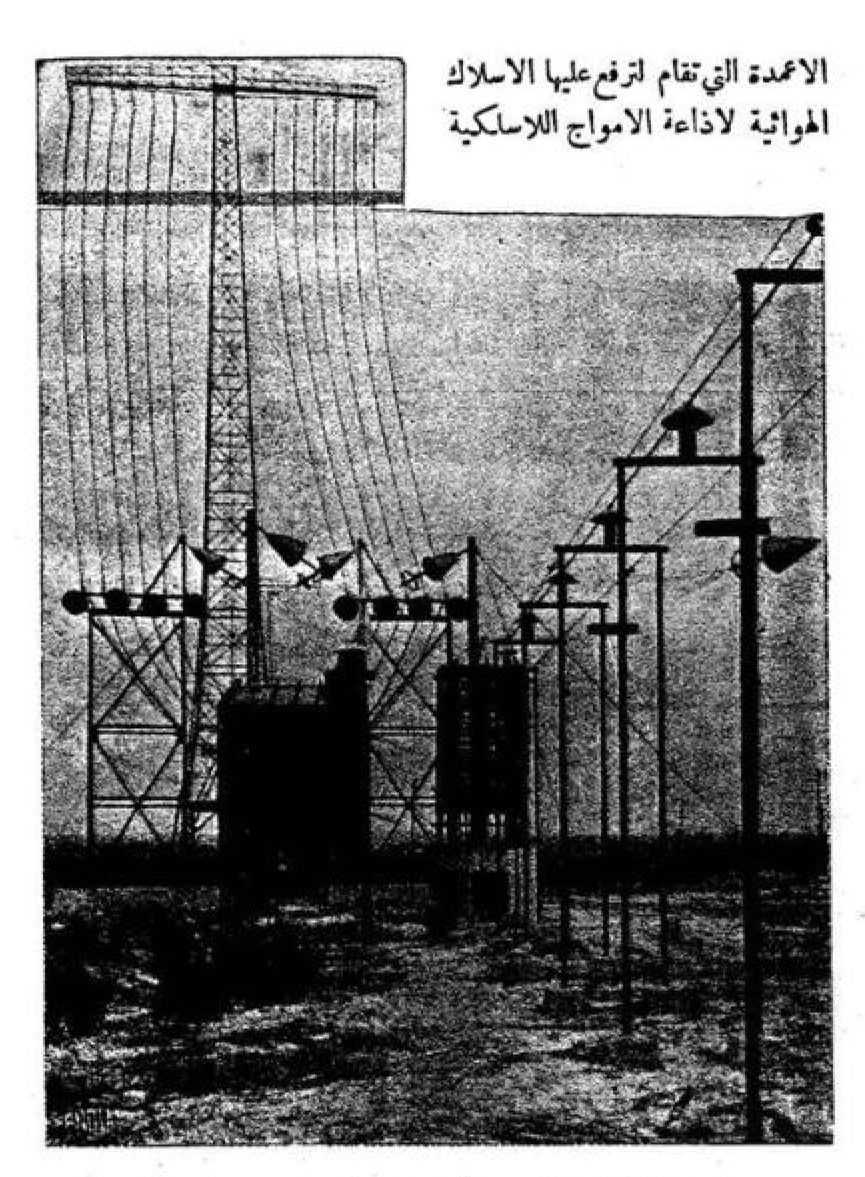
محطة ارسال المحادثات التليفونية اللاسلكية قرب نيويورك



مركز (سنترال) التليفون اللاسلكي في مكتب المحادثات البعيدة بلندن

مقتطف اكتوبر ١٩٢٩

أمام الصفحة ٢٧٢

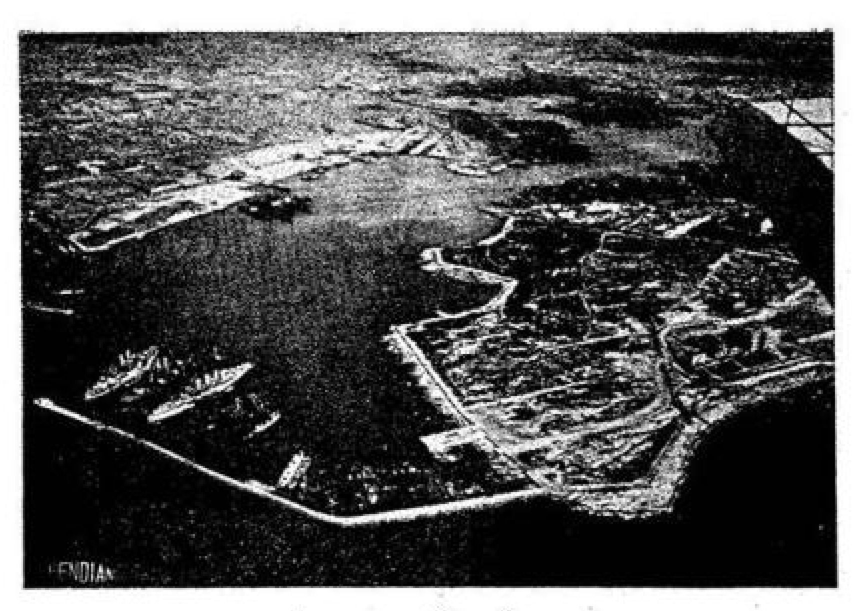


الاعمدة التي تقام لترفع عليها الاسلاك الهوائية لاذاعة الامواج اللاسلكية

محطة اللاسلكية المرسلة في رُكي بوينت قرب نيويورك

مقتطف ا كتوبر ١٩٢٩

امام الصفحة ٢٧٠

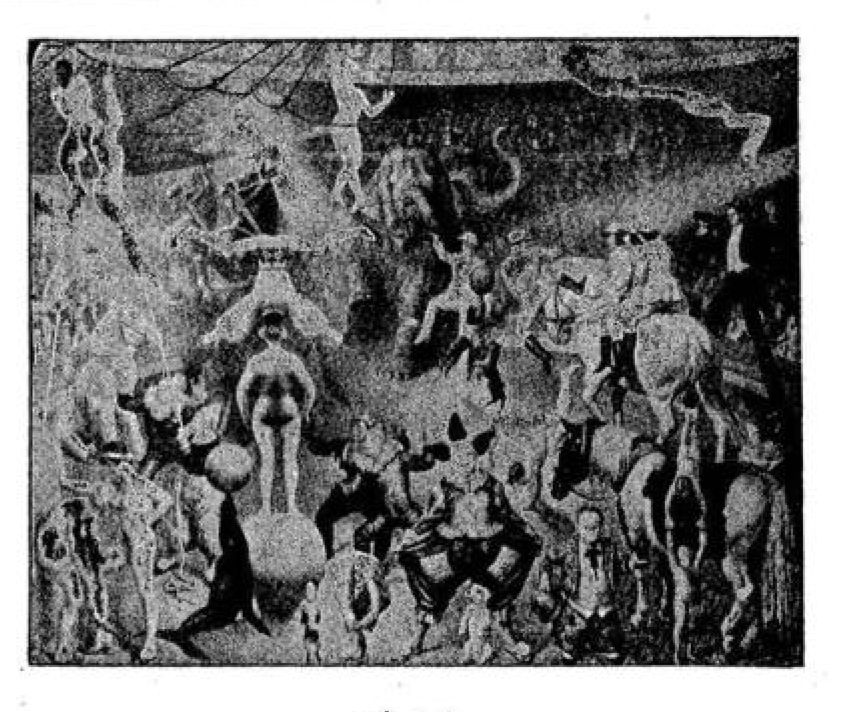


بيريه مرفأ اثينا كما يرى من الجو

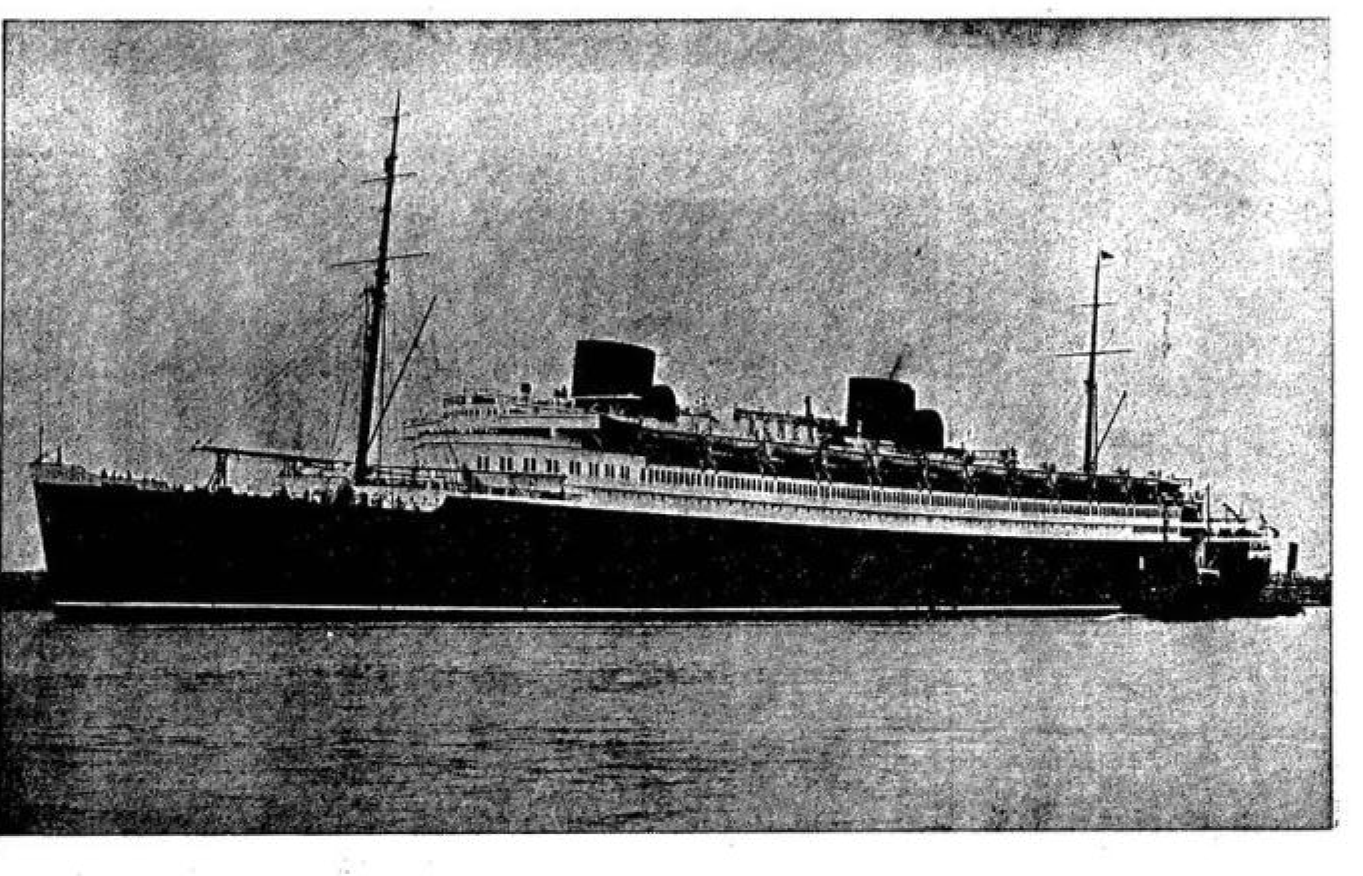
اثينا وهياكل الاكروبليس كما ترى من الجو

مقتطف اكتوبر ١٩٢٩

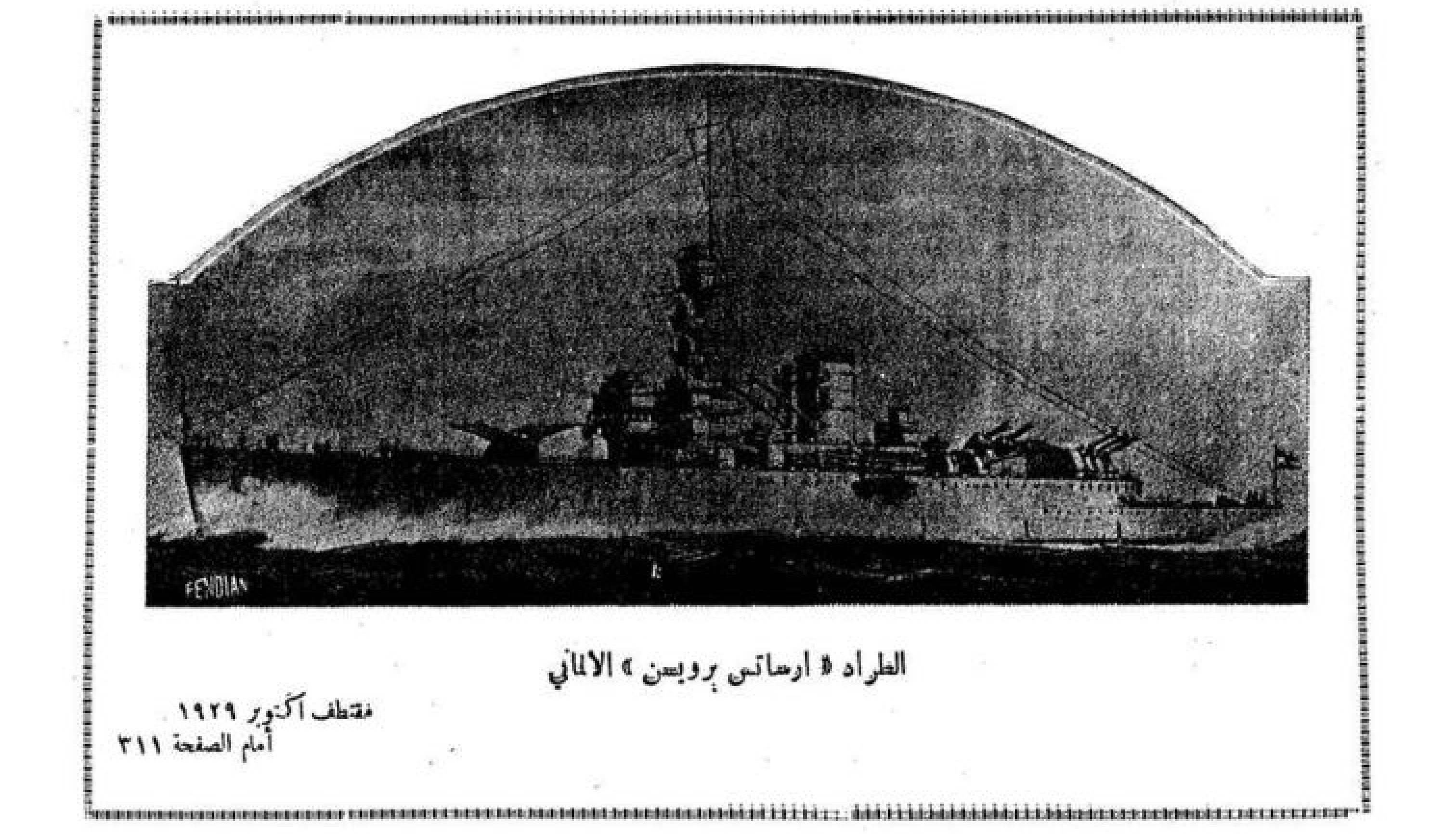
امام الصفحة ٣٠٣



الشاريفاري

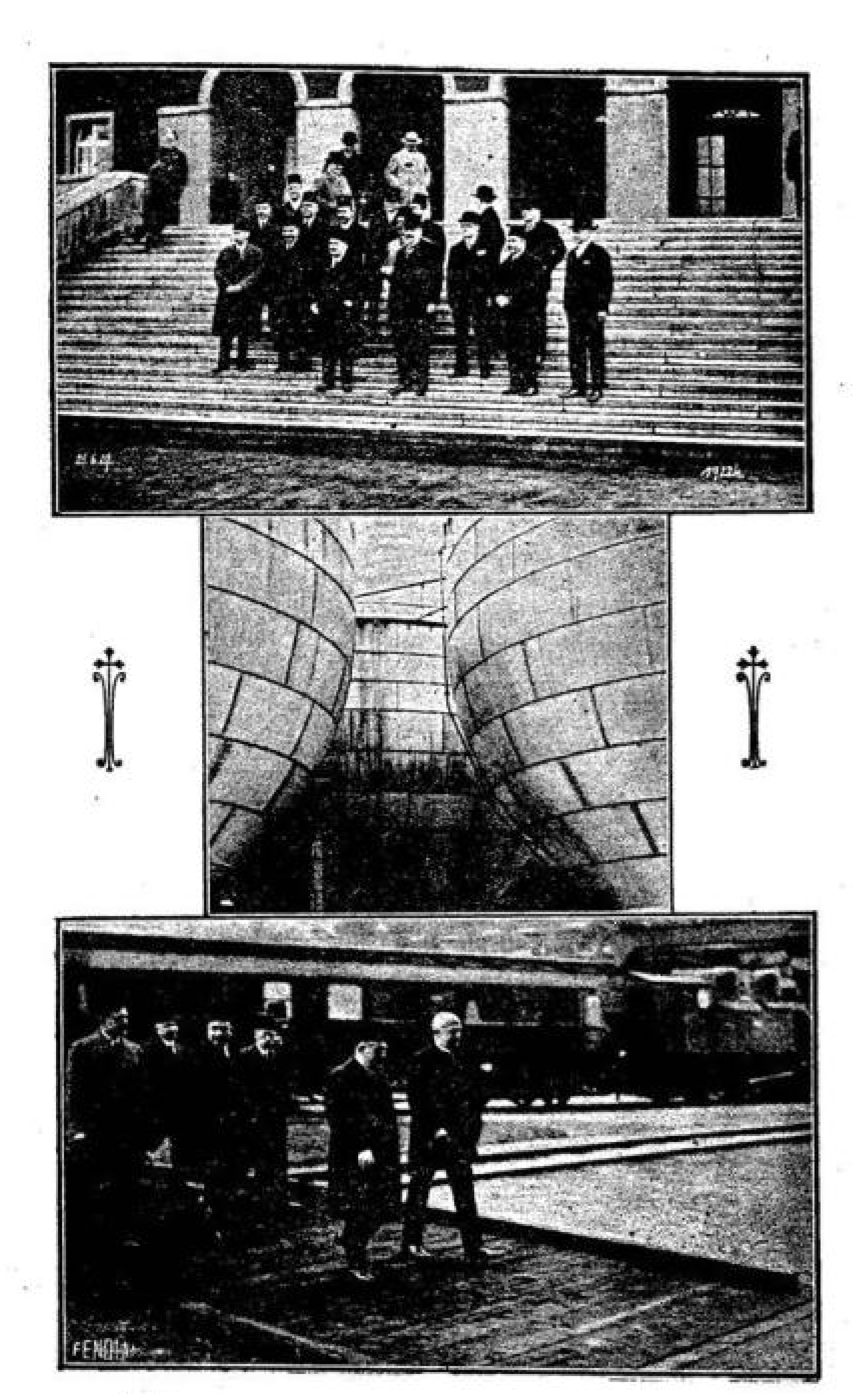


الباخرة الالمانية «برمن» اسرع البواخر التي تمخر عباب اليم



الطراد « ارساتس برويسن » الالماني

مقتطف اكتوبر ١٩٢٩
أمام الصفحة ٣١١



(فوق) جلالة الملك مع رجال حاشيته ومديري المعمل على سلم البناء الخاص بشؤون المعمل الاجتماعية
(وسط) الخلاقين الضخمة التي يخزن فيها السماد
(تحت) جلالة الملك يتجول في ارض المعمل



صور لاديصن في مواقف مختلفة

نقلا عن مجلة الدلم المام الاميركية

مقتطف نوفمبر ١٩٢٩

امام الصفحة ٣٦٥

الجزء الثالث من المجلد الخامس والسبعين


المقتطف
البرلمان المصري
AL·MUKTATAF



خاصة بالمقتطف

للسر آرثر كيث

مقوّمات الامم في نظر العلم

اصول الوطنية ونشوءها

كيف يعلّل العلماء الشعور القومي

نظر الاستاذ هكسلي الى مسألة الاقوام البشرية نظرة عالم بالحيوان . فطبّق على النساء والرجال الاساليب التي جرى عليها في درس الكلاب والطيور . وكان يذهب الى ان الرجال والنساء الذين يدّعون أنهم جنس خاص من البشر قائم بنفسه منفصل عن غيره يجب ان يتصفوا بصفات جسدية تمكن العالم بالاجناس من معرفتهم اذا اختلطوا بجمهور من الناس مختلفي الاجناس . « فالقومية » في نظره ليس لها مكان ما في نظام حيواني . والامة في رأيه ليست الاَّ مجموعة من الناس تربطهم بعضهم ببعض الارض التي يقطنونها واللغة التي يتكلمونها والسياسة والتقاليد التي يجرون عليها . ولا نستطيع أن تنظر اليها كجنس مستقل نظراً علميًّا

أما الرأي الذي اريد ان اعرضهُ على القارئ فاكثر مرونة من رأي هكسلي المتقدم الذي وضعهُ سنة ١٨٧١ واكثر منهُ مماشاة لمذهب النشوء. ولما كان هذا المذهب الجديد ينطبق على سكان القارات العالمية فعلينا ان نطوّق الارض بنظرنا لنرى تفرق الشعوب والاجناس فيها التي انقسم اليها الجنس البشري

ولا نستطيع ان نفعل شيئاً افضل من الجري على آثار هكسلي لان التقسيم الجنسي الذي وضعهُ في العقد السابع من القرن الماضي لم يفقهُ تقسيم آخر في نظري دقة ووضوحاً . فلنتتبع الحوادث التي افضت بهكسلي الى هذا التقسيم

في سنة ١٨٦٢ كان هكسلي يعدُّ كتابهُ المشهور الذي عنوانهُ «مكان الانسان في الطبيعة». فكان حتماً عليه ان يحقق نسبة الجمجمتين القديمتين اللتين كانتا قد وجدتا قبيل ذلك وهما جمجمة انجيا التي وجدت سنة ١٨٣٣ في بلاد البلجيك وجمجمة نينتدرتال التي عثر عليها في المانيا سنة ١٨٥٧ فكان عليهِ ان يتناول اجناس البشر الحيّة بالدرس والبحث ليرى هل يجد فيها اخداناً لصاحبي هاتين الجمجمتين . وهكذا نرى هكسلي سنة ١٨٦٢ وهو في السابعة والثلاثين من عمرهِ مكبّاً على درسٍ منتظم لاجناس البشر. فأصبح بذلك من علماء الاتنولوجيا (تفرق الاجناس البشرية) وبسرعة الرجل الذكي قبض على ناصية الموضوع وادرك ادراكاً شاملاً اهم الحقائق التي ينطوي عليها تفرق الاجناس البشرية كما ترى من العبارة التالية المقتبسة منهُ قال :

> ارسم خطاً على الكرة الارضية من الشاطىء الذهبي في غرب افريقية الى مراعي التتار في تركستان تجد ان في الطرف الغربي من هذا الخط تعيش شعوب هي اكثر الشعوب استطالة في الرأس وبروزاً في الفك وجعودة في الشعر وسمرة في البشرة هؤلاء هم الزنوج الحقيقيون وفي الطرف الآخر تعيش شعوب هي اكثر الشعوب استدارة في الرأس وارتداداً في الفك وسبطاً في الشعر وصفرة في الجلد هؤلاء هم التتار والكامك. فطرفا هذا الخط الوهمي هما قطب الاتنولوجية المتقابلان

وبعد ما رسم هكسلي هذا الخط الوهمي وقطبيه في مقدمة صورتهِ الاتنولوجية رسم خطاً آخر يخترق الكرة الارضية من بريطانيا الى استراليا قاطعاً الخط السابق في الشرق الادنى ومارّاً بالهند . ففي طرف هذا الخط من جهة بريطانيا تقطن الشعوب الشقراء وفي طرفهِ الاسترالي سكان استراليا الاصليون

اجناس البشر

وجرياً على هذه الخطة التي اتمها هكسلي سنة ١٨٦٥ قسم سكان الارض الى احد عشر جنساً او الى احد عشر « تنوعاً دائماً من الجنس البشري » اذا جرينا على تعبيره الذي كان يؤثره . فكل جنس من هذه الاجناس كان خاصاً ببقعة من الارض يقطنها او ظلَّ محصوراً فيها من اقدم الازمنة الى زمن التاريخ الحديث. فلنمرَّ سراعاً بالاقسام الاساسية التي وضعها هكسلي وهي : (الاول) الاسترالي (الثاني) التسماني (الثالث) النجريتو او شعوب الباسفيكي الشبيهة بالزنوج (الرابع) الامفنيزي ويطلق على الشعوب البحرية التي تقط

جزائر الباسفيك وارخبيل ملقا وجانباً من مدغسكر (الخامس) سكان اميركا الاصليون المنتشرون فيها من رأس القرن بجنوب اميركا الجنوبية الى سواحل لبرادور (السادس) الاسكيمو (السابع) الشعوب المغولية — المنتشرة من تيبت الى اليابان ومن تونكين بالهند الصينية الى لبلاندا في شمال اسوج ونروج (الثامن) الزنوج (التاسع) البوشمن . واخيراً الشعوب التي تقطن غرب آسيا وكل اوربا وهؤلاء قسمهم الى قسمين اولها وهو (العاشر) من اقسامه العامة، الشقر في المنطقة الشمالية وثانيهما او (الحادي عشر) السمر في المنطقة الجنوبية او منطقة البحر الابيض المتوسط. وكانت الشعوب التي تقطن جنوب الهند مصدر حيرة كبير للاستاذ هكسلي ولكنهُ بعد لأي وضعهم مع سكان استراليا في صفٍ واحد

ولنعد النظر الآن في المقياس الذي جرى عليهِ هكسلي حين تقسيم الشعوب الى الاجناس الآنف ذكرها — وهو مقياس يجري عليه العلماء في علم الحيوان. ذلك ان كل فرد في كل طائفة يجب ان يتصف بالصفات التي تمتاز بها طائفته عن غيرها من الطوائف. فاذا كانت الاقسام التي وضعها هكسلي حاسباً ان كل واحدٍ منها ممتاز عن الآخر واُخذ مائة شخص من كل طائفة منها وعرّوا جميعاً من ثيابهم واختلط حابلهم بنابلهم وجب ان يكون من السهل على العالم الاثنولوجي ان يعرف كل فردٍ منهم وان يضعهُ في الطائفة التي ينتمي اليها اصلاً . فكل جنسٍ من اجناس البشر تستطيع ان تعرف افراده حال رؤيتهم هو جنس نقيّ قلباً وقالباً (مائة في المائة) في سلم الاختلاف الجنسي . ولكن اذا صحّ مذهب النشوء وجب ان نجد شعوباً خليطة متدرجة في الصفات الجنسية التي تفرّق بين جنس وآخر

على ان هكسلي عدّل نظرهُ الى تفرق الاجناس الجغرافي لاسباب جمّة . فقد بدأ مباحثهُ وهو ينتظر ان يثبت لهُ ان شكل الجمجمة هو المقياس الاساسي الذي يبنى عليهِ تفريق الناس الى اجناس . فخاب نظره في ذلك اذ وجد ان صفات الجمجمة انما هي صفات لها مقام ثانوي من هذا القبيل . ووجد ان من الشقر من يكون مستطيل الجمجمة او مستديرها . ومن المغول من هم كذلك . وتحقق ان الصفات التي عليها يبنى التفريق بين الشعوب انما هي الصفات السطحية كلون البشرة وشكل الشعر . وانا اضيف الى هاتين الصفتين سمات الوجه التي يصعب قياسها ولكنها لا تخفى على احد

الفرد والاجناس

وقد اخذ العلماء في هذا العصر يلقون النور بمباحثهم على الاساليب التي تجري عليها الطبيعة في خلق الاجناس البشرية. فلدينا الآن ادلة مقنعة تشير الى ان نموّ الجسم وظهور الصفات الجنسية

المختلفة فيه يتوقفان الى حد بعيد على التركيب الفسيولوجي الذي مركزه في الغدد — الغدد الصماء او غدد الافراز الداخلي . فهذه الغدد تفرز مفرزات تدعى « هرمونات » لها اثر كبير في السيطرة على نمو الاعضاء . والعجب كل العجب اننا لم نكشف عن وجود نظام مسيطر على النمو كهذا النظام من قبل لانهُ كان معروفاً من اقدم الازمنة الى الآن ان خصي الفتيان (اي ازالة الخصيتين وهما من غدد الافراز الداخلي والخارجي معاً) لهُ اكبر اثر في تغيير اتجاه النمو . فهذه العملية تنشىء رجلا لهُ صفات كانها صفات جنس مستقل هو الخصي . فلدينا الآن ادلة ثابتة على ان الخصيتين فضلاً عن توليد الخيوط المنوية تفرز مفرزات داخلية تدور مع الدم في كل الجسم ولها اثر كبير في ضخامة الجسم وطول الاطراف وتكوين العظم وقوة العضلات وثخن العنق وحجم الفكين وشكل الانف والجبين ونمو الشعر ونعومة البشرة

وهذه الصفات هي هي الصفات التي يمتاز بها جنس من البشر عن جنس آخر . ففي جسم الخصيّ أبلغ مثل على فعل هذا التركيب الحيوي الذي يغيّر صفات الجسم التي يمتاز بها . فاذا شئنا ان ندرك شيئاً من الاساليب التي تجري عليها الطبيعة في خلق الاجناس الجديدة فلنولِّ وجوهنا شطر هذا التركيب الحيوي الذي يسيطر على النمو ولنحاول فهمهُ

التجمع والانعزال

من المسلَّم بهِ ان اكثر الاجناس البشرية المعروفة الآن نشأت في احوال مماثلة للاحوال التي يعيش فيها سكان استراليا الاصليون الى يومنا هذا . فهذا الجنس من البشر مقسَّمٌ الى قبائل كل قبيلة تعيش في منطقة معيَّنة من ارض الصيد والقنص واضحة المعالم والحدود لا تعدوها الى غيرها . فاذا عدت القبيلة الحدود الى منطقة جيرانها حسب هذا تعدياً وعليها حينئذٍ اما ان تلجأ الى القتال او ان يولي رجالها الادبار ويتراجعوا الى منطقتهم . فالغيرة والمقاومة التي تفصل بين قبيلة واخرى تعزلان كل قبيلة عن جارتها . ولكن قوى اشد فعلا من هذه العواطف تربط كل قبيلة بارضها . فابناء كل قبيلة يتكلمون لغة واحدة ويجرون على طائفة واحدة من العادات والمعتقدات والتقاليد ولهم مصالح مشتركة وهم فوق كل ذلك ذوو قربى . فكل فرد من افراد القبيلة متصل بارضهِ اتصالاً عاطفياً قوياً . فاذا بعد عنها تاق الى العودة اليها . واذا حفَّ بارضهِ خطر ما اثار فيهِ انفعالاً عقلياً قوياً اساسهُ ثورة العاطفة وهذا الانفعال يعرف بالوطنية . هذا الانعزال هو العامل الاقوى في تكوين صفات جديدة يمتاز بها فريق من البشر دون فريق آخر . وعليه فهو سبيل الطبيعة الممهّد لتوليد الاجناس البشرية

فنظام القبائل هو سبيل الشعوب الى التجمع والانعزال وهذا الانعزال لا مندوحة عنهُ للافعال الفزيولوجية حتى تخلق صفات جديدة يتألف من مجموعها مميزات الاجناس الجديدة

والآثار التي تدل على وجود نظام القبائل في القدم تعثر عليها في كل انحاء العالم وكانت لاتزال باقية الى عصرنا في «انخاذ» اسكتلندا. وقد كان هذا النظام عامًّا يشمل جميع بلدان الارض عصوراً متطاولة. فدماغ الانسان نشأ في الزمان الذي كان فيهِ نظام القبائل سائداً. ان كل قوى العقل والشعور فيهِ وكل انفعالاتهِ نشأت نشوءًا يمكنها من قضاء مطالب النظام الاجتماعي السائد حينئذ ومن طريق الصدفة اسدت هذه القوى يداً الى الارتقاء البيولوجي العام

ومن العوامل الطبيعية التي ساعدت الشعوب على التجمع في بقع معينة والانعزال عن غيرها الحوائل الطبيعية التي لم يقوَ عليها الانسان في مهد العمران كسلاسل الجبال كجبال الهملايا مثلاً — والصحارى الشاسعة المقفرة كالصحراء الكبيرة — والبحار الواسعة كالاوقيانوس الاتلنتيكي

واقسام الارض مناطق يقطن كلاً منطقة منها قبيلةٌ خاصة نظام لا ينفرد بهِ الانسان بل تجري عليه الحيوانات اللبونة العليا كذلك. ولكن في احوال خاصة تتحول الغرائز التي تربط الحيوان بارضهِ الى ضدّها فتحملهُ على هجرتها في طلب ارض اخرى. فطائفة الغرائز الاولى ترعرع النوع في ارضهِ وتولّد فيهِ الصفات التي يمتاز بها عن غيرهِ والطائفة الثانية تحملهُ على التوزع والانتشار. والمدوّنات التاريخية لا تتركنا في ريب ما من اتصاف الانسان بهاتين الطائفتين من الغرائز. على ان الهجرة كانت عاملاً ثانويًّا من عوامل النشوء ليس لها مقام كبير في نشوء الانسان ولولا الانعزال لما تسنى لجماعة من الناس ان ينشئوا جنساً جديداً

وهنالك عامل آخر من عوامل الانعزال هو ذلك الانفعال الفطري الذي تطلق عليهِ اسم الشعور الجنسي. فكل الحيوانات تعرف بفطرتها الحيوانات التي من نوعها. وهي كذلك تعرف الحيوانات التي ليست من نوعها. وهذه المعرفة الاخيرة يصحبها في الغالب الشعور بنفور شديد. فالشعور الجنسي يبقى كامناً في صدور الرجال والنساء ما زالوا يروحون ويجيئون بين ابناء جنسهم. ولكنهم متى عدوا حدود المنطقة الخاصة بهم الى منطقة قبيلة اخرى او جنس آخر تتيقظ في نفوسهم عواطف فطرية قوية هي اصول الشعور الجنسي. وفي بعض الاحوال قد تؤجج هذه العواطف في صدورهم نار التحمس والانفعال وتخرج باصحابها من ميدان الحكمة الى ميدان التهوّر. واني انظر الى هذا الشعور الجنسي كاسلوب

من اساليب النشوء للاحتفاظ بنقاء الجنس ومنعهِ عن الاختلاط بالاجناس الاخرى حتى لا يفقد مقومات شخصيتهِ . فما يثور في صدور البشر من عناصر الغضب لهُ في الغالب اصل بيولوجي وفائدة بيولوجية

التزاوج والاجناس الخليطة

كان هكسلي يميل الى ان يحسب الاجناس الخليطة المتوسطة بين الاجناس الصافية ناشئة عن التزاوج . ولكن اذا كانت افعال النشوء سارية في الخلق منذ فجر البشرية واذا كانت لا تزال تفعل في جسم الانسان وعقله وجب ان نجد اجناساً متوسطة بين الاجناس الصافية نتيجة لازمة للتغيُّر الطبيعي من غير ان نلجأ الى مذهب التزاوج لتعليل وجودها . ان مذهب النشوء اذا صحّ تطبيقه على الموضوع الذي تنظر فيهِ ، يقضي بوجود اجناس في كل درجات التفاوت والاختلاط بين الاجناس الصافية . وهذا ما نجدهُ . لذلك اختلف علماء الانثربولوجيا في عدد الاجناس البشرية الاساسية . فذهب هكسلي اولاً الى وجود احد عشر جنساً ثم هبط بالعدد الى اربعة. وبدأ الاستاذ هيكل باثني عشر جنساً في سنة ١٨٧٣ وجعلها اربعة وثلاثين جنساً سنة ١٨٧٩ واخيراً رأى وجوب الاعتراف بوجود ١٧ جنساً اصليًّا و٢٩ جنساً فرعيًّا

ان عدد الاجناس يتوقف على درجة الاختلاف بين الاجناس التي تتخذها مقياساً

انا لا اقول ان التزاوج لم يحدث قط في الماضي ولا هو حادث الآن على الحدود الفاصلة بين بلدان الاجناس المختلفة . ففي بعض الاماكن بلغ التزاوج حدًّا بعيداً . ولكن بعد كل ذلك نجد ان التزاوج ليس الاّ عاملاً ثانويًّا في نشوء الاجناس . اننا لا نستطيع ان نعلّل بهِ حالة الاجناس البشرية ولكننا بمذهب النشوء نستطيع ذلك

فقد بلغنا الآن درجة من العلم يجب معها ان يفهم كلٌّ المشتغلين بالمباحث الاثنولوجية ان كل سعي لتقسيم البشر الى اجناس يجب ان يقوم على اساس نشوئيّ . ففي انحاء الارض نجد شعوباً تمتاز كلٌّ الامتياز عن غيرها وفيها يستطيع العالم ان يعرف كلَّ فرد من افرادها ويعيّنهُ للجنس الخاص بهِ اذا رآهُ في قوم خليط . ثم هنالك اجناس هي على درجة تسعين في المائة من الصفاء اي انك اذا عرضت على عالم مائة فرد منها في خليط من الناس لم يستطع ان يعرف اكثر من تسعين فرداً منهم اتكالاً على ظهور الصفات الخاصة التي تمتاز بها جنسهم عن غيره من الاجناس . وهكذا نجد اجناساً على درجة ثمانين او سبعين او ستين من الصفاء فهذه الطوائف من الناس كلها اجناس بالمعنى البيولوجي الحقيقي . كلها درجات في سلم النشوء

الزراعة

وحين نعمد الى البحث عن القوى التي قضت على نظام القبائل الذي كان سائداً في اوربا في العصور القديمة يجب ان نرجع الى الشرق الادنى في العصور السابقة للتاريخ المدوَّن . ففي بقعة من الشرق الادني كشف عن الفن الذي تقوم عليها الحضارة الحالية اعني الزراعة. فالقبيلة او طائفة القبائل التي وفقت الى هذا الاكتشاف سبقت جاراتها وتفوقت عليها فزاد عدد ابنائها لما زاد مقدار الطعام الذي تنتجهُ الارض. ولم يلبث ان ضاقت المنطقة الخاصة بهم عن ان تسعهم فاخذوا في الانتشار . فالمذهب القائل بان الشرق القوقاسي هو مهد الحضارة متفق وكلّ الحقائق العلمية المثبتة لدينا . ومن هذا الشرق اخذ الناس يتدفقون موجةً اثر موجة الى اوربا . فزالت الحدود الفاصلة بين مناطق القبائل الخاصة ونظام القبائل القديمة الذي جرت عليهِ الطبيعة لخلق الاجناس الجديدة اصابهُ اختلال وتشويش . ولكن هذا النظام لم يزل كلَّ الزوال . فان العلماء الى الساعة يعلمون ان اوربا لا تزال مقسمة الى مناطق ففي الجنوب تقطن شعوب مستطيلة الرؤوس سمراء البشرة وفي الشمال شعوب مستطيلة الرؤوس شقراء البشرة وفي المناطق المتوسطة بين الشمال والجنوب تقطن شعوب متفاوتة الدرجة من حيث استدارة رؤوسها ولون بشرتها . فالحضارة قد شوشت نظام الطبيعة النشوئي في كل المنطقة القوقاسية

الحرب

واجال هكسلي نظرهُ في سكان بريطانيا فادرك ، وهو العالم بعلم الحيوان ، انهم كسكان اوربا، خليط من الاجناس المختلفة وان القومية البريطانية مزيج من الاجناس القاطنة اوربا سمراء وشقراء لذلك حمل حملة شعواء على كل من يدعي انفصال القومية البريطانية عن سائر القوميات الاروبية قائلاً ان الذين تتألف منهم هذه القومية جنس خاص منفصل عن بقية الاجناس الاوربية . ومذ اعرب الاستاذ هكسلي عن رأيهِ هذا ثارت الحرب الكبرى الدامية فكشفت عن الميول الفطرية الاصيلة في الطبيعة البشرية واطلقت لها العنان . وبعد ماوضعت الحرب اوزارها هبّت القوميات الصغيرة تطالب بكيانها المستقل جرياً على مبدإ تقرير المصير فاقبل رجال السياسة على عملهم وهم يحسبون ان بين ايديهم مسائل سياسية لا مشاكل بيولوجية . واذا صحّ المذهب الذي بسطتهُ في نشوء الاجناس وجب ان تعالج مسألة القوميات معالجة بيولوجية نشوئية . ان حركة المطالبة باستقلال القوميات الصغيرة سببهُ ثورة الذكرى في طبيعة الانسان لنظام القبائل القديم . ففي جوّ الحرب انطلقت الميول الفطرية التي كانت كامنة في صدور البشر بعد ما ازال عنها القتال طلاء الحضارة الحديث

يوبيل النور الكهربائي

بروميتيوس وادبصن

اخذا النار والنور من الآلهة فاضاءا بها طريق العمران

قلّب صفحات التاريخ باحثاً عن شخصية حقيقية او خرافية تضعها وشخصيةَ اديصن في كفتي ميزان فلا يستقرُّ بك النوى الا وقد طويت الوف السنين راجعاً الى جاهلية اليونان فتقف في خرافاتهم وسيَر ابطالهم على قصة البطل بروميتيوس الذي سرق النار من الآلهة ليمنحها للناس لانها كانت في رأيهِ اعظم النعم . فهو في نظر بعض الكتاب الاقدمين « مغدق المعرفة على البشر » بل هو « مكوّنهم ومعلمهم »

قيل : ونظر اروس آله الحب الى الارض وقد اكتست حلة سندسية تمرح في ربوعها انواع الاحياء على اختلافها فرأى ان يغدق عليها من الغرائز ما يمكنها من التمتع باطايب الحياة فدعا اليهِ اصغر ابناء ايابيتس — وهما بروميتيوس وابيميتيوس — وعهد اليهما في توزيع العطايا الالهية على الكائنات الحية واوصاهما بان يخلقا كائناً سامياً ويغدقا عليهِ الهبات حتى يسود الكائنات الاخرى (الانسان) فطلب ابيميتيوس الى اخيهِ ان يتولى هو المنحَ ففعل فلما انتهى من الاغداق على الكائنات السفلى نفد كل مالديهِ من الهبات العلوية ولم يبق لديهِ ما يهبهُ للانسان . فأخذا كتلة من الطين وصنعا منها هيكلا وقد اشار هوراس الى ذلك بقولهِ : « وحوّل بروميتيوس الجواهر الفردة الى دلفان بشري » ثم طلبا الى اروس ان ينفخ فيهِ روح الحياة والى ميترفا الاهة الحكمة ان تهبهُ نفساً . فلما رأى بروميتيوس صنع يديه موضعاً للفخر اراد ان ينعم عليهِ بقوة لا يشاطرهُ اياها كائن على الارض فتعلو بهِ فوق كل الكائنات وتقربه من مقام الآلهة

ولكي يفعل ذلك لم يجد قوة اعظم من قوة « النار » . ولكن « النار » كانت من المزايا التي تملكها الآلهة دون غيرها ، وكان برميتيوس يدري ان الآلهة لن تقبل ان تنعم بها على الانسان واذا فاز بها احد خلسة عوقب معاقبة السارق . فتأمل المسألة طويلا واخيراً عزم ان يفوز « بالنار » او يموت في طلابها . وفي احدى الليالي الظلماء قصد الى جبل اولمبوس مقرّ الآلهة ودخل مخدعهـا من غير ان يشعر بهِ احدٌ وقبض على مشعالٍ مضيء واخفاهُ في

صدره ورحل طرباً جذلاً بما قسم لهُ من النجاح . فلما وصل الى الارض انعم بالكنز على الانسان فاخذهُ وجعل يستعملهُ في مئات من الاغراض. اما ماحدث بعد ذلك وكيف اكتشف الآلهة سرقة بروميتيوس وكيف عاقبوهُ وكيف خلّصهُ هرقل فحوادث في تاريخ اليونان الخرافي لامتسع للتبسط فيها هنا

نحن لا نقول ان اديصن علم البشر كيف يستضيئون . ان المصابيح التي كانت تضيء باحتراق زيت من الزيوت او دهن من الادهان يرجع تاريخها الى العصر الحجري. فقدكان رجال ذلك العصر يحرقون الادهان الحيوانية في قطعٍ مجوفة من الخشب للاستنارة بها . وكان الرومان يحرقون زيت السمك او غيرهُ من الزيوت الحيوانية في مصابيح من الطين المشوي. وقد كان القصد من اصطياد الحيتان في العصور الماضية الحصول على زيتها للاستضاءة بهِ وكان الصينيون يصنعون مصابيحهم الجميلة ويشعلون فيها زيوتاً نباتية

كذلك لا ندعي ان اديصن هو اول رجل صنع نوراً كهربائيًّا باطلاق المعنى . فقد جاء في مدوَّنات المعهد الملكي البريطاني ان السر همفري دايفي اثبت في مطلع القرن التاسع عشر ان التيار الكهربائي الحاصل من عمود فلطاني مؤلف من الفي خلية يحدث قوساً من النور اذا اجري في عمودين من الكربون مفصول احدهما عن الآخر قليلاً . هذا هو نور القوس الكهربائي الاول . ولكن استنباط السر همفري دايفي ظلَّ مطويًّا حتى استنبط المولد الكهربائي واشتغل فراداي بالموضوع فما وافت سنة ١٨٧٠ حتى كان الدكتور شارل برش والمستر ادورد وستن قد جملا الانارة بنور القوس الكهربائي صناعة رائجة في اوربا واميركا

المدالية التي ضربت للاحتفاء بيوبيل النور الكهربائي

هنا دخل اديصن الميدان وبسرعة الرجل العبقري الذي يخترق ستر الغيب ببصرهِ النافذ رأى ان نور القوس الكهربائي لا يجدي نفعاً في توسيع نطاق الانارة الكهربائية حتى تعم البيوت والمدارس والمعامل. وصناعة النور الكهربائي لا تتسع ولا تتقن الا اذا راجت ولا تروج الا اذا عمت الاماكن التي تقدم ذكرها . لذلك صرف اديصن نظرهُ عن نور القوس الكهربائي واخذ يبحث عن طريقة تمكنهُ من الانارة بالكهربائية بطريقة اللمعان اي بامرار تيار كهربائي في سلك من مادة معينة

فيحمى السلك لمقاومته للتيار فيحمرُّ ثم يبيضُّ بالحرارة ومتى ابيضَّ يسطع منهُ نور باهر يخطف الابصار. وقد كان مسألة النور الكهربائي اعقد المسائل التي اشتغل اديصن بحلّها . فانهُ لما شرع يبحث في هذا الموضوع لم يكن يُعرف شيء تقريباً عن النور الكربائي مما تلزم معرفتهُ. لذلك لما فاز اولاً بصنع المصباح الكهربائي الاول على مثال المصابيح المستعملة الآن عرضت لهُ مصاعب كثيرة وجب تذليلها قبل الفوز بجعل الانارة الكهربائية عملاً تجاريًّا رابحاً . واديصن من الذين يرون ان تصوُّر الاختراع سهل على نوع ما واخراجهُ من التصور الى الفعل اخراجاً علميًّا قد يكون سهلاً ايضاً . ولكن الصعوبة كل الصعوبة في اخراجهِ من التصوُّر الى الفعل اخراجاً تجاريًّا حتى يشيع استعمالهُ ويربح منهُ صانعهُ فيغرى بموالاة اتقانهِ

ان قصة مباحث اديصن واعوانهِ التي افضت الى اكتشاف النور الكهربائي اللامع (نستعمل لفظة لامع هنا بمعنى *Incandescent*) وصنع المصباح الكهربائي الاول تكاد تحسبها من بنات الخيال او حديث خرافة لو سمعتها. كانوا لا يعبأُون بمرور الزمن ولا باوقات الطعام حتى ولا بالنوم لان اكبابهم على خلق شيء جديد كان قد اوقظ كل قوة من قواهم العقلية والعصبية. فانفقوا نحو ثمانية آلاف جنيه قبلما تمكنوا من صنع مصباح ينير متى اتصل بالدورة الكهربائية . ولما انارو هُ ظلَّ منيراً اربعين ساعة متوالية . ولكن السلك السريع الانكسار الذي استعملوه اولاً لم يفِ بمطالب التجارة اذاً ما الفائدة من مصباح ينير اذا كانت اقل هزة تصيبهُ تفتت سلكهُ وتذروهُ. لذلك اخذ اديصن يكربن كل شيء تقع عينهُ عليهِ. وفي مدوناتهِ الخاصة تقع على اسماء بعض الاشياء التي كربنها محاولاً ان يصنع منها سلكاً للمصباح الكهربائي لا يكون سريع التكسر والتفتّت ، فاذا راجعتها وجدت بينها كل انواع الورق على اختلاف درجاتها من القوة والثخانة وكلَّ انواع الخيوط حتى الاسلاك التي يستعملها الصيادون في اصطياد السمك . وانواع الخيوط النباتية كخيوط جوز الهند وتيلة الكتان والسلولويد وغيرها كثيراً من انواع الاخشاب والنباتات. ولما خطر لهُ ان يجرب خيوط الخيزران بثَّ العيون والارصاد في اليابان وجنوب اميركا وغيرها من البلدان الذي يزرع فيها الخيزران فبعثوا اليهِ بكل اصنافهِ وكانت نحو ستة آلاف صنف فجرَّب تجاربهُ فيها حتى وصل الى افضلها ويقال انهُ انفق في هذا السبيل عشرين الف جنيه او اكثر

وبعد ما صنع المصباح الكهربائي اللامع وجب عليهِ ان يبدع نظاماً كهربائيًّا جديداً يمكنهُ من توليد الكهربائية وتوزيعها وتقسيم التيار حتى ينير بهِ حيث يشاء المصابيحَ الصغيرة والكبيرة على السواء فاقدم على هذا العمل غير هيَّاب مع انَّ علماء من مقام الاستاذ تندل كانوا يهزؤن بهِ.. وبعد ذلك اخذ النور الكهربائي يرتقي ويُتقن وخصوصاً في صنع السلك

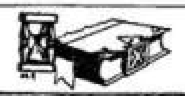
الذي فيه فصنع سنة ١٩٠٤ من معدن الاسميوم ثم من معدن التنتالوم ثم من معدن التنستن
في تاريخ العلم والعمران مستنبطات اعظم من النور الكهربائي اثراً في احوال الشعوب الاقتصادية كالسكك الحديدية والبواخر والتلغراف والتليفون وغيرها . ولكن استنباط النور الكهربائي اللامع الرخيص الثمن احدث ثورة في عادات الناس واسلوب معيشتهم . فقد اشترك هذا النور مع المطبعة في اطلاق العقل البشري من القيود التي كبّل بها والقضاء على الخرافات والمخاوف التي كانت تظلم امامهُ طريق الفكر فاعدهُ لعمله العظيم وهو تأييد سيطرة الانسان على الارض . وعلاوة على ذلك بدّد غياهب الظلام من المدن فقضى بذلك على مراتع الجناة ومدّ اجل العمل امام العمال الفقراء . وقد مكنت الانوار الكهربائية الساطعة طائفة العلماء من درس طبائع المكروبات على لوحة المكرسكوب وابداع الطرق لمكافحتها واتقائها

***

نكتب هذه الكلمات ونشوة الفرح تهزّنا لان العالم المتمدن باسرهِ شعوبهُ وحكوماته ومعاهدهُ وصحافتهُ تشترك اليوم في الاحتفال بعيد النور الكهربائي الخمسيني . ان الغبطة التي يشعر بها اديصن اليوم لا تفوقها غبطة اخرى على الارض . فقد ابدع من دماغه المنير شيئاً يظلُّ يذكر مقروناً باسمهِ مازال العمران الحاليّ قائماً . شيئاً افاد العمران فائدة مازالت تنمو حتى صارت الاموال المثمرّة في صناعات الانوار الكهربائية والصناعات المتصلة بها تفوق الحصر — فقد بلغت الاموال التي ثمرّت في هذه الصناعات في هذه السنة وحدها ١٤٠ مليوناً من الجنيهات. واذا اضفت الى ذلك ابواب العمل العديدة التي فتحت للعمّال في اعمالٍ شريفة مفيدة اتضح لك فضل هذا الرجل الشيخ الذي ما زال حتى الساعة يشتغل كل يوم ما لا يقلُّ عن خمس عشرة ساعة مع انهُ قد اوفى على الثانية والثمانين . وهو على مقامهِ وشيخوخته لا يأنف من ان يتلقى درساً عن اصغر الناس. همة تخجل الشبان ودعة فيها ابلغ عظةٍ للمتكبرين ! لقد اصبح اسمهُ مقروناً باسماء الابطال الخرافيين لما نسج حوله من القصص والحكايات ولكنهُ يفوقهم براعة وابداعاً . ومع ذلك فهو حيٌّ يرزق ولشبان العصر في اكبابهِ على العمل ودعتهِ واحتقارهِ للابهة الفارغة واجلال العالم لهُ لافرق بين قوم وقوم ودين ودين اعلى مثل للرجولة الحقة التي تقوم على اثنين من الخلق الكريم والفائدة العامة

فالمقتطف الذي وُجد قبلما وجد نور اديصن الكهربائي وما زال منذ اربع وخمسين سنة يذيع مستنبطات اديصن ومناقبهُ يضمُّ صوتهُ الى جوق الاصوات المرتفعة اليهِ في هذا اليوم بالتكبير والشكر والدعاء

٢١ اكتوبر ١٩٢٩ فؤاد صروف



إلمامة تاريخية ساذجة

بعصر أبي بكر الصديق

بقلم الدكتور احمد فريد رفاعي

— ١ —

قصة ظريفة لا اتذكر تماماً أين قرأتها ، ثم لا اذكر الفاظها وكلماتها، كما لا أذكر كاتبها ومؤلفها ولكني اذكر شيئاً واحداً واذكره جيداً . . . . . ذلك انني تأثرت بها وكان تأثري بها عظيماً وبليغاً وعميقاً . . لأنها كانت ساذجة والعقول الساذجة تحب ما هو ساذج وتتأثر بما هو ساذج . ثم هي تنطبق على الواقع بقدر ما تنطبق على تصوير الحق واختلاف الناس في تصوير الحق . . والحق نسبي كما تعلم ولا يستطيع العلم مهما كان قوياً وناضجاً ، ومهما كان دقيقاً او كاملاً ، ان يزعم انهُ وصل الى الحق الكامل غير المنقوص ولا المبتور

قصتي التي رأيت ان استفتح بها حديثي معك ، والتي زعمت لك انها ظريفة ، وزعمت لك انها ساذجة ، ثم زعمت لك انها تنطبق على الواقع بقدر ما تنطبق على تصوير الحق واختلاف الناس في تصوير الحق — هي عن عميان سبعة اجتمعوا بفيل ، فرأى كلٌ ان يصف الفيل للآخر ، واعتقد كل انهُ مصيب لباب الحق وسدرة الصواب فيما هو واصف وفيما هو متكلم . ولماذا لا يعتقد انهُ مصيب الحق والصواب وهو لا يتكلم الا بما يحسُّ انهُ الحق والصواب . . . . لقد وصف الاول الفيل بانهُ كجذع النخلة لأنهُ أمسك بيده ساق الفيل وساق الفيل بجذع النخلة شبيهة ومثيلة . . . ووصف الثاني الفيل بانهُ كالأفعى لأن امسك بيده خرطوم الفيل . . . . ووصفهُ الثالث بانهُ كالحائط لأن يده وقعت على جثمانهِ . . . . وابى الرابع الا وصفه بالمروحة لأنهُ عثر على اذنهِ . . . وابى الخامس غير السادس والسادس غير السابع . . . وكلٌ استمسك برأيهِ ودافع عن وصفهِ . وكلٌ آمن بحقه وكذّب بحق غيره . . .

تلك قصة لا تعدو ما تقع فيهِ كل يوم . . . . ومن زعم انهُ بصير بكل صحيح ، ثاقب النظر في كل امر ، وانهُ ليس بمرضة لأن يصيبهُ الباطل ولو « رشاشاً » ولا اقول عن يمينهِ او يساره فأخشى ان يكون حاله كحال احد السبعة الكرام

ولكنا نرجو، وهذا كل ما نملكه في ميدان العلم ، وفي ميدان كتابة التاريخ وقد اصبح

فرعاً من العلم ، وفي كتابة التاريخ الاسلامي وهو اشق فرع في تاريخ هذا العلم ، لانه لم يخضع بعدُ الخضوع العلمي الصحيح . . . لم يخضع بعد للشرحة ولم يذعن بعد للتحليل — نرجو — ونحن نؤمن بقصتنا — ان نستوعب وصف السادة السبعة ، ونجمع من وصفهم شيئاً يقربنا في مجموعه مما هو حق ومما هو صواب

اجل نرجو ان يكون لنا من اقوال الشيعي وغير الشيعي ، والاموي والعباسي ، والخارجي وغير الخارجي ، ما ينكب بنا عن ضلالة الامعان مع هذا او ذاك . كما نرجو ان يكون ايماننا بضرورة البحث عن الحق في شتى نواحيه ، مدعاة للقرب منهُ وامداداً لتذليل صعابه وازالة عقابه . . ولو نسبيًا . . . ولو خطوة واحدة الى الامام . . . في سبيل تفهم هذا التاريخ المجيد العظيم

—٢—

وليس من جديد عليك يا صاح ، أن تعلم غير معلم ، ان التاريخ النافع المجدي هو ما كان نافعاً مجدياً للانسانية . وللانسانية عامة . ذلك لانك تعلم ما كان من أمر تلك المحاضرات التى ألقيت في مؤتمر « التربية والتمدن » الذي عقد في تورنتو عام ١٩٢٣ ثم تعلم ما كان من أثرها في تطور التاريخ ... وفي تطوره الى وجهته « الانسانية » العامة لا « الأممية » الخاصة فيما بعد

كذلك ليس من جديد عليك ، ان تعلم اثر ولز في « تبسيط » التاريخ واثر « لدوج » في تجديد التاريخ . . اما تبسيط التاريخ فبأن يكون سهلاً معقولاً ، واما تجديده فبأن يكون رائعاً أخاذاً

كذلك ليس من جديد عليك ، ان تعلم ان صاحبة « الجلالة » المطبعة التي هي الوالدة الشرعية لصاحبات « الجلالة » ان شئتَ ، أو « السمو » إن أحببت — الصحافة ، والمكتبة ، والحرية ، والمدنية — هذه الوالدة الجليلة الشأن . . . . تلد فيما تلد — او بعبارة اصح واقرب الى الدقة — تخلق فيما تخلق — نواحي من الاقناع قوية . وتترك بالفعل نواحي من العظمة قوية . ثم تعمل من وراء ما تقدم على نشر الايمان بالعظمة ، وإذاعة التخلق باخلاق العظمة ، والايمان بصفات العظمة ، لانها خير منظار مكبر للقليل من صفات العظمة فما بالك بكثيرها . . . . .

واخيراً ليس من جديد عليك ان تعلم ان الرأي العام بعد الحروب يندفع في تيارات من المبالغات . ثم يتراجع سريعاً في المناقصات . . فهو بين مدٍ وجزر في المعتقدات والآثار . . . . والحياة معتقدات وآثار . . . .

تلك هي اعتبارات اربعة هي « في ذهنك » بلا ريب وانت تدرس معي تاريخ عصر ابي بكر بروح « الانسانية » العامة لا « الاممية » الخاصة ، وبجدة البساطة الحديثة التي لا تحفل بتعقيدات الوقائع والحروب . وانت تدرسهُ غير عازب عن فكرك ان عظمة الماضي كانت عظمة ساذجة لم تسبغ عليها صاحبة الجلالة المطبعة بشيء من نياشينها واوسمتها ، ولم تنل من

زينة الدعاية وطلاوة الاذاعة وبريق النشر وقوة البطولة المكتسحة ما امامها. وتدرسهُ معي وانت متحصن بما تقدم من الاعتبارات، غير ناس بالطبع الاعتصام من تيارات المبالغات والمناقصات

— ٣ —

«جيوفاني بابيني» عقلية ايطالية ماردة. ذهبت في الشهوات مذهباً حاداً ينطبق كثيراً عليها قول الحريري «ايها السادر في غلوائه، السادل ثوب خيلائه، الجامح في جهالاته، الجانح الى خزعبلاته ....» ولكن هذه الشخصية الماردة في شهواتها وكفرياتها وفلسفياتها ونظرياتها وزندقتها وتألهها إنقلبت بعد بوتقات المحن ومصاهر التجاريب الى شخصية ورعة ممعنة في الورع. شخصية متقشفة تقية متبتلة ينطبق عليها في مرحلتها الاخيرة وصف عُديّ بن حاتم في احد معاصري ابي بكر .... «يقول عدلاً ويحكم فصلاً، تتفجر الحكمة من جوانبه، والعلم من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يحاسب نفسه اذا خلا، ويقلب كفيه على ما مضى، وكان .... وكان .... وأقسم لقد رأيته ليلةً، وقد مثل في محرابه وأرخى الليل سرباله .... يبكي بكاء الحزين، فكأني الآن اسمعه وهو يقول: يادنيا إليَّ تعرضتِ أم اليَّ اقبلتِ، غُرّي غيري لاحانَ حينك، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها» ....

وإذا كان «جيوفاني بابيني» أصبح خير من كتب عن المسيح بعد حياة كفر وزندقة، واصبح الورع المؤمنَ بعد حياة شهوة واستهتار.. فالام كالافراد كفر فايمان، وإذا كان نابليون بونابارت كان واعظاً في اوليات ايامه لاخيه يوسف. وكان زاهداً في كل شيء قبل جوزفين وبولين فانهُ انقلب فجأة الى ما انقلب اليه من نقيض الى نقيض..... كذلك الحال في الكثير من العرب بعد ايمانهم وبعد مترتبهم وعوزهم، وبعد يبابهم الى تحضيرهم، وبعد خيامهم الى آطامهم ... فلترجع معي .. الى نظرية المبالغات والمناقصات، والمناقصات الى المبالغات ..

ولكنك ستقول إن الفكرة او العقيدة هي التي تفعل هذا كله. وهي الى ان «تتركز» تمر بتلك التيارات. وانت محق بلا شك. وحروب الردة تجزم بانك محق بلاشك. وحروب الردة كانت بوتقة لتجديد الاسلام، وكان مصهراً لخلق العرب خلقاً جديداً

— ٤ —

يقول كارليل في كتابه القيم «الابطال وعبادة البطولة» في معرض كلامه عن البطل في صورة نبي: «هل رأيتم قط – معشر الاخوان أن رجلا كاذباً يستطيع ان يوجد ديناً عجباً ... ! والله إن الرجل الكاذب لا يقدر ان يبني بيتاً من الطوب ... ! فهو إن لم يكن عليماً بخصائص الجير، والجبس والتراب، وما شاكل ذلك فما الذي يبنيه بيت، وإنما هو

تلٌّ من الانقاض ، وكثب من اخلاط المواد . . . . الى ان يقول « . . . . ! ما الرسالة التي أداها إلا حقٌّ صراح ، وما كلمته إلا صوت صادق صادر من العالم المجهول . . . . ! كلا ، ما محمد بالكاذب ، ولا الملفق ، وإنما هو قطعة من الحياة ، قد تفطر عنها قلب الطبيعة . . . . فاذا هي شهاب قد اضاء العالم اجمع »

ولست أدري يا صاحبي هل كان كاتب الانسانية « كارليل » قد اطلع على كل جزئيات حياة بطله « محمد » ؟ هل كان قد اطلع على كل ما ناله من اذى وتشريد ؟ هل كان قد اطلع على فقره يافعاً وصغيراً ، وزهده شيخاً وكبيراً ، وحكمته وسداده مبشراً ونذيراً ؟ هل كان قد اطلع على ما كان بينه وبين عتبة بن ربيعة حينما قال له : « إنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جمعهم ، وسفهت به احلامهم ، وعبثت به بآلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني اموراً لعلك تقبل منها بعضها . . . فقال له رسول الله . . . قل يا أبا الوليد . . . قال « إن اردت بالذي فعلت مالاً جمعناه لك ، او شرفاً سودناك علينا ، فلا نقطع امراً دونك ، وإن كان يأتيك رؤيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه . . . قال . . . « افرغت يا أبا الوليد . . قال نعم فاسمَعهُ آيات من سورة السجدة وسجد . . . فقام عتبة الى اصحابه بغير الوجه الذي ذهب به ، فقالوا ما وراءك يا أبا الوليد . . . قال ورائي اني سمعت قولاً ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة . . . . اطيعوني يا معشر قريش ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ . قالوا . . « سحرك يا أبا الوليد . . ؟ » قال لتجمع اشراف كل قبيلة عند ظهر الكعبة ، ونبعث اليه ، ففعلوا فجاءهم حتى جلس اليهم ، فقالوا انا والله ما نعلم رجلاً من العرب ادخل على قومه الذي ادخلت ، الى آخر ما قاله عتبة .. فقال ما بي ما تقولون . . « ما جئت بما جئت ، لأطلب اموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن بعثني الله اليكم رسولا ، وانزل علي كتاباً وامرني ان اكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالات ربي ، ونصحت لكم ، فان تقبلوا مني ماجئتكم به ، فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي اصبر لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم »

أجل . لست ادري شيئاً من هذا ، ولكنني اجزم بأن « كارليل » على حق ان الرجل الكاذب لا يقدر ان يبني بيتاً من الطوب . . . وان الرسالة التي اداها محمد حق صراح ، وانه قطعة من الحياة تفطر عنها قلب الطبيعة . . . ! ثم اجزم لك ان القاضي عياض وشراح القاضي عياض « وميور » و « أميل درمنن » . . . . وعشرات الرواة والمؤلفين كانوا على حق في تغنيهم بصفات رسول الاسلام وباعث دولة الاسلام . كما اجزم لك ان

من يقول « السعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ بنفسه . . ويقول . . اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك . . ويقول . . طوبى لمن شغله عيبه عن الناس ، وطوبى لمن انفق من مال اكتسبه في غير معصية . . ويقول . . ضع المعروف الى من هو اهله ، ولمن ليس اهله . . . . » اجزم ان من يقول ذلك ثم من كان من صفاته التي هي على غرار واحد وطراز واحد ومن معدن واحد انه كان « سهل الخلق ، لين الجانب ، دائم الفكرة ، متواصل الاحزان ، طويل السكوت ، لا يتكلم في غير حاجة . . . . يخزن لسانه إلا في ما يعنيه ، كلامه فصل لا نذر ولا هذر . لا يذم أحد ولا يعيبه ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما رجى ثوابه ، مجلسه مجلس حلم وحياء وأمانة وصبر . . نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء ، تنام عيناه ولا ينام قلبه . . . يتفقد اصحاباً ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهيه، أفضل الناس عنده أعمهم نصيحة، وأعظم الناس عنده منزلة احسنهم مواساة ومؤازرة ، يرفد صاحب الحاجة ،لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه .... يزور ضعفاء المسلمين ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم . . . يمر بالصبيان فيسلم عليهم . . . . واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس . . . »اجزم ان من تكون هذه بعض صفاته — لا فضلى حسناته — لا بد وان يكون عظيماً في اثره ، صادقاً في رسالته ، منقفاً لامته . ولا بد وان يكون عصره وعصر خلفائه عصر نور وعرفان، وهدى وايمان

وكيف لا يكون عصره وعصر خلفائه عصر نور وعرفان ، وهدى وايمان ، وقد تأدب القوم فيه بأدب القرآن ، وليس من قصدنا ان نتحدث اليك عن اعجاز القرآن وقد قرأت ما كتبه الاوائل والاواخر من الزمخشري والرازي والجرجاني والرماني والواسطي والعسكري وابن رشد والباقلاني والرافعي وغيرهم

اجل تأدب القوم بأدب القرآن ، ومشت في عروقهم روح الايمان . حتى رأينا النساء كالرجال في التضحية في سبيل الوطن ورفعة شأنه ، ولعلك قد قرأت في السير ما كان من صفية بنت عبد المطلب ، وقد شهدت بعينيها تمثيل المشركين في واقعة أحد بسيدنا حمزة عم النبي ، وكانت هند وصاحباتها قد جدعنه ، وبقرن عن كبده ، ولا كتها ولم تسغها فلما رأى النبي ذلك في حمزة ، وأقبلت اخته صفية أشار عليه السلام على ابنها الزبير ليردها حتى لا ترى ما حلَّ بأخيها ، فلقيها واعلمها . . . فقالت . . . وهي الكسيرة القلب ، الدامية الفؤاد ، ولكنها المترعة الايمان ، القوية العقيدة ، الخالصة الاخلاص . . . قالت : « بلغني انهُ مُثّل بأخي ،وذلك في الله قليل، فما ارضانا بما كان من ذلك لأحتسبن ولأصبرن ! »

تأدب القوم بأدب القرآن ، وأدب نبي القرآن ، ولعلك تذكر ما كان من قوم عطشى من جند المسلمين في تلك الايام ، يجودون بارواحهم في سبيل الله وسبيل الوطن قد طلب احدهم ماء فأتى بالماء . . . وإذ بالثاني قد طلب الماء وإذ بالثالث قد طلب الماء . . . وإذ بغيرهم قد طلب الماء ، فآثر كلٌ اخاه على نفسه واستقبل الموت في سبيل انسانيته وبره وايثاره !

تأدب القوم بأدب القرآن ، وأدب نبي القرآن ، فلماذا لا يفوز جند قليل على جند كثير ، ولماذا لا ننتظر من كل قائد من قواد العرب في تلك الايام إن يصيح في جنده قائلا مقالة عبد الله بن رواحة . « انتم إنما خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة إلا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به . . . . . ! »

يقول توماس كارليل : « ان عرب الجاهلية أمة كريمة تسكن بلاداً كريمة ، وكأنما خلق الله البلاد وأهلها على تمام وفاق ، فكان ثمت شبه قريب بين وعورة جبالها ووعورة أخلاقهم ، وبين جفاء منظرها وجفاء طباعهم ، وكانهُ يبسط من قسوة قلوبهم مزاج من اللين والدماثة ، كما كان يبسط من عبوس وجوه البلاد رياض خضراء ، وقيعان ذات أمواه ، وأكلاء » وإن كارليل لو وقف على اعجاز القرآن بقدر ما تفهم أسرار عبقرية محمد لكان يسمعنا الكثير المطرب من شجيّ كلامه وعذب منثوره عن مبلغ تطور الخلق العربي تطوراً الى خير الانسانية في عصرنا الذي نتكلم عنه . . ذلك العصر الذي كان من أولى مميزاته الايمان العميق والاخلاص العميق ولا غرو فان محمداً وصحابة محمد كانوا على ايمان واخلاص والاخلاص كما يقول كارليل عن البطل في صورة نبي : « هو أول خواص الرجل العظيم كيفما كان . . . . . ! »

إذنْ فليس بغريب ان نشاهد من أبي بكر وصحابة أبي بكر قيامهم جميعاً قومة رجل واحد ، بدافع الايمان والاخلاص ، لحرب الردة ، وابسط سلطان الاسلام ، لا للقتال والسجال ، ولا للفتح أو طلب المال ، وإنما في سبيل الايمان ، وفي سبيل تحرير بني الانسان

— ٦ —

ولكنك تطالبني الآن بالتحدث اليك في الردة من حيث كونها بوتقة صهر بها الاسلام وخرج منها قويًا مذاعاً ، ونال من بعدها نجاحاً مؤزراً . وأنت تعلم ان الردة في جلتها امتناع فريق من العرب كبير عن اداء فريضة الزكاة باعتبارها نوعاً من الاتاوة ، وفاتهم انها نوع من المعونة والرحمة والعطف من غنيهم لفقيرهم ومن قويهم لضعيفهم . وتعلم ان تيار الردة كان قويًا وجباراً في قوته حتى كاد يكتسح الاسلام اكتساحاً ، لولا انهُ دين الله ولولا ان نهد للمرتدين مثل ابي بكر فرماهم بشجعان العرب وفرسان الهزاهز وابطال المواقع أمثال خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ، وشرحبيل بن حسنة ، والمهاجر بن ابي أمية ،

وحذيفة بن محصن ، وعرفجة بن هرثمة ، وسويد بن مُقرّن ، والعلاء بن الحضرمي ، وطريفة ابن حاجز ، وعمرو بن العاص ، وخالد بن سعيد والمئات من امثالهم وفي بسالتهم

تعلم هذا وتعلم من الطبري وغير الطبري النصوص التي كتبها ابو بكر لأمير كل بعث ولجماعة المرتدين في كل قطر ، وقد هنالك طبعاً ان نيران الفتنة قد التهبت في كل صقع من بلاد العرب ، وهنالك طبعاً انه الى جانب هذا الارتداد الجزئي ارتداد اوسع نطاقاً وابلغ خطراً هو ادعاء النبوة عند الكثيرين ممن يصح ان اتحدث في أمرهم معك تفكهة ودعابة. بَيدَ اني الآن أريد ان أتحدث اليك في شيء جزئي هو الآخر ولكن له معناه وله فلسفته وله درسه وله تهذيبه . . ذلك الشيء هو انفاذ أبي بكر الصديق لجيش أسامة بن زيد ، وأعتقد انك ستوافقني بعد وقوفنا على ذلك الشيء الجزئي فنؤمن معاً بضرورة نجاح اصحاب هذه الدعوة الاسلامية ، لما لهم من مميزات خلقية من عزمة حذاء ، وهمة شماء ، وإرادة ومضاء

اجل سأحدثك عن اسامة وبطولة اسامة وهو لم يزل بعد في طراوة إهابه وعنفوان شبابه ، وهو جدير باعجابك وتقديرك لانك معجب بنابليون وبطولة نابليون وهو لم يزل بعد كأسامة في طراوة إهابه وعنفوان شبابه . . . ولكنني اعلم حبك للنصوص التاريخية لأن رسميات ذلك العصر ومما هو شبيه بالرسميات مما يقع من قلبك الكبير موقع التقدير والاجلال . . . ولست في حاجة أن أذكرك ان نية رسول الله كانت منصرفة الى ان يبعث بأسامة وجيش أسامة لتأديب بعض العصاة والخارجين ، ولست في حاجة لأن أقول لك ان المنية قد عاجلت الرسول دون انفاذ هذه البعثة ، وان ارتداد المسلمين والذهول الذي استولى على المؤمنين بوفاة نبيّهم لم يحولا بعد مما ستحدثك به النصوص والرسميات ، والمصادر الشبيهة بالرسميات

يحدثنا الطبري عن مشيخته عن عاصم بن عدي : انه قد نادى منادى أبي بكر من بعد الغد من متوفّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتم بعث أسامة إلا يبقين بالمدينة أحد من من جند أسامة إلا خرج . . . ويحدثنا بأن ابا بكر قد خطب هذا الجند بما ستجده في أخبار السنة الحادية عشر . . . . . ثم يحدثنا الطبري بأن الحسن بن أبي الحسن البصري قد قال مانصه : ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بعثاً على أهل المدينة ومن حولهم وفيهم عمر بن الخطاب وأمّر عليهم أسامة بن زيد ، فلم يجاوز بهم آخر الخندق حتى قبض رسول الله صلعم ، فوقف أسامة بالناس ثم قال لعمر : أرجع الى خليفة رسول الله فاستأذنه يأذن لي ان أرجع بالناس ، فان معي وجوه الناس وحدهم ، ولا آمن على خليفة رسول الله ، وثقل رسول الله ، واثقال المسلمين أن يخطفهم المشركون . . . . . . ! فخرج عمر بأمر أسامة ، وأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة . فقال ابو بكر : لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به

رسول الله صلعم ، قال : فان الانصار امروني ان ابلغك وانهم يطالبون اليك ان تولى امرهم رجلا اقدم سناً من اسامة ، فوثب ابو بكر وكان جالساً ، فأخذ بلحية عمر فقال له ثكلتك امك وعدمتك يا ابن الخطاب ، استعمله رسول الله صلعم وتأمرني ان انزعه . . . . . الخرج عمر الى الناس فقالوا ما صنعت فقال : امضوا ثكلتكم امهاتكم ما لقيت في سبيلكم من خليفة رسول الله . . . . اثم خرج ابو بكر حتى اتاهم واشخصهم وشيعهم وهو ماش ، واسامة راكب ، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة ابي بكر ، فقال له اسامة ياخليفة رسول الله والله لتركبن او لانزلن ، فقال والله لا تنزل ووالله لا اركب ، وما عليَّ ان اغبر قدميَّ في سبيل الله ساعة . . انَّ للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب لهُ ، وسبعمائة درجة ترفع له ، وترفع عنه سبعمائة خطيئة . . . . . . حتى اذا انتهى قال ان رأيت ان تعينني بعمر فافعل ، فأذن له ثم قال : يا ايها الناس قفوا اوصيكم بعشر فاحفظوها عني ، لا تخونوا ولا تغلوا ، وتغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيرا ولا شيخاً كبيراً ولا ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً الا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها الوان الطعام فاذا اكلتم شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها ، وتلقون اقواماً قد فحصوا اوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقاً ، اندفعوا باسم الله . . . . اه

وانك بلاريب ستلفت نظري ياصاح الى قوة ارادة ابي بكر الممثلة في قوله « لو خطفتني الكلاب والذئاب لم ارد قضاء قضى بهِ رسول الله » ، وستشير اليَّ بما في تصميم ابي بكر على امرة اسامة من احترام ارادة الرسول ، وستذكرني بأدبهِ في مشيتهِ ، وايمانهِ في خطوتهِ وادبهِ مع قادتهِ . . . . ستلفت نظري الى ذلك كله مما يجب عليَّ ن اذكره واتدبره واما انا فارى في عنقي بعد ان فهمت ما ترمي اليهِ من تبيان رسوخ ابي بكر واستصغاره للخطب وتقديره للكفايات واحترامه لحقوق الامير وهو الخليفة دونه استئذانهُ في النزول له عن احد رجاله عمر بن الخطاب — اما انا فأرى من قبلي ان الفت نظرك ، سيما في ايامنا هذه وجيلنا الراهن وحروبنا الحاضرة الى ما تضمنتهُ وصيتهُ لجنده من ضروب الانسانية وآداب المقاتلة . . . . اليس كذلك ؟

احمد فريد رفاعي

[تتمة هذا البحث التاريخي الطريف في مقتطف ديسمبر القادم]

شترزمان

رجل الواجب

كان الدكتور شترزمان يعرف خطورة المرض الذي يهدد حياته وكان يعلم من اطبائه انفسهم انه لن يعمر اكثر من ثلاث سنوات ابتدأت في الشتاء الماضي وكان منذراً بانه لن يأتي على آخر هذه السنوات الثلاث الا اذا اعتزل مهام منصبه وانصرف الى الاهتمام بمعالجة صحته. ولكنه لم يحفل بانذار اطبائه ولم يكترث لتفاقم مرضه لااستخفافاً برأي اجمع الاطباء عليه أو استهتاراً بآلام مرض اشتدت وطأته، بل رغبة منه في المضي في عمله وعدم مغادرة ميدان الجهاد قبل الوصول الى آخره لا حبًّا بمنصب أعمى بصيرته أو شغفاً بشهوة وهنت امامها حكمته ولكن تأدية لواجب كان لا يفتأ يشعر بوجوب تأديته ارضاء لنداء ضميره واراحة لصوت وجدانه — فانني لما حظيت بمقابلته في مكتبه بوزارة الخارجية في برلين في آخر شهر يونيو الماضي اخذ يحدثني عن امنية قديمة كان يظن ان المنية تمهله من الوقت ما يكفي لتحقيقها وهي امنية زيارة مصر لمشاهدة اعلامها وآثارها وتمتيع النفس باعتدال اقليمها. فقد قص عليّ رحمه الله يومئذٍ انه عزم على المجيء الى مصر اربع مرات لامرة واحدة وحدث في مرة منها انه اشترى تذاكر السفر وتأهب للرحيل فعلاً ولكن اعمالاً مستعجلة طرأت عليه في تلك المرة كالاعمال التي كانت تطرأ عليه في كل مرة فمنعته عن السفر. وهنا سكت لحظة ثم حدق اليّ وقال « واظن انكم ترون معي ان الواجب يجب ان يقدم على كل اعتبار آخر في هذه الدنيا ». وقد ظل هو يقدم الواجب على كل اعتبار آخر الى ان ادركته المنية وهو مكب على معالجة شؤون بلاده الداخلية والخارجية فقضى شهيد الواجب وكان حقًّا على المانيا ان تبكيه كما بكته وعلى صحافة العالم ان ترثيه كما رثته وحسبه فخراً بعد مماته ان تقول عنهُ صحيفة « الديلي هرالد » الانجليزية « من كان يقول لما وضعت الحرب العظمى اوزارها اننا سنبكي سياسياً المانياً بعد عشر سنوات كما نبكي الدكتور شترزمان الآن »

السياسي والزعيم

وقد كان الدكتور شترزمان من اصحاب الرأي القائل بانه ينبغي على السياسي ان يختلف اختلافاً عظيماً عن الزعيم بخططه والوسائل التي يتعين عليه ان يتوسل بها لتحقيق اغراضه كي ينهض بالمهام الملقاة على عاتقه بما يعود بالمنفعة على بلاده وبالرفاهية على ابناء وطنه. فبينا

[اتيح للاستاذ كريم ثابت ان يسافر في هذا الصيف الى اوربا لموافاة « المقطم » بانباء الرحلة الملكية فانتهز هذه الفرصة وقابل اقطاب السياسة في البلدان التي زارها امثال السنيور موسوليني والمسيو ماساريك والدكتور شترزمان والدكتور بينش وغيرهم وقد وافانا بهذا المقال عن وزير المانيا الكبير على ذكر وفاته في الشهر الماضي]

الزعيم مضطر في احوال شتى الى مراعاة رغائب انصاره وتكييف تصرفاته بما يطابق شعور شعبه لئلا يحرم من عضده أو يفقد شيئاً من ولائه يتعين على السياسي ان يكون نافذ البصر بعيد النظر فيتنبأ بمصير الحوادث وعواقبها ويعمل في كل ظرف من ظروفها بما يكفل تحقيق النتيجة النهائية على ما تقتضيهِ مصلحة بلاده وسعادة شعبه ولو أدى هذا المسلك في بادىء الأمر الى نقد خططه والنفور من سياسته

وفي الواقع انهُ لم يكن في الدكتور شترزمان شيء من تلك القوة المغنطيسية التي تجذب الجماهير اليها فكان يفتقر والحالة هذه الى اول صفة من الصفات الجوهرية اللازمة للزعامة الحقيقية. فقد كان ربعة القامة ممتلئ الجسم اصلع الرأس كبير الوجه منتفخ الخدين أشقر الحاجبين والشاربين اخنَّ الصوت قليلاً . وقد تبين لي من كلامه معي انهُ ليس المانيًا بشكلهِ فقط ولكنهُ الماني بطبعهِ وبحديثهِ ايضاً فانهُ كان في حفاوتهِ غير متصنع وفي جلستهِ وحركاتهِ غير متكلف وكان حديثه بسيطاً صريحاً لا تجد فيهِ اثراً للتزويق والتنميق وكان لا يعرف من المجاملة الاَّ ما تقضي بهِ آداب المجاملة — فرجل كهذا وان كان لا يستطيع ان يصير زعيماً الاَّ ان من شأنهِ ان يكتسب حالاً ثقتك باقواله لانك تطمئن فوراً الى صراحته وترتاح الى بساطتهِ . فلا غرو اذا كان قد عرف كيف يفوز بثقة ساسة الحلفاء حتى حملهم على الموافقة على دخول المانيا في جمعية الامم واشتراكها في معاهدات السلم واهمها معاهدة لوكارنو . وكان يعدُّ مسألة قبول المانيا في سلك جمعية الامم اكبر مرحلة خطتها المانيا بعد الحرب العظمى في سبيل استرداد المقام الذي كانت تتبوأه قبلاً في عالم السياسة الدولية ولذلك كان يعلق فوق مكتبه نص التلغراف الذي ارسلهُ اليهِ السكرتير العام لجمعية الامم ليبلغهُ فيهِ نبأ قبول المانيا في سلكها . غير انهُ اذا كانت الثقة التي كان الدكتور شترزمان يولدها في نفوس عارفيهِ وسامعيهِ قد خدمتهُ أجل خدمة في الاتفاق مع الحلفاء على تسوية مشاكل المانيا الخارجية فان تعلقهِ برأيهِ القائل « بان ينبغي على السياسي ان يختلف عن الزعيم بخططهِ وتدابيره » اضرَّه حيناً من الزمن وكاد يفضي الى اغتياله في وقت من الاوقات أي قبل ان يدرك الالمان حقيقة مرمى سياستهِ ويقدرون نتائجها حق قدرها. ويقول كبار الكتاب الاوربيين ان هذه الصفحة في حياة شترزمان هي اعظم صفحات سيرتهِ وأغرها

لوكارنو

فانهُ لما تقلد الدكتور شترزمان منصب وزارة الخارجية في حكومة بلاده من نحو سبع سنوات رأى ان المانيا لا تستطيع ان تجاهد في سبيل استرداد المقام الذي كان لها قبل الحرب العظمى في اسواق العالم التجارية ما لم يسدْ جوّها الهدوء والسكينة وذهب الى ان هذا الوطر لا يدرك الاَّ اذا سويت العلاقات بين المانيا والحلفاء تسوية نهائية على اسس العدل والانصاف سواء كان ذلك من الوجهة السياسية أو من الوجهة المالية والاقتصادية. فاذا تم لالمانيا اجراء هذه التسوية كما تتمنى غدت في حالة تستطيع فيها ان توجه كل جهودها الى استرداد ذلك المقام المنشود . ولما ايقن ان هذه السياسة هي الخطة الرشيدة التي يجب عليهِ انتهاجها لمصلحة بلاده قرر المضي فيها مهما كلفهُ ذلك من جهد ومشقة وتضحية

وأخذ من ذلك الحين يتحين الفرصة الملائمة للشروع في تحقيق خطتهِ الى ان كانت اوائل سنة ١٩٢٥ فأرسل الى دول الحلفاء مذكرة سياسية قال فيها انهُ يقترح ابدال الضمانات العسكرية التي اتخذها الحلفاء في بلاد الرين وعلى حدود المانيا باتفاقات دولية تعقد بين الفريقين ثم ختم مذكرتهُ بقولهِ انهُ في الاستطاعة ايضاً البحث في عقد ميثاق لتأييد السلم تشترك في امضائهِ الدول التي ترغب في احلال الوفاق محل الشقاق . فكان لهذه المذكرة وقع عظيم في بلدان الحلفاء ولاسيما لندن ووشنطن وفي باريس نفسها فاغتبط شترزمان بوصوله الى النتيجة التي كان يسعى اليها وهي ان يثبت لشعوب تلك البلدان حسن نية المانيا واستعدادها للتعاون معها على تعزيز السلم في اوربا . وكان من نتيجة المساعي التي بذلها بعد ذلك ان قرر وزراء الخارجية البريطانية والفرنسية والايطالية والالمانية الاجتماع في لوكارنو للبحث في مشروع الميثاق الجديد الذي اقترح الدكتور شترزمان عقده

ولكن الجانب الاكبر من الشعب الالماني لم يدرك في بادىء الامر الغاية الحقيقية التي يصبو اليها الدكتور شترزمان ويسعى بكل قواه اليها فأنكر سياسة « المسالمة » انكاراً شديداً حتى ان بعض شعب الكتلة الوطنية ذهبت الى اتهامه بالتساهل في حقوق البلاد فهاج عليه الرأي العام ورماه بالخيانة العظمى وحملت عليه الصحف المناوئة لسياسته حملة شعواء زادت في اثارة الخواطر حتى ان ولاة الامور خشوا على سلامتهِ فاحاطوه برجال الحفظ والبوليس السري في غدواته وروحاته وكتموا مواعيد اسفاره وتنقلاته — كل ذلك والدكتور شترزمان مصرٌّ على المضيّ في السياسة التي اعتقد ان فيها مصلحة المانيا مهما كلفه الامر مع ان الجرائد كانت قد بالغت يومئذٍ في التهجم عليه وطلبت محاكمته امام محكمة الدولة العليا فلم يبال بهذا الاتهام الشنيع اكثر من مبالاته بصحته

ولما ذاع في المانيا نبأ انعقاد مؤتمر في لوكارنو لامضاء الميثاق الجديد الذي عرف بميثاق لوكارنو اشتد هياج الوطنيين الألمان فخاف ولاة الأمور عاقبته فأمسكوا عن اعلان موعد سفر الدكتور شترزمان الى لوكارنو وأحاطوا محطة سكة الحديد بالحرس ومنعوا الناس من دخولها وبثوا رجال البوليس السري في القطرات يفتشون مركباتها ويراقبون ركابها وقبل ان يغادر الوزير مدينة برلين بوقت قصير اكتشف ولاة الأمور مؤامرة سياسية لاغتياله فأبى ان يرجىء سفره غير انه لما وصل به القطار الى الحدود السويسرية رضي ان ينزل منه وان يستاقف سفره مع سائر المندوبين الالمان الى لوكارنو بالسيارات

جمعية الامم

وأفضى امضاء ميثاق لوكارنو الى دخول المانيا جمعية الامم مع موافقة الدول على التحفظات التي ابدتها فاطمأن الجمهور الالماني الى سياسة وزير خارجيته بعض الاطمئنان فلما اعلن بعد ذلك ان المانيا تنهز فرصة انتظامها في سلك الجمعية لتجاهر بانها ليست مسؤولة عن تبعة الحرب زالت المخاوف التي كانت تساور الجمهور وبدأ يرتاح الى سياسة وزيره فلما خطا خطوته الثالثة طالباً اعادة النظر في مسألة التعويضات وعقبها بخطوته الرابعة طالباً وضع حد لاحتلال الحلفاء للبلاد الالمانية المحتلة انقلب سخط الجمهور عليه الى الرضاء عن سياسته والثناء عليها اذ ادرك الالمان في تلك الساعة ان وزيرهم المحنك لم يكن يقلُّ عن اكثرهم تحمساً ووطنية واخلاصاً وانما اراد ان يأخذ سياسة الحلفاء باللين والحسنى ليحقق اغراضه في جو يسوده الوفاق والوئام . فأجلوه واحبوه وبدأوا يقابلون بعض صفاته بالصفات التي امتاز بها بسمارك الكبير . وصفوة القول ان الدكتور شترزمان اصبح من ذلك اليوم يعتبر منقذ المانيا من المشكلات الخطيرة التي واجهتها بعد الحرب العظمى واكتسب في قلوب الالمان منزلة لم يعهد مثلها من قبل الا بسمارك الكبير

ولما كان الدكتور شترزمان قد اهتم بمسألة دخول المانيا لجمعية الامم ذلك الاهتمام الكبير عنَّ لي ان اسأله هل يعتقد ان الجمعية ستوفق الى تحقيق غايتها فأجابني بقوله :

« ان مهمة جمعية الامم محفوفة بالصعاب ولكن كل محب للانسانية يتمنى نجاحها ولا شك في ان الجمعية قد تقدمت تقدماً محسوساً يبعث على الارتياح وعندي ان جمعية الامم تسدي الى الدول خدمة جليلة تضاف الى الغاية الكبرى التي تسعى لها وذلك انها تتيح لساسة الدول المشتركة فيها فرصة الاجتماع بعضهم ببعض حول طاولة واحدة فيتجاذبون اطراف الحديث في مقام متساوٍ وفي جو يسوده السلام والصفاء فتساعد تلك الاحاديث في كثير من الاحيان

على حل مشكلات وازالة التباسات قد يتفاقم امرها اذا ظل كل فريق قابعاً في عقر داره ولا يسعى الى الوقوف على وجهة نظر غيره وآرائه ولا يعنى هو من جهته ببسط وجهة نظره والادلاء بافكاره. وصفوة القول انني اعلق شأناً خطيراً على مثل هذه الاجتماعات والمحادثات لاعتقادي انها كبيرة الفائدة بعيدة الاثر وأرى ان السياسة ليست علماً موضوعاً له اصول ثابتة وقواعد معينة بل هي مرهونة بحكم الاحوال وعندي ان الوقت يعالج احياناً مسائل خطيرة تعجز جبابرة العقول عن معالجتها قبل حلول الاوان الطبيعي لحلها . فالسياسي الماهر هو الذي يعرف كيف يعطي الزمان حقه حتى اذا فعل الوقت فعله عرف كيف ينتهز الفرصة ويستفيد من الانتظار في الاوان المناسب »

علم وأدب

وأرى ان هذا البحث الوجيز في سيرة الدكتور شترزمان لا يكتمل الا اذا تناول بعضاً من نواحيه الشخصية ومن ذلك ان عارفيه يقولون ان ميله الفطري الى العزلة عن الناس والايجاز في الكلام بدأ يتجلى فيه منذ نعومة اظفاره فانه كان وهو حدث لا يتجاوز الخامسة عشرة من عمره يفرُّ من المجتمعات والمنتديات ليخلو بنفسه في زاوية من زوايا بيته فيمضي الساعة تلو الساعة في المطالعة او التأمل والتفكير حتى ان اهله ما عدا والدته كانوا يعنفونه على هذا السلوك الشاذ . اما والدته فكانت الشخص الوحيد الذي ادرك حقيقة خلقه وشمله بعطفه ورعاه بحنانه

وجاء ذكر الرياضة البدنية في حديث الدكتور شترزمان معي فقال انه لا يمارس ضرباً من ضروب الرياضة ثم ذكر فجأة انه يمقت الملاكمة مقتاً عظيماً فسألته مبتسماً عن سبب مقته لها فاجاب بقوله « لا اعلم . وكل ما اعلمه هو انني اكرهها . وانني افضل الآداب عليها » وقد كان رحمه الله من المولعين « بجويتي » الشاعر الالماني الكبير وكان يختلس دائماً اوقات فراغه ليعكف على المطالعة في كتاباته ومنظوماته وقد وجد من نحو سنتين الوقت الكافي رغم مهامه الكثيرة ليعد محاضرة شائقة عنه القاها في النادي الذي ينتسب اليه على مسامع جمهور من الادباء الالمان . وكان من المعجبين ايضاً بشكسبير وقد ظلَّ حتى السنوات الاخيرة يحضر بانتظام كل محاضرة تلقى عنه في برلين وكان لكتابات « ماكولي » منزلة رفيعة في نفسه لا يقل عنها اعجابه بمؤلف « فولتير » المسمى « محمد »

كريم ثابت



درة من درر الفلسفة الحديثة

كيف تكونت عقيدتي الفلسفية

لبرتراند رسل

الفيلسوف الانكليزي المشهور

وقعت الرسالة التي وضعها محرر هذه المجلة في تحليل جمهورية افلاطون وقعاً حسناً لدى جمهور القراء فطلبوا الاستزادة من هذه المباحث الفلسفية. وفيما نحن نعد العدة لبحث من هذا القبيل طلعت علينا احدى المجلات الاميركية بمقالة للفيلسوف الانكليزي المعاصر برتراند رسل بسط فيها عقيدته الفلسفية واصولها. فرأينا ان ننقلها الى القراء لان ما تحتوي عليه من الآراء يعالج المشكلات التي يعانيها العمران في العصر الحاضر. وقد قال في مطلعها « ان نظري الى الكون والحياة كنظر سائر الناس وليد الحوادث والايام قدر ما هو وليد الطبع الموروث » وقال احد الكتاب المشهورين في برتراند رسل ما يأتي: انه فيلسوف متصوف. والفلاسفة كالصوفيين يرون رؤى على ان اصحاب الرؤى ليسوا اضعف القوى التي تسير هذا العالم ولا هم اخمل الناس فيما يبذلونه من السعي لرفع مستوى الحياة». قال:

الدين

اما فيما يتعلق بالمعتقد الديني فيظهر ان الذين تعهدوا تربيتي الدينية لم يسلكوا اقوم السبل ليغرسوا في نفسي التسليم باصول المعتقد المستقيم الرأي من غير تساؤلٍ عن صحتها اوتردّد في الاخذ بها. فقد كان ابي وامي من احرار المفكرين ولكنَّ امي توفيت لما كنت في السنة الثانية من عمري وتبعها ابي في السنة التالية فلم اعرف آراءهما الدينية الاَّ بعد ما بلغت دور الشباب. وبعد وفاة والديَّ اخذتني جدتي وعنيت بتنشئتي وتهذيبي وقد كانت من اتباع المذهب البرسبيتاري الاسكتلندي ولكنها انقلبت وهي في السبعين من عمرها واعتنقت مذهب « الموحّدين » (اليونيتاريان) وكانت تسير بي كلَّ يوم احدٍ الى الكنيسة فكنا نذهب في الاحد الاول الى كنيسة المقاطعة وهي « ايسكوبالية » وفي الاحد التالي الى كنيسة اخرى تابعة للمذهب « البرسبيتاري » وكانت هي في البيت تعلمني اصول المذهب « الموحّد ». على اني لم انشأ على حسبان كلّ ما تحتويه التوراة صحيحاً بحرفهِ ولا ان اعتقد

صحة العجائب والعذاب الآخير. ولا ازال اذكر معلماً سويسريًّا قال لي ذات يوم، وكنت في الحادية عشرة من عمري « اذا كنت داروينيًّا فاني اشفق عليك اذ يتعذر ان يكون الانسان داروينيًّا ومسيحيًّا في آنٍ واحد » . لم اكن في ذلك العمر اعتقد انهُ يتعذر الجمع بين الاثنين في حيّز نفسٍ واحدة على انهُ كان قد اتّضح لي حينئذٍ اني لو خيّرت بين الاثنين لاخترت ان اكون داروينيًّا . ولكني ظللت اؤمن باصول المعتقد الموحد حتى بلغت الرابعة عشرة اذ تملكتني عاطفة التديّن حتى اخذت عليَّ مذاهبي وصرت شديد التوق الى معرفة امرٍ واحد هو : هل هنالك سبب كافٍ لاقناعي بان الدين صحيح ؟ وقضيت السنوات الاربع التالية من عمري في التفكير والتأمل في هذا الموضوع . ولم اكن استطيع ان اقنع احداً من ذويّ بما يجول في ذهني لئلاَّ اؤلمهُ . وكانت تتنازعني نزوات من الالم المبرح لما كنت اشاهدهُ في نفسي من تداعي اركان الايمان وضرورة السكوت عليهِ. واول المعتقدات التي نبذتها عقيدة « الارادة الحرة » ذلك اني كنت احسب حينئذٍ ان كلَّ حركات المادة حتى المادة التي يتركب منها جسم الانسان خاضعة لنواميس الحركة الديناميةوانها لذلك لا يمكن للارادة الانسانية ان تؤثر فيها . والمعتقد الثاني الذي نبذتهُ معتقد « الخلود » ولكني لا استطيع ان اذكر الآن ما كانت الاسباب التي حملتني على نبذهِ. وظللت اؤمن بوجود الله لان التدليل على وجودهِ بدليل « السبب الاول » كان في نظري لا يدحض . ولكني قرأت سيرة الفيلسوف جون ستيورت مِلْ لما بلغت الثامنة عشرة من العمر فظهر لي ما في هذا الدليل من الضعف وعليهِ تخليت عن كل المعتقدات التحكمية المسيحية . ولشدَّ ما كانت دهشتي حين وجدتني اسعد حالاً واهنأ معيشة مني حين كنت اغالب نفسي للاحتفاظ بمعتقدٍ ديني

ولما بلغت هذه الرتبة من مراتب التفكير انتظمتُ في سلك جامعة كمبردج حيث وجدت للمرة الاولى اناساً استطيع ان احدثهم في شؤونٍ تهمني . في كمبردج درست الفلسفة واصبحت من اتباع الفيلسوف هيجل وبقيت كذلك ثلاث سنوات . وبعد خروجي منها قضيت بضع سنوات في درس علوم متفرقة فقضيت شتائين متوالين في برلين ادرس علم الاقتصاد السياسي . وفي سنة ١٨٩٦ حاضرت الطلبة في جامعتي جونز هبكنز وبرنْ مور الاميركيتين في موضوع « الهندسة غير الاقليدسية » ثم قضيت زمناً بين هواة الفن في فلورنسا وقرأت « باتر » و« فلوبر » من امراء الادب في العقد الاخير من القرن التاسع عشر . واخيراً اعتزلت في بيت بالريف عازماً على الاشتغال بوضع كتاب كبير في « مبادئ الرياضيات » كانت مطامحي منذ صرت في الحادية عشرة من عمري تتجه اليه

الرياضيات

كنت في الحادية عشرة حين حدث لي حادث كان له اكبر اثر في حياتي . ذلك ان اخي —وهو في الثامنة عشرة حينئذٍ— اخذ على عاتقهِ تعليمي هندسة اقليدس فكان فرحي بذلك لا يوصف لانه كان قد انتهى اليَّ ان اقليدس يبرهن ما يقول فأمَّلت ان احصل من وراء درسه على معرفة راسخة . ولن انسى ما خامرني من خيبة الامل حين وجدت ان اقليدس يبدأ بالاوليات وهي امور مسلَّم بها . فلما قرأ اخي الاولية الاولى لم ارَ سبباً يحملني على التسليم بصحتها فقال اخي « اذن فلا فائدة تجنى من التمادي في هذا الدرس » ولما كنت توّاقاً الى درس الهندسة سلَّمت بصحتها جدلاً ولكن اعتقادي ان في مكان من الكون يستطاع الحصول على معرفة ثابتة صُدِم صدمة عنيفة . ان ميلي هذا الى الكشف عن معرفة راسخة كان محور كل عملي ومصدر وحيه الاعلى الى ان بلغت الثامنة والثلاثين من عمري . وكان من الواضح حينئذٍ ان الرياضيات هي اقرب العلوم الى قدس المعرفة الراسخة . لذلك عنيت باصول الرياضيات وتعمقتُ فيها . وفي السنة الثامنة والثلاثين من عمري شعرت اني قد بذلت كلَّ ما استطيع بذلهُ في هذا الميدان مع اني كنت لا ازال بعيداً عن محجتي « الحقيقة المطلقة » لا بل ان النتائج التي اسفرت عنها مباحثي حملتني على الارتياب في علم الحساب وهو ريب لم يتطرق اليَّ قبلاً . وقد كنت معتقداً ولا ازال ان الطريقة التي جريت عليها هي اقرب الى المعرفة الحقيقية من كل الطرق المعروفة ولكن المعرفة التي أفضت اليها ليست الاَّ معرفة تقريبية وليست معرفة مدققة كما يبدو لاول وهلة. وشعرت حينئذٍ اني لا اميل الى وقف نفسي على المجرَّدات بعد ما بذلت في سبيلها كلَّ ما في وسعي من غير تحقيق غرضي . وبعد ما اتممت مع الاستاذ هويتهد وضع كتاب « مبادىء الرياضة » بقيت ثلاث سنوات متوالية متردداً فيما اتجه اليه من المباحث والاعمال . وكنت حينئذ ادرّس في كمبردج ولكني أيقنتُ اني لا اريد ان استمر في عملي هذا الى ما شاء الله . وكنت بحكم الاستمرار لا ازال مشغولاً ببحث المنطق الرياضي ولكنَّ ميلاً خفيًّا تولاني الى تغيير الموضوع برمتهِ

الحرب

ونشبت الحرب الكبرى فعلمت من غير ظلّ من الريبة او التردد ماذا عليَّ ان افعل. لم اشعر في حياتي قط كما شعرت حينئذٍ ان كلَّ كياني مصوَّب الى عمل كما كان مصوَّباً الى عمل الدعاية السلمية التي قمت بها في اثناء الحرب . ولا اذكر اني ترددت في اي عمل آخر اقلّ من ترددي في هذا العمل . ولاول مرة في حياتي وجدت شيئاً يشغل طبيعتي باسرها . ذلك ان اشتغالي بالمجردات من قبل كان قد ترك غرائزي الاجتماعية دون ما يكفيها مع اني كنت قد افسحت

لها المجال من حين الى آخر في كتابة المقالات والقاء الخطب السياسية وخصوصاً فيما يتعلق بحرية التجارة واصوات النساء. وكانت التقاليد الارستقراطية التي درجت عليها في صغري تحملني على ان اشعر شعوراً فطريًّا بوجوب القيام بالتبعة الملقاة على عاتقي فيما يتعلق بالشؤون العامة. والفطرة الوالدية التي لم تكن محققة فيَّ تحقيقاً شخصيًّا حينئذٍ حملتني على ان اغضب وانفر لمنظر شبان اوربا يخدعون ويساقون الى المجزرة لاكفاء الشهوات الشديدة التي تكتسح صدور كبارهم . واستقامتي الفكرية منعتني عن تصديق الخرافات التي اتخذتها الدول المتحاربة سبباً تسوّغ بهِ اثارة الفتن. والواقع ان المفكرين الذين صدقوا هذه الخرافات كانوا قد تخلوا عن عملهم الصحيح لينعموا بالشعور انهم واحد من القطيع . وهذا في نظري كان عملاً غير شريف . لانهُ اذا كان للمفكر عمل في المجتمع فعمله الاحتفاظ بحكم هادئ مجرَّد حين ثورة العواطف والشهوات ولكني وجدت ان اكثر المفكرين لا يثقون بفائدة العقل الاَّ في ايام السلم

وأثار فيَّ شعور العامة في شهور الحرب الاولى عناية علمية وان تكن مؤلمة . فجعلت اراقب الجمهور فاتضح لي ان اكثر المتخلفين في الوطن كانوا يطربون لانباء الحرب مما يدل على تأصل البغض وضعف المحبة في الطبيعة الانسانية المهذبة باساليب العصر. وشاهدت كذلك الفضائل السامية كالاقتصاد والاجتهاد والروح العامة تستغلُّ لتعظيم الخطب بحمل اصحابها على بذل اقصى ما عندهم من النشاط والقوة في سبيل التقتيل والتدمير . فتولاني جزع من فناء الحضارة الاوربية . ولو استمرت الحرب سنة اخرى لكانت تقوضت اركانها وعفت معالمها . والشعور بالامن والضمان الذي امتاز بهِ القرن التاسع عشر زال ولكني ظللت معتقداً بفائدة المثل العليا التي كنت ارعرعها وأغذيها في نفسي . وافضى اليأس في طائفة كبيرة من شبان العصر الى معتقدٍ قوامهُ التشاؤم والاحتقار ولكن اليأس لم يتولَّني ولذلك بقيت اعتقد وما زلت ان السبيل المؤدي الى اصلاح الاحوال لا يزال مفتوحاً

كل تفكيري في الموضوعات السياسية والاجتماعية والادبية في اثناء الخمس عشرة السنة الاخيرة نشأ عن الشعور الذي تملكني في ايام الحرب الاولى . فبعد بحثٍ قليل اقتنعت ان درس المصادر السياسية ، على فائدتهِ ، لا يصل بي الى قرار المسألة . لان الشهوات العامة ايـدت الحكومات كلَّ التأييد في كل الخطوات التي خطتها على طريق الحرب . كذلك اقتنعت باني لا استطيع التسليم بان اسباب الحرب هي اسباب اقتصادية دائماً لانهُ وضح لي ولغيري ان الذين كانوا اشدُّ الناس حماسة في تأييد الحرب كانوا اكثر الناس عرضة لخسارة اموالهم فيها ومجرد اغفالهم ذلك دليل على ان شهواتهم الثائرة شوّشت عليهم تفكيرهم المالي الصافي من الخطأ . ان هذه الشهوات هي المصدر الحقيقي للرغبة في الحرب . وليس القول باسباب

الحرب الاقتصادية — في في ماعدا بعض الاحوال الخاصة كالشركات الصناعية الكبيرة — الاّ تعليلاً يُلجأ اليه لتسويغ الحرب . ان الناس يريدون الحرب فيقنعون نفوسهم بانها في مصلحتهم. فالمسألة المهمة اذاً هي المسألة السيكولوجية. لماذا يريد الناس ان يحاربوا؟ هذه المسألة تفضي بنا الى طائفة من المسائل تتعلق بشهوات القسوة والظلم والاستبداد وغيرها بوجه عام

الفلسفة النفسية والاجتماعية

ودرس هذه المسائل يشتمل على درس الاصول التي نشأت عنها الشهوات الضارة وعليهِ فهو يشمل درس التحليل النفسي ومذاهب التعليم والتهذيب ووسائلها . وقد حملني درس هذه المذاهب على تكوين فلسفة للحياة رائدها الرغبة في الكشف عن طريقة تمكن الناس من ان يعيشوا معاً، بما في طبائعهم من الصفات الموروثة والشهوات المدمرة، من غير ان يجعلوا غرضهم قضاء بعضهم على هناءة البعض الآخر . ومفتاح فلسفتي من الوجهة العلمية هو وجوب العناية بعلم النفس والجري على خطة قوامها الحكم على المنشآت الاجتماعية من حيث أثرها في الاخلاق البشرية . ففي اثناء الحرب انقلبت كلُّ الفضائل التي يتصف بها كرام الناس واستعملت للشر. فامتنع الناس عن شرب المسكرات ليصنعوا قنابل ومقذوفات متفجرة . وقبلوا ان يطيلوا ساعات العمل لكي يقوّضوا اركان المجتمع الذي يجعل للعمل قيمة . وزاد تقززهم من الامراض الزهرية لانها تحول دون مقدرة اصحابها على الفتك بالاعداء

كلُّ هذا حملني على الاعتقاد ان قواعد التصرف لاتكفي لانتاج النتائج الحسنة الا اذا كان الغرض الذي يُرمى اليه غرضاً شريفاً. فازدياد الاجتهاد والاقتصاد والاعتدال والامتناع عن المسكرات كان من البواعث على توسيع نطاق الفتك والتدمير . ولكن المال الذي انفق حينئذ على المسكرات كان من عوامل السلم لانهُ لولم ينفق في شرب المسكرات لكان انفق في صنع القنابل . ولما كنتُ من دعاة السلم ومحبيه اعترضت مطالبي مطالبَ الامة باسرها وتعذر عليّ ان اقف من القواعد الادبية الاّ موقف الناقد اللاذع النقد . على ان موقفي لم يكن موقف مقاومة للقواعد الادبية على اطلاقها بل كان شبيهاً بموقف الرسول بولس في فصله المشهور عن المحبة . اني لا اتفق مع هذا الرسول الكريم في كثير من آرائهِ ولكني ارى رأيهُ في ان الخضوع للقواعد الادبية لا يقوم مقام المحبة وانهُ حيث تكون المحبة خالصة من الشوائب تستطيعُ اذا قُرنت بالعقل والذكاء ان تبدع القواعد الادبية الضرورية . على ان لفظة « المحبة » فقدت جانباً كبيراً من مدلولها بالاستعمال وعادت لا تؤدي طيف المعنى المطلوب . فلنحللها تحليلاً فلسفيًّا بيولوجيًّا

المحبة والبغض

في صفوف الحيوانات الدنيا تستطاع قسمة الحيوانات الى قسمين عامين : الاول يشمل الحيوانات التي تقبل على النور. والآخر يشمل الحيوانات التي تبعد عنهُ وتنفر منهُ . ونستطيع ان نجري هذا التقسيم على مملكة الحيوان باسرها . فاذا اثَّر في الكائن الحيّ مؤثر جديد ، اثار فيهِ شعوراً بالاقتراب من المؤثر ومصدرهِ او بالنفور منهُ والابتعاد عنهُ . واذا ألبسنا هذا الفكر البيولوجي حلة بسيكولوجيَّة قلنا ان كلّ مؤثر جديد يثير في الكائن المتأثر اما شعور الانجذاب او شعور الخوف وكلا الشعورين ضروري للبقاء في عصر العمران الحالي ولكن شعور النفور والخوف اقلُّ ضرورة الآن منهُ في ما سبق من العصور . ذلك ان الوحوش الضارية جعلت حياة الانسان محفوفة بالمخاطر قبلما استنبط ادوات تمكنهُ من الدفاع عن نفسهِ فكان لذلك جباناً كالارنب . وكان الخوف يتملكهُ لانهُ كان مهدَّداً دائماً بخطر الموت من الجوع . وهذا الخطر قد قلَّ بفضل العلم والاستنباط في ميادين الزراعة والنقل . اما الآن فاشرس الحيوانات التي على الناس ان يمارسوها هو الانسان نفسهُ مع ان الاخطار الطبيعية التي يتعرضون لها قد قلت جداً . فالشعور بالخوف الآن انما هو خوف من الناس . والخوف هو احد الاسباب الاساسية التي تجعل الانسان خصماً لاخيهِ . فمن الحكم المشهورة ان الهجوم افضل وسائل الدفاع . ولذلك ترى الناس يهاجمون بعضهم بعضاً لانهم ينتظرون ان يُهاجَموا. وعواطفنا الغريزية موروثة من اسلافٍ كانوا يعيشون في عالم محفوف بالمخاطر ففيها من الخوف اكثر مما يتفق مع معيشة هذا العصر . ولما كان هذا الخوف لا يجد مجالاً للظهور في ميدان العوامل الطبيعية كالهجوم على الضواري وخوف الجوع الخ — يتجه الى المحيط الاجتماعي فيولد البغض وضعف الثقة والحسد والافتراء. فاذا شئنا ان نستفيد من سيطرة الانسان على الطبيعة وجب ان نبني نفسية علوية . فنصبح نشعر برزانة السيّد وسكينتهِ في ساعة الخطر بدلاً من ان نشعر بخوف العبد واضطرابهِ. وعليهِ يجب ان نقوي في النشء شعور الاقتراب والانجذاب ونضعف شعور الخوف والنفور. وهذه المسألة ككل المسائل اخرى نسبية . فانا لا ادعو الناس الى الاقتراب من نمر هائج او افعى تفحُّ فحيحاً يخالجهم شعور المحبة والعطف انما اقول ان المواقف في علاقات الناس بعضهم ببعض التي تبعث على النفور هي اقلّ كثيراً مما تحملنا التقاليد على تصورهِ ، لان هذه التقاليد نشأت وتكونت في عصر كانت المعيشة فيهِ محفوفة بالمخاطر تبعث على الخوف والنفور كما تقدم

فقبض الانسان على ازمة الطبيعة مهَّد السبيل للتعاون بين طوائف الناس والعاقلون يستطيعون الآن اذا تعاونوا واستفادوا من علمهم اقصى الفائدة ان يبسطوا ظلَّ الرخاء

الاقتصادي على جميع الناس . وهو عمل لم يكن في مستطاعهم في العصور البائدة

ان النزاع — نزاع الموت والحياة — على امتلاك البلدان الزراعية الخصبة كان امراً معقولاً في الماضي ولكنه جنون بحت في هذا العصر . فانشاء حكومة دولية وتنظيم الاعمال المالية والتجارية والجري على خطة « تحديد النسل » عوامل اجتماعية تمكن ذوي السلطان من جعل المعيشة الرخية في متناوَل كل انسان . انا لا ادّعي ان كل انسان يستطيع ان يصبح غنيًّا كقارون ولكن كل انسان يستطيع ان يملك من حطام الدنيا ما يكفيه لتوفير وسائل السعادة اذا كان عاقلاً قنوعاً . ومتى حلَّت مشاكل الفقر والمسكنة تمكن الناس من ان ينفقوا وقتهم في اعمال العمران وترقية العلم ومكافحة المرض وابعاد شبح الموت واطلاق الوان الشعور التي تبعث على الغبطة والفرح

لماذا يظهر لنا ان هذه الافكار خيالية لن تتحقق ؟ السبب كل السبب في نفس الانسان — في ذلك الجانب منها المبني على التقليد والتهذيب والبيئة لا في جانبها الموروث الذي قلما يناله تغيير ما

الحكومة الدولية والسلم العام

خذ الحكومة الدولية . فضرورة انشائها امر مسلَّم بهِ عند كل انسان يستطيع ان يفكر تفكيراً سياسيًّا سليماً . ولكن الشهوات القومية تحول دونها . فكل امة تفاخر باستقلالها وكل امة مستعدة لان تخوض غمار الحرب حتى آخر نسمة في آخر رجل منها للمحافظة على حريتها . هذه فوضى شعبية كفوضى الاشراف في عصور الاقطاع (الفدَنية) الذين ارغموا في نهاية الامر على الخضوع للملك . ان الموقف الذي تقفهُ كل امة الآن من سائر الامم هو موقف حذر ونفور وابتعاد . انا لا نعترض على اجنبي ما زال في بلاده يصرّف امورها ولكننا تكمش ذعراً اذا رأينا اجنبيًّا وقد منح الحق ان يكون لهُ قول في تصريف امورنا . فكل امة اذاً تصرُّ على التمتع بحق لا تتنازل عنهُ هو حق اقامة « الحرب الخاصة » . ان معاهدات التحكيم ومواثيق السلام التي على منوال ميثاق كلوج اشارات طيبة في سبيل السلم العام ولكن كل انسان يعلم انها لن تتحمل اي توتر شديد في العلاقات الدولية

وما زالت كل امة محتفظة بجيشها واسطوليها الجوي والبحري فحكومتها لا بدَّ ان تستعملها اذا ثار ثارها كائنة المعاهدات التي وقَّعت عليها ما كانت . والسلام بين الناس لا توطد اركانهُ الا اذا جرت الدول على المبدإ الذي طبق بين الافراد من قبل . وهو : لا يستعمل الفرد قوةً ما في حسم النزاع الذي يثور بينهُ وبين جارهِ ويعهد باستعمال القوة الى فريق ثالث محايد

جرياً على قوانين وقواعد معروفة (القضاء) . فمتى سيطرت سلطةٌ عالمية على قوات الامم الحربية نكون قد بلغنا في علاقاتنا الدولية درجة وصل اليها الافراد في علاقاتهم بعضهم مع بعض منذ قرون كثيرة . ولا شيء اقل من هذا يكفي لتوطيد اركان السلام

ان اساس الفوضى الدولية هو ميل الناس الى الخوف والبغض وهذا هو اساس النزاعات الاقتصادية لان حبّ الاستئثار بالقوة والسلطة وهو اساس كل نزاع اقتصادي ليس الاَّ صورة جديدة لفطرة الخوف . فالناس يريدون ان يسيطروا لانهم يخافون ان تستعمل سيطرة الغير في هدم مصلحتهم. وفي ميدان التعليم نرى ان الشعور الايجابي الذي يجب ان يجعل محور التثقيف والتهذيب هو « حب الاستطلاع » ومع ذلك نرى هذا الشعور مضغوطاً عليهِ ضغطاً شديداً سواء في عالم الاستطلاع السياسي او الديني او غيرهما. وبدلاً من ان نهذب الاولاد ونثقفهم باساليب البحث الحرّ نعلمهم المعتقدات السليمة الرأي (في نظرنا) التي درجنا عليها بعد آبائنا واجدادنا فينجم عن ذلك ان هذه الافكار الغريبة تثير فيهم شعور الخوف والنفور بدلاً من شعور الرغبة والاقبال . وكل هذه النتائج تنجم عن طلب ضمان للحياة ناشيء عن مخاوف غير معقولة . وقد اصبحت هذه المخاوف غير معقولة في عصرنا فقط لانهُ اذا جمعنا في نظامنا الاجتماعي بين الجرأة والعلم ضمنا لنا البقاء المنشود

طريق الفردوس العالمي

فالطريق الى الفردوس الارضي ممهد معروف . جانب منهُ يقع في ميدان السياسة والآخر في ميدان التغيرات في طبيعة الانسان اي في ميدان التعليم. اما في ميدان السياسة فاهم ما هنالك انشاء حكومة دولية. اما في ميدان الطبيعة الفردية فاهم عمل نقوم بهِ هو تنشئة الفرد حتى يكون اقلّ انفعالاً بعوامل الخوف والبغض وهذا امر فسيولوجي وبسيكولوجي في آن واحد . فاكثر ما في العالم من البغض والحقد سببهُ سوء الهضم وعدم قيام الغدد بعملها قياماً منتظماً وهذان الامران اساسهما الضغط على الشبان وكبت طبائعهم . ففي عالم يعنى فيهِ بالصغار عناية كافية ويفسح امام طبائعهم الحيوية اوسع مجال لاتساع نطاقها ونموها نموًّا لا يضرّ بهم ولا برفاقهم ينشأ الناس رجالاً ونساء اشجع قلباً واطيب نفساً مما هم الآن. فاذا وجد اناس هذه طبائعهم وانشئت حكومة دولية تمهّدت امام الناس طريق العمران غير المتزعزع الاركان . اما اذا مضينا وهذه حالتنا النفسية ، وهذا نظامنا السياسي ، فكل تقدم في العلم يقرب اندثار الحضارة . آه

الذكرى : للشاعر لامرتين

[الاحزان العميقة مَبْعَثها الفؤاد ، ومكمنها الحشا ، فهي لا تستدرُّ الدموع ، بل تَستقطر دماء القلوب ، وهي صامتة غير صَخَّابة ، فاذا ما أَنَّت نفس المرء العادي وتأوَّهت ، خرجت على فمه زفرة ، تَتقطَّع لها نياط الفؤاد ، وشغاف القلب ، وتلاشت على شفتيه دون ان يشعر بها احد . اما الشاعر ، فانَّة نفسه ، لهيب عواطفه المحترقة ، يصعد على مَتْن الشعر ، فيعبر بازيزه عن المه وجواه ، بكلمات تهز العواطف ، وتستثير الشجون، حتى تستعبر منها كل عين، ويدمي لها كل فؤاد

وكان لامرتين اذا غنى على قيثارة أَلمه نشيد روحه المحتضرة ، هيَّج مكامن الشجون في النفس، ورفع هذه من مستقرها الارضي، الذي الصقها به شطرها المادي، الى مستواها العلوي ، تاركاً الجسد متخبطاً في دياميس تألمه ودياجير إيجاعه

وهذه القصيدة ، نَفثة من نفثات صدره الكليم ، لفظتها نَفْسُه بعد فقد حبيبته التي شغف بها في مدينة اكس . فقد لبث سبعة شهور هائماً على وجهه ، لا يستقر به النوى، ولا يحيط قلبه ، الاَّ بصورة تلك الراحلة العزيزة ، حتى اذا أَلِف حزنه ، والقى الزمن ستر الكآبة على ألم نفسه ، مُتَسلِّطاً من شدته ، مخففاً من حدَّته ، طفق يرسل شعور روحه واحساسها ، الى خيال عشيقته، الماثل دائماً لتصوراته، نجوى وحنيناً ، هما زفير النفس وتأوُّهها]

عَبثاً تعاقب الايام ، وتَهْوي على مَزْلقة الزمن ، دون ان تترك أَثراً ، فلا شيْ يمحو من قلبي ، آخر حُلم من حبي وغرامي

ارى سِنِيَّ حياتي الرَّكُوض تتجمع ورائي مُتَراصَّة ، كما تتراكم اوراق البَلُّوطة الذابلة حول جذعها

لقد بَيَّضَ الزمن مفرِقي ، والثلج دَمي الذي يَدِبُّ ببطء في عروقي ، فأشبهتُ مياه الغدير السارية ، التي تعقلها رياح الجنوب الباردة

ولكن صورتك الفتيَّة الساحرة ، التي تزهيها الحسرة واللَّهف ، مَصُونة في اعماق فؤادي، لن تمسَّها كِبرٌ، ولن تتطرَّق اليها شيخوخة، فهي كالرُوح لا يُحدُّ لها عمر

كلا انكِ لم تنأي عن عيني ، ولما تطلَّبكِ طرْفي الحائر ، ولم يجدكِ على الارض، تطلعتُ فجأةً الى السماء فالفيتكِ فيها

هنالكِ بدوتِ لي ، كما كنتِ في آخر ايامكِ ، بدوتِ لي زاهرةً زاهيةً ، عند ما

كنتِ تحفزين الى الطيران ، على متن الفجر الى مقرك الازلي

لقد تبعك جمالك التي المسبي في رحلتك الأخيرة . فكنتِ ساحرة على الارض ، فتانة في السماء . وعيناك اللتان انطفأ فيهما نور الحياة ، كانتا تشعان باضواء الخلود .

اني لاذكركِ وقد اطارت انفاس النسيم المحببة ، خُصَلَ شعرك الطويلة ، فتلاعبت بها ما شاءت ، ثم حطتها على صدركِ العاجي ، ضفائر متموجة سوداء ، وجدائل أبنوسية لماعة

وظلال ذلك الستر المبهم ، تُخلِي صورتك في فؤادي ، كما يحلو الفجر المنبثق ، عندما يُطلق من أسدال الصبح الاخيرة

ان اشعة الشمس السماوية ، تُقبل مع النهار ، وتُدبر اذا ولّى ، ولكن حبي ليس له ليل ، ولا يعتريه أفول . انتِ دائماً تنيرين نفسي ، وتضيئين روحي

فانتِ التي اراكِ واسمعكِ . سواء أكان في الفلاة او السحاب ، فمياه الجداول الصافية ، تعكس لي صورتكِ ، وانين النسيم يحمل اليّ صوتكِ

اذا غفت الارض ، وطرق مسمعي تأوهات الريح ، تبادر الى ذهني ، اني اسمعكِ تُسرين في أذني ، كلماتك العذبة المقدسة

كلما تأملت في تلك الشهب المنتثرة الموشية ليلاً وجه السماء ، ظننتُ اني اراكِ في كل نجم يخسن في عيني

واذا ما اسكرني هبوب الهواء ، الحامل أريجَ الازهار ، يميل اليّ ، اني استنشق انفاسك المعطرة ، في اطيب عبير يصل اليّ

ان يدكِ هي التي تكفكف دموعي . اذا ما استعبرت عيناي ، والتجأتُ فريداً حزيناً ، الى الهيا كل المعزية لارفع صلواتي .

واذا ما غفا طرفي في سهرتِ في الخفاء ، وظللتني بجناحيكِ ، مسندة بها اليّ ، لتدفعي عني عاديات الاذى ، حتى اذا سرت الى رأسي احلام ، تطرقت اليّ منكِ ، فتكون لذيذة جميلة ، كنظرات الاشباح ، او تطلعات الظلال

اذا ما ران الكرى على جفني ، وحللتِ بيدكِ لحمة ايامي ، اطير اليكِ لأصحو بين احضانكِ ، فانضمّ الى شطر روحي السماوي ، دون فرقة ولا بعاد

فاذا ما اتحد روحانا ، كأنهما ضوآن من ضياء الفجر ، اوتنهدان قد تمازجا ، حظيتُ بلقياكِ في دار الخلد ، حيث الراحة الابدية ، والهناء السرمدي ، ولكن أنى لي ان افوز بأمنيتي العاجلة ، وعيني لم تزل تطرف ، وفي يتنسم الحياة

القاهرة ترجمة : نصيف جورجي نيقولاوس



التجارة عند الامم القديمة الى عهد العرب

بقلم عيسى اسكندر المعلوف صاحب مجلة (الآثار) ومؤلف تاريخ الاسر الشرقية العام

تسمية التجارة وتعريفها

التجارة لفظة سامية قال اللغويون فيها : انهُ ليس في كلام العرب تاء اصلية بعدها جيم غير لفظ تجر ومشتقاتها وهي بمعنى البيع والشراء معاً. والفعل منها اتَّجر وتاجروا تَّجر فهو تاجر وهي تاجرة والصناعة التجارة . ومن معاني التاجر عندهم بائع الخمر والحاذق . والمتجر الاتجار وبضاعة التاجر ايضاً . وارض مَتجَرَة يُتَّجر فيها واليها

ومن اسماء التاجر الاعجمية (القسطار) تعريب **Quoestor** (كوستور) الرومية وهو الخازن للاموال التي توزع على الجنود والموظفين وتأتي بمعنى (الصيرفي) ايضاً. و(السقنطار) يونانيتها **Scutarius** بمعنى موظف بزنطي وهو في معانيهِ ايضاً عرّبها العرب

اما اسم التجارة الافرنجي فهو عند الفرنسيين والانكليز **Commerce** من اللاتينية **Commercium** وهي مركبة من كلمتين **Cum** بمعنى ضم وجمع و **Merx** بمعنى بضاعة . اي (جمع البضائع) ومنها اسماؤها باللغات الاوربية

اما (حد التجارة) فافضله قول ابن خلدون فيلسوف العرب الاجتماعي وهو : «التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أياً ما كانت السلعة» وهو اشبه بحدها عند الافرنج اليوم . ولهُ في فلسفة التجارة مالا يجارى فيه وهو قولهُ :

« ان معنى التجارة تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها باكثر من ثمن الشراء اما بانتظار حوالة الاسواق او نقلها الى بلد هي فيهِ انفق واغلى . او بيعها بالغلاء على الآجال وهذا الربح بالنسبة الى رأس المال يسير الا ان المال اذا كان كثيراً عظم الربح لان القليل في الكثير كثير . ثم لا بُدَّ في محاولة هذه التنمية من حصول هذا المال بايدي الباعة في شراء البضائع وبيعها ومعاملتهم في تقاضي اثمانها

«واهل النَصَفَة قليل فلا بد من الغش والتطفيف المجحف بالبضائع ومن المطل في الاثمان المجحف بالربح . ومن الجحود والانكار والمسحت لرأس المال فيعاني التاجر من ذلك احوالاً صعبة ولا يكاد يحصل على ذلك التافه في الربح الا بعظم العناء والمشقة اولا يحصل ويتلاشى رأس مالهِ . فان كان جريئاً على الخصومة بصيراً بالحسبان شديد المماحكة مقداماً

على الحكام كان ذلك اقرب لهُ الى النصفة بجرأته ومماحكته . والا فلابدَّ لهُ من جاهٍ يدرع بهِ يوقع لهُ الهيبة عند الباعة ويحمل الحكام على انصافهِ من معامليهِ فيحصل لهُ في ذلك النصفة في ماله طوعاً في الاول وكرهاً في الثاني

«واما من كان فاقداً للجرأة والاقدام من نفسه فاقد الجاه من الحكام فينبغي لهُ ان يجتنب الاحتراف بالتجارة لانهُ يعرض مالهُ للضياع والذهاب ويصيره مأكلةً للباعة لان الناس وخصوصاً الرعاع والباعة شرهون الى ما في ايدي سواهم متوثبون عليهم» انتهى

الاقوال في التجارة

لقد كثرت اقوال الناس منذ القديم في التجارة والاقتصاد والأثراء وهي نتيجة تجاربهم فمن ذلك قول سقراط الفيلسوف اليوناني : « لا تكونن عنايتك بأن تكسب شيئاً كعنايتك بحسن استعمال ما تكسبهُ » . وقال افلاطون . «من كان غنيًّا فليقتصد ومن كان فقيراً فليُدمن العمل » . ورأى فتىً ورث مالاً كثيراً وضياعاً فاتلفها . فقال « رأيت الارض تبلع الناس وهذا الانسان بلع الارض »

ويقول المثل الاسباني : « من يقصد ان يثري بسنة واحدة يعلَّق في المشنقة بعد ستة اشهرٍ » . والمثل الروسي : « عند ما يتكلم المال يصمت الحق » . والمثل الياباني « من يبتاع مالاً يحتاج اليهِ يبيع ما يحتاج اليهِ » وعند عامتنا مثل بهذا المعنى نفسهِ . ويقول اليونانيون ايضاً في أمثالهم : « فكر بالحاجة عند الغنى . وفي الحاجة لا تعلل نفسك بالغنى » . و « حيثما تكون الارباح فهناك الخسائر » و « تحصيل المال كالحفر بالابرة . اما انفاقهُ فكمثل تسرّب الماء في الرمل » . ويقول المثل التركي « من اشترى رخيصاً فقد اشترى غالياً . ومن اشترى غالياً لم يغش » . ومن امثال عامتنا بهذا المعنى قولهم :«يا مسترخص اللحم عند المرق تندم » وقولهم : « الرخيص غالي »

وقال شكسبير الانكليزي : « لااستدين ولا ادين فان الدَّين طريق للخراب » . وقال المركيز منتروز : « من لا يعرّض نفسهُ للربح والخسارة فهو جبان او صعلوك » . وقال السر لتون : « ان المال يولّد المال » وهو الذي وضع خمس قواعد لطلاّب الاثراء (اولها) الوقت (٢) الاقتصاد (٣) الترتيب في الانفاق (٤) الثبات على العمل (٥) الصدق في المعاملة. وقال فؤاد باشا العثماني : « كنتُ افضل ان اكون تاجراً لو قدرت ان لا اكون سياسياً » ولعامّتنا اقوال كثيرة منها قولهم : « تاجر بقرش تتسمى بالبلد تاجر وبالف قرش عند الناس لاتاجر » . و « التجارة، ربح يا خسارة » و « من اشترى ما لا يحتاج اليهِ باع ما يحتاج اليهِ » و « اذا تاجرنا بالكفان (الاكفان) يبطّلو الناس يموتوا »

اركان التجارة

ان موقع بلادنا (سورية) الطبيعي واتصاله من جهة الغرب بالبحر المتوسط ومن الشرق بادية سورية ومن الشمال بارض الاشوريين والكلدانيين ومن الجنوب بالبلاد العربية وما اليها جعلها مباءة للتجارة البرية والبحرية وسمي البحر الابيض المتوسط لتوسطه بين القارات الثلاث الكبرى آسية وافريقية واوربة . وفي بلادنا تتلاقى هذه الطرق وتتعارض

وترى معظم اقسام بلادنا زراعية وكثيراً من مدنها صناعية فلا عجب اذا كانت التجارة قد اشتهرت فيها منذ القديم وعُرف ابناؤها في العالم باجتهادهم واسفارهم الشاقة الطويلة الى اقاصي القارات المعروفة في القديم والى قارة اميركا الجديدة في الحديث

ومن انعم النظر في كتابات نهر الكلب المحفورة في صخوره الضخمة قرب جونيه في لبنان وغيرها من الكتابات الداخلية والساحلية عرف كيف تصافحت الامم القديمة في ساحات بلادنا وكيف كان حسن موقعها داعياً لطموح الملوك اليها . فضلاً عما في جميع نواحيها من الكتابات والآثار والشواهد الدالة على عمرانها واتساع حضارتها وعظمة مجدها وكفى بما اكتشف اخيراً في جبيل والمشرفة (قرب حمص) وغيرهما برهاناً على صدق قولنا

ولا يخفى ان حسن موقع البلدان وثروتها ورواج اسواق التجارة فيها هي كلها من اهم عوامل التحاسد حتى الآن . بل هي من مسببات الحروب الدامية والوقائع المهلكة وشاهدنا قريب في الحرب الكبرى الاخيرة التي كان سببها التجارة ومضرم وطيسها التنافس في اكتساب الثروة وتوسيع نطاق الاثراء والكسب

ومن المعلوم ان الطبيعة كلما ساعدت الانسان بخصبها وجودة موقعها تكاسل وكلما قاومتهُ وعادتهُ نشط واجتهد فالناس الذين لم تكن موارد ارتزاقهم من الزراعة والصناعة موفورة تراهم مخروا البحار وذرعوا القفار وسهّلوا الصعاب سعياً لكسب المال وتوفير الاثراء والذين كثرت مواردهم في القديم اكتفوا بها وان كان بعضهم اراد تنميتها فاتجروا وربحوا

فالفينيقيون سكان سواحلنا البحرية كانوا اول من نشر التجارة البرية والبحرية واقتفت آثارهم الامم كما سترى . على ان الامم المصرية وسكان العراق ومن اشبههم كانوا يكتفون بموارد زراعتهم الغنية لخصب اراضيهم. والمشهور اليوم بين الاقتصاديين : ان الامم التجارية هي التي تسنى لها ثلاثة اسباب (اولها) حسن موقعها الجغرافي براً وبحراً و (ثانيها) كثرة مناجمها الفحمية والمعدنية و(ثالثها) معاهداتها التجارية والاقتصادية مع الامم الاخرى . فعلى هذه الدعائم الثلاث يرتكز معقل التجارة الحصين مع سهولة المواصلات

كان السفر من لندن الى اوستراليا يستغرق سبعة اشهر ونصفاً فلما سارت القطارات

والسفن التجارية بينهما جعلت المسافة ٣٥ يوماً . وكانت المسافة بين الشرق الاقصى واوربة بضعة اشهر فصارت الآن ١٩ يوماً . وهذا كان قبل ان تجارت الطيارات في الهواء تقطع الآن ما بين سورية وبغداد بيوم كامل بعد ان كانت المسافة بينهما نحو شهر

وكانت السفن تسير في البحار بحركة الهواء فتتجه بحركة مهبه الى الجهة التي تقصدها فاذا خالفتها الريح بقيت اياماً وشهوراً في عرض البحر تتوقع الفرج ولذلك قال شاعرنا العربي:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفنُ

ولابن جبير الرحالة العربي في وصف مرفأ عكا التجاري والرياح التي تهب عليه كلام علمي بليغ . وقد صارت بواخر هذا العصر تقطع المسافات البحرية بدون عائق مهما اشتدت الريح وتعاظمت العواصف فلهذا تيسرت ذرائع التجارة في البحر والبر بتقريب المسافات وكثرة الطيارات وسرعة نقل الاخبار

التجارة قديمة عند الامم تولدت في الزراعة والصناعة كما مر وجاءت الآثار المكتشفة تثبت شؤونها وما تقلب عليها وتصف طرقها . فكانت للامم على اختلافها رموز واشارات وعلامات تدل على التجارة منها النسر الذي يحمل برجليه المفاتيح كما نراه في عتبة هيكل الشمس العليا في بعلبك وغيرها . ولا يخفى ان الامم القديمة ألهت الزراعة والصناعة فاتخذت لها محامين من الآلهة ومحطات من الهياكل متبركة بها متفائلة بنجاحها بواسطتها وكثيراً ما نذر لها التجار من ارباحهم ماينفق على تزيينها وتشييد هياكلها مما لا تزال آثار بعلبك وتدمر وغيرهما من البلدان التجارية شاهدة به

كان اصل المبايعة قديماً بالمقايضة اي مبادلة متاع بآخر مما يحتاج اليه كل من البائع والشاري فيستبدل الواحد بالآخر . ثم تطوَّرت التجارة بتطور الامم فكانت ترتقي بارتقائها وتنحط بانحطاطها . وكانت طريق التجارة عند القدماء تسير في خطين (الاولى) في البحر الاحمر (القلزم) الى مصر والاسكندرية . و (الثاني) من خليج العجم فبادية الشام . فكانت محطتها البرية بترا ثم تدمر وقوافلها ومجلاتها تسير على طرق مرصوفة ذات محطات للاستراحة وقلاع للحصار والخفراء وكانت في تدمر ضريبة كبيرة على القوافل يتقاضاها وكلاء خاصون بها تشهد لها آثارها العظيمة وابنيتها الفخمة وهي لطبقات الخاصة من الاغنياء والتجار . واليك الآن تاريخ التجارة عن اشهر الامم القديمة

تجارة الفينيقيين

كانت بلاد فلسطين التي ملكها الفينيقيون مدة ذات خصب في بعض انحائها فألهتهم عن التجارة الى ان تغلب عليها الاسرائيليون واختاروا منها ما كان كثير الريع وافر الحاصلات فاضطر الفينيقيون اذ ذاك الى الاتجار لان مدنهم الساحلية لم تكن كلها خصبة ولا متسعة

فقام سكان مدينة صور وما يتبعها من الولايات وسيروا سفنهم وقوافلهم للتجارة في ما وراء البحار في المدن والبلدان السحيقة . وهكذا قل عن سكان صيدا وما اليها وبقية المدن البحرية التي امتلكوها . وكانت مصانعهم ومعاملهم شهيرة فيهما

فكانت صناعاتهم النفيسة تحملها السفن والقوافل الى البلدان فتعود بحاصلات تلك الاقطار اما مبادلة واما بوزنات الذهب والفضة حتى ملأت السفن البحار والقوافل البرور. واخترعوا الكتابة وتسيير السفن بالابرة المغناطيسية فعززوا بهما التجارة وربطوا العالم بعضه ببعض

وذكرت مجلة المقتطف (٣٢ : ٧٧٠) ان رئيس فرع الجغرافية من مجمع تقدم العلوم البريطاني قال في كلامه عن (الجغرافية والتجارة) مطرئاً الفينيقيين : ان موقع مدنهم الجغرافي بين البحر المتوسط غرباً والعراق وخليج فارس او طريق الهند شرقاً جعل زمام التجارة في يدهم وصبَّ عليهم ميازيب الثروة فان الذي يسهل عليهم ان يتاجروا بمصنوعاتهم يتيسر لهم صنع المصنوعات واتقانها . فجعل الفينيقيون ينسجون المنسوجات الرقيقة من الصوف والكتان ويصبغونها بالالوان الجميلة ويصنعون الآنية الزجاجية والمعدنية ويبعثون بها الى البلدان القاصية حيث مواد الطعام كثيرة وجلبها بحراً سهل قليل النفقة

«ولم تنحصر فائدة التجارة في الفينيقيين بل شملت الامم التي اتجروا معها او تعلموا التجارة منهم كاليونان . الى ان قام الاسكندر المكدوني وحاول نزع تجارة الشرق من يد الفينيقيين فهدم مدينتهم صور وبنى الاسكندرية بدلاً منها لكي تتحول تجارة الشرق اليها فكان له ما عنى» انتهى — وذلك قبل الميلاد بثلاثة قرون فكان الفينيقيون محتكرين للتجارتين البرية والبحرية ومفاتيحها بايديهم الى عهد اليونان والرومان فكانت طرقهم في سورية الشمالية والوسطى وبادية الشام وتدمر الى الاقطار البعيدة براً وفي البحر المتوسط وغيره بحراً الى المرافئ السحيقة. وكان للتجارة الفينيقية في آسية ثلاث طرق . فالجنوبية منها كانت قوافلها تذرع الفلوات الى اليمن وحضرموت وعمان ناقلة اليها مصنوعاتها وحاصلات بلادها وحاملة منها الحجارة الكريمة والذهب والبخور واللبان والمر واللؤلؤ والعاج والابنوس . وتحمل الى مرافئ عدن بضائع الهند وصناعاتها . ومن اطراف اليمن بضائع الحبشة

والطريق الشرقية كانت قوافلها تجوب السهول الى جهات نينوى مارة بحماه وحلب ونصيبين فتتجر بآثار بلادها الزراعية والصناعية مع الاشوريين وتنقل الى بلادها حاصلاتهم وصناعاتهم مثل انسجة الكتان والقطن وحرير الصين والحجارة الكريمة . ولها طريق اخرى تمر فيها بتدمر وتبسك على الفرات الى بابل فتتجر مع الكلدانيين

والطريق الشمالية كانت الى ارمينية حتى بلاد الكرج والقوقاز والبحر الاسود وبحر

قزوين فتجلب منها الرقيق وآنية النحاس والخيل

اما الطريق الغربية فكانت بالبحر او بمضايق البر احياناً فتسير سفنهم الشراعية العظيمة في البحر الاحمر الى خليج العجم والمحيط الهندي . وكانت الشركات التجارية بين حيرام ملك صور وسليمان ملك اسرائيل لجلب الذهب من اوفير كما ذكر سفر اخبار الايام الثاني من التوراة وكانت تجارتهم مع بلاد مصر مهمة حتى ذكر هيرودوتوس المؤرخ بان الفينيقيين وحدهم كانوا الناقلين لبضائع مصر وحاصلاتها الى جميع الاقطار

وكان لتجارتهم في اوربة طريقان « الاول » من جهة جزائر البحر المتوسط حيث كانت مواقف سفنهم التي مخروا بها البحار الى بلاد اليونان وصقلية وسردينية وكورسكه الى فرنسة وايطالية وكانت لهم محطة تجارية عظيمة في بحر ايجه واحتكروا الذهب من بعض مدنه و « الثاني » من جهة افريقية ومضيق جبل طارق او بحر الزقاق حيث عبروا من قرطاجنه التي استعمروها الى ترشيش (اسبانية) والبرتغال وبعض جزائر المحيط الاتلنتيكي وكان لتجارهم قوافل في تلك البلدان تطوي الارض الى داخلية جرمانية وفرنسة . قال حزقيال في الفصل الرابع والعشرين يصف تجارة صور : « جميع سفن البحر وملاحوها كانوا فيك لترويج موسمك . ترشيش متجرة معك في كثرة كل غنى . وبالفضة والحديد والقصدير والرصاص اقامت اسواقك »

فكان التجار الفينيقيون يرافقون قوافلهم ويدرسون شؤون البلدان ويتخذون مخازن لهم في المدن الكثيرة التي تنقل اليها سفنهم وقوافلهم بضائعهم وصناعاتهم فيستقبلونها ويقايضون بها ويرسلون بضائع ومصنوعات تلك البلدان الى بلادهم واهم مصنوعات الفينيقيين الارجوان او البرفير الذي كانت تتخذ منهُ اردية الملوك وكانوا قد تفردوا بعمله في معامل صور وصيدا وردس وقبرص وبلاد المورة في الارخبيل. والزجاج في مصانع صرفند وصيدا . والاواني الخزفية والمعدنية ولاسيما الصفر والشبه . والحاصلات كالزيت والتمر والموز والحنطة . ومما كانوا يستجلبونهُ من اسبانية وانكلترة الذهب والفضة والحديد والقصدير والزفت حتى ان ارسطو الفيلسوف اليوناني قال يصف ثروتهم التجارية : (ان الفينيقيين استبدلوا بزيتهم فضة ترشيش ولما ضاقت سفنهم عن شحنها صاغوا منها ادواتهم وآنيتهم حتى مراسي سفنهم (الاناجر) » وقال لينرمان الفرنسي : كانت مصر واشور مبعث التمدن المادي وكانت فينيقية سفيرته التي نشرتهُ في العالم »

وقد كتم الفينيقيون طرق البحر عن غيرهم فاحتكروا التجارة احقاباً طويلة وا كتشفوا اصقاع الامم واقاموا الاسواق للبيع والشراء ونمت شهرتهم التجارية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد

شعر التصوير

وداعاً يا رفيقي القديم

Good-bye, Old Man

الرسم للنقاش ف . ماتانيا (***F. Matania***) في خلال الحرب العالمية

هَوَى جائداً بالرُّوحِ في ساحةِ الوَغَى ... جَوادٌ لهُ مِنْ خِلّهِ حُبُّهُ الأسْمَى

هَوَى مِنْ شَظَايَا حينما جرَّ خَلْفَهُ ... الى الحَصْدِ ذاكَ المِدفعَ الرّائعَ الضّخما

فحرّرَهُ مِنْ جُلّهِ [1] ولجامِهِ ... لِميتَتِهِ مَنْ كان يحرسُهُ دَوْما !

جثا جنبهُ مِنْ صدمةِ الحُزْنِ باكياً ... يُقبّلُ رأساً وهو يُشبعُهُ ضَمّا

تَدَفّقَ منهُ ذلك الدّمُ مثلما ... تَدَفّقَ مِنْ باكيهِ حُبٌّ له أعْمَى

بكَى ورَثَى والصَّحْبُ ماضون هُلَّعٌ ... وضابطهُ يدعو فيوسعهُ صَرْما [2] !

وفي قُرْبهِ وَقْعُ القنابلِ ناشرٌ ... خراباً فما بالى وإنْ هَدمَتْ هَدْما

أحسَّ بِيُتْمٍ في مَنيّةِ خِلّهِ ... كأنْ لم يذُقْ مِنْ قَبْلِ ميتتهِ اليُتْما !

وقد شَعَرَ الطّرْفُ [3] الذي كان كلّهُ ... وفاءً إلى مَنْ لم يكنْ وافياً رَغْما

ويا رُبَّ للأرواحِ حِسٌّ مُوحّدٌ ... مِنَ الفَهْمِ مهما يختلفْ حالُها جِسْما !

وقد يَقبلُ المَيْتُ العزيزُ عزاءَهُ ... قريراً، ويُبْقي صوتُهُ رُوحَهُ فَهْما!

ومَنْ كان هذا حُبُّهُ وشعورُهُ ... فهل ذاق للسُّلوانِ عن خِلّهِ طَعْما ؟

***

عجبتُ لانسانٍ عظيمٍ بحُبّهِ ... وفي جَنْبِهِ قلبٌ الى شَرَفٍ يَظْما

فلم ينسَ حتى في المخاطرِ هكذا ... جَواداً ، وعَدَّ البُعْدَ عن موتِهِ وَصْما

ولكنّهُ هيهات يَعْرِف رَحْمةً ... إذا سألَ الانسانُ مِنْ عَطْفِهِ السِّلْما

يُوزّعُ أسمى الحُبِّ في كُلِّ مَنْهجٍ ... ويعطي أخاهُ الحَرْبَ والنّكبةَ العُظْمَى!

ابو شادى

(١) الجل ما يلبسه الفرس ليصان به (٢) صرما : قطيعة (٣) شعر البصر بمعنى شخص عند الموت ، اشارة الى نظرة الجواد وهو يجود بروحه



شاعر اسباني كبير

يتفاخر بنسبه العربي

وهل تعجب ؟ حق لك العجب . عنوان غريب . في عصر غريب . عربيٌّه يتبرأ من عروبتهِ ويستنكف من نسبهِ ، فكيف بالغريب عنا بلغتهِ ومحيطهِ ، وعاداتهِ وميولهِ

شاعر اسباني نابغة ، يتغنى بمجد العرب ، ويكبهم في شعره وخطبهِ وأحاديثهِ ، متفاخراً بالتحدر من صلبهم ، والانتماء الى صميمهم . هو الشاعر فيلا سباسا اكبر شعراء اسبانيا ، ورئيس ندوة الشعر فيها ، وصاحب ما ينيف على المائة والخمسين مؤلفاً ما بين شعر ونثر

تعرفت اليهِ في الايام الاخيرة لوجوده في الحاضرة سان باولو ، فاذا بي أمام روح وثابة هي روح الشاعر ، وذهن متوقد مبتدع هو ذهن النابغة ، وقلبٍ أنوف كبير هوقلب العربي . واليك عنهُ كلمةموجزة كنابغة وشاعر ، وبحثاً مستفيضاً كعربي . وما تخيَّرتُ التبسط في عروبتهِ إلاَّ لأ بيِّن صلتهُ بها ، واسباب حماستهِ لها ، وقد استقيت منهُ ما تراه في هـذا الصدد من افادات تاريخية ، هي على ما أعلم حلقة ناقصة في تاريخنا العربي بعد سقوط غرناطة وتضعضع أمر العرب في الاندلس

النابغة

لايقاس النبوغ في الادب بوفرة الانتاج فحسب ، وانما يضاف اليها الاجادة في المبنى ، والتحليق في المعنى ، وفيلا سباسا جمع بين الصفتين ، امتيازه بكثرة مؤلفاتهِ ، وتفوقه بجودة كتاباتهِ ، فهو مكثر ومجيد معاً

مؤلفاته المطبوعة مائة وثلاثة عشر كتاباً ، منها خمسة وسبعون ديواناً شعرياً ، واربع وعشرون رواية تمثيلية شعرية ، واربعةعشرمؤلفاً نثريًّا . وله الآن خمسة واربعون مؤلفاً ، منها خمسة وعشرون ديواناً شعرياً ، وسبع عشرة رواية تمثيلية شعرية ، وقصتان نثريتان ، ومؤلف يستغرق عشرين مجلداً في وصف سياحتهِ الى اميركا ، وهذه كلها ماثلة للطبع

اول كتاب طبعهُ هو ديوان شعر بعنوان « خصوصيات » والشاعر لا يتجاوز اذ ذاك الثامنة عشرة من سنيهِ ، وبين مؤلفاتهِ جانب كبير موضوعهُ عربي ، فمن رواياتهِ التمثيلية الشعرية « قصر اللؤلؤ » وهي رواية جرت حوادثها في غرناطة على عهد ابن

الاحمر ، ورواية « ابن امية » تناول فيها ما حدث لبقايا العرب بعد سبعين عاماً من سقوط غرناطة ، ورواية « في البادية » وهي رواية حدثت وقائعها في الصحراء وصف بها إباء العرب وما للضيافة عندهم من حقوق وله رواية أخرى ماثلة للطبع هي « زفرة المغربي » عنى بها زفرة ابي عبد الله آخر سلاطين العرب في الاندلس ، وبكاءه يوم ودّع غرناطة من اعالي جبل بادول المشرف على حاضرة ملكه وقد قالت له امهُ عائشة :

«إبك مثل النساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال»

وهذه الحادثة هي موضوع روايتي التمثيلية ابن حامد او سقوط غرناطة التي وضعتها منذ نيف وعشر سنوات ولم تطبع بعد

ومن دواوينه الشعرية ذات الموضوعات العربية ديوان « فتون الحمراء » و« ليالي جنة العريف » و« الاندلس » و« دفوف أشبيلية » و« قفير النحل الذهبي » و« باحة الاريج »[1] و« عاشق ليندا راخا » . ومن رواياته القصصية النثرية « انتقام عائشة » و « عبد الرحمن الاخير » و« نخيل الواحات » و« مخالب الفهد » و « برج الاسيرة »

وأروع ما انتجت قريحته روايتا « قصر اللؤلؤ » و« ابن امية » وكلتاهما عن العرب

فاذا عددت مؤلفاته بلغت مائة وثمانية وخمسين مؤلفاً بين منثور ومطويّ ، ومنظوم ومنثور ، وهي لعمري مكتبة كبيرة خلقها دماغ واحد في حياة لا تتجاوز الخامسة والخمسين عاماً . فيا لك من حياة قيّمة ، لو حسبت ساعاتها ، لكادت تكون كل ساعة فيها صفحة من النثر او قصيدة من الشعر

الشاعر

قرأت لفيلا سباسا ديواناً شعريًّا في موضوعات شتى ، ورواية تمثيلية شعرية هي « قصر اللؤلؤ » . ما انا من المتضلعين من اللغة الاسبانية ، ولكنني تعمقت جد التعمق في تفهم ما قرأتهُ لأسبر روح هذا الشاعر الكبير. أما الحكم على مبانيه فأدع القول الفصل فيه للنقاد وهم يضعون مؤلفاته في مقام سامٍ لبلاغة جملها وجودة تعابيرها وسمو لغتها

اما المعاني فاذا كانت بلاغتها في ايجازها وهي لكذلك فالشاعر محلّق في فضاء فسيح من الخيال ضمن دائرة ضيقة بليغة من الجمل

يتلاعب بعواطفك على هواه ، فتشعر بروحهِ سرَت في روحك ، تحبهُ هازجاً ونادباً ، باسماً وباكياً ، راضياً وغاضباً ، يحدثك عن عاطفة فتكاد تلمسها بيدك ، ويصوّر لك منظراً فتكاد تراه بعينك ، ويصف لك خريراً فتكاد تسمعهُ بأذنك

(١) لعلها تشير الى الباحة في قصر الحمراء التي كانت تعرف « بباحة الريحان »

بينا تماشيه على ضفة جدول هادئ ، اذا بك معهُ على شاطئ بحر ثائر ، وبينا انت بقربه على اديم الارض ، اذا بهِ يثب بك الى قلب الفضاء

« قصر اللؤلؤ » مأساة من التاريخ العربي في غرناطة ، ترى فيها كل ما في مزايا العرب من إباء وشجاعة وكرم ، كما تلمس بها الحب العربي مختلجاً فناقاً فنتقاً ، كل ذلك في قالب من الشعر البليغ الخلاب تبدأ بقراءتها فتحسب انها كباقي ما وضع الغربيون عن العرب من الروايات ، اسماء عربية لاغير، خالية من أثر للروح العربية فيها، ولكنك تشعر بخطأك عند اول صفحة تقلبها فيخيل اليك ان المؤلف عربيّ والشاعر مترجم

في حياة ابطال الرواية واحاديثهم روح عربية صميمة تتدفق بين السطور ، فكأنك ترشف عصير الخيال العربي في كاس صافية برّاقة من اللغة الاسبانية

تسمع ابن الاحمر سلطان غرناطة يقول للشاعر العربي الذي انشد قصيدته بين يديه: « أشرف تاج على رأس الملك هو الشعر ، ولو كان لقصيدتك ثمن وكنتُ ملك العالم لأعطيتك بكل بيت منها مدينة كغرناطة ، ولكن خزينتي لا تكفي ثمناً لها ، » فتعلم ان الشاعر عنيَ بدرس نفسية العرب واحاط بمناحي طباعهم ، ومثل ذلك في روايتهِ كثير

والشاعر سامي الخيال بعيد غور التصور تلاحظ ذلك في شعره وتلاحظهُ ايضاً في وصفهِ ، يشغل احياناً صفحة كاملة من روايتهِ ليصف لك كيفية ترتيب المناظر على المسرح فيصوّر لك السقوف والمقاعد والجدران ، وما عليها من نقوش وسجوف وسلاح ، فتجد مؤلفه كاملاً بكل دقائقه مما يدل على تعمقه في درس التاريخ العربي وآثار العرب ، واطلاعه على عاداتهم وحياتهم في الاندلس

وهو سريع الخاطر طويل النفس ، لا توقف مجرى افكاره ضوضاء ، ينظم وصغاره يهزجون من حوله واثبين لاعبين . وهو يكثر التدخين ، ولا يهتم كثيراً بالطعام ، وقد ينقضي الليل وهو مكبٌّ على النظم دون ان يفكر بعشائهِ

وانه لمعجب شديد الاعجاب بالشعر العربي ، وقد طلب مني شيئاً من شعري فقدمت له نسخة من قصيدتي « شاعر في طيارة[1] » المترجمة الى البورتغالية

وكان طريح الفراش فذهبت لعيادتهِ في اليوم الثاني فقال لي : اجلس واسمع

واذا به يتلو عليَّ بالشعر الاسباني اربعة اناشيد من تلك القصيدة مترجمة في اكثر من مائة وخمسين بيتاً . فمن هذا تعرف مبلغ تدفقهِ ، وقوة عارضتهِ وشدة هيامهِ بالشعر

(١) — « المقتطف » سننشرها في عدد تال ليطلع عليها القراء

عروبة الشاعر

غرناطة ، اواه غرناطة ! لم يبق شيء لك من صولتك !
هل نهرك الجاري سوى ادمع تجري على ما دال من دولتك ؟
والنسمة الغادية الرائحه
هل هي الا زفرة نائحه ؟
ما عدت في النهر كسلطانة جبينها في مائه ساطعه
للقبة الحمراء في تاجها وهج ، وللمأذنة اللامعه
أم على امجادك الضائعه
شيعتها بالنظرة الدامعه !
مرّت مرور النهر من جسره واورثتك النوح في عزلتك
غرناطة ! ، اواه غرناطة ! لم يبق شيء لك من صولتك !

***

لله حمراؤك ، تحسو الاسى وحيدة في الروضة الخاليه !
لم يبق لا زهوة ندمانها ولا صدى اعيادها الماضيه
ولم يعد للحب فيها أنين
ينقله العود عن العاشقين
بينا يحيل البدر الحافظه باهتة في المرمر اللامع
بين أريج الزهر المنتشي وبين شدو البلبل الساجع
وقصرها الحاوي بارجائه
كم غمر الليل بضوضائه !
اذ الجواري خاطرات على سجاده جارية جاريه
اروع ما في الشرق من رقصه تنسجه اقدامها العاريه

***

غرناطة ، اواه غرناطة ! ما انت الا خرب قابعه !
تحمل اسراب السنونو الى افريقيا أنباءك الفاجعه
هناك ابناؤك من بأسهم
باكون ، لا باكون من يأسهم

عرّوا من الاغماد بيض الظبي ووشحوا الخيل ببيض السروج
ويمموا البحر فلما بدت منك على الافق جبال الثلوج
خرّوا على أوجههم راكعين
وزفروا من قهرهم صارخين :
« غرناطة ، اواه غرناطة ! ضعت فيا للعظم الضائعه » !
فيزفر الموج ويبكي لهم حين يرى أعينهم دامعه !

***

هذه مقطوعات من قصيدة فيلا سباسا في البكاء على غرناطة ترجمتها عنه لأبناء العرب ، وهي لعمري قطعٌ من قلبه وقطراتٌ من روحه . ألقاها يوماً على مسمعي في غرفته ، فاذا بالدموع تترقرق في عينيه وهو يلقيها ، وما انتهى منها حتى خيَّم علينا صمتٌ عميقٌ حافلٌ بمرارة الذكرى ، وثورة الأسى . هي من أروع قصائده وهو مغرمٌ بها يتلوها بصوته الجهوري والقائه الممتاز في اكثر الحفلات التي تقام لاكرامه ، فتنتقل روحهُ بك مع معانيه من الاسى الى التفاخر ، ومن الحماسة الى البكاء

أفلا تشعر وانت تقرأها او تسمعها انك امام عربي صميم ، يغلي دم العرب في عروقه فيثور متأوهاً على عز اجداده ؟ اوَلا تتخيل آخر بني سراج بطل رواية شاتو بريان ، ساجداً بين جدران الحمراء يقبل احجارها ويبلها بدموعه

ما جلست اليه مرة الاَّ شعرت اني مع رجل تربطني به فضلاً عن صلة الادب صلة اخرى هي صلة الميول والمشارب

يحدثك بلهجته الهادئة الشعرية في شتى المواضيع ، ولكنهُ عندما يذكر العرب وامجادهم يتغير فجأة فتحسُّ بالحماسة تملأ جوارحه وتملك مشاعره ، وإن إنس لا أنس مجلساً كان فيه معنا خليط من الادباء الوطنيين والاجانب فجئنا على ذكر غرناطة وحمرائها ، فاذا ببريق يتألق في عيني الشاعر تحول في فمه الى كلمات اخذ يصف بها جمال الحمراء وجلالها بأسلوب شعريّ خلاب تناول مشهدها عند مطلع الفجر والشمس تدرج من خدرها فتلقي على قببها وباحاتها فتوناً ساحراً . ثم انتقل الى عظمة الفن في بنائها فرسم لنا منها صورة تعجز عن رسمها ريشة اعظم المصورين ، واذا به يتحول الى ما على الجدران من المقطعات الشعرية العربية التي نظمها ابن زمرك الاندلسي تلميذ وخليفة لسان الدين الخطيب وهو يروي ترجمتها باعجاب وتفاخر

وكنا سكوتاً من حوله نرتشف وصفه ارتشافاً ، ونلتهم كلماته التهاماً ، نصغي اليه فنسمع نبضة قلب عربي تحت ذلك الثوب الغربي

ولا يتبادرنَّ الى الاذهان ان الشاعر يتكلم عن العرب بهذه الحماسة امام ابناء الضاد فحسب ، كلاَّ فهو في مجالسه ومحاضراته وقصائده يشيد بذكرهم ويتغنى بحضارتهم غير موجس من لومة لائم ، أو تهجم مكابر ، ومن رافق حياته في هذه الحاضرة وغيرها من البلاد التي زارها تحقق بنفسه ما تحققتهُ . وعندما قدمت له رسمي وهممت بكتابة كلمة التقدمة باللغة البورتغالية التي يفهمها ، أبي عليَّ إلا كتابتها باللغة العربية التي يحبها

وقد روى لي احد مرافقيه ان حبهُ للعرب بلغ به مرة في مدريد الى التنقل في شوارعها الكبرى وهو مرتدٍ بالملابس العربية . وقد اخبرني انهُ لدى وصوله الى اسبانيا سيسعى بكل جهده لتحقيق فكرة جميلة أوحى بها الصديق النابغة الاستاذ حبيب اسطفان وهي انشاء جامعة عربية كبرى في غرناطة لتدريس كل ما هو عربي من لغة وأدب وتاريخ

اسرة الشاعر وصلتها بالعرب

ما تقلص ظل العرب عن الاندلس ، وسقطت غرناطة وهي آخر معقل بقي لهم ، حتى تفرَّق شمل المسلمين ، وتضعضع امرهم ، فنزح فريق منهم الى افريقيا وفي مقدمته الملك ابو عبد الله آخر ملوكهم ، وبقي فريق في اسبانيا محافظاً على اسلامه ، متعرضاً لاضطهاد الغالبين ، وتنصر فريق آخر هرباً من الاضطهاد ، او تقرباً من اولي الامر

ومن الفريق المتنصر نبيل عربي متحدر من السلالة الاموية يدعى محمداً بن امية وقد دعي بعد تنصره الدُنْ انطونيو مولاي دي قرطبة وڤالور

وكان اباً لثلاثة اولاد ، فرتندو ومارتين ولويس ، وكان الدُن فرتندو وهو وارث لقب الاسرة فتى حر الخلال محبوباً وقد انتخب في مجلس نبلاء غرناطة الاربعة والعشرين

ففي عام ١٥٦٥ أي بعد سبعين عاماً من سقوط غرناطة ، دخل فرتندو — وهو في الثانية والعشرين من سنيه — الى مجلس النبلاء وخنجرهُ في منطقته ، وكانت العادة ان يترك النبلاء سلاحهم عند مدخل المجلس ، وقد ترك الدُن فرنندو حسامه هناك ولكنه أبقى خنجره ، فلم يرق ذلك في عين الدُنْ بدرو داسا رئيس المجلس فوبخهُ بلهجة قاسية غلى لها الدم العربي في عروقه فأجابهُ :

— اني لادخلنَّ الى المجلس كما اشاء ، فانا سليل ملوك أمية ، وقد كان لاجدادي في هذه الديار سلطة الامر والنهي ، وعزة العرش والتاج

فما كان من رئيس المجلس إلا ان اغلظ له القول ونسبهُ الى امة البرابرة فكبر ذلك على الدُن فرتندو وهجم كالنمر الهائج فصفعهُ ، حتى اذا ثار ثائر النبلاء وقاموا عليهِ ، جرد خنجره في وجوههم ، واخذ يتقهقر وهم لا يجسرون على التقدم منهُ حتى بلغ الباب فتناول حسامهُ وسار توًّا الى حي البيَّازين الآهل اذ ذاك بالعيال العربية

وما هي ليلة وضحاها حتى انضمَّ الى الدُن فرتندو فريق كبير من رجال ذلك الحي الناقمين على الاسبانيين ، فجرد منهم حملة سار بها الى جبال البشرات الواقعة بين غرناطة ومرسية. وفوق هذه الجبال الآهلة ببقايا العرب وجلّهم ممن هربوا من الاضطهاد واعتصموا بالكهوف فوق قنن الصخور ، اعلن الدُن فرتندو الثورة على الدولة الاسبانية الغاشمة ، ونادى بنفسهِ ملكاً ، فمشى تحت لوائهِ جيش عربي لا يستهان بهِ تتأجج في صدور افراده نار الحقد على نازعي ملكهم ومقوضي مجدهم والذين بالغوا في النكاية بهم بكل نوع من انواع العسف والارهاق

واول بوادر تلك الثورة مذبحة قام بها المسلمون ، فلم يبقوا على احد من المسيحيين الاسبانيين القاطنين بينهم وفي جوارهم ، وكان ذلك ليلة عيد الميلاد

فجردت السلطة اول حملة عليهم بقيادة المركيز دي لوس فيلبس فدحروها ، وتلتها حملة ثانية بقيادة المركيز دي موندبخار فلم تقوَ عليهم ، ولما رأى الملك فيليب الثاني استفحال الامر استدعى الجيش الاسباني المقيم في نابولي وسلم قيادتهُ الى اخيهِ الدون خوان دي اوستريا ، فزحف هذا عليهم بجيش جرار كان الفشل نصيبهِ ايضاً ، وكان من قواد هذه الحملة الضابط فيلا سباسا (جد الشاعر لابيهِ) ولكن الاقدار شاءت ان تشدَّ ازر الاسبانيين فاوقعت الفتنة بين صفوف العرب ، واضعفت شوكتهم

فقد كان للدُن فرتندو العربي القائم بشؤون المسلمين ابن عم يدعى « ابن اميه » ما زال طامحاً الى ان يكون هو القابض على صولجان العرب والمجدد للخلافة المروانية حتى حدثت بينهُ وبين الدُن فرتندو منافرة سببها المرأة ، فاغرى احدى جواري ابن عمهِ على قتله وهو نائم وذلك بوضعها كمامة على فمهِ وعنقهِ وتسهيلها دخول ابن عمهِ ورفيق له يدعى ابن « الوزير » ففتكا بهِ في قصره في « الاوجار » بعد ان ملك نحو ثلاث سنوات . فانتهى الملك بعد موت الدُن فرتندو الى « ابن اميه »

فاستأنف القتال ولكن الاسبانيين اغروا بعض رجاله بالمال فغدروا بهِ في مغارة برشولس وقتلوه طعناً بالخناجر . فتفرقت كلمة الثوار وتضعضعت قوتهم فتمكن الاسبانيون منهم بعد حرب سجال دامت اربع سنوات

وقد اعتقلوا والد الدُن فرتندو في مدريد عند انتقاض ابنهِ ، ولكن الملك عفا عنهُ وعن اولاده بعد موت الدُن فرتندو وذلك بوساطة الدوق دي سيسا حفيد القائد الاكبر فندشلف جونزلف دي قرطبة وصديق الاسرة القديم فرجع لقب الاسرة الى الاخ الثاني الدُن مارتين ولكن هذا باع لاخيهِ الثالث الدون لويس كل عقاراتهِ فصار لقبهُ الدون لويس دي اينيسيا وغواروس ولا تزال من سلالتهِ الى الآن في اسبانيا اسرة المركيز دي اينيسيا وهي من الأسر الاسبانية العريقة ، أما لقب الدون مارتين الاخ الثاني فأصبح مارتين دي ڤالور فقط وهو اسم عائلة والدة الشاعر الاسباني الذي نحن بصدد الكلام عليهِ

أما والد الشاعر فهو متحدر من سلالة الضابط ڤيلا سباسا الذي قدم مع الحملة الاسبانية من ايطاليا وحارب الدون فرتندو كما سبقت الاشارة

ومن غرائب الصدف أن يقترن بعد اربعة قرون سليلا عدوين لدودين فينتج من ذلك ظهور شاعر كبير تفاخر بهِ بلاده ويفاخر هو بنسبهِ العربي ويبكي على امجاد العرب الضائعة

اما ولادة الشاعر فكانت في الاوجار في نفس المنزل الذي قتل فيهِ الدون فرتندو جدهُ الاكبر العربي الاسلامي

***

وكانت والدتهُ لا تزال محافظة على الغطاء الذي قتل عليهِ الدون وهو من الدمقس أخضر اللون منسوج بالفضة ولكن الشاعر ارتداهُ مرة في اعياد المرافع وكان في الرابعة عشرة من عمره فرآه رجل بلجيكي لحظ قيمتهُ فعرض عليهِ بيعهُ منهُ فأبى ولكن الحاح الرجل دفع الشاعر الى اعطائهِ ذلك الاثر النفيس بلا مقابل ففقدتهُ العائلة ولم يبق منهُ سوى قطعة صغيرة لا تزال محفوظة الى الآن

وقد أوحت حادثة الدون فرتندو الى الشاعر مأساتهُ التمثيلية الخالدة « ابن امية » وهي تحفة من تحف الادب الاسباني وصف بها تلك الوقائع باسلوبهِ الشعري العالي وبكى بها العرب ما ترهم ما شاء له البكاء ، وقد مرَّ بك منها في هـذا المقال قطع من قصيدتهِ التي يندب بهـا غرناطـة ، وهي من شعره الكثير الذي تتداوله ألسن الرواة في كل بقعة ينطق اهلها بلغة الاسبان

« مجلة الشرق » البرازيل — فوزي معلوف





اعداء العلم

خلاصة الخطبة النفيسة التي القاها الاستاذ الدكتور هل **A. V. Hill**
لذكرى الاستاذ ستيفن بايجت من زعماء البحث العلمي الطبي بانكلترا

للتهجم والافتراء والتعصب والهدم حدٌّ يجب ان لا تتعداه . انا لست موكلاً من قبل الاطباء للدفاع عنهم . لاني اعرف ان للاطباء كما لسائر الناس نقائصهم . وادري ان الامتيازات التي يتمتعون بها تحملهم احياناً على التمسُّك بآرائهم الى حدّ التعصب وتقديم مصالحهم على المقاصد العليا . واصارحهم بذلك فلا يزيدونني الاّ ولاء واحتراماً . وهذا فضل كبير لهم ولعلَّ سببه عدم اكتراثهم لاقوالي ! على ان شعور الامتنان لهم ليس الباعث على وقوفي بينكم خطيباً حاملاً لواءهم مدافعاً عنهم . بل هي الضرورة القصوى تحملني على ذلك

اذا حمل كاهن مسؤول عن اقواله وافعاله حملة شعواء على العمل الانساني المفيد الذي يقوم به مجلس البحث الطبي — واذا ادعى رجل من رجال الطب المحترمين ان استعمال الراديوم في معالجة السرطان خدعة كبيرة لانهُ تحقق ذلك بنفسه منذ اربعين سنة اي قبل الكشف عن الراديوم بتسع سنوات ! — واذا قام دعاة يضرعون الى الجمهور ويحاولون اقناعهُ بشتى الاساليب بالكف عن بذل المال للمستشفيات لان هذا المال انما يستعمل في تعذيب الارانب والقطط وخنازير الهند — واذا قامت طائفة من الناس ترمي بسوء المظنة البحث عن الحقيقة لاستخدامها في تخفيف الآلام وبرئها وهو اعظم المباحث البشرية على الاطلاق — اذا حدث كل ذلك فقد آن الاوان لردّ هذا الهجوم بهجوم مثله

ولو ان ستيفن بايجت الذي اجتمعنا باسمه الآن اطلع على موضوع هذه الخطبة لكان وافق عليه . ان روحهُ التي تميل الى الكفاح وقلبهُ الكبير الذي يتسع لاشرف العواطف وانبلها كانا يحملانه على مناجزة الذين يحاولون ان يقفوا سدًّا حائلاً دون تقدم العرفان لينعموا هم بما يشعرون به من تفوّق حكمتهم وصلاحهم على غيرهم من الناس . ولست اقصد اليوم الى تناول موقف المقاومين لتشريح الحيوانات الحيّة في معامل البحث الطبي وحدهم لان موقفهم الفكري هذا ليس الاّ ظاهرة عامة ، او هو مظهر من مظاهر الخلل العقلي ، رأيناها تبدو في كل عصور التاريخ في اشكال قبيحة متعددة — قسوةً واضطهاداً ، حقداً وبغضاً وافتراء وخيانة للجنس البشري وهو يحاول ان ينهض ويسدّد خطواته ببطء في توقله سلم العمران

النشوء البطيء

قلَّ من الناس من يدرك حقائق النشوءِ الانساني البطيء كلَّ البطء . واكثرهم يميل الى تصوُّر آدم هابطاً على الارض منذ بضعة آلاف من السنين كائناً كامل الرجولة كامل التعليم حائزاً للقب في علم الحيوان من جنة عدن آخذاً على عاتقهِ تسمية الكائنات الحية التي خلقها الله وتبويبها. وقلَّ من يدرك — وفي بعض الدوائر الفكرية يحسبون هذا الادراك الحاداً — ان الانسان ارتقى ارتقاءً بطيئاً استغرق خمسمائة الف من السنين جارياً على خطة التجربة والامتحان نابذاً ما كان يراه خطأ او ضاراً بعد تجربتهِ مستبقياً ما كان يرى فيهِ نفعاً محققاً. وكان من اثر فعل الحياة في الكائنات الحيَّة الذي انقضى عليهِ الوف الوف السنين ان نشأت حيوانات ونباتات مختلفة الاشكال متعددة الصور والصفات لتفي بمطالب الحياة التي لا تحول وهي النمو والتجديد والتناسل . اخيراً ظهر نوع جديد من الحيوان هو سلف الانسان المتغلغل في القدم وفي تركيبهِ كل الاصول التي تمكنهُ من النشوءِ والارتقاءِ والتحضر

وضع الاستاذ روبنصن المؤرخ المشهور رسالة عنوانها « الحضارة » لتنشر في الطبعة الجديدة من دائرة المعارف البريطانية الجديدة شبَّه فيها ارتقاء الانسان تشبيهاً جديداً يسترعي الانظار. قال اذا حصرنا نصف الالف الالف من السنين التي قضاها الانسان متوقلاً سلَّم الارتقاءِ في مدى حياة انسان واحد قل هي خمسون سنة ، وجدنا على هذا القياس ان الانسان قد قضى تسعاً واربعين سنة قبلما خرج من حياة التنقل والصيد والقنص وعاداتها وتقاليدها الى حياة الزراعة المستقرة وقطن القرى وما يسير في اثرها من اساليب المعيشة. وعلى هذا القياس يكون قد قضى ستة اشهر من السنة الخمسين قبل اكتشافهِ للكتابة. وشهرين آخرين قبلما قام اليونان الاقدمون وخلفوا آثارهم ومدوناتهم . وفي منتصف الشهرِ التاسع نشأت المسيحية . اما الطباعة فلم تستنبط على هذا القياس الا منذ خمسة عشر يوماً واما البخار فلم يكشف عن قوتهِ وسرها الا منذ اسبوع . واما السيارات فلم تصنع الا من يوم واحد واللاسلكي الا منذ بضع ساعات . فما هو مصير الانسان وهو سالك هذه الطريق طريق الارتقاء ؟ ما هي اساليب التقدم وهل هي ثابتة لا تتغير ؟ وهل لنا بدٌّ في تحويلها والتأثير فيها كما نشاء ؟ وهل تلقى علينا تبعة ما في ذلك ؟

المعرفة اساس العمران

بين ظهرانينا اناس يريدون التسامي على اقرانهم فيتظاهرون باحتقار درجة الحضارة التي بلغناها ومدى النظام الاجتماعي الذي انتهينا اليهِ. ويطلبون الينا ان نهمل العناية بالبحث العلمي والارتقاء الهندسي والصناعي لانها غير جديرة بمطالب الانسان الروحية . هؤلاء المتكبرون

المتظاهرون بالسمو والعظمة يسدون الى العمران يداً جليلة، لا تأتي عن طريق ما يدعونهُ من الآراء اويستنبطونهُ من الآلات ولكنها تأتي عن طريق النقد اللاذع الذي يوجهونهُ الى اساليب العمران لان كل عمل جليل لابدَّ ان يجني فائدة من تصديهِ لنقد الناقدين

انا لا اريد ان اقيم من « الارتقاء » آلهاً كاذباً ادعو الى عبادته . ولكني اعرف طائفة كبيرة من المفكرين العقلاء الذين لا يؤمنون بالسحر ولا بتحتم الارتقاء ومع ذلك يرون في مآتي الانسان العمرانية التي لم فز بها الاّ بعدَ جهاد طويل يتخللهُ البحث المملّ والعمل الشاق، آناً يفشل وآناً يفوز، آناً يساورهُ الحزن حتى يتطرق القنوط الى نفسه وآناً يلازمهُ الفرح فيدفعهُ الى الاقدام — انهم يرون في كل اولئك شيئاً خليقاً بالاجلال . شيئاً مقدساً كالحياة نفسها . فتقدم العرفان جدير بان يبذل لهُ ويحارَب في سبيلهِ . وهذا هو سبب اجتماعنا الليلة . لاريب في اننا لانزال على جانب كبير من الجهل وقصر النظر وبعضنا يفوق البعض الآخر في ذلك ! ولا ريب كذلك في اننا لانزال بعيدين عن المثل الاعلى في علمنا وسياستنا وتوفير اسباب الراحة والرفاه . ولكن لايختلف اثنان في ان تقدّم العرفان قد رفع مستوى المعيشة الانسانية ورقّى الخلق البشري ووسّع نطاق النظر الى الحياة في نصف المليون من السنين التي انقضت على الانسان وانهُ لابدَّ ان يفعل ذلك في المستقبل

فالعرفان هو ركن العمران

هو الفارق بين الانسان والحيوان . ان مقدرة الانسان على فهم نفسهِ ومحيطهِ صفة يمتاز بها على سائر الكائنات الحية . فاذا انكرنا عليهِ حقهُ في استعمال هذه الهبة كنا قد اجترحنا سيئة لا تغتفر . والواقع ان هذا الانكار لن يتمَّ في عصر كعصرنا . فالحكومات تشيد بفضل التعليم والجميات والصحف تدعو اليهِ — ولكن الخطر كل الخطر حين نكشف عن حقائق تناقض مصالحنا او تقاليدنا القومية او ما في نفوسنا من ميل للمحافظة على القديم . حينئذٍ تثور الحفائظ وتحمل اصحابها على الوقوف سدًّا منيعاً في سبيل الارتقاء . فالكفاح الذي يجب ان يُرفَع علمهُ دائماً انما هو كفاح مع هذه الميول الى الجمود والتقهقر . اننا لا نستطيع ان نثبت في مكاننا اذا جمدنا فيهِ . لان الحضارة لا تستقرُّ على حال فاما ان تتقدم او ان تتأخر . فاذا تقدمت في بعض نواحيها وتأخرت في البعض الآخر افضى ذلك الى الخلل والاضطراب . ان ستيفن بايجت قد انشأ هذه الجمعية « لترقية صحة الامة وقوتها ولافهام الناس قيمة المباحث الطبية والجراحية ولافساد الاقوال الكاذبة التي تذاع ضدَّ هذه المباحث » ولتحقيق غرضه علينا ان نكافح مظهراً خاصًّا من مظاهر الرجعية اريد به «مقاومة استعمال الحيوانات للتجارب الطبية والفسيولوجية» . ولما كانت هذه المقاومة مظهراً خاصًّا من الرغبة

الشديدة التي بدت في عصور التاريخ المختلفة لمقاومة ارتقاء المعرفة وجب على جمعية كجمعيتنا ان تنظر الى المسألة من ناحيتها الواسعة وان تؤيد حق الباحثين في حرية البحث انى كانت مظاهره. ثم ذكر انهُ في بحثهِ عثر على مجلة انشئت سنة ١٨٣٥ لمقاومة السكك الحديدية وهي في اقوالها وادلتها كثيرة الشبه بالجمعيات القائمة في لندن لمقاومة البحث العلمي الطبي . فباب الرجاء اذاً مفتوح على مصراعيهِ . ترى ماذا يقول صاحب تلك المجلة لو كان عائشاً الآن يرى اثر السكك الحديدية في العمران ؟ ترى ماذا يقولهُ مديرو الجمعيات المنشأة لمقاومة البحث الطبي بعد خمس وتسعين سنة متى شاهدوا آثار هذا البحث في صحة الامم وعمرانها !

ما اغرب عقل الانسان ! انك لا تسمع بدعوة مهما سخفت الاَّ وتجد لها اتباعاً . ما اكثر المذاهب القائمة على الخرافات والخدع التي ترفع رؤوسها بيننا ! قلال هم الذين لا يؤمنون بنوع من انواع السحر . بل انك لا تجد نبيًّا كاذباً ولا خدَّاعاً سافلاً يخدع الناس بمستحضراتهِ الساحرة او بآلاتهِ التي تعيد الشباب الاَّ ولهُ قوم ملتفون حولهُ ويؤمنون بهِ

كيف نستطيع ان نميز بين هذه المذاهب الفاسدة وارتقاء العلم الصحيح . اكثر الناس المتعلمين العقلاء يستطيعون ان يميزوا بينها ولكن ليس كل الناس عاقلين او متعلمين . ان المعرفة الحقيقية هي المعرفة التي تؤيد عناصرها بعضها بعضاً وتتفق مع الطبيعة البشرية. لذلك كونوا واثقين ان لا بدَّ للانبياء الكاذبين من ان يقوموا ليأخذ بعضهم بخناق بعض فلا نلبث ان نرى الجوَّ قد تطهَّر من آثارهم . يجب ان لا نحفل كثيراً بهم بل ان وجودهم مدعاة للسرور وشحذ الهمم. ان قيام جمعيات بيننا لتقنعنا بان الارض مسطحة او اننا نستطيع تصوير الارواح او ان الاسود ابيض والابيض اسود نعمة من نعم الحياة وانا لا انقم عليها بل اميل الى العطف عليها ومعاملتها بالحسنى وافساح مجال القول امامها

ولكن الحال تتبدل بغير الحال اذا انطلق مجنون يقف في سبيل الناس ويهدد حياتهم بالخطر. ان حرية الانسان الفردية من اعظم النعم التي فاز بها في تاريخ ارتقائهِ الطويل . فاذا حاول احد سلب هذه النعمة تحتم على المجموع ان يقيّد حريتهُ. كذلك حالنا مع هذه الجمعيات . ان حرية التفكير والبحث هي اساس الارتقاء الانساني فاذا قامت هذه الجمعيات تسدُّ سبيل البحث الحر والتفكير الحرّ وجب ان تكبّل اعمالها بالاغلال

انا لا اريد ان اغالب الذين يشبهون تلك السيدة التي كتبت اليَّ مرة تقول « ان الربَّ عزَّ وجلَّ لم يقصد ان يفوز حيوان على حساب حيوان آخر » مع اني ارى في الحيتان التي تلتهم ملايين الاسماك الصغيرة والنمورة التي ترفض اكل الخضراوات لتنعم بافتراس الحيوانات مما يفسد قولها . فاذا شاءت أن تعتقد صحة ما تقول فلتعتقده . ولكن اذا

حاولت هذه السيدة او غيرها من الناس الذين يعتقدون معتقدات غريبة ان يكبلوا حريتي وحرية صديقي في البحث والاستقصاء ، اذا كانت هذه السيدة باذاعتها الاكاذيب تحضّ الحكومة والناس على منع الاطباء والعلماء من استعمال الضفادع وخنازير الهند في معامل البحث العلمي ، تقف سدًّا امام تيار المعرفة فحينئذٍ يغلي الدم في عروقي ولا اعود ارى مجالاً للتسامح

ثم اشار الى بعض مظاهر التعصب التي تتستر بستار ديني مؤيداً اقواله بحوادث معيّنة من التاريخ ثم قال : لا تتصوروا اني احمل على الدين . فبين العلماء والاطباء ، بين الفلاسفة والمفكرين نرى طائفة كبيرة تنظر الى العالم نظراً دينيًّا صحيحاً . واذا حسبنا الدين من شؤون الروح وليس الاعتراف بسلطة كنائسية معينة فالعلماء والفلاسفة من اكثر الناس تديّناً . انهم على كل حال يعترفون بقوة طبيعية تسمو على مقدرتهم وادراكهم . انهم لا يتظاهرون بدينهم ولا يضرعون الى الله ليؤيدهم في افعالهم ويخفي مساوئهم . انهم اقل ايماناً من غيرهم بصحة ايمانهم لانهم يدركون تعقيد المسائل الروحية وصعوبتها . فليس ثمّت نزاع ما بين العلم الصحيح والدين الصحيح . ان النزاع قائم بين قوى العلم والعقل من جهة وقوى المذهب الديني الذي يتخذهُ بعضهم ستاراً ليخفوا تحتهُ تعصبهم الذميم من جهة أخرى

اخوة العلم

في كل بلد من بلدان الارض نجد علماء مكبين على البحث عن الحقيقة . ان المشاكل التي يواجهونها متشابهة والاساليب التي يجرون عليها متماثلة فغرضهم والحكم الذين يحتكمون اليه لا يمكن ان يكونا مختلفين . فنحن اخوّة عظيمة لا تفرقها الحدود الجغرافية والسياسية . ولكن هذا لم يكن كذلك بعيد الحرب الكبرى . فاني لا ازال اذكر زميلاً ذا مقام رفيع قال لي ذات يوم وفي كلامه اثر الانفعال انهُ يؤثر تأخير العلم على الاشتراك مع استاذ الماني في البحث والتعليم

ايها السادة اذا كان في العالم شيء واحد يجب ان يكون دوليًّا فهو « العرفان » والبحث عن الحقيقة . ان موقف الزميل المذكور يجعل الدم يغلي في عروقي كما يغلي حين اطلع على الاكاذيب التي تذيعها جمعيات المقاومة لتشريح الحيوانات . ان هذا النوع من التعصب حافل بالخطر لانهُ يعيق التقدم ويثير النعرات الجنسية التي نحاول القضاء عليها لانهُ ينفي مبدأ الاشتراك العام في ترقية العمران الذي لا مندوحة عنهُ

وهناك نوع آخر من التعصب اريد ان الفت الانظار اليه وهو تعصب العلماء لمذاهبهم العلمية وفرض صحتها وخطاء سواها . ففي كثير من الاحيان تبنى نظرية من النظريات على طائفة من الحقائق تكفي لتعليل جانب من الحقيقة فقط . فنظرية الانتخاب الطبيعي مثلاً وضعت

لتعليل بعض الحقائق المعروفة حينئذٍ فاصبحت عند نفرٍ من المفكرين كأنها من نواميس الادهار التي لا تحول. ففي ميدان العلم كما في ميدان الدين مذاهب هي اقرب الى التحكم منها الى التعقل . وهذا الموقف التحكمي سواء في العلم او الدين محفوف بالخطر . فاذا اخطأنا وحسبنا النظريات حقائق . واذا تعصبنا ضدَّ الذين لا يعتقدون نظرية نعتقدها نحن مع انهم يقرون بصحة الحقائق التي بنيت عليها النظريتان نحول دون التقدم كما يحول المتعصبون امثال اعضاء الجمعيات المقاومة لتشريح الحيوانات

ولي كلمة اخيرة. يستطيع الانسان ان يكون شديد التمسك بآرائهِ وان يكون متسامحاً في آنٍ واحد . لا بدَّ من النظريات في العلم اذا رمنا الارتقاء لان النظريات في البحث العلمي كمفاتيح الجناية في البحث الجنائي تفتح امام العالم والباحث سبلاً جديدة للكشف والاستقصاء . ولان جمع الحقائق من غير ترتيب ونظام قد يبلغ يوماً ما حدًّا يرتد عنهُ طرف العقل البشري وهو كليل . ولكن يجب ان نفكر دائماً ان ما نذهب اليهِ اليوم ونحسبهُ صحيحاً ونشتد في التمسك بصحتهِ قد يصبح خطأً في الغد متى كشف عن حقائق جديدة . فما زلنا لا نجور على الغير وما يذهب اليهِ من المذاهب . وما زلنا لا نقف حائلاً دون حرية الغير في متابعة بحثهِ وعلمهِ فالناس يغتفرون لنا مذاهبنا مهما تكن في رأيهم فاسدة او بعيدة عن محجة الصواب . هذا هو التسامح العلمي

اطلعت منذ ايام على كتاب جديد في « علم الفلك الطبيعي » فوجدت صاحبهُ قد الصق على صفحتهِ الاولى صورة سيدة تحادث صيَّاداً . وهي تقول. « ما رأيك في الخطبة اللاسلكية التي اذيعت امس في موضوع بناءِ جوهر الفرد. اني لم اسمع كلاماً فارغاً كهذا في حياتي !

اني لا اعترض على موقف هذه السيدة . لتنعم بجهلها . لاني اعلم ان موقفها من مباحث الفلك الحديثة لا يحملها ولا يحمل الصياد الذي تكلمهُ على محاولة اغتيال جينز او ادنتون او رذرفورد او ملكن او غيرهم من علماء الطبيعيات . ولكن اذا قامت سيدة تذيع اكاذيب عن البحث العلمي الطبي بغية ان يكفَّ الناس عن امداد رجاله بالمال او اذا حاولت ان تقنع الكبار والوزراء بوجوب سن تشريع يمنع العلماء عن القيام باعمالهم — اذا فعلت ذلك ارى في عملها خطراً داهماً يعيق الانسان عن التقدم والارتقاء وادعو الى ايقافها عند حدّها والى تكبيل حريتها كما تكبل حرية مجنون لانها عدوة للعلم عدوة للعمران



صفحة مجيدة من حال

الادب والعلم في الجزائر

الدكتور محمد ابو شنب

استاذ الآداب العربية في الجامعة الفرنسية بالجزائر وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق

أأقول الدكتور ابوشنب، ام اقول الشيخ ابو شنب؟ والله ما ادري ما اقول. أما هو المرحوم فقدكان «شيخاً» وكان «دكتوراً». فاز في سنة ١٩٢٤ بشهادة الدكتوراه برسالتين اثنتين وضعهما باللغة الفرنسية، اما احداهما فاسمها «ابو دلامة» واما الاخرى فاسمها: «الالقاب الفارسية والتركية الباقية في لغة العامة بالجزائر». ولكن الناس في الجزائر خاصتهم وعامتهم لا يعنون بلقب «دكتور»، وانما يعنون بلقب «الشيخ» والفرنسيون انفسهم يعنون بالشيخ لا بالدكتور، وحتى زملاؤه اساتذة الجامعة اذا دعوه بأحب الاسماء اليه قالوا: «الشيخ ابو شنب» وهو نفسه كانت كلمة «الشيخ» احب اليه، واعذب في سمعه من كلمة «الدكتور»

ولعل سبب ذلك ان كلمة «دكتور» في لغة العامة بالجزائر لاتعظيم فيها ولا احترام. فأهل الجزائر اذا ذكروا عالماً اواديباً ولوكان افرنسيًا وارادوا ان يذكروه بما يدل على الاجلال والاحترام قالوا «الشيخ فلان»، وهم يقولون «الشيخ فيكتورهيكو» و«الشيخ لامرتين» و«الشيخ باسطور» و«الشيخ جان جاك روسو» وغير ذلك. وتبعهم في ذلك الامر الفرنسيون الذين يتكلمون اللغة العربية في الجزائر. فكم مرة سمعت رجلاً فرنسيًا من رجال العلم او الادب يقول: «الشيخ فلان» وهو يعني زميلاً له من العلماء او الادباء الفرنسيين

وكان صحفي جزائري زار مصر، فقالت جريدة «الشورى» الغراء انه دخل ادارة جريدة «السياسة» وقال: «اين الشيخ هيكل»؟. وهو يعني الدكتور هيكل. وقرأها الناس في الجزائر فلم يفهموا منها ما تريد، لانهم يحسبون الرجل قد استعمل كلمة «الشيخ» في موضعها، ما تجاوزه بها ولا عداه. وكانت جريدة عربية مشهورة في تونس اثنت على شيخ من شيوخ جامع الزيتونة فوصفته بانه دكتور من دكاترة الزيتونة! ظناً منها ان كلمة «دكتور» وكلمة «شيخ» معناهما واحد. على ان كلمة «دكتور» بدأت تسترجع مكانتها اليوم في اذهان الناس بالجزائر ولاسيا في ناحية الطب. فقد عادوا يقولون عن الطبيب

« الدكتور فلان » اذا هم ارادوا ان يجلوه ويحترموه ، بعد ما كانوا يقولون عنهُ « الشيخ فلان » متى ارادوا تعظيمه واحترامه وعاد الادباء في الجزائر وتونس يستعملون كلمة « دكتور » في موضعها ، لا يخلطون بينها وبين كلمة « شيخ »

هذه واحدة . واخرى فان هذا الاستاذ المرحوم كان « شيخاً » قبل ان يكون « دكتوراً » فقد اشتغل استاذاً بالجامعة دهراً طويلاً قبل ان ينال شهادة الدكتوراه ، وكان في ذلك الامد قد نال احترام الناس ، فاعطوه لقب « شيخ » . وفي الحق ان لقب « شيخ » اولى بهذا المرحوم من لقب « دكتور » فقد كان — رحمهُ الله — متسماً بسمات « الشيوخ » اكثر مما هو متسم بسمات « الدكاترة » ، فهو مسلم جزائري ، وجزائري مسلم في كل شيء : في عقلهِ وادبهِ ، وفي اخلاقهِ وعاداتهِ . في لباسهِ وهندامهِ . تراهُ فترى على رأسهِ عمامة جزائرية (طوربانطي) وتراهُ فترى على كتفيهِ « برنوساً » جزائريًّا ، وعلى صدرهِ غلائل جزائرية ، ومعطفهُ معطف جزائري وسراويلهُ سراويل جزائرية عريضة ، وحذاؤهُ حذاء جزائري . وبالجملة فهو بقية سلف صالح مضى في عاصمة الجزائر ، ولم يبق منهُ اليوم الا أناس معدودون من خيارهم هذا الشيخ المرحوم

﴿تواضعهُ﴾ — عرفتُ فيمن عرفتُ من الناس رجلين في الجزائر هما من اشد الناس تواضعاً وزهداً فيما يرغب فيهِ الناس ويتهالكون عليهِ من الشهرة والجاه وهما من اولى الناس بهما فقد تهيأ لهما من اسباب ذلك ما لم يتهيأ لكثير سواهما من المشهورين في الجزائر . اما احدهما فهو الدكتور محمد بن العربي (الطبيب) او الشيخ ابن العربي محمد كما يصفهُ الناس في الجزائر لانهُ موضع ثقتهم واحترامهم . وقد بلغ من احترام العلماء لمواهب الشيخ وفضله ان كان شاعر فرنسا وعالمها « فيكتور هيكو » وهو في ايام شيخوختهِ يماشي الشاب بن العربي ويجالسهُ وهو لا يزال يومئذٍ طالباً في كلية الطب بباريس . وكان اذا رجع الى الجزائر يكاتبهُ بغير انقطاع . واجتمعنا بالدكتور بن العربي هذا مراراً ، ومازلنا نرجو ان نجتمع به . فكان يحدثنا عن ايام شبابهِ ، وعن ايام طلبهِ للعلم ، وعن اتصالهِ بفيكتور هيكو ، فيحدثنا ذلك كله حديثاً ساذجاً بسيطاً ، ولكنهُ حديث شيق جذاب ، يشوقك ويستهويك . يشوقك ويستهويك ، لانهُ كلهُ صدق ، وكلهُ صراحة واخلاص . ويشوّقك ويستهويك لانهُ حديث كلهُ تواضع لا انانية فيهِ . وكان اذا حدثنا عن فيكور هيكو قال : « كان الشيخ فكتور هيكو . . . . » و « قال الشيخ هيكو . . . » ، فنعجب منهُ نحن بهذا الحديث المحنك البسيط ونستحليه ،

واما الآخر فهو الدكتور او الشيخ ابو شنب ، وهو الذي اريد ان اتحدث عنه في هذا المقال . والدكتور بن العربي كما حبه الدكتور بن ابي شنب جزائري مسلم في كل شيء ، ويزيد عليهِ

انهُ اكثر تقشفاً ، فهو لايلبس الجوارب (التقاشير) في اغلب الاحيان . ثم هما متفقان فيما سوى ذلك ، فكلاهما محافظ على القديم ، وكلاهما مؤمن قويّ الايمان وكلاهما لا يقبل في دينهِ مناقشة ولا جدالاً . وكلاهما متواضع الى حد الخمول

اشتغل الدكتور بن العربي بالمسألة السياسية الجزائرية زمناً طويلاً ، ومع انهُ قد ابلى فيها بلاءً حسناً ، فقد كان في عمله وجهاده ، متواضعاً لا يخاصم احداً ، ولا يبتغي رآسة ولا وساماً ، ولو خاصم في السياسة وشاتم لأصبح في الجزائر من اقطابها المشهورين

وانقطع الدكتور ابو شنب للعلم ، نخدمهُ خدمات جُلّى ، وعمل لهُ عملاً صالحاً ، وكان في عمله متواضعاً نزيهاً كما يجب ان تكون كرامة العلم

لقيت الشيخ المرحوم في شارع من شوارع الجزائر (العاصمة) ذات يوم ، فمضينا معاً في حاجة وانا لنمشي اذ نادانا من بعيد رجل عرفتهُ انهُ يرغب الى الادباء ان ينظموا له منظومات يرفعها الى الاغنياء والاعيان . وأنا استثقل هذا الرجل، ولا اطيق ان اراه ، وابيتُ ان ألبي نداءهُ ، ولكن الشيخ المرحوم قد استجاب ، واقنعني بسداد ما رأى ، فصحبتهُ وسكتُّ . وناولهُ الرجل كرّاساً قد كُتِبتْ فيهِ منظومات وقصائد ، وطلب اليهِ ان يصلحها ، ويقيم اوزانها . وسمعتُ الرجل يترنم بشيء من ذلك ، فوالله لكأني اسمع انكر صوت خلق الله ، ووالله لزفير جهنم اعذب في اذني واشهى الى قلبي من ترنم هذا الرجل وغنائهِ في مثل هذه المنظومات . ولسؤال القبر، ولرؤية منكر ونكير اهون عليَّ من البقاء في في مجلسي هذا. ولكن الشيخ اكبَّ على تلك المنظومات يصلحها ، ويقيم اوزانها . ولبث في ذلك ساعة كاملة ، ما سئم في اثنائها ولا تحرج بل كان فيها يعلّم الرجل ويجهد نفسه في تفهيمه وكان فيها يخالق الرجل بخلق حسن، ويتواضع لهُ ، ولا يتظاهر عليهِ بعلم ولا بفهم، بل جلسها اليهِ ساعة كما يجلسها الى فريق لهُ في المنزلة والعلم. ولولا اني كنتُ ساعتئذ اشغل نفسي بالشيخ اعجب بتواضعهِ وخلقهِ الكريم لكانت ساعةَ اطولَ عليَّ من الدهر . واشدَّ من يوم الحساب

وهكذا كان — رحمهُ الله — يستوقفهُ الصغير او الوضيع فيقف لهُ ، ولا ينصرف حتى ينصرف السائل . واذا انت حادثتهُ في مسألة من مسائل العلم ، حدَّثك فيها بما يعلم حديثاً متواضعاً لا « يتعالم » فيهِ ولا يتعالى . وهو متواضع حتى في لباسهِ ، فاذا رأيتهُ نبا عنهُ طرفك ، ولم تجد في ملابسهِ شيئاً مما يتباهى بلبسهِ « الفقهاء » في الجزائر

﴿ علمهُ وادبهُ ﴾ — وهو وان كان استاذاً للآداب العربية في الجامعة الفرنسية بالجزائر، ونال شهادة الدكتوراه في الآداب فانهُ في الواقع عالم اكثر مما هو اديب وابحاثهُ وان كانت في موضوعات ادبية فهي ابحاث علمية على طريقة علماء المشرقيات ، لا تكاد ترى عليها مسحة

ادبية فهي كلها ابحاث في اللغة العربية ،وفي الادب العربي وتاريخه وتاريخ رجاله ولكنك اذا انت قرأت بحثاً من هذه الابحاث فانهُ لا يشوقك ولا يغريك بادمان المطالعة ولا بالمضيّ فيها ، ذلك بان اسلوبها اسلوب علمي بحت لا لذاذة فيهِ . ولعل هذا هو السبب الذي جعل الشيخ المرحوم غير مشهور بين الادباء — واغلبهم من الناشئة — كما هو مشهور بين العلماء

قرأتُ لهُ ذات مرة فصلاً في تاريخ عاصمة الجزائر فقال انها كانت تسمى « مزغانـة » او « مزغنّـان » ثم « جزائر مزغنان » ثم « الجزائر » . . . واستمرَّ يبحث هذا الموضوع ويستقصيه ، حتى قتلهُ بحثاً وتدقيقاً ، وحتى جاء فيهِ بما لم يسبقهُ اليهِ احد من المؤرخين . واعجبت انا بهذا الفصل ، وقابلت الشيخ المرحوم ، واظهرت لهُ اعجابي هذا ، ثم قلت لهُ « . . . ولا اكتمك يا سيدي انك كتبتهُ باسلوب غير طليّ ولا لذيذ . » فقال في شيء من التواضع والبساطة كثير: «خُذ العلم ، وماذا يعنيك اكان باسلوب طليّ . ام كان باسلوب غير طلي ولا لذيذ . وحسبك انك فهمت عني ما اريد ان اقول . وهل اللغة واساليبها الا اداة للفهم والتفهيم ؟ غيرَ انكم معشر الشبان تغركم زخارف الالفاظ وترويقاتها . حتى ان كثيراً من ادباء العربية قد وقفوا عند اللفظ وزخرفته وتحسينه لا يكادون يعدونهُ الى المعنى واللباب . » فقلت: « ولكني لو لم يكن يهمني هذا الموضوع بوجهٍ خاص ، لما كنت قرأت فصلك هذا ليَبْسِـهِ وجفافهِ . واللغة واساليبها اداة للتفهيم لا تعدو ذلك كما تقول ياسيدي، ولكن الناس يختلفون ولا يستوون في استعمال هذه الاداة فمنهم من يريد ان يعربَ بهـا فيعجم، ويبينَ فيبهم، لا يعرف كيف يستعمل هذه الاداة فلا تفهم انت منهُ ما يريد ان يقول . ومنهم من يستعمل هذه الاداة للتفهيم استعمالا بارعاً ، وتسمعهُ انت فاذا كل عضو منك يسمع له ويصغي اليهِ ، واذا كل شيء فيك يفهم منهُ ويعقل . واذا هو يملك عليك قلبك ، ويملك سمعك وبصرك طوعاً او كرهاً . وهل خلدت هـذه الكتب الادبية الخالدة الاَّ بجمال اسلوبها ، وسحر بيانها ؟ وهل هؤلاء العبقريون في الادب الاَّ بشرٌ قد امتازوا عن الناس بما رزقهم الله من الفصاحة والبيان ؟ وكثير من الناس من تكون له افكار سديدة، ونظرات صائبة في هذه الحياة ، ولـكنها تموت بمماته ، ولا تخلد ، لانها لم تكن في اسلوب جميل فصيح تستحق به البقاء والخلود . ومن ذا الذي ينكر ان القرآن الكريم فصيحٌ مبينٌ وممعنٌ في الفصاحة وسحر البيان الى حد الاعجاز ؟ . » فقال الشيخ : « صدقت، ولـكنك ما تزال شابًا تفتنك مظاهر الاشياء وزينها، وتشغلك عن ان تنفذ الى لبابها وصميمها، وستعدل الايام رأيك هذا بعض التعديل ، وستصبح تنظر الى المعاني اكثر مما تنظر الى الالفاظ . . . » فقلتُ : « انى اريد لك ياسيدي ان تخلد بعدك آثارك في الادب ، وليس الى ذلك من

سبيل الا ان تكتبها باسلوب ادبي لذيذ ، لا يبس فيه ولا جفاف» . فقال في شيء من الدعة كثير : « . . أبعد شيبي يبغي مني الادباء ؟ » فاستحييت والله ان ألحّ عليه في البحث

ولعلّ السبب في ضعف اسلوب الشيخ ان معارفهُ فرنسية اكثر منها عربية . فهو استاذ الآداب العربية في جامعة الجزائر ، ولكنهُ يلقي دروسهُ ومحاضراتهِ كلها باللغة الفرنسية . ويقول الذين قرؤوه في الفرنسية ان اسلوبهُ فيها اسلوب حسن متين . وهو مع ذلك عالم باللغة العربية غزير العلم ومطلع عليها واسع الاطلاع . وحافظ ثقة من حفظها لا يكاد يغادر منها صغيرة ولا كبيرة الا احصاها

كتب اليّ الاستاذ الشيخ عمر راسم الجزائري كتاباً وصف فيه الشيخ المرحوم وهو من اعرف الناس بهِ ، فقال : « . . لقد كان ، رحمه الله ، معجماً لغوياً يمشي على وجه الارض . . » وهو وصف صادق لا مبالغة فيه ولا اغراق ، فقد كان يحفظ اللغة المدوّنة في المعاجم . ويحفظ شيئاً كثيراً من اللغة التي لم تدوّن بعد . وكان معنيًّا بجمع هذه الكلمات الكثيرة والتراكيب التي تجري على ألسنة الادباء في القديم والحديث ، ولم تدوّن في المعاجم ، يبحث عنها بحثاً مستوعباً ، ويردها الى اصول عربية ردًّا صحيحاً . وكان ينوي ان يجعلها في كتاب يعرضهُ على المجمع العلمي العربي بدمشق ، ثم ينشره في الناس كتكملة لمعاجمنا اللغوية

وابحاثه في اللغة والادب كلها ابحاثٌ مبتكرة طريفة ، آخرها محاضرته التي القاها في مؤتمر المستشرقين الاخير باكسفورد (بلاد الانكليز) عن ابن خاتمه احد شعراء الاندلس في القرن الثامن الهجري ونشر خلاصتها في مجلة «الشهاب» التي تصدر في قصنطينة (الجزائر) وهي محاضرة قيمة أحيى بها شاعراً عربيًّا ، وزاد بها في تاريخ آداب العرب صفحة ماجدة ذهبية وكان طبع كتباً كثيرة قديمة بعد ما صححها وعلق عليها

وكان مولعاً بجمع الكتب القديمة ، ونفائس الآثار فقد خلّف في خزانته مجموعة نفيسة غالية من الكتب اليدوية المخطوطة

يقول كثير من الناس ان الحكومة الجزائرية هي التي اخذت بيد الشيخ المرحوم واعانته على اظهار مواهبه ونبوغه ، ولو انها اخذت كذلك بايدي غيره من العلماء والادباء في الجزائر لكان فيهم من يدانيه ومن يفوقه . وهذا قول صحيح لا شك فيه ، فان كثيراً من ادباء الجزائر وعلمائها ماتوا كما يقول الزهاوي شاعر العراق :

« ولقد يموت نبوغه من لا تساعده الظروف »

ولولا الحكومة لخفيّ الشيخ المرحوم تواضعاً وخمولاً . ولكنهُ خدم العلم اكثر مما خدم نفسه ، وخدم الجامعة الفرنسية بالجزائر خدمات جلّى ، وهو الذي جعل للكتب

العربية في مكتبة الجامعة قيمةً واعتباراً . وكانت الجامعة والحكومة تنتدبانه الى كثير من مهمات العلم ، فقد مثلها في مؤتمرات علمية عالية كثيرة عقدها المستشرقون وغير المستشرقين وكان لا يقع امتحان من الامتحانات العالية في شمال افريقيا الا وتجد الشيخ المرحوم يرأس لجنة من لجانه تتألف من كبار العلماء والادباء الفرنسيس . وقد اشتهر بين هؤلاء العلماء بالثقة العلمية لايماري ولا يداري ولا يحجب ولا يحابي .

زرتهُ في الجامعة ذات يوم من ايام الامتحان . فرأيت في فناء الجامعة فتاة رائعة على اشد ما تكون فتنة وجمالاً قد رسبت في الامتحان على يده . وهي تبكي بكاء شديداً . وقصّت عليهِ قصتها فقال : « وددتُ لو انها نجحتْ ، ولكن اسقطتها امانة العلم . وما هي قيمة العالم اذا لم يكن ثقة ولا اميناً ؟ . . » . وكان ملمّاً باللغتين الالمانية والانكليزية الماماً حسناً مفيداً

« تمسكهُ بدينهِ » — وكانت اول معرفتي بالشيخ ان كنتُ بتونس في سنة ١٩٢٢ وانا يومئذ لاازال اطلب العلم في الكلية الزيتونية، وجاءها في تلك السنة لجنة من العلماء الفرنسيس لامتحان طلبة البكالوريا في تونس . وكانت هذه اللجنة تحت اشراف المرحوم الدكتور ابي شنب ، فاستغرب الناس في تونس ان يكون عالم جزائري غير متجنس بالجنسية الفرنسية رئيساً مشرفاً على لجنة علمية فرنسية ، يرأس جلساتها بملابسهِ الجزائرية ، وبزيهِ الجزائري . وتمالم الناس هذا الخبر، وسمعتهُ انا ، وفرحت بهِ وداخلني يومئذ شيء من النخوة والكبرياء . وجمعتُ نفراً من اخواني الطلبة الجزائريين، وذهبنا نزوره وكان اليوم يوم احد لايعمل فيه . فلقينا لقاء حسناً ، وقبلنا قبولاً كريماً . وبينما نحن جلوس عنده اذ حضرت صلاة العصر ، فقام فصلى النافلة اربع ركعات ثم اقام الصلاة (المكتوبة) ولما فرغنا من الصلاة سألتهُ « كيف تصنع اذا ادركتك الصلاة ، وانت في جلسة رسمية ؟ » فقال : « أقف الجلسة للاستراحة ، فيستريح زملاؤه بخطوات يمشونها ، ودخائن (١) يشعلونها ، واستريح باداء المكتوبة . واجد من الراحة في صلاتي مالا يجدون هم في مشيهم وتدخينهم . . . » واراد ان يمضي في حديثه هذا فقاطعته انا وقلت « ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبَ المسلمين خطبٌ يلجأ الى الصلاة ، ويقول : « ارحنا بها (الصلاة) يابلال » ففرح الشيخ المرحوم بهذه المقاطعة ، وقال : « لقد اردتُ ان اقولها فسبقتني بها » ثم ودّعناهُ وانصرفنا ونحن نتمنى لشباننا المتفرنجين ان يتعظوا بهذا الشيخ الجليل . فلقد كان لهم فيه أسوة حسنة ان كانوا يريدون الخير لانفسهم ولبلادهم

ولهُ رأيٌ في هذه الالقاب الدخيلة قد لايخلو من الغرابة والشذوذ فهو يرى ان نجتنب

(١) الدخينة : السجارة . وضع الاديب الامام السيد مصطفى صادق الرافعي

الدخيل وان نجتهد في اجتنابه ولو الى الاستعاضة عنهُ بغريب اللغة المهمل الذي بطل استعماله. واذا اضطررنا الى الدخيل يجب ان تنطق به كما ينطق به في لغته الاصلية ، وندعهُ على حاله لا نمسهُ بأدنى تغيير، حتى تبقى دائماً عليه سمة الدخيل، لا يشتبه علينا بالاصيل ، ولا يختلط علينا الحابل بالنابل. وكنتُ ناقشتهُ في هذا الرأي الذي تأباهُ ، طبيعة اللغة ، فكل لغة لا بد لنموها وحياتها من الدخيل ولا بد لهذا الدخيل ان يفقد صيغته الاصلية الاولى، ولا بد له ان يخضع لمنطق اللغة التي يدخلها، يصاغ في صيغها، وتجري عليه قواعدها . وهذه اللغة الفرنسية مثلاً ، دخلها كثير من الكلمات العربية ولكن أية كلمة عربية دخلت الفرنسية وبقيت عربية في صيغها على منطقها العربي ؟ وكلمة « محمد » مثلاً ينطق بها الفرنسيس على صيغ كثيرة كلها نموّ فرنسية لا تجد بينها صيغة عربية . وهذا سبيل من سبل نموّ اللغات وحياتها ، ما للغة منهُ بدّ

﴿ آخر عهدي به ﴾ — منذ عشرة اشهر ركبتُ القطار السريع من تلمسان الى وهران ، فاذا الشيخ المرحوم يركب هذا القطار نفسه، فقطعنا الطريق في محادثة وحوار ، وكان بيدي جزء من اجزاء المقتطف فتناولهُ الشيخ من يدي وقال : « عهدي بك تحب الادب ، ولا تحب العلم فما بال « المقتطف » وهو مجلة علمية ؟ . » فقلت : « كلاّ ، يا سيدي ، اني لا احب من العلم ما كان صلبا يابساً ، ولا احب من الادب ما كان وهماً وخيالاً . وانما احب الحقيقة تكون في صورة رائعة من صور الادب والجمال. والمقتطف يصف لنا حقائق الحياة ، ويعلمنا العلم والحكمة، في اسلوب من الادب ساحر لذيذ . وللمقتطف عليَّ يدٌ لا انساها لهُ ابد الدهر . » قال وما هي ؟ فذكرتها لهُ[1] فقال صدقتَ ، لقد احببتَ خير المجلات

وتكلمنا في الكتب اليدوية المخطوطة. فقال : ان تلمسان كانت دار علم ، ولا بد ان تبقى فيها بقايا من آثار السلف الصالح، فاذا عثرتَ فيها على كتاب قديم او اثر من الآثار العلمية فاني ارجو ان تكتب اليَّ بهِ . وهنالك جمعيات من الالمان والاميركان قد ارسلت في مدائن هذه البلاد حاشرين يشترون لها الكتب العربية القديمة ، ويقتنون لها نفائس آثار اجدادنا . فقلت : بلغني ان « فلاناً » و « فلاناً » من اشياخ الطرق الصوفية في مراكش قد قاما بسياحة واسعة في شمال افريقيا ظاهرُها «الطواف» على اتباعهم بغية « التدور » ولكنهما كانا يقتنيان الكتب المخطوطة، ويبذلان المبالغ الطائلة الباهظة من المال في شرائها ونسخها . حتى ظفرا منها بشيء كثير . فهل لهذين « الشيخين » علاقة بهؤلاء الاميركان او الالمان ؟ . . فقال : هما بلا شك من اعوانهم الذين بعثوا بهم لجمع الكتب المتناثرة المبعثرة في ايدي عامة المسلمين الذين لا يفرّطون فيها الاّ بمثل هذه الوسيلة . فقلت : وقد سمعتُ

(١) قصة خصوصية ربما ذكرتها لقراء المقتطف في مقال انشره بالمقتطف

ان حكومة مراكش قد اصدرت «ظهيراً» يمنع اصدار الكتب المخطوطة الى الخارج. فقال وانا الآخر سمعت بهذا، ولكنه غير مفيد، فلو ان الحكومة اشترت هذه الكتب، واقتنت هذه النفائس وحفظتها في «دار الكتب» لكان ذلك خيراً وانفع. لان هؤلاء الذين بذلوا اموالاً طائلة في سبيل الحصول على هذه الآثار والكتب والنفائس لا يعجزهم ان يجدوا حيلة لتهريبها والفوز بها. واردتُ ان اتكلم، ولكن القطار وقف بنا على مفرق الطرق فودعني الشيخ وودعتهُ، فأخذ طريقهُ الى الجزائر، واخذت طريقي الى وهران وكان هذا فراق بيني وبينهُ، وكان ذلك آخر لقاء، فما التقينا بعدها، ولن نلتقي ابد الدهر

﴿كيف ذكرته﴾— مات ابو شنب، واقيمت في ٢٠ مارس الاخير له حفلة تأبين، فلم اذكره بشيء من ذلك وانما ذكرتهُ بسبب قد يكون غريباً، ولكن هو السبب الواقع: المقتطف هو الذي اذكرنيه، وهو الذي جعلني اكتب عنه هذه الذكرى، واحسُّ لفقده بالام جسام. وذلك اني قرأت في جزء اخير من المقتطف فصلاً عنوانه: «هل تندثر مدوَّناتُ العصر؟» على صديقي الفاضل المبرور، السيد الحاج عبدالقادر قرهجة في تلمسان فذكر لي ان في خزانته كتاباً مخطوطاً لا يدري ما اسمه، ولا ما موضوعه، ولا من مؤلفه، قد كتبتْ على الصفحة الاولى منه احرف قال كاتبها عنها انها اذا كتبت على اول كتاب فانه لا يندى ولا يَبْلَى! . . . فرغبتُ اليه ان يريني هذا الكتاب فتفضل فاعارنيه، فسهرت عليه ليلةً أطالعهُ فاذا الاحرف هي هذا: «كب كيكج كيكج» واذا كاتبها قد جلّد الكتابَ، واحتفظ به احتفاظاً شديداً فما بَلي ولا اندثر. واذا الكتاب صفحة ماجدة من تاريخ الجزائر، بل من تاريخ الاسلام والشرق. واذا موضوع الكتاب في سياسة الملوك وتدبير الممالك. واذا مؤلفه عالم غزير العلم، مطلع واسع الاطلاع، وسياسي مجرّب حكيم. وهو السلطان موسى ابو حمو اشهر بني زيان (بني عبد الواد) ملوك تلمسان في التاريخ. وهنا ذكرتُ الشيخ المرحوم، وذكرتُ ما كنتُ عاهدتهُ عليه يوم اجتمعنا في القطار من ان اكتب اليه بكل ما اعثر عليه في تلمسان في الكتب القديمة، والآثار النفيسة وهممت ان اكتب اليه عن هذا الكتاب النفيس، فاذا به قد توفي الى رحمة الله. فلولا «المقتطف» ما كنتُ لأعثر على هذا الكتاب، ولولا هذا الكتاب ما كنتُ لأذكر الشيخ المرحوم هذه الذكرى الاليمة

سلام الله عليك يا ابن ابي شنب، لقد طبتَ حيًّا وميتاً. وكنت بعلمك وشرقيّتك حجة الشرق على هؤلاء الشرقيين الذين لا يبتغون العلم والحياة الا من طريق التفرنج والاندماج. وقدمتَ على ربك مؤمناً عالماً، «. . ومن يأته (ربّه) مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلا. جناتُ عدنٍ تجري من تحتها الانهار خالدين فيها، وذلك جزاءُ من تزكّى»

تلمسان (الجزائر) محمد السعيد الزّاهري

غاية الجيولوجيا ومباحثها واساليبها

على ذكر كتاب « الجيولوجيا » النفيس الذي اصدره حديثاً
الدكتور حسن بك صادق وكيل مصلحة المناجم والمحاجر

تألف لفظة (جيولوجيا) من لفظتين يونانيتين الاولى (جه) ومعناها ارض والثانية (لوجوس) ومعناها خطاب او درس فيكون معناها (درس الارض) وتتناول باوسع معانيها كلَّ ما يتعلق بتركيب الارض . والغرض من هذا العلم البحث في كل المواد التي تتركب منها الارض ووصف اشكالها ومواقعها وترتيبها النسبي ويتناول طبيعة تكوينها والاسلوب الذي جرى عليهِ هذا التكون والتغيرات التي مرت بها في العصور الخالية والتي لا تزال تنتابها الى الآن وبكلمة عامه غايتهُ ان يكشف عن النواميس التي تجرى عليها هذه المواد في تكونها والعوامل التي تبين صفاتها وخواصها

والجيولوجيا قسم من التاريخ الطبيعي لذلك لا تتناول من مواد الكرة الارضية سوى المواد المعدنية والصخرية بوجه خاص وتترك البحث في شكل سطح الكرة وتوزيع اليابسة والبحار عليهِ للجغرافيا ودرس المملكة النباتية لعلم النبات والمملكة الحيوانية لعلم الحيوان وبناء الاجسام الاساسي لعلم الكيمياء . على ان الجيولوجيّ لا يستطيع ان يخترق سطح الارض الى اقصى من بضعة اميال ولذلك ترى مباحثه بوجهٍ عام منحصرة في قشرتها . ولذلك ترى علماء الجيولوجيا يذكرون في كتبهم قشرة الارض ويريدون بها ذلك القسم من بناء الكرة الصخرى الذي تصل اليه مباحثهم وتتناوله على وجه من الرسوخ والتثبت العلميين

***

اذا حفرنا بئراً في الارض مررنا في اثناء حفرها بطبقات متتابعة من الدلغان والرمل والحصى فنذكر فعل الماء لاننا لا نرى عاملاً طبيعيًّا آخر يفعل فعل الماء الآن في تنضيد طبقات الدلغان والرمل والحصى فيقودنا ذلك الى البحث في منشإِ الطبقات التي نمرُّ بها في اثناء حفرنا وهل هي رسبت اولاً في قيعان الانهار والبحيرات او مصاب الانهار الداخلة في البر او على شواطيء البحار . وقد نعثر في اثناء بحثنا على اصداف وعظام او قطع من نباتات مدفونة في الدلغان او الرمل . في هذه الاجسام نجد سبيلاً آخر الى الوقوف على تاريخ

هذه الطبقات الارضية لانهُ من المستطاع معرفة اصحاب هذه الاصداف والعظام وهل هي حيوانات كانت تعيش في البحيرات العذبة المياه او الانهار او ماء البحر الاجاج

كذلك نعثر على كثير من الطبقات الصخرية المختلفة في اثناء حفر نفق من انفاق سكة الحديد مثلاً او منجم او قطع جانب من اكمة لبناء خط حديدي فنرى طبقات مختلفة دلغانية ورملية وفحمية وحديدية وجيرية منضدة احداها فوق الاخرى اومرصوفة احداها الى جانب الاخرى . وكل من هذه الطبقات قد تحتوي على آثار بعض الحيوانات والنباتات وبقاياها ولا يمكن تعليل وجودها الاَّ اذا حسبنا ان كل طبقة منها كونت بفعل عوامل مختلفة وفي احوال مختلفة من البحر والبر والهواء والماء كما نرى في هذه الايام. فالبحار والانهار ومصابها كل واحد منها يختلف عن الآخر بميزات خاصة في رواسبهِ

والجيولوجي في اثناء قيامهِ بالمباحث المتقدمة يستنير بالاحداث الطبيعية التي تقع فعلا في هذا العصر فيسند التشابه الى اسباب واحدة او متشابهة . فهو يرى في هذا العصر الانهار تنقل الرمل والطمي والحصى وترسبها طبقات طبقات اما في البحيرات او في مصاب الانهار او على شواطىء البحار . وهذا الفعل الطبيعي آل في سنوات معدودة الى امتلاء بعض المصاب وجفاف بعض البحيرات من رسوب هذه الموادفيها وتحويلها من ارض مغمورة بالمياه الى ارض يابسة بعد ارتفاعها وانحسار الماء عنها . ثم تجمدت طبقات الرمل والطمي والحصى رويداً رويداً فصارت طبقات صخرية

كذلك نرى الامواج بفعل المد والجزر والرياح تفتت الصخور في جهة معرضة لها وللرياح وتجمع في الوقت نفسه مقادير عظيمة من الرمال في جهة اخرى غير معرضة للرياح والامواج . ونعلم انهُ في اثناء الزلازل وثوران البراكين ترتفع بلدان وتنخفض بلدان فقد ترتفع في وسط البحر جزيرة في منخفض لم يكن لها اثر فيهِ من قبل وقد تنخفض بلاد اخرى على شاطئهِ فتغمرها مياههُ وتصبح اليابسة قاعاً للبحر. والافعال البركانية تؤثر في سطح اليابسة فتكون سلاسل جديدة من الجبال والاكام بفعلها او ترسل حمماً تصير على مرّ الزمان صخراً مبلوراً كصخر البازلت وما اليهِ

فلما كانت هذه العوامل تؤثر في سطح الكرة الآن وتغير من حين الى آخر نسبة اليابسة الى البحار عليهِ طرداً وعكساً على ما هو مشاهَد فالمرجح كل الترجيح انهذا كان فعلها في العصور الغابرة ولا بدَّ انها كانت العوامل الاولى التي استعملتها الطبيعة في تكوين قشرة الارض التي تنحصر مباحث الجيولوجيا فيها

ولقد كانت الارض في كل العصور ميداناً للتدمير والبناء في كل تاريخها — هنا تدمَّر

وتحفر وتخرب وتعرى بفعل الامطار والانهار والامواج والثلج والجمد والمد والجزر . وهناك تبنى برسوب المواد التي تحملها المياه من مكان الى آخر او بنماء النباتات والحيوانات على سطحها وتجمُّع المواد التي تقذفها البراكين من قلب الارض

***

اضرب في الأرض انى شئت وابعد عن الشواطىء ما تمكنت وابحث في طبقات الرمل والحصى والتراب والصخور وابحث في المواد التي تتركب منها تجد انها كونت كلها بفعل الماء كما ترسب طبقات الرمل والحصى والطين في عصرنا الحاضر. وكما ان ثوران البراكين الآن وفعل الزلازل يغيّر اشكال الجبال والاودية فيرفع قمةً هنا ويخفض وادياً هناك ويحدث شقاً ويجمّد سهلاً هنالك كذلك علينا ان نعود بمثل هذه الافعال في اقدم العصور الغابرة الى مثل هذه الاسباب

فدرس الجيولوجي للافعال الطبيعية الجارية الآن يضع في يده مفتاحاً للوقوف على تاريخ الكرة الارضية المتوغل في القدم ومما يسهل عليه عمله ويجعله قرين الدقة والصواب درس آثار النباتات والحيوانات التي يراها في الطبقات الصخرية المختلفة

ففي عصرنا هذا نرى كثيراً من الاصداف والاسماك وغيرها من الحيوانات البحرية تدفن في الطمي الذي تحمله الانهار الى البحيرات والمصابّ ويرسب فيها طبقات متراكمة . كذلك نرى مياه الانهار تحمل آثار الحيوانات البرية وجذوع الاشجار وغيرها من آثار النباتات ونشاهد الزلازل تخفض السهول بما عليها من كائنات نباتية وحيوانية فتغمرها المياه ثمّ تغطّى الطبقات الحية بطبقات من الطين والرمل والحصى التي ترسبها المياه . وعلى مرّ الزمان تتحجر اي تصير طبقات صخرية . فدرس الآثار التي نراها في مختلف الطبقات دليل الى الاحوال التي كوّنت فيها . هل كانت الحيوانات والنباتات برية او بحرية؟ استوائية او من المنطقة المعتدلة او من المناطق المتجمدة ؟ وكما تحفظ آثار النباتات والحيوانات في الطبقات الراسبة الآن كذلك حفظت آثار النباتات والحيوانات المتوغلة في القدم . ولما كانت النباتات تختلف فمنها ما تمتاز به بقعة جافة وغيرها ما يمتاز به مستنقع وغيرها ما تمتاز به ناحية جبلية فلذا نجد في معرفة صفات هذه الآثار في الصخور سبيلاً الى معرفة الاحوال التي كانت تعيش فيها . وما يصدق على النباتات يصدق على الحيوانات ايضاً . فاجناسها مختلفة والبيئات والعصور التي كانت تعيش فيها هذه الاجناس مختلفة ايضاً وكل جنس بل كل عائلة منها له مميزات خاصة في هيكله وبناء جسمه . فمنها ما هو مُعدٌّ للجري او للطيران او للسباحة . ومنها ما يأكل النباتات او اللحوم وحين موازنة الآثار المتحجرة بما يعرف من اجناس الحيوانات العائشة الآن نستطيع ان

نكوّن فكراً دقيقاً عن احوال المعيشة في العصور السابقة

اذا سار الجيولوجي على هذا النمط من البحث والدرس والموازنة تبين له انه يستطيع ترتيب الطبقات التي تتألف منها قشرة الارض ترتيباً تتعاقب فيه الطبقة تلو الطبقة تعاقباً منتظماً . فيعرف انه اذا عثر على الطبقة الواحدة لزم انه يعثر تحتها على طبقة معينة اخرى ويستنتج على وجه من الدقة ان فوقها كانت طبقة اخرى معينة كذلك . ويستطيع ان يعرف من هذا النظام الذي يضعه ، آثار النباتات والحيوانات التي يجب ان يجدها في كل طبقة من هذه الطبقات مما تمتاز بهِ عن غيرها . فمتى عرف هذا التعاقب على وجه من الدقة تعين عليهِ ان يعرف مدى هذا التعاقب اي الزمان الذي انقضى قبل تكوّن كل طبقة من هذه الطبقات . واي الطبقات اقدم من غيرها وما مدى هذا القدم والادلة على ذلك . وما هي الآثار النباتية والحيوانية التي تميز كل طبقة عن اختها . واين توجد هذه الطبقات على سطح الارض . ومن معرفة هذه الطبقات او المكوّنات الجيولوجية يستطيع الجيولوجي ان يستخرج تاريخاً للكرة الارضية . وقد يكون هذا التاريخ غير كامل او غير دقيق ولكن المبادىء الاساسية التي يبنى عليها كافية لان تبين اهم التطوّرات التي مرت على الارض منذ تكوينها — على قشرتها اولاً وعلى انواع نباتاتها وحيواناتها ثانياً

فغاية الجيولوجي القصوى هي ان يضع بياناً دقيقاً لكل التغيرات التي طرأت على سطح الكرة من اقدم الازمان التي وجدت فيها الطبقات الصخرية الى الآن في البر والبحر وان يرسم صورة صحيحة لانواع النباتات والحيوانات البائدة وان يبين صفاتها والاحوال التي عاشت فيها — فاذا تمَّ له تحقيق هذه الغاية كان ذلك من اكبر انتصارات العلم الحديث

ولعلم الجيولوجيا علاقة بالعلوم الطبيعية كلها اوجلها . فهو يتصل من جهة بعلم الفلك حيث يتناول اصل الارض ونشوءها وعلاقتها بالشمس وسائر السيارات التي يتألف منها النظام الشمسي . ويتصل بعلم الكيمياء حينما يبحث عن المواد التي تتألف منها الارض والعناصر التي دخلت في بناء الصخور . ويتصل بعلم الجغرافية الطبيعية حين يتناول توزيع اليابسة والبحار على سطح الكرة الارضية ومواقع الجبال والاودية . وبعلمي الانثربولوجيا والاتنولوجيا حين يلمُّ باحوال الاجناس البشرية من اقدم الازمان الى الآن وقدمها وتفرقها والعوامل التي افضت الى ذلك . وبعلمي النبات والحيوان حين يدرس آثار النباتات والحيوانات المتحجرة الباقية في طبقات الصخور وبعلم الاقتصاد في كلّ ما يرتبط بالزراعة والتعدين وهندسة البناء والينابيع المعدنية والحجارة الكريمة وغير ذلك . وفي كل ذلك لا بد من ان يتصل بمبادىء علم الطبيعيات بنواميس الحرارة والضغط والسوائل والغازات والاشعاع وهلمَّ جرَّا



في مجلس سيف الدولة

بين المتنبي وابي فراس

« وأما أبو الطيب فلم يذكر معه شاعر الا ابو فراس وحده ، ولولا مكانه من السلطان لأخفاه » «ابن رشيق»

نشأ المتنبي من أصل وضيع ، فقد كان أبوه سقاء بالكوفة ، ولم يمنعه أصله الوضيع من أن يتطلع الى اسمى ما يتطلع اليهِ عظيم من مراتب السؤدد والرفعة ، فجد في طلب العلم صغيراً وانقطع عامين الى الأخذ عن اعراب البادية ، ثم اكثر من الاطلاع على الكتب والاستفادة من العلماء ، حتى اذا أخذ بحظه من العلم والادب تطلعت نفسه الى الاخذ بنصيبها من المجد واغتصاب الشهرة اغتصاباً من بين براثن الأسود . وكان يتقرب — في اول عهده — الى اعيان عصره وذوي النفوذ فيمدحهم بقصائده ، ليتخذهم سلماً الى ما تطمح اليهِ نفسه من العظائم . وربما أثابه بعض ممدوحيه على احدى قصائده بدينار واحد (١)

فلما اتصل بأبي العشائر — والي انطاكية — قدمهُ الى سيف الدولة فكان ذلك بدء شهرته الضخمة التي لا نري أبلغ في وصفها من قول المتنبي نفسه — :

وتركك في الدنيا دويًّا كأنما ... تداول سمع المرء أنمله العشر

فقد بلغ المتنبي حظًّا من الشهرة لم يكد يظفر بهِ شاعر عربي — قبله أو بعده — فملأ الدنيا وشغل الناس — كما يقول ابن رشيق — وعني بشرح ديوانه اكثر من اربعين اديباً منهم المعري وابن جني وهما من تعرف علماً وأدباً وفضلاً . وكان المتنبي قبل اتصاله بسيف الدولة — كما يقول الثعالبي — « يمدح القريب والغريب ويصطاد ما بين الكركي والعندليب »

وقد صحب سيف الدولة نحو عشر سنوات (٢) غمره فيها سيف الدولة بعطائه الجزيل ، كما افتنَّ المتنبي في مدحه الذي خلدهُ بهِ بين ملوك عصره قاطبة ، وأنف المتنبي أن يمدح

---

(١) قالوا انه مدح على بن منصور الحاجب فلم يعطه الا ديناراً واحداً على قصيدته التي اولها — : « بأبي الشموس الجانحات غواربا » والتي منها قوله: أظمتني الدنيا ، فلما جئتها مستسقياً مطرت علي مصائبا

(٢) التحق به سنة ٣٣٧ هـ ثم فارقه ودخل مصر سنة ٣٤٦

— بعد ذلك — من هم دون الملوك مرتبة ومقاماً فترفع عن مدح المهلبي والصاحب[١] مع سمو منزلتيهما ، كما أنف أن يمدح غيرهما من الاعيان والامراء

وكان في المتنبي صلف وعجرفة واعتداد بالنفس الى اقصى حد ، فكثر اعداؤه وحاسدوه ، وكان كلما امعن في احتقارهم والزراية عليهم ، أمعنوا في الكيد له وتلمس العيوب والسقطات. وكان من أسباب تعاليه عن الناس واحتقاره اياهم أنهم طالما عيروه بضعة أصله[٢] وفاخروه بأحسابهم فتأصلت فيه طبيعة الاحتقار لهم والحقد عليهم[٣] ولعل ابلغ ما يمثل لنا هذه الطبيعة الحاقدة من شعره هو قوله — :

ومن عرف الايام معرفتي بها وبالناس روّى رمحه غير راحم

---

(١) وقد جلب على نفسه عداوة هذين الزعيمين باحجامه عن مدحهما وترفعه عنهما ، قالوا :
« ولما قدم ابو الطيب من مصر — الى بغداد وترفع عن مدح المهلبي الوزير ذهابا بنفسه عن مدح غير الملوك شق ذلك على المهلبي فأغرى به شعراء بغداد حتى نالوا من عرضه وتباروا في هجائه واسمعوه ما يكره وتماجنوا به وتنادروا عليه . فلم يجبهم ولم يفكر فيهم ، وقيل له في ذلك فقال — :
اني فرغت من اجابتهم بقولي لمن هو أرفع منهم طبقة من الشعراء :

أرى المتشاعرين غروا بذمي ومن ذا يحمل الداء العضالا
ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرّاً به الماء الزلالا

وقولي :

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ضعيف يقاويني ، قصير يطاول
لساني بنطقي صامت عنه عادل وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل
وأتعب من ناداك من لا تجيبه وأغيظ من عاداك من لا تشاكل
وما التيه طبي فيهم ، غير انني بغيض الى الجاهل المتعاقل

وقولي :

واذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

قالوا : وقد ارسل اليه الصاحب — وقد طمع في زيارة المتنبي اياه باصبهان واجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان — وهو اذ ذاك شاب ولم يكن قد استوزر بعد وكتب اليه يلاطفه في استدعائه وتضمن له مشاطرته جميع ماله فلم يقم له المتنبي وزناً ولم يجبه على كتابه ولا الى مراده وقصد عضد الدولة
قالوا : فاتخذه الصاحب غرضا يتلمس سيئاته وهو اعرف بحسناته.

(٢) وقد عيروه بذلك حتى بعد أن وصل الى ذروة الشهرة فمن ذلك قول بعض الشعراء :

اي فضل لشاعر يطلب الفضـ ـل من الناس بكرة وعشيا
عاش حيناً يبيع بالكوفة الما ء ، وحيناً يبيع ماء المحيا

على ان المتنبي كان يعترف بأن أصله وضيع وان فخاره بنفسه لا بآبائه، وقد اشار الى ذلك عدة مرات نجتزي منها بقوله في رثاء امه — :

ولو لم تكوني بنت اكرم والد كان أباك الضخم كونك لي أما

وقد قلد فيه قول ابن الرومي في ابي الصقر — :

قالوا ابو الصقر من شيبان قلت لهم كلا لعمري ، ولكن منه شيبان
كم من أب قد علا بابن ذرى شرف كما علت برسول الله عدنان

(٣) ملأ أبو العلاء المعري لزومياته بذم الناس ، ولكنه لم يحقد على أحد بل كان يتوخى الاصلاح وينشد المثل الأعلى ، ولا كذلك كان المتنبي ، فقد كان كثيراً ما يحقد عليهم دون ان يتوخى اصلاحهم .

فليس بمرحوم اذا ظفروا بهِ ولا في الردى الجاري عليهم بآثم [١]

ولقد كان المتنبي شديد الاثرة بعيد الانانية ، لايعنيه الانفسهُ ، يرى كل من في الوجود مسخراً له وحده . فالملوك لم يخلقوا الا ليغمروه بجاههم ومالهم . والجماهير لم تخلق الا لتهتف له وتملأ الدنيا اعجاباً بشعره ، وعلماء عصره لم يوجدوا الا ليناقشوا اقواله ويفردوا له الشروح العديدة ، وشعراء العربية قاطبة لم ينظموا الا ليتخيّر من معانيهم الرائعة ما يحلو له أن ينظمه ويضعه في صيغتهِ النهائية فكأنهم يهيئون له « مشروعات قوانين » ليصدرها — بعد ذلك — للناس مراسيم

وهو في اكثر المعاني التي يسطو عليها — كما يقول الثعالبي — : « يأخذها عباءة ويردها ديباجاً ويرسلها مثلاً سائراً » . والحق أنك تقرأ شعر المتنبي فتحس كأن صوت القدر يملي على الناس قوانين الحياة املاء

***

أما أبو فراس فقد نشأ من طبقة الارستقراطية وبيت الملك — وهو على قرابته من سيف الدولة — شاعر فياض بالشاعرية واسلوبهُ — في اكثر شعره — في أعلى طبقات البلاغة وهو من أحبّ الشخصيات واظرفها ولشعره جمال رائع لعنايتهِ بتخير اللفظ وحسن الاداء وصدق العاطفة . وقد حكم النقاد بتفوقهِ على ابن المعتز في الشعر ، وصدقوا في حكمهم كل الصدق ، فقد أفاد الاسرُ شاعرية ابي فراس وانطقهُ الالم بأروع وابدع ما يقوله شاعر مجيد [٢]

قالوا : « وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبرز ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجترىء على مجاراته ، لكنه لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً له واجلالاً ، لا إغفالاً واخلالاً »

فأما أن المتنبي كان يشهد له بالتقدم والتبرز ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجترىء على مجاراته ، فيرجع الى قرابة ابي فراس من سيف الدولة وما تجره عداوته على المتنبي من النكبات.

فقد كان سيف الدولة — كما يقولون — « يعجب جداً بمحاسن أبي فراس ويميزه بالاكرام على سائر قومه ، ويستصحبه في غزواته ويستخلفه في اعماله » . والمتنبي أحصف من أن ينبري لمجاراة من هذا شأنه ، وأجدر أن يتحامى جانبه ويشهد له بالتقدم والتبرز

---

(١) ومن هذه القصيدة قوله — :

من الحلم أن تستعمل الجهل دونه اذا اتسعت في الحلم طرق المظالم
وأن ترد الماء الذي شطره دم فتسق ، اذا لم يسق من لم يزاحم

(٢) وقع ابو فراس في قبضة الروم اسيراً مدة اربع سنوات ، وقال في اسره أحسن ما قرأناه له من الشعر صدق عاطفة واحكام اسلوب ودقة أداء . وليس يتسع هذا المقام للاستشهاد بشيء من ذلك

وأما أن المتنبي « لم يمدح أبا فراس تهيباً واجلالاً » فهو كلام يجمل بنا أن نفهمه على وجهه الصحيح ،فهو بلغة الساسة أشبه ، وماذا ينتظر معاصروه أن يعلل ترفعه عن مدح أبي فراس . وبمَ يجيبهم اذا سألوه :—.« لم لم تمدح ابا فراس وقد مدحت من دونه من آل حمدان ؟ » .أكان يقول لهم : « إني لم أمدحه اغفالا واخلالا » أم يقول لهم : « إن شعره لم يعجبنى ». أم يصارحهم برأيه الذي اضطر الى الافضاء به — بعد ذلك — حين صرّح الشر وانكشف الغطاء فقال :—

« أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم »

ليس أمامه ما يزعمه إلا ان يقول إنه يتهيبه . ولو أن سائلا خبيثاً همس في أذنه :— « وكيف مدحت سيف الدولة اذن ؟ ألا تهيبه أيضاً ؟»

لما أجابه المتنبي حينئذ بأكثر من ابتسامة الهازىء العابث أو اعراضة المتخلص الهارب. وكيف نرضى بهذا التعليل الذي يقنع به الثعالبي وغيره ، ونحن نرى المتنبي قد مدح من اسرة حمدان من هم دون أبي فراس مقاماً كما مدح سيف الدولة وهو رأس الاسرة الحمدانية وأجدر بالتهيب والاجلال ان كان المتنبي ممن يتطرق الى نفسه تهيب أو اجلال لكائن من كان

لقد كان ابو فراس شاعراً ، وشاعراً فحلا ممتازاً ،وحسبك بهذه الميزة سبباً ينفر المتنبي من مدحه . ولا تنس ان المتنبي كان يتطلع الى حمل لواء الزعامة الأدبية في عصره ويرى ان ذلك أيسر ما يجدر به أن يفعله ، لأن نفسه الوثابة كانت تتوق الى ما هو اسمى من زعامة الشعر واعظم خطرا [1]

فكيف يشيد بذكر شاعر كأبي فراس يزاحمه في زعامة الشعر ؟ [2]

الحق أن المتنبي وابا فراس لم يكن من سبيل الى التأليف بينهما ، فقد كان أبو فراس يرى فى المتنبي رجلا من السوقة رفعهُ الشعر درجات فوق ما يستحق ، كما كان المتنبي يرى في أبي فراس أميراً ذكياً رفعت الامارة من شعره درجات فوق ما يستحق وأكسبته شهرة في الادب لم يكن ليصل اليها لولا قرابته ومكانتهُ من سيف الدولة . فكان ينطبق عليهما قول

---

(١) كانت نفس المتنبي تطمح الى الملك أيضا ، وقد أشار الى ذلك مراراً نجتزىء منها بقوله مخاطبا كافور الاخشيدي — :

وغير كثير ان يزورك راجل فيرجع ملكا للعراقين واليا
فقد تهب الجيش الذي جاء غازيا لسائلك الفرد الذي جاء عافيا

(٢) ولقد كاد يخمله المتنبي فيمن اخمل من شعراء عصره المبرزين وليس ادل على ذلك من تصدي جمهرة كبيرة من الشارحين والناقدين والهاجين والمادحين له حتى طبقت شهرته الآفاق وملأت الدنيا في حين لم يصل ابو فراس الى شيء يذكر من هذه الحفاوة العجيبة

ابي الاصبع العدواني : — « تخالني دونه ، بل خلته دوني »

فأبو فراس يرى فيه ابن سقاء مزهواً بشعره شامخاً بأنفه الى السماء متعالياً في غير جدارة بالعلاء بالغاً من سيف الدولة مكانة لم يبلغها سواه ، والمتنبي يرى فيه شاعراً ينافسه ويغار منه ويحسده على مكانته ويدني خصومه من مجلسه ، فبأي لسان يمدحه المتنبي؟ وكيف يهش له ابو فراس أو يصفيه الود خالصاً ؟

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فقد خلق المتنبي بسبب تعاليه وصلفه — كما أسلفنا — كثيراً من الحساد والخصوم وكان يزيد في حسدهم له ما يرونهُ من اقبال سيف الدولة عليهِ ، فلم ينوا عن الوقيعة والدس وتخذوا من إدلاله على سيف الدولة [١] مطعناً ينفذون منهُ اليهِ

فهذا أديب يكيد له عند سيف الدولة فيقول له — حين ينشده احدى قصائده وهو قاعد — : لو انشدها قائماً لأسمع ، فان اكثر الناس لا يسمعون » لينبه سيف الدولة الى سوء ادب المتنبي ، فيجيبه المتنبي على هذا الدس الخبيث ببديهته الحاضرة الموفقة ، أما سمعت أولها : —

« لكل امرىء من دهره ما تعودا » فيخرس حاسده بذلك [٢]

وهذا شيخ يحسد المتنبي على عطاء أجزله له سيف الدولة حين قرأ قصيدتهُ التي فيها قوله

يأيها المحسن المشكور من جهتي والشكر من قبل الاحسان لا قبلي

فلا يطيق مغالبة حسده بل يظهره أمام سيف الدولة ، فيمنحهُ من العطاء ما يخفف بهِ موجدته على المتنبي

وهذا ابن خالويه — مؤدب سيف الدولة وأحد شيوخ المدرسة القديمة في عصر المتنبي — لا يألو جهداً في تنقصه وثلبه ، فقد كانت عداوتهما مزدوجة ، فهي عداوة بين متنافسين وعداوة بين مدرستين كذلك . فقد كان ابن خالويه زعيم الجامدين في اللغة والاوضاع وكان المتنبي زعيماً من زعماء التجديد فيهما جميعاً . كان ابن خالويه يرى نفسه خادم اللغة الامين، وكان المتنبي يرى نفسه سيدها والمتصرف فيها والمجدد في اساليبها وأوضاعها [٣]. كان ابن خالويه يُعَنّي نفسه بالقياس وتتبع ما ورد عن العرب وما لم يرد ، حينما كان المتنبي مطلقاً نفسه من هذه القيود ، يختار منها ما يلائم ذوقه من الصيغ اللفظية والبيانية ، هازئاً بانصار الجمود من

---

(١) كان المتنبي كثيرا ما يمتدح نفسه في القصائد التي يمدح بها سيف الدولة فاغاظ بذلك حساده وخصومه عليه (٢) قالوا: ان المتنبي أنشد سيف الدولة قصيدته التي أولها « لكل امرىء من دهره ما تعودا » فلما عاد سيف الدولة الى داره واستعاده اياها أنشدها قاعدا ، فقال بعض الحاضرين — يريد أن يكيد أبا الطيب — : لو أنشدها قائما لأسمع ، فان اكثر الناس لا يسمعون ! » فقال ابو الطيب — :

أما سمعت أولها : « لكل امرىء من دهره ما تعودا ؟ »

(٣) كان المتنبي يتخذ ابن الرومي نموذجا في التجديد واللعب بالالفاظ والمعاني

معاصريه واثقاً من سلامة ذوقه وصفاء طبعه، ينشدهم هذا البيت الذي يعبر عن نفسه أحسن تعبير:

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

وليست خصومة هؤلاء المقربين عند سيف الدولة للمتنبي بالخطب اليسير ، فقلما اعتورت السهام غرضاً إلا كانته حتى يهي ما اشتد من قوته ـ وقد شعر المتنبي بخطر حساده ومنافسيه وظهر ذلك في بعض قصائده ، ومن ذلك قوله لسيف الدولة : —

أزل حسد الحساد عني بكبتهم فأنت الذي صيرتهم لي حسّدا

وقد انتهت هذه الدسائس كلها بالنتيجة الطبيعية ، فأحفظت سيف الدولة عليه ، وجعلته يعرض عنه — بعد اقبال — وانتهت هذه المؤامرات المتوالية بتغريب المتنبي ، ونفوره من سيف الدولة وسفره الى كافور ، هرباً من هذا الجوّ الموبوء بالدسائس والمكائد الخبيثة

ويظهر لنا أن اعداء المتنبي افلحوا في تنفير ابي فراس منه قبل ان يفلحوا في تنفير سيف الدولة ، وكان أبو فراس — كما اسلفنا — مستعداً لذلك. فلما امتلأت نفسه حقداً على المتنبي، تولى الكيد له عند سيف الدولة الذي يحبه ولا يرد له قولاً

قالوا: وكان أبو فراس يقول لسيف الدولة : « ان هذا المتسمى كثير الدلال عليك، وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد ، ويمكن ان تفرق مائتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره[1] ». وثمة امتلأت نفس سيف الدولة بأمثال هذه الوشايات فأعرض عن المتنبي وظهر اعراضه واضحاً جلياً في ثلاث مناسبات: اولاها : حين عاد المتنبي اليه بعد ذلك — وكان غائباً. والثانية: حين أنشده قصيدته الرائعة التي اولها « واحر قلباه من قلبه شبم ». والثالثة حين ناظره ابن خالويه في مجلسه

(١) — اعراضه الاول

قالوا إن المتنبي لم يكد يبلغه اعراضه ويتعرف سره حتى دخل عليه وانشده قصيدته التي يقول

وما لي اذا ما اشتقت ابصرت دونه تنائف لا أشتاقها وسباسبا

وقد كان يدني مجلسي من سمائه أحادث فيها بدرها والكواكبا

حنانيك مسئولاً ، ولبيك داعياً وحسبي موهوباً وحسبك واهبا

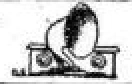
أهذا جزاء الصدق ، ان كنت صادقاً أهذا جزاء الكذب ان كنت كاذبا ؟

وان كان ذنبي كل ذنب ، فإنه محا الذنب كل المحو من جاء تائبا

قالوا : فأطرق سيف الدولة ولم ينظر اليه كعادته ، فخرج المتنبي من عنده متغيراً

[للكلام بقية] كامل كيلاني

(١) لعلك تلمح في هذه الجملة رأي ابي فراس في المتنبي ، وهو يؤيد ما ذكرناه من قبل



خيل الكهربائية المتمردة

هل يستطيع العلماء ان يكبحوا جماحها ويتقوا اخطارها

الصواعق والبروق في خدمة الانسان

لمع البرق وقصف الرعد وانقضت الصاعقة فاصابت منزلاً مبنيًا بالطوب والخشب فشقت جدرانهُ واطارت خشبهُ شظايا وكسرت زجاج نوافذهِ والقت الرعب في قلوب السكان. وانقضت صاعقة اخرى فاصابت عمود تلغراف فطحنتهُ طحناً وغارت في الارض فعطلت صندوقاً من صناديق التلفون فقطعت المواصلات التلفونية . واخرى في ناحية مجاورة عطلت النور الكهربائي واخرى نزلت في مخزن من مخازن التبن فاحترق وارتفعت لهبهُ في الفضاء رغم المطر الشديد

هذا بعض ما تفعلهُ البروق والصواعق في ناحية من انحاء ارضٍ كل ساعةٍ من الزمان. فقد ذهب علماء الظواهر الجوية الى ان ٤٤ الفاً من العواصف البرقية تثور كلَّ يوم على سطح الارض وان نحواً من مائة صاعقة تنقض في جوّ الارض كل ثانية من الزمان

ان معرفة الانسان بالبرق والرعد وانقضاض الصواعق قد اتسع نطاقهُ اتساعاً عظيماً منذ قام فرنكلن الاميركي واثبت بطيارتهِ ان الصاعقة انما هي في الواقع شرارة من « النار الكهربائية » . ومع ان العلماء والفلاسفة لم يوفقوا بعدُ الى معرفة حقيقة هذه النار الكهربائية فقد كشفوا كثيراً من الحقائق والنواميس التي ترتبط بتصرفها وبرعوا في توليدها والسيطرة عليها واستعمالها لمختلف الاغراض . انهم ينتقلون بها ويستنيرون بها ويطبخون بها ويطوقون الارض باخبارهم وصورهم بها

ولقد وقف مهندسوا اميركا الكهربائيون وقتهم وجهدهم في السنوات الخمس عشرة الاخيرة على درس الصواعق والبروق حتى كاد هذا الميدان من ميادين العلم يصبح خاصًا بهم . والسبب في ذلك اتساع الصناعات الكهربائية في الولايات المتحدة اتساعاً لم يسبق لهُ مثيل من قبل . فالشركات الكبيرة تنفق في السنة ١٦٠ مليوناً من الجنيهات لتوسيع نطاقها واذا تمَّ لاميركا انشاء البرنامج الكهربائي العظيم — توليد الكهربائية في اماكن خاصة حيث توليدها سهل ثم نقلها على الاسلاك من هذه المراكز الى كل انحاء البلاد — وجب على علمائها ان يبتدعوا طرقاً للمحافظة على الاسلاك التي تنقل هذه القوة الكهربائية العظيمة من انقضاض الصواعق عليها وتدميرها . لذلك نرى طائفة من المهندسين المختصين بالبحث الكهربائي يحاولون النفوذ الى اسرار الصواعق والبروق ليكشفوا عن سبيل لكبح جماح خيلها المتمردة وقد وفقوا في بحثهم

الى حدٍ كبير. فقد قاسوا الضغط الكهربائي العظيم الذي تولده الصواعق وصوروا البروق بآلة فتوغرافية أسرع من البرق نفسه. ثم آبوا الى معاملهم واخذوا يولدون صواعق مصغرة فيها ليدرسوا صفاتها ومميزاتها وليحاولوا ابتداع الطرق للسيطرة عليها كما يفعل علماء الحياة بالمكروبات على اختلافها. فهم يعرفون الآن عن الصواعق حقائق كثيرة كانوا يجهلونها من عقدٍ واحدٍ. ولكن هل يستطيعون على سعة علمهم وشدة براعتهم وجرأتهم ان يكبحوا جماح صاعقة واحدة منها

قد يبدو هذا السؤال غريباً حين تنظر الى فتوحات العلم الحديث. ولكن الغرابة تقلُّ حين تعلم ما في صاعقة واحدة من القوة الكهربائية العظيمة. فاكبر المعامل الاميركية المولّدة للكهربائية هو المعمل القائم على ضفة شلالات نياغرا الذي يولد من الكهربائية ماقوتهُ مليون حصان واربعمائة الف حصان. واذا جمعت القوة الكهربائية التي تولد في معمل نياغرا وسائر المعامل المولّدة للكهربائية في اميركا لم تبلغ مائة مليون من الاحصنة. ولكنك تجد في صاعقة واحدة من القوة الكهربائية ما يقاس بالوف الملايين من الاحصنة

فالعلماء الذين لا يميلون الى الغلو والاغراق في تقديرهم يذهبون الى ان متوسط القوة في صاعقة واحدة لا يقل عن الف مليون من الاحصنة. وهذه القوة تفوق كل القوة التي تولّد في كل المعامل الكهربائية والالات البخارية والآت الاحتراق الداخلي في المعمورة

افرض اننا نستطيع ان نكبح جماح هذه الاحصنة المتمردة ونتسلط عليها ونجريها على الاسلاك طوع امرنا فتنير بيوتنا ومعاملنا وتدير دولاب العمل في مصانعنا وتسيّر قطاراتنا وتغذي الادوات التي تنتظمها مخاطباتنا السلكية واللاسلكية افلا يكون هذا العمل العظيم جديراً بعصر الكهربائية؟ فينقضي عهد الفحم والماء المنحدر وتصبح وفي استطاعتنا ان نستمد قوّتنا من البوارق. ولكن علينا قبل كل شيء ان نقبض على اعنة هذه الخيل المتمردة. واذا فرضنا اننا نستطيع ذلك فهل نجني منها فائدة توازي العناء الذي تكبدهُ والنفقات التي تنفقها

الباحثون في هذا الموضوع مختلفون. وسبب اختلافهم ان الزمن لازم في تقدير القوة كالقوة نفسها. فالمعامل لا تستطيع ان تستعمل القوة الكهربائية الا اذا كان استعمالها مستمرّاً. ان المعمل القائم عند شلالات نياغرا لتوليد الكهربائية يولد ما قوتهُ مليوناً من الاحصنة واربعمائة الف حصان توليداً مستمرّاً ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم. اما القوة المحصورة في صاعقة فلا تستمرُّ اكثر من جزء ضئيل من الثانية. فما هو مدى استمرارها؟ ليبين العلماء ذلك يستطيعوا ان يعينوا مقدار القوة التي تستمدُّ منها

وقد كان هذا العمل الى عهد قريب متعذراً. وكان العلماء مختلفين يتراوح تقديرهم لمدى البرق او الصاعقة بين بضعة اعشار من الثانية وبضعة اجزاء من ملايين اجزائها. ولكن شركتين من

الشركات الكهربائية الاميركية وفقتا الى قياس مدى الصاعقة في صيف السنة الماضية بعدما صنع رجالها مقياساً دقيقاً ابرته التي تنحرف عند انقضاض الصاعقة تيار من الكهارب منطلق في فراغ وهو سريع التأثر لزوال الاحتكاك فيقاس بهِ ما مداه عشرة اجزاء من مليون جزء من الثانية .. ومع ان قوة البرق والصواعق التي قيست في مكانين مختلفين كانت مختلفة جاءت نتيجة القياس في المكانين واحدة اذ ثبت للفريقين ان مدى الصاعقة يتراوح بين اربعين جزءا من الف الف جزء من الثانية وخمسين جزءا

وقد ثبت من قياس الشركة الواحدة ان قوة البرق بلغت اقصاها في نهاية الخمسة الاجزاء الاولى من لمعانهِ ثم نقصت الى نصفها في نهاية العشرين جزءاً الاولى ثم زالت تماماً في نهاية اربعين جزءا من مليون جزء المذكورة. فحسب المستر بيك مدير البحث العلمي في الشركة الكهربائية العامة ان شرارة برق طولها الف قدم تولّد قوة ٤ كيلوواط تستمرّ ساعة واحدة اي تستطيع ان تولّد ما قوته اربعة احصنة وثلث حصان مدة ساعة كاملة وهذا يكفي لاستعمال محمّرة الخبز الكهربائية يوما كاملا

ارأيت كيف تتقلص قوة ملايين الاحصنة حين يدخل عليها عنصر الزمان ! واذا اخذنا بقول علماء الظواهر الجوية ان مائة صاعقة تنقض كلّ ثانية في كل انحاء العالم ظهر لنا في البدء ان انقضاض الصواعق عملٌ مستمرٌ ولكن متى علمنا ان كل صاعقة لا تستغرق اكثر من اربعين جزءا من مليون جزء من الثانية ادركنا ان انقضاض الصواعق ليس فعلا طبيعيًّا مستمراً . والمستر بيك يقدر ان كل القوة التي تولّدها البروق والصواعق توليداً مستمرًّا لا يزيد على القوة الكهربائية التي تتولد في معامل نياغرا

على ان مهندساً كهربائيًّا آخر من شركة وستنهوس استنتج بالحساب الرياضي من المعلومات التي جمعتها شركتهُ ان في كل صاعقة متوسطة قوة كهربائية تقدر بمائتي كيلو وط — ساعة اي بما قوتهُ ٢٦٨ حصاناً مدة ساعة كاملة وهذه القوة تكفي لانارة بيت مدى شهر كامل

اما الدكتور سمبسن الانكليزي من علماء مكتب الظواهر الجوية فيذهب الى ان قوة الصاعقة تفوق تقديري العالمين المذكورين وعندهُ ان القوة الكهربائية في صاعقة تساوي ٣٠٠٠ كيلووط —ساعة او قوة ٤٠٢٣ حصاناً مدى ساعة واحدة . فبرق واحد كلّ ساعة يولد قوة كهربائية تكفي ما تحتاج اليهِ مدينة سكانها مائة الف نسمة من القوة الكهربائية

ليختلف العلماء ما شاؤا في تقدير القوة التي تضيع هباءً حين لمعان البروق وانقضاض الصواعق وامكان حصرها واستعمالها في ادارة المعامل وانارة المدن . ولكن لابدّ ان يجدوا سبيلا اخرى الى الافادة من هذه القوة الطبيعية العظيمة . انهم يحلمون منذ اعوام بحلّ الجوهر

الفرد واطلاق القوة التي تربط الكهارب بالبروتون. انهم يقولون ان كاساً من الماء تحتوي على قوة جوهرية تكفي لتسيير الباخرة لوياثان من نيويورك الى انجلترا واعادتها. وبعضهم يرى ان البروق والصواعق قد تكون سبيلهم الى الفوز على الجوهر الفرد وتحليله واطلاق القوة التي فيه

فمن المعلوم ان صاعقة منقضة تحدث اضطراباً عظيماً بين الدقائق التي تعترض سبيلها . فيتأين الهواء أي ان تيار الكهارب السريعة التي تنطلق من غيمة سلبية الى غيمة ايجابية تصطدم بدقائق الهواء فتمزقها وتطلق بعض كهاربها فينجم عن ذلك اتحاد بين عناصر الهواء على وجوه مختلفة ينتج عنهُ الاوزون والاكسيد النتروس والحامض النتريك . ويذهب بعض العلماء الى ان قوة الاصطدام بين الكهارب الصاعقية ودقائق الهواء يحوّل بعض اكسجين الهواء ونتروجينه الى هليوم وهدروجين . فاذا صحَّ ذلك فان قوة الصاعقة التي تقدَّر بملايين الملايين من الاحصنة تدخل معقل الجوهر الفرد عنوة وتطلق قوتهُ المذخورة فيه

ومباحث طائفة كبيرة من العلماء الكهربائيين متجهة الى هذا الموضوع فقد اعلن علماء معهد كارنجي بوشنطن انهم صنعوا ادوات كهربائية تمكنهم من احداث شرارة كهربائية تماثل في ضغطها الكهربائي (*Voltage*) بروق السماء . وعنيت طائفة من علماء الالمان من جامعة برلين بالذهاب الى جبال الالب السويسرية لمحاولة التقاط القوة الكربائية من الفضاء حين لمعان البرق فأمّوا مقاطعة على مقربة من لوغانو مشهورة بكثرة عواصفها ثم علقوا بين قمتي جبلين سلكاً ضخماً في وسط شبكة من السلك مساحتها مئات من الامتار المربعة ووصلوا هذه الشبكة باسلاك الى بيت معدني اقاموا هم فيه لمراقبة المقاييس الكهربائية التي نصبوها فيه . وقد استأنف هؤلاء العلماء تجاربهم في هذا الصيف ولم نقف بعد على النتائج التي اسفرت عنها

اما فعل العواصف المدمّر فحدّث عنهُ ولا حرج . فهي تقتل ٦٠٠ شخص كل سنة في الولايات المتحدة. وهي في بعض الولايات السبب الرئيسي لاكثر الحرائق التي تقع فيها. والبروق تسبب ٣٠٠٠ حريق من حرائق الغابات وغيرها من الحرائق التي تحدث في آبار البترول. على ان اكبر جانب من الخسارة يقع على المعامل من جرّاء انقضاض الصواعق على الاسلاك الكهربائية فتمنع المعامل من مواصلة اعمالها وفي بعضها كصناعة اللستك لابدَّ من هذا الاستمرار لنجاح العمل. وتدل الاحصاءات التي جمعت في ١٦٥ معملاً ان عمل هذه المصانع توقف ٤٤٥٠ مرة بسبب تعطيل النظام الكهربائي الناشيء عن انقضاض الصواعق. لذلك عني المهندسون الكهربائيون بدرس البروق والصواعق وغايتهم الاولى منع الضرر الناشيء عنها لاحصرها واستعمالها على الوجه الذي اشرنا اليه. ويقول العارفون انهُ لا تنقضي سنوات قليلة حتى يصير في امكان المهندسين ان يقوا كلَّ الاسلاك والاجهزة الكهربائية من الصواعق



كيف يحافظون على ثروتهم

الزراعية ويكافحون آفاتها

تحذير موجّهٌ الى الزرّاع ووزارة الزراعة

زيارة واحدة الى بلنسية قلب المنطقة الأوربية التي تزرع الفاكهة وموطن البرتقال والتين والعنب تكفي لاقناعنا بشدة الضرر الذي تلحقهُ الحشرات الفتاكة بالنباتات وتهدد بهِ مصادر الثروة في تلك البلاد وغيرها

الشهر شهر مارس والأثمار التي لم يكمل نضجها بعد ملقاة على الأرض كوماً كوماً. وما بقي منها على الأشجار لونهُ أخضر شاحب يدلُّ على المرض الذي نزل بهِ، وعليهِ بقع وفيهِ ثقوب تشير الى أنهُ لاحق بما تقدمهُ. والجوّ مفعم بحفيف ملايين من الأجنحة وطنين الذبّان وغيرهِ من الحشرات الطائرة

هذا هو فعل ذبابة الفاكهة التي تعرف بذبابة البحر الأبيض المتوسط. وقدكان هذا فعلها من سبعين سنة الى الآن. فقد امتدَّ ضرر هذه الحشرات الفتاكة الى بلدان أوربا وأفريقية واتصل بالهند وأوستراليا ووصل حديثاً الى الولايات المتحدة رغم الذرائع الفعّالة التي توسلت بها حكومتها لمنعها فأخذت تنتشر في بساتينها وكان من أثرها ان جملة من البنوك الزراعية أفلست لأن عملاءها من أصحاب البساتين أصيبوا من هذه الحشرات في المقتل — في مصدر ثروتهم

على أن الحكومة الأميركية يقظة للخطر المحدق بزراعتها من هذا القبيل. وقد خاض رجالها مع هذه الحشرات حرباً قد لا تقلُّ شدّة عن الحرب العامة. فهي تحاربها الآن بالغازات السامة والنار الآكلة والخنادق والمصادرة وقدجردت لذلك نخبة علمائها ولا تزال النتيجة معلقة في الميزان والمستقبل ملبّداً بغيوم الفشل

من كان يدري أن حشرة صغيرة كذبابة الفاكهة ليست أكبر حجماً من الذباب العادي ولا هي مجهزة بأسنان قاضمة او مخالب فتاكة كبعض الحيوانات والحشرات، تلقي الذعر في روع حكومة قوية غنية كالحكومة الأميركية وشعب نشيط متيقظ كالشعب الأميركي. على أن هذه الحشرة الصغيرة شرهة كلَّ الشره في امتصاص عصير الحياة من

الأعمار وسريعة التوالد حتى يتكون من نسل ذبابة واحدة منها كتلة تفوق الأرض حجماً اذا تركت تتكاثر بضع سنوات من غير ما يفتك بنسلها

شوهدت ذبابة الفاكهة المعروفة بذبابة البحر المتوسط اولاً في جزائر موريشوس على شاطىء افريقيا الشرقي سنة ١٨١٧ وسنة ١٨٢٧ كانت قد اتصلت بجزائر الازورس وجزائر كناري وسنة ١٨٤٢ وصلت الى اسبانيا وحلّت في بساتين البرتقال فيها . ولم ينقض القرن التاسع عشر حتى كان قد انتشرت في كل البلدان التي تحيط بالبحر الأبيض المتوسط من جبل طارق الى فلسطين ومن تونس والجزائر الى طولون وجنوب فرنسا وايطاليا . وانتقلت مع الفاكهة التي تنقلها البواخر التي تمخر البحار فوصلت الى غرب أوستراليا سنة ١٨٩٧ والى شرقها سنة ١٨٩٨ . واكتسحت البرازيل سنة ١٩٠٧ واتصلت بجزائر هواي في وسط الاوقيانوس الباسفيكي سنة ١٩١٠ وللحال هبّت الحكومة في كاليفورنيا الى وضع الحوائل دون وصولها الى بساتين الفاكهة فيها ففازت في تحقيق غرضها

وخوفاً من ان تتصل ببساتين فلوريدا عُهد الى وزارة الزراعة الاميركية في المراقبة الشديدة لمنعها واصبح هذا العمل واجباً وطنيًّا في نظر الاميركيين . الاَّ ان هذه الذبابة كانت قد وصلت الى جزائر برميودا وهي الى الشرق من شاطئ الولايات المتحدة الشرقي في اواسط القرن الماضي ولكن حكومة هذه الجزائر لم تسع سعياً مّا لمكافحتها والمرجح ان وصولها الى فلوريدا كان عن طريق بعض المهرَّبات من جزائر برميودا

كيف كشف عنها في اميركا

اتفق ان جماعة من الاصحاب وبينهم عالم من علماء الحشرات يدعى غودرون كانوا مسافرين في ٧ ابريل الماضي بولاية فلوريدا فاشتروا سلاً من الليمون الهندي فلما فتح السل استغرب الدكتور غودرون ما رآه في الليمون الذي امامهُ من جفافٍ في لبهِ ووجود اقنية دقيقة متعرجة داخل قشرهِ فخطر لهُ ان ذبابة الفاكهة هي سبب ما شاهده فبعث في الحال امثلة من الليمون الذي شاهدهُ الى وزارة الزراعة بوشنطن لفحصهِ ولما علم رئيس قسم النباتات في ولاية فلوريدا بذلك اسرع الى جمع امثلة من الذباب الذي يكثر في بساتين الليمون وارسلها بالبريد الجوي الى وشنطن فتأكد علماء وزارة الزراعة ان الذبابة هي ذبابة الفاكهة الخطرة. وللحال دُقَّ في اطراف البلاد ناقوس الخطر واتخذت الاحتياطات اللازمة لحصر المنطقة التي ظهرت فيها بوادر الوباء . ولكن مقادير كبيرة من الفاكهة كانت قد ارسلت من هذه المنطقة الى جميع اطراف البلاد بالسكة الحديدة وبسيارات النقل والسيارات الخاصة . فلما تناول العلماء الفاكهة التي لا تزال على الاشجار وجدوها كلها مصابة ووجدوا كذلك الفاكهة المطروحة

على الارض مرتعاً اتخذه الذبان لالقاء بيضهِ فيهِ فمنعت الحكومة في الحال اخراج الفاكهة من هذه المنطقة . ولم تنقض ساعات على تثبت الحكومة من وجود هذه الذبابة في فلوريدا وخروجها منها مع احمال الفاكهة الى غيرها من الولايات حتى ارسلت الرسائل البرقية الى وكلاء وزارة الزراعة في كل الولايات للبحث الدقيق عنها في البساتين وحصرها. فوردت انباء تشير الى ظهورها في ولايات اوهايو ولوزيانا ونيويورك ونورث كارولينا وتنيسي . ولما كان من المتعذر حصر البلدان التي ذهبت اليها احمال الفاكهة من فلوريدا فقد تنقضي سنة قبلما تتمكن الحكومة من معرفة كل الاماكن المصابة الآن بهذه الآفة الفتاكة . وقد اجمع العلماء على امتداح اليقظة التي ابدتها الحكومة الاميركية وسرعتها في اتخاذ التدابير لمكافحة الوباء

طرق مكافحتها

انحصرت المكافحة اولاً في المنطقة الموبوءة فحفرت الخنادق وطمرت فيها الاثمار والخضراوات المصابة التي الق فيها الذباب بيضهُ وغطيت بطبقة كثيفة من الجير والماء ثم بالزيت الحامي ووضع فوق كل ذلك غطاء من التراب عمقه ثلاث اقدام . ولكن الاثمار التي كانت تسقط على الارض مصابة بهذه الآفة كانت اكثر مما تتسع له الخنادق على سرعة حفرها . وكان الهواء حافلاً بملايين من الذباب الذي اخذ يبحث عن مرتع آخر له لالقاء بيضهِ فيه بعد ما منع عن الاثمار التي كانت تطمر في الخنادق . كان الخطر محدقاً والزمن قصيراً والعلم ليس لديه وسيلة لمعالجة الحالة معالجة شاملة. فاشارت وزارة الزراعة باستعمال مادة حلوة فيها سمٌّ فتجذب الذباب اليها حلاوتها فيأكلها فيموت. وكانت هذه الطريقة قد استعملت في جنوب اميركا ونجحت الى حد بعيد. وكانت المادة المستعملة نوعاً من الدبس تمزج بهِ مادة زرنيخية وترش على الاشجار وعلى الاثمار الملقاة على الارض

واستعمل سيانيد البوتاسيوم المسحوق لتدخن بهِ الاشجار . ثم نشرت على الارض ملاءات تغطيها فكان الذباب اذا استنشق الدخان يقع على الملاءات مغمياً عليهِ فيجمع ويحرق. وهكذا ترى ان المنطقة الموبوءة بذبابة الفاكهة اصبحت شبيهة بميدان من ميادين الحرب الكبرى — غمامات الدخان السام ترتفع في جوها وتدفع بين اشجارها ومئات السود يؤلفون فرقاً فرقاً للقيام بحفر الخنادق وجمع الفاكهة وحرقها وطوائف من كشافة العلم متفرقة هنا وهناك للبحث عن المناطق المجاورة التي اتصل بها اثر هذه الافة. ومن وراء هؤلاء كلهم جماعة العلماء بطبائع الحشرات وكأنهم القواد في الحرب لا ينون عن ابتداع الخطط للهجوم ولا تأخذ عيونهم سنة الكرى. ومع كل ذلك خسرت بساتين فلوريدا ما قيمتهُ ثلاثة ملايين جنيه في ثلاثة اشهر فقط اما ما خسرتهُ سائر البلدان مدى قرن او بعض قرن فيفوق الحصر والتقدير

ومن المعروف لدى العلماء ان من الوسائل الفعّالة لمكافحة الآفات الحشرية اختيار حشرة تلتهم الحشرة التي يراد مكافحتها واطلاقها في البساتين التي تعيث تلك فساداً فيها . على ان في هذه الوسيلة خطراً كبيراً او تعرضاً لخطر كبير . ذلك ان الحشرة التي يؤتى بها للفتك بذباب الفاكهة مثلاً قد تنقلب عاداتها الغذائية فبدلاً من ان تلتهم الذباب تتحالف معهُ على التهام الفاكهة فيستفحل امرها وتتعذر مكافحة النوعين معاً . ثم ان الحشرة الجديدة لن تستطيع ان تهلك آخر ذبابة لأنها تنقرض قبل ذلك لقلّة الغذاء الذي تغتذي بهِ . فتعود الذبابات القليلة التي لم تنقرض الى التوليد والتكاثر

وفعل الذبابة يكون على اشده قبلما تبلغ الذبابة اشدها اى حين تكون دودة شرهة تلتهم كلما تقع عليهِ في طريقها. فان انثى الذبابة تخترق قشور الثمار او الخضراوات الناضجة او التي قاربت النضوج وتدسُّ تحتها بيضها. والذبابة الواحدة تستطيع ان تبيض اكثر من ٦٠٠ بيضة الى ٨٠٠ بيضة في اثناء حياتها . والجو الحار يطيل حياتها فيكثر ما تبيضهُ ويشتد بذلك خطرها على الثمار. فقد عرف ذباب عاش حتى تجاوز عمرهُ سبعة شهور

ومتى نقف البيض داخل القشرة تأخذ الدودة في امتصاص عصير الثمرة فتنقر امامها طريقاً لها وهذا منشأ الاقنية المتعرجة التي تشاهد في داخل الثمرة المصابة. ويسهل القضاء على الدودة في هذا الدور بأخذ الثمار المصابة وحرقها. وبعدما تقضي الدودة داخل الثمرة اثنى عشر يوماً تشق طريقها الى الخارج وحجمها لا يزيد على حجم حبة حنطه فتقع على الارض وتمكث في التراب على عمق ثلاث بوصات احيانا الى ان تصير ذبابة طائرة. ومن اكبر الحوائل دون مكافحة هذه الحشرات مكافحة ناجحة سرعة اختفائها في التراب . فلا يكتفى حينئذٍ بجمع الثمار المصابة المطروحة على الارض وحرقها بل يجب معالجة التربة نفسها بالغاز السام او بالجير الحارق حتى يتلف كل الدود الذي فيها قبل ان يصير ذباباً . ومتى انتقلت الدودة الى دور الفراشة وصارت ذبابة تبدأ الدورة من جديد فتخترق قشر الثمر وتدسُّ بيضها تحتهُ . والثمار التي تفضلها الذبابة على غيرها هي الليمون الهندي والخوخ (الدراقن) والبرتقال والمانجو والكمثرى والكرز والتفاح والطماطم وغيرها وهي تفضل الثمرة الناضجة او القريبة النضوج على الثمار الفجة . اما الثمار التي قشرتها قاسية كالبطيخ والاناناس فليست عرضة لفتكها . ولما كانت النزعة في مصر الآن متجهة الى الاكثار من بساتين الفاكهة فواجبٌ على وزارة الزراعة والجمعية الزراعية الملكية والنقابة الزراعية ان تتدبر هذا الموضوع حتى لا يكون غرس اشجار الفاكهة وسيلة لزيادة انتشار هذا النوع من الذباب بزيادة الغذاء الذي يغتذي بهِ وقد علمنا ان وزارة الزراعة تكافح هذه الحشرة مجاناً فجدير بالزرّاع التنبه الى هذا الامر الخطير

باب شؤون المرأة
وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الزواج والفحص الطبي

ننشر هذا الفصل على ذكر التعليمات التي بعثت بها مصلحة الصحة الى المأذونين الشرعيين تطلب اليهم فيها تشديد العناية بالشهادات الطبية قبل منحهم الاذن بالزواج . فهذا عمل عمراني جليل ويجب التشدد كل التشدد في تطبيقه

هذه مقالة صريحة في موضوع عمراني حيويّ ولا بدَّ من مواجهة الحقائق في مثل هذه المواضيع . فكثيرون من الوالدين يرفضون أن يزوجوا بناتهم من رجال ادمنوا المسكرات مثلاً ولكن التقاليد المرعية تمنعهم أن يسألوا هل طالب الزواج مصاب بمرض خبيث معدٍ . لذلك آثرنا نقل هذه المقالة المفيدة عن مجلة الدسكفوري العلمية

ان الأحوال التي يطلب فيها من الشاب أن يفحص جسمهُ فحصاً طبيًّا دقيقاً وليحصل على شهادة طبية رسمية قليلة جدًّا أشهرها حين التأمين على حياته في شركة من شركات التأمين الكبرى فيفحصهُ حينئذٍ أحد اطباء الشركة . كذلك تطلب الحكومة مثل هذا الفحص ممن يطلب الانضمام الى مصلحة من مصالحها . وهذا هو عمل القومسيون الطبي هنا . وفي بعض البلدان التجارية تطلب الشركات التجارية ذلك ممن يطلب الانضمام الى مكتب من مكاتبها البعيدة . وفي كل هذه الأحوال لا يحسب طلب الشهادة الطبية أو الفحص الطبي اهانة أو أمراً غريباً

وعلى الضدّ من ذلك نشاهد قلة الاهتمام بزواج فتيان هذا العصر وفتياته من الوجه الصحي . فشركات التأمين لا ترضى ان تتعرض للتأمين على حياة رجل نخر في عظمه سوس

المرض والحكومات والشركات التجارية تطالب شهادة صحية لتؤمن على مصالحها إذ تعلم ان من يتولى السهر على تلك المصالح كفوء من الوجه الصحي . ولكن ما أكثر الرجال الذين تراهم مستعدين للتضحية بسعادتهم مدى الحياة لأنهم لم يهتموا بفحص صحتهم فحصاً طبياً دقيقاً والتأكد من أنهم صالحون للزواج

فمن الواجب أن تتخذ خطة جديدة في أمر الزواج . وكل الذين على اهبته سواء كانوا رجالاً أو نساء وكل الآباء يجب أن يطالبوا بحق لهم وهو الوقوف على حالة طالب الزواج الصحية وهل هو سليم من الامراض المعدية على اختلافها . فما من شاب يجرب أن يخفي عن حميه حالته المالية مع ان الأسئلة التي توجه اليه في هذا الموضوع تحسب مخالة باللياقة ولكن الأمور الصحية أهم بما لا يقاس من الأمور المالية

كثيرون لا يعيرون علم « اصلاح النسل » Eugenics اقل عناية لأنهم يرون ان قواعده التي تقضي بأن يكون المتزوجون من مستوى واحد في العقل والجسم والطبقة الاجتماعية وان عاطفة الحب الجنسي يجب ألاّ تكون الدليل الى الزواج وغير ذلك من الامور التي لا يقبل بها العمران الآن. لكن لماذا نختلف على الأسماء والمسألة المهمة بسيطة جداً وهي ان علم الطب ارتقى ارتقاء كبيراً وأصبح الطبيب البارع قادراً ان يشخص الأمراض المعدية بدقة تامة. وكثيرون من المصابين بهذه الأمراض لا يدرون انهم مصابون بها . لذلك يجب ان ينشأ رأي عام يقضي بفحصهم واذا كانوا مصابين يجب ألاّ يتزوجوا ما زالوا كذلك

فعلى والد كل فتاة أن يعرف هل زوجها العتيد مصاب بالسل مثلاً أو بمرض زهري. وتلك المعرفة في مصلحة ابنته وهي مما يسهل الحصول عليه

مكروب السل معروف شكله وكل بكتريولوجي يستطيع البتّ في هل هو في بصاق أحد أو لا . فاذا كان موجوداً فصاحب ذلك البصاق يجب ألاّ يتزوج لأنه اذا تزوج أعدى امرأته وأولاده ايضاً . والحوادث التي تؤيد هذا القول كثيرة

كذلك امتحان الدم يظهر بصورة لا تقبل الشك هل صاحب الدم مصاب بمرض زهري . ولا شك أن القارىء يستطيع ان يعدّد الامثلة التي هدمت فيها سعادة عائلة اتصل مكروب احد هذه الأمراض الخبيثة الى افرادها لأن الوالد لم يهتم بفحص جسمه قبل اقدامه على الزواج

فالواجب يقضي إذاً على كل رجل شريف ان يكون على بينة من حالته الصحية قبل ان يقدم على الزواج . ولكن كثيرين من الرجال يصابون بمرض خبيث معدٍ ولا

يدرون . لذلك يقع الواجب على والد الفتاة بأن ينبه صهره العتيد الى ذلك الأمر وان لا يكتفي بعد ذلك الاَّ بشهادة طبية رسمية . وذلك لا يعني انهُ في حالة الاصابة يمنع عقد الزواج بين شاب وفتاة قد تحابا بل يؤجل الزواج ما زال احدهما مصاباً وعلى المصاب ان يتعالج حتى ينال الشفاء التام وهذا ليس بالأمر المستحيل على الطب في هذا العصر

وهنالك مسألة الأمراض العقلية الموروثة وهي معقدة لا يسهل البتَّ فيها كالسل وغيره . فقد تعلم فتاة ان خطيبها من والدين ماتا في بيمارستان المجانين وترفض الانفصال عنهُ وقد تكون في ذلك على حق ولكن خير لها ان تعرف ذلك قبل ان تعلن عزمها النهائي فان كون والديهِ مجنونين لا يستلزم انتقال الجنون اليهِ وهذا تشارلس لام احد كبار الكتَّاب عند الانكليز كان ابن معتوهين وأخاً لمعتوهٍ

كذلك قد يظهر الفحص الطبي ضعفاً في القلب وقد يصاب صاحب القلب الضعيف بما يقعدهُ عن العمل كل حياتهِ . فيقول قائل ان زواجاً أُبطل لهذا السبب يكون ابطالهُ مدعاة للخجل فنقول ان الاهتمام بمثل هذه المسألة يوازي الاهتمام بمسألة ثروة الخطيب على الأقل

لم نذكر حتى الآن فوائد فحص المرأة فحصاً طبياً قبل زواجها لأن الرجل في الأسرة عليهِ المعوَّل في اعالتها ولذلك يجب ان نعير صحتهُ التفاتاً كبيراً

لكنَّ على المرأة ان تعرف بعض الحقائق عن حالتها الصحية لئلا يكون زواجها مجلبة للتعس والألم والشقاء . فبعض النساء تعسر عليهنَّ الولادة لسبب في تكوين اعضاء الولادة . وهناك بعض الأمراض الوراثية التي لا تنتقل الاَّ بالنساء اشهرها النزف الدموي ولكنهُ نادر جدًّا لا يهمنا بحثهُ هنا

فالحاجة اذاً جلية غاية الجلاء وقد يأتي يوم يصبح الزواج المنعقد بين اثنين احدهما مصاب بمرض معدٍ جريمةً يعاقب عليها . والوالد الذي يهمل البحث عن صحة صهرهِ العتيد باخلاص مسؤول لدى ابنتهِ التي يحق لها ان تعتمد عليهِ في ذلك

العناية بالاطفال

صحة الطفل اساس المدنية

كريم — سمعتك تقول مرةً ان اساس المدنية قائم او يجب ان يكون قائماً على صحة الطفل وان ما تبذله الحكومات والجماعات والعلماء من مجهود في سبيل تحسينها وازدياد نضارتها انما هو في الواقع تحسين في مظاهر المدنية وتثبيت لدعائمها واني اقرُّك على هذا الرأي واعتقد بصوابهِ ولكني أنكر بشدة مذهب القضاء والقدر الذي لا يزال مع الاسف

عقيدةً اصيلة في نفوس معظم الامهات ممّا يبرهن على أن هذا المجهود من الحكومات والجماعات والاطباء العلماء ضئيل يحتاج الى التوسع فيه ومضاعفة الأيدي العاملة على إذاعة مراميه من غير هوادة أو تردد

الدكتور — اما عقيدة القضاء والقدر فالافضل ألاَّ نذكرها في حديثنا لا بقليل ولا بكثير لقلقلة اصولها بنشر المعارف وتعليم الوالدات كيف يربّين اولادهن تربيةً صحيحة الاساس سليمة من شوائب العادات السخيفة والعقائد الواهية

كريم — حسناً واذا خرجنا بممدوح الى النزهة فما هي الاحتياطات التي يجب اتخاذها ؟

الدكتور — ان لا تعرّضهُ للهواء العاصف وان تكون قدماه مغطيتين وان لا يقع على عينيه نور الشمس في حالتَيْ اليقظة والنوم

كريم — ما هي الفوائد التي يجنيها ممدوح من النزهة ؟

الدكتور — انت تعلم ان الهواء النقي لا يوجد الاَّ في الخلاء وهو ضروري لصحة الجسم وتنقية الدم وتنشيط دورتهِ وحاجة الجسم اليهِ مثل حاجتهِ الى الغذاء سواء بسواء

كريم — ما هي النتيجة التي تظهر على الاطفال اذا تعرضوا للهواء الطلق ؟

الدكتور — تتحسّن قابليتهم للاكل وينتظم عمل الهضم وتتورد خدودهم

كريم — هل ثمة فائدة ما في ان يُعرّض الطفل للهواء كما تقدم ذكره محمولاً على ذراعَيْ المربّية وهو لا يزال دون الستة الاشهر من العمر ؟

الدكتور — كلاّ يفضّل كثيراً ان تتمّ له هذه النزهة وهو مسطح في عربية اليد متدثر غير معرّضٍ للبرد وعصف الهواء

كريم — اهناك ما يمنع ان ينام الطفل وهو في النزهة ؟

الدكتور — كلاّ فان الطفل وهو نائم ليس باكثر تعرّضٍ للبرد منه وهو مستيقظ وترى الاطفال الذين ينامون في أثناء هذه التنزه اسلم بنيةٍ واقل استعداداً للزكام وغير الزكام من الذين لا يخرجون الى النزهة ولا يتسنّى لهم النوم في الخلاء

كريم — ماذا يصنع للاطفال الذين يصابون بالزكام بسهولةٍ اوكيف نقيهم من هذا الداء ؟

الدكتور — يجب ان يتربّوا على نظام صحي وان لا يلبسوا الثياب الثقيلة وان يناموا في غُرف حرارتها معتدلة كما تقدّم ذكره

وزن الطفل

ثم التفت الى السيدة وطلب منها ان تقف على الميزان وحدها ثم هي وطفلها وبعد ان قيّد ثقل جسم الطفل وكتب له الدواء وزوّد والدته بالتعليمات قال لكريم : لا شك ان

الازدياد الى ان يبلغ الطفل ستة اشهر من العمر وثمَّ يقل ازدياد وزنه الى ٦٠–١٢٠ غراماً كل اسبوع حتى آخر العام الاول

كريم — هل ازدياد وزن الطفل الذي يتغذَّى من اللبن الاصطناعي معادل لازدياد وزن الطفل الذي ينشأ على رضاع الثدي ؟

الدكتور — قلما يكون ذلك في الشهر الاول واما بعده فقد يصبح ازدياد وزن الاول مطرداً واذا حصلت له العناية التامة ازداد نموه عند انتهاء العام الاول عن نمو الثاني الذي ينقص وزنه بسبب الفطام في ذلك الوقت

كريم — لماذا لا يزداد وزن الطفل في الاسبوع الاول بعد ولادته ؟

الدكتور — لان معدتهُ بحاجة الى وقت ما قبل ان تألف لبن البقر وتسيغ هضمه ولا يلزمها في البدء الاَّ القليل منه فقط كي لا يسوء هضمها ويختل نظام سيرها

وفيما يلي جدول يبين معدل نمو الاطفال عند الولادة الى السنة الخامسة :—

عند الولادة يتراوح الوزن من ٧ الى ٩ ليبرا . والطول من ٢٠ الى ٢١ بوصة ودائرة الصدر من ١٣ الى ١٣½ بوصة ودائرة الرأس من ١٣½ الى ١٤ بوصة

وفي السنة الاولى يتراوح الوزن من ٢٠ الى ٢٣ ليبرا والطول من ٢٨½ الى ٣١ بوصة ودائرة الصدر من ١٨ الى ١٩½ بوصة ودائرة الرأس من ١٨¼ الى ١٩ بوصة

وفي السنة الثانية يتراوح الوزن من ٢٥ الى ٢٩¾ ليبرا والطول من ٣٢½ الى ٣٦ بوصة ودائرة الصدر من ١٩ الى ٢٠ بوصه ودائرة الرأس من ١٩ الى ١٩½

وفي السنة الثالثة يتراوح الوزن من ٣٠ الى ٣٥ ليبرا والطول من ٣٦ الى ٣٩½ بوصة ودائرة الصدر من ١٩½ الى ٢١½ بوصة ودائرة الرأس من ١٩½ الى ٢٠ بوصة

وفي السنة الرابعة يتراوح الوزن من ٣٤ الى ٣٩½ ليبرا والطول من ٣٩ الى ٤٢½ بوصة ودائرة الصدر من ٢٠ الى ٢٢ بوصة ودائرة الرأس ١٩¾ الى ٢٠¼ بوصة

وفي السنة الخامسة يتراوح الوزن من ٣٨ الى ٤٤ ليبرا والطول من ٤١½ الى ٤٥ بوصة ودائرة الصدر من ٢٠½ الى ٢٢½ بوصة ودائرة الرأس من ٢٠ الى ٢٠½ بوصة .

وقد ظهر ان معدل وزن الاناث يقل عن معدل وزن الذكور بنصف ليبرا واما طولهنَّ فيقل عن طولهم بمقدار يتراوح حسب الاعمار بين ¼ و ½ بوصة .

كريم — اذا كان وزن الطفل عند الولادة ٧½ ليبرا فاذا يجب ان يكون في خلال العام الاول؟

الدكتور — يجب ان يكون من ١٢ — ١٣ ليبرا عند بلوغه الستة اشهر ومن ١٨ — ١٩ ليبرا عند بلوغه التسعة اشهر . وبوجه الاجمال يمكننا ان نقول ان وزن الطفل الصحيح

هذه خير الطرق للتثبت من صحة الطفل وحقيقة سيرها

كريم — وهل لوزن الطفل شأن يعدو عن معرفة كم رطل او كيلو يزن جسمه ؟

الدكتور — لا ريب ان وزن الطفل له شأن لا يقف عند هذا الحد بل يتعدّاه فيستدل منهُ على صحة الطفل ونموّه ويحسن بكل والدة ان تعنى بوزن طفلها في سنتهِ الاولى وان تحفظ سجلاً خاصًا تدوّن بهِ وزنهُ ومن مراجعتها هذه السجل وما دون فيها من ارقام تقف على حالة ولدها الصحية وعلى مقدار تدرّجه مدارج النمو

كريم — كم مرة يجب ان يوزن الطفل ؟

الدكتور — مرّةً كل اسبوع في خلال الستة اشهر الاولى ومرة كل اسبوعين في الستة اشهر الثانية ومرة كل شهر بعد ان يتجاوز العام الاول

كريم — ما هو معدل ازدياد وزن الطفل في سنته الاولى ؟

الدكتور — ينقص وزنه غالباً في الاسبوع الاول ويتراوح هذا النقص بين ١٢٠ و٢٤٠ غراماً وامّا بعد ذلك فيزداد زيادةً تتراوح بين ١٢٠ و ٢٤٠ غراماً ايضاً ويدوم هذا الجسم السليم البنية يصبح في الخمسة أشهر الاولى ضُعفَي ماكان عليه عند الولادة وثلاثة اضعافه عند انتهاء العام الاول .

كريم — هل يزداد وزن الاطفال الاصحاء ازدياداً منتظماً في السنة الاولى ؟

الدكتور — يكون ازدياد وزنهم منتظماً في الغالب إلاَّ في بضعة أسابيع بين الشهر السابع والعاشر حينما يطل بالمرة ويكون ذلك عند بدء ظهور الاسنان او في الايام الشديدة القيظ .

كريم — هل يدل الازدياد السريع في الوزن على صحة جيدة ونموٍّ منتظم ؟

الدكتور — كلا فقد يزداد وزن الاطفال الذين يُغذّون اللبن الصناعي مثلاً دون ان يزدادوا قوة وعافية وذلك لاسباب أذكرها فيما بعد

كريم — هل يدل وزن الطفل في السنة الثانية على حالته الصحية كما يدل عليها في السنة الاولى؟

الدكتور — لا يكون ازدياد وزنه منتظماً بعد السنة الاولى وعدم انتظامه راجع الى اسباب معلومة تتعلق بفصول السنة والى اسباب لا تزال مجهولة

كريم — متى يجب ان يكون اليافوخ متلاصقاً ؟

الدكتور : يحدث ذلك غالباً في الشهر الثامن عشر ونادراً قبل الشهر الثالث عشر او الرابع عشر واما في الاطفال الاصحاء فقبل بلوغهم العام الثاني

الدكتور شخاشيري

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

محبة دمشق

وصلتنا هذه القصيدة العامرة مع خطبة تاريخية نفيسة موضوعها « الرازي » بعد ما طبعت اكثر ملازم المقتطف فرأينا ان تثبت القصيدة هنا مرجئين نشر الخطبة الى الجزء الثاني

أأليك ام لله كان مآبي ... دار العلوم وكعبة الآداب
أأليك ام لله كان مآبي ... امّ المشارق منزل الاحباب
بك زُجَّ بولس في السجون لعهد — حارثك الكبير وفرَّ بعد عذاب
واليكِ ساق ابو عبيدة فيلقاً ... للفتح فيه خلّص الاعرابِ
فلآل عيسى فيك ذكرى ذكرها ... حيٌّ مداه نهاية الاحقابِ
ولآل احمد انت غرة فتحهم ... من عهد نجمة قطبه الخطّاب
الامتان فداك ان نفذ القضا ... بمكاره كلحِ الوجوه صعابِ
اخلاص كلٍّ منهما لك كافل ... وجد الكنيسة فيك والمحراب

***

لله غوطتك الفريدة انها ... شتى الجمالِ وقصد كل طلابِ
وشيِ الزمرّد في اعالي نبتها ... يمتدُّ فوق اباطح وهضاب
ونثيرُ ياقوت الثمار اصوله ... تسقى بفيضِ لجينها الذوّابِ
بردى ومن يذكر عصابة جلق ... يذكر بني صبابة انجاب
بردى يصفق منذ حسّان ومن ... ينزل به ينزل على الترحاب

بردى امية انشأت في ارضه للعرب عرشاً مسبطرَّ جناب
والفخر والامجاد في شرفاته والدهر بعض عبيده بالباب
غنى ابن عائشة وانشدَ معبد فيه بذكر بثينة ورباب
دالوا. ليذكر كل ذي لبث بان المجدَ ليس بقينةٍ ورباب

***

ما غيبوا في الشرق حتى اطلعوا في الغربِ ما لا يبتلى بغيابِ
عصر المعارف والفنون ولامع — الآثار والتأليف والآدابِ
لله آثار هناك مجيدة بل اي انقاضٍ واي خرابِ
لتكاد تستمع ابن رشدٍ مفتياً فيها امام جماعة الطلابِ
وتكاد تستمع ابن زهرٍ شافياً يحدو اليه العيس كلُّ مصابِ
وترى ابا العباس في مسباره عين البصير واصبع المرتابِ
وتكاد تسمع في زواياها صدى انشاد واحد عصره زريابِ
زرياب فاتن ارضها وسمائها شيخ الصناعة سيّد الاطرابِ
وتكاد تستمع ابن بيطار ده——ين دمشق يروي قصة الاعشابِ

***

ارثا امية معرض بكليهما يدعو الى الاكبار والاعجابِ
قد اثبتا صدق الوداد وجددا بين البنين وشائج الانسابِ
سمعاً امية اندلوس وشاهدوا في الشرق ما يقضي بكل عجابِ
عادت نضارة ملككم بمعارفٍ قد جددت للعلم اي شهابِ
بعثت نضارة ملككم بصناعةٍ قد جددت للعصر ايَّ اهابِ
في عرضِ معرضها نفائس جمّةٍ اخاذة بمجامع الالبابِ
يهتزُّ فوق حريرها متامعاً موج وما هو فيه غير سرابِ
ان المعارف ركن كل تمدنٍ والسدُّ فيه دون كل تبابِ
ان الصناعة ركن كل تمدُّنٍ والسدُّ فيه دون كل يبابِ
ان تختلف احزابكم في مأزقٍ فعلى الصناعة كتلة الاحزابِ
او تفترق نوابكم في مشكلٍ فعلى المعارف وحدة النوابِ

***

أ أكابر الاعيان فتية جلّقٍ وافاضل الادباء والكتابِ

اوليتموني من جميل صنيعكم ما ليس يحصي حاسب بحسابِ
آثار جدّكم سناها ساطع ما بين باب بريدكم والجابي

***

لا زلت جلق نبت كل كريمةٍ للشام ركناً ثابت الاسباب
وكفاك فخراً اذ نزيلك يوسف وثراك فيه مدفن الفارابي

الدكتور
لوريا كلية الطب باريس يوسف فرج حرز

من المصيب

للاستاذ بندلي جوزي

لا يسعني الا ان أشكر للكاتب عبد اللطيف الطيباوي صاحب الردّ على بعض افكار ابديتها في مقالتي الاولى عن الخراج والجزية في الاسلام حسن ادبه ولطف عبارته ووقوفه في ردّه عند النقد العلمي وامساكه « عن القراءة في القلوب » وسوء الظن الى غير ذلك مما لا علاقة له بالنقد العلمي الصحيح. واني اوكد لحضرته باني لا اقصد من كل ما اكتبه الا الحقيقة على قدر ما تتكشف لي وتساعدني معارفي وحالة العلم على ادراكها . واني اكره الجدل الباطل ولا اتعامى عن الحقيقة ان بدت لي في ابحاث غيري وليس لدي من الوقت ما اصرفه في سبيلهِ وهذا سبب امساكي عن الرد على اكثر ما نشرته مجلاتنا من النقد او التقريظ السطحي لكتابي « من تاريخ الحركات الاشتراكية في الاسلام » وهذا ايضاً ما يدفعني الآن الى الرد على بعض اعتراضات الكاتب المذكور

ليسمح لي الكاتب الفاضل قبل ان انظر في اعتراضه الجوهري الوحيد ان أُلفت نظره الى بعض نقط ثانوية خارجة عن الموضوع الخلافي بيننا وبعيدة عن الحقيقة . من ذلك انهُ ينسب الي التطرّف في التفسير للتاريخ الاقتصادي وهذا غير صحيح والاّ لحصرت كل اسباب سقوط الدولة العربية في سوء سياستها الاقتصادية. وانما قلت ان هذه السياسة كانت «من اعظم اسباب سقوطها » وفي ذلك تنبيه الى ان لهذا السقوط عوامل اخرى لم تكن بي حاجة الى ذكرها . وهنا يجدر بي ان اقول لحضرة المنتقد ان التفسير الاقتصادي للتاريخ هو اليوم التفسير الشائع في كل العالم المتمدن وبين العلماء على الاخص

ومنها قوله بعد ان اورد عبارتي عن فحوى القرآن « بان الشطر الاول ليس بالجديد

عند الواقفين على آراء المستشرقين » وهو ايضاً غير صحيح لان اكثر المستشرقين على خلاف ذلك أي انهم ينظرون الى القرآن نظرهم الى كتاب احكام وسنن مفصّلة — وانا اعدّه — الا بضع سور منه — كتاب مبادىء واصول عامة وفي ذلك من الدفاع عن روح القرآن ومقامه ما لو فكر فيه حضرة المنتقد لما قال ان في عبارتي « من الغلوّ والبعد عن البحث العلمي المدعوم بالبراهين ما يجعلها غير جديرة بالمناقشة »

***

ومنها سؤاله كيف جوّزت لنفسي ان اقول ان «النبي العربي لم يفكر قط في بناء مملكة ضخمة» الخ وان اجزم جزماً باتّاً في معضلة خطيرة مثل هذه دون بحث او مناقشة » وجوابي على ذلك اني لم اذكر هذا الموضوع الا عرضاً في مقدمة مقالتي لانه بعيد جدًّا عن مضمون المقالة كما لا يخفى على القارىء ولم يكن بي حاجة الى الخوض فيه وايراد آراء العلماء لان في ذلك خروجاً عن موضوع بحثي ولا لي الآن رغبة في ذلك لاني اخشى ان لا نتفاهم مع صاحب الردّ فانا احاول ان ابني الحوادث التاريخية على نواميس طبيعية يقبلها العقل وحضرته يميل الى الما وراء الطبيعي كما يؤخذ من بعض عباراته . وليسمح لي ان احيله اذا احب التوسّع في هذا الموضوع والوقوف على آراء اشهر المستشرقين فيه الى مؤلفات الامير كايتاني *Annali de Islam 725* والاساتذة *Grimm* « محمد »(جزء اول) و*Wellhausen* « الدولة العربية وسقوطها » و*Goldziher* « ابحاث اسلامية » (ج اول ص ٧٣ —) و*Lammens* « معاوية » (ص ٤٣٤ —) وغيرهم. وليعذرني ان اقصر كلامي على بعض ملاحظات تتعلق باسلوب البحث اكثر منها بموضوعه

قال صاحب الردّ « ولعله (الضمير يرجع اليّ) تابع في ذلك السير *W. Muir* والبرنس *Caetanre* — وهنا ذكر آراء الكاتبين المذكورين (لكنه لم يذكر اسما كتبهما ولا صفحاتها) وختم عبارته بقوله « فاذا كان الاستاذ قد جاراهما في هذا الزعم او انه توصل الى النتيجة ذاتها بنفسه فمن الواجب العلمي ان يذكر ازاء هذا الرأي عدة آراء تناقضه فذكر على سبيل المثال منها آراء الدكتور غولدزير والسير ارنولد » فاقول لحضرته اني اعتدت اذا اقتبست رأياً او عبارة ان اذكر مصدرها بالتدقيق كما يرى القارىء في جميع كتبي ومقالاتي العلمية وانه ليسرني جدًّا ان فكري الذي يعترض عليه حضرة عبد اللطيف الطيباوي جاء موافقاً لآراء الكتبة المذكورين آنفاً وبينهم غولدزير ايضاً الذي لا اعلم لماذا استثناه حضرة المنتقد من جملة علماء الفرقة الاولى الذين ينكرون على النبي العربي رغبته او تفكيره في بناء مملكة واسعة الاطراف تشمل العالم القديم المعروف فقد ذكر العالم الاخير في كتابه *Muhammed*

Studien (ج ١ ص ٧٣ ٧٤) وكتاب آخر « قرا آت في الاسلام » ص ٣٤ من الترجمة الروسية الباب الثاني ان الفكر الذي يدافع السيد الطيباوي اختلقه الاعاجم او على الاقل بالغوا فيه وساعدوا على نشره بين الناس ليساووا بينهم وبين العرب وقد تناولته الشعوبية ايضاً واعتمد عليه في مقاومتها للعصبية العربية وسيادة العرب المطلقة. امَّا **T. W. Arnold** فانني لم اقرأ له شيئاً ولا ارشدني صاحب الرد الى كتاب له معلوم لاطالعه ولا هو ذكر صفحات الكتاب . . .

***

وبعد هذا التمهيد وبعد ان حذَّرني من سوء عاقبة التناسي ونبَّه الى ان باب البحث « مفتوح على مصراعيهِ لمن يود ان يدرس بانصاف وتجرد عن كل غرض » اخذ يبني اعتراضه الجوهري الوحيد على فكري المذكور ويؤيدهُ بالبراهين التاريخية وغيرها فقال : « وفي معتقدنا ان القرآن اصدق نص تاريخي يمكن الاعتماد عليهِ كل الاعتماد عند البحث في حياة الرسول » وهذا الاعتقاد هو اعتقادي ايضاً واعتقاد اكثر مشاهير المستشرقين في الوقت الحاضر . ولو وقف حضرة المنتقد عند القرآن وحده ولم يَعدُهُ الى الحديث الذي لم يعد احد اليوم يعتمد عليهِ — بعد ابحاث غولدزير ولامنس — عند البحث في حياة الرسول لكانت حجته اقوى لأن الحديث يناقض بعضه بعضاً وأكثرهُ كما هو معلوم موضوع لغايات جدلية او مذهبية ناهيك عن ان اكثر الأحاديث التي ذكرها حضرة صاحب الرّد هي من المرسل وأسانيدها ضعيفة او مشكوك فيها كأكثر الأحاديث التي تعزى الى الموالي وأبي هريرة وابن العباس

فاذا اهملنا هذا المصدر المشكوك فيهِ بقي لدينا القرآن والشواهد التاريخية والأول اهم في بيان افكار النبي والدلالة على ما كان يرمي اليهِ من الأغراض السياسية وغيرها. ومن يطالع الكتاب العزيز « بانصاف وتجرد عن كل غرض » ويمعن النظر في الآيات التي ذكرها صاحب الرد ويقابلها على غيرها ثم يراجع بعض التفاسير القديمة لا يسعهُ الآ ان يؤمّن على ما قلته في مقدمة مقالتي عرضاً من ان النبي لم يفكر قط في بناء مملكة واسعة كمملكة اسكندر والرومان الخ وان ابعد ما كان يرمي اليهِ ان تنتشر دعوته بين الأمة العربية وان تتوحّد هذه الأمة سياسيًّا ودينيًّا واداريًّا ولا يقدح في ذلك ما جاء في بعض الآيات من العبارات المعمّمة في الظاهر للدعوة كقولهِ « وما ارسلناك الآ كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن اكثر الناس لا يعلمون » او قوله « وما ارسلناك الآ رحمة للعالمين » لأن المراد هنا « بالعالمين » « وبالناس كافة » العرب فقط كما يظهر من

مقابلة هذه الآيات على غيرها من الآيات التي بيّن فيها النبي نظره الأساسي الى دعوته وهو انهُ بُعث للعرب خاصةً وان كتابه عربي مبين وان الله بعث ويبعث الى كل امة رسلاً وانبياء من بينها حتى لا تكون لها حجة يوم القيامة الى غير ذلك مما بسطناه في مقالة خصوصية في هذا الموضوع نشرناها سنة ١٩٠٧ باللغة الروسية

ولكن هب ان نظرية النبي هذه قد تطورت مع الزمن وتحت تأثير ما احرزه من النجاح وهو ما لا ينكرهُ اليوم احد وانهُ صار قبل وفاته يدعو « الناس كافة » الى الدخول في الاسلام افينتج يا ترى من هذا انهُ كان ينوي ايضاً ان يشيد مملكة ضخمة تضم بين اضلاعها العالم القديم كله و«ان نشر الدين . . كان يتلوه عادة ملك سياسي لا صلة مباشرة له بالدين » كما يحاول ان يقنعنا صاحب الرد؟ نعم قد يكون ذلك لو سلمنا ان الاسلام لم يكن لينتشر الاَّ بالجهاد وان دعوة النبي كانت قائمة عليهِ فقط وهو ما لا يقول بهِ اليوم احد من كتبة المسلمين حتى ولا صاحب الرد الذي أحس بغلطهِ فزاد على الجهاد « الموعظة الحسنة وغيرهامن ضروب الدعوة » ثم فسر كلمة جهاد بمعناها الاصلي لا معناها الاصطلاحي الفقهي كما يستفاد من عبارتهِ « ان النبي كان يرى من الواجب عليهِ كرسول امين لله ان يجاهد في سبيله لنشر الدين بين جميع الناس »

***

ان هذه الاعتبارات وان كثيراً غيرها مما لا يتسع المقام لذكرها تجعل آيات القرآن المذكورة غير حاسمة في موضوع الخلاف وكأني بصاحب الرد قد انتبه لذلك فعمد الى التاريخ آملاً ان يجد فيهِ ما يؤيد نظريته الا انهُ لم يوفق — كما يظهر لي — الى ذلك لان ما استشهد بهِ من الحوادث والاخبار التاريخية لا يفي بالغرض كما يرى لما يلي .

قال حضرتهُ « واما التاريخ فيثبت ما جاء بالقرآن والحديث فالاصول؟ العربية تجمع على ان النبي انفذ جيشاً تحت قيادة زيد بن حارثة الى مؤتة وهي تجمع كذلك على ان النبي قاد بنفسهِ جيشاً الى تبوك والظاهر ان الرسول كان يمهد السبيل لفتح عام لولا ان قبضهُ الله الى جواره » نعم ان هذه الاخبار صحيحة ونحن اول من آمن بها وصدّق الاَّ اننا لا نستطيع ان نستنتج منها ما استنتجهُ صاحب الرد لاننا نعلم علم اليقين انهُ لم تكن بين الغزوات المذكورة وبين الفتوحات العظيمة التي قام بها خلفاء النبي بعد وفاتهِ صلة مباشرة لان الغرض منها كما يقول كايتاني كان امّا النهب (غزوة مؤتة سنة ٨ هـ) واما الدفاع (غزوة تبوك سنة ٩ هـ واما الاثأر (غزوة اسامة سنة ١١ هـ) لا نشر الدين ولا «لتمهيد السبيل لفتح عام»

« كما يظهر » لصاحب الرد والا لو كان الغرض منها نشر الدين فقط او تمهيد السبيل لفتح عام لذكره المؤرخون واصحاب السير

***

واضعف من ذلك في الدلالة على صحة نظرية صاحب الرد برهانهُ التاريخي الثاني وهو قوله « ان النبي ارسل الى كسرى وقيصر والمقوقس والحارث امير غسَّان — ملوك العالم المعهود حينئذٍ وحكامهُ — يدعوهم فيها الى الاسلام » اذ المحقق اليوم عند مشاهير المستشرقين الذين طرقوا هذا الموضوع ان هذه الارساليات من وضع كتبة الدور الاول لخلافة بني العباس بدليل ما فيها من التناقض والاغلاط التاريخية والسياسية والعلمنفسية والمنطقية وغيرها مما يجده القارئ المستزيد في كتاب الامير كايتاني (ص ٧٢٥—٧٣٧ (والاستاذ **Grimm** المذكور سابقاً يؤيد ذلك ان ابن اسحاق صاحب اول واصدق سيرة للنبي لم يذكر هذه الارساليات كما يستفاد من كلام ابن هشام الذي غير وحذف ما شاءت اهواؤهُ من تأليف سلفهِ فانهُ لما ذكر الارساليات لم يستشهد بابن اسحاق كعادتهِ بل ساق الكلام عن نفسهِ وفوق ذلك فان الارساليات – ان سلَّمنا جدلاً ان النبي ارسلها عام ٦ للهجرة وهو في الحديبية اي قبل ان يوحد الامة العربية وينشر دعوته ولو في القسم الشمالي من الجزيرة وبعد ما لقيه من ابي سفيان والملأ المكي من الكيد والمقاومة وما اصابه وقتئذٍ من الفشل الذي اضطرمعهُ ان يعود الى المدينة ولم يقض واصحابه شعائر الحج – لا تدل الاَّ على شيء واحد وهو ان النبي اخذ من ذلك الوقت يفكر في نشر دينه بين الامم المجاورة لبلاده بالاقناع والموعظة الحسنة لا في جمع هذه الامم تحت لوائه الابيض وتشييد امبراطورية ضخمة كما يريد صاحب الرد . على اني ارجح مع المستشرق **Grimm** ان فكرة انشاء دين جديد عالمي « للانس والجن » لا تظهر الا في العصر الاول للهجرة اي بعد الفتوحات الكبيرة التي فتحها بنو امية . فان صح هذا الرأي او بالاحرى هذا الافتراض كان ظهور الدعوة الدينية تابعاً لظهور الامبراطورية العربية لا سابقاً لها او بعبارة اخرى ان الفتوحات الواسعة التي قام بها العرب في العصر الاول للاسلام هي التي اوحت هذه الفكرة لا ان الحروب . . . التي هب الخلفاء الى اثارتها على الامبراطوريتين القديمتين كانت من مظاهر هذه الدعوة » كما يرى صاحب الرد على اننا لانبت الآن في هذه المسألة تاركين البحث فيها الى فرصة اخرى اذا حملنا على ذلك

باكو — الاستاذ پ . جوزى

باب الزراعة والاقتصاد

بحث في التبغ وضرائبه

للامير مصطفى الشهابي
مدير الاملاك بدمشق

﴿زراعته في الشام﴾ ليس موضوعات هذه المحاضرة البحثُ في الارض الصالحة للتبغ وكيفية بذر بزوره في المنبت ونقلُ النبتات (الشتل) الى مستقرها وتهيئة التربة بالحرث والتسميد والبعدُ الذي يجب ان يترك بين النبات وكيف تزاد في النكوتين او تنقص اي يجعل التبغ ثقيلاً او خفيفاً وكيف يزداد الاحتراق في السيكارة او ينقص ثم كيف يجنى المحصول ومتى وكيف يجفف ويعالج حتى يختمر فأن هذه الأبحاث المهمة توجد في كتب الزراعة وقد ذكرتها بايجاز في « كتاب الزراعة العلمية الحديثة » والذي يهمنا الآن هو معرفة اقاليم الشام التي يزرع التبغ فيها وهل تجود في تلك الأقاليم الأصناف التي عرفت بلذة دخانها كالأصناف التركية واشباهها ام لا . فاقاليم الشام من حيث زراعة التبغ على قسمين قسم يمكن زرعه فيه بلا اسقاء وآخر لا ينمو التبغ فيه مالم يسق

فالقسم الأول يقتصر على سواحل الشام والأقاليم القريبة من الساحل كجبال النصيرية ولُبنان وفلسطين وجبل عجلون ذلك ان الامطار فيها غزيرة قلما ينقص ارتفاعها في السنة على ٥٠٠ مليمتر وقد يزيد الى ٨٠٠ في بعض السنين عدا ان الهواء يكون رطباً لقرب البحر كما تكون الأنداء كثيرة ولهذا يكون بالامكان زرع التبغ في البعل من الأرض حيث يجد ذلك النبات الماء الكافي لنموه . اما القسم الثاني فهو عبارة عن سائر انحاء الشام ومنها السهول الداخلية وهي اهم اقاليم الشام واعظمها شأناً فهنالك لا يوجد التبغ بلا اسقاء لقلة الأمطار وجفاف الهواء . واجود التبغ في بلاد الشام هو الذي يحصل في جبال النصيرية كالكليمي والناصوري والمهلوبي ويليه الدوراني في الباير والبوجاق وكرد طاغ والساحلي في اللاذقية واطرافها واللبناني والعربي في لبنان وفلسطين والأسود وابو ريحه في اللاذقية وفي كفر سوسة من قرى دمشق . ويقدر معدل محصول اللاذقية وجبال النصيرية بمليون كيلوغرام من ورق التبغ الجاف وكذا معدل المحصول في لبنان . والذين اعتادوا تدخين التبغ التركي

كتبغ البلقان والبافرة والسمصوني وينيجه واشباهها لاسيما اذا كان صافياً لم يغش بإضافة اصناف رديئة اليهِ يدركون على الفور الفرق الكبير بينهُ وبين اصناف التبغ الشامية. ذلك ان التبغ التركي يكون خفيفاً وذا لون اصفر ورائحة خصوصية دقيقة لاترى في معظم التبغ الذي يزرع في انحاء العالم . ولطالما تساءلنا مع كثير ممن يهتمون بهذه الأمور الاقتصادية عن الاسباب التي تمنع حصول تبغٍ جيد في بلاد الشام يضاهي التبغ التركي بجودته ولماذا لاينتج في بلادنا من بزور الأصناف البلقانية تبغ يساوي تبغ تلك البلاد في مقدار النيكوتين واللون والاحتراق والرائحة الزكية خاصة . ويجب ان نعترف بأن العلم لم يكشف بعدُ عن حقائق هذه الأسباب وكل ما يمكننا ان نقوله هو ان لبلاد البلقان وشمالي الروم جملة مزايا من حيث حرارةُ الجو وهطولُ الأمطار والرياحُ والرطوبةُ ونوعُ التربة تجعل التبغ الذي ينتج فيها ممتازاً يفوق مثيله في باقي البلدان. ومن الغريب اننا اذا اخذنا اصنافاً مختلفة من الحنطة مثلاً وزرعناها في شتى الأقاليم حيث تختلف الأحداث الجوية كل الاختلاف ثم عمدنا الى محصول كلٍ من هذه الأصناف فصنعنا منهُ خُبزاً فان طعم الخبز يكون واحداً تقريبا في الأصناف كلها ومن النادر جداً ان نجد شخصاً يتمكن من تفريق الأصناف بعضها عن بعض بسبب اختلاف طعم الخبز فقط . اما في التبغ فالأمر على عكس ذلك فأننا لو زرعنا بزوراً من صنف واحد ولكن في اقليمين مختلفين وتعهدنا نبات كل صنف بالعناية نفسها من حيث جعلُ بناء التربة واحداً وتهيئة الأرض والمسافةُ بين النبات والتسميدُ والأسقاء والعزق والجني ومعالجة الاوراق الى آخر ما هنالك من الأعمال الزراعية والصناعية فان المحصول لا يكون واحداً في خصائصهِ بل يكون لكل اقليم تبغ يختلف عن تبغ الأقليم الثاني بالرائحة واللون والاحتراق . وكل من يدخن يستطيع ان يفرق بسهولة تبغ الأقليم الأول عن تبغ الأقليم الثاني . ولهذه الأسباب تجد ان التبغ البلقاني والتركي لا يجود في بلاد الشام اي ان هذه البلاد ليست صالحة لأنتاج تبغ يضاهي بجودتهِ تبغ البلقان والروم لان عامل الجو والتربة ليس كفيلاً بذلك ومع هذا فان التبغ الذي تنميهُ تربتنا يمكن تجويده حتى يصير مقبولاً في الجملة ومتى اعتاد الأنسان تدخينه يستغني بهِ عن التبغ التركي

﴿ طرائق جباية رسومه ﴾ قلت ان الحكومات في انحاء العالم لما ايقنت بعدم الفائدة من اضطهادها المدخنين رأت ان من الحكمة السماح باستعمال التبغ على ان يكون من وراء ذلك مورد مهم يغتذي بهِ بيت المال ولهذا تجد معظم حكومات العالم تجبي من التبغ على اشكال شتى ضرائب عظيمة جدًا وهي تبرر عملها بكون التبغ لايعد من حاجات الانسان المبرمة وكل من لا يريد دفع هذه الضرائب عليهِ بأن يقلع عن عادة التدخين . وفوق ذلك

لما كان الافراط باستعمال التبغ يضر بصحة مستعمليه فان ثقل الضريبة يدعو الى التقليل منهُ

والدول على قسمين قسم احتكر زراعة التبغ وصناعتهُ وتجارتهُ وآخر ترك للشعب حرية التصرف بهذه الامور . فمن القسم الاول فرنسه وأوستريه واسبانيا والبرتقال ورومانية ويوغوسلافية والدولة العثمانية . ومن القسم الثاني انكلترة والمانيا وبلجيكا وهولاندة ومصر وغيرها . في فرنسة احتكرت الحكومة زراعة التبغ وتجارتهُ منذ ايام نابليون سنة ١٨١١ ولا تزال على ذلك الى اليوم ولديها مصلحة واسعة من مصالح الحكومة تسمى « المديرية العامة لحصر الدخان » وهي تابعة لوزارة المالية . وهذه المديرية هي التي تأذن للفلاحين بزرع التبغ وتراقب النبات طيلة حياتهِ وتشتريه من الفلاحين بعد ان ينضج لقاء اثمان تقطعها وزارة المالية وهي التي تبتاع التبغ الاجنبي لخلطهِ بتبغ البلاد وتنظر في اعمال المعامل التي تصنع فيها السيكارات وسائر ما يصنع من ورق هذا النبات كما تنظر في فتح الدكاكين التي تباع تلك المصنوعات فيها . اما من الوجهة المالية فان ادارة الضرائب غير المباشرة هي التي تهتم بأمر البيع واستيفاء اثمان المبيعات

واحتكار اوسترية للتبغ يرجع الى اكثر من قرنين وقد كانت الحكومة باعت حقها من شركة تدعى شركة حصر الدخان كما كانت الحال عليهِ في الدولة العثمانية اوكما هي الحالة عليهِ في سورية في يومنا هذا . ثم في سنة ١٨٧٣ اخذت تلك الدولة على عاتقها امر النظر في شئون زراعة التبغ وتجارتهِ . وفي سنة ١٨٥٠ امتد الاحتكار الى حكومة المجر ولما رأت تلك الحكومة شدة مقاومة الزراع والتجار سمحت لكل زارع بمائتي متر مربع من الارض يزرعها تبغاً لحسابهِ . واحتكرت دولة ايطالية التبغ سنة ١٨٦٩ فباعت الامتياز بادئ بدء من شركة ثم انتزعتهُ منها سنة ١٨٨٣ واستثمرت التبغ مباشرة . اما اسبانية فقد سارت على عكس الدولتين المذكورتين فهي قد احتكرت التبغ مباشرة ثم رأت نفسها غير قادرة على ضبطهِ فمنحت احدى الشركات امتيازاً بحصره

وتجارة التبغ ومصنوعاتهِ حرة في انكلترة لكن زراعتهُ ممنوعة وكل من يزرعهُ يكون عرضة لضبط المحصول عدا انهُ يغرم غرامة فاحشة . ولكن لافراد الشعب حرية ادخال ورق التبغ والسيكارات من البلاد الاجنبية وحرية تأسيس معامل لصنع السيكارات وفتح دكاكين دون ان تراقبهم الحكومة البتة . وتكون فائدة الدولة في استيفاء ضريبة كمركية على ورق التبغ او على مصنوعاتهِ عند ما تدخل البلاد الانكليزية . وهذه الطريقة هي كما ترون سهلة لا تكلف الحكومة نفقات طائلة في سبيل مراقبة زرع التبغ وصنع السيكارات وبيعها كما هي الحال في الدول التي احتكرت هذه الأمور . ويفيد انكلترا ان تكون الطريقة المذكورة

متبعة لأنها جزائر يصعب على المصدرين ادخال التبغ اليها بدون ان يصطدموا بعمال المكس اما الدول التي يسهل اجتياز حدودها فانها تخسر خسارات عظيمة اذا لجأت الى هذه الطريقة

وزراعة التبغ حرة في المانية وكذا صناعة السيكارات وبيعها . والحكومة تستوفي ضريبة عن زروع التبغ إما بنسبة وزن المحصول او بنسبة المساحة المزروعة . وتستوفي ايضاً المكس عن ورق التبغ والمصنوعات التي تدخل البلاد الالمانية . وفي الروسية نرى ان زراعة هذا النبات وصناعة مصنوعاته والاتجار بها هي حرة ايضاً والحكومة تستوفي المكس عما يُشترى من البلاد الاجنبية كما تستوفي ضريبة تسمى «باندرول» عما يصنع في البلاد الروسية وهذه الضريبة تستوفيها الحكومة على الشكل الآتي وهو انها تضطر اصحاب معامل التبغ والسيكارات على وضع مصنوعاتهم في غُلُف تبيعهم اياها ويكون ثمنها عبارة عن ضريبة نسبية تتبدل حسب اثمان تلك المصنوعات

اما في الدولة العثمانية (وهي التي يهمنا البحث فيها اكثر من سائر الدول) فأن احتكار التبغ ومصنوعاته بدأ في سنة ١٨٨٤ ميلادية او سنة ١٣٠٠ رومية اذ منحت الدولة احدى الشركات الدولية امتيازاً بحصر الدخان لمدة ثلاثين سنة ثم مددتها حكومة الاتحاديين ١٥ سنة فصارت مدة الامتياز تنتهي في ١٤ نيسان (ابريل) من السنة الحاضرة . لكنه بعد ان سُلخت البلدان العربية عن الدولة العثمانية على اثر الحرب الكبرى رفضت حكومات فلسطين والعراق وشرقي الاردن الاعتراف ببقاء امتياز الشركة المذكورة كما الغته تركيا نفسها في بلادها . وكل هذه الحكومات اطلقت الحرية في زراعة التبغ واخذت تستوفي المكس عن تبغ البلاد الاجنبية وضريبة على محصول التبغ الذي يزرع في ديارها . اما في سورية ولبنان فقد ظلت سُلطة شركة حصر الدخان كما كانت ايام الدولة العثمانية وصدر اخيراً قرار من المفوضية العليا الفرنسية بتمديد مدة الامتياز ثلاثة اشهر اي الى ١٤ تموز (يوليو) سنة ١٩٢٩ ريثما يُبَتُّ في السياسة التي يجب اتخاذُها تجاه زراعة التبغ وصناعة السيكارات والاتجار بها في سورية ولبنان

واهم شروط هذه الشركة تحتكر صناعة السيكارات وتجارتها في البلاد العثمانية لقاء مبلغ سنوي تدفعه الحكومة وتمنع زراعة التبغ الا في بعض الولايات والالوية التي تجود زراعته فيها . وقد كانت ولايات الشام وحلب وبيروت ولواء القدس من جملة الاماكن التي لا يجوز زرعه فيها ماعدا اللاذقية وجبلة وصهيون وصيدا وصور وبأمكان اصحاب التبغ الذي ينتج في البلاد العثمانية ان يبيعوه على عهدتهم في الديار الاجنبية لكنهم يمنعون عن الاتجار به في داخل البلاد وهم اذن مضطرون الى بيعه من شركة الريجي دون غيرها لقاء اثمان تحددها كما تشاء . وتدعي الشركة ان تلك الاثمان تكون عادلة في الجملة ولكن شتان بينها وبين

محصول التبغ الأهلي في الاسواق التجارية . وهذا الفرق بين المبلغ الذي تفرضه الشركة على ارباب زراعة التبغ ثمناً لمحصولهم وبين الثمن الذي يباع به ذلك المحصول في السوق التجاري هو السبب الأعظم لوجود أناس اتخذوا بيع الدخان خلسةً مهنةً لهم وصاروا يصطدمون من حين الى آخر مع محافظي الشركة وعمالها حتى سالت الدماء مراراً عديدة وحتى صار عدد القتلى في الدولة العثمانية السابقة منذ مُنحت الشركة امتيازها الى اليوم يعد بالالوف . ولا يستغربن احدٌ ان تسوء الحال الى هذا الحد وان يخاطر عدد عظيم من افراد الشعب بحياتهم واموالهم في سبيل بيع التبغ خفيةً ذلك ان الفرق بين الثمن الذي تشتري به الشركة التبغ والثمن الذي تبيعه به هو عظيم جداً قد يبلغ ٦٠٠ — ١٠٠٠ في المائة احياناً مثاله ان الشركة تدفع اليوم الى الفلاحين في اللاذقية وجبال النصيرية ٤٠ — ٥٠ قرشاً سورياً ثمناً متوسطاً للكيلو غرام الواحد من ورق التبغ الجاف على حين ان الورق نفسه يباع في الاسوق التجارية خفية بخمسة مجيديات اوستة اي بخمسة امثال الثمن الذي تدفعه الشركة الى الزراع تقريباً فمن البديهي اذن ان يكون عدد المتصدين للبيع الخفي كبيراً وان يشاركهم بعض بائعي تبغ الريجي في عملهم لأن تلك الشركة لا تمنحهم من ارباح ما يبيعونهُ من التبغ والسيكارات سوى ٩ في المائة من اثمانها ومن يمكنهُ ان يكتفي اليوم بهذا الربح الضئيل لا سيما اذا كان عليه نفقات كبيرة يضطر الى انفاقها واذا كان دكانه في مكان يقل به المشترون . وتقول شركة حصر الدخان انهُ لايمكنها شراء تبغ البلاد الشامية بأكثر من الاثمان التي تبتاعه بها اليوم لأن ثمن الكيلو غرام الواحد من التبغ التركي الجيد لا يساوي في الجملة اكثر من ليرة سورية وهو الثمن الذي تشتريه به وتبغ لبنان واللاذقية واطرافها هو برأيها غير مرغوب فيه في بلاد الشام وقد اعتاد الشاميون تدخين تبغ الشركة المركب في مجموعهِ من ٣٠ في المائة من تبغ اللاذقية وجبل النصيرية و ٧٠ في المائة من التبغ التركي فلا يجوز ان تدفع للفلاح الشامي ثمناً كبيراً لتبغه الرديء مع العلم بأن التبغ التركي يفوقهُ كثيراً بلذة دخانه . وتقول انها اذا جعلت ثمن تبغ اللاذقية ولبنان كبيراً تزداد زراعته وتضطر الشركة الى شراء كل المحصول دون ان يكون بأمكانها تصريفه لأن الشام اعتاد تدخين التبغ التركي في المقادير التي تبيعه الشركة اياها اما البلاد الاجنبية فهي لا تلتذ بتبغ اللاذقية ولبنان

يتضح مما ذكرت ان محاكة شركة الريجي للمسئلة على هذا المنوال تدعو الى تشجيع زراعة التبغ في بلاد الشام لا سيما في سواحلها حيث تجود زراعته دون اسقاء . ومما لاريب فيه انه لو كان بيت المال واحداً في سورية ولبنان وجبال النصيرية لكانت اصلح طريقة لاستيفاء رسوم التبغ هو ان تجعل زراعته وتجارته وصناعة السيكارات منه حرة وان تستوفي

الحكومة ضريبة على محصول التبغ البلدي ومكساً على ماينقل الى البلاد من التبغ الاجنبي اما في الحالة الحاضرة فاللبنانيون وسكان اللاذقية وجبال النصيرية يرون ان من فائدة الشعب والحكومة معاً ان تطلق حرية زرع هذا النبات وحرية الاتجار به على الوجه المذكور. وفي سورية الداخلية ينقسم اصحاب الرأي قسمين قسماً يرى ان حرية زراعة التبغ وتجارته تدعو الى ربح الشعب ارباح مهمة هو في حاجة اليها لينتعش اقتصادياً، وقسما يري ان شدة الحرية تسبب ضياع مبالغ طائلة على بيت المال لأنهُ من الصعب على الحكومة ان تتمكن من ضبط حدودها الواسعة لاستيفاء المكس عما يُنقل الى الداخل من تبغ لبنان واللاذقية والديار الاجنبية . واذا اتُّبع رأي الفريق الثاني يكون امام الحكومة احدى طريقتين وهما اما احتكار زراعة التبغ وتجارته مباشرة على ان تنشىء مصلحة لهذا الغرض كما في فرنسة وغيرها واما منح امتياز بذلك لأحدى الشركات لقاء مبالغ معينة تدفع الى بيت المال على ان تكون الشروط غير مضرة بأرباب الزراعة بل داعية لتوسيع زراعة التبغ في هذا البلاد

فالطريقة الأولى تكلف الحكومة نفقات طائلة عدا ان الحكومات قلما تكون صالحة لأعمال الاحتكار من الوجهة الاقتصادية وهي قد تكون اشد وطأة على اصحاب التبغ من الشركات بما لديها من الوسائل كالشرطة والدرك . اما الطريقة الثانية وهي الحكرة بواسطة الشركات فانها طريقة انفع لبيت المال لكنها في الوقت نفسه انفع للاجانب اذا كان اصحاب اسهم الشركات من غير ابناء البلاد . ومهما تكن الطريقة التي تتبع فمن الضروري ان ترتكز قاعدة اقتصادية مهمة وهي توسيع زراعة التبغ في بلاد الشام حتى يقل مقدار التبغ التركي الذي ندخنه الى ادنى حد مستطاع فنحن ندخن اليوم في داخل الشام وحده نحو مليون ومائة الف كيلو غرام من التبغ التركي سنوياً وثمن هذا المقدار يذهب من جيوبنا ضياعاً . وندخن اربعمائة الف كيلو غرام من تبغ اللاذقية وجبال النصيرية بواسطة شركة الريجي ونحو مليون كيلو غرام من تبغ تلك المنطقة مع تبغ لبنان وهذا المقدار الاخير يباع خفية

ويكون توسيع زراعة التبغ على الصورة الآتية وهي اذا اطلقت حرية زراعة ذلك النبات وتجارته يجب ان تكون الضريبة على محصول الشام صغيرة بعكس المكس على مايدخل من البلاد الاجنبية . اما اذا اتبعت طريقة الأحتكار فمن الواجب تقدير اثمان رابحة لمحصول الشام الذي تبتاعهُ الحكومة او شركة الحصر من ارباب الزراعة وان تقدر هذه الاثمان بواسطة رجال لاينتمون الى الحكومة ولا الى الشركة . ثم يجب ان يقلل الشراء من التبغ الأجنبي حتى يعتاد ابناء الشام تدخين التبغ الذي تُنبته بلادهم . فنتمنى ان يوفق المعالجون لقضية الريجي الى ضمانة فائدة بيت المال من جهة وفائدة ارباب زراعة التبغ وتجارته من جهة ثانية والسلام

بنك التسويات الدولي

أهم النتائج التي اسفر عنها مؤتمر الخبراء الذي انعقد هذا العام انشاء هذا البنك . فكل المقترحات الاخرى ليست جديدة بل هي تعديلات لمشروع داوز في حين ان مشروع انشاء البنك هو المقترح الوحيد الذي يصحّ تسميته بالجديد. ولذلك لفت اليه الانظار وينتظر ان يكون عاملاً قويًّا في انشاء تعاون دولي مالي . ولم يبق على الخبراء الا تقديم اقتراحاتهم فيما يتعلق بدقائق المسألة للجري عليها عند اجراء التسوية . وكانت أول خطوة نصح باتخاذها الغاء اللجنة الخاصة بالتعويضات لأنها اظهرت تحاملاً على المانيا والقت على عاتقها مسئولية وقوع الحرب وقررت ان من الواجب الزامها بالتعويض . وسيكون البنك الجديد بعيداً عن السياسة وينحصر عملهُ في المبالغ السنوية التي تسددها المانيا ثم توزيع ما تجمع على الدول المستحقة . كذلك سيكون من مهمة البنك تسليم البضائع التي وافقت المانيا على تقديمها لمدة عشر سنوات للحلفاء كجزء من التعويض

وقد يتساءل البعض عن السبب في انشاء بنك للقيام باعمال من السهل انهاؤها بين المانيا واعدائها السابقين مباشرة. والجواب ان تجارب الاعوام السالفة اوحت بوجوب انشاء هيئة مستقلة تخلي المانيا تدريجاً من التبعة وتوفر عليها عملية التوزيع . ومن السهل تفهم الفائدة التي تنتج من وجود وسيط لا صبغة سياسية له لانهاء هذا الامر الذي قد يؤدي الى سوء تفاهم بلامسوّغ. فقد كانت الفكرة في البدء موجهة الى انشاء مجلس امناء لادارة موضوع دفع التعويضات ولكن اتضح بعد ذلك ان الحكمة تقضي بانشاء بنك ليكون رابطة دولية اقتصادية لعلّهُ يحقق الحلم الذي طالما تجلى لكثيرين من الساسة

كانت البنوك التابعة لمختلف الدول قبل الحرب غير مرتبطة بعضها ببعض وكان يقوم بعملية الاتصال بينها افراد من كبار الماليين ولما كانت الحركة المالية بعد الحرب تستدعي ايجاد بنك مركزي ليقوم بعمليات التصفية فقد اقترح بعضهم في مؤتمر جنوى عام ١٩٢٢ وجوب اجتماع رؤساء البنوك التي تصدر البنكنوت بين آن وآخر ولكن لم يوضع هذا الاقتراح موضع العمل طيلة هذه المدة في حين ان التعاون الاقتصادي بين الدول اصبح محسوساً رغم حدوثه بصفة غير رسمية وعلى يد بضعة افراد . فمن الطبيعي ان يحاول رجال المال تنظيم هذا التعاون بعد ان أحسّ العالم أجمع بوجوبه. ومن الفوائد المنتظرة من انشاء هذا البنك مدّه البنوك بقروض وقت الحاجة . وهناك عمليات دولية كثيرة يسهل اجراؤها عن طريقه لذلك فيكون من السهل تنظيم حركة الذهب واقلال الكمية المتداولة منهُ بواسطته ولهُ

فوائد ثانوية لا بدَّ ان تنتج عن ايجاد اداة مالية دولية. لذلك رحب المشتغلون بالامور المالية بالبنك الذي طرحهُ للبحث مشروع يونغ

وسيكون لمجلس ادارة هذا البنك الحق في اجراء تعديلات في لائحتهِ الداخلية حتى لا توضع هيأته الادارية تحت رحمة تشريع اية دولة من الدول أو تحت رحمة تشريع مفتعل توجده هيئة دولية تحاول تطبيق ما تراه في صالحها. واما الضمان فقائم على ان اعضاء المجالس سيكونون من غير الساسة المشتغلين بالشؤون الاقتصادية ولن تعين الحكومات المديرين حتى لا تتبع عند اختيارهم نعرة سياسية او وطنية. وكذلك لن يمثل هؤلاء المديرين هيئات ذات مصالح خاصة تحرضها على اجتناء الربح لأن المهم هو ان يكون رائد مجلس المديرين خدمة السلام العام والصالح العام قبل كل شيء. ولذلك اقترح ان يمثل هؤلاء المديرون بنوكَ الاصدار في مختلف الممالك فهذه البنوك هي اقلُّ تأثراً بالسياسة وأقل اهتماماً بالربح من غيرها من الهيئات. وأظهر المشروع وجوب وجود سبعة رؤساء للبنوك المركزية الخاصة بالدول السبع المتصلة بالمشروع وهي فرنسا وألمانيا وبريطانيا وبلجيكا وإيطاليا واليابان والولايات المتحدة ولما كان اجتماع هؤلاء الرؤساء بين آن وآخر متعذراً اقترح ان يعين كل رئيس منهم وكيلاً عنهُ ليقوم بهذه العملية

ومن ضمن المقترحات انهُ يصح لبنك فرنسا وبنك المانيا انتخاب عضو جديد عند حلول ميعاد تسليم سنويات التعويضات الألمانية وذلك للمساعدة على التوزيع وأيضاً للاشراف على التسلُّم والتسليم فيكون مجلس المديرين والحالة هذه مكوَّناً من اربعة عشر عضواً (يضاف اليهما عضوان عند الحاجة) ولكن يصح ان يزيد عدد اعضاء هذا المجلس اذا وافقت بنوك الاصدار الموجودة في الممالك الاخرى على الاشتراك في البنك ولن تكون الزيادة اكثر من تسعة مديرين جدد ينتخبهم الاربعة عشر عضواً من قائمة تحوي اسماء مرشحي بنوك الاصدار التي ستشترك في مشروع البنك. وبذلك لن يزيد مجلس المديرين عن ٢٣ (او ٢٥) مديراً يكون لهم سلطة مطلقة ولهم حق تعيين الموظفين واصدار القرارات وتعديل النظام

وستكون مدة التعيين خمس سنوات تنتهي بعدها مدة الخمس بالتتابع لكن يصح اعادة انتخاب من انتهت مدتهُ ثانية. اما الذي يضع نظام البنك مبدئيًّا فهي لجنة تنتخبها بنوك الاصدار للدول السبع ويمثل كل بنك عضوان واذا لم يتيسر لبنك انتخاب عضوين يصح لبقية الاعضاء انتخاب شخصين من المملكة التي يعجز بنكها عن الانتخاب

وسيكون رأس مال البنك عند التأسيس ١٠٠٠٠٠٠٠٠ دولار سيدفع منه ٢٥٠٠٠٠٠٠ دولار فقط ولكن ستكون الاسهم مسئولة عن القيمة التي لا تدفع وستكون قيمة السهم واحدة في مختلف الممالك السبع وستجري عملية الاكتتاب بواسطة بنوك الاصدار فيها. واذا ما

انضمت ممالك اخرى سيكون نصيب الممالك الاصلية ٥٥ ٪ من الاسهم ولن يكون للسهم حق في التصويت بل سينتقل حق التصويت الى بنوك الاصدار الممثلة للمملكة التابع لها حامل السهم (مع ملاحظة نسبة ٥٥ ٪) فوالحالة هذه لن يكون للمساهمين عمل الا الاستثمار ولن تزيد الفوائد التي ستدفع على الاسهم عن ١٢ ٪ بأى حال وسيضاف ما يتبقى الى احتياطي البنك والى احتياطات بنوك الاصدار التابعة للدول الداخلة في الموضوع ما عدا المانيا وسيقتطع ٧٥ ٪ من الارباح لهذه العملية واما الباقي وهو ٢٥ ٪ فستضاف لحساب المانيا لتسديد المطلوب منها في السنوات التالية بشرط ان تودع المانيا في البنك المذكور مبلغ ٤٠٠٠٠٠٠٠٠ مارك ذهب بفائدة لمدة طويلة

وللبنك الحق في قبول الودائع وفي الاقراض وفي الاستثمار وبالاختصار في عمل كل ما تعمله بنوك الاصدار عادة ولكن لا يسمح له بالطبع باصدار بنكنوت باسمه وسيطلب منه انشاء احتياطيات مشابهة لتلك التي يحتفظ بها بنك الاصدار ولان البنك سيعاون على اقلال كمية الذهب المتداول سيلزم على الاحتفاظ بجملة احتياطياته ذهباً وعليه ان يحتفظ بما قيمته ٤٠ ٪ من الودائع عن ١٥ يوماً او اقل اما عن الودائع لمدة تزيد عن ١٥ يوماً فعليه ان يحتفظ بما قيمته ٢٥ ٪ منها . سيقول البعض ان انشاء هذا البنك سيخلق مزاحماً لغيره من البنوك ولكن اساس الفكرة هو ان لا يزاحم لان هذه المزاحمة تضر الفكرة ذاتها وكذلك سيحتم على البنك ان لا يتعامل في السوق المالي في اي بلد كان الا بعد موافقة بنك الاصدار التابع لهذا البلد اضف الى ماسبق ان مديرى بنك التسويات يمثلون البلدان المذكورة وسيكونون دائماً على اتصال به وبالطبع سيعارضون كل محاولة ترمي الى الضغط على سوقهم المالية

اذن فللبنك المقترح انشاءه مرميان احدهما اساسي وهو توزيع التعويضات الالمانية وأهم فائدة تنتج من قيامه بهذه العملية هو نقل مسألة التعويضات من ايدي الساسة الى ايدي الماليين الأكثر ميولاً من الساسة للاصطباغ بالصبغة الدولية وبذلك تمحي روح العناد. كذلك في حالة اضطرار المانيا الى عدم تسديد كل المطلوب منها يبدي مجلس المديرين حكمه ويتلافى هذا التقصير باصدار سندات مضمونة من الحكومة الألمانية (قصيرة الأجل)

وأما المرمى الآخر فهو تنظيم اجتماعات لممثلي بنوك الاصدار لحل المسائل المالية الدولية العويصة في جو هادىء ليتيسر ايجاد دواء لأدوائها وكذلك سيعمل البنك على تقوية الرابطة المالية بين الدول ويمحي الغيرة التي كثيراً ما منعت الدول من مساعدة بعضها البعض في الملمات الأمر الذي نتجت عنه كوارث دولية عديدة

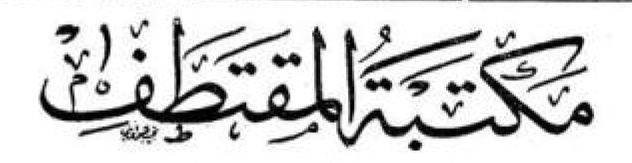
عمر عنايت

معرض الصناعة الوطنية بدمشق

لا ينمو الكائن الحيّ نموًّا صحيحاً تكتمل فيهِ اسباب القوة والجمال الاَّ اذا كان يملك في كيانهِ قوة حيوية تمكنهُ من تناول عناصر الحياة من جوهِ وأرضهِ ليحولها دماً وغضروفاً وعصباً او عصيراً وورقاً وثمراً . اما انهُ يعمد الى الدم يقدمهُ حيّ قويّ شفقة واحساناً اوالى جلد يؤخذ من غير الكائن نفسه فأمر لايلجأ اليهِ الاَّ في حالة مريض قد اشفى

ولقد اثبت الفلاسفة من افلاطون الى سبنسر ان الأمة كائن حيّ فما يلزم للكائن الحيّ من اسباب النمو وعناصر الحياة يلزم لها . انها لا تكون قوية الاَّ اذا توافر لها في جوّها وأرضها ونفوس ابنائها وعزائمهم عناصر النموّ الحيوي الصحيح لكي تبقى حية على الدهر ترد عنها العوادي قوى العزم والتوليد والابداع الكامنة في كيانها . والنموّ لايكون صحيحاً الاَّ اذا جاء من الداخل . فكرة الثلج التي تتضخم وهي تتدحرج من قمة جبل مكسوّ بالثلج تنمو ولكن نموّها خارجي ، وهو غير النموّ الحيوي الصحيح في الأحياء والامم . ولكن البزرة الصغيرة التي تطمر في التربة الصالحة فتستمد منها عناصر الغذاء تنمو ونموّها حيوي لأنها تحول كل عنصر من عناصر الهواء والتراب الى مادة حية هي مادتها

لذلك اخذتنا نشوة من السرور الذي يعجز القلم عن وصفهِ حين هبطنا عاصمة الأمويين وزرنا معرض صناعاتها الوطنية فدهشنا لما رأيناهُ فيهِ من آثار الدقة والاتقان في مختلف الصناعات — من صناعات المنسوجات الحريرية الى صناعة الجلود الى صناعات المفروشات الخشبية — وهي تضاهي ابدع ما شاهدتهُ في الغرب دقة في الصنع ورخصاً في الثمن وان نقصت منهُ استكمال عناصر الذوق الفني — الى صناعة الادوات النحاسية التي اشتهرت بها دمشق الى صناعات الخزف « السيراميك ». ولا ننسى صناعة المنسوجات الصوفية فانها على حداثتها تبشر بمستقبل باهر . سررنا بآثار الاتقان هذه لانها تدل على ظواهر النمو الحيوي الصحيح الذي تجري صهباؤه في عروق الامة السورية الكريمة ، هذه الامة التي لم تقعدها محن النهضة السياسية عن القيام بنهضة صناعية لا بد منها لكل استقلال يستحق ان يدعى كذلك . فكل بلاد لاتستطيع ان تخرج لشعبها جانباً مما يحتاج اليهِ ليستغني عن بعض الوارد اليهِ من الخارج وليسد بهِ الدين الذي يتراكم عليهِ بسبب هذه الواردات لبلاد سائرة الى الافلاس، والاستعباد الاقتصادي في هذا العصر شر انواع الاستعباد وركنها الاقوى. لم نسرّ هنا بآثار الاتقان البادية في معرض الصناعات لاننا لم نشاهد ما يماثلها او ما يفوقها في معارض الغرب ولكن مشاهدتها اثارت شعور الرجل الذي يرى بين يديهِ كائناً يتعهده بعنايتهِ ويقطر عليهِ دم قلبه لانهُ موقن انهُ سائر في طريق النمو الى مرتبة الكمال



الحياة العقلية

او دروس في علم النفس

تأليف البروفسور ودورث استاذ علم النفس في جامعة كولمبيا . ترجمة الاستاذ احمد ساع الخالدي مدير الكلية العربية في القدس واستاذ التربية فيها — صفحاته ٧٠٥ من القطع الصغير بحروف بنط ٢٤ ورسوم توضيحه كثيرة

لعلَّ هذا الكتاب الممتع من افيد الكتب التي اخرجتها المطابع العربية هذه السنة . فالموضوع الذي يعالجه هو موضوع الساعة بين الفلاسفة والمفكرين . لان علم النفس منذ استقلَّ واستوى مع سائر العلوم على اساس تجريبي اتصل بشؤون الحياة العملية اتصالاً وثيقاً كالتعليم والتهذيب والصناعة والصحة والتجارة والآداب . ومؤلف الكتاب من اعلام الاميركيين في تهذيب هذا العلم الفتي وتوضيح معالمه ونشر اصوله وحقائقه على الطلاَّب. وناقلهُ الى العربية عالم مفكر عالج شؤون الحياة العقلية نظراً وتجريباً وكاتب مجيد امين في نقل المعاني بليغ في ادائها . وشركة مكملان التي تولت الانفاق على طبعه بالعربية لم تدخر وسعاً في اخراجه في حلة قشيبة وبحرف كبير واضح لايتعب عيون الطلاَّب وعهدت في ذلك الى مطبعة المعارف فقامت بالعمل على أتم وجهٍ واوفاه . واضاف الاستاذ الناقل الى الكتاب معجماً للالفاظ والعبارات البسيكولوجية والفسيولوجية الواردة في متن الكتاب وما ترجمها بهِ فكان ذلك عملاً علميًّا جليلاً للمشتغلين بهذا العلم من كتَّاب وقرَّاء . ومن الالفاظ الجديدة التي اعتمدها في هذا الكتاب وبودنا لو تمَّ لفظة «رجْع» بدلا من «ردالفعل» فني اللفظة الجديدة معنى ردّ الفعل وتفوقها في انها لفظة مفردة يسهل تثنيتها وجمعها والنسبة اليها . وهي علاوة على ذلك جديدة لا يلتبس معناها الجديد بمعنى لها قديم مشهور . وحبذا لو جارى المؤلف غيرهُ في ترجمة **Gray matter** بالمادة السنجابية بدلاً من المادة السمراء لان اللفظة الاولى اشتهرت بين دارسي علم الفسيولوجيا

اما مباحث الكتاب نفسهِ فيتعذر علينا التبسط فيها وكل فصل يصحُّ ان يقال فيهِ ماقالهُ الرئيس ولسن في فصل « العادة » في كتاب علم النفس الذي وضعهُ الفيلسوف وليم جيمس قال : « كل مثقف يجب ان يستظهر هذا الفصل» او ماهو بمعناهُ . فنشكر لناقل هذا الكتاب اليد التي اسداها الى العلم في الشرق بنقل كتاب مفيد هذا النقل الامين البليغ

ادارة الصفوف

وللاستاذ الخالدي كتاب آخر مفيد كلَّ الافادة لا بدَّ ان يجد فيهِ المدرسون في انحاء البلدان العربية مرشداً الى افضل طرق التعليم والتهذيب . وقد اعتمد مؤلفهُ الفاضل على كتابٍ وضعهُ الاستاذ بجلي في ادارة الصفوف ولكن بعد ما طبق المبادىء والاصول على ماتحتاج اليهِ المدارس الشرقية من الاسئلة والامتحانات. وفيهِ فصول تناولت احدث المباحث التعليمية وتطبيقها كمقاييس الذكاء واختبارات في سرعة القراءة والفهم ونظام العرفاء . وفي الكلمة التي افتتح بها الكتاب يبشرنا الاستاذ بان هذا الكتاب هو الاول من سلسلة ينشرها قسم التربية في الكلية العربية بالقدس . وما من رجل يغار على الشرق ويرجو لهُ التقدم والفلاح الاَّ ويرحّب بمثل هذه الكتب المفيدة التي تقوّم فيهِ طرق التربية والتعليم

الجيولوجيا

تأليف الدكتور حسن بك صادق — وكيل مصلحة المناجم والمحاجر — صفحاته ٢٣٤
مزدانة بالصور — وفي آخره خريطة جيولوجية ملونة للقطر المصري

في مكان آخر من هذا الجزء بحثنا بحثاً موجزاً في غاية الجيولوجي واساليبهِ في الكشف عن الحقائق حملنا على كتابتهِ ونشره ظهور هذا الكتاب الجيولوجي المتقن الذي وضعهُ عالم من نخبة علمائنا حائز لأعلى الدرجات العلمية بانكلترا متمرس بهذا العلم من وجهتهِ العملية في مصلحة المناجم والمحاجر وكاتب يعرف كيف يقرّب الحقائق من الاذهان بنثر صافي الديباجة خالٍ من التكلف والتعقيد . لذلك قررت وزارة المعارف العمومية استعمالهُ للتدريس في المدارس الثانوية وحسناً فعلت . ومما يزيد رونق الكتاب وفائدتهُ اشتمالهُ على مئات من الصور جانب كبير منها صور مصرية اخذها المؤلف بنفسهِ لتوضيح مبادىء الجيولوجيا العامة للطلبة المصريين بامثلة من بلادهم

حياة المسيح لبابيني

تأليف جيوفاني بابيني — ترجمة الارشمندريت انطونيوس بشير

بابيني مؤلف ايطالي في الطبقة الاولى بين الكتاب ولد سنة ١٨٨١ وشُغف بالادب من صغرهِ . فكتب في المجلات وحرَّر مجلّة اسمها « الصوت » بالاشتراك مع صديقٍ لهُ فالتفَّ حولها نفر من ابرع كتَّاب ايطاليا . وكان في عقيدتهِ محيَّراً مشككاً وطالما كتب ناقداً هازئاً هادماً فا وافت سنة ١٩٢١ حتى ادهش أصدقاءهُ ومريديهِ بكتاب انقلب فيهِ

الساخر الهادم رجلاً مؤمناً يميل الى التأمل والتصوف — هذا هو الكتاب الذي بين أيدينا الآن

كثرت الكتب التي كتبت عن المسيح في العقد الاخير . پاپيني . لدوغ . جبران خليل جبران وغيرهم . ولكل كتاب غرض وطريقة . فجبران شاعر فيلسوف نظر الى المسيح بعيون سبع وسبعين شخصية حقيقية وخيالية عاصرت السيد وعاشت معهُ . فهو بلسان الشاعر يتكلم آناً وبلسان الخطيب آناً آخر . بلسان مريم المجدلية حيناً وبلسان صيادٍ او تلميذ او عشار حيناً آخر . وهكذا يجلو لنا شخصية السيد المسيح من نواحيها المتعددة . إما لدوغ فأكثر ميلاً الى التاريخ والتحليل البسيكولوجي . واما كتاب پاپيني فصوت خارج من قرارة النفس لان الرجل كان كافراً فاهتدى . وكان محيَّراً فاستقرَّ . وكان شاكّاً فآمن . وفي كل ذلك كانت شخصية السيد المسيح الباهرة هي التي احدثت فيهِ هذا الانقلاب . فصوتهُ انما هو صوت جيلهِ القلق المضطرب المحيَّر بين الشك واليقين والالحاد والايمان . لذلك نال هذا الكتاب رواجاً لم ينلهُ كتاب من نوعهِ وترجم الى لغاتٍ عدة . ورأى الاستاذ نعوم مكرزل صاحب الهدى النيويوركية ذلك فضنَّ بهِ ان يبقى مطوياً عن ابناء العربية فاشار على الارشمندريت انطونيوس بشير صاحب مجلة الخالدات بترجمته ففعل وقد قامت بطبعهِ مطبعة مكتبة العرب بالفجالة لصاحبها يوسف توما البستاني

الدليل العام للقطر المصري والخارج

لسنة ١٩٣٠

لقد اصبح اصدار دليل جامع كهذا الدليل عملاً شاقاً بقدر ما هو عمل مفيد . فجمع الحقائق والأسماء والعناوين ونمر التليفونات من قطر كالقطر المصري سكانهُ اربعة عشر مليوناً ثم تبويبها وترتيبها ووضع فهارس لها واخراجها في مجلد يضم الفي صفحة كبيرة عمل دونهُ خرط القتاد . ولكنهُ عمل مفيد لأن موظفي الحكومة على اختلاف اعمالهم والتجار والاطباء والصحافيين يحتاجون اشد الحاجة اليهِ . ماذا تطلب ؟ عنوان فلان في مكتبهِ او بيتهِ ونمرة تلفونهِ في كليهما ؟ لك ما تريد افتح باب الصحف ان كان صحافيًّا او باب التجار ان كان تاجراً او باب الأطباء والصيادلة اذا كان طبيباً او صيدليًّا ترَ الاسم والعنوان ونمرة التلفون . فوزارات الحكومة كلها مبوبة تبويباً متقناً وفيها اسماء الموظفين جميعهم وأعمالهم وأماكن سكنهم . والمديريات كذلك . والمجلد يحتوي على طائفة كبيرة من الصور . . . ومما يدهش لهُ انهُ صدر يوم تأليف الوزارة العدلية محتوياً على بيان كامل لأعضائها . فنهنىء الشركة القائمة بهذا العمل ونتمنى لدليلها ذيوعاً هو جدير بهِ

مطبوعات أخرى

(لبنان وسوريا) قبل الانتداب وبعده بحث يتناول حوران وجبل الدروز وجغرافيتهما وتاريخهما الحديث والانتداب الفرنسوي في لبنان وسوريا حتى آخر عهد الجنرال غورو بقلم الشيخ بولس مسعد وقد نشر تباعاً في المجلة السورية

(جمعية الشبان المسلمين) هذه مجلة اسلامية علمية تهذيبية تصدرها جمعية الشبان المسلمين مرة في الشهر ويحررها نخبة من اعضائها برآسة الدكتور يحيى احمد الدرديري . وفي مقالات الجزء الاول سيرة اديسن . والحركة الفكرية في المغرب الاقصى . ومصر الاقتصادية في الصحف الغربية وغيرها من المباحث التاريخية والادبية والدينية

(اليزيدية) رسالة موجزة في ٤٤ صفحة من القطع الصغير وضعها السيد عبد الرزاق الحسني ونشرتها مجلة « المرشد » العراقية وجعلتها هدية لمشتركيها

(الاغاني الشعبية) مجموعة من الشعر العامي الطريف الذي ينظمه سكان الارياف في العراق ويستطيع قارئها ان يدرس فيها حياة الاعراب الاجتماعية الادبية والسياسية . جمعها وشرحها السيد عبد الرزاق الحسني وطبعت بمطبعة النجاح ببغداد

(صديق العائلة) مجلة شهرية تبحث في الشئون الصحية . مركز ادارتها رقم ٣ بميدان سوارس وعنوانها صندوق بوستة رقم ٦٠٠

(الجمعيات التعاونية) ونظامها في مصر . هذا افضل كتاب وضع في التعاون في مصر . وقد اشرنا اليه قبلاً في المقتطف عن ظهور طبعته الاولى ونقلنا فصلاً منه . وضعه الدكتور توفيق حامد المرعشلي صفحاته مائة من قطع المقتطف وقد طبع بمطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر

(التربية الوطنية) للدكتور المرعشلي وهو قسمان الاول يتناول المبادىء العامة التي ينطوي عليها الاجتماع البشري وارتقاؤه ونظمه السياسية والثاني خاص بالقطر المصري وتاريخه السياسي من اقدم العصور الى الآن لان « الوطنية واغراضها لا تتحقق الا بدراسة تاريخ البلاد الحافل بالعظمة والمجد » وهذا الكتاب ايضاً طبعة ثانية وصفحاته ٢٣٩ قطع المقتطف مزدانة بالصور

(الحولية الخلدونية) كتاب جامع لشتى النبذ والحقائق والسير تنشرها مجلة التربية والتعليم في بغداد وقد سمتها « الخلدونية » نسبة الى الفيلسوف الاجتماعي « ابن خلدون » والنبذ كلها مصورة حتى تتجسم الحقائق بالصور احياناً فتغني عن شرح طويل كما ترى في صفحتي « الاقدم والاحدث » وفصل الاكتشافات والاختراعات وعجائب الدنيا السبع

(الاسلام) دين الانسانية . رسالة انكليزية في ٢٢ صفحة صغيرة وضعها الاستاذ محمد علي احد مترجمي القرآن الشريف الى اللغة الانكليزية . وللرسالة مقدمة بقلم اللورد هدلي . وتطلب من مطبعة التجارة بلاهور الهند

(نبي الاسلام) وهذه رسالة انكليزية اخرى للمؤلف نفسه جاء فيها على سيرة الرسول الكريم وتحوى تعاليمه على ذكر انقضاء ١٤٠٠ سنة على « المحسن الكبير الى الانسانية »

(الصلاة في الاسلام) للمؤلف نفسه . صفحاتها ٢٠ من القطع الصغير

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) اكتب كتاب العصر واشهرهم

بغداد . من هم اكتب كتاب العصر الأحياء وهل هم اشهر الكتّاب

ج . اذا اطلقنا على لفظة الكتابة اوسع معانيها وجب ان نطوي تحت لفظة « كتّاب » الفلاسفة والعلماء والصحافيين والروائيين والشعراء. ولكن اذا اردنا بالكتابة حصر معناها بالاداة الفنية التي يستعملها بعض الناس لوصف الحياة ونقدها انحصرت دائرة نظرنا في كتّاب الروايات والقصص والدرامات. فاذا قصرنا نظرنا على هؤلاء عرضت لنا عقبة جديدة وهي أن من الكتّاب من يكون مشهوراً في بلده مجهولاً في غيرها . فتوماس هاردي كان الى حين وفاته اكتب كتّاب الانكليز ولكن موضوعات رواياته كانت انكليزية ريفية لا يعنى بحوادثها غير الانكليز وان كانت اغراضها الادبية والفلسفية والاجتماعية عامة كالحياة نفسها . لذلك سنقصر اختيارنا على الكتّاب الذين لهم شهرة عالمية او على الاقل شهرة في اعظم بلدان اوربا واميركا . ونبدأ بالانكليز فنختار برناردشو الذي دعاهُ اميل لدفج « اكتب كتاب العصر » وولز وغلزورثي. ومن الفرنسيين رومان رولان وبول بورجه واندره موروى . ومن الالمان توماس مان واميل لدوج . ومن الطليان بيراندلّو ودانتزيو والكاتبة جرازيا ديلده .ومن الاميركان سنكلر لويس واوجين اونيل . ومن النمسويين ارثر شنتزلر. والروس مكسيم غوركي والبلدان السكندناوية نوت همسن وسغرد اوندست وسلما لجرلوف . والبلجيك موريس مترلنك. ولعل برناردشو وولز ولدوغ ورومان رولان ودانتزيو وغوركي ومترلنك اشهرهم واكتبهم. وقد ذكرنا اميل لدوغ واندره موروى بين هؤلاء الكتّاب مع انهما ليسا روائيين بحصر المعنى. لأنهما عرضا لكتابة السير على طريقة جديدة فأبدعا فيها ايما ابداع. فكتب الأول سير بسمارك وغليوم والمسيح وبيتهوفن وكتب الثاني سِيَر شلي ودزرائيلي فجمعا فيما كتباهُ بين التاريخ المحقق والقصة

الأخاذة . ويصح أن نضيف اليهما لتن ستراشي الانكليزي وغمالائيل برادفورد الاميركي فانهما من اعلام هذا النوع من الكتابة وان كانا اقل شهرة عالية من زميلهما . وسنعرض لهذا البحث في مقالة فنوفيهِ من حقهِ قدر ما يتسع لهُ المقام لأن ذكر اسماء الكتاب لا يفيد شيئاً اذا لم نذكر طرفاً من سيرهم وتقديراً لنتاج قرائحهم

ولكن هل اكتب الكتاب هم اشهر الكتاب؟ لا ريب في ان بين الكتاب المشهورين طائفة من اكتب كتاب العصر كبرناردشو وولز ولدوغ ومترلنك . كذلك بينهم كتّاب لا ينطوي سفر حياتهم حتى ينطوي سفر ذكرهم. ونحن لا نرتاب ان في زوايا الادب المهملة كتّاباً من الطبقة الاولى . على ان هؤلاء اصبحوا قلالاً في هذا العصر . فاصحاب دور النشر يبحثون في كل البلدان عن كل كاتب جديد مبدع لينشروا لهُ كتبه رغبة في الربح منها اذا ذاعت شهرتهُ ويستعملون لذلك كل اساليب الترغيب والدعاية والاعلان

(٢) اقدم الكتب العربية

نيويورك . ما هي اقدم الكتب العربية وما هي اسماء مؤلفيها وأين تباع وما هو ثمنها

ج . ان اردتم كتب الخط فأقدمها على ما نعلم هي الصفحات التي نشرتها السيدتان اغنس سمث لويس والدكتورة مرغريت دنلوب جبسن سنة ١٩٠٨ في رسالة لهما . والصفحات منقولة عن صورة شمسية لأقدم الكتابات العربية. راجع وصفها في مقتطف نوفمبر ١٩٠٧ صفحة ٨٧٦ وتتلوها نسخة من الانجيل موجودة الآن في طورسينا كتبت سنة ٤٣٨ للهجرة وخطها قريب من الخط الكوفي وقد نشر المقتطف سطوراً منها في م ١٨ ص ٣٦٨ حين الكلام على آثار طورسينا وهذه الكتب لا تقدَّر بثمن . واذا اردتم كتب الطبع فأقدم كتاب عربي المزامير وقد طبع في مدينة جنوه سنة ١٥١٦ وذلك بعد استنباط الطباعة بالحروف بنحو ستين سنة او سبعين وكان استنباط الحروف العربية للطباعة في مدينة البندقية بين سنة ١٥١٠ وسنة ١٥١٤ وفي مكاتب اوربا العمومية قليل من الصلوات العربية التي طبعت حينئذٍ . ومن اقدم الكتب العربية المطبوعة قانون ابن سينا طبع برومية سنة ١٥٩٣ وكتاب اصول الهندسة لاقليدس طبع فيها سنة ١٥٩٤

(٣) زراعة قصب السكر

مصر . من اول من زرع قصب السكر في القطر المصري وفي اي زمن كان

ج. قصب السكر ينبت بريًّا ولا بدَّ من ان يكون الناس انتبهوا الى حلاوتهِ من قديم الزمان. والظاهر ان اهالي الهند استخرجوا السكر من قبل زمن التاريخ . وفي تاريخ هيرودوتوس اشارة صريحة اليهِ . وذكر سترابون المؤرخ ان في الهند قصباً يستخرج منهُ العسل . وكان سكر الهند يرسل الى اوربا في القرن الاول من

التاريخ المسيحي واسمهُ باليونانية سكاري من سوكرا باللغة السنسكريتية. وقد ذكر الصينيون انهم تعلموا استخراج السكر من الهنود في سنة ٧٨٠ ق.م والظاهر ان العرب نقلوا زراعة قصب السكر الى مصر واوربا بعدما فتحوا بلاد الفرس ويقال ان الصينيين تعلموا تكرير السكر من المصريين . وكان لقصب السكر زراعة واسعة في مصر في زمن صلاح الدين الايوبي

(٤) بلادة الكبد

بحر الغزال . ماسبب بلادة الكبد

ج . قد يكون سببهُ احتقان في الكبد ناتج عن المأكولات الضارة او المشروبات الروحية او الملاريا او الاقامة في البلدان الحارّة . ومن اسبابهِ عدم وصول الغذاء الى الامعاء لزكام في الاثني عشري واقنية الصفراء . اما الادوية التي تزيد افراز الصفراء فهي كثيرة ويجب ان يصفها طبيب بالمقدار القانوني . ومنها بعض المياه المعدنية كماء هونيادي وماء كرلسباد . فهذه المواد تؤثر في الكبد نفسهِ وتزيد افراز الصفراء . وقد لا يكون لاخذها اقل فائدة بل قد ينتج عنهُ ضرر وخصوصاً متى كان السبب انسداد اقنية الصفراء فيفضل حينئذٍ اخذ المسهلات ولا سيما الكالومل فانهُ لا يزيد افراز الصفراء ولكنهُ يفتح لها سبيلاً

(٥) اصل المسيحيين السوريين

دمشق . هل اصل دم المسيحي السوري او الروم الارثوذكس في سوريا من اليونان او الفينيقيين

ج . لقد كان في سوريا سكان من الاراميين وغيرهم قبلما دخلها الفينيقيين فاختلطت انسابهم بانساب الفينيقيين ثم بانساب الامم التي تسلطت على سوريا من اليونان والرومان والاقباط والعرب والترك . ولم يكن هذا الاختلاط على درجة واحدة في كل سورية . ولكننا لا نظن ان الدم اليوناني كثير في سورية كالدم الفينيقي والاثنان اقل من الدم الارامي القديم وقد يكون اقل من الدم العربي الغساني في جهات دمشق وحوران . وهذا كلهُ رأي وتقدير لان تحقيق هذه المسائل من الامور الصعبة المعقدة. راجعوا مقالة هذا الجزء الاولى

(٦) الخراج في الثدي ومنعه

س ... كتبت الينا سيدة تقول انها اصيبت بخراج في ثديها لما ارضعت طفلها الأول وانها على وشك ان تضع طفلاً ثانياً. فماذا يجب ان تفعل لتتقي الخراج في ثديها قبل الولادة وحين الرضاع

ج . اسباب الخراج في الثدي ترجع الى مصدرين اولاً العدوى من مصدر داخلي كجذور الأسنان او اللثة او اللوزتين. والثاني العدوى من مصدر خارجي . فالأم تهمل غالباً العناية بحلمة ثديها في اثناء الرضاعة وبعدها فتمسها يديها من غير غسلهما وتنظيف اظافرها او تضع قماشاً غير معقم او تطيل مدة الرضاع فتنشقق الحلمة وهكذا تتطرق المكروبات الى داخل الثدي فتحدث الخراج . فالواجب على السيدة المحترمة العناية بأسنانها ولوزتيها وغيرهما من اماكن العدوى المركزية قبل الولادة وحفظ حلمتي الثديين من العدوى بعدها

باب الأخبار العلمية

خطوات الطيران في الصيف

الغراف زبلين

اصبح البلون الالماني المسيَّر غراف زبلين من اشهر السفن الهوائية التي امتطت اجنحة الهواء . ففي السنة الماضية طار من المانيا الى اميركا حاملاً للمرة الاولى في تاريخ البلونات المسيَّرة نفراً من الركاب ومقداراً كبيراً من البريد . وفي اوائل هذه السنة رحل رحلتهُ المشهورة الى بلدان الشرق الادنى ثم عقبها برحلة اخرى في ابريل الى البلدان التي حول الجانب الغربي من البحر المتوسط فزار فرنسا واسبانيا والمغرب الاقصى فاجتاز مسافة ٣٤٠٠ ميل في ٥٧ ساعة . وفي مايو زار فينا عاصمة النمسا . وفي ١٦ مايو حاول ان يطير الى اميركا ثانية حاملاً ماثقلهُ طنان من الرسائل والاكياس البريدية فاضطرَّ ان يرجع على اعقابهِ وهو لا يزال طائراً فوق شواطىء اسبانيا لان عطلاً اصاب محركاته الاربعة وكان قائدهُ يأمل ان يصل بهِ الى مقرهِ في فريدركسهافن ولكنه اضطرَّ ان ينزل الى الارض في بلدة كورس الفرنسية بعد ما وقف محركان من محركاته عن الدوران في ١٧ مايو وكان قد قضى سابحاً في الجوّ ٣٨ ساعة ونصف ساعة بمحرك واحد . فلبث في كورس حتى جاءت المحركات الجديدة . وفي اول اغسطس رحل رحلة اخرى الى الولايات المتحدة فوصلها في ٩٣ ساعة فاختصر بذلك نحو عشرين ساعة من الوقت الذي استغرقتهُ رحلتهُ الاولى اليها . ثم عاد من اميركا الى فريدركسهافن عن طريق باريس فبلغها في ٥٥ ساعة . وكانت هذه السفرة بين اميركا وفريدركسهافن المرحلة الاولى من طيران الزبلين حول الارض وهو الطيران الذي يظلُّ مذكوراً بهِ ابد الدهر . فانهُ بدأ رحلتهُ هذه في ٨ اغسطس سنة ١٩٢٩ في لايكهرست باميركا وانتهى فيها في ٢٩ اغسطس اي ان رحلتهُ حول الارض استغرقت ٢١ يوماً ساعاتُ الطيران الفعلي منها ٤٨٨ ساعة وست دقائق او ١٢ يوماً وست دقائق . وكانت مراحل هذه الرحلة كما يأتي . من ليكهرست باميركا الى فريدركسهافن مسافة ٦٢٠٠ ميل اجتازها في

٥٥ ساعة و٢٤ دقيقة. من فردريكسهافن الى طوكيو باليابان مسافة ٦٨٠٠ ميل اجتازها في ١٠١ ساعة و٥٣ دقيقة. من طوكيو الى لوس انجلوس مسافة ٥٥٠٠ ميل اجتازها في ٧٨ ساعة و٥٨ دقيقة. من لوس انجلوس الى لايكهرست ٥٣٠٠ ميل اجتازها في ٥١ ساعة و٥١ دقيقة .وكان من ركابهِ في هذه الرحلة اللايدي درمندهاي الصحافية المعروفة في هذا القطر والسر هيوبرت ولكنز الرائد القطبي المشهور

عيد بلريو الفضي

في ٢٥ يوليو احتفل في انكلترا وفرنسا بانقضاء ٢٠ سنة على فوز بلريو الطائر الفرنسي بعبور المانش على متن طيارته وذلك في ٢٥ يوليو سنة ١٩٠٩ . في ذلك اليوم التاريخي المشهور قام بلريو بطيارتهِ من كاله متجهاً الى دوفر وهي على ٢٢ ميلاً منها فنزل فيها بعد نصف ساعة . وفاز بجائزة مالية قدرها ٢٥ الف فرنك . اما في ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٩ فقد امتطى بلريو — وقد اصبح الآن من صانعي الطيارات في فرنسا — طيارة من الطيارات الحديثة التي تصل بين باريس ولندن واعاد بطيرانهِ فوق المانش ذكرى ذلك اليوم الخالد في تاريخ الطيران حينما سخر منهُ الناس لما انبأ عن قرب انتظام المواصلات الجوية بين فرنسا وانكلترا . وقد احتفلت بهِ مدرسة السوربون تقديراً لعملهِ الجليل

٣٦٠ ميلاً في الساعة

في السابع من شهر سبتمبر الماضي تبارت انكلترا وايطاليا في سباق الطيارات البحرية لاحراز كاس شنيدر ففاز في المباراة الطائر الانكليزي اذ بلغ متوسط سرعتهِ نحو ٣٢٩ ميلاً في الساعة او نحو ٥٣٠ كيلو متراً . وتلاه بعد ايام الطائر الانكليزي اورلبار فبلغ متوسط سرعتهِ على مسافة ثلاثة كيلو مترات في خط مستقيم ٥٧٥ كيلومتراً او ٣٦٠ ميلاً في الساعة اي ستة اميال في الدقيقة وهي نصف سرعة الصوت تقريباً. وكانت اسرع سرعة بلغتها الطيارات التي دخلت المباراة الاولى من هذا النوع سنة ١٩١٣ لا تزيد على ٤٥ ميلاً وربع ميل في الساعة فبلغت الآن بعد ست عشرة سنة ثمانية اضعافها

التحليق في الجو

حلق الملازم ابولوسوسك الاميركي في ١٠ مايو الماضي الى علو ٣٩١٤٠ متراً وتلاه الهرولي نونهوفن الالماني بعد اسبوعين فحلق الى علو ٤١٧٩٥ قدماً وقد طلب كلاهما ان يعتبر الارتفاع الذي بلغهُ قصب السبق في هذه الناحية من الطيران

جبابرة الجو الجديدة

على غلاف المقتطف هذا الشهر يرى القارىء صورة طيارة مائية المانية تمَّ بناؤها حديثاً وجربت على بحيرة كونستانس. وقد بلغت من الضخامة والقوة ما لم يسبق لهُ مثيل في تاريخ الطيارات. ففيها ١٢ محركاً تسيِّرها قوتها ٦٣٠٠

حصان وفيها متسع لمائة راكب او اكثر جلوساً ونياماً عدا قائدها وملاحيها ومكان لمقادير كبيرة من الامتعة واكياس البريد

وقد وردت الأنباء البرقية بأن الانكليز اتموا صنع البلونين الضخمين اللذين ينوون تسييرهما الى الهند من جهة والى كندا من جهة اخرى وهما (ر ١٠٠) و (ر ١٠١) وجربوا احدهما فنجحت التجربة . فسعة كلٍّ منهما خمسة ملايين من الأقدام المكعبة من الغاز وفيهِ مكان لمائة مسافر مع امتعتهم ولمقدار كبير من الرسائل . وطول البلون الواحد ٧٢٠ قدماً وقطره ُ ١٣٢ ومقدار ما يرفعهُ في الجوّ ١٥٦ منها ٣٤ طناً يتقاضى عليها اجرة كركاب وبريد . وقوة محركاتهِ اربعة آلاف حصان وسرعتهُ ٧٠ ميلاً في الساعة ويستطيع ان يسير ٣٥٠٠ ميل بحملٍ كامل من غير ان ينزل الى الأرض . وفيهِ غرفة طعام تتسع لخمسين راكباً وفيهِ خمسون غرفة نوم في كل منها سريران وغرفة متسعة للجلوس والمطالعة والرقص

عبور الاتلنتيكي

كان طيارو فرنسا الشجعان في طليعة الطيارين الذين حاولوا ان يعبروا الاقيانوس الاتلنتيكي على متن طياراتهم . ولا يزال القراء يذكرون ما اثارهُ فقد نتجسر وكولي من الحزن والاسى لما نزلت بهم الطيارة في عرض الاوقيانوس الاتلنتيكي ولم يعرف مستقرها . وما زال الفرنسيون من سنة ١٩٢٧ يحاولون الفوز بهذه الامنية فلم يقدَّر لهم الفوز الاَّ في صيف هذه السنة اذ قام اثنان من طياريهم جان اسولان ورنيه لفقر على متن طيارتهما العصفور الاصفر — من بلدة اولد اورتشرد بولاية ماين الاميركية في ١٤ يونيو الماضي متجهين الى اوربا فاضطرَّا الى الانحراف عن خط لندبرغ المستقيم لاشتداد العواصف في وجههما فاتجها الى اسبانيا واضطرا الى النزول فيها على شاطئ كومياس بقرب سانتندر . ومما جعل رحلتهما شاقة اكتشاف فتى اميركي مختبيء في الطيارة بعد ما صارا فوق البحر فزاد ثقل الطيارة عن المقرر وتعرضت للخطر غير مرة

وتلا ذلك فوز طائرين اميركيين — روجر وليمز ولوس يانسي — باجتياز الاتلنتيكي على متن طيارتهما «باث فيندر» ولكنهما اضطرا كزميليهما الفرنسويين ان ينزلا على مقربة من المكان الذي نزلا فيهِ لنفاد البترول مع ان غرضهما كان الوصول الى رومية من غير ان يقفا في الطريق . على انهما استأنفا الطيران الى رومية في اليوم التالي فوصلاها سالمين

وحاولت جماعات مختلفة من الطيارين البولونيين والفرنسيين الاسوجيين والاسبان اجتياز الاتلنتيكي من الشرق الى الغرب ففشلت كلها . وقد ظلت طيارة الاسبانيين — نومنشا — ستة ايام طافية على وجه الماء على مقربة من جزائر الازورس الى ان عثر عليها الطراد الانكليزي ايغل وجميع رجالها احياء

دوقة بدفورد

في الاسبوع الاول من شهر اغسطس الماضي فازت الدوقة بدفورد الانكليزية بالطيران من انكلترا الى الهند ذهاباً واياباً في ثمانية ايام . وكان لفوزها هذه رنة في محافل الطيران العالمية . والى القارىء بيان الرحلة ومراحلها: الجمعة ٢ اغسطس من لمبني بانكلترا الى صوفيا عاصمة بلغاريا ١٣٥٠ ميلاً . السبت ٣ اغسطس من صوفيا الى حلب ٨٥٠ ميلاً .الاحد ٤ اغسطس من حلب الى بوشير على خليج فارس ١٠٩٠ ميلا . الاثنين في ٥ اغسطس من بوشير الى كراتشي بالهند ١٠٦٠ ميلا

ثم عادت بالطريق نفسها في اربعة ايام فوصلت كرويدون في ٩ اغسطس. وكانت تبدأ رحلتها كلَّ يوم عند بزوغ الفجر . واطول مدة ظلّت محلقة في الجو كانت ١٥ ساعة وقد ارسل اليها ملك انكلترا برقية تهنئة

١٧ يوم في الجو

فازفي اوائل الصيف طياران اميركيان بالبقاء في الجو ٢٤٦ ساعة وكانا في اثناء ذلك يملآن احواض طيارتهما بما يصب تمدُّ اليها من طيارة اخرى تحلق فوقها . وتقدر المسافة التي قطعاها في اثناء ذلك بنحو ١٧ الف ميل اي نحو ثلاثة ارباع محيط الكرة الارضية . ولكن في ١٣ يوليو امتطى طياران اميركيان آخران طيارة من صنع كرتس وروبرتسن وحلقا بها فوق مدينة سانت لويس فظلاّ محلقين ١٧ يوماً ملئا احواض طيارتهما ٤٧ مرة في اثنائها ولما نزلا الى الارض كان المحرّك لا يزال دائراً وانما نزلا تلبية لطلب المستر روبرتسن مدير المعامل التي صنعت طيارتهما وشملها برعايته

الأستاذ بافلوف

لم تقضِ الشيوعية في روسيا على البحث العلمي كما يُظَن. بل هي في كثير من نواحيهِ تقود العالم اليوم. فالاستاذ بافلوف الفزيولوجي الروسي المشهور يحسب زعيم علماء الفسيولوجيا في جميع الأمم . منح سنة ١٩٠٤ جائزة نوبل الطبية لمباحثهِ في فسيولوجية الهضم. وعني حديثاً بدرس اثر المراكز العصبية العليا — المخ والمخيخ — في سيل اللعاب وابتدع لذلك طريقة بارعة رفعتهُ الى المقام الأول بين علماء الأرض . لذلك احتفلت امم الأرض ببلوغهِ سن الثمانين ودعي الى الولايات المتحدة لالقاء خطب فيها وترجمت مجموعة خطبهِ الحديثة الى اللغة الانكليزية ونشرت في الشهر الماضي

ولد في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٤٩ وتلقى العلوم العالية في جامعة بطرسبرج (لننغراد الآن) ثم اشتغل بالمباحث الطبية وأبدى براعة خاصة في المباحث التجريبية . فأرسل الى المانيا وبقي سنتين يدرس في معامل لدوغ وهيدنهان ثم عاد الى روسيا فشغل

مناصب تعليمية عالية فيها والتف حوله جماعة من الطلاب يصح ان نسميهم مدرسة بافلوف الآن لجريهم على اساليبه العلمية في البحث. ودارت مباحثه الاولى (ابتداء من سنة ١٨٧٨) على فسيولوجية الدورة الدموية. ولما دعي سنة ١٩٠٦ الى لندن لالقاء خطبة هكسلي التذكارية رحب به الانكليز اعظم ترحيب. وسنة ١٩٠٧ انتخبوه عضواً اجنبياً في جمعيتهم الملكية وسنة ١٩١٥ منحوه وسام كوبلي لمباحثه في فسيولوجية الهضم

تجربة التلفزة

يعرف قرّاء المقتطف ما هي التلفزة. هي الرؤية عن بُعدٍ فكأن بصر الانسان قد زاد بها قوة ونفوذاً فيرى ما هو حادث في اماكن تبعدعنهُ ولا يصل اليها ببصره — يرى الحوادث في ابان حدوثها منقولةً اليهِ على اجنحة الأثير. ومن اشهر المستنبطين في هذا الفرع من الفنون اللاسلكية المستر بارد الانكليزي. وقد سبق لنا وصف اسلوبهِ وما بني عليهِ. وسنعود الى ذلك في فرصة اخرى

انما يهمنا الآن ان نبلغ القراء ان المستر بارد جرّب تلفازه بتجربة علنية عامة في ٣٠ سبتمبر الماضي. فأقام في محطة الاذاعة التلفاز المرسل واقام في فندق سافوي بلندن ومركز البريد العام والمعرض اللاسلكي باولمبيا وفي منزله الخاص تلافيز لاقطة ودعى الى هذه الاماكن المختلفة طائفة من رجال العلم والصحافة والصناعة فشوهد اولاً السر امبروز فلمنغ ثم شوهد الاستاذ اندريد ثم الماجور تشرش محرر مجلة الريالست. فكان الحضور يرون حركات هؤلاء الرجال وسكناتهم واضحة كل الوضوح. وقد القى السر امبروز فلمنغ خطبة موجزة بين فيها ارتقاء اللاسلكي والفوائد الجمة التي تجنى من التلفزة في المستقبل. وشركة بارد تذيع كل يوم من تلفازها المرسل ما يستطيع صاحب كلّ تلفاز لاقط ان يتمتع برؤيتهِ. ومما يدعو الى الاعجاب ان شركة بارد لم تصنع حتى الآن الا خمسة تلافيز لاقطة. ولكن ان نفراً من الهواة بنوا تلافيز لاقطة جرياً على التعليمات التي تنشرها مجلة «التلفزة» واستعملوها يوم التجربة العامة فنجحت

ولا نغفل في هذا المقام ذكر النبإِ الذي اطلعنا عليهِ في مجلة العلم العام الاميركية ان طريقه استنبطت لجعل التلفزة بالالوان الطبيعية

عيد الفلكي هول

في ١٥ اكتوبر الماضي احتفل علماء الفلك بانقضاء مائة سنة على ولادة الفلكي الأميركي اساف هول مكتشف قمري المريخ فوبو وديموس. ولد في ١٥ اكتوبر سنة ١٨٢٩ في بلدة غوش بولاية كونكتيكت ويُتّم وهو في الثالثة عشرة من عمره فترك مدرسة القرية الابتدائية ليشتغل بالتجارة على انهُ كان ذكياً مجتهداً فلم يترك ساعة من ساعات فراغه الاّ دأب على العلم فحذق

الرياضيات ودخل جامعة مشيغن لتلقي العلوم العالية فيها . وسنة ١٧٥٧عُيّـن مساعداً في مرصد جامعة هارفرد وكان راتبهُ الاسبوعي ثلاثة ريالات اي نحو ٢٤٠ غرشاً في الشهر. وسنة ١٨٦٢ انتظم في سلك المرصد البحري بوشنطن وفي السنة التي تلتها عيّن استاذاً للرياضيات في البحرية الاميركية. وسنة ١٨٧٥ عهداليهِ في ادارة تلسكوب كاسر قطره ٢٦ بوصة فكشف بهِ في ١١ اغسطس ١٨٧٧ عن قمري المريخ وكان كپلر قد تنبأ بوجودها . فنحتهُ الجمية الفلكية الملكية وسامها الذهبي . وبعد ما استقال من منصبهِ في البحرية الاميركية عين استاذاً للفلك في جامعة هارفرد وذلك سنة ١٨٩٦ فظل يشغلهُ الى ١٩٠١ وتوفي سنة ١٩٠٧

اللاسلكي في الفنادق الاميركية

تقوم الآن الدعائم الفولاذية الضخمة التي تتكوَّن منها اصلاب صروح اميركا الفولاذية التي تسمى « ناطحات السحاب » مقام جهاز لاسلكي متقن لنقل الأنغام الموسيقية والأغاني بالأمواج الكهربائية اللاسلكية الى غرف الفنادق لاطراب النازلين فيها . ومخترعا هذه الطريقة هما الدكتور ساتيرلي الخبير في اشعة رنتجن بأميركا والمهندس لويس كالوزيي الغساوي

تُكَيَّفُ الأجهزة اللاسلكية المركزية الرئيسية المعدة لتلقي الاغاني والانغام في الفندق حتى تطابق تموج الأمواج الأثيرية التي تذيعها محطات الاذاعة في منطقة نيويورك ويقوم أحد الأعمدة العادية المقامة عليها الاسلاك اللاقطة للأمواج اللاسلكية بالتقاط الانغام فتلتقطها أجهزة الاستقبال كالمعتاد . وهناك سلسلة من الرقاصات اللاسلكية متصلة بالأجهزة المستقبلة وبالدعائم الفولاذية للصروح أيضاً تطلق أمواجاً كهربائية جديدة تخترق الدعائم الفولاذية وتصل الى جميع أنحاء الصرح

وما على الضيف الذي يرغب في التمتع بالملاهي اللاسلكية الا أن يضع ذكر « كوبس » جهاز الاستقبال المودع في حجرته في بؤرة النور الكهربائي فيصل التيار الكهربائي بالجهاز فيدور ثم يوجه (النزيل) اسلاك الجهاز الى المحطة اللاسلكية التي يتوق الى سماع أنغامها . ولما كان موقع الفندق النيويوركي الذي تم فيه هذا الاختراع غير شائق بطبيعته فقد كان اقبال النزلاء عليه من قبل ضئيلاً بحيث لم يكن يشغل من غرفه بالضيوف أكثر من ١٠ في المائة من عددها ، ولكن بعد توزيع الأغاني اللاسلكية على حجره غصَّ بالنازلين فيه من كل حدب وصوب . وقد اتضح أن نفقات توصيل الأنغام الى الغرف بالوسيلة المتقدمة تقل ٩٠ في المائة عنها اذا تم التوصيل بالاسلاك ولذلك يقول الدكتور ساتيرلي إن جهازه هذا سيركب في نحو ١٠٠ صرح في جميع أنحاء الولايات المتحدة

مؤتمر الدواجن الدولي

يعقد في يوليو ١٩٣٠ مؤتمر دولي للدواجن في القصر البلوري بلندن وقد اجابت ٣٤ امة من الامم التي وجهت اليهم الدعوة بقبولها الاشتراك فيه

ضوء الشمس في خميرة البيرة

اصبحت خميرة البيرة من المواد الغذائية التي تعالج بضوء الشمس الصناعي الذي يتولد من المصابيح الكهربائية القوية وغدا القرص الواحد من الخميرة السابقة الذكر يحتوي على فوائد صحية تعادل ما يكتسبه المرء من التعرض لأشعة الشمس مدة تتراوح بين ساعتين وثلاث ساعات . لأن المادة المفيدة التي تحتويها الخميرة بعد معالجتها بالمصباح الكهربائي المولد للأشعة التي فوق البنفسجي وهي الفيتامين الدالي (نسبة الى حرف الدال في الابجدية) تشبه الفيتامين الذي يكتسب من زيت كبد الحوت (البكلاه) . ومع ان الرأي العلمي القاضي بالحصول على ضياء الشمس بطريقة غير مباشرة حديث العهد ، فقد بادرت طائفة من الشركات التي تصنع المواد الغذائية الى تركيب المصابيح الكهربائية ذات النور المماثل لنور الشمس لمعالجة ما تصنعه من المواد الغذائية . وأساس هذا الرأي ان العنصر المكون للعظم (أي الفيتامين الدالي) إذا حرمه امرؤ في غذائه العادي أتيح له تعويضه إياه إمَّا بالتشمس في الشمس وإمَّا بالتعرض لنور المصابيح الكهربائية التي ينبعث منها ضياء يكاد يضارع ضياء الشمس الطبيعي واما بأكل المأكولات المعالجة بضوء الشمس الصناعي

ذلك ان أشعة النور التي فوق البنفسجي الموجودة في نور الشمس وفي نور بعض المصابيح الكهربائية هي العامل الاصلي في الطرق الثلاث

وقد تستهدف المواد التي تحت الجلد والتي في الاطعمة أيضاً لتغير كيماوي واضح بتأثير الاشعة فيتحول الارجوستيرول في الاطعمة الى فيتامين دالي وحينئذ تتجلى قوتها المنعشة

اما اثبات كون التغذي بالاغذية المشمسة يؤثر في الجسم كتأثير التشمس الطبيعي او الصناعي فيرجع تاريخهُ الى عام ١٩٢٤ حينما غذى الدكتور هاري ستينبوك الاستاذ بمدرسة ويسكونسن الجامعة طائفة من فئران كان قد حبسها في مكان مظلم محجوب مشمسة فشفاها من الكساح

واما اضافة خميرة البيرة الى قائمة الاغذية المشمسة تشميساً صناعياً فليس الاَّ خطوة جديدة الى الامام في سبيل « ادخار ضياء الشمس في القوارير » وبذلك يتاح للمرء الذي لا يستطيع الاقامة على ساحل البحر أو على الجبال الحصول بلا شك على فوائد الشمس الصحية وهو في بيته عن يد خبراء العلم الذين تمكنوا من ادخار ذلك الضياء في الغذاء الذي يتناوله

التليفون اللاسلكي في الطيارات

اخترع المسيو مارسيل منجيه المهندس الفرنسي جهازاً لاسلكياً جديداً يولد أمواجاً كهربائية قصيرة المدى يستطيع بها الطيار المحادثة اما تليفونياً واما تلغرافياً مع اصدقائه الذين على الأرض . ومتى وصلت الرسالة الى سطح الأرض والتقطتها الأجهزة المعدة للاستقبال أعادت تصديرها بقوة كهربائية جديدة تنبعث منها الى الجهات المرسلة اليها الرسالة وذلك على اسلاك التليفون . ويزعم المخترع انه يتيسر له بجهازه هذا المحادثة التليفونية الى بعد يتراوح بين ١٢٠٠ ميل و ١٥٠٠ ميل وارسال الاشارات التلغرافية الى بعد ٦٠٠٠ ميل

مرضع ميكانيكي

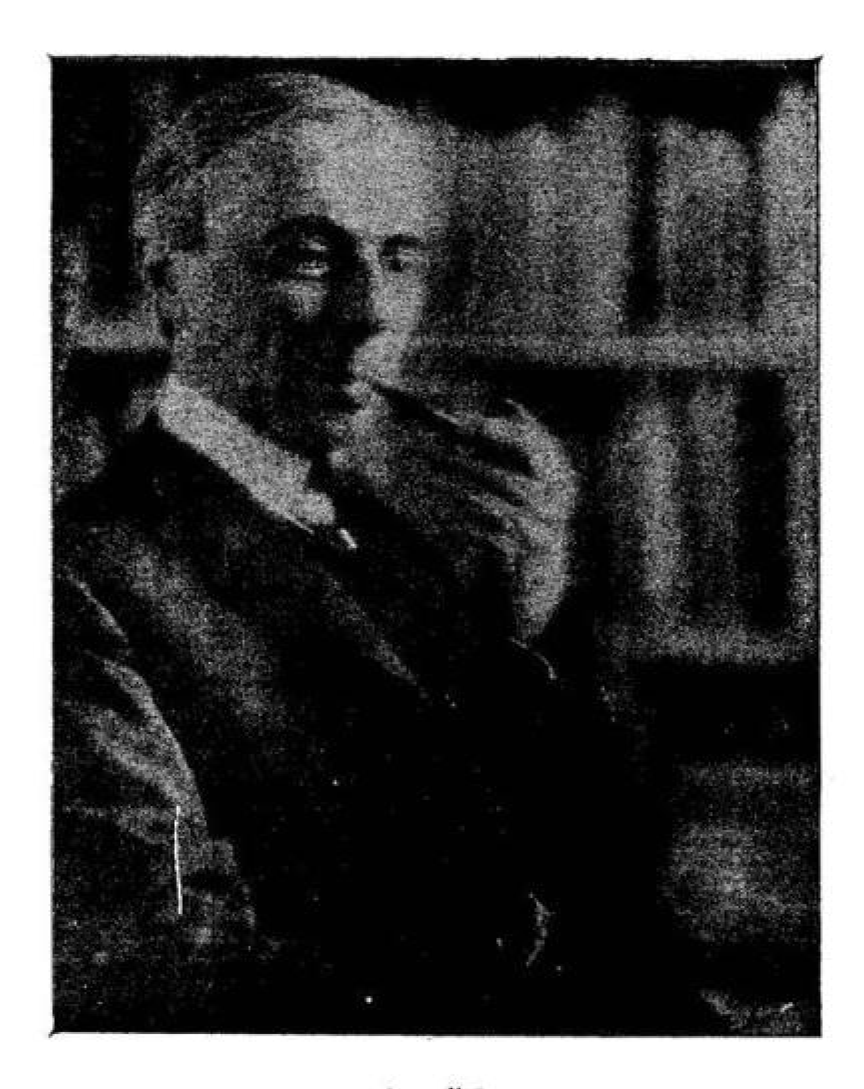
عرض حديثاً في شيكاغو حامل ميكانيكي لرضاعة الطفل يوفر على الأم مشقة القبض على (الرضاعة) ريثما ينتهي الطفل من رضاعه ويتكوَّن هذا الجهاز من ذراع مرنة مثبتة بقاعدة ثقيلة (مثل قاعدة المصباح الكهربائي الذي يوضع على المكاتب وذراعه) وفي طرف الذراع مشابك تقبض على القارورة فيمكن توجيهها الى أي اتجاه . حتى اذا ما فرغ الطفل من رضاعه رفعت القارورة وحينئذ يمكن ثني الذراع المرنة الى اسفل فيتيسر ايداعهُ في حيز صغير حتى يحتاج اليها مرة أخرى

نجاح مؤلف

وضع كاتب الماني يدعى ارخ ماري رمارك رواية موضوعها « سكينة مخيمة على الميدان الغربي » وصف بها اهوال الحرب كما رآها وعاناها جندي بسيط فنالت رواجاً عظيماً في المانيا وفرنسا وانكلترا والولايات المتحدة . فقد اطلعنا في مجلة اللتري ديجست الأميركية ان مجموع النسخ التي بيعت من هذا الكتاب بلغ ١٥٧١٠٠٠ منها ٨٠٠ الف في المانيا و ٢٤٠ الفاً في اميركا و ٢١٩ الفاً في فرنسا و ١٩٥ الفاً في انكلترا . وقد قدرنا المؤلف ربح من كتابهِ هذا بما لا يقل عن مائة الف جنيه ! فتأمل

عالم هندي

نقلت الينا مجلة نا تشر خلاصة خطبة علمية للعالم الهندي الاستاذ موكرجي في موضوع كيماوي عويص هو موضوع الصفات الكيماوية والطبيعية للذرات الكوليدية وهو فرع جديد من فروع الكيمياء . واشارت الى ان خطبة الاستاذ المذكور ومباحثهُ تدلُّ على الخطوات الواسعة التي خطاها البحث العلمي في الهند « وانهُ لو اتيح لنخبة علماء اوربا واميركا سماع خطبتهِ هذه لاصغوا لها بعناية ولذة » وهذا ثناء نفاخر بهِ ونتمنى ان يكثر امثال الاستاذ موكرجي في بلدان الشرق



برتراند رسل
الفيلسوف الإنكليزي المشهور

مقتطف نوفمبر ١٩٢٩
أمام الصفحة ٢٨٩